مختصر تفسير الميزان

للعلامة الطباطبائي

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان

مختصر تفسير الميزان

للعلامة الطباطبائي

مختصر
تفسير الميزان

للعلامة الطباطبائي

إعداد
كمال مصطفى شاكر

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة

الطبعة الثالثة

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة
مفرق سنتر زعرور - ص. ب: ١١/٧١٢٠
هاتف: ٤٥٠٤٢٦ - فاكس: ٠١/٤٥٠٤٢٧

Published by Alaalami Library
Beirut - Lebanon po. Box 7120
Tel-Fax: 450427
E-mail: alaalami@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله الذي أنزل على عبده كتاباً قيماً يهدي إلى الرشد ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم من لدنه أجراً حسناً.

والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمةً للعالمين شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. وعلى آله الذين جعل مودتهم أجراً للرسالة والذين اختصهم بأنه يريد ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيراً وعلى الصحابة الذين اتبعوه في ساعة العسرة الذين كانوا مصداق قوله تعالى: ﴿محمدٌ رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرعٍ أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾.

وعلى عباد الله الصالحين وملائكته المقربين وعلى كل من سار بهدي من الله إلى يوم الدين.

يظهر للناقد في هذا التفسير أمورٌ منها:

- استناد التفسير إلى آية أو سنة صحيحة، كلما كان هناك سبيل إلى ذلك.
- الاقتصار في معظم الحالات على تفسير واحد، أو ذكر بعض الوجوه مع بيان أوجهها.
- تفسير المفردات وبيان المراد منها، وتقرير المعاني والغرض منها بأسلوب يسهل للناس تناوله مع مراعاة اختلاف طبقاتهم.
- استخدام ألفاظ من التفسير نفسها إذا لم يكن بالإمكان اختصارها؛ مع بيان معانيها.
- الإشارة إلى بعض المصطلحات العلمية التي يقرها القرآن.
- إظهار الغرض من كل سورة في بدايتها.
- ربط المعاني بروح العصر.
- إيضاح الشبهات التي ترد على ألسنة الناس حول تفاسير بعض الآيات.

ـ ترك العنايات اللفظية حفاظاً على روح المعاني.

ـ عدم التعرض للأبحاث الفلسفية والتاريخية والعلمية والروائية. فالإيجاز الذي يهدف إليه الكتاب يغني عن الخوض فيها.

ومهما يكن من أمر، وتأسياً بقوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ كان لابد للمسلمين في كافة أرجاء الأرض من الاعتصام بالقرآن وهو حبل الله والعروة الوثقى ، ولذا كان هذا التفسير يهدف لشد المسلمين إلى هذه العصمة في عالم تتصارع فيه الأفكار وتتضارب فيه المصالح. فالقرآن عصمة في أمورٍ كثيرةٍ منها:

١ ـ عصمة الصفات الإلهية: فهو تعالى أحدٌ صمد قيوم قهار غفار خالق رازق عالم عادل، فله الأسماء الحسنى وله صفات الكمال والجمال والجلال.

٢ ـ تنزيهه تعالى عن النقص كالحدوث والعجز والظلم.

٣ ـ الدعوة إلى التوحيد الخالص عن شوب الوثنية والشرك.

٤ ـ واجب الإنسان الاستخلافي وفق شروط الخلافة التي جاء بها الرسل.

٥ ـ التأكيد على صلاحية القرآن والسنة لكل زمان ومكان والتأكيد على أن الله يريد أن يَمُنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين، مع التأكيد على أن وعد الله للمؤمنين بالنصر منجز إذا استكملوا شروطه.

٦ ـ التذكير بأن الدنيا مزرعة للآخرة، ليبلوكم أيكم أحسن عملاً. في تطبيق الشرعة والمنهاج الذي يثمر العاقبة التي يسعى إليها الإنسان باختياره.

لذا كان القرآن عصمة في مجالات العلوم والتشريع والقصص والتاريخ والمعاملات والأخلاقيات وتحديد الخطوط بين المعروف والمنكر.

فيا إلهي تقبل مني، فإني أتقرب إليك بذكرك وأستشفع بك إلى نفسك أسألك بجودك وكرمك أن تدنيني من قربك وأن توزعني شكرك وتلهمني ذكرك وتذيقني حلاوة عبادتك ولذيذ مناجاتك وتوردني رياض حبك.

واغفر لي يارب ماقصرت في جنبك، وما قصر عنه وسعي في هذا الكتاب. واغفر لوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرا، وللمؤمنين والمؤمنات يوم يقوم الحساب. وتغمد صاحب الميزان برحمتك، وتفضل بكرمك على كل من ساهم في التفسير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف

سـورة الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: يمجد الله تعالى نفسه بما يرجع الى كمال ذاته، وبما يظهر أفعاله؛ فهو رب العوالم وهو راحمها وعليها سلطانه. والسورة على إيجازها تجمع العقائد والعبادات والمعاملات والاجتماعيات والأخلاق؛ بما تجمل بياناتها من أصول التوحيد والمعاد والنبوة وطلب الهداية.

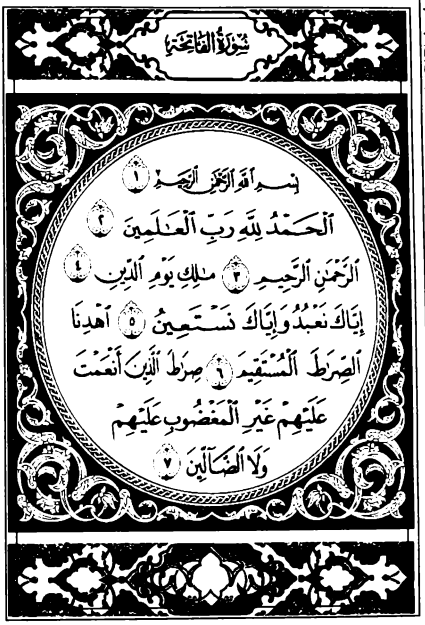

١ ـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾:

متعلق التسمية: ابتدأ تعالى الكلام باسمه ـ عز اسمه ـ ليكون مايتضمنه من المعنى مرتبطاً به، وليكون أدباً يؤدب به العباد في الأعمال والأقوال؛ فيبتدئوا باسمه لكي لايكون العمل باطلاً أبتراً. فكل ما ليس لوجهه الكريم هالك باطل، وكل أمر من الأمور يبقى بقدر ماالله فيه من نصيب فما كان خالصاً لله قَبِلَهُ الله، وما كان لغيره تعالى فهو لما تُوُجِّه به إليه. ويقول النبي الكريم ﷺ: «كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر». والقرآن غايته الهداية، والبسملة في بداية كل سورة راجعة إلى الغرض الخالص من تلك السورة. فالهداية جملة هي المبتدأة باسم الله الرحمن الرحيم. فهو الله الذي إليه مرجع العباد، وهو الرحمن يبين لعباده ـ المؤمنين والكفار ـ سبل رحمته الخاصة للمؤمنين به، وهو سعادة آخرتهم ولقاء ربهم. فالبسملة كلام يتكلم به الله سبحانه نيابة عن العبد، ليكون متأدباً في مقام إظهار العبودية بما أدبه الله. وإظهار عبودية العبد يتجلى في العمل الذي يطابق به منهج معبوده. والاسم، مشتق من السمة، بمعنى العلامة، أو من السمو بمعنى الرفعة وهو أصح. ولفظ الجلالة ـ الله ـ إله من أله بمعنى عبد، أو من أَلِهَ أو من وَلَهَ بمعنى تحير لأنه تحيرت فيه العقول. ولفظ الجلالة اسم للذات ـ أزلي الوجود ـ المستجمع لجميع صفات الكمال، وهو تعالى يهدي عباده إليها. والرحمن، صيغة مبالغة تدل على الكثرة والرحيم تدل على الثبات والبقاء فصفة الرحمن تدل على الرحمة التي تعم المؤمن والكافر، أما صفة الرحيم ففضلاً عن أنها خاصة بالمؤمن فهي تدل على النعمة الدائمة والرحمة الثابتة الباقية. ٢ ـ ﴿الحمد لله﴾ الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري؛ وقد أنبأ الله أنه لم يخلق ماخلق بقهر قاهر، أو إجبار مجبر بل خلق عن علم وإرادة وقد أحسن كل شيء خلقه فلا خلق إلا وهو حسن ولاحسن إلا وهو منسوب إليه. فالله محمود على أسمائه ومحمود على أفعاله فلله جنس الحمد، ولله كل الحمد. وهو سبحانه يلقن عبده حمد نفسه، ومايَنبغي أن يتأدب به العبد عند نصب نفسه في مقام العبودية؛ لأن الحمد توصيف وقد نزه الله سبحانه نفسه عن وصف الواصفين، وقد شقّع الله الحمد بالتسبيح، لأن غير الله لايحيط بجمال أفعاله وكمالها، كما لايحيطون بجمال صفاته وأسمائه. فما وصفوه فقد أحاطوا به، وصار محدوداً بحدودهم فلايستقيم ما أثنوا به من ثناء إلا بعد أن ينزهوه ويسبحوه عما حدوه وما قدروه بأفهامهم؛ فلذلك جعل الله حمدهم حمده،

ووصفهم وصفه وقد قال ﷺ: «لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك». ﴿رب العالمين﴾ الرب هو المالك الذي يدبر أمر مملوكه، فقيام العبد وحياته وشؤونه متعلقة بربه. وأجزاء الإنسان وحواسه وقوته من يد ورجل، وسمع وبصر، وحول وقوة ، قائمة بوجود الإنسان وغير مستقلة عنه. وقد أعطاه الله حرية التصرف بها، ووضع له المنهج الذي يجب أن يسلكه ليدخل الجنة باختياره. وكذلك فإن كافة المخلوقات تقوم بالله تعالى ولاتنفصل عن إرادته ومشيئته، كما لاتنفصل عن تدبيره وقيوميته. وأما العالمين فهي جمع العالم بمعنى مايعلم به. فهناك عالم الجماد وعالم النبات وعالم الحيوان وعالم الإنسان وكذلك هناك عالم من كل صنف كعالم العرب وعالم العجم وعالم الإنس وعالم الجن وعالم النجوم، والله رب كافة هذه العوالم. ٣ ـ **﴿الرحمن الرحيم﴾** وهما صفتان من الرحمة والله سبحانه رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما. فالثناء على الفعل الجميل قد يكون ناشئاً عن إدراك حسن ذات الفاعل وصفاته، أو النظر إلى مقامه والرغبة فيه، أو الرهبة منه، وقد أشير إلى المنشأ الأول بقول ﴿الحمد لله﴾ وإلى المنشأ الثاني بقول ﴿الرحمن الرحيم﴾ وإلى المنشأ الثالث بقول ﴿رب العالمين﴾. ٤ ـ **﴿مالك يوم الدين﴾** المُلك ينسب إلى الزمان فالملك هو الذي يملك النظام القومي والتدبير دون العين؛ فالله قد نسب يوم الدين إلى نفسه لأنه يملك الأمر والحكم فهو مالك يوم الدين هذا على تقدير القراءة (ملك يوم الدين). أما مالك فهي من المِلك وهو من فروع الخلق والإيجاد أي القيومية الإلهية، فله تعالى المُلك ـ بضم الميم ـ لأن له نفوذ الإدارة وله المِلك لأن له الإعطاء والمنع. ٥ ـ **﴿إياك نعبد﴾** العبد هو المملوك من الإنسان ومما سواه، والعبادة هي أن ينصب العبد نفسه في مقام المملوكية لربه، ولذلك كانت العبادة منافية للإستكبار ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ ولكنها غير منافية للإشتراك، فمن الجائز أن يشترك أزيد من الواحد في ملك رقبة أو عبادة عبد كما أن من الشائع أن يعبد الإنسان إلهاً أو أكثر وهذا هو الشرك؛ وقد عد الله الإشراك ممكناً ونهى عنه، وأحد مصاديقه أن يعبد المرء الله الحق ويعبد أوامر غير الله جزئياً أو كلياً فلذلك يقول تعالى: ﴿ومايؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ والعبودية الحقة مطلقة، فالرب مقصور في المالكية والعبد مقصور في العبودية فلذلك قدم المفعول وأطلقت العبادة في إياك نعبد. والعبادة يجب أن تكون لمعبود حاضر ـ فلذلك استعملت صيغة المخاطب وأن يكون هدفها الله وحده لاغير، دون أن يعبد الله في غيره. أما أن يُعبَد ـ سبحانه ـ طمعاً في جنة أو خوفاً من نار ، فهو ـ وإن كان أمراً محموداً في ذاته ـ مما يتنافى مع الإخلاص في الانقطاع إليه تعالى. وأتى الكلام بلفظ المتكلم مع الغير لإذابة النفس في العبادة وهضمها فيها وإلغاء تعيينها وتشخصها فيها مما يستلزم الإنية والإستقلال. **﴿وإياك نستعين﴾** ننسب العبادة إلى أنفسنا وندعيها لنا مع الإستعانة بك لامستقلين بذلك مدعين ذلك دونك؛ فإياك نعبد وإياك نستعين لإبداء معنى واحد هو العبادة عن إخلاص، والإخلاص ينافي قصد البدل. ٦ ـ **﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾** الهداية هي الدلالة أو إراءة الطريق، والصراط هو الطريق أو السبيل. والسبيل ليس واحداً بل هو متشعب فهناك طريق مستقيم وطريق آخر وراءه. ٧ ـ **﴿صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾** وهو الصراط الذي يسلكه من طلب الهداية بحيث تكون عبادته خالصة لربه. فهناك من يكون طريقه إلى الأعلى وهو طريق المؤمنين بآيات الله الذين لايستكبرون عن عبادته، وطريق إلى الأسفل وهو طريق المغضوب عليهم كاليهود ﴿ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾ وهناك طريق من ضل الطريق وهو حائر؛ فهم الضالون كالنصارى وهم المشركون، فكل ضلال زيغ وكل شرك ظلم وضلال. فالصراط المستقيم، الذي هو صراط غير الضالين؛ لايقع فيه شرك ولاظلم ولاضلال، لافي باطن الجنان من كفر أو شرك ولافي ظاهر الجوارح والأركان من معصية أو قصور طاعة، وهذا هو التوحيد علماً وعملاً إذ لاثالث لهما، وماذا بعد الحق إلا الضلال؟ وقد أنعم الله على أصحاب الصراط المستقيم بأرفع النعم قدراً. وذكر الله تعالى أن الصراط المستقيم واحد، وعد لنفسه سبلاً كثيرة للوصول إلى الصراط ولم ينسب الصراط لأحد من خلقه بعكس السبل التي قد تؤخذ من الأنبياء وغيرهم، والصراط لايصاحبه شرك أما السبيل فيمكن أن يجتمع فيه الضلال مع الإيمان فالسبيل يجامع الشرك. أما العبادة فهي صراط مستقيم والدين صراط مستقيم وهو مأخوذ من سرط أي بلع فهو كأنما يبلع سالكيه فيحفظهم في الإستقامة التي هي من كبريات النعم.

سـورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: الإنباء عن محصلة واحدة ، وهي البيان أن حق العبادة لله سبحانه أن يؤمن عبده بكل ما أنزله بلسان رسله، من غير تفريق بين رسول ورسول، ولا بين وحي ووحي، ثم تقريع الكافرين والمنافقين لانحرافهم عن المنهج وعداوتهم له، ثم بيان بعض الأحكام كتحويل القبلة والحج...الخ. ١ ـ ﴿الم﴾ هناك ارتباط بين الحروف التي تصدر بها السور المبتدئة بالحروف المقطعة، وبين المعنى العام للسورة، وقيل إن المراد بها الدلالة على أسمائه تعالى.

٢ ـ ﴿ذلك الكتاب﴾ وهو القرآن، الكتاب الذي يضم المعارف الكونية، والأحكام الالهية، والأدلة العقلية، والمواعظ الأخلاقية، لهداية الناس الى سبيل سعادتهم بهذا النظام الإلهي الذي يعلو كافة أنظمة البشر. ﴿لاريب فيه﴾ لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فعلومه برهانيات لايعتريها تغييرٌ وتحريف ومقدماتها يقينياتٌ لايشوبها وهمٌ ولا شك. ﴿هدى للمتقين﴾ التقوى صفة مجامعة لجميع مراتب الايمان، والتقوى هي الالتزام بحدود الأوامر والنواهي الشرعية وصفات المتقين خمسٌ هي: الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة، والإنفاق من رزق الله والايمان بما أنزله على أنبيائه والإيقان بالآخرة. فالمتقون قد تلبسوا بهداية ربهم بسبب اتصافهم بما سبق. فهم بين هدايتين، الأولى صاروا بها متقين، والثانية إكرام من الله لهم لتقواهم. فالأولى هداية فطرية والثانية قرآنية من الكتاب. وكل هذا في مقابلة الضلال، الذي هو ضلالان الأول ما أوجب فيهم الصفات الخبيثة، والثاني يؤكد الأول ﴿وما يضل به إلا الفاسقين﴾. ٣ ـ ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ الايمان هو تمكن الاعتقاد في القلب، وهو مأخوذ من الأمن الخالي من الشك والريب وهما آفة الإعتقاد، والإيمان ذو مراتب، فلذلك كانت هناك طبقات للمؤمنين. والغيب هو خلاف الشهادة، وهو ما لا يقع عليه الحس، ويمكن التوصل إليه بسليم العقل وخالص اللب. ﴿ويقيمون الصلاة﴾ وهي صلتهم بربهم، فالصلاة بعد الصلاة تطهيرٌ لما بينهما ورفعٌ لما نتج عن الانشغال بالدنيا مما يحجب التزكي ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ فهم يقومون بتأدية حق مجتمعهم ويصلون عيال الله، ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك﴾ وأنه الحق من ربك ﴿وما أنزل من قبلك﴾ فالإيمان بما خلا من الرسل لاينفك عن الإيمان بمحمدﷺ. ٤ ـ ﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾ لا تتم التقوى إلا باليقين الذي يزيد على الإيمان، وهذا اليقين لا يجامعه نسيان. فالضلال سببه نسيان الحساب، واليقين يؤدي الى التقوى. ٥ ـ ﴿أولئك على هدى من ربهم﴾ الهداية أي الدلالة كلها من الله سبحانه ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ والفلاح هو الظفر بالبغية .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

٦ ـ ﴿إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه هي: الجحود بالربوبية وهو قول من يقول لا رب ولاجنة ولا نار ... كفر الجحود على معرفة ﴿جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾. وكفر النعم، ﴿هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر﴾ والكفر بترك ما أمر الله وكفر البراءة ﴿كفرنا بكم﴾ أي تبرأنا منكم. ويتساوى في الذين كفروا الإنذار وعدمه، وذلك لمن ثبت على الكفر منهم وربما كانت الآية ممثلة لصناديد قريش. ٧ ـ ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة﴾ نسب تعالى الختم إلى نفسه، والغشاوة إلى أنفسهم، فهيهم حجاب يحجب الحق من أنفسهم وحجاب عقيب كفرهم وفسقهم فأعمالهم بين حجابين من ذاتهم ومن الله، ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ بسبب أعمالهم ورفضهم الفيض الإلهي. ٨ ـ ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ بيان لحال المنافقين، الذين يتمتعون بالمزايا التي ينالها المسلمون ثمناً لنطقهم بالشهادتين، ولكنهم يبطنون الكفر فلذلك سوف يدفعون ثمن هذه المزايا التي أخذوها دون حق في نار جهنم أضعافاً مضاعفة. ٩ ـ ﴿يخادعون الله والذين آمنوا﴾ الخدعة نوع من المكر ﴿وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾ فحقيقة خداعهم ستعود عليهم بالسوء، لأن الله مطلع عليهم عليم بأعمالهم، فمكرهم عائد عليهم. ١٠ ـ ﴿في قلوبهم مرض﴾ لقد خلا قلبهم من سلامة النية، وهم يرفضون الحق، لذلك فضلوا المرض ﴿فزادهم الله مرضا﴾ في الدنيا ثم يردهم إلى عذاب شديد في الآخرة ﴿ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾ فسبب تعذيبهم هو فساد طويتهم. ١١ ـ ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض﴾ الفساد هو إخراج الشيء عن حد اعتداله لمهمته، فأي تحريف لأوامر الله، وأي ابتعاد عن منهج الله ونظامه الذي وضع لسعادة البشر سيؤدي الى اختلال المهمة التي خلق لها، فتتعطل الوظائف ويختل سلوكها، وإذا نهوا عن الفساد ﴿قالوا إنما نحن مصلحون﴾ فهم ينسبون الإصلاح إلى إفسادهم. ١٢ ـ ﴿ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾ لقد استغرقوا في الفساد وفي السبيل المختل حتى فقدوا شعورهم بضلالهم. ١٣ ـ ﴿وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس﴾ وقد كانوا يأنفون من التسليم لرسول الله ﷺ ﴿قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء﴾ وضعيفو الرأي؛ وهذا مما لايليق بعلية القوم ﴿ألا إنهم هم السفهاء﴾ فهم بردهم هذا أدنى، لأن من وصفوه بالسفه قد توصل الى الإيمان، وقد ردوا دعوة الرسول ـ وهي حق ـ بدعوى أنفسهم أن يشاركوا من هم ليسوا من علية القوم؛ فهم السفهاء حقاً، ﴿ولكن لا يعلمون﴾ انحطاط رأيهم. ١٤ ـ ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا﴾ وتظاهروا بالانخراط في جماعة الاسلام ﴿وإذا خلوا الى شياطينهم﴾ وقابلوا اليهود الذين يجدون منهم أداة التمزق للصف الإسلامي، وهم يجدون في اليهود سنداً وعوناً ﴿قالوا إنا معكم﴾ فلم نفارقكم ولم ننضم إلى جماعة المسلمين ﴿إنما نحن مستهزؤون﴾ ساخرون. ١٥ ـ ﴿الله يستهزىء بهم﴾ لنفاقهم ﴿ويمدهم في طغيانهم﴾ وتجاوزهم ﴿يعمهون﴾ يحارون ويتخبطون على غير هدى. ١٦ ـ ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ لقد كان معهم

الهدى، فجعلوه ثمناً واشتروا به الضلالة، أي أنهم قلبوا الصفقة ﴿فما ربحت تجارتهم﴾ لأنهم خسروا الهدى، واكتسبوا الضلالة ﴿وما كانوا مهتدين﴾ وقد سعوا إلى الضلالة بأرجلهم وأيديهم. ١٧ ـ ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً﴾ فهم كمن وقع في ظلمة عمياء وأراد أن يضيء لنفسه سبيل الضلال فأوقد ناراً ﴿فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم﴾ فبقوا في ظلامهم بين ظلمتين ظلمة كانوا فيها، وظلمة الحيرة وبطلان السبب. والمنافق حين الموت يقع في هاتين الظلمتين. أو أنهم قد استوقدوا النار فلما أضاء لهم نورها لم ينتفعوا به وهم طالبوه، عندئذ ذهب الله بنورهم الذي طلبوه ثم تركوه ﴿وتركهم في ظلمات لايبصرون﴾ جزاء إعراضهم عن النور. ١٨ ـ ﴿صمٌ﴾ لايسمعون ﴿بكمٌ﴾ لاينطقون ﴿عميٌ﴾ لايرون وعمى القلب يمنع الفهم. ﴿فهم لايرجعون﴾ إلى الحق والهدى ولايهتدون بالنور لأنهم عطلوا حواسهم، فلا يستفيدون منها. ١٩ ـ

﴿أو كصيب من السماء﴾ وهو المطر الغزير ﴿فيه ظلمات ورعد وبرق﴾ التنكير لتعظيم شأنها ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق﴾ لشدتها وقوتها ﴿والله محيط بالكافرين﴾ فلا مفر من حكومته. ٢٠ ـ ﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم﴾ إنهم يحاولون التخلص من الصيب أي المطر الغزير، ومعه ظلمة تسلب عنهم الإبصار والتمييز فتمنعهم من الهرب فلا مناص من أن يستفيدوا من البرق ولكن ضوءه غير دائم ﴿كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا﴾ فهم لايجدون الإيمان ولايجدون بداً من إظهاره فيتخبطون ويعثرون ويفضحهم الله بذلك ﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم﴾ ففضحهم من أول يوم، والصورة ممثلة لحركة التيه والاضطراب التي يعيشها المنافقون أثناء لقائهم للمؤمنين بقلوب لاتحمل الإيمان وتنتظر العودة إلى مجتمع الكفر ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ فلا يعجزه شيء. ٢١ ـ ﴿ياأيها الناس اعبدوا ربكم﴾ دعوة من الله إلى الناس ليلتحقوا بالمتقين الذين هم على هدى من ربهم؛ بعد أن أوضح صفات الكافرين المختوم على قلوبهم، وصفات المنافقين مرضى القلوب التي زادها الله مرضاً، وذكرهم بأنه هو الذي خلقهم، وبالتالي يجب عليهم أن يتبعوا منهجه ونظامه وأوامره. والله هو ﴿الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ وتتلبسون بلباس العبودية. ٢٢ ـ ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم﴾ ينبههم تعالى إلى أنه قد سخر لهم مافي السموات والأرض وكل المسخرات لاتتأبى عن أمره وهي غير عاقلة، ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾ أي أمثالاً ﴿وأنتم تعلمون﴾ النظام الكوني الذي سخره الله لرزقكم ومعاشكم وبقائكم، وهذه الأرض قد أعدت لتكون سكناً مريحاً واقياً كالفراش الذي يأوي إليه الإنسان. ٢٣ ـ ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا﴾ الريب هو الشك ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ أمر تعجيزي لإظهار إعجاز القرآن وأنه من عند الله جاء به رجل أمي ﴿وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ وقد تحدى فيه بالعلم وبالإخبار عن الغيب وبعدم الإختلاف فيه وببلاغته، وقد صعد التحدي بأنه يقبل شهداء المنكرين. ٢٤ ـ ﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾ بعد

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾

تصعيد التحدي وإثبات عدم القدرة على مجابهته فقد حذر الله عباده بوجوب اتقاء النار. حيث يكون الإنسان فيها وقوداً وموقوداً عليه، فهو معذب بنار توقد نفسه وأما الحجارة فهي الأصنام التي كانوا يعبدونها وقد أعدت للكافرين ليحترقوا بها فهم ومايعبدون من دون الله حصب جهنم. ٢٥ ـ ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وقد اقترن عملهم الصالح بالإيمان ﴿أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا فيها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل﴾ فرزقهم عطاء غير محدود ﴿وأتوا به متشابهاً﴾ فيجدونه غير ما عرفوا ﴿ولهم فيها أزواج مطهرة﴾ وهذه الطهارة هي النقاوة من أنواع الأقذار والمكاره التي تمنع التنام الأزواج، سواء كانت هذه المكاره خَلقية ـ بفتح الخاء ـ ، أم خُلقية ـ بضم الخاء ـ ﴿وهم فيها خالدون﴾ فما هم فيه من النعيم دائم غير منقطع. ٢٦ ـ ﴿إن الله لايستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضةً فما فوقها﴾ ليس من العيب أن يضرب الله البعوضة مثلاً، فهي من أصغر الحيوانات المحسوسة والله يضرب المثل بالبعوضة وما هو أكبر منها. ﴿فأما الذين آمنوا فيعلمون﴾ من هذا المثل ﴿أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا﴾ ورفضوه ﴿فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً﴾ والآية تشهد بأن الضلال والعمى اللذين يلحقان الإنسان عقب أعماله السيئة غير الضلال والعمى اللذين يتأصلان في نفسه ومن نفسه. وهذا يذكر الإنسان أن له وراء الحياة التي يعيش فيها حياة أخرى سعيدة أو شقية، وسيطلع عليها عند انقطاع الأسباب وارتفاع الحجاب؛ فالعبرة ليست في الحجم وإنما في النسق، و المثل ـ بصورته هذه ـ يميز القلوب المنافقة من التي عمرها الإيمان. والله ﴿يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً﴾ والذين اهتدوا زادهم هدى ﴿وما يضل به إلا الفاسقين﴾ والفسق هو الخروج من القشرة، وهو خرق الإطار التكليفي الذي وضعه الله لحماية خلقه ٢٧ ـ ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾ إن لهؤلاء الفاسقين مظاهر في الرصيد الإيماني والحركة السلوكية؛ فهم ينقضون ما أبرموا من عهد موثق ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾ فهم يقطعون صلة العبد بربه، والصلة بين الأعمال والتكاليف. فهم يقطعون صلة العقيدة والأخوة الإيمانية التي لاتقوم على صلة الدم ويقطعون صلة الإنسانية ﴿ويفسدون في الأرض﴾ فهم يغيرون وظائف الأعضاء عن مهامها. فالإفساد هو خروج الأمر عن حد اعتداله لوظيفته، وهل هناك إفساد أكبر من تغيير منهج الله ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ فقد خسروا العهد وخسروا صلتهم بربهم وخسروا الانتفاع بمنهجه وأحكامه، وتفيد الآيات أنه لو أن الله سبحانه أجبر عباده على الطاعات أو المعاصي لم يكن جزاء المطيع بالجنة والعاصي بالنار إلا جزافاً في مورد المطيع، وظلماً في مورد العاصي، والجزاف والظلم قبيحان عند العقلاء ولزوم للترجيح من غير مرجح؛ وهو قبيح عندهم أيضاً ولاحجة في قبيح. وفي التوحيد: قال رسول الله ﷺ: «من زعم أن الله يأمر بالسوء والفحشاء فقد كذب على الله، ومن زعم أن الخير والشر بغير مشية الله فقد أخرج الله من سلطانه». ٢٨ ـ ﴿كيف تكفرون بالله﴾ كيف يكفر بالله من كان ميتاً فأحياه الله؛ وقد خلق له مافي الأرض، وسخر له السموات، وجعله خليفته في الأرض وأسجد له ملائكته، وأسكن أباه الجنة، وفتح له باب التوبة، وأكرمه بعبادته وهدايته، ووضع له نظاماً يشمل كافة حقول حياته ليسعد به

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ ۚ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

فكيف تكفرون؟! ﴿وكنتم أمواتاً﴾ قبل خلقكم؛ وهذا بيان لحقيقة الإنسان في أحوال وجوده المتغيرة ﴿فأحياكم﴾ من نطفة ﴿ثم يميتكم﴾ عند انقضاء أجلكم ﴿ثم يحييكم﴾ في البرزخ ﴿ثم إليه ترجعون﴾ يوم القيامة فيحاسبكم لتجزى كل نفس بما كسبت. ٢٩ ـ ﴿هو الذي خلق لكم﴾ سخر لخدمتكم ﴿مافي الأرض جميعاً﴾ والإنسان يحاكي الطبيعة تارة بصناعتها، وتارة بزراعتها، وتارة يستفيد من القوى الكامنة فيها، ليقاوم الطبيعة بالطبيعة ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ عمد إلى خلقها، وقدر عليها ﴿فسواهن سبع سموات﴾ طباقاً ﴿وهو بكل شيء﴾ خلقه ﴿عليم﴾ وكل شيء مخلوق له. فالله قد خلق الإنسان لأمر عظيم، ليكون مستخلفاً بالأرض، فأمده بما يلزم لعمارة الكون؛ وخلق الكون ليستجيب لأمر الإنسان خليفة الله. أما الأمر كذلك فهل من شرف أعلى، وحياة أسعد من إقامة منهج الله ونظامه وأحكامه ليحيه الله حياة طيبة. ٣٠ ـ

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ۖ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

﴿وإذ قال ربك للملائكة﴾ والقول خلق من الله ﴿إني جاعل في الأرض خليفةً﴾ لاستخلافه فيها ﴿قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ لقد فهمت الملائكة من الخلافة الإنتهاء إلى التنازع لأنها لاتقع إلا بكثرة من الأفراد ونظام اجتماعي بينهم يفضي إلى الفساد والسفك، والخلافة هي أن يكون الخليفة محاكياً للمستخلف في جميع شؤونه الوجودية، وآثاره وأحكامه وتدبيره ونظامه بما هو مستخلف فيه. والله تعالى مسمى بالأسماء الحسنى وله جميع الكمالات فأنى لخليفة الأرض من هذا المقام؟ وأين مقام التراب من رب الأرباب؟ هذا ما أشكل على الملائكة فطلبوا تعرف ماجهلوه، ليس اعتراضاً وخصومةً بل استيضاحاً واستفساراً. فالخلافة تقتضي أن يسبح المستخلف بحمد ربه ويقدس له بوجوده والأرضية تجبره إلى الفساد والشر ﴿ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾ فالملائكة أجدر بالإستخلاف بهذا المعنى فرد الله عليهم ﴿قال إني أعلم مالا تعلمون﴾ وهذا يدل على أنه سبحانه لم ينف عن خليفة الأرض الفساد وسفك الدماء ولا كذب الملائكة في دعواهم بالتسبيح والتقديس، ولكنه أظهر لهم أن هناك أمراً لايقدرون على احتماله، ولايعلمونه، والله يعلمه وهو علام الغيوب. وذكر ابن كثير: إن الجن كانوا في الأرض يفسدون ويسفكون الدماء، ويمكن أن يشير بذلك إلى دورة في الأرض سابقة على دورة بني آدم. وذكر أيضاً: «وقد استدل القرطبي وغيره بهذه الآية على وجوب نصب الخليفة؛ ليفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه ويقطع تنازعهم وينتصر لمظلومهم من ظالمهم، ويقيم الحدود ... إلى غير ذلك من الأمور المهمة التي لايمكن إقامتها إلا بإمام، وما لايتم الواجب إلا به فهو واجب، والإمامة تُنال بالنص كما يقول طائفةٌ من السنة..إلخ». ٣١ ـ ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ بإيداع العلم فيه ﴿ثم عرضهم﴾ أي عرض المسميات ﴿على الملائكة﴾ لسؤالهم ﴿فقال أنبؤني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾ لم تكن الملائكة تعلم أن هناك أسماء لاتعلمها، وعلم الأسماء بوحي بأن هذه الأسماء أو المسميات كانت موجودة محجوبة لاتعلمها الملائكة. ومعنى تعليم الأسماء هو إيداع العلم في الإنسان، بحيث لو اهتدى إلى السبيل أمكنه أن يخرجه من القوة إلى الفعل، وهذا ليس شرفاً لآدم، ولا إبطالاً لحجة الملائكة وأي حجة تتم في أن يعلم الله تعالى رجلاً على اللغة ثم يباهي به ويتم الحجة على ملائكة مكرمين

لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون؛ على أن ما حصل للملائكة من العلم بواسطة إنباء آدم لهم بالأسماء هو غير ماحصل لآدم من حقيقة العلم بالأسماء. فأحد الأمرين كان ممكناً في حق الملائكة، وقد استحق آدم الخلافة الإلهية بالعلم بالأسماء دون إنبائها. ولذلك نفت الملائكة العلم. والأسماء المعروضة هي موجودات محفوظة بحجب الغيب، ولها مراتب ودرجات. ٣٢ ـ ﴿قالوا سبحانك﴾ تنزيهاً لك وتقديساً ﴿لاعلم لنا إلا ما علمتنا﴾ وهذه ليست مما علمتنا ﴿إنك أنت العليم﴾ بكل شيء ﴿الحكيم﴾ فتورد كل أمر مورده. ٣٣ ـ ﴿قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم﴾ أخبرهم بأسماء المسميات ﴿فلما أنبأهم بأسمائهم﴾ التي غابت عن علمهم ﴿قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض﴾ والمحدود تمنعه محدوديته أن يعلم ماوراء حدوده وحدود حواسه والله هو الذي لاحد له ولا يعزب عن علمه شيء. ﴿وأعلم ماتبدون وماكنتم تكتمون﴾ وهذان القسمان من الغيب النسبي هما بعض السماوات والأرض؛ وتقييد الكتمان بكتم يشعر من قوله تعالى ﴿فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾ أي أن إبليس كان كافراً من قبل، وأن إباءه عن السجدة كان مرتبطاً بذلك فقد كان مضمراً. ويظهر أن رفض إبليس للسجود كان بين قوله: ﴿إني أعلم مالا تعلمون﴾ وقوله: ﴿أعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾.فكفر إبليس كان مكتوماً من قبل، فلما صدر له أمر السجود ظهر كفره. ٣٤ ـ ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا﴾ إن العبادة هي أن ينصب العبد نفسه في مقام العبودية، وأن يقوم بما يثبت ذلك، والعبادة هي إظهار مولوية المولى في كل عمل وكلما كان هذا الإظهار أشد زادت العبودية تعيناً، وأوضح مظاهر العبودية هو السجود ﴿إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾ فسجود الملائكة لآدم تلبية لأمر الله وهو اعتراف منهم بعبوديتهم له. وإباء إبليس كان منافياً للعبودية وإظهاراً للكفر. ٣٥ ـ ﴿وقلنا ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ ـوهي جنة من جنان الدنيا ـ إن آدم عليه السلام كان مخلوقاً ليسكن الأرض ويكون خليفة الله فيها، وكان الطريق إلى الاستقرار في الأرض هو ما كان من تفضيله على الملائكة لإثبات خلافته، وأمرهم بالسجود له، ثم إسكانه وزوجه الجنة ونهيهما عن الشجرة المنهي عنها حتى أكلا منها فبدت لهما سوآتهما فهبطا إلى الأرض. وكان ذلك درساً لأبناء آدم وحجة بالغة عليهم، فالشيطان الذي أخرج أباهم آدم من الجنة لايزال يغويهم ليفتنهم عن دينهم، ويخرجهم من جنة الآخرة. والله الذي جعلهم خلفاء في الأرض يكون مستخلفاً لهم ماقاموا بواجبهم الخلافي في تطبيق نظام الله في أرضه. لقد تعين آدم و أولاده خلفاء في الأرض، وعليهم أن يطبقوا فيها النظام الإلهي الذي أملاه عليهم مستخلفهم على لسان رسله ، فمن جحد أو كفر أو قصر أو تقاعس فهو مسؤول أمام الله، وسيحاسب أمام من استخلفه. فالخلافة تقتضي الإرتقاء إلى صفات الله، والخلود إلى الأرض يعني الخضوع للأهواء البهيمية ﴿وكلا منها رغداً﴾ الرغد هو الهناء وطيب العيش ﴿حيث شئتما﴾ فإن لك أن لاتجوع فيها ولا تضحى ولاتظمأ فيها ولاتعرى ﴿ولاتقربا هذه الشجرة﴾ مبالغة في تأكيد النهي عن أكل الثمرة وكان في الاقتراب من هذه الشجرة تعب الحياة الدنيا وشقاؤها وهو أن يعيش الإنسان ناسياً لربه، غافلاً عن مقامه فيحق فيه قوله تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾. وكأن آدم (ع) أراد أن يجمع بين هذه الشجرة وبين الميثاق المأخوذ عليه، فلم يتمكن، فنسي الميثاق، فوقع في تعب الدنيا ثم تدورك له ذلك بالتوبة؛ مع أنه تعالى حذرهما من المخالفة بقوله: ﴿فتكونا من الظالمين﴾. ويكون وبال الظلم هو الوقوع في تعب حياة هذه الدنيا من جوع وعطش، وعراء وعناء. فالظلم منهما هو ظلمهما لأنفسهما، لا بمعنى المعصية المصطلحة. وهذا يظهر أن النهي كان نهياً تنزيهياً إرشادياً يرشد إلى مافيه خير المكلف؛ لانهياً مولوياً، فلذلك خسرا الجنة أما جزاء المخالفة للنهي المولوي التكليفي فيتبدل بالتوبة إذا قبلت. فهما قد تابا وقبلت توبتهما ولم يرجعا إلى ماكانا فيه من الجنة، وهذا مايؤكد كون الأمر إرشادياً. ٣٦ ـ ﴿فأزلهما الشيطان﴾ الذي كان معهما في الجنة ﴿عنها﴾ وغرهما بوسوسته ﴿فأخرجهما مما كانا فيه﴾ من الرغد وطيب العيش ﴿وقلنا اهبطوا﴾ إلى أرض المعركة الطويلة ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ فالدار دار تزاحم لا تراحم ﴿ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾ لقد هبط الإنسان إلى الدنيا من منزلة السعادة والكرامة، ومنزلة الرفعة والقرب، ودار النعمة والسرور، وجوار رب العالمين، لأنه اختار التعب والعناء والألم بالميل إلى حياة فانية. فإذا رجع إلى ربه أعاده إلى كرامته وسعادته. ولو لم يرجع إليه وأخلد إلى الأرض واتبع هواه فقد بدل نعمة الله كفراً، وأحل نفسه دار البوار، جهنم يصلاها وبئس القرار. ٣٧ ـ ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾ التلقي هو التلقن، وهو أخذ الكلام مع فهم وفقه، وهذا التلقي هو المسهل لآدم (ع) توبته ويظهر هنا أن التوبة توبتان: توبة من الله وهي الرجوع إلى العبد بالرحمة، وتوبة من العبد وهي الرجوع إلى الله بالاستغفار والإنقلاع من المعصية وتليها توبة من الله بقبول توبته ﴿ثم تاب عليهم

ليتوبوا﴾. إذ إنه من جملة ما علم الله تعالى آدم من الأسماء أمر ينفع العاصي إذا عصى، والمذنب إذا أذنب، فلعل تلقيه من ربه كان متعلقاً بشيء من تلك الأسماء. لقد هبط آدم ولكنه لو وقف في مهبطه لهلك ولو رجع إلى سعادته الأولى لكان قد أتعب نفسه وظلمها، فهو عليه السلام ظالم لنفسه على كل تقدير، ولكنه كسب بنزوله التعرف لنعم الله عليه، بعد أن أصبح في فقر ومسكنة وحاجة وقصور، وكسب لذة التوبة التي استدعت تشريع الطريق في منزله الجديد، وتشريع الدين، وتقويم الملة. ومما يثبت كون التوبة عن أمر إرشادي لامولوي؛ هو عدم عودته إلى الجنة. فهبوطه أمر تكويني تابع للاقتراب من الشجرة، كاستتباع القتل للسم والإحراق للنار، ودخول النار لتارك الصلاة .... الخ. ﴿إنه هو التواب﴾ الذي يرجع إلى العبد بالمغفرة ﴿الرحيم﴾ بهذه المغفرة بعباده. ٣٨ ـ ﴿قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾ صدر الأمر الإلهي بالهبوط إلى أرض المعركة بين الإنسان والشيطان. وكان هذا أول شرع من الدين لآدم (ع) وذريته، وقد أوجز الدين في جملتين. لقد هدى الله آدم وذريته إلى العبودية فتألقت الحياة لتصبح حياة أرضية وحياة سماوية، حياة أرضية بمادتها سماوية بمنهجها. وقد توسطت التوبة أمري الهبوط. فهدى الله يؤدي إلى الأمان والسرور، والكفر بالله وتكذيب آياته يستتبع الخلود في النار. فعقد الاستخلاف بين الله والإنسان قائم على تلقي الهدى من الله، وتطبيق منهجه الذي هدى الله الإنسان به ليحكم حركة الحياة؛ رافضاً كل شرع ومنهج غيره. والقيام بهذا الهدى يعطي الإنسان سعادة الدنيا والآخرة، ويبعد عنه الخوف والحزن.

قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

٣٩ ـ ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ فالكفر بالله وتغيير منهجه وأحكامه يستتبع الخلود في النار، فعقد الاستخلاف قائم فمن كذب واستغنى، ولم ينهض بأعباء واجبه الخلافي فهو من الذين سيكونون لجهنم حطبا. ٤٠ ـ ﴿يابني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ إن بني إسرائيل هم نموذج الكفر والعصيان، والتمرد والجحود ونقض الميثاق. والله يذكرهم بالفيض الذي أغدق به عليهم كنجاتهم من آل فرعون بفرق البحر، وغرق فرعون وجنوده، ومواعدة الطور واتخاذهم العجل من بعده، وأمر موسى إياهم بقتل أنفسهم، وطلبهم من موسى أن يريهم الله جهرة؛ فأخذتهم الصاعقة ثم بعثهم الله تعالى؛ وهم يلجون في خصومتهم وعداوتهم لمنهج الله وينقضون مواثيقهم، ولايتناهون عن منكر فعلوه، ويذكرهم بمعاصيهم وجرائمهم وآثامهم لقساوة قلوبهم وشقوة نفوسهم وضلال سعيهم. إلى جانب خلودهم إلى الأرض وفسادهم فيها وتعلقهم بمادتها ﴿وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم﴾ وأصل العهد يقضي بالمحافظة عليه، والعهد هو القيام بمنهج الله ﴿وإياي فارهبون﴾ الرهبة هي الخوف وتقابل الرغبة.

٤١ ـ ﴿وآمنوا بما أنزلت﴾ إلى الرسول محمد ﷺ وقد جاء بالقرآن ﴿مصدقاً لما معكم﴾ لأن دين الله واحد وهو الإسلام وماجاء في القرآن يصدق الحق المتبقي في التوراة التي خضعت لتحريف أهوائهم ﴿ولاتكونوا أول كافر به﴾

فالإسلام الذي جاء به محمدﷺ هو دين الله الواحد في حلته الأخيرة، وهو امتداد لرسالات الله. ﴿ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً﴾ لقد حرفوا أحكام الله ليكسبوا ثمناً قليلاً، إذ مأأبخسه من ثمن مهما غلا الذي يقابل تحريف أحكام الله. وهذه صفات الأحبار؛ إنهم يغيرون شرعة الله لكيلا يخسروا رئاستهم، ولكي يستفيدوا من المنافع والأتاوات التي يفرضونها على عباد الله، عند ذلك يصبح الدين حرفة وصناعة لاعقيدة سامية رافعة ﴿وإياي فاتقون﴾ واتقوا غضبي.

٤٢ ـ ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق﴾ فلا تكتموا الحق و تغطوه بالباطل بإلباسه الباطل، ثم الإدعاء بأنه حق ﴿وأنتم تعلمون﴾ الحق وتعلمون صدق رسالة محمدﷺ وأن الإسلام حق؛ حفاظاً على امتيازاتكم، ومنافعكم ووجاهتكم.

٤٣ ـ ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾ فادخلوا في الموكب الإيماني الحق وقوموا بعباداته وأدوا تكاليفه.

٤٤ ـ ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب﴾ خطاب لعلماء اليهود، وقد جعلوا الدين حرفة لا عقيدة، فهم يقولون بأفواههم مالیس في قلوبهم، ويأمرون بالخير ولايفعلونه ﴿أفلا تعقلون﴾ ومن بديهيات العقل أن يلتزم بالخير من يأمر به؛ فجلب الخير للنفس مقدم على جلبه للغير.

٤٥ ـ ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ الإستعانة هي طلب العون فيما لايقوى الإنسان عليه وحده من المهمات والنوازل، فالإتصال بالله تعالى والثبات والإستقامة هي طريق العون الإلهي، وهذه فائدة الصبر والصلاة، فالصبر يصغر كل عظيمة نازلة والصلاة تعني الإقبال على الله، والاعتماد على ركن لاينهدم وسبب لاينفصم. ﴿وإنها﴾ أي الصلاة ﴿لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ أي المتذللين والمنكسرة قلوبهم من خوف الله. ويطلق الخضوع على فعل الجوارح، والخشوع على تأثر القلب، وعن الصادق (ع) قال: «كان علي (ع) إذا أهاله أمر فزع قام إلى الصلاة ثم تلا هذه الآية: واستعينوا بالصبر والصلاة ....».

٤٦ ـ ﴿الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم﴾ مورد الظن هنا هو الإعتقاد واليقين واستعمل الظن للتدرج حتى الإدراك الجازم، وهو العلم. ﴿وأنهم إليه راجعون﴾ والإيمان بالمعاد هو الذي يدعو المؤمن إلى الإستقامة كما أمر وإلى أداء التكاليف لأداء حق العبودية فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه إني ظننت أني ملاق حسابيه.

٤٧ ـ ﴿يابني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين﴾ يذكرهم الله بنعمه وكمالاته، وقد فضلهم على العالمين بأن خصهم برسالته، ومدهم بهداه، وأنقذهم من موارد هلكتهم. أما تفضيلهم على العالمين فقد كان موقوتاً بزمن استخلافهم واختيارهم للرسالة. أما بعد أن عتوا عن أمر ربهم، وعصوا أنبياءهم؛ أعلن الله حكمه عليهم باللعنة والغضب والذلة والمسكنة.

٤٨ ـ ﴿واتقوا يوماً لاتجزي نفس عن نفس شيئاً﴾ اتقوا أي ادفعوا عذاب يوم التبعة فيه فردية والحساب شخصي، ففي الملك والسلطان الدنيوي لايوجد ميزان كلي يضبط الحكم، فمع أن الجرم يستتبع العقاب ولكن ربما بدل الحاكم العقاب، نتيجة استرحام المحكوم للحاكم، أو رشوته، أو توسيط شفيع لديه، أو يستنصر قومه فينصرونه. فيتخلص من تبعة العقاب فتجزي الرشوة أو الوساطة عن العقوبة. ﴿ولايقبل منها شفاعة﴾ والله ينبه إلى أن هذه الأسباب تعمل في الحياة الدنيا لأن الله أعطى الإنسان قدرة واختياراً، وأما حين يحجب ذاتيته وتأثيره وتتعطل الأسباب بأمر ممّن خلق الأسباب فما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع. ﴿ولايؤخذ منها عدل﴾ أي فدية للتجاوز عن كفارة أو معصية. ﴿ولاهم ينصرون﴾ فلاناصر لهم من الله، ينجيهم من عذابه.

٤٩ ـ ﴿وإذ نجيناكم من آل فرعون﴾ وملئهم ﴿يسومونكم﴾ أي يولونكم ويديمون عليكم ﴿سوء العذاب﴾ مما يسوء النفس ﴿يذبحون أبناءكم﴾ الذكور ﴿ويستحيون نساءكم﴾ فيبقون على حياتهن للخدمة ﴿وفي ذلكم بلاء﴾ وامتحان ﴿من ربكم عظيم﴾ فيه فتنة لكم عن دينكم.

٥٠ ـ ﴿وإذ فرقنا بكم البحر﴾ الفرق مقابل الجمع كالفصل والوصل ﴿فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون﴾ فاذكروا نجاتكم وقوة الله وفضله عليكم. ٥١ ـ ﴿وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة﴾ عندما ذهب (ع) لميعاد ربه على

الجبل ﴿ثم اتخذتم العجل﴾ للعبادة ﴿من بعده﴾ أي من بعد ذهابه ﴿وأنتم ظالمون﴾ بترك عبادة الله، وعدم إطاعة نبيه.
٥٢ ـ ﴿ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون﴾ الله على نعمه عليكم، وقبول توبتكم.
٥٣ ـ ﴿وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان﴾ وهو التوراة يفرق الحق عن الباطل ﴿لعلكم تهتدون﴾ إلى الحق بعد أن تميز عن الباطل. ٥٤ ـ ﴿وإذ قال موسى لقومه ياقوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل﴾ وعبادته والله أحق أن تعبدوه ﴿فتوبوا إلى بارئكم﴾ خالقكم وموجدكم من برأ يبرأ براءً إذا فصل لأنه يفصل الخلق من العدم أو يفصل الإنسان من الأرض ﴿فاقتلوا أنفسكم﴾ فالله الذي خلقكم وبرأكم يأمركم بقتل أنفسكم، بأن يقتل الطائع العاصي ﴿ذلكم خير لكم عند بارئكم﴾ يشعر بالإختصاص بالمحبة فإن في ذلك كفارة للمقتول التائب ﴿فتاب عليكم﴾ برفع القتل فالقتل امتحان للقاتلين لأنهم لم يحاربوا عبدة العجل ولم يهجروهم ويعادوهم ﴿إنه هو التواب الرحيم﴾ لقد نسبت معاصيهم إلى الكل، مع كونها صادرة عن البعض لكونهم جامعة ذات قومية واحدة يرضى بعضهم بفعل بعض؛ وينسب فعل بعضهم إلى آخرين لمكان الوحدة الموجودة فيهم، فما كل بني إسرائيل عبدوا العجل ولا كلهم قتلوا الأنبياء، ومع هذا فاقتلوا أنفسكم أي اقتلوا من عليه الذنب. وتدل الآية أنه تاب عليهم؛ وفي الرواية أن التوبة قد نزلت ولما يقتل جميع المجرمين منهم، وهو أمر امتحاني نظير ماوقع في قصة رؤيا إبراهيم وذبح اسماعيل عليهما السلام.
٥٥ ـ ٥٦ ـ ﴿وإذ قلتم ياموسى﴾ إظهاراً للمزيد من استكباركم وتعلقكم بالأرض ومادياتها ﴿لن نؤمن لك﴾ والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى (ع) لميقات ربه. ﴿حتى نرى الله جهرة﴾ وهذا إغراق منهم في طلبهم إلى موسى أن يخضع الله لحدود حواسهم ﴿فأخذتكم الصاعقة﴾ والعذاب ﴿وأنتم تنظرون﴾ نزول العذاب على من سأل ذلك. ﴿ثم بعثناكم من بعد موتكم﴾ رحمةً من عندنا ﴿لعلكم تشكرون﴾ رجاء تأدية حق النعمة.
٥٧ ـ ﴿وظللنا عليكم الغمام﴾ في الصحراء الجرداء ﴿وأنزلنا عليكم المن﴾ وهو فاكهة يطعم كالعسل ﴿والسلوى﴾ وهو طائر السمان ﴿كلوا من طيبات مارزقناكم﴾ وتمتعوا بنعم الله ﴿وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ فجحودهم ظلم لايتعدى أنفسهم.

وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

٥٨ ـ ﴿وإذا قلنا ادخلوا هذه القرية﴾ وهي قرية العمالقة أو القوم الجبارين، بعد أن خرجوا من مصر ﴿فكلوا منها حيث شئتم رغداً﴾ والرغد هو الهناء وطيب العيش ﴿وادخلوا الباب سجدا﴾ تواضعاً وخشوعاً لله ﴿وقولوا حطة﴾ وادعوا الله أن يضع عنكم ذنوبكم ﴿نغفر لكم خطاياكم﴾ ونسترها ﴿وسنزيد المحسنين﴾ لقاء إحسانهم ولكنهم قالوا لموسى؛ ﴿إذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾ فتاهوا أربعين سنة حتى نشأ جيل جديد بقيادة يوشع بن نون الذي فتح المدينة ودخلها. ٥٩ ـ ﴿فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم﴾ فلم يلتزموا بما أمر الله، بل خالفوه ظلماً وفسقاً ﴿فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً﴾ وعذاباً ﴿من السماء بما كانوا يفسقون﴾ ويخرجون عن زي العبودية.

٦٠ ـ ﴿وإذ استسقى موسى لقومه﴾ طلب السقيا ﴿فقلنا اضرب بعصاك الحجر﴾ ففعل ﴿فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً﴾ بعدد أسباط بني إسرائيل ﴿قد علم كل أناس مشربهم﴾ أي العين التي منها مشربهم ﴿كلوا واشربوا من رزق الله ولاتعثوا في الأرض مفسدين﴾ فلا تغيروا منهج الله وأحكامه وتعيثوا في الأرض فساداً، والإفساد هو تبديل وظائف الأشياء عما خلقت لأجله. ٦١ ـ ﴿وإذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد﴾ وهو المن والسلوى ﴿فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها﴾ والقثاء هي الخيار ﴿وفومها﴾ والفوم هو الثوم أو الحنطة ﴿وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير﴾ فما طلبتموه زهيد لايستحق الدعاء ﴿اهبطوا مصراً﴾ فاهبطوا إلى حياتكم الدارجة أي الذليلة ﴿فإن لكم ما سألتم﴾ فما سألتم موفور بمصر ﴿وضربت عليهم الذلة والمسكنة﴾ والهوان ﴿وباؤا﴾ أي رجعوا ﴿بغضب من الله﴾ لهوانهم وذلهم وظلمهم ﴿ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله﴾ وهذا هو دأب بني إسرائيل، قسوة وجحود واعتداء ﴿ويقتلون النبيين بغير الحق﴾ وهي أشنع فعلة لأشنع قوم ﴿ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ تعليل للتعليل فعصيانهم ومداومتهم على الاعتداء هو الموجب لكفرهم وقتلهم الأنبياء. ٦٢ ـ ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون﴾ الصابئون هم قوم يقرون بالله واليوم الآخر وببعض الأنبياء، ولكنهم يعتقدون بتأثير بعض النجوم في الخير والشر. والمراد بالذين آمنوا؛ المتصفون بالإيمان ظاهراً والمتسمون بهذا الاسم. والتسمي بهذه الأسماء مثل المؤمنين واليهود والنصارى والصابئين، لايوجب عند الله تعالى أجراً ولاأمناً من العذاب. وإنما ملاك الأمر وسبب الكرامة والسعادة؛ هو حقيقة الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح. فالسعادة والكرامة تدور مدار العبودية. فالكرامة هي للحقيقة دون الظاهر. فالذين لم يعبدوا الأصنام ولم يغيروا نظام الله وأحكامه ولم يقولوا عزير ابن الله ولم يقولوا المسيح ابن الله والذين عبدوا الله وحده فلهم حسن الأجر. ٦٣ ـ ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم﴾ أي عهدكم الموثق وهو أن تلتزموا بأحكام التوراة ﴿ورفعنا فوقكم الطور﴾ الطور هو الجبل، ورفعه فوقهم لإرهابهم بعظمة القدرة؛ دون إجبارهم وإكراههم على العمل بما أوتوه ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة﴾ فالتزموا بميثاقكم بعزم وعقيدة ﴿واذكروا ما فيه﴾ من الأحكام والتشريعات ﴿لعلكم تتقون﴾ لعل كلمة ترج واللازم في الترجي صحته وهو لايخلو عن شوب جهل والترجي منهم لجهلهم بعاقبة الأمور. ٦٤ ـ ﴿ثم توليتم من بعد ذلك﴾ العهد، ورجعتم لما كنتم عليه ﴿فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين﴾ بنكثكم العهد. ٦٥ ـ ﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت﴾ باحتيالهم للصيد فيه، وهو محرم عليهم ﴿فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾ أي صاغرين، لأن لهم نفوس وأرواح قردة فقد أنكسوا إلى عالم الحيوان والبهيمية، بعد أن عصوا ربهم واحتالوا على الله بإحاطة الحيتان التي يكثر عددها يوم

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ۖ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾

السبت وهو اليوم المحرم عليهم العمل فيه. ٦٦ ـ ﴿فجعلناها﴾ أي الطائفة الممسوخة ﴿نكالاً﴾ أي عبرة والنكال هو مايفعل من الإذلال والإهانة بواحد ليعتبر به آخرون ﴿لما بين يديها﴾ من الأقوام التي معها ﴿وما خلفها﴾ من الأقوام التي تأتي من بعدها ﴿وموعظة للمتقين﴾ الذين يلتزمون بحدود الله. ٦٧ ـ ﴿و﴾ اذكر يامحمد ﴿إذ قال موسى لقومه﴾ تظهر الآيات تعنت بني إسرائيل، وتشديدهم وإصرارهم في الاستيضاح والاستفهام المستلزم نسبة الإبهام إلى الأوامر الإلهية، وبيانات الأنبياء، مع ما في كلامهم من شوب الإهانة والاستخفاف الظاهر بمقام الربوبية. فموسى (ع) يقول لهم: ﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ وهم يقولون له: ﴿ادع لنا ربك﴾ فقد أتوا في جميع الآيات بلفظ ربك دون أن يقولوا ربنا، ثم كرروا قولهم ﴿ماهي﴾ وقالوا ﴿إن البقر تشابه علينا﴾ فادعوا التشابه بعد البيان، ولم يقولوا: إن البقرة تشابهت علينا. بل قالوا ﴿إن البقر تشابه علينا﴾ مع أن التأثير لله عز اسمه لاللبقرة، وقد أمرهم بذبح بقرة فأطلق القول ولم يقيده، ولم يأخذوا قوله بإطلاقه كما رموا نبيهم بالجهالة ﴿قالوا أتتخذنا هزواً﴾ فنفاه عن نفسه. ﴿قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين﴾ ثم قالوا ﴿الآن جئت بالحق﴾ وهذا ينفي الحق عن البيانات السابقة ويستلزم نسبة الباطل إلى البيان الإلهي والتبليغ النبوي. فقوله تعالى: ﴿وإذ قال موسى لقومه﴾ خطاب للرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتعرية لبني إسرائيل لفقدهم روح الإطاعة والسمع، واستقرار ملكة الإستكبار والعتو فيهم، وقولهم إنا لانحوم حول التقليد المذموم، وإنما نؤمن بما نشاهده ونراه، وقد حكموا بالمحسوس على المعقول بقولهم ﴿لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾ فطالبوا معاينة الرب بالحس الباصر، وطلبوا من نبيهم أن يجعل لهم إلهاً فقالوا: ﴿ياموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾ قال ﴿إنكم قوم تجهلون﴾. وزعموا أن ليس للإنسان أن يقول قولاً إلا عن دليل، وهذا حق، ولكنهم راوغوا في طلب تفصيل الدليل في زيادة أوصاف البقرة. ٦٨ ـ ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي﴾ مع أنه قال لهم إنها بقرة ﴿قال﴾ موسى ﴿إنه يقول إنها بقرة لافارض﴾ أي ليست بمسنة انقطعت ولادتها ﴿ولا بكر﴾ أي لم تلد ﴿عوان بين ذلك﴾ أي في منتصف السن بين الفارض والبكر ثم ترحم عليهم فوعظهم أن لايلحوا في السؤال فقال ﴿فافعلوا ما تؤمرون﴾ لكنهم لم يرتدعوا بذلك. ٦٩ ـ ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها﴾ ﴿قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها﴾ أي شديد الصفرة ﴿تسر الناظرين﴾ ومع كافة هذه الأوصاف، أعادوا كلامهم الأول من غير تأدب مع إصرار على اللجاج والجدل. ٧٠ ـ ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون﴾ استمرار في التلكؤ مع إظهار الرغبة بالاهتداء. ٧١ ـ ﴿قال إنه يقول إنها بقرة لاذلول﴾ أي غير مذللة بالحرث والسقي ﴿تثير الأرض﴾ بالغبار ﴿ولا تسقي الحرث﴾ وكان هذا قاطعاً لإنكارهم ﴿مسلمة﴾ سليمة ﴿لاشية فيها﴾ لاعلامة فيها ﴿قالوا الآن جئت بالحق﴾ وكأن ماجاء به من قبل ليس حقاً، فموقفهم موقف المعترف بالحق

اضطراراً بدليل قوله ﴿فذبحوها وماكادوا يفعلون﴾ فقد تجلى ناتج أمر الذبح مقارناً لتنفيذ هذا الأمر. ٧٢ ـ ﴿وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها﴾ والتدارؤ هو التدافع من الدرء، فقد دفعت كل طائفة الدم عن نفسها إلى غيرها. ﴿والله مخرج ماكنتم تكتمون﴾ فما أخفيتم من درء التهمة الله مظهره. ٧٣ ـ ﴿فقلنا اضربوه ببعضها﴾ أول الضميرين عائد إلى النفس والثاني إلى البقرة. ﴿كذلك يحيي الله الموتى﴾ فمن يحيي نفساً بعد موتها ، يحيي غيرها من الأنفس بنفس القدرة. فقد أحيي الميت وكشف عن قاتله ﴿ويريكم آياته﴾ المحسوسة ﴿لعلكم تعقلون﴾ .٧٤ ـ ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾ القسوة في القلب بمنزلة الصلابة في الحجر ، والحجر الصلب لايحمل خيراً ولاينبت زرعاً، و﴿أو﴾ بمعنى بل. ﴿وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء﴾ قوبل فيه بين الحجارة والماء، لأنها على كمال صلابتها يخرج منها الماء بينما لايصدر من قلوبهم حال يلائم الحق، ولا قول حق يلائم الكمال الواقع. ﴿وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾ فقد دك الطور يوم طلبوا رؤية الله، كما تتساقط الحجارة عن الجبال أو بسبب الزلازل أو غيرها، لأن جميع الأسباب منتهية إليه تعالى، فهبوطها إنفعال عن أمر الله، وهي شاعرة لأمر ربها شعوراً تكوينياً، بينما قلوبهم لاتخشى الله ولاتهابه. ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ فلا تخفى عليه من أعمالكم خافية. وروي في قصة البقرة: إن رجلاً من بني إسرائيل قتل قرابة له ثم أخذه وطرحه على طريق أفضل سبط من أسباط بني إسرائيل ثم جاء يطلب بدمه فقالوا لموسى إن سبط آل فلان قتل فلاناً فأخبر من قتله قال: آتوني ببقرة، قالوا: أتتخذنا هزواً؟. قال: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ولو أنهم عمدوا إلى بقرة أجزأتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم، قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي؟. قال إنه يقول إنها بقرة لافارض ولا بكر يعني لاصغيرة ولا كبيرة عوان بين ذلك ولو أنهم عمدوا إلى بقرة أجزأتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها. قال: إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ولو أنهم عمدوا إلى بقرة أجزأتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون. قال: إنه يقول إنها بقرة لاذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لاشية فيها. قالوا: الآن جئت بالحق فطلبوها فوجدوها عند فتى من بني إسرائيل فقال لأبيعها إلا بملء جلدها ذهباً، فجاءوا إلى موسى وقالوا له ذلك. قال: اشتروها. فاشتروها وجاءوا بها. فأمر بذبحها ثم أمر أن يضربوا الميت بذنبها. فلما فعلوا ذلك حيي المقتول وقال: يارسول الله إن إبن عمي قتلني، دون من ادعى عليه قتلي، فعلموا بذلك قاتله. فقال لرسول الله موسى بعض أصحابه إن هذه البقرة لها نبأ فقال: وما هو؟. قال: إن فتى من بني إسرائيل كان باراً بأبيه وإنه اشترى بيعاً فجاء إلى أبيه والأقاليد تحت رأسه فكره أن يوقظه فترك ذلك البيع فاستيقظ أبوه فأخبره فقال أحسنت، هذه البقرة فهي لك عوضاً مما فاتك فقال له رسول الله موسى أنظر إلى البر مابلغ بأهله.

قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾

٧٥ ـ ﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعدما عقلوه وهم يعلمون﴾ الخطاب للرسول الكريم ﷺ والمؤمنين بأن من كانت شيمه ما قص في الآيات السابقة من كتمان الحقائق وتحريف الكلام، لايستبعد نكوله عن الحق الذي يعرفه من رسالة الرسول الكريم، ونقضه ما أبرم من عهد بقبوله. وهذا هو شأن الأحبار في كل الأزمان، حيث يؤوّلون التأويلات البعيدة التي تخرج أوامر الله عن المراد منها، لاعن جهل منهم بل بدافع الهوى والمصلحة والغرض المريض.

٧٦ ـ ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون﴾ إظهار لموضعين آخرين من جرائمهم وجهالتهم، فهم ينافقون فيتظاهرون بالإيمان صوناً لأنفسهم من الإيذاء والقتل، كما أنهم يريدون تعمية الحق الذي يعرفونه. إذ أن من العامة منهم من كان يحدث المؤمنين بسمات النبي عند بني إسرائيل أو مايؤدي إلى تصديق النبوة. فكانوا يمنعون من يتحدث ويقولون: إن ذلك مما فتح الله لنا فلا تجعلوه حجة علينا وهذا منتهى الشقاوة، فهم يخفون الحق، ويرفضون الإعتراف بالرسول ويظنون أن الله غير مطلع على أفئدتهم.

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

٧٧ ـ ﴿أولا يعلمون أن الله يعلم مايسرون وما يعلنون﴾ إن العلم الحسي هو ما يتعلق بظاهر الأمر دون باطنه، وعلم الله خلافه، فعلمهم مقيد بقيود الزمان والمكان، وما هو كذلك مصنوع من العلم لامن عالم الغيب والشهادة. فبنو إسرائيل في إذعانهم للمادة وقولهم بأصالتها، يجرون على الله أحكام المادة. وهذا مايشمل كافة الماديين، الذين يرفضون كما يرفض بنو إسرائيل أي أثر لله في الإرادة والقضاء والحكم والتشريع وتدبير الأمر، فهم ما أنكروا الله في نظامهم ولكن تنكروا له فقالوا ﴿يد الله مغلولة﴾ لأنهم يريدون السلطة غير المقيدة ويريدون أن يشرعوا كما تهوى نفوسهم.

٧٨ ـ ﴿ومنهم أميون لايعلمون الكتاب إلا أماني﴾ الأمي من لايقرأ ولا يكتب وكان على تربية الأم. والأماني جمع أمنية؛ وهي الأكاذيب. فبنو إسرائيل بين من يقرأ الكتاب ويكتبه فيحرفه، وبين من لايقرأ ولايكتب ولايعلم من الكتاب إلا أكاذيب المحرفين ﴿وإن هم إلا يظنون﴾ أي أنهم يتمنون النجاة من العذاب بزعمهم أنهم شعب الله المختار المغفور له مايرتكب.

٧٩ ـ ﴿فويل﴾ الويل هو الهلكة والعذاب الشديد والحزن والخزي والهوان. ﴿للذين يكتبون الكتاب بأيديهم﴾ فيزورونه ويختلقونه ﴿ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً﴾ فينسبون ما يفترون إلى الله ليحققوا لأنفسهم المكاسب والمزايا بنسبته إلى الله وما هو من عند الله. ﴿فويل لهم مما كتبت أيديهم﴾ فالويل إذا كانت راجعة لبني إسرائيل فهي تشمل الأميين وإلا فهي بخصوص المحرفين. فالهلاك لهم بما صنعت أيديهم من التزوير والإختلاق. ﴿وويل لهم مما يكسبون﴾ ثمناً لتحريفهم الكتاب.

٨٠ ـ ﴿وقالوا﴾ أي اليهود ﴿لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة﴾ فنحن شعب الله المختار، ونحن أبناء الله وأحباؤه، فلن يخلدنا في النار. ﴿قل﴾ يامحمد ﴿أتخذتم عند الله عهداً﴾ بما تقولون ﴿فلن يخلف الله عهده﴾ الذي عاهدكم ﴿أم تقولون على الله مالا تعلمون﴾ قحة وجرأة على الله، فأين العهد الذي تدعون بل أنتم تدورون بين أمرين الكذب والقول بلاعلم.

٨١ ـ ﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته﴾ الخطيئة هي الحالة الحاصلة للنفس من كسب السيئة والاستمرار بها دون خوف ولا استغفار ولا توبة ؛ فإحاطة الخطيئة توجب قطع الطريق إلى النجاة فلاتجد الهداية إليها سبيلاً ﴿فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ فهذا مايؤدي إلى الخلود في النار بسبب رفض الخضوع للحق وعدم الإقلاع عن السيئة والتوبة منها وهذا من الأخذ بالنصفة.

٨٢ ـ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ إن من مقتضيات الإيمان أن ينبثق من القلب في صورة العمل الصالح. ﴿أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ وقد توفر فيهم شرطا الإيمان والعمل الصالح.

٨٣ ـ ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل﴾ الآيات توبيخ وتقريع لبني إسرائيل مع فضح أساليبهم في نقض عهودهم، والميثاق هو العهد وهذا العهد يبدأ بالتوحيد وتتفرع عنه العبادات والأخلاقيات وقد بدأه بقوله ﴿لا تعبدون إلا الله﴾ فهو نهي في صورة الخبر كأن الناهي لايشك في عدم تحقق مانهى عنه. ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ رتب موارد الإحسان من الأهم إلى المهم. فوجود الإنسان متعلق بأبويه ﴿وذي القربى﴾ ثم تأتي صلته بأرحامه. ولعل هذا إيجاز من الله وحجة على بني إسرائيل في دأبهم على تحطيم الأسرة في كل مكان وذلك من ضمن مفاسدهم. ﴿واليتامى﴾ وهم أحق بالإحسان لصغرهم وفقدهم من يقوم بأمرهم من المساكين واليتيم هو من مات أبوه وهو صغير ﴿والمساكين﴾ وهم الفقراء المعدمون الذليلون. ﴿وقولوا للناس حسناً﴾ كناية عن حسن المعاشرة مع الناس كافرهم ومؤمنهم. ولا ينافي ذلك حكم القتال لأن مورد القتال غير مورد المعاشرة، كما أن القول الخشن في مقام التأديب لاينافي حسن المعاشرة. ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ وهما من أركان الإسلام ﴿ثم توليتم إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون﴾ فلا تلتزمون بالميثاق.

٨٤ ـ ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون﴾ لقد تحالف بنو قريظة مع الأوس بينما تحالف بنو قينقاع وبنو النضير مع الخزرج. فإذا نشبت الحرب بين الأوس والخزرج وحلفاء كل منهما، قاتل كل حليف مع حليفه، وهكذا يقتل اليهودي أعداءه ويقتل اليهودي من الطرف الآخر. وهذا حرام عليهم بنص ميثاق الله معهم كما أنهم كانوا يخرجونهم من ديارهم، وينهبون أموالهم، ويأخذونهم سبايا، وهذا حرام أيضاً حسب ميثاق الله معهم. وإذا وضعت الحرب أوزارها أخذوا بحكم الفدية وفادوا الأسرى. ففي التوراة: إنك لاتجد مملوكاً من بني إسرائيل إلا أخذته فأعتقته.

٨٥ ـ ﴿ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم﴾ مخالفين الميثاق بذلك ﴿تظاهرون عليهم﴾

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

التظاهر هو التعاون، والظهير هو العون مأخوذ من الظهر لأن العون يلي الظهر ﴿بالإثم والعدوان﴾ بغياً منكم ﴿وإن يأتوكم أسارى تفادوهم﴾ بدفع الفدية عنهم ﴿وهو محرم عليكم إخراجهم﴾ من ديارهم، وهذه مخالفة للميثاق ونقض له. ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾ فما هو الفرق بين الإخراج والفدية ؟ حيث أخذتم بحكم الفدية، وتركتم حكم الإخراج وهما كلاهما في الكتاب. ﴿فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي﴾ وذل ﴿في الحياة الدنيا﴾ وقد أذلهم الله في مواطن كثيرة ﴿ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب﴾ جزاء بما كسبوا ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ وهم ينقضون المواثيق ضمن مفاسدهم الجمة .

٨٦ ـ ﴿أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة﴾ فاستمساكهم بميثاقهم مع المشركين في حلفهم معهم يقتضي مخالفة دينهم وكتابهم وميثاقهم مع الله ﴿فلايخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون﴾ فقد خانوا الله وخانوا كتابه وميثاقه إيثاراً للحياة الدنيا فلذلك لاناصر لهم من الله.

٨٧ ـ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ وهو التوراة ﴿وقفينا من بعده﴾ أتبعناه ﴿بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات﴾ الدلائل الواضحة ﴿وأيدناه بروح القدس﴾ ولكنهم كذبوا رسلهم؟ فهم جاحدون أجداداً وآباء وأبناء ﴿أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم﴾ ورفضتم دعوتهم وأنتم تريدون الرسل منفعلين لرغباتكم لا أن تنفعلوا لما جاءوا به ﴿ففريقاً كذبتم﴾ فقد كذبتم عيسى ومحمداً ﷺ ﴿و فريقاً تقتلون﴾ فقد قتلتم زكريا و يحيى.

٨٨ ـ ﴿وقالوا قلوبنا غلف﴾ جمع أغلف أي محفوظة تحت لفائف وأستار وحجب وهذه كناية عن عدم إمكان استماع مايدعون إليه، فلا تنفذ إليها دعوة جديدة ـ وهذا تيئيس لمحمد ﷺ وللمسلمين ـ . ﴿بل لعنهم الله بكفرهم﴾ فلذلك طردهم الله من الرحمة وأبعدهم عن الهدى ﴿فقليلاً مايؤمنون﴾ إذ لم يؤمن بمحمد إلا أفراد قليلون كعبد الله بن سلام وصحبه.

٨٩ ـ ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم﴾ يشعر السياق أنه القرآن ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا﴾ أي يطلبون الفتح عليهم ببعثة النبي ﷺ وهجرته، وكانوا يرتقبون أن ينتصروا به على من سواهم ﴿فلما جاءهم ما عرفوا﴾ من الحق ﴿كفروا به﴾ بغياً وحسداً، لأن الله اختار محمداً ﷺ للرسالة وهم يريدون أن تكون الرسالة فيهم ﴿فلعنة الله على الكافرين﴾ الذين ضلوا على علم. وعن ابن عباس قال: كانت يهود بني قريظة والنضير من قبل أن يبعث محمد ﷺ يستفتحون الله، يدعون على الذين كفروا ويقولون: اللهم إنا نستنصرك بحق النبي الأمي إلا نصرتنا عليهم. فلما جاءهم ماعرفوا يريد محمداً ﷺ و لم يشكوا فيه كفروا به. وهذا يفيد أنه يجوز القسم بكل ذي شرف، إذ ليس رسول الله ﷺ بأهون عند الله من تينة أو زيتونة وقد أقسم الله بشخصه الكريم ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾.

٩٠ ـ ﴿بئسما اشتروا به أنفسهم﴾ كأن هذا الكفر هو الثمن المقابل لأنفسهم ﴿أن يكفروا بما أنزل الله﴾ وينكروا الحق ﴿بغياً﴾ كما كانوا يكفرون بالتوراة من قبل ﴿أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده﴾ فكان ذلك منهم كفراً على كفر ﴿فباؤا بغضب على غضب﴾ جزاء كفر على كفر ﴿وللكافرين عذاب مهين﴾ جزاء استكبارهم.

٩١ ـ ﴿وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا﴾ مدعين أن فيه الكفاية، وأنه وحده الحق ﴿ويكفرون بما وراءه﴾ سواء ما جاءهم به عيسى أو محمد عليهما السلام ﴿وهو الحق مصدقاً لما معهم﴾ فكفرهم بعيسى ومحمد عليهما السلام كفر بالتوراة أيضاً ﴿قل﴾ السؤال متفرع على قولهم نؤمن بما أنزل علينا؛ فلو كنتم كذلك ﴿فلم تقتلون أنبياء الله من قبل﴾ ولم اتخذتم العجل ولم قلتم عند أخذ الميثاق: ﴿سمعنا وعصينا﴾ ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ أم أن مظاهر الكفر هذه من وحي إيمانكم.

٩٢ ـ ﴿ولقد جاءكم موسى بالبينات﴾ والآيات والدلائل ﴿ثم اتخذتم العجل من بعده﴾ فعبدتموه ﴿وأنتم ظالمون﴾ فهل يتفق هذا مع دعواكم بإيمانكم بما أنزل إليكم؟

٩٣ ـ ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم﴾ عهدكم ﴿ورفعنا فوقكم الطور﴾ ـ وهو الجبل ـ فوق رؤوسكم ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة﴾ فقوموا به ﴿واسمعوا﴾ وأطيعوا. ﴿قالوا﴾ بأفواههم ﴿سمعنا﴾ وبأعمالهم ﴿وعصينا﴾ ولم يلتزموا ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل﴾ الإشراب هو السقي، والمراد بالعجل حب العجل، فهو للمبالغة كأنهم قد أشربوا نفس العجل ﴿بكفرهم﴾ وعصيانهم ﴿قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين﴾ استهزاء بهم وازدراء، وهو بمنزلة أخذ النتيجة مما أورد عليهم من قتل الأنبياء، والكفر والاستكبار وإعلان المعصية.

٩٤ ـ ﴿قل﴾ لما كان قولهم: ﴿لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات﴾ بسبب أيام عبادة العجل. وقولهم: ﴿نؤمن بما أنزل علينا﴾ يحمل دلالة على أنهم ناجون في الآخرة . قابلهم تعالى بما يظهر كذبهم ﴿إن كانت لكم الدار الآخرة﴾ أي

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

سعادة تلك الدار، ﴿عند الله﴾ أي مستقراً عنده وبحكمه وإذنه، ﴿خالصةً﴾ أي غير مشوبة بعذاب أو هوان، ﴿من دون الناس﴾ وذلك لزعمكم بطلان كل دين إلا دينكم ﴿فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾ وهذه مؤاخذة بلازم فطري بيِّن الأثر. لأن الإنسان أو كل موجود إذا خير بين الراحة والتعب، إختار الراحة من دون تردد فلو كانوا صادقين لتمنوا الموت. ٩٥ ـ ﴿ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم﴾ من قتل الأنبياء، والكفر بموسى ونقض المواثيق فهم يعلمون أن ماقدموه من عمل لا يجعل لهم نصيباً في الآخرة وبذلك يكونون قد خسروا الحياة بالموت الذي طلبوه، وخسروا الآخرة بالعمل السيّىء الذي قدموه. فأعمال الإنسان هي أحسن دليل على ماطوى عليه ضميره، وارتكز في باطنه ﴿والله عليم بالظالمين﴾ وأعمالهم الخبيثة، التي تدل على خبث طويتهم بحيث تأبى أن تميل إلى لقاء الله. ٩٦ ـ

قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۘ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياةٍ﴾ إن مايمنعهم عن تمني الآخرة هو حرصهم على هذه الحياة الدنيا. ولا يهمهم أن تكون هذه حياة كريمة أو مميزة على الإطلاق بل يريدون أية حياة وهذا التنكير للتحقير. ﴿ومن الذين أشركوا﴾ فهم أحرص على الحياة من الذين أشركوا من الناس الذين لايرجون لقاء الله. ﴿يود أحدهم لو يعمر ألف سنة﴾ أي أطول العمر ﴿وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر﴾ لن يغير طول العمر من واقعه ولن ينفي عنه العذاب. ﴿والله بصير بما يعملون﴾ البصير من أسماء الله الحسنى وهو العليم بالمبصرات. ٩٧ ـ ﴿قل من كان عدواً لجبريل﴾ لقد سمعوا أن جبريل ينزل الوحي من عند الله على محمد ﷺ، وهم يخترعون الحجج الواهية وقد بلغ عداؤهم لمحمد ﷺ مرتبة الحقد. فزعموا أن جبريل عدوهم لأنه ينزل بالهلاك والدمار والعذاب ، وأن مايمنعهم من الإيمان بمحمد هو من جراء صاحبه جبريل، ولو كان الذي يحمل الوحي هو ميكائيل لآمنوا به فهو ينزل الرخاء والخصب والخير. ﴿فإنه نزله على قلبك بإذن الله﴾ فعداوتهم لجبريل لاتوجب إعراضهم عن كلام الله. ﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ فهو يطابق الحق الموجود بكتابهم، ولامعنى للإيمان بأمر والكفر بما يصدقه. ﴿وهدى﴾ فالهداية نعمة فمن كان مؤمناً لايرفض الهداية. ﴿وبشرى للمؤمنين﴾ فكيف لعاقل أن ينحرف عن الهداية ويرفض البشرى ولو كان الآتي بذلك عدواً له. ٩٨ ـ ﴿من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال﴾ إن الملائكة عباد مكرمون لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وكذلك الرسل فبغضهم واستعداؤهم بغض واستعداء لله ﴿فإن الله عدو للكافرين﴾ الذين ينكرون الحق ويعادونه ويعادون رسله. ولهذا تركت الآيات صيغة المخاطب ـ بني إسرائيل ـ زيادة في اللوم والتوبيخ والتحقير؛ وقد صار المقام إستمالل الحديث مع المخاطب وإستحقار شأنه، بعد أن أظهر كثيراً مما يحمل في قلبه من الخسة والدناءة، فهو لايرضى خطابهم لرداءة سمعهم، وعدم تقبلهم ؛ ولايرضى بترك خطابهم إظهاراً لحق القضاء عليهم، وتحذيراً منهم. ويحق عليهم الحق بأنهم كافرون وأنه عدو لهم. ٩٩ ـ ﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بينات﴾ ظاهرة الدلالة ﴿وما يكفر بها إلا

الفاسقون﴾ فسبب الكفر هو الفسق لأن الطبيعة المستقيمة لايسعها إلا الإيمان بتلك الآيات. ١٠٠ ـ ﴿أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم﴾ أي طرحه ورفض العمل به وهذه طبيعة النفس التي لم تحمل الإيمان ﴿بل أكثرهم لايؤمنون﴾ فالإيمان يقتضي المحافظة على العهد. ١٠١ ـ ﴿ولما جاءهم رسول من عند الله﴾ وهو محمد ﷺ ﴿مصدق لما معهم﴾ من المعارف الحقة ﴿نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم﴾ فقد جحدوه وتركوا العمل به ﴿كأنهم لايعلمون﴾ صدق هذا الكتاب ولاصدق كتابهم ولا عاقبة عملهم. ١٠٢ ـ ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين﴾ اختلف المفسرون كثيراً في معنى هذه الآية فمن هم الذين اتبعوا؟ هل هم اليهود في عهد سليمان ؟ أم اليهود في عهد الرسول ﷺ أو هم معاً. وتتلوا، هل بمعنى تتبع الشياطين؟ أوبمعنى تقرأ؟ أو تكذب؟ والشياطين هل هم شياطين الجن؟ أم الإنس ؟ أم هما معاً؛ ﴿على ملك سليمان﴾ هل هي عهد ملك سليمان ؟ أم ملك سليمان . ﴿وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا﴾ قيل أنهم كفروا بما استخرجوه من السحر إلى الناس أو بما نسبوه إلى سليمان من السحر، وقيل أنهم سحروا فعبر عن السحر بالكفر. ﴿يعلمون الناس السحر﴾ قيل إنهم ألقوا السحر إليهم، أو دلوا الناس على استخراج السحر وكان مدفوناً تحت كرسي سليمان ﴿وما أنزل على الملكين ببابل﴾ في العراق أو بابل دماوند أو من نصيبين إلى رأس العين ﴿هاروت وماروت﴾ وهما ملكان معصومان كباقي الملائكة. فقيل إنهم يعلمون الناس ما أنزل على الملكين، وقيل الإنزال من السماء أو من نجود الجبال. وقيل إنهما ليسا مَلَكين وإنما إنسانين مَلِكين ـ بكسر اللام ـ أو مَلَكين ـ بفتح اللام ـ أي صالحين أو متظاهرين بالإصلاح، ﴿وما يعلمان من أحد﴾ هل بمعنى علم أم أعلم ﴿حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾ هل لاتكفر بالعمل بالسحر؟ أو لاتكفر بتعلمه ؟ أو بهما معاً. ﴿فيتعلمون منهما﴾ قيل أي من هاروت وماروت ؟ أو من السحر والكفر ؟ أو بدلاً مما علماه الملكان بالنهي عن فعل السحر. ﴿ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ أي يوجدون به حباً وبغضاً، أو يغرون أحد الزوجين بالكفر أو الشرك، أو النميمة أو الوشاية. والاحتمالات في بعضها البعض يقارب وكيف كان، فالآية تدل على تداول اليهود للسحر وأن هاروت وماروت كانا يعلمان الناس السحر إتقاء للسحر وكشفاً له وكانا يقولان للناس: إنهما فتنة لكي لايكفروا. وأن السحر وتعلمه فتنة ليمحص الله به قلوب عباده. ﴿وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله﴾ لدفع الوهم بأن السحر من القدر، فالتأثير بإذن الله. ﴿ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم﴾ فالسحر ضار غير نافع. ﴿ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق﴾ علموا ذلك بعقولهم، فالسحر وشراؤه والعمل به من المفاسد الإجتماعية ﴿ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾. إنهم يعلمون بأن السحر مفسدة لآخرتهم. ولكن العلم إذا لم يهد حامله إلى الصراط المستقيم كان ضلالاً وجهلاً. ١٠٣ ـ ﴿ولو أنهم آمنوا واتقوا﴾ أي

وهذا من عجائب نظم القرآن.

وَاتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ۗ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

اتبعوا الإيمان والتقوى بدل أساطير الشياطين والكفر بالسحر، وهذا دليل على أن الكفر بالعمل بالسحر كفر في مرتبة العمل كترك الزكاة؛ لافي مرتبة العقيدة. فاليهود آمنوا ولم يتقوا، فلم يعبأ الله بإيمانهم فكانوا كافرين. ﴿لمثوبةٌ من عند الله خير لو كانوا يعلمون﴾ أي أن ما عند الله خير من المثوبات والمنافع التي يرومونها بالسحر، ويقتنونها بالكفر. ١٠٤ ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ خطاب تشريفي بصفة الإيمان ﴿لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا﴾ أي بدلوا قول راعنا بقول انظرنا أي أمهلنا ﴿واسمعوا﴾ بمعنى أطيعوا فاليهود كانوا يصفون الرسول ﷺ بالرعونة أو بمعنى اسمع غير مسمع فهم يتظاهرون بالتأدب وهم يريدون الشتم ومعناه اسمع لا أسمعت فنهى الله المؤمنين عن قول راعنا بقول انظرنا ﴿وللكافرين﴾ المتمردين على هذا النهي ﴿عذاب أليم﴾ إضافة إلى وصفهم بالكفر لتركهم التكاليف الفرعية. ١٠٥ ـ ﴿ما

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم﴾ فإن عداوتهم لله ورسوله ورسالته تضعهم في موضع كره الخير للمؤمنين. ﴿والله يختص برحمته من يشاء﴾ فالله أعلم حيث يفيض رحمته ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ إذ لاحدود لفضله وكثير خيره. ١٠٦ ـ ﴿ما ننسخ من آية﴾ النسخ هو الإزالة عن العلم أو هو الإبانة عن انتهاء أمد الحكم وانقضاء أجله، متفرع على هذه الآية. فالنسخ لايوجب زوال نفس الآية وإنما زوال أثر الآية وهو الحكم بها. وكون الشيء آية يختلف باختلاف الحيثيات والجهات، فالبعض من القرآن آية باعتبار عجز البشر عن إتيان مثله، والأحكام والتكاليف آيات باعتبار حصول التقوى بها، والموجودات آيات لأنهم يدعون إليه ﴿أو ننسها﴾ الإنساء هو الإذهاب عن العلم. ﴿نأت بخير منها أو مثلها﴾ الخيرية تكون في كمال شيء موجود، أو مصلحة حكم مجعول، ففي ذلك يكون موجود مماثلاً لآخر في الخيرية أو أزيد منه. كعقاب الذين هادوا على ظلمهم بقوله تعالى ﴿حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم﴾ ثم نسخ الحرمة بنزول عيسى ﴿ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم﴾ أما القرآن فقد حفظه الله تعالى من أي تغيير؛ فافهم ذلك. ﴿ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ وبقدرته يتصرف في الآيات. ١٠٧ ـ ﴿ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض﴾ الخطاب للمؤمنين يحمل رائحة التحذير من الانخداع بحملة اليهود التضليلية. والقضاء على مايثيرون من الشبهات بشأن النسخ فالله المالك لما في الكون جميعا يتصرف في ملكه، فيفيض على البشرية مافيه خيرها وصلاحها. ﴿ومالكم من دون الله من ولي﴾ يلي أموركم، ويدبر شؤونكم ﴿ولا نصير﴾ ينصركم إذا خالفتم ما أنزل عليكم. ١٠٨ ـ ﴿أم تريدون﴾ أيها المسلمون ﴿أن تسألوا رسولكم﴾ أموراً وخوارق ﴿كما سئل موسى من قبل﴾ فقد سأله اليهود أن يروا الله جهرة وطلبوا معجزات أُخرى؛ وقد وبخهم الله على ذلك. ﴿ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل﴾ أي مستوى الطريق كما حدث لبني إسرائيل فقد ضلوا وكفروا وكما يرغبون أن ينتهي إليه أمر المسلمين. ١٠٩ ـ ﴿ودَّ كثيرٌ من أهل الكتاب﴾ نقل أنه حيي بن الأخطب وبعض

متعصبي اليهود معه ﴿لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً﴾ وأن تضلوا كما ضلوا ﴿حسداً من عند أنفسهم﴾ وكرهاً أن يكون لكم من الخير ماليس لهم ﴿من بعد ما تبين لهم الحقُّ﴾ الذي جاء به محمدﷺ من عند ربهم ﴿فاعفوا واصفحوا﴾ ولاتقابلوا حقدهم بحقد وشرهم بشر. وقيل أنها آيةٌ منسوخة بآية القتال. ﴿حتى يأتي الله بأمره﴾ فيه إيماء إلى حكم سيشرعه الله في حقهم ﴿إن الله على كل شيءٍ قدير﴾ وبقدرته يقضي ويحكم. ١١٠ ـ ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله﴾ فأعمالكم محفوظة لكم ولن يتركم الله أعمالكم ﴿إن الله بما تعملون بصير﴾ فلا تقصروا في العمل لأنفسكم. ١١١ ـ ﴿وقالوا لن يدخل الجنة﴾ شروع في إلحاق النصارى باليهود تصريحاً، وسوق الكلام في بيان جرائمهم معاً ﴿إلا من كان هوداً﴾ بحسب دعوى اليهود ﴿أو نصارى﴾ بحسب دعوى النصارى ﴿تلك أمانيهم﴾ أكاذيبهم ﴿قل﴾ يامحمد ﴿هاتوا برهانكم﴾ ودليلكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ بادعائكم وفريتكم. ١١٢ ـ ﴿بلى من أسلم وجهه لله﴾ بلى من سلَّمَ استسلاماً في العقيدة وتطبيقاً في العمل، لأن السعادة تكون بحقيقة الإيمان والعبودية ولاتدور مدار الإسم ﴿وهو محسنٌ﴾ بعقيدته وعمله ﴿فله أجره عند ربه﴾ فهو يوفيهم أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله ﴿ولا خوفٌ عليهم ولاهم يحزنون﴾ فقد وفر الله لهم كل وسائل الأمن والسرور. ١١٣ ـ ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء﴾ لأنهم ادعوا أن المسيح ابن الله ﴿وقالت النصارى ليست اليهود على شيء﴾ لقولهم أنهم أبناء الله وأحباؤه ﴿وهم يتلون الكتاب﴾ أي وهم يعملون بما أوتوا من كتاب الله ﴿كذلك قال الذين لايعلمون مثل قولهم﴾ وهم كفار ومشركو العرب الذين ليس لهم كتاب. ومع ذلك فقد قالوا إن المسلمين ليسوا على شيء أو أن أهل الكتاب ليسوا على شيء ﴿فالله يحكم بينهم يوم القيامة﴾ ويفصل بينهم ﴿فيما كانوا فيه يختلفون﴾ وفيما يفتريه كل طرف على غيره. ١١٤ ـ ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه﴾ وهم كفار قريش الذين صدوا عن سبيل الله ﴿وسعى في خرابها﴾ وحارب إقامتها وإقامة شعائر الله فيها. ﴿أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين﴾ فمساجد الله لمن عمَّر الإيمان قلبه لا لمن يسعى في خرابها، فهم لايستحقون أن يلتجئوا إليها لائذين بحرمتها إلا خائفين غير آمنين. ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ فعلى الجماعة المؤمنة أن تأخذ على أيديهم وتذلهم ﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ لأنهم يحاربون الله ويمنعون إقامة شعائره. ١١٥ ـ ﴿ولله المشرق والمغرب﴾ فكل الجهات ملك لله وملكه مستقر على ذاتها وآثارها لا كملك البشر على آثارها ومنافعها، والملك لايقوم إلا بمالكها. ﴿فأينما تولوا﴾ وتتوجهوا ﴿فثم وجه الله﴾ حيثما توجه إليه عابدٌ وَجَدَهُ. ﴿إن الله واسعٌ عليم﴾ فهو واسع الملك والإحاطة عليم بقصودكم وليس كالبشر لايتم التوجه إليه إلا من جهةٍ واحدةٍ. ١١٦ ـ ﴿وقالوا اتخذ الله ولداً﴾ وهم اليهود والنصارى ولم تكن القضية قضية تشريف لأنبيائهم بل أخذت مأخذ الجد والحقيقة. فرد

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَـٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

الله عليهم ﴿سبحانه بل له مافي السموات والأرض﴾ فهو منزه عن مثيله لأن الولد على مثيل والده والله يخلق على غير مثال سابق، ولا يحتاج إلى التوصل بالأسباب وهذا تأديب إلهي لتنزيهه عما لايليق بساحة قدسه. ﴿كلٌ له قانتون﴾ عابدون متذللون.

١١٧ ـ ﴿بديع السماوات والأرض﴾ بداعة الشيء كونه لايماثل غيره مما يعرف فهو قد خلق الخلق على غير شبيه كان قبلهم. ﴿وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ حيث تتجسد الإرادة الإلهية فيما قضى فيكون خلقاً بقوله كن، ففعله قوله.

١١٨ ـ ﴿وقال الذين لايعلمون﴾ وهم المشركون. في هذه الآية إلحاق لأهل الكتاب بالمشركين والكفار، فلا فضل لليهود على المشركين وهم متشابهو القلوب ومتماثلو الفكر والرأي ﴿لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية﴾ أي معجزة ودلالة ﴿كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم﴾ فقد طلب قوم موسى أن يروا الله جهرة، وتعنتوا في طلب المعجزات ﴿تشابهت قلوبهم﴾ في عدم قبولها الحق ﴿قد بينا الآيات لقوم يوقنون﴾ فالآيات بينة ولكن لاينتفع بها إلا من يؤمن ويوقن بها ، فيجد في الآيات مصداق يقينه فهي لاتنشيء اليقين بل اليقين يدرك دلالتها. ١١٩ ـ ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً﴾ فلتطب نفسك أيها الرسول الكريم وهؤلاء الكافرون جميعاً من أصحاب الجحيم ولا مطمع في هدايتهم ونجاتهم لأنه سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون . ﴿ولا تُسأل عن أصحاب الجحيم﴾ الذين يدخلون الجحيم بكفرهم ومعصيتهم.

١٢٠ ـ ﴿ولن ترضى عنك﴾ أيها الرسول ﴿اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ التي ابتدعوها بأهوائهم ونظموها بآرائهم ﴿قل إن هدى الله هو الهدى﴾ وهو الطريق الحق الذي يجب اتباعه ﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ التي ألبسوها لباس الدين وسموها الملة ﴿بعد الذي جاءك من العلم﴾ الحق من ربك مقابل أهوائهم ﴿ما لك من الله من ولي ولا نصير﴾ فلا أحد يلي أمورك ويتولاها من دون الله ولا ناصر لك يعينك من دونه.

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ۖ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

١٢١ ـ ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته﴾ الذين يتجردون من الهوى ويؤمنون بالحق الذي معك ويتدبرون القرآن ويأخذونه منهجاً لحياتهم. ﴿أولئك يؤمنون به﴾ لأنك النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل. ﴿ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون﴾ في الدنيا باختيارهم منهجاً من دونه وفي الآخرة بإحاطة العذاب بهم.

١٢٢ ـ ﴿يابني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ وما أكثر هذه النعم التي أفاض بها الله عليهم وهم يعاندون ويستكبرون ﴿وأني فضلتكم على العالمين﴾ بهذه النعم وبهذه الرسالة . فعليكم أن تتقوا النقمة التي تلي كفر النعمة.

١٢٣ ـ ﴿واتقوا يوماً لاتجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئاً﴾ إذ لاتزر وازرة وزر أُخرى ﴿ولا يقبل منها عدلٌ﴾ أي فدية تقابل

ماكسبت ﴿ولا تنفعها شفاعةٌ﴾ في التجاوز عن كفر أو معصية ﴿ولا هم ينصرون﴾ والله غالب على أمره وقد تقطعت الأسباب بأمر ممن خلق الأسباب. ١٢٤ ـ ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه﴾ أي امتحن الله واختبر واستظهر ما عند إبراهيم من الصفات النفسانية ولا يكون الإبتلاء إلا بعمل ﴿بكلمات﴾ وهن الأقوال والقضايا التي متعلقها العمل، كابتلائه بالكواكب والأصنام، والنار، والهجرة، والتضحية بابنه ﴿فأتمهن﴾ ـالضمير يعود إلى إبراهيم أو إلى الله سبحانه وهو أظهر ـ قائماً بذلك خير قيام ﴿قال إني جاعلك للناس إماماً﴾ أي مقتدى يقتدي بك الناس ويتبعونك في أقوالك وأفعالك. فالإمام هادٍ يهدي بأمر ملكوتي يصاحبه، فالإمامة بحسب الباطن نحو ولاية الناس في أعمالهم، وهدايتهم إلى المطلوب دون مجرد إراءة الطريق الذي هو شأن النبي ﷺ والرسول وكل مؤمن يهدي إلى الله. فالإمام المجعول من الله يجب أن يكون على هدى لكي يهتدى به، ويجب أن يكون معصوماً ومؤيداً من الله ولا يوجد من يفضله في سجايا النفس. والوصول إلى الإمامة يحتاج إلى الصبر وصفاء السريرة وسمو العقيدة ورقي العبادة، ونقل ابن كثير عن مجاهد: «لايكون إمام ظالم يقتدى به». ﴿قال ومن ذريتي﴾ وهذا يدل على أن ذلك حدث بعد أن كان له ذرية. ولكن الصلة عند الله هي صلة الدين ورابطة العقيدة ووشيجة الإيمان فالقربى ليست صلة؛ والإمامة لمن يستحقها بالعمل والشعور والصلاح والإيمان. وما كان لإبراهيم أن يطلب الإمامة إلا لمن صلح من ذريته وهذا ما أكده الله ﴿قال لا ينال عهدي الظالمين﴾ فالإمامة ممنوعة عن الظالمين، كما أنهم بعيدون عن ساحة العهد الإلهي ؟ سواء كانت هذه الإمامة إمامة الرسالة أم الخلافة أم قيادة الأمة أم إمامة الصلاة. وهل هناك أمر أعظم من تولي أمور الناس والمشي بهم في السبيل الذي يرتضيه الله، فلذلك لايمكن أن يحكم في الناس في ساحة عهد الله حاكم ظالم ولا يمكن أن يتولاهم فاسق ويرضى الله أويرضى المؤمنون عن تولّيه. وبما أنه لابد للأمة من إمام، فإن هذا الإمام الذي يجب توليته هو الذي يكون بعهد الله، وإلا فإنه خارج عن عهد الله وواجب على المسلمين الأخذ على يده بالقول أو الفعل لئلا يدخلهم الله مدخله. وفي الكشاف مانصه: ولما خالط الزهري السلاطين كتب إليه أخٌ له في الدين: عافانا الله وإياك أبابكر من الفتن.. أصبحت شيخاً كبيراً وقد أثقلتك نعم الله بما فهمك الله من كتابه وعلمك من سنة نبيه.. قال الله سبحانه: (لتبيننه للناس ولاتكتمونه) .. واعلم أن أيسر ماارتكبت وأخف مااحتملت أنك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل البغي بدنوك ممن لم يؤد حقاً ولم يترك باطلاً حين أدناك. اتخذوك قطباً تدور عليك رحى باطلهم.. وسلماً يصعدون فيك إلى ضلالهم، يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء والسلام. وعنه ﷺ: «من دعى لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه».

١٢٥ ـ ﴿وإذ جعلنا البيت مثابةً للناس﴾ أي مرجعاً من ثاب أي رجع ﴿وأمناً﴾ من الأمان والطمأنينة من كل أذى. وهو أمن تشريعي ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مُصَلًّىً﴾ المصلى اسم مكان من الصلاة بمعنى الدعاء. والصلاة في الأصل تحمل معنى الانعطاف والتوجه ﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل﴾ العهد هو الأمر ﴿أن طَهِّرا﴾ أن خلصا ﴿بيتي﴾ للعبادة من كافة القذارات والكثافات الطارئة من عدم مبالاة الناس ﴿للطائفين﴾ حول الكعبة ﴿والعاكفين﴾ فيه للعبادة والتفكر ﴿والركع السجود﴾ المصلين.

١٢٦ ـ ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر﴾ هذا دعاء إبراهيم (ع) لأهل مكة يطلب لهم الأمان والرزق ، وقد أجيبت دعوته وقد استشعر أن أهل مكة سيكون منهم مؤمنون وكافرون. ودعاؤه بالرزق يعم الكافر والمؤمن وقد قيد دعوته بقوله ـ من آمن منهم ـ وهو يعلم أن رزقهم من الثمرات لايتم من دون شركة الكافرين على مايحكم به ناموس الحياة الدنيوية الإجتماعية لأن المطلوب هو استيهاب الكرامة للبلد لكرامة البيت المحرم، وهو في واد غير ذي زرع. ﴿قال ومن كفر فأمتعه قليلاً﴾ فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل فلا يغتر بما ينال من النعم أن له كرامة على الله وإنما ذلك إكرام لهذا البلد وإجابة لدعوتك بأزيد مما سألته ﴿ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير﴾ وهذا مزيد من إكرام البيت، فمقابل هذه المتعة سيلقى المزيد من عذاب النار ﴿والآخرة خير لمن اتقى﴾.

١٢٧ ـ ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل﴾ القواعد من القاعدة هي ما قعد من البناء على الأرض واستقر عليه الباقي. ﴿ربنا تقبل منا﴾ دعاء منهما عليهما السلام، فهما يمثلان كأنهما يشاهدان وهما مشتغلان برفع القواعد ولسان حالهما يلهج إلى الله بقبول العمل. ﴿إنك أنت السميع﴾ لدعوتنا ﴿العليم﴾ بما في قلوبنا. ١٢٨ ـ ﴿ربنا واجعلنا مسلمَين لك ومن ذريتنا أمةً مسلمةً لك﴾ الإسلام هو أول مراتب العبودية؛ هذا ما تداولته الأفهام. والإسلام درجات وإبراهيم وإسماعيل قد قطعا شوطاً كبيراً في الرقي الإيماني فالإسلام الحق هو تمام العبودية وتسليم العبد كل ماله إلى ربه، وهو الوصول إلى درجة الكمال الإنساني؛ وهذا الكمال البعيد المنال يتطلب عوناً من الله للوصول إليه. وهذا هو حال القلب المؤمن الذي يشغله أمر العقيدة والإرتقاء بها. ﴿وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم﴾ المناسك جمع منسك بمعنى العبادة . فالمراد هنا طلب الكمال في أداء العبادات ليجاري كمال العقيدة. وطلب التوبة على ما قيل هو تسبيح وتعبد ليقتدي بهما الناس . ١٢٩ ـ ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم﴾ وقد استجاب الله دعاءه بعد قرون ببعثة محمد ﷺ . ﴿يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ وهي وضع الشيء في موضعه من قول أو عمل ﴿ويزكيهم﴾ ويطهرهم ﴿إنك أنت العزيز الحكيم﴾ فأنت الفعال لما تريد وتفعل ما تريد وفق حكمتك. ١٣٠ ـ ﴿ومن يرغب﴾ ينصرف ويعرض ﴿عن ملة﴾ دين ﴿إبراهيم إلا من سفه نفسه﴾ لأن الأحمق لايميز نفع نفسه من ضرها، فالعقل ما عبد به الرحمن ﴿ولقد اصطفيناه في الدنيا﴾ والاصطفاء هو أخذ خلاصة الشيء وصفوته ـ بعد أن تحقق منه معنى العبودية ـ ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ فمن سلك الصراط المستقيم في الدنيا سيجده في الآخرة١٣١ . ـ ﴿إذ قال له ربه أسلم﴾ وهو اختصاص باللطف والاسترسال في المسارة، ولكن أدب إبراهيم يجعله يرى نفسه من العبيد الأذلاء لربه فيقول: ﴿قال أسلمت لرب العالمين﴾. **والإسلام أربع مراتب: الأولى**: القبول لظواهر الأوامر والنواهي بتلقي الشهادتين لساناً سواء خالف القلب أو وافق. ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾. **الثانية**: التسليم والانقياد القلبي لجل الإعتقادات الحقة مع بعض التخطي؛ ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أولئك هم الصادقون﴾. **الثالثة**: إذا أنست النفس بالإيمان في المرتبة الثانية تمكن الإيمان منها وانقادت لها القوى البهيمية. وصار الإنسان يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الله يراه. **الرابعة**: عندما يقوم الإنسان بوظيفته العبودية حق القيام؛ وهو التسليم الصرف لما يريده المولى أو يحبه أو يرتضيه ﴿ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾. ١٣٢ ـ ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب﴾ أي وصى بالملة الإلهية ﴿يابني إن الله اصطفى لكم الدين﴾ وهو النظام والمنهج ﴿فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ فاحذروا أن يغتالكم الموت في غير حال الإسلام وداوموا على الإسلام والزموه.

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ۖ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

والوصية تحمل الإخلاص في النصيحة. ١٣٣ ـ ﴿أم كنتم شهداء﴾ يابني إسرائيل ﴿إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً﴾ لدفع الوهم الوثني بتعدد الآلهة ﴿ونحن له مسلمون﴾ بيان أن العبادة على منهج الإسلام وإقامة أحكامه. فدين إبراهيم هو الإسلام وهو الموروث في بني إبراهيم كإسحاق ويعقوب ـ وهذه حجة على بني إسرائيل ـ وفي بني إسماعيل وهم قريش فلاحجة لأحد في تركه والدعوة إلى غيره. ١٣٤ ـ ﴿تلك أمةٌ قد خلت لها ماكسبت ولكم ماكسبتم ولا تسئلون عمّا كانوا يعملون﴾ لأن أمة يعقوب المؤمنة لاعلاقة لها بأعقابها الفاسقة. فالتبعة فردية في الهدى والضلال، ومن يعمل خيراً أو شراً يجز به. ١٣٥ ـ ﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا﴾ مع أن الدين الحق هو دين إبراهيم وأولاده. فالاختلافات والإنحرافات هي من اختراع هوسات اليهود والنصارى. ولأن من طبيعة الحياة الدنيا التغير فتتغير معها الآداب والشعائر، فتنشأ الأباطيل والدعاوى العصبية كالقومية والوطنية والإقليمية؛ وهي كلها ليست من الدين في شيء؛ بل على العكس؛ هي شعارات توضع لتجذب الناس إلى الشرك، وتحرف الناس إلى الضلال، وهم يظنون أنهم يحسنون صنعاً. ﴿قل بل ملّةَ إبراهيم حنيفاً﴾ مائلاً عن كل دين إلى دين الحق ﴿وما كان من المشركين﴾ إنه كشفٌ ظاهر لكافة مظاهر الإنحراف عن الدين، وعبَّر عنها بالشرك، سواء بالشرك في العقيدة، أوالشرك في المنهج وهكذا فالقومية شرك والوطنية شرك والعصبية شرك إلخ. إذا كان لواؤها في طرف مقابل للإسلام.

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا ۖ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ۖ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

١٣٦ ـ ﴿قولوا﴾ أيها المسلمون ﴿آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط﴾ يطلب منهم اتباع الحق بالإيمان بالله وأنبيائه وما أنزل عليهم. والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في بني إسماعيل وعددهم اثنا عشر ﴿وما أوتي موسى وعيسى﴾ من الدين الحق ﴿وما أوتي النبيون من ربهم﴾ من غير كتاب منزل معهم ﴿لانفرق بين أحدٍ منهم﴾ فهم سواء ﴿ونحن له مسلمون﴾ منقادون. ١٣٧ ـ ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا﴾ واستعمل كلمة ﴿مثل﴾ لقطع دابر الجدال والخصام، لأن ما أنزل عليهم هو مثل ما أنزل على محمد ﷺ ﴿وإن تولوا﴾ ورفضوا ﴿فإنما هم في شقاقٍ﴾ ومنازعة وافتراق ﴿فسيكفيكهم الله﴾ وَعْد لرسول الله بالنصرة عليهم وقد أنجز وعده وسيتم هذه النعمة للأمة الإسلامية إذا شاء ﴿وهو السميع﴾ لما يقولون ﴿العليم﴾ بما يعملون. ١٣٨ ـ ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغةً﴾ إن هذا الإيمان صبغة إلهية وهي أحسن الصبغ لأنها تدعو إلى التوحيد بعكس اليهودية والنصرانية التي تدعو إلى الفرقة ﴿ونحن له عابدون﴾ فهذه حالنا. ١٣٩ ـ ﴿قل أتحاجوننا في الله﴾ إنكار لهذه المحاجة الباطلة ﴿وهو ربنا وربكم﴾ إن المسلمين وأهل الكتاب يتبعون إلهاً واحداً إذ ليس لكل منهم إله؛ وليس لكل منهم منهج وليس لأحد قرابة من الله إلا التقوى، فالإله واحد. ﴿ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ فلكل عمله ﴿ونحن له مخلصون﴾ فلكل إخلاصه. ١٤٠ ـ ﴿أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق

ويعقوب والأسباط﴾ وهم أسباط بني إسرائيل ﴿كانوا هوداً أو نصارى﴾ ولم يكونوا مسلمين ﴿قل أأنتم أعلم أم الله﴾ فإن الله أخبرنا بأن موسى وعيسى (ع) هما بعد إبراهيم، وإبراهيم كان حنيفاً مسلماً ﴿ومن أظلم ممن كتم شهادةً عنده من الله﴾ أي كتم شهادة أن الله أخبر بكون اليهودية أو النصرانية هي الدين، وهذا ما لم يحدث ﴿وما الله بغافلٍ عما تعملون﴾ فهو يعلم افتراءكم على دين إبراهيم وهو الإسلام. ١٤١ ـ ﴿تلك أمةٌ قد خلت﴾ فالغور في الأشخاص لا يفيد ﴿لها ماكسبت ولكم ماكسبتم﴾ فإخلاص إبراهيم لايجدي اليهود وغيرهم نفعاً ﴿ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ فالواجب عليكم هو أن تهتموا بما ستسألون عنه يوم القيامة. ١٤٢ ـ ﴿سيقول السفهاء من الناس﴾ من اليهود ومشركي العرب، والسفاهة هي تزلزل الرأي وعدم استقامة العقل ﴿ما ولاَّهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ أي ما الذي صرف وجوههم عن بيت المقدس بعد أن استمروا بالتوجه في صلاتهم إلى أن مضت عدة شهور بعد الهجرة؟ ونسبوا القبلة إلى المسلمين مع أن اليهود أقدم ليكون أكثر تعجباً . لأنه لو قال ما ولّى النبي و المسلمين عن قبلة اليهود، لم يكن التعجب واقعاً موقعه. ﴿قل﴾ يامحمد ﴿لله المشرق والمغرب﴾ فالأماكن لا فضل لها في ذاتها وما يشرفها هو اختيار الله لها ﴿يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم﴾ فإذا اختار لعباده وجهة و قبلة فهي المختارة ومن يتولاها يسير على الصراط المستقيم. ١٤٣ ـ ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ فأمة محمد ﷺ هي وسط بين طرفين لا تتجه لا إلى هذا الطرف ولا إلى ذاك فهي وسط بين أهل الكتاب والمشركين؛ فالمشركون والوثنيون لايرجون بعثاً ولا نشوراً، فلا يهتمون إلا بالحياة الدنيا وزخرفها ويغالون في المادية؛ فلا يعبؤون بالفضائل المعنوية والروحية، أما النصارى فهم يميلون إلى رهبانية ابتدعوها، ويرفضون الكمالات الجسمية التي أظهرها الله في النشأة المادية لكي تكون ذريعة إلى نيل ماخُلِقَ الإنسان لأجله. فأصحاب الروح أبطلوا النتيجة بإبطال سببها وأصحاب المادية أبطلوا النتيجة بالوقوف على سببها والجمود عليها. فهذه الأمة قد جمعت الكمالين والسعادتين مادة ومعنى فهي الوسط العدل الذي يقاس به كل طرف فهي شهيدة على الناس. ويشهد عليهم الأكمل من هذه الأمة وهو النبي ﷺ. ومع أن هذا المعنى مقبول ولكن يصح عندما تكون فيه الأمة كميزان لاكشاهد. والشهادة تحمل حقائق أعمال الناس في الدنيا من انقياد و تمرد، ورد وقبول، وصلاح وطلاح، وأداء هذه الشهادة من الآخرة، من قبل كل الشهداء، وحتى من أعضاء الإنسان يوم يقول الرسول ﴿يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾. وهذه الكرامة بالشهادة تخص الأولياء الطاهرين دون العدول من أهل الإيمان فضلاً عن من دونهم من الأجلاف وفراعنة الأمة. فالشهادة في هذه الأمة دون أن يتصف كل واحد منهم بها، كما أن بني إسرائيل فضلوا على العالمين دون أن يتصف كل منهم بهذه الفضيلة. ويتبين أن كون الأمة وسطاً هو تخللها بين الرسول وبين الناس، لابين طرفي الإفراط والتفريط.

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۖ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۖ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾

وقد أودع الرسول في قلوبكم علم الكتاب والحكمة، وهو الذي قدم لكم سبيل التطهير والتزكية ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها﴾ وهي بيت المقدس ﴿إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾ فيعرض عن تنفيذ الأمر، فيفتضح ما أخفى. وسبب التبديل هو تكميل إيمان الناس و تمييز المطيعين من العاصين. ﴿وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله﴾ وهذه الكبيرة هي جعل بيت المقدس قبلة وقد كان العرب يعظمون البيت المحرم و يجعلونه قبلتهم. ولكن الذين هدى الله يتمسكون بأمره ولا يجدون حرجاً في ذلك. ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ فقد قالت اليهود: إن كان التوجه سابقاً لبيت المقدس باطلاً فقد ضاعت صلاتكم ... وإن كان حقاً فالتوجه الجديد للمسجد الحرام باطل، وصلاتكم ضائعة. وهذا دليل على أن محمداً لا يتلقى الوحي من الله. وهذا هو دأب اليهود في الصد عن سبيل الله وإثارة الفتن ولكن عندما ينسخ الله حكماً فإنه يرفعه من حين النسخ ﴿إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ والرأفة تخص المبتلى والرحمة أعم. ١٤٤ - ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء﴾ فالرسول كان يقلب وجهه في آفاق السماء انتظاراً وتوقعاً لنزول الوحي في أمر القبلة ﴿فلنولينك قبلةً ترضاها﴾ والرضا بشيء لا يوجب السخط بخلافه؟ مع أن اليهود كانوا يعيرون المسلمين في تبعية قبلتهم. ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ والشطر هو البعض وهو الكعبة ﴿وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ يؤيد أن القبلة حولت ورسول الله قائم يصلي في المسجد والمسلمون معه. ﴿وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم﴾ لاشتمال كتابهم على صدق نبوة محمد ﷺ أو كون قبلته هي الكعبة ﴿وما الله بغافلٍ عما يعملون﴾ من كتمان الحق واحتكار العلم وهو الكفيل برد كيدهم ومكرهم. ١٤٥ - ﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آيةٍ﴾ لن يقبلوا لأن عنادهم يقوده الهوى، وتؤثره المصلحة؛ فهم عالمون أنه حق ومع ذلك ﴿ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابعٍ قبلة بعضٍ﴾ فاليهود يستقبلون صخرة بيت المقدس أينما كانوا، والنصارى يستقبلون المشرق أينما كانوا. ﴿ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم﴾ تهديد للنبي والمعنى متوجه إلى أمته. فطريق الله هو الحق، ومن رفضه من أمته يحق فيه قول الله: ﴿إنك إذاً لمن الظالمين﴾ فهم ظالمون لاتباعهم أهواءهم. ١٤٦ - ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه﴾ أي يعرفون الرسول ﷺ ﴿كما يعرفون أبناءهم﴾ وهل هناك معرفة أشد من معرفة الأبناء؟ ﴿وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ فهم ضالون مضلون. ١٤٧ - ﴿الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ تأكيد للبيان السابق وتشديد في النهي عن الشك والارتياب وظاهر الخطاب للرسول ﷺ ومعناه للأمة. ١٤٨ - ﴿ولكلٍ وجهةٌ﴾ وهي ما يتوجه إليه كالقبلة. ﴿هو مُوَلِّيها﴾ حسب ما تقتضيه مصالحهم، وليس حكماً تكوينياً لا يتغير، فلا يهم البحث فيها والانشغال بما يبثه أهل الكتاب من دسائس وفتن في كل زمان ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ سارعوا إليها بالاستباق ﴿أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شيءٍ قديرٍ﴾ فإن الله

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾

سيجمعكم ليوم لاريب فيه.

١٤٩ ـ ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ فهو قبلة ترضاها ولأنها الله ﴿وإنه للحق من ربك﴾ فالتزم بهذا الحق ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

١٥٠ ـ ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك﴾ استقبل بوجهك ﴿شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ متجهين إليه ﴿لئلا يكون للناس عليكم حجةٌ﴾ من بعد ذلك ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ وعاندوا ﴿فلا تخشوهم و اخشوني﴾ لأنه لا سلطان إلا سلطاني ﴿و لأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون﴾ وهو تشديد على الامتثال، وإبطال حجة اليهود الذين يقولون بأصالة قبلتهم على قبلته، مع أنهم يعلمون أن قبلته ستكون الكعبة. وسيكون في ذلك تمام النعمة بعد فتح مكة و تحطيم أصنامها؛ لتكون سبل الهداية مفتوحة.

١٥١ ـ ﴿كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ في هذا استجابة لدعوة إبراهيم في أول السورة، في تلاوة القرآن والتطهير من الأدناس والقذارات والاعتقادات الفاسدة كالشرك والكفر، وإزالة الملكات الرذيلة من الأخلاق كالكبر والشح، وإزالة الأفعال الشنيعة كالقتل والزنا، وتعليم المعارف الأصلية والفرعية.

١٥٢ ـ ﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾ لقد امتن الله على النبي والمسلمين بمنحهم الهداية إلى أقصى الكمال، ثم فرَّع على ذلك دعوتهم إلى ذكره وشكره؛ ليزيدهم على شكرهم وعدم كفرهم. وعنه ﷺ: «فإنه تعالى أخبر عن نفسه فقال: أنا جليس من ذكرني وقال: ابن آدم اذكرني في نفسك أذكرك في نفسي، ابن آدم اذكرني في خلاء أذكرك في خلاء، اذكرني في ملأ أذكرك في ملأ وقال إذا علمت أن الغالب على عبدي الاشتغال بي نقلت شهوته في مسألتي ومناجاتي، فإن كان عبدي كذلك وأراد أن يسهو حلت بينه وبين أن يسهو. وقال فاذكروني أذكركم بنعمتي، اذكروني بالطاعة أذكركم بالنعم والإحسان والراحة والرضوان».

١٥٣ ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة﴾ ليكون الله معكم؛ فالصبر من أعظم الملكات وهو من عزم الأمور. والصلاة من أعظم العبادات. ﴿إن الله مع الصابرين﴾ ولم يقل مع المصلين في هذا المورد لأن المقام، هو مقام ملاقاة الأهوال، ومقارعة الأبطال، وذلك عندما يستجمع أعداء الإسلام أنصارهم و يشحذوا أسلحتهم ولا همَّ لهم إلا إطفاء نور الله، واستئصال حكمه العدل وإبطال دعوة الحق، وعدم الحكم بما أنزل الله، فلا تنفع وسيلة إلا القتال بعد أن أصبحت كافة الوسائل عقيمة كإقامة الحجة و اللجوء إلى المنطق والحسنى. فهذا البلاء يتطلب صبراً شديداً يفوق الصبر على أي بلاء آخر كالوباء والقحط. فالله مع الصابرين وهذه المعية معية إعانة فالصبر ليس لتحمل الأذى، وإنما للجهاد لرفع الأذى الذي يجلبه أعداء الله.

١٥٤ ـ ﴿ولا تقولوا لمن يُقتلُ في سبيل الله أمواتٌ بل أحياءٌ ولكن لا تشعرون﴾ لقد اعتقد الماديون بمادية النفوس، وبطلانها بالموت. ونفوا الحياة الآخرة؛ ثم أحسوا بأن فطرة الإنسان تقول ببقاء النفوس، وتأثرها بالسعادة و الشقاء. وفي الأمور التي تحتاج إلى الفداء و التضحية ـ ولو كان كل من مات قد فات ـ لا يوجد أي داع للإنسان أن يبطل ذاته ليبقي آخرين، ولا باعث له أن يحرم نفسه من الإستمتاع بالجور، ليتمتع الآخرون بالعدل، فالعاقل لا يعطي شيئاً إلا و يأخذ بدله، أما الترك من غير أخذ، كالموت في سبيل حياة الباقين، والحرمان لكي يتمتع الآخرون، فهو أمر تأباه الفطرة. فلما استشعروا بذلك وضعوا الأوهام الكاذبة ، بأن الإنسان الحر من رق الأوهام يجب أن يفدي بنفسه وطنه أو قومه أو كل مافيه شرفه ـ وفي هذا من الوهم ما لا يخفى ـ ولكن الحياة بالتعريف الإلهي ليست الحياة الدنيا، ولا تعتقدوا فيمن قتلوا في سبيل الله أنهم أموات حسب لفظكم ومفهومكم؛ بل أحياء ولكن حواسكم لا تنال ذلك، ولا يبقى من آثار القتل عند أولياء القتيل إلا مفارقة الدنيا في أيام قلائل، وهو هين في قبال مرضاة الله سبحانه، وما ناله القتيل من الحياة الطيبة. والآية تدل دلالة واضحة على حياة الإنسان البرزخية وهي المسماة بعالم القبر، وهو عالم متوسط بين الموت والقيامة.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

١٥٥ ـ ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات﴾ بعد أن بشرهم الله بالحياة بعد الموت؛ بين لهم السبب الذي من أجله خاطبهم بما خاطب، وهو أنهم سيبتلون بما لا يتمهد لهم من العلو ولا يصفو لهم الأمر والدين الحنيف إلا به، وهو الحرب والقتال، فإن قتلوا عدوهم بعد سعيهم بالمال والأنفس؛ فهم على الحياة بإقامة حكم الله في أرض الله والقضاء على حكومة الجور والباطل، وإن قتلوا فإنهم قد تحرروا من الحكومة الجائرة والباطلة ولهم الحياة، ولا تسمى غيرها حياة ﴿وبشر الصابرين﴾ الذين ينهضون للقيام بأعباء الأمانة ويؤدون واجب الإستخلاف ١٥٦ ـ ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبةٌ﴾ أو نزلت بهم نازلة مكروهة أو واقعة تسوؤهم، أرجعوا ذلك إلى الله، لأن كل موجود قائم بالله ومفتقر إليه، فمنه التصرف فيه. وليس للإنسان من استقلال في شيء، سواء في وجوده أو قواه؛ فلا الذي أحسن استغنى عن عونه ورحمته ولا الذي أساء واجترأ خرج عن قدرته ﴿قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ فإذا تذكر الإنسان حقيقة ملكه تعالى، وأذعن بالمملوكية لربه لما تأثر لأن الإنسان يتأثر بما يملك فبما أنه لايملك فلن يفرح بوجود شيء ولن يحزن بفقده. فلذلك يرجع الأمور ـ بعد أن اعترف بملكيتها لله ـ إلى مالكها. لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار.

١٥٧ ـ ﴿أولئك عليهم صلواتٌ من ربهم و رحمةٌ﴾ الصلوات مع أنها تحمل معنى الرحمة فهي هنا غير الرحمة، لأن من عادته الرحمة بالمؤمنين. فنسبة الصلاة إلى الرحمة كنسبة المقدمة إلى ذيلها، وكالنسبة بين الإلتفات والنظر، وبين الإلقاء في النار والإحراق، فالصلاة إنعطاف من الله سبحانه إلى العبد بالرحمة ﴿وأولئك هم المهتدون﴾ الذين تعهد الله

سبيلهم بالرحمة، وأنزلهم في مستقر الهداية. ١٥٨ ـ ﴿إن الصفا﴾ وهو الحجر الصلب الأملس ﴿والمروة﴾ وهو الحجر الصلب؛ والصفا والمروة جبلان يسعى الحاج بينهما ﴿من شعائر الله﴾ جمع شعيرة وهي العلامة ﴿فمن حج البيت﴾ الحج هو القصد بعد القصد أي القصد المكرر ﴿أو اعتمر﴾ والإعتمار الزيارة وأصله العمارة لأن الديار تعمر بالزيارة ﴿فلا جناح عليه﴾ الجناح هو الميل عن الحق والعدل ويراد به الإثم ﴿أن يَطَّوَّفَ بهما﴾ الطواف هو الدوران حول الشيء. ﴿ومن تطوع خيراً﴾ من الطوع بمعنى الطاعة وقيل أنه يستعمل في المندوب بينما تستعمل الإطاعة في الواجب ﴿فإن الله شاكرٌ عليمٌ﴾ ـمن أسماء الله الحسنى ـ والشكر هو مقابلة الإحسان بإحسان على أنه لا يد لأحد عنده حتى يستوجبه الشكر، إلا أنه جل ثناؤه عد الأعمال الصالحة التي هي في الحقيقة إحسانه إلى عباده، إحساناً من العبد إليه فجازاه بالشكر و الإحسان، وهو إحسان على إحسان. وقيل أن المسلمين كانوا يظنون أن السعي بين الصفا والمروة شيء صنعه المشركون فأنزل الله الآية كما قيل أنه كان عليهما صنمان فلذلك تحرج المسلمون في بداية الأمر من السعي بينهما.

١٥٩ ـ ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى﴾ من كتمان ما تضمنه الدين الإلهي من المعارف والأحكام التي تهدي إلى السعادة كإخفاء اليهود بشارات النبوة. ﴿من بعد ما بيناه للناس في الكتاب﴾ فهم قد كتموا بعد البيان لهم و للناس. لأن بيان الحق، يقضي على مصالحهم الفاسدة ونظامهم الذي صنعته أهواؤهم وهو نظام لا يتحمل الوحي، ولا يقبل الدين؛ لأن الدين يقضي على نظامهم وعلى كافة الأنظمة الموجودة ومن يحكمون بها. والإختلافات تعود إلى أهواء العلماء الذين يغيرون الأحكام ليمالئوا الحكومة الموجودة أو ليحققوا مآرب لهم ﴿أولئك يلعنهم الله﴾ حيث يبعدهم من رحمته ﴿ويلعنهم اللاعنون﴾ الذين يسألون الله أن يلعنهم وذلك بحرمانهم السعادة ولا سعادة إلا سعادة الدين.

١٦٠ ـ ﴿إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا﴾ إستثناء من الآية السابقة مع تقييد توبتهم ببيان ما كتموا. ﴿فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم﴾ فالله غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى.

١٦١ ـ ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفارٌ﴾ وهم الذين أصروا على عنادهم و كفرهم وتكذيبهم، فهؤلاء سبيلهم سبيل الشيطان. وجُعل العلماء الكاتمون لعلمهم شركاء للشيطان في اللعن المطلق لأنهم يتركون بكتمان الحق الحاكم الظالم في مركز الحكومة. ﴿أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾ وهو حكم من الله سبحانه أن يلحق بهم كل لَعن لَعَنَ به ملك، أو لعن به أحد من الناس أجمعين.

١٦٢ ـ ﴿خالدين فيها﴾ أي في اللعنة ﴿لا يخفف عنهم العذاب﴾ فاللعنة تتبدل عليهم عذاباً ﴿ولا هم ينظرون﴾ ولا هم يمهلون.

١٦٣ ـ ﴿وإلهكم إلهٌ واحدٌ﴾ لايشاركه أحد في ألوهيته كما لا يشاركه أحد في العلم والقدرة والحياة، وفي كافة الصفات التي لا تتعدد، وقد قصر أصل الألوهية على واحد ﴿لا إله إلا هو﴾ لنفي غير الله من الآلهة ﴿الرحمن﴾ إذ تنتهي إليه كل عطية عامة ﴿الرحيم﴾ فكل عطية خاصة في طريق الهداية والسعادة الأخروية بمقتضى رحيميته.

١٦٤ ـ ﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ وكل المخلوقات آية واحدة في الدلالة على الخالق المدبر. فالعالم شيء واحد والتدبير متصل، وجميع الأجزاء مسخرة تحت نظام واحد ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ وهو النقيصة والزيادة في الطول والقصر، وهذا ما يسبب اختلاف الضوء الوارد لكل بقعة من الأرض، لكي تلائم الزرع وحاجة الناس. ﴿والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس﴾ والسفن التي تنقل الناس ومتاعهم عبر البحار، وعبر أقطار الأرض فهي تفتقر إلى الله في وجودها، وفي قوة الدفع التي تجعلها تطفو. ﴿وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة﴾ حيث يتبخر الماء، وتنقله الرياح ثم يتكاثف ليسقط مطراً أوبرداً أو ثلجاً ﴿وتصريف الرياح﴾ وهو توجيهها من جانب إلى جانب حيث تتشكل التيارات الهوائية من فروق درجات الحرارة بين الأرض والجو، أو البحر والجو بسبب اختلاف درجات الحرارة بين الليل والنهار. كما يقوم الهواء بحمل حبات الطلع لتلقيح البويضات في مدقات الأزهار. ﴿والسحاب المسخر بين السماء والأرض﴾ وهو بخار الماء المتكاثف فإن علا كان سحاباً، و إن قرب من الأرض كان ضباباً ﴿لآيات لقوم يعقلون﴾ لأدلة لقوم يدعوهم التفكر إلى الإيمان. والعقل هو إدراك الشيء

وفهمه التام، وهو يميز الحق من الباطل، ويدل على الله الحق الخالق المدبر. ١٦٥ ـ ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً﴾ أي أمثالاً، مع أن كل ذي لب يجلب لنفسه المنفعة باتخاذ الأعلى لا باتخاذ الأدنى، وأين التراب من رب الأرباب. ﴿يحبونهم﴾ وهم لايعدون أن يكونوا ملائكة أو بشراً أو كل معبود غيره تعالى ﴿كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله﴾ فالحب يتعلق بالله تعالى. وهذا الحب يقبل الإشتداد، والمؤمن هو الذي لايحب إلا الله ولا يبتغي قوة إلا من عنده، ولا يتبع إلا ما أمر ونهى، فأولئك هم المخلصون ديناً. ﴿ولو يرى الذين ظلموا﴾ وهم الذين اتخذوا له أنداداً يحبونهم كحب الله اعتقاداً منهم بأن لهم قدرة وتأثيراً ونفعاً ﴿إذ يرون العذاب﴾ جزاء حبهم هذا ﴿أن القوة لله جميعاً﴾ فهو الذي خلق الأنداد التي أحبوها، وهو الذي أعطاهم قوتهم حين كانت لهم قوة. وهو الذي يعطل الأسباب وهو أهون عليه من الخلق، ولن ينجيهم شيء من هول العذاب ﴿وأن الله شديد العذاب﴾ أفلا يتفكرون!.

١٦٦ ـ ﴿إذ تبرأ الذين اتُّبعوا﴾ لأن أتباعهم سيكونون سبباً في زيادة عذابهم ﴿من الذين اتَّبعوا﴾ بعد أن كانوا يشكلون قاعدة ودعماً لسلطتهم في الدنيا فهم الذين سندوا أولئك الطغاة. ﴿ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب﴾ فلن يستطيع الطغاة عوناً لمن اتبعوهم كما لم تعد تلك القاعدة تسند عرش الطغاة. بل يحاول كل طرف أن يقطع أي صلة له بالآخر. ١٦٧ ـ ﴿وقال الذين اتَّبعوا﴾ و قد رأوا أنه لا يغني أحد من عذاب الله من شيء ﴿لو أن لنا كرّة فنتبرأ منهم كما تبرّأوا منا﴾ ولكن أنى لهم ذلك بعد أن نسوا لقاء يومهم هذا، ونسوا أن القوة لله جميعاً، ونسوا أن لا مؤثر سواه، ﴿كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم﴾ وسوف يعتصرهم الألم وهم يرون الحب الذي أعطاهم بعض المكاسب في الدنيا عندما استفادوا من الذاتية التي وهبها الله للبشر، قد أصبحت عذاباً مقيماً لا يجاريه ما انتفع به. ﴿وما هم بخارجين من النار﴾ فما هم فيه من العذاب غير منقطع إذ أن لهم فيها عذاباً مقيماً.

١٦٨ ـ ﴿يا أيها الناس﴾ خطاب لجميع الناس من المؤمنين لكي لا يحرموا ما أحل الله وللمشركين لأنهم حرموا على أنفسهم أشياء افتراءً على الله ﴿كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً﴾ يفيد الإباحة العامة مع التقييد بالحليّة. ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ تقيد للإباحة العامة، فأكل ما حرم الله أو الكف عن أكل ما أحله الله هُو اتباع للشيطان، فهو سبحانه لم ينه إلا عن المشي والسلوك الذي يضع فيه الإنسان قدمه موضع قدم الشيطان، فتنطبق مشيته على مشيته، فيكون متبعاً لخطواته. ﴿إنه لكم عدوٌّ مبين﴾ من لطف الله بعباده أن عرفهم بعدوهم، وأنه ظاهر العداوة. ومعرفة الإنسان عدوه تقتضي أن ينصب نفسه عدواً له، وبهذا يأمن مكره وشره ووسوسته. ١٦٩ ـ ﴿إنما يأمركم بالسوء و الفحشاء﴾ في الفعل ﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ فالقول بغير علم مدعاة للشقاق والخلاف والسوء والفحشاء.

١٧٠ ـ ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا﴾ أي ما وجدنا ﴿عليه آباءنا﴾ حيث تقودهم خطوات

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

الشيطان إلى اتباع آبائهم، مخالفين بذلك ما أنزل الله. ﴿أولوْ كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾ حجة عقلية تبطل التقليد الأعمى، فهم يقولون إنهم يتبعون آباءهم على كل حال سواء قالوا بعلم أو بغير علم. ومن عمل بلا علم فقد ضل سبيل الهداية، فكيف يجوز اتباع من كان هذا شأنه. ١٧١ ـ ﴿ومثل الذين كفروا﴾ وهم صورة البهيمية السارحة التي لا تفقه ما يقال لها ﴿كمثل الذي ينعق﴾ كالراعي ينعق ﴿بما لا يسمع﴾ فغنمه وبهائمه لا تفقه، و لكن تنزجر بمجرد قرع الصوت دون وعي لما يقال ﴿إلا دعاءً و نداءً﴾ والنداء أخص من الدعاء فهو يحمل معنى الجهر بالصوت بخلاف الدعاء ﴿صمٌ بكمٌ عميٌ فهم لا يعقلون﴾ هذا هو مثل الذين لا يستجيبون للدعوة الحقة فهم لا ينتفعون بما يسمعون، ولا يهتدون لأنهم لا يعقلون. ١٧٢ ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ انتقال في الخطاب من عامة الناس إلى من يلتزم بالتكليف في التشريع. وممن لا يصغي إلى من يستجيب ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ فالله قريب منكم ومنعم عليكم ﴿و اشكروا لله﴾ مقابل نعمه ﴿إن كنتم إياه تعبدون﴾ دلَّ على الحصر والقصر في عبادته وهي الإطاعة فيما أمر والإنتهاء عما نهى. ١٧٣ ـ ﴿إنما حرم عليكم الميتة﴾ وهي كل حيوان مات دون تذكية سواء ذبح أم لم يذبح ﴿والدم ولحم الخنزير﴾ وهو رجس ﴿وما أهلَّ به لغير الله﴾ والإهلال لغير الله هو الذبح لغيره؛ كالذبح للأصنام. ﴿فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ﴾ أي غير ظالم ولا متجاوز حده؛ فالاضطرار يكون مع عدم البغي وعدم العدو؛ ﴿فلا إثم عليه﴾ والإثم هو العمل الذي يستتبع المؤاخذة أو يمنع نيل الرحمة؛ أما إذا كان في حال البغي والعدو كأن يكونا هما الموجبين للاضطرار؛ أو الأكل زيادة عما يرفع الضرر فلا يجوز له ذلك. ﴿إن الله غفورٌ رحيم﴾ دليل على أن التجوز تخفيف ورخصة منه تعالى للمؤمنين، وإلا فمناط النهي موجود في صورة الاضطرار. ١٧٤ ـ ﴿إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب﴾ تعريض لأهل الكتاب الذين يلتزمون بعدم أكل المحللات التي حرمها كبراؤهم؛ مع أن كتابهم لا يقضي بالتحريم. ﴿ويشترون به ثمناً قليلاً﴾ حيث يكسبون بعض المكاسب القليلة لأنفسهم مقابل كتم ما أنزل الله

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

﴿أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار﴾ فهذا الثمن القليل بدله أكل النار في بطونهم بعد أن اختاروا الضلالة على الهدى و العذاب على المغفرة ﴿ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم﴾ فكتمانهم الحق استوجب عدم نظره تعالى إليهم ﴿ولهم عذابٌ أليمٌ﴾ جزاء كتمان الحق، جزاءً وفاقاً. ١٧٥ ـ ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ فقد كان معهم الهدى ولكنهم دفعوه ثمناً ليأخذوا الضلالة، ﴿والعذاب بالمغفرة﴾ لقد سعوا إلى العذاب سعياً واشتروه بالمغفرة ﴿فما أصبرهم على النار﴾ وهذا الصبر على النار كان منهم ظاهراً، فكل من خالف الحق هو من الصابرين على النار، وكل من خالف منهج الله فهو صابر على النار. فافهم ذلك. ١٧٦ ـ ﴿ذلك بأن الله نزّل الكتاب بالحق﴾ فمن فاء إليه فهو على الهدى ﴿وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاقٍ بعيدٍ﴾ عن الحق و عن ناموس الفطرة.

١٧٧ ـ ﴿ليس البرّ﴾ وهو التوسع بالخير و الإحسان ﴿أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب﴾ بعد أن كثر الجدال بعد تحويل القبلة إلى الكعبة خاطب الله الناس بهذه الآية؛ إذ ليس للجهات أدنى فضل ﴿ولكن البرّ﴾ يحمله الأبرار الذين ميزهم تعالى بمراتب ثلاث؛ الأولى في الاعتقاد ﴿من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾ فالبر والصدق لو لم يتما لما تمت التقوى. والأبرار هم أهل المرتبة العالية من الإيمان وهي المرتبة الرابعة. والثانية في العمل ﴿وآتى المال على حُبّه ذوي القربى واليتامى﴾ واليتيم من لا أب له ﴿والمساكين﴾ وهم أسوأ حالاً من الفقراء ﴿وابن السبيل﴾ المنقطع عن أهله ﴿والسائلين وفي الرقاب﴾ لفكاك رقبة العبيد ﴿وأقام الصلاة وآتى الزكاة﴾ والثالثة مرتبة الأخلاق ﴿والموفون بعهدهم إذا عاهدوا﴾ لحفظ عرى المجتمع ﴿والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس﴾ وهي مرتبة الأخلاق والكمال النفسي ﴿أولئك الذين صدقوا﴾ ربهم بإسلامهم وصدقوا بإيصال هذا الإسلام إلى مدلولاته الواقعية في حركة الحياة ﴿وأولئك هم المتقون﴾ الذين يلتزمون بالإطار التكليفي الذي شرعه الله لحمايتهم. ١٧٨ ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ إشارة إلى كون الحكم خاصاً بالمسلمين ﴿كُتِبَ﴾ فُرِض ﴿عليكم القصاص﴾ وهو متابعة الجاني لحماية مجتمعكم من الأشرار والمجرمين ﴿في القتلى الحُر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى﴾ ولا يؤخذ غير الجاني بذنب غيره ﴿فمن عُفِيَ له من أخيه شيءٌ﴾ سواء كان العفو عن تمام الحق أو بعضه، كما إذا تعدد أولياء الدم فعفا بعضهم حقه للقاتل، فلا قصاص بل دية. وجاء بذكر أخيه إثارة لحسّ المحبة والرأفة وتحسين العفو ﴿فاتّباعٌ بالمعروف﴾ أي عليه أن يطالب بالدية بالمعروف ﴿وأداءٌ إليه بإحسانٍ﴾ وعلى القاتل أن يؤدي الدية دون مماطلة وبإحسان؛ تحقيقاً لصفاء القلوب بين الطرفين. فنقل القصاص إلى الدية ﴿ذلك تخفيفٌ من ربكم ورحمةٌ فمن اعتدى بعد ذلك﴾ فاقتص بعد العفو ﴿فله عذابٌ أليمٌ﴾ وتلك حدود الله فلا تقربوها.

١٧٩ ـ ﴿ولكم في القصاص حياةٌ يا أولي الألباب﴾ من أبلغ آيات القرآن بياناً، وأجملها استدلالاً، وألطفها معنى ودلالةً ومدلولاً. فهي قليلة الحروف وسهلة اللفظ. وتعريف القصاص وتنكير الحياة للدلالة على أن النتيجة أوسع من القصاص وهي الحياة. ﴿لعلكم تتقون﴾ فالتأطر بالتقوى يحمي من المخالفة ويجمل الحياة والله يقول فيمن التزم بالتقوى ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾.

١٨٠ ـ ﴿كتب عليكم﴾ لسان الآية لسان الوجوب لولا تقييد الحق بالتقوى ﴿إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً﴾ مالاً ﴿الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين﴾ الذين يلتزمون بأوامر ربهم وقيل إن الآية منسوخة ولكن نسخ الوجوب لاينسخ الندب.

١٨١ ـ ﴿فمن بدّله بعد ما سمعه فإنما إثمه﴾ إثم التبديل ﴿على الذين يبدّلونه إن الله سميعٌ عليمٌ﴾ بأقوالهم وأفعالهم.

﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ۖ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

١٨٢ ـ ﴿فمن خاف﴾ فإذا خاف وصي ﴿من موصٍ جنفاً﴾ ميلاً وانحرافاً ﴿أو إثماً﴾ بأن أوصى بالمحرمات، أو كانت في الوصية نكاية بأحد ﴿فأصلح بينهم﴾ برد الوصية إلى مالا إثم فيه ﴿فلا إثم عليه﴾ فيما عدَّل ﴿إن الله غفورٌ رحيم﴾ يستر النقيصة ويرحم عباده. ١٨٣ ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ خطاب يذكر بصفة الإيمان ليقبلوا الحكم الذي سيفرض ﴿كتب عليكم﴾ أي فرض عليكم ﴿الصيام﴾ وهو الكف عن الفعل ﴿كما كتب على الذين من قبلكم﴾ من أمم الأنبياء ﴿لعلكم تتقون﴾ لأن من أراد الوصول إلى عالم الطهارة والرفعة والكمال يجب أن يكف نفسه عن لذائذ الجسم، ويتنزه عن الإخلاد إلى الأرض. ١٨٤ ـ ﴿أياماً معدوداتٍ﴾ التنكير للتحقير وكذلك اتصافه بالعدد. ﴿فمن كان منكم مريضاً أو على سفر﴾ السفر بمعنى الكشف؛ كأن المسافر ينكشف لسفره عن داره التي يأوي إليها ﴿فعدةٌ من أيامٍ أخر﴾ تفيد العزيمة دون الرخصة. ﴿وعلى الذين يطيقونه﴾ الإطاقة صرف تمام الطاقة في الفعل، ولازمه وقوع الفعل بجهد و مشقة ﴿فديةٌ﴾ أي بدل ﴿طعام مسكين﴾ من أوسط ما تطعمون أهليكم. ﴿فمن تطوع خيراً فهو خيرٌ له﴾ الطوع هو إتيان الفعل برضى ورغبة، فأتوا به طوعاً لا كرهاً، فإن من أتى بالخير طوعاً كان خيراً له من أن يأت به كرهاً. وقول من يقول بأن التطوع هو الزيادة مردود برأي مؤلف الميزان ﴿وأن تصوموا خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون﴾ أي تطوعوا بالصوم المكتوب عليكم فالتطوع بالخير خير. وفي الحديث القدسي، قال الله تعالى: «الصوم لي وأنا أجزي به»، وما ذاك إلا لأن في الصوم تعالياً عن الإخلاد إلى الأرض وتنزهاً عن شوب النقص المادي وآفة المحدودية وإثبات الإنية، ومع أن من الممكن أن يصلي أحد لغير الله أو يحج لغيره فإنه لايمكن أن يكون الصوم لغيره تعالى. ١٨٥ ـ ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ النزول هو الورود من العلو دفعة واحدة. ﴿هدىً للناس﴾ للطبقة الدانية من الناس الذين سطح فهمهم ﴿وبيناتٍ من الهدى والفرقان﴾ للخاصة الذين لهم حظ من علم، وهو فرقان لهم، لأنه يفرق الحق عن الباطل بالحجة الظاهرة، ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ الشهادة هي الحضور مع تحمل العلم ﴿ومن كان مريضاً أو على سفر فعدةٌ من أيامٍ أخر﴾ إثبات للحكم بعد التوطئة له في الآيتين السابقتين. ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة﴾ بيان لنفي العسر في الحكم ووجوب إكمال العدة من أيام أخر. ﴿ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾ لبيان غاية أصل الصيام فهو لإظهار كبريائه تعالى، وإعلان ربوبيته وعبوديتهم مع شكر لله بما هداهم إلى الحق، وفرق بين الحق والباطل. ١٨٦ ـ ﴿وإذا سألك عبادي عني﴾ إن من ألهم الدعاء رزق الإجابة وقد أتت صيغة المتكلم لكمال العناية بالأمر، وقوله ﴿عبادي﴾ لزيادة العناية وحذف الواسطة فقال ﴿فإني قريبٌ﴾ ولم يقل إنه قريب. ثم التأكيد بـ ﴿إن﴾ لزيادة العناية والإتيان بالصفة وهي صفة القرب دون الفعل للدلالة على ثبوت القرب ودوامه وثم الإتيان بصيغة المضارع ﴿أجيب﴾ للدلالة على تجدد واستمرار الإجابة وقيد الجواب ﴿دعوة الداع﴾ بأنه

﴿إذا دعان﴾ لأن الإجابة هي عين الدعاء فدعوة الداعي مجابة دون قيد أو شرط. والدعاء توجيه نظر المدعو نحو الداعي والسؤال لجلب فائدة. وقول: دعان يدل على أن الوعد بالإجابة مطلق؛ إذا كان الداعي داعياً بحسب الحقيقة، مريداً بحسب العلم الفطري، مواطئاً لسانه قلبه. فالذي لايستجاب من الدعاء إما أن الداعي لايتحقق منه الدعاء أو يسأل ما لو علم حقيقته لم يسأله فلا يستجاب فيه. ﴿فليستجيبوا لي﴾ حين أدعوهم، ﴿وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾ فالإسلام رشدٌ لمن اتبعه ومن شاقه فقد ضل. ١٨٧ ـ ﴿أحل لكم ليلة الصيام﴾ أجيز لكم ﴿الرفث إلى نسائكم﴾ الرفث هو التصريح بما يكنى عنه مما يستقبح ذكره؛ وقد كني به عن الجماع. ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ اللباس هو الساتر، فكل من الزوجين يمنع صاحبه عن اتباع الفجور فهو يواري به سوأته و يستر عورته. وفي تفسير ابن كثير عن ابن عباس ـ ومثله عن أبي هريرة ـ في الآية: كان المسلمون في شهر رمضان إذا صلوا العشاء حرم عليهم النساء والطعام إلى مثلها في القابلة، ثم إن أناساً من المسلمين أصابوا من النساء والطعام في شهر رمضان بعد العشاء منهم عمر بن الخطاب فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم﴾ الاختيان فيه معنى النقص، والآية تحمل معنى الاستمرار، حيث كان المسلمون يعصون الله سراً بالخيانة لأنفسهم ﴿فتاب عليكم وعفا عنكم﴾ فالتوبة والعفو تدل على سبق المعصية، ثم نسخ الحرمة ﴿فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم﴾ فالآن تجوز لكم مباشرتهن، والإبتغاء وهو طلب الولد. فهم يطلبون ما كتب الله لحفظ النوع الإنساني وزيادة عدده، وإن لم يقصدوا ظاهراً إلا ركوب الشهوة ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾ الفجر فجران أول كاذب لأنه يبطل بعد مكث، وثان يسمى الفجر الصادق إذا بلغت فاصلة الشمس من دائرة الأفق إلى ثمان عشرة درجة تحت الأفق. ثم يبطل بالاعتراض، فيكون معترضاً مستطيلاً على الأفق كالخيط الأبيض الممدود. فالمراد هو التحديد بأول حين من طلوع الفجر الصادق لأن ارتفاع بياض النهار يبطل الخيطين ﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾ حتى دخول الليل ﴿ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد﴾ الاعتكاف هو اللزوم. وعبادة الاعتكاف في المساجد الإقامة فيها ولزومها. ﴿تلك حدود الله فلاتقربوها﴾ الحد هو المنع والنهي عن القرب من الحدود كناية عن عدم اقترافها ﴿كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون﴾ فيجتنبون نواهيه و يأتون أوامره. ١٨٨ ـ ﴿ولا تأكلوا﴾ أي لا تأخذوا فقد كني بالأكل عن الأخذ ﴿أموالكم﴾ والمال من مال الرجل يمول والمول هو العطاء أو من الميل وهو ما يميل إليه القلب ﴿بينكم﴾ البين هو الفصل الذي يضاف إلى شيئين أو أزيد ﴿بالباطل﴾ الباطل يقابل الحق. إذ أن المال مال الله قسمه بينهم وفق قوانين عادلة لقطع منابع الفساد ﴿و تدلوا بها إلى الحكام﴾ الإدلاء هو إرسال الدلو في البئر، وكني بها عن تقريب المال إلى الحكام ليحكموا كما يريد الراشي ﴿لتأكلوا فريقاً﴾ قطعة معزولة

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

﴿من أموال الناس﴾ إمضاء من الله لما استقر عليه المجتمع الإنساني من احترام الملك. فلا تأكلوها ﴿بالإثم وأنتم تعلمون﴾ فالإثم هو تصالح الراشي و المرتشي على تقسيم أموال الناس لنفسيهما.

١٨٩ ـ ﴿يسألونك عن الأهلة﴾ والهلال أول الشهر القمري إذا خرج من تحت شعاع الشمس في الليلة الأولى وقيل الثانية وقيل الثالثة أو أكثر. و الهلال من استهل الصبي إذا بكى أو صاح عند الولادة، والسؤال كان عن الفائدة أو السبب في ظهور القمر هلالاً بعد هلال. ﴿قل هي مواقيت للناس و الحج﴾ فهي أوقات لتقدير الأعمال. وتقسيم الشهور القمرية أسهل لإدراك التعاقب. وكذلك هي مواقيت للحج فإنه أشهرٌ معلومات. ﴿وليس البِرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ تصحيحاً لعادة جاهلية هي نقب البيوت من ظهورها عند الإحرام للحج ﴿ولكن البر من اتقى﴾ فالكمال هو الإتصاف بالتقوى فاتقوا الله ﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾ للإرشاد لحسن اتيان البيوت. ﴿واتقوا الله﴾ والتقوى هي من الصفات التي تجامع جميع مراتب الإيمان ومقام الكمال ﴿لعلكم تفلحون﴾ فالفلاح ثواب التقوى، والتقوى علة الفلاح.

وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

١٩٠ ـ ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾ تشريع للقتال لأول مرة مع مشركي مكة، والقتال محاولة الرجل قتل من يحاول قتله. وهذا القتال في سبيل الله فقط لا في سبيل الأمجاد والاستلاب ولا المغانم و المكاسب ولا لعصبية أو قبلية أو قومية أو وطنية. ﴿ولا تعتدوا﴾ الإعتداء هو الخروج عن الحد كالقتال قبل الدعوة إلى الحق، أو العدوان على غير المحاربين من الآمنين المسالمين ﴿إن الله لا يحب المعتدين﴾ فالمنهج للهداية لا للقتل.

١٩١ ـ ﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾ ووجدتموهم وأدركتموهم ﴿وأخرجوهم من حيث أخرجوكم﴾ من مكة ﴿والفتنة﴾ هي ما يقع به اختبار حال الشيء. فتعذيب المشركين للمسلمين لإضلالهم ﴿أشد من القتل﴾ فلذلك شددوا على المشركين بقتلهم حيث وجدوا، لأن في القتل انقطاع الحياة الدنيا، وفي الفتنة انقطاع الحياتين وانهدام الدارين. ﴿ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام﴾ حفظاً لحرمته ﴿حتى يقاتلوكم فيه﴾ حتى يبدؤوا بقتالكم فيه ﴿فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين﴾ الذين لا يرعون إلاً ولا ذمة ولا حرمة. ١٩٢ ـ ﴿فإن انتهوا﴾ وامتنعوا وكفوا عن القتال عند المسجد الحرام ﴿فإن الله غفورٌ رحيمٌ﴾ .

١٩٣ ـ ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنةٌ﴾ والفتنة هنا هي الشرك باتخاذ الأصنام، و فتنة المؤمنين عن دينهم وإيذاؤهم بسبب إسلامهم ﴿ويكون الدين لله﴾ للدعوة إلى الدين الحق لكي يسود نظام الله وأحكامه ويزهق الباطل من كل شرع خالف ماشرع الله. ﴿فإن انتهوا﴾ عن الفتنة و آمنوا بما آمنتم به فلا تقاتلوهم لأن سبب القتال هو العدوان ﴿فلا عدوان إلا على الظالمين﴾ أي لدفع العدوان عن الإسلام والمسلمين.

١٩٤ ـ ﴿الشهر الحرام﴾ الحرمات جمع حرمة وهي ما يحرم هتكه، ويجب تعظيمه والحرمات: حرمة الشهر الحرام

وحرمة الحرم وحرمة المسجد الحرام ﴿بالشهر الحرام﴾ بيان عام يعقب البيان الخاص يشمل جميع الحرمات، فلو هتكوا حرمة الشهر الحرام بالقتال فيه، وقد هتكوا الحرمة حين صدوا النبي وأصحابه عن الحج عام الحديبية، جاز للمؤمنين أن يقاتلوهم فيه وهذا ليس هتكاً ﴿والحرمات قصاصٌ﴾ فالذي يهتك الحرمة يجازى بحرمانه الضمانات التي تكفلها الحرمات من الأمن والسلام وصيانة الدماء والأموال. وهذا تشريع لجواز الإعتداء بالمثل فقال ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ والاعتداء مذموم إذا لم يكن مقابله اعتداء، أما إذا قابله اعتداء فليس إلا تعالياً عن ذل الهوان، وارتقاء عن حضيض الإستعباد والظلم والضيم، كالتكبر مع المتكبر، والجهر بالسوء لمن ظلم. ﴿واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾ وهذا ندب لملازمة طريقة الإحتياط وعدم الاعتداء؛ لتجنب الإنحراف عن جادة الاعتدال في تنفيذ أوامره تعالى.

١٩٥ ـ ﴿وأنفقوا في سبيل الله﴾ أمر بإنفاق المال لإقامة القتال في سبيل الله ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ فالتهلكة هي عدم الإنفاق لأنها إبطال للقوة والاستطاعة والقدرة، والتهلكة هي مصير الإنسان بحيث لا يدري أين هو. والتربية الدينية تظهر أن الذين يبذلون أنفسهم في رفعة الدين أو يؤذون في سبيل الله فإن الله وعدهم بأن يكفر عنهم سيئاتهم ويدخلهم مدخلاً كريماً فالله قد اشترى من المؤمنين أموالهم وأنفسهم بأن لهم الجنة يقاتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً. على أن الإفراط والتفريط منهي عنهما؛ فعدم البذل يوجب الهلاك إذ أن البخل والإمساك عن إنفاق المال عند القتال يوجب بطلان القوة وذهاب القدرة، وهذا ما يؤدي إلى ظهور العدو، كما أن التبذير يوجب الفقر والمسكنة مما يؤدي إلى انحطاط الحياة وبطلان المروءة. ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ وليس الإحسان بالكف عن القتال أو الرأفة في أعداء الدين بل هو الإتيان بالفعل على وجه حسن بالقتال في موارد القتال، والكف في مورد الكف والشدة في موردها والعفو في مورده وفي ذلك من الجمال ما لايخفى. فدفع الظالم بما يستحقه إحسان إلى الإنسانية باستيفاء حقها المشروع لها و دفاع عن الدين المصلح لشأنها. فالجهاد إحياء لدين الله، وحفظ لحق الفطرة المشروع في البقاء. فالقتال سواء كان بعنوان الدفاع عن المسلمين أو عن بيضة الإسلام، أو كان قتالاً ابتدائياً؛ فإن ذلك كله دفاع عن حق الإنسانية في حياتها. ففي الشرك بالله سبحانه هلاك الإنسانية وموت الفطرة وفي القتال إحياء لها؛ وكذلك فإن القصاص للظالم أو العقوبة للتأديب إحسان وعدم ذلك ظلم.

١٩٦ ـ ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ إذ يجب إقامة كافة أجزاء الشعائر في الحج والعمرة، وأن تكون كافة الشعائر لله. ﴿فإن أُحصرتُم﴾ أي حبستم ومنعتم عن الإتمام بسبب مرض أو عدو ـ مثل ما حصل في صلح الحديبية ـ بعد الشروع بالإحرام ﴿فما استيسر﴾ فما صار يسراً ﴿من الهدي﴾ وهو ما يقدمه الإنسان من النعم لغيره للتقرب، أو من الهدى فالهداية هي السوق للمقصود، والهدي والهدية ما يسوقه الإنسان للتضحية به في حجه. ﴿ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله﴾ ويصل إلى مكانه الذي ينحر فيه عادة وذلك في حالة الإتمام وعدم الحصر. ﴿فمن كان منكم مريضاً أو به أذىً من رأسه﴾ بحيث يقتضي المرض حلق الرأس أو بسبب أذىً من الهوام التي توجد حين يزداد طول الشعر مما يستلزم حلقه ﴿ففدية من صيام﴾ ثلاثة أيام ﴿أو صدقةٍ﴾ إطعام ستة مساكين ﴿أو نُسُكٍ﴾ ذبح شاة. ﴿فإذا أمنتم﴾ من المانع من عدو أو مرض ﴿فمن تمتع بالعمرة إلى الحج﴾ أي ختم العمرة وأحل إحرامه إلى زمان الإهلال بالحج وهذه من أدلة حلية متعة الحج كما في صحيح الترمذي وزاد المعاد لابن القيم عن عبد الله بن عمر ﴿فما استيسر من الهدي﴾ وهذا نسك لاجبران لما فات منه من الإهلال بالحج من الميقات ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج﴾ قبل الوقوف بعرفة أو بعد أيام التشريق، لمن لم يقدر على الصيام قبله، وإلا فعند الرجوع إلى وطنه ﴿وسبعةٍ إذا رجعتم﴾ إلى وطنكم ﴿تلك عشرةٌ كاملةٌ ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾ فالتمتع بالعمرة إلى الحج لغير الحاضر، وهو الذي بينه وبين المسجد الحرام أكثر من اثني عشر ميلاً. وأهل الرجل خاصته من زوجته وعياله. ﴿واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ والتشديد ينبيء عن ترقب إنكار الحكم بعد أن ألفوا خلافه في الجاهلية.

١٩٧ ـ ﴿الحج أشهرٌ معلوماتٌ﴾ وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة ويقصد به زمان الحج ﴿فمن فرض فيهن الحج﴾ أعمال الحج نفسها ﴿فلا رفث ولا فسوق ولاجدال﴾ بقول لاوالله وبلى والله ﴿في الحج﴾ يقصد به زمانه ومكانه. ﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله﴾ فالأعمال غير غائبة عنه تعالى، فهي دعوة إلى التقوى لئلا يفقد المشتغل بطاعة الله معنى العمل. ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب﴾ فاللب يأمر بالتقوى وهي الالتزام بأوامر الله ورسوله فيما حلل أو حُرّم. والتقوى رفعةٌ للمؤمن وكمال ذاتي له فهو المستفيد بتقواه .

١٩٨ ـ ﴿ليس عليكم جناحٌ أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾ إباحة للبيع في وقت الحج.

﴿فإذا أفضتم﴾ أي رجعتم ﴿من عرفاتٍ فاذكروا الله عند المشعر الحرام﴾ عند المزدلفة ﴿واذكروه كما هداكم﴾ واذكروه ذكراً يماثل هدايته إياكم ﴿وإن كنتم من قبله لمن الضالين﴾ فهدايته سبب ارتفاع ضلالكم.

١٩٩ ـ ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾ إشارة إلى ما نقل من أن قريشاً وحلفاءها وهم الحمس كانوا لايقفون بعرفات بل بمزدلفة وهذا أمر بأن يفيضوا من عرفات. ﴿واستغفروا الله إن الله غفورٌ رحيم﴾ بمن التزم بأوامر ربه.

٢٠٠ ـ ﴿فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله﴾ ذكراً لا يقتصر على اللفظ، بل مع الحضور القلبي بحيث يحكيه اللفظ ﴿كذكركم آباءكم﴾ فحق الله عليكم أكثر من حق آبائكم عليكم ﴿أو أشد ذكراً﴾ من ذكر آبائكم بدل التفاخر بهم وبالنظم والنثر. ﴿فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا﴾ نصيباً ﴿وما له في الآخرة من خلاق﴾ فمن الناس من لا يريد إلا الدنيا ولا نصيب له من الآخرة، فأعماله حابطة باطلة.

٢٠١ ـ ﴿ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ فالمؤمن لايريد إلا ما عند الله، ولو أراد شيئاً من الدنيا لم يرد إلا ما يرتضيه له ربه، لأن ما يريده ينقسم عنده إلى حسنة وسيئة ولا يسأل ربه إلا الحسنة دون السيئة.

٢٠٢ ـ ﴿أولئك لهم نصيبٌ مما كسبوا﴾ فالله يعطي عبده ما يريد، فكونوا من أهل النصيب بذكر الله ولا تكونوا ممن لا خلاق له بتركه ذكر ربه ﴿والله سريع الحساب﴾ فالحساب جارٍ في الدنيا والآخرة، ولا تجزى نفسٌ إلا ما كسبت.

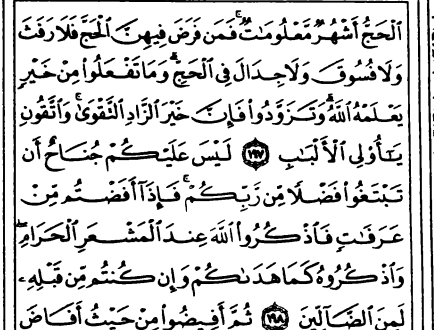
الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ
وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ
يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ
يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن
تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ
عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ
وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ
لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ
النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾
فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ
آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن
يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ
خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا
حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾
أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

٢٠٣ ـ ﴿واذكروا الله في أيام معدودات﴾ هي أيام التشريق وهي من الحادي عشر إلى الثالث عشر من ذي الحجة ﴿فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه﴾ فلا إثم في الموضعين ﴿لمن اتقى﴾ فالمتقي ممن أتم أعمال الحج مغفور الذنوب. ﴿واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون﴾ فالتقوى لا تتم والمعصية لا تجتنب إلا مع ذكر يوم الجزاء، واختيار كلمة الحشر مع ما في نسك الحج من حشر الناس لطف ظاهر. ٢٠٤ ـ ﴿ومن الناس من يعجبك﴾ ويروقك ويسرك ﴿قوله في الحياة الدنيا﴾ فالحياة الدنيا لاتحكم إلا على الظاهر، ﴿ويشهد الله على ما في قلبه﴾ بأنه يرعى جانب الحق وصلاح الخلق وتقدم الدين والأمة، وأما إذا كشف سريرته فهو يحمل أسوأ المشاعر، ﴿وهو ألد الخصام﴾ وأشد الأعداء للدين ومنهج الله ونظامه وأحكامه وأشد الخصماء خصومة للحق. ٢٠٥ ـ ﴿وإذا تولى﴾ وكانت له الولاية والسلطان ﴿سعى في الأرض﴾ وأسرع في العمل والمشي، ﴿ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل﴾ وهما قوام بقاء الحياة فالغذاء قوام حياة الموجودات، والنسل حفظ للنوع من الانقراض، ﴿والله لايحب الفساد﴾ فالله قد وضع التشريع لصلاح الأخلاق واعتدال الإنسانية، وهذا هو التاريخ يشهد ما لحق الإنسانية من تغيير شرع الله ومنهجه وأحكامه، لكي يحقق المفسدون والسلاطين مكاسب لأنفسهم، وقد لجأوا إلى كل وسيلة من الفساد ليضمنوا سيطرتهم، واستعلاءهم واستعبادهم للناس، وهم يهلكون الحرث والنسل. ٢٠٦ ـ ﴿وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة﴾ الظاهرة التي اكتسبها ﴿بالإثم﴾ والنفاق المستبطن في نفسه ﴿فحسبه جهنم﴾ فهي كفاية له ﴿ولبئس المهاد﴾ في البؤس من كان موطنه ومهاده جهنم. ٢٠٧ ـ ﴿ومن الناس من يشري نفسه﴾ وقد باع نفسه من الله سبحانه لا هم له إلا ﴿ابتغاء مرضاة الله﴾ فلا هوى له في نفسه ولا يبتغي الا مايصلح به أمر الدين والدنيا، ويحيي به الحق، ويدر به ضرع الاسلام، ﴿والله رؤوف بالعباد﴾ إذ لولا وجود أناس بهذه الصفات الحميدة، مقابل من سِمَتهم النفاق والإفساد، لانهدمت أركان الدين واندكت سبل الصلاح والرشاد. ٢٠٨ ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة﴾ إذ يجب التسليم الكامل لله ورسوله شرعة ومنهاجاً وهذا هو السلم فلا طاعة لمخلوق فيما لم يأذن به الله. ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ والخطوات تكون في طريق مسلوك، وهو طريق الايمان، فهو طريق شيطاني في الإيمان، إذا كان من غير سلم ﴿إنه لكم عدوٌ مبين﴾ فمن كان لكم عدواً، وجبت مخالفة خطواته. ٢٠٩ ـ ﴿فإن زللتم من بعدما جاءتكم البينات﴾ فإن عثرتم ولم تدخلوا في السلم كافة، ﴿فاعلموا أن الله﴾ غير مغلوب في أمره وهو ﴿عزيز حكيم﴾ لايتعدى عما تقضيه حكمته من القضاء في شأنكم دون أن يمنعه مانع. ٢١٠ ـ ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة﴾ جمع ظلة وهي ما يستظل به فماذا ينتظر هؤلاء المتلكئون الذين لا يدخلون في السلم كافة ؟ أفهل ينتظرون أن يأتيهم الله، وإتيانه إياهم هو إرتفاع المانع بينهم وبين قضائه فيهم. ﴿وقضي الأمر﴾ وجاء اليوم الموعود، ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ فلله الكبرياء على مايفعله المستكبرون الذين لم يرفضوا الحق إلا لما في أنفسهم من معاندة وضلال.

سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

٢١١ ـ ﴿سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة﴾ فقد آتاهم الله الكتاب والحكمة والنبوة والملك، ورزقهم من الطيبات، وفضلهم على العالمين، ﴿ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته﴾ ويحرف الكلم عن مواضعه، ويضع أموراً من عند نفسه بغياً وحسداً بعد العلم ﴿فإن الله شديد العقاب﴾ وقد شتتهم وأذهب سؤددهم وأفنى سعادتهم، وسامهم الذلة والمسكنة بما عصوا وكانوا يعتدون ولعذاب الآخرة أخزى وهم لاينصرون، فهي سنة جارية ليست على بني إسرائيل فحسب بل على كل من خالف منهج الله. ٢١٢ ـ ﴿زين للذين كفروا الحياة الدنيا﴾ فهي تدعو الإنسان إلى هوى النفس وشهواتها وتنسي الحق والحقيقة، فيعبد أصنام أهوائه من جاه ومقام ومال وزينة، ويلتمس إليها كل وسيلة فينقلب الدين إلى تابعين ناعقين رعاع مستعبدين، ومتبوعين يكفرون أي يسترون الحقائق الدينية ليضمنوا استمرار سيادتهم ﴿ويسخرون من الذين آمنوا﴾ ليضمنوا توسيع قاعدة المتبوعين ﴿والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة﴾ وقد بدل سبحانه الإيمان تقوى لكون الإيمان لاينفع وحده بلاعمل. ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ فهو خالق الأسباب والمسببات. ٢١٣ ـ ﴿كان الناس أمة واحدة﴾ على فطرة التمييز بين الفجور والتقوى؛ وأم يؤم من قصد يقصد فالأمة جماعة ذات مقصد واحد وبغية واحدة هي رابطة الوحدة بينها ؛ وحدود الدولة الإسلامية هي حدود العقيدة لا الحدود الاصلاحية ﴿فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾ والإختلاف اختلافان: اختلاف في أمر الدين مستند إلى بغي الباغين دون فطرتهم وغريزتهم، واختلاف في أمر الدنيا وهو فطري وسبب لتشريع الدين. والاختلاف في الدين نشأ من قبل حملة الكتاب بعد إنزاله بغياً منهم فخلافهم كان ظلماً ﴿وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم﴾ وذلك لكي يطلقوا أيديهم في البلاد والعباد، ويفسقوا عن منهج السماء. ﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه﴾ فالهداية ليست إلزاماً لهم، بل هداهم بإذنه إلى الحق المنزل بالكتاب، ﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ وهذا تعليل لقوله بإذنه فلله أن يهديهم وليس مضطراً موجباً على الهداية، بل يهدي من يشاء، و قد شاء أن يهدي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم، فهل انتفعتم بما أمرناكم من التسليم بأمر الدين بعد الإيمان. ٢١٤ ـ ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة﴾ ودخول الجنة يتطلب أن تسلموا لأوامر الله وأحكامه، وأن لا تلقوا في كتابه الاختلاف، و لاتجعلوا الدواء داء، لكي لا تحل عليكم نقمة الله. ﴿ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم﴾ أي يصيبكم ماأصاب الذين من قبلكم، ﴿مستهم البأساء﴾ وهي الشدة التي تصيب الإنسان في غير نفسه كالمال والجاه والأمن والأهل ﴿والضراء﴾ وهي الشدة التي تصيب الإنسان في نفسه كالجرح والقتل والمرض ﴿و زلزلوا﴾ من زل بمعنى عثر والزلزلة هي العثرة بعد العثرة، وهذه كناية عن الاضطراب والدهشة. ﴿حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر

الله﴾ وهو استدعاء لنصر الله، فالتاريخ يكرر نفسه، والابتلاء والامتحان يجري على كل الأمم، والله يقول لمن يطلب النصر ﴿ألا إن نصر الله قريب﴾ ـ ﴿إنّا لننصر رسلنا و الذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾.

٢١٥ ـ ﴿يسألونك ماذا ينفقون﴾ هناك تحويل للسؤال إلى من ينفق عليهم؟ ﴿قل ماأنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى﴾ وهم من لا أب لهم مع صغرهم ﴿والمساكين﴾ وهم أسوأ حالاً من الفقراء، ﴿وابن السبيل﴾ المنقطع عن أهله ووطنه ولانفقة عنده، ولو كان غنيّاً في بلده، ﴿وماتفعلوا من خير﴾ أي ما أنفقتم ينبغي أن لا يكون على نحو الشر كالإنفاق بالمن والأذى والرياء، ﴿فإن الله به عليم﴾ يعلم ما في أنفسكم وهو يثيب عليه.

٢١٦ ـ ﴿كتب عليكم القتال﴾ الكتابة تدل على بيان التشريع، لافرض القتال على كافة المؤمنين، ولم يظهر فاعل كتب لكون الجملة مذيلة بقوله ﴿وهو كره لكم﴾ صوناً لمقامه عن الهتك. والكره هو المشقة التي يدركها الإنسان من نفسه، فالقتال كره إما لكونه يتضمن الفناء و التعب وارتفاع الأمن والرفاهية وإما لأنّ المسلمين كانوا يرون تأخير القتال مع الكفار ليستعدوا لهم ويقووا عليهم، وهم لايعلمون إلا ظواهر الأمور؛ و إما لأن المؤمنين كانوا يرون الدعوة الحسنة مجدية وتؤدي إلى حفظ نفوس الطرفين. والمعنى الأول أنسب ﴿وعسى﴾ للترجي وهي تقوم بنفس المخاطب أو بمقام التخاطب ﴿أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم﴾ فأنتم تحكمون على ظواهر الأمور دون علم بمواطن الخير ﴿وعسى أن تحبّوا شيئاً وهو شرٌ لكم﴾ فتكرار عسى لكون المؤمنين كارهين للحرب ومحبين للسلم، إذ لا عبرة لكرههم وحبهم، فإنهما ربما يخطئان الواقع. ﴿والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ تتميم لبيان خطئهم ووجوب تسليم الأمر لله سبحانه؛ مع إثبات العلم له تعالى على الإطلاق، ونفي العلم عن غيره على الإطلاق.

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ الْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

٢١٧ ـ ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه﴾ الآية تشتمل على المنع عن القتال في الشهر الحرام وذمه. ﴿قل قتالٌ فيه كبير وصد عن سبيل الله﴾ الصد هو المنع والصرف عن العبادة والنسك والحج خاصة ﴿وكفرٌ به﴾ أي بالسبيل فهو كفر في العمل دون الإعتقاد ﴿والمسجد الحرام﴾ أي صد عن المسجد الحرام. ﴿وإخراج أهله منه﴾ كما فعل المشركون من إخراج رسول الله منه ﴿أكبر عند الله﴾ من القتل ﴿والفتنة أكبر من القتل﴾ ففتنة المؤمنين والدعوة إلى الكفر أكبر من استنكار المشركين ما قام به المؤمنون من قتل فيه. ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾ فهم لا يألون جهداً في رد المسلمين عن دينهم ﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافرٌ﴾ دون أن يعود للإسلام ويتوب مما سبق منه ﴿فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة﴾ يقال حبطت الناقة أي رعت مرعى خبيثاً فانتفخت ثمّ نفقت وهذه حال العمل الباطل والارتداد فهو ينتفخ ويهلك ويبور ﴿وأولئك أصحاب النار﴾ التي سعوا إليها بكفرهم ﴿هم فيها خالدون﴾ ﴿ولهم عذاب مقيم﴾.

٢١٨ ـ ﴿إن الذين آمنوا﴾ والإيمان ما وقر في القلب وأفضى به إلى الله وصدقه القول والعمل ﴿والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله﴾ وابتغاء مرضاته ﴿أولئك يرجون رحمة الله﴾ والله لا يخيبهم ﴿والله غفورٌ رحيم﴾ فالنصر والشهادة خير ورحمة. ٢١٩ ـ ﴿يسألونك عن الخمر﴾ وهو كل مائع مسكر، ومعناه الستر، لأنه يستر العقل، ولا يدعه يميز بين الخير والشر ﴿والميسر﴾ وهو القمار، والمقامر ياسر ويسمى بالميسر لسهولة اقتناء مال الغير به من غير تعب. ﴿قُل فيهما إثمٌ كبير﴾ والإثم يقارب الذنب، وهو يبطىء الإنسان عن نيل الخيرات، فهو يستتبع الشقاء والحرمان. فمضرات الخمر الطبية تشمل كافة أعضاء الجسم، ومن مضراته الخلقية: تأدية الإنسان إلى الفحش والجنايات، وإفشاء السر وهتك الحرمات، وإبطال النواميس الإنسانية وخاصة العفة، ومضرته في تخريب الإدراك؛ حين السكر وبعد الصحو؛ وأثره الكبير على العقل. والميسر يهدم بنيان الحياة ومفاسده الإجتماعية يغني فيها العيان عن البيان. ﴿ومنافع للناس﴾ وهي الإستفادات المالية والتفكه والتلهي، ﴿وإثمهما أكبر من نفعهما﴾ وقد كبر الإثم وأفرد المنافع. ولا دلالة في الآية على أية إباحة فالإثم لاينفك عن الخمر والميسر ولاتَدَرُّج في التحريم فالآيات تحكي واقعاً يشيعُ في كافة الأوقات إذ لاترافق بين الإثم والحلية. ﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾ والعفو قصد الشيء لتناوله وهنا بمعنى التوسط في الإنفاق ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾ فآيات الله وأحكامه دلالات لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد.

فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ۖ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾

٢٢٠ ـ ﴿في الدنيا والآخرة﴾ فالدنيا دار خلقها الله لكم لتحيوا فيها وتكسبوا ما ينفعكم في مقركم وهو الدار الآخرة؛ حيث يجازيكم ربكم بأعمالكم ففي الآية حث على البحث عن حقائق الوجود، ومعارف المبدأ والمعاد والتفكر في طبيعة الإجتماع، وقوانين الأخلاق، ودعوة إلى الطاعة المطلقة لله ورسوله، مع التفكر في عظمة الأحكام وعللها. ﴿ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير﴾ تخفيف بعد تشديدحيث أجازت الآية مخالطة اليتامى والمراد بالإصلاح الإصلاح بحسب الحقيقة لا بحسب الصورة. ﴿وإن تخالطوهم فإخوانكم﴾ معادلة بين اليتيم الضعيف والولي القوي، وإلغاء المميزات والتي هي مصادر الفساد والإستعباد والإستذلال وكذلك بين الغني والفقير والناقص والتام لأنه ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ فمخالطة الولي لليتيم بحيث يكون المأخوذ من ماله كالمعطى له، ﴿والله يعلم المفسد من المصلح﴾ فإن الإصلاح خير و لا تخفى حقيقة الأمر على الله سبحانه في ميز المفسد من المصلح. ﴿ولو شاء الله لأعنتكم﴾ والعنت هو الكلفة والمشقة ﴿إن الله عزيز حكيم﴾ فأحكامه توافق عزته. ٢٢١ ـ ﴿ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾ أصل النكاح للعقد ثم استعير للجماع، والإشراك بمعنى اتخاذ الشريك لله سبحانه، وهو ذو مراتب مختلفة فالقول بتعدد الآلهة واتخاذ الأصنام والشفعاء شرك ظاهر، وأخفى منه قول أهل الكتاب؛ عزير ابن الله أو المسيح ابن الله أو نحن أبناء الله وأحباؤه

وكذلك قبول تشريعات البشر مع تشريعاته سبحانه فهو قبول بحاكمية غير الله، وكذلك القول باستقلال الأسباب والركون إليها. ولفظ المشركين في القرآن غير ظاهر الإطلاق على أهل الكتاب بخلاف لفظ الكافرين. فالآية تقصر التحريم على المشركات و المشركين من الوثنيين دون أهل الكتاب، ﴿ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم﴾ فالمملوكة المؤمنة خيرمن الحرة ولو كانت ذات حسب ونسب ومال. ﴿ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم﴾ فالمرتبة مرتبة العقيدة. ﴿أولئك يدعون إلى النّار﴾ لاعتقادهم بالباطل وترسخ الملكات الرذيلة المزينة للكفر والفسوق والضلال، ودعوتهم إلى عقيدتهم. ﴿والله يدعو إلى الجنّة والمغفرة بإذنه﴾ وفيه دلالة على إستخلاف المؤمنين الذين لايستقلون بشيء من الأمور دون ربهم. أو على أن ردع المؤمنين عن الإختلاط مع المشركين يحث المشركين على الإيمان وهذا ما يظهر من قوله ﴿ويبيّن آياته للناس لعلهم يتذكرون﴾ فآيات الله لكل الناس وهي دعوة أعم تحمل اللطف والتذكر يدعو إلى الإيمان.

٢٢٢ ـ ﴿ويسألونك عن المحيض﴾ وهو نزف النساء المعتاد، ﴿قل هو أذى﴾ و قيل هو الضرر ولكن الأذى هنا هو الطارىء على الشيء غير الملائم لطبعه. لكن من الضرر إتيانهن في هذه الحال. ﴿فاعتزلوا النساء في المحيض﴾ وتجنبوا مخالطتهن ﴿ولا تقربوهن﴾ فاتركوا إتيانهن، ﴿حتى يطهرن﴾ حتى يتم نقاؤهن من الحيض، ﴿فإذا تطهرن﴾ أي غسلن محل الدم أو اغتسلن ﴿فأتوهنّ من حيث أمركم الله﴾ أمر يفيد الجواز لوقوعه بعد الحظر وهو كناية عن الجماع. ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ التوبة هي الرجوع إلى الله سبحانه، والتطهر هو الأخذ بالطهارة، والطهارة الكبرى أصل التوحيد والله يحب تكرار التوبة وتكرار التطهر.

٢٢٣ ـ ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ الحرث بمعنى الزراعة ﴿فأتوا حرثكم أنّى شئتم﴾ وأنّى من أسماء الشرط يستعمل في الزمان كمتى وربما استعمل في المكان أيضاً والفطرة السليمة تقضي أن يكون إسم الشرط هذا دالاً على الزمان؛ فيكون المعنى في أي زمان شئتم، وكلمة شئتم تمنع الوجوب. ونسبة النساء إلى المجتمع كنسبة الحرث إلى الإنسان. ﴿وقدموا لأنفسكم﴾ حث على إبقاء النوع ليحيى دين الله ويظهر توحيده وتتم عبادته، فالغاية هي العبادة لا إخلاد النّاس إلى الأرض وانهماكهم بشهوات البطن والفرج وتيههم في أودية الغي والغفلة. فالمراد بتقديمهم لأنفسهم تقديم العمل الصالح ﴿واتقوا الله﴾ بالأعمال الصالحة وعدم التعدي لحدود الله ﴿واعلموا أنكم ملاقوه﴾ فخافوا يوم اللقاء وسوء الحساب، والخوف من لوازم الإيمان فذيّل كلامه ﴿وبشر المؤمنين﴾ بحسن الثواب.

٢٢٤ ـ ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم﴾ العرضة هي عرض الشيء وإراءته حتى يرى صلاحه واليمين بمعنى الجارحة، و المعنى ولا تجعلوا الله عرضة تتعلق بها أيمانكم التي عقدتموها بحلفكم فالله لايرضى أن يُجعل اسمه ذريعة للامتناع عما أمر به من البر والتقوى ﴿أن تبرّوا﴾. أي مخافة أن لا تبروا فإن الحلاّف المكثر لليمين لايستعظم ما حلف به فلا يبالي بالكذب ﴿وتتقوا و تصلحوا بين النّاس والله سميع عليم﴾ فغاية الدين هي تحقيق البر والصلاح، وهي أولى من المحافظة على اليمين.

٢٢٥ ـ ﴿لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾ اللغو هو كل فعل لا يستتبع أثراً. ﴿ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم﴾ والكسب هو اجتلاب المنافع. فلليمين أثر من حيث إنه لفظ، ومن حيث إنه مؤكد للكلام، و أثر من حيث إنه عقد، و أثر من حيث حنثه ومخالفة مؤداه. ﴿والله غفور حليم﴾ إشارة إلى كراهة اللغو من اليمين.

٢٢٦ ـ ﴿للذين يؤلون من نسائهم﴾ ويحلفون بالهجران والامتناع عن المباشرة ﴿تربص أربعة أشهر﴾ فإنها الأمد المضروب للمباشرة الواجبة شرعاً ﴿فإن فاؤوا﴾ أي رجعوا إلى المباشرة ﴿فإنّ الله غفور رحيم﴾ فالإيلاء لا عقاب عليه لأنّ الكفارة حكم شرعي لا يقبل المغفرة. فإنّ من آلى من إمرأته يتربص له الحاكم أربعة أشهر فإن رجع إلى حق الزوجية فلا عقاب عليه، ٢٢٧ ـ ﴿وإن عزموا الطلاق﴾ وأوقعوه فهو المخلص الآخر ﴿فإنّ الله سميع﴾ بأقوالكم ﴿عليم﴾ بما في نفوسكم. ٢٢٨ ـ ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ الطلاق هو التخلية عن وثاق وتقييد، والتربص هو الانتظار والحبس لمنع فساد الأنساب، والقروء جمع قرء، ويطلق على الطهر أو الحيض، أو أنه الجمع بينهما. ﴿ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن﴾ استعجالاً في الخروج من العدة أو إضراراً بالزواج في

رجوعه، ﴿إن كن يؤمنّ بالله واليوم الآخر﴾ ترغيب وحث لمطاوعة الحكم. ﴿وبعولتهنّ أحق بردهنّ في ذلك﴾ في فترة العدة وذلك للرجعيات ﴿إن أرادوا إصلاحاً﴾ فوجوب الرجوع لغرض الاصلاح لا لغرض الاضرار ﴿ولهنّ﴾ من الحقوق ﴿مثل الذي عليهنّ بالمعروف﴾ وهو الذوق المكتسب في الحياة الاجتماعية المتداولة بينهم فالمعروف يتضمن هداية العقل، وحكم الشرع وحسن الخلق. ولهذا يتساوى في الحكم أفراد المجتمع وأجزاؤه، مع حفظ ما لكل من الأفراد من الوزن في الاجتماع والتأثير والكمال. فيحفظ للحاكم حكومته، وللعالم علمه، وللمحكوم محكوميته، وللجاهل جهله، وللقوي من حيث العمل قوته، وللضعيف ضعفه، ثم يبسط التساوي بإعطاء كل ذي حق حقه. ﴿وللرجال عليهنّ درجة﴾ أي منزلة؛ فللرجال الحق بردهن إلى عصمتهم في فترة العدة. ﴿والله عزيز﴾ فله الحكم ﴿حكيم﴾ فحكمه حق. ٢٢٩ ـ ﴿الطلاق مرتان﴾ وهو الطلاق الذي يجوز فيه الرجعة، فإذا وقعت الطلقتان ﴿فإمساك بمعروف﴾ لكي لايكون الرد إلى الزوجية للإضرار بها بل لاستئناف حياة رضية ﴿أو تسريح بإحسان﴾ فالطلقة الثالثة يجب أن لاتكون انتقاماً وتشفياً ﴿ولايحلّ لكم أن تأخذوا مما آتيتموهنّ شيئاً﴾ من صداق أو نفقة أثناء الحياة الزوجية مقابل طلا قها. ﴿إلاّ أن يخافا ألاّ يقيما حدود الله﴾ إلا أن يغلب على ظنهما أن لايلتزما بأوامر الله ونواهيه ﴿فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾ وقد نفى الجناح عنهما مع أن النهي في قوله: ﴿و لا يحل لكم أن تأخذوا﴾ إنما تعلق بالزوج لأن حرمة الأخذ على الزوج توجب حرمة الإعطاء على الزوجة؛ إلا في طلاق الخلع فيجوز توافقهما على الطلاق مع الفدية، فإذا استقر الخوف من أن لايقيما حدود الله؛ فلا جناح على الزوجة أن تعطي الفدية. ﴿تلك﴾ وهي الأحكام الفقهية المشوبة بمسائل أخلاقية ﴿حدود الله﴾ لتلتزموا بها ﴿فلا تعتدوها﴾ إذ لا ينبغي تجاوزها. ﴿ومن يتعدّ حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾ فالإسلام دين الفعل وشريعة العمل. ٢٣٠ ـ ﴿فإن طلقها﴾ الطلقة الثالثة ﴿فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره﴾ وذلك بأن يتم العقد والوطء، لأن الحرمة الأولى تتعلق بهما ﴿فإن طلقها﴾ الزوج الثاني ﴿فلا جناح عليهما أن يتراجعا﴾ إلى الزوجية بالعقد بالتوافق من الجانبين ﴿إن ظنا﴾ وهو شرط واجب ﴿أن يقيما حدود الله﴾ فليسا متروكين لنفسيهما وشهواتهما ونزواتهما من تجمع وافتراق. ﴿وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون﴾ لأن الحدود الفقهية الأخلاقية يجب أن تطبق بصورة تتلائم مع صلاح المجتمع. وفي الآية من عجيب الإيجاز ما يبهت العقل، فالكلام مشتمل على أربعة عشر ضميراً مع اختلاف مراجعها، دون تعقيد في الكلام ولا إغلاق في الفهم.

لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَـٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَـٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَـٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

٢٣١ ـ ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن﴾ أي أشرفن على انقضاء عدتهن ﴿فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف﴾ إذ لا معنى للإمساك ولا التسريح بعد إنقضاء العدة ﴿ولا تمسكوهنّ ضراراً لتعتدوا﴾ نهي عن الرجوع بقصد المضارة ـ لا آويك ولا أفارقك ـ ونهى عن التسريح بالأخذ من المهر في غير الخلع ﴿ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه﴾ فالزواج لتتميم السعادة لا للمضارة، ومن أمسك ضراراً فقد ظلم نفسه، وحملها على الانحراف عن طريق الفطرة. ﴿ولا تتخذوا آيات الله هزواً﴾ فإن الله قد شرع ليصلح فاسد الاجتماع ويسعد الإنسانية، وخلط شرعه بأخلاق فاضلة تتربى بها النفوس وتطهر بها الأرواح، ومن اقتصر دينه على ظواهر الأحكام فقد اتخذ آيات الله هزواً ﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾ وهي نعمة الدين أو حقيقته، وهي السعادة التي تنال بالعمل بشرائع الدين ﴿وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة﴾ في ظاهرالشريعة وباطنها ﴿يعظكم به﴾ لتلتزموا بها وتلتزموا صراط السعادة ﴿واتقوا الله﴾ ليكتمل كمال حياتكم ونعمة وجودكم ﴿واعلموا أن الله بكل شيء عليم﴾ حتى لا يخالف ظاهركم باطنكم، ولاتجترئوا على الله بهدم باطن الدين في صورة تعمير ظاهره. ٢٣٢ ـ ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهنّ فلا تعضلوهنّ﴾ الخطاب لأوليائهن ألا يمنعوهن ﴿أن ينكحن أزواجهن﴾ الذين كانوا أزواجهن قبل أن يطلقوهن، سخطاً ولجاجاً. ولا دلالة في ذلك على أن العقد لايصح إلا بولي ﴿إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ والخطاب للجميع لأنه حكم يعم المجموع ﴿ذلكم﴾ أي عدم المنع عن رجوعهن إلى أزواجهن ﴿أزكى لكم وأطهر﴾ الزكاة هي النمو الصالح الطيب، ففيه اتصال بعد انفصال وتقوية لغريزة التوحيد، وتربية لملكة العفة والحياء فيهن وحفظ لقلوبهن عن الوقوع على الأجانب ﴿والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ إلا ما يعلمكم. ٢٣٣ ـ ﴿والوالدات﴾ وهن أخص من الأمهات ﴿يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾ والحول هو السنة سميت به لأنها تحول، وو صف بالكمال لأنه ذو أجزاء كثيرة ربما يسامح فيه؛ فيطلق على الناقص كالكامل ﴿لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ فحق الحضانة والإرضاع للوالدة المطلقة موكول إلى اختيارها. ﴿وعلى المولود له﴾ وهو الوالد وفيه إشارة إلى لحوق ولده به في تربيته وحياته ﴿رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف﴾ وهما النفقة واللباس بالمتعارف من حالهما إذ ﴿لاتكلف نفس إلا وسعها لا تضارّ والدة بولدها﴾ فلا يحق أن يتخذ من الطفل وسيلة للإضرار بأمه بمنعها حق الحضانة والإرضاع ﴿ولامولودٌ له﴾ ولا والد ﴿بولده﴾ كأن يمنع من رؤية ابنه ﴿وعلى الوارث مثل ذلك﴾ فالذي جعل على الوالد من الكسوة والنفقة مجعول على وارثه إذا مات ﴿فإن أرادا فصالاً﴾ فطاماً قبل أوانه ﴿عن تراض منهما وتشاور﴾ أي عن اجتماع على المشورة، إذا رضيت أو إذا مرضت أو إذا انقطع لبنها ﴿فلا جناح عليهما﴾ ولا بأس، ﴿وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم﴾ بمرضعة مأجورة ﴿فلا جناح عليكم إذا سلمتم ماآتيتم بالمعروف﴾ ضمان لأن تكون المرضع ناصحة للطفل راعية له ﴿واتقوا الله واعلموا أنّ الله بما تعملون بصير﴾ أمر بالتقوى وأن يكون هذا التقوى بإصلاح صورة هذه الأعمال.

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

٢٣٤ ـ ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهرٍ وعشراً﴾ وهي فترة العدة إذا لم تكن حاملاً ﴿فإذا بلغن أجلهن﴾ أي انقضت عدتهن ﴿فلا جناح عليكم﴾ فلا سبيل لأحد عليها من أهل الزوج والزوجة ﴿فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف﴾ فإن اخترن لأنفسهن الأزواج فلهن ذلك ﴿والله بما تعملون خبيرٌ﴾ فكل التشريعات والأعمال مستندة إلى الخبرة الإلهية فلذلك عليهن أن يتربصن في مورد ويخترن في مورد آخر. ٢٣٥ ـ ﴿ولا جناح عليكم فيما عرّضتم به﴾ التعريض هو التلميح وهو الميل بالكلام إلى جانب ليفهم المخاطب أمراً مقصوداً دون تصريح ﴿من خطبة النساء﴾ من تكليمهن بأمر الزواج ﴿أو أكننتم في أنفسكم﴾ أي سترتم في أنفسكم ﴿علم الله أنكم ستذكرونهن﴾ وهذا أمر فطري، والله لا ينهى عنه ﴿ولكن لا تواعدوهن سراً﴾ على الزواج قبل انقضاء العدة ﴿إلا أن تقولوا قولاً معروفاً﴾ لا منكر فيه ولا غش ولا مخالفة لحدود الله. ﴿ولا تعزموا عقدة النكاح﴾ العزم عقد القلب على الفعل، والعقدة من العقد بمعنى الشد. فالمعنى ولا تجروا عقد النكاح ﴿حتى يبلغ الكتاب أجله﴾ حتى تنقضي العدة. ﴿واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه﴾ فلا تخالفوا أمره في خطبة المعتدات والتعريض لهن ومواعدتهن سراً فهذه الأمور من موارد الهلكات ﴿واعلموا أن الله غفورٌ حليمٌ﴾ فهو لا يرتضي لكم هذه الأمور كل الارتضاء؛ وإن كان قد أجاز ما أجاز منها. ٢٣٦ ـ ﴿لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن﴾ ما لم تواقعوهن ﴿أو تفرضوا لهن فريضة﴾ وهي المهر فعدم مس الزوجة وعدم ذكر المهر لا يمنع من صحة الطلاق. ﴿ومتعوهن﴾ أي أعطوهن ما يتمتع به ﴿على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف﴾ فكل حسب حاله وهذا يختص بالمطلقة غير المفروض لها التي لم تُمس ولم يُسَم مهرها. ﴿حقاً على المحسنين﴾ أي حق الحكم على المحسنين، وبما أن الإحسان ليس واجباً استلزم كون الحكم استحبابياً، ولكن نصوص أهل البيت تفسر الحكم بالوجوب. ٢٣٧ ـ ﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن﴾ أي قبل الدخول بهن ﴿وقد فرضتم لهن فريضة﴾ وسميتم لهن المهر ﴿فنصف ما فرضتم﴾ من المهر ﴿إلا أن يعفون﴾ أي تعفو المطلقات ﴿أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح﴾ أي وليهن ﴿وأن تعفوا أقرب للتقوى﴾ لأن من أعرض عن حقه الثابت له شرعاً؛ فهو أقوى وأقدر على الإعراض عما ليس له بحق من محارم الله سبحانه. ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ الفضل هو الزيادة في مكارم الأخلاق هنا، و ذلك بالترغيب بالإحسان بالعفو عن الحقوق والتسهيل والتخفيف من الزوج للزوجة وبالعكس ﴿إن الله بما تعملون بصير﴾ فالتقوى تكون بإصلاح صورة الأعمال والله يعلمها.

٢٣٨ ـ ﴿حافظوا على الصلوات﴾ أقيموا الصلوات في أوقاتها، فحفظ الشيء ضبطه ﴿والصلاة الوسطى﴾ هي الواقعة في وسطها ولا يظهر من كلامه تعالى ما هو المراد من الصلاة الوسطى؛ وقد ورد أنها صلاة الجمعة، وورد أنها صلاة الظهر، وقيل إنها صلاة الصبح وقيل إنها العصر وقيل إنها المغرب وقيل إنها العشاء. ﴿وقوموا لله قانتين﴾ القيام بأمر كناية عن تقلده والتلبس بفعله. والقنوت هو الخضوع بالطاعة. ٢٣٩ ـ ﴿فإن خفتم﴾ خوفاً لا يدع مجالاً لإقامة الصلاة تجاه القبلة ﴿فرجالا أو ركباناً﴾ صلوا كما يقتضيه حالكم ـ صلاة الخوف ـ . ﴿فإذا أمنتم﴾ عاد وجوب الصلاة عليكم، لأن المحافظة على الصلاة أمر غير ساقط من أصله فهو واجب عليكم ﴿فاذكروا الله﴾ ذكراً كثيراً ﴿كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ من الصلاة المفروضة المكتوبة في حال الأمن، في ضمن ما علمكم من شرائع الدين. ٢٤٠ ـ ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً﴾ فليوصوا ﴿وصية لأزواجهم﴾ ينتفع بها أزواجهم بها ويتمتعن ﴿متاعاً إلى الحول﴾ في وصية الميت تسمح بالبقاء في بيته والعيش من ماله حولاً كاملاً، متاعاً ﴿غير إخراج﴾ لهن من بيوتهن ﴿فإن خرجن﴾ وتركن هذا الحق ﴿فلا جناح عليكم في ما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم﴾ وهذه الآية منسوخة بآية عدة الوفاة وآية الميراث بالربع والثمن. ٢٤١ ـ ﴿وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين﴾ تعليق ثبوت الحكم بوصف التقوى مشعر بالاستحباب؛ وذلك لتطيب به نفس المطلقة مدخولاً بها أو غير مدخول. ٢٤٢ ـ ﴿كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون﴾ الأصل في معنى العقل العقد والإمساك، وبه سمي إدراك الإنسان إدراكاً يعقد عليه عقلاً، وما أدركه يسمى عقلاً وقوة تميز الخير من الشر. ٢٤٣ ـ ﴿ألم تر﴾ ألم تعلم ـ عدَّ العلم رؤية ـ وهذا لتأكيد العلم ﴿إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت﴾ والحذر من الموت لا يجدي، والفزع والهلع لايمدان في العمر ولا يردان القضاء ﴿فقال لهم الله موتوا﴾ الأمر تكويني؛ ولا ينافي كون موتهم واقعاً عن مجرى طبيعي كالطاعون كما تقول الروايات ﴿ثم أحياهم﴾ فعاشوا ـ وهذا تعيير أدل على نفوذ أمره سبحانه وغلبة قدرته ـ ﴿إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون﴾ تكرار كلمة الناس دليل على انخفاض سطح أفكارهم. وقد تفضل الله على طائفة منهم بالإحياء. والآية مع ما بعدها تتعرض لفرض القتال، وتناسب ما في الجهاد من إحياء الملة بعد موتها. وذكر أن الآية مثل ضربه الله لحال الأمة وقد بسط الأجانب سلطانهم عليها، ثم حياتها بنهضتها في الدفاع عن نفسها واستقلالها في حكومتها. ٢٤٤ ـ ﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾ فرض وإيجاب للجهاد، مع قيده بأنه في سبيل الله؛ لا لإيجاد سلطة دنيوية زائلة؛ ولا تحت راية عصبية أو قومية أو جاهلية أو وطنية؛ بل لتوسعة سلطة الدين التي فيها صلاح الناس في دنياهم وآخرتهم ﴿واعلموا أن الله سميعٌ عليمٌ﴾ تحذير للمؤمنين في سيرهم أن لايخالفوا بالقول، فهو يسمع قولهم وأن لايضمروا نفاقاً فهو عليم بقلوبهم. ٢٤٥ ـ ﴿من ذا الذي يقرض الله﴾ عده الله قرضاً لنفسه للترغيب ولأنه في سبيله ﴿قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾ ليستريح ويتهيج للعطاء ﴿والله

حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ۖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

يقبض ويبسط وإليه ترجعون﴾ القبض الأخذ بالشيء إليك ويقابله البسط، وإيراد صفاته الثلاث ـ وهي كونه قابضاً وباسطاً ومرجعاً يرجعون إليه ـ للإشعار بأن ما أنفقوه بإقراضه تعالى لايعود باطلاً، ولا يستبعد تضعيفه أضعافاً كثيرة. فهو القابض ـ ينقص ما يشاء ـ والباسط ـ يزيد ما يشاء ـ وإليه ترجعون، فيوفيكم ما أقرضتم أحسن توفية. ٢٤٦ ـ ﴿ألم تر إلى الملإ﴾ وهي جماعة الناس سميت بالملأ لأنها تملأ العيون عظمة وبهاء ﴿من بني إسرائيل من بعد موسى﴾ وكان جالوت قد تملكهم ﴿إذ قالوا لنبيّ لهم﴾ بعد أن اشتد عليهم الأمر ﴿ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله﴾ تحت إمرته ﴿قال هل عسيتم إن كُتب عليكم القتال ألاّ تقاتلوا﴾ فأنتم الآن في سعة من الأمر، أما إذا استجيب لكم فيكون القتال فريضة عليكم ولا سبيل بعدها إلى النكول؛ على أن نبيهم أرجع الأمر إليه تعالى لأن الأمر ليس له بل لله سبحانه ولم يصرح باسمه تعظيماً؛ وخاصة أن مخالفتهم كانت مرجوة منهم ظاهرة من حالهم، و مع ذلك أوردها بطريق الاستفهام ليتم الحجة عليهم فيما سيجيبون به من قولهم ﴿قالوا وما لنا ألاّ نقاتل في سبيل الله وقد أُخرجنا من ديارنا وأبنائنا﴾ نسب الإخراج إلى الأبناء والبلاد لأن فيه منعهم من التصرف في بلادهم والتمتع بها ﴿فلمّا كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم﴾ وهذا ما كان متوقعاً منهم ﴿والله عليمٌ بالظالمين﴾ فالله أوحى لنبيه أنهم سيتولون عن القتال. ٢٤٧ ـ ﴿وقال لهم نبيُّهم إنّ الله قد بعث لكم طالوت﴾ من ولد بنيامين وهو أخ ليوسف لأمه وأبيه فكانت النبوة في بيت لاوي والملك في بيت يوسف ﴿ملكاً﴾ فاعترضوا على اختيار الله طالوت؛ وهذا دأب بني إسرائيل في رفض أوامر الله وفي المراء عن الحق وفي كتمانه وهم يعلمون ﴿قالوا أنّى يكون له الملك علينا﴾ ـو هم يعتبرون أن بيت النبوة وبيت الملك في بني إسرائيل ـ وهو ليس من هذين البيتين، ﴿ونحن أحق بالملك منه﴾ لأن الله جعل الملك فينا؛ فكيف يقبل الإنتقال إلى غيرنا؟ ﴿ولم يؤت﴾ طالوت ﴿سعة من المال﴾ وهذا الكلام إنكار منهم للبداء وجواز النسخ والتغيير، حيث قالوا بأن يد الله مغلولة. ولكن المعايير الأرضية التي يقيسون بها مرفوضة عند الله ولا قيمة للمال ولا مكان له في اختيار الحاكم، لأن المال مفسدة والأمر دائماً لله فكان الجواب ﴿قال إن الله اصطفاه﴾ واختاره ﴿عليكم وزاده بسطةً﴾ سعة وقدرة ﴿في العلم والجسم﴾ فالملك لاستقرار السلطة، ولتجتمع الأمة تحت إرادة واحدة، وتتصل بزمام واحد، ولا يزاحم فرد فرداً بغير حق، ولا يتم ذلك إلا بالعلم بمصالح حياة الناس ومفاسدها، وبالقدرة الجسمية. وأما سعة المال وعدُّها من مقومات الملك فهو من الجهل. ﴿والله يؤتي ملكه من يشاء﴾ فالملك لله وحده؛ ليس لأحد فيه نصيب إلا ما آتاه الله سبحانه منه، فلا يسأل عن علة التصرف وهو السبب المطلق. وهذا لا يعني أن الإيتاء والإفاضة الإلهية تقع جزافاً خالية عن الحكم والمصالح ـ سواء صادف المصلحة أم لم يصادفها ـ بل الله لايفعل إلا الجميل، ولايخلق إلا الحسن ﴿والله واسعٌ﴾ يده مبسوطة في الإعطاء والتصرف ﴿عليمٌ﴾ يقع فعله عن علم ثابت غير مخطئ. ٢٤٨ ـ ﴿وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت﴾ وهو الصندوق ـ من التوب بمعنى

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

الرجوع ـ لأن الإنسان يرجع إلى الصندوق. ﴿فيه سكينةٌ من ربكم﴾ وهي استقرار الإنسان وعدم اضطراب باطنه في تصميم إرادته على ما هو حال الإنسان الحكيم، والسكينة من مراتب كمال الإيمان ﴿وبقيةٌ مما ترك آل موسى وآل هارون﴾ وآل الرجل خاصته من أهله وهو منهم. والتابوت فيه نسخة الألواح ﴿تحمله الملائكة إن في ذلك لآيةً لكم إن كنتم مؤمنين﴾ فالذي يخلو قلبه من الإيمان لن تصل إليه السكينة. ٢٤٩ ـ ﴿فلما فصل﴾ فارق ﴿طالوت بالجنود﴾ والجند المجتمع الغليظ أو سمي العسكر جنداً لتراكم الأشخاص وغلظتهم. وجمع الجند دلالة على كثرة عددهم ﴿قال﴾ طالوت ﴿إن الله مبتليكم﴾ اختبار للإرادة التي تضبط الشهوات والنزوات، وتصمد للحرمان؛ ليُعلم من ينقلب على عقبيه، فالله مختبركم ﴿بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمْه فإنه مني﴾ فهو امتحان لمن ثبت ولمن انقلب على عقبيه ﴿إلا من اغترف غُرفةً بيده﴾ وهي الطائفة الثالثة وهم من طالوت. وهذه إشارة إلى شأن بني إسرائيل ونقضهم مواثيقهم؛ فإنهم سألوا بعث الملك وشددوا الميثاق، وكانوا من الكثرة بحيث بقي الكثير من الجنود بعدما تولوا عن القتال. ﴿فشربوا منه﴾ فتخلفوا بشرب النهر ﴿إلا قليلاً منهم﴾ من القليل؛ مع شائبة فشل ونفاق بينهم من جهة المغترفين ومع ذلك كان النصر للذين آمنوا وصبروا ﴿فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده﴾ بعد أن أرهبتهم قوة عدوهم ﴿قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله﴾ وظنهم إما بمعنى اليقين بلقاء الله، أو كناية عن الخشوع. وهنا تبرز الفئة المؤمنة حقاً، وهي القِلَّة المُختارة التي قالت ﴿كم من فئةٍ﴾ أخذاً بالواقع في الاجتماع بإراءة المصداق ليكون أقنع للخصم ﴿قليلةٍ غلبت فئةً كثيرةً بإذن الله﴾ فالنصر من الله ولا ناصر إلا هو ﴿والله مع الصابرين﴾ ولن يخذلهم، وهو الذي ينصرهم على أعدائهم؛ فالصبر مفتاح نصر الله. ٢٥٠ ـ ﴿ولما برزوا﴾ وظهروا ﴿لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً﴾ أفض علينا صبراً ﴿وثبت أقدامنا﴾ لنقارع خصومنا ونجابههم ﴿وانصرنا على القوم الكافرين﴾ الذين يرفضون حكم الله وشريعته ومنهجه. ٢٥١ ـ ﴿فهزموهم﴾ ودفعوهم ﴿بإذن الله وقتل داوودُ﴾ ـ وكان فتىً صغيراً من بني إسرائيل ـ ﴿جالوت﴾ الملك القوي والقائد المخيف. ولقد أراد الله ذلك ليري البشر أن الصغير المؤمن يغلب القوي الجبار حين يشاء ﴿وآتاه الله الملك﴾ بعد طالوت ﴿والحكمة وعلمه مما يشاء﴾ وكان عهده وعهد سليمان العهد الذهبي لبني إسرائيل ﴿ولولا دفع اللهِ الناسَ بعضهم ببعضٍ لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضلٍ على العالمين﴾ إن المراد بفساد الأرض فساد من على الأرض، ففساد الإجتماع الإنساني يستتبع فساداً في أديم الأرض. واختلاف المنافع يتطلب المزاحمة والممانعة في الحرب والسلم، ويبدأ كل بالدفاع عن حقه لينتفع به، ثم ينتفع بهذا الحق في تحميل إرادته على غيره، أو في دفع إرادة غيره عنه. وهذا الدفع إحياء للحق بعد موته بسبب جهل الناس. ٢٥٢ ـ ﴿تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق﴾ فهي كالخاتمة للقصة ﴿وإنك لمن المرسلين﴾ يامحمد.

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

٢٥٣ ـ ﴿تلك الرسل﴾ تفخيم لأمر الرسل والرسالة فضيلة مشتركة بينهم وقد ﴿فضلنا بعضهم على بعضٍ﴾ مع اجتماعهم في مجمع الكمال وهو التوحيد. وقد سمى تعالى ماللأنبياء تفضيلاً ونسبه إلى نفسه، وسمى ماعند الناس اختلافاً ونسبه إلى أنفسهم. على أن مقام الرسالة مع ما فيه من كمال لايوجب ارتفاع القتال؛ لاستناده إلى اختلاف الناس، فالبغي والرذيلة واللجاج سبب للتنازع، ولاسبيل لتصفية الأرض من خصوم الإيمان إلا بالقتل. فالحجة لاتنجع إلا إذا شفعت بالسيف، ليستقيم منهج الله كما جاءت به الرسل ﴿منهم من كلّمَ اللهُ ورفع بعضهم درجاتٍ﴾ فمن الصفات ماهو فاضل بذاته كالآيات البينات وكالتأييد بروح القدس، ومنها ما يستلزم الفضيلة بالإضافة كالتكليم لموسى. ﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات﴾ وهي الخوارق التي أجراها سبحانه على يده ﴿وأيدناه بروح القدس﴾ وهو حامل الوحي للرسل ﴿ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر﴾ حيث ابتعدت كل فئة عن دينها ورسالة نبيها؛ لتحقق مكاسب لنفسها وعبودية لغيرها. وماكان ذلك ليتم إلا بالانفلات عن منهج السماء، إذ لا يجتمع الإيمان والكفر لأنه لايجتمع حكم الله مع حكم البشر، ولايلتقي منهج السماء مع قوانين من كفر ﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد﴾ فالقتال لدفع الكفر بالإيمان. والإرادة الربانية غير مغلوبة وقدرة الله غير باطلة. ٢٥٤ ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم﴾ فكل ماعندكم رزق من الله لكم ﴿من قبل أن يأتي يومٌ لا بيعٌ فيه﴾ تربح فيه الأموال ويُشترى مايُبتغى ﴿ولا خُلّةٌ﴾ يعين بعضهم بعضاً ـ وقد تقطعت بهم الأسباب ـ ﴿ولا شفاعةٌ﴾ ترد عنهم عاقبة التقصير بالإنفاق ﴿والكافرون هم الظالمون﴾ فالاستنكاف عن الإنفاق كفر وظلم. ٢٥٥ ـ ﴿الله لا إله إلا هو الحيُّ﴾ ذو الحياة الثابتة؛ أما حياة الإنسان فمع أنها وجود يترشح عنه العلم والقدرة؛ فهي تبطل بالموت. لذلك فإن الحياة الأخروية هي الحياة بحسب الحقيقة لأنه لايطرأ عليها موت، والله هو الحي، والحياة له حصراً إلا ما أفاضه لغيره وهو ﴿القيوم﴾ فهو قائم بذاته، وبه تقوم كافة المخلوقات وهو يقوم بحفظها وتدبيرها ويقدر عليها، وقيامها محصور بقيوميته. ﴿لا تأخذه سنةٌ ولا نومٌ﴾ ترق في التعبير والبلاغة ﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ لأن له القيومية التامة، فله الملك والسلطان المطلق في الوجود كله، ولا تصرف إلا وهو له ومنه فلا تأثير إلا به. وتصرف العلل والأسباب هو توسط في التصرف، أو شفاعة في موارد المسببات. واستقلال الشفيع في التصرف في أمر المستشفع له ينافي السلطان الإلهي والتصرف الربوبي. ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ وهو القيوم وهو مالك الأسباب، وهو عالم الغيب والشهادة. ﴿يعلم مابين أيديهم وما خلفهم﴾ وهو محيط بهم، حاضر معهم، موجود عندهم؛ ومحيط بما هو غائب آت خلفهم، له تمام الإحاطة الربوبية والسلطة الإلهية ﴿ولا يحيطون بشيءٍ من علمه إلا بما شاء﴾ في تبديل العلم إحاطة لطف ظاهر.

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾ وهو المقام الربوبي الذي يقوم به ما في السموات والأرض، وبسعته يتم حفظ كل شيء مما في السموات والأرض بذاته وآثاره ﴿ولا يؤده﴾ ولا يتعبه ولا يجهده ولا يثقل عليه ﴿حفظهما وهو العلي﴾ تعالى عن أن تناله أيدي المخلوقات فيوجبوا ضعفاً في وجوده وفتوراً في أمره ﴿العظيم﴾ بحيث لايجهده أمر الخلق، ولا يطيقه عظمة السموات والأرض فهو أعظم من كل شيء.

٢٥٦ ـ ﴿لا إكراه﴾ لاحمل على الفعل من غير رضى ﴿في الدين﴾ لأن الدين هو سلسلة من المعارف العلمية والعملية تشكل الاعتقادات. والاعتقاد من الأمور القلبية التي لايحكم فيها الإكراه، فالجهل لاينتج علماً ﴿قد تبين الرشد﴾ وهو إصابة وجه الأمر ومحجة الطريق ﴿من الغي﴾ وهو العدول مع نسيان الغاية، فلا يدري ماذا يريد وماذا يقصد. فالإكراه والإجبار أمران يركن إليهما الآمر في الأمور المهمة التي لاسبيل إلى بيان وجه الحق فيها؛ لبساطة فهم المأمور ورداءة ذهن المحكوم؛ فالإسلام دين رشد في اتباعه وغيٌّ في تركه، ولا موجب لأن يكره عليه أحد. وهذا ينافي ما زعموه من أن الإسلام بني على السيف والدم؛ واستدلوا على ذلك بالجهاد؛ على أن الجهاد ليس لبسط الدين بالقوة؛ بل لإحياء الحق، والدفاع عن أنفس متاع للفطرة؛ وهو التوحيد. ﴿فمن يكفر بالطاغوت﴾ الطاغوت هو الطغيان وتجاوز الحد؛ ويحصل بواسطة المعبودات؛ كالأصنام والشياطين والجن، وأئمة الضلال من أئمة المناهج الفكرية الوضعية. وقدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله ليوافق الإستمساك بالعروة الوثقى التي تقتضي أن يكفر الإنسان بالطاغوت ويترك كل شيء ﴿ويؤمن بالله﴾ والإيمان أخذ ـ ﴿فقد استمسك﴾ أي تمسك بشدة ﴿بالعروة الوثقى﴾ والعروة الوثقى هي كل ما له أصل من النبات وما لايسقط ورقه، وهي ما يؤخذ به من الشيء، فالإيمان بالنسبة إلى السعادة كالعروة بالنسبة إلى الإناء. ﴿لا انفصام لها﴾ لانقطاع ولا انكسار ﴿والله سميعٌ عليمٌ﴾ فالإيمان والكفر متعلقان باللسان والقلب.

٢٥٧ ـ ﴿الله وليُّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ وهذا إخراج حقيقي غير مجازي، وقد ذكروا أن النور هو الاعتقاد الحق بما يرتفع به ظلمة الجهل وحيرة الشك واضطراب القلب، والنور هو صالح العمل لأن رشده بيِّن. والظلمة هي الجهل في الاعتقاد والشبهة والريبة وطالح العمل. ولكن يمكن القول: إن الإنسان بحسب خلقته على نور الفطرة؛ ولكنه في ظلمة بالنسبة إلى المعارف الحقة والأعمال الصالحة ـ ويمكن اجتماع النور والظلمة هذين ـ والمؤمن بإيمانه يخرج من هذه الظلمة إلى نور المعارف والطاعات. فالنور واحد والظلمات مشتتة. ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ لقد خرجوا من نور الحق والفطرة إلى ظلمات الشك والريب ومرغوا وجوههم بالتوجه إلى ألف معبود فكانت لهم النار؛ وفي الآية إشارة إلى الخلود في جهنم.

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

٢٥٨ ـ ﴿ألم تر إلى الذي حاجَّ إبراهيم في ربه﴾ المحاجة هي إلقاء الحجة قبال الحجة لإثبات المدعى أو لإبطال ما يقابله ـ وأصل الحجة هو القصد ـ والذي حاجَّ إبراهيم (ع) هو نمرود من ملوك بابل ﴿أن آتاه الله الملك﴾ فقد تذرع نمرود بدعوى أن الله قد آتاه الملك واحتج بنعمة ليس له يد فيها بدل أن يحتج بما لا يملك، فملكه من الله وهو الذي أعطاه الملك، ومع ذلك فقد استعمل ضد الشيء للشكوى. فدل على كفرانه لنعمة الله. وهذا يدل على رداءة دعواه من رأسها؛ فنعمته من ربه، لأنه لم يكن إلا واحداً من سواد الناس. ولذلك لم يذكر اسمه دلالة على حقارة شخصه وخسة أمره. ﴿إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت﴾ فالله واهب الحياة لكل الموجودات ﴿قال﴾ نمرود ﴿أنا أحيي وأميت﴾ ادعى أنه متصف بما وصف به إبراهيم ربه الذي يجب عليه أن يخضع له ويعبده دون الأصنام؛ ولم يقل وأنا أحيي وأميت لأن لازم العطف أن يشارك الله في ربوبيته؛ ومطلوبه التفوق، ولم يقل والآلهة تحيي وتميت، فهو لم يعارض إبراهيم (ع) بالحق، بل بالمغالطة وتلبيس الأمر على من حضر؛ وأمر بإحضار رجلين من السجن، فأمر بقتل أحدهما وإطلاق الآخر ـ ولكن هذه الحجة لاتعارض حجة إبراهيم ـ فالتبس الأمر على الحضور. ووجد إبراهيم أنه لو بين وجه المغالطة لم يصدقه أحد فعندها ﴿قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب﴾ فالشمس وإن كانت من جملة الآلهة إلا أن رب الأرباب يسيرها، والفاعل الإرادي إذا اختار فعلاً كان له أن يختار خلافه ﴿فبهت الذي كفر والله لايهدي القوم الظالمين﴾ ـوفي هذا الوصف إشعار بالعلية ـ فالسبب لعدم هداية الظالمين هو ظلمهم. والظلم هو الإنحراف عن صراط العدل مما يؤدي إلى الخيبة والخسران.

٢٥٩ ـ ﴿أو كالذي مرَّ على قرية﴾ بعد الهداية بالبرهان والاستدلال كما في قصة الذي حاج إبراهيم في ربه ـ حيث هدى إبراهيم لقول الحق ولم يهد الذي حاجه بل أبهته كفره ـ تأتي في مرتبة الهداية بالإشهاد والإراءة في ذكر الذي مر على قرية ﴿وهي خاويةٍ على عروشها﴾ تليها قصة إبراهيم والطير حيث كانت الهداية إلى الحق مع بيان الواقعة بإشهاد الحقيقة والعلة التي تترشح منهما الحادثة، أي بإراءة السبب والمسبب معاً ﴿قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها﴾ أي كيف يحيي أهل هذه القرية ـ وقوله استعظام للأمر ولقدرة الله من غير استبعاد يؤدي للإنكار ـ ﴿فأماته الله مائة عام ثم بعثه﴾ بقبض روحه وإبقائه على هذه الحال مائة عام ثم ردَّ روحه إليه ﴿قال كم لبثت﴾ أي كم مكثت ﴿قال لبثت يوماً أو بعض يوم﴾ وهذا دليل على اختلاف وقت إماتته وإحيائه كأول النهار وآخره ﴿قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنَّه﴾ فهو غير متعفن ولا آسن ﴿وانظر إلى حمارك﴾ وقد صار عظاماً رميمة تدل على طول مدة المكث، بينما حال الطعام والشراب يدل على إمكان أن يبقى طول هذه المدة على حال واحد ﴿ولنجعلك آيةً للناس﴾ فليس الأمر منحصراً في بيان الأمر له فقط ﴿وانظر إلى العظام﴾ بيان له فقط ﴿كيف ننشزها﴾ ننميها ﴿ثم نكسوها لحماً﴾ ونرد الحياة إليها ﴿فلما تبين له﴾ رجوع منه إلى علمه قبل التبين ﴿قال أعلم أن الله على كل شيءٍ قديرٌ﴾ ـصدق ما اعتمد عليه من العلم ـ وقال: إلهي لم تزل تنصح لي وتهديني وأنا أؤمن عن علم بقدرتك.

٢٦٠ ـ ﴿وإذ قال إبراهيم ربِّ أرني كيف تحيي الموتى﴾ سأل عن كيفية الإحياء لا عن أصل الإحياء، وسأل عن البيان بالإراءة والإشهاد لابالاحتجاج والاستدلال، والسؤال ليس عن كيفية قبول الأجزاء المادية الحياة بل عن كيفية إفاضة الله الحياة على الأموات. ﴿قال أو لم تؤمن قال بلى﴾ بلى رد على النفي ليكون إثباتاً ﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾ والطمأنينة سكون النفس بعد انزعاجها واضطرابها ﴿قال فخذ أربعة من الطير فصرهنّ إليك﴾ من صار يصور إذا قطع أو أمال، أو من صار يصير. فالمعنى اقطعهن مميلاً إياهن إليك، أو أملهن إليك قاطعاً ومازجاً إياهن بعد أن تعرفهن فلا تشك بهن ﴿ثم اجعل على كل جبلٍ منهن جزءاً﴾ لتتباعد على الجبال وهي غير متميزة ﴿ثم ادعهنّ﴾ بأسماء أنواعهن أي ياطاووس ويا فلان. ﴿يأتينك سعياً﴾ أي يتجسدن ويسرعن بالمجيء إليك ﴿واعلم أن الله عزيزٌ حكيمٌ﴾. وقول ﴿اعلم﴾ ليزول ماخاطر قلب إبراهيم (ع)، فإن الله عزيز لايفقد شيئاً بزواله عنه، فأرواح الطيور بقيت في قبضته وحكيم لايفعل شيئاً إلا من طريقه اللائق به. وقد جمع الأجساد وأحضر الأرواح فقامت تسعى. ٢٦١ ـ ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله﴾ في طريق مرضاته سبحانه ﴿كمثل حبةٍ أنبتت سبع سنابل﴾ السنبل في معنى مادته الستر لأنه يستر الحبات ﴿في كل سنبلةٍ مائةُ حبةٍ﴾ وأن يكون في السنبلة مائة حبة؛ ليس عزيزاً على الله. ﴿والله يضاعف لمن يشاء﴾ فالأمة جسد واحد والفقير من الغني كالكف من الجسد ﴿والله واسعٌ﴾ لايضيق عطاؤه ولاينضب وهو ﴿عليمٌ﴾ بالنوايا ويثيب عليها. ٢٦٢ ـ ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذىً﴾ والمن هو ذكر ماينقص المعروف، والأصل في معناه على ما قيل القطع؛ والأذى هو الضرر العاجل أو اليسير ﴿لهم أجرهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم﴾ والخوف توقع الضرر ﴿ولا هم يحزنون﴾ الحزن هو الغم الذي يغلظ على النفس من مكروه واقع أو كالواقع. فهم لا يحزنون على مصيرهم في الآخرة. ٢٦٣ ـ ﴿قولٌ معروفٌ﴾ المعروف هو ما لا ينكره الناس ﴿ومغفرةٌ﴾ وهي الستر ﴿خيرٌ من صدقةٍ يتبعها أذىً﴾ لأن أذى المنفِق للمنفَق عليه يدل على عظم إنفاقه في عينه وتأثره عما يسوؤه من السؤال ـ وهما علتان يجب أن تنزاحا من نفس المؤمن ـ ﴿والله غنيٌ﴾ لايكبر عنده ما أنعم به ﴿حليمٌ﴾ لايغضب عند كل جهالة ولايتعجل في المؤاخذة على السيئة. ٢٦٤ ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى﴾ فالمن والأذى يسببان حبط مايسبقهما من الطاعات والصدقات ﴿كالذي ينفق ماله رئاء الناس﴾ فالمرائي غير مؤمن لأنه لا يقصد بأعماله وجه الله، وأعماله باطلة من رأس، أما عمل المانّ المؤذي فقد وقع صحيحاً ثم عرضه البطلان. ﴿ولا يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ فالرياء في عمل يستلزم عدم الإيمان بالله واليوم الآخر حيث الثواب على ما فعل. ﴿فمثله كمثل صفوانٍ عليه ترابٌ﴾ وهو الحجر الأملس ﴿فأصابه وابلٌ﴾ مطرٌ غزير ﴿فتركه صلداً﴾ أملسَ، فالمطر سبب لحياة الأرض واخضرارها؛ ولكن التراب إذا وقع على الصفوان الصلد لايستقر بل

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

يغسله الوابل، ولايبقى إلا الصلد الذي هو حال المرائين فهم ﴿لا يقدرون على شيءٍ مما كسبوا﴾ لأن العمل يحتاج إلى نية الإخلاص ﴿والله لايهدي القوم الكافرين﴾ الذين لاتنبت قلوبهم الخير. ٢٦٥ ـ ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله﴾ أي طلب رضاه فالآمر يستقبل المأمور أولاً بالأمر، فإذا امتثله استقبله بالرضى ﴿وتثبيتاً من أنفسهم﴾ فهم يقرون أنفسهم على الثبات على هذه النية الطاهرة النامية ﴿كمثل جنةٍ بربوةٍ﴾ والربوة هي الأرض الجيدة التي تزيد وتعلو في نموها ﴿أصابها وابلٌ فآتت أكلها ضعفين﴾ والأكل مايؤكل من الشيء ﴿فإن لم يصبها وابلٌ فطلٌ﴾ وهو أضعف المطر، القليل الأثر. فالعمل الصالح لاينفك أثره عنه ولاينفصل؛ وإن كانت مراتب العناية الإلهية مختلفة لاختلاف النية في الخلوص. ﴿والله بما تعملون بصيرٌ﴾ أي لايشتبه عليه أمر الثواب. ٢٦٦ ـ ﴿أيود﴾ أيحب ﴿أحدكم أن تكون له جنةٌ﴾ أي

مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

شجر كثير ملتف وسميت ذلك لأنها تجن الأرض وتسترها وتقيها من حر الشمس وهذه الجنة ﴿من نخيلٍ وأعنابٍ﴾ للتبيين والغلبة دون الاستيعاب ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ وتفيض خيراً ﴿له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر﴾ في السن ﴿وله ذريةٌ ضعفاء﴾ مع مساس الحاجة إلى الجنة لحفظ السعادة وتأمين العيش ﴿فأصابها إعصارٌ فيه نارٌ فاحترقت﴾ وانقطعت الأسباب عنهم؛ فلا هو يستطيع أن يسترجع قوته ولا لذريته قوة، ولا لهم رجاء أن ترجع الجنة إلى نضارتها. وهذا مثل الذين يتبعون ما أنفقوا مناً وأذى ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾ لتميزوا النافع من الضار، ولو تفكرتم لتبصرتم. ٢٦٧ ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم﴾ فالله يأمركم أن تنفقوا مما تحبون ﴿ومما أخرجنا لكم من الأرض﴾ فكل النعم تخرج من الأرض ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾ أي لا تقصدوا وتعمدوا إلى الخبيث منه ﴿ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه﴾ فهو لايتصف بالجود والسخاء بل بصورة التخلص، فلا يفيد في كمال النفس ﴿واعلموا أن الله غنيٌ حميدٌ﴾ يتقبل الطيب ويجزي ماأنفقتم بحمده، وهو غني محمود لاينبغي أن تواجهوه بما لايليق بجلاله. ٢٦٨ ـ ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾ إقامة للحجة على أن الإنفاق من خبيث المال ليس بخير للمنفقين ﴿والله يعدكم مغفرةً منه وفضلاً﴾ فالذي يغني ويقني هو الله سبحانه دون المال. والشيطان يخوف أولياءه من ذهاب المال بالإنفاق؛ ولكن الشيطان لايأمر إلا بالباطل ﴿والله واسعٌ﴾ يسعه أن يعطي ما وعد من المغفرة والزيادة ﴿عليمٌ﴾ لايجهل شيئاً ولاحالاً. ٢٦٩ ـ ﴿يؤتي﴾ يعطي ﴿الحكمة من يشاء﴾ والحكمة هي الإحكام و الإتقان أو هي الأمر الذي لايقبل البطلان والكذب ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ فيستطيع بها وضع الأمور في نصابها مع تبصر وروية وإدراك، فلا يصاحبها فحش ولا تعدٍّ للحدود ولاضلال بتقدير الأمور وهو الخير الكثير ﴿وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ واللب هو العقل لأنه بمنزلة اللب من القشر؛ والتذكر هو الإنتقال من النتيجة إلى مقدماتها أو من الأشياء إلى نتائجها. واقتناص الحكمة يدل على التذكر والتذكر يتوقف على العقل ولاحكمة لمن لاعقل له.

٢٧٠ ـ ﴿وما أنفقتم من نفقةٍ أو نذرتم من نذرٍ فإن الله يعلمه﴾ فما دعاكم الله إليه من نفقة، أو ما دعوتم أنفسكم إليه بإيجابه بالنذر من بذل المال، فلا يخفى على الله فهو يثيب من أطاعه ويؤاخذ من ظلم ﴿وما للظالمين من أنصارٍ﴾ فيه إيماء إلى التهديد بظلم الفقراء في الإمساك عليهم، على أن هذا الظلم لايقبل التكفير والتوبة ولاشفاعة له فعدم الإنفاق من الكبائر.

٢٧١ ـ ﴿إن تبدوا الصدقات فنعمّا هي﴾ والصدقات هي مطلق الإنفاق، وهي غير محدودة بحدود وإظهارها دعوة عملية إلى المعروف وتطييبٌ لنفوس الفقراء وتماسك للمجتمع ﴿وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء﴾ فتكون أبعد من الرياء والمن والأذى، مع حفظ لنفوس المحتاجين عن الخزي والمذلة وصون لماء وجوههم عن الابتذال. ﴿فهو خيرٌ لكم﴾ لأنها أخلص طهارة بينما صدقة العلن أكثر نتاجاً ﴿ويكفر عنكم من سيئاتكم﴾ إثابة لكم ﴿والله بما تعملون خبير﴾ فهو لا يخطىء تمييز الخير من غيره، وخبير بخفايا الأنفس.

٢٧٢ ـ ﴿ليس عليك هداهم﴾ خطاب للرسول ﴿ولكن الله يهدي من يشاء﴾ فالإنفاق دون مَنٍّ ولا أذى هو هدى من الله لمن عمر الإيمان قلبه، فلايحزنك تثاقل ومنُّ وأذى بعض المؤمنين في إنفاقهم ﴿وما تنفقوا من خيرٍ﴾ عودة بخطاب المؤمنين ﴿فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله﴾ مع تنزيه ساحة المتكلم الداعي عن الانتفاع بما يتعقب هذه الدعوة من المنافع. ﴿وما تنفقوا من خيرٍ يوف إليكم﴾ يعود خيره لكم فلا تتوهموا أن هذا النفع لا مصداق له في الخارج ﴿وأنتم لاتظلمون﴾ فستنالون مثوبة الدنيا والآخرة واقعاً لاوهماً فلا يسوءنكم إنفاقكم.

٢٧٣ ـ ﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله﴾ وهم المهاجرون الذين تركوا وراءهم أموالهم وأهليهم، وأقاموا في المدينة ووقفوا أنفسهم على الجهاد في سبيل الله، ومنعوا من الاكتساب ﴿لايستطيعون ضرباً في الأرض﴾ للتجارة والكسب والتعلم. ﴿يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف﴾ أي من التلبس بالعفة. فهم لايظهرون من فقرهم إلا ما لا سبيل إلى ستره من علائم الفقر ﴿تعرفهم بسيماهم﴾ من لباس خلق أوغيره، وهذه علامتهم ﴿لايسألون الناس إلحافاً﴾ فهم لا يسألون الناس أصلاً حتى لاينجر السؤال إلى الإلحاف والإصرار ﴿وما تنفقوا من خيرٍ فإن الله به عليمٌ﴾ تأكيد على الإنفاق سراً، والله وحده يعلم السر ولا يضيع عنده الخير.

٢٧٤ ـ ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانيةً﴾ في كافة الأزمنة والأحوال ﴿فلهم أجرهم عند ربهم﴾ وسوف يستوفون أجرهم ﴿ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾ فهو وعد حسن لقاء مرضاة الله.

وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

٢٧٥ ـ ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ والخبط هو المشي على غير استواء. والإنسان الممسوس المرابي قد اختلت قوة تمييزه فهو لايفرق بين الحسن والقبيح والنافع والضار والخير والشر. وهذا حال المرابي لأنه ينجر إلى اختلاس المال من يد المدين؛ فينمو ماله من مال المدين، وفي ذلك انهدام المدين. فالربا يضاد التوازن والتعادل الاجتماعي، ويفسد صراط الفطرة ﴿ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا﴾ فقد اختل عندهم أصل المعاملة والمعاوضة، فقالوا إن البيع مثل الربا لايزيد عليه بمزية فلا موجب لتركه. ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾ وهي إخبار عن حكم سابق وتوطئة لما بعده ﴿فمن جاءه موعظةٌ من ربه﴾ في شأن الربا وفي غيره، فهو حكم كلي يشمل جميع الكبائر الموبقة ﴿فانتهى﴾ بالتوبة وترك الفعل المنهي عنه ﴿فله ما سلف﴾ فهو منتفع بما سلف ﴿وأمره إلى الله﴾ فربما أطلقهم في بعض الأحكام، وربما وضع عليهم ما يتدارك به ما فوتوه ﴿ومن عاد﴾ ولم ينته، وأصر على ذنبه ولم يقبل الحكم؛ وهذا هو الكفر أو الردة باطناً ولو لم يتلفظ بلسانه بما يدل على ذلك، فلن يكون من المفلحين ﴿فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ فعدم التسليم للحكم يستوجب الخلود في النار.

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

﴿يمحق الله الربا﴾ فينقصه تدريجياً ويفنيه ويزيله، فهو ينشر القسوة، ويورث البغض والعداوة وسوء الظن، ويفسد الأمن ويهيج النفوس على الانتقام، ويدعو إلى التفرق، فتنفتح طرق الفساد ويزول المال. ويفقد المرابي هناء عيشه، ويتوله بجمع المال ومبارزة المعوزين. وقد ورد في بعض الروايات أن درهم ربا يعدل سبعين زنية يزنيها المرابي مع أمه. وجاء في الحديث: «لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء». ولذلك فالله يمحقه ﴿ويربي الصدقات﴾ فينميها. وهذا أمر لا يختص بالآخرة بل في الدنيا و الآخرة، فالصدقات تزيد المال وتنشر المحبة وتورث الرحمة، وتصرف القلوب عن الغضب والاختلاس والإفساد والسرقة. فتسد طرق الفساد ويربو المال. فالربا والصدقة مربوطان بحياة طبقة الفقراء والمعوزين. وقد استدانوا بسبب حاجتهم للدفاع عن حقوق حياة نفوسهم، فإن أحسن إليهم بالصدقة أثمرت الحسنة في نفوسهم وإن أسيء إليهم بالربا أثمرت السيئة في المجتمع ﴿والله لا يحب كل كفارٍ أثيم﴾ فآكل الربا كثير الكفر لكفره بنعم الله لستره على الطرق الفطرية في الحياة الإنسانية، وهو يبطل عباداته ومعاملاته، وهو أثيم قد استقر الإثم في نفسه، والله لا يحب من كانت هذه صفاته.

٢٧٧ ـ ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ قد حسنت عقيدتهم وقاموا بتكاليفهم ﴿لهم أجرهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾ تعليل لثواب المتصدقين والمنتهين عن أكل الربا.

٢٧٨ ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ أمر للمؤمنين بالتقوى، توطئة لقوله ﴿وذروا ما بقي من الربا﴾ وهذا يدل على أنه

كان من المؤمنين من يأخذ الربا وله بقايا منه في ذمة الناس؛ فأمر بتركها ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ فترك الربا من لوازم الإيمان.

٢٧٩ ـ ﴿فإن لم تفعلوا فأذنوا﴾ فاعلموا وأيقنوا ﴿بحربٍ من الله﴾ الذي شرع وحذَّرَ ﴿ورسوله﴾ الذي بَلَّغ وأنذر، والذي يقاتل من لا يسلم الأحكام لله ورسوله، كما أن لله صنعاً آخر في حربه لهم وهو تهييج الفطرة على مخالفتهم ﴿وإذا أردنا أن نهلك قريةً أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً﴾ .﴿وإن تبتم﴾ تأييد لكون الخطاب لمن كان يأخذ الربا من بعض المؤمنين ﴿فلكم رؤوس أموالكم﴾ أي أصول أموالكم الخالصة من الربا ﴿لا تَظْلِمُونَ﴾ بأخذ الربا ﴿ولا تُظْلَمُونَ﴾ بالتعدي إلى رؤوس أموالكم. فالآية تحمل دلالة على إمضاء أصل الملك، وكون الربا ظلم، وعلى إمضاء أصناف المعاملات في وجوه الكسب.

٢٨٠ ـ ﴿وإن كان ذو عسرةٍ﴾ إذا وجد ذو عسرة ﴿فنظرةٌ﴾ فمهلة ﴿إلى ميسرةٍ﴾ إلى يسار. وقد كان المدين المعسر يقول للدائن: زد في أجلي كذا مدة أزيدك في الثمن بنسبة كذا، والآية تنهى عن هذه الزيادة الربوية وتأمر بالإنظار ﴿وأن تصدقوا﴾ وتضعوا الدين عن المعسر ﴿خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون﴾ والخير بإبدال الزيادة من طريق الربا الممحوق إلى الزيادة من طريق الصدقة الرابية حقاً.

٢٨١ ـ ﴿واتقوا يوماً تُرْجَعُونَ فيه إلى الله﴾ تذكير بيوم القيامة، لتهيئة النفس لتقوى الله والورع عن محارمه في حقوق الناس الذي تتكىء عليه الحياة ﴿ثم تُوَفَّى كل نفسٍ ما كسبت وهم لا يُظْلَمون﴾ فالجزاء كامل غير منقوص.

وتظهر الآيات أن آكل الربا يحابه الله ورسوله بالحرب، وأن من شروط التوبة رد ماأخذ بالربا وأن الله ربط المعاملات والديون بالتقوى والرجوع إلى الله للحساب والجزاء ليبعث نفس الدائن على الرضا بأمر الله بإمهال المدين ووضع الدين عنه وتجنب أخذ الربا منه. وفي ذلك إثارةٌ للتراحم والتعاطف بين أجزاء الجسد الواحد ونزعاً للشحناء والبغضاء وكل مايمنع إلفة المجتمع وروح الإسلام فيه.

٢٨٢ ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم﴾ أي داين بعضكم بعضاً ﴿بدينٍ إلى أجلٍ مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتبٌ بالعدل﴾ وفي الآية دلالة على كون العدالة شرطٌ في المعاملات الدائرة في أمور المجتمع لحفظه ورعايته ﴿ولا يأب كاتبٌ أن يكتب كما علمه الله فليكتب﴾ الكاتب ﴿وليملل﴾ والإملال إلقاء الرجل للكاتب ما يكتبه والذي يملل هو ﴿الذي عليه الحق وليتق الله ربه﴾ بحيث يقر بالحق وقد قرن الإملال بالتقوى تذكرةً بيوم يكون فيه الرجوع إلى الله سبحانه للحساب لحفظ الحقوق من الزيادة والنقصان ﴿ولا يبخس منه شيئاً﴾ فلا ينقص ولا يحيف.

﴿فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً﴾ أحمق غير راشد ﴿أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل﴾ أي من له الولاية على شؤونه.

﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم﴾ من أهل دينكم ﴿فإن لم يكونا رجلين فرجلٌ وامرأتان ممن ترضون﴾ سيرتهم ﴿من الشهداء﴾ حذر ﴿أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما﴾ وهي من لم تضل ـ ﴿الأخرى﴾ وهي من ضلت. ﴿ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا﴾ للشهادة، فمن يكتم الشهادة فإنه آثمٌ قلبه.

﴿ولا تسأموا﴾ ولا تملوا ﴿أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ذلكم أقسط﴾ وأعدل ﴿عند الله﴾ الذي يحكم أحكامه ﴿وأقوم للشهادة﴾ وأصوب وأحفظ للشهادة ﴿وأدنى ألا ترتابوا﴾ وبذلك تطيب نفوسكم.

﴿إلا أن تكون تجارةً حاضرةً تديرونها بينكم فليس عليكم جناحٌ ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتبٌ ولا شهيدٌ﴾ وهذا تسهيلٌ للمعاملات الدائرة بين الناس ﴿وإن تفعلوا فإنه فسوقٌ بكم﴾ فالإضرار بالشهود مفسدة تؤدي إلى إضاعة الحقوق.

﴿واتقوا الله﴾ فالتقوى في المعاملات يجب أن تقارن التقوى في العبادات.

﴿ويعلمكم الله والله بكل شيء عليمٌ﴾ المقام مقام الامتنان بتعليم شرائع الدين ومسائل الحلال والحرام.

فالدين هو مجموعةٌ من الأحكام الإلهية المشوبة بكمالات أخلاقية لاتنفك عنها لحفظ حقوق كافة أفراد المجتمع دون أن تنفصل عن الارتباط بما تقتضيه الفطرة لمن كان الحكم له أو عليه.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِۢبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۖ وَلَا يَأۡبَ كَاتِۢبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِۢبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾

٢٨٣ ـ ﴿وإن كنتم على سفرٍ ولم تجدوا كاتباً فرهانٌ مقبوضةٌ فإن أمن بعضكم بعضاً﴾ دون رهان ﴿فليؤد الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثمٌ قلبه والله بما تعملون عليمٌ﴾ ففي الآية دلالة على ما يقارب من عشرين حكماً من أحكام المعاملات.

٢٨٤ ـ ﴿لله ما في السموات وما في الأرض﴾ فهو مالك لعالم الخلق ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه﴾ فهو المالك للسموات والأرض ومن جملتها أنتم وأعمالكم وما اكتسبت نفوسكم ظهرت أو بطنت، أو لكون ما في السماء ماخفي من أعمال القلوب وصفات النفس. فما أبدي مما في النفوس كان مما في الأرض، وما خفي كان مما في السماء والله محيط بكل شيء؛ أو أن ما استقر في النفوس من الفضائل والرذائل كالإيمان والكفر والحب والبغض سواء ظهرت بالأفعال أو خفت بالكف عن فعل ما يدل على وجودها في النفس ﴿يحاسبكم به الله﴾ أما كون الجزاء دائراً مدار العزم سواء فعل أو لم يفعل وسواء صادف الفعل الواقع المقصود أو لا فالآية غير ناظرة إلى ذلك ﴿فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾ لما في النفوس من الأحوال النفسانية السيئة ﴿والله على كل شيءٍ قديرٌ﴾ ومن ذلك حساب أعمالكم.

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

٢٨٥ ـ ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه﴾ بعد أن مرَّ بمرحلة التفكر والتعبد قبل البعثة حيث تكشفت له الحقائق بنور البصيرة ﴿والمؤمنون كلٌ﴾ منهم ﴿آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾ وما جاء على أيدي الرسل من الأحكام والشرائع التي أنزلت لتحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴿لا نفرق بين أحدٍ من رسله﴾ فالإيمان يجب أن يكون بجميع ما أنزل الله دون استثناء ﴿وقالوا سمعنا وأطعنا﴾ والطاعة تعني العمل بما جاء من الأحكام ﴿غفرانك ربنا﴾ فاستر نقيصتنا ﴿وإليك المصير﴾ فمن وضع المعاد نصب عينيه سلك طريق مرضاة الله.

٢٨٦ ـ ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وُسعها﴾ لأن التكليف بغير القدرة ظلم وما ربك بظلام للعبيد ﴿لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت﴾ وهل تجزون إلا ما كنتم تعملون ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ التجاءٌ إلى الله وترقٍ في دعائه ﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً﴾ وهو التكليف الشاق الذي تجوز المؤاخذة على تركه ﴿كما حملته على الذين من قبلنا﴾ وقد ذُكر أن الله قد فرض على بني إسرائيل خمسين صلاة في اليوم وذكرت أمورٌ غير ذلك ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ من التكاليف الشاقة ﴿واعف عنا واغفر لنا﴾ واستر ذنوبنا وتقصيرنا ﴿وارحمنا﴾ والرحمة هداية ﴿أنت مولانا﴾ ومدبر أمرنا ﴿فانصرنا على القوم الكافرين﴾ والله إذا تولى أمر قوم نصرهم.

سورة آل عمران

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿الم﴾ هناك ارتباط بين هذه الحروف والمعاني الموجودة في السورة وذكر إنها ترمز إلى بعض أسماء الله الحسنى .

٢ ـ ﴿الله لا إله إلا هو الحي﴾ فهو حي بذاته وهو يعطي الوجود والحياة لمخلوقاته و﴿القيوم﴾ فلا قيام للكون وما فيه إلا بإذن الله وقيوميته تستلزم العلم والقدرة .

٣ ـ ﴿نزّل عليك﴾ التنزيل يدل على التدريج في حين أن الإنزال يدل على الدفعة وقد نزل ﴿الكتاب﴾ وهو القرآن ﴿بالحق﴾ لا يطرأ عليه الباطل ﴿مصدقاً﴾ مقرّاً بالصدق ﴿لما بين يديه﴾ فمافي أيدي اليهود والنصارى لايخلو عن بعض ما أنزل الله وإن كان لا يخلو عن السقط والتحريف. ﴿وأنزل التوراة﴾ وهي تعني الشريعة ﴿والإنجيل من قبل﴾ ومعناه في الأصل البشارة وقد أصر القرآن على إفراد كلمة إنجيل ليقابل صدقه مع الأناجيل الموجودة وهي أربعة لإثبات التحريف ﴿هدى للناس﴾ إلى وحدانية الخالق ووحدة منهجه ولكنهم حرفوا وانحرفوا فالتصورات المسيحية في القرآن الحق تقول: إن الله ثالث ثلاثة، إن الله هو المسيح بن مريم، إن المسيح وأمه إلهان، إنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله. ﴿وأنزل الفرقان﴾ يفرق الحق الذي يشمله عن تحريف الكتب السماوية والشبهات والأباطيل التي لحقت بغير الإسلام بفعل الأهواء والتيارات الفكرية والسياسية .

٤ ـ ﴿إن الذين كفروا بآيات الله﴾ من أهل الكتاب وغيرهم ﴿لهم عذاب شديد﴾ فلهم عذاب في الدنيا والآخرة وليس العذاب هو الألم المادي فحسب وليس ذهاب الأموال والأولاد ونقص الثمرات والإصابة بالمرض فقط وإنما العذاب في القرآن وراء ذلك أيضاً كعذاب النفس وشقاء البدن ﴿والله عزيزٌ ذو انتقام﴾ والإنتقام مجازاة المسيء على إساءته والله عزيز منيع الجانب من أن تنتهك محارمه كما أنه لايتأثر بأعمال عباده فانتقامه ليس تشفياً وإنما عزة. ٥ ـ ﴿إنَّ الله لايخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء﴾ فلا يمكن ستر النوايا وإخفاء الكيد عنه وانتقامه لا عن ظاهر ما فعلوا و قالوا فحسب بل لعلمه بما ستروا وأبطنوا أيضاً .

٦ ـ ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام﴾ والتصوير هو إلقاء الصورة على الشيء ﴿كيف يشاء﴾ فهو الغالب على أمره في صورة مايخلق ومشيئته تتطابق مع حكمته فلذا لا يجوز في غير حالات العلاج العبث بالعوامل الوراثية وتشويه خلق الله. ﴿لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ فهو يفعل ما يفعل بعزته وحكمته ومشيئته. ٧ ـ ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب﴾ عبر بالإنزال لأن المقصود بعض أوصاف مجموع الكتاب النازل ﴿منه آيات محكمات﴾ وهي الآيات

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ — ترتيبها ٣ — آياتها ٢٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ
بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۖ وَأَنزَلَ التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن
قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ۖ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ لَهُمْ
عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ
شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ
فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۗ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ
الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَٰبِ
وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ
مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۖ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ
وَالرَّٰسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ
إِلَّا أُولُو الْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ
لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ
النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾

المعصومة عن الفساد والخلل ﴿هنّ أمّ الكتاب﴾ هن ما يرجع إليهن وإفراد كلمة أم دلالة على كون المحكمات غير مختلفة في أنفسها بل هي متفقة مؤتلفة ﴿وأخرُ متشابهات﴾ والتشابه هو توافق أشياء مختلفة واتحادها في بعض الأوصاف والكيفيات فالآيات المتشابهة لايتعين مرادها لفهم السامع بمجرد استماعها بل يتردد بين معنى ومعنى حتى يرجع إلى محكمات الكتاب. على أن كافة آيات القرآن تنطق بمدلولها سواء وضح هذا المدلول للعارف المتبصر أو غاب لقصر فهمه أو لعدم درايته بالناسخ من المنسوخ. على أن الآيات المتشابهة هي كنوزه وإعجازه تتكشف مع الزمن لتقيم الحجة على الناس في كل زمان ومكان وكيف كان فكافة آيات العقيدة والعبادات والمعاملات هي محكمة ظاهرة المدلول قاطعة الدلالة مدركة المقاصد وأما الغيبيات فهي متشابهة أتت للتصديق بها دون إدراك ماهيتها وكيفيتها. ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ﴾ أي؟ ميل عن الإستقامة واضطراب في القلب ﴿فيتبعون ماتشابه منه﴾ عملاً لا إيماناً فهم يتركون الأصول الواضحة التي يقوم عليها النظام الإلهي ﴿ابتغاء الفتنة﴾ ويراد بها إضلال الناس ﴿وابتغاء تأويله﴾ أي طلباً لرجوعهم إلى المتشابه ليأخذوا منه الأحكام و الحلال والحرام ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ قد يكون حصر علم التأويل على الله سبحانه أو قد يكون من يعلم تأويله هو الله ﴿والراسخون في العلم﴾ وأفضلهم هو رسول الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم فعلمه راسخ ثابت ﴿يقولون آمنّا به كلٌ من عند ربّنا﴾ محكمه ومتشابهه ﴿وما يذّكر إلا أولو الألباب﴾ والتذكر هو الانتقال إلى دليل الشيء لاستنتاجه فقولهم ﴿كل من عند ربنا﴾ استدلال منهم لما يدل على فعلهم واللب هو العقل الذكي الخالص من الشوائب فأهل التذكر والإيمان والإنابة واتباع أحسن القول هم أولو العقول الذكية لأنهم ينتقلون إلى المعارف الحقة بالدليل . ٨ ـ ﴿ربّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾ استعاذة من نزول الزيغ إلى قلوبهم وإزاحته العلم الراسخ لأنهم علموا مقام ربهم وعقلوا طلاقة قدرته ﴿وهب لنا من لدنك رحمة﴾ لتبقى هذه النعمة لأن عدم إزاغة القلوب لايستلزم بقاء الرسوخ في العلم الذي به يكونون سعداء لا أشقياء بالجهل والاستضعاف ﴿إنك أنت الوهاب﴾ استمطار لسحاب الرحمة حتى تدوم بها حياة قلوبهم، وتنكير الرحمة وأنها من لدن الله إظهار منهم الجهل بشأنها وأنهم يرون تمام الملك لله دون توجه إلى الأسباب، وقالوا إن سبب اشتمال القرآن على المتشابه هو:أولاً ـ لتمحيص القلوب لأن الخضوع يكون أكثر لما تم علمه. ثانياً ـ لبعث العقل على البحث والتنقيب. ثالثاً ـ لأن الرسالة للعامة والخاصة وهم فوق بعضهم درجات. ٩ ـ ﴿ربّنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه﴾ بمنزلة التعليل لسؤال الرحمة لعلمهم أن إقامة نظام الخلقة ودعوة الدين مقدمة لجمع الناس إلى يوم القيامة الذي لا يغنى فيه أحد ولا ينصر إلا بالرحمة ﴿إنَّ الله لا يخلف الميعاد﴾ لأن الراسخ في العلم لا يستقر تصديقه إلا مع العلم بعلته المنتجة وعلة عدم ارتيابهم في تحقيق هذا اليوم هو ميعاد الله سبحانه به فذكروه .

١٠ ـ ﴿إنَّ الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً﴾ أغنى عنه ماله من فلان أي أعطاه الغنى ورفع حاجته فلا حاجة به إليه. والإنسان يحتاج الغذاء أولاً ثم تتبدل حاجة الغذاء إلى المال الذي يظنه مفتاحاً لحل مشكلات الحياة فينسى الخالق المدبر ويركن إلى حب المال؛ ولكن الذين كفروا وخاصة اليهود قد أخطؤوا بزعمهم أن أموالهم وأولادهم تغنيهم من الله ﴿وأولئك هم وقود النار﴾ فالمكذبون من الكفار هم الأصل في عذاب النار ويقاد جهنم وأما غيرهم فيحترقون بنارهم .

١١ ـ ﴿كدأب آل فرعون﴾ الدأب هو السير المستمر ﴿والذين من قبلهم﴾ الذين ماثلوهم في عتوهم وكفرهم ﴿كذبوا بآياتنا﴾ وزعموا بتأثير أولادهم وأموالهم ﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾ كأخذ غيرهم من الكفار وسيجعلهم وقوداً للنار. ﴿والله شديد العقاب﴾ ولامناص ولا فرار ولا قرار لأن تكذيبهم منازعة لمن له جلال الألوهية ولمن يهون عليه أخذ المذنب بذنبه لأنه الله جل اسمه.

١٢ ـ ﴿قل للذين كفروا﴾ وهم المشركون دون اليهود ﴿ستغلبون وتحشرون﴾ أي تخرجون عن مقركم بالإزعاج ﴿إلى جهنم وبئس المهاد﴾ فما أسوأه من محشر وما أسوأه من فراش ١٣. ـ ﴿قد كان لكم آية﴾ ظاهر السياق أن يكون الخطاب للذين كفروا ومن الممكن أن يكون خطاباً للمؤمنين للتفكر بنصر الله لهم ببدر ﴿في فئتين التقتا﴾ ربما

كان ذلك رمزاً لمعركة بدر وخاصة أن نزول السورة بعد أحد ﴿فئة تقاتل في سبيل الله وأُخرى كافرة﴾ مقابلة بين الإيمان بالله والجهاد في سبيله وبين الكفر به والفئة الكافرة ﴿يرونهم﴾ أي المسلمين ﴿مثليهم رأي العين﴾ فالكفار يرون المسلمين ببدر ستمائة وستة وعشرين رجلاً ﴿و الله يؤيد بنصره من يشاء﴾ الأيد هو القوة ﴿إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار﴾ قيل هي العيون وقيل البصائر والله يعد من لا يعتبر بالعبر والمثلات أعمى فالعبرة ظاهرة المعنى كأنها بلغت حد الحس و في العدول إلى الخطاب الخاص بالنبي إيماء إلى قلة فهمهم وعمى قلوبهم .

١٤ ـ ﴿زيّن للناس﴾ يستعمل لفظ الناس في الموارد التي فيها شيء من إلغاء الميز أو حقارة الشخص أو دناءة الفكر ﴿حبُّ الشهوات﴾ والانقطاع إليها عما يهمهم من أمر الآخرة مع أنهم يجب أن ينتبهوا إلى أن متاع الحياة الدنيا مقدمة لنيل ماعند الله من حسن المآب وهم غير مبدعين في هذا الحب للشهوات بل مسخرين لتتم لهم الحياة الأرضية . فالزينة التي هي طريق الآخرة هي السلوك الحسن؛ والزينة التي هي الغاية منسوبة للشيطان والأمر بينهما يدور مدار الفتنة للامتحان فالإطاعة ثم الحسنة ثم الثواب ثم اللذة ثم السعادة هي بحيال المعصية فالسيئة فالعقاب فالألم فالشقاء فالإطاعة حسنة لأن المعصية سيئة والحسنة موجبة للثواب لأن السيئة موجبة للعقاب والثواب لذيذ للعامل لأن العقاب مؤلم له، واللذة سعادة مرغوب فيها لأن الألم شقاوة مهروب منها والسعادة هي التي يتوجه إليها بحسب الخلقة والشقاوة يتوجه عنها ولولا هذه الحركة لبطل الوجود فمن سعد فباختياره ومن شقي فباختياره؟، ولولا ذلك لم تجر سنة الاختيار ولما تمت سنة الحجة. والشهوات تكون ﴿من النساء﴾ فهنّ من يولع بهن ويشغف ﴿والبنين﴾ فيتباهى بكثرتهم ﴿والقناطير المقنطرة﴾ فطالب المال لا يشبع ﴿من الذهب والفضة﴾ التي استشرى جنون العالم المادي بها ﴿والخيل المسوّمة﴾ وهي المعلمة أو السائمة في المرعى ﴿والأنعام﴾ وهي الإبل والبقر والغنم ﴿والحرث﴾ وهو الزرع وفيه معنى الكسب والزراعة ﴿ذلك متاع الحياة الدنيا﴾ لا الحياة الرفيعة والآفاق البعيدة ﴿و الله عنده حسن المآب﴾ وصلاح العقبى. وهذا تحريض على استبدال ماعنده تعالى من اللذات الحقيقية الأبدية بالشهوات الفانية.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾

١٥ ـ ﴿قل أؤنبئكم بخير من ذلكم﴾ أي من الشهوات الفانية الباطلة ﴿للذين اتقوا عند ربّهم جنّاتٌ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ فكما أن اختيار اللذة الفانية ينهي أثر سعادتها في الدنيا و يستلزم تحمل تبعاتها في الآخرة فإن التقوى يخلد أثر العبادة في جنات تجري من تحتها الأنهار ﴿وأزواجٌ مطهّرةٌ﴾ وقد تم اختصاص الأزواج بالذكر لكون الوقاع من أعظم اللذائذ الجسمية عند الإنسان ﴿ورضوان﴾ أي رضاً ﴿من الله﴾ والرضا هو ملاءمة الأمر واقع النفس من غير أن يمتنع منه ويدافعه، ويقابل الرضا بالطاعة فالله تعالى يرضى عن عبده لطاعته ويرضى العبد عن ثمرة طاعته بنيله الشهوات الخالدة مقابل طلبه رضا الله ﴿و الله بصيرٌ بالعباد﴾ فالفرق بين المؤمن والكافر ليس مبنياً على العبث والجزاف

بل هو مبني على الفرق بين تقوى المؤمن وفسق الكافر. واللذائذ الدنيوية من غذاء ونكاح تهدف لحماية النوع من الانقراض وكل أعضاء الجسم وأجهزته وجدت لتخدم البقاء والتناسل فلذلك يقتصر إمتاعها على الحياة الدنيا وهي أيام قلائل وهي طور صغير مقابل الخلود في العذاب الدائم أو النعيم المقيم، فهي ليست غاية بذاتها. ١٦ ـ ﴿الذين يقولون﴾ وهم المتقون ﴿ربّنا إنّنا آمنّا فاغفر لنا ذُنوبنا﴾ استنجاز لما وعد الله تعالى ﴿وقنا عذاب النّار﴾ فالمغفرة للذنوب لا تستلزم التخلص من العذاب ودخول الجنة فضل من الله من غير استحقاق من العبد يثبت به حقاً على الله أن يجيره من عذاب النار أو ينعمه بالجنة وذلك مقابل كونه ممن تصفهم الآية اللاحقة. ١٧ ـ ﴿الصابرين﴾ الذين يصبرون على الطاعة وعن المعصية وعند المصيبة؛ وهل هناك مصيبة أكبر مما مني به الدين من خصومة وعداوة تستلزم صبر الصابرين للذود عن حياضه لرفع راية لاإله إلا الله وإسقاط الأوثان من بشر أو حجر، وإسقاط نظم البشر لرفع منهج الله وفي الصبر ترفع على الألم واستعلاء على الشكوى وثبات على تكاليف الدعوة وتسليم واستسلام لله وقبول لحكمه وقدره ﴿والصادقين﴾ والصدق هو الإعتزاز بالحق الذي هو قوام الوجود مع ترفع عن الضعف ﴿والقانتين﴾ أداء لحق الألوهية وواجب العبودية فالقنوت هو الخضوع لله سبحانه ويشمل العبادة والنسك ﴿والمنفقين﴾ الذين تحرروا من استذلال المال وربقة الشح ﴿والمستغفرين بالأسحار﴾ فهم يقومون آخر الليل ويستغفرون فيه لتتلاقى روح الإنسان مع روح الكون في التوجه لبارىء الكون. ١٨ ـ ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة و أولو العلم قائماً بالقسط﴾ الشهادة هي المعاينة وهي تحمل العلم عن حضور وحس ثم استعمل المعنى في أدائها والتحمل والتأدية لحفظ وإقامة الحق فيتحصل من هذه الشهادة أنه لا أحد يغني منه شيئاً وقد شهد تعالى بهذا وهو قائم بالقسط حاكم بالعدل إذ دبّر أمر العالم بخلق الأسباب والمسببات وإلقاء الروابط بينها والكل راجع إليه وكذلك الملائكة يشهدون ويسبحون فتسبيحهم شهادة وأولو العلم يشهدون وحدته من آياته الآفاقية والنفسية وقد ملأت مشاعرهم ورسخت في عقولهم ﴿لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ للثناء عليه لاستيفاء حق تعظيمه وتنزيهه فهو متفرد بالعزة متوحد بالحكمة. ١٩ ـ ﴿إنّ الدين عند الله الإسلام﴾ فوحدة الإله تقتضي وحدة الدين وهذا الدين هو الإسلام الذي هو التسليم للحق الذي هو حق الإعتقاد والعمل، فالدين نظام إلهي يشمل ما يلزم للبشر في سعادتهم. ﴿وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم﴾ فهم لم يختلفوا عن جهل بحقيقة الأمر بل اعتداءً وظلماً. ﴿ومن يكفر بآيات الله﴾ فالاختلاف على حقيقة التوحيد كفر. ﴿فإنّ الله سريع الحساب﴾ فسرعة المجازاة للكافر بآياته تعالى بالخزي في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة قائمةٌ على قدرته تعالى. ٢٠ ـ ﴿فإن حاجوك﴾ في التوحيد والدين ﴿فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن﴾ فهذا هو الدين وهو الاستسلام المطلق لأوامر الله ﴿وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا
عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ
وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ
ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ
ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُو۟تُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ
بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ
ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ
وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُو۟تُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ
ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا
عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ
ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾

اهتدوا﴾ فليقبلوا ما أنزل الله ﴿وإن تولوا﴾ فلا تخاصمهم ولا تحاجهم فلا ينبغي الخصام في أمر ضروري ﴿فإنما عليك البلاغ﴾ نهي عن المراء والإلحاح في المحاجة مع من ينكر الضروري فالرسول مبلغ و ليس عليهم بمسيطر مع تهديد لأهل الكتاب والمشركين بأن حكمه تعالى نافذ فيهم لأنهم عباده أسلموا أو تولوا. ﴿و الله بصير بالعباد﴾ فهو يعلم منقلبهم ومثواهم. ٢١ ـ ﴿إنّ الذين يكفرون بآيات الله﴾ بعد بيانها بغياً منهم ﴿ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من النّاس﴾ لأنهم أتباع منهج الله وهم المؤمنون حقاً لأنه المنهج القائم بالعدل وقتل النبيين مع قتلهم هو دأب اليهود ضمن ما دأبوا عليه من المفاسد وسفك الدماء والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف وكذا النصارى جروا مجراهم ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ تصريح بشمول الغضب ونزول السخط في الدنيا بالتقتيل والإجلاء وذهاب الأنفس والأموال وهذا ما لقوه فعلاً وكذلك إلقاء العداوة والبغضاء بينهم إلى يوم القيامة وفي الآخرة لهم حر النار. ٢٢ ـ ﴿أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين﴾ فقد حبط عمل من قتل رجلاً يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر و لن تشمله الشفاعة يوم القيامة لأنه لاناصر له من الله.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۖ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ ۖ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

٢٣ ـ ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾ لأن الكتاب الذي بين أيديهم هو جزء منه بعد أن قاموا بالتحريف ﴿يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم﴾ فهو الميزان العدل ﴿ثمّ يتولى فريقٌ منهم و هم معرضون﴾ اعتزازاً بما قالوا اغتراراً بما حرفوا واستغناء عن الحق. ٢٤ ـ ﴿ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات﴾ لدعواهم أنهم أهل كتاب مع عدم الاعتقاد بجدية الحساب يوم القيامة وجدية القسط الإلهي ﴿وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون﴾ فالسابقون مفترون واللاحقون مغرورون فهم أمة واحدة يرضى بعضهم بفعال بعض لاستحكام الكبر والبغي وحب الشهوات، وقد كرروا افتراءاتهم حتى اطمأنوا إليها. ٢٥ ـ ﴿فكيف إذا جمعناهم ليوم لاريب فيه﴾ تهديد رهيب بجمعهم في يوم القضاء والفصل ﴿ووفيت كل نفس ماكسبت﴾ وجرى العدل الإلهي مجراه ﴿وهم لا يظلمون﴾ ولا يحابون في حساب الله والحكم حق وقد أخذت منهم ذاتيتهم فهم مستسلمون أذلاء مقابل استكبارهم وفسادهم في الدنيا. ٢٦ ـ ﴿قل اللهم مالك الملك﴾ أمر بالالتجاء إلى الله تعالى الذي له القدرة المطلقة للتخلص من أحابيل أهل الكتاب وما قدروه لأنفسهم من الملك والعزة والملك الذي للعباد ملك لله فهو ملك على ملك وملكه تعالى أعم من الملك الحقيقي والاعتباري ﴿تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء﴾ والملك لمن هو أهله نعمة من الله سبحانه وبالنسبة إلى غير أهله نقمة وهو على كل حال منسوب إلى الله سبحانه وفتنة يمتحن به عباده والتعليق على المشيئة في أفعاله لا يعني وقوع الفعل جزافاً تعالى عن ذلك بل يعني عدم كونه مجبراً في فعله، وفعله على المصلحة دائماً ﴿وتعز من تشاء﴾ والعز كون الشيء صعب المنال ﴿وتذل من تشاء﴾ والذل هو سهولة المنال بقهر محقق أو مفروض ولا عزة إلا ما أعز الله بها عباده و

العزة من لوازم الملك وكل من سواه تعالى إذا تملك شيئاً فهو الذي خوله ذلك وملكه ومن لم يعزه الله فهو ذليل ﴿بيدك الخير﴾ فخزائن كل شيء عندك. والخير هو الانتخاب ويسمى خيراً نسبة لأشياء أخر فلا يختار إلا لتضمنه القصد والمطلب فالخير محصور فيه تعالى وهو الذي يفيض خيراً فالخير والشر التكوينيان كالملك والعزة ونزعهما. والخير والشر التشريعيان وهما أقسام الطاعات والمعاصي بيده تعالى فالإنسان الذي يخالف مأمر الله معتقداً الخير فيما فعل يكون قد أسقط اختيار الله لما هو خير أو شر ﴿إنك على كل شيء قدير﴾ وكل قدرة هي من قدرتك، كما أن كل خير أفاضه غيرك هو من إفاضتك فالخير محصور بك والقدرة محصورة بك تعاليت عز اسمك.

٢٧ ـ ﴿تولج الليل في النهار﴾ وتدخله ﴿وتولج النهار في الليل﴾ والإيلاج دخول هذا في ذاك عند دبيب الظلمة والضياء صباح مساء أو أخذ هذا من ذاك عند دورة الفصول فنهار الشتاء قصير وليله طويل ويقابله في فصل الصيف نهار طويل وليل قصير ﴿وتخرج الحيّ من الميّت وتخرج الميّت من الحيّ﴾ كإخراج المؤمن من صلب الكافر والكافر من صلب المؤمن، أو خلق الأحياء من مواد التربة ثم إعادة الأحياء إلى الأرض بإماتتها فخلايا تحيا وخلايا تموت وفي هذه الآية من القوة و التعبير ما لا يخفى كما أن في المقابلة بينها وبين إعطاء العزة وأخذها من اللطف ما لا يخفى ﴿وترزق من تشاء بغير حساب﴾ من إيتاء الملك والعز فأنت المتصرف في خلقك الغالب على أمرك .

٢٨ ـ ﴿لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ الولاية هي ملك تدبير الشيء وقد كثر استعماله في مورد الحب فاتخاذ الكافرين أولياء هو الامتزاج الروحي بهم ومطاوعتهم والتأثر منهم وإيثارهم على المؤمنين فالخلاف بين صفتي الكفر والإيمان يقتضي المفارقة في الولاية وطريق السلوك فهم دون المؤمنين درجات.

﴿ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء﴾ ولفظ شيء للدلالة على نفرة المتكلم منه حتى أنه لا يتلفظ به كالتكنية عن القبائح فهم ليسوا من حزب الله في أمر أو حال أو أثر، لا في صلة ولا نسبة ولا دين ولا عقيدة ولا رابطة ولا ولاية ﴿إلا أن تتقوا منهم تُقاةً﴾ فالتولي ظاهراً بسبب الخوف من غير عقد القلب على الحب والولاية، ليس من التولي في شيء ﴿ويحذركم الله نفسهُ﴾ والحذر هو الاحتراز من أمر مخيف ولاخوف إلا من الله لأنه لاعاصم من الله فالله هو المرجو في دفع الشر. فاتخاذ غير المؤمنين أولياء خروج عن زي العبودية ورفض لولاية الله سبحانه. والدخول في حزب مخالف للدين هو إفساد لأمر الدين وهو طغيان وإفساد لنظام الفطرة وهو أشد وأضر بحال الدين من كفر الكافرين وشرك المشركين.

فاستئناس الصديق والحميم من أعداء الدين يسبب الهلاك الذي لا رجاء للحياة والبقاء معه ، فهو طغيان على الله بإبطال دينه وإفساده، فلذلك يدل التحذير الإلهي على التهديد بعذاب مقضي حتماً لأن متعلق التحذير بالله نفسه يدل على عدم وجود حائل ولا عاصم ﴿وإلى الله المصير﴾ فلا مفر ولا صارف من عذاب الله.

٢٩ ـ ﴿قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله﴾ أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بإبلاغ هذه الحقيقة وهي علمه تعالى ما يخفون وما يكتمون ليس إلا ترفعاً عن مخاطبة من يستشعر من حاله أنه سيخالف ما أوصاه. ﴿ويعلم مافي السماوات وما في الأرض﴾ فلا يخفى عليه شيء ﴿والله على كل شيء قدير﴾ فله طلاقة القدرة.

٣٠ ـ ﴿يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضراً﴾ فيجازيهم الله بأحسن ماعملوا ﴿وما عملت من سوء تودُّ لو أنَّ بينها وبينه أمداً بعيداً﴾ التنكير للتعميم والأمد فاصلة زمنية وحضور سيّىء العمل يسوء النفس فتود بعده. ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ تكرار التحذير لزيادة أهمية المطلب أو أن يكون التحذير الثاني لعواقب المعصية في الآخرة. ﴿والله رؤوفٌ بالعباد﴾ دليل على تشديد التخويف وإيجاد الإذعان بأن المتكلم ناصح لايريد إلا الخير والصلاح يوم لا يدفع وبال المعصية دافع. ٣١ ـ ﴿قل إن كنتم تحبون الله﴾ دعوة إلى الإيمان به تعالى وعبادته بالإخلاص له واجتناب الشرك وهذا يتم إذا تعلق قلب الإنسان بالله وحده دون أي صنم أو ند أو غاية دنيوية بل ولا مطلب أخروي كفوز بالجنة أو خلاص من النار، و الحب هو الوسيلة لارتباط كل طالب بمطلوبه ﴿فاتبعوني يحببكم الله﴾ اتبعوا هذه الشريعة وعندها تكون

البشارة للمحب بحب حبيبه له وهذا هو الذي يبتغيه محب بحبه ﴿ويغفرلكم ذنوبكم و الله غفورٌ رحيم﴾ فالرحمة الإلهية الواسعة غير موقوفة على شخص ومن غير استثناء بحكم إطلاق إفاضته. والذنوب هي التي تمنع الكرامة ولا حجاب بين العبد و ربه إلا الذنب والحب يسقط هذا الحجاب. ٣٢ ـ ﴿قل أطيعوا الله والرسول﴾ فاتباع الرسول على الصراط المستقيم وهو الشريعة هو إطاعة لله وهو سبيل الإخلاص الذي هو سبيل النبي وهو مجموع أوامره ونواهيه ﷺ. ﴿فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾ دلالة على كفر المتولي مع نفي حب الله عن الكافرين وهي تقابل إيمان المطيع وحب الله للمؤمن المتبع. وهذا التولي إنما هو في الفروع لا في الأصول ككفر مانع الزكاة وتارك الصلاة وتولي أعداء الله . ٣٣ ـ ﴿إنَّ الله اصطفى﴾ الاصطفاء هو أخذ صفوة الشيء وتخليصه من الكدر والاصطفاء على العالمين تقديم لهم في أمر أو أمور دون مشاركة أحد فالله سبحانه قد اصطفى ﴿آدم﴾ بأنه أول خليفة وأبو البشر و قد أسجدت له الملائكة، وأول من فتح له باب التوبة وأول من شرع له الدين ﴿ونوحاً﴾ وهو أول الخمسة أولي العزم صاحب الكتاب والشريعة وهو الأب الثاني لهذا النوع الإنساني وقد سلم الله تعالى عليه في العالمين وجعل ذريته هم الباقين ﴿وآل إبراهيم﴾ فالاصطفاء لهم ولذريتهم الطيبين فالوراثة وراثة العقيدة والآل هم خاصة الشيء ويطلق على أعلام الناطقين وآل إبراهيم هم الطيبون من ذريته كإسحاق وإسرائيل والأنبياء من بني إسرائيل وإسماعيل والطاهرون من ذريته وسيدهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وآل عمران﴾ وعمران هو أبو مريم ﴿على العالمين﴾ على أن تفضيلهم على العالمين لاينافي تفضيل غيرهم كما لا ينافي التفاضل فيما بينهم . ٣٤ ـ ﴿ذُرِّيَّةً بعضها من بعض﴾ أولها من آخرها وآخرها من أولها فالمجموع متشابه الأجزاء وهم لا يفترقون في صفات الفضيلة التي لأجلها اصطفاهم الله ﴿و الله سميعٌ﴾ بأقوالهم الدالة على باطن ضمائرهم ﴿عليم﴾ بما في قلوبهم . ٣٥ ـ ﴿إذ قالت امرأة عمران ربِّ إنّي نذرت لك﴾ النذر إيجاب الإنسان على نفسه ماليس بواجب ﴿مافي بطني محرراً﴾ والتحرير هو إطلاق عن وثاق فقد أطلقت ولايتها على مافي بطنها. وهذا يدل على أن عمران كان ميتاً و إلا كانت له الولاية فالمنذور يدخل في ولاية الله يعبده ويخدمه في البيع والكنائس حتى يبلغ الحلم حيث يخير بين الإقامة والرواح ﴿فتقبّل منّي﴾ نذري ﴿إنك أنت السميع﴾ لنذري ﴿العليم﴾ بما في نفسي. ٣٦ ـ ﴿فلما وضعتها قالت ربِّ إني وضعتها أنثى﴾ وهو خبر أريد به التحسر والتحزن دون الإخبار وهذا يدل على أنها كانت تعتقد أن مافي بطنها ذكر فلذلك نذرته للعبادة والخدمة ﴿و الله أعلم بما وضعت﴾ وهو سبحانه أراد إنجاز ما كانت تتمناه بأحسن وجه؛ ولوعلمت ذلك لماتحسرت لأن هذه الأنثى ستلد ولداً بغير أب وسيكون له من المعجزات ماهو معروف ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾ مقول له تعالى أيضاً شرف هذه الأنثى ﴿وإني سميتها مريم﴾ ومعنى مريم في لغتهم العابدة والخادمة وهذا هو سبب التسمية ﴿وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾ لتستقيم لها العبادة ويطابق

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً ۚ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

الاسم المسمى وقولها وذريتها دليل على أنها كانت تعلم أنها ستررق من عمران ولداً ذكراً صالحاً فلما توفي عمران ووضعت مريم أيقنت أنها سترزق الولد من نسل مريم. ٣٧ ـ ﴿فتقبلها ربها بقبول حسن﴾ قبولاً عن رضاً لقولها وإني سميتها مريم ﴿وأنبتها نباتاً حسناً﴾ استجابة لقولها وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فأعطاها الرشد والزكاة لها ولذريتها. ﴿وكفلها زكريا﴾ حيث أصابته القرعة في ضمها إلى كنفه ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب﴾ وهو المكان المخصوص بالعبادة من المسجد أو البيت. وقيل إن المحراب في المسجد قد سمي بذلك لأنه موضع محاربة الشيطان والهوى ﴿وجد عندها رزقاً﴾ وتنكيره يدل على أنه غير معهود فقدقيل إنه كان يجد فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ﴿قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ فالرزق كان يدل بوجوده ونوعه على كونه كرامة من الله سبحانه لمريم. ٣٨ ـ ﴿هنالك﴾ عندما استيقن الكرامة ﴿دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة﴾ وطيب الشيء ملاءمته لصاحبه فيما يريده لأجله. فزكريا يريد لذريته من الطيب مالمريم ﴿إنك سميع الدعاء﴾ ومجيب له. ٣٩ ـ ﴿فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك﴾ يخبرك بما تفرح بوجوده ﴿بيحيى﴾ فتسميته من الله سبحانه وصفاته كصفات عيسى مع سبق عيسى بكونه من أولي العزم من الرسل ﴿مصدقاً بكلمة من الله﴾ فهو من دعاة عيسى كلمة الله ﴿وسيداً﴾ يتولى أمر سواد الناس ﴿وحصوراً﴾ وهو المعرض عن شهوات النفس زهداً؛ وهو لغةً الذي لا يأتي النساء ﴿ونبياً من الصالحين﴾ وهي بشارة أُخرى لزكريا . ٤٠ ـ ﴿قال رب أنى يكون لي غلام﴾ استفهام تعجب واستعلام؛ لاستبعاد ولاستعظام ﴿وقد بلغني الكبر و امرأتي عاقر﴾ وهذان يعيقان استجابة الدعاء. وفي الحادثة إقبال من الله على عبده يوجب انبساط العبد وتلذذه من الحديث. ﴿قال كذلك الله يفعل ما يشاء﴾ مع سماع الصوت الذي أثبت له البشرى وهي قضاءٌ حتمٌ وتعليل لاستفسار زكريا كما أنه تمهيد لحادثة ولادة عيسى ومضاهاة لها. ٤١ ـ ﴿قال رب اجعل لي آية﴾ أي علامة للاستدلال على أن الخطاب رحماني لا شيطاني أو على حمل امرأته أو وقت حملها، و الرأي الأول أوجه ﴿قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً﴾ أي إيماء بالشفتين إذ يُعقَلُ لسانك ﴿واذكر ربك كثيراً﴾ و هذا تأكيد رحمانية البشارة ﴿وسبح بالعشيّ و الإبكار﴾ فالشيطان لايأمر بالذكر والتسبيح ومن الظاهر المضاهاة مع نذر مريم بأن لاتكلم اليوم إنسياً. ٤٢ ـ ﴿وإذ قالت الملائكة يامريم إن الله اصطفاك قبلك لعبادته ﴿وطهرك﴾ أي عصمك بعصمته وقيل إنها بتول لا تحيض ﴿واصطفاك على نساء العالمين﴾ أي قدمك عليهن بأنه سيجعل معجزة عيسى منك . ٤٣ ـ ﴿يامريم اقنتي لربك﴾ والقنوت هو لزوم الطاعة عن خضوع فالله قد اصطفاك ﴿واسجدي﴾ فهو قد طهرك ﴿واركعي مع الراكعين﴾ والركوع هو مطلق التذلل أو الإنحناء. ٤٤ ـ ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك﴾ وهذا الغيب دلالة على صدق القصص من قبل. ﴿وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم﴾ أي قداحهم التي تضرب بها القرعة ﴿أيُّهم يكفل مريم﴾ عند ولادتها أو بعد كبرها وعجز زكريا عن كفالتها كما احتمل بعضهم ﴿وما

كنت لديهم إذ يختصمون﴾ بشأن كفالة مريم . ٤٥ ـ ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه﴾ وهذه الكلمة هي ما يظهر بها ما أراده الله تعالى من أمره نحو كلمة الإيجاد وهي قوله كن فيكون ﴿اسمه المسيح عيسى بن مريم﴾ والمسيح هو المبارك أوالملك بعد أن تمسحه الكهنة بالدهن المقدس ليبارك له في ملكه فكان يسمى مسيحاً وعيسى أصله يشوع فسّروه بالمخلص وفسر بيعيش مقابلة مع يحيى وتقيد عيسى بابن مريم لأنه من غير أب ﴿وجيهاً﴾ مقبولاً ﴿في الدنيا والآخرة ومن المقربين﴾ بسبب سبقه في سلوك طريق العودة إلى الله وهو مقام لايلزم أن يكون اكتسابياً فمن الملائكة من هم مقربون بهبة إلهية. ٤٦ ـ ﴿ويكلم الناس في المهد وكهلاً﴾ والكهولة بين الشباب والشيخوخة وهذه بشارة لمريم بأنه سيعيش حتى يبلغ سن الكهولة ﴿ومن الصالحين﴾. ٤٧ ـ ﴿قالت رب أنى يكون لي ولد﴾ خطاب منها لربها مع كون المكلم إياها الروح المتمثل لها ﴿ولم يمسسني بشر﴾ فالمس سبب الإخصاب ﴿قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ فقدرته لاحدود لها؛ وصعوبة الأمر ويسره تكون إذا كان الأمر متعلقاً بالأسباب والله يقول كن فيكون . ٤٨ ـ ﴿ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة﴾ وهي ماأنزل الله على موسى في ألواح وأما الذي عند اليهود من الأسفار فهم معترفون بانقطاع سنده مابين بختنصر من ملوك بابل وكورش من ملوك الفرس غير أن القرآن يصدق أن التوراة الموجود بأيديهم في زمن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم غير مخالفة للتوراة الأصل بالكلية و إن لعبت بها يد التحريف ﴿والإنجيل﴾ ومعناه البشارة فهو مانزل بالوحي على عيسى وأما أناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا وبرنابا فهي كتب مؤلفة بعده . ٤٩ ـ ﴿ورسولاً إلى بني إسرائيل﴾ والنبوة هي منصب البعث والتبليغ والرسالة تستتبع الحكم والقضاء بين الناس إما بالبقاء و النعمة أو الهلاك. ﴿أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير﴾ والخلق هو جمع أجزاء الشيء ﴿فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله﴾ فالله هو الذي نفخ الروح ﴿وأبرىء الأكمه﴾ وهو الذي يولد مطموس العين ﴿والأبرص﴾ وقد يقال لمن تذهب عينه أو من كان به مرض البرص الجلدي أكمه. ﴿وأحيي الموتى بإذن الله﴾ فكل هذه الآيات مستند إلى الله من غير أن يستقل عيسى عليه السلام بشيء من ذلك وإنما كرر إصراراً لما كان من المترقب أن يضل فيه الناس فيعتقدوا بألوهيته ﴿وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم﴾ وهو إخبار بالغيب المختص بعلمه تعالى ومن خصه من رسله بالوحي ولم يقيد الإنباء بالله تعالى لأنه فعل له فلا يليق أن يسند إلى ساحة القدس بخلاف الخلق والإحياء. فإنها فعل الله بالحقيقة ولا ينسبان إلى غيره إلا بإذنه ﴿إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾ أي إن كنتم صادقين في دعواكم الإيمان. ٥٠ ـ ﴿ومصدقاً لما بين يدي من التوراة﴾ أي لما علمه الله من التوراة ﴿ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم﴾ من الأحكام التي جاءت عقوبة بظلم من الذين هادوا ﴿وجئتكم بآية من ربكم﴾ فهو الذي أجرى الآية ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ متفرع على إتيان الآية لا على إحلال المحرمات فهو لدفع الوهم ٥١ ـ ﴿إن الله ربي و ربكم فاعبدوه﴾ قطع لعذر من اعتقد ألوهيته ﴿هذا صراطٌ مستقيم﴾ وما عداه عوج وانحراف .

وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ
ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾
وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾
وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ
أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ
فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ
وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ
فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾
وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم
بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ
هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ
ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ
أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ۖ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾

٥٢ ـ ﴿فلما أحسّ عيسى منهم﴾ من بني إسرائيل ﴿الكفر﴾ من كلهم أو جلهم أراد أن يتميز عدة من رجال قومه فيتمحضوا الحق فتستقر منه للسلوك إلى الله سبحانه ﴿قال من أنصاري إلى الله﴾ فتميز من آمن ﴿قال الحواريون نحن أنصار الله﴾ وحواري الإنسان من اختص به من الناس وقيل أصله من الحور وهو شدة البياض ﴿آمنا بالله﴾ فهم يسلكون الطريق إلى الله ﴿واشهد بأنا مسلمون﴾ وهذا الإسلام هو التسليم المطلق لما يريده الله وهذا لا يتأتى إلا من خُلّص المؤمنين لا من كل من شهد بالتوحيد والنبوة. ٥٣ ـ ﴿ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين﴾ الذين تعلموا معالم الدين من الرسول واتبعوه عملاً حتى يشاهد الواحد منهم أنه عامل بما يدعو إليه لايتخطاه ولا يتعداه أو أن يكونوا من شهداء الأعمال. ٥٤ ـ ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾ فبنو اسرائيل قذفوه وأمه الطاهرة واتهموه بالكذب والشعوذة وادعوا عند الملك بيلاطس أنه مهيج يدعو الجماهير للانتفاض على الحكومة وأرادوا صلبه وقتله. ٥٥ ـ ﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك﴾ الوفاة أخذ الشيء أخذاً تاماً ولذا يستعمل في الموت لأن الله يأخذ نفس الإنسان من بدنه على أن التوفي لم يستعمل في القرآن بمعنى الموت بل بعناية الأخذ والحفظ ﴿ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا﴾ وهو رفع روحه وجسده إلى السماء وتطهيره من الكافرين بإبعاده عنهم وصونه عن مخالطتهم والوقوع في مجتمعهم القذر بالكفر والجحود ﴿وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة﴾ والذين اتبعوه هم النصارى المستقيمون قبل ظهور الإسلام والمسلمون بعد ظهوره فإنهم أتباعه على الحق والتفوق هو تفوق الحجة وتفوق السلطنة والسيطرة إلى يوم القيامة ﴿ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾ حيث يتم الجمع لعيسى مع من اتبعه ومن كفر به. ٥٦ ـ ﴿فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا﴾ بيد الذين فوّقهم الله تعالى عليهم ﴿والآخرة﴾ بعذاب النار ﴿وما لهم من ناصرين﴾ فلا شفيع لهم عن حلول العذاب بساحتهم وهو حتم القضاء. ٥٧ ـ ﴿وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم﴾ وهو وعد بحسن الجزاء للذين اتبعوا بتلبس الإيمان في أعمالهم دون الاقتصار على لفظهم بأفواههم. فالأجر الوافي لقاء خالص العمل ﴿والله لا يحب الظالمين﴾ الذين انتسبوا إلى عيسى عليه السلام بالاتباع دون الإيمان والعمل الصالح فلهذا ختمت الآية بما ختمت مع أن مثيلاتها تختم بالمغفرة والرحمة فافهم. ٥٨ ـ ﴿ذلك﴾ القصص والتوجيه ﴿نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم﴾ وهو القرآن المحكم بآياته وبياناته لا يدخله باطل ولا يلج فيه هزل. ٥٩ ـ ﴿إن مثل عيسى عند الله﴾ وكيفية ولادته لاتزيد أن تكون ﴿كمثل آدم﴾ و ليس ذا طبيعة لاهوتية ﴿خلقه من تراب﴾ فهو بشر خلقه الله من غير أب ﴿ثم قال له كن فيكون﴾ فقوله فعل وخلق. ٦٠ ـ ﴿الحق من ربك فلا تكن من الممترين﴾ تأكيد لمضمون الآية السابقة وتطييب لنفس رسول الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم وهي من أبدع الآيات القرآنية حيث قيد الحق بمن الدالة على الابتداء فلو قال الحق مع ربك لكان فيه شائبة من الشرك والعجز. ٦١ ـ ﴿فمن حاجك فيه﴾ في أمر عيسى من نصارى نجران ﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾ إذ لو

تردد المحاج من جهة كون البيان وحياً إلهياً لم يجز له الارتياب من جهة كونه برهاناً يناله العقل السليم ﴿فقل تعالوا ندعُ أبناءنا﴾ الحسن والحسين عليهما السلام ﴿وأبناءكم و نساءنا﴾ فاطمة الزهراء عليها السلام ﴿ونساءكم وأنفسنا﴾ أي نفسه الشريفة مع علي عليهما السلام، وفي صحيح مسلم عن عائشة أن رسول الله ﷺ خرج وعليه مرط من شعر أسود، فجاء الحسن فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله، ثم فاطمة، ثم علي، ثم قال: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ ﴿وأنفسكم﴾ لزيادة اطمئنان الداعي بصدق دعواه وكونه على الحق، وروى ابن كثير أنه ﷺ غدا فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين. ﴿ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ فينقطع بذلك دابر المعاندين وأصل المبطلين والابتهال من البهلة وهي اللعنة ثم استعمل في الدعاء والمسألة إذا كان مع إصرار وإلحاح وقد أمسك نصارى نجران عن مباهلته صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن رأوا أنه أحضر أهله دون قومه وفي ذلك دليل على أنه قرن علياً بنفسه. يقول الزمخشري: وفيه دليل لاشيء أقوى منه على فضل أهل الكساء عليهم السلام. ٦٢ ـ ﴿إن هذا لهو القصص الحق﴾ فالحق ماذكر دون ما تدعيه النصارى في أمر عيسى مع تطييب لنفس الرسول وتشجيعه في أمر المباهلة بإيقاظ صفة يقينه وبصيرته ووثوقه بالوحي ثم تأتي الحقيقة الثانية ﴿وما من إلهٍ إلا الله﴾ و هذا يزيد من صدق القصص ﴿وإن الله لهو العزيز الحكيم﴾ فهو لايعجز عن تأييد الحق وهو حكيم لا يجهل ولا يهمل ماعملته أوهام خصماء الحق. ٦٣ ـ ﴿فإن تولوا﴾ عن الحق ﴿فإن الله عليم بالمفسدين﴾ لأن توليهم لكونهم لا يريدون ظهور الحق بل الحفاظ على ظاهر ما لديهم من حاضر الوضع فهم يريدون ما تزينه لهم أهواؤهم ومَوَساتهم وهذا هو الفساد في الدنيا بإفساد الحياة السعيدة التي يريدها الله لعباده. ٦٤ ـ ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾ للعمل بهذه الكلمة متعاضدين في نشرها والعمل بما توجبه والسواء أي متساوي الطرفين أي مساوٍ من حيث الأخذ والعمل بما توجبه أو أن الكلمة السواء هي التوحيد ولازمه رفض الشركاء وعدم اتخاذ الأرباب من دون الله سبحانه. ﴿الا نعبد إلا الله﴾ نفي لعبادة غير الله ونفي الشريك في العبادة ﴿ولا نشرك به شيئاً﴾ من اعتقاد البنوة والألوهية والتثليث فلا عبادة لله مالم يخلص أصل الاعتقاد ويتجرد الضمير من الاعتقادات والآراء و النظريات المولودة من أصل الشرك لأن العبادة حينئذٍ تكون عبادة إله له شريك لأن الإله منشأ لكل كمال في الأشياء وفيه كل كمال فلا بد لذلك من كونه أحداً صمداً ودينه هو الدين الفطري الذي ينفي الفساد، كما يسقط هذه المظالم والسلطات الهادمة لأساس السعادة والمخربة لبيان الحق والحقيقة. ولا يتأتى ذلك إلا بقطع منابت الاختلاف والبغي واستعباد القوي للضعيف وتحكمه فيه وتعبد الضعيف للقوي، فلا حاكم إلا الله ولا رب إلا الله ولا حكم إلا لله. ﴿ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾ فكل أفراد بني البشر متساوون في صفات إنسانيتهم فلذلك يتساوون في حقوق الحياة فلا ينبغي أن يحمل البعض إرادته وهواه على الآخرين إلا أن يتحمل ما يعادله وهو التعاون على اقتناء مزايا الحياة أما

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ ۖ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

خضوع المجتمع أو الفرد لفرد فهو اتخاذه رباً متبع المشية و رفع له عن التساوي وإعلاء له على حساب عبودية غيره وهذا بطلان للفطرة وانهدام للإنسانية ﴿فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ إشارة إلى أن التوحيد في العبادة من لوازم الإسلام وهو الدين المرضي عند الله فينقطع بذلك خصامهم وحجاجهم. وفي صحيح البخاري بإسناده عن ابن عباس عن أبي سفيان في حديث طويل يذكر فيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى هرقل عظيم الروم، قال أبو سفيان ثم دعا يعني هرقل بكتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقرأه فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ـ إلى قوله ـ: اشهدوا بأنا مسلمون» الحديث. وقد قيل إن كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المقوقس عظيم القبط أيضاً كان مشتملاً على قوله تعالى: ﴿ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾ وهناك نسخة منسوبة إليه عليه السلام مخطوطة بالخط الكوفي تضاهي كتابه عليه السلام إلى هرقل وقد استنسخ عنها أخيراً بالتصوير الضوئي ما يوجد عند الكثيرين. ٦٥ ـ ﴿ياأهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم﴾ فكل طائفة تضمه لنفسها ﴿وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون﴾ بطلان دعواهم الهادفة لتكذيب دعوى النبي بقوله إنه على دين إبراهيم وأن المسلمين هم ورثة الحنيفية الأولى. ٦٦ ـ ﴿ها أنتم هؤلاء حاججتم﴾ أي تحاججتم فيما بينكم ﴿فيما لكم به علم﴾ وذلك في موارد الاختلاف بينهم وعمدة ذلك نبوة عيسى عليه السلام فالنصارى كانت تحاج اليهود في بعثته ونبوته على علم منهم واليهود تحاج النصارى وتبطل ألوهيته وبنوته والتثليث ﴿فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم﴾ وهو أمر ابراهيم أنه كان يهودياً أو نصرانياً ﴿والله يعلم وأنتم لاتعلمون﴾ حقيقة إبراهيم. ٦٧ ـ ﴿ماكان إبراهيم يهودياً﴾ فاليهود قالوا إن الدين الحق لا يكون إلا واحداً وهو اليهودية بزعمهم فلا محالة أن إبراهيم كان يهودياً. ﴿ولا نصرانياً﴾ وقد قالت النصارى مثل قولهم ﴿ولكن كان حنيفاً مسلماً﴾ فدين الله الواحد هو الإسلام وهو مستكمل بحسب مرور الزمان واستعداد الناس من حيث تدرجهم في الكمال. ﴿وما كان من المشركين﴾ ولم يكن على دين عرب الجاهلية الوثنية التي كانت تدعي أنها على الدين الحنيف دين ابراهيم عليه السلام وكان الكتابيون يسمونهم الحنفاء ويدعون بالحنيفية الوثنية. ٦٨ ـ ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه﴾ في حياته وهذا تعريض بأهل الكتاب أي لستم أولى الناس بابراهيم لعدم اتباعكم إياه في إسلامه ﴿وهذا النبي﴾ الذي له شرع حق وكتاب حق ﴿والذين آمنوا﴾ هم أولى الناس به لأنهم على الإسلام الذي اصطفى الله به ابراهيم ﴿والله وليّ المؤمنين﴾ فإن ولاية إبراهيم من ولاية الله. ٦٩ ـ ﴿ودّت طائفة من أهل الكتاب لو يضلّونكم﴾ ولكن ميل النفس الفطري إلى الحق يمنعها من الضلال ﴿وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾ فجهم لإضلال المؤمنين وهم على الحق إضلال لأنفسهم حصراً من حيث لا يشعرون. ٧٠ ـ ﴿ياأهل الكتاب لم تكفرون

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٧﴾

بآيات الله﴾ بإنكار شيء من المعارف الإلهية كنبوة النبي ﷺ وكون عيسى عبداً لله ورسولاً منه و إن ابراهيم ليس يهودياً ولا نصرانياً و أن يد الله مبسوطة و أن الله غني ﴿وأنتم تشهدون﴾ علامات الرسول الكريم ﷺ وقد بشرت به كتبكم. ٧١ ـ ﴿ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق﴾ بإلقاء الشبهة عليه و تمويهه ﴿بالباطل﴾ بتحريف الآيات و تأويلها ﴿وتكتمون الحق﴾ وهو الآيات الدالة على نبوته وعلى المعارف الدينية الصحيحة ليضيع الحق في غمار الباطل ﴿وأنتم تعلمون﴾ عتاب للجميع لرضى بعضهم بفعال البعض الآخرين من المحرفين. ٧٢ ـ ﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا﴾ من وحي القرآن الذي يوافق ماعند أهل الكتاب و الذي أنزل ﴿وجه النهار﴾ وأوله ﴿واكفروا﴾ بما أنزل ﴿آخره﴾ بإبداء أن ما وصف به النبي الموعود لا ينطبق عليه لإيقاع البلبلة والاضطراب في صفات النفوس و خاصة العرب الأميون الذين كانوا يظنون أهل الكتاب أعرف منهم بطبيعة الديانات تشكيكاً للعرب الأميين ﴿لعلهم يرجعون﴾ عن دينهم والأغلب أن تكون هذه كلمة اليهود حين تغيير القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة في صلاة الظهر فقد آمنوا أن بيت المقدس قبلة في بداية الأمر ثم كفروا بأمر تغيير القبلة عن بيت المقدس كما ورد عن أئمة أهل البيت. ٧٣ ـ ﴿ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم﴾ فلا تخبروا أن من شواهد نبوة النبي الموعود عندكم تحويل القبلة إلى الكعبة؛ لأن تصديق الدعوة يقتضي أن يذهب سؤددكم ويقيموا عليكم الحجة وأجاب الله تعالى ﴿قل إن الهدى هدى الله﴾ فالمؤمنون في غنى عن ذلك والله بيده ﴿أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم﴾ و قد أعرض عن جواب المحاجة لظهور بطلانها ﴿قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء﴾ لا بيدكم وهذا الإنزال و الإيتاء الإلهي الذي تحتالون في تخصيصه لأنفسكم بالكتمان والتظاهر بالكفر أمر لا نستوجبه على الله بل هو الفضل وهو بيد الله يؤتيه من يشاء ولا شيء يزاحم المشيئة الإلهية ﴿والله واسع عليم﴾ بمواضع رحمته. ٧٤ ـ ﴿يختص برحمته من يشاء﴾ فله أن يتصرف في ملكه ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ فلازم عظمة الفضل أن يكون بيده و تبديل الفضل بالرحمة في قوله يختص برحمته من يشاء دلالة على أن الفضل وهو العطية غير الواجبة من شعب الرحمة. ٧٥ ـ ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك و منهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً﴾ إشارة إلى اختلافهم في حفظ الأمانات و العهود اختلافاً فاحشاً آخذاً بطرفي التضاد وهذه الرذيلة ناشئة من اعتقادهم ﴿ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين﴾ أي العرب وغير اليهود ﴿سبيل﴾ فلا حرج على الاسرائيلي من أكل أموال غير الاسرائيليين وغشهم وسلبهم وأخذ الربا منهم وهضم حقوقهم مع أن هذه المفاسد محرمة عندهم. وهذا يؤدي إلى إماتة الإنسانية وإفساد الأرض على أن أصل هذه الكلمة أي سلب الحقوق العامة عن بعض الأفراد والفئات هو سلب الحقوق عمن يريد إبطال الحقوق وهدم المجتمع. والذي يعتبره الإسلام في ثبوت الحق هو دين التوحيد من الاسلام أو الذمة. فمن لاإسلام له ولا ذمة فلا حق له في الحياة ﴿ويقولون على الله الكذب﴾ فهم ينسبون ذلك إلى الوحي السماوي والتشريع الديني ﴿وهم يعلمون﴾ بطلان دعواهم.

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۚ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

٧٦ ـ ﴿بلى من أوفى بعهده﴾ وهو الميثاق الذي أخذه الله من عباده أن يؤمنوا به ويعبدوه ﴿واتقى﴾ وطابق عمله قوله ﴿فإن الله يحب المتقين﴾ فالكرامة الإلهية ليست بالاحتيال والانتساب وكرامة الجنسية القومية بل يشترط في نيلها الوفاء بعهد الله وهذه هي الكرامة الحقةمن صالح وطالح ويطلقهم ومايعملون، ثم يقولون ليس علينا في الأميين سبيل ونحن أولياء الله، ونحن أبناء الله فهديهم ذلك إلى إفساد الأرض وإهلاك الحرث والنسل..

٧٧ ـ ﴿إن الذين يشترون بعهد الله﴾ كمثل اليهود بأخذهم الأموال ليحرفوا كتابهم وما أنزل في توراتهم وكمثل الأحبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله، ويقرن معهم من شاكلهم من علماء المسلمين ﴿وأيمانهم ثمناً قليلاً﴾ من عرض الدنيا بدل الوفاء بالعهد والتقوى. وقد ورد عنه ﷺ: «من حلف على يمين يستحق بها مالاً وهو فيها فاجر لقي الله وهو غضبانٌ عليه». ﴿أولئك لا خلاق لهم﴾ ولا نصيب لهم ﴿في الآخرة ولا يكلمهم الله﴾ ولا يشرفهم أبداً ﴿ولا ينظر إليهم﴾ بالرحمة ﴿يوم القيامة ولا يزكيهم﴾ ولا يطهرهم ﴿ولهم عذابٌ أليم﴾ في الدنيا والآخرة.

٧٨ ـ ﴿وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم﴾ يفتلونها فيفترون الكذب تلبيساً على الناس ﴿بالكتاب﴾ الذي كتبوه بأيديهم ونسبوه إلى الله سبحانه ﴿لتحسبوه من الكتاب﴾ المنزل بالوحي ﴿وما هو من الكتاب﴾ لأنه أرفع قدراً من تحريفهم ﴿ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله﴾ الذي هو إله حق لا يقول إلا الحق ﴿ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ تكذيب بعد تكذيب فالكذب دأب اليهود وديدنهم وهو ليس كذباً عن جهل بل هم عالمون به متعمدون فيه.

٧٩ ـ ﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة﴾ فلا يسع لبشر أن يجمع بين هذه النعم الإلهية ﴿ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله﴾ فعبادة أي معبود دون الله مع الله مردودة حتى بعنوان التقرب والتوسل والاستشفاع. لأن حقيقة العبادة لا تتحقق إلا مع استقلال المعبود ولله سبحانه الربوبية المطلقة. ﴿ولكن كونوا ربانيين﴾ منتسبين إلى الرب ﴿بماكنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ وما بعث عيسى إلا ليبين لهم بعض ما اختلفوا فيه وليحل لهم بعض الذي حرم عليهم ويدعوهم إلى القيام بالواجب من وظائف التعليم والتدريس.

٨٠ ـ ﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً﴾ كالصابئة الذين يعبدون الملائكة ومشركي قريش حيث كانوا يقولون إن الملائكة بنات الله وهم يدعون أنهم في ذلك على دين ابراهيم. وعبادة النبيين كقول اليهود عزير ابن الله. ﴿أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾ خطاب لجميع المنتحلين بالنبوة من أهل الكتاب فالإسلام هو دين التوحيد الذي هو دين الله عند جميع الأنبياء.

٨١ ـ ٨٢ ـ ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين﴾ وهذا الميثاق مأخوذ لهم ومأخوذ منهم، وإن كان مأخوذاً من غيرهم أيضاً بواسطتهم وهذا الميثاق هو أنه لا يتأتى لهم أن يدعوا إلى الشريك لله وأن يؤمنوا وينصروا غيرهم من الأنبياء ﴿لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به﴾ اللام للقسم والمجموع بيان للميثاق ﴿ولتنصرنه﴾ أي للرسول ﴿قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري﴾ فالخطاب مختص بالنبيين وأممهم وحكمه شامل لهم جميعاً؛ فالإصر هو العهد الثقيل بالإيمان والنصر ﴿قالوا أقررنا﴾ بهذا العهد ﴿قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾ والشهادة من الأنبياء وأممهم وهذه الآيات مسوقة للاحتجاج على أهل الكتاب في تركهم إجابة دعوة رسول الله ﷺ ﴿فمن تولى بعد ذلك﴾ بعد هذا الميثاق الغليظ ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ الذين شقوا عصا الطاعة على الأوامر الإلهية. ٨٣ ـ ﴿أفغير دين الله يبغون﴾ وهو الذي أخذ عليه الميثاق من عامة النبيين وأممهم فهل يطلبون غيرالإسلام الذي هو دين التوحيد. ﴿وله أسلم من في السماوات والأرض﴾ تسليماً تكوينياً فعليهم أن يسلموا تشريعاً والدليل عليه من السماوات والأرض وقد أسلموا ﴿طوعاً وكرهاً﴾ أي رضى بما أراد الله فيهم مما يحبونه أو كرهاً لما أراده فيهم مما لا يحبونه كالموت والفقر ونحوهما. ﴿وإليه يرجعون﴾ وهو سبب آخر لوجوب ابتغاء الإسلام ديناً. ٨٤ ـ ﴿قل﴾ أمر الله النبي أن يجري على الميثاق الذي أخذ منه ومن غيره فيقول عن نفسه وعن المؤمنين من أمته ﴿آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط﴾ وهم الأنبياء من ذرية يعقوب أو من

أسباط بني إسرائيل كداود ويونس وأيوب ﴿وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم﴾ تعميم للكلام ليشمل آدم ونوحاً ومن دونهما ﴿لانفرق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون﴾ جمع للجميع. ٨٥ ـ ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾ تأكيد لوجوب الجري على الميثاق ﴿وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ الذين آثروا التحرر من ربقة الانقياد لله لينقادوا إلى ما تمليه عليهم أهواؤهم من شرائع وأحكام ماأنزل الله بها من سلطان. فالاسلام هو الدين الذي يجب أن ينقاد له كل من في الأرض لأنه التسليم لله لجمع الناس تحت لواء واحد ومن يبتغ غير ذلك فلن يكون له سوى الخسران. ٨٦ ـ ﴿كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم﴾ الاستفهام يفيد الاستبعاد والإنكار ﴿وشهدوا أن الرسول حق﴾ وهي شهادة عن علم و إثبات ﴿وجاءهم البينات﴾ وهم أهل الردة من المسلمين فقد أسلموا بعد ظهور الحق وتمام الحجة ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ الوصف يشعر بالعلية وذلك لا ينافي هدايته لهم على تقدير رجوعهم وتوبتهم إليه ٨٧ ـ ﴿أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله﴾ الطرد من مغفرته ورحمته ﴿والملائكة و الناس أجمعين﴾ فهم يطلبون من الله أن يطردهم من رحمته ٨٨ ـ ﴿خالدين فيها لايخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون﴾ ولا يمهلون بل يعجل لهم ما يستحقون من العذاب المقيم. ٨٩ ـ ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك﴾ الارتداد ﴿وأصلحوا﴾ دخلوا في الصلاح فكانت توبتهم نصوحاً تغسل منهم درن الكفر وتطهر باطنهم بالإيمان ﴿فإن الله غفورٌ رحيم﴾ وضع للمغفرة والرحمة موضع المؤاخذة. ٩٠ ـ ﴿إن الذين كفروا بعد إيمانهم﴾ بعد تمام ظهور الحق وقيام الحجة عليهم ﴿ثم ازدادوا كفراً﴾ فطغوا ولا سبيل للصلاح إليهم ﴿لن تقبل توبتهم﴾ لأنهم لايرجعون إلى الحق بل منغمرون في الضلال ولا مطمع في اهتدائهم ﴿وأولئك هم الضالون﴾ وبسبب تأكد الضلال فيهم لاترجى هدايتهم. ٩١ ـ ﴿إنّ الذين كفروا وماتوا وهم كفار﴾ من غير توبة ﴿فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به﴾ فقد فاتتهم التوبة ولا بدل لها يحل محلها في الآخرة ﴿أولئك لهم عذابٌ أليمٌ ومالهم من ناصرين﴾ فلا شفيع ولاناصر من العذاب الأليم . ٩٢ ـ ﴿لن تنالوا﴾ ولن تصلوا إلى ﴿البرّ﴾ وهو التوسع في الخير وهو هنا أعم مما هو فعل القلب كالاعتقاد الحق والنية الطاهرة أو مما هو فعل الجوارح كالعبادة والإنفاق في سبيله تعالى ﴿حتى تنفقوا مما تحبون﴾ لما في غريزة الإنسان من التعلق بما جمعه من المال وعده كأنه جزء من نفسه إذا فقده فكأنه فقد جزءاً من حياة نفسه فلن تنالوا إحسان الله وإنعامه إلا بالإنفاق مماتحبون ﴿وما تنفقوا من شيء فإنّ الله به عليمٌ﴾ تطييب لنفوس المنفقين فالله عليم بإنفاقهم ويوفيهم أجرهم . ٩٣ ـ ﴿كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ماحرم إسرائيل﴾ وهو يعقوب وسمي به لأنه كان مجاهداً في الله ﴿على نفسه من قبل أن تنزل التوراة﴾ وقد أنكروا ذلك ﴿قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾ فقد كانوا ينكرون النسخ في الشرائع فإذا تلوا التوراة تبين أي الفريقين على حق ٩٤ ـ ﴿فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون﴾ تطييب لنفس النبي ﷺ بأن أعداءه من اليهود هم الظالمون بعد بيان افترائهم. ٩٥ ـ ﴿قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم

قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

حنيفاً﴾ أي اتبعوا ديني وهو نفس دين إبراهيم واعترفوا بحلية لحم الإبل وغيره من الطيبات التي أحلها الله وإن كان حرمها عليكم لظلمكم ﴿وما كان من المشركين﴾. ٩٦ ـ ﴿إنّ أوّل بيت وضع للناس﴾ لعبادتهم وهي أن يجعلوه ذريعة يتوسل بها إلى عبادة الله سبحانه وأن يقصدوه ويسيروا إليه ﴿للذي ببكة﴾ وهو الكعبة وسميت بكة لازدحام الناس فيها وقيل هو اسم الحرم وقيل المسجد وقيل المطاف ﴿مباركاً﴾ من البركة وهي الخير الكثير وهي البركات الدنيوية والأخروية. ﴿وهدىً للعالمين﴾ فهو يُري الناس سعادة آخرتهم ويوصلهم إلى الكرامة فهو هدى بكافة مراتب الهدى من الخطور الذهني إلى الانقطاع التام لله سبحانه وهو يهدي الناس إلى سعادتهم الدنيوية من وحدة الكلمة وائتلاف الأمة وشهادة منافعهم. ٩٧ ـ ﴿فيه آيات بيّنات مقام إبراهيم﴾ بيان لمزايا البيت ومفاخره ففيه مقام إبراهيم وهو الحجر الذي عليه أثر قدميه عليه السلام ﴿ومن دخله كان آمناً﴾ وهو حكم تشريعي لاخاصة تكوينية وهو إخبار عن تشريع سابق أو إنشاء على نحو الإمضاء ﴿ولله على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلا﴾ تشريع للحج إمضاء لما شرع إبراهيم عليه السلام والحج هو القصد ﴿ومن كفر﴾ بالفروع نظير الكفر بترك الصلاة والزكاة ﴿فإنّ الله غنيٌ عن العالمين﴾ فلن يضر الله شيئاً. ٩٨ ـ ﴿قل ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله﴾ بشأن حلية الطعام قبل نزول التوراة وكون الكعبة هي القبلة في الإسلام ﴿والله شهيدٌ على ماتعملون﴾ فهو عليمٌ بمكائدكم ومفاسدكم وصدكم. ٩٩ ـ ﴿قل ياأهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً﴾ تطلبون الطريق المعوج والمعطوف والمحرف ﴿وأنتم شهداء﴾ فالله شهيد على ماتعملون وعلى كفركم وإنكاركم كما أنكم شهداء على ذلك ﴿وما الله بغافل عمّا تعملون﴾ فالله شهيد عليكم وعلى أنكم شهداء على الحق الذي تنكرونه عن علم. ١٠٠ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب﴾ وهم اليهود أو فريق منهم ﴿يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ فهم ضالون مضلون يبغون ردتكم حقداً منهم وكرهاً للدين. ١٠١ ـ ﴿وكيف تكفرون﴾ بعد الإيمان ﴿وأنتم تتلى عليكم آيات الله﴾ التي تعصم من الكفر ﴿وفيكم رسوله﴾ الذي يهديكم مستقيم الصراط ﴿ومن يعتصم بالله﴾ فهي العصمة الكبرى الكلية التي تشمل كافة الهدايات ومن يتمسك بها. ﴿فقد هدي إلى صراطٍ مستقيم﴾ وهو الإيمان الثابت الذي يجمع سالكيه ولا يدعهم يخرجون عن الطريق فيضلون. ١٠٢ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته﴾ تجنباً وتحرزاً من عذابه وذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وشكر نعمه والصبر عند بلائه، ولكن حق التقوى هو محض العبودية التي لاتشوبها إنية ولا غفلة وهي الطاعة من غير معصية والشكر من غير كفر والذكر من غير نسيان. ﴿ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون﴾ وهذا الإسلام الذي يجب أن تداوموا عليه بالتقوى حتى تموتوا هو الدرجة العليا من الإسلام الحق. ١٠٣ ـ ﴿واعتصموا بحبل الله﴾ وهو الكتاب المنزل من عند الله الذي يصل مابين العبد والرب ويربط السماء بالأرض أو هو القرآن والنبي ﷺ وآية الاعتصام تأمر أفراد المجتمع الإسلامي ﴿جميعاً﴾ وقد أمرهم بالوحدة فقال ﴿ولا تفرقوا﴾

لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾

فالإسلام يقوم على توحيد المجتمع وروابط الأخوة الإيمانية ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾ فالنعمة هي ما دأب عليه الإسلام من وضع تعاليمه على العلل والأسباب مع الدعوة إلى الخير والهدى من وجهه من غير أن يأمر بالتقليد العامي المعمى، والله يعلم أن منبع الحقائق هو التوحيد مع وجوب إسلامهم لله واعتصامهم بحبله والتنعم بنعمة الأخوة وتأليف القلوب. ﴿وكنتم على شفا﴾ طرف ﴿حفرة من النار﴾ نار الآخرة ﴿فأنقذكم منها﴾ فقد أنقذكم من فساد مجتمعكم ونار الحروب والمنازعات التي يسيرها الهوى والتحكمات الفردية المذلة وهذا مايؤدي إلى الفناء والزوال والقتال والنزال، وأوصلكم إلى حقيقة الأمن الذي يعم المجتمع من جاه ومال وعرض ونفس ثمَّ ذقتم حلاوة النعم ولذيد السعادة ﴿كذلك يُبَيِّن الله لكم آياته لعلَّكم تهتدون﴾ فهذه الآيات نور ينير القلوب لتسرع للهداية. ١٠٤ ـ ﴿ولتكن منكم﴾ من للتبعيض ﴿أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ فالعمل كالعلم يقوى بمزاولته ويضعف بضعفه ويفسد بفساده والعلم يدعو إلى العمل والمجتمع الصالح يدعو الناس إلى التحفظ على معرفتهم وثقافتهم ويرد المتخلف عن الخير فمجتمع الإسلام المعتصم بحبل الله يكون المعروف فيه هو الخير والمنكر هو الشر ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ وهم الذين يقومون بهذا الواجب الكفائي صوناً لمجتمعهم وحفاظاً على منهج ربهم. ١٠٥ ـ ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات﴾ فالذين اختلفوا قد تفرقوا بالاعتقاد فتفرقت أبدانهم بعد اختلاف أفكارهم وخرجوا من الجماعة. وقد أكد القرآن الدعوة إلى الاتحاد وبالغ في النهي عن الاختلاف وما ذاك إلا لما كان يتفرس من أمر هذه الأمة وقد صدَّق جريان الحوادث هذه الملحمة القرآنية فقد تفرقت أمة محمد ﷺ شذر مذر واختلفوا في مذاهب شتى يكفر بعضهم بعضاً وكلما رام أحد أن يوفق أوجد مذهباً ثالثاً. وأولد هذا التفرق عبوديتهم لحكومات التحكم والاستبداد وأبدلوا سعادة الحياة بشقاء الضلال والغي ﴿وأولئك لهم عذابٌ عظيم﴾ على تفرقهم واختلافهم المؤدي لسقوطهم، وفي الصحيحين عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «ليردن علي الحوض رجال ممن صاحبني حتى إذا رفعوا اختلجوا دوني، فلأقولن: أي رب أصحابي فليقالن إنك لاتدري ماأحدثوا بعدك». وفي الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي ـ أو قال من أمتي ـ فيحلؤون عن الحوض فأقول: يارب أصحابي فيقول: لا علم لك بما أحدثوا بعدك ارتدوا على أعقابهم القهقرى فيحلؤون». ١٠٦ ـ ﴿يوم تبيض وجوهٌ وتسود وجوهٌ﴾ مقام كفرها بالنعمة وهو نظير الخيانة ﴿فأما الذين اسودت وجوههم﴾ بسبب خسة الانفعال والخجل ﴿أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ والخطاب لأهل البدع والأهواء من هذه الأمة أو أهل الكتاب الذين كفروا بالرسول ﷺ بعد إيمانهم به قبل مبعثهم أو جميع الكفار وقد أخذ ميثاقهم في عالم الذر. ١٠٧ ـ ﴿وأما الذين ابيضت وجوههم﴾ مقام شكرهم لنعمة الله ﴿ففي رحمة الله هم فيها خالدون﴾ مع بياض وجوههم. ١٠٨ ـ ﴿تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق﴾ إذ

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۗ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾

ليست باطلاً شيطانياً فهي تقرر المبادىء والقيم كما أنها حق فيما تعرضه من مصائر وجزاءات ﴿وما الله يريد ظلماً للعالمين﴾ فللكافر جزاء كفره وللشاكر ثواب شكره ولا فرق بين الناس. ١٠٩ ـ ﴿ولله مافي السماوات وما في الأرض﴾ فله التصرف فيها كيف يشاء فلا يتصور في حقه التصرف فيما لايملكه حتى يكون ظلماً وتعدياً فالظالم يظلم لينال حاجة لايمكنه نيلها إلا بالتعدي ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ فليس لغيره تعالى من الأمر شيء حتى يسلبه الله عنه وينتزعه ليجري فيه إرادة نفسه فيكون بذلك ظالماً. ١١٠ ـ ﴿كنتم خير أمةٍ أخرجت للناس﴾ وظهرت لهم بهدايتها لهم لأنكم ﴿تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ فلا عمل بلا إيمان وكنتم كنفسٍ واحدة ﴿ولو آمن أهل الكتاب﴾ والإيمان ضروري لوضع الميزان الصحيح للقيم فلو آمنوا ﴿لكان خيراً لهم﴾ في الدنيا يعتصمون به من الفرقة والهلهلة في الاعتقاد وفي الآخرة ينالون جزاء عملهم ﴿منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾ فالمؤمنون كعبد الله بن سلام وغيره وهم قلة والأكثرية قد خرجوا عن طور العبودية. ١١١ ـ ﴿لن يضروكم إلا أذىً﴾ والأذى هو المقدار اليسير من الضرر ﴿وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار﴾ وقد صدَّق الواقع الآية فقد أتى نصر الله باليسير من الضرر للمسلمين. ﴿ثم لاينصرون﴾ والله يخزي أعداءه. ١١٢ ـ ﴿ضربت عليهم الذلة﴾ الانكسار والمطاوعة وهذه الذلة ليست تشريعاً فإن الإسلام أدرك اليهود وهم يؤدون الجزية إلى المجوس ﴿أينما ثقفوا﴾ ووجدوا ﴿إلا بحبل﴾ إلا بسبب يؤدي التمسك به إلى العصمة من مذلة مضروبة عليهم كضرب الخيمة على الإنسان فهم مكتوب عليهم الذلة إلا بحبل ﴿من الله﴾ أي بسبب تكويني وتشريعي منه ﴿وحبلٍ من الناس﴾ بناء وعملاً فهم أذلاء بحسب حكم الشرع إلى أن يدخلوا تحت الذمة أو أمان من الناس ﴿وباؤوا﴾ رجعوا ﴿بغضبٍ من الله وضربت عليهم المسكنة﴾ وهي أشد الفقر ﴿ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله و يقتلون الأنبياء بغير حق﴾ وهذا دأب اليهود فهم المفسدون وهم قتلة الأنبياء وهم المحرفون لآيات الله ﴿ذلك بما عصوا و كانوا﴾ قبل ذلك ﴿يعتدون﴾. ١١٣ ـ ﴿ليسوا سواءً﴾ ليسوا متساوين في الوصف ﴿من أهل الكتاب أمةٌ قائمةٌ﴾ ثابتة على أمر الله وقيل عادلة وقيل ذات طريقة مستقيمة ﴿يتلون آيات الله﴾ فهم قيام على الإيمان والطاعة ﴿آناء الليل﴾ أي أوقات الليل ﴿وهم يسجدون﴾ فتلاوتهم وتهجدهم سجود له تعالى أو أريد بذلك صلاة العشاء على ما قيل. ١١٤ ـ ﴿يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ وهل هناك معروف أكثر من التصديق بأحكام الله وإقامة معالم دينه والنهي عما نهى عنه وكل ما نهى عنه منكر ﴿ويسارعون﴾ أي يتقدمون فيما يجوز التقدم فيه ﴿في الخيرات﴾ وهي مطلق الأعمال الصالحة ﴿وأولئك من الصالحين﴾ فهم أهل الصراط المستقيم وزملاء النبيين والصديقين والشهداء، وقيل المراد بهؤلاء عبد الله بن سلام وصحبه. ١١٥ ـ ﴿وما يفعلوا من خيرٍ فلن يكفروه﴾ بل يُشكَروه دون إنقاص ﴿والله عليمٌ بالمتقين﴾ يجازيهم خيراً

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

١١٦ ـ ﴿إن الذين كفروا﴾ وهم الطائفة الأخرى من أهل الكتاب الذين لم يستجيبوا لدعوة النبوة وكانوا يواطئون على الإسلام ليطفئوا نوره ﴿لن تغني عنهم﴾ ولن تنفعهم ﴿أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً﴾ فما سعوا إليه في الدنيا إنما هو سقط المتاع ﴿وأولئك أصحاب النار﴾ وقد سعوا إليها بأنفسهم ﴿هم فيها خالدون﴾ باقون. ١١٧ ـ ﴿مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا﴾ بيان لانقطاعهم عن الآخرة ﴿كمثل ريح فيها صرٌ﴾ برد شديد ﴿أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون﴾ فالعمل الفاسد لايأتي إلا بالأثر الفاسد. ١١٨ ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانةً من دونكم﴾ سميت الوليجة بطانة وهي ما يلي البدن من الثوب فهي تطلع على باطن الإنسان وما يضمره ﴿لا يألونكم خبالاً﴾ لايقصرون فيكم شراً وفساداً ومنه الخبل للجنون لأنه فساد العقل ﴿وَدُّوا ما عنتم﴾ أحبوا عنتكم وشدة ضرركم ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم﴾ فقد ظهرت من لحن قولهم وفلتات لسانهم ﴿وما تخفي صدورهم أكبر﴾ فهو لايوصف لتنوعه وعظمته ﴿قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون﴾ خطر اتخاذهم بطانة واطلاعهم على أسراركم وأحوالكم. ١١٩ ـ ﴿ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم﴾ إنها مودة من طرف واحد وكيف تودونهم وهم أعداء الله ورسوله والله يحذر من موادتهم ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو إخوانهم أو أزواجهم أو عشيرتهم﴾ وهم يجهدون في جركم إلى عالمهم وعاداتهم وتقاليدهم ليحرفوكم عن عقيدتكم ﴿وتؤمنون بالكتاب كله﴾ أي وإن كنتم تؤمنون بجميع الكتب السماوية النازلة من عند الله كتابهم وكتابكم فهم لايؤمنون بكتابكم ﴿وإذا لقوكم قالوا آمنا﴾ أي إنهم منافقون ﴿وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ﴾ والحنق تحسراً وتأسفاً وغضباً ﴿قل موتوا بغيظكم﴾ دعاء عليهم في صورة الأمر ﴿إن الله عليمٌ بذات الصدور﴾ أي بالقلوب والنفوس. ١٢٠ ـ ﴿إن تمسسكم حسنة تسؤهم﴾ المساءة خلاف المسرة ﴿وإن تصبكم سيئةٌ يفرحوا بها﴾ فهم يفرحون كلما نزلت بكم نازلة ﴿وإن تصبروا﴾ على عداوتهم ﴿وتتقوا﴾ موالاتهم ونصرتهم ﴿لا يضركم كيدهم شيئاً﴾ فالأمن من كيدهم مشروط بالصبر والتقوى ﴿إن الله بما يعملون محيط﴾ فهو يعلم ما يكيدون به لكم ولدينكم. ١٢١ ـ ﴿وإذ غدوت﴾ خرجت الغداة ﴿من أهلك تبوئ﴾ وتهيء ﴿المؤمنين مقاعد للقتال﴾ يلوح في آيات القصة لحن العتاب فإنها لاتخلو من شائبة اللوم والعتاب والأسف على ما جرى وظهر من المؤمنين من الفشل والوهن في العزيمة والقتال وذلك في غزوة أحد فلذلك عدل عن خطاب المؤمنين إلى خطاب النبي ﷺ ﴿والله سميعٌ﴾ لما قيل ﴿عليمٌ﴾ بما أضمرت قلوبهم فقد وافت قريش إلى أحد وكان

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ۖ وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ ۖ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۖ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ۖ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

رسول الله ﷺ قد عبأ أصحابه ـ وكانوا سبعمائة رجل ـ ووضع عبد الله بن جبير في خمسين من الرماة على باب الشعب، وأشفق أن يأتي كمين قريش من ذلك المكان، فقال لعبد الله بن جبير وأصحابه: «إن رأيتمونا قد هزمناهم حتى أدخلناهم مكة فلا تبرحوا من هذا المكان، وإن رأيتموهم هزمونا حتى أدخلونا المدينة فلا تبرحوا والزموا»، ووضع أبو سفيان خالد بن الوليد في مائتي فارس كميناً، وقال: «إذا رأيتمونا قد اختلطنا فاخرجوا من هذا الشعب حتى تكونوا وراءهم». وعبأ رسول الله ﷺ أصحابه ودفع الراية إلى أمير المؤمنين (ع) وحمل الأنصار على مشركي قريش فانهزموا هزيمة قبيحة، ووضع أصحاب رسول الله ﷺ في سوادهم وانحط خالد بن الوليد في مائتي فارس على عبد الله بن جبير فاستقبلوهم بالسهام فرجع. ونظر أصحاب عبد الله بن جبير إلى أصحاب رسول الله ﷺ ينتهبون سواد القوم فقالوا لعبد الله بن جبير: قد غنم أصحابنا ونبقى نحن بلا غنيمة ؟ فقال لهم عبد الله: اتقوا الله فإن رسول الله قد تقدم إلينا أن لانبرح، فلم يقبلوا منه، وأقبلوا ينسل رجل فرجل حتى أخلوا مراكزهم، وبقي عبد الله بن جبير في اثني عشر رجلاً. وكانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العبدي من بني عبد الدار فقتله علي، وأخذ الراية أبو سعيد بن أبي طلحة فقتله علي وسقط فأخذها مسافع بن أبي طلحة فقتله علي حتى قتل تسعة نفر من بني عبد الدار حتى صار لوائهم إلى عبد لهم أسود يقال له صواب. فانتهى إليه علي فقطع يده اليمنى فأخذ اللواء باليسرى فضرب يسراه فقطعها فاعتنقها ثم التفت إلى أبي سفيان فقال: هل عذرت في بني عبد الدار ؟ فضربه علي على رأسه فقتله، وسقط اللواء فأخذته غمرة بنت علقمة الكنانية فرفعته. وانحط خالد بن الوليد على عبد الله بن جبير ـ وقد فر أصحابه وبقي في نفر قليل ـ فقتلهم على باب الشعب ثم أتى المسلمين من أدبارهم، ونظرت قريش في هزيمتها وعادت للقتال. فلما رأى رسول الله ﷺ الهزيمة كشف البيضة عن رأسه وقال: «إلي أنا رسول الله إلى أين تفرون عن الله ورسوله ؟». وكانت هند بنت عتبه في وسط العسكر فكلما انهزم رجل من قريش دفعت إليه ميلاً ومكحلة، وقالت: إنما أنت امرأة فاكتحل بهذا. وكان حمزة بن عبد المطلب يحمل على القوم فإذا رأوه انهزموا ولم يثبت له أحد، وكانت هند قد أعطت وحشياً عهداً لئن قتلت محمداً أو علياً أو الحمزة لاعطينك كذا وكذا، وكان وحشي عبداً لجبير بن مطعم حبشياً فقال وحشي: أما محمد فلم أقدر عليه، وأما علي فرأيته حذراً كثير الالتفات فلا مطمع فيه، فكمنت لحمزة فرأيته يهد الناس هداً فمر بي فوطىء على جرف نهر فسقط، وأخذت حربتي فهززتها ورميته بها فوقعت في خاصرته وخرجت من ثنّته فسقط فأتيته فشققت بطنه، وأخذت كبده، وجئت به إلى هند فقلت هذه كبد حمزة، فأخذتها في فمها فلاكتها فجعله الله في فمها مثل الداغصة.

١٢٢ ـ ﴿إذ همت﴾ هم خطرة لا هم عزيمة؛ لأن المعنى يحمل المدح ﴿طائفتان منكم أن تفشلا﴾ وتضعفا وهاتان الطائفتان هما بنو حارثة وبنو سلمة، والضعف لايخطر للمؤمنين ﴿والله وليهما﴾ وهذا لوم وعظة فلا ينبغي للمؤمن أن يفشل وهو يرى أن الله وليه ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ولن يخزيه؛ إن الله بالغ أمره. ١٢٣ ـ ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة﴾ فما كان ينبغي أن يظهر منكم الهم بالفشل في أُحد مع أن القوة والشوكة في بدر كانت مع المشركين ﴿فاتقوا الله لعلكم تشكرون﴾ فالشكر يدور مدار التقوى والتقوى تورث الشكر. ١٢٤ ـ ﴿إذ تقول للمؤمنين﴾ يوم بدر ﴿ألن يكفيكم﴾ لتنتصروا ﴿أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين﴾ حث للمؤمنين وقد أيدهم الله بملائكته لنصرتهم. ١٢٥ ـ ﴿بلى﴾ كلمة تصديق ﴿إن تصبروا وتتقوا﴾ ويتحقق منكم شرطا العون الإلهي فهم ينزلون ﴿ويأتوكم من فورهم هذا﴾ والفور من الفوران وهو الغليان ليلائم حالة التأهب والاستعداد والله ﴿يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾ يسومونكم سوء العذاب. ١٢٦ ـ ﴿وما جعله الله﴾ أي الإمداد ﴿إلاّ بشرى لكم و لتطمئن قلوبكم به﴾ أي بهذا المقام الربوبي الذي ينتهي إليه كل أمر وحكم، ولايستقل دونه شيء من الأسباب ﴿وما النصر إلا من عند الله﴾ والملائكة النازلون ليس لهم من أمر النصر شيء بل هم أسباب ظاهرية يجلبون لكم البشرى وطمأنينة القلب أما حقيقة النصر فمن الله سبحانه وهو ﴿العزيز﴾ الذي لايغلب ﴿الحكيم﴾ الذي يجري قدره وفق حكمته. ١٢٧ ـ ﴿ليقطع طرفاً من الذين كفروا﴾ لينقص عددهم بالقتل وأرضهم بالفتح وسلطانهم بالقهر وأموالهم بالغنيمة وفاعليتهم بالهزيمة كما وقع يوم بدر ﴿أو يكبتهم﴾ يخزيهم ويغيظهم ﴿فينقلبوا خائبين﴾ فينصرفون مهزومين أذلاء. وقد قتل من المشركين في بدر سبعون وأسر سبعون؛ فقال أبو سفيان يامعشر قريش مروا نساءكم لاتبكين على قتلاكم فإن الدمعة إذا خرجت أذهبت الحزن والعداوة لمحمد. فلما غزوا رسول الله ﷺ يوم أحد أذنوا لنسائهم في البكاء والنوح. ١٢٨ ـ ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ لافي نصر حتى تستوجب المدح والتدبير ولا في هزيمة حتى تلام وتوبخ ﴿أو يتوب عليهم﴾ معطوفة على الفعل ليقطع طرفاً لأن الله هو المالك لكل شيء فيغفر لمن يشاء ﴿أو يعذبهم﴾ فيعذب من يشاء ﴿فإنهم ظالمون﴾ يستحقون العذاب. ١٢٩ ـ ﴿و لله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء و الله غفورٌ رحيمٌ﴾ بيان لرجوع التوبة والمغفرة إلى الله تعالى ومغفرته ورحمته تسبقان عذابه وغضبه. ١٣٠ ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا﴾ وهذا يدل على إطلاق الأكل وإرادة الأخذ ﴿أضعافاً مضاعفة﴾ فهو يتضاعف بإنفاد مال الغير وضمه إلى رأس المال الربوي والذين يأكلون الربا قليلة أو كثيرة إنما يأكلون في بطونهم ناراً ﴿واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ فلا فلاح بلا تقوى. ١٣١ ـ ﴿واتقوا النار التي أعدت للكافرين﴾ إشارة إلى كفر آكل الربا. ١٣٢ ـ ﴿وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾ ترغيب بالوعد بعد ترهيب بالوعيد فأكل الربا معصية لله ورسوله تمنع من نيل الرحمة.

إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

١٣٣ ـ ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة﴾ الجنة دار طهارة لاتدخل فيها قذارات المعاصي والذنوب وأدرانها ولا من تقذر بها إلا بعد المغفرة والإزالة وهذه الجنة ﴿عرضها﴾ أي سعتها ﴿السماوات والأرض﴾ فلا يحدها الوهم البشري ﴿أعدت للمتقين﴾ الذين يقيهم الله النار ويسكنهم الجنة. ١٣٤ ـ ﴿الذين ينفقون في السراء﴾ السراء هي ما يسر الإنسان ﴿والضراء﴾ وهي ما يضره ويسوؤه فالسراء لا تبطرهم فتلهيهم والضراء لاتضجرهم فتثنيهم فهم ينفقون شعوراً بالواجب في كل حال مع التحرر من الشح والحرص ﴿والكاظمين الغيظ﴾ الكظم هو شد رأس القربة بعد ملئها، والغيظ هيجان الطبع للانتقام بمشاهدة ما لايرتضيه ﴿والعافين عن الناس﴾ عندما يرون منهم ما لايرضيهم فأوصافهم هذه معروفة لدى الناس ﴿والله يحب المحسنين﴾ الذين تخلص أعمالهم لوجه الله وتأتي أعمالهم على وجه الحسن من جهة الاستقامة والثبات على الإيمان بالله سبحانه.

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠

١٣٥ ـ ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة﴾ وهي القبيح من الأعمال وشاع استعمالها في الزنا ﴿أو ظلموا أنفسهم﴾ بفعل سائر المعاصي الكبيرة والصغيرة أو هي خصوص الصغائر على تقدير الفاحشة للكبائر ﴿ذكروا الله﴾ ليس لفظاً فحسب بل ذكروه بجوارحهم ﴿فاستغفروا لذنوبهم﴾ وعادوا لربهم ﴿ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾ تشويق وإيقاظ لقريحة اللواذ والالتجاء في الإنسان ﴿ولم يصروا على ما فعلوا﴾ قيد الاستغفار بعدم الإصرار فالإصرار يورث في النفس الاستهانة بأمر الله وعدم المبالاة بهتك حرماته والاستكبار عليه ولا تبقى معه عبودية ولا ينفع معه ذكر ﴿وهم يعلمون﴾ قرينة على كون الظلم يشمل الصغائر. ١٣٦ ـ ﴿أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ بيان لأجرهم الجزيل وقد نالوا المغفرة التي تستر نقائصهم ﴿ونعم أجر العاملين﴾ فالأجر لمن عمل ونعم الأجر ما وعد الله. ١٣٧ ـ ﴿قد خلت من قبلكم سننٌ﴾ والسنة هي الطريقة المسلوكة في المجتمع ﴿فسيروا في الأرض﴾ واعتبروا بآثار الماضين ﴿فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ والطغاة والفراعنة، لم تنفعهم شواهق قصورهم ولا ذخائر كنوزهم ولا أمجاد عروشهم؛ وقد صاروا أحاديث. أما أمجادهم الدنيوية ومظاهر عظمتهم فهي لباس الوثنية لايعبأ بذكره. ١٣٨ ـ ﴿هذا بيانٌ للناس﴾ فما جرى للمكذبين بالأمس سيخضع له مكذبو اليوم والغد ﴿وهدىً وموعظةٌ للمتقين﴾ الذين يخشون ربهم ويلتزمون بحدوده. ١٣٩ ـ ﴿ولا تهنوا﴾ لا تضعفوا عن قتال أعداء الدين والاهتمام بإقامته، ﴿ولا تحزنوا﴾ بسبب الهزيمة التي منيتم بها في أحد وبسبب شهادة سبعين من سراتكم وشجعانكم ﴿وأنتم الأعلون﴾ فبعقيدتكم تسجدون لله وحده وبمنهجكم تسيرون على منهج من هدى الله وبدوركم أنتم الأوصياء على البشرية كلها، وبمكانتكم لكم وراثة الأرض ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ فالإيمان يستصحب علاءكم إذ هو يلازم التقوى والصبر وفيهما ملاك الفتح والظفر واشتراط علوهم بالإيمان مع كون الخطاب للذين آمنوا لتباين درجات الإيمان فيكون تنشيطاً لمؤمنهم وعظة لضعيفهم وعتاباً وتأنيباً لمريضهم. ١٤٠ ـ ﴿إن

يمسسكم قرحٌ﴾ وهو الأثر من الجراحة من شيء يصيب من الخارج وهو كناية عما أصابهم يوم أحد بفرض مجموع المسلمين شخصاً واحداً ﴿فقد مس القوم﴾ المشركين ﴿قرحٌ مثله﴾ في وقعة بدر ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾ فيتناولونها واحداً بعد آخر دون أن توقف على قوم أو يذب عنها قوم وذلك لمصالح عامة لاتحيط أفهامكم إلا ببعضها ﴿وليعلم الله الذين آمنوا﴾ بحيث يتحقق ظهور إيمان الذين آمنوا، وإذا كان ذلك على سنة الأسباب والمسببات لم يكن بد من وقوع أمور توجب ظهور إيمان المؤمن بعد خفائه فافهم ذلك. ﴿ويتخذ منكم شهداء﴾ على الأعمال أما شهداء القتلى فلا يعهد استعماله في القرآن وإنما هو من الألفاظ المستحدثة ﴿والله لا يحب الظالمين﴾.

١٤١ ـ ﴿وليمحص الله الذين آمنوا﴾ ويخلصهم من الشوائب ﴿ويمحق الكافرين﴾ وينفدهم تدريجياً ويزيلهم شيئاً فشيئاً. وهذا التمحيص من حكم مداولة الأيام ومصالحها؛ فالله يخلص المؤمن من شوائب الكفر والنفاق والفسوق ويبيد أجزاء الكافرين بحيث لايبقى للمؤمن إلا إيمانه ولا يبقى للكافر شيء.

١٤٢ ـ ﴿أم حسبتم﴾ أن الدولة تكون لكم مكتوبة فلا تبتلون بل ظننتم ﴿أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ من غير أن يتميز المستحق لها من غير المستحق وصاحب الدرجة الرفيعة من غيره والصابر على تكاليف الدعوة وهي المعاناة اليومية من غيره.فهناك فرق بين العلم قبل الإيجاد والعلم الفعلي الذي هو الفعل وأن المراد ليس هو العلم قبل الإيجاد.

١٤٣ ـ ﴿ولقد كنتم تمنون الموت﴾ قبل حضور الغزوة وذلك ﴿من قبل أن تلقوه﴾ حتى إذا حضرت الغزوة ﴿فقد رأيتموه و أنتم تنظرون﴾ ـ عتاب وتوبيخ ـ فلم تبذلوا وتقدموا ولم تنالوا ماكنتم تتمنونه بل فشلتم وتوليتم عن القتال فهل كان من الجائز أن تدخلوا الجنة بمجرد التمني دون امتحان وفحص أو دون تمييز بين وزن لكلمة يقولها اللسان ووزن للحقيقة يواجهها العيان.

وروي في التفاسير: إن المؤمنين لما أخبرهم الله تعالى بالذي فعل بشهدائهم يوم بدر في منازلهم في الجنة رغبوا في ذلك فقالوا: اللهم أرنا قتالاً نستشهد فيه فأراهم الله يوم أحد إياه فلم يثبتوا إلا من شاء الله منهم فذلك قوله: ﴿ولقد كنتم تمنون الموت﴾ الآية.

١٤٤ ـ ﴿وما محمد إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل﴾ فهو لايزيد عن كونه بشراً رسولاً ﴿أفإن مات﴾ والموت زهاق الروح وبطلان الحياة ﴿أو قتل﴾ بسبب عمدي ﴿انقلبتم على أعقابكم﴾ ارتددتم على آثاركم قصصاً فتوليتم عن الدين وعدتم كما كنتم كفاراً ﴿ومن ينقلب على عقبيه﴾ ويتخذ الضلالة بعد الهداية ﴿فلن يضر الله شيئاً﴾ فالله لايتأثر بإيمانه أو كفره ﴿وسيجزي الله الشاكرين﴾ الذين لم ينقلبوا على أعقابهم. والشكر هو إظهار النعمة كما أن الكفر سترها ولم يذكر ما يجازيهم به إشعاراً بعظمته ونفاسته.

وعن السدي قال: فشا في الناس يوم أُحد أن رسول الله ﷺ قد قتل فقال بعض أصحاب الصخرة: ليت لنا رسولاً إلى

وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ۚ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

عبد الله بن أبي سفيان فيأخذ لنا أماناً من أبي سفيان ياقوم إن محمد قد قتل فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلونكم، قال أنس بن النضر: ياقوم إن كان محمد قد قتل فإن رب محمد لم يقتل فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد، اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء فشد بسيفه فقاتل حتى قتل فأنزل الله: ﴿وما محمد إلا رسول﴾ الآية.

١٤٥ ـ ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً﴾ نقض لقول المنافقين فالقتال ليس سبباً للموت؛ إذ أن الموت سببه حلول الأجل بإذن الله ولولا ذلك لبطل الملك الإلهي والتدبير الربوبي، فالموت سنة محكمة تصدر عن قضاء مبرم فلا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم ـ المؤمنين ـ إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزىً لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ﴿ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها﴾ ولازم هذا القول أن هناك من آمن لظنه أن الأمر بالقتال للرسول ﷺ وللمؤمنين إنما هو لمن أراد الدنيا ومن اجتنب هذا فقد أراد الآخرة. ﴿ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين﴾ لأنهم لايريدون إلا وجه الله. فهم يدركون نعمة التكريم الإلهي للإنسان فيرتقون عن مدارج الحيوان ويشكرون الله على تلك النعمة وينهضون بتبعات الإيمان.

١٤٦ ـ ﴿وكأين﴾ كلمة تكثير ﴿من نبي قاتل معه ربيون كثير﴾ وهم الذين اختصوا بربهم ولم يشتغلوا بغيره ﴿فما وهنوا﴾ وما ضعفت نفوسهم ﴿لما أصابهم في سبيل الله﴾ من الكرب والبلاء ﴿وما ضعفوا﴾ عن الكفاح في سبيله ﴿وما استكانوا﴾ ما استسلموا ﴿و الله يحب الصابرين﴾ الذين لا تضعف نفوسهم ولا تلين عزائمهم ولا يستكينون.

١٤٧ ـ ﴿وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا﴾ تجسيم لأخطائهم ﴿وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾ فقد كان همهم رفعة الدين وانتشاره، فلم يطلبوا نعمة ولا ثراء ولا ثواباً، لا في الدنيا ولا في الآخرة فهم أكثر أدباً مع الله.

١٤٨ ـ ﴿فآتاهم الله ثواب الدنيا و حسن ثواب الآخرة﴾ وقد وصف ثواب الآخرة بالحسن دون الدنيا إشارة لارتفاع منزلتها وقدرها بالنسبة إليها ﴿و الله يحب المحسنين﴾ في عقيدتهم والمحسنين في سلوكهم.

١٤٩ ـ ﴿يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا﴾ الذين يثبطونكم عن القتال ويلقون التنازع والتفرقة فيكم ﴿يردوكم على أعقابكم﴾ من الإيمان إلى الكفر ﴿فتنقلبوا خاسرين﴾ فولايتهم تهدي إلى الخسران.

١٥٠ ـ ﴿بل الله مولاكم وهو خير الناصرين﴾ فالولاية لله ولا ولاية لمن دونه وولايته هي ولاية النصر ولا ناصر إلا الله فهو خير الناصرين.

١٥١ ـ ﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ وعد جميل بأنهم سينصرون بالرعب وقد خص الله تعالى رسوله ﷺ بهذا الضرب من النصر فكم من مرة وقف الباطل المدجج ذليلاً أمام الحق الأعزل يرتجف من كل حركة وصوت. والكفار سيذلون ﴿بما أشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً﴾ فقد أشركوا به بلا برهان معهم وقد أشركوا بالتماس النفع والخير من غيره فقد أشركوا باتخاذهم سلطاناً من دون الله وقد أشركوا بنفي الصانع وإسناد التأثير والتدبير إلى غيره كالدهر والمادة ﴿و مأواهم النار و بئس مثوى الظالمين﴾ جزاء وفاقاً.

١٥٢ ـ ﴿ولقد صدقكم الله وعده﴾ بإلقاء الرعب في قلوب الذين كفروا ﴿إذ تحسونهم بإذنه﴾ والحس هو القتل على وجه الاستئصال وقد ظهر المسلمون على الكفار في أحد ﴿حتى إذا فشلتم﴾ وضعف رأي فريق من الرماة أمام إغراء الغنيمة ﴿و تنازعتم في الأمر﴾ فمنهم من كان يريد الطاعة المطلقة للرسول والثبات في المواقع ومنهم من كان يريد اللحوق بمن مع الرسول ﷺ لنيل الغنيمة ﴿و عصيتم﴾ وتركتم عبد الله بن جبير ومن بقي معه من الرماة حتى حمل عليهم خالد بن الوليد فيمن معه من المشركين وقتلوهم وقد كانت هذه المعصية ﴿من بعد ما أراكم ما تحبون﴾ من بشائر النصر ﴿منكم من يريد الدنيا﴾ والمغانم التي فيها ﴿ومنكم من يريد الآخرة﴾ ويفضل ماعند الله على مغانم الدنيا ﴿ثم صرفكم عنهم ليبتليكم﴾ أي كفكم عن المشركين بعد التنازع والمعصية ليمتحنكم بكشف مكنونات القلوب وتمحيص النفوس بالشدة والخوف والهزيمة والقتل ليميز المؤمن من المنافق والمؤمن الثابت على عزيمته من المتقلب قليل الثبات ﴿ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين﴾ فعفوه عن الضعف والتنازع فضل منه على المؤمنين.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۖ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَابَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

١٥٣ ـ ﴿إذ تصعدون﴾ الإصعاد هو الذهاب والإبعاد في الأرض بخلاف الصعود وهو الإرتقاء ﴿ولا تلوون على أحد﴾ أي فاذكروا إذ تذهبون دون أن تلتفتوا باضطراب وخوف ﴿والرسول يدعوكم﴾ وقد تفرقتم عنه وهو ﴿في أخراكم﴾ يناديكم ﴿فأثابكم غماً بغم لكيلا تحزنوا على مافاتكم ولا ما أصابكم﴾ فالغم الذي أثابكم به نعمة منه فقد جازاكم بغم الندم والحسرة على فوت النصر بدل غم الحزن على ماأصابكم وما فاتكم ﴿والله خبيرٌ بما تعملون﴾ فهو مطلع على الخفايا يعلم حقيقة أعمالكم ونوازع نفوسكم.

١٥٤ ـ ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنةً﴾ وأمناً ﴿نعاساً يغشى طائفة منكم﴾ وقد شملت عنايته طائفة من القوم وهي الطائفة التي رجعت إلى رسول الله ﷺ بعد الانهزام والإصعاد لما ندموا وتحسروا، وحاشا أن يعفو عنهم عفو رحمة وهم في حال الفرار عن الزحف وهو من كبائر المعاصي والآثام ﴿وطائفةٌ﴾ أُخرى من المؤمنين ﴿قد أهمتهم أنفسهم﴾ وشغلتهم فنسوا كل شيء دونها فلم يكرمهم بالعفو وإثابة الغم ثم الأمنة والنعاس بل وكلهم إلى أنفسهم فنسوا كل شيء دونها ظناً منهم أن الله لايرضى بظهور أعدائه على دينه ويمضي ماأراد. ﴿يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية﴾ فقد كانوا يظنون أن بعض الأمر لهم من دون الله فهم ﴿يقولون هل لنا من الأمر من شيء﴾ فقد كانوا يرون لأنفسهم الظهور والغلبة ويظنون أن الدين الحق لايغلب ولا يغلب المتدين به لأن على الله أن ينصره من غير قيد وشرط وقد وعدهم به وهذا الظن ظن الجاهلية فالاعتقاد أن لكل شيء رباً والله خالق كل الأرباب شرك بالله ﴿قل إن الأمر كله لله﴾ فالله لم يفوض أحداً من خلقه في التصرف بالنصر ولم يفوضه بأن يكون قاهراً في دعوته أو لايموت وكل من ظن ذلك فقد اتخذ شريكاً لله سبحانه لأنه لا استقلال للأسباب بذاتها والله قد وضع سنة الأسباب والمسببات فما كان سببه أقوى كان وقوعه أرجح سواء في الحق والباطل والخير والشر، والمؤمن والكافر، أو المحبوب والمبغوض أو محمد وأبو سفيان ﴿يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك﴾ فهم يشككون في صورة السؤال ﴿يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا ههنا﴾ فالوساوس تعبث في صدورهم وتدعوهم للاحتجاج والاعتراض ﴿قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كُتب عليهم القتل إلى مضاجعهم﴾ فقتلكم ليس لعدم كونكم على الحق بل لأن القضاء الإلهي جرى على أن يضطجع المقتولون هذه المضاجع ولو كانوا في بيوتهم ﴿وليبتلي الله مافي صدوركم﴾ ليكشفها على حقيقتها ﴿وليمحّص مافي قلوبكم﴾ فهي سنة واقعة حتى يحل المقتولون محلهم وينالوا درجاتهم وتحلوا أنتم محلكم وتنالوا درجاتكم فيتعين لكل طرف السعادة أو الشقاوة ﴿والله عليمٌ بذات الصدور﴾ وماوقر فيها من الإيمان. ١٥٥ ـ ﴿إن الذين تولّوا منكم﴾ فهربوا ﴿يوم التقى الجمعان﴾ في الحرب ﴿إنما استزلهم الشيطان﴾ أوقعهم في الزلة ﴿ببعض ماكسبوا﴾ في نفوسهم وبعض ما عملوا فإن السيئات مبنية على هوى النفس ﴿ولقد عفا الله عنهم﴾ أي عن الذين تولوا ﴿إن الله غفورٌ رحيمٌ﴾ فهو يستر ذنوب عباده ولا يسرع بعقاب من أساء إليه. ١٥٦ ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين كفروا﴾ يقصد الكافرين دون المنافقين ﴿وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض﴾ أي سافروا فماتوا ﴿أو كانوا غُزّىً﴾ جمع غاز فقاتلوا وقتلوا ﴿لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا﴾ بيان لحقيقة الأمر وهو أن الموت يشمل الموت حتف الأنف كما يشمل القتل سواء أكان مسافراً يضرب في الأرض أم مقاتلاً في سبيل الله، وقولهم هذا يسوق إلى عذابٍ قلبيٍّ ونقمة إلهية ﴿ليجعل الله ذلك﴾ أي ليجعل الله من مقتل الشهداء ﴿حسرةً في قلوبهم والله يحيي ويميت﴾

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۖ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

فالقرب والبعد ليس بمنج أو محي ولا مميت لأن ذلك من اختصاص الله وحده فليتقوا الله ﴿و الله بما تعملون بصيرٌ﴾ لكي لايكونوا مثلهم.

١٥٧ ـ ﴿ولئن قُتلتم في سبيل الله أو مُتُّم﴾ قدم فعل القتل على الموت لأنه أقرب إلى المغفرة ﴿لمغفرةٌ من الله ورحمةٌ خيرٌ مما يجمعون﴾ من المال وما يلحق به وهو بغية الدنيا. ١٥٨ ـ ﴿ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون﴾ فمرجعكم إلى الله في النهاية. ١٥٩ ـ ﴿فبما رحمةٍ من الله لنت لهم﴾ فرحمة الله جعلت الرسول يلين لهم مع اعتراضهم بأنه أوردهم الهلاك ﴿ولو كنت فظاً﴾ جافياً قاسياً ﴿غليظ القلب﴾ بدون رقة فيه ورأفة ﴿لانفضُّوا﴾ وتفرقوا ﴿من حولك﴾ ومع اللين قال له تعالى: ﴿فاعف عنهم﴾ أي لاترتب على فعالهم أثر المعصية ﴿واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾ ليكون ذلك إمضاء لسيرتك ﴿فإذا عزمت فتوكَّل على الله إن الله يحبُّ المتوكلين﴾ وإذا أحبك كان لك ولياً وناصراً. ١٦٠ ـ ﴿إن ينصركم الله﴾ إن يؤيدكم بنصره ﴿فلا غالب لكم﴾ فله طلاقة القدرة ﴿وإن يخذلكم﴾ ويتخلى عن نصركم ﴿فمن ذا الذي ينصركم من بعده﴾ والله مالك الأسباب وهو رب كل شيء ﴿وعلى الله فليتوكَّل المؤمنون﴾ فالمؤمن يتوكل على الله لإيمانه أن لا ناصر له ولا معين إلا هو.

١٦١ ـ ﴿وما كان لنبي أن يَغُلَّ﴾ تنزيه لساحة النبي عن الخيانة إذ لايمكن أن يكون النبي خائناً فالخائن يلقى ربه ﴿ومن يغلل يأت بما غَلَّ يوم القيامة﴾ ثم توفى كل نفس ماكسبت وهم لايظلمون﴾ فمن غل فسوف يأتي بما غل في عنقه يوم القيامة؛ ومن أحسن فسيثاب على إحسانه. ١٦٢ ـ ﴿أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخطٍ من الله﴾ موازنة بين القيم الحقيقية التي يلتفت إليها قلب المؤمن الذي لاهم له إلا رضوان ربه وبين من يتبع أهواء المال والدنيا دون مبالاة برضى الله بل مستنزلاً سخطه ﴿ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ وهل جزاء السخط إلا النار. ١٦٣ ـ ﴿هم درجات عند الله والله بصيرٌ بما يعملون﴾ وكل ينال درجته باستحقاقه ولا يخفى على الله لا العمل ولا دوافعه.

وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

١٦٤ ـ ﴿لقد منَّ الله على المؤمنين﴾ وصف يفيد العلية ﴿إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾ فبعثُ الرسول مِنَّة وكونه من أنفسهم منَّة ثانية ﴿يتلو عليهم آياته﴾ منَّة ثالثة ﴿ويزكيهم﴾ منة رابعة ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ منة خامسة ﴿وإن كانوا من قبل لفي ضلالٍ مبين﴾ ذكر حالهم قبل البعثة وقد كانوا أميين قلماً وعقلاً فالرسول يطهر قلوبهم من تصوراتهم وأوثانهم ويطهر بيوتهم وأعراضهم ونظمهم من الشرك فيحميهم من عبادة الأوثان ومن تشريع المبطلين ويخلصهم من سيطرة المتحكمين، ويرفع عنهم دنس الخرافات والشعائر الباطلة والتقاليد المزيفة والعصبية الجاهلية القبلية والسنن القومية. ﴿أو لمَّا أصابتكم مصيبةٌ﴾ بمقتل سبعين منكم في أحد بسبب المعصية التي ارتكبها الرماة الذين خلوا مراكزهم ومعصية تولي من تولَّى منكم عن القتال ﴿قد أصبتم مثليها﴾ في بدر حيث قتل سبعون وأسر سبعون من

كفار قريش ﴿قلتم أنى هذا﴾ يستنكرون أن تقع بهم الهزيمة. ١٦٥ ـ ﴿قل هو من عند أنفسكم﴾ بسبب إفسادكم سبب الظفر بأيديكم ومخالفتكم قائدكم وقيل لأنكم اخترتم الفداء من الأسرى يوم بدر وكان الحكم فيهم القتل وشرط فيكم أنكم إن قبلتم الفداء قتل منكم في القابل بعدتهم فقالوا رضينا بأن نأخذ الفداء وننتفع به وإذا قتل منا فيما بعد كنا شهداء ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ فلا يعجز عن أي أمر. ١٦٦ ـ ﴿وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله﴾ كما أنه من عند أنفسكم باختياركم الفداء من الأسرى يوم بدر ﴿وليعلم المؤمنين﴾ وليميز المؤمنين من غيرهم. ١٦٧ ـ ﴿وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا﴾ عن حريمكم وأنفسكم ﴿قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم﴾ وهم غير صادقين في ذلك ﴿هم للكفر يومئذٍ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم﴾ للتأكيد ﴿ماليس في قلوبهم﴾ مقابلة مع الأفواه الكاذبة ﴿و الله أعلم بما يكتمون﴾ وما يظهرون خلافه. ١٦٨ ـ ﴿الذين قالوا لإخوانهم﴾ في النسب وهم القتلى ﴿وقعدوا﴾ عن إمدادهم حتى أصابهم ماأصابهم من القتل الذريع ﴿لو أطاعونا ماقتلوا قل فادرءوا﴾ وادفعوا ﴿عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾ بأنهم لو أطاعوكم ماقتلوا. ١٦٩ ـ ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً﴾ والموت بطلان الشعور والعقل ﴿بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون﴾ والرزق فعل فهم ينعمون بالارتزاق. ١٧٠ ـ ﴿فرحين بما آتاهم الله من فضله﴾ والفرح استبشار وهو شعور ﴿ويستبشرون﴾ أي يطلبون السرور بالبشرى ﴿بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم﴾ والذين سيردون موردهم ﴿ألا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾ فهم يعلمون أخبار خيار المؤمنين الباقين بعدهم في الدنيا فالبشرى هي ثوابهم. وتنكير الخوف والحزن ـ يدل على نفي العموم ورفعه ـ تطمين للنفس فلا خوف من زوال نعمة وهذا هو الارتزاق بعينه. ١٧١ ـ ﴿يستبشرون بنعمةٍ من الله وفضلٍ﴾ نكر النعمة والفضل ليذهب ذهن السامع كل مذهب ممكن ﴿وأن الله لايضيع أجر المؤمنين﴾ فالأجر يؤذن بالإستحقاق. ١٧٢ ـ ﴿الذين استجابوا لله والرسول﴾ ولعل ذكر الله والرسول لكونهم في وقعة أحد عصوا الله بالفرار وقد أمرهم بالجهاد ونهاهم عن التولي وعصوا الرسول بتركهم مواقعهم وقد أمرهم بلزومها ﴿من بعد ماأصابهم القرح﴾ والجرح والتقتيل وقد استجابوا لإعادة الكرة على المشركين بعد أن أراد أبو سفيان أن يعيد الكرة ليستأصل شأفة المسلمين فلما علم بأن الرسول ﷺ قد جمع له تولى ﴿للذين أحسنوا منهم واتقوا أجرٌ عظيمٌ﴾ قصر الأجر على الذين أحسنوا لأن الاستجابة فعل ظاهري لايلازم حقيقة الإحسان والتقوى اللذين عليهما مدار الأجر العظيم. ١٧٣ ـ ﴿الذين قال لهم الناس﴾ المثبطون الخاذلون ﴿إن الناس﴾ وهم العدو الذي كان يجمع الجموع ﴿قد جمعوا لكم﴾ فاخشوهم لقتالكم ﴿فزادهم إيماناً﴾ لأن الإنسان إذا نهاه من لايحسن الظن به كان ذلك إغراء يزيد عزيمته وهكذا حال المؤمنين أو لأنهم علموا من خبر الوحي أنهم سيؤذون في جنب الله حتى يتم لهم الأمر بإذنه وقد وعدهم النصر ولا يكون إلا في نزال

وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۖ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

وقتال، فالتزموا بأمر ربهم ﴿وقالوا حسبنا الله﴾ فهو كافينا ﴿ونعم الوكيل﴾ والوكيل هو الذي يدبر الأمر عن الإنسان.

١٧٤ ـ ﴿فانقلبوا بنعمةٍ من الله وفضلٍ لم يمسسهم سوءٌ﴾ تصديق لوعده تعالى ﴿واتبعوا رضوان الله﴾ وقد حمدهم الله على اتباعهم لرضوانه ﴿والله ذو فضل عظيم﴾ يفوز به المجاهدون.

١٧٥ ـ ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه﴾ أخيراً يكشف علة الخوف والفزع والجزع ﴿فلا تخافوهم﴾ فلا تخافوا أولياء الشيطان ﴿وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ فالمؤمن لايخاف أحداً إلا الله.

١٧٦ ـ ﴿ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ ويتظاهرون على إطفاء نور الله وأحياناً تكون لهم الغلبة الظاهرة ﴿إنهم لن يضروا الله شيئاً﴾ فهم مسخرون لله يسلك بهم في سير حياتهم ماارتضوه لأنفسهم ﴿يريد الله ألا يجعل لهم حظاً في الآخرة﴾ وتكون أعمالهم حسرات عليهم ﴿ولهم عذابٌ عظيمٌ﴾ بما قدمت أيديهم.

فَانقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

١٧٧ ـ ﴿إن الذين اشتروا الكفر بالايمان﴾ لقد كان معهم الايمان والحكمة تقتضي استباق الخيرات ولكن هؤلاء تخلوا عن الايمان لينالوا الكفر فهم ﴿لن يضروا الله شيئاً ولهم عذابٌ أليمٌ﴾ مقابل كفرهم.

١٧٨ ـ ﴿ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيرٌ لأنفسهم﴾ استمرار لتطييب قلب الرسول الكريم بأن مسارعة الكفار في كفرهم ليس خيراً لهم ﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً﴾ فالإمهال الإلهي ماهو إلا سوق لهم بالاستدراج إلى زيادة الإثم ﴿ولهم عذابٌ مهينٌ﴾ بمقتضى سنة التكميل فمقابل مانالوا من مقام ومكانة ونعماء سينالون عذاب الهون والهوان.

١٧٩ ـ ﴿ماكان الله ليذر المؤمنين على ماأنتم عليه﴾ فسنة الابتلاء جارية ﴿حتى يميز الخبيث من الطيب﴾ بواسطة القتال ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب﴾ بحيث تعلمون الخبثاء وتتجنبون المحن والبلاء فالغيب لله ﴿ولكن الله يجتبي﴾ ويختار ﴿من رسله من يشاء﴾ ويطلعهم على الغيب عن طريق الوحي ﴿فآمنوا بالله ورسله﴾ وهما مادة لطيب الحياة فمنهج الله هو الطريق الوحيد لسعادة البشر واتخاذ أحكام غير أحكامه أو معها تعني عبودية لمن تتخذ أحكامه من البشر ﴿وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجرٌ عظيمٌ﴾ فالإيمان بالله ورسله مادة لطيب الذات وأما الأجر فيتوقف على التقوى والعمل الصالح. وقد تكرر لفظ الجلالة مراتٍ للدلالة على مصدر الجمال والجلال في أمور لايتصف بها إلا هو بألوهيته وهي: الامتحان، والاطلاع على الغيب، واجتباء الرسل، وأهلية الإيمان به.

١٨٠ ـ ﴿ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله﴾ وحالهم مثل حال إملاء الكافرين فالبخل بالمال وعدم إنفاقه كفر فلا يحسبوه ﴿هو خيراً لهم بل هو شرٌ لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة﴾ وسيكون مالهم حسرة عليهم ﴿و لله ميراث السماوات والأرض﴾ فهو غني عنهم وعن إنفاقهم ﴿و الله بما تعملون خبيرٌ﴾ وسيجازي المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته.

١٨١ ـ ﴿لقد سمع الله قول﴾ اليهود ﴿الذين قالوا إن الله فقيرٌ ونحن أغنياءُ﴾ وذلك عندما سمعوا قوله تعالى ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ أو أنهم لما رأوا فقر المؤمنين وفاقتهم قالوا ذلك تعريضاً بأن ربهم لوكان غنياً لغار لهم وأغناهم فليس إلافقيراً وهم أغنياء، أو أنهم قالوا مابال الله يطلب إلينا أن نقرضه من مالنا ويعطينا عليه الأضعاف المضاعفة بينما ينهى عن الربا وأخذ الأضعاف المضاعفة وهو تلاعب بالألفاظ ينم عن القحة وسوء الأدب مع الله ﴿سنكتب ما قالوا﴾ ونثبته ونحفظه في صحائف أعمالهم ﴿وقتلهم الأنبياء بغير حق﴾ فهو قتل عن معرفة عمداً وليس جهلاً أو خطأً ﴿ونقول ذوقوا عذاب الحريق﴾ مقابل شنيع فعالهم.

١٨٢ ـ ﴿ذلك بما قدمت أيديكم﴾ من العمل ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ فلو لم تكتب الأعمال وتحفظ ثم يجازى المجرم بعذاب الحريق لكان إهمالاً لنظام الأعمال وظلماً تعالى الله عنه.

١٨٣ ـ ﴿الذين قالوا﴾ وهم اليهود ﴿إن الله عهد إلينا﴾ وأمرنا ﴿ألا نؤمن لرسولٍ حتى يأتينا بقربانٍ﴾ وهو ما يتقرب به من النعم ﴿تأكله النار﴾ أي تحرقه ﴿قل قد جاءكم رسلٌ من قبلي بالبينات وبالذي قلتم﴾ أمثال زكريا ويحيى ﴿فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين﴾ فقد نشروا زكريا بالمنشار حياً وحمل رأس يحيى إلى بغي من بغايا بني إسرائيل.

١٨٤ ـ ﴿فإن كذبوك فقد كُذِّب رسلٌ من قبلك﴾ تسلية للنبي ﷺ في تكذيبهم له مع أنهم ﴿جاءوا بالبينات﴾ والخوارق ﴿والزبر والكتاب المنير﴾ مثل كتاب نوح وصحف إبراهيم والتوراة والإنجيل.

١٨٥ ـ ﴿كل نفسٍ ذائقةُ الموت﴾ الوعد للمصدق والوعيد للمكذب ﴿وإنما توفون أجوركم﴾ فتأخذون أجركم الكامل وقد استدل بها بعضهم على ثبوت البرزخ لدلالتها على سبق بعض الإعطاء ويتم العطاء الكامل ﴿يوم القيامة فمن زحزح عن النار﴾ وأبعد عنها ﴿وأدخل الجنة فقد فاز﴾ وظفر ببغيته ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾. والمتاع زائل لايؤبه به.

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

١٨٦ ـ ﴿لتبلون في أموالكم وأنفسكم﴾ فالأقاويل المؤذية من أهل الكتاب والمشركين ستتكرر والواقع الحالي يؤيد ذلك ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً﴾ وستتكرر ذلك عليكم ﴿وإن تصبروا وتتقوا﴾ حتى يعصمكم الله من الزلل والفشل ﴿فإن ذلك من عزم الأمور﴾ فمن أراد أن يكون ذا عزم وإرادة فليستعد وليوطن نفسه.

١٨٧ ـ ﴿وإذ أخذ الله ميثاق﴾ أي عهد ﴿الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه﴾ وطرحوه ﴿وراء ظهورهم﴾ إذ تركوه وكتموا الحق الذي يعلمونه في مفهوم الدين وصحة الإسلام وفي وحدة الأسس والمبادىء بينه وبين الأديان من قبله. ﴿واشتروا به ثمناً قليلاً﴾ بأن حرفوه ليحققوا لأنفسهم بعض المكاسب المادية والتسلط ﴿فبئس مايشترون﴾ مقابل ماخسروا بنقضهم الميثاق.

١٨٨ ـ ﴿لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا﴾ أي بما أنعم الله عليهم من المال ولازمه حب المال والبخل به ﴿ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب﴾ بنجاةٍ من العذاب ﴿ولهم عذابٌ أليمٌ﴾ فلهم الهلاك لأن قلوبهم تعلقت بالباطل فلا ولاية للحق عليه ولهم أليم العذاب لكسبهم حمداً لم يقدموا شيئاً قباله.

١٨٩ ـ ﴿ولله ملك السماوات والأرض والله على كل شيء قديرٌ﴾ لتعليل مضامين ماتقدم من الآيات.

١٩٠ ـ ﴿إن في خلق﴾ وكيفية وجود ﴿السماوات والأرض﴾ والنظام الحاكم من حركة وسكون وتغير وتحول ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ طولاً وقصراً ﴿لآياتٍ﴾ محسوسة ﴿لأولي الألباب﴾ ذوي العقول الخالصة.

١٩١ ـ ﴿الذين يذكرون الله﴾ في جميع حالاتهم ﴿قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض﴾ وهذا ما يورثهم ذكراً دائماً وإثباتاً لخالقهم ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾ والباطل ماليس له غاية يتعلق بها الغرض فوراء هذه الحياة حياة أخرى فهم يؤمنون أن الله سيبعثهم للجزاء ﴿سبحانك فقنا عذاب النار﴾ سؤال لرحمته واستنجاز لوعده ولعلمهم أنه لا راد لمصلحة العقاب.

١٩٢ ـ ﴿ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته﴾ بالذل والهوان ﴿وما للظالمين من أنصار﴾ فالأمر كله لله.

١٩٣ ـ ﴿ربنا إننا سمعنا منادياً﴾ هو رسول الله ﷺ ﴿ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا﴾ تلبية لدعوة الحق وقد حذرنا من الذنوب ومن الموت على الكفر والذنب ورغبنا بالمغفرة والرحمة والجنة ﴿ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنّا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار﴾ استنجاز لوعده بالمغفرة والرحمة على ما ضمنه لهم الرسول بإذن الله.

١٩٤ ـ ﴿ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك﴾ وما حملته لهم وضمنوه ﴿ولا تخزنا يوم القيامة﴾ بإخلاف الوعد ﴿إنك لاتُخلف الميعاد﴾ إن آيات الله هي التي أوجبت اعتقادهم بالله واليوم الآخر وأن لله رسلاً منهم فكان الإيمان منهم على الفطرة فيما تحكم به الفطرة وعلى السمع والطاعة فيما جاء به الرسول.

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

سُورَةُ النِّسَاءِ

١٩٥ - ﴿فاستجاب لهم ربهم﴾ وإجابته تدل على ثوران الرحمة الإلهية ﴿أني لاأضيع عمل عاملٍ منكم من ذكرٍ أو أنثى﴾ مع تعميم الرحمة ﴿بعضكم من بعضٍ﴾ لاشتراككم في حسن العقيدة وحسن العمل ﴿فالذين هاجروا﴾ من مكة ﴿وأخرجوا من ديارهم﴾ بسبب العقيدة ﴿وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا﴾ في سبيل الله ﴿لأكفرن عنهم سيآتهم﴾ وهي صغار المعاصي وقد هاجروا الكبائر بالاجتناب والتوبة فالمهاجرة المذكورة أعم. ﴿ولأدخلنهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب﴾ فالأعمال الصالحة التي قاموا بها مُثابة والسورة تبالغ في التحريض عليها والترغيب فيها وهي إيثار الدين على الوطن فقد حاربوا أوطانهم وبلادهم وأنسابهم وقومهم لينجوا من الشرك بالله فالمهاجرة هي مهاجرة لمظاهر الشرك هذه كلها.

١٩٦ - ﴿لايغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد﴾ بعد أن وصف حال المؤمنين لامجال للغرور بما لدى الكفار وهم يتقلبون بنعم الله التي أمدهم بها

١٩٧ - ﴿متاعٌ قليلٌ ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد﴾ فلا دوام له فمأواهم الأخير جهنم وبئس الفراش.

١٩٨ - ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ مقابلة مع ماينال الكفار من عذاب جهنم فالجنة المعدة للمتقين لاتعدو أن تكون ﴿نزلاً من عند الله﴾ وهو مايعد للنازل من الطعام والشراب وكريم المقام ﴿وما عند الله خيرٌ للأبرار﴾ فنعمه لاتعد ولاتحصى ولاتعلم نفس مايخفي الله للمتقين من قرة أعين.

١٩٩ - ﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أُنزل إليكم وما أُنزل إليهم﴾ فهم يشاركون المؤمنين ﴿خاشعين لله لايشترون بآيات الله ثمناً قليلاً﴾ فهم يتبعون ويصدقون ماأنزل إلى الرسول من ربه ﴿أولئك لهم أجرهم عند ربهم﴾ فالسعادة الأخروية لاتتعلق بجنس أو قوم ﴿إن الله سريع الحساب﴾ لاتخفى عليه خافية.

٢٠٠ - ﴿ياأيها الذين آمنوا اصبروا﴾ واثبتوا على تجنب المعاصي واصبروا على الطاعة وعلى إقامة الدين والنظام الإلهي ﴿وصابروا﴾ أي قاتلوا الكفار والمشركين باعتماد صبر البعض على صبر آخرين فيقوى الحال ويشتد التأثير فالاجتماع والوحدة قوة ﴿ورابطوا﴾ المرابطة أعم من المصابرة وهي إيجاد الجماعة المرتبطة في قواها وأفعالها في الشدة والرخاء ﴿واتقوا الله﴾ التزموا بحدوده ﴿لعلكم تفلحون﴾ والفلاح هو الظفر بالبغية.

سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: بيان أحكام الزواج كتحديد عدد الزوجات بعد أن كانوا يتزوجون عدداً غير محدود في الجاهلية وكمحرمات النكاح، وبيان بعض أحكام العلاقات الزوجية وأحكام المواريث وأحكام للعبادات والمعاملات. ١ ـ ﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم﴾ يأيها الذين تجمعكم وتوحدكم حقيقة الإنسانية دون اختلاف بين كبير وصغير وغني وفقير ورجل وامرأة وقوي وعاجز الزموا حدود الله ليتساوى الجميع ضمن حدود الأحكام والقوانين الإلهية دون أن يجحف أحد بأحد فكل الناس يدخلون ضمن عرش الألوهية والحاكم هو الله ﴿الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ وهي آدم عليه السلام أبو البشر ﴿وخلق منها زوجها﴾ وهي حواء لخروجها من نوعها أما ماذكره البعض أن حواء من ضلع آدم فلا دليل عليه ﴿وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً﴾ والبث هو التفريق بالإثارة فالنسل من الإنسان ينتهي إلى آدم وزوجته من غير أن يشاركهما فيه غيرهما وهذا يدل على أن الازدواج في الطبقة الأولى بعد آدم وقع بين الإخوة والأخوات ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾ فاتقوا الله الذي يسأل به بعضكم بعضاً كأن يقول المرء لصاحبه أسألك بالله كذا وكذا واتقوا أواصر الوحدة الرحمية التي خلقها بينكم وهذا يفيد الاهتمام بأمر الأرحام وهم أقرباء الرحم التي يرجعون إليها جميعاً. ﴿إن الله كان عليكم رقيباً﴾ فهو الحفيظ على رقابكم في أعمالكم وسكناتكم وعلى الأيمان التي سألتموها بالله والأرحام التي أوصاكم بتقواها. وهذه الرقابة ضرورية لحفظ موارد الخلل والفساد وللتحذير من الظلم والمخالفة والبغي والطغيان والفساد في الأرض. ٢ ـ ﴿وآتوا اليتامى أموالهم﴾ واحذروا من التصرف الضار في أموال اليتامى ﴿ولاتتبدلوا الخبيث بالطيب﴾ لاتعزلوا لأنفسكم طيب مالهم وتردوا لهم رديء مالكم. ﴿ولا تأكلوا أموالهم﴾ بضمها ﴿إلى أموالكم إنه كان حوباً﴾ أي إثماً ﴿كبيراً﴾ وكانوا في الجاهلية يأخذون يتامى النساء وأموالهن فيتزوجون بهن ويأكلون أموالهن ثم لايقسطون فيهن وربما أخرجوهن بعد أكل مالهن فيبقين بلا راغب للزواج بهن فأتى الإسلام ونهى عن كل ذلك حتى تحرج المسلمون من مخالطتهن. ٣ ـ ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى﴾ وتعدلوا بهن ولم تطب نفوسكم أن تنكحوهن خوفاً من عدم القسط ﴿فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة﴾ لمن خاف ألا يقسط ﴿أو ماملكت أيمانكم﴾ من الإماء ﴿ذلك أدنى ألا تعولوا﴾ فهو أقرب ألا يمثلوا عن العدل ولاتتعدوا عليهن في حقوقهن. ٤ ـ ﴿وآتوا النساء صدقاتهن﴾ أي مهورهن ﴿نحلة﴾ عطية من غير مثامنة ﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً﴾ دفع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

لتوهم عدم جواز التصرف في مال الزوجة حتى برضاها أي أن للزوج أن يهنأ بالأكل من مال الزوجة إذا قدمته عن طيب نفس منها. ٥ ـ ﴿ولا تؤتوا السفهاء﴾ والسفهاء هم خفاف العقول ﴿أموالكم التي جعل الله لكم قياماً﴾ نهي عن الإنفاق على السفهاء من اليتامى أو غيرهم كما قال البعض أزيد من حاجاتهم الضرورية فالمجتمع ذو شخصية واحدة له كل المال فلا يجب إضاعة أموال السفيه بتركه ينقصها كيفما أراد بل يجب حبسها عنه وتنميتها بالكسب والاسترباح والاتجار ﴿وارزقوهم فيها واكسوهم﴾ من فوائدها ونمائها دون أصلها ﴿وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾ فهم وإن كانوا سفهاء فإنهم ليسوا من الأنعام السائمة بل بشر يجب أن يعاملوا بالإحسان ويكلموا بالرفق من القول. ٦ ـ ﴿وابتلوا اليتامى﴾ أي امتحنوا قدرة تمييزهم ﴿حتى إذا بلغوا النكاح﴾ وبلغوا سن الرشد ﴿فإن آنستم منهم رشداً﴾ وهو شرط لنفوذ التصرف ﴿فادفعوا إليهم أموالهم﴾ وقد اكتفى الإسلام بالنظر إلى أمر البلوغ في العبادات والحدود والديات، أما في التصرفات المالية فقد أوجب مع البلوغ الرشد لأن إلغاءه يخل في نظام الحياة الاجتماعية ويجلب المعاملات الغررية والمفاسد. ﴿ولا تأكلوها إسرافاً﴾ تعدياً ﴿و بداراً﴾ مبادرة ومسارعة إلى أكلها خوفاً من ﴿أن يكبروا﴾ وتنعزل ولايتكم على أموالهم. ﴿ومن كان غنياً فليستعفف﴾ عن أكل شيء مقابل القيام على اليتامى وأموالهم ﴿ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف﴾ دون تعد ولاإسراف. فالولاية إنما شُرِّعَت لحفظ حقوق اليتامى من الضياع والنقيصة لاليسرف الولي في النيل منها بذريعة الولاية. ﴿فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم﴾ رفعاً لغائلة الخلاف والنزاع وإثباتاً لتأدية الولي ماعليه من الحق وما رُدَّ منه إلى أصحابه. ﴿وكفى بالله حسيباً﴾ فما كان ليخلي أحكام عباده من غير حساب دقيق وتشريع محكم، تتميماً للتربية الدينية القائمة على التوحيد وهذا دأب القرآن في وضعه أسس العلاقات المالية في مسألة الولاية هنا وترقيته بالأصل الأخلاقي بالقول بالمعروف ثم بناء الجميع على أصل التوحيد الحاكم في الجميع إذ لاتنفصل الأحكام والمعاملات عن شوب بأمورٍ أخلاقية حفظاً للتربية الدينية. ٧ ـ ﴿للرجال نصيب﴾ حظ وسهم ﴿مما ترك الوالدان والأقربون﴾ تعميم لجميع النساء ﴿مما قل منه أوكثر﴾ فلا مسامحة فيما حقر منه حفظاً للحقوق ﴿نصيباً مفروضاً﴾ أسهماً مقطعة ومنفصلة ومعينة. وقد استدل بالآية على عموم حكم الإرث لتركة النبي ﷺ وعلى بطلان التعصيب في الفرائض. ٨ ـ ﴿وإذا حضر القسمة أولوا القربى﴾ من الفقراء ﴿واليتامى والمساكين فارزقوهم منه﴾ وقد اختلف هل هو بيان وجوب أو بيان ندب ﴿وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾ رحمة ورفقاً بهم. ٩ ـ ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم﴾ الخشية هي التأثر القلبي مما يخاف من تعظيم له وإكبار فهو تمثيل للرأفة والرحمة بالذرية الضعاف الذين لاولي لهم فالمسلمون المتأدبون بأدب الله تكون قلوبهم مملوءة رحمة فليس من سجاياهم أن يمتهنوا الأيتام ﴿فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً﴾ والقول هنا هو الجري العملي أي أن تكون أعمالهم صواباً مستقيماً. ١٠ ـ ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾

﴿ولكم نصف ماترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد﴾ منكم أو من غيركم ﴿فإن كان لهن ولد﴾ ذكراً كان أو أنثى ﴿فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين﴾ فالدين مقدم على الوصية. ﴿ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد﴾ منهن أو من غيرهن يحجب جزءاً من الإرث ﴿فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين﴾ كذلك بين القرآن حكم التركة لمن ليس له أولاد. ﴿وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة﴾ سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الكلالة، فقال: «من مات وليس له ولد ولاوالد فجعله اسماً للميت». ﴿وله أخ أو أخت﴾ من أمه دون أبيه ﴿فلكل واحد منهما السدس﴾. ﴿فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين﴾ وهو حكم خاص في هذه الحالة. ﴿غير مضار﴾ دون أن يستغل الدين للإضرار بالورثة وحرمانهم الإرث أو بالوصية بما يزيد على ثلث المال ﴿وصية من الله والله عليم حليم﴾ عليم بالمصلحة يحكم بمقتضاها وعليم بدخائل نفوسكم وحليم لايعاجل بالعقوبة. ١٣ ـ ﴿تلك حدود الله﴾ الحد هو الحاجز بين الشيئين ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ في هذه الحدود ﴿يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم﴾ والفوز هو الظفر بالبُغية وجزاء الطاعة الالتزام بحدوده تعالى هو ما وعد الله. ١٤ ـ ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده﴾ التي وضعها

دليل على هضم حقوق اليتامى في الإرث فهم ﴿إنما يأكلون في بطونهم ناراً﴾ دليل على تجسم الأعمال فما أكلوه من مال ظلماً سيأكلونه في جهنم وسيكون ناراً في بطونهم ﴿وسيصلون سعيراً﴾ وسيحترقون باللهب المستعر. ١١ ـ ﴿يوصيكم الله﴾ يعهد إليكم ويأمركم ﴿في أولادكم﴾ بلا واسطة وليس أولاد الأولاد لأن لفظ الابن لايقضي بنفي الواسطة ﴿للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ إبطال لعادة جاهلية تقضي بعدم توريث النساء فقد حمل إرث الذكر على إرث الأنثى مع اعتباره أصل التشريع ﴿فإن كن نساء فوق اثنتين﴾ ولم يكن له ولد ذكر ﴿فلهن ثلثا ماترك وإن كانت واحدة فلها النصف﴾ مما ترك ﴿ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد﴾ وهذا دليل على أن الأبوين يشاركان الأولاد في طبقتهم ﴿فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه﴾ ولم يكن له إخوة ﴿فلأمه الثلث﴾ مما ترك ﴿فإن كان له إخوة﴾ وهذا دليل على كون الإخوة في طبقة ثانية لاحقة لطبقة الأبناء والبنات لاترث مع وجودهم ولكن إذا وجدوا ﴿فلأمه السدس﴾ بدل الثلث ﴿من بعد وصية يوصي بها أو دين﴾ فالدين مقدم على الوصية ﴿آباؤكم وأبناؤكم لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعاً﴾ فالإنسان أرأف بولده منه بوالديه فآباء الإنسان أقوى ارتباطاً وأمس وجوداً به من أبنائه فحكم الإرث بني على أساس تكويني خارجي كسائر الأحكام الإسلامية الفطرية ﴿فريضة من الله﴾ فالزموها والزموا تقسيمها ﴿إن الله كان عليماً﴾ بالمصلحة البشرية ﴿حكيماً﴾ بتشريعه لها والآية على إطلاقها تقضي بعدم الفرق في إيراث المال وإمتاع الورثة بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين سائر الناس ومن هنا نشأ النزاع في أن النبي هل يورث أو أن ماتركه صدقة والآية ظاهرة في أنه يورث. ١٢ ـ ﴿ولكم نصف ماترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد﴾ منكم أو من غيركم ﴿فإن كان لهن ولد﴾ ذكراً كان أو أنثى ﴿فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين﴾ فالدين مقدم على الوصية. ﴿ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد﴾ منهن أو من غيرهن يحجب جزءاً من الإرث ﴿فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين﴾ كذلك بين القرآن حكم التركة لمن ليس له أولاد. ﴿وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة﴾ سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الكلالة، فقال: «من مات وليس له ولد ولاوالد فجعله اسماً للميت». ﴿وله أخ أو أخت﴾ من أمه دون أبيه ﴿فلكل واحد منهما السدس﴾. ﴿فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين﴾ وهو حكم خاص في هذه الحالة. ﴿غير مضار﴾ دون أن يستغل الدين للإضرار بالورثة وحرمانهم الإرث أو بالوصية بما يزيد على ثلث المال ﴿وصية من الله والله عليم حليم﴾ عليم بالمصلحة يحكم بمقتضاها وعليم بدخائل نفوسكم وحليم لايعاجل بالعقوبة. ١٣ ـ ﴿تلك حدود الله﴾ الحد هو الحاجز بين الشيئين ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ في هذه الحدود ﴿يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم﴾ والفوز هو الظفر بالبُغية وجزاء الطاعة الالتزام بحدوده تعالى هو ما وعد الله. ١٤ ـ ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده﴾ التي وضعها

الله لتنظيم أمور المجتمع بما فيه صلاحه فمن يتعد هذه الحدود يُفقد المجتمع صلاحه والتئامه وفي ذلك خسارة السعادة في الدنيا. ومن يفعل ذلك ﴿يدخله﴾ الله جزاء ماقترف ﴿ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين﴾ فالعذاب الأليم لمن شق إطار التكليف.

١٥ ـ ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم﴾ أي يفعلن الفحش وهو الشناعة وهي الزنا واللواط والسحق ﴿فاستشهدوا عليهن أربعة منكم﴾ من رجالكم ﴿فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت﴾ رتب الإمساك وهو الحبس المخلد على الشهادة لاعلى أصل تحقق الفاحشة وإن علم به ﴿حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً﴾ يتم به التخلص من الإمساك وهذا يشعر بأن الآية ستنسخ وقد نسختها آية الجلد.

١٦ ـ ﴿واللذان يأتيانها منكم﴾ أي الفاحشة ﴿فآذوهما﴾ فهذه الآية متممة الحكم في الآية السابقة التي لم تتعرض إلا للنساء وهذه الآية تبين الحكم فيهما معاً وهو الإيذاء فيتحصل من مجموع هاتين الآيتين حكم الزاني والزانية معاً وهو إيذاؤهما وإمساك النساء في البيوت ﴿فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان تواباً رحيماً﴾ تقييد التوبة بالإصلاح لتحقيق حقيقة التوبة وأنها ليست مجرد لفظ أو حالة مندفعة.

١٧ ـ ﴿إنما التوبة على الله﴾ التوبة هي الرجوع إلى الله بالندامة والرجوع من الله إلى العبد رحمة به بتوفيقه للرجوع إلى ربه أو بغفران ذنبه والتوبة من العبد حسنة تحتاج إلى قوة والحسنات من الله والقوة لله جميعاً فمن الله توفيق الأسباب التي تمكن العبد من التوبة وتسهل له الإنصراف عن التوغل في غمرات البعد وتيسر له الرجوع إلى ربه، فإذا وفق للتوبة احتاج في التطهر من هذه اللوثات وزوال هذه القاذورات والورود في ساحة القرب من الله إلى رجوع آخر من ربه إليه بالرحمة والحنان والمغفرة وقوله على الله وعد لعباده بإيجاب التوبة وهذا الوعد ﴿للذين يعملون السوء بجهالة﴾ عن هوى وشهوة وغضب من غير عناد مع الحق وعند ذهاب هذه النزوة يندمون ﴿ثم يتوبون من قريب﴾ دون تساهل في الزمن يفضي إلى فوت الفرصة ﴿فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً﴾ بحال عباده وضعفهم وجهالتهم ففتح لهم باب التوبة ﴿حكيماً﴾ بوضع مايحتاج إليه إتقان النظام وإصلاح الأمور وهو لعلمه وحكمته لاتغره ظواهر الأحوال بل يختبر القلوب ويحاسب بما فيها.

١٨ ـ ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات﴾ التي تحصى عليهم وقد تساهلوا في أمر التوبة ﴿حتى إذا حضر أحدهم الموت﴾ دلالة على استهانته بالأمر واستحقاره له ﴿قال إني تبت الآن﴾ فتندفع مخاطر الذنوب ومهلكة مخالفة الأمر الإلهي بمجرد لفظ تردده ألسنتهم دون أن تنعقد به قلوبهم ﴿ولا الذين يموتون وهم كفار﴾ فالذي يتمادى في الكفر ويموت وهو كافر فإن الله لايتوب عليه. فالتوبة من العبد بمعنى رجوعه إلى عبوديته اختيارية وإن

وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

ارتفع موضوعها بالموت فإن التوبة منه تعالى بمعنى الرجوع بالمغفرة والرحمة يمكن أن يتحقق بعد الموت بشفاعة الشافعين روي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إن إبليس لما رأى آدم أجوفاً قال: وعزتك لأخرج من جوفه مادام فيه الروح فقال الله تبارك وتعالى: وعزتي لأحول بينه وبين التوبة مادام الروح فيه». وأما الذين لاينالون هذه التوبة ﴿أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾ والإعتاد بمعنى الإعداد أو العدو وقد هيأ الله لهم عذاباً أليماً.

١٩ ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً﴾ نهي عن فعل جاهلي يقضي بأن تورث المرأة مع التركة وكان الوارث يتزوجها إن شاء بلا مهر أو يزوجها من غيره وينتفع بمهرها وإن شاء عضلها ومنعها من النكاح حتى تموت فيرثها ﴿ولاتعضلوهن﴾ والعضل هو المنع والتضييق والتشديد ﴿لتذهبوا ببعض ماآتيتموهن﴾ فتضطر المرأة لبذل شيء من الصداق لفك عقدة النكاح والتخلص من ضيق العيش ﴿إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ فله ذلك لتفارقه بالبذل ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ الذي يقره الناس فالمعاشرة هي أن الواحد جزء مقوم للمجتمع يساوي سائر الأجزاء في تكوينه المجتمع الإنساني لفرض التعاون والتعاضد وهكذا يعامل كل واحد بمقدار مايسعى فيما يحتاج إليه المجتمع فيقتني مايتفع به ويعطي مايستغني عنه ويأخذ مايحتاج إليه والرجال والنساء أجزاء لطبيعة بشرية واحدة والمجتمع محتاج للطائفتين معاً فهما متعادلتان وزناً وأثراً مع اختلافهم في شؤونهم الطبيعية والاجتماعية من قوة وضعف وعلم وجهل، وكياسة وبلادة ورئاسة ومرؤوسية وشرف وخسة. وتغيير هذه الفطرة هو الذي يفضي إلى إبطال الاستقلال في الجزئية فيؤخذ تابعاً ينتفع به ولاينتفع هو بشيء يحاذيه. وهذا هو الأصل في معاشرة النساء بالمعروف ﴿فإن كرهتموهن﴾ فلاتتركوا المعروف ﴿فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ اتقاء من تيقظ غريزة التعصب في المخاطب عند الكره، فما قد يكون مكروهاً يمكن أن يجعل الله فيه الخير الكثير. وورد في التفاسير أنه كان في الجاهلية في أول ماأسلموا من قبائل العرب إذا مات حميم الرجل وله امرأة ألقى الرجل ثوبه عليها فورث نكاحها بصداق حميمه الذي كان أصدقها يرث نكاحها كما يرث ماله، فلما مات أبو قيس ابن الأسلت ألقى محصن بن أبي قيس ثوبه على امرأة أبيه، وهي كبيشة بنت معمر لابن معبد فورث نكاحها، ثم تركها لايدخل بها ولاينفق عليها، فأتت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يارسول الله مات أبو قيس ابن الأسلت فورث محصن ابنه نكاحي فلايدخل علي، ولاينفق علي، ولايخلي سبيلي فألحق بأهلي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ارجعي إلى بيتك فإن يحدث الله في شأنك شيئاً أعلمتك..».

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «يأيها الناس إن النساء عندكم عوان أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن حق، ومن حقكم عليهن أن لايوطئن فرشكم أحداً، ولايعصينكم في معروف وإذا فعلن ذلك فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف».

٢٠ ـ ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج﴾ إقامة إمرأة بدل أُخرى ﴿وآتيتم إحداهن قنطاراً فلاتأخذوا منه شيئاً﴾ نهي عن أخذ أي جزء من المهر مهما بلغ ﴿أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً﴾ والبهتان من بهت أي تحير ويغلب استعماله في الكذب فأخذ جزء من الصداق إثم ظاهر وظلم مستقبح.

٢١ ـ ﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾ استفهام تعجبي فالأخذ بغي وظلم فالزواج والإفضاء وهو الاتصال بالمماسة يجعل الزوجين كشخص واحد فكيف يؤذي الواحد نفسه أو بعض أجزائه ﴿وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً﴾ وهو العقد المبرم ولوازمه استحقاق المرأة للصداق. وقالوا هو العهد المأخوذ من الرجل للمرأة من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان أو هو حكم الحلية المجعول شرعاً في النكاح وهذان وجهان في التفسير ولكن لايخفى بعدهما.

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

٢٢ ـ ﴿ولاتنكحوا مانكح آباؤكم من النساء إلا ماقد سلف﴾ حيث كان عادة جاهلية يموت الأب فيتزوج الولد امرأة أبيه أو يتزوجها الابن بعد أن يتركها أبوه ﴿إنه كان فاحشة ومقتاً﴾ بغضاً وكراهية ﴿وساء سبيلاً﴾ فهو سلوك مقيت.

٢٣ ـ ﴿حرمت عليكم﴾ اختصاص الخطاب بالرجال مع شمول الحكم للنساء، لأن الخطبة تقع من جانب الرجال وقد حرم عليكم سبعة أصناف: ١ ـ ﴿أمهاتكم﴾ وإن علون ٢ ـ ﴿وبناتكم﴾ وإن دنون ٣ ـ ﴿وأخواتكم﴾ ٤ ـ ﴿وعماتكم﴾ ٥ ـ ﴿وخالاتكم﴾ ٦ ـ ﴿وبنات الأخ﴾ ٧ ـ ﴿وبنات الأخت﴾ وهؤلاء محرمات بسبب النسب وهناك محرمات لسبب غير النسب ست منها بسبب الرضاع لأنها تكون الروابط النسبية حسب التشريع وهذا مايختص بالشريعة الإسلامية وهن كما ذكرهن القرآن الكريم بقوله: ﴿وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة، وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن﴾ فالعقد على الأمهات بدون دخول لايحرم البنات ﴿فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلاجناح عليكم﴾ في نكاحهن ﴿وحلائل أبنائكم﴾ أي زوجات أبنائكم ﴿الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين﴾ وهو تحريم مؤقت ﴿إلا ماقد سلف﴾ لإقرار الآثار الشرعية المترتبة عليه ﴿إن الله كان غفوراً رحيماً﴾ وهو راجع إلى الاستثناء المذكور وهو من الموارد التي تعلقت فيها المغفرة بآثار الأعمال في الخارج دون الذنوب والمعاصي.

٢٤ ـ ﴿والمحصنات من النساء﴾ وهن المتزوجات ﴿إلا ماملكت أيمانكم﴾ إذ يجوز لمولى الأمة أن يحول بين مملوكته وزوجها ثم ينالها عن استبراء ثم يردها إلى زوجها. ﴿كتاب الله عليكم﴾ الزموا حكم الله المكتوب المقضي عليكم ﴿وأحل لكم ماوراء ذلكم﴾ أحل لكم من هذه الأصناف ماعدا النكاح ﴿أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين﴾ وهو الطريق المشروع في مباشرة النساء ﴿فما استمتعتم به منهن﴾ وهو مما أحل لكم وراء ذلك ﴿فآتوهن أجورهن فريضة﴾

ويراد بهذا بلاشك نكاح المتعة ﴿ولاجناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة﴾ بشأن الأجور ﴿إن الله كان عليماً حكيماً﴾ في أحكامه وتشريعه. وفي صحيح الترمذي وسنن النسائي وسنن البيهقي وموطأ مالك وكتاب الأم للشافعي عن محمد بن عبد الله أنه سمع سعد بن أبي وقاص والضحاك بن قيس عام حج معاوية بن أبي سفيان وهما يذكران التمتع بالعمرة إلى الحج فقال الضحاك: لايصنع ذلك إلا من جهل أمر الله، فقال سعد بئسما قلت يابن أخي، قال الضحاك: فإن عمر ابن الخطاب نهى عن ذلك، قال سعد: قد صنعها رسول الله وصنعناها معه. وعن عمر أنه قال: ثلاث كن على عهد رسول الله ﷺ أنا محرمهن ومعاقب عليهن: متعة الحج، ومتعة النساء؛ الحديث. ٢٥ ـ ﴿ومن لم يستطع منكم طولاً﴾ الطول الغنى والزيادة في القدرة ﴿أن ينكح المحصنات المؤمنات﴾ أي الحرائر وليس العفيفات ﴿فمن ماملكت أيمانكم﴾ والمقصود به النكاح الدائم ﴿من فتياتكم المؤمنات﴾ وهن الرقيق في ملك الآخرين ﴿والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض﴾ فالإيمان أمر قلبي لاسبيل إلى العلم بحقيقته بحسب الأسباب ولاأحد إلا الله يعلم بإيمان عباده وهذا كناية عن أن المؤمنين مكلفون بالجري على الأسباب الظاهرية كالشهادتين والدخول في جماعة المسلمين والإتيان بالوظائف العامة الدينية ولرفع الحرج عن الشعور بالهوان في زواج الإماء وقد أشار سبحانه إلى حقيقة الكرامة وهي التقوى قائلاً بعضكم من بعض ﴿فانكحوهن بإذن أهلهن﴾ بإذن مواليهن ﴿وآتوهن أجورهن بالمعروف﴾ أي أعطوا مهور نكاحهن لمواليهن ﴿محصنات﴾ عفائف ﴿غير مسافحات﴾ غير زانيات جهراً ﴿ولامتخذات أخدان﴾ والخدن الصديق يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع فمن يأخذ صديقاً للفحشاء لايقنع بواحد ولابائنين ﴿فإذا أحصن﴾ بالزواج أو الإسلام ﴿فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب﴾ وهو الجلد دون الرجم الذي لايقبل الانتصاف وهذا يدل على أن المراد بالمحصنات الحرائر غير ذات الأزواج المذكورة في صدر الآية والمعنى أن الفتيات المؤمنات عليهن إذا زنين نصف حد المحصنات غير ذات الأزواج وهو جلد خمسين سوطاً ﴿ذلك لمن خشي العنت منكم﴾ وهو الجهد والمشقة والهلاك وكأن المراد به الزنا ﴿وأن تصبروا﴾ فتتزوجوا الإماء وتمتنعوا عن الزنا ﴿خير لكم والله غفور رحيم﴾ يمحو بمغفرته آثار خطرات السوء عن نفوس المتقين من عباده ويرحمهم برحمته. ٢٦ ـ ﴿يريد الله ليبين لكم﴾ أحكام دينه مما فيه صلاح دنياكم وعقباكم، ﴿ويهديكم سنن الذين من قبلكم﴾ الذين استقاموا وسلكوا سبيل مرضاة الله، الحائزين بها سعادة الدنيا والآخرة. فالله تعالى يريد إظهار سننهم من حق وباطل. ﴿ويتوب عليكم﴾ والمعنى يفيد رجوعه تعالى إلى عباده بالنعمة والرحمة، وتشريع الشريعة وبيان الحقيقة والهداية إلى الاستقامة. وكل ذلك توبة منه سبحانه، كما أن قبول توبة العبد ورفع آثار المعصية توبة. ﴿والله عليم حكيم﴾ تعود لجميع الفقرات السابقة.

﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾

وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

٢٧ ـ ﴿والله يريد أن يتوب عليكم﴾ بإعطائكم شرعه ومنهجه، ﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً﴾ فتهتكوا هذه الحدود الإلهية بإتيان المحارم وإلغاء الأنساب واستباحة الزنا. ٢٨ ـ ﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾ فهو يعرف ضعفكم ﴿وخلق الإنسان ضعيفاً﴾ لوجود القوى الشهوية التي تبعثه إلى غشيان المحرمات. ٢٩ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم﴾ بالتصرف الذي يقطع تسلط الغير على المال وقوله بينكم يدل على تجمع المال في وسطهم وتداوله بينهم ﴿بالباطل﴾ وهو من الأفعال مالايشتمل على غرض صحيح عقلائي. وهذا يشمل كافة المعاملات الفاسدة كالربويات والغرريات والقمار، لأنها توجب انهدام أركان المجتمع. ﴿إلا أن تكون تجارة﴾ وهي التصرف في رأس المال طلباً للربح. ﴿عن تراضٍ منكم﴾ تطيب فيها نفس البائع والمشتري وهي المبادلة التي توافق الفطرة وترتاح إليها النفس ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾ بأكل المال بالباطل فالمؤمنون كنفس واحدة إصابة جزء منها بأذى كقتل أحد أفرادها يضر كافة المؤمنين. وهكذا فقوله ولاتقتلوا أنفسكم يشمل الانتحار وقتل الغير من المؤمنين ﴿إن الله كان بكم رحيماً﴾ وما نهاكم عما يضركم إلا لرحمته بكم فلاتقتلوا أنفسكم،وهذا نهي عن إلقاء الإنسان نفسه في مخاطرة القتل والتسبب إلى هلاك نفسه المؤدي إلى قتله. ٣٠ ـ ﴿ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً﴾ من يتعد الحدود التي حدها الله ﴿فسوف نصليه﴾ نحرقه وننيله ﴿ناراً﴾ موقدة ﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾ فهو ينهاكم عن قتل أنفسكم رحمة بكم ومن لم ينته فإن إصلاءه النار يسير غير عسير. ولذا قال ﴿ومن يفعل﴾ ولم يقل منكم لأن من يفعل ذلك ليس من المؤمنين. ٣١ ـ ﴿إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه﴾ الاجتناب أصله من الجنب فإذا أراد الإنسان شيئاً استقبله بوجهه وبمقاديم بدنه. وإذا أعرض عنه ولى عنه بجنبه فاجتنبه وتركه. والكبائر جمع كبيرة وهي المعاصي الكبيرة قياساً إلى الصغيرة. ﴿نكفر عنكم﴾ التكفير من الكَفر وهو الستر ﴿سيئاتكم﴾ وهي الصغائر ﴿وندخلكم مدخلاً كريماً﴾ والمدخل اسم مكان والمراد منه الجنة أو القرب من الله سبحانه، وهذا ليس إغراء بارتكاب الصغائر لأن عدم المبالاة بالصغائر يعود طغياناً واستهانة بأمر الله سبحانه وهذا من أكبر الكبائر. بل الآية تدل على أن تكفير السيئات من جهة علمه تعالى بضعف النفس البشرية المبني على الجهالة فيه إحياء للقلوب اليائسة بالرجاء. وعن علي عليه السلام الكبائر سبع: الشرك، والقتل، والقذف، والزنا، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف، والتعرب بعد الهجرة. والرسول ﷺ يقول: «لاكبيرة مع الاستغفار ولاصغيرة مع الإصرار». ٣٢ ـ ﴿ولاتتمنوا﴾ لاتقولوا ليت كذا وهو تعلق النفس بما تراه متعذراً أو كالمتعذر ﴿مافضل الله به بعضكم على بعض﴾ فهذا الفضل هو المزية التي رزقها الله كلاً من طائفتي الرجال والنساء بتشريع الأحكام كتعدد الزوجات وأسهم الميراث. والنهي قطع لشجرة الشر والفساد من أصلها وهذا دأب القرآن في منع التمني المؤدي للحسد المفضي للفساد. ﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا

وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾ لأن التشريع يوافق الموقع الاجتماعي، وهكذا يكون المراد بالاكتساب وهو نوع من الحيازة والاختصاص أعم من أن يكون بعمل اختياري كالاكتساب بصنعة أو حرفة تجعل صاحبها ذا فضل ومزية سواء أكان ذلك مالياً أم غير مالي. ﴿واسألوا الله من فضله﴾ بدلاً من إضاعة النفس حسرات في التطلع إلى التفاوت وبدل الحسد والحقد. ﴿إن الله كان بكل شيء عليماً﴾ فهو عليم بالتفاوت بينكم وعليم بما في أنفسكم ولايجعل طريق المصلحة ولايخطىء في حكمه. ٣٣ ـ ﴿ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون﴾ الموالي جمع مولى وهو المولي أي جعلنا لكل واحد منكم ذكراً أو أنثى أولياء في الوراثة يرثون ماتركتم من المال. ﴿والذين عقدت أيمانكم﴾ كناية عن العقد وهو هنا عقد الزوجية ﴿فآتوهم نصيبهم﴾ فأعطوا الموالي نصيبهم ﴿إن الله كان على كل شيء شهيداً﴾ فلا يخفى عليه شيء. ٣٤ ـ ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ فهم يقومون بأمر النساء ﴿بما فضل الله بعضهم على بعض﴾ من زيادة التعقل وشدة البأس والقوة والطاقة بينما تتصف النساء بالحساسية وشدة العاطفة والرقة واللطف ﴿وبما أنفقوا من أموالهم﴾ في مهور النساء ونفقاتهن. والحكم لايقتصر على قوامة الرجال في الزوجية بل يعطي لهم القوامة في الجهات العامة كالحكومة والقضاء اللذين تتوقف عليهما حياة المجتمع وكذلك ولاية الحرب لما يتطلب ذلك من تعقل وبأس. ﴿فالصالحات قانتات﴾ فالزوجات الصالحات دائمات الطاعة والخضوع وهذا لايعني أنه لاستقلال لهن في حفظ حقوقهن الفردية والاجتماعية وإنما يعني أن عليهن إطاعة الرجل في الاستمتاع والمباشرة، كما أنهن ﴿حافظات للغيب﴾ لايخن أزواجهن عند غيابهم ولايخنّهم فيما وضعوه تحت أيديهن من المال ﴿بما حفظ الله﴾ لهن من حقوق حيث شرع لهم القوامة وأوجب عليهن الإطاعة وحفظ الغيب لهم ﴿واللاتي تخافون نشوزهن﴾ عصيانهن واستكبارهن عن الطاعة والمراد بخوف النشوز ظهور آياته وعلائمه. ﴿فعظوهن﴾ لعل ذلك يفيد في انتهائهن ﴿واهجروهن في المضاجع﴾ مع حفظ المضاجعة كالاستدبار وترك الملاعبة ﴿واضربوهن﴾ ليرتدعن ﴿فإن أطعنكم﴾ بعد ذلك ﴿فلاتبغوا عليهن سبيلاً﴾ فلا تتخذوا علة تعتلون بها في إيذائهن مع إطاعتهن لكم. ﴿إن الله كان علياً كبيراً﴾ فلاتغتروا بما تجدون من القوة والشدة في أنفسكم فتظلمون وتستكبرون عليهن فمقام ربكم أعلى مكاناً وأكبر قوة. ٣٥ ـ ﴿وإن خفتم شقاق بينهما﴾ الشقاق هو البينونة والعداوة ﴿فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها﴾ ليكون أبعد عن الجور والتحكم ﴿إن يريدا إصلاحاً﴾ من غير عناد ولجاج بإلقاء زمام الأمر إلى الحكمين ليقوما برأب الصدع ﴿يوفق الله بينهما﴾ مع وجود السبب العادي الذي هو إرادتهما في الإصلاح ﴿إن الله كان عليماً﴾ بالسرائر ﴿خبيراً﴾ بصالح البشر. ٣٦ ـ ﴿واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً﴾ وهذا التوحيد يراد به التوحيد العملي وهو إتيان الأعمال الحسنة طلباً لمرضاة الله وابتغاء لثواب الآخرة دون اتباع الهوى واتخاذ شريك مع

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ۚ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾

الله وعبادة غير الله والقبول بمن يحكم بغير ماشرع الله. وقبول النظريات الأهوائية التي ماأنزل الله بها من سلطان والتعصب القبلي أو الجاهلي أو الوطني أو القومي. فأمر الله فوق ذلك. ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ فهما السبب المباشر للوجود والتربية ﴿وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى﴾ أي الجار القريب داراً بقرينة المقابلة مع ﴿والجار الجنب﴾ وهو الجار الأجنبي البعيد داراً ﴿والصاحب بالجنب﴾ وهو يعم مصاحب السفر والحضر والمنزل ﴿وابن السبيل﴾ وهو الذي لايعرف من حاله إلا أنه سالك سبيل كأنه ليس له من ينتسب إليه إلا السبيل فهو ابنه. ﴿ومامَلكت أيمانكم﴾ من العبيد والموالي والإماء ﴿إن الله لايحب من كان مختالاً﴾ تائهاً متبختراً مسخراً لخياله ﴿فخوراً﴾ كثير الفخر وهما من لوازم التعلق بالمال والجاه وحبهما دون تعلق قلبي بالله سبحانه. ٣٧ ـ ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾ بسيرتهم الفاسدة وعملهم سواء أمروا أو سكتوا ﴿ويكتمون ماآتاهم الله من فضله﴾ بتظاهرهم فقد المال لتأذيهم من سؤال الناس مافي أيديهم، وخوفهم على أنفسهم لو منعوا وخشيتهم من توجه النفوس إلى أموالهم ﴿وأعتدنا للكافرين﴾ الساترين لنعمة الله عليهم ﴿عذاباً مهيناً﴾ لسترهم الحق وإنكاره ومقابل فخرهم وضلالهم. ٣٨ ـ ﴿والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس﴾ لمراءاتهم هم مشركون بالله همهم مراءاة الناس ﴿ولايؤمنون بالله ولابالـيوم الآخر﴾ لأنهم لايريدون بعملهم ثواب الآخرة بل استحسان الناس لفعلهم، فشركهم شرك عقيدة وشرك عمل. ﴿ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً﴾ فالشيطان قرين المرائي. ٣٩ ـ ﴿وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر﴾ للاستفهام أو التعجب. فماذا عليهم لو آمنوا ﴿وأنفقوا مما رزقهم الله﴾ فعدم الإيمان يدل على فقد الإيمان، حتى لو بدا التلبس به ظاهراً ﴿وكان الله بهم عليماً﴾ فهو عليم بإنفاقهم وعليم بإيمانهم وعليم بما يختلج في أنفسهم. ٤٠ ـ ﴿إن الله لايظلم مثقال﴾ زنة ﴿ذرة﴾ والذر هو الصغير من النمل الأحمر أو هو الواحد من الهباء والمبثوث في الهواء الذي لايكاد يرى لصغره. ﴿وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾ فلو آمنوا وأنفقوا والله عليم بهم لم يكن ليظلمهم في مثقال ذرة أنفقوها بالإهمال وترك الجزاء. ٤١ـ٤٢ ـ ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد﴾ والشهادة عن حس ومعاينة وحضور ﴿وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ خطاب للرسول بأنه شهيد على جميع الشاهدين ﴿يومئذٍ يود الذين كفروا وعصوا﴾ أوامر ﴿الرسول﴾ الصادرة عن مقام ولايته لابمعصية أحكام الشريعة ﴿لو تسوى بهم الأرض﴾ كناية عن الموت ﴿ولايكتمون الله حديثاً﴾ فهم بارزون لله لاتخفى منهم خافية لظهور حالهم بحضور أعمالهم، وشهادة أعضائهم، وشهادة الملائكة والنبيين وغيرهم فيودون لو لم يكونوا. ٤٣ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة﴾ أي لاتقربوا المسجد ﴿وأنتم سكارى﴾ بحيث يبقى سكر الخمر إلى حال دخول الصلاة ﴿حتى تعلموا ماتقولون﴾ فالنهي لغاية هي أن تعلموا ماتقولون ﴿ولاجنباً إلا عابري سبيل﴾ وهذا يؤكد

وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾

أن المقصود بالصلاة هو المسجد ﴿حتى تغتسلوا﴾ والله يحب المتطهرين ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط﴾ من الغوط وهو المكان المنخفض لقضاء الحاجة ﴿أو لامستم النساء﴾ كناية عن الجماع ﴿فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيدا طيباً﴾ بدل الوضوء والغسل ﴿فامسحوا بوجوهكم﴾ أي بعضها وهي الجبهة والخدان ﴿وأيديكم﴾ من الزند إلى أطراف الأصابع ﴿إن الله كان عفواً غفوراً﴾ فهو يخفف عنكم ويستر نقائصكم. ٤٤ ـ ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾ وهم اليهود ﴿يشترون الضلالة﴾، فالهدى بأيديهم ولكنهم فضلوا الضلالة ﴿ويريدون أن تضلوا السبيل﴾ فهم يلقون إليكم بالمودة ويظهرون النصح فيفتنونكم بذلك ويأمرونكم بالبخل ليمنعوا سعيكم عن النجاح فاحذروهم ولاتصغوا إلى أقوالهم. ٤٥ ـ ﴿والله أعلم بأعدائكم﴾ فهو يعلم حال الممسك عن الإنفاق ومابه من اختيال وفخر وبخل ورياء، فاحذروا أن تطيعوهم وتتخذوهم أولياء ﴿وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً﴾ فالله هو الولي والناصر فأي حاجة إلى ولايتهم ونصرتهم.؟

وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾

٤٦ ـ ﴿من﴾ بيانية ﴿الذين هادوا﴾ اليهود ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ بتغيير مواقع الألفاظ بالتقديم والتأخير والإسقاط والزيادة، أو بتغيير ماقصد من الحق، كما أولوا ماورد في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بشارات التوراة ومأولوا ماورد في المسيح عليه السلام من البشارة وقالوا: «إن الموعود لم يجيء بعد». أو يحرفون باستعمال القول بوضعه في غير المحل الذي ينبغي أن يوضع فيه ﴿ويقولون سمعنا وعصينا﴾ مع أن السمع يستلزم الطاعة أو تكون مقالتهم استهزاء كقولهم لرسول الرحمة ﴿واسمع غير مسمع﴾ أي لاأسمعك الله ﴿وراعنا﴾ وهو يفيد في لغة اليهود معنى اسمع غير مسمع كل ذلك ﴿ليّاً بألسنتهم﴾ ليظهروا الباطل من كلامهم في صورة الحق ﴿وطعناً في الدين﴾ الإلهي ﴿ولو أنهم﴾ دليل على التمني المشعر بالاستحالة ﴿قالوا سمعنا وأطعنا﴾ بدل سمعنا وعصينا ﴿واسمع وانظرنا﴾ أمهلنا حتى ننهي كلامنا ﴿لكان خيراً لهم﴾ فالخضوع للحق خير ﴿وأقوم﴾ من الليّ بألسنتهم ﴿ولكن لعنهم الله بكفرهم فلايؤمنون إلا قليلاً﴾ تيئيس للسامعين من أن تقول اليهود سمعنا وأطعنا فهم ملعونون لايوفقون للإيمان بسبب كفرهم فلايؤمنون إلا إيماناً قليلاً أو إلا وهم قليل.

٤٧ ـ ﴿ياأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزّلنا﴾ دعوة إلى الإيمان بالكتاب الذي نزله الله ﴿مصدقاً لما معكم﴾ فلايعقل الكفر مع الدليل ﴿من قبل أن نطمس وجوهاً﴾ فنمحو أثرها ونزيل معالمها فتفقد توجهها نحو مقاصدها الحيوية مما فيه سعادة الإنسان المرتقبة وتنكير وجوه يدل على الجمع المنكر ﴿فنردها على أدبارها﴾ فالفطرة تقضي بالتوجه إلى الأمام، أما هذه الوجوه الرافضة للحق فسوف ترتد على أدبارها تقصد ماخلفته وراءها ولاتمشي إليه إلا القهقرى ﴿أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت﴾ حيث مسخوا قردة وخنازير وأركسوا في البهيمية ﴿وكان أمر الله

مفعولاً﴾ فالأمر واقع لامحالة، وقد وقع على ماذكره الله من لعنهم وإنزال السخط عليهم وإلقاء العداوة والبغضاء بينهم إلى يوم القيامة.

٤٨ ـ ﴿إن الله لايغفر أن يشرك به﴾ أي آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم فإنكم إن لم تؤمنوا به كنتم مشركين. والله لايغفر أن يشرك به فيحل عليكم غضبه وعقوبته. فيطمس وجوهكم بردها على أدبارها أو يلعنكم أو إلى غير ذلك من الآثار الدنيوية المترتبة على الشرك ﴿ويغفر مادون ذلك﴾ فالمغفرة أو عدمها لاتقع جزافاً بل وفق الحكمة، ولاتستقر الرحمة إلا على أساس العبودية والربوبية ولاعبودية مع شرك والشرك يعم الكفر، فأهل الكتاب لايسمون مشركين وإن كان كفرهم بالقرآن وبما جاء به النبي شركاً منهم. على أن المغفرة ﴿لمن يشاء﴾ لاتقع بحكم حاكم عليه تعالى أو قهر قاهر لأن من الحكمة ألا يغفر لكل مذنب ذنبه والله تعالى لايغفر الشرك من كافر ولامشرك ويغفر مادون ذلك من الذنوب بشفاعة شافع أو بعمل صالح ﴿ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً﴾.

٤٩ ـ ﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم﴾ الزكاة هي النمو الحاصل من بركة الله تعالى، وتزكية الإنسان نفسه ضربان: أحدهما بالفعل وهو محمود فقد أفلح من تزكى، والثاني بالقول كتزكية المرء نفسه وهو مذموم، أو تزكيته لعدل غيره. فاليهود يزكون أنفسهم ويقولون نحن أبناء الله وأحباؤه ويقولون: ﴿لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة﴾ وزعموا أنهم أولياء لله من دون الناس ﴿بل الله يزكي من يشاء﴾ إضراب عن تزكيتهم لأنفسهم ورد لهم فيما زكوه فإذا تلبس الإنسان بالفضائل فهو إنما يتلبسها بفضل الله أما إذا أعطى لنفسه استغناء واستقلالاً فقد شارك الله في دعوى الألوهية والربوبية. وأين من لايستطيع أن يستخلص شيئاً سلبه الذباب منه من خالق الأكوان. ﴿ولايظلمون فتيلاً﴾ قيل هو من الفتل وهو مايكون في شق النواة أو بطنها وكيف كان فهو كناية عن الشيء الحقير الذي لايعتد به.

٥٠ ـ ﴿انظر كيف يفترون على الله الكذب﴾ بتزكيتهم أنفسهم بنبوة الله وحبه وولايته، كما أن أصل التزكية افتراء وإن كانت عن صدق لأنها إسناد شريك إلى الله تعالى ولم يكن له شريك في الملك ﴿وكفى به﴾ أي الكذب بالتزكية ﴿إثماً مبيناً﴾ فهي افتراء على الله والإثم هو الفعل المذموم الذي يمنع الإنسان من نيل الخيرات ويبطنها. والإثم هو الاسم المناسب لهذه المعصية لكونه من إشراك الشرك فهو يمنع نزول الرحمة كشرك الكفر يمنع المغفرة.

٥١ ـ ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾ تشير إلى وقوع واقعة قضى فيها بعض أهل الكتاب للذين كفروا على الذين آمنوا فهم ﴿يؤمنون بالجبت﴾ وهو مالاخير فيه ﴿والطاغوت﴾ وهو كل معبود من دون الله وكل شريعة مخالفة لشرع الله ﴿ويقولون للذين كفروا هؤلاء﴾ أي دين المشركين ﴿أهدى من الذين آمنوا سبيلاً﴾ ودينهم أحق.

٥٢ ـ ﴿أولئك الذين لعنهم الله﴾ طردهم من رحمته ﴿ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً﴾ فسوء عملهم وطردهم من رحمة الله أمر واقع ولاناصر لهم من الله مالك الملك. ٥٣ ـ ﴿أم لهم نصيب من الملك﴾ أي هل هم أولى بالنبوة أو لهم نصيب من الملك وهو السلطنة على الأمور المادية والمعنوية كلها؟ فيشمل ملك النبوة والولاية والهداية وملك الرقاب والحكم على المؤمنين والله لم يعطهم نصيباً من الملك بل أنعم الله به على نبيه ولو كان لهم هذا الملك ﴿فإذاً لايؤتون الناس نقيراً﴾ فلايعطون لبخلهم أحداً؛ إلا أقل القليل. ٥٤ ـ ﴿أم يحسدون الناس على ماآتاهم الله من فضله﴾ وجه الكلام إلى اليهود جواباً على قضائهم على المؤمنين بأن دين المشركين أهدى من دينهم، والحسد على فضل الله في النبوة والكتاب والمعارف الدينية وإذا كان المراد بالناس آل ابراهيم فيكون المقصود بالآية هو سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأن آل ابراهيم هو النبي وآله ﴿فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة﴾ إيئاس لهم في حسدهم وقطع لرجائهم في زوال هذه النعمة فليموتوا بغيظهم ﴿وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾ والمراد بالملك الملك المعنوي كالنبوة والولاية ويؤيده أن الله سبحانه لايستعظم الملك الدنيوي لو لم ينته إلى فضيلة معنوية ومنقبة دينية. ٥٥ ـ ﴿فمنهم﴾ من اليهود ﴿من آمن به ومنهم من صد عنه﴾ والصد هو الصرف فاليهود كانوا يبذلون مبلغ جهدهم في صد الناس عن سبيل الله والإيمان بما نزله من الكتاب إضافة إلى عدم إيمانهم به ﴿وكفى بجهنم سعيراً﴾ تهديد لهم بسعير جهنم مقابل ماصدوا

عن الإيمان وسعروا نار الفتنة على النبي ﷺ والذين آمنوا به. ٥٦ ـ ﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً﴾ يقاسون حرها ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها﴾ والعذاب يدور مدار النفس العاصية وهي تدركه ﴿ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً﴾ ومن الحكمة تعذيب الكافرين. ٥٧ ـ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وقد حسنت عقيدتهم وحسن عملهم ﴿سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهرة﴾ لكمال أنسهم فلهم ماتشتهي أنفسهم ﴿وندخلهم ظلاً ظليلاً﴾ لاحر فيه ولابرد. ٥٨ ـ ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ والأمانات تعم الأمانات المالية وغيرها من المعنويات كالعلوم والمعارف الحقة وإبلاغ الرسالة، وأمانة الاستخلاف وإقامة نظام الله في أرضه، والقضاء على كل مظاهر الشرك والعبودية لغير الله من نظم وقيم وشعارات جاهلية وقومية وعصبية ووطنية وقبلية ماأنزل الله بها من سلطان ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ سواء كان العدل في الأحكام المالية أم المرافعات، فالحكم بما أنزل الله هو قمة التوحيد وبه سعادة المجتمع ورفاهه وأي تغيير لأحكامه ظلم وكفر وفسوق ﴿إن الله نعما يعظكم به﴾ فأفضل المواعظ مواعظ رب العزة ﴿إن الله كان سميعاً﴾ بافتراءات اليهود وافتراءات المفترين وماتخفي الأنفس ﴿بصيراً﴾ بعباده يعرف الخير وينعم به عليهم. ٥٩ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله﴾ فله وحده حق الحاكمية وأية إطاعة لغيره فيما خالفه هي إتخاذ إله من دون الله وشرك به ﴿وأطيعوا الرسول﴾ الذي يبلغ عن الله لإقامة مجتمع التوحيد القائم على الإحسان ورفع كل تنازع واقع بالرد إلى الله ورسوله ﴿وأولي الأمر منكم﴾ فطاعتهم مستمدة من طاعة الله ورسوله مع أنه لانصيب لهم من الوحي وإنما شأنهم الرأي الذي يستصوبونه مطابقاً للقرآن والسنة وفي قوله: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ دلالة واضحة على أنه ليس لأولي الأمر مهما كان شأنهم أن يضعوا حكماً جديداً أو ينسخوا حكماً ثابتاً أو يغيروا بعضاً أو كلاً من شرعة الله ومنهاج رسوله ﷺ. فقضاء الله هو التشريع الحق؛ ومنه قضاء رسوله الذي لايخالف ماأراد الله وهذا إنما يتم بما للرسول الكريم من العصمة، كما أنه التزامٌ بقوله تعالى: ﴿ماآتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾. أما أولو الأمر فطاعتهم مرتبطة بعدم مخالفتهم للتشريع. ولكن إذا علم بمخالفتهم لأحكام الله فلا طاعة لأي منهم عندئذ ـ فالحق أحق أن يتبع إذ أنه لامداهنة في الدين والمشركون يودون لو تدهنوا فيدهنون لأن من يهن في الصغيرة يستسهل ماهو أكبر منها ـ وينبهوا فيما أخطؤوا وينفذ حكمهم فيما يحتمل خَطَؤه لوحدة الكلمة. وهكذا فلاطاعة لأي حاكم مع مخالفة الكتاب والسنة لقوله ﷺ: «لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق». وإن فسقوا أيضاً فلاطاعة لهم. وقد قيد الطاعة أيضاً لأولي الأمر بقوله ﴿منكم﴾ أي من المؤمنين بدينكم، هل هم أهل الحل والعقد أم الخلفاء أم العلماء أم الحكام أم أمراء السرايا وفيهم من هم مثل الحجاج وهم غير معصومين أم هم من يشملهم الحديث: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾
أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ
يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا
آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾
فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا
﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ
جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ
لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ۞ إِنَّ
اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ
النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا
بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي»؛ فأطيعوا من لهم الطاعة ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ تشديد في الحكم وإشارة إلى أن مخالفته تنشأ من فساد في مرحلة الإيمان بالله ورسوله، واستبطان الكفر وهو النفاق. ﴿ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ أي الرد عند التنازع إلى أحكام الله ورسوله أو طاعة أولي الأمر. والتأويل هو المصلحة الواقعية التي ينشأ منها الحكم ثم تترتب على العمل. ٦٠ ـ ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون﴾ الزعم هو الاعتقاد بأمر سواء طابقه أو خالفه بخلاف العلم فهو الاعتقاد المطابق للواقع فهم يزعمون ﴿أنهم آمنوا بما أنزل إليك وماأنزل من قبلك﴾ أولم تر تخلفهم عن الطاعة فهم ﴿يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت﴾ من الطغيان والطاغوت هو الظالم الجبار، المتمرد عن وظائف عبودية الله وهو كل معبود من دون الله ﴿وقد أمروا أن يكفروا به﴾ في كتبهم السماوية ﴿ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً﴾ فتحاكمهم إلى الطاغوت وإلى كل حاكم لايحكم بماأنزل الله هو عمل من الشيطان يريد إضلالهم فيه. ٦١ ـ ﴿وإذا قيل لهم تعالوا﴾ والتعالي هو الارتفاع ﴿إلى ماأنزل الله وإلى الرسول﴾ ـإذ كيف يسمو حكم الطاغوت وظلمه إلى مرتبة شرع رب الأرباب وعدالته ـ ﴿رأيت المنافقين يصدون﴾ ويعرضون ﴿عنك صدوداً﴾ فهم يتظاهرون بالإيمان ولكنهم يعرضون عن الرسول ومن هنا يظهر أن التفريق بين طاعة الله وطاعة رسوله بتسليم حكم الله والتوقف في حكم الرسول هو نفاقٌ بَيّن. ٦٢ ـ ﴿فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم﴾ نتيجة الإعراض عن حكم الله ورسوله والإقبال إلى حكم الطاغوت ﴿ثم جاءوك يحلفون بالله﴾ لمعذرتهم أنهم ماكانوا يريدون بركونهم إلى حكم الطاغوت سوءاً. ﴿إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً﴾ وهل يكون حكم الطاغوت سبيل الإحسان والتوفيق.؟ ٦٣ ـ ﴿أولئك الذين يعلم الله مافي قلوبهم﴾ من المرض والنفاق ﴿فأعرض عنهم﴾ لفساد مافي قلوبهم ﴿وعظهم﴾ وانصحهم ﴿وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً﴾ ليفقهوا مفاسد صنيعهم وأنه نفاق يستحق الويل من الله سبحانه. ٦٤ ـ ﴿وماأرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله﴾ رد مطلق للتحاكم إلى الطاغوت فمن يطع الرسول فقد أطاع الله ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم﴾ بميلهم عن هذا المنهج ﴿جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول﴾ ورجعوا إلى الله ورسوله بالتوبة ﴿لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ يقبل توبة عباده ويرحمهم. ٦٥ ـ ﴿فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾ يقسم الله بالذات العليا إثباتاً لمبدأ الحاكمية لله فلا حاكم إلا من حكم بما أنزل الله ولاشرع إلا ما شرع الله مع نفي لصفة الإيمان لمن يقبل حكم غير الله. فالذين يزعمون أنهم يؤمنون مع تحاكمهم للطاغوت ليسوا بمؤمنين. وقوله تعالى: ﴿حتى يحكموك﴾ شمول حكم الغاية أي فهم لايؤمنون حتى يحكموك مع تسليم تام باطناً وظاهراً. ﴿ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت﴾ فمن تحرج مما قضى به النبي ﷺ فقد تحرج من حكم الله لأن شرطه بافتراض الطاعة ونفوذ الحكم ﴿ويسلموا تسليماً﴾ مع رضى قلبي وتسليم باطني وظاهري، وأية

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

غضاضة أو اعتراض أو حرج من أي حكم من أحكام الله فهو شرك ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾. ٦٦ ـ ﴿ولو أنا كتبنا عليهم﴾ الحكم للهيئة الاجتماعية من الأفراد وهي المجتمع، والاستثناء لدفع توهم استيعاب الحكم لجميع الأفراد ﴿أن اقتلوا أنفسكم﴾ قتل الجملة للجملة دون قتل الواحد نفسه ﴿أو اخرجوا من دياركم﴾ وأوطانكم ﴿مافعلوه إلا قليل منهم﴾ ولم يمتثلوا أمر الله ﴿ولو أنهم فعلوا مايوعظون به لكان خيراً لهم﴾ إشارة إلى أن هذه الأحكام الظاهرة في صورة الكتابة وهي الأمر ليست إلا سبيلاً لصلاحهم وتثبيتاً لهم على جادة الصواب وهي خير في الآخرة يستتبع خير الدنيا ﴿وأشد تثبيتاً﴾ لنفوسهم وقلوبهم بالإيمان. ٦٧ ـ ﴿وإذاً لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً﴾ فتثبتهم بالإيمان سبب لأجرهم العظيم. ٦٨ ـ ﴿ولهديناهم صراطاً مستقيماً﴾ وهو سبيل الذين أنعم الله عليهم من غير المغضوب عليهم ولاالضالين. ٦٩ ـ ﴿ومن يطع الله والرسول﴾ في أحكام الله والتسليم لقضاء رسوله ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم﴾ فهم يلحقون بجماعة المنعم عليهم ولو أنهم غير صائرين منهم أي ﴿من النبيين﴾ وهم أصحاب الوحي ﴿والصديقين﴾ من المبالغة في الصدق وهو صدق القول ويصدقه صدق الفعل الذي يحكي صدق الاعتقاد ﴿والشهداء﴾ وهم شهداء الأعمال دون المستشهدين في معركة القتال ﴿والصالحين﴾ وهم أهل اللياقة بنعمة الله. فالنبيون هم السادة والصديقون شهداء الحقائق والأعمال والشهداء شهداء الأقوال والصالحون هم المتهيئون للكرامة الإلهية ﴿وحسن أولئك رفيقاً﴾ وحسن كل واحد منهم رفيقاً. ٧٠ ـ ﴿ذلك الفضل من الله﴾ تفخيم للفضل ﴿وكفى بالله عليماً﴾ لكون الكلام في درجات الإيمان التي لايشخصها إلا العلم الإلهي. ٧١ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا خذوا حذركم﴾ وهو مايتم الحذر به كالسلاح فخذوا حذركم من عدوكم وخاصة من المندسين بين صفوفكم ﴿فانفروا ثبات﴾ والنفر من محل السير فزع عنه، والثبات جمع ثبة وهي الجماعة على تفرقة والتهيؤ والإعداد يختلف باختلاف عدة العدو وقوته. وقوله انفروا ليس تخييراً وإنما ترديداً بحسب تردد العدو من حيث القوة والعدة فإذا كان العدو قليلاً فثُباتاً أي سرايا ﴿أو انفروا جميعاً﴾ عسكراً إن كان العدو كثيراً. ٧٢ ـ ﴿وإن منكم لمن ليبطئن﴾ ويتأخرن في العمل وهؤلاء هم المنافقون. ﴿فإن أصابتكم مصيبة﴾ من قتل أو جرح ﴿قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيداً﴾ حتى لاأُبتلى بمثل ماابتلي به المؤمنون. ٧٣ ـ ﴿ولئن أصابكم فضل من الله﴾ من المال ومايماثله من قبيل غنيمة الحرب ونحوها. ﴿ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ياليتني كنت معهم﴾ فالمؤمنون يد واحدة، تربطهم بعضهم أقوى الروابط، وهي رابطة الإيمان بالله التي تسود كافة الروابط الأخرى من نسب أو ولاية أو مودة والمنافقون لضعف إيمانهم لايرون لأنفسهم أدنى ربط يربطهم بالمؤمنين فهو يقول: ياليتني كنت معهم ﴿فأفوز فوزاً عظيماً﴾ فهم يعتبرون لضعف إيمانهم حيازة الغنائم فوزاً عظيماً. والإصابة في سبيل الله نقمة. ٧٤ ـ ﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون﴾ يبيعون ﴿الحياة الدنيا بالآخرة﴾ فيبدلون آخرتهم بدنياهم وهو حث

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّـَٔاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ ۖ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُۢنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

على الجهاد وذم لمن يبطيء فيه. ﴿ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾ فهما احتمالان القتل وقد قدم لأن ثوابه أجزل ولايمكن بعده اقتراف بعض السيئات الموجبة لحبط الأعمال الصالحة وهو الاحتمال الأول، أما الاحتمال الثاني الغلبة ولم يذكر ثالث الاحتمالين وهو الهزيمة لأن المقاتل في سبيل الله لاينهزم وللمقتول والغالب أجر عظيم. ٧٥ ـ ﴿ومالكم﴾ استنهاض وتهييج وإغراء ﴿لاتقاتلون في سبيل الله﴾ الذي لابغية لكم في حياتكم سوى رضوانه ﴿والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان﴾ وهم أبعاضكم وأفلاذكم من المؤمنين بالله ﴿الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها﴾ فهم مذللون معذبون، يستصرخون ويستغيثون بربهم من الظلم والتعذيب.فلتغيروا لهم لإيمانهم لأن الإسلام بعد التلبس بالإيمان قد يبطل الأنساب والأسباب القومية، فلا رابطة إلا رابطة العقيدة ﴿واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً﴾ فهم يطلبون الولي والنصير من الله وحده. ٧٦ ـ ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله﴾ مقايسة بين المؤمنين والكافرين ﴿والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت﴾ فسبيل المؤمنين ينتهي إلى الله سبحانه بخلاف سبيل الكفار وهذا محرض لهم على القتال ﴿فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾ فهم خارجون عن ولاية الله فلا مولى لهم إلا ولي الشرك وهو الشيطان ضعيف الكيد؛ فسبيلهم سبيل الطاغوت الذي يقابل سبيل الله والقوة لله جميعاً. على أنه لاتنافي بين ضعف الكيد في سبيل الله وقوته بالنسبة إلى من اتبع هواه وكذلك فإن كيد الشيطان للمؤمنين إلى جنب كيد الله للكافرين هو أضعف الضعف. ٧٧ ـ ﴿ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم﴾ أي امسكوا عن القتال وقد أرادوا الرد على تعدي الكفار ليشتد عظم الدين ويقوم صلبه ﴿فلما كتب عليهم القتال إذا فريقٌ منهم يخشون الناس﴾ وهم أناسٌ مثلهم ﴿كخشية الله أو أشد خشية﴾ والله أحق أن يخشوه ﴿وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجلٍ قريب﴾ هو أجل الموت حتف الأنف فهم يطلبون التخلص من القتل، والعيش زمناً أطول، وما هذا إلا لتعلق أنفسهم بهذه الدنيا. والله سبحانه لايرضى لهم أن يعيشوا هذه العيشة اليسيرة فلذلك يبتلهم بالقتل. ﴿قل﴾ خطاب للنبي ﴿متاع الدنيا قليل﴾ فترجيح العيش الدنيوي اليسير على كرامة الجهاد والقتل في سبيل الله خطأ كبير. والدنيا ليست نهاية المطاف ولا آخر الرحلة ﴿والآخرة خيرٌ لمن اتقى﴾ فالتقوى سبب الفوز في الآخرة ﴿ولا تُظلمون فتيلا﴾ فما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله . فلا موجب للخوف من أن يحيف الله عليكم ويظلمكم فتختاروا بذلك ما بأيديكم من المتاع على ما توعدون من الخير . والفتيل هو مايوجد في بطن النواة . ٧٨ ـ ﴿أين ما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروجٍ﴾ حصون ﴿مشيدةٍ﴾ مرفوعة فلا تتوهموا أنكم لو لم تشهدوا القتال كنتم في مأمن من الموت؛ مهما كانت شدة الركن الذي تأوون إليه. ﴿وإن تصبهم حسنةٌ يقولوا هذه من عند الله﴾ كما كان اليهود يقولون لأنبيائهم. ﴿وإن تصبهم سيئةٌ﴾ من الحوادث التي كانت

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ۗ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

تستقبلهم من أجل إقامة الدين ونشر دعوته من حرب وفتح وغنيمة وبلوى ﴿يقولوا هذه من عندك﴾ تطيراً به وتجريحاً لقيادته ﴿قل كلٌ من عند الله﴾ فهذه الحوادث ينظمها ناظم النظام الكوني ﴿فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثاً﴾ استفهام وتعجب من جمود فهمهم وخمود فطنتهم. ٧٩ ـ ﴿ما أصابك من حسنةٍ فمن الله﴾ فالنعمة والعافية والأمن والرفاه من الله ﴿وما أصابك من سيئةٍ فمن نفسك﴾ فالذلة والمرض والمسكنة والفتنة من النفس بما كسبت ﴿وأرسلناك للناس رسولا﴾ فما عليك إلا البلاغ ولهذا يندفع قولهم عندما تصيبهم سيئة ﴿هذه من عندك﴾ وليس لك من الأمر شيء حتى تجر إلى الناس السيئات وتدفع عنهم الحسنات ﴿وكفى بالله شهيداً﴾ على الأعمال ظاهرها وباطنها وهو الذي يشكر الحسنة ويعفو عن السيئة أو يجازيها بمثلها. ٨٠ ـ ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ فوظيفة الرسول إبلاغ الرسالة وطاعته من طاعة الله ﴿ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾ تحفظ أعمالهم. ٨١ ـ ﴿ويقولون طاعةٌ﴾ أمرك لنا طاعة ﴿فإذا برزوا﴾ ظهروا وخرجوا ﴿من عندك بيّت طائفةٌ منهم﴾ دبروا ليلاً أمراً ﴿غير الذي تقول﴾ وغير ما أجابوك وقالوا لك، أو غير ما قلت لهم ﴿والله يكتب ما يبيتون﴾ فهو يعلم عقدهم النية علة مخالفة الرسول ﷺ ويثبته في صحائف أعمالهم ﴿فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً﴾ فأعرض عنهم كما أعرضوا إذ لا يرجى منهم خير، ومن توكل على الله كفاه. ٨٢ ـ ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ التدبر أخذ الشيء بعد الشيء أو التأمل ـ في الآية ـ بعد التأمل. وهذا ترغيب لهم ليتدبروا القرآن حتى يظهر لهم أنه لا اختلاف فيه، وأنه من عند الله. ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ فهو ظاهر البيان شديد البنيان متين الأركان. والواحد من الناس لايسلم في نفسه وفي عمله من الاختلاف فكيف بمجتمع البشرية. والقرآن يضع لهذا المجتمع ما يحل خلافه ويجلي تناقضه. ٨٣ ـ ﴿وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن أو الخوف أذاعوا به﴾ نشروه وأشاعوه إذ كانوا ينشرون بعض الأراجيف التي كانت تأتي من الكفار ورسلهم لإيجاد النفاق والخلاف بين المؤمنين، فكان الضعفاء من المؤمنين يذيعونه من غير تبصر، فيوجب ذلك وهناً في عزيمة المؤمنين غير أن الله سبحانه وقاهم من اتباع هؤلاء الشياطين وأخبارهم. فتنطبق الآية على قصة بدر الكبرى، وتدعو الناس إلى الخروج إلى الكفار بعد محنة أحد. ﴿ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ الاستنباط استخراج القول من حال الإبهام إلى مرحلة التمييز والمعرفة، وأصله من النبط وهو أول ما يخرج من ماء البئر. فمن له أن يستنبط؟ هو الرسول وأولو الأمر وهم من تنطبق عليهم الآية ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ وهم الأئمة الذين يحتج بهم ولا ينطبق ذلك على من لاورع له أو المنافقين كعبد الله بن أبي وأصحابه ومن شاكلهم من أمراء السرايا وغيرهم. ﴿ولولا فضل من الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا﴾ إشارة إلى قصة بدر الصغرى وقد بعث أبو سفيان نعيم بن مسعود الأشجعي إلى المدينة لبسط الخوف

مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞۖ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ٨١ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتًا ٨٥ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ٨٦

والوحشة بين الناس وتثبيطهم عن الخروج إلى بدر. ولم يسلم من ذلك إلا النبي ﷺ وبعض خاصته وهم القليل المستثنى بالآية. ٨٤ ـ ﴿فقاتل في سبيل الله﴾ إن أفردوك وتركوك وحدك ﴿لاتكلف إلا نفسك﴾ والتكليف بمعنى المشقة فإذا تثاقلوا وكرهوا الجهاد فقاتل أنت بنفسك ولا يشقق عليك تثاقلهم ومخالفتهم فإن تكليف غيرك لا يتوجه إليك ﴿وحرّض المؤمنين﴾ على القتال سواء أطاعوا أم عصوا ﴿عسى الله أن يكفّ بأس الذين كفروا﴾ فيرد شدتهم ﴿والله أشد بأساً﴾ قوة منهم ﴿وأشد تنكيلاً﴾ والتنكيل من النكال وهو ما يمتنع به من الفساد خوفاً من مثله من العذاب، فهو عقاب المتخلف لئلا يعود إلى مثله وليعتبر به غيره من المكلفين. ٨٥ ـ ﴿من يشفع شفاعةً حسنةً يكن له نصيبٌ﴾ أي كفل ﴿منها﴾ فالشفاعة نوع توسط لترميم نقيصة، أو حيازة مزية ﴿ومن يشفع شفاعةً سيئةً يكن له كفلٌ﴾ أي نصيب ﴿منها﴾ فالشفيع ذو نصيب من الخير والشر المترتب على الشفاعة.

فيجب عدم طلب الشفاعة للمنافقين من المشركين ليعفوا من القتال لأنها شفاعة لأهل الظلم والفساد والنفاق والشرك ﴿وكان الله على كل شيء مُقيتاً﴾ بمنح القدرة لكل شيء. ٨٦ ـ ﴿وإذا حُييتم بتحيةٍ فحيوا بأحسن منها أو ردوها﴾ وهو حكم عام لكل تحية ولكن مورد الآيات هو الحرب والسلم والصلح. فالإسلام دين سلام لايقاتل إلا لإقرار السلام في الأرض ولا سلام ببقاء المشركين. ﴿إن الله كان على كل شيءٍ حسيباً﴾ فهو يعلم متى يجب الجنوح إلى السلم. ٨٧ ـ ﴿الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لاريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً﴾ فخذوا بما كلفكم الله من أمر الشفاعة الحسنة والسيئة ولا تبطلوا تحية من يحييكم بالإعراض والرد فإن أمامكم يوماً يجمعكم الله فيه ويجازيكم على إجابة ما دعاكم إليه أو رده. ٨٨ ـ ﴿فما لكم﴾ أيها المؤمنون تفرقتم ﴿في المنافقين فئتين﴾ فئة ترى قتالهم، وفئة تشفع لهم وتحرض على ترك قتالهم، والإعراض عن شجرة الفساد التي تثمر برشدهم ﴿والله أركسهم﴾ ردهم إلى الضلال بعد خروجهم منه جزاء ﴿بما كسبوا﴾ من سيئات الأعمال ﴿أتريدون﴾ بشفاعتكم ﴿أن تهدوا من أضل الله ومن يُضلل اللهُ فلن تجد له سبيلاً﴾ إلى الهدى فمن يشفع لهم من المؤمنين لا يتفهم حقيقة هذا الكلام حق التفهم. ٨٩ ـ ﴿ودّوا لو تكفرون كما كفروا﴾ بعدما أركسهم الله ﴿فتكونوا سواءً﴾ معهم بكفرهم ﴿فلا تتخذوا منهم أولياء﴾ نهي عن ولايتهم ﴿حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا﴾ رافضين الحق ﴿فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً﴾ فعلى المؤمنين أن يكلفوهم المهاجرة فإن أجابوهم فليوالوهم وإن تولوا فليقتلوهم. ٩٠ ـ ﴿إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ استثناء من أمر القتل لطائفتين إحداهما قد تحالفت مع من بينكم وبينهم ميثاق ﴿أو جاءوكم حصرت﴾ ضاقت ﴿صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم﴾ وهم الطائفة الثانية، يتحرجون من مقاتلة المسلمين أو مقاتلة قومهم ﴿ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم﴾ وعندها يجب قتالهم ﴿فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم و ألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً﴾ لقتالهم. ٩١ ـ ﴿ستجدون آخرين

اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ ۖ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُولَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾

يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم﴾ إخبار بمواجهتهم وهم ربما شابهوا الطائفة الثانية فهم منافقون ﴿كلّ ما رُدّوا إلى الفتنة أركسوا فيها﴾ وردوا إليها ﴿فإن لم يعتزلوكم﴾ بترك قتالكم ﴿ويُلقوا إليكم السّلم﴾ بالمهادنة والمصالحة ﴿ويكفوا أيديهم﴾ عن القتال ﴿فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾ أي وجدتموهم ﴿وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً﴾ فالقضاء عليهم نصر وقوة للإسلام. ٩٢ ـ ﴿وما كان لمؤمن﴾ بعد دخوله في حرم الإيمان ﴿أن يَقتل مؤمناً إلا خطأً﴾ وهو خلاف الصواب، ويقصد به ما يقابل العمد ﴿ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبةٍ مؤمنةٍ﴾ بجعل مملوك مؤمن حراً ﴿وديةٌ مُسلّمةٌ إلى أهله﴾ وهي ما يعطى من المال عوضاً عن النفس أو العضو أو غيرهما ﴿إلا أن يَصّدقوا﴾ ويعفوا عن الدية فلا تجب ﴿فإن كان﴾ المؤمن المقتول ﴿من قومٍ عدوٍ لكم﴾ وهم كفار ﴿وهو مؤمن فتحرير رقبةٍ مؤمنةٍ﴾ ولا دية لأن الكافر لا يرث المؤمن ﴿وإن كان﴾ المؤمن المقتول ﴿من قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ عهد ﴿فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبةٍ مؤمنةٍ﴾ وقد قدم الدية إحتراماً للميثاق ﴿فمن لم يجد﴾ ولم يستطع التحرير ﴿فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليماً حكيماً﴾. وفي الحديث: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم»، و فيه «لو أن رجلاً قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لأشرك في دمه». ٩٣ ـ ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمداً﴾ والتعمد هو القصد إلى الفعل بعنوانه الذي له. أي قاصداً قتله ﴿فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً﴾ وعد غليظ للنهي عن قتل المؤمن عمداً ولكن يستفاد من قوله تعالى ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ أنها ليست صريحة في الحتم فيمكن العفو بتوبة أو شفاعة. وفي الكافي وتفسير العياشي عنه (ع): «أنه سئل عن المؤمن يقتل المؤمن متعمداً له توبة ؟ فقال: إن كان قتله لإيمانه فلا توبة له، وإن كان قتله لغضب أو لسبب شيء من أشياء الدنيا فإن توبته أن يقاد منه، وإن لم يكن علم به انطلق إلى أولياء المقتول فأقرّ عندهم بقتل صاحبهم فإن عفوا عنه فلم يقتلوه أعطاهم الدية، وأعتق نسمة، وصام شهرين متتابعين، وأطعم ستين مسكيناً توبة إلى الله عز وجل». ٩٤ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا إذا ضربتم﴾ سافرتم ﴿في سبيل الله﴾ أي جاهدتم ﴿فتبينوا﴾ ميزوا المؤمن من الكافر ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام﴾ وهي تحية الإيمان ﴿لست مؤمنا﴾ حقيقة؛ بزعم أنه يظهر الإيمان خوفاً على نفسه ﴿تبتغون عرض الحياة الدنيا﴾ تطلبون المال والغنيمة ﴿فعند الله مغانم كثيرة﴾ كذلك كنتم من قبل﴾ فقد كنتم تطلبون المال والغنيمة ﴿فمن الله عليكم﴾ بالإسلام ﴿فتبينوا﴾ قبل أن تقتلوا ﴿إن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ فلا تنقادوا لأخلاق الجاهلية وما بقي فيكم من آثارها. وفي تفسير القمي للآية أنها نزلت لما رجع رسول الله ﷺ من غزاة خيبر، وبعث أسامة بن زيد في خيل إلى بعض قرى اليهود في ناحية فدك ليدعوهم إلى الإسلام كان رجل يقال له مرداس بن نهيك الفدكي في بعض القرى فلما أحس بخيل رسول الله ﷺ جمع أهله وماله في ناحية الجبل فأقبل يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فمر به أسامة بن زيد فطعنه فقتله ، فلما رجع

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ۚ تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

إلى رسول الله ﷺ أخبره بذلك، فقال له رسول الله ﷺ: «قتلت رجلاً شهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟» فقال: يارسول الله إنما قالها تعوذاً من القتل، فقال رسول الله ﷺ: «فلا كشفت الغطاء عن قلبه، ولا ماقال بلسانه قبلت، ولا ماكان في نفسه علمت». فحلف أسامة بعد ذلك أن لايقتل أحداً شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ولكنه تخلف عن أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه. ٩٥ ـ ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين﴾ عندما لاتتطلب الحاجة خروجهم لخروج غيرهم على حد الكفاية. ﴿غير أولي الضرر﴾ والضرر هو النقصان في الوجود المانع من القيام بأمر الجهاد والقتال. ﴿والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم﴾ فهم لا يستوون عند الله فقد ﴿فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجةً﴾ فمنزلتهم أعلى وقد اشترى الله منهم ماجاهدوا به بوعدهم بالجنة ﴿وكلاً وعد الله الحسنى﴾ فللجميع العاقبة والمثوبة الحسنى ﴿وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً﴾ درجات كثيرة ومنازل عديدة وهذه تكرمةٌ من الله لهم تزيد عما بذلوه. ٩٦ ـ ﴿درجات منه﴾ نظير قيامهم في سبيله ﴿ومغفرة ورحمةً﴾ فالرحمة هي الإفاضة الإلهية للنعمة تتوقف على إزالة الحاجب ورفع المانع من التلبس بها، وهي المغفرة التي تلزم لكل النعم ﴿وكان الله غفوراً﴾ لموانع الرحمة ﴿رحيماً﴾ يفيض عطاء. ٩٧ ـ ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ بإعراضهم عن دين الله وترك إقامة شعائره من جهة الوقوع في بلاء الشرك. والتوسط بين الكافرين إذ لا وسيلة إلى تعلم معارف الدين و القيام بوظائف العبودية. وقيل إنهم ظلموا أنفسهم بأن حرموها الحياة الدنيا مشفقين من مشاق الهجرة ومتاعب الطريق محافظة على أنفسهم وأموالهم ولزموا الحياة الذليلة الضعيفة المضطهدة ﴿قالوا فيم كنتم﴾ وفيها دلالة على ما تسميه الأخبار سؤال القبر و قيل: فيم أضعتم أيامكم و لياليكم وماذا كان همكم وشغلكم في الدنيا ﴿قالوا كنا مستضعفين في الأرض﴾ فلم يكونوا يعيشون في أرض يتمكنون فيها من التلبس بالدين لقوة أهل الشرك؛ فاستضعفوهم وحالوا بينهم وبين العمل بشرائع الدين ولكن بما أنه كان بوسعهم الخروج من حومة الاستضعاف بالمهاجرة، كذبتهم الملائكة ﴿قالوا﴾ لهم ﴿ألم تكن أرض الله واسعةً فتهاجروا فيها﴾ استفهام للتوبيخ فمن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة ﴿فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً﴾ وهكذا حكم الله في حقهم لخلودهم إلى الأرض. ٩٨ ـ ﴿إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان﴾ فهم مستثنون من ظلم أنفسهم لأنهم ﴿لايستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلاً﴾ والحيلة من الحيلولة فهم لايتمكنون أن يحتالوا لصرف ما يتوجه إليهم من استضعاف ولا يجدون سبيلاً يخلصهم مما هم فيه. ٩٩ ـ ﴿فأولئك﴾ الذين لايستطيعون حيلة ﴿عسى الله أن يعفو عنهم﴾ لعذرهم في جهلهم. وعلى أية حال فلا غنى للإنسان عن العفو الإلهي ﴿وكان الله عفواً غفوراً﴾ إعطاء ليشائر شمول العفو لهم لأنهم مستثنون من الظلم. ١٠٠ ـ ﴿ومن يهاجر في سبيل

لَّا يَسْتَوِي الْقَٰعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَٰهِدِينَ عَلَى الْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ الصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ الْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾

الله يجد في الأرض مُراغماً كثيراً وسعةً﴾ والرغام هو التراب الرقيق، ورغم أنف فلان أوقعه في الرغام. فمن يهاجر في سبيل الله يجد مذهباً يذهب إليه أي يجد مواضع كثيرة، وكلما منعه مانع استراح لآخر لإرغام المانع أو منازعته، ويجد سعة في الأرض وهذا تهييج وتشجيع لنفوس المؤمنين على الهجرة من دار الشرك وتطييب نفوسهم. ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله﴾ كناية عن الهجرة إلى دار الإسلام التي يتمكن من العمل فيها بكتاب الله وسنة رسوله ﴿ثم يدركه الموت﴾ أي لحق به ﴿فقد وقع أجره على الله﴾ كناية عن لزوم الأجر و الثواب له و قد أخذ الله تعالى ذلك في عهدته، والله يوافيه بألوهيته التي لاتعجز عن شيء. ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ تأكيد للوعد الجميل بلزوم توفية الأجر والثواب. فعلى المسلم أن يقيم حيث يتمكن من تعلم معالم الدين، وإقامة شعائره، وأن يهجر الأرض التي لاسبيل فيها إلى القيام بأمور الدين سواء سميت في هذه الأيام دار الإسلام أم دار الشرك. فإن الأسماء اليوم قد هجرت مسمياتها وصار الدين جنسية والإسلام مجرد تسمية دون عقيدة أو عمل. ١٠١ ـ ﴿وإذا ضربتم في الأرض﴾ فسافرتم ﴿فليس عليكم جناحٌ﴾ لا إثم ولا حرج ﴿أن تقصروا من الصلاة﴾ تنقصوا من عدد ركعاتها، ونفي الجناح لاينافي الوجوب ﴿إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ بالقتل والضرب والتعذيب. وهذا يفيد أن بدء التشريع في قصر الصلاة إنما كان عند خوف الفتنة. ولا ينافي ذلك أن يعم التشريع جميع صور السفر الشرعي. ﴿إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً﴾ فهم ينتهزون الفرص للإيقاع بكم. ١٠٢ ـ ﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة﴾ جماعة وهي صلاة الخوف ﴿فلتقم طائفةٌ منهم معك﴾ ليأتموا بك ﴿وليأخذوا أسلحتهم﴾ مع قيامهم ﴿فإذا سجدوا﴾ أي فرغوا من الصلاة ﴿فليكونوا من ورائكم﴾ يحرسونكم ويحرسون أمتعتكم ﴿ولتأت طائفةٌ أخرى لم يصلوا﴾ بعد ﴿فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم﴾ كما فعلت الطائفة الأولى ﴿ودَّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلةً واحدةً﴾ ولذلك كرر الأمر بالحذر ﴿ولا جناح عليكم﴾ تخفيف من الله ﴿إن كان بكم أذىً من مطر أو كنتم مرضى﴾ فعندها لا إثم عليكم ﴿أن تضعوا أسلحتكم﴾ أثناء الصلاة ﴿وخذوا حذركم﴾ توصية بالحذر لئلا تغفلوا عن الذين كفروا. ﴿إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً﴾ لعدائهم لشرع الله ومنهجه وعداوتهم للمؤمنين. ١٠٣ ـ ﴿فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم﴾ ذكراً مستمراً مستوعباً لجميع الأحوال ﴿فإذا اطمأننتم﴾ أي استقررتم أو عدتم إلى أوطانكم ﴿فأقيموا الصلاة﴾ تماماً ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً﴾ فرضاً ﴿موقوتاً﴾ جعل الله لها وقتاً معلوماً ثابتاً، فهي لاتسقط ولا تتبدل. ١٠٤ ـ ﴿ولا تهنوا﴾ لا تضعفوا ﴿في ابتغاء﴾ طلب ﴿القوم إن تكونوا تألمون﴾ من الجهاد و القتال ﴿فإنهم يألمون كما تألمون﴾ فلستم أسوأ حالاً من أعدائكم ﴿وترجون من الله﴾ الذي تتوجهون بجهادكم إليه وترتقبون عنده جزاءكم ﴿ما لايرجون﴾ من وعد النصر والمغفرة والفوز، فأنتم أرفه منهم

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ ۖ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾

وأسعد. حيث إن لكم رجاء الفتح والظفر والمغفرة والجنة من ربكم الذي هو مولاكم، ولا مولى لأعدائكم ولا رجاء يطيب نفوسهم ويسوقهم إلى مبتغاهم. ﴿وكان الله عليماً﴾ بالمصالح ﴿حكيماً﴾ متقناً في أمره ونهيه. ١٠٥ ـ ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾ فغاية إنزال الكتاب هو أن تكون الحاكمية والقوانين وفق شرع الله، والحكم بين الناس هو القضاء بينهم في مخاصماتهم ومنازعاتهم. وتدل الآية على جعل الحق الحكم لرسول الله ﷺ مع الحجة لرأيه ونظره؛ لأن الحكم لاينفك عن إعمال القاضي نظره في موارد الخصومة، فقوله لتحكم بين الناس بما أراك الله يدل على إيجاد الرأي وتعريف الحكم لا تعليم الأحكام والشرائع كما ذكره بعضهم. ﴿ولا تكن للخائنين خصيما﴾ والخصيم هو الذي يدافع عن الدعوى وما في حكمها فلا تدافع عن الخائنين. ١٠٦ ـ ﴿واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيماً﴾ الاستغفار هو طلب الستر على ما في طبع الإنسان من إمكان هضم الحقوق والميل إلى الهوى ومغفرة ذلك. و الآيات اللاحقة تدل على أنه سبحانه قد عصم رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وهذا ينفي ما ذكره المفسرون أنه أمر بالاستغفار عما هم به النبي ﷺ من الدفاع عن سارق اتهم غيره. ١٠٧ ـ ﴿ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم﴾ ونسبة الخيانة إلى النفس لكون وبالها راجعاً إليها؛ أو بعدّ كل معصية خيانة للنفس كما عدت ظلماً لها ؛ والمؤمنون كنفس واحدة ومال الواحد مال الجميع، يجب عليهم جميعاً حفظه وصونه عن الضيعة والتلف، وهكذا فتعدي واحد على الآخرين بسرقة ونحوها يعد اختياناً للنفس. ﴿إن الله لايحب من كان خواناً أثيماً﴾ فهم مستمرون بالخيانة، وقد ثبت فيهم الإثم، والله لا يحب الخيانة أبداً قلت أو كثرت. ١٠٨ ـ ﴿يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله﴾ فإذا أمكنهم أن يخفوا ما أثموا من الناس وما استحبوا أن يظهروه لهم، فإن الاستخفاء من الله غير مقدور ﴿وهو معهم إذ يبيتون مالا يرضى من القول﴾ وهم يدبرون الحيلة ليلاً للتبري من هذه الخيانة المذمومة ﴿وكان الله بما يعملون محيطاً﴾ فهو محيط بهم في كل الأحوال ومنها حال الجرم الذي أجرموه. ١٠٩ ـ ﴿ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا﴾ ولا جدوى من هذه المجادلة، كما لا ينتفعون بها ولو نفعتهم فإن ذلك يكون في الحياة الدنيا ولا قدر لها عند الله ﴿فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة﴾ من يتكفل تدبير أمورهم و إصلاح شؤونهم يوم القيامة ؟ وواقع الحال أن الحياة الأخروية هي التي لها عظيم القدر عند الله ولا مدافع عن الخائنين ولا مجادل عنهم. ﴿أم من يكون عليهم وكيلاً﴾ إذ لا وكيل لهم. ١١٠ ـ ﴿ومن يعمل سوءاً﴾ بظلم غيره ﴿أو يظلم نفسه﴾ وقد يكون السوء أهون من الظلم كالمعصية الصغيرة بالنسبة للكبيرة والله أعلم ﴿ثم يستغفر الله﴾ حث على الاستغفار من كافة المعاصي، فالتبعة شخصية حتى لو افترى على غيره بها، ولو فعل ذلك لأثم إثماً آخر وراء أصل الخطيئة والإثم فمن يستغفر بعد ذلك ﴿يجد الله غفوراً رحيماً﴾ يستر ظلمه ويرحمه. ١١١ ـ ﴿ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه﴾ فهو مقصور عليه لايتعداه ﴿وكان الله عليماً﴾ بمن كسب الإثم ﴿حكيماً﴾

وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

لايؤاخذ بالإثم إلا آثمه. إذ لا تزر وازرة وزر أُخرى.

١١٢ ـ ﴿ومن يكسب خطيئة﴾ بفعل لايقصده في نفسه، بل يكون القصد سبباً لتولد الفعل، كمن يرمي صيداً فيصيب إنساناً، والخطيئة هي العمل الذي اختزن واستقر فيه الخطأ، ويقصد منها هنا المعصية ﴿أو إثماً﴾ والإثم هو العمل الذي يوجب بوباله حرمان الإنسان من خيرات كثيرة كشرب الخمر والقمار والسرقة وهي توجب الصد عن حيازة الخيرات الحيوية وتسبب انحطاطاً اجتماعياً، وتسلب من المجتمع الثقة. فمن يكسب معصية لا تتجاوز موردها وبالاً كترك الصوم أو أكل الميتة أو تتجاوز موردها كالسرقة والقتل ﴿ثم يرم به بريئاً﴾ بنسبتها إليه. ﴿فقد احتمل بهتاناً﴾ كما في رمي السهم فهو يفتك بالمقتول ويفتري على المتهم بنسبة الفعل إليه ويكون هو قد نال طيلة حياته وبالاً ﴿وإثماً مبيناً﴾ يمنعه عن نيل الخير.

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ اللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

١١٣ ـ ﴿ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفةٌ منهم أن يضلوك﴾ وهو همهم بالدفاع عن الخائنين ﴿وما يضلون إلا أنفسهم﴾ فضلالهم لايتعدى أنفسهم ولا يتجاوزهم إليك فهم الضالون بما هموا به لأنه معصية وكل معصية ضلال ﴿وما يضرونك من شيء﴾ نفي قاطع لأي ضرر يصيب النبي من أفعالهم وأقوالهم ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة﴾ وهذا الانزال هو المانع من تأثيرهم في إضلاله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الملاك في عصمته ﴿وعلمك مالم تكن تعلم﴾ وهذا العلم مانع من الضلال وموصل للعصمة أيضاً ﴿وكان فضل الله عليك عظيماً﴾ امتنان على النبي بإيتائه الكتاب والحكمة والعلم العاصم.

١١٤ ـ ﴿لا خير في كثير من نجواهم﴾ النجوى هي المسارة في الحديث ولا خير فيها سواء بطريق التبييت أو بغيره ﴿إلا من أمر بصدقةٍ أو معروفٍ أو إصلاح بين الناس﴾ ولعل إفراد الصدقة عن المعروف مع كونها من أفراده لكونها الفرد الكامل في الاحتياج للنجوى. وقيل إن النجوى هي أن تجتمع طائفة بعيداً عن الجماعة المسلمة لتبيت أمراً، واتجاه التربية والتنظيم الإسلامي هو أن يأتي كل إنسان بمشكلته أو موضوعه فيعرضه على النبي أو يساره به إذا كان أمراً شخصياً لايريد أن يشيع بين الناس. والحكمة ألا تتكون جيوب في الجماعة المسلمة وتنعزل مجموعات منها بتصوراتها، ومشكلاتها وأفكارها واتجاهاتها. ﴿ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله﴾ ففاعل النجوى إن كان يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله يكون عمله قربة إلى الله تعالى ﴿فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾ ومن يفعل ذلك لمشاقة الرسول، واتخاذ طريق غير طريق المؤمنين فجزاؤه الإملاء والاستدراج الالهي ثم إصلاؤه جهنم وساءت مصيراً.

١١٥ ـ ﴿ومن يشاقق﴾ المشاقة من الشق وهو القطعة المبانة، فمن يخالف ﴿الرسول﴾ بمخالفته وعدم إطاعته ﴿من بعدما تبين له الهدى﴾ الذي يأتي به ﴿ويتبع غير سبيل المؤمنين﴾ وهم مجتمعون على الإيمان الذي هو الاجتماع على طاعة الله ورسوله ووحدة المؤمنين وعدم شق عصا الاجتماع الإسلامي ﴿نُوَلِّه ماتولى﴾ ونجره على ما جرى

عليه، فقد اتخذ منهجاً للحياة غير منهج الله وهو شرك بالله العظيم ونساعده على ما تلبس به وهذا جزاؤه في الدنيا، ثم نعذبه في الآخرة ﴿ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾.

١١٦ ـ ﴿إنّ الله لا يغفر أن يشرك به﴾ فمشاقة الرسول شرك، واتخاذ منهج غير منهج الله شرك ورفع راية غير راية الإسلام شرك، وتولي أعداء الله شرك، وإطاعة أي معبود من دون الله شرك، وأي حياد أو تحريف أو تغيير لمنهج الله شرك والله لايغفره ﴿ويغفر مادون ذلك﴾ فكل ما غير الشرك دون الشرك في عظمة المعصية، والشرك هو أكبر المعاصي وأشأمها. ﴿ومن يشرك بالله﴾ بعبادة من دونه وإطاعة أحكامه ﴿فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾ فمنهج الله سعادةٌ للناس في دنياهم وآخرتهم، ومن ضل هذا المنهج واتبع سبيلاً آخر غير ما أنزل الله آخذاً بالقوانين الوضعية والقيم التي صورها المبطلون والنظريات الأهوائية فقد سلك سبيلاً غير سبيل السعادة في الدنيا ولن يصل إلى المغفرة وسيصلى جهنم وبئس المصير.

١١٧ ـ ﴿إن يدعون من دونه إلا إناثاً﴾ يقال أنث الحديد أي انفعل ولان وأنث المكان أنبت، ففيه معنى الانفعال والأصنام منفعلة والمنفعل لا يخلق لأنه مخلوق ومتأثر، ﴿إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه، ضعف الطالب والمطلوب﴾ ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ فلذلك سموا الأصنام تسمية الإناث، و هكذا فإن كل مخلوق منفعل، والإنسان منفعل، فهو مخلوق، فلا يصح أن يكون خالقاً، ولا يصح أن يكون معبوداً ولا يصح أن يكون مشرعاً، ﴿وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً﴾ عارياً من كل خير. وعبادة من دون الله عبادة ودعوة منهم للشيطان المريد لكونها طاعة له. ١١٨ ـ ﴿لعنه الله﴾ أبعده عن الرحمة ﴿وقال لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً﴾ فقد قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين مع تقريره بقوله: من عبادك بأنهم عباده لاينسلخون عن هذا الشأن وهو ربهم يحكم فيهم بما شاء. ١١٩ ـ ﴿ولأُضِلنهم﴾ عن سبيلك وشرعتك ومنهجك وطاعتك وطاعة رسولك ﴿ولأمنينهم﴾ بالأماني الموهومة ﴿ولآمرنهم﴾ فمن خالف أمر الله فقد استجاب لأمر الشيطان ﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ﴾ ليشقن ﴿آذان الأنعام﴾ والبحائر والسوائب لتحريم لحومها ﴿ولآمرنهم فليغيرن خلق الله﴾ بالإخصاء للرقيق والمثلة واللواط، والسحق والخروج عن حكم الفطرة وترك الدين الحنيف واتخاذ مناهج وأحكام غير ماشرع الله ﴿ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله﴾ والله هو الولي وهو المعبود وهو الحاكم، ﴿فقد خسر خساناً مبيناً﴾ فمنهج الله هو الأعلى ومن تمسك به فقد فاز، ومن ترك صراط الله فقد هوى وأي خسران أبين من خسران من ترك السعادة الحقيقية وكمال الخلقة، ليأخذ بما دونها، وقد أصبح الواقع مصداقاً لهذه الآية وقد جهد الكفار ولو كانوا يسمون أنفسهم مسلمين بالفساد والإفساد.

١٢٠ ـ ﴿يعدهم﴾ و مواعيده هي الوساوس الشيطانية بلا واسطة ﴿ويمنيهم﴾ بما يستلذه الوهم من المتخيلات الناتجة عن الوسوسة ﴿وما يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾ عد الوعد غروراً دون التمنية على مالا يخفى.

١٢١ ـ ﴿أولئك مأواهم جهنم﴾ فجهنم هي الدار التي يأوون إليها والإنسان يأوي إلى مايرتاح إليه وهؤلاء يأوون إليها ويقاسون فيها العذاب ﴿ولايجدون عنها محيصاً﴾ معدلاً ولامفراً.

١٢٢ ـ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ إيحاء إلى جلالة المقام وعظمته بوضع لفظ الجلالة موضع ضمير المتكلم مع الغير وذلك بقوله ﴿سندخلهم جناتٍ﴾ إيحاء إلى قرب الحضور وعدم احتجابه تعالى عن عباده المؤمنين وهو وليهم ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ وصف لمأوى المؤمنين ﴿خالدين فيها أبداً﴾ فما أعظم الجزاء ومأأقصر الحياة الدنيا ﴿وعد الله حقاً﴾ فإنَّ مايوعدون لواقع أما الشيطان فما يعدهم إلاّ غروراً ﴿ومن أصدق من الله قيلا﴾ فهو الحق وقوله الصدق وكل ماهو موجود من خلقه ومنفعل له. ١٢٣ ـ ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب﴾ فالأماني ليست إلا صورة خيالية ولذة لا أثر لها من واقع. ولكن الأمر يدور مدار العمل إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وهل تجزون إلا ماكنتم تعملون. فبعض المؤمنين كان يلح على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يراعي جانبهم ويساعدهم على غيرهم فيما يقع بينهم من النزاع والمشاجرة، وهم يرون أن لهم بإيمانهم كرامة على الله ومرتبة عنده. وأهل الكتاب كانوا يرون مثل رأيهم بدعوى أنهم أبناء الله وأحباؤه وأنه ليس عليهم في الأميين سبيل. والحق أن مزاعمهم أمان لارصيد لها من صحة فإذا لم يكن الدخول في حمى الإسلام مجرياً للخير وكذا الدخول في اليهودية والنصرانية فما هو السبيل؟ السبيل ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾ إقرار لأحكام الشريعة الاسلامية في القصاص ﴿ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً﴾ في صرف الجزاء السيّء، فالجزاء المشرع من عند الله لا يصرفه عن عامل السوء صارف. ١٢٤ ـ ﴿ومن يعمل من الصالحات﴾ توسعة في الوعد بالجنة بإضافة من التبعيضية ﴿من ذكر أو أنثى﴾ من غير فرق أصلاً، خلافاً لما يزعمه أهل الملل أن النساء لاعمل لهن ولا ثواب لحسناتهن ولما كان يظهر من اليهودية والنصرانية، أن الكرامة والعزة للرجال وأن النساء أذلاء عند الله نواقص في الخلقة خاسرات في الأجر وقد أخطؤوا فالثواب للعقيدة ومن يعمل صالحاً ﴿وهو مؤمن﴾ حصر للثواب بالإيمان. ﴿فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيراً﴾ وهو دليل على أن النساء يدخلن الجنة كالرجال. ١٢٥ ـ ﴿ومن أحسن ديناً﴾ تقرير بالاستفهام بأن الإنسان لامناصر له عن الدين ثم قرر أن أحسن الدين هو الإسلام ﴿ممن أسلم وجهه لله﴾ فخضع له خضوع العبودية، يمتثل ما أمر وينتهي عما نهى، مسقطاً كل شرع غير ماأنزل ﴿وهو محسن﴾ إحساناً في عقيدته، وإحساناً في سلوكه. ﴿واتبع ملة ابراهيم حنيفاً﴾ مسلماً وما كان من المشركين ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ .١٢٦ ـ ﴿ولله مافي السماوات وما في الأرض﴾ فحكمه ليس كحكم أباطيل البشر فالله سبحانه مالك غير مملوك ﴿وكان الله بكل شيءٍ محيطاً﴾ بخلاف الموالي والرؤساء والملوك من الناس فإنهم لايملكون من عبيدهم شيئاً إلا ويملكونهم من أنفسهم شيئاً بإزائه، ويقهرون البعض بالبعض فإذا مانعت إرادتهم إرادة الكل سقطوا والله محيط غير محاط. ١٢٧ ـ ﴿ويستفتونك﴾ يسألونك عما يشكل من الأحكام ﴿في النساء﴾ في عامة ماأحدثه الإسلام وأبدعه من أحكامهن مما لم يكن في الجاهلية. ﴿قل الله يفتيكم فيهن﴾ فقد بين الله

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

أحكامه فيهن في أوائل السورة مع صرف الفتوى عن النبي ﷺ ﴿وما يتلى﴾ يبين ﴿عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لاتؤتونهن ماكتب لهن﴾ فحرمانهن سبب التشريع فقد كانوا يتزوجون جميلات اليتامى ويعضلن دميماتهن طمعاً في مالهن ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾ أي تعرضون عن ذلك ﴿والمستضعفين من الولدان﴾ فتحرمونهم من الإرث بدعوى أنهم لايركبون الخيل ولايدافعون عن الحريم ﴿وأن تقوموا لليتامى بالقسط﴾ تعميم لحكم العدل في اليتامى ﴿وماتفعلوا من خير﴾ مما عزم الله عليهم في النساء واليتامى ﴿فإن الله كان به عليماً﴾ ترغيب في العمل وتحذير عن المخالفة. ١٢٨ ـ ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً﴾ النشوز هو الترفع عن أداء الواجب ﴿أو اعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً﴾ بغض المرأة عن بعض حقوقها الزوجية أو جميعها لجلب الألفة ﴿والصلح خير﴾ من تحقق علائم خوف النشوز والإعراض ﴿وأحضرت الأنفس الشح﴾ البخل من الغرائز التي جبلت عليها النفوس لتحفظ منافعها، وتصونها عن الضيعة، فالمرأة تبخل بما لها من الحقوق الزوجية كالكسوة والنفقة والفراش والوقاع والرجل يبخل بالمرافقة والميل إذا أحب المفارقة ﴿وإن تحسنوا وتتقوا فإنّ الله كان بما تعملون خبيراً﴾ فلا تتعدوا طريق الإحسان والتقوى ولاتحيفوا في المعاشرة، ولاتكرهوا النساء على إلغاء حقوقهن الحقة. ١٢٩ ـ ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا﴾ بأن تسلكوا سلوكاً وسطاً بين الإفراط والتفريط في معاملتكم ﴿بين النساء﴾ لأن تعلق القلوب لايتطرق إليه الاختيار دائماً ﴿ولو حرصتم﴾ على العدل وهو اتخاذ حد من الوسط ﴿فلا تميلوا كل الميل﴾ إلى أحد الطرفين وخاصة طرف التفريط ﴿فتذروها كالمعلقة﴾ لاهي ذات زوج فتستفيد من زوجها ولاهي مطلقة فتتزوج أو تذهب لشأنها ﴿وإن تصلحوا وتتقوا فإنّ الله كان غفوراً رحيماً﴾ تأكيد وترغيب للرجال في الإصلاح أنه من التقوى، والتقوى تستتبع المغفرة والرحمة. ١٣٠ ـ ﴿وإن يتفرّقا﴾ بالطلاق ﴿يغنِ الله كلاً من سعته﴾ والاغناء في جميع مايتعلق بالازدواج من ائتلاف وإيناس ومس وكسوة ونفقة للزوجة ﴿وكان الله واسعاً﴾ فهو يغني كلاً من سعته ﴿حكيماً﴾ في تشريعه وفي خلقه. ١٣١ ـ ﴿ولله مافي السموات وما في الأرض﴾ فهو صاحب الحق في التشريع ﴿ولقد وصّينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإيّاكم أن اتّقوا الله﴾ تأكيد في الدعوة إلى مراعاة صفة التقوى في جميع مراحل المعاشرة الزوجية وفي كل حال. ﴿وإن تكفروا﴾ فترك التقوى كفر بنعمة الله لامنشأ له إلا الكفر الظاهر أو الكفر الباطن كفساق المؤمنين. ﴿فإنّ لله مافي السماوات وما في الأرض﴾ فلا حاجة به إليكم وإلى تقواكم ﴿وكان الله غنياً﴾ عنكم ﴿حميداً﴾ لايحتاج إلى شكركم له بترك كفركم به. ١٣٢ ـ ﴿ولله مافي السماوات وما في الأرض﴾ فهو مالك غير مملوك، متصرف في شؤون خلقه كمايشاء ﴿وكفى بالله وكيلا﴾ قائماً بأمور عباده وشؤونهم، ولا يحتاج إلى اعتضاد وإسناد. ١٣٣ ـ ﴿إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين﴾ دعوة إلى ملازمة التقوى، فهو المالك المتصرف كيفما شاء، وقد شاء أن يعبد

وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

ويتقى، فاتقوا الله حق تقاته. ﴿وكان الله على ذلك قديراً﴾ فهو قادر على أن يؤخركم ويقدم آخرين يتقون الله. وقد أورد البيضاوي في تفسيره أنه لما نزلت الآية ضرب رسول الله ﷺ على ظهر سلمان الفارسي وقال: «إنهم قوم هذا». ١٣٤ ـ ﴿من كان يريد ثواب الدنيا﴾ فيترك التقوى لكسب دنيوي ﴿فعند الله ثواب الدنيا والآخرة﴾ معاً فلماذا يقصر نظره بأخس الأمرين ولايطلب أشرفهما أو إياهما جمعاً ؟ أو أن ثواب الدنيا والآخرة هو عند الله فليقترب إليه بالتقوى ﴿وكان الله سميعاً بصيراً﴾ فكيف ينال نائل ثواباً من غير إيتائه تعالى وإفاضته من عنده. ١٣٥ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط﴾ وهو العدل دون انعطاف وعدوى عنه لعامل من هوى أو خوف أو طمع. ﴿شهداء لله﴾ أتباعاً للحق ولأجل إظهاره وإحيائه ﴿ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين﴾ فلا يحملنكم حبهم على ترك الحق ﴿إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما﴾ فلا يحملنكم غنى الغني على أن تميلوا عن الحق إليه، ولافقر الفقير أن تراعوا حاله بالعدل عن الحق. ومن رحمته أن جعل الحق هو المتبع الواجب الاتباع. والقسط هو المندوب إلى إقامته. وفي غير هذا تقوية للباطل وإهلاك للإنسانية ﴿فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا﴾ عن الحق والقسط وترك الشهادة وقيل: إن وليتم أمر الشهادة وإن تلووا ﴿أو تعرضوا﴾ عنها ﴿فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ فهو يجازيكم بأعمالكم. ١٣٦ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا﴾ خاطب المؤمنين آمراً إياهم ﴿آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزّل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل﴾ فالإيمان بواحد من حقائق المعارف لايتم إلا مع الإيمان بجميعها. فمن النفاق الإيمان ببعض والكفر ببعض، ومن النفاق التقرب إلى مجتمع الكفار، ومن النفاق موالاتهم، ومن النفاق تصديقهم فيما يخالف الحق وفيما يرمون به الإيمان وأهله. والإيمان بالله يقتضي الإيمان بوجود منهج لله على لسان رسله وكتبه ﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً﴾ الآية صريحة الدلالة بالحكم بكفر من كفر بأي واحد مما ذكر في الآية فالمجموع مترابط غير متفارق. ١٣٧ ـ ﴿إنّ الذين آمنوا ثمّ كفروا ثمّ آمنوا ثمّ كفروا﴾ وهذا هو حال المنافقين فهم إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤون. أو حال المرتدين، أو يكون الخطاب لأهل الكتاب الذين آمنوا بموسى ثم كفروا به باتخاذهم العجل ثم الإيمان بعزير أو بعيسى ثم الكفر به ﴿ثمّ ازدادوا كفراً﴾ بكفرهم برسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما جاء به من عند ربه، وبعدم استقرار حالهم فهم يؤمنون ثم يكفرون ثم يؤمنون به وهكذا حتى إذا استحكمت فيهم هذه السجية كان ذلك ازدياداً في الكفر. ﴿لم يكن الله ليغفر لهم﴾ لعدم استقرار توبتهم، وتزلزل إيمانهم ﴿ولاليهديهم سبيلاً﴾ لأنهم اشتروا الضلالة بالهدى باختيارهم. ١٣٨ ـ ﴿بشر المنافقين بأنّ لهم عذاباً أليماً﴾ تهديد للمنافقين، وقد وصفهم بموالاة الكافرين وهو أعم من المنافقين الذين لم تؤمن قلوبهم. ١٣٩ ـ ﴿الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ وهذا حال من يقدم التنازلات على حساب دينه ليحقق مكسباً مادياً، أو ليوافق

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

هوى نفسه أوليكتسب مجداً أو عزة ﴿أيبتغون عندهم العزة﴾ استفهام إنكاري، ﴿فإنّ العزّة لله جميعاً﴾ فالعزة من فروع الملك، والملك لله وحده وهو يعز من يشاء ويذل من يشاء. ١٤٠ ـ ﴿وقد نزّل عليكم في الكتاب﴾ مافي سورة الأنعام وهو ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره . وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾. وهي تذكرة ﴿أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها﴾ وهذا ما يفعله أصحاب النظريات الوضعية ومن يتبعهم فهم كافرون وضالون مضلون. ﴿فلا تقعدوا معهم﴾ فهم يصوغون الشبهات حول منهج الله ﴿حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم﴾ فقعودكم معهم في اجتماعاتهم وخوضهم مشاركة لهم في استهزائهم بالله وآياته ونظامه وأحكامه ﴿إنّ الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً﴾ فقد رفضوا نظام الله ورفضوا أحكامه واستهزؤوا بآياته فهم سيجمعون في النار. ١٤١ ـ ﴿الذين يتربصون بكم﴾ ينتظرونكم ﴿فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم﴾ في النصر فليكن لنا سهم من الغنائم ﴿وإن كان للكافرين نصيبٌ﴾ تفيد تحقير ما ينالون ﴿قالوا ألم نستحوذ عليكم﴾ والاستحواذ هو الغلبة والتسلط ﴿ونمنعكم من المؤمنين﴾ من الاتصال بهم ومن الإيمان بما آمنوا فلنا سهم مما أوتيتموه من النصيب أو منة عليكم. وهذه سجية المنافقين فقد حفظوا رابطة الاتصال بالمؤمنين والكافرين معاً ويستدرون الكسب ممن حسن حاله. ﴿فالله يحكم بينكم يوم القيامة﴾ حيث لامجال للكيد والتآمر ولا مجال لإخفاء مكنونات الصدور ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾ فالحكم للمؤمنين على الكافرين مع إيئاس للمنافقين، فلن تكون لهم الغلبة لا في الدنيا ولا في الآخرة والمؤمنون هم الأعلون. ١٤٢ ـ ﴿إنّ المنافقين يخادعون الله﴾ والمخادعة هي التشديد في الخدعة بناء على أن زيادة المباني تدل على زيادة المعاني ﴿وهو خادعهم﴾ فهو مستدرجهم وتاركهم في غيهم، وهو مهملهم في طريق الهاوية التي ساروا إليها بأيديهم، مجازاة لهم على سوء نياتهم وخبائة أعمالهم، فخدعتهم له بعينها خدعة لهم ﴿وإذا قاموا إلى الصلاة﴾ وهي أفضل عبادة يذكر فيها الله ﴿قاموا كسالى﴾ يأخذهم الكسل والتواني ﴿يراؤن الناس﴾ فقلبهم غير متعلق بالله ﴿ولايذكرون الله إلا قليلاً﴾ لانشغال بالهم بمراءاة الناس وغفلة قلبهم عن الله. ١٤٣ ـ ﴿مذبذبين﴾ مترددين ﴿بين ذلك﴾ ولم يقل متذبذبين فالقهر الإلهي هو الذي يَجُرُّ لهم هذا التحريك الذي لاينتهي إلى غاية ثابتة مطمئنة ﴿لاإلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء﴾ لاإلى المؤمنين فقط كالمؤمنين بالحقيقة ولاإلى الكفار فقط كالكافرين محضاً ﴿ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً﴾ فعدم تعلقهم بأحد السبيلين سببه إضلال الله لهم. ١٤٤ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ عظة للمؤمنين أن يتجنبوا سخط الله ويبتعدوا عن مرضى القلوب وضعاف الإيمان من المؤمنين الذين يسميهم المنافقين ﴿أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً﴾ وحجة ودليلاً ﴿مُبيناً﴾ فالحجة في الاضلال والسخط الإلهي

الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

قائمةٌ على أعمال العباد. ١٤٥ ـ ﴿إنَّ المنافقين في الدرك الأسفل من النَّار﴾ منهم في الدرجات المنحدرة الدنيا لأنهم بنفاقهم قد استفادوا من انتمائهم الظاهر للإسلام. لقد تعاملوا بظاهر إسلامهم في الدنيا وكسبوا ميزات هذا الإسلام، ولكن الله سيحاسبهم على مأأبطنوا جزاء مانافقوا فهم في الدرك الأسفل من النار. ﴿ولن تجد لهم نصيراً﴾ ولامعيناً في التخلص من عذابها بعد أن نصرهم ظاهر إسلامهم في الدنيا من ويلات كفرهم. ١٤٦ ـ ﴿إلاالذين تابوا﴾ أي خرجوا من النفاق ولحقوا بالإيمان وعادوا إلى الله تعالى ﴿وأصلحوا﴾ فالتوبة لاتنفع دون إصلاح لما فسد منهم من نفس وعمل ﴿واعتصموا بالله﴾ فالإصلاح لاينفع دون اعتصام بالله وكتابه وسنة نبيه ﷺ. ﴿وأخلصوا﴾ فالاعتصام لاينفع إلا إذا أخلصوا ﴿دينهم لله﴾ ومحضوا الإيمان دون شائبة شرك ﴿فأولئك مع المؤمنين﴾ فهم ملحقون بالمؤمنين حال تحقق هذه الأوصاف فيهم، ولن يكونوا من المؤمنين حتى تستمر فيهم هذه الأوصاف على استقرارها. ﴿وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً﴾ جزاء سلامة عقيدتهم وحسن طويتهم وخلوص سريرتهم. ١٤٧ ـ ﴿مايفعل الله بعذابكم﴾ لولم تستوجبوا العذاب بتركك الشكر والإيمان فلاموجب لعذابكم ﴿إن شكرتم﴾ نعمة الله بأداء واجب حقه ﴿وآمنتم﴾ به إيماناً مستقراً في قلوبكم ﴿وكان الله شاكراً﴾ لمن شكره وآمن به ﴿عليماً﴾ لايجهل مورد إثابة الشاكرين. ١٤٨ ـ ﴿لايحب الله الجهر بالسوء﴾ أي ظهوره بإفراط لحاسة البصر أو السمع فالله لايحب سوء القول كالدعاء أو الشتم أو إظهار العيوب، على أن الله تعالى منزه عن الحب والبغض، وقوله لايحب هنا كناية عن الكراهة التشريعية أعم من التحريم ﴿إلا من ظلم﴾ فيحق له الجهر بالسوء فيمن ظلمه لإظهار مساوئه فيما ظلمه به ﴿وكان الله سميعاً﴾ بالقول ﴿عليماً﴾ بالظالم والمظلوم. ١٤٩ ـ ﴿إن تبدوا خيراً﴾ إظهاراً لنعمة أنعمها منعم ﴿أوتخفوه﴾ ليكون العمل أبعد عن الرياء ﴿أو تعفوا عن سوء﴾ بالستر عليه قولاً بأن لايذكر الظالم بظلمه ﴿فإنَّ الله كان عفواً قديراً﴾ فإن عفوتم عن السوء فقد اتصفتم بصفة الله العفو عن قدرة، وهي من صفات الله الكمالية. ١٥٠ ـ ﴿إنّ الذين يكفرون بالله ورسله﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً﴾ متوسطاً بين الإيمان بالله ورسله جميعاً والكفر بالله ورسله جميعاً؛ إن إيماناً على هذه الشاكلة هو شرك بالله العظيم. ١٥١ ـ ﴿أولئك هم الكافرون حقاً﴾ لتفرقتهم بين الرسل ﴿وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾ جزاءً وفاقاً. ١٥٢ ـ ﴿والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرّقوا بين أحدٍ منهم﴾ مقابلة مع الكافرين ﴿أولئك سوف يؤتيهم أجورهم﴾ جزاء حسن اعتقادهم. ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ وعد جميل بالمغفرة والرحمة. ١٥٣ ـ ﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزّل عليهم كتاباً من السَّماء﴾ فاليهود والنصارى أصل واحد وهو شعب إسرائيل وكلٌ ظالم لنبيه، وهم مشتركون في الخصيصة القومية كالقول بغير حق، وعدم التقيد بالعهود والمواثيق وقد سألوا رسول الله ﷺ بعد ما شاهدوا من

﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

أمر القرآن أن ينزل عليهم كتاباً من السماء ﴿فقد سألوا موسى أكبر من ذلك﴾ فهم متمادون في الجهالة والضلالة ولايأبون الظلم والكفر والجحود ﴿فقالوا أرنا الله جهرة﴾ نعاينه بأبصارنا ﴿فأخذتهم الصاعقة بظلمهم﴾ جزاء ظلمهم ﴿ثم اتخذوا العجل﴾ وهذه عبادة الصنم ﴿من بعد ماجاءتهم البينات﴾ من بطلان عبادتهم للصنم، وتنزيهه تعالى عن شائبة الجسمية والحدوث ﴿فعفونا عن ذلك﴾ حين بدؤوا بقتل أنفسهم ﴿وآتينا موسى سلطاناً مبيناً﴾ حيث سلطه الله عليهم وعلى السامري وعجله. ١٥٤ ـ ﴿ورفعنا فوقهم الطور﴾ الطور هو الجبل، وقد رفعه الله فوقهم لإرهابهم بعظمة القدرة، دون إجبارهم وإكراههم ﴿بميثاقهم﴾ وهو عهدهم الموثق أن يلتزموا بأحكام التوراة ﴿وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً﴾ تواضعاً وخشوعاً لله ولكنهم قالوا لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا ﴿وقلنا لهم لاتعدوا﴾ لاتتعدوا وتتجاوزوا ولاتعملوا ﴿في السبت﴾ ولكنهم احتالوا على الله بإحاطة الحيتان التي يكثر عددها يوم السبت ﴿وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً﴾ مؤكداً فنقضوه. ١٥٥ ـ ﴿فبما نقضهم ميثاقهم﴾ وعهودهم ﴿وكفرهم بآيات الله﴾ بسؤالهم أن يروا الله جهرة، واتخاذ العجل ﴿وقتلهم الأنبياء﴾ زكريا ويحيى وغيرهما ﴿بغير حق﴾ ضلالاً وكفراً وإصراراً عليه ﴿وقولهم قلوبنا غلف﴾ أي في أغشية تمنع استماع الدعوة النبوية، ولاترضى بالحق لودعيت إليه مع ادعائهم أنهم خلقوا بقلوب غلف فرد الله عليهم ﴿بل طبع الله عليها بكفرهم﴾ وجحودهم للحق وهذا بفعلهم ﴿فلا يؤمنون إلا قليلاً﴾ فالنقمة الإلهية نزلت بهم وبقومهم ومجتمعهم. ١٥٦ ـ ﴿وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً﴾ فقذفها بالزنا كفر وبهتان وقد كلمهم عيسى في أول الآية أنه عبد الله. ١٥٧ ـ ﴿وقولهم إنّا قتلنا المسيح عيسى بن مريم﴾ تبجحاً بقتله وصلبه وهو ﴿رسول الله﴾ ويسخرون من قوله إنه رسول الله ﴿وماقتلوه﴾ مع أنهم اختلفوا في رواية كيفية قتله ﴿وماصلبوه﴾ فالصلب لايلازم القتل دائماً ﴿ولكن شبّه لهم﴾ فأخذوا غير المسيح وقتلوه أو صلبوه مكان المسيح، فقد قتله الجنود من الرومييين، وليس لهم معرفة بحاله على نحو الكمال ﴿وإنّ الذين اختلفوا فيه﴾ أي في عيسى أو في قتله ﴿لفي شك منه﴾ أي في جهل بالنسبة لأمره ﴿مالهم به من علم إلا اتباع الظّنّ﴾ وهو التخمين أو الترجيح ﴿وما قتلوه يقيناً﴾ فما قتلوه قتل يقين. فاليهود يدعون أنهم قتلوه والنصارى يدعون أنه صلب ودفن ولكنه قام بعد ثلاثة أيام. ١٥٨ ـ ﴿بل رفعه الله إليه﴾ جسماً بعد توفيه، والوفاة أخذ الشيء أخذاً تاماً، وهذا الرفع نوع التخليص الذي خلصه الله به ونجاه من أيديهم، سواء توفى بالموت أم لم يمت أو مات بنحو آخر أو كان حياً باقياً والآية التالية تشعر بحياته وعدم توفيه بعد. ﴿وكان الله عزيزاً﴾ لايقهر ﴿حكيماً﴾ فيما يعمل. ١٥٩ ـ ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ وهذا يشعر بأنه لم يمت وأنه حي وأنه سيعود إليهم ثانياً حتى يؤمنوا به ﴿ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾ فهو شهيد على جميعهم يوم القيامة كما أن جميعهم يؤمنون به قبل موته. وعن شهر بن حوشب: قال لي الحجاج: ياشهر، آية في كتاب الله قد

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

أعيتني فقلت: أيها الأمير أية آية هي؟ فقال: قوله ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ والله إني لآمر باليهودي والنصراني فيضرب عنقه ثم أرمقه بعيني فما أراه يحرك شفتيه حتى يخمد، فقلت: أصلح الله الأمير ليس على ماأولت قال: كيف هو: قلت: إن عيسى ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا، فلا يبقى أهل ملة يهودي ولاغيره إلا آمن به قبل موته، ويصلي خلف المهدي قال: ويحك أنى لك هذا؟ ومن أين جئت به؟ فقلت: حدثني به محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) فقال: والله جئت بها من عين صافية. ١٦٠ ـ ﴿فبظلم من الذين هادوا﴾ ومن فجائعهم ومظالمهم ﴿حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم﴾ وقد حرمت في شريعة موسى ﴿وبصدهم عن سبيل الله كثيراً﴾ وهو إعراضهم المتكرر عن سبيل الله ومنع غيرهم من سلوكه. ١٦١ ـ ﴿وأخذهم الربا وقد نهوا عنه﴾ وهو من ظلمهم ﴿وأكلهم أموال الناس بالباطل﴾ فقد قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ليستبيحوا حرمات غيرهم ﴿وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً﴾ في الآخرة. ١٦٢ ـ ﴿لكن الراسخون﴾ الثابتون ﴿في العلم منهم والمؤمنون﴾ بالحقيقة ﴿يؤمنون بما أنزل إليك وماأنزل من قبلك﴾ خطاب للرسول ﷺ ﴿والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ فهم مستثنون ممن كفر من أهل الكتاب وهم راسخون في العلم أو مؤمنون ﴿أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً﴾ فقد تمسكوا بالحق ورفضوا الانصياع إلى الباطل وقاموا بفرائضهم. ١٦٣ ـ ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ فأنت يامحمد لست بدعاً من الرسل، ونوح هو أول نبي جاء بكتاب وشريعة. ﴿وأوحينا إلى إبراهيم ومن بعده إلى آله ﴿وإسماعيل واسحاق ويعقوب﴾ وقد أرسلوا بغير كتاب ﴿والأسباط﴾ وهم أنبياء من ذرية يعقوب أو من أسباط بني اسرائيل ﴿وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً﴾ والزبور بمعنى المكتوب. ١٦٤ ـ ﴿ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل﴾ ولم يذكروا ضمن هذه الآيات ﴿ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً﴾ والكلام خلق من خلقه خاطب به موسى عليه السلام ١٦٥ ـ ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين﴾ فالعقل لايغني عن بعثة الأنبياء ولايستطيع التشريع ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ فقد أرسل لهم القوانين والشرائع ليحكموا بما أنزل الله. وحذرهم من الشرك باتباع غير ماشرع ﴿وكان الله عزيزاً﴾ قادراً على أخذ العباد بما كسبوا ﴿حكيماً﴾ فله الحكمة البالغة وله الحجة البالغة. ١٦٦ ـ ﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك﴾ فإذا أنكر أهل الكتاب فالله يشهد وقد ﴿أنزله بعلمه﴾ فهو ليس من وحي الشياطين ولايخالطه الباطل ﴿والملائكة يشهدون﴾ فهم وسائط الإنزال ﴿وكفى بالله شهيداً﴾ ومن شهادته تعالى تحدي الإنس والجن أن يأتوا بمثله. ١٦٧ ـ ﴿إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ بعد ظهور الحجة البالغة في رسالة نبيه ونزول كتابه من عند الله ﴿قد ضلوا ضلالاً بعيداً﴾ فكراً واعتقاداً وسلوكاً في الدنيا والآخرة. ١٦٨ ـ ﴿إن الذين كفروا وظلموا﴾ فالكفر في ذاته ظلم فهو ظلم للحق وظلم للنفس وظلم للناس بالحكم فيهم بالتشريعات الأهوائية ﴿لم

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾

يكن الله ليغفر لهم﴾ بسبب ضلالهم البعيد ﴿ولالِيَهديهم طريقاً﴾ بعد أن اختاروا طريق الضلالة وسلكوه. ١٦٩ ـ ﴿إلا طريق جهنم﴾ فهي السبيل التي ستفتح لهم وقد اختاروا سلوكها في الدنيا ﴿خالدين فيها أبداً﴾ بسبب ضلالهم البعيد ﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾ فالله الخالق البارىء المصور لايعجزه شيء في الأرض ولا في السماء. وليست المسألة مسألة يسير وأيسر لأنه لايأخذ بالأسباب وهو خالق المسببات والأسباب. ١٧٠ ـ ﴿ياأيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكم﴾ فجزاء اتباع الحق خير ﴿وإن تكفروا فإن لله مافي السماوات والأرض﴾ فكفركم لايزيدكم شيئاً، ولاينقص من الله شيئاً. فمن المحال أن يسلب منه تعالى شيء من ملكه إذ أن من صفات كل شيء مما في السماوات والأرض أنه لله لاشريك لأحد فيه، والله محيط على الأشياء وآثارها وعلى المخلوقات وماتحمل من كفر وإيمان وطاعة ومعصية. ﴿وكان الله عليماً﴾ بما خلق ﴿حكيماً﴾ فيما خلق وفيما دبر. ١٧١ ـ ﴿ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم﴾ لاتتجاوزوا حدود ماأنزل الله وبينه في كتبه. ﴿ولاتقولوا على الله إلا الحق﴾ وهذا مابينه في كتبه فلاتزعموا أن الله ثالث ثلاثة وأن له ولداً وأن عزيراً ابن الله ﴿إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله﴾ فلا تغلوا في دينكم ﴿وكلمته ألقاها إلى مريم﴾ وهي كلمة كن فكان فشأنه كشأن أي مخلوق خلقه ﴿وروح منه﴾ والروح من أمر الله فكلمة كن هي أمر فهو روح ﴿فآمنوا بالله ورسله﴾ وهم مخلوقات له ﴿ولاتقولوا ثلاثة﴾ هي الأقانيم: الأب، الابن، وروح القدس ﴿انتهوا خيراً لكم﴾ من هذا القول لأنه ﴿إنما الله إله واحد﴾ والخلق يشهد بالتوحيد ﴿سبحانه﴾ تنزه ﴿أن يكون له ولد﴾ فالولد يماثل الوالد ﴿له مافي السماوات وما في الأرض﴾ فلا يماثله شيء ولاولد له ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ أي ولياً لشؤونكم، مدبراً لأموركم، يهديكم إلى خيركم ويدعوكم إلى صراط مستقيم. ١٧٢ ـ ﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله﴾ والأناجيل صريحة بأنه كان يعبد الله تعالى ولامعنى لعبادة الولد الذي هو سنخ إله لوالده ولاالعبادة الشيء لنفسه، ولا لعبادة أحد الثلاثة ثالثها. ﴿ولاالملائكة المقربون﴾ فهم ليسوا بنات الله ونفس النفي لألوهيتهم ماذكر بشأن عيسى المسيح المبارك، ولو استنكفوا عن العبادة لما كانوا مقربين ﴿ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر﴾ من الإنس والجن ﴿فسيحشرهم إليه جميعاً﴾ والاستنكاف وحده لايوجب السخط الإلهي أما الاستكبار عن علم بمقام الله عز وجل للجميع من صالح وطالح فمصيره جهنم. ١٧٣ ـ ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ ممن لم يستنكف عن عبادة الله ﴿فيوفيهم أجورهم﴾ لقاء إيمانهم ﴿ويزيدهم من فضله﴾ فضلاً على فضل ﴿وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً أليماً﴾ بما رفضوا من الحق ﴿ولايجدون لهم من دون الله ولياً ولانصيراً﴾ ففي الولي والنصير مقابلة لما قيل به من ألوهية المسيح والملائكة. ١٧٤ ـ ﴿ياأيها الناس قد جاءكم برهان﴾ وبيان للحجة ﴿من ربكم﴾ فنزول القرآن برهان لرسالة رسول الهدى ﷺ ﴿وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ وهو القرآن وهو الرسول الكريم. ١٧٥ ـ ﴿فأما الذين آمنوا

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾

بالله واعتصموا به﴾ آخذين بالقرآن الكريم ومتبعين الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ﴿فسيدخلهم في رحمة منه﴾ حيث يوفيهم أجورهم ﴿وفضل﴾ حيث يزيدهم من فضله ﴿ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً﴾ لأنهم اعتصموا بالله فسوف ينالون الأجر الأوفى والفضل والهدى. ١٧٦ ـ ﴿يستفتونك﴾ أي يطلبون منك الفتوى وهي حكم المعنى ﴿قل الله يفتيكم﴾ فهذه الأحكام من الله. ﴿في الكلالة﴾ وهي وراثة من لاولد له ﴿إن امرؤ هلك ليس له ولد﴾ ولاوالد ﴿وله أخت﴾ لأبوين أو لأب ﴿فلها نصف ماترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد﴾ ومن هنا يظهر سهم الأخت من أختها والأخ من أخيه ﴿فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين﴾ ولادخل لذكورة الميت وأنوثته في السهام، ومنه يعلم أن الأخوين يذهبان بجميع المال ﴿يبين الله لكم﴾ حذر ﴿أن تضلوا﴾ إذا لم يبين لكم ﴿والله بكل شيء عليم﴾ فهو يشرع لكم بمقتضى علمه بكل شيء.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾

سُورَةُ المَائِدَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾

غرض السورة: الدعوة إلى الوفاء بالعهود وحفظ المواثيق والتحذير من نقضها فرحمة الله لمن اتقى وآمن ثم اتقى وأحسن، والتشديد على من بغى واعتدى وعصى وتعدى المواثيق المأخوذة عليه في الدين، بيان أحكام الحدود والقصاص، الإشارة إلى مظالم بني إسرائيل، امتنان الله على الناس بإكمال الدين.

١ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ والعقد شد أحد شيئين بالآخر نوع شد يصعب معه انفصال أحدهما عن الآخر. ويستعمل للأمور المحسوسة والمعنوية كالمعاملات. والعقد هو العهد يقع على جميع المواثيق الدينية التي أخذها الله من عباده كالتوحيد والعقائد الأخرى والعبادات والمعاملات تأسيساً أو إمضاء. والعهد والوفاء به مما لاغنى للإنسان عنه في حياته، والفرد والمجتمع سيان. ونقض العهد بسبب تمكن القوي أو سلطته يسبب نقض العدل الإجتماعي وهو الركن الذي يحمي الإنسان من أسر الاستخدام والاستثمار. فمنطق الدين الحق يقول: تجب رعاية الحق كيفما كان وفي ذلك رعاية منافع المجتمع، ومنطق السنن الاجتماعية الهمجية أو المتمدنة من السنن الاستبدادية والديمقراطية والعمالية وغيرها يقول: يجب رعاية منافع الأمة بأي وسيلة وإن دحضت الحق. وهذا مايحدث كل يوم من نقض الأمم القوية عهودها مع الأمم الضعيفة لتجلب المصالح لنفسها على حساب استضعاف الضعيف. ﴿أحلت لكم﴾ أبيحت لكم ﴿بهيمة الأنعام﴾ أي كل ذي أربع من دواب البر المحللة ﴿إلا مايتلى عليكم﴾ تحريمها ﴿غير محلي الصيد وأنتم حرم﴾ تحريم للصيد في حال الإحرام ﴿إن الله يحكم مايريد﴾ وفي ذلك صلاح أمركم .٢ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتحلوا﴾ لاتستهينوا بحرمة ﴿شعائر الله﴾ أي علامات الله كأعلام الحج ومناسكه ﴿ولاالشهر الحرام﴾ وهي الشهور التي حرم فيها القتال وهي: رجب

والمحرم وذو القعدة وذو الحجة ﴿ولاالهدي﴾ وهو مايساق من الأنعام ﴿ولاالقلائد﴾ وهو مايقلد به الهدي في عنقه من نعل ونحوه ليعلم أنه هدي للحج فلايعترض له ﴿ولاآمين﴾ لاقاصدين زيارة ﴿البيت الحرام﴾ الذين ﴿يبتغون فضلاً﴾ أي ربحاً مالياً ﴿من ربهم ورضواناً﴾ وأجراً أُخروياً ﴿وإذا حللتم﴾ أي خرجتم من الإحرام ﴿فاصطادوا﴾ إباحة بعد الحظر ﴿ولايجرمنكم﴾ لايحملنكم ﴿شنآن قوم﴾ بغضهم وعداوتهم ﴿أن صدوكم﴾ منعوكم ﴿عن المسجد الحرام أن تعتدوا﴾ على من صدوكم بعدما أظهركم الله عليهم ﴿وتعاونوا على البر﴾ والبر هو الإيمان بالله ﴿والتقوى﴾ وهي مراقبة أمر الله ونهيه فالتعاون على الإيمان والعمل الصالح هما الصلاح والتقوى الإجتماعيان ﴿ولاتعاونوا على الإثم﴾ وهو العمل السيّء المستتبع تأخير نيل الخيرات والبركات ﴿والعدوان﴾ وهو التعدي على حقوق الناس بسلب الأمم من نفوسهم أو أعراضهم أو أموالهم ﴿واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ تأكيد على تأكيد وقد ورد في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «استفت قلبك استفت نفسك البر مااطمأن إليه القلب واطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في القلب وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك»، وقال: «ماحاك في نفسك فدعه وقال: من ساءته سيئته وسرته حسنته فهو مؤمن»، وقال: «البر حسن الخلق والإثم ماحاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس». ٣ ـ ﴿حرمت عليكم الميتة﴾ والميتة هي كل حيوان مات دون تذكية ﴿والدم﴾ المسفوح ﴿ولحم الخنزير﴾ فإنه رجس ﴿وما أهل لغير الله به﴾ ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق فالذبح لغير الله يحرم ماذبح ﴿والمنخنقة﴾ وهي البهيمة التي تموت بالخنق ﴿والموقوذة﴾ وهي التي تضرب حتى تموت ﴿والمتردية﴾ وهي التي سقطت من شاهق ﴿والنطيحة﴾ وهي التي ماتت من نطح نطحها به غيرها ﴿وماأكل السبع﴾ وهو الوحش الضاري ﴿إلا ماذكيتم﴾ بفري الأوداج الأربعة إذا كان فيها بقية حياة وإلا كانت من أصناف الميتة. ﴿وماذبح على النصب﴾ ونصب الشيء وضعه ناتئاً، والنصب الحجارة تنصب على الشيء وجمعه نصائب ونصب. فقد كانوا ينصبون حول الكعبة في الجاهلية أحجاراً يذبحون عليها ﴿وأن تستقسموا﴾ والقسم إفراز النصيب ﴿بالأزلام﴾ وهي القداح، ويتم الاستقسام بأخذ جزور على سهام ثم يضرب بالقداح في تشخيص من له سهم ممن لاسهم له وهو قسمة اللحم بالمقامرة ﴿ذلكم فسق﴾ يحتمل الإشارة إلى جميع المذكورات مع استثناء ماستثني ﴿اليوم يئس﴾ اليأس يقابل الرجاء ﴿الذين كفروا من دينكم﴾ وهو نفس اليوم الذي أكمل فيه الدين. وكان الكفار يطمعون في إبطال الدين وتغييره، وكان المسلمون يخشون على دينهم فأيأس الله الكافرين مما طمعوا فيه وآمن المسلمين. وأما ماكان ناقصاً من أمر الدين فقد أكمله الله مع أنه لم يكن لهم قبل الإسلام دين حتى يطمع فيه الكفار . ومن الواضح أن بغض الكفار إنما هو للإسلام وليس للمسلمين، وهم يحاربون الدين ويرجون زواله، وآخر رجاء لهم أن يموت النبي الكريم ﷺ فتنقطع الرسالة، ويكون اليأس الذي أصاب الكفار هو أن

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾

ينصب الله لهذا الدين من يقوم مقام النبي في حفظ الدين وتدبيره. وهذا الإيئاس تفخيم لهذا اليوم، لما فيه من خروج الدين من مرحلة القيام بالقيم الشخصي إلى مرحلة القيام بالقيم النوعي ومن صفة الظهور والحدوث إلى صفة البقاء والدوام ﴿فلاتخشوهم﴾ أي لاتخشوا الكافرين من وثنيين ونصارى ويهود على دينكم. ﴿واخشون﴾ فيما كان عليكم أن تخشوهم، وفيه نوع تهديد للمسلمين كما أنه أمر إرشادي لامولوي . ففي الآية نهي عن الخوف منهم على أنفسهم سواء أمروا بالخوف من الله أم لا. ﴿اليوم أكملت﴾ أتممت ﴿لكم دينكم﴾ بحصول ماهو الغرض منه وذلك بإكمال مجموعة المعارف والأحكام المشرعة وقد أضيف إلى عددها اليوم ما لايكتمل الدين إلا به ﴿وأتممت عليكم نعمتي﴾ والنعمة هي مايلائم طبع الشيء من غير امتناعه منه. فكل تصرف يسلك بالإنسان إلى حضرة القرب من الله هو نعمة وإلا كان نقمة . فالنعمة نعمة لاشتمالها على روح العبودية، ودخولها تحت ولاية الله سبحانه وهي تدبير الربوبية لشؤون العبد فالنعمة الحقيقية هي الولاية الإلهية. ﴿ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ والدين هو مجموع مانزل من عند الله سبحانه ليعبده به عباده ويشتمل على ولاية الله وولاية من أمر به الله ولايتم ولاية الله سبحانه أي تدبيره أمر الدين لأمور عباده إلا بولاية رسوله، ولاولاية رسوله إلا بولاية أولي الأمر من بعده وذلك بتعيين ولي الأمر بعد الرسول ﷺ القيم على أمور الدين والأمة ﴿فمن اضطر في مخمصة﴾ مجاعة ﴿غير متجانف﴾ غير متمايل وأصل الكلمة من الجنف وهو ميل القدمين إلى الخارج ﴿لإثم﴾ وهو العمل السيّء الذي يستتبع تأخير الحياة السعيدة ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ دلالة على أن الحكم ثانوي اضطراري، وعلى التجويز والإباحة بمقدار مايرتفع به الاضطرار، وعلى أن صفة المغفرة والرحمة كما تتعلق بالمعاصي المستوجبة للعقاب تتعلق كذلك بمنشئها، وهو الحكم الذي يستتبع مخالفته تحقق عنوان المعصية الذي يستتبع العقاب. ٤ ـ ﴿يسألونك ماذا أحل لهم﴾ سؤال مطلق ﴿قل أحل لكم الطيبات﴾ جواب مطلق يميز الحلال من الحرام فكل ماهو طيب حلال، وكل ماهو حلال طيب. ﴿وماعلمتم من الجوارح﴾ الجوارح جمع جارحة وهي التي تكسب الصيد من الطير والسباع كالصقر والكلاب ﴿مكلبين﴾ وأصل التكليب تعليم الكلاب وتربيتها للصيد ﴿تعلمونهن مما علمكم الله﴾ وترسلونها لتصطاد لكم ﴿فكلوا مما أمسكن عليكم﴾ فكلوا إذا صدن لكم لاأنفسهن ﴿واذكروا اسم الله عليه﴾ تتميم لشرائط الحل ﴿واتقوا الله﴾ والتقوى لكي لايكون الاصطياد بطراً وإسرافاً في القتل، ولاعن تلهٍّ وتجبّركما في صيد اليهود ﴿إن الله سريع الحساب﴾ يجازي سيئة الظلم والعدوان في الدنيا قبل الآخرة. ٥ ـ ﴿اليوم أحل لكم الطيبات﴾ امتنان من الله بهذه الحلية، وتسكين لاضطراب الريب في مسألة أهل الكتاب بعد التشديد في معاشرتهم ومخالطتهم ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم، وطعامكم حل لهم﴾ بيان لارتفاع الحرمة عن الطعام وهو البر وسائر الحبوب. ولايشمل هذا الحل مالايقبل التذكية من طعامهم كلحم الخنزير أو مايقبلها من ذبائحهم لكنهم لم يذكروها كالذي لم يهل به لله أو لم يذك تذكية إسلامية، فإن الله سبحانه عدها من المحرمات فلاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه لأنه رجس وفسق وإثم ﴿والمحصنات من المؤمنات﴾ وهن العفائف غير ذات الأزواج ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ الذين أذعنوا بالتوحيد والرسالة بخلاف المشركين والوثنيين المنكرين للنبوة، وليس الإحصان هنا بمعنى الإسلام بل بمعنى العفة ﴿إذا آتيتموهن أجورهن﴾ عن طريق النكاح بمهر وأجر دون سفاح ﴿محصنين غير مسافحين﴾ من غير شرط آخر من نكاح دوام أو نكاح متعة. ﴿ولامتخذي أخدان﴾ خليلات فالله يحاسب على السر والعلن. ﴿ومن يكفر بالإيمان﴾ والكفر هو الستر كالكفر بنعمة الله والكفر بآياته، والكفر بالله ورسوله ﷺ واليوم الآخر، والكفر بالإيمان هو ترك العمل بما يعلم أنه حق كتولي المشركين، والاختلاط بهم والشركة في أعمالهم مع العلم بحقيقة الإسلام وترك الأركان الدينية مع العلم بثبوتها وهذا الكفر هو الذي يصاحب المداومة والاستمرار، أما كفر أو ستر المرة والمرتين فهو فسق. هذا وإن الجملة في مقام إتمام البيان السابق، فالله قد أحل طعام أهل الكتاب والمحصنات من نسائهم للمؤمنين تسهيلاً وتخفيفاً وذريعة لانتشار كلمة التقوى وسريان الأخلاق الإسلامية من المسلمين إلى غيرهم، دون أن يتخذ ذلك وسيلة إلى السقوط في مهابط الهوى والإصعاد في أودية الهوسات والاسترسال في التوله بجمالهن فيكنَّ بذلك قدوة تسري بها أخلاقهن إلى أخلاق المسلمين، ويغلب فسادهن على صلاحهم ويرجع المؤمنون القهقرى، وهذا يؤدي إلى الكفر بالإيمان وترك أركان الدين والإعراض عن الحق ومن يفعل

ذلك ﴿فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ إذ يجر ذلك إلى حبط العمل وخسران السعي في الآخرة. ٦ ـ ﴿يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة﴾ إذا أردتم أن تقوموا إلى الصلاة ﴿فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق﴾ والغسل إمرار الماء على المغسول، واليد مابين المنكب وأطراف الأصابع فلذلك قيده بقوله إلى المرافق أي بحيث يبدأ الغسل من المرفق إلى أطراف الأصابع ﴿وامسحوا﴾ المسح إمرار اليد أو كل عضو لامس الشيء مباشرة فإذا عدي بنفسه أفاد الاستيعاب وإذا عدي بالباء كقوله ﴿برؤوسكم﴾ دل على التبعيض وتدل السنة على أن المسح إنما يكون لجانب الناصية من الرأس ﴿وأرجلكم﴾ إذا كانت القراءة بالجر فهي معطوفة على الرؤوس، وفي تفسير ابن كثير: قال الشافعي رحمه الله: «ومنهم من قال هي دالة على مسح الرجلين» ولكن المراد بذلك الغسل الخفيف. ﴿إلى الكعبين﴾ إلى العظمين الناتئين في ظهر القدم أو ربما قيل إن الكعب هو العظم الناتىء في مفصل الساق والقدم وهما كعبان في كل مفصل قدم. ﴿وإن كنتم جنباً فاطهروا﴾ معطوفة على قوله فاغسلوا وجوهكم لأن الآية مسوقة لبيان اشتراط الصلاة بالطهارة ﴿وإن كنتم مرضى﴾ تتضررون من استعمال الماء ﴿أو على سفر﴾ يشح فيه الماء وهما لايوجبان حدثاً مستدعياً للطهارة بالوضوء أو الغسل، بل إنما يوجبانه إذا أحدث المكلف معهما حدثاً صغيراً أو كبيراً ﴿أو جاء أحد منكم من الغائط﴾ وهذا شق مستقل والغائط هو المكان المنخفض الذي يقصد لقضاء الحاجة ﴿أو لامستم النساء﴾ وهو شق مستقل أيضاً، وهو كناية عن الجماع أدباً وصوناً للسان من التصريح ﴿فلم تجدوا ماءً﴾ وهذا يغني عن ذكر جميع الشقوق ﴿فتيمموا﴾ التيمم هو القصد ﴿صعيداً﴾ وهو وجه الأرض ﴿طيباً﴾ كونه على حال يقتضيه طبعه وربما يقال طاهراً ﴿فامسحوا بوجوهكم﴾ من الجبين أي ببعض وجوهكم ﴿وأيديكم﴾ وبعض أيديكم بما دون الزند منها ﴿منه﴾ من الصعيد ابتداء منه. ﴿مايريد الله ليجعل عليكم من حرج﴾ إرادة لنفي جعل الحرج دون نفس الحرج. والحرج حرجان: حرج يعرض ملاك الحكم ومصلحته المطلوبة فيكون الحكم حرجياً وهذا لايكون، وحرج يعرض الحكم بسبب أسباب اتفاقية وهذا يسقط ﴿ولكن يريد ليطهركم﴾ وهذه ليست طهارة من الخبث بل هي طهارة معنوية تحصل بأحد هذه الأعمال الثلاثة ﴿وليتم نعمته عليكم﴾ وهذه النعمة هي الدين لامن حيث أجزائه من المعارف والأحكام بل من حيث كونه إسلام الوجه لله في جميع الشؤون، وهو ولاية الله على العباد بما يحكم فيهم ويتم ذلك باستيفاء التشريع جميع الأحكام ومنها الطهارات الثلاث ﴿لعلكم تشكرون﴾ وقد جعل هذه الطهارات الثلاث خاصة لكم وهي بعض الدين لتشكروا الله على نعمته فيخلصكم لنفسه. ٧ ـ ﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾ وهي المواهب الجميلة التي وهبكم الله إياها وهي الفرق بين حالكم في الجاهلية وحالكم في الإسلام، أو أن الإسلام هو أم النعيم ﴿وميثاقه الذي واثقكم به﴾ وهو عهد الإسلام ﴿إذ قلتم سمعنا وأطعنا﴾ سمعاً مطلقاً، وطاعة مطلقة، وهو الإسلام الحق ﴿واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور﴾ فهو عالم بخفايا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾

زوايا القلوب. ٨ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله﴾ من كثرة القيام ﴿شهداء بالقسط﴾ وهو العدل ﴿ولايجرمنكم﴾ ولايحملنكم ﴿شنآن﴾ بغض ﴿قوم على ألا تعدلوا﴾ ردع عن الانحراف عن العدل في الشهادة ﴿اعدلوا﴾ أمر بالعدل ﴿هو أقرب للتقوى﴾ أقرب للالتزام بأوامر الله وتجنب نواهيه ﴿واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾ فهو يعلم ماتسرون وماتعلنون. ٩ ـ ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ تقييد للإيمان بالعمل الصالح ﴿لهم مغفرة وأجر عظيم﴾ إنشاء للوعد بعظم الثواب. ١٠ ـ ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا﴾ تقييد الكفر بتكذيب الآيات للاحتراز عن الكفر الذي لاينتهي إلاّ إلى إنكار الحق مع العلم بكونه حقاً، كما في الاستضعاف الذي أمره إلى الله إن شاء غفر وإن شاء عذب المكذبين ﴿أولئك أصحاب الجحيم﴾ والجحمة شدة تأجج النار فهي وعيد بالجحيم. ١١ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۖ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

اذكروا نعمة الله عليكم إذ همَّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم﴾ يراد بها مطلق ماهم به المشركون من قتل المؤمنين ومحو أثر الإسلام ﴿فكف أيديهم عنكم﴾ أي منعكم منهم ﴿واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ فهي عن ترك التقوى والتوكل تنبيه للمسلمين لئلا يقعوا فيما وقع فيه اليهود والنصارى من نسيانهم ميثاق الله سبحانه وحض على اتخاذه وكيلاً لهم في أمور دينهم يختارون مايختاره لهم، ويتركون متابعة غير الله ورسله ممن يدعو إلى نفسه والخضوع لأمره من الجبابرة والطغاة والأحبار والرهبان فلا طاعة إلا لله أو لمن أمر الله بطاعته. ١٢ ـ ﴿ولقد أخذ الله ميثاق﴾ عهد ﴿بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً﴾ والنقب هو الثقب والنقيب هو الباحث عن القوم وأحوالهم، وهم على مايظهر رؤساء الأسباط الاثني عشر الذين يتولون أمورهم في أمور الدين والدنيا دون أن يتلقوا وحياً ويشرعوا شريعة ﴿وقال الله إني معكم﴾ إيذان بالحفظ والمراقبة فهو ينصرهم إن نصروه ويخذلهم إن عصوه ﴿لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي﴾ وهم ماسيأتي من الرسل كعيسى (ع) ومحمد ﷺ ﴿وعزرتموهم﴾ نصرتموهم وعظمتموهم ﴿وأقرضتم الله قرضاً حسناً﴾ ويقصد بالقرض الإنفاق المندوب دون الزكاة الواجبة ﴿لأكفرن عنكم سيآتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ وهذا من جميل الوعد ﴿فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل﴾ فقد ضاع عن الصراط الموصل إلى الجنات وإلى السعادة في الدنيا والآخرة.

١٣ ـ ﴿فبما نقضهم ميثاقهم﴾ أي بكفرهم ﴿لعناهم﴾ اللعن هو الإبعاد من الرحمة ﴿وجعلنا قلوبهم قاسية﴾ والقاسي لايخشع لحق ولايتأثر برحمة، فعادوا ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ بتفسيره بما لايرضى به الله سبحانه من إسقاط أو زيادة أو تغيير ﴿ونسوا حظاً مما ذكروا به﴾ ففاتتهم حقائق الدين الناصعة وقد تركوا نصيباً من الأصول التي تدور مدارها السعادة فأصابتهم الشقاوة فقد قالوا بالتشبيه وخاتمية نبوة موسى ودوام شريعة التوراة، وبطلان النسخ والبداء إلى غير ذلك ﴿ولاتزال تطلع على خائنة منهم﴾ أو خيانة منهم ﴿إلا قليلاً منهم﴾ واستثناء القليل لاينافي ثبوت اللعن والعذاب

للأمة . ﴿فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين﴾ وهم بعض اليهود الذين لم يكونوا قد أسلموا .

١٤ ـ ﴿ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم﴾ وعهدهم وقد كان عيسى عليه السلام يدعوهم إلى التقوى والإعراض عن ملاذ الدنيا وزخارفها ﴿فنسوا حظاً مما ذكروا به﴾ من تعاليم المسيح عليه السلام ﴿فأغرينا بينهم﴾ غرى بكذا أي لهج به ولصق وأصل ذاك من الغراء وأغريت فلاناً ألهجت به وقد لازمتهم ﴿العداوة والبغضاء﴾ والحرب مكان السلم والصلح ﴿إلى يوم القيامة﴾ كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق ﴿وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون﴾ من الاختلاف والحروف والشر والتقتيل والحروب العالمية.

١٥ ـ ﴿ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا﴾ محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب﴾ من بشارات النبوة وآياتها ﴿ويعفو عن كثير﴾ فقد ترك كثيراً مما كانوا يخفونه من الكتاب كاشتمال التوراة على أمور تنافي التوحيد كالتجسيم والحلول في المكان، مالايجوز نسبته إلى الأنبياء الكرام كالفجور وفقدان التوراة ذكر المعاد وبدونه لايقوم أي دين أصلاً وكوجود العقائد الوثنية في الأناجيل ﴿قد جاءكم من الله نور﴾ هو النبي محمد ﷺ أو هو القرآن ﴿وكتاب مبين﴾ هو القرآن الكريم.

١٦ ـ ﴿يهدي به الله﴾ عائد إلى النور أو الكتاب ﴿من اتبع رضوانه﴾ فالهداية هي الإيصال إلى المطلوب فالله يوصل من اتبع سبله ﴿سبل السلام﴾ والتخلص من كل شقاء ﴿ويخرجهم من الظلمات﴾ وهي متعددة ﴿إلى النور﴾ فطريق الحق واحد لاختلاف فيه والله مخرجهم ﴿بإذنه﴾ أي بعلمه . أي أنهم لم يستقلوا بهذا الخروج عن خالق الأسباب ﴿ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾ وهذا الصراط هو المهيمن على طرق الهداية كلها وإليه تعود سبل الهداية الجزئية.

١٧ ـ ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم﴾ وهم من قالوا باتحاد المسيح بالله فهو إله وبشر بعينه ﴿قل فمن يملك من الله شيئاً﴾ كناية عن نفي المانع، فالسلطة لله وهو المستقل بالتأثير وحده ﴿إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً﴾ نقض لقولهم وإبطال لألوهيته، فلو كان إلها لما جاز أن يقع عليه مايصيب البشر. وكل البشر ككافة المخلوقات مُسخر لملكه تعالى. والله يستطيع إهلاكهم، فكيف يجوز الهلاك على الله سبحانه؟ فوصفهم أن المسيح بشر يبطل وصفهم أنه الله ﴿ولله﴾ حصراً ﴿ملك السماوات والأرض ومابينهما﴾ فلامانع يمنعه من إهلاك أي بشر إن أراد والمسيح بشر، فلا أحد يشاركه الألوهية . ﴿يخلق مايشاء والله على كل شيء قدير﴾ فملكه نوع من السلطنة ومايملكه الناس الله ملّكهم إياه بقدرته. والبرهان على نفوذ مشيئته هو أنه الله عز اسمه المالك لكل شيء، الذي بيده مقاليد كل شيء.

وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۗ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾

١٨ ـ ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله﴾ نوع من تشريف أنفسهم دون ادعاء النبوة الحقيقية فهم حسب دعواهم بمنزلة أبناء الملك بالنسبة إلى رعيته، ممايستلزم استثناءهم من الأحكام التي تجري على غيرهم ﴿وأحباؤه﴾ فلاسبيل إلى تعذيبهم وعقوبتهم ﴿قل فلم يعذبكم بذنوبكم﴾ أمر الله نبيه بنقض حجتهم بالتعذيب الواقع عليهم، فعدم نجاتهم من عذاب الدنيا يظهر أنهم ليسوا بأمان من عذاب الآخرة على أن مايصيب الصالح من البلاء هو رفع لمرتبته، ومايصيب الطالح نكال له ﴿بل أنتم بشر ممن خلق﴾ حجة ثانية عليهم فهم بشر لايمتازون عن غيرهم وهذه الحجة تنقض دعواهم بأنه لاسبيل إلى تعذيبهم . فالله ﴿يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾ فهو المالك وهو المتصرف وهو الذي يحكم كيف يشاء ﴿ولله ملك السماوات والأرض ومابينهما وإليه المصير﴾ ولايزيد أحد من الخليقة أن يكون مخلوقاً لله يتصرف فيه كما يشاء. وسيصير إلى ربه المليك الحاكم فيه وفي غيره . ١٩ ـ ﴿ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم﴾ ماكنتم تخفون من الكتاب، وأن هذا الدين مصدق لما معكم وقد جاءكم الرسول ﴿على فترة من الرسل﴾ والفترة من الفتور وهو السكون بعد الحدة، واللين بعد الشدة، والضعف بعد القوة فقد جاءكم الرسول بعد سكون بدون رسل حذر ﴿أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولانذير﴾ في هذه الفترة الخالية من الرسل ﴿فقد جاءكم بشير ونذير﴾ نقض لقول اليهود بعدم جواز أي تشريع بعد التوراة ﴿والله على كل شيء قدير﴾ نقض لقولهم ﴿يد الله مغلولة﴾ بامتناع النسخ والمحو الإثبات لأن هذا القول ينفي القدرة عنه سبحانه وتعالى وهو القائم على كل نفس بما كسبت. ٢٠ ـ ﴿وإذ قال موسى لقومه﴾ بعد خروجهم من مصر ﴿اذكروا نعمة الله عليكم﴾ ببعثة موسى، وهدايتكم إلى دينه ونجاتكم من آل فرعون، وإنزال التوراة وتشريع الشريعة، وقد قسم الله تعالى هذه النعمة إلى ثلاثة أجزاء.الأول: ﴿إذ جعل فيكم أنبياء﴾ والثاني ﴿وجعلكم ملوكاً﴾ وهذه نجاة لكم من ذل استرقاق الفراعنة وتحكم الجبابرة. وليس الملك إلا من استقل في أمر نفسه وأهله وماله. الثالث ﴿وآتاكم مالم يؤت أحداً من العالمين﴾ من الآيات والمعجزات التي أحاطت بكم أيام كنتم في مصر ثم أنجاكم من فرعون وقومه. ٢١ ـ ﴿ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة﴾ المطهرة من الشرك والمباركة بالخير والدين؛ وقد قيل إنها أرض فلسطين ﴿التي كتب الله لكم﴾ وكان يستنبط في حالهم التمرد والتأبي فقال ﴿ولاترتدوا﴾ تأكيد للأمر بالنهي عن الارتداد، أي و.تنقلبوا ﴿على أدباركم﴾ وهو فسق واحد ﴿فتنقلبوا خاسرين﴾ فعدم دخولهم للأرض التي كتب الله قضاء منه بتوطنهم فيها فسق وخسارة. ٢٢ ـ ﴿قالوا ياموسى إن فيها قوماً جبارين﴾ وأصل الجبر إصلاح الشيء بضرب من القهر. أو هو الإصلاح المجرد، أو هو القهر، والإجبار حمل الغير على فعل ما. والجبار من يجبر نقيصة بادعاء منزلة من التعالي لايستحقها فالمراد بالجبارين هم أولو السطوة والقوة من الذين يجبرون الناس على مايريدون ﴿وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها﴾ اشتراط منهم لدخول الأرض، وحقيقته الرد لأمر موسى؛ وإن وعدوه ثانياً الدخول على

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا ۖ فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ ۖ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

الشرط بقولهم ﴿فإن يخرجوا منها فإنا داخلون﴾.

٢٣ ـ ﴿قال رجلان من الذين يخافون﴾ الله أن يعصوا أمره وأمر نبيه ومنهم رجلان ﴿أنعم الله عليهما﴾ من بين الجميع بالولاية الإلهية، أو يكون الله قد أنعم عليهما بالخوف منه فقالا ﴿ادخلوا عليهم الباب﴾ ولعل المراد بالباب أول بلد من بلاد أولئك الجبابرة مما يلي بني إسرائيل. وقيل إنه أريحاء ﴿فإذا دخلتموه فإنكم غالبون﴾ وعد منهما لهم بالفتح والظفر استناداً إلى ماذكره موسى عليه السلام من أن الله كتب لهم تلك الأرض، أو أنهما عرفا ذلك بنور الولاية الإلهية. وذكر أنهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وهما من نقباء بني إسرائيل ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾ فالله كاف عبده الذي يتوكل عليه، وفيه تطييب لنفوسهم وتشجيع لهم.

٢٤ ـ ﴿قالوا ياموسى إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها﴾ إيئاس لموسى من أن يصر على دعوته، وإهانة وازدراء وتهكم بمقامه وبما ذكرهم من أمر ربهم وتوجيه الكلام لموسى مع الإعراض عن مخاطبة الرجلين إهانة. ثم جزّأتهم الجهالة على ماهو أعظم من ذلك وهو قولهم ﴿فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون﴾ وفي الكلام أوضح الدلالة على كونهم مشبهين بالوثنيين إذ يعتقدون بتأثير الآلهة وقد قالوا ياموسى اجعل لنا إلهاً.

٢٥ ـ ﴿قال رب إني لاأملك إلا نفسي وأخي﴾ كناية عن نفي القدرة على حمل غير نفسه وأخيه على الدعوة، وليس مراده نفي مطلق القدرة لأن هناك آخرين ومنهم الرجلان مستجيبون لدعوته. وماذلك إلا لأنه دعاهم فأبلغ، وردوا فأشنعوا، فلذلك شكا أمره لربه واصفاً حال نفسه وأخيه وهما المبلغان عن الله واستنصر ربه بعد أن أشرك معه أخاه، ثم قال ﴿فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ وهذا ليس دعاء بالحكم الفصل لاستنزال العذاب فقد كان مشفقاً عليهم من نزول السخط الإلهي.

٢٦ ـ ﴿قال فإنها﴾ أي الأرض المقدسة ﴿محرمة عليهم﴾ تحريماً تكوينياً بالقضاء لمدة ﴿أربعين سنة يتيهون في الأرض﴾ فيتحيرون فيها ﴿فلاتأس﴾ ولاتحزن ﴿على القوم الفاسقين﴾ وقد أمضى الله تعالى قول موسى عليه السلام حيث وصفهم بالفاسقين.

٢٧ ـ ﴿واتل﴾ من التلاوة وهي القراءة ﴿عليهم﴾ أي على أهل الكتاب ﴿نبأ﴾ أي خبر ﴿ابني آدم بالحق﴾ إشعاراً أن الدائر بينهم من النبأ لايخلو من تحريف وسقط إذ ليس فيه خبر بعث الغراب، كما أن قصتهم تجسم الرب؛ تعالى عن ذلك. ﴿إذ قربا قرباناً﴾ وهو مايتقرب به إلى الله سبحانه أو غيره ﴿فتقبل من أحدهما﴾ وهو هابيل قبولاً بزيادة عناية واهتمام بالمقبول ﴿ولم يتقبل من الآخر﴾ وهو قابيل ﴿قال﴾ قابيل ﴿لأقتلنك﴾ حسداً من نفسه لقبول قربان أخيه وعدم قبول قربانه ﴿قال﴾ هابيل ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ فلا دخل له في عدم قبول قربان أخيه. وإنما الإجرام من القاتل حيث لم يتق فلم يقبل قربانه.

قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ۞ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ ۘ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ ۚ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾

٢٨ ـ ﴿لئن بسطت إلي يدك﴾ كناية عن الأخذ بمقدمات القتل وإعمال أسبابه ﴿لتقتلني مأنا بباسط يدي إليك لأقتلك﴾ فهذا أمر لايخطر لي على بال ﴿إني أخاف الله رب العالمين﴾ فذكر الله الذي يجازي كل إثم ينبه غريزة الخوف من الله تعالى لمن يخافونه وهذا مايمنعهم أن يردوا أمور التهلكة.

٢٩ ـ ﴿إني أريد أن تبوء﴾ ترجع ﴿بإثمي وإثمك﴾ فتقيم بحالة الإثمين لأن إثم المقتول ظلماً ينتقل إلى قاتله.ولازم ذلك جواز مؤاخذة الإنسان بذنب غيره، وهذا ليس من أحكام العقل النظري حتى يستحيل وقوعه بل من أحكام العقل العملي. فالبغي على المجتمع يقضي بإسقاط جميع حسنات الباغي. لا كما يقال بأن هابيل مكن أخاه من قتله ليشقى بالعذاب الخالد ليبقى هو سعيداً حيث يرى بعض المتقشفين أن الظالم يحمل وزر المظلوم ولذا ليس عليه من الدفاع عن حقه إلا الصبر والاحتساب وهذا من الجهل لأنه من الإعانة على الإثم، وهي توجب اشتراك المعين والمعان في الإثم كليهما، لاانفراد الظالم بحمل الاثنين والله تعالى يقول ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه أولئك ماعليهم من سبيل﴾ ﴿فتكون من أصحاب النار﴾ فالإثم يورث النار ﴿وذلك جزاء الظالمين﴾ فلا يحسبن الذين ظلموا أنهم إليه ـ تعالى ـ لايرجعون.

٣٠ ـ ﴿فطوعت له نفسه﴾ التطويع هنا هو التدريج في الوسوسة حتى تمت لنفسه الطاعة فانقادت وأطاعت أمره بشأن ﴿قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين﴾ فصار من النادمين. أو أن أصبح تقابل أمسى.

٣١ ـ ﴿فبعث الله غراباً يبحث في الأرض﴾ يطلب في التراب ﴿ليريه كيف يواري﴾ يستر ﴿سوأة أخيه﴾ والسوأة مايكرهه الإنسان، فقد تحير القاتل وكان يحذر أن يعلم به غيره، حتى بعث الله الغراب ﴿قال ياويلتى﴾ كلمة تقال عن الهلكة ﴿أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي﴾ هو استفهام إنكاري بينه وبين نفسه ويزيده عدم توسله بهذه الوسيلة ﴿فأصبح من النادمين﴾ لعدم مواراته سوأة أخيه أو على قتله. وهذه حال الإنسان إذا أتى من المظالم بما يكره أن يطلع عليه الناس من الأمور التي لايقبلها المجتمع بنظامه المترابط فلابد أن يظهر أثر هذه الأمور. والظالم المجرم يريد أن يجبر النظام على قبول فعله وليس بقابل للقبول، كأن يشرب الإنسان السم وهو يريد هضمه وليس بهاضم فإن له موعداً لن يخلفه وإن ربك لبالمرصاد.

٣٢ ـ ﴿من أجل ذلك﴾ الأجل هو الجناية، أو هي الجناية التي يخاف منها آجلاً فكل أجل جناية وليس كل جناية أجلاً، ويستعمل للتعليل. فمن أجل نبأ ابني آدم وبما أن من طبائع النوع الإنساني أن يحمله اتباع الهوى والحسد على منازعة الربوبية وإبطال غرض الخلقة؛ فإفناء الفرد بالقتل إفساد في الخلقة، وإبطال لغرض الله سبحانه بتكثير الأفراد بطريق الاستخلاف؛ ولأن القتل إبطال لحكم الربوبية ومنازعة لها ﴿كتبنا على بني إسرائيل﴾ وهم من الحساد وأتباع الهوى والكبر ودحض الحق ﴿أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض﴾ أي بغير قصاص ﴿فكأنما قتل الناس جميعاً﴾ فالناس جميعاً ذوو حقيقة واحدة إنسانية متحدة فيها فمن قصد الواحد قصد الجميع ﴿ومن أحياها﴾ بالإنقاذ من الموت مثلاً أو الإطلاق من الأسر أو الهدى إلى الإيمان ﴿فكأنما أحيا الناس جميعاً ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات﴾ يحذرونهم من القتل والفساد في الأرض ﴿ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون﴾ فهم قوم مفسدون مصرون على استكبارهم وعتوهم بالرغم مما جاءهم من البينات، وقد أسرفوا وخرجوا عن القصد وتجاوزوا الحد وقد أسرفوا قديماً ولايزالون يسرفون.

٣٣ ـ ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله﴾ ومحاربته مستحيلة بمعناها الحقيقي، وإنما تتمثل بمخالفة الأحكام الشرعية وبالظلم والإسراف أو بإبطال مالرسول من ولاية كمحاربة الكفار للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو بإخلال قطاع الطرق بالأمن العام ﴿ويسعون في الأرض فساداً﴾ بإشهار السلاح والتعدي على الحرمات ﴿أن يقتلوا أو يصلبوا﴾ تقتيلاً أو صلباً أو قطعاً ﴿أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف﴾ كاليد اليمنى والرجل اليسرى ﴿أو ينفوا من الأرض﴾ فالنفي هو الطرد والتغريب ﴿ذلك لهم خزي﴾ فضيحة ﴿في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ فجريان الحد في الدنيا لايستلزم ارتفاع عذاب الآخرة. وقد قيل: إذا حارب الله ورسوله وسعى في الأرض فساداً فقتل قتل به، وإن قتل وأخذ المال قتل وصلب، وإن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله من خلاف، وإن شهر السيف فحارب الله ورسوله وسعى في الأرض فساداً ولم يقتل ولم يأخذ المال نفي من الأرض من المصر الذي فعل فيه مافعل إلى مصر غيره، ويكتب إلى أهل ذلك المصر أنه منفي فلا تجالسوه ولاتبايعوه ولاتناكحوه ولاتؤاكلوه ولاتشاربوه ففعل ذلك به سنة فإن خرج من ذلك المصر إلى غيره كتب إليهم بمثل ذلك حتى تتم السنة، قلت: فإن توجه إلى أرض الشرك ليدخلها؟ قال: إن توجه إلى أرض الشرك ليدخلها قوتل أهلها. ٣٤ ـ ﴿إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم﴾ وأما بعد القبض عليهم فالحد غير ساقط ﴿فاعلموا أن الله غفور رحيم﴾ كناية عن رفع الحد عنهم والآية من موارد تعلق المغفرة بغير الأمر الأخروي. ٣٥ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾ وهي التوصل إلى الشيء برغبة. وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة، وهي كالقربة، إذ لارابط بين العبد وربه إلا ذلة العبودية ﴿وجاهدوا في سبيله﴾ مطلق الجهاد الذي يعم جهاد النفس وجهاد الكفار ﴿لعلكم تفلحون﴾ فابتغاء الوسيلة إلى

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

الله وعبادته أفضل عبادة هي طريق الفلاح. ٣٦ ـ ﴿إن الذين كفروا لو أن لهم مافي الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ماتقبل منهم ولهم عذاب أليم﴾ فلابدل يحل محل التقوى والجهاد وابتغاء الوسيلة، فأقصى مايتمناه ابن آدم من الملك الدنيوي بل ضعفه لايقبل منه ولا يفديه من عذاب يوم القيامة والعذاب الأليم لايفارقه.

٣٧ ـ ﴿يريدون أن يخرجوا من النار﴾ وهي العذاب ﴿وماهم بخارجين منها﴾ لأنه عذاب خالد ﴿ولهم عذاب مقيم﴾ دائم لايفارقهم فالعذاب هو الأصل القريب من الإنسان ويندفع بالإيمان والتقوى. والعذاب يصاحب الفطرة التي تتألم من النار فلذلك تطلب الخروج من النار.

٣٨ ـ ﴿و﴾ أما ﴿السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾ بفصل بعض أجزائها أو جميعها عن البدن بآلة قاطعة ﴿جزاء بما كسبا نكالاً من الله﴾ والنكال هو العقوبة التي يعاقب عليها المجرم لينتهي عن إجرامه ويعتبر بها غيره ﴿والله عزيز حكيم﴾ فقد حكم بعزته.

يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

٣٩ ـ ﴿فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه﴾ أي لما كان القطع نكالاً يراد به رجوع المنكل به عن معصية فالتوبة بعد الظلم تستوجب رجوع الله عليه بالمغفرة ﴿إن الله غفورٌ رحيم﴾ فغفرانه رحمة.

٤٠ ـ ﴿ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض﴾ فهو يقبل توبة السارق والسارقة إذا تابا وأصلحا. إذ أن للملك أن يحكم رعيته بما أحب ﴿يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء﴾ حسب المصلحة فيغفر لمن تاب ويعذب من لم يتب ﴿والله على كل شيء قدير﴾ فالملك من شؤون القدرة والملك من فروع الخلق والإيجاد أي القيمومة الإلهية فله إمضاء الحكم ونفوذ الإرادة لأن له الملك، وله الإعطاء والمنع لأن له الملك.

٤١ ـ ﴿يأيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ تطييب لنفسه صلى الله عليه وآله وسلم مما لقي من الذين يسيرون نحو الكفر سيراً حثيثاً فتظهر من أفعالهم موجبات الكفر واحدة بعد أخرى وفي المجمع عن الباقر عليه السلام: أن امرأة من خيبر ذات شرف بينهم زنت مع رجل من أشرافهم وهما محصنان، فكرهوا رجمهما، فأرسلوا إلى يهود المدينة وكتبوا إليهم أن يسألوا النبي عن ذلك طمعاً في أن يأتي لهم برخصة فانطلق قوم منهم كعب بن الأشرف وكعب بن أسيد وغيرهم فقالوا: يامحمد أخبرنا عن الزاني والزانية اذا أحصنا ماحدهما؟ فقال: وهل ترضون بقضائي في ذلك؟ قالوا: نعم، قال: فنزل جبرائيل بالرجم فأخبرهم بذلك فأبوا أن يأخذوا به فقال جبرائيل: اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له. فقال النبي: هل تعرفون شاباً أمرد أبيض أعور يسكن فدكاً يقال له: ابن صوريا؟ قالوا: نعم، قال: فأرسلوا إليه ففعلوا فأتاهم عبد الله بن صوريا. فقال له النبي: إني أنشدك الله الذي لاإله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى، وفلق لكم البحر وأنجاكم وأغرق آل فرعون، وظلل عليكم الغمام، وأنزل عليكم المن والسلوى هل تجدون في كتابكم الرجم على من أحصن؟ قال ابن صوريا: نعم

والذي ذكرتني به لولا خشية أن يحرقني رب التوراة إن كذبت أو غيرت ماعترفت لك، ولكن أخبرني كيف هي في كتابك يامحمد؟ قال: إذا شهد أربعة رهط عدول أنه قد أدخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم، قال ابن صوريا: هكذا أنزل الله في التوراة على موسى فقال له النبي: فماذا كان أول ماترخصتم به أمر الله؟ قال: كنا إذا زنى الشريف تركناه، وإذا زنى الضعيف أقمنا عليه الحد فكثر الزنا في أشرافنا حتى زنا ابن عم ملك لنا فلم نرجمه، ثم زنا رجل آخر فأراد الملك رجمه فقال له قومه: لا، حتى ترجم فلاناً ـ يعنون ابن عمه ـ فقلنا: تعالوا نجتمع فلنضع شيئاً دون الرجم يكون على الشريف والوضيع، فوضعنا الجلد والتحميم، وهو أن يجلدا أربعين جلدة ثم يسود وجوههما ثم يحملان على حمارين، ويجعل وجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما فجعلوا هذا مكان الرجم. فقالت اليهود لابن صوريا: ماأسرع ماأخبرته به وماكنت لما أتينا عليك بأهل، ولكنك كنت غائباً فكرهنا أن نغتابك فقال: انه أنشدني بالتوراة، ولولا ذلك لما أخبرته به، فأمر بهما النبي فرجما عند باب مسجده، وقال: انا أول من أحيا أمرك اذ أماتوه فأنزل الله فيه: ﴿ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير﴾ فقام ابن صوريا فوضع يديه على ركبتي رسول الله ثم قال: هذا مقام العائذ بالله ربك ان تذكر لنا الكثير الذي أمرت ان تعفو عنه فأعرض النبي عن ذلك.﴿من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾ فهم منافقون قالوا كلمة الإيمان بأفواههم لابقلوبهم ﴿ومن الذين هادوا﴾ من المنافقين أيضاً ﴿سماعون للكذب﴾ وهم يعلمون أنه كذب فهم يصغون إليه. ﴿سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه﴾ والسمع هنا بمعنى القبول للكلام المحرف. فقد ابتلوا بواقعة دينية وهي الزنا، وحكمها عندهم الرجم، ولكن علماءهم غيروا الحكم بعد ثبوته ثم بعثوا طائفة منهم إلى النبيﷺ ﴿يقولون إن أوتيتم هذا﴾ أي إن حكم بالمحرف ﴿فخذوه﴾ اقبلوا به ﴿وإن لم تؤتوه فاحذروا﴾ وإن حكم بغير ذلك لاتقبلوا ﴿ومن يرد الله فتنته﴾ فهم مفتونون بفتنة إلهية ﴿فلن تملك له من الله شيئاً﴾ فلتطب نفسهﷺ بأن الأمر من الله وإليه ﴿أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم﴾ فقلوبهم باقية على قذارتها لما تكرر منهم من الفسق، فأضلهم الله به، وما يضل به إلا الفاسقين ﴿لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ وعد لهم بالخزي في الدنيا ونزول العذاب بهم في الآخرة.

٤٢ ـ ﴿سماعون للكذب﴾ وصف لمجموع القوم، ووصف للذين هادوا الذين بعثوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومن في حكمهم ﴿أكالون للسحت﴾ السحت القشر الذي يستأصل، والسحت للمحظور الذي يلزم صاحبه العار، قال صلى الله عليه وآله وسلم كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به. والمحصل أن اليهود منهم علماء يأكلون الرشوة وعامة مقلدون سماعون لأكاذيبهم. ﴿فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم﴾ تخيير للنبي وإرجاع الأمر إلى نظره ورأيه. ﴿وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين﴾ فالله سبحانه لايرضى أن يجري فيهم إلا حكمه، فإما أن يجرى فيهم ذلك أو يهمل أمرهم فلايجري من قبله صلى الله عليه وآله وسلم حكم آخر. ٤٣ ـ ﴿وكيف يحكمونك﴾ تعجب من فعالهم، ﴿وعندهم التوراة فيها حكم الله﴾ فهم أمة ذات كتاب وشريعة، وهم منكرون لنبوتك وكتابك وشريعتك ﴿ثم يتولون من بعد ذلك﴾ عن شرعتهم ﴿وماأولئك بالمؤمنين﴾ بالتوراة وحكمها، فهم قد تحولوا من الإيمان بها وبحكمها إلى الكفر وهذا يدل على أن من التوراة مالم يحرف. ٤٤ ـ ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها﴾ شيء من ﴿هدى ونور﴾ لاكل الهدى والنور، لهداية الناس ورفع خلافاتهم. ﴿يحكم بها النبيون الذين أسلموا﴾ وصف النبيين بالإسلام وهو التسليم لله، وهو الدين الواحد عند الله. وليس لمؤمن بالله وهو مسلم له أن يستكبر عن قبول شيء من أحكامه وشرائعه، فالنبيون يحكمون ﴿للذين هادوا﴾ وهم اليهود ﴿والربانيون﴾ المنقطعون إلى الله علماً وعملاً أو الذين إليهم تربية الناس ﴿والأحبار﴾ وهم الخبراء من علمائهم الذين عليهم أن يحكموا ﴿بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء﴾ فهم يحفظونه في قلوبهم حفظاً من التحريف ﴿فلا تخشوا الناس واخشون ولاتشتروا بآياتي ثمناً قليلاً﴾ بتغيير أحكام التوراة، وهي نور وهدى من الله، خوفاً والله أحق أن تخافوه. وطمعاً، وكل متاع الدنيا زائل، وقد يكون قوله متفرعاً على قوله بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء، أو عليهم حفظه من التحريف وأن لا يخشوا إظهاره، ولايشتروا به ثمناً قليلاً. ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله﴾ فهو يحكم وفق أهوائه أو أهواء غيره من بني البشر، مغيراً أحكام الله التي ماأنزلت إلا لتحكم بين الناس بما فيه خيرهم ومصلحتهم ومن يفعل ﴿فأولئك هم الكافرون﴾ أفغير حكم الله يبغون؟.

﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۖ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ۚ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾

٤٥ ـ ﴿وكتبنا عليهم فيها﴾ أي في التوراة ﴿أن النفس بالنفس﴾ فيقتل القاتل ﴿والعين بالعين والأنف بالأنف، والأذن بالأذن، والسن بالسن﴾ فكل من النفس والأعضاء مقتص بمثله، ﴿والجروح قصاص﴾ يقتص بمثلها ﴿فمن تصدق به﴾ من أولياء القصاص فعفا ووهب مايملكه من القصاص ﴿فهو كفارة له﴾ أي كفارة لذنوب المتصدق أو كفارة عن الجاني في جنايته وإن لم يتصدق فليحكم صاحب الحكم بما أنزله الله من القصاص ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ فالتعدي ظلم وتغيير أحكام الله ظلم ومن أظلم ممن غير أحكام الله وحدوده.

٤٦ ـ ﴿وقفينا على آثارهم﴾ والتقفية جعل الشيء خلف الشيء من القفا ﴿بعيسى بن مريم﴾ وعيسى عليه السلام قد سلك المسلك الذي سلكه من قبله من الأنبياء وهو طريق الدعوة إلى التوحيد والإسلام لله ﴿مصدقاً لما بين يديه من التوراة﴾ فلا فرق بين دعوة عيسى ودعوة موسى ﴿وآتيناه الإنجيل﴾ ويعني البشارة وهو كتاب أنزل على المسيح من الله ﴿فيه هدى﴾ من المعارف التي يحصل بها الاهتداء في باب الإعتقادات ﴿ونور﴾ من الأحكام والشرائع في الإنجيل التي يستضاء بنورها ﴿ومصدقاً لما بين يديه من التوراة﴾ فما جاء في الإنجيل إمضاء لشريعة التوراة إلا مااستثناه المسيح عليه السلام ﴿وهدىً وموعظةً للمتقين﴾ فالمتقون المتلبسون بالعبودية هم وحدهم المنتفعون من الهدى والموعظة وتطبيق الأحكام. ٤٧ ـ ﴿وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه﴾ وذلك بتصديق غير مااستثني من شرائع التوراة ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ هذا تشديد في الأمر المدلول عليه بقوله ﴿وليحكم﴾ ليسجل على اليهود الكفر والظلم. فهم لم ينحرفوا لتشابه الأمر عليهم، بل عتواً وكفراً فقد ردوا المعارف والأحكام التي كانوا على علم منها وهو كفر بآيات الله وظلم لها كما سجل الفسق على النصارى لأنهم بدلوا التوحيد تثليثاً ورفضوا أحكام التوراة ـ فقد أخذ بولس دين المسيح ديناً مستقلاً منفصلاً عن دين موسى فيه أحكام الفداء فخرجوا عن التوحيد ففسقوا والفسق خروج الشيء من مستقره. فالمخالفة لحكم شرعي أو لأي أمر ثابت في الدين مع العلم بثبوته والرد له كفر. وفي صورة العلم بثبوته مع عدم الرد له توجب الفسق، وفي صورة عدم العلم بثبوته مع الرد له لاتوجب كفراً ولافسقاً لكونه قصوراً يعذر فيه إلا أن يكون قد قصر في شيء من مقدماته.

٤٨ ـ ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب﴾ فالقرآن يحفظ الأصول الثابتة مما بين يديه من الكتب السماوية، وينسخ منها ماينبغي أن ينسخ من الفروع بما يلائم سلوك صراط الترقي والتكامل بمرور الزمن ﴿ومهيمناً عليه﴾ ذو سلطة في الحفظ والمراقبة والتصرف لاأن يصدق مافيها دون تبديل ﴿فاحكم بينهم بما أنزل الله﴾ فالقرآن حق فيما وافق مابين يديه من الكتاب وحق فيما خالفه لكونه مهيمناً عليه. فاحكم بين الناس بهذا الحق ﴿ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق﴾ فأعرض عن أهواء المنافقين واليهود فالسبيل الحق اتباع الحق ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾ والشرع نهج الطريق الواضح. وقد نسب تعالى الجعل لنفسه والمجعول هو الشرعة والمنهاج للدلالة على قصر الشرعة على ما أمر الله به أو ما أمر رسوله به لأن من أطاع الرسول فقد أطاع الله. وهذا ينفي أن تكون هناك شرعةٌ مجعولةٌ من غيره تعالى فما شرعه الله هو الحق وماذا بعد الحق إلا الضلال، كما أنه لاتشريع بعد شريعة خاتم الرسل ولامخالفة لما جاء بها من أحكام. ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ بتشريع واحد ولكنه تعالى جعل لكم شرائع مختلفة باختلاف الأزمان، حسب ارتقاء الإنسان في مدارج التهيؤ والاستعداد. وهو قادر على جعلكم أمة بتشريع واحد ﴿ولكن ليبلوكم﴾ ويمتحنكم

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَـٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

﴿في ما آتاكم﴾ وأعطاكم من النعم المختلفة. فليست التكاليف إلا إمتحانا إلهياً للإنسان في مختلف مواقف الحياة ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين. وإن شئت فقل: إخراجاً له من القوة إلى الفعل في جانبي السعادة والشقاء ﴿فمن تبع هداي فلايضل ولايشقى، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ أو قل إن ذلك تمييز لحزب الرحمن وعباده عن حزب الشيطان وعبيده. فالله تعالى يقول للشيطان ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾. ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ تسابقوا إليها باتباع الشريعة الحقة والمنهج الحق المهيمن على كافة الشرائع، ولاتشتغلوا بأمر الإختلافات بينكم لأنه ﴿إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ ويحكم بينكم حكماً فصلاً، ويقضي قضاءً عدلاً.

٤٩ ـ ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم﴾ فتوليهم عن منهج الله إضلال إلهي لهم لفسقهم وقد أراد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم الموجبة لفسقهم ﴿واحذرهم﴾ يامحمد ﴿أن يفتنوك عن بعض ماأنزل الله إليك﴾ فقوة العصمة لاتوجب بطلان الاختيار وسقوط التكاليف المبنية عليه ﴿فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم﴾ وهذه الإصابة هي الإضلال، فهم ليسوا بمعجزين لله في ملكه ﴿وإن كثيراً من الناس لفاسقون﴾ تعليل لإصابتهم ببعض ذنوبهم.

٥٠ ـ ﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾ استفهام توبيخي ﴿ومن أحسن من الله حكماً﴾ استفهام إنكاري فإن أي حكم أو تشريع إما أن يكون إلهياً أو جاهلياً دون ذلك. وأين أوهام المخلوقين من تشريع خالقهم. فالحكم لايتبع إلا لحسنه ﴿لقوم يوقنون﴾ فالذين يوقنون بآيات الله ينكرون أن يكون أحد أحسن حكماً من الله. وفي تفسير البرهان في قوله تعالى: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾ عن الكافي بإسناده عن أحمد بن محمد بن خالد عن أبيه رفعه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: القضاة أربعة: ثلاثة في النار وواحد في الجنة: رجل يقضي بجور وهو يعلم فهو في النار، ورجل قضى بجور وهو لايعلم فهو في النار، ورجل قضى بالحق وهو لايعلم فهو في النار، ورجل قضى بالحق وهو يعلم فهو في الجنة. وقال عليه السلام: الحكم حكمان: حكم الله وحكم الجاهلية فمن أخطأ حكم الله حكم بحكم الجاهلية.

٥١ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا﴾ الاتخاذ هو اعتماد على الشيء لإعداده لأمر ﴿اليهود والنصارى أولياء﴾ والولاية اقتراب من الشيء يوجب ارتفاع الموانع والحجب بينهما من حيث ماقترب منه لأجله. فالولي هو الناصر والولي هو المحبوب دون انفعال عن إرادته، والولي هو المطاع. ففي الآية نهي عن معاشرة اليهود والنصارى، وعن الاختلاط بهم لأن ذلك يفضي إلى المودة الموجبة لتجاذب الأرواح والنفوس. وهذا مايفضي إلى التأثير والتأثر الأخلاقيين، وبالتالي إلى انقلاب السيرة الدينية إلى سيرة الكفر المبنية على اتباع الهوى وعبادة الشيطان، والخروج عن صراط الفطرة ﴿بعضهم أولياء بعض﴾ فأرواحهم متجاذبة ومجتمعة على اتباع الهوى والاستكبار عن الحق، والاتحاد على إطفاء نور الله. وهذا ماجعلهم مجتمعاً واحداً على مابينهم من الشقاق والعداء. فاليهود والنصارى يد واحدة على المسلمين. أو يقال إنه لايمكنكم أن تنتصروا بهم فهم أولياء بعض فلاينصرونكم على أنفسهم ﴿ومن يتولهم منكم﴾ باتخاذهم أولياء ﴿فإنه منهم﴾ حيث يلحق بهم. فالإيمان مراتب من حيث الشوب والخلوص، فالموالون لليهود والنصارى ولو كانوا مؤمنين ظاهراً فهم من اليهود والنصارى. ﴿إن الله لايهدي القوم الظالمين﴾ فسبيل الإيمان هو سبيل الهداية والذي يتولاهم منكم غير سالك سبيلكم، والله لايهديه.

٥٢ ـ ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض﴾ ولم تشملهم العناية الإلهية ﴿يسارعون فيهم﴾ فهم منهم لأنهم تولوهم، أو يسارعون فيهم لاخشية أن يصيبهم منهم سوء، فهم لايخافون ذلك ﴿يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ معذرة منهم يختلقونها لدفع مايتوجه إليهم من ناحية النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين من اللوم والتوبيخ ﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح﴾ وهو القضاء على الكفر أو ربما يكون أحد الفتوحات التي انتصر فيها المسلمون وهو بعيد ﴿أو أمر من عنده﴾ غير الفتح ﴿فيصبحوا على ماأسروا في أنفسهم نادمين﴾ والندامة تحصل عند فعل مالم يكن ينبغي أن يفعل، وقد أسروا في أنفسهم تولي اليهود والنصارى، وسوف يندمون على بطلان سعيهم عندما يفتح الله للحق.

٥٣ ـ ﴿ويقول الذين آمنوا﴾ لضعفاء الإيمان ﴿أهؤلاء﴾ إشارة لليهود والنصارى وفيه تقريع لمن تولاهم ﴿الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿إنهم لمعكم﴾ فلماذا لاينصرونكم ولاينفعونكم وماهو أمر هؤلاء الموالين ﴿حبطت أعمالهم﴾ وضل سعيهم ﴿فأصبحوا خاسرين﴾ ٥٤ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه﴾ ويرجع عنه بموالاة اليهود والنصارى، فالدين الحق في غنى عن الإيمان المشوب بموالاتهم وموالاة غيرهم من أعداء الله، وقد عده الله سبحانه كفراً وشركاً. ﴿فسوف يأتي الله﴾ نسب الإتيان إلى نفسه ليقرر معنى نصره لدينه ولا ناصر إلا الله، ولانصر إلا من عند الله. فسوف يأتي الله ﴿بقوم يحبهم ويحبونه﴾ حباً مطلقاً معلقاً على الذات فهم يؤثرون ربهم على كل ماسواه من مال أو جاه أو عشيرة ولايوالون إلا الله، والله يحبهم فيبرئهم من كل ظلم، ويطهرهم من كل قذارة معنوية كالكفر والفسق، بعصمة أو مغفرة إلهية عن توبة ﴿أذلة على المؤمنين﴾ فهم يخفضون جناحهم للمؤمنين تعظيماً لله الذي هو وليهم وهم أولياؤه. ﴿أعزة على الكافرين﴾ فيترفعون عما عند الكافرين من العزة الكاذبة ﴿يجاهدون في سبيل الله﴾ وهي إحدى مناقبهم الجمة. فالجهاد ضروري لنصرة الدين ﴿ولا يخافون لومة لائم﴾ فالجهاد يرافقه لوم اللائمين الذين يخوفون المجاهدين من مغبة إضاعة أموالهم وإتلاف نفوسهم وتحملهم الشدائد والمكاره والتذلل للمؤمنين والتعزز على الكافرين وماعندهم من متاع الغرور. ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ ولايشاء إلا ماتقتضيه الحكمة. ﴿والله واسع﴾ لاينفد ولاينقص ماعنده ﴿عليم﴾ بموضع بذله. ٥٥ ـ ﴿إنما وليكم﴾ الولاء والتوالي هو أن يحصل شيئان أو أكثر حصولاً ليس بينهما ماليس منهما، أي أن للولي من وليه ماليس لغيره إلا بواسطته ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان والصداقة والنصرة والاعتقاد. والولاية هي النصرة، والولاية هي تولي الأمر. والحاكم ولي الناس بالحكم فيهم، على مقدار سعة حكومته وإنما وليكم ﴿الله﴾ فله الولاية التكوينية التي يكون معها التصرف في كل شيء. وتدبير أمور الخلق بما شاء وكيف شاء. وربما لحق بذلك باب النصرة أيضاً فلله الولاية التكوينية، أو الولاية الحقيقية، وله أيضاً الولاية التشريعية أو الاعتبارية على المؤمنين فيما يرجع إلى أمر دينهم من الشريعة والهداية والتوفيق. فالولي هو الله ﴿ورسوله﴾ وهو ولي ولاية تشريعية، وهي القيام بالتشريع والدعوة وتربية الأمة والحكم فيها، والقضاء في أمورها فطاعته طاعة لله بإذن الله ﴿والذين آمنوا﴾ قصر الولاية على واحد بسبب قوله إنما وليكم بالمفرد ﴿الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ لكونه مشتملاً على الخضوع والتذلل وفي الكشاف: وإنها نزلت في علي كرم الله وجهه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه. ٥٦ ـ ﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا﴾ باتخاذهم أولياء فهوغالب ﴿فإن حزب الله هم الغالبون﴾ فلهم الفلاح والظفر وإدراك البغية، والظفر بالسعادة، والحياة الطيبة في الدنيا وجوار رب العالمين في الآخرة. ٥٧ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً﴾ أي مزحاً في خفية ﴿ولعباً﴾ اللعب هو كل مالم يقصد فيه مقصد صحيح ﴿من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ۙ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

والكفار أولياء﴾ فالهزء بالدين واللعب به يظهر أنه لايعدل إلا بعض الأغراض الباطلة. والولاية الحقة تقتضي الامتزاج الروحي والتصرف في الشؤون النفسية والاجتماعية، وهي لاتلائم استهزاء الولي ولعبه بما يقدسه وليه ﴿واتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾ تأكيد لقوله، فالمؤمن لايرضى بالهزء واللعب بما آمن به؛ فاتخاذ الدين يعني التلبس بالتقوى. ٥٨ ـ ﴿وإذا ناديتم إلى الصلاة﴾ بالأذان ﴿اتخذوها﴾ أي الصلاة ﴿هزواً ولعباً ذلك بأنهم قوم لايعقلون﴾ فلايسعهم أن يتحققوا مافي هذه الأركان والأعمال العبادية من حقيقة العبودية وفوائد القرب من الله وجماع سعادة الدنيا والعقبى. ٥٩ ـ ﴿قل ياأهل الكتاب هل تنقمون منا﴾ والنقمة إنكار باللسان أو العقوبة ﴿إلا أن آمنا بالله وماأنزل إلينا وماأنزل من قبل﴾ لم يقل ماأنزل إليكم تعريضاً بهم، كأنهم لم يفوا بما عاهدوا الله عليه، فهم ليسوا أهل كتبهم الحقة. ولا نفرق بين كتاب وكتاب من كتب الله ولابين رسله لأن ذلك كفر، ﴿وأن أكثركم فاسقون﴾ فهل تنكرون منا وتنقمون علينا إلا أنا مؤمنون وأن أكثركم فاسقون. ٦٠ ـ ﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك﴾ مما تنقمون ﴿مثوبة﴾ جزاء ﴿عند الله﴾ وهو جزاء ثابت وقد حكم به الله فالأسوأ من ذلك ﴿من لعنه الله﴾ فطرده من رحمته ﴿وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت﴾ وهو كل ماطغى وكفر فمن فعل ذلك فهو آثم. ﴿أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل﴾ شر لابتلائهم باللعن الإلهي. مع تقدير التسليم بأن يكون إيمان المؤمنين شراً، وليس بشر. ٦١ ـ ﴿وإذا جاؤوكم قالوا آمنا﴾ أظهروا الإيمان والحال أنهم ﴿وقد دخلوا﴾ عليكم ﴿بالكفر وهم قد خرجوا﴾ من عندكم ﴿به﴾ أي بالكفر فلم يتغيروا ﴿والله أعلم بما كانوا يكتمون﴾ فهم منافقون يتقلبون في أحوال الكفر المختلفة. ٦٢ ـ ﴿وترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم﴾ وهو الخوض في آيات الدين النازلة على المؤمنين ﴿والعدوان﴾ أي التعدي على الحق، وهذا من الكفر قولاً. فالخوض موجب للكفر ﴿وأكلهم السحت﴾ وهو المحرم الدنيء، متعدين القول إلى المعصية الفعلية كأكل الربا والرشوة وغير ذلك بعمل أعضائهم ﴿لبئس ماكانوا يعملون﴾ ساء ماافترفوا من المعاصي. ٦٣ ـ ﴿لولا ينهاهم الربانيون﴾ وهم المنقطعون لربهم ﴿والأحبار﴾ هم علماء بني اسرائيل. توبيخ للربانيين والأحبار في سكوتهم عنهم وتقصيرهم في نهيهم ﴿عن قولهم الإثم وأكلهم السحت﴾ وارتكاب هذه الموبقات والمعاصي ﴿لبئس ماكانوا يصنعون﴾ فهم عالمون أنها معاص وذنوب. ٦٤ ـ ﴿وقالت اليهود﴾ وكانوا لايرون جواز النسخ في الأحكام الدينية ولا جواز البداء في التكوين ويعيرون المسلمين بنسخ الأحكام ﴿يد الله مغلولة﴾ مسلوبة القدرة على ماتحب وتشاء، استهزاء منهم بأن الله سبحانه لايقدر على إغناء عباده المؤمنين وإنقاذهم من الفقر والعسرة. أو أنهم قالوا ذلك لضيق عيش أصابهم، أو أنهم قالوا بأن الله محتاج لأنه قال: ﴿وأقرضوا الله قرضاً حسناً﴾. ﴿غلت أيديهم﴾ لقد تحقق مصداق لعنة الله عليهم وتعذيبهم في الدنيا والآخرة ﴿بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ أثبت اليدان بالتثنية لثبوت القدرة وكمالها نفياً لقولهم. ﴿وليزيدن كثيراً منهم﴾ بسبب اجترائهم وقولهم ماقالوا ﴿ما أنزل إليك من ربك﴾ فسيزيدهم القرآن

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّٰغُوتَ ۚ أُولَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِۦ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ الرَّبَّٰنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَٰوَةَ وَالْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

الكريم ﴿طغياناً وكفراً﴾ فقد تلبسوا بالاعتداء والكفر، وأورثهم ذلك البغي والحسد، فإذا رأوا فضل الله على غيرهم ازدادوا استكباراً وكفراً وهم يرون النعمة النازلة من الله في كتاب الله تنزل على الأميين وهم يرون لأنفسهم شرفاً عليهم. ﴿وألقينا بينهم العداوة﴾ وهي البغض المستصحب التعدي في العمل ﴿والبغضاء﴾ وهو نفور القلب ﴿إلى يوم القيامة﴾ فوجودهم وعداوتهم ستبقى إلى يوم القيامة. ﴿كلما أوقدوا﴾ وأشعلوا ﴿ناراً للحرب﴾ على النبي ﷺ والمؤمنين وعلى دين الله سبحانه ﴿أطفأها الله﴾ بإلقاء الاختلاف بينهم أما الحروب التي يوقدونها بدوافع عصبية أو سياسية أو لأمر نفعي فهي خارجة عن مساق الآية ﴿ويسعون﴾ أي يسيرون بسرعة ﴿في الأرض فساداً﴾ فيجتهدون لإفساد الأرض ﴿والله لايحب المفسدين﴾ فلا يخليهم وأن ينالوا ما أرادوا من الفساد فيخيب سعيهم. والله أعلم. ٦٥ ـ ﴿ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا﴾ والتقوى بعد الإيمان تقضي بتورعهم عن محارم الله واتقاء الذنوب التي تحتم السخط الإلهي وعذاب النار، وهي الشرك بالله وسائر الكبائر ﴿لكفرنا عنهم سيآتهم﴾ من صغائر الذنوب ﴿ولأدخلناهم جنات النعيم﴾ ولأغدقنا عليهم نعمة السعادة في الدنيا والآخرة. ٦٦ ـ ﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل﴾ كما نزلا من عند الله لا كما لعبت بهما أيادي التحريف ﴿وما أنزل إليهم من ربهم﴾ من الكتب السماوية كزبور داوود الذي يسمونه بالمزامير. فلو أقاموها بالاعتقاد بما ورد فيها من معارف المبدأ والمعاد، وبالعمل بأحكامها ﴿لأكلوا﴾ متنعمين ﴿من فوقهم﴾ من السماء ﴿ومن تحت أرجلهم﴾ من الأرض ولفتحت عليهم بركات من السماء. فتطبيق أحكام الله فيه صلاح النظام الكوني، واندفاع النقم ووفور النعم. ﴿منهم أمة مقتصدة﴾ آخذة بالقصد وهو التوسط في الأمور فهي معتدلة في أمر الدين والتسليم لله وهي أقلية ﴿وكثير منهم ساء مايعملون﴾ من تعدي حدود الله والكفر والاستكبار والعتو. ٦٧ ـ ﴿ياأيها الرسول﴾ مخاطبة بالرسالة لكي تناسب التبليغ فهي كالبرهان على وجوب التبليغ ﴿بلغ﴾ أمر في صورة التهديد ﴿ماأنزل إليك من ربك﴾ من مجموع الدين أو بعض أجزائه ـ والتنكير للتعظيم ـ وهو ماأنزل وماتخاف أن تبلغه للناس وتؤخره إلى حين يناسبه، خوفاً من أن يتهمك الناس بما يفسد به أمر الدعوة. كأن يتوهموا عند تبليغهم انتفاع النبي ﷺ بتشريعه، فيقع في قلوبهم أنه مُلْك في صورة النبوة، وقانون ملكي في هيئة الدين. فأمره الله أن يبلغ ماأمر في أمر ولاية علي (ع) ولاغنى عن أن يكون للأمة ولي يلي شؤونها ويدير دفة حكمها، ويطبق أحكام الله فيها. وفي صحيح البخاري عن وهب بن عبد الله السواني قال: قلت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن؟ فقال: لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن ﴿وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ أي فما بلغت أصل رسالته أو مجموعها فعدم التبليغ يعني عدم استكمال الرسالة. ولدفع الخوف والفساد قال تعالى ﴿والله يعصمك﴾ أي يحفظك ﴿من الناس﴾ ويقيك من شرهم المتوجه إلى نفسك ومقاصدك الدينية، ونجاح تبليغك. وقوله ﴿من الناس﴾ يشمل سواد الأفراد من مؤمن ومنافق من العامة والخاصة ﴿إن الله

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾

لايهدي القوم الكافرين﴾ المتوقع شرهم وكيدهم. أو هم الكافرون الذين يرفضون حكم الآية. والله سيمنع الأسباب الجارية أن تنفذ لهم في سلوكهم إلى مايرومونه من الشر والفساد.

٦٨ ـ ﴿قل ياأهل الكتاب لستم على شيء﴾ من أساس ثابت تعتمدون عليه فأنتم فاقدو العماد ﴿حتى تقيموا التوراة والإنجيل وماأنزل إليكم من ربكم﴾ فالعماد هو التقوى والإنابة إلى الله ﴿وليزيدن كثيراً منهم﴾ فبسبب خضوعهم لأهوائهم وحسدهم وعداوتهم فإن الله سيجعل ﴿ماأنزل إليك من ربك﴾ وهو القرآن سبباً في زيادة عداوتهم ﴿طغياناً وكفراً﴾ حسداً منهم لنزول الخير في غيرهم ﴿فلاتأس على القوم الكافرين﴾ تسلية منه تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم في صورة النهي عن الأسى.

وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٧١ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٤ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٦

٦٩ ـ ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون﴾ الصابئون قوم يقرون بالله واليوم الآخر وببعض الأنبياء ولكنهم يعتقدون بتأثير بعض النجوم في الخير والشر ﴿والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً﴾ إذ لاعبرة في باب السعادة بالأسماء والألقاب، وإنما العبرة بالإيمان بالله واليوم الآخر عقيدة والعمل الصالح سلوكاً وأولئك ﴿فلا خوف عليهم﴾ من مكروه محتمل ﴿ولاهم يحزنون﴾ من مكروه واقع.

٧٠ ـ ﴿لقد أخذنا ميثاق﴾ أي عهد ﴿بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلاً﴾ ليبلغوهم الشريعة والأحكام ولكن ﴿كلما جاءهم رسول بما لاتهوى أنفسهم﴾ والرسول لايأتي تبع أهوائهم، والله لايشرع وفق مايحبون بل يجب أن يحبوا مايشرع، لأن أمر الله فيه سعادتهم وخيرهم ﴿فريقاً كذبوا﴾ فهذا شأنهم منذ القديم ﴿وفريقاً يقتلون﴾ فاليهود منقسمون بين مكذبين لبعض الرسل وقاتلين لبعضهم الآخر وهذا دأبهم.

٧١ ـ ﴿وحسبوا﴾ ظنوا بسبب اعتقادهم بأن لهم كرامة ﴿أن لاتكون فتنة﴾ أي محنة وهي أعم من الشر تغرهم ﴿فعموا﴾ لم يبصروا الحق ولم يميزوا الخير من الشر ﴿وصموا﴾ عن سماع العظة والنصيحة من دعوة أنبيائهم، فأوردهم الله موارد الهلكة لقتلهم أنبياءهم وتكذيبهم ﴿ثم تاب الله عليهم﴾ رجع بالرحمة إليهم بعد إبعادها عنهم فرفع هذا الحسبان عن قلوبهم، والعمى والصمم عن أبصارهم وآذانهم فعرفوا أن لاكرامة إلا بالتقوى وأبصروا الحق وسمعوا عظة أنبيائهم فتبين لهم أن التسمي والانتساب إلى جماعة معينة لاينفع شيئاً. ﴿ثم عموا وصموا كثير منهم﴾ وقد نالت الحجة والتوبة بعضهم ﴿والله بصير بما يعملون﴾ فلا يغفله شيء، وكرامته لاتحجبهم عنه وهو البصير لايحجب عنه شيء.

٧٢ ـ ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم﴾ فلم تنفعهم نصرانيتهم ولا انتسابهم للمسيح عليه السلام ولم يمنع ذلك من تعلق الكفر بهم فقد أشركوا ولم يؤمنوا بالله حق إيمانه إذ نسبوا الألوهية إلى إنسان ابن إنسان مخلوقين من تراب، وأين التراب من رب الأرباب؟ ﴿وقال المسيح يابني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم﴾ فأنا مربوب مثلكم. وهذه حجة على كفرهم وبطلان قولهم. ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة﴾ فمن يجعل لله شريكاً

في ألوهيته، فهو مشرك كافر محرم عليه دخول الجنة ﴿ومأواه﴾ مستقره ﴿النار ومالظالمين من أنصار﴾ إبطال للقول بالفدية وأنه عليه السلام باختياره الصلب حسب ادعائهم قد فداهم بنفسه فهم مغفور لهم، وأن التكاليف الإلهية مرفوعة عنهم ومصيرهم إلى الجنة. وماتقوله الآية موجود في أناجيلهم كالأمر بالتوحيد (الإصحاح ١٢ ـ ٢٩ انجيل مرقس) وإبطال عبادة المشرك (٦ ـ ٣٤ متى) والحكم بخلود الظالمين في النار (١٣/٥/٢٥./٣١/٤٧/ متى).

٧٣ ـ ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ أي أحد الثلاثة: الأب، الابن، الروح القدس، ولازم قولهم أن كل واحد من الثلاثة إله ﴿وما من إله إلا إله واحد﴾ فالله لايقبل الكثرة بوجه من الوجوه، وهو تعالى واحد لايتجزأ بذاته ولايضاف شيء إليها، وهو واحد لابالوحدة العددية ولامنعوت بكثرة في ذات أو اسم أو صفة وهذه كلها من آثار صنعه فكيف يتصف بما صنع؟ ﴿وإن لم ينتهوا عما يقولون﴾ لأن قولهم بالتثليث لاتتعقله عقول العامة فيتلقونه مذهبياً، وإنما يقوله من استكبروا وأصروا كفراً منهم ﴿ليمسن الذين كفروا منهم﴾ وهم القائلون بالتثليث ﴿عذاب أليم﴾ بسبب كفرهم.

٧٤ ـ ﴿أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه﴾ حض على التوبة والاستغفار ﴿والله غفور رحيم﴾ تذكير بمغفرة الله ورحمته أو إنكار وتوبيخ.

٧٥ ـ ﴿ماالمسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ فهو لايفارق سائر الرسل الذين توفاهم الله قبله ﴿وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام﴾ والأكل حاجة للآكل تدل على المخلوقية. فهو عليه السلام ممكن متولد من ممكن دون أن يكون رباً. ويمكن أن يكون هذا أيضاً لألوهية أمه فهي بشر أيضاً ﴿انظر﴾ يامحمد ﴿كيف نبين لهم الآيات﴾ لنبطل حججهم ﴿ثم انظر أنى يؤفكون﴾ وكيف يختلقون ويكذبون ويدَّعون.

٧٦ ـ ﴿قل أتعبدون من دون الله﴾ فكل ماعبد من دون الله هو دون الله ﴿مالايملك لكم ضراً ولانفعاً﴾ فالعبادة إنما تكون لمعبود مفترض استحضاراً لخيره أو دفعاً لشره. وكل إله من دون الله لانفع له ولاضرر، لأنه مملوك له محضاً، مسلوبة قدرته في نفسه فكيف يعبد؟ وكيف يشرك مع ربه؟ والواجب عدم تعدي العبادة إلى غير الله ﴿والله هو السميع العليم﴾ فهو الذي يسمع الداعي إذا دعاه ويجيبه ويكشف السوء.

٧٧ ـ ﴿قل ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم غير الحق﴾ بتجاوز الحد بالإفراط، والدين هو دين الله الذي يأمر بالتوحيد، فلاتغالوا بأن تقولوا إن الله هو الأب مدعين أن بيده الإيجاد والتربية. ﴿ولاتتبعوا أهواء قوم﴾ قد يكونون وثنيين وعبدة أصنام ﴿قد ضلوا من قبل﴾ فتسربت إليكم عقيدة القول بالأبوة والبنوّة ﴿وأضلوا كثيراً﴾ غيرهم ﴿وضلوا عن سواء السبيل﴾ فقد ضلوا لالتزامهم بآرائهم وأضلوا غيرهم باتباع ماقالوا، وضلوا سواء السبيل، وهو المتحصل من ضلالهم وإضلالهم وهو ضلال على ضلال. وعن علي (ع): أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عده ـ الخطبة ـ .

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾

٧٨ ـ ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم﴾ فهم ملعونون بلسان أنبيائهم ﴿ذلك بما عصوا﴾ أنبيائهم ﴿وكانوا يعتدون﴾ يستمرون بالعداوة. ٧٩ ـ ﴿كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه﴾ فبعضهم يرضى بفعال بعض ﴿لبئس ماكانوا يفعلون﴾ ورضاهم هذا بمن يفعل المنكر منكر. ٨٠ ـ ﴿ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا﴾ وهذا من اعتدائهم، فلو قدروا دينهم حق قدره للزموه ولم يتعدوه. ولازم ذلك أن يتولوا أهل التوحيد ويتبرؤوا من الكافرين، فمن رضي بقوم رضي بفعلهم. ﴿لبئس ماقدمت لهم أنفسهم﴾ فقد فضلت أنفسهم ولاية الكفار عن هوى ورضاً فجزاؤهم ﴿أن سخط الله عليهم﴾ وغضب ﴿وفي العذاب هم خالدون﴾ يذوقون وبال عملهم فكأن نفسهم قد قدمت لهم جزاء العمل بتقديم نفس العمل.

٨١ ـ ﴿ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي﴾ محمد ﷺ أو نبي أنفسهم ﴿ومأأنزل إليه ما اتخذوهم أولياء﴾ أي ماتخذوا الكفار أولياء. فالإيمان يجبُّ سائر الأسباب ﴿ولكن كثيرا منهم فاسقون﴾ متمردون على الإيمان.

٨٢ ـ ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾ لما بينهم من الرذائل المشتركة مع اختصاص اليهود ببعض الرذائل كقولهم يد الله مغلولة وقول النصارى: إن الله هو المسيح بن مريم. ومنه تمادي اليهود والمشركين في عصبيتهم ومكرهم، وخديعتهم، ونقضهم العهود وقلة من آمن منهم. ﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا﴾ لحسن إقبالهم على الدعوة الإسلامية ﴿الذين قالوا إنا نصارى﴾ مع أنهم على خيارين أن يقيموا على دينهم ويؤدوا الجزية وبين أن يقبلوا الإسلام أو يحاربوا ﴿ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً﴾ والراهب هو المتعبد والرهبانية هي الغلو في التعبد من فرط الرهبة فتمييز النصارى يعود إلى أن فيهم علماء ورهباناً زهاداً ﴿وأنهم لايستكبرون﴾ وذلك مفتاح تهيئتهم للسعادة. فسعادة حياة الدين هي القيام بصالح العمل على علم به. أما اليهود ففيهم أحبار علماء ولكن مستكبرون يعاندون الحق، والمشركون يفقدون العلماء وقد تحكمت فيهم رذيلة الاستكبار.

٨٣ ـ ﴿وإذا سمعوا ماأنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع﴾ يسيل دمعها بكثرة ﴿مما عرفوا من الحق﴾ فالحق يصيب قلوبهم فيؤثر فيها ﴿يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾ فمصداق إيمانهم هو إذعانهم للحق وطلبهم من الله أن يكتبهم مع الشاهدين. ٨٤ ـ ﴿ومالنا لانؤمن بالله وماجاءنا من الحق﴾ وهذا مايلائم الفطرة الصافية ﴿ونطمع أن يدخلنا ربنا﴾ أي يجعلنا ﴿مع القوم الصالحين﴾ فقد عملوا بالحق وأذعنوا له.

٨٥ ـ ﴿فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين﴾ وهذا دليل إسلام هذه الفئة من النصارى ولها ثواب الله ورضوانه.

٨٦ ـ ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا﴾ عتواً واستكباراً ﴿أولئك أصحاب الجحيم﴾ لكفرهم وتكذيبهم.

وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

٨٧ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتحرموا﴾ والحرام هو الممنوع إما بتسخير إلهي أو بمنع قهري وإما بمنع من جهة العقل أو من جهة الشرع أو من جهة من يرتسم أمره. ففي الآية نهي عن تحريم ﴿طيبات ماأحل الله لكم﴾ والحل من حل العقدة، أو بمعنى النزول. فتحريم الحلال بالامتناع عنه أو بمنع غيره عنه اعتداء على الله في سلطانه، ونقض للإيمان بالله والتسليم لأمره وقد أحل لكم الطيبات وحرم عليكم الخبائث ﴿ولاتعتدوا﴾ على الله في سلطانه التشريعي، فالخروج عن التسليم والالتزام والانقياد اعتداء على الله ﴿إن الله لايحب المعتدين﴾ الذين يحرمون ماأحل الله.

٨٨ ـ ﴿وكلوا﴾ أمر عقب الحظر أو تكرار وتأكيد للآية السابقة بالأكل ﴿مما رزقكم الله حلالاً طيباً﴾ بالتغذي من نعمه أو بسائر وجوه التصرف الحلال ﴿واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون﴾ ولأمره تسلمون.

٨٩ ـ ﴿لايؤاخذكم الله باللغو﴾ اللغو هو مالايترتب عليه أثر من أعمال ﴿في أيمانكم﴾ جمع يمين وهو القسم والحلف، واليمين مستعار من اليد اعتباراً بما يفعله المعاهد، ولاينافي ذلك شرعاً أن يعد قول القائل: والله لأفعلن المحرم كذا، من لغو اليمين. ﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان﴾ والتعقيد مبالغة في العقد، ولايشمل إلا اليمين الممضاة شرعاً. فإن حنثتم ﴿فكفارته﴾ والكفارة هي العمل الذي يستر به مساءة المعصية أو هي مايغطى به الإثم وهي ﴿إطعام عشرة مساكين من أوسط ماتطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة﴾ يدل الترديد على تعيين إحداها عند الحنث ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام﴾ وهذا دليل على كون الكفارة تخيير له دون ترتيب بينها ﴿ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم﴾ وحنثتم ﴿واحفظوا أيمانكم﴾ الممضاة ﴿كذلك يبين الله لكم آياته﴾ وأحكامه بواسطة نبيه ﴿لعلكم تشكرون﴾ الله بتعلمها والعمل بها.

٩٠ ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر﴾ وهو كل مائع مسكر عمل بالتخمير يخمر العقل. وعنه ﷺ قال: «ملعون ملعون من جلس على مائدة يشرب عليها الخمر». وقال: «أربعة لاينظر الله إليهم يوم القيامة: عاق، ومنان، ومكذب بالقدر، ومدمن خمر». وقال: «إن شارب الخمر يجيء يوم القيامة مسوداً وجهه، مزرقة عيناه، مائلاً شدقه، سائلاً لعابه، والغاً لسانه من قفاه». ﴿والميسر﴾ القمار ﴿والأنصاب﴾ وهي الأصنام أو الحجارة التي كانت تنصب لذبح القرابين عليها، وكانت تحترم ويترك بها، ﴿والأزلام﴾ وهي القداح التي يستقسم بها ﴿رجس﴾ وهي الشيء القذر الذي يبتعد ويتنزه عنه وينفر منه. وهذا الرجس ﴿من عمل الشيطان﴾ إن الشيطان للإنسان عدو مبين، يوسوس ويسول، ويغوي بالالقاء في القلب لمن اتبعه من الغاوين، ويريد بذلك أن يصد عن سبيل الله وإقام الصلاة ﴿فاجتنبوه﴾ نهي بعد بيان الفساد ليكون أوقع في النفس ﴿لعلكم تفلحون﴾ ترج للفلاح على تقدير الاجتناب. ٩١ ـ ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة﴾ وهي التجاوز ومنافاة الالتئام بالقلب ﴿والبغضاء﴾ وهي نفور القلب ﴿في الخمر﴾ وهو يهيج الجملة العصبية تهيجاً يخمر العقل، ويجيز له الشهوة البهيمية، والفجور في النفس والمال والعرض، وهتك نواميس الدين، وحدود المجتمع ﴿والميسر﴾ يبطل في أقل زمان سعي الإنسان أزماناً طويلة من تحصيل الثروة، إن خسر. وإن غلب يتكاسل ويلجأ إلى طرق غير مشروعة في الكسب ويسبب التردي في العواطف الطاغية والأهواء الدينية والحسرة والحنق. ﴿ويصدكم عن ذكر الله﴾ وهو الروح الحية في جثمان العبودية وهو البغية الوحيدة من الدعوة الإلهية. والذكر يقابل النسيان المستتبع لنسيان العبودية. ﴿وعن الصلاة﴾ وقد ذكرت بمفردها دلالة على زيادة الاهتمام بأمرها فهي عمود الدين ﴿فهل أنتم منتهون﴾ استفهام توبيخي يدل على أن المسلمين لم يكونوا منتهين. وليس لما حرم مورد يخلص فيه النفع عن الإثم حتى تباح فيه. ٩٢ ـ ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ تأكيد للأمر السابق باجتناب الرجس فبيد الله أمر التشريع ﴿واحذروا﴾ مخالفته ﴿فإن توليتم﴾ تأكيد فيه معنى التهديد ﴿فاعلموا﴾ أنكم إذا ارتكبتم هذه المعاصي وكابرتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أمره ونهيه ﴿أنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ وأنكم قد نازعتم الله في ربوبيته. ٩٣ ـ ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح﴾ ميل عن الحق ﴿فيما طعموا﴾ مما ذاقوه من خمر وغيره من المحرمات قبل نزول آيات التحريم. والطعام هو البر أو هو مطلق الطعام ﴿إذا ماتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات﴾ وقد بين الله ماأحل لهم من الطيبات وماحرم عليهم من الخبائث وهذه نعمة حُرِمَها الكافر ﴿ثم اتقوا وآمنوا﴾ إيماناً وتسليماً بما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ثم اتقوا وأحسنوا﴾ في العمل بنية طيبة. ولتكن هذه الاستجابة ابتغاء لمرضاة الله وتسليماً لأمره ﴿والله يحب المحسنين﴾ في عقيدتهم ونيتهم وسلوكهم. ٩٤ ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله﴾ يمتحنكم ويختبركم ﴿بشيء من الصيد﴾ تحقيراً له وعوناً على الانتهاء عنه ﴿تناله أيديكم ورماحكم﴾ تعميم للصيد من حيث سهولته وصعوبته ﴿ليعلم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

الله﴾ ليميز ﴿من يخافه بالغيب﴾ فالخوف من عذاب الآخرة وأليم عقابها يمنع ورود موارد النهي. ﴿فمن اعتدى بعد ذلك﴾ بتجاوز الحد المذكور ﴿فله عذاب أليم﴾ وهو عذاب النار. ٩٥ ـ ﴿يأيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم﴾ في حالة الإحرام ﴿ومن قتله منكم متعمداً﴾ قاصداً القتل سواء أكان ذاكراً أم ناسياً ولايشمل ذلك قتل الخطأ فهو غير متعمد ﴿فجزاء مثل﴾ شبه ﴿ماقتل من النعم﴾ من الإبل والبقر والغنم ﴿يحكم به ذوا عدل منكم﴾ يحكم بالجزاء المماثل رجلان منكم ذوا عدل في الدين ﴿هدياً﴾ يهدي به ﴿بالغ الكعبة﴾ ينحر أو يذبح في الحرم في مكة أو منى ﴿أو كفارة﴾ وهي ستر للإثم ﴿طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً﴾ والعدل مايعادل الشيء من غير جنسه على أن: ﴿أو﴾ تفيد الترديد إشعاراً بالترتيب بين الخصال ﴿ليذوق وبال أمره﴾ أي ثقله وشدته وعدم نمائه ﴿عفا الله عما سلف﴾ عما تحقق قبل نزول الحكم ﴿ومن عاد﴾ لتكرار العمل ﴿فينتقم الله منه﴾ ولاكفارة عليه ﴿والله عزيز ذو انتقام﴾ لايمنع انتقامه مانع. ٩٦ ـ ﴿أحل لكم صيد البحر﴾ دون أكله ﴿وطعامه﴾ أي أكل مأحل منه ﴿متاعاً لكم وللسيارة﴾ فيه شيء من الامتنان أي متاعاً للمحرمين وغيرهم ﴿وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرماً واتقوا الله الذي إليه تحشرون﴾ فالتقوى يجب أن تلازم الأعمال لأن حساب الأعمال في يوم الحشر على الله. ٩٧ ـ ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام﴾ الذي تجب حرمته وهو قبلة الناس في صلواتهم وذبائحهم وأمواتهم وحجهم يسلكون به طريق العبودية ﴿قياماً للناس﴾ وعماداً أو سنداً يأمنون فيه من القتال ويدبرون أمرهم لتقارب قلوبهم فيعضد بعضهم بعضاً ﴿والشهر الحرام﴾ وهي الأشهر الحرم التي حرم فيها القتال ﴿والهدي﴾ وهو مايهدى من الأنعام ﴿والقلائد﴾ وهي مايعلم بوضع قلادة في عنقه لتمييزه بأنه هدي للذبح ﴿ذلك لتعلموا أن الله يعلم مافي السماوات ومافي الأرض﴾ فالمنافع من هذا التحريم هي قيام حياتكم بهذه الأحكام ﴿وأن الله بكل شيء عليم﴾ بمقتضى عمله، وهو محيط بعلمه محيط بأحكامه. ٩٨ ـ ﴿اعلموا أن الله شديد العقاب﴾ وعيد للعاصين ﴿وأن الله غفور رحيم﴾ وعد للمطيعين مع شائبة تهديد. ٩٩ ـ ﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾ فالمخالفة لله ﴿والله يعلم ماتبدون وما تكتمون﴾ فهو يعلم ماتعلنون وما تسرون. ١٠٠ ـ ﴿قل لايستوي الخبيث والطيب﴾ فالطيب أعلى درجة ﴿ولو أعجبك كثرة الخبيث﴾ لكثرة الخبيث لاتصيره خيراً من الطيّب. ﴿فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون﴾ فالتقوى بما أن متعلقها الشرائع الإلهية التي تبتني على طيبات وخبائث تكوينية؛ فإن في رعاية أمرها سعادة الإنسان وفلاحه، ولا يرتاب في ذلك ذو لب وعقل. فاتقوا الله يا أولي الألباب بالعمل بشرائعه لعلكم تفلحون. ١٠١ ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتسألوا﴾ النبي ﴿عن أشياء﴾ شملها العفو الإلهي ومالا يمكن الاطلاع عليه بالأسباب العادية؛ فإن في الاطلاع عليها مظنة الهلاك والشقاء كالسؤال عن يوم الوفاة أو سبب الهلاك فنظام الله جارٍ في الكون على إبداء أشياء وإخفاء أشياء لحكمة لايعلمها إلا خالقها، وإن إظهار ماخفي وإخفاء ماظهر يسبب اختلال هذا النظام. وهذه الأشياء ﴿إن

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ۖ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ ۚ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

تبد لكم تسؤكم﴾ فلا تسألوا عما يسوءكم ﴿وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم﴾ فالنهي عن سؤالها لايرتفع لأن حال بيان مايراد الكشف عنه من المعارف والأحكام لالتعريف مالا يرتبط به البيان القرآني. فلا تسألوا عن أشياء ﴿عفا الله عنها﴾ وإن تبد لكم تسؤكم ﴿والله غفور رحيم﴾ عنها ولم يذكرها رحمة بكم. ١٠٢ ـ ﴿قد سألها قوم من قبلكم﴾ كتشدد اليهود في سؤال موسى أوصاف البقرة ﴿ثم﴾ تفيد التراخي بحسب الرتبة الكلامية وليس بحسب الزمان هنا ﴿أصبحوا بها كافرين﴾ فالكفر بالأحكام من جهة استلزامها تحرج النفوس عنها، وتضيق القلوب من قبولها. ١٠٣ ـ ﴿ما جعل الله﴾ من أصناف الأنعام ﴿من بحيرة﴾ وهي الناقة التي أنتجت خمسة بطون وكان آخرها ذكراً؛ بحروا ـ أي شقوا ـ أذنها، وامتنعوا عن ركوبها ونحرها. وقيل أنه إذا كان الخامس ذكراً نحروه وإذا كانت أنثى شقوا أذنها ويحرم الانتفاع بها ﴿ولا سائبة﴾ وهي ماكانوا يسيبونه كمن ينذر ويقول إذا برىء أو عاد من سفر: ناقتي سائبة. ولاينتفع بها. وقيل إنها التي تعتق للأصنام وقيل إنها الناقة إذا تابعت بين عشر إناث. ﴿ولا وصيلة﴾ كانت الشاة إذا ولدت أنثى فهي لهم وإذا ولدت ذكراً جعلوه لآلهتهم. فإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر للآلهة. وقيل كانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن فإن كان السابع ذكراً ذبحوه لآلهتهم ولحمه للرجال دون النساء وإن كانت عناقاً كانت من عرض الغنم ﴿ولا حام﴾ وهو الذكر من الإبل إذا أنتج عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره فلايحمل عليه. وقيل إنه الفحل إذا لقح ولد ولده. وكيف كان فالآية تنفي الأحكام التي حكموا بها ﴿ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لايعقلون﴾ وأما الذي يعقل ويفتري فهو من أهل العناد واللجاج. ١٠٤ ـ ﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ماأنزل الله وإلى الرسول﴾ والرسول شأنه البلاغ، والدعوة دعوة حق ودعوة إلى الحق. والحق هو الصدق الخالي من الفرية وذلك مقابل افترائهم وعدم تعقلهم، ولايبقى لجانب الله إلا الصدق والعلم وقد دفعوه بالتقليد ﴿قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا﴾ ولكن تقليد الجاهلي في جهله مذموم في سنة العقلاء ولذلك رده تعالى بقوله ﴿أو لو كان آباؤهم لايعلمون شيئاً﴾ فالعقل لايبيح الرجوع لمن لاعلم له لأن سنة الحياة لاتبيح سلوك طريق لاتؤمن مخاطره ﴿ولايهتدون﴾ إكمالاً للحجة عليهم لاحتمال اهتداء آبائهم بتقليد العلماء الهداة. ١٠٥ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾ إلزموا أنفسكم فإن سلوك طريق ما يؤدي إلى الغاية التي يوصل إليها هذا الطريق. ونفس المؤمن هي طريقه الذي يسلكه إلى ربه وهو طريق هداه وهو المنتهي إلى سعادته. ﴿لايضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ فالهدى والضلال يتحققان في سلوك الطريق الموصل لأي منهما. فكافة الطرق المسلوكة لأهل الهدى وأهل الضلال تنتهي إلى الله وعنده الغاية التي طلبها الإنسان. وسيجد الفوز والفلاح إن سلك سبيل الهدى، كما سيجد الخيبة والخسران إن سلك سبيل الضلال. فعلى المؤمن أن ينشغل بما يهم نفسه، تمسكاً بدينه وأن لايهزه مايشاهد من شيوع المعصية ومن ضلال الناس الذين يقولون: إن الدنيا الحاضرة لاتساعد الدين، ولاتبيح

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا ۚ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

التنحل بالمعنويات. وواجب المؤمن هو الدعوة إلى ربه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. أي الأخذ بالأسباب العادية ثم إيكال أمر المسببات إلى الله. وليس عليه أن يجيش ويهلك نفسه حزناً أو يبالغ في الجد في التأثير في نفوس أهل الضلال ﴿إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ فغاية الإنسان وماينتهي إليه أمره مبنية على أحوال وأخلاق نفسانية مبنية على أعمال من الإنسان تنقسم إلى صالحة وطالحة وتقوى وفجور. وإذا تنبه الإنسان إلى حقيقة موقعه من ربه، ونسبته إلى سائر أجزاء العالم، وجد نفسه منقطعة عن غيره، ولايمسها بالإحاطة والتأثير إلا ربها المدبر لأمرها الذي يدفعها من ورائها ويجذبها إلى قدامها بقدرته وهدايته. ووجدها خالية بربها ليس لها دون وُلايته من وال، فيفقه معنى إلى الله مرجعكم، ويتبدل إدراك النفس وشعورها ويهاجر من موطن الشرك إلى موطن العبودية ومقام التوحيد. فيرقى وهو يعوض توحيداً بدلاً من شرك وقرباً بدلاً من بعد، وتحققاً بدلاً من توهم، وتواضعاً رحمانياً بدلاً من استكبار شيطاني، وفقراً عبودياً بدلاً من استغناء وهمي وذلك بالعناية الإلهية وتوفيقها. وإن كان لايسعنا أن نفقه هذه المعاني حق الفقه لإخلادنا إلى الأرض، واشتغالنا عن الغوص في أغوار هذه الحقائق. ولكن التدبر يوصل إلى التصديق بكلياتها. ١٠٦ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا﴾ خطاب للمؤمنين واختصاص الحكم بهم ﴿شهادة بينكم﴾ ذوا عدل منكم ﴿إذا حضر أحدكم الموت﴾ إذا كان على سفر ﴿حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم﴾ ذوا استقامة في أمر الدين من المسلمين ﴿أو آخران من غيركم﴾ من غير المسلمين. إذا لم يوجد مسلمون دون اعتبار للعدالة ﴿إن أنتم ضربتم في الأرض﴾ لأنه لاحاجة في الحضر إلى الاستشهاد بشهيدين من غير المسلمين. بخلاف حالة السفر حيث يضطر الإنسان إلى الإنتفاع من غير المسلم بشهادة أو غيرها. ويراد بغير المسلمين أهل الكتاب خاصة لأن كلامه تعالى لايشرف المشركين بكرامة فإن سافرتم ﴿فأصابتكم مصيبة الموت﴾ أشرفتم عليه فواجبكم تجاه الشاهدين ﴿تحبسونهما﴾ أي توقفونهما ﴿من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم﴾ أي شككتم فيما يظهره الوصي من أمر الوصية والمقسم عليه ﴿لانشتري به ثمناً قليلاً ولو كان ذا قربى﴾ أي لانشتري للوصي فيما يدعيه ثمناً قليلاً بتحريف الشهادة لغاية دنيوية من مال أو جاه أو عاطفة قرابة، وهو ثمن قليل ولو كان ذا قربى. ﴿ولانكتم شهادة الله﴾ فالواقع يشهده الله كما شهده الشاهدان، أو أن الشهادة حق مجعول على عباده يجب أن يقيموها على وجهها من غير تحريف أو كتمان ﴿إنا إذاً لمن الآثمين﴾ المستحقين للعقوبة. ١٠٧ ـ ﴿فإن عثر﴾ أي وجد وتحصل ﴿على أنهما استحقا إثماً﴾ بأن كذبا وخانا في شهادتهما ﴿فآخران يقومان مقامهما﴾ في اليمين على شهادتهما عليهما بالكذب ﴿من الذين استحق عليهم الأوليان﴾ أي أجرم وجنى عليهم الشاهدان الأوليان اللذان هما الأوليان الأقربان بالميت من جهة الوصية كما ذكر الرازي. وحاصل المعنى أنه إذا عثر على أن الشاهدين أجرما على أولياء الميت بالخيانة يقوم شاهدان آخران من أولياء الميت الذين أجرم عليهم الشاهدان الأوليان ﴿فيقسمان بالله﴾ وهما الشاهدان الآخران من أولياء الميت ﴿لشهادتنا﴾ بأمر الوصية ﴿أحق من شهادتهما﴾ أي من شهادة الشاهدين الأولين بما يدعيان من أمر الوصية ﴿وماعتدينا﴾ عليهما بالشهادة على خلاف ماشهدا عليه ﴿إنا إذاً لمن الظالمين﴾ في شهادتنا عليهما بالكذب والخيانة. ١٠٨ ـ ﴿ذلك أدنى﴾ أقرب ﴿أن يأتوا بالشهادة على وجهها﴾ فهو أحوط طريق يتم به حيازة الواقع في المقام ﴿أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم﴾ فيتغير الأمر على الشاهدين في شهادتهما بردها بعد قبولها. فالإنسان ينصرف عن التعدي إما لمانع يمنعه من خارج بسياسة أو بعقوبة أو فضيحة، وإما لرادع يردعه من نفسه. ﴿واتقوا الله واسمعوا﴾ فالاعتقاد بالله هو أقوى رادع فله مرجع العباد وحساب أعمالهم، وإن كان الواقع لايكشف إلا بشهادة من أشهدهما الميت من الشاهدين، فأقرب مايكون من الصدق أن يؤخذ في ذلك بأيمانهما بالله وهو اليمين، وأن يرد اليمين إلى الورثة الأولياء مع يمينهما على تقدير انكشاف خيانتهما وكذبهما عند الورثة ﴿والله لايهدي القوم الفاسقين﴾ الذين يشقون الإطار التكليفي الذي وضعه الله لحمايتهم. ١٠٩ ـ ﴿يوم يجمع الله الرسل﴾ للشهادة ﴿فيقول ماذا أجبتم﴾ أي كيف كانت إجابة الناس لكم ﴿قالوا لاعلم لنا﴾ ليس نفياً لمطلق العلم بل لحق العلم الذي لايخلو عن التعلق بالغيب ﴿إنك أنت علام الغيوب﴾ فالعلم إنما ينكشف لعالمه من الواقع على قدر مايتعلق بأمور أسبابه ومتعلقاته، والواقع في العين مرتبط بجميع أجزاء الخارج مما يتقدم عليه، ومما يصاحبه زماناً. فالعلم بحقيقة معنى العلم لايحصل إلا بالإحاطة بجميع أجزاء الوجود ثم بصانعه المتعالي من أن يحيط به شيء. وهذا أمر وراء الطاقة الإنسانية: فقول

الرسل لاعلم لنا، رعاية لأدب الحضور وإظهار لحقيقة الأمر. وكيف لا وهم شهداء على الناس، وقد آتاهم الله العلم والله تعالى يقول: ﴿ولنسألن المرسلين﴾ ١١٠ ـ ﴿إذ قال الله ياعيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك﴾ وهذه النعمة كرامة لك ولها كالولادة من غير أب ﴿إذ أيدتك بروح القدس﴾ مما جعلك ﴿تكلم الناس في المهد وكهلاً﴾ وهذا التأييد ليس الوحي لأن الوحي يشاركه به بقية الأنبياء. ﴿وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل﴾ بتلقٍّ واحد عن أمر إلهي واحد من غير تدرج وتعدد، ويؤكد جمع الجميع التصدير بإذ وكذلك ﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني﴾ وقوله بإذني إنما هو لعظمة أمر الخلق بإفاضة الحياة ﴿وتبرىء الأكمه والأبرص بإذني﴾ وهذا يدل على تقارب زمنها مع زمن خلق الطير ﴿وإذ تخرج الموتى بإذني﴾ كناية عن إحيائها ﴿وإذا كففت بني إسرائيل عنك﴾ بدفع الشر الذي قصدوك به ﴿إذ جئتهم بالبينات﴾ الدالة على صدق رسالتك ﴿فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين﴾ فقد مكروا ومكر الله والله خير الماكرين. ١١١ ـ ﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين﴾ وحواري الإنسان خاصته وهم الذين قالوا لك: ﴿نحن أنصار الله﴾ عندما قلت لهم: ﴿من أنصاري إلى الله﴾ فقد نصروك بوحي مني لهم ﴿أن آمنوا بي وبرسولي﴾ فالدعوة إنما سيقت لأخذ الميثاق على نصرة دين الله، لاعلى أصل الإيمان بالله. فالدعوة لأخذ الميثاق منهم، وقد أخذ لأنهم ﴿قالوا آمنا﴾ وهذا الإيمان هو غير الإيمان الأول ـ لأنه لما أحس عيسى منهم الكفر قال: ﴿من أنصاري إلى الله﴾ ـ وهذا ماتم في أواخر أيام دعوته ﴿واسهد بأننا مسلمون﴾ لأمر الله بإقامة دعوته وتحمل الأذى في جنبه، وكل ذلك بعد أصل الإيمان بالله طبعاً.

١١٢ ـ ﴿إذ قال الحواريون ياعيسى بن مريم هل يستطيع ربك﴾ لابمعنى الاستطاعة والقدرة فهذا سؤال لايسأله الحواريون وهم أصحاب المسيح وتلامذته وأخصاؤه، والإيمان بأدنى مراتبه ينبه الإنسان إلى أن الله سبحانه على كل شيء قدير. فالاستطاعة هنا كناية عن اقتضاء المصلحة، ووقوع الإذن ﴿أن ينزل علينا مائدة﴾ وهي الخوان أو الطبق الذي عليه الطعام من: مادني أي أطعمني ﴿من السماء﴾ ولم يكن هذا السؤال إساءة في الأدب ولانشكيكاً في القدرة ولاهزءاً بالنبي عيسى عليه السلام. ولاأن ذلك وعيد لمن يكفر منهم بعد نزول هذه الآية الباهرة، وإنما لأن الآيات المعجزة تكون مؤيدة للأنبياء والرسل في دعوتهم لإتمام الحجة على الكفار ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيي عن بينة، أو لأن هذه الآيات قد أتت لاقتراح الكفار كناقة صالح، ويلحق بها المخوفات كآيات موسى على قوم فرعون من الجراد والقمل والضفادع، وكطوفان نوح، وصرصر عاد، أو لأنها آيات أراها الله المؤمنين لحاجة مستهم كنزول المن والسلوى على بني إسرائيل. أما سؤال الحواريين عن آية وقد شاهدوا الكثير من آياته فهذا يعود إلى أنهم اقترحوا آية اختاروها لأنفسهم بعد هاتيك الآيات على كثرتها من قبيل اقتراح الآية بعد الآية وقد ركبوا أمراً عظيماً فلذلك ﴿قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾ ولذلك بعينه وجهوا

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي ۖ قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

ماافترحوا عليه وفسروا قولهم بما يكسر سورة ماأوهمه إطلاق كلامهم ١١٣ ـ ﴿قالوا نريد أن نأكل منها﴾ فقد ذكروا إرادة الأكل ومنه كانت الخطيئة ولم يقولوا فتطمئن قلوبنا بل ﴿وتطمئن قلوبنا﴾ وهذا يدل على عدم قطع منابت التهوس والمجازفة في أنفسهم. على أن طلب اطمئنان القلب أمر جميل ضموه إلى غرضهم الآخر وهو الأكل وكذلك الآية بعد مشاهدة الآيات فأجابهم عيسى عليه السلام إلى مسألتهم بعد الإصرار ﴿ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين﴾ وهذا غرض آخر يتفرع على طلب المائدة. ١١٤ ـ ﴿قال عيسى بن مريم اللهم ربنا﴾ بعد أن قالوا له هل يستطيع ربك ليوافق النداء الدعاء، واستخدام اسم الربوبية لدقة المورد ولهول المطلع ثم ذكر بغيته وهي ﴿أنزل علينا مائدة من السماء﴾ ثم ذكر عنواناً لهذه المائدة والغرض منها وهو أن ﴿تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك﴾ مع أن الحواريين لم يسألوا العيد، ولكنه عليه السلام وضع سؤاله في قالب حسن ليخرج عن كونه سؤالاً للآية مع وجود آيات إلهية كبرى بين أيديهم. كأن الآية من الفائدة المترتبة على الغرض الأصلي ﴿وارزقنا وأنت خير الرازقين﴾ وهي فائدة أخرى عدها مترتبة على ماسأله من العيد من غير أن تكون مقصودة بذاتها. بينما كان مطلب الحواريين وهو الأكل مقصوداً لذاته. ١١٥ ـ ﴿قال الله إني منزلها عليكم﴾ الإنزال بالتخفيف يدل على النزول الدفعي، بينما التنزيل يدل على التدريج، وهو وعد منه أن ينزلها وقد نزلت ﴿فمن يكفر بعد منكم﴾ وهذا ليس رداً على دعاء عيسى عليه السلام وإنما استجابة له. وهذه الاستجابة رحمة مطلقة منه لهم يتنعم بها آخرهم وأولهم، وأما من يكفر ﴿فإني أعذبه عذاباً لاأعذبه أحداً من العالمين﴾ لأنهم طلبوا الاختصاص بآية خاصة. فلذلك خص الله من يكفر منهم بعذاب لايشاركه فيه غيره مقابل ماشرفهم به من العالمين من جميع الأمم. ١١٦ ـ ﴿وإذ قال الله﴾ يوم القيامة مشافهة منه لرسوله ﴿ياعيسى بن مريم﴾ وذلك يوم ينفع الصادقين صدقهم ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين﴾ للدلالة على حجتهم في الألوهية، وهي ولادته عليه السلام منها دون أب ﴿من دون الله﴾ أي غير الله وهذا دليل على الشرك دون نفي لألوهيته سبحانه، أي قالوا إن لله شريكين دون أن يكون قولهم إنهما إلهان بمعنى التسمية، فاتخاذ الإله غير القول بالألوهية إلا من باب الإلتزام. واتخاذ الإله يصدق بالعبادة والخضوع العبادي كقوله تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾. فقد اعتقدوا أن لمريم سلطة غيبية، وأنها يمكن أن تنفع أو تضر في الدنيا والآخرة بنفسها أو بواسطة ابنها. ﴿قال سبحانك﴾ تنزيهاً له تعالى عما لايليق بساحة جلاله وعظمته، ثم نفى ماسئل عن انتسابه إليه فقال: ﴿مايكون لي أن أقول ماليس لي بحق﴾ أي ليس في ملكي أن أقول ذلك. فقد نفى سبب إمكان وقوع القول مبالغة في التنزيه، ولم يقل لم أقل ذلك. ﴿إن كنت قلته فقد علمته﴾ نفي آخر للقول المستفهم عنه، لانفياً لنفسه بنفسه بل بنفي لازمه، لأن الله يعلم به وهو الذي لايخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. ﴿تعلم مافي نفسي ولاأعلم مافي نفسك﴾ تنزيهاً لعلمه تعالى عن مخالطة

الجهل إياه، وهذا وإن كان ثناءً ولكنه غير مقصود لأن المقام ليس مقام ثناء بل مقام التبري مما نسب إليه ﴿إنك أنت علام الغيوب﴾ لرفع التوهم بأن علمه تعالى مقصور بين عيسى وبين ربه، إذ أن لله تعالى العلم التام بجميع الغيوب ومنها ماعنده من أشياء، والعلم الذي أحاط به غيره تعالى هو مما ملكه الله بمشيئته من غير أن يخرج بذلك من ملكه.

١١٧ ـ ﴿ماقلت لهم إلا مأمرتني به﴾ بعد نفي السبب ينفي الدخول في هذا المقام ببيان وظيفته التي لايتعداها وهي دعوتهم ﴿أن اعبدوا الله ربي وربكم﴾ وهذا مأمره به ربه لئلا تبقى أدنى شائبة من الوهم بأنه أكثر من عبد رسول يدعو الناس إلى عبادة ربهم الله لاشريك له. ﴿وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم﴾ ذكر لوظيفته الثانية وهي الشهادة على أعمال أمته وقد أديت هاتين الوظيفتين وأنا براء مما نسب إلي أكثر من ذلك. ﴿فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم﴾ والحافظ لأعمالهم ﴿وأنت على كل شيء شهيد﴾ فشهادته على أمته حصة يسيرة من الشهادة العامة المطلقة لله فالشهادة كسائر التدبيرات الإلهية تخص الله وحده، وهو على كل شيء وكيل كالرزق والإحياء والإقامة والحفظ والدعوة والهداية وغيرها. وعيسى عليه السلام بريء مما نسب إليه ولاعهدة عليه فيما فعلوه.

١١٨ ـ ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك﴾ فهو عليه السلام غير مسؤول عما قالوا به من كفر كما أنه بمعزل عن الحكم ﴿وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز﴾ لك من الجد والقدرة ماليس لغيرك، ولاسيما وأنك ﴿الحكيم﴾ فلا تقدم على أمر إلا إذا كان مما ينبغي أن يقدم عليه فللعزيز أن يغفر الظلم العظيم.

١١٩ ـ ﴿قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾ تقرير لصدق عيسى بن مريم. وأن صدق الصادقين في الدنيا، يستوجب النفع في الآخرة، فالآخرة دار حساب وجزاء كما أن الدنيا دار عمل وتكليف ﴿لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً﴾ فلهم جزاء صدقهم الجنات الموعودة ﴿رضي الله عنهم﴾ بما قدموا إليه من الصدق وقد علق رضاه بهم أنفسهم لتمثل العبودية في أنفسهم فهم لايرون أنفسهم ولايرون شيئاً لغيره تعالى. ولازم ذلك طهارة النفس عن الكفر بمراتبه، وعن الفسق وعند ذلك يعلم العبد أن ماآتاه الله من فضل نعمه، ومامنعه منعه عن حكمة. ﴿ورضوا عنه﴾ مما آتاهم من الثواب، لأن لهم مايشاؤون وإذا وجد الإنسان كل مايشاء لم يكن له إلا الرضى ﴿ذلك الفوز العظيم﴾ فهذا غاية السعادة الإنسانية بما هو عبد.

١٢٠ ـ ﴿لله ملك السماوات والأرض ومافيهن﴾ فله سلطة خاصة على رقبة الأشياء وأثر هذا الملك أي السلطة هو نفوذ الإرادة فيما يقدر عليه المالك من التصرف فيها. فالمُلك بالضم سلطة خاصة على النظام الموجود بين الأشياء. وأثره نفوذ الإرادة فيما يقدر عليه وبعبارة ساذجة الملك بالكسر متعلق بالفرد والملك بالضم متعلق بالجماعة وملكه تعالى مطلق غير مقيد ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ فله الملك بالكسر والملك بالضم وفي هذا حث للعباد على الالتزام والوفاء بالعهود والمواثيق المأخوذة عليهم من جانب ربهم، وهم مملوكون له فليس لهم إلا السمع والطاعة والوفاء بالمواثيق دون نقض.

سورة الأنعام

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: إثبات التوحيد، إقامة الحجة على المشركين في التوحيد والمعاد والنبوة، بيان بعض الوظائف الشرعية، بيان بعض المحرمات الدينية.

١ ـ ﴿الحمد لله﴾ افتتاح لما يراد بيانه من التوحيد من نظام الكون العام، ونظام الإنسان بحسب وجوده، ونظام العمل الإنساني، بالثناء على الله. ﴿الذي خلق السماوات والأرض﴾ فما عالمنا الأرضي إلا جزء يحيط به عالم السماوات وكل ذلك في تكامل وتقلب ﴿وجعل﴾ بمعنى خلق، ولكن الخلق مأخوذ من خلق الثوب كأن التركيب مؤلف من أجزاء شتى ولذا قال إنه جعل ﴿الظلمات والنور﴾ وأتى بالظلمات بالجمع لأن الظلمة متحققة بالقياس إلى النور، فإنها عدم النور فيما من شأنه أن يتنور. فتتكثر الظلمات بحسب مراتب القرب والبعد عن النور ﴿ثم﴾ للتراخي الدال على التعجب ﴿الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ فكيف يعدلون به أصناماً ويجعلون له أنداداً وهو المتوحد بالألوهية والمتفرد بالربوبية، لايماثله شيء ولايشاركه شيء؟

٢ ـ ﴿وهو الذي خلقكم من طين﴾ إشارة لخلق العالم الإنساني الصغير بعد خلق العالم الكبير. فالإنسان محدود الوجود بين الطين الذي خلق منه وبين موته ﴿ثم قضى أجلاً﴾ فكل نفس ذائقة الموت عاجلاً أو آجلاً إلى يوم تقوم الساعة وهذا الأجل مجهول للإنسان لاسبيل لمعرفته بالعلوم العادية ﴿وأجل مسمى عنده﴾ وهو المدة المضروبة فمن كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت والأجل هو آخر الحياة. فطلوع الشمس وحده بالنسبة إلى الإضاءة بمنزلة لوح المحو والإثبات وطلوعها مع حلول وقته وعدم أي حائل مفروض بينها وبين الأرض بالنسبة إلى الإضاءة بمنزلة أم الكتاب المسمى باللوح المحفوظ. فالتركيب الخاص لبنية الإنسان يقتضي أن يكون له عمر طبيعي وهو الذي ربما قدروه بمائة وعشرين سنة وهذا هو المكتوب في لوح المحو والإثبات. ولكن لجميع أجزاء الكون ارتباطاً في الوجود الإنساني، وهذا مايؤدي إلى حلول الأجل الذي يسمى الموت الاختراعي. وهناك وجوه أخرى سقيمة لايسوغ الاشتغال بها الوقت على ضيقه. ولايسمح بإباحتها العمر على قصره ﴿ثم أنتم تمترون﴾ تعجب ولوم لشككم وريبتكم. ٣ ـ ﴿وهو الله في السماوات وفي الأرض﴾ فله انبساط حكم الألوهية متفرداً بها. ومع ذلك زعموا آلهة أخرى وشفعاء مختلفة لوجوه التدبير المختلفة كإله الحياة وإله الرزق وإله البر وغير ذلك، وهو تعالى ﴿يعلم سركم﴾ ماسترتم ﴿وجهركم﴾ أي ماأبديتم من أعمال ﴿ويعلم ماتكسبون﴾ في أنفسكم فالأعمال الخارجية تتعلق بالحال الروحي المعنوي

سورة الأنعام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴿١﴾ هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون ﴿٢﴾ وهو الله في السماوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ماتكسبون ﴿٣﴾ وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين ﴿٤﴾ فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنبؤا ما كانوا به يستهزءون ﴿٥﴾ ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين ﴿٦﴾ ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين ﴿٧﴾ وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون ﴿٨﴾

القائم بالنفوس فقد تتشابه الأعمال الخارجية وتختلف صورها النفسية؛ فتدبر. ٤ ـ ﴿وماتأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين﴾ فقد رسخت سجية الاستكبار في نفوسهم؛ فالآيات لاتصنع الإيمان في القلوب الجاحدة لأنها لاتقبل الهداية وأما الذين يتبعون الحق فيزدادون هدىً. ٥ ـ ﴿فقد كذبوا بالحق لما جاءهم﴾ وهذا هو الأصل المقصود. ﴿فسوف يأتيهم أنباء ماكانوا به يستهزئون﴾ تخويف وإنذار فإن الذي يستهزئون به حق وسيظهر من حد النبأ إلى حد العيان، وعندها ساء صباح المنذرين. ٦ ـ ﴿ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرنٍ﴾ والقرن هو القوم المقترنون في زمن واحد ﴿مكناهم في الأرض﴾ وقد خلقناهم من طين وأعطيناهم من المكانة فيها ﴿مالم نمكن لكم﴾ مع استهزائهم لأننا نمد للظالمين مداً ﴿وأرسلنا السماء عليهم مدراراً وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم﴾ فالنعم تستجر الذي لايؤمن بآيات الله إلى اقتراف الآثام ﴿فأهلكناهم بذنوبهم﴾ فللسيئات والذنوب دخل في البلايا والمحن العامة. ﴿وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين﴾ فالسنة الإلهية في التمكين في الأرض جارية. فإن آمنوا واتقوا فتح الله عليهم بركاتٍ من السماء والأرض وإن كذبوا أخذهم أخذ عزيزٍ مقتدرٍ وما هم بمعجزين لله. وإن يشأ ﴿يستبدل بكم قوماً غيركم ثم لايكونوا أمثالكم﴾.

٧ ـ ﴿ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس﴾ فناله حسهم بالبصر والسمع ﴿فلمسوه بأيديهم﴾ وأيد حس بعضهم بحس بعض ﴿لقال الذين كفروا﴾ عتواً واستكباراً ﴿إن هذا إلا سحر مبين﴾ فرفضهم الحق بجعلهم يختلقون الأعذار لرفضهم، لأنه لو كان سحراً لسحرهم به. ٨ ـ ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك﴾ تحضيض للتعجيز وقد أخبرهم صلى الله عليه وآله وسلم أن الذي جاء به ملك ﴿ولو أنزلنا ملكاً﴾ يحمل العذاب كما طلبوا وفي ذلك انقلاب الغيب إلى الشهادة، ولامرمى بعده، استعقب ذلك إن لم يؤمنوا، ولن يؤمنوا لما استحكم فيهم من الاستكبار، القضاء بينهم بالقسط ﴿لقضي الأمر ثم لاينظرون﴾ فلا محيص عن إهلاكهم دون إنظار وإمهال. ويمكن أن يكون مرادهم بإنزال الملك ليكون آية لا عذاباً والجواب أنه لو نزل لم يؤمنوا لاستكبارهم ولقضي الأمر وهم لا يريدون ذلك. أو يمكن أن يكون مرادهم أن يحمل الملك أعباء الرسالة دون أن يشارك الناس في حياتهم العادية. ٩ ـ ﴿ولو جعلناه ملكاً﴾ وفيه انقلاب الغيب إلى الشهادة ﴿لجعلناه رجلاً﴾ وفي ذلك ستر لما هو واقع ﴿وللبسنا عليهم مايلبسون﴾ وفي هذا إلباس وستر للحق وهذا مايفعلونه. فهم يلبسون على أنفسهم بتخيل الحق باطلاً والباطل حقاً. وأنفسهم تلهمهم فجورها وتؤيدها الشهوة والغضب. ويلبس علماء السوء الحق بالباطل لجهلة مقلديهم، أو لضعف أتباعهم. ففرعون يقول: ﴿أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي﴾. ويقول: ﴿أم أنا خير من هذا الذي هو مهين﴾. ويقول: ﴿ماأريكم إلا ماأرى وماأهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ ولو تعمقنا بأحوالنا وأنصفنا، لعثرنا على عادات سوء نقضي بمساءتها ولانتركها لرسوخها وليس ذلك إلا من الضلال على علم. ولبس الحق بالباطل على النفس، والتلهي باللذة الخيالية. ومحصل مامر أن الدار

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

دار اختيار، وأن ليس للإنسان إلا ماسعى، وأن سعيه سوف يرى. فمن كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب. فإنزال الملك رسولاً لغو سواء أكان بصورة رجل بقلب ماهيته إلى الماهية الإنسانية أم بتمثيله إنساناً، وإلباس الله عليهم مايلبسون إضلال إلهي لهم لايليق بساحة قدسه؛ ومع ذلك فهذا مما لايرفع احتجاجهم. ١٠ ـ ﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق﴾ أي حل وأصاب ﴿بالذين سخروا منهم﴾ بالذين سخروا بمن قبلك أي حل بهم ﴿ماكانوا به يستهزئون﴾ فقد كانوا يستهزئون بالعذاب المنذر وقد حل بهم. ١١ ـ ﴿قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ فاعتبروا واتعظوا وقد أهلكوا فصاروا أحاديث. ١٢ ـ ﴿قل﴾ يامحمد ﴿لمن مافي السماوات والأرض﴾ شروع في البرهنة على المعاد فلله التصرف المطلق، وهو ربهم ورب مايعبدون من أرباب من دون الله. ﴿قل لله﴾ وسؤال الخصم ومباشرة السائل للجواب من السلائق البديعة في سرد الحجج ﴿كتب﴾ أي أثبت قضاء حتماً ﴿على نفسه الرحمة﴾ وهي إفاضة النعمة على مستحقها، وإيصال الشيء إلى سعادته التي تليق به، ولازم ذلك أن يجمعهم ليوم الحساب ﴿ليجمعنكم إلى يوم القيامة لاريب فيه﴾ تأكيد للمعنى بأبلغ التأكيد ﴿الذين خسروا أنفسهم فهم لايؤمنون﴾ لأنهم اشتروا الضلالة بالهدى، فهم قد خسروا أنفسهم وهي رأس مالهم فضلاً عن الربح الذي فاتهم. ١٣ ـ ﴿وله ماسكن﴾ أي ماوقع ﴿في الليل والنهار﴾ في ظرف هذا العالم وكل ملابساته، وله النظام الجاري فيها على عجيب سعته ﴿وهو السميع﴾ للأقوال ﴿العليم﴾ بالأعمال والأفعال وماكسبت النفوس، فمع أن السمع والعلم عين ذاته فإن منها مايتوقف ثبوته على تحقق متعلق غير الذات المقدسة. ١٤ ـ ﴿قل أغير الله أتخذ ولياً﴾ واتخاذهم الآلهة إما بسبب الحاجة إلى مايلزم الإنسان في حياته من غذاء وطعام ولباس وزواج وعشيرة وغير ذلك وقوة الإنسان لاتفي بالغرض، فخضعوا إلى السبب المربوط بحاجتهم واتخذوه إلهاً وعبدوه، وإما لعجز الإنسان عن مجابهة المكاره والشر كالسيل والزلزلة والقحط والوباء، فاتخذوا هذه المكاره آلهة خوفاً من سخطها وعذابها وعبدوها ليستميلوها.﴿فاطر السماوات والأرض﴾ من طي العدم فقوله أغير الله أتخذ ولياً قلب حجتهم بعينها عليهم فهي تعد أصل الحجة حقاً ولازمها أن يعبد الله وحده مع نفي كل شريك عنه. ﴿وهو يُطعِم﴾ فهو مصدر النعم، وعبادته شكر يزيد النعم ويدفع النقم ﴿ولا يُطعَم﴾ فهو غير محتاج وليس كسائر آلهتهم ﴿قل إني أمرت﴾ عن طريق الوحي ﴿أن أكون أول من أسلم﴾ من بينكم أو بحسب الرتبة وبما أن نتيجة الحجة هي العبودية وهي الخضوع والتسليم جيء بلفظ أسلم الدال على غرض العبادة ﴿ولاتكونن من المشركين﴾ دون تخطي طريق التوحيد إلى الشرك. ١٥ ـ ﴿قل إني أخاف إن عصيت ربي﴾ وقد نهاني عن الشرك ﴿عذاب يوم عظيم﴾ فيجب الأمن من عذاب الله وهو وحده المؤثر ولامؤثر غيره. وفيه نقض دعوى المشركين باتخاذهم الآلهة دفعاً لسخطها وأمناً من نزول عذابها.

١٦ ـ ﴿من يصرف عنه يومئذٍ فقد رحمه﴾ فعذابه مشرف على الجميع، محيط بالكل لامخلص منه إلا برحمته فيجب التوحيد لأمن عذاب الآخرة. والحجة على جميع الناس لاخاصة به ﴿وذلك الفوز المبين﴾ فمن نالته رحمة الله فزحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز فوزاً عظيماً.

١٧ ـ ﴿وإن يمسسك﴾ المس للتحقير لما يصيب ﴿الله بضر﴾ مما هو غير عذاب يوم القيامة ﴿فلاكاشف له إلا هو﴾ فيجب أن تتوجه إليه في كشفه ﴿وإن يمسسك بخير﴾ فلاراد لفضله، ولامانع يمنع إفاضته لقدرته، والخير يوجب على الإنسان أن يتخذه سبحانه إلهاً معبوداً دون شفعاء ولاوسطاء ﴿فهو على كل شيء قدير﴾ فقدرته تقضي ألا يقوى شيء على دفع مايمس به عباده من خير.

١٨ ـ ﴿وهو القاهر﴾ والقهر نوع من الغلبة، يخالف ما للمغلوب من أثر كالماء يظهر على النار، وإذا كان تعالى قد أظهر الأسباب الكونية لتكون وسائط في حدوث الحوادث، فهي مقهورة له وهو تعالى قاهر ﴿فوق عباده﴾ لاكقهر النار الحطب بل بالتفوق والإحاطة فهو الغالب فوق كل ذي عقل ﴿وهو الحكيم﴾ فلا يفعل جزافاً وجهلاً وهو ﴿الخبير﴾ لايخطىء ولا يغلط كغيره.

١٩ ـ ﴿قل أي شيء أكبر شهادة﴾ والشهادة تحمل الخبر عن نوع من العيان كالإبصار ونحوه، وأداء ماتحمل بالإخبار والإنباء ﴿قل الله شهيد بيني وبينكم﴾ فلا تعرض له غفلة ولاسنة ولانوم ولايعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات والأرض، وقد أمره الله سبحانه أن يخبرهم بشهادته تعالى بنبوته ﴿وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به﴾ دفعاً للضرر الذي يصيبكم من عدم الإيمان به فالإنذار لكم ﴿ومن بلغ﴾ أي تبلغ الدعوة عن غير طريق المشافهة سواء في حياته صلى الله عليه وآله وسلم أو بعد وفاته إلى يوم القيامة، فالقرآن حجة على من سمع لفظه وعرف معناه واهتدى إلى مقاصده أو فسر له. ﴿أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى﴾ وقد دعاكم إلى دين التوحيد، وليس لأحد بعده تعالى شهادة، فأمر نبيه أن يسألكم سؤال منكر متعجب. هل تشهدون بتعدد الآلهة بعد شهادة الله؟ ﴿قل لاأشهد﴾ بما شهدتم ﴿قل إنما هو إله واحد﴾ لاشريك له في ألوهيته ﴿وإنني بريء مما تشركون﴾ إن الشرك لظلم عظيم. ٢٠ ـ ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ وهذه شهادة من الله عليهم فهم ﴿يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ وهو النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل وأما ﴿الذين خسروا أنفسهم فهم لايؤمنون﴾ فعلماؤهم الذين يكتمون ماعندهم من بشاراته ونبوته ويستنكفون عن الإيمان به هم الخاسرون. ٢١ ـ ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ والظلم من أشنع الذنوب. وكل ذنب مذموم بمقدار مافيه من الظلم وهو الإنحراف والخروج عن الوسط العدل، والظلم يكبر ويصغر من جهة من صدر عنه الظلم، وكذلك من جهة من وقع عليه الظلم، فلا أظلم ممن ظلم الساحة المنزهة الإلهية ـ وهو بذلك لايظلم إلا نفسه ـ وافترى الكذب أو أثبت الشريك له تعالى، أو ادعى النبوة، أو نسب حكماً إليه تعالى، ﴿أو كذب بآياته﴾ كتكذيب النبي الصادق، أو إنكار الدين ﴿إنه لايفلح الظالمون﴾ ولايفوزون ولايظفرون ولايسعدون ولايدركون بغيتهم. والفلح هو الشق، وفلاح الدنيا هو الظفر بسعادتها ويتم ذلك بالبقاء والغنى والعز. وهي قوام سعادة الآخرة. والعقائد طرق مسلوكة تنيل البغية إذا عدل بها. وتعقب الخسارة إذا عدل عنها، والظالم ربما استعمل قدرته الكاذبة للحصول على بغية غير مشروعة فيخالف بذلك الاعتقاد الحق بتوحيد الله سبحانه، أو يتعدى على أموال الناس أو نفوسهم، أو يعصي الله في عبادته، أو يقترف شيئاً من الذنوب المتعلقة بذلك كالكذب والفرية والخدعة، وهو يزعم أنه ظفر بمطلوبه، مع أنه يكون بذلك قد خسر في مسعاه وصفقته في الدنيا والآخرة. وهذا الطريق في الدنيا يخل بنظام المجتمع ولن يدوم له ظلمه. وأما في الآخرة فظلمه مكتوب في صحيفة أعماله. ٢٢ ـ ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم نحشرهم جميعاً﴾ فالعلم والقدرة والإحاطة لاتتخلف عن أحد منهم ﴿ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون﴾ ولكنهم سيضلون عنهم ويفقدونهم فينكرون شركهم ويقسمون بالله كذباً. ٢٣ ـ ﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾ أي جوابهم على افتتانهم بالأوثان أو معذرتهم بها ﴿إلا أن قالوا﴾ وأقسموا ﴿والله ربنا ماكنا مشركين﴾ وهو قسم كاذب على أنفسهم. ٢٤ ـ ﴿انظر كيف كذبوا على أنفسهم﴾ فسيكذبون

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾

على أنفسهم يوم القيامة ويفقدون ماافتروا به ﴿وضل عنهم ماكانوا يفترون﴾ فالأمر والملك والقوة لله، وليس لغيره من شيء إلا ذلة العبودية، والفقر والحاجة فضلالهم هو ظهور حقيقة شركائهم الفاقدة لوصف الشركة والشفاعة. ٢٥ ـ ﴿ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ أي أغطية ﴿أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً﴾ الوقر ثقل السمع ﴿وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها﴾ فاستكبارهم قد أعمى أعينهم عن الحق. ﴿حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ وهي جمع أسطورة وهي صفوف الكذب وسبب جدالهم وعنادهم هو كفرهم. ٢٦ ـ ﴿وهم ينهون عنه﴾ أي عن اتباعه ﴿وينأون عنه﴾ فيبتعدون عنه ظانين أن ذلك إهلاك له ﴿وإن يهلكون إلا أنفسهم ومايشعرون﴾ فهم الهالكون ويأبى الله إلا أن يتم نوره. ٢٧ ـ ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار﴾ بيان لعاقبة جحودهم وإصرارهم على الكفر ﴿فقالوا ياليتنا نرد ولانكذب بآيات ربنا﴾ تمنٍ لسلوك المؤمنين بقولهم ﴿ونكون من المؤمنين﴾ لينجوا من عذاب النار وهذا القول منهم ـ نظير إنكارهم الشرك بالله وحلفهم به كذباً ـ إنما هو من باب ظهور ملكاتهم النفسية يوم القيامة فإنهم قد اعتادوا تمني مالاسبيل إلى الفوز به، وخاصة إذا كان فوته مستنداً إلى سوء اختيارهم وقصور تدبيرهم. ٢٨ ـ ﴿بل بدا لهم﴾ جحيم النار وهذا ﴿ماكانوا يخفون من قبل﴾ في الدنيا ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾ تذكير لبنود ما رسم في نفوسهم من الملكات الرذيلة في نشأة الدنيا. فقد تمنوا ليتخلصوا من العذاب ولينعموا بما أنعم الله به على المؤمنين، ولكن لو عادوا إلى الدنيا لزمهم حكم النشأة، ورجعوا إلى اختيارهم، ومعه هوى النفس ووسوسة الشيطان، والاستكبار، وقد أسدلت عليهم حجب الغيب. ﴿وإنهم لكاذبون﴾ في تمنيهم، فقد قالوا ياليتنا نرد ولانكذب ولم يقولوا نعود ولانكذب. فقولهم تمنٍ يحتمل الصدق والكذب، أو أنهم كذبوا بهذا الأمل لأنه غير متحقق. ٢٩ ـ ﴿وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا﴾ حكاية لإنكارهم ﴿ومانحن بمبعوثين﴾ بعد الممات ولازم ذلك إطلاق النفس واتباع الهوى. ٣٠ ـ ﴿ولو ترى﴾ فهم سيصدقون ماجحدوه ﴿إذ وقفوا على ربهم﴾ يوم البعث الذي أنكروه ﴿قال أليس هذا﴾ هو البعث ﴿بالحق﴾ وقد أنكرتموه ﴿قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ وقد كنتم تسترون الحق. ٣١ ـ ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله﴾ فقد حرموا نعمة الإيقان بالآخرة ورجاء لقاء الله بإنكار البعث؛ ومايتبعه من أليم العذاب. ﴿حتى إذا جاءتهم الساعة بغتةً﴾ فجأة ﴿قالوا ياحسرتنا﴾ ياغمنا وندمنا على مافات، ﴿على مافرطنا فيها﴾ وقد انحسر عنهم الجهل الذي حملهم على ماارتكبوه ﴿وهم يحملون أوزارهم﴾ أثقالهم ﴿على ظهورهم ألا ساء مايزرون﴾ فما أسوأ مايحملون من الذنب أو من وبال الذنب. ٣٢ ـ ﴿وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو﴾ فهي تدور مدار سلسلة من العقائد الاعتبارية، والمقاصد الوهمية، كما يدور عليه اللعب وهو كل عمل لايطلب ثمره وهي لهو تشغل الإنسان عن السعادة الحقيقية وهي الآخرة، ﴿وللدار الآخرة خير للذين يتقون﴾ مقايسة مع الدنيا ﴿أفلا تعقلون﴾ أن الدار

بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

الآخرة لكونها حقيقة ثابتة هي خير، ولاينالها إلا المتقون فهي خير لهم. ٣٣ ـ ﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذين يقولون﴾ تطيب لنفس النبي ﴿فإنهم لايكذبونك﴾ إذا قرئت بالتخفيف فهي تعني أنهم لايظهرون عليك بإثبات كذبك فيما تدعو إليه، وإذا قرئت بالتشديد فهي تعني أن تكذيبهم لايعود عليك لأنك لاتدعو إلا إلينا، وليس لك فيما تدعو إلا الرسالة. ﴿ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ فهم يظلمون آياتنا ويجحدونها عن ظلم منهم. وقوله تعالى إنهم يجحدون بآيات الله دلالة على أن في قولهم معارضة لمقام الألوهية واستعلاء عليه. ٣٤ ـ ﴿ولقد كذبت رسل من قبلك﴾ كما كذبت ﴿فصبروا على ماكذبوا وأوذوا﴾ وصبرهم هذا هو سبيل الصبر في ذات الله فبهداهم اقتده ﴿حتى أتاهم نصرنا﴾ ونصر الله غاية حسنة لصبرهم مع إشارة لوعد إلهي بالنصر ﴿ولامبدل لكلمات الله﴾ التي تخرج عن لوح المحو والإثبات، فلا يغير الله مشيئة فيها، ولاأحد يستطيع أن يبدل ماأحكم فيها بأي وجه من الوجوه. ﴿ولقد جاءك من نبأ المرسلين﴾ وهو مصداق ماذكر. ٣٥ ـ ﴿وإن كان كبر عليك إعراضهم﴾ ورغبت أن تتخذ وسيلة تزيل هذا الإعراض ولاينبغي أن يشق عليك ذلك فالدنيا دار اختيار ﴿فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض﴾ وهو الطريق النافذ ومنه النفاق وهو الدخول في الشرع من باب والخروج عنه من باب آخر ﴿أو سلماً في السماء﴾ يرجى به السلامة، أو مايتوصل به إلى شيء رفيع السبب ﴿فتأتيهم بآية﴾ تضطرهم إلى الإيمان، وهذا إبطال لمجرى الاختيار، والقرآن هو أكبر آية لمن شاء أن يهتدي ﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى﴾ دون آية، ولكن ذلك يبطل اختيارهم. ﴿فلا تكونن من الجاهلين﴾ فالإفاضة الإلهية تنال من اتقى الله وزكى نفسه، وقد أفلح من زكاها، كما أن الضلال يصيب من أعرض عن ذكر ربه ودسّى نفسه وقد خاب من دساها. ٣٦ ـ ﴿إنما يستجيب الذين يسمعون﴾ فهناك صنفان من الناس. الصنف الأول من هؤلاء الناس أحياء يسمعون وهم الذين يستجيبون، والصنف الآخر منهم أموات لايسمعون وإن كانوا ظاهراً في صور الأحياء ﴿والموتى يبعثهم الله﴾ في الآخرة فيتوقف سمعهم على بعثهم وعندها يسمعون مالم يكونوا يستطيعون سمعه في الدنيا ﴿ثم إليه يرجعون﴾ فيفهمون الحق في الآخرة. ٣٧ ـ ﴿وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه﴾ حملهم التعصب لآلهتهم أن ينقطعوا عن الله سبحانه كأنه ليس بربهم. وأن يعجزوا أمره بطلب آية أو معجزة والقرآن خير آية وقد دعاهم لذلك أمران: الأول وثنيتهم القائلة بتعدد الآلهة وأن كل إله مستقل بأمر. والله رب الأرباب فلا يسعه أن يبطل مادبرت الآلهة، ويحضهم على ذلك قول اليهود ﴿يد الله مغلولة﴾ ﴿قل إن الله قادر على أن ينزل آية﴾ فلله كمال القدرة ولايعجزه شيء. والثاني أن الآيات النازلة على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم تكن بطلب من الناس فلا تستتبع محذوراً للناس المدعوين، ﴿ولكن أكثرهم لايعلمون﴾ أن الألوهية المطلقة تنفي أي إله فله سبحانه كل كمال. وجهلهم بمقام الألوهية وطلبهم المعجزة لايوافق مصلحتهم لأن الآية يتلوها العذاب ﴿قل لو أن عندي ماتستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين﴾ .٣٨ ـ ﴿ومامن دابة في الأرض﴾ وهي

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ ۖ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾

كل حيوان يدب على الأرض ﴿ولاطائر يطير بجناحيه﴾ في الهواء ﴿إلا أمم أمثالكم﴾ والأمة هي الجماعة من الناس يجمعهم مقصد واحد. والحيوانات أمم لها مقاصد وغايات، وتشترك في مقاصد خاصة من الحياة كالرزق والسفاد فأطوار حياتها تدل أن لها كالإنسان عقائد وآراء فردية واجتماعية تبني عليها حركاتها ﴿مافرطنا في الكتاب من شيء﴾ فالكتاب تام كامل، سواء كان المراد به اللوح المحفوظ أم القرآن الكريم الذي فيه تبيان كل شيء ﴿ثم إلى ربهم يحشرون﴾ والحشر هو جمع الناس بإزعاج. ولكن لايلزم من شمول الأخذ والانتقام يوم القيامة لسائر الحيوانات أن تساوي الإنسان في الشعور والإرادة، ولكن يكون مرجع الجميع إلى إنعام المحسن والانتقام من الظالم، والإحسان والظلم موجودان في الحيوانات، والحشر يدور مدار ذلك.

٣٩ ـ ﴿والذين كذبوا بآياتنا صم﴾ وهم الجهلاء المقلدون ﴿و بكم﴾ وهم العلماء المتبوعون الذين يبكمون عن الحق. ﴿في الظلمات﴾ فهم محرومون نعمة السمع والتكلم والبصر لكونهم في ظلمات لايستقبلون داعي الحق بقبول حسن ﴿من يشأ الله يضلله﴾ بعد أن كذب بآيات الله ومايضل به إلا الفاسقين ﴿ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم﴾ بأن يعطيه سمعاً وبصراً فيجيب داعي الله ورسوله إذا دعاه لما يحييه.

٤٠ ـ ﴿قل أرأيتكم﴾ بمعنى أخبروني وهو لتجديد الاحتجاج على المشركين. ﴿إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة﴾ وعندها سوف تلجؤون إلى دعاء من يستطيع كشف العذاب والبلاء ﴿أغير الله تدعون﴾ من أصنامكم وأوثانكم التي سميتموها آلهة؟ أم إياه تدعون؟ ﴿إن كنتم صادقين﴾ فهو القادر على نفعكم فلا معبود سواه.

٤١ ـ ﴿بل إياه تدعون﴾ لأن انشغالكم بالبلية يشغلكم عن كل شيء إلا أنفسكم، فتلجؤون إلى الله ﴿فيكشف ماتدعون إليه إن شاء﴾ فله سبحانه أن يكشف كل شديدة حتى الساعة التي لاريب فيها، كما أن له ألا يجيب مع أنه قال: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ فوعد الاستجابة لايصرف عنه القدرة على عدم الاستجابة. فعند الشدة تدعون الله ﴿وتنسون ماتشركون﴾ لأنه لاينفعكم.

٤٢ ـ ﴿ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك﴾ وهذه سنة الله فيهم، فقد أرسل الله إليهم الرسل يدعونهم إلى التوحيد والإخلاص لله، ثم ابتلوا بأنواع الشدة والمحن ﴿فأخذناهم بالبأساء﴾ من البؤس وهو الشدة والمكروه ﴿والضراء﴾ وهي سوء الحال فيما يرجع إلى النفس كغم وجهل ومرض أو غير ذلك، بمقدار مايلجئهم إلى الاستكانة ﴿لعلهم يتضرعون﴾ يتذللون لله سبحانه بحسن اختيارهم، فتلين قلوبهم عن التزيينات الشيطانية والإخلاد إلى الأسباب الظاهرية؛ فالإصابة بالبأساء والضراء نفعٌ للأمم لأنها بعثٌ على العودة إلى الله.

٤٣ ـ ﴿فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا﴾ أي فلم يتضرعوا ﴿ولكن قست قلوبهم﴾ فأبت نفوسهم أن تتأثر وهي لاهية عن ذكر الله منشغلة بالأعمال الشيطانية ﴿وزين لهم الشيطان ماكانوا يعملون﴾ فزادوا تيهاً بأنفسهم.

٤٤ ـ ﴿فلما نسوا ماذكروا به﴾ من ضرورة الإنابة إلى الله والتضرع إليه ﴿فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾ من نعم الدنيا التي يتنافس الناس للتمتع بها وافرة من غير تقتير أو منع، ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا﴾ واغتروا واستقلوا بأنفسهم من دون الله ﴿أخذناهم بغتة﴾ فجأة ﴿فإذا هم مبلسون﴾ يائسون، فالإبلاس هو الحزن المعترض من شدة اليأس. والمبلس من سكت وانقطعت حجته.

٤٥ ـ ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا﴾ فاستوعبهم الهلاك فلم يبق منهم عيناً ولاأثراً، فلاترى لهم من باقية بسبب ظلمهم. ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ تعالى بربوبيته فله الثناء الجميل لأنه لم يأت في تدبير أمرهم إلا بما تقتضيه الحكمة البالغة، ولم يسعهم في سبيل ماانتهوا إليه إلا مارتضوه بسوء اختيارهم. ٤٦ ـ ﴿قل أرأيتم﴾ أخبروني ﴿إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم﴾ بإصابتكم بالصمم والعمى ﴿وختم على قلوبكم﴾ بإغلاق بابها إغلاقاً لايدخلها معه شيء حتى تتفكر في أمرها، وتميز النافع من الضار، مع حفظ أصل الخاصية وهو صلاحية التعقل. ﴿من إله غير الله يأتيكم به﴾ وهل تقدر آلهتكم على إيتاء نفع أو كشف ضر؟ فما معنى ألوهيتها؟ وهل الإله إلا من يوجد ويعدم ويتصرف؟ وهل تسميتها آلهة إلا لغو من القول؟ ﴿انظر كيف نصرف الآيات﴾ فالأسباب الكونية ليست إلا أدوات. والله يصرف الآيات ويحولها إلى نحو أفهامهم ﴿ثم هم يصدفون﴾ يعرضون لكي لايستقبلوا هذه الآيات عتواً واستكباراً. ٤٧ ـ ﴿قل أرأيتكم﴾ أي أخبروني ﴿إن أتاكم عذاب الله بغتة﴾ أي فجأة فلايظهر على من أتاه إلا بعد غشيانه، فلا يترك له مجالاً للحذر ﴿أو جهرة﴾ بظهور تام لايقبل الإرتياب والشك ﴿هل يهلك إلا القوم الظالمون﴾ حجة على الظالمين ليحذروا من خطر عذاب من الله لايتخطاهم ولايغلط في إصابتهم بإصابة من سواهم، فالعذاب هو إصابة المجرم بما يسوءه ويدمره جزاء إجرامه. ولا إجرام إلا مع الظلم. والظلم يستتبعه الهلاك. ٤٨ ـ ﴿ومانرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين﴾ من العذاب لمن ظلم ﴿فمن آمن﴾ عقيدة ﴿وأصلح﴾ عملاً ﴿فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون﴾ من شر متوقع أو واقع. ٤٩ ـ ﴿والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون﴾ ويخرجون عن طور العبودية. فلينظروا في أمر أنفسهم من أي طورٍ هم؟ ٥٠ ـ ﴿قل لاأقول لكم﴾ ولاأدعي أنه ﴿عندي خزائن الله﴾ أي خزائن الألوهية والتدبير ورحمة الله فائضة الوجود على الأشياء من وجودها وآثار وجودها والمراد بخزائن الله: المقام الذي يعطي بالصدور عنه ماأريد من شيء دون أن ينفد أو ينقص أو يتأثر، فالرسول لايملك هذا المقام أي هذه الخزائن ولايقدر على إغناء أي فقير، أو إرضاء أي طالب وإجابة اي سؤال ﴿ولاأعلم الغيب﴾ دون وحي ﴿ولاأقول لكم إني ملك﴾ فأنا غير منزه عن حوائج الحياة المادية من أكل وشرب ونكاح ﴿إن أتبع إلا مايوحى إلي﴾ فأنا مأمور بتبليغه وليس إلا اتباع ذلك. ﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير﴾ فإن ساويتكم في البشرية والعجز، فإن هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة، فأنا وأنتم كالبصير والأعمى فالأعمى يجب أن يتبع البصير ﴿أفلا تتفكرون﴾ في أن التساوي في الإنسانية لايستلزم التساوي في الحكم. ٥١ ـ ﴿وأنذر به الذين يخافون﴾ خوفاً متزايداً حتى يصل إلى اليقين ﴿أن يحشروا إلى ربهم﴾ فالإنذار لمن سمع ووعى لالمن أعرض واستغنى لأنهم أقرب من الحق وإيمانهم أرجى، فالإنذار للناس عامة ولاسيما للذين يخافون ربهم ﴿ليس لهم من دونه ولي ولاشفيع﴾ نفي مطلق لولاية وشفاعة غير الله من

فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم
مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ
ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ
بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا
نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ
عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ
إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ
أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟
إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ
﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ
وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ
عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾

وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

الأوثان ﴿لعلهم يتقون﴾ صفات جلاله كالقهر والبطش. ٥٢ ـ ﴿ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ دعاء أو صلاة. نهي عن إجابة المشركين بطلبهم طرد المؤمنين ﴿يريدون وجهه﴾ والوجه هو أول مايستقبلك مما تتوجه إليه وهو أشرف شيء مبدؤه، فهم يريدون التوجه إلى الله بالأعمال الصالحة ﴿ماعليك من حسابهم من شيء﴾ فالحساب لتمحيص الأعمال وتوفية الجزاء وهو ﷺ غير مكلف أن يحاسبهم ﴿وما من حسابك عليهم من شيء﴾ ولاهم يحاسبونك بشيء حتى تطردهم عن نفسك أو أنك لاتتحمل ثقل عمل محاسبتهم أوليس عليك حساب رزقهم دون أعمالهم ﴿فتطردهم﴾ من عندك استعلاء أو كراهة مناقشتهم ﴿فتكون من الظالمين﴾ أي داخلاً في جماعتهم. ٥٣ ـ ﴿وكذلك فتنا﴾ امتحنا ﴿بعضهم ببعض ليقولوا﴾ استفهاماً ﴿أهؤلاء من الله عليهم من بيننا﴾ تهكماً واستهزاء بمن سخروا بموقعهم من المجتمع لاعتقادهم هوان أمر الدين وأنه دون أن يلتفت إليه من يعتنى بأمره من الشرفاء والأعزة. والجواب عن استهزائهم ﴿أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾ فقد قدمهم لشكرهم والمنعم ينعم على من يشكره، والنعمة هي الولاية الإلهية، فالتوحيد ونفي الشريك شكر. ٥٤ ـ ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم﴾ دعاء بالنجاة من كل سوء لمن تحييه ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ أي أوجبها على نفسه، فلا يستحيل أن ينفك فعله عن الرحمة ﴿أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة﴾ غشيته باتباع هوى في شهوة أو غضب ﴿ثم تاب من بعده﴾ عن المعاصي والسيئات توبة نصوحاً ﴿وأصلح﴾ تلبس بالصلاح، رجوعاً حقيقياً منه إلى الله سبحانه ولاذ بربه لواذ المتطهر، وليست التوبة توبة اللسان لاتتعداه إلى الجنان ﴿فأنه غفور رحيم﴾ يستر الذنب والرحمة ولاتظهر ولاتؤثر إلا مع التوبة والإصلاح بعد عمل السوء بجهالة. ٥٥ ـ ﴿وكذلك نفصل الآيات﴾ ونشرح المعارف الإلهية ونخلصها من الإبهام والإدماج ﴿ولتستبين سبيل المجرمين﴾ فيتجنبها الذين يؤمنون بآياتنا. وهي سبيل الجحود والعناد والإعراض عن الآيات وكفران النعمة. ٥٦ ـ ﴿قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله﴾ فلن أشرك بعبادة ربي أحداً ﴿قل لاأتبع أهواءكم﴾ لأن اتباع الهوى ينافي صفة الاهتداء في نفس الإنسان، ويمانع إشراق التوحيد على قلبه إشراقاً ثابتاً ينتفع به لأنني إن فعلت ﴿قد ضللت إذاً﴾ فاتباع الهوى ضلال ﴿وما أنا من المهتدين﴾ بعبادتهم. ٥٧ ـ ﴿قل إني على بينة﴾ دلالة واضحة ﴿من ربي﴾ فيبين لي الحق ويفصله عن الباطل وإن لم تقبلوا القرآن ﴿وكذبتم به﴾ أو بالبينة ﴿ماعندي ماتستعجلون به﴾ من الآيات وليس في اختياري ولامفوضاً أمره إلي فليس بيننا مانتوافق به ﴿إن الحكم إلا لله﴾ فليس لغير الله شيء من الحكم قط. ﴿يقص الحق﴾ ويفصله من الباطل ﴿وهو خير الفاصلين﴾ فهو يقضي بالحق ويحكم به. ٥٨ ـ ﴿قل لو أن عندي ماتستعجلون به﴾ من الآيات، وهي إن نزلت ﴿لقضي الأمر بيني وبينكم﴾ ونجا بذلك أحد المتخاصمين المختلفين وعذب الآخر وأهلك ﴿والله أعلم بالظالمين﴾ وهو أنتم فلا يشتبه عليه الأمر. والعذاب الإلهي لايعدو الظالمين

إلى غيرهم. ٥٩ ـ ﴿وعنده مفاتح﴾ خزائن ﴿الغيب لايعلمها إلا هو﴾ ويعلم كل دقيق وجليل، وهو قادر على التصرف كيف يشاء، وهو لايغلط في حكمه الفصل وفي تعذيب الظالمين لأنه أعلم بهم، فالأمور الواقعة في هذا الكون المسجونة في سجن الزمان موجودة قبل وقوعها وحدوثها عند الله. ولنسم هذا النوع من الغيب غير الخارج إلى عرصة الشهود بالغيب المطلق. كما أنه سبحانه يعلم الغيب النسبي ﴿ويعلم مافي البر والبحر﴾ فهو علم عنده وغيب عن غيره، ﴿وما تسقط من ورقة إلا يعلمها﴾ مع عجز الإنسان عن الإحاطة بها لكثرتها ﴿ولاحبّة في ظلمات الأرض﴾ في بطونها حيث ينمو ماينمو ويفسد مايفسد ﴿ولارطب ولايابس﴾ مهما كان شأنه ﴿إلا في كتاب مبين﴾ فيه تقدير الأشياء وتعيينها قبل وقوعها فعند الله ماوقع وماسيقع ومايتغير ولايخفى عنه شيء. ٦٠ ـ ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾ والتوفي أخذ الشيء بتمامه كأخذ الروح الحية، وقد عد النوم توفياً والموت توفياً لإنقطاع تصرف النفس في البدن. فالروح هي تمام حقيقة الإنسان وليست أحد جزئي الإنسان لإتمامه. ﴿ويعلم ماجرحتم﴾ ماأصابته جوارحكم وماكسبتم ﴿بالنهار ثم يبعثكم فيه﴾ أي في النهار من منامكم مقابلة مع بعث الروح في الجسد ﴿ليقضى أجل مسمى﴾ وهو الوقت المعلوم عند الله لايستأخره ولايستقدمه. وإنما جعل قضاء الأجل المسمى غاية لأنه تعالى اسرع الحاسبين. ولولا تحقق قضاء سابق لأخذهم بسيئات أعمالهم ووبال آثامهم. ﴿ثم إليه مرجعكم﴾ عند انقضاء أجلكم ﴿ثم ينبئكم بما كنتم تعملون﴾ وماكسبتم من سيئات وغيرها. ٦١ ـ ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ القهر نوع من الغلبة يبطل مالمغلوب من أثر كإبطال النار للخشب، وإذا كان تعالى قد أظهر الأسباب الكونية لتكون وسائط في حدوث الحوادث، فهي مقهورة له وهو محيط بها جميعاً ﴿ويرسل عليكم حفظة﴾ تحفظكم من كل بلية ومصيبة وآفة تقصدكم لأن النشأة التي تحيون فيها نشأة التفاعل والتزاحم بسبب التكامل في هذا العالم فلا يزيد شيء إلا وينقص بنسبته من غيره من الأشياء. والإنسان جزء من هذا العالم، وهو من ألطف التراكيب الموجودة فعليه حفظة يحفظونه من الهلاك. ﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت﴾ خلوا بينه وبين البلية فأهلكته ﴿توفته رسلنا﴾ من الملائكة المكلفين الموت الذين يفعلون مايؤمرون ﴿وهم لايفرطون﴾ لايتسامحون في إنفاذ الأمر الإلهي بالتوفي. ٦٢ ـ ﴿ثم ردوا إلى الله﴾ رجعوا إليه بالبعث بعد الموت وهو ﴿مولاهم الحق﴾ فله علة ماسبق من التصرفات كالإنامة والإيقاظ والتدبير والإماتة والبعث فله حق المولوية. فالمولى هو الذي يملك الرقبة فمن حقه التصرف فيها كما أن له حقيقة الملك، وهو المدبر وهو الحق في ذلك كله. ﴿ألا له الحكم﴾ بسبب اختصاصه بمفاتيح الغيب وعلمه بالكتاب المبين وتدبيره لأمر خلقه. ﴿وهو أسرع الحاسبين﴾ فهو لايؤخر حساب الأعمال عن الوقت الصالح له وإنما لكل أجل كتاب. ٦٣ ـ ﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر﴾ ويخلصكم من الشدائد والبلايا في الأسفار والبرد والمطر وقطاع

وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾

الطرق والطوفان، وأشق مايكون ذلك في ظلمات الليل والسحاب والعجاج ﴿تدعونه تضرعاً﴾ بإظهار الضراعة وهي الذل والخضوع علناً ﴿وخفيةً﴾ سراً ﴿لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين﴾ فالإنسان يعد ربه بالشكر والرجوع عن الكفر.

٦٤ ـ ﴿قل الله ينجيكم منها﴾ أي من شدائد ظلمات البر والبحر ﴿ومن كل كربٍ﴾ وهو الغم الشديد، والكربة كالغمة من: كَرَبَ الأرض أي قلبها بالحفر فعندما تنقطعون عن الأسباب الظاهرة تشاهدون بالرجوع إلى الله سبحانه أنه هو ربكم لارب سواه بدلالة أنكم تدعونه تضرعاً وخفية وهو ينجيكم ﴿ثم أنتم تشركون﴾ فتنقضون ميثاقكم الذي واثقتموه به وتعودون على سابق كفركم.

٦٥ ـ ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم﴾ والبعث ضربان بشري كبعث البعير وبعث الإنسان في حاجة، وإلهي وهو ضربان الأول إيجاد الأعيان والأجناس من عدم، وذلك مما خص الباري به نفسه ولم يقدر عليه أحد. والثاني إحياء الموتى وقد خص به بعض أوليائه فهو قادر أن ينهض ويقيم عليكم ﴿عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم﴾ لاستحقاقكم العذاب والله قادر على ذلك وفي العذاب اقتضاء أن ينبعث عليكم إن لم تجتمعوا على الإيمان بالله وآياته. وقد يكون المراد بالعذاب من فوقهم هو الصيحة والطوفان والريح وبالذي من تحت أرجلهم الخسف كما فعل بقارون. أو أن العذاب من فوقهم هو الآتي من كبارهم وسلاطينهم، وبما تحت أرجلهم، مايأتيهم من سفلتهم أو عبيدهم السوء وقيل مايأتي من فوق ومن تحت الأسلحة النارية القتالة من الطائرات والألغام والقنابل وهو قادر على ذلك. ﴿أو يلبسكم شيعاً﴾ ألبس عليه الأمر إذا خلطه ببعض، واللبس اختلاط الأمر واختلاط الكلام. والشيع الفرق. وكل فرقة شيعة، والتشيع الاتّباع على وجه التدين والولاء. ﴿ويذيق بعضكم بأس بعضٍ﴾ فهو قادر على أن يضرب البعض بالبعض حال كونهم شيعاً. وظاهره أنه أريد به التحزبات التي نشأت بعد النبي فأدى ذلك إلى حدوث مذاهب متنوعة ألبست لباس العصبية، واستتبعت حروباً يستبيح كل فريق من غيره كل حرمة، ويطرده بمزعمته من حرمة الدين وبيضة الإسلام. بدل أن يتوحدوا ويجتمعوا جميعاً تحت لواء التوحيد. ﴿انظر﴾ يامحمد ﴿كيف نصرف الآيات﴾ نظهرها ونبينها ﴿لعلهم يفقهون﴾ ضرورة التزامهم بأمره تعالى.

٦٦ ـ ﴿وكذب به قومك﴾ لقد كذب قومك بالعذاب ﴿وهو الحق﴾ يجب أن يجتمعوا تحت لوائه ﴿قل لست عليكم بوكيل﴾ أي أعرض عنهم وقل أمركم ليس إلي حتى أمنعكم من هذا التكذيب. وإنما أنذركم عذاباً شديداً كاماً لكم.

٦٧ ـ ﴿لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون﴾ تصريح بالتهديد وإنباء عن الوقوع الحتمي وكيفية أخذ الله الآخرين بما فعل الأولون، وهذا ما ابتليت به الأمة الإسلامية وماتبتلى به عبر العصور. فالناس أمة واحدة يصاب آخرهم بما اكتسبه أولهم، ويعود إلى أولهم مايظهر في آخرهم علموا ذلك أو جهلوا. أبصروا أو عموا فابتعاد الأولين عن الحق سبب ما حل من المجازر والعذاب بما تلاهم من الأمم. وهل إبادة المسلمين في الأندلس وغيرها إلا نتيجة لانغماسهم في الترف والملذات والانحراف عن منهج الله ومشاركة المشركين في أمورهم؟

٦٨ ـ ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا﴾ ويدخلون في باطل الحديث كالاستهزاء بالآيات وهو كالخوض في الماء والمرور فيه ﴿فأعرض عنهم﴾ ولاتشاركهم واخرج من بينهم ﴿حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ نهي لاعن مجالستهم مطلقاً بل عن مجالستهم مادامو يخوضون في آيات الله سبحانه. ﴿وإما ينسينك الشيطان﴾ فلو غفلت عن نهينا بما أنساكه الشيطان ﴿فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ فلا تتهاون في القيام عنهم. ومع أن الخطاب للنبي ﷺ وهو معصوم، فالمقصود غيره من الأمة على حد قولهم: إياك أعني واسمعي ياجارة.

٦٩ ـ ﴿وماعلى الذين يتقون﴾ ويجتنبون مالايرتضيه الله ﴿من حسابهم من شيء﴾ فلايحمل الإثم إلا الخائضون ولايتعداهم إلى غيرهم إلا إذا مائلوهم وشاركوهم في العمل أو رضوا بعملهم. لأن من شاركهم مجلسهم لايؤمن مشاركته في جزاء عملهم. والنهي عن القعود ليستمروا على اتقاء الخوض، أو ليتمَّ لهم التقوى والورع عن محارم الله سبحانه ﴿ولكن ذكرى لعلهم يتقون﴾ معصية الله أو يلازمون أصل التقوى. ٧٠ ـ ﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً﴾ اتركهم فتدينهم بما يدعوهم إليه هوى أنفسهم لعب ولهو. والدين الحق الذي تدعو إليه الفطرة يجب أن يتخذ جداً لالعباً ﴿وغرتهم الحياة الدنيا﴾ فالاسترسال في التمتع من لذائذ الحياة المادية يوجب الإعراض عن الجد في الدين الحق والهزء واللعب به. ﴿وذكر به﴾ أي بالقرآن ﴿أن تبسل نفس﴾ أن تمنع نفس ﴿بما كسبت﴾ من السيئات أو تسلَّم نفس مع ماكسبت للمؤاخذة والعقاب وتلك النفس ﴿ليس لها من دون الله ولي ولاشفيع﴾ فلا أحد ينقذها ولاأحد يشفع لها. ﴿وإن تعدل كل عدل﴾ فإذا قدمت كل فدية ﴿لايؤخذ منها﴾ ولاينقذها ولايفديها ﴿أولئك الذين أبسلوا﴾ منعوا ثواب الله أو أسلموا لعقابه ﴿بما كسبوا﴾ من الإثم لأن اليوم يوم جزاء بالأعمال لايوم بيع وشراء ﴿لهم شراب من حميم﴾ وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه ﴿وعذاب أليم بما كانوا يكفرون﴾ ولامانع يمنعهم من عقاب الله. ٧١ ـ ﴿قل أندعو من دون الله مالاينفعنا ولايضرنا﴾ احتجاج على المشركين باستفهام إنكاري. فاتخاذ الآلهة يكون إما رجاء خيرها أو تحسباً من شرها والذي لاينفع ولايضر لاموجب لعبادته ﴿ونرد على أعقابنا﴾ فنعود إلى الضلال بأن نسير إلى الخلف ﴿بعد إذ هدانا الله﴾ فالرد بعد الهداية الإلهية ضلال. ﴿كالذي استهوته الشياطين في الأرض﴾ يدعونه إلى الضلال ﴿حيران﴾ لأنه لايملك عقيدة راسخة ﴿له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا﴾ فلايدري مايفعل وهو بين مهبط ومستوٍ ﴿قل إن هدى الله هو الهدى﴾ لأن دعوة الله هي التي تلائم الفطرة. وهي الهدى التي يجب أن يؤخذ به دون الدعوة الشيطانية ﴿وأمرنا لنسلم لرب العالمين﴾ فالأمر بالإسلام هو مصداق لهدى الله. والمراد بالإسلام تسليم كافةالأمور له لامجرد التشهد بالشهادتين. فوحدة الإله تقتضي وحدة الدين وهذا الدين هو الإسلام وهو التسليم لله في الاعتقاد والعمل. فالدين نظام إلهي يشمل مايلزم للبشر في سعادتهم. ٧٢ ـ ﴿وأن أقيموا الصلاة واتقوه﴾ وهذا مايقتضيه الإسلام وقد صرح بالصلاة تعظيماً لأمرها ﴿وهو الذي إليه تحشرون﴾ فمن الواجب الإسلام له وتقواه لأن الرجوع إليه والحساب والجزاء بيده. ٧٣ ـ ﴿وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق﴾ فبيده الخلقة جميعاً وقد أتى فعله بالحق لابالباطل. والفعل إن لم يكن باطلاً فله غاية وهي الرجوع إلى الله سبحانه ﴿ويوم يقول﴾ ليوم الحشر ﴿كن فيكون﴾ فتتجسد إرادته كوناً ﴿قوله الحق﴾ فقوله هو الحق نفسه ﴿وله الملك يوم ينفخ في الصور﴾ يوم القيامة، يوم تنقطع الأسباب والروابط ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ وهو اسم يتقوم بمعناه

وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

الحساب والجزاء ﴿وهو الحكيم الخبير﴾ فهو بعلمه الغيب والشهادة يعلم ظاهر الأشياء وباطنها، وبحكمته يتقن تدبير الخليقة ويميز الواجب من الجزاء، وبخبرته لايفوت عنه دقيق لدقته ولاجليل لجلالته. ٧٤ ـ ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه﴾ يا ﴿آزر﴾ وقد رووا أن آزر هو اسم علم لأبيه أو هو لقب للمدح أو الذم بمعنى المعتضد أو الأعرج أو المعوج، حسب ماورد في التوراة أن ابراهيم عليه السلام هو ابن تارخ أو تارح. ولكن هل الأب هو الوالد أو العم أو الجد الأمي أو الكبير المطاع؟ إن استعمال كلمة أب بدل والد في القرآن فيما يتعلق بابراهيم وأبيه يدل أن آزر ليس والده. وهذا يدل على أن آباء الرسول عليه السلام موحدون ﴿أتتخذ أصناماً آلهة﴾ والأصنام هي جثث متخذة من فضة أو نحاس أو خشب كانوا يعبدونها متقربين إلى الله بها أو بغيرها من الآلهة غير المحسوسة وقد نكرت لهوانها وحقارتها. ﴿إني أراك وقومك في ضلال مبين﴾ لأن الإله هو من أمره خطرٌ عظيمٌ وهل هناك ضلال أكبر من عبادةٍ وتذللٍ عبودي من صانع فيه آثار العلم والقدرة لمصنوعه الفاقد العلم والقدرة؟.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَ�ٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

٧٥ ـ ﴿وكذلك﴾ أي كما مر ﴿نري ابراهيم ملكوت السماوات والأرض﴾ والملكوت هو الملك بما للكلمة من معنى السلطة، فالله هو الحاكم المسلط المتصرف في كل ملك يزول، وسبحانه لايزول، فالملكوت هو وجود الأشياء من جهة انتسابها إلى الله سبحانه وقيامها به. فالربوبية التي هي الملك والتدبير لاتقبل تفويضاً ولاتمليكاً انتقالياً. وهذا توجيه لنفس ابراهيم إلى مشاهدة الأشياء من جهة استناد وجودها إليه تعالى ﴿وليكون من الموقنين﴾ واليقين هو العلم الذي لايشوبه شك والعلم اليقيني هو انكشاف ماوراء ستر الحس من حقائق الكون.

٧٦ ـ ﴿فلما جن عليه الليل﴾ أي ستر عليه الليل بإسدال الظلام، لابغروب الشمس ﴿رأى كوكباً﴾ من الكواكب. وقومه هم الصابئون الذين كانوا يعبدون الكواكب السيارة فقط. والذي يؤيده الاعتبار أنه كوكب الزهرة وهو من الكواكب السبعة السيارة التي لم يكن قد اكتشف غيرها وقتئذٍ. ﴿قال هذا ربي﴾ والرب هو مالك المربوبين والمدبر لأمرهم لاالذي فطر السماوات والأرض، فالله سبحانه ليس بجسم ولا جسماني ولايحويه مكان ولاتقع عليه إشارة وإبراهيم كان على بينة من ربه وقوله: ﴿هذا ربي﴾ جارٍ مجرى التسليم والمجاراة بعدَّ نفسه كأحدهم ثم بيان مايظهر فساد رأيهم؛ وهذا أصلح لسماع الحجة. ﴿فلما أفل﴾ أي غرب ﴿قال لاأحب الآفلين﴾ فالأفول فيه إبطال لربوبية الكوكب وقد أبطل ربوبيته بعروض الأفول له. فالمربوبية والعبودية متقومة بالحب ومن لايحب شيئاً لايعبده والصادق عليه السلام يقول: هل الدين إلا الحب.

٧٧ ـ ﴿فلما رأى القمر بازغاً﴾ أي طالعاً ﴿قال هذا ربي﴾ على سبيل الافتراض والمماشاة والتسليم ﴿فلما أفل﴾ غرب ﴿قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين﴾ إبطال لربوبية الكوكب بما يعم كل غارب، فاتخاذ أي كوكب رباً هو من قبيل الضلال.

٧٨ ـ ﴿فلما رأى الشمس بازغةً﴾ مسوق للإفتراض أو التسليم ﴿قال هذا ربي﴾ وأضاف ﴿هذا أكبر﴾ اعتذاراً للعود إلى فرض الربوبية للشمس مع تبين خطأ افتراضه مرة بعد مرة ﴿فلما أفلت﴾ غابت ﴿قال ياقوم إني بريء مما تشركون﴾ فكل الجسمانيات تأفل وتموت، وعبادتها من دون الله شرك وهو بريء منه.

٧٩ ـ ﴿إني وجهت وجهي﴾ وأقبلت على العبادة ﴿للذي فطر﴾ خلق ﴿السماوات والأرض﴾ توجه تام إلى التوحيد في الربوبية، وهو الذي فطر السماوات والأرض بلا منازع، أي أقبلت بوجهي على من ينتهي إليه إيجاد كل شيء وإبداعه. وهو الذي يثبته ويثبتونه فوق الجميع ﴿حنيفاً﴾ مائلاً عن الضلال إلى الاستقامة، بعكس الجنف وسمت العرب كل من حج أو اختتن حنيفاً أي أنه على دين ابراهيم ﴿وما أنا من المشركين﴾ وقد نفيت أن يكون لله شريك. فالدين الحق هو الذي بنيت معارفه وشرائعه على خلقة الإنسان، ونوع وجوده الذي لايقبل التبدل والتغير، وهو الطريق التي توصل إلى الكمال والسعادة الحقيقية.

٨٠ ـ ﴿وحاجه قومه﴾ بوجوب عبادة آلهتهم ﴿قال أتحاجوني في الله﴾ فاتخاذ الآلهة يعود إلى الخوف من سخطها وقهرها، أو رجاء البركة والسعادة ﴿وقد هدان﴾ فإني واقع في أمر مفروغ منه ومهتدٍ بهداية ربي حيث آتاني العلم، وألهمني حجة أنفي بها ربوبية غيره، فأنا في غنى عن الإصغاء لحججكم والبحث عن الربوبية. فالبحث ينفع الطالب؛ ولاطلب بعد الوصول إلى الغاية. وهذا استدلال بنفس الهداية لاستغناء بالهداية عن الاستدلال، فهدايته تعالى دليل على أنه رب ولارب غيره ﴿ولا أخاف ماتشركون به﴾ فلن يمسني شركاؤكم بشيء، ولاأخاف ماتشركون لأنها مخلوقات لاتملك نفعاً ولاضراً. وإذا لم أخفها سقطت حجتكم وارتفعت شبهتكم. وماكان لي أن أخافها ﴿إلا أن يشاء ربي شيئاً﴾ وهذا دليل آخر على ربوبيته، وآية أُخرى من آيات توحيده، يوجب إخلاص العبادة له لادليل على ربوبية شركائكم وحجة توجب عبادتها ﴿وسع ربي كل شيء علماً﴾ فهو يعلم كل مايحدث ويجري من خير وشر في مملكته التي أوجدها لغايات صحيحة متقنة. وكيف يمكن أن يعلم في ملكه بشيء ينفع أو يضر فيسكت ولايستقبله بالإذن أو المنع؟ ﴿أفلا تتذكرون﴾ استفهام توبيخي وإشارة إلى أن الحجة فطرية تدرك بالعقول وتثبت بطلان الشرك.

٨١ ـ ﴿وكيف أخاف ماأشركتم﴾ وهو مما لايخاف منه ﴿ولاتخافون أنكم أشركتم بالله﴾ وهو الذي يجب أن يخاف منه وقد أثبتم له شركاء في الربوبية ﴿مالم ينزل به عليكم سلطاناً﴾ ولم ينزل الله عليكم برهاناً فلا دليل على ماادعيتم ﴿فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون﴾ ولم يقل أنا وأنتم أحق بالأمن ليكون ذلك أبعد من تحريك الحمية وتهييج العصبية. والحجة واضحة عليهم فهو الآمن بينهم لأن اتخاذهم الشركاء ليس في محله.

٨٢ ـ ﴿الذين آمنوا﴾ بداية لمباشرة الجواب بنفسه عن السؤال السابق ﴿ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ لم يستروه بشرك، فالظلم لايبطل أصل الإيمان وإنما يغطيه ويفسد أثره، ولايدعه يؤثر أثره الصحيح. والظلم هو الخروج عن وسط العدل، والظلم درجات في رأسها الشرك. فإذا أقر الإنسان بأن كافة المخلوقات مربوبة مدبرة وأن الحياة الإنسانية تسعد بالإيمان بالله والخضوع له فقد تخلص من ظلم الشرك ﴿أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ وبعده من آمن بالله وحده فإنه يواجه من الظلم الكبائر من المعاصي كعقوق الوالدين وأكل مال اليتيم، وقتل النفس المحترمة، وشرب الخمر، ﴿إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً﴾ وفساد أثر هذا الإيمان هو الشقاء بعذاب هذه المعاصي عذاباً غير خالد بل منقطع، إما بحلول أجله أو بشفاعة، ومادون ذلك أدنى.

٨٣ ـ ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه﴾ حجة قاطعة جارية على صراط الفطرة مأخوذة بمقدماتها منها، ﴿نرفع درجات من نشاء﴾ فيرتقي في مراتب الكمال من المعنويات كالعلم والإيمان والكرامة والجاه من مراتب الكمال المكتسبة، أو غير المكتسبة كالرسالة والنبوة والرزق ﴿إن ربك﴾ يامحمد ﴿حكيم﴾ فكل ذلك بحكمته ﴿عليم﴾ وبعلمه أحاط بكل شيء.

٨٤ ـ ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب﴾ امتناناً من الله على نبيه وبياناً للنعم الجسيمة التي تعقب التوحيد الفطري والاهتداء بالهداية الإلهية التي تحفظ الفطرة من الضياع بالأهواء الشيطانية ﴿كلاً هدينا﴾ حيث تعلقت الهداية بكل واحد منهما استقلالاً. ﴿ونوحاً هدينا من قبل﴾ فسلسلة الهداية غير منقطعة ولامبتدئة بإبراهيم ﴿ومن ذريته﴾ أي من ذرية نوح وهبنا ﴿داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون﴾ وقد آتاهم الله الملك والإمارة والحكم والسيادة مع النبوة والرسالة. ﴿وكذلك نجزي المحسنين﴾ بالهداية الإلهية على هذا المثال.

٨٥ ـ ﴿وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس﴾ وقد امتازوا بالزهد والإعراض عن الدنيا ﴿كل من الصالحين﴾ وفي ذكر عيسى بين المذكورين من ذرية نوح عليه السلام، وهو إنما يتصل من جهة أمه مريم دلالة واضحة على أن القرآن الكريم يعتبر أولاد البنات وذريتهن أولاداً وذرية حقيقية.

٨٦ ـ ﴿وإسماعيل﴾ ابن ابراهيم وهو أخو اسحق عليه السلام ﴿واليسع﴾ أحد أنبياء بني إسرائيل ﴿ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين﴾ والعالم هو الجماعة من الناس كعالم العرب وعالم العجم. فهم مقدمون على عوالم زمانهم بالهداية الإلهية التي نالتهم بلا واسطة بشرية، أما غيرهم فرحمة الهداية تشملهم بواسطتهم، أو أنهم مفضلون بسبب اهتدائهم بالهداية الفطرية الإلهية من غير واسطة وهذه نعمة يتقدم بها من تلبس بها على من لم يتلبس.

٨٧ ـ ﴿ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم﴾ اتصال لسلسلة الهداية الإلهية بينهم ﴿واجتبيناهم﴾ بتخصيصهم بفيض إلهي يتحصل منه أنواع من النعم بلا سعي من العبد. والاجتباء من الجمع فيكون المعنى أن الله جمعهم بهداية واحدة

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ كُلًّا هَدَيْنَا ۖ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾

توردهم صراطاً واحداً مستقيماً لااختلاف فيه أصلاً. لابحسب الأحوال والأزمان ولا الأجزاء ولا الأشخاص ولا المقصد. والله تعالى يقول: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً﴾ فالدين الحنيف هو الدين الإلهي القيم على المجتمع الإنساني، وهو الذي تهدي إليه الفطرة، وتميل إليه الخلقة لأنه يحمل لها سعادة الاعتقاد والعمل، فطرة الله التي فطر الناس عليها، فلا تبديل فيها بحسب الأحوال والأزمان ولابحسب الأشخاص ولابحسب المقصد والغاية لأنه التوحيد الذي تؤول إليه المعارف الدينية والأحكام الشرعية والأخلاق الفاضلة ﴿وهديناهم إلى صراطٍ مستقيمٍ﴾ لايضل سالكه.

٨٨ ـ ﴿ذلك هدى الله﴾ فهو هدى حق ﴿يهدي به من يشاء من عباده﴾ وقد هدى به أنبياءه فتلبسوا صراطاً مستقيماً ﴿ولو أشركوا﴾ بالإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض، أو بالتفريق بين أحكام الله وشرائعه بالأخذ ببعض الأحكام وردّ البعض، أو تغيير الأحكام والشرائع والقوانين التي سنها الله ﴿لحبط عنهم ماكانوا يعملون﴾ لبطل أثر أعمالهم وانحدروا في مهابط الضلال ومزالق الأهواء بعيداً عن هدى الله سبحانه. فالذين نالوا عطية الهداية الإلهية نالوها بخالص عقيدتهم في التوحيد.

٨٩ ـ ﴿أولئك﴾ دلالة على علو شأنهم ورفعة مقامهم ﴿الذين آتيناهم﴾ آتينا جمعهم ذلك ﴿الكتاب﴾ وهو الشرائع والأحكام للحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴿والحكم﴾ وهو إلقاء النسبة التصديقية بين أجزاء الكلام، ويحمل معنى القضاء في المنازعات والدعاوى ﴿والنبوة﴾ وهي التحقق بأنباء الغيب بعناية إلهية خاصة، وهي الأنباء المتعلقة بما وراء الحس كوحدانيته تعالى، والملائكة واليوم الآخر، ﴿فإن يكفر بها﴾ أي بالهداية أو بالكتاب والحكم والنبوة وهو أقرب ﴿هؤلاء﴾ الكافرون بالدعوة من قوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿فقد وكلنا بها قوماً﴾ من عبادنا ﴿ليسوا بها بكافرين﴾ وقد اختلف المفسرون في تشخيص القوم فقالوا هم الأنبياء المذكورون أو هم الملائكة وهو بعيد، أو هم المؤمنون، ولكنَّ فيهم منافقين، أو هم الأنصار أو المهاجرون أو جمعهما أو أصحاب النبي ولكن فيهم من ارتد. ومهما يكن يستفاد من الآية أن لله عباداً في كل زمان ومكان موكلين بالهداية الإلهية والطريقة المستقيمة التي يتضمنها ماآتاه أنبياءه من الكتاب والحكم والنبوة، يحفظ الله بهم دينه من الزوال وهدايته عن الانقراض، ولاسبيل للشرك إلى أنفسهم لاعتصامهم بعصمة إلهية، وهم أهل العصمة من الأنبياء وأوصيائهم.

٩٠ ـ ﴿أولئك الذين هدى الله﴾ فالهدى الإلهي لايختلف عن شأنه وأثره، وهو الوصول إلى المطلوب ﴿فبهداهم﴾ لا بهم ﴿اقتده﴾ أمر للنبي باتباع هداهم لأن شريعته ناسخة لشرائعهم ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً﴾ لتطييب نفوسهم، ويكون ذلك أبعد عن التهمة وأنجح للدعوة ﴿إن هو إلا ذكرى للعالمين﴾ والذكرى أبلغ من الذكر وهذا دليل على نبوته ﷺ لجميع العالمين.

٩١ ـ ﴿وماقدروا الله حق قدره﴾ قدر الشيء كميته، وتقدير الشيء لاينفك عن وصفه بأوصافه المبينة لحاله المستتبعة لعرفانه، والله تعالى منزه عن أي حس ووهم وعقل، وإنما يعرف بما دلت عليه آياته وأفعاله، فما عظموا الله حق تعظيمه بما يليق بساحته وعظيم آياته ﴿إذ قالوا ماأنزل الله على بشر من شيء﴾ فإنكار الوحي حط لمنزلة الربوبية واجتراء منهم على لوازم سلطان الألوهية؛ ومنها هداية الناس، ومخالفة لأصل معتقدهم وقد فضلوا رجس الشرك على طهارة التوحيد. ﴿قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى﴾ احتجاج على اليهود المخاطبين وقد يكون على المشركين أيضاً بوجود كتاب سماوي بين أيديهم ﴿نوراً وهدىً للناس﴾ واحتجاج آخر عليهم بوجود معارف وأحكام إلهية لايمكن أن تترشح من الإنسان الإجتماعي الذي ينحط لمستوى أهوائه. ﴿تجعلونه قراطيس﴾ بالكتابة فيها ﴿تبدونها﴾ حيث تظهرون منها ماينسجم مع أهوائكم ﴿وتخفون كثيراً﴾ حيث تحرفون الكلم عن مواضعه، وتبدلون كلمات الله بما يتماشى مع مصالحكم ومادياتكم كإخفاء حكم الرجم في الزنا ﴿وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولاآباؤكم﴾ وهو مما لاسبيل إلى تعلمه بالوسائل المادية، وهو ليس علوم المادة التي يمكن التوصل إليها بالعقل والحس. وهذه العلوم هي ماأوحى الله سبحانه إلى أنبيائه من المعارف الإلهية والأحكام والشرائع، وهذا الخطاب موجه لليهود فقط الذين عاندوا الحق واستكبروا وقالوا ماأنزل الله على بشر من شيء عناداً وابتغاء للفتنة؛ والحجة عليهم بأنه قد أنزلت التوراة عليهم وهذا ينقض قولهم. وكذلك فإن أقصى ماتدعو إليه الحكومات الفردية هو أن يتمهد الأمر لبقاء سلطتها واستقامة الأمر لها، وغاية ماتدعو إليه الحكومات الاجتماعية الديمقراطية وماشابهها هو أن ينظم أمر المجتمع حسب أهواء أكثرية الأفراد سواء أكانت هذه الأهواء فضائل أم رذائل مما وافق السعادة الحقيقية العقلية أو خالفها. فالعقل الاجتماعي والشعور المادي الحاكم لايمكن أن يوصل الإنسان إلى المعارف الإلهية والفضائل المعنوية ولا أن يقضي على استعباد الإنسان للإنسان. وأين الإخلاد إلى الأرض من الترفع عن المادة والماديات؟ ولذلك أمر تعالى نبيه بالرد على دعواهم الباطلة ﴿قل الله﴾ هو الذي علمكم

وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۚ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۚ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۗ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّع بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

﴿ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾ لأن أي قول خلاف الحق هزل ولغو من القول لايتفوه به إلا خائض لاعب بالحقائق.

٩٢ ـ ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾ يحمل البركة وهي الخير ويهدي للتي هي أقوم ﴿مصدق الذي بين يديه﴾ من الكتب السماوية الحقة، ولو لم يكن من عند الله لما كان فيه الخير لأن سبيل الشر لايهدي سالكه إلا إلى الشر ولاينتج الفساد صلاحاً ﴿و لتنذر أم القرى﴾ وهي مكة المكرمة ﴿ومن حولها﴾ من سائر بلاد الأرض. ﴿والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به﴾ أي بالكتاب المنزل لإنذار أهل الأرض لأنه يدعوهم لأمن أخروي، ويحذرهم من عذاب خالد. ﴿وهم على صلاتهم يحافظون﴾ على أدائها في أوقاتها. وقد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون. فهم يقيمون الصلاة بتذلل وتأثر باطني، خشوعاً من العظمة الإلهية عند الانتصاب في مقام العبودية. ٩٣ ـ ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ فمن

أشنع الظلم في جنب الله الإشراك به ﴿أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء﴾ فكيف يسوغ ادعاء النبوة لمن هو ليس نبياً. ﴿ومن قال سأنزل مثل ماأنزل الله﴾ استهزاء بالقرآن الكريم حيث نسبه إلى الله سبحانه، ثم وعد الناس مثله بالإنزال. استعلاء على الله واستكباراً عن آياته، ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت﴾ الغمر هو ستر الشيء وإزالة أثره فيطلق على الماء وعلى الجهل وعلى الشدة، وغمرات الموت هي الهوان والشدة ﴿والملائكة باسطو أيديهم﴾ يشرعون بتعذيب الظالمين. ﴿أخرجوا أنفسكم﴾ من العذاب والهوان والملائكة تقول لهم ﴿اليوم﴾ يوم الموت ﴿تجزون عذاب الهون﴾ ولماتنتقلوا من الدنيا إلى ماوراءها. فأنتم في البرزخ تعذبون، ﴿بما كنتم تقولون على الله غير الحق﴾ بافتراء الكذب على الله ودعوى النبوة كذباً ﴿وكنتم عن آياته تستكبرون﴾ غير مذعنين لدلالاتها. ٩٤ ـ ﴿ولقد جئتمونا فرادى﴾ وقد انفصلتم عن الاختلاط بغيركم ﴿كما خلقناكم أول مرة﴾ فالملك اليوم لله الواحد القهار. ﴿وتركتم ما خولناكم﴾ أي ماأعطيناكم من الخول أي المال ونحوه مما يقوم به الإنسان بالتدبير والتصرف ﴿وراء ظهوركم﴾ فقد تقطعت من دونكم الأسباب ﴿ومانرى معكم شفعاءكم﴾ من الأرباب الذين عبدتموهم من دون الله ليكونوا شفعاءكم عند الله ﴿الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء﴾ فعادوا بذلك شركاء لله في خلقه ﴿لقد تقطع بينكم﴾ الصلات والشفعاء الذين اتخذتموهم من دون الله ﴿وضل عنكم ماكنتم تزعمون﴾ فقد تقطعت الأسباب بأمر من خالق الأسباب، وبطلت مزاعمكم التي لم تكن إلا أوهاماً تلهون بها وتلعبون. ٩٥ ـ ﴿إن الله فالق الحب والنوى﴾ فبقدرته تشق البذور وينبت الجنين المودع فيها ليعطي نباتاً جديداً بفضل ما أودع الله فيه من ذخيرة وراثية فيتم التكاثر بذلك وفي ذلك حياتكم ومعاشكم، فهل من شركائكم من يفعل مثل ذلك؟ ﴿يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي﴾ فهو يخرج الحياة من التراب والخلايا الحية من الميتة. ثم يميت الحية ويعيدها تراباً. ﴿ذلكم الله فأنى تؤفكون﴾ فإلى متى تصرفون الحق عن الباطل، والله مطلق القدرة وهو واهب الحياة ونازعها، ولاأحد يشاركه في ذلك. ٩٦ ـ ﴿فالق الإصباح﴾ مخرج الصبح ﴿وجعل الليل سكناً﴾ تسكن فيه حركة المتحركات لتجديد قواها ودفع ماعرض لها من تعب السعي. ﴿والشمس والقمر حسباناً﴾ فقد حسب نظامها بالليل والنهار والشهور والسنين لينتظم معاش البشر ﴿ذلك تقدير العزيز﴾ الذي لايقهره قاهر فيفسد عليه شيئاً من تدبيره. ﴿العليم﴾ الذي لايجهل شيئاً من مصالح مملكته. ٩٧ ـ ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾ فهي مسخرةٌ للإنسان، مع أنها مخلوقة بإرادة إلهية مستقلة، ومخلوقة بمشيئة تتعلق بنفسه ﴿قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون﴾ إما بحسب جعلها التكويني، أو بحسب البيان اللفظي. فإدراك التوحيد بآيات الآفاق لايناله إلا من حظي بنصيب من العلم. ٩٨ ـ ﴿وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة﴾ تنتهي إليها الذرية الإنسانية على كثرتها وانتشارها وهي آدم ﴿فمستقر﴾ وهو من تلبس بالولادة منكم فاستقر في الأرض. ﴿ومستودع﴾ وهو

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

مااستودع في الأصلاب والأرحام وسيولد بعد حين. ﴿قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون﴾ فإدراك التوحيد من دراية نظام النفوس لاينال إلا من تفقه أي من بحث وتعمق وتثبت.

٩٩ ـ ﴿وهو الذي أنزل من السماء﴾ وهي كل ماعلا وأظل. ﴿ماء فأخرجنا به نبات كل شيء﴾ فكل شيء ينمو من نبات وحيوان له قوة النبات من الكمون إلى البروز ﴿فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً﴾ منعقداً بعضه فوق بعض ﴿ومن النخل من طلعها﴾ وهو أول مايبدو من طولها ﴿قنوان﴾ وهو العذق وهو من التمر كالعنقود من العنب ﴿دانية﴾ قريبة ﴿وجنات من أعناب﴾ وهي الملتفة الساترة ﴿والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه﴾ له مايماثله في الشكل والنوع وهناك مايخالفه ﴿انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه﴾ أي نضجه ﴿إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون﴾ فدلائل التوحيد هذه ظاهرة لمن آمن لأن النظر إلى النظام لايفتقر إلى مؤونة، فيناله الفهم العادي المؤمن.

١٠٠ ـ ﴿وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم﴾ فقد قالوا بألوهية الجن وقالت قريش: إن الله قد صاهر الجن فحدث بينهما الملائكة. والمخلوق لايجوز أن يشارك خالقه في مقامه ﴿وخرقوا له﴾ أي اختلقوا وافتروا ﴿بنين وبنات﴾ وهم من الملائكة بزعمهم ﴿بغير علم﴾ ولادليل ﴿سبحانه وتعالى عما يصفون﴾ وعلا مقامه عما يخرصون.

١٠١ ـ ﴿بديع السماوات والأرض﴾ فهو الخالق لكل شيء وفاطره، فلايماثله شيء من أجزائها. ﴿أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة﴾ ولاولد إلا بصاحبة ﴿وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم﴾ فكل موجود مخلوق له وهو الخلاق العليم.

١٠٢ ـ ﴿ذلكم الله ربكم﴾ تلميح بالتوحيد ﴿لاإله إلا هو﴾ تصريح بالتوحيد فهو الرب الذي ليس دونه رب لأنه الله الذي ليس دونه إله وكيف يكون غيره رباً وليس بإله. ﴿خالق كل شيء﴾ والألوهية منحصرة به وهو الخالق ﴿فاعبدوه﴾ فكل شيء مخلوق خاضع له بالعبودية فلايعادله فيها. ﴿وهو على كل شيء وكيل﴾ فهو المدبر لكل شيء، القائم على كل شيء فلا تستنكفوا عن عبادته وهو العالم بنظام أعمالكم.

١٠٣ ـ ﴿لاتدركه الأبصار﴾ دفع لما تتلقاه أفهام المشركين الساذجة من أنه وكيل يتجسد ﴿وهو يدرك الأبصار﴾ ولم يقل يدرك أولي الأبصار لأن إدراكه تعالى ليس من قبيل إدراكاتنا الحسية المتعلقة بظواهر الأشياء ﴿وهو اللطيف﴾ الرفيق النافذ في الشيء ﴿الخبير﴾ من له الخبرة فهو تعالى محيط بالظاهر والباطن وهو يدرك البصر والمبصر.

١٠٤ ـ ﴿قد جاءكم﴾ خطاب للمشركين ﴿بصائر﴾ بينات ودلالات يبصر بها الشيء ﴿من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها﴾ فالحجج بصائر جاءتكم من الله بالوحي وللمشرك أن يختار البصيرة وفي ذلك فائدة نفسه، أو يختار العمى ووبال ذلك على نفسه أيضاً ﴿ومأنا عليكم بحفيظ﴾ فرجوع أمر أنفسكم وتدبير أمر قلوبكم إلى الله، والرسول ﷺ ناصح لهم يهيجهم للسمع والطاعة ويحثهم على الانقياد بالبصيرة.

١٠٥ ـ ﴿وكذلك نصرف الآيات﴾ والتصريف هو إجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة لتجتمع فيه وجوه الفائدة ﴿وليقولوا درست﴾ أي تعلمت، أو بمعنى تعفي الأثر وامحاؤه. أي فليستكمل هؤلاء الأشقياء شقوتهم بقولهم انقرضت هذه الأقاويل ولانفع فيها اليوم. ﴿ولنبينه لقوم يعلمون﴾ بتطهير قلوبهم وشرح صدورهم به، فالله ينزل من القرآن ﴿ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين إلا خساراً﴾.

١٠٦ ـ ﴿اتبع ماأوحي إليك﴾ من أمر التوحيد وأصول الشرائع ﴿من ربك﴾ الذي له العناية البالغة بك إذ خصك بوحيه وأيدك بروح الاتباع ﴿لاإله إلا هو﴾ فلاشريك له ﴿وأعرض عن المشركين﴾ فلا يصدك استكبارهم ولاتجهد نفسك في حملهم على التوحيد فإنما عليك البلاغ.

١٠٧ ـ ﴿ولو شاء الله ماأشركوا﴾ فهم غير معجزي الله، فلولا جريان المشيئة الإلهية، مشيئة الاختيار، لبطل نظام الأسباب وقانون العلية والمعلولية وحلت الإرادة الجزافية، وأدى فساد هذا النظام إلى فساد نظام التكوين لأن التشريع ينتهي إلى التكوين، ودبيب الفساد إليه يؤدي إلى فساد أصله. ﴿وما جعلناك عليهم حفيظاً﴾ أي قائماً على إدارة شؤون وجودهم كالحياة والرزق والنشوء ﴿ومأأنت عليهم بوكيل﴾ أي لست بالقائم على إدارة الأعمال لتجلب المنافع وتدفع المضار المتوجهة للموكل عنه فليست لك أمور حياتهم لاالكونية ولاالدينية.

١٠٨ ـ ﴿ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً﴾ تجاوزاً ﴿بغير علم﴾ فالإنسان مفطور على الدفاع عن كرامة مايقدسه. ولو سب المؤمنون آلهة المشركين، لحملتهم عصبية الجاهلية أن يعارضوا المؤمنين بسبب ماله عندهم كرامة الألوهية، وهو الله عز اسمه. ﴿كذلك زينا لكل أمة عملهم﴾ فهم يحبون عملهم ويرونه جميلاً. والعمل له لذائذ وغايات تنتهي إليها مطامح الإنسان منها لذائذ مادية تكوينية كالأكل والنسل ولولا ذلك لانقطع النسل وانقرض النوع ـ وهو سبحانه الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ـ ومنها ماله لذة فكرية تصلح حياة الإنسان في دنياه ولانتضره في آخرته كالإيمان، أو تضره في آخرته كإبطال العبودية والفسق والنزعات الأهوائية. فهو الذي حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم، والشيطان زين للفاسقين أعمالهم ﴿ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون﴾ وبما أن التزيين عام شامل لجميع الأعمال الباطنية كالإيمان والكفر، والظاهرية كالأعمال الحسنة والسيئة، والإنسان يقصد بالعمل نتيجته فإن الرجوع إلى الله سيقتضي أن يجد أولياء الرحمن مالم يكونوا يعلمون مما أخفي لهم من قرة أعين، وأما أولياء الشيطان فسيبدو لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون.

١٠٩ ـ ﴿وأقسموا بالله جهد﴾ أي طاقة ﴿أيمانهم﴾ أي ماتبلغه قدرتها وطاقتها وقد بالغوا في القسم وأكدوه مااستطاعوا ﴿لئن جاءتهم آية﴾ تدل على صدق النبي ﷺ ﴿ليؤمنن بها﴾ أي بتلك الآية ﴿قل﴾ يامحمد ﴿إنما الآيات عند الله﴾ فهي في ملكه وتحت سلطانه وليس لي من أمرها شيء حتى أجيبكم إليها. ﴿ومايشعركم﴾ أيها المؤمنون. ﴿أنها إذا جاءت﴾ فإن المشركين ﴿لايؤمنون﴾ فلاتصدقوا كلامهم ولاتأبهوا لحلفهم وأيمانهم.

١١٠ ـ ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة﴾ والأولى أي هي الدعوة قبل نزول الآيات، والثانية هي الدعوة مع نزولها فهم لايؤمنون ولو نزلت عليهم الآيات. فنقلب أفئدتهم فلايعقلون بها كما ينبغي أن يعقلوا، وأبصارهم فلايبصرون مايجب أن يبصروه، فلايؤمنون كما لم يؤمنوا بالقرآن أول مرة من الدعوة ﴿ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ يترددون ويتحيرون.

١١١ ـ ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة﴾ فأجبناهم إلى مسألتهم وآتيناهم أعاجيب الآيات وشاهدوا الملائكة ﴿وكلمهم الموتى﴾ بعد أن أحييناهم لهم ﴿وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً﴾ وجمعنا عليهم كل شيء قبيلاً قبيلاً وصفاً صفاً وشهدوا لهم ﴿ماكانوا ليؤمنوا﴾ ولم يؤثر شيء من ذلك في استجابتهم لله ﴿إلا أن يشاء الله﴾ إيمانهم فالعلل والأسباب مفتقرة إلى ربها غير مستقلة بشؤونها، ﴿ولكن أكثرهم يجهلون﴾ غير أن المشركين أكثرهم، ولعلهم غير العلماء الباغين منهم، يجهلون مقام ربهم، ويتعلقون بالأسباب على أنها مستقلة في نفسها، مستغنية عن ربها، فيظنون أن لو أتاهم سبب الإيمان وهو الآية المقترحة آمنوا، وقد اختلط عليهم الأمر بجهلهم فأخذوا هذه الأسباب الناقصة المفتقرة إلى مشيئة الله أسباباً مستقلة عنه. ١١٢ ـ ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين﴾ جمع شيطان وهو الشرير فهم أشرار ﴿الإنس والجن﴾ والجن من الستر، وإبليس الشيطان من زمرتهم ﴿يوحي بعضهم إلى بعض﴾ فيقول قولاً خفياً بإشارة أو غيرها ﴿زخرف القول﴾ وهو المزين المموه المزوق من القول فهو يشبه الحق وليس بحق ﴿غروراً﴾ بإسرار المكر والتسويل لإضلالهم ﴿ولو شاء ربك مافعلوه﴾ ولم يوحوا به ولم يعادوا الأنبياء بذلك ﴿فذرهم ومايفترون﴾ فإذا كانت هذه الوساوس بأمر الله فلا يحزنك ماتشاهد من إخلالهم بالأمر وإفسادهم له، بل اتركهم ومايفترون على الله من دعوى الشريك ونحوها. ١١٣ ـ ﴿ولتصغى إليه أفئدة الذين لايؤمنون بالآخرة﴾ فهم وحدهم الذين يسمعون هذا التسويل. ﴿وليرضوه﴾ فهو يلائم مافي أنفسهم من إثم. ﴿وليقترفوا ماهم مقترفون﴾ ولينالوا جميعاً ماسألوه بلسان استعدادهم من شقاء الآخرة فإن الله يمد كلاً من أهل السعادة والشقاء بما يتم به سيرهم إلى منازلهم ويرزقهم مايقترحون بلسان استعدادهم. ١١٤ ـ ﴿أفغير الله أبتغي حكماً﴾ وهو من يستحق التحاكم إليه فهو لايقضي إلا بالحق ﴿وهو الذي أنزل إليكم الكتاب﴾ وهو القرآن بما فيه من أحكام وتشريعات يحمل تطبيقها سعادة المجتمع وبركات السماء والأرض ﴿مفصلاً﴾ متميزاً تبين معارفه ولاتختلط أحكامه ﴿والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك﴾ بامحمد ﴿بالحق﴾ فليطمئن قلبك ﴿فلا تكونن من الممترين﴾ فالحق لايكون بتنزيل الشياطين لابتسويل ولا بطريق كهانة، بينما تنزل الشياطين على كل أفاك أثيم. ١١٥ ـ ﴿وتمت كلمة ربك﴾ والكلمة هي مادل على معنى تام أو غيره، وربما استعملت في قول الله الحق أو في مايتحقق من الوجود بكلمة ﴿كن﴾ فالمسيح كلمة من الله. وتمام الكلمة هو بلوغ الدعوة الإسلامية بنبوة محمد ﷺ مرتبة الكمال ونزول الكتاب المهيمن على جميع الكتب وذلك بانتهاء التدرج في الشرائع من النقص إلى الكمال ﴿صدقاً﴾ يصدق القول بتحققها في الخارج بالصفة التي بينت بها ﴿وعدلاً﴾ فلا يتخلف بعض أجزائها عن بعض ﴿لامبدل لكلماته﴾ فالكلمة الإلهية لاتتبدل لامن الله نفسه كأن يخلف ميعاده ولامن غيره. ﴿وهو السميع﴾ المستجيب لما تدعونه بلسان حالكم فيقيض الله لإجابتكم ملائكته، وهو ﴿العليم﴾ بحقيقة ماعندكم من الحاجة أو هو السميع لأقوالكم العليم بأفعالكم. ١١٦ ـ ﴿وإن تطع أكثر من في

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۚ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۖ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾

الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾ وهو سبيل العلم والحكمة والذي يحمل من الأحكام والشرائع مافيه سعادة البشر. فسير الإنسان وسلوكه الحيوي، وارتباط شؤونه الحيوية وأعماله تضطره إلى الركون إلى الظن والتخمين. اللهم إلا بعض الكليات النظرية فاتباع أكثر من في الأرض إضلال لأنهم ﴿إن يتبعون إلا الظن﴾ و﴿إن الظن لايغني من الحق شيئاً﴾. فسعادة الإنسان وفوزه وفلاحه، أو خسارته الدائمة وهلاكه لايقبل العمل بالظن، والله سبحانه لايرتضي من عباده إلا العلم واليقين وخاصة مايتعلق بالنبوة والكتاب والحكم. فلاطاعة لأهل الأرض في ظنهم لأنه لاظن إلا مع جهل، ولاعبودية مع الجهل بالرب ومايريده من عبده ﴿وإن هم إلا يخرصون﴾ وإن هم إلا يخمنون فالحكم لله دون حكم أهواء المضلين وتشريعاتهم. ١١٧ ـ ﴿إن ربك﴾ هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ فهو سبحانه العليم بحقيقة الضالين والمهتدين لايشاركه أحد حتى يفضل عليه. ١١٨ ـ ﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾ وهو المذكى، ﴿ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ وهو غير المذكى فهو ميتة ﴿إن كنتم بآياته مؤمنين﴾ فالمؤمن يعلم أن الله أحق أن يطاع. ١١٩ ـ ﴿ومالكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾ استفهام تعجبي أي مالكم من نفع في ألا تأكلوه ﴿وقد فصل لكم ماحرم عليكم﴾ وقد بين لكم المحرمات ﴿إلا مااضطررتم إليه﴾ فالاستثناء للاضطرار ﴿وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم﴾ فهؤلاء المشركون يقولون: لافرق بين ماقتلتموه أنتم وماقتله الله فكلوا الجميع أو دعوا الجميع ﴿إن ربك هو أعلم بالمعتدين﴾ المتجاوزين حدوده. ١٢٠ ـ ﴿وذروا ظاهر الإثم وباطنه﴾ فالأكل مما لم يذكر اسم الله عليه ومما حرم إثم، فهو باطل وفسق يمنع نيل الخير. أما ظاهر الإثم فهو المعصية التي لاستر على شؤم عاقبتها كالشرك والفساد في الأرض والظلم ﴿إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون﴾ تعليل للنهي وإنذار بالجزاء السيّء. ١٢١ ـ ﴿ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ تحريم لأكل ما لم يذكَّ ﴿وإنه لفسقٌ﴾ خروج عن إطار التكليف، وكل فسق واجب الإجتناب ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم﴾ وهم المشركون. فالشياطين يوحون إلى المشركين ﴿ليجادلوكم﴾ بقولهم إنكم تأكلون مما قتلتم ولاتأكلون مما قتل الله أي الميتة والفارق هو أن أكل الميتة فسق دون أكل المذكى ﴿وإن أطعتموهم﴾ أي أطعتم المشركين بأكل الميتة ﴿إنكم لمشركون﴾ مثلهم إما لاستنانكم سننهم، أو لأنكم أطعتموهم وتوليتموهم. ١٢٢ ـ ﴿أو من كان ميتاً﴾ وهو الإنسان قبل أن يمسه الهدى فهو ميت لأنه محروم نعمة الحياة، ﴿فأحييناه﴾ بالهدى ﴿وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس﴾ فهو يعلم الخير من الشر والنافع من الضار. ﴿كمن مثله في الظلمات﴾ وهو الكافر فهو في ظلمات عدم معرفة الخير أو عدم تمييزه الخير من الشر، ﴿وكذلك زين للكافرين ماكانوا يعملون﴾ فقد زينت لهم أعمالهم زينة تجذبهم إليها فلاتدعهم يخرجون إلى فضاء السعادة وفسحة النور. ١٢٣ ـ ﴿وكذلك جعلنا في كل قريةٍ أكابر مجرميها﴾ ممن هم في الظلمات ﴿ليمكروا فيها﴾ بالدعوة الدينية والنبي ومن آمن معه ﴿ومايمكرون إلا بأنفسهم ومايشعرون﴾ فالمكر هو العمل الذي يستبطن شراً وضراً يعود إلى الممكور به

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۚ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۘ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ۗ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

فيفسد غرضه المطلوب ويضل به سعيه، ولاغرض لله سبحانه في دعوته الدينية، ولانفع فيها إلا مايعود إلى المدعوين أنفسهم، فمن مكر مكر بنفسه واستضر بنفسه دون ربه. ١٢٤ ـ ﴿وإذا جاءتهم آية﴾ وهم ﴿أكابر مجرميها﴾ ﴿قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ماأوتي رسل الله﴾ فهم يريدون نفس الرسالة دون مجرد المعارف الدينية من أصول وفروع. ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ رد لدعواهم بأن المهم هو اتباع منهج الرسالة وهذا مافيه حياتهم. أما الرسول فشأنه البلاغ ﴿سيصيب الذين أجرموا صغارٌ عند الله﴾ وهوان وذلة ﴿وعذابٌ شديدٌ بما كانوا يمكرون﴾ فهم مجرمون ووعيدهم بالعذاب سبب مكرهم. ١٢٥ ـ ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره﴾ ويبسطه ويوسعه ﴿للإسلام﴾ بحيث لايدفع كلمة الحق. فالإسلام حياة ونور من الله ﴿ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً﴾ وهو التضييق المقابل للشرح والتوسعة فهو لايسع مايتوجه إليه من الحق والصدق ﴿حرجاً﴾ يتحرج عن دخول الحق. والحرج أضيق الضيق ﴿كأنما يصعد في السماء﴾ كالضيق الذي يعانيه من يصعد في السماء كما أثبت العلم الحديث وهذا إعجازٌ قرآني ﴿كذلك يجعل الله الرجس على الذين لايؤمنون﴾ فالضابط في الإضلال للذين لايؤمنون هو فقدهم التسليم لله والانقياد للحق فهم يردون المعارف الحقة والأحكام الإلهية. وعدم الإيمان هذا رجس وهو قذر يعلوهم ويحيط بهم فيحول بينهم وبين غيرهم. فالهدى والضلال من الله والعبد قادر على الإيمان والكفر. ١٢٦ ـ ﴿وهذا صراط ربك مستقيماً﴾ فسنته جارية على شرح صدر من أراد الهداية وتضييق صدر من رغب عنها. ﴿قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون﴾ فالقول حق بين لمن تذكر ورجع إلى ماأودعه الله في نفسه من المعارف الفطرية والعقائد الأولية التي تهدي إلى تمييز الحق من الباطل، والبيان لله سبحانه فهو الذي يهدي الإنسان إلى النتيجة بعد هدايته إلى الحجة. ١٢٧ ـ ﴿لهم دار السلام﴾ فلهم المحل الذي لاآفة تهدد من حل فيه من موت أو عاهة أو مرض أو فقر أو غم ﴿عند ربهم﴾ فهي الجنة الموعودة ﴿وهو وليهم بما كانوا يعملون﴾ فهم يرون الملك لله فلايملكون شيئاً حتى يخافوا ضياعه ويحزنوا لفقده. ولاشغل لهم إلا بربهم، فيسيرون في الحياة بنور الهداية الإلهية الذي جعله في قلوبهم. ١٢٨ ـ ﴿ويوم يحشرهم جميعاً﴾ لتتم الحجة عليهم ﴿يامعشر الجن قد استكثرتم من﴾ ولاية ﴿الإنس﴾ وإغوائهم فأنتم تستلذون بإغواء الإنس والولاية عليهم. ﴿وقال أولياؤهم من الإنس﴾ اعترافاً بحقيقة الأمر: ﴿ربنا استمتع بعضنا ببعض﴾ فاستمتعنا معشر الإنس بأن تمتعنا بزخارف الدنيا، وماتهواه أنفسنا بتسويلاتهم، وتمتع الجن منا بما كانوا يوسوسون ﴿وبلغنا﴾ بعد ذلك ﴿أجلنا الذي أجلت لنا﴾ وقد سلكناطريقنا باختيارنا حتى الأجل الذي بلغنا فيه آخر شقوتنا ﴿قال﴾ الله ﴿النار مثواكم﴾ فهي مقركم ومستقركم ﴿خالدين فيها﴾ لاتخرجون منها ﴿إلا ماشاء الله﴾ فالقدرة الإلهية باقية فله أن يخرجكم وإن كان لايفعل ﴿إن ربك﴾ يامحمد ﴿حكيمٌ﴾ يصرف الأمور في مواضعها ﴿عليمٌ﴾ بأفعال عباده ومايترتب عليها. ١٢٩ ـ ﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً﴾ فالتابع يستتبع المتبوع من طريق تسويله وإغوائه فيكسب الذنوب والآثام حتى يجعل الله المتبوع ولياً عليه ويدخل التابع في ولايته ﴿بما كانوا يكسبون﴾ فهي ليست

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾

تولية ابتدائية. بل جزاء لما اكتسبوه من المظالم. ١٣٠ ـ ﴿يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسلٌ منكم﴾ دفع لادعائهم الجهل بما اقترفوا باختيارهم. فالله سبحانه قد أرسل الرسل وأنذرهم بيوم الجمع والحساب. ﴿يقصون عليكم آياتي﴾ الدالة على الدين الحق ﴿وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾ وهو يوم القيامة يوم الجزاء ﴿قالوا شهدنا على أنفسنا﴾ بمجيء الرسل بقصص الآيات وإنذارهم بيوم القيامة ﴿وغرتهم الحياة الدنيا﴾ فكلما لاحت بارقة الحق في قلوبهم هجمت عليهم أهواؤهم، وأسدلت عليها ظلمات الرذائل حتى عميت أبصارهم عن الحق ﴿وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾ بما جاء به الرسل من غير غفلة. ١٣١ ـ ﴿ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلمٍ﴾ وموردهم مورد السخط والعذاب في الدنيا والآخرة ﴿وأهلها غافلون﴾ عما يريده منهم من الطاعة وعما يفعله بهم على تقدير المخالفة، وهو لم يسلبهم القدرة على الطاعة، ولم يبطل منهم الاختيار، وقد اختاروا الشرك والمعصية، ثم أرسل إليهم رسلاً فكفروا بهم فحق عليهم القول. ١٣٢ ـ ﴿ولكل﴾ من طائفتي الجن والإنس ﴿درجاتٌ مما عملوا وماربك بغافل عما يعملون﴾ فاختلاف الأعمال يستلزم اختلاف التبعات والله يعلمه. ١٣٣ ـ ﴿وربك الغني ذو الرحمة﴾ بيان لنفي الظلم عنه تعالى وهو الغني بلافقر وحاجة، وذو الرحمة التي وسعت كل شيء ﴿إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم مايشاء﴾ قوله مايشاء إبهام للدلالة على سعة قدرته. والظلم يكون بوضع الشيء في غير موضعه، أو بإبطال حق إما لحاجة منه إليه لهوى في نفسه أو لنفع أو لدفع ضرر. وإما لالحاجة منه إليه بل لقسوة منه وهو تعالى قادر على أن يذهبكم ﴿كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين﴾ أذهبهم بغناه عنهم. ١٣٤ ـ ﴿إن ما توعدون لآت﴾ فالأمر الإلهي من البعث والجزاء آت حتماً ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ لله حتى تمنعوا تحقق وعده ووعيده. ١٣٥ ـ ﴿قل﴾ للمشركين ﴿ياقوم اعملوا على مكانتكم﴾ أي منزلتكم والحالة التي يستقر عليها أمركم ﴿إني عاملٌ﴾ ومقيم على الدعوة والتوحيد ﴿فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار﴾ ومن يسعد وينجح في عمله، فأنا الناجح دونكم ﴿إنه لايفلح الظالمون﴾ فشرككم ظلم ولايظفر الظالمون ببغيتهم. ١٣٦ ـ ﴿وجعلوا لله مما ذرأ﴾ أي مما أوجد ﴿من الحرث﴾ وهو الزرع ﴿والأنعام نصيباً﴾ من خلقه ﴿فقالوا هذا لله بزعمهم﴾ تنزيه لساحته تعالى عما لايليق بقدسه، والزعم هو الإعتقاد ويستعمل غالباً فيما لايطابق الواقع منه ﴿وهذا لشركائنا﴾ فهم الذين أثبتوا الشركاء واعتقدوا بها وقيل إنهم كانوا يجعلون بعض أموالهم لهم فيتخذونهم شركاء لأنفسهم ﴿فما كان لشركائهم فلايصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء مايحكمون﴾ تقبيح لحكمهم لأنه إفتراء على الله بتغليب جانب الأصنام على جانبه تعالى. ١٣٧ ـ ﴿وكذلك زين﴾ اتخاذ الأصنام ﴿لكثير من المشركين﴾ لحبهم لأصنامهم ﴿قتل أولادهم﴾ ـ قرابين يذبحونها ـ والمزين ﴿شركاؤهم﴾ وقيل الشركاء هم الشياطين، أو هم خدمة الأصنام، أو هم الغواة من الناس. ﴿ليردوهم﴾ ليهلكوهم ﴿وليلبسوا عليهم دينهم﴾ بإظهار الباطل في صورة الحق ﴿ولو شاء الله مافعلوه﴾ فهو قادر على منعهم فإليه تعود الأسباب ﴿فذرهم ومايفترون﴾ فكفرهم وافتراؤهم متعلقة أنفسهم.

وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

١٣٨ ـ ﴿وقالوا هذه أنعامٌ وحرثٌ﴾ أي زرع ﴿حجرٌ﴾ ممنوعة فهي حرام ﴿لايطعمها إلا من نشاء بزعمهم﴾ إلا من نأذن لهم، وروي أنهم كانوا يقدمونها لآلهتهم، ولايحلون أكلها إلا لمن كان يخدم آلهتهم من الرجال دون النساء بزعمهم. ﴿وأنعامٌ حرمت ظهورها﴾ وقد حرموا ركوبها ﴿وأنعامٌ لايذكرون اسم الله عليها﴾ فيهلون عليها بأصنامهم ﴿افتراءً عليه﴾ تعالى لأنه نهى وأبطل هذه الأوهام ﴿سيجزيهم بما كانوا يفترون﴾ فسوف ينالون جزاء فريتهم وكذبهم.

١٣٩ ـ ﴿وقالوا مافي بطون هذه الأنعام﴾ من أجنة البحائر والسيب ﴿خالصةٌ لذكورنا ومحرم على أزواجنا﴾ فيحلونها إذا ولدت حية للرجال دون النساء ﴿وإن يكن ميتةً فهم فيه شركاء﴾ أكل منها الرجال والنساء. وقيل المراد الألبان. ﴿سيجزيهم وصفهم﴾ فالله سيجزيهم وصفهم نفسه فإنه يعود وبالاً وعذاباً. ﴿إنه حكيمٌ﴾ يتصرف بحكمة ﴿عليمٌ﴾ لايعزب عن علمه شيء.

١٤٠ ـ ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم﴾ لأنهم افتروا بهذا ﴿سفهاً بغير علم وحرموا مارزقهم الله﴾ فقد خسروا بتحريمهم أصنافاً من الأنعام والحرث ﴿افتراءً على الله﴾ لأنها من رزق الله وحاشاه تعالى أن يرزقهم شيئاً ثم يحرمه عليهم ﴿قد ضلوا وماكانوا مهتدين﴾ وهذا ضلال منهم لايساعدهم على ذلك حجة، لامن عقل ولامن مصلحة ولامن وحي.

١٤١ ـ ﴿وهو الذي أنشأ جناتٍ معروشاتٍ﴾ ترفع أغصانها بدعائم كالكرمة ﴿وغير معروشاتٍ﴾ تقوم على أصولها بلا دعائم ﴿والنخل والزرع مختلفاً أكله﴾ أي مايؤكل منه من الحبات كالحنطة والعدس والحمص ﴿والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه﴾ بطعمه وشكله ولونه ﴿كلوا من ثمره إذا أثمر﴾ فهو مباح لكم ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾ أعطوا الفقراء الحق الذي لهم فيه وهو حقهم أو حق الله، وهذا الحق يدل عليه العقل ويمضيه الشرع وليس هو الزكاة ويؤيده أن الله ذم الذين يصرمون ولايتصدقون ﴿ولاتسرفوا إنه لايحب المسرفين﴾ لاتتجاوزوا الحد الذي يصلح به معاشكم بالتصرف فيه ولاتضعوه في المعاصي، ولايسرف الفقير بتضييعه.

١٤٢ ـ ﴿ومن الأنعام حمولةً﴾ وهي أكابر الأنعام لإطاقتها الحمل ﴿وفرشاً﴾ أصاغرها لأنها إما أن تفترش الأرض أو لأنها توطأ ﴿كلوا مما رزقكم الله﴾ إباحة للأكل ﴿ولاتتبعوا خطوات الشيطان﴾ بوضع قدمكم موضع قدمه بأن تحرموا ماأحل الله لكم بغير علم ﴿إنه لكم عدوٌ مبينٌ﴾ ظاهر العداوة.

وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾

ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾

١٤٣ ـ ﴿ثمانية أزواج﴾ من الأنعام التي أحل الله، تفصيل لها بعد إجمال. والزوج يطلق على الواحد الذي يكون معه آخر، وعلى اثنين ﴿من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين﴾ من الضأن والمعز ﴿نبئوني بعلم إن كنتم صادقين﴾ فكيف تحرمون ماأحل الله لكم.

١٤٤ ـ ﴿ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أم ماااشتملت عليه أرحام الأنثيين﴾ فأيها المحرم حسب دعواكم. ﴿أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا﴾ أي هل علمتم ذلك بفكركم أم شاهدتم تحريم الله ذلك وشافهتموه فادعيتم ذلك. ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ ولاأحد أظلم ممن افترى كذباً ﴿ليضل الناس بغير علم﴾ ويحرفهم ﴿إن الله لايهدي القوم الظالمين﴾ وبما أنكم ظلمتم فإنكم لانهتدون. والمراد بالاثنين الأهلي والوحشي.

١٤٥ ـ ﴿قل لاأجد فيما أوحي إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة﴾ والميتة هي كل من مات دون تذكية، ﴿أو دماً مسفوحاً﴾ دون الدم الذي يتبقى مع اللحم. ﴿أو لحم خنزير فإنه رجس﴾ قذر خبيث ﴿أو فسقاً﴾ توغل الشيطان فيه ﴿أهل لغير الله به﴾ ذبح لغيره تعالى. ﴿فمن اضطر غير باغ﴾ بتعدي حدود الله ﴿ولاعاد﴾ بتعدي حد الضرورة ﴿فإن ربك غفور رحيم﴾ يستر المضطر ويرحمه.

١٤٦ ـ ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر﴾ والظفر هو العظم النابت على رؤوس الأصابع ﴿ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ماحملت ظهورهما أو الحوايا﴾ وهي المباعر أي ماحملت الحوايا ﴿أو ماااختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم﴾ فما حرم عليهم هو جزاء لظلمهم وتعديهم ومنعهم حق الفقراء. ﴿وإنا لصادقون﴾ ومن أصدق من الله قيلاً.

١٤٧ - ﴿فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمةٍ واسعةٍ﴾ فيه إنذار وتهديد بالبأس الإلهي ﴿ولايرد بأسه عن القوم المجرمين﴾ وقد أورد بما يشوبه رجاء، لأنه سبق بالرحمة لكي لايسلط عليهم اليأس والقنوط.

١٤٨ - ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ماأشركنا ولآباؤنا ولاحرمنا من شيء﴾ حجة يسوقونها بأن شركهم وتحريمهم كان بإمضاء من الله لأنه لو لم يشأ الله مافعلوه. وهذا إذاً إذن منه في الشرك والتحريم. ولكن هذه الحجة لاتعطي هذه النتيجة لأنه إذا لم يشأ الله منهم ذلك لم يوقعهم موقع الاضطرار والإجبار فهم مختارون في الشرك والكف عنه في التحريم وتركه. ﴿كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا﴾ وهم ليسوا أول من احتج بذلك فقد كذب الذين من قبلهم وقد سخطهم الله بعذاب. ﴿قل هل عندكم من علمٍ فتخرجوه لنا﴾ لتثبتوا دعواكم ﴿إن تتبعون إلا الظن﴾ وإن الظن لايغني من الحق شيئاً ﴿وإن أنتم إلا تخرصون﴾ وتخمنون.

١٤٩ - ﴿قل فلله الحجة البالغة﴾ التي تبلغ وتبطل حججكم فلا حجة لكم في شرككم وافترائكم عليه. ﴿فلو شاء لهداكم أجمعين﴾ وأجبركم على الإيمان وترك الشرك والتحريم. وإذ لم يجبركم وترك لكم الاختيار فله أن يدعوكم إلى ترك الشرك والتحريم.

١٥٠ - ﴿قل هلم شهداءكم﴾ هاتوا شهداءكم ﴿الذين يشهدون أن الله حرم هذا﴾ فليؤدوا هذه الشهادة بتحريم ماذكر من المحرمات عندهم مما لم يحرم الله. وهو خطاب تعجيزي لكشف افترائهم. ﴿فإن شهدوا فلا تشهد معهم﴾ فلا شاهد يشهد بذلك، ولاتحريم حتى ولو شهدوا بالتحريم، فلا يعبأ بشهادتكم فإنهم يتبعون أهواءهم. ﴿ولاتتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا﴾ فهذه إحدى جرائمهم ﴿والذين لايؤمنون بالآخرة﴾ وهذه ثانية ﴿وهم بربهم يعدلون﴾ غيره من الأوثان، وهذه ثالثة ولايجرؤ على ذلك إلا الذين يتبعون أهواءهم.

١٥١ - ﴿قل تعالوا﴾ من العلو بتقدير أن الأمر في مكان عال ﴿أتل﴾ من التلاوة وهي قريبة من القراءة ﴿ما حرم ربكم عليكم﴾ متعلق بقوله أتل أو بالتحريم وتعداد الكبائر المحرمة. ﴿أن لاتشركوا به شيئاً﴾ وهو ظلم عظيم والله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وإليه تنتهي كل معصية. ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ وقد أوصى بالوالدين إحساناً ونهى عن تجنب الإحسان إليهما. والإحسان للوالدين تالٍ للتوحيد ﴿ولاتقتلوا أولادكم من إملاقٍ﴾ وهو الإفلاس من المال والزاد ومنه التملق وكانت هذه كالسنة الجارية بين العرب الذين يتهددهم القحط، فيبادرون إلى قتل أولادهم تأففاً من رؤيتهم على ذلة العدم والجوع ﴿نحن نرزقكم وإياهم﴾ فلاتقتلوهم. ﴿ولاتقربوا الفواحش﴾ وهي الأمور الشنيعة المستقبحة كالزنا، واللواط، وقذف المحصنات ﴿ومامظهر منها﴾ كالزنا ﴿ومابطن﴾ كاتخاذ الأخدان والأخلاء سراً. ﴿ولاتقتلوا النفس التي حرم الله﴾ قتلها ﴿إلا بالحق﴾ أي بإقامة الحق الشرعي ﴿ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون﴾ تأكيد التحريم بما ذكر. فالعقل والفطرة تدرك ضرورة الاعتصام بالعقل للنجاة من هذه الفواحش التي ذكرها الله.

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ
بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا
لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ
كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا
قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا
الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ
فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ
يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ
مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ قُلْ
تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ
شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ
إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ
مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي
حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

١٥٢ ـ ﴿ولاتقربوا مال اليتيم﴾ النهي عن القرب دلالة على التحريم فلا يحل أكل ماله ولااستعماله ولاالتصرف فيه ﴿إلا بالتي هي أحسن﴾ لحفظه ﴿حتى يبلغ أشده﴾ فيتصرف هو في ماله حين يبلغ سن البلوغ والرشد ﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط﴾ بالعمل العدل من غير بخس ﴿لانكلف نفساً إلا وسعها﴾ فالعدل الحقيقي الواقعي يكون بالقرب من ذلك، ولايكلف الله نفساً فوق وسعها سواء في مسألة مال اليتيم أو الوفاء بالكيل والميزان أو بكليهما. ﴿وإذا قلتم﴾ قولاً مما له أثر من نفع أو ضر بين الناس ﴿فاعدلوا ولو كان ذا قربى﴾ فلاتحملنكم العاطفة على تحريف الكلام وتجاوز الحق. ﴿وبعهد الله أوفوا﴾ والعهد هو حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال ولذا يطلق على التكاليف المشروعة وعلى الوظائف المخولة وعلى العهد الذي هو الموثق وعلى النذر واليمين. ﴿ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون﴾ تأكيد للتكاليف المذكورة وضرورة حفظ حدود الله فيها بالتذكر لما فيه من المصالح العامة والمفاسد المعلومة للعقل البشري. فما أمر الله به هو صون للمجتمع وسعادة له. ١٥٣ ـ ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ والصراط هو صراط الله للنبي وللناس وهو إقامة الدين المشروع ونهي عن التفرق بالدين. فما حرم الله اتخاذ السبل التي تفرق عن سبيل الصراط المستقيم، الذي لااختلاف بين أجزائه ولااختلاف بين سالكيه. فالصراط المستقيم يهدي سالكيه إلى المقصد مادامو عليه، ويؤدي إلى التوحيد. أما سبل الشيطان فمن شأنها إلقاء الخلاف والتفرقة لأنه لاضابط يضبطها ولاتقوم على الفطرة والخلقة؛ بل على تبديل دين الله القيم. ﴿ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ فالتقوى تحصل بالتبصر في المناهي الإلهية والورع عن محارمه بالعقل والتذكر. وبما أن الصراط جامع للتكاليف فلايقوم إلا بالتقوى. ١٥٤ ـ ﴿ثم آتينا موسى الكتاب تماماً﴾ يتم به النقص ﴿على الذي أحسن﴾ من حيث الشرع الإجمالي ﴿وتفصيلاً لكل شيء﴾ من الشرائع التي يحتاجها بنو اسرائيل ﴿وهدىً ورحمةً لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون﴾ مع إشارة إلى تثاقل بني إسرائيل واستنكافهم عن الإيمان بلقاء الله واليوم الآخر والتوراة الحاضرة التي يقول عنها القرآن إنها محرفة لايوجد فيها ذكر البعث يوم القيامة. ١٥٥ ـ ﴿وهذا كتاب أنزلناه مباركٌ﴾ فالقرآن يشارك كتاب موسى فيما ذكر من الخصيصة ﴿فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون﴾ ففيه شفاء ورحمة للمؤمنين. ١٥٦ ـ ﴿أن تقولوا﴾ كراهة أن تقولوا ﴿إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا﴾ وهما اليهود والنصارى أنزل عليهما التوراة والإنجيل ﴿وإن كنا عن دراستهم لغافلين﴾ وإن كنا غافلين عن دراستهم وتلاوتهم ولابأس علينا مع الغفلة. ١٥٧ ـ ﴿أو تقولوا﴾ لئلا تقولوا ﴿لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم﴾ سبيلاً ﴿فقد جاءكم بينةٌ من ربكم﴾ وهو القرآن ليدل على ظهور حجته ووضوح دلالته بحيث لايبقى عذر لمعتذر ﴿وهدىً ورحمةٌ فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها﴾ أي أعرض ﴿سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون﴾ فالإعراض طريق سوء العذاب.

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

١٥٨ ـ ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة﴾ استفهام إنكاري في مقام لاتنفع فيه عظة ولاتنجح دعوة لأن ماذكر أمور تقضي بإذهابهم وتطهير الأرض من رجسهم. فالمراد بإتيان الملائكة هو نزولهم بآية العذاب ﴿أو يأتي ربك﴾ ويراد به يوم اللقاء وهو الانكشاف التام لآية التوحيد. ﴿أو يأتي بعض آيات ربك﴾ بحيث تبدل نشأة الحياة عليهم حيث لاسبيل إلى العودة إلى فسحة الاختيار، كآية الموت وفي هذا اليوم ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك﴾ وهذه الآيات إذا أتت ﴿لاينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل﴾ إيمان طوع واختيار ﴿أو كسبت في إيمانها خيراً﴾ أولم تكن كسبت في إيمانها خيراً، أي لم تعمل صالحاً ﴿قل انتظروا إنا منتظرون﴾ فانتظر ماهم منتظرون وأخبرهم أنك في انتظاره وهو أمر فصلٌ وليس بالهزل. فالآية تحمل تهديداً جدياً لاتخويفاً تصويرياً فالقضاء حق سيشملهم ويفصل بين الإيمان ولوازمه. ومن بديع نظم الآية تكرار لفظ ربك لتأييد النبي مقابل اعتزازهم بآلهتهم.

١٥٩ ـ ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً﴾ وهم اليهود والنصارى والمشركون فهم مشتركون في التفرق والاختلاف في الدين الإلهي. ﴿لست منهم في شيء﴾ فهم ليسوا على دينك الذي تدعو إليه ومااختلف الذين أوتوه إلا بغياً بينهم ﴿إنما أمرهم إلى الله﴾ فأمرهم بهذا التفريق إلى ربهم ﴿ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون﴾ ويكشف لهم حقيقة أعمالهم التي هم رهناؤها. ١٦٠ ـ ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ منة إلهية يمتن بها على عباده بمضاعفة حسناتهم ﴿ومن جاء بالسيئة فلايجزى إلا مثلها﴾ ولايجازي إلا سيئة بالسيئة ﴿وهم لايظلمون﴾ فلا تنقص حسناتهم، بل قد تزداد، ولاتزداد سيئاتهم، فالجزاء يماثل العمل. ١٦١ ـ ﴿قل إنني هداني ربي إلى صراطٍ مستقيم﴾ وسبيل واضح ﴿ديناً قيماً﴾ قائماً على مصالح العباد في الدنيا والآخرة ﴿ملّة إبراهيم حنيفاً﴾ مائلاً عن التطرف بالشرك إلى الاعتدال بالتوحيد ﴿وماكان من المشركين﴾ فلم يعبد مع الله إلهاً آخر ولم يأخذ حكماً من أي حاكم ولم يشرك بعبادة ربه أحداً. ١٦٢ ـ ﴿قل إن صلاتي ونسكي﴾ النسك مطلق العبادة وكثر استعماله في الذبح والقرابين ﴿ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾ فكل شؤوني من أعمال وحركات وأفعال وتروك في حياتي وكل شؤون مماتي هي لله رب العالمين. فلا أقصد شيئاً أو أتركه إلا له لأن العبد ملكٌ مطلقٌ لمالكه فلله تعالى المالكية وليس للعبد إلا العبادة والعبودية لأن كمال العبد المملوك أن يسلم لرب العالمين في مايريده منه مولاه وهو القاهر فوق عباده وهو المدبر لأمرهم. ١٦٣ ـ ﴿لاشريك له﴾ فلا رب سواه ولامعبود سواه ولاحاكم سواه. ﴿وبذلك أمرت﴾ فبهذا النحو من العبودية أمرت ﴿وأنا أول المسلمين﴾ لله فيما أراده من العبودية التامة في كل باب وجهة. فله الإخلاص في العبودية والتسليم في الطاعة. وقوله أنا أول المسلمين دلالة على أنه صلى الله عليه وآله وسلم أول الناس من حيث درجة الإسلام ومنزلته لأن هناك مسلمين قبله. ١٦٤ ـ ﴿قل أغير الله أبغي رباً وهو رب كل شيء﴾ إيراد لثلاث حجج هي جوامع الحجج المذكورة في السورة للتوحيد، فإذا كان الله رب كل شيء كان كل شيء مربوباً له فلارب غيره على الإطلاق

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

ولامعبود سواه وهي حجة من طريق بدء الخلقة وأما الحجة من طريق العود ﴿ولاتكسب كل نفس إلا عليها ولاتزر وازرةٌ وزر أخرى﴾ فلاتحمل نفس إثم غيرها ﴿ثم إلى ربكم مرجعكم﴾ وعليه حسابكم ﴿فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ وإن يوم الفصل كان ميقاتاً يظهر الحق فيه بيناً لااختلاف فيه. ١٦٥ـ ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾ وهي الحجة الثالثة بين الحجتين فالنظام العجيب الذي يحكم في معاشكم مبني على خلافاتكم في الأرض. واختلاف شؤونكم من قوة وضعف، وغنى وفقر، ورئاسة ومرؤوسية وهو وإن كان نظاماً اعتبارياً فإنه ناشيء من التكوين ومنتهٍ إلى الله سبحانه وهو ناظمه ﴿ورفع بعضكم فوق بعض درجاتٍ﴾ فالتفاوت بينكم ﴿ليبلوكم﴾ ويمتحنكم ﴿في ما آتاكم﴾ فهو الرب الذي يدبر أمر سعادتكم ﴿إن ربك سريع العقاب﴾ لأنه سريع الحساب فيذر الظالمين في جهنم جثياً ﴿وإنه لغفورٌ﴾ لذنوبكم ﴿رحيمٌ﴾ ينجي الذين اتقوا ويسوق الصالحين إلى الجنة زمراً.

سورة الأعراف

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: إظهار الغاية من الحروف المقطعة، بيان الويلات الناتجة من نقض العهد الإلهي، الحياة الطيبة التي تعم من تمسك بمنهجه تعالى، إنذار الناس بالحجة والموعظة، ذكر قصص بعض الأنبياء، بعض المعارف الإلهية كوصف إبليس ووصف الساعة والميزان وغير ذلك، ذكر إجمالي من الواجبات والمحرمات. ١ ـ ﴿المص﴾ ذكر أنها تدل على أسماء الله الحسنى مثل: أنا الله، أعلم أرى، أفصل، أو تدل على نعائمه تعالى، أو مدة بقاء الأقوام وآجالهم. ٢ ـ ﴿كتاب﴾ نُكِّر للتعظيم ﴿أنزل إليك﴾ توصيفه بالإنزال من غير فاعل الإنزال للدلالة على النزول الدفعي وعلى التعظيم. ﴿فلايكن في صدرك حرج منه﴾ فهو كتاب مبارك من ربك فلا يضق صدرك لما فيه من مشاق التبليغ والدعوة. ﴿لتنذر به﴾ فغاية الإنزال هي الإنذار للجميع ﴿وذكرى للمؤمنين﴾ لأنهم يتذكرون بكلمات الله مقام ربهم فتقر بذلك أعينهم. ٣ ـ ﴿اتبعوا ماأنزل إليكم من ربكم﴾ وهو القرآن الذي يأمركم بحق الإعتقاد وحق العمل، كناية عن الدخول تحت ولاية الله سبحانه. ﴿ولا تتبعوا من دونه أولياء﴾ فلاتتبعوا غيره تعالى وهم كثيرون فيكونوا لكم أولياء من دون الله ﴿قليلاً ماتذكرون﴾ ولو تذكرتم لدريتم أن الله تعالى هو ربكم لارب سواه. ٤ ـ ﴿وكم من قرية أهلكناها﴾ لاتخاذها أولياء من دون الله ﴿فجاءها بأسنا بياتاً﴾ وقد بُيِّتت لهم ليلاً ﴿أو هم قائلون﴾ من القيلولة ولم يقل ليلاً أو نهاراً كأنه إشارة إلى أخذ العذاب لهم وهم نائمون آمنون مما كمن لهم من البأس الإلهي. ٥ ـ ﴿فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا﴾ وذاقوا العذاب ﴿إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين﴾ فالإنسان في وجدانه وسره يشاهد الظلم من نفسه، وقد قضت السنة الإلهية أن يعترف بظلمه قهراً أو طوعاً بعد أن يذوق العذاب. ٦ ـ ﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين﴾ فهم مكلفون التوحيد ورفض الأرباب، ومكلفون الإيمان والعمل الصالح وتكليفهم يثبت بسؤال

سُورَةُ الْأَعْرَافِ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ
لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم
مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾
وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْهُمْ قَآئِلُونَ
﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا
ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾
وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟
أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾
وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾

الناس وسؤال الأنبياء والمرسلين. ٧ ـ ﴿فلنقصن عليهم بعلم﴾ ونحن نعلم أمرهم ﴿وماكنا غائبين﴾ والله شاهد عليهم ومحيط بكل شيء وإن وكل عليهم من الملائكة من يحفظ أعمالهم، فهم مربوبون مدبرون وسيسألون ويجزون عما كانوا يعملون. ٨ ـ ﴿والوزن يومئذٍ﴾ للأعمال هو الوزن ﴿الحق﴾ والوزن للعمل دون عامله سواء كان العمل خيراً أم شراً. لأن العبرة بوزن الأعمال ماالشتمل منها على حق. فالوزن الذي توزن به الأعمال هو الحق. ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ بسبب حسناته ومالم يحبط من أعماله الحسنة بالسيئة ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ وهل من فلاح أعظم من فلاح الآخرة. ٩ ـ ﴿ومن خفت موازينه﴾ فالسيئة لاتسبب ثقلاً في ميزان الأعمال لأن الوزن لما اشتمل من الأعمال على حق فقط ﴿فأولئك الذين خسروا أنفسهم﴾ فرأس مالهم هو أنفسهم فذهبت أنفسهم ﴿بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾ بتكذيبها، وعدم تزودهم بما يعيشون به هذا اليوم، وقد أحلوا أنفسهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار. ١٠ ـ ﴿ولقد مكناكم في الأرض﴾ فأسكناكم وجعلنا مكانكم الأرض، أو قدرناكم وسلطناكم فيها ﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾ مما يعاش به من أكل وشرب ﴿قليلاً ماتشكرون﴾ الله على منه ونعمه. ١١ ـ ﴿ولقد خلقناكم﴾ وخلق آدم خلق للجميع وقد خلق من تراب ﴿ثم صورناكم﴾ تفصيل للخلق بعد إجمال ﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ كأب لكل الناس، أي للنشأة الإنسانية، وآدم عليه السلام هو مثال نائب عن أفراد الإنسانية، وأمر السجود متفرع على الخلافة في الأرض ﴿فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين﴾ وقد كان موجوداً مع الملائكة من غير تميز له منهم في مقام القدس مع أنه ﴿كان من الجن﴾ ولم يكن من فرق بينه وبين الملائكة قبل ذلك لحسن تعبده، ﴿ففسق عن أمر ربه﴾ فخرج من مقام الملائكة المكرمين لرفضه الخضوع العبودي والامتثال للحقيقة الإنسانية فتفرعت عليه المعصية. فخلق الإنسان شق المقام مقامين. مقام القرب ومقام البعد، وميز السبيل سبيلين. سبيل السعادة وسبيل الشقاوة. ١٢ ـ ﴿قال مامنعك ألا تسجد﴾ لما خلقت بيدي اهتماماً بأمر الخليقة ﴿إذ أمرتك﴾ وماحملك على عدم تلبية أمري ﴿قال أنا خير منه﴾ فقد ظهرت إنيته واستكباره قبال الإنية الإلهية الذي ذل لها كل شيء بقوله أنا، فلم تخضع نفسه للإله القيوم، مصدر العظمة والكبرياء، ومنبع كل جمال وجلال، بل نازع الله تعالى كبرياءه بقوله: ﴿أنا خير منه﴾ استمراراً وثباتاً في تكبره على الله تقدس اسمه برفض أمره. فالسجود ليس لمادة آدم الأرضية، وإنما للشرف الذي سواه ونفخ فيه. ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ فتعلق بأمر النار والطين وأهمل أمر تكبره على ربه. فالإنية أعمت بصيرته فوجد أن النار خير من الطين ووجد أن الفاضل لايسجد للمفضول وإن أمر الله تعالى بذلك. فهو قد سوى بنفسه نفس ربه بما يرى لنفسه من استقلال وكبرياء، وهذا ماتجلى بترك الآمر والتعلق بالمرجحات من الأمر. ١٣ ـ ﴿قال فاهبط منها﴾ والهبوط خروج الشيء من مستقره نازلاً، وهو هبوط المنزلة هبوطاً معنوياً ﴿فما يكون لك أن تتكبر فيها﴾ فالمنزلة منزلة التذلل والانقياد. فالتكبر هو أخذ الكبر على الغير، ولاكرامة ولاشرف إلا لما شرفه الله. والله سبحانه هو الكبير المتعالي على الإطلاق ومن التكبر ماهو محمود وهو الذي ينتهي إلى الله كالتكبر على أعداء الله، لأنه في الحقيقة اعتزاز بالله، ومنه ماهو مذموم وهو الكبر والاستكبار بدعوى الكبر للنفس بدون حق ﴿فاخرج﴾ من هذه المنزلة دون السماء أو الجنة أو الملائكة إلا أن يرجعا إلى المنزلة بوجه ﴿إنك من الصاغرين﴾ وأهل الهوان قبال استكبارك. ١٤ ـ ﴿قال أنظرني﴾ إمهال واستمهال ﴿إلى يوم يبعثون﴾ ليغوي الناس في الدنيا والبرزخ إلى يوم القيامة. ١٥ ـ ﴿قال إنك من المنظرين﴾ دلالة على إجمال مأأمهل به، ودلالة على أن هناك منظرين غيره. ولكن إمهاله كان إلى يوم الوقت المعلوم وهو دون البرزخ فلاسلطان له فيه مع أنه طلب المهلة إلى يوم القيامة. ١٦ ـ ﴿قال فبما أغويتني﴾ والإغواء هو الإلقاء في الغي، فبسبب إغوائك إياي ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ أي لأجلسن لأجلهم على صراطك المستقيم مترصداً لهم لإبعادهم عنه. ١٧ ـ ﴿ثم لآتينهم﴾ من الجوانب الأربعة الباقية وهي معنوية لاحسية ﴿من بين أيديهم﴾ وهو مايستقبلهم من الحوادث مما تتعلق به الأماني مما يحب الإنسان ومما يكره. ﴿ومن خلفهم﴾ أي من ناحية الأولاد والأعقاب الذين يسره مايسرهم ويسوؤه مايسوؤهم فيجمع المال من حلاله وحرامه لأجلهم، ويعد لهم ماستطاع من قوة ولو بالمعصية والإثم ﴿وعن أيمانهم﴾ واليمين هو جانب اليمن والسعادة وهو الدين فيزيد لهم المبالغة في الأمور

الدينية ﴿وعن شمائلهم﴾ يزين لهم الفحشاء والمنكر ﴿ولاتجد أكثرهم شاكرين﴾ فمن أخلص لك في عبوديته فهو شاكر ومن استقرت فيه صفة الشكر فهو شاكر ومن نسي كل شيء سوى ربه فهو شاكر ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾. ١٨ ـ ﴿قال اخرج منها مذءوماً﴾ من ذام عاب وذم ﴿مدحوراً﴾ من دحر أي طرد ودفع بهوان ﴿لمن تبعك منهم﴾ اللام للقسم، وجوابه ﴿لأملأن جهنم منكم أجمعين﴾ أي منك ومنهم فأشركه في الجزاء معهم. ولما كان غرض إبليس هو إبطال غرض الخلقة فيهم وهو الشكر أجابه تعالى بوعيد بالانتقام بملء جهنم به وبهم، وأورد منكم للتبعيض منة منه على عباده. ١٩ ـ ﴿ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ خص آدم بالخطاب وألحق زوجته بالحكم ﴿فكلا من حيث شئتما﴾ رغداً توسعة في إباحة التصرف ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ استثناء مما أبيح ﴿فتكونا من الظالمين﴾ والظلم هو ظلم النفس دون معصية الأمر المولوي، فإن الأمر إرشادي. ٢٠ ـ ﴿فوسوس لهما الشيطان﴾ والوسوسة هي الدعاء إلى أمر بصوت خفي ﴿ليبدي﴾ ليظهر ﴿لهما ما ووري عنهما﴾ ماستر ﴿من سوآتهما﴾ والسوءة هي العضو الذي يسوء الإنسان إظهاره. ٢١ ـ ﴿وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين﴾ كراهة أن تكونا ملكين ﴿أو تكونا من الخالدين﴾ وهي شجرة الخلد بزعمه. ﴿وقاسمهما﴾ وبالغ في القسم فأغلظ في حلفه ﴿إني لكما لمن الناصحين﴾ والنصح خلاف الغش. ٢٢ ـ ﴿فدلاهما﴾ فقربهما وأوصلهما ﴿بغرور﴾ بإظهار النصح مع إبطان الغش ﴿فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما﴾ بدا ماكان يسوؤهما إظهاره. ﴿وطفقا يخصفان﴾ يضمان ﴿عليهما من ورق الجنة﴾ لستر سوآتهما ﴿وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة﴾ وقد كانت بعيدة ﴿و أقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين﴾ ظاهر العداوة والعدو لايؤتمن. ٢٣ ـ ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ اعتراف بمخالفة الأمر الإرشادي وإقرار أن المخالفة ظلم ﴿وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ نهاية التذلل والابتهال، لذا لم يسألا شيئاً وإنما ذكرا حاجتهما إلى المغفرة والرحمة وتهديد الخسران الدائم المطلق لهما حتى يشاء الله مايشاء. ٢٤ ـ ﴿قال اهبطوا﴾ الخطاب لآدم وزوجه وإبليس ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ وهذه العداوة لاختلاف الطبائع ﴿ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾ وهو القضاء الثاني منه تعالى بالبقاء في الأرض إلى آخر الحياة الدنيا. وهذا الهبوط هو هبوط المنزلة وهو هبوط معنوي، وخروج من هذه المنزلة، دون أن يعني ذلك الهبوط من السماء إلى الأرض، إلا أن يرجعا إلى المنزلة بوجه. ٢٥ ـ ﴿قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ قضاء ثالث يوجب تعلقهم بالأرض إلى يوم البعث. ٢٦ ـ ﴿يابني آدم قد أنزلنا عليكم﴾ بمعنى خلقنا لكم ﴿لباساً﴾ يستر بدنكم ﴿يواري سوآتكم﴾ الذي يسوؤكم ظهورها ﴿وريشاً﴾ كناية عن أنواع الجمال والزينة، فاللباس يواري سوآت الإنسان الخارجية ﴿ولباس التقوى﴾ يواري سوآته الداخلية ﴿ذلك خير﴾ لأنه يستر الرذائل والمعاصي بالتلبس بالتقوى فاللباس الخارجي آية

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۖ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾

من الله تذكر الإنسان بالتقوى التي تستر رذائل النفس وتمنعها من الظهور. ٢٧ ـ ﴿يابني آدم لايفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة﴾ ففتنة الشيطان لكم تسبب خروجكم من منزلة الكرامة ﴿ينزع عنهما لباسهما﴾ بأكلهما من الشجرة ﴿ليريهما سوآتهما﴾ فلكم يابني آدم سوآت لايسترها إلا التقوى التي ألبسناكموها بحسب الفطرة التي فطرناكم عليها فاحذروا أن يفتنكم الشيطان وينزع التقوى عنكم. فأنتم في جنة السعادة مالم تفتنوا به ﴿إنه يراكم هو وقبيله﴾ ومن معه ﴿من حيث لاترونهم﴾ إذ أن لخبث مسلكه وخفاء سربه دقة لاتميزها حواس الإنسان فهو لايرى إلا نفسه من غير أن يشعر أن وراءه من يأمره بالشر ويهديه إلى الشقوة ﴿إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لايؤمنون﴾ فولايتهم ولاية الفتنة والغرور، ومن افتتن بهم واغتر تصرفوا به كما يشاؤون وكانت لهم الولاية عليه، ولاسلطان لهم إلا على الذين لايؤمنون. لأن من عبد الله لم يعبد سواه والله تعالى يقول: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾. ٢٨ ـ ﴿وإذا فعلوا فاحشة﴾ كالطواف عراة حول الكعبة ﴿قالوا وجدنا عليها آباءنا﴾ وبما أن عمل آبائهم ليس حجة أضافوا ﴿والله امرنا بها﴾ فهم يصدعون بما يؤمرون بزعمهم ﴿قل﴾ يامحمد رداً على دعواهم بأن الله أمرهم بها ﴿إن الله لايأمر بالفحشاء﴾ لأن قصة الجنة تتضمن نهياً عن الفحشاء ﴿أتقولون على الله مالاتعلمون﴾ فهو تَقوُّل على الله بغير علم، وافتراء عليه سبحانه بعدم انتهائه إلى وحي. ٢٩ ـ ﴿قل أمر ربي بالقسط﴾ أي بالنصيب العدل. والقاسط هو من يأخذ قسط غيره وذلك جور. والإقساط هو أن يعطي قسط غيره وهو عدل وإنصاف. فالله قد أمر بالنصيب العدل واجتناب جانبي الإفراط والتفريط. فأقسطوا وأنيبوا وأقروا نفوسكم عند كل معبد تعبدون الله فيه، وادعوه بإخلاص الدين له من غير أن تشركوا بعبادته صنماً أو أحداً بتقليد آبائكم وكبرائكم في العبادة وهذا هو القسط. ﴿وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد﴾ توجهوا بتمام أنفسكم. وإقامة الوجوه إيجاد القيام بالأمر لها بإتيان الشيء كما ينبغي. فإقامة الوجه عند العبادة هي الاشتغال بالعبادة والانقطاع عن غيرها. ﴿وادعوه مخلصين له الدين﴾ بانقطاع العبادة عن غيرها والانقطاع لله سبحانه عن غيره ﴿كما بدأكم تعودون﴾ ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة﴾. ٣٠ ـ ﴿فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة﴾ فأقسطوا أعمالكم لأن الله إذ خلقكم قضى فيكم أن تتفرقوا فريقين، فأخلصوا حتى تكونوا من المهتدين. أما الضالون ﴿إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله﴾ فحقت عليهم الضلالة لأنه كتب أنه من تولاه فإنه يضله ﴿ويحسبون أنهم مهتدون﴾ لأن من سار على الباطل واعتقد أحقية الحق كان له أن يعود إلى الحق، أما من اعتنق الباطل هدى فقد حقت عليه الضلالة، وإذا ضل انتكس في الخلق واتخذ إلهه هواه وأخلد إلى الأرض وتعلق بزخارف الدنيا ومتاع الغرور.

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ۚ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

٣١ ـ ﴿يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ أمر بالتزين عند الحضور إلى المساجد ويشمل بإطلاقه كافة العبادات ﴿وكلوا واشربوا﴾ أمران مباحان ﴿ولاتسرفوا﴾ بتجاوز الحد وهو نهي تحريمي معلل. ﴿إنه لايحب المسرفين﴾ وكل ماذكر مأخوذ من قصة الجنة. ٣٢ ـ ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده﴾ والزين عكس الشين، والزينة مايرتفع به العيب ويذهب بنفرة النفس والزينة ضرورية لوجود الإنسان مع غيره من الأفراد وهم يعيشون بالإرادة والكراهية والحب والبغض، والله معلمهم الغيبي يعلمهم من وراء فطرتهم إلى صلاح شأنهم، فهو قد أحل الزينة ﴿والطيبات من الرزق﴾ والطيب هو الملائم للطبع دون إفراط ونهم يؤدي إلى أمراض هضمية تستلزم أدوية وتسبب علة تسقم الفكر. فداعي الفطرة هو أقوى أسباب الإباحة، أما الإفراط والتفريط فيسببان انهدام أركان المجتمع فيظهر الفساد في البر والبحر. ﴿قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾ لبيان ماخص الله به المؤمنين من كرامة وقد اشتركوا مع غيرهم في الزينة فهي ﴿خالصة يوم القيامة﴾ ينالونها دون شوب ولايشاركهم فيها غيرهم، فمن آمن في الدنيا مَلَك نعيمها يوم القيامة ﴿كذلك نفصل الآيات﴾ ونبينها ﴿لقوم يعلمون﴾ امتنان من الله على أهل العلم بتفصيل البيان. ٣٣ ـ ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش﴾ وهي المعاصي البالغة قبحاً وشناعة كالزنا واللواط ﴿ماظهر منها﴾ كالزنا ﴿ومابطن﴾ كاتخاذ الأخدان والصاحبات ﴿والإثم﴾ وهو الذنب الذي يستعقب انحطاط الإنسان في حياته وذله وهوانه كالخمر والميسر ﴿والبغي﴾ وهو التعدي وطلب ماللغير ﴿بغير الحق﴾ تقييد للبغي ﴿وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً﴾ دون دليل أو برهان؛ ولادليل ولابرهان. ﴿وأن تقولوا على الله مالاتعلمون﴾ وهو إفتراء على الله سبحانه وتقوُّل على ماأنزل. فالآية تجمع المحرمات الدينية؛ منها الأفعال وهي الثلاثة الأولى. ومنها مايرجع إلى الغير وهو البغي. ومنها مايرجع إلى النفس وهي إما قبيحة فهي فاحشة أو غير ذلك فهي إثم. ومنها الأقوال وهي إما شرك بالله أو افتراء عليه. ٣٤ ـ ﴿ولكل أمة أجل﴾ قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ﴿فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون﴾ وكل ماذكر مستخرج من ذيل قصة آدم. ٣٥ ـ ﴿يابني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي﴾ ومجيء الرسل محقق لامحالة لتكتمل الحجة على كافة الخلق. ﴿فمن اتقى وأصلح فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون﴾ فإلى الله مرجعهم ليجزيهم أحسن الذي كانوا يعملون. ٣٦ ـ ﴿والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها﴾ ورفضوا الحق ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ وهل يجزى الظالمون إلا ماكانوا يعملون، وهي أيضاً مأخوذة من قصة آدم. ٣٧ ـ ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته﴾ بنسبة دين إليه ووضعه موضع ماأتى به الرسل من دين التوحيد، أو كذب بآياته الدالة على التوحيد. فافتراء الكذب على الله يعم كل بدعة في الدين أصوله وفروعه، ولكنه هنا يتعلق بالشرك وهو اتخاذ آلهة دون الله. ﴿أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب﴾ من القضاء مما كتب أن يصيب الإنسان من مقدرات الحياة من عمر وغنى وصحة ومال وعزٍ وجاه. ﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا﴾ من الملائكة

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٣٤ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَاتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٦ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ٣٧

﴿يتوفونهم﴾ وهم ملك الموت وأعوانه ﴿قالوا أين ماكنتم تدعون من دون الله﴾ من الشركاء الذين كنتم تدعون أنهم شركاء الله فيكم وشفعاؤكم عنده؟ ﴿قالوا ضلوا عنا﴾ وإنما ضلت أوصافهم ونعوتهم. ﴿وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾ بمعاينة حقيقة الأمر، فلانافع ولاضار إلا الله وقد أخطؤوا في نسبة ذلك إلى أولياتهم. ٣٨ ـ ﴿قال﴾ الله ﴿ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس﴾ فادخلوا فيما دخل فيه سابقوكم ولاحقوكم ﴿في النار﴾ وتخاصموا فيها ﴿كلما دخلت أمة لعنت أختها﴾ حيث يلعن كل داخل من تقدم عليه في الدخول. واللعن هو الإبعاد من الرحمة ومن كل خير، فالتكذيب سنةٌ جاريةٌ بين الأمم السابقة وأخواتها التي تلحق بها. ﴿حتى إذا اداركوا فيها جميعاً﴾ فأدرك بعضهم بعضاً واجتمعوا جميعاً في النار ﴿قالت أخراهم لأولاهم﴾ بحسب المرتبة أو بحسب الزمان، فإن الأولى منهم مقاماً هم أئمة الكفر ورؤساء الضلال وقد أعانوا تابعيهم بإضلالهم على الضلال، وكذلك فعل المتقدمون بالمتأخرين. ﴿ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار﴾ مثلاً أو مثلين لأنهم ضلوا وأضلوا ﴿قال﴾ الله سبحانه ﴿لكل﴾ من الأولى والأخرى ﴿ضعف﴾ من العذاب لأنكم ضللتم وأعنتموهم على الضلال باتباع أمرهم وإجابة دعوة الرؤساء منهم ﴿ولكن لاتعلمون﴾ مايقاسون من العذاب. وأنتم تشاهدونهم أمثال أنفسكم في شمول العذاب وإحاطة النار. فأنتم لاتدركون عذابهم وهم لايدركون عذابكم لأن كلاً منكم مشغول بنفسه. ٣٩ ـ ﴿وقالت أولاهم لأخراهم فماكان لكم علينا من فضل﴾ بخفة العذاب ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾ في الدنيا من الذنوب والآثام، فبعضهم يرجع القول لبعض وإنه لحق تخاصم أهل النار. ٤٠ ـ ﴿إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها﴾ ورفضوا الحق الذي فيها ولم يتبعوه ﴿لاتفتح لهم أبواب السماء﴾ فلاتلج أدعيتهم ولاتصعد أعمالهم ولاتدخل أرواحهم ﴿ولايدخلون الجنة﴾ ولايفتح لهم بابها ﴿حتى يلج الجمل﴾ وهو الحبل الغليظ ﴿في سم﴾ ثقب ﴿الخياط﴾ أي الإبرة فهو محال علق بالمحال كناية عن عدم تحققه ﴿وكذلك نجزي المجرمين﴾ وماهم بخارجين من النار. ٤١ ـ ﴿لهم من جهنم﴾ من نار الآخرة البعيدة القعر ﴿مهاد﴾ وهو الوطاء الذي يفترش ﴿ومن فوقهم غواش﴾ جمع غاشية وهو مايغشي الشيء ويستره. فهم محاطون بالعذاب من تحتهم ومن فوقهم ﴿وكذلك نجزي الظالمين﴾. ٤٢ ـ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ إذ العمل بجميع الصالحات حتى لايشذ عنها شاذ، وما أقل من وفق لذلك. ﴿لانكلف نفساً إلا وسعها﴾ فمن عمل مابوسعه من غير أن يشق على نفسه ﴿أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ فهذا جزاء الإيمان والعمل الصالح. ٤٣ ـ ﴿ونزعنا مافي صدورهم من غل﴾ وهو الحقد وضغن القلوب وعداوتها، فغل الصدور من أعظم ماينغص العيش، فإذا نزع الغل طاب العيش ﴿تجري من تحتهم الأنهار﴾ فهم يسكنون في قصور عالية ﴿وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا﴾ وأخلصنا لنفسه، فلااعتقاد باطل ولاعمل سيّء ﴿وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ إشارة إلى اختصاص الهداية به تعالى، فليس للإنسان من الأمر شيء بالاستقلال لأنه تعالى قائمٌ على كل

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

نفسٍ بما تكسب ﴿لقد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ اعتراف بصدق وعد الله لهم بلسان أنبيائه فاعترافهم شكر، واعتراف أهل النار حجة ﴿ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها﴾ والإرث شيء لغيرك آل إليك فقد كانت الجنة مخلوقة ليكسبها المؤمن والكافر بعمله، فزال عنها الكافر بشركه فبقيت للمؤمن ﴿بما كنتم تعملون﴾ فهو الوارث لها بعمله. ٤٤ ـ ﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار﴾ تهكم وسخرية بأصحاب النار مجازاة لهم على كفرهم ﴿أن قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقاً﴾ اعتراف بحقيقة ماوعدهم الله به وكانوا يذعنون به ويشهدون من جميع خصوصيات البعث ماقصه الله بلسان أنبيائه ﴿فهل وجدتم ماوعد ربكم﴾ من البعث والعذاب الذي كنتم تنكرونه ﴿حقاً﴾ فالثواب حق العامل والعقاب حق ولي الأمر. ﴿قالوا نعم﴾ فقد حق عليهم العذاب ﴿فأذن مؤذن بينهم﴾ إعلان عام للفريقين ﴿أن لعنة الله على الظالمين﴾ بقضاء الإبعاد والطرد من رحمة الله للظالمين. وقوله: ﴿ما وعدنا﴾ هو ماوعد الله المؤمنين من الثواب، ﴿وما وعد﴾ هو ما وعد المؤمن والكافر. ٤٥ ـ ﴿الذين يصدون عن سبيل الله﴾ وصراطه وهو دين الفطرة فإن سلكوا غيره كان فيه إذعان بألوهية وعبادة لمعبود، كالملل والأديان الباطلة، أو كالمادية المحضة، فهم يبدلون بذلك نعمة الله كفراً فافهم ذلك. ﴿ويبغونها عوجاً﴾ منحرفة عما أمر الله، مخالفة للفطرة ﴿وهم بالآخرة كافرون﴾ ومنكرون. ٤٦ ـ ﴿وبينهما حجاب﴾ بين أهل الجنة والنار ستر ﴿وعلى الأعراف﴾ وهي أعالي الحجاب ﴿رجال﴾ يشرفون على كلا الفريقين من أهل الجنة والنار ﴿يعرفون كلاً بسيماهم﴾ وعلاماتهم. فهؤلاء الرجال ليسوا ملائكة ولاهم المستضعفون الذين لم تتمّ عليهم الحجة ولاهم من تساوت سيئاتهم وحسناتهم ولاهم أهل الفترة وإنما هم ذوو فضلٍ وشرف وأصحاب كمالٍ في إيمانهم، وإن فرض أن فيهم أفراداً من النساء كان من التغليب. فهم ذوو منزلة ومكانة يشرفون منها على الجميع ويعرفون كل إنسان بسيماه الخاصة، ويحيطون بخصوصيات نفوسهم، وتفاصيل أعمالهم، وهذه ميزة رفيعة لهم. فهم ذوو مرتبة عالية يحيون أهل الجنة بتحية أهل الجنة، ويقرعون أهل النار، ولهم أن يشهدوا ويشفعوا ويأمروا ويقضوا. وقيل هم الأنبياء وقيل هم الشهداء، وقيل هم العلماء الفقهاء أو غير ذلك ﴿ونادوا أصحاب الجنة﴾ نادى رجال الأعراف أناساً من أصحاب الجنة قبل أن يدخلوا الجنة ﴿أن سلام عليكم﴾ فأنتم آمنون من كل مكروه ﴿لم يدخلوها﴾ بعد ﴿وهم يطمعون﴾ في دخولها. فجملة لم يدخلوها وجملة وهم يطمعون جملتان حاليتان من أصحاب الجنة. ٤٧ ـ ﴿وإذا﴾ أصحاب الأعراف، وقيل هم أصحاب الجنة وهو أوجه ﴿صرفت﴾ اتجهت ﴿أبصارهم﴾ والضمير عائد إلى رجال ﴿تلقاء أصحاب النار﴾ وهم لايريدون النظر إلى مايؤلمهم ﴿قالوا ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين﴾ تعوذوا بالله من أن يجعلهم مع أصحاب النار. ٤٨ ـ ﴿ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم﴾ وعلاماتهم المميزة الدالة على أصل كونهم من أصحاب النار ﴿قالوا ما أغنى عنكم جمعكم﴾ ماأفادتكم كثرتكم ﴿وماكنتم تستكبرون﴾ عن الحق. وتغترون بجمعكم. ٤٩ ـ ﴿أهؤلاء﴾ أصحاب الجنة ﴿الذين أقسمتم﴾

وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾

وجزمتم ﴿لاينالهم الله برحمة﴾ لسلوكهم طريق العبودية لله. ﴿ادخلوا الجنة﴾ أمر لهم من أصحاب الأعراف ﴿لاخوف عليكم ولاأنتم تحزنون﴾ بعد تقرير حالهم بالاستفهام. ٥٠ ـ ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا﴾ والإفاضة هي سيلان الماء منصباً ﴿من الماء﴾ الذي هو أحوج مايحتاجون في جحيمهم ﴿أو مما رزقكم الله﴾ من سائر النعم ﴿قالوا إن الله حرمهما على الكافرين﴾ الذين كفروا بنعمه في الدنيا فلن تصيبهم هذه الإفاضة في الآخرة. ٥١ ـ ﴿الذين اتخذوا دينهم لهواً﴾ وهو مايشغل عما يهم ﴿ولعباً﴾ وهو الفعل المأتي به لغاية خيالية غير حقيقية. ﴿وغرتهم الحياة الدنيا﴾ بإظهار النصح وإبطان الغش ﴿فاليوم ننساهم﴾ ونتركهم ولانعتني بأمرهم ﴿كما نسوا لقاء يومهم هذا﴾ فلم يعملوا لآخرتهم ﴿وماكانوا بآياتنا يجحدون﴾ ينكرون ويكذبون. ٥٢ ـ ﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم﴾ دلالة على حقيقة الكتاب المبين، وكيف لايكون حقاً وقد نزل على علم من الله بما يشتمل عليه من المطالب ﴿هدىً﴾ وإراءة الطريق للجميع ﴿ورحمةً لقوم يؤمنون﴾ خاصة. ٥٣ ـ ﴿هل ينظرون إلا تأويله﴾ فهل ينتظر الذين يفترون على الله الكذب وقد تمت الحجة عليهم بالقرآن النازل إلا حقيقة الأمر الداعية لسوق بيانه وتشريع أحكامه، ومايحمل من وعد ووعيد؟ فلو لم ينتظروا ذلك لم يتركوا الأخذ بما فيه ولكن ﴿يوم يأتي تأويله﴾ وتظهر حقيقة الأمر ﴿يقول الذين نسوه﴾ معرضين عنه ﴿من قبل﴾ اعترافاً بحقيقته ﴿قد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ ولم نتبعهم، فنحن الآن صفر الأيدي من الخير، هالكون بفساد أعمالنا ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا﴾ لننجو من العذاب المحيط بنا ﴿أو نرد﴾ إلى الدنيا ﴿فنعمل غير الذي كنا نعمل﴾ فنعمل صالحاً بدل السيئات؛ كلا كلمة هم قائلوها ﴿قد خسروا أنفسهم﴾ لاهذه ولاتلك، لاشفعاء ولارجعة. ﴿وضل عنهم ماكانوا يفترون﴾ فقد زالت عنهم الافتراءات المضلة التي كانت تحجبهم عن الصلاح في الدنيا. ٥٤ ـ ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام﴾ واليوم قطعة من الزمان فتكونهما تم في مراحل متغايرة كمرحلة الذوبان والانعقاد وغير ذلك. ﴿ثم استوى﴾ اعتدل واستقر ﴿على العرش﴾ والعرش شيء مسقف ولكن عرش الله لايعلمه البشر إلا بالاسم وفي المجتمع المترقي تتنوع الأعمال الجزئية، ويقوم زمام كل جزئية بدائرة يديرها مدير لها منصب وكرسي خاص، ولكل مجموعة من الكراسي كرسي فوقها، وهكذا حتى ينتهي الأمر إلى زمام واحد لصاحب العرش. وهذا النظام الوضعي الاعتباري مأخوذ من النظام التكويني، فالحوادث الجزئية تنتهي إلى علل جزئية، وهي تنتهي إلى أسباب أُخرى كلية حتى تنتهي جميعاً إلى الله سبحانه وهو محيط بكل شيء وقد استولى على ملكه وهو قائم قيوم. ﴿يغشي الليل النهار﴾ ويستره ﴿يطلبه حثيثاً﴾ سريعاً فالليل يطلب النهار ليستره حثيثاً فالظلمة هي الأصل ﴿والشمس والقمر والنجوم مسخراتٍ بأمره﴾ مخلوقات له يجرين كما يشاء ﴿ألا له الخلق﴾ وهو التقدير بضم شيء إلى شيء، وإن استقر في عرف الدين في معنى الإيجاد والإبداع على غير مثال سابق ﴿والأمر﴾ الشأن فله نتيجة الأمر أيضاً،

وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

وهو النظام المستقر في أفعال المأمور فأمر كل شيء هو الشأن الذي يصلح له وجوده، وأمر الإنسان إلى ربه فهو المدبر لمسيرة حياته وهو الموجد لكل شيء ﴿تبارك الله رب العالمين﴾ فهو ذو بركات ينزلها على مربوبيه من جميع من في العالمين فهو ربهم. ٥٥ ـ ﴿ادعوا ربكم تضرعاً﴾ تذللاً من الضراعة وهي الضعف والذلة، ﴿وخفيةً﴾ استتاراً فالمتذلل يكاد يختفي من الصغار والهوان ﴿إنه لايحب المعتدين﴾ الخارجين عن أدب العبودية وعن زيها. ٥٦ ـ ﴿ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ فليست حقيقة الدين فيما يرجع إلى حقوق الناس إلا أن يصلح شأنهم ويرفع المظالم من بينهم ويعينهم على التقوى ﴿وادعوه خوفاً﴾ من عذابه ﴿وطمعاً﴾ في إحسانه فالأرباب لاتعبد إلا خوفاً أو رجاء، وهو رب الأرباب، والعبادة عن طمع محض ربما قاد إلى الوقاحة وزوال زي العبودية، فجمع الرغبة والرهبة لإصلاح كل من الصفتين مايمكن أن تفسده الأُخرى. وهذا هو الاعتدال في العبادة والتجنب عن الفساد ﴿إن رحمة الله قريبٌ من المحسنين﴾ الذين يجيبون دعوته فتقرب منهم رحمته. ٥٧ ـ ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشراً﴾ وبشائر ﴿بين يدي رحمته﴾ والرحمة هي المطر الذي تبشر به الرياح ﴿حتى إذا أقلت﴾ حملت ﴿سحاباً﴾ غيوماً ﴿ثقالاً﴾ بما تحمل من الماء ﴿سقناه لبلدٍ ميتٍ﴾ لازرع فيه ﴿فأنزلنا به الماء﴾ ومنه كل شيء حي ﴿فأخرجنا به من كل الثمرات﴾ بعث للحياة في الأرض الميتة ﴿كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾ أن إحياء الموتى يشبه إحياء الأرض، فمن يموت ليس بمنعدم من الأصل لأن أنفسكم وأرواحكم باقية وإن تغيرت أبدانكم، كما أن النبات يتغير ويبقى أصله فما إحياء الموتى في الحشر الكلي يوم البعث إلا كإحياء الأرض الميتة في بعثها الجزئي العائد إلى كل سنة. ٥٨ ـ ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه﴾ والعمل الصالح يعطي الآثار الحسنة ﴿والذي خبث لايخرج إلا نكداً﴾ قليلاً ﴿كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون﴾ الله على ماآتاهم من الآيات الدالة على ضرورة شكره وترك كفره. ٥٩ ـ ﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ المشركين المنكري النبوة ﴿فقال ياقوم﴾ أضافهم لنفسه ليقبلوا نصحه ﴿اعبدوا الله مالكم من إلهٍ غيره﴾ دعوة إلى عبادته ونفي الشريك عنه، ثم أنذرهم بقوله: ﴿إني أخاف عليكم عذاب يومٍ عظيم﴾ وهو يوم القيامة فتكون دعوته إلى التوحيد والمعاد. ٦٠ ـ ﴿قال الملأ من قومه﴾ وهم أشراف القوم الذين يملؤون القلوب هيبة والعيون جمالاً وزينة ﴿إنا لنراك في ضلالٍ مبين﴾ تأكيد لعدم توقع معارض لآلهتهم. ٦١ ـ ﴿قال ياقوم ليس بي ضلالةٌ﴾ نفي للضلالة عن نفسه ﴿ولكني رسول من رب العالمين﴾ استدراك بأنه رسول من رب الأرباب مقابل قولهم بربوبية للبر وغير ذلك. ٦٢ ـ ﴿أبلغكم رسالات ربي﴾ وهذا شأن الرسالة فهو نبي رسول يبلغ مقاصد رسالة الله ﴿وأنصح لكم﴾ وعداً ووعيداً ﴿وأعلم من الله مالاتعلمون﴾ كوقائع القيامة وبدء الخلقة وعودها وغير ذلك وهذا العلم من الله. ٦٣ ـ ﴿أوعجبتم أن جاءكم ذكرٌ من ربكم﴾ استفهام انكاري ينكر تعجبهم من رسالة الدين الحق ومايذكر به الله وهو المعارف الحقة الموحاة. ﴿على رجلٍ منكم لينذركم﴾ فهو الرسول

وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾

إليكم ﴿ولتتقوا﴾ الله ربكم ﴿ولعلكم ترحمون﴾ رجاء أن تشملكم الرحمة، فالتقوى وإن كانت تؤدي إلى النجاة لكنها ليست علة تامة. ٦٤ ـ ﴿فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك﴾ في السفينة ﴿وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوماً عمين﴾ عميت بصائرهم عن الحق فكذبوه فأغرقوا. ٦٥ ـ ﴿وإلى عادٍ أخاهم هوداً﴾ والأخ إضافة لما هو معلوم هو من ينتسب إلى قوم أو بلد؛ أو صنعة أو سجية. ﴿قال ياقوم اعبدوا الله﴾ دعوة للتوحيد ﴿مالكم من إلهٍ غيره﴾ رفض للشرك ﴿أفلا تتقون﴾ فالفطرة تقضي بوجود إله واحد لاشريك له. ٦٦ ـ ﴿قال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ إشارة إلى وجود من يؤمن بالله ويستر إيمانه ﴿إنا لنراك في سفاهةٍ﴾ خفة عقل تؤدي إلى الخطأ ﴿وإنا لنظنك من الكاذبين﴾ لاستقرار صفة الوثنية بحيث لايجرؤ أحد على الاعتراض عليها. ٦٧ ـ ﴿قال ياقوم﴾ عطفاً وحرصاً على إنجائهم ﴿ليس بي سفاهةٌ﴾ رد للتهمة ﴿ولكني رسولٌ من رب العالمين﴾ إثبات الرسالة. ٦٨ ـ ﴿أبلغكم رسالات ربي﴾ فلاشأن لي بما أني رسول إلا تبليغ رسالات ربي خالصاً من شوب ماتظنون بي ﴿وأنا لكم ناصحٌ أمينٌ﴾ فلست بغاشٍ لكم ولاخائن لما عندي من الحق وقد وصف نفسه بالأمانة مقابل تهمتهم إياه بالكذب. ٦٩ ـ ﴿أوعجبتم أن جاءكم ذكرٌ من ربكم﴾ يعلمكم المعارف الإلهية ﴿على رجلٍ منكم لينذركم﴾ من عذاب ربكم ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح﴾ إنكار لتعجبهم وتذكير بنعمتين ظاهرتين الأولى هي الخلافة ﴿وزادكم في الخلق بصطةً﴾ وخصكم ببسطة الخلق وعظم الهيكل العظمي المستلزم لزيادة الشدة والقوة ﴿فاذكروا آلاء الله﴾ ونعمه ﴿لعلكم تفلحون﴾ فالذكر سبيل الفلاح. ٧٠ ـ ﴿قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ماكان يعبد آباؤنا﴾ إنكار للتوحيد وتعلق بتقليد آبائهم ﴿فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾ تعجيز مشوب بالاستهزاء بما أنذرهم به من العذاب. ٧١ ـ ﴿قال قد وقع عليكم من ربكم رجسٌ وغضبٌ﴾ وهو الأمر المستقذر الذي يوجب الابتعاد عنه. ﴿أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم﴾ فهذه الآلهة وأسماؤها من صنعكم وليس لكم على ألوهيتها من حجة. ﴿مانزل الله بها من سلطانٍ﴾ وهو البرهان والحجة القاطعة، وليس لهذه الآلهة مصاديق إلا في أوهامكم ﴿فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾ انتظروا العذاب الذي تستعجلون فهو نازل لامحالة. ٧٢ ـ ﴿فأنجيناه والذين معه برحمةٍ منا﴾ تخص المؤمنين في النصرة الموعودة لهم ﴿وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا﴾ والدابر هو الذي يلي الشيء من خلفه فقد أهلكوا وقطع نسلهم ﴿وماكانوا مؤمنين﴾ لأن النصر للمؤمنين. ٧٣ ـ ﴿وإلى ثمود﴾ وهي أمة قديمة من العرب سكنوا أرض اليمن بالأحقاف وبعث الله إليهم ﴿أخاهم صالحاً﴾ وهو منهم ﴿قال ياقوم اعبدوا الله﴾ دعوة للتوحيد ﴿مالكم من إلهٍ غيره﴾ ونفي للإشراك ﴿قد جاءتكم بينةٌ من ربكم﴾ شاهد قاطع في دلالته ﴿هذه ناقة الله﴾ أخرجها لكم من الجبل ﴿لكم آيةً﴾ على نبوة صالح عليه السلام ﴿فذروها﴾ خلّوها ﴿تأكل في أرض الله﴾ وتسير فيها مع أنهم يتحرجون ذلك ﴿ولاتمسوها بسوءٍ﴾ كالعقر والنحر والمنع ﴿فيأخذكم عذابٌ أليمٌ﴾ وبال مخالفتكم مع تهديد وتشديد ووعيد بالعذاب.

أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ
أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ
وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ
فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ
يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ
﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ
أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم
مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ
ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا
وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ
﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ
مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن
رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ
فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

٧٤ ـ ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عادٍ﴾ فأنعم الله عليكم بالخلافة ﴿وبوأكم في الأرض﴾ مكنكم من منازلهم منها ﴿تتخذون من سهولها قصوراً﴾ دوراً لها أسوار ﴿وتنحتون الجبال بيوتاً﴾ تأوون إليها وتسكنون. ﴿فاذكروا آلاء الله﴾ فإن لله فيكم نعماً عظيمة ﴿ولاتعثوا في الأرض مفسدين﴾ والعُثِيّ هو الفساد الذي يدرك حساً، أو هو الاضطراب والمبالغة في الفساد.

٧٥ ـ ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه﴾ ولم يؤمن أحد منهم ﴿للذين استضعفوا لمن آمن منهم﴾ فالمؤمنون هم من المستضعفين ﴿أتعلمون أن صالحاً مرسلٌ من ربه﴾ هل هو رسول من الله؟ ﴿قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون﴾ فنحن نؤمن به وبرسالته.

وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

٧٦ ـ ﴿قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون﴾ فلاهو رسول ولاصاحب رسالة.

٧٧ ـ ﴿فعقروا الناقة﴾ العقر هو قطع القوائم أو النحر ﴿وعتوا﴾ امتنعوا وتمردوا ﴿عن أمر ربهم﴾ استكباراً ﴿وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين﴾ استهزاء بالعذاب وتكذيب للرسول، وإنكار للرسالة ٧٨ ـ ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ الاضطراب الشديد والاهتزاز القوي. ﴿فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ ساقطين على وجوههم وركبهم.

٧٩ ـ ﴿فتولى عنهم﴾ وابتعد ﴿وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم﴾ وعداً ووعيداً ولم أغشكم. ﴿ولكن لاتحبون الناصحين﴾ ولو أحببتم النصح لاستجبتم ولكنكم فضلتم الغش على النصح.

٨٠ ـ ﴿ولوطاً إذ قال لقومه﴾ وهم أهل سدوم وهم مشركون عبدة أصنام ﴿أتأتون الفاحشة﴾ وهي اللواط ﴿ماسبقكم بها من أحدٍ من العالمين﴾ فأنتم أول من أتى بهذا الفعل الشنيع المستقذر.

٨١ ـ ﴿إنكم لتأتون الرجال﴾ كناية عن العمل بهم بالفاحشة، ﴿شهوة من دون النساء﴾ قرينة لما ذكر ﴿بل أنتم قومٌ مسرفون﴾ متعدون سبيل الخلقة، متجاوزون طريق الخلقة.

على أن قوله شهوةً ينفي أي داعٍ آخر كطلب النسل وإنشاء عائلةٍ جديدةٍ ونحوه؛ وهذا وصفٌ لهم بالبهيمية.

كما أن نعتهم بالإسراف إضرابٌ عن الإنكار إلى الإخبار عنهم بالحال التي توجب إرتكاب القبائح وتدعو إلى اتباع الشهوات لأن عادتهم الإسراف في كل شيء، ثم أسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المألوف إلى المنكر.

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾

٨٢ ـ ﴿وماكان جواب قومه﴾ لم يكن عندهم جواب ﴿إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم﴾ فالبلدة لكم وهم نزلاء ليسوا منها ﴿إنهم أناسٌ يتطهرون﴾ ويتنزهون فلا يهمنكم أمرهم فلاعدة لهم ولاشدة.

٨٣ ـ ﴿فأنجيناه وأهله﴾ إذ لم يؤمن به سواهم ﴿إلا امرأته﴾ فلم تؤمن و ﴿كانت من الغابرين﴾ الماضين الهالكين من القوم. ٨٤ ـ ﴿وأمطرنا عليهم مطراً﴾ غريب الأثر فهو حجارة من سجيل منضود. ﴿فانظر﴾ يامحمد أنت وأمتك ﴿كيف كان عاقبة المجرمين﴾ واعتبروا بهم.

٨٥ ـ ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً﴾ رسول الله إليهم ﴿قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إلهٍ غيره﴾ دعوة إلى التوحيد وعدم الإشراك ﴿قد جاءتكم بينةٌ من ربكم﴾ فالدليل على مجيئه آية تدل على رسالته ﴿فأوفوا الكيل والميزان ولاتبخسوا الناس أشياءهم﴾ وقد كان الإفساد في المعاملات رائجاً بينهم ﴿ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ فالله قد أصلحها خلقاً، والفطرة الإنسانية تدعو إلى إصلاحها، وبذلك ينتظم أمر الحياة السعيدة، والإفساد وإن كان يشمل كافة المعاصي والذنوب مما يتعلق بحقوق الله أو بحقوق الناس، فهو هنا يخص الإفساد الذي يسلب الأمن العام في الأموال والأعراض والنفوس ﴿ذلكم خيرٌ لكم﴾ فالحياة الإجتماعية السليمة تدور مدار الإصلاح والأمن، فمن يجوّز لنفسه أن يبخس غيره يجوز لغيره أن يبخسه، ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ بالله مصدقين لقوله.

٨٦ ـ ﴿ولاتقعدوا بكل صراطٍ﴾ فلاتتعرضوا لصراط الله المستقيم الذي هو الدين ﴿توعدون﴾ وتهددون المؤمنين لإيمانهم ﴿وتصدون عن سبيل الله من آمن به﴾ وتمنعونهم من المشاركة في العبادات ﴿وتبغونها عوجاً﴾ وأنتم تبذلون ماأوتيتم من قوة لقطع الطريق على الإيمان بكل حيلة ووسيلة ﴿واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم﴾ بزيادة النسل وهذه من نعم الله عليكم، فزيادة عدد المجتمعين من أولي العقل تزيد قوة المركبة الاجتماعية، وتنبه فكرها وإرادتها وعملها لتسخر الطبيعة في رفع نواقصها ﴿وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين﴾ الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد وغرتهم الحياة الدنيا بغرورها، والشهوات بخلاعتها فنصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد، فكم ذكر الدهر من القياصرة وقد طحنتهم الخطوب، والفراعنة والأكاسرة وقد ثار عليهم عبيدهم وضربت عليهم الذلة والمسكنة ولم يبق منهم إلا أثر بعد عين.

٨٧ ـ ﴿وإن كان طائفةٌ منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفةٌ لم يؤمنوا﴾ فإن الخلاف واقع لامحالة بسبب قبول طائفة الدعوة ورفض الأُخرى لها، والمستكبرون سوف يصدون عن سبيل الله ويفسدون في الأرض ﴿فاصبروا﴾ أمر إرشادي للكافرين ومولوي أو إرشادي للمؤمنين ﴿حتى يحكم الله بيننا﴾ ويأتي أمره، فإن في ذلك صلاح المجتمع، لكي لايقع المؤمنون في البأس، ولايقع الكفار في ندامة الإقدام من غير روية ﴿وهو خير الحاكمين﴾ فلاينساهل في حكم إذا آن أوانه ولايجور في حكمه إذا حكم. وقيل أن قوله فاصبروا هو تهديد للكافرين.

٨٨ ـ ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه﴾ وقد رفضوا الاسترشاد برشده واستعجلوا حكم الله ﴿لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا﴾ تهديد ووعيد للمؤمنين بالطرد ﴿أو لتعودن في ملتنا﴾ إلا أن ترتدوا عن دين التوحيد ﴿قال أولوكنا كارهين﴾ فالخروج من القرية أهون من الارتداد، أوليست أرض الله واسعة فنهاجر فيها ومن يهاجر في سبيل الله يجد مراغماً كثيرة وسعة. ٨٩ ـ ﴿قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم﴾ بنسب الشركاء إليه ﴿بعد إذ نجانا الله منها﴾ تكلم شعيب عن المجموع بنسبة وصف الجل إلى الكل، لأنه (ع) لم يشرك بالله قط، والله قد نجى قومه به من الشرك ﴿ومايكون لنا أن نعود فيها﴾ إضراب وترقٍ عن العودة إلى الشرك لأنه افتراء على الله، وذلك مما لايكون البتة، ولما كان القطع بعيداً عن أدب النبوة أضاف ﴿إلا أن يشاء الله ربنا﴾ أن يسلب عنايته عنا بسبب الذنوب، فالله ربنا يدبر أمرنا وهو الحاكم ﴿وسع ربنا كل شيء علماً﴾ فمن الجائز أن تتعلق مشيئته بما يغيب عن علمي ﴿على الله توكلنا﴾ ومن يتوكل على الله فهو حسبه يصونه من شر مايخاف. ثم طلب (ع) الفتح والإبعاد عن الخصم ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾ فالفتح هو الحكم الفصل وهو الهلاك ﴿وأنت خير الفاتحين﴾ تنصر المؤمنين وتهلك الجبارين، تذل ملوكاً وتستخلف آخرين. ٩٠ ـ ﴿وقال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ تهديداً لمن آمن بشعيب وصداً عن سبيل الله ﴿لئن اتبعتم شعيباً﴾ وقد أنذر بالخروج من القرية ﴿إنكم إذاً لخاسرون﴾ ومخرجون فنحن نعادي شعيباً بالأصالة ونعاديكم لاتباعه. ٩١ ـ ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ أي الهزة الشديدة ﴿فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ فأتى الصباح وهم مكبون على رؤوسهم ووجوههم. ٩٢ ـ ﴿الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها﴾ يقال غني في مكان كذا إذا طال مقامه فيه مستغنياً به عن غيره ﴿الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين﴾ فأمثال هؤلاء يسهل زوالهم، وقد تركوا مقامهم وهم أمة عريقة هددت شعيباً ومن تبعه بالخسران، فخاب ظنهم والله خير الماكرين. ٩٣ ـ ﴿فتولى عنهم﴾ بعد نزول العذاب ﴿وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم﴾ وهو مقام اعتبار ﴿فكيف آسى على قوم كافرين﴾ كيف أحزن لما حل بهم وهم كافرون. ٩٤ ـ ﴿وماأرسلنا في قريةٍ من نبي﴾ ليهديهم سبيل الرشاد ﴿إلا أخذنا أهلها﴾ وابتليناهم ﴿بالبأساء﴾ أي الشدة في المال كالفقر ﴿والضراء﴾ الشدة في النفس كالمرض ﴿لعلهم يضرّعون﴾ إلى الله وتذل نفوسهم لمقامه فيدعوا الشدة عن أنفسهم بالإيمان والعمل الصالح. ٩٥ ـ ﴿ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة﴾ بتبديل الشدة رخاء، والخوف أمناً والضراء سراء ﴿حتى عفوا﴾ فكثروا أموالاً وأنفساً بعد نقص بالإمتحان ﴿وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء﴾ فما جرى إنما هو تعاقب للضراء والسراء وليس امتحاناً إلهياً. أو أنهم بقولهم هذا قد عفوا ومحوا أثر الامتحان الإلهي بعد أن نسوا ماهم عليه من الشدة ﴿فأخذناهم بغتةً﴾ فجأة ﴿وهم لايشعرون﴾ تلويح إلى جهل الإنسان بجريان الأمر الإلهي، ولذا أخذوا بغتة وهم يظنون أنهم عالمون بمجاري الأمور.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

٩٦ ـ ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا﴾ وأحسنوا العقيدة ﴿واتقوا﴾ فأحسنوا السلوك ﴿لفتحنا عليهم بركات﴾ من أنواع الخير كالأمن والرخاء والصحة والمال والأولاد بعضها ﴿من السماء﴾ من مطر وثلج وغير ذلك بالمقدار النافع ﴿والأرض﴾ من النبات والفواكه والأمن. فالنوع الإنساني متكامل لذا لايكفي إيمان البعض وتقواه لأنه يقابل بكفر البعض وفسقه، فلايرتفع سبب الفساد؛ اللهم إلا بأن تنهض الجماعة المؤمنة لتأخذ على يد من كفر. ﴿ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ فحاقت بهم أعمالهم فأهلكهم الله بذنوبهم. ٩٧ ـ ﴿أفأمن أهل القرى﴾ واغتروا بما تحت حسهم ﴿أن يأتيهم بأسنا بياتاً﴾ والبيات هو التبييت للعدو ليلاً ﴿وهم نائمون﴾ وقد قالت للربيع بن هيثم ابنته: ياأبت مالي أراك لاتنام؟ فقال لها: ياابنتاه إن أباك يخاف التبييت. ٩٨ ـ ﴿أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحىً..؟ وهذا هو الوضع الثاني لحالهم ﴿وهم يلعبون﴾ وهم يشتغلون برفع حوائج الدنيا والتمتع بشهواتها، فاللعب كناية عن العمل للدنيا. ٩٩ ـ ﴿أفأمنوا مكر الله﴾ أن يصيبهم بضرره، وهم لايشعرون أن مايفعلونه يسوقهم إلى العذاب ﴿فلايأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾ فالآمنون من مكر الله خاسرون لأنهم ممكور بهم بهذا الأمن بعينه. ١٠٠ ـ ﴿أو لم يهد﴾ أو لم يظهر ﴿للذين يرثون الأرض من بعد أهلها﴾ أنا أخذناهم بمعاصيهم بعد ما امتحناهم ﴿أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم﴾ من غير أن يمنعنا مانع ـ إذا لم يتقوا بأسنا بالتقوى ـ ﴿ونطبع على قلوبهم فهم لايسمعون﴾ مواعظ أنبيائهم. ١٠١ ـ ﴿تلك القرى﴾ منها قائم وحصيد ﴿نقص عليك من أنبائها﴾ تلخيص لحالهم قبال الدعوة الإلهية ﴿ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ والآيات الظاهرة ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل﴾ فلم تتهيأ أنفسهم للإيمان بما سبق أن كذبوا به ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين﴾ فسبب الطبع على قلوبهم هو عدم إيمانهم وتكذيبهم وأثر الطبع هو تكذيبهم بدلالة الابتلاء بالبأساء والضراء ثم بتبديل الحسنة سيئة. ١٠٢ ـ ﴿وما وجدنا لأكثرهم من﴾ وفاء ﴿عهد﴾ ولاحفظ له. وربما يكون العهد هو أن يعبدوا الله ولايشركوا به شيئاً ﴿وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾ فهم يخرجون عن العهد الذي عهده الله إليهم. ١٠٣ ـ ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى﴾ وهو ثالث أولي العزم ﴿بآياتنا﴾ وبكتاب جديد وشرعة جديدة لتلائم تقدم البشر واستعدادهم لقبول المعارف الإلهية عصراً بعد عصر ﴿إلى فرعون وملئه﴾ بآية العصا فإذا هي ثعبان مبين وإخراج يده من جيبه فإذا هي بيضاء للناظرين ثم آيات العذاب كالطوفان والجراد وغير ذلك ﴿فظلموا بها﴾ بأن كذبوها وأنكروها فأهلكهم الله ﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ الذين يستضعفون المؤمنين، وقد حل بهم العذاب. ١٠٤ ـ ﴿وقال موسى يافرعون﴾ شروع في تفصيل القصة بعد إظهار العبرة منها ﴿إني رسول﴾ علي تبليغ الرسالة ﴿من رب العالمين﴾ فهو رب الأرباب التي تصورها لوثات أوهام الوثنيين، فقوله رب العالمين متخذ لينا سب تصور الوثنيين في تعدد الأرباب.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾

١٠٥ ـ ﴿حقيق على﴾ حري بي ﴿أن لاأقول على الله إلا الحق﴾ فلا أنسب إلى الله شيئاً من الباطل ﴿قد جئتكم ببينة من ربكم﴾ هي دلالة على صدق رسالتي ﴿فأرسل معي بني إسرائيل﴾ ولاتعذبهم.

١٠٦ ـ ﴿قال إن كنت جئت بآية﴾ ومأأظنك جئت بها ﴿فأت بها إن كنت من الصادقين﴾ ومأأظنك تصدق.

١٠٧ ـ ﴿فألقى عصاه﴾ فإذا هي ثعبانٌ مبين﴾ وهي الحية العظيمة ١٠٨ ـ ﴿ونزع﴾ أخرج ﴿يده﴾ من جيبه ﴿فإذا هي بيضاء للناظرين﴾ وقد زاد بياضها بصورة خارقة للعادة.

١٠٩ ـ ﴿قال الملأ من قوم فرعون﴾ وهم يتحاورون ويتشاورون ليقدموا ماستصوبوه من رأي إلى فرعون ليعمل به ﴿إن هذا لساحرٌ عليمٌ﴾ وإذا كان ساحراً غير صادق فهو إنما يتوسل بهذه الوسيلة إلى نجاة بني إسرائيل واستقلالهم في أمرهم ليتأيد بهم، وماحدث ليس بمعجزة ولاآية فهو ١١٠ ـ ﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم﴾ ويذهب بطريقتكم المثلى ويتملك مصر ﴿فماذا تأمرون﴾ بشأنه.

١١١ ـ ﴿قالوا﴾ بعد مشاورة ﴿أرجه وأخاه﴾ أخرجهما ولاتعجل لهما بشر، كالقتل ونحوه حتى لاترمى بالظلم ﴿وأرسل في المدائن﴾ من جنودك ﴿حاشرين﴾ يجمعون السحرة ١١٢ ـ ﴿يأتوك بكل ساحرٍ عليمٍ﴾ ليعارضوا سحره بسحرهم.

١١٣ ـ ﴿وجاء السحرة فرعون﴾ وقد علموا مبلغ أهمية الأمر ﴿قالوا إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين﴾ وصيغة الخبر هي للتأكيد. ١١٤ ـ ﴿قال نعم وإنكم لمن المقربين﴾ إجابة لما سألوا مع زيادة هي وعدهم بالتقريب.

١١٥ ـ ﴿قالوا ياموسى إما أن تلقي﴾ عصاك ﴿وإما أن نكون نحن الملقين﴾ حبالنا وعصينا. وهذا التخيير يدل على استعداد وتجلد وعدم مبالاة بأمره لوثوقهم بالغلبة ولايخلو من التأدب.

١١٦ ـ ﴿قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس﴾ تصرفوا بحواسهم بإدراك أشياء لاحقيقية لها في الخارج ﴿واسترهبوهم﴾ أخافوهم ﴿وجاءوا بسحر عظيم﴾ فبهروا أعين الناس.

١١٧ ـ ﴿وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك﴾ فألقاها ﴿فإذا هي تلقف﴾ تتناول بسرعة ﴿مايأفكون﴾ والإفك هو صرف الشيء عن وجهه ولذا يطلق على الكذب.

حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ ٱلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾

١١٨ ـ ﴿فوقع الحق﴾ واستقر ﴿وبطل ماكانوا يعملون﴾ من السحر.

١١٩ ـ ﴿فغلبوا﴾ أي فرعون وملؤه ﴿هنالك﴾ في ذلك المجمع العظيم ﴿وانقلبوا﴾ عادوا ﴿صاغرين﴾ أذلاء مهانين.

١٢٠ ـ ﴿وألقي السحرة ساجدين﴾ إشارة إلى كمال تأثير آية موسى فيهم فلم يشعروا بأنفسهم إلا وهم ملقون ساجدون.

١٢١ ـ ﴿قالوا آمنا برب العالمين﴾ الذي اتخذه موسى وهارون، وهو من يملك العالمين ولاتعدد أرباب فآمنوا بإله واحد. ١٢٢ ـ ﴿رب موسى وهارون﴾ مع الإيمان بهما. ١٢٣ ـ ﴿قال فرعون﴾ موبخاً ومنكراً ﴿آمنتم به قبل أن آذن لكم﴾ تأنف واستكبار، فهو يفترض لنفسه سيطرة على نفوسهم كسيطرته على أبدانهم. ﴿إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة﴾ حيث تواطأتم مع موسى بعد اجتماعكم في المدينة، وهذا تمهيد لما سيفرضه عليهم من العقوبة بتهمة الإفساد في الأرض ﴿لتخرجوا منها أهلها﴾ لإثبات جرم الفساد المبيح له التنكيل بهم ﴿فسوف تعلمون﴾ عاقبة مكركم وجزاءه ١٢٤ ـ ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلافٍ﴾ تهديد بقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى أو اليد اليسرى مع الرجل اليمنى ﴿ثم لأصلبنكم أجمعين﴾ بشدكم بعد العذاب على خشبة، ليعتبر بكم الناس. ١٢٥ ـ ﴿قالوا إنا إلى ربنا منقلبون﴾ قابلوه بما يبطل كيده ويقطع حجته، فما تعده أنت جرماً هو الخير المطلق وماعند الله خير وأبقى ١٢٦ ـ ﴿وما تنقم منا﴾ أي أن سبب نقمتك وهي الكراهة والبغض ﴿إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا﴾ هذه الدلائل ﴿ربنا أفرغ علينا﴾ واملأنا ﴿صبراً﴾ وقد أخذتهم الجذبة الإلهية، فما وهنوا وماذعروا بل استغاثوا بربهم ليفيض عليهم الصبر فلايجزعوا ﴿وتوفنا مسلمين﴾ إن قتلنا. وقد جاءوا بالعجب العجاب في مشافهتهم مع فرعون وهو الجبار العنيد، فلم تذعرهم سطوته، بل أعربوا عن حجتهم بقلوب راسخة مطمئنة ونفوس كريمة وعزم ثابت وإيمان يقين وعلم غزير وقول بليغ يدل على شرف حالاتهم الروحية وكرم سجاياهم. ١٢٧ ـ ﴿وقال الملأ من قوم فرعون﴾ إغراء منهم لفرعون وتحريض لقتلهم ﴿أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض﴾ وهذه هي حاشية السوء وبطانة الفساد تبقى دائماً على مستوى أهواء الجبار ونزواته فهي تشير عليه بما يحب وهو يحب قتلهم ـ فقتلهم أجدى لك ـ ﴿ويذرك وآلهتك﴾ ويترك عبادتك وعبادة آلهتك ﴿قال﴾ فرعون ﴿سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم﴾ بإبقائهن للخدمة أو بإذهاب حيائهن ﴿وإنا فوقهم قاهرون﴾ فلنا الغلبة عليهم فلتطب نفوسكم وليسكن اضطرابكم ولتقر عيونكم. ١٢٨ ـ ﴿قال موسى لقومه﴾ لمواجهة التحديات والمصاعب التي تواجههم ﴿استعينوا بالله واصبروا﴾ بعث لبني إسرائيل واستنهاض لهم على الاستعانة بالله، ثم بعث للصبر على الشدائد التي يهددهم بها فرعون، والصبر هو النهوض للتغلب على ظلم الظالم فهو رائد الخير، وليس الصبر خنوعاً كالأرض الطرية تحت أقدام الطغاة. ﴿إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده﴾ فلايملكها فرعون حتى يمنحها أو يمنعها ﴿والعاقبة للمتقين﴾ فسنة الله قد جرت أن يخص المتقين بحسن العاقبة. ١٢٩ ـ ﴿قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا﴾ بإذلال فرعون لنا ﴿ومن بعدما جئتنا﴾ بما يتوعدنا به فرعون فأين أثر وعدك لنا بالنجاة من الأسر والذل؟ وهذا قول من لايحمل إلا إيماناً متزعزعاً وهو يميل إلى الركون وإلى السكون والدعة، فالتحول من حال إلى حال لايتم بدون العمل من قبل مجموع الأفراد ﴿قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض﴾ بإيراثكم إياها، وهو

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٢ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٣ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ١٢٤ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٢٥ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ١٢٦ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ١٢٧ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ١٢٨ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٩ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٣٠ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّن ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ١٣١

سبحانه لايصطفي بالاستخلاف جزافاً، ولايكرم من دون شرط، ولكن يرى سيرتكم ﴿فينظر كيف تعملون﴾ وليعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين. وهذا ينفي مايعتقده اليهود من أن لهم كرامة عند الله. ١٣٠ ـ ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين﴾ جمع سنة وهي القحط والجدب ﴿ونقصٍ من الثمرات لعلهم يذكرون﴾ فقد أخذهم الله بالبأساء والضراء تارة بعد أُخرى لعلهم يضرعون.

١٣١ ـ ﴿فإذا جاءتهم﴾ أي جاءت آل فرعون ﴿الحسنة﴾ بعد ارتفاع السنة ونقص الثمرات ﴿قالوا لنا هذه﴾ فنحن مختصون بالنعمة ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ من بعد نعمة أصابتهم ﴿يطيروا بموسى ومن معه﴾ والتطير من الطير وهو التشاؤم، فهم لم يعتادوا النعمة بما هي نعمة إلا بعد مشاهدة النقمة ﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾ فنصيبهم من الشر والشؤم عنده تعالى ﴿ولكن أكثرهم لايعلمون﴾ لظنهم أن ماتجنيه أيديهم يفوت ويزول ولايحفظ عليهم.

١٣٢ ـ ﴿وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها﴾ إيئاس لموسى واستهزاء به، فقد سموها آية وغرضها السحر ﴿فما نحن لك بمؤمنين﴾ لقد سدوا منافذ الهدى فحق عليهم القول.

١٣٣ ـ ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان﴾ والطوفان هو كل حادثة تحيط بالإنسان، ويستعمل للماء المتناهي في الكثرة، أو هو السيل المغرق. ﴿والجراد﴾ وهي الحشرات المعروفة وقد غشيتهم ﴿والقمل والضفادع والدم آياتٍ مفصلاتٍ﴾ أرسلت متفرقة وهي آيات إلهية مقصودة تأتيهم عن إخبار موسى قبل مجيئها ﴿فاستكبروا﴾ وعتوا ولم يذعنوا بالآيات ﴿وكانوا قوماً مجرمين﴾ فلم يعتبروا بما أتاهم منها ولم يستجيبوا لدلالاتها.

١٣٤ ـ ﴿ولما وقع عليهم الرجز﴾ وهو العذاب الذي تشتمل عليه كل آية ﴿قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد﴾ أوجب ﴿عندك﴾ أن لايرد دعاءك ﴿لئن كشفت عناالرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل﴾ عهد منا لك.

١٣٥ ـ ﴿فلما كشفنا عنهم الرجز﴾ أي العذاب ﴿إلى أجلٍ هم بالغوه﴾ إلى أجل مضروب، وعند ذاك يحل بهم ﴿إذا هم ينكثون﴾ وينقضون عهدهم.

﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

١٣٦ ـ ﴿فانتقمنا منهم﴾ وقد بلغوا الأجل المضروب لهم ﴿فأغرقناهم في اليم﴾ أي البحر ﴿بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾ إذ لم ينتبهوا لما يمكن أن تحمل الآيات.

١٣٧ ـ ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها﴾ لأننا نريد ﴿أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾ في الأرض ﴿التي باركنا فيها﴾ وهي أرض الشام وفلسطين ﴿وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل﴾ وأنجز لبني إسرائيل ماقضاه بوعده أنه سيورثهم الأرض ويهلك عدوهم ﴿بما صبروا﴾ على المحنة ﴿ودمرنا ماكان يصنع فرعون وقومه﴾ من القصور والأبنية ﴿وماكانوا يعرشون﴾ من العروش والكروم.

١٣٨ ـ ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر﴾ فاجتازوه وأنقذوا ﴿فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم﴾ يلازمونها ويعظمونها ﴿قالوا ياموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهةٌ﴾ مجعولة ﴿قال إنكم قوم تجهلون﴾ مقام ربكم، فطريق الوثنية يودي إلى الهلاك. ١٣٩ ـ ﴿إن هؤلاء متبر﴾ هالك ﴿ماهم فيه﴾ أي ماهم بسبيله من عبادة الأصنام ﴿وباطل ماكانوا يعملون﴾ من أعمال عبادية.

١٤٠ ـ ﴿قال أغير الله أبغيكم﴾ أطلب لكم وألتمس ﴿إلهاً﴾ ولارب إلا الله ﴿وهو فضلكم على العالمين﴾ بآياته الباهرة ودينه الحق وأنجاكم من فرعون وعمله. ١٤١ ـ ﴿وإذ أنجيناكم من آل فرعون﴾ وملته ﴿يسومونكم﴾ يذلونكم ويحملونكم ﴿سوء العذاب﴾ مرارة وشدة ﴿يقتلون أبناءكم﴾ فيكثرون في تقتيلهم ﴿ويستحيون نساءكم﴾ يبقون على حياتهن للخدمة ﴿وفي ذلكم﴾ العذاب ﴿بلاءٌ من ربكم عظيمٌ﴾ اختبار منه وقد نجاكم.

١٤٢ ـ ﴿وواعدنا موسى﴾ وعد من الله لموسى للتقريب والتكليم ﴿ثلاثين ليلةً وأتممناها بعشرٍ﴾ بعد الثلاثين ﴿فتم ميقات ربه﴾ وهو ماقدر ليعمل فيه مايكلفه ﴿أربعين ليلةً﴾ وذكرت الليالي دون الأيام لأنها الأنسب للتقرب إلى الله سبحانه وذكره ومناجاته. ﴿وقال موسى لأخيه هارون﴾ موصياً إياه ﴿اخلفني في قومي﴾ بعد ذهابي ﴿وأصلح﴾ أمر القوم ﴿ولاتتبع سبيل المفسدين﴾ لاتسر فيهم سيرة هي سبيل المفسدين الذين يستمرئون الفساد، وهؤلاء المفسدون هم الذين يكيدون بني إسرائيل ليفرقوا شملهم بعد حياة كلمة الإتحاد بينهم.

١٤٣ ـ ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا﴾ الذي واعدناه به ﴿وكلّمه ربه﴾ عنده ﴿قال رب أرني أنظر إليك﴾ أرك ﴿قال لن تراني﴾ ولايمكن ذلك ﴿ولكن انظر إلى الجبل﴾ وهو جبل مشهود ﴿فإن استقر مكانه فسوف تراني﴾ ولن تطيق رؤيتي واعلم أنه إذا استقر الجبل مكانه فسوف تطيق رؤيتي ﴿فلما تجلى﴾ بالقدرة ﴿ربه للجبل جعله﴾ بتجليه ﴿دكاً﴾ مدكوكاً مدقوقاً متلاشياً في الجو أو سائحاً ﴿وخر موسى﴾ سقط ﴿صعقاً﴾ مغشياً عليه كالميت من هول مارأى ﴿فلما أفاق﴾ موسى ﴿قال سبحانك﴾ تنزيهاً لك عن التجسد فلا ند لك ﴿تبت إليك﴾ رجعت عما اقترحته عليك ﴿وأنا أول المؤمنين﴾ بأنك لاترى، هذا مايظهر من الآية. ولكن ماكان ليتبادر إلى ذهن موسى أن يطلب رؤية الله وهو الخفي ولا تدركه الأبصار، وموسى يعلم ذلك. فمحصل الآية أن طلب موسى للرؤية هو طلب العلم الضروري للوصول إلى كمال العلم، وماكان للإنسان وهو يشتغل بماديات بدنه أن يرتقي هذا المرقى، ولاكان باستطاعة موسى تحمل العلم الذي طلبه موسى فوق ماعلم.

وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿١٤١﴾ ۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

١٤٤ ـ ﴿قال﴾ الله ﴿ياموسى إني اصطفيتك﴾ اخترتك ﴿على الناس برسالاتي﴾ بما حملت من الأوامر والنواهي الإلهية، والمعارف والشرائع ﴿وبكلامي﴾ الذي شافهتك به، بإيجاد اتصال وارتباط بين المخاطب والغيب سواء بالتأثير على السمع أو غير ذلك ﴿فخذ ماآتيتك وكن من الشاكرين﴾ ولاتستزد.

١٤٥ ـ ﴿وكتبنا له في الألواح﴾ وهي الصفائح المعدة للكتابة وسميت بذلك لأن الخط المكتوب يلوح فيها ﴿من كل شيء﴾ بياناً ﴿موعظة﴾ إرشاداً ﴿وتفصيلاً لكل شيء﴾ وشرحاً لكل مايحتاجه قومك من الاعتقاد والعمل ﴿فخذها بقوة﴾ بجد وحزم حذر أن يفوتك منها شيء ﴿وأمر قومك يأخذوا بأحسنها﴾ والأخذ بالأحسن من كل أمر يتوقف عليه، وهو أحسن ﴿سأوريكم دار الفاسقين﴾ الذين يميلون إلى تتبع السيئات، والميل عن الرشد إلى الغي، ودارهم هي جهنم.

قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

١٤٦ ـ ﴿سأصرف عن آياتي﴾ وأبعد عنها ﴿الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾ توضيح لااحتراز، لأن التكبر دائماً بغير حق إلا التكبر على أعداء الله والتكبر على المتكبرين، فهو حسنة ﴿وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها﴾ لاستكبارهم وإصرارهم على الكفر والتكذيب ﴿وإن يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلاً﴾ فهم يصرون على الانحراف عن طريق الرشد وهم يعرفونه رشداً، فلايعذرون بخطأ ولاجهل ولااشتباه ﴿وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً﴾ عن علم منهم بضلاله ﴿ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا﴾ وكفروا بها ﴿وكانوا عنها غافلين﴾ ولايأبهون لعاقبة غفلتهم.

١٤٧ ـ ﴿والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة﴾ منكرين للمعاد ﴿حبطت أعمالهم﴾ وذهب أثرها ﴿هل يجزون إلا ماكانوا يعملون﴾ فالجزاء هو نفس العمل، والحبط من الجزاء، فإن الجزاء بالعمل. وإذا كان العمل محبطاً فإحباطه هو الجزاء، فتذهب الحسنات ويجزى بسيئاته فيتمحض له الجزاء السيّء.

١٤٨ ـ ﴿واتخذ قوم موسى من بعده﴾ بعد ماذهب لميقات ربه ﴿من حليهم﴾ مما يتحلى به ويتزين به من ذهب وفضة ﴿عجلاً جسداً﴾ لاحياة فيه ﴿له خوار﴾ كخوار العجل وقد صنعه لهم السامري فاتخذوه إلهاً وسجدوا له ﴿ألم يروا أنه لايكلمهم ولايهديهم سبيلاً﴾ وهاتان صفتان منافيتان للألوهية، دون ذكر صفاته الجسمية ومحدوديته ﴿اتخذوه وكانوا ظالمين﴾ فقد عبدوه وأمره بذاك الوضوح، لأن من الواضح ـ لو عقلوا ـ أنه ليس إلهاً لهم أو لغيرهم كما قال السامري.

١٤٩ ـ ﴿ولما سقط في أيديهم﴾ وقع البلاء بما كسبت أيديهم ﴿ورأوا أنهم قد ضلوا﴾ وتبينوا ضلالهم ﴿قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا﴾ إظهار للندم والتحسر على مابدا منهم ﴿لنكونن من الخاسرين﴾ وهل من خسارة أكبر من الضلال.

١٥٠ ـ ﴿ولما رجع موسى إلى قومه غضبان﴾ والغضب هو هيجان القوة الدافعة للدفع أو الانتقام ﴿أسفاً﴾ والأسف هو شدة الغضب والحزن ﴿قال بئسما خلفتموني من بعدي﴾ وبئس الأمر الذي فعلتموه ﴿أعجلتم أمر ربكم﴾ أي طلبتم أمره قبل أوانه وبيده خيركم وصلاحكم ولايجري أمراً إلاّ على ماتقتضيه حكمته البالغة ﴿وألقى الألواح﴾ وهي التوراة ﴿وأخذ برأس أخيه﴾ قابضاً على شعره، ﴿يجره إليه قال﴾ هارون ﴿ابن أم﴾ للترقيق والاسترحام ﴿إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني﴾ لما منعتهم من عبادة العجل ﴿فلاتشمت بي الأعداء﴾ بتعنيفي ﴿ولاتجعلني مع القوم الظالمين﴾ ولست منهم.

١٥١ ـ ﴿قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك﴾ ـ لم يشرك أحداً من قومه في دعائه ـ والمغفرة أعم مورداً من المعصية ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾ فأنت الرحمن الرحيم.

١٥٢ ـ ﴿إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم﴾ تنكير الغضب لتعظيمه، وقد يكون الغضب هو تحريق العجل المعبود وقتل السامري وقتل جمع منهم، ﴿وذلةٌ في الحياة الدنيا﴾ والذلة هي المسكنة والأسر أو عذاب الهون في الآخرة ﴿وكذلك نجزي المفترين﴾ فتلك سنة إلهية جارية على المفترين. ١٥٣ ـ ﴿والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا﴾ أي من بعد السيئات ﴿إن ربك من بعدها﴾ يامحمد ﴿لغفور رحيم﴾ ﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾.

١٥٤ ـ ﴿ولماسكت عن موسى الغضب﴾ وهدأت ثورته ﴿أخذ الألواح وفي نسختها هدىً ورحمةٌ للذين هم لربهم يرهبون﴾ يخافون ويتحرزون من غضبه.

١٥٥ ـ ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا﴾ الذي واعدناهم به لأمر يهمهم ﴿فلما أخذتهم الرجفة﴾ وماذلك إلا لظلم اقترفوه، وقد تكون هي الصاعقة التي أصابتهم لطلبهم رؤية الله جهرة ﴿قال ربي لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي﴾ فأمرنا بيدك ﴿أتهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾ بطلبهم رؤيتك، والمعصية تعد فعلاً ولو كانت قولاً. وهو هنا يلتمس من ربه إعادة الحياة إليهم خوفاً من أن يتهمه بنو إسرائيل فتبطل دعوته ﴿إن هي إلا فتنتك﴾ امتحانك وبلاؤك ﴿تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء﴾ وأنت الذي سبقت رحمته غضبه ﴿أنت ولينا﴾ شروع في الدعاء ﴿فاغفر لنا وارحمنا﴾ فما طلبه موسى من إحياء الموتى واقع بين الولاية والمغفرة، على أنه لم يصرح بحاجته ـ وهي إحياء السبعين المهلكين ـ تذللاً واستحياء ﴿وأنت خير الغافرين﴾ فاشفع لهم بهذا الدعاء.

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّىَّ ۚ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾

١٥٦ ـ ﴿واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة﴾ تصلح شأننا ﴿وفي الآخرة﴾ ما يصلح مستقرنا ﴿إنا هدنا إليك﴾ من هاد يهود إذا رجع ﴿قال عذابي أصيب به من أشاء﴾ فهو ينشأ من اقتضاء تعذيب المعذبين لامن قبله سبحانه، ومايفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ بيان لخصوص العذاب وعموم الرحمة ﴿فسأكتبها﴾ أقضيها وأوجبها ﴿للذين يتقون﴾ فيجتنبون المعاصي ويؤدون التكاليف ﴿ويؤتون الزكاة﴾ وهي الحق المالي أو هي مطلق الإنفاق في سبيل الله، وهي التي ينمو بها المال، وتصلح بها مفاسد المجتمع ﴿والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾ أي يسلمون لما جاءتهم به الآيات والعلامات كمعجزات عيسى وموسى ومحمد عليهم السلام، أو يسلمون للأحكام والشرائع السماوية أو علائم محمد ﷺ في كتب أهل الكتاب. ١٥٧ ـ ﴿الذين يتبعون الرسول﴾ وهم من المؤمنين بآيات الله والعلامات الخاصة بسيد الرسل محمد ﷺ ﴿النبي الأمي﴾ فهاتان الصفتان ومايليهما هما من إمارات نبوته ﷺ في كتبهم. وهم في عصرهم يتبعون أنبياءهم ويسلمون لما فيها من الشرائع والأحكام، وأما من كانوا في عصره ﷺ ومابعد فعليهم اتباع النبي الأمي ﴿الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل﴾ اللذَيْن لم تتناولهما يد التحريف ﴿يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر﴾ وهذا من شأن كافة الأمم، ولكن دين الإسلام قد نفخ في جثمان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر روح الحياة ووصل به إلى درجة الجهاد ﴿ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث﴾ فكل طيب حلال وكل محرم خبيث ﴿ويضع عنهم إصرهم﴾ والإصر هو التكليف الشاق ﴿والأغلال التي كانت عليهم﴾ مما يوجد في شريعة عيسى (ع) ﴿فالذين آمنوا به وعزروه﴾ أي وقروه مع التعظيم ﴿ونصروه﴾ وبذلوا وسعهم في ذلك ﴿واتبعوا النور الذي أنزل معه﴾ وهو القرآن الكريم الذي يضيء صراط الإنسان ويهديه إلى كل كمال ﴿أولئك هم المفلحون﴾ فيفوزون ببغيتهم ببسط الرحمة لهم في الدنيا والآخرة. ١٥٨ ـ ﴿قل ياأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا﴾ فأنا أحمل لكم كمال الدين الذي به حياة الإنسان، وهو دين الله ﴿الذي له ملك السموات والأرض﴾ فبيده أمر الرسالة لأن بيده أمر كل شيء. فالرسالة من الله إلى الناس جميعاً، ليزول استيحاش بني إسرائيل من إرسال رسالة الله إلى رجل من الأميين وهم شعب الله المختار بزعمهم، ومن مزاعمهم قولهم: ليس علينا في الأميين سبيل، ونحن أبناء الله وأحباؤه، وبذلك أيضاً يزول استبعاد غير العرب من جهة العصبية القومية أن يرسل إليهم رسول عربي. ﴿لاإله إلا هو يحيي ويميت﴾ فله أن يحيي الناس حياة طيبة سعيدة، فالهدى حياة والضلالة موت ﴿فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته﴾ وقد بشركم به في التوراة والانجيل، فهو يؤمن بالله وكلماته وشرائعه ومانزل عليه ﴿واتبعوه لعلكم تهتدون﴾ إلى السعادة والنعيم. ١٥٩ ـ ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ مدح لمن يستحق المدح، وهذا من نصفة القرآن، وقد يكون المراد منهم الأنبياء والأئمة الذين نشؤوا فيهم من بعد موسى، إذ لايعدل بالحق إلا النبي أو الإمام.

﴿ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ۘ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

١٦٠ ـ ﴿وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً﴾ والسبط هو ولد الولد أو ولد البنت وهو في بني إسرائيل بمعنى القوم ﴿أمماً﴾ والأمة جماعة من الناس يجمعها مقصد واحد ﴿وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه﴾ وقد طلبوا الماء ﴿أن اضرب بعصاك الحجر﴾ ففعل ﴿فانبجست﴾ انفجرت ﴿منه اثنتا عشرة عيناً﴾ بعدد الأسباط ﴿قد علم كل أناس مشربهم﴾ فاختص كل سبط بعين بعد مشاجرة ومنافسة ﴿وظللنا عليهم الغمام﴾ وقاية من حر الشمس ﴿وأنزلنا عليهم المن والسلوى﴾ استمرار لذكر النعم التي أنزلها الله عليهم والمن هو فاكهة ذات طعم كالعسل والسلوى هي طائر السمان ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ مما أنعم الله عليكم ﴿وماظلمونا﴾ بعتوهم واستكبارهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ فعاقبة ظلمهم على أنفسهم لأنهم يظلمون أنفسهم بما اقترفوا من الظلم، فالله غني لاتضره معصية من عصاه.

١٦١ ـ ﴿وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية﴾ في الأرض المقدسة التي أمروا بدخولها وقتال أهلها من العمالقة ﴿وكلوا منها حيث شئتم﴾ فهي مباحة لكم ﴿وقولوا حطة﴾ ادعوا الله أن يضع عنكم الذنوب ﴿وادخلوا الباب سجداً﴾ تواضعاً وخشوعاً لله ﴿نغفر لكم خطيئاتكم﴾ نسترها ﴿سنزيد المحسنين﴾ فما يناله المحسن لقاء إحسانه يفوق إحسانه.

١٦٢ ـ ﴿فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم﴾ وهذا هو دأبهم في تحريف آيات الله ـ فسقاً وكفراً ـ ﴿فأرسلنا عليهم رجزاً﴾ عذاباً ﴿من السماء بما كانوا يظلمون﴾ فعذابهم سببه ظلمهم.

١٦٣ ـ ﴿واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر﴾ أي قريبة منه ومشرفة عليه ﴿إذ يعدون﴾ من العدوان فهم يتجاوزون حدود ماأمر الله به ﴿في السبت﴾ وقد أمرهم الله بتعظيمه وترك الصيد فيه ﴿إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً﴾ جمع شارع وهو الظاهر المبين ﴿ويوم لا يسبتون لاتأتيهم﴾ وذلك بلاء من ربهم ﴿كذلك نبلوهم﴾ فهو امتحان لهم لشيوع الفسق بينهم إذ بعثهم الحرص على صيدها على مخالفة أمر الله سبحانه ﴿بما كانوا يفسقون﴾ ويخرجون عن طاعة الله وتقواه.

١٦٤ ـ ﴿وإذ قالت أمةٌ منهم﴾ لأمة أُخرى كانت تعظهم ﴿لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً﴾ فالمعتدون طغوا في تعديهم، وتجاهروا في فسقهم ولم ينتهوا، ولكن الأمة التي كانت تعظهم لم تيأس من عدم تأثير العظة فيهم ﴿قالوا معذرةً إلى ربكم﴾ فالتكليف بالعظة ليس مختصاً بنا بل يشملكم فالله ربكم أيضاً ﴿ولعلهم يتقون﴾ فيمتنعون عن مخالفة أوامر الله وتعدي حدوده. ١٦٥ ـ ﴿فلما نسوا ماذكروا به﴾ ولم تؤثر الذكرى في نفوسهم وقد أغرقوا في الاستهانة بأمر الله والإعراض عنه ﴿أنجينا الذين ينهون عن السوء﴾ وهم يؤدون حق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿وأخذنا الذين ظلموا بعذاب﴾ ـ فالنجاة للناهين عن السوء فقط والعذاب للذين يعدون في السبت والذين قالوا ﴿لم تعظون﴾ الآية وقد ذكر المفسرون وجوهاً أخرى ـ ﴿بئيس﴾ ذي بأس وشدة ﴿بما كانوا يفسقون﴾ ويشقون الإطار التكليفي الذي أمرهم الله به. فعدم ردع الظالمين عن ظلمهم مشاركة لهم في هذا الظلم، والأخذ الإلهي يرصد المشاركين كما يرصد الظالمين.

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ۗ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

١٦٦ ـ ﴿فلما عتوا﴾ وبالغوا في المعصية ﴿عن ما نهوا عنه﴾ مصرين على عدم الانتهاء ﴿قلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾ طريدين مبعدين أذلاء. ١٦٧ ـ ﴿وإذ تأذن﴾ أعلم ﴿ربك﴾ أنه قد أقسم ﴿ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة﴾ مادامت الدنيا ﴿من يسومهم﴾ يذيقهم ﴿سوء العذاب﴾ وأمرّه ﴿إن ربك لسريع العقاب﴾ على أن من عقابه مايكون سريعاً غير مؤجل كعقاب الطاغي على طغيانه ﴿وإنه لغفورٌ﴾ للذنوب ﴿رحيمٌ﴾ بعباده، دون أن يمنعه مانع من تعجيل العقوبة لمن طغى وعتا. ١٦٨ ـ ﴿وقطعناهم في الأرض أمماً﴾ فهم شراذم متفرقة ﴿منهم الصالحون﴾ تنالهم السعادة ﴿ومنهم﴾ جماعات ﴿دون ذلك﴾ طرائق قدداً ﴿وبلوناهم بالحسنات﴾ من نعماء الدنيا ﴿والسيئات﴾ من ضرائها ﴿لعلهم يرجعون﴾ فيتمسكون بمنهج ربهم. ١٦٩ ـ ﴿فخلف من بعدهم خلفٌ﴾ فكانت الأجيال من بعدهم من ﴿ورثوا الكتاب﴾ ولم يقوموا به واتخذوه مهجورا ﴿يأخذون عرض هذا الأدنى﴾ أي مالاثبات له من شؤون الحياة الدنيا والدار العاجلة ﴿ويقولون سيغفر لنا﴾ ومعولهم الاغترار بشعبهم الذي سموه شعب الله كما سموا أنفسهم أبناء الله وأحباءه، لم يقولوا ذلك لوعد النفس بالتوبة، ولارجاء المغفرة الإلهية فهذه تتطلب توسط النفس بين سكون الرجاء واضطراب الخوف، وهم على ماهم فيه من العتو والاستكبار ﴿وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه﴾ فهم لايقتنعون بما أخذوه من العرض بمرة بل يستمرئون لذائذ الدنيا المحرمة ويستجيبون لأهوائهم فيها، وكل من كانت هذه سجيته فهو معهم ﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب﴾ وعهده عند حملهم إياه ﴿أن لا يقولوا على الله إلا الحق﴾ بعد أن عرفوه ﴿ودرسوا مافيه﴾ فقولهم سيغفر لنا قول بغير حق وهو يجرئهم على معاصي الله وهدم أركان دينه ﴿والدار الآخرة خير للذين يتقون﴾ لدوام ثوابها ﴿أفلا تعقلون﴾ أن فيها الأمن من كل مكروه. ١٧٠ ـ ﴿والذين يمسكون بالكتاب﴾ ويعتصمون به ﴿وأقاموا الصلاة﴾ وهي ركن شريف من الدين يحفظ به ذكر الله، وهو بمنزلة الروح الحية

من الشرائع الدينية ﴿إنا لانضيع أجر المصلحين﴾ الذين يتمسكون بالكتاب الذي يلائم فطرة النفس وفطرة المجتمع ليصلحوا به معيشتهم. ففطرة الإنسان النفسية تقتضي الإيمان بالغيب والخضوع إلى القوانين الحاكمة في الكون والتي منها الدين الحق وهو الإسلام الذي يضع الإصر والأغلال التي اختلقتها الأنظمة الأهوائية لتستعبد البشر وتزيدهم رهقاً. فالدين الالهي هو الأحكام والشرائع والسنن القائمة بمصالح العباد، دون المعارف والشرائع التي يضعها الإنسان ويدعي أنها تطابق المصلحة الإنسانية فافهم. ١٧١ ـ ﴿وإذ نتقنا﴾ قلعنا ﴿الجبل فوقهم﴾ من أصله ﴿كأنه ظلة﴾ غمامة، أو مايستظل به ﴿وظنوا أنه واقعٌ بهم﴾ وقد رفع الله الجبل فوقهم لارهابهم بعظمة القدرة، دون إجبارهم أو إكراههم على العمل بما أوتوه. ﴿خذوا ماآتيناكم بقوةٍ﴾ التزموا بميثاقكم بعزم وعقيدة ﴿واذكروا مافيه﴾ من الأحكام والتشريعات مع العمل بها ﴿لعلكم تتقون﴾ صفات جلاله فهو القوي القاهر. ١٧٢ ـ ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم﴾ بحيث لايؤدي الأخذ إلى الإنقاض، لافي المادة ولافي استقلالها ﴿من ظهورهم ذريتهم﴾ فيؤخذ الولد من ظهر الوالد ليشكل نفساً مستقلة ﴿وأشهدهم على أنفسهم﴾ والإشهاد هو إحضار الشاهد وإراءته حقيقة، ليتحمل علماً، وذلك بإراءتهم حقيقة أنفسهم ﴿ألست بربكم﴾ وهي شهادة ربوبية لهم، ليؤدوها عند المسألة ـ فالإنسان مهما بلغ من الصعود في مدارج الغنى والملك، ومهما غرته الأسباب لاينكر أنه لايملك وجود نفسه، ولو استقل بتدبير أمره لما خضع للأسباب الكونية. فالحاجة إلى رب ـ مالك مدبر ـ هي حقيقة الإنسان ﴿قالوا بلى شهدنا﴾ اعتراف بوقوع الشهادة فليس لكم ﴿أن تقولوا يوم القيامة﴾ حيث تعاينون كشف حجب الغيب، والتكليم من الله سبحانه؛ أو التكليم من أنفسهم بحيث لايستطيعون الإنكار بقولهم ﴿إنا كنا عن هذا﴾ مما عدا المعرفة بالاستدلال ﴿غافلين﴾ لم ننتبه له. ١٧٣ ـ ﴿أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل﴾ وهي حجة الناس إن فرض الإشهاد وأخذ الميثاق من الآباء فقط ﴿وكنا ذريةً من بعدهم﴾ فلا علم لنا بهذه الشهادة ﴿أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾ من آباءنا؟ وليس لنا إلا التبعية العملية لهم من غير علم. ١٧٤ ـ ﴿وكذلك نفصل الآيات﴾ نفرقها عن بعضها لتتميز، وليبين مدلول كل منها، دون اختلاط دلالتها ﴿ولعلهم يرجعون﴾ إلى فطرتهم وعهدها مع الله وشهادتهم على أنفسهم بالتوحيد. ١٧٥ ـ ﴿واتل عليهم﴾ يامحمد ﴿نبأ﴾ بلعم بن باعوراء وهو من علماء بني إسرائيل وهو مصداق الإنحراف عن الفطرة ونقض عهد الله ﴿الذي آتيناه آياتنا﴾ فتلبس بالآيات النفسية والكرامات الخاصة الباطنية التي تنير طريق معرفة الله ﴿فانسلخ منها﴾ فظهر الخبث المتمثل في ذاته من جلده ﴿فأتبعه الشيطان﴾ لحقه واقتفى أثره ﴿فكان من الغاوين﴾ الضالين، لأنه خرج عن الطريق وهو ذاكر لمقصده، فغاب عن سبيل الرشد ولم يتمكن من إنجاء نفسه من الهلاك ١٧٦ ـ ﴿ولو شئنا لرفعناه بها﴾ وقربناه إلينا بتلك الآيات، وهي أسباب ظاهرية تفيد من اهتدى دون أن تحتم السعادة، لأن تمام تأثيرها مرتبط بمشيئة الله، والله سبحانه لايشاء ذلك لمن أعرض

﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

عنه وكذب بآياته ﴿ولكنه أخلد إلى الأرض﴾ لزمها والتصق بها وتشبث بها متمتعاً بلذاتها سارحاً في غمراتها ناهماً من حلالها وحرامها ﴿واتبع هواه﴾ ولاذ بزخرف الحياة الدنيا وغروره، فكان ذلك مورداً لإضلالنا لالهدايتنا ﴿فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه﴾ تزجره وتمنعه ﴿يلهث﴾ فيدلع لسانه من العطش ﴿أو تتركه يلهث﴾ فهي سجية فيه ﴿ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ فالتكذيب منهم سجية وهيئة نفسانية خبيثة لازمة، فتتكرر آياتنا ويتكرر تكذيبهم ﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ فينقادون إلى الحق وينزعون أنفسهم عن الباطل. ١٧٧ ـ ﴿ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ ذم لهم، وهل هناك ماهو أسوأ من الانسلاخ والتعري من الهدى، وهم لايضرون شيئاً بتكذيب آيات الله ﴿وأنفسهم كانوا يظلمون﴾ فمرد ظلمهم مقصورٌ على أنفسهم. ١٧٨ ـ ﴿من يهدي الله فهو المهتدي﴾ فمجرد الاهتداء إلى شيء لاينفع شيئاً إلا إذا وصل كمال الهداية بهداية الله سبحانه له وعندها تتحتم السعادة. ﴿ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون﴾ فالضلال لايضر ولايسبب الخسران إلا إذا انضم إضلال الله سبحانه إليه، وعند ذلك يتم أثره ويتحقق الخسران. ١٧٩ ـ ﴿ولقد ذرأنا﴾ خلقنا ﴿لجهنم كثيراً من الجن﴾ فالقاسطون منهم كانوا لجهنم حطباً ﴿والإنس﴾ وقد تعلقت المشيئة الإلهية أن يخلق الله من الأرض إنساناً يكون خليفته فيها ويؤدي واجبه العبودي، ويدخل بذلك في رحمته، فإذا جرى هذا المجرى شمله الله برحمته، ومن أعرض عن ذكر ربه فإن له معيشة ضنكاً ويحشر يوم القيامة أعمى. فلذلك صح أن لله غاية في أهل الخسران والشقاوة وهي أن يدخلهم النار لأن ﴿لهم قلوبٌ لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها﴾ وهي إنما خلقت لتفقه وترى ﴿ولهم آذانٌ لايسمعون بها﴾ الحق لما جاءهم، فقد أبطلوا استعدادهم للوقوع في مجرى الرحمة الإلهية، فلاينتفعون بالحق وماتلقنه الفطرة من الحجة والبينة، فهم قد أبطلوا عمل العقل والعين والأذن مع أنها خلقت لتقوم بعملها وماذلك إلا إظهاراً لما استقر في أنفسهم من الخبث فهم يغيرون نعمة الله بتغيير طريق العبودية فيجازيهم الله بالطبع على قلوبهم، والغشاوة على أبصارهم، والوقر في آذانهم فيسيرون إلى النار لأن من لم يسلك صراط الهداية كانت له أبواب جهنم سبلاً جزاء وفاقاً ﴿أولئك كالأنعام﴾ لفقدهم مايتميزون به عن سائر الإنس هو تمييز الخير عن الشر بطريق السمع والبصر والفؤاد فليس لهم إلا الأكل والسفاد ﴿بل هم أضل﴾ من الأنعام، لأن الأنعام مهتدية بحالها، أما هؤلاء فلم يستفيدوا بما هم مجهزون به وقد أفسدوا السمع والبصر والفؤاد والقلب، ونزلوها منزلة دون منزلة الأنعام، فاستعملوها للتمتع بلذائذ البطن والفرج ﴿أولئك هم الغافلون﴾ فقد ألبسهم الله ثوب الغفلة بمشيئته، بالطبع الذي طبعه على قلوبهم وحواسهم، والغفلة مادة كل ضلال وباطل. ١٨٠ ـ ﴿ولله الأسماء﴾ والاسم مادل على ذات أو معنى. وهذه الأسماء هي ﴿الحسنى﴾ التي فيها معنى وصفي يليق بساحة قدسه،

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ۚ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

دون أن يكون لها دلالة على خصوصية جسمانية، فكون اسم ما من أسمائه تعالى أحسن الأسماء هو كمال دلالته، ﴿فادعوه بها﴾ فتوجهوا إليه بها بالعبادة، لأن التسمية والنداء من لواحق العبادة ﴿وذروا الذين يلحدون﴾ يميلون ويتطرفون إلى أحد الجانبين ﴿في أسمائه﴾ ويعدلون بالصفات الخاصة به غيره، كالماديين والدهريين، الذين ينسبون الخلق والإحياء وغير ذلك إلى المادة أو الدهر، أو كالوثنيين الذين ينسبون ذلك إلى آلهتهم، أو كأهل الكتاب الذين يصفون أنبياءهم بما يختص به تعالى، وهم جميعاً ﴿سيجزون ماكانوا يعملون﴾ فمن أظلم ممن كذب بآياته أو نسب إليه ماتنزه عنه.

١٨١ ـ ﴿وممن خلقنا أمة﴾ جماعة ﴿يهدون بالحق﴾ فهم مهتدون وهادون بهدي الله، وهدايته لاتتخلف عن مقتضاها، فهي توجب العصمة من الضلال ﴿وبه يعدلون﴾ عن غيره فهم يدعون الله سبحانه بأحسن أسمائه.

١٨٢ ـ ﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾ وقد ظهرت دلالاتها ﴿سنستدرجهم﴾ فندنيهم من الهلاك درجة درجة ﴿من حيث لايعلمون﴾ مدى قربهم من الهلاك، وذلك بتجديد نعمهم مع اشتداد مظالمهم. أو أنهم يأمنون للأسباب التي من دون الله فينقطعون عن ذكر ربهم ويكذبون بآياته فيعذبون باضطراب النفوس وقصور الأسباب، وهم يظنون أنها الحياة السعيدة، فيستزيدون من مهلكات زخارف الدنيا فيزدادون عذاباً وهم يظنون أنهم يحسنون صنعاً وأن ذلك زيادة في النعمة حتى يردوا عذاب الآخرة وهو أدهى وأمر.

١٨٣ ـ ﴿وأملي لهم﴾ أمهلهم ﴿إن كيدي متين﴾ لاتنفصم عراه، فهم سيحرمون الرحمة ويردون الهلكة.

١٨٤ ـ ﴿أولم يتفكروا﴾ إنكار لهم وتوبيخ ﴿ما بصاحبهم من جنة﴾ أي مس تأكيد لصدقه ﷺ وهو المصاحب لهم طول حياته، فلو كان به جنة لبان لهم ذلك ﴿إن هو إلا نذير مبين﴾ وأنذرتكم ناراً تلظى، وقد ظهر الحق لذي عينين.

١٨٥ ـ ﴿أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض﴾ وهو الوجه الباطن من الأشياء، آية دالة عليه تعالى، والنظر إلى هذا الوجه يلازم اليقين ﴿وماخلق الله من شيء﴾ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الأرض كيف سطحت أولم يروا آياتنا الآفاقية وكل ماخلق الله ليظهرلهم أنها غير مستقلة بذاتها وأنها مربوطة برب يدبرها ويدبر كل شيء وهو رب العالمين ﴿وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم﴾ وهذا الاحتمال يصرفهم عن التمادي في الغي والضلال، وعن اتباع الهوى وطول الأمل، فإن لم يؤمنوا بذلك ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾ إيئاس من إيمانهم، فهم إن لم يؤمنوا بالقرآن وهو تجليه سبحانه عليهم مع مافيه من الحجج والآيات، فلن يؤمنوا بشيء آخر بتاتاً.

١٨٦ ـ ﴿من يضلل الله﴾ وهو من لم يؤمن بالقرآن وآيات الله وحججه ﴿فلا هادي له﴾ لأنه مامن هداية بعد هداية الله ﴿ويذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ يحارون ويترددون في الضلال أو في عدم معرفة الحجة.

١٨٧ ـ ﴿يسألونك عن الساعة﴾ وهي ساعة البعث والرجوع إلى الله ﴿أيان مرساها﴾ متى زمن وقوعها وثبوتها ﴿قل إنما علمها عند ربي﴾ في حكم الغيب، فلايحيط بها شيء لأن تحقق ظهورها يلازم فناء الأشياء، ولاشيء يسعه أن يحيط بفناء نفسه ﴿لايجليها﴾ لايظهرها ولايكشف عنها ﴿لوقتها﴾ عند وقوعها ﴿إلا هو﴾ سبحانه وتعالى ﴿ثقلت في السماوات والأرض﴾ فثقل علمها هو ثقل وجودها، فلاثمرة لاختلافهم في أن المراد بثقل الساعة فيها ثقل علمها عليهم، أو أن المراد بذلك ثقل صفتها على أهل السماوات والأرض، لما فيها من الشدائد أو ثقل وقوعها عليهم، لما فيها من سير الجبال وانتثار الكواكب وغير ذلك، أو لأن السماوات والأرض لاتطيق حملها لشدتها ﴿لاتأتيكم إلا بغتة﴾ فجأة. فالعاقل من يستعد لها قبل ظهورها ﴿يسألونك كأنك حفي عنها﴾ عالم بها ﴿قل إنما علمها عند الله﴾ نفي لما رموه به من جهل بها مع إثبات لانحصار علمها فيه تعالى ﴿ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ فلأنسهم بالحس المحسوس، يقيسون كل شيء إلى المحسوس، فيظنون أنه يسعهم أن يحيطوا بوصف كل ماوصف لهم.

١٨٨ ـ ﴿قل لاأملك لنفسي نفعاً ولاضراً إلا ماشاء الله﴾ وأنا لاأعلم الغيب ﴿ولو كنت أعلم الغيب﴾ والعلم به يهدي إلى معرفة الخير والشر ﴿لاستكثرت من الخير ومامسني السوء﴾ والذي لم يستكثر من الخير ولم يوق من الشر فكيف يعلم الغيب؟ ﴿إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾ فحقيقة حالي هي أنني مبشر ولكل قوم هاد ونذير من عذاب أليم لمن آمن بالله. ١٨٩ ـ ﴿هو الذي خلقكم﴾ معشر بني آدم ﴿من نفس واحدة﴾ هي نفس أبيكم آدم ﴿وجعل منها﴾ أي من نوعها ﴿زوجها ليسكن﴾ الرجل ﴿إليها﴾ إلى امرأته ﴿فلما تغشاها﴾ أي جامعها ﴿حملت حملاً خفيفاً﴾ فالنطفة التي حملتها خفيفة ﴿فمرت به﴾ فاستمرت بحملها وهي تقوم بشؤون حياتها حتى نمت النطفة في رحمها وصارت جنيناً ثقيلاً أثقلت به الزوج ﴿فلما أثقلت﴾ بحملها ﴿دعوا الله ربهما﴾ وعاهداه ووائقاه ﴿لئن آتيتنا﴾ ورزقتنا ولداً ﴿صالحاً﴾ يصلح للحياة والبقاء بكونه إنساناً سوياً سليماً صحيحاً ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ لك بإظهار نعمتك، والإنقطاع إليك في أمره، دون أن نميل إلى سبب دونك. ١٩٠ ـ ﴿فلما آتاهما صالحاً﴾ كما سألاه، وقرت به أعينهما ﴿جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾ حيث بعثتهما المحبة والشفقة له على التعلق بكل سبب سواه، وعلى الخضوع لكل شيء دونه، مع أنهما اشترطا على نفسيهما أن يكونا شاكرين له، غير كافرين بنعمته وربوبيته ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ بنقض مواثيقهم، وإخلاف وعدهم، وعدم الوفاء بعهدهم مع الله. ١٩١ ـ ﴿أيشركون مالا يخلق شيئاً﴾ باتخاذ الأصنام التي لاتنفع ولاتضر، أو باتخاذ الأسباب من دون الله ﴿وهم يخلقون﴾ فكل ماخلا الخالق مخلوق له، والأصنام مخلوقة جامدة دونهم ١٩٢ ـ ﴿ولايستطيعون لهم نصراً﴾ فلا تنصر من يعبدها ﴿ولاأنفسهم ينصرون﴾ ولاتستطيع نصر نفسها ١٩٣ ـ ﴿وإن تدعوهم إلى الهدى لايتبعوكم﴾ فلا علم لهم ولاقدرة ولااستجابة ﴿سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون﴾ فلا يشعرون بشيء من الدعاء وعدمه. ١٩٤ ـ ﴿إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم﴾ فهم مخلوقون مربوبون، لايقدرون على شيء ﴿فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين﴾ وهم لايستجيبون، فلاعلم لهم ولاقدرة. ١٩٥ ـ ﴿ألهم أرجل يمشون بها﴾؟ لا... لاتمشي أرجلهم التي عبأتم لهم ﴿أم لهم أيد يبطشون بها﴾؟ ولاأيديهم تبطش وتؤثر ﴿أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها﴾ فلا إحساس لما صورتم لهم من أعضاء الحواس لأنهم جمادات ﴿قل ادعوا شركاءكم﴾ للتحدي والانتصار بهم ﴿ثم كيدون﴾ مااستطعتم إلى ذلك سبيلاً ﴿فلاتنظرون﴾ فأنا أصعد التحدي بطلب عدم الإمهال. ١٩٦ ـ ﴿إن وليي الله﴾ فمدبر أمري هو الله ﴿الذي نزل الكتاب﴾ ليهدي به الناس ﴿وهو يتولى الصالحين﴾ من عباده فينصرهم ويورثهم أرضه. ١٩٧ ـ ﴿والذين تدعون من دونه﴾ من الأصنام وغيرها من آلهتكم ﴿لايستطيعون نصركم ولاأنفسهم ينصرون﴾ فلاقدرة ولاعلم لهم لاعليكم ولا على أنفسهم ١٩٨ ـ ﴿وإن تدعوهم إلى الهدى لايسمعوا﴾ فهم جماد لاقدرة لهم ولاعقل ولاحواس ﴿وتراهم ينظرون إليك وهم لايبصرون﴾ وكيف لحجر أن يبصر. ١٩٩ ـ ﴿خذ العفو﴾ الزمه ولاتتركه، واستر على من أساء إليك. وقد لبى الرسول ﷺ هذه الدعوة فلم ينتقم من أحد لنفسه قط ﴿و أمر بالعرف﴾

قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾

وهو مايعرفه عقلاء المجتمع من السنن والسير الجميلة ﴿و أعرض عن الجاهلين﴾ فدارهم لأن هذا أقرب طريق وأجمله لإبطال جهلهم. ٢٠٠ ـ ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ﴾ وهو الدخول في أمر لأجل فساده، أو هو الإزعاج والإغراء أو هو أدنى وسوسة الشيطان، فلو نزغ الشيطان بالدخول في أعمالهم المبنية على الجهالة، مما يدعوك إلى الغضب والانتقام ﴿فاستعذ بالله﴾ التجيء إليه واطلب حمايته ﴿إنه سميع﴾ بدعائك ﴿عليم﴾ بأحوالك وأمورك. ٢٠١ ـ ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان﴾ وهو الذي يطوف حول القلب ليلقي الوسوسة ﴿تذكروا﴾ أن الله هو ربهم الذي يملكهم ويربيهم ويرجع إليه أمرهم ﴿فإذا هم مبصرون﴾ لأنه تعالى يرفع عنهم حجاب الغفلة. ٢٠٢ ـ ﴿وإخوانهم﴾ أي إخوان المشركين، وهم الشياطين ﴿يمدونهم في الغي﴾ فيعينونهم على غيهم وضلالهم ﴿ثم لايقصرون﴾ فلا يكفون ولا ينتهون عن مدهم وإعانتهم، أولايكف المشركون عن غيهم.

إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾

﴿ولما لم تأتهم بآية﴾ كما لو أبطئت بها ﴿قالوا لولا اجتبيتها﴾ من الجباية وهي الجمع، أي تهكموا وهم يقولون: لولا جمعت ماتسميه آية من هنا وهناك، فأتيت بها ﴿قل إنما أتبع مايوحى إلي من ربي﴾ فأنا لا آتي بالآية من عندي، ولافي الوقت الذي أريد لأنه ليس لي من الأمر شيء. ﴿هذا﴾ القرآن ﴿بصائر من ربكم﴾ أدلة وبينات يبصر بها العاقل طريق الحق ﴿وهدىً﴾ إلى صراط مستقيم ﴿ورحمة﴾ وفيضاً إلهياً ﴿لقوم يؤمنون﴾ فيميزون الحق عن الباطل باتباع هداه. والقرآن يجعل الناس يعون أمراض مجتمعهم، ويعون به الحقد الصليبي واليهودي ويقي من المفاسد الإجتماعية ويقي من تمرغ الهامات لألف معبود ومعبود من دون الله. ٢٠٤ ـ ﴿وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا﴾ وذلك بالسكوت مع استماع، أو بالاستماع مع السكوت للتدبر بهداه وسلوك نهجه ﴿لعلكم ترحمون﴾ وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين إلا خساراً. ٢٠٥ ـ ﴿واذكر ربك في نفسك﴾ دون الجهر من القول ﴿تضرعاً﴾ تملقاً بخشوع وخضوع مع استحضار جلال الله وعظمته ﴿وخيفة﴾ مع استحضار مخافة الله خوفاً يناسب ساحة قدسه تعالى واتقاء رهبته. فالذكر يجب أن يكون بحركة باطنية إليه كالذي يحب شيئاً ويهابه، فيدنو منه حباً ويبتعد عنه مهابة ﴿ودون الجهر من القول﴾ ولاتجهر بصوتك فهو قريب منك ﴿بالغدو﴾ في الصباح ﴿والآصال﴾ عند الأصيل أي أن يكون الذكر من دون جهر في الغدو والآصال وينطبق على الفرائض اليومية ﴿ولا تكن من الغافلين﴾ لم ينه عن أصل الغفلة وإنما نهي عن الدخول في زمرة الغافلين وأن يدع الغفلة تستقر فيه، فالغفلة تتنافى مع الطاعة والعمل والسلوك والاتباع. ٢٠٦ ـ ﴿إن الذين عند ربك﴾ وهم الملائكة، وغيرهم من المقربين عنده تعالى وهم مقربون بالذكر فذكر الله يرفع الحجاب بين العبد وبين الله، ويقرب العبد من ربه، فهم ﴿لا يستكبرون عن عبادته﴾ فالعبادة تتنافى مع الاستكبار ﴿و يسبحونه﴾ ينزهونه عما لايليق بساحة قدسه ﴿وله يسجدون﴾ وليس التسبح والسجود مما يختص بالأعضاء من لسان وغيره فحسب، بل بكل سكنات النفس وخطراتها وبكل حركات الجوارح وبكل أعمالهم من طاعات وعبادات ومعاملات، وإن من شيء إلا يسبح بحمده.

سورة الأنفال

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة:بعض أخبار بدر، وبعض المسائل حول الجهاد والأنفال والغنائم وغيرها، وذكر أمور أُخرى تتعلق بالهجرة. ١ ـ ﴿يسألونك عن الأنفال﴾ والنفل هو الزيادة والتطوع، أو ما لامالك له. وتطلق هنا على غنائم الحرب، والسؤال يدل على الخصومة في أمرها ﴿قل الأنفال لله والرسول﴾ فهم لايملكونها، وإنما يملكها الله ورسوله، وحكمها عام يشمل سائر الأموال الزائدة في المجتمع كالديار الخالية والبائدة، ورؤوس الجبال، وبطون الأودية، وإقطاعات الملوك، وتركة من لاوارث له، ﴿فاتقوا الله﴾ بعدم تعدي حدوده ﴿وأصلحوا ذات بينكم﴾ بإصلاح مافسد من حالكم، وماساء من روابطكم، ومافشا من الخصومة بينكم ﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ في الأحكام بشأنها ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ مصدقين لأحكام الله ورسوله. ٢ ـ ﴿إنما المؤمنون﴾ المتميزون بحقيقة الإيمان، لهم خمس صفات مستلزمة لكريم صفاتهم على كثرتها، فهم ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ فيشرق نور الإيمان فيها فتتأثر وتخشى الله إذا ذكر اسمه عز اسمه ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً﴾ فآيات الله الهادية تقوي الإيمان وتصل به إلى الاستقرار في مرحلة اليقين ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ وقد عرفوا مقام ربهم وموقع نفوسهم، فيتخذونه وكيلاً لهم في جميع مايهمهم في حياتهم، فيرضون بما يقدر لهم في مسيرة حياتهم، ويلتزمون بشرائعه وأحكامه، فيأتمرون بأوامره، وينتهون عن نواهيه. وأما في مقام العمل فهم: ٣ ـ ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ وقد نصبوا أنفسهم في مقام العبودية وإخلاص الخضوع، وهو مقام الصلاة ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ فهم يقومون بحاجة المجتمع بالإنفاق من رزق الله. ٤ ـ ﴿أولئك هم المؤمنون حقاً﴾ قضاء منه تعالى بثبوت الإيمان في نفوسهم ﴿لهم درجات عند ربهم﴾ لما لهم من كمال الصفات ﴿ومغفرة ورزق كريم﴾ وقد جمعوا بين أعمال القلوب من الخشية والإخلاص والتوكل، وأعمال الجوارح من الصلاة والصدقة. ٥ ـ ﴿كما أخرجك ربك من بيتك﴾ بالمدينة ﴿بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون﴾ فخروجك حق، يترتب عليه وعلى حكم الأنفال حق، ويترتب على ذلك مصلحة الدين والدنيا، مما هم عنها غافلون. ٦ ـ ﴿يجادلونك في الحق﴾ والحق أمر ثابت تترتب عليه آثاره الواقعية المطلوبة، وإخراجك بالحق، هو أن يكون هو الواجب المتعين، فهم يجادلونك في الحق ﴿بعد ماتبين﴾ الحق إجمالاً ﴿كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون﴾ إلى ماأعد لهم من أسبابه وأدواته. ٧ ـ ﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين﴾ وهما العير وهي قافلة قريش وفيها تجارتهم وأموالهم وكان عليها أربعون رجلاً، منهم أبو سفيان بن حرب، والنفير، وهو جيش قريش وهم زهاء ألف رجل ﴿أنها

سُورَةُ الأَنفَالِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ ۖ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

لكم﴾ تستعلون عليها بنصر الله ﴿وتودون أن غير ذات الشوكة﴾ أي غير ذات الحدة، وهي العير ﴿تكون لكم﴾ لما تعلمون من شوكة وقوة النفير، وما لكم من الضعف والهوان. وكم يخطىء الناس حين يختارون غير مااختار الله لهم، ﴿ويريد الله أن يحق الحق﴾ فهو يريد أن تلاقوا النفير فيظهركم عليهم، لأنه يريدها ملحمة لامغنمة، وذلاً للباطل لتصبح للإسلام دولة وقوة وسلطان ﴿بكلماته﴾ وهي آياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة ببدر ﴿ويقطع دابر الكافرين﴾ ويستأصلهم. ٨ ـ ﴿ليحق الحق﴾ بما وعدكم به ﴿ويبطل الباطل﴾ فكم من فرق بين الخير الذي يختاره الله في غزوة بدر، وبين ماتقدره أوهامهم أنه خير ﴿ولو كره المجرمون﴾ إبطال باطلهم، فالله لايخلف الميعاد، والباطل لايبطل إلا بأن يتحطم بغلبة جند الحق. ٩ ـ ﴿إذ تستغيثون ربكم﴾ تطلبون الغوث والنصرة ﴿فاستجاب لكم﴾ نداء استغاثتكم، فقد استغاث الرسول ﷺ ربه: «اللهم أنجز ماوعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصبة من أهل الإسلام فلاتعبد في الأرض أبداً»، فأجاب تعالى دعوته. ﴿أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾ يستتبعون آخرين، والردف هو العجيزة. فالمعركة تدار بأمر الله ومشيئته. ١٠ ـ ﴿وماجعله الله إلا بشرى﴾ فالإمداد بالملائكة لغرض البشرى ﴿ولتطمئن به قلوبكم﴾ ونفوسكم، لايهلك الكفار بأيدي الملائكة، فالملائكة لم ينزلوا ليقتلوا المشركين، فعلي (ع) قتل ثلث المقتولين أو نصفهم وقتل سائر المسلمين الباقي منهم. فالملائكة ثبتوا قلوب المسلمين، وكثروا سوادهم، وألقوا الرعب في قلوب المشركين ﴿ومانصر إلا من عند الله﴾ ولو كان بكثرة العدد والقوة، لكانت الدائرة للمشركين ﴿إن الله عزيز﴾ وبعزته نصركم ﴿حكيم﴾ وبحكمته جعل نصره على هذه الشاكلة. ١١ ـ ﴿إذ يغشيكم﴾ يحيطكم ﴿النعاس﴾ وهو أول النوم ﴿أمنة﴾ أماناً ﴿منه﴾ تعالى فهو الذي يفيض الأمن على قلوبكم فينيمكم ﴿وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به﴾ وقد أصبحتم محدثين ومجنبين ﴿ويذهب عنكم رجز الشيطان﴾ ووسوسته وعذابه، حيث يقول لكم: إن عدوكم سبقكم إلى الماء، وأنتم تصلون مع الحدث، أو تسوخ أقدامكم في الوحل لتصلوا إلى الماء لتغتسلوا ﴿وليربط على قلوبكم﴾ فيثبتها ﴿ويثبت به الأقدام﴾ فتلبد أرضكم، وتوحل أرض عدوكم. ١٢ ـ ﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم﴾ ناصركم ﴿فثبتوا الذين آمنوا﴾ في مواجهة عدوهم ﴿سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ ليتزلزلوا ﴿فاضربوا﴾ خطاب للملائكة على الأغلب لتكون إصابة المؤمنين الكافرين ﴿فوق الأعناق﴾ واحصدوا الرؤوس ﴿واضربوا منهم كل بنان﴾ وهي الأطراف من اليدين والرجلين، أو أصابع الأيدي لئلا تحمل السلاح، وذلك لإذلالهم وإبطال قوة الإمساك بهم. ١٣ ـ ﴿ذلك بأنهم شاقوا﴾ أي خالفوا ﴿الله ورسوله﴾ فالمخالف يميل إلى شق غير شق الذي يخالفه ﴿ومن يشاقق الله ورسوله﴾ بالمخالفة والإصرار ﴿فإن الله شديد العقاب﴾ يجزي الظالمين. ١٤ ـ ﴿ذلكم﴾ الخزي والهوان ﴿فذوقوه﴾ وقد نزل بكم ﴿وأن للكافرين عذاب النار﴾ في الآخرة، فوق الهوان في الدنيا. ١٥ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ
مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ
وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ
عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ
الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾
إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ
سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ
الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ
عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ
دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ
بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾

إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً﴾ والزحف هو الرفد قليلاً قليلاً ﴿فلاتولوهم الأدبار﴾ فلاتفروا منهم. ١٦ ـ ﴿ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال﴾ أي منعطفاً من جهة إلى أخرى ليتمكن من عدوه ﴿أو متحيزاً إلى فئة﴾ وهو أخذ الحيز أو المكان مع جماعة من الناس ليقاتل معهم ﴿فقد باء﴾ والبواء هو مساواة الأجزاء في المكان خلاف النبوة التي هي منافاة الأجزاء، والمعنى أنه قد رجع ﴿بغضب من الله ومأواه﴾ أي المكان الذي يأوي إليه ﴿جهنم وبئس المصير﴾ فالفرار من الزحف من الكبائر الموبقات. ١٧ ـ ﴿فلم تقتلوهم﴾ بوضع السيف منهم ﴿ولكن الله قتلهم﴾ فما حدث كان خارقاً لنواميس الطبيعة، إذ أنّى لفئة قليلة في عددها وعدتها أن تستأصل جيشاً مجهزاً كثير العدد إنها يد الله تدير المعركة وتقتل الكافرين وتجلب النصر وتنيل المجاهدين الأجر ﴿ومارميت إذ رميت﴾ يامحمد، فأثر رميتك للمشركين بكف من الحصى لايعدو أثر رمية بشر ﴿ولكن الله رمى﴾ بما أنزل من الملائكة، وبما ثبت أقدام المؤمنين، وأرعب قلوب الكافرين، وألقى بهم الهزيمة، فشملهم المؤمنون قتلاً وأسراً ﴿وليبلي المؤمنين﴾ اختباراً ﴿منه بلاءً حسناً﴾ أو لينعم عليهم بنعمة حسنة، وذلك بإفناء خصمهم، وإعلاء كلمة الحق والتوحيد بهم، وإغنائهم بما غنموا، ﴿إن الله﴾ الذي يبتلي المؤمنين ﴿سميع﴾ باستغاثتهم ﴿عليم﴾ بحالهم فيبتليهم بلاءً حسناً. ١٨ ـ ﴿ذلكم﴾ الأمر ﴿وأن الله موهن كيد الكافرين﴾ فهو يضعف كيدهم ويكسر شوكتهم. ١٩ ـ ﴿إن تستفتحوا﴾ أي تطلبوا الفتح أيها المشركون ﴿فقد جاءكم الفتح﴾ بما أظهر الله من الحق يوم بدر، فكانت الدائرة عليكم. وقد قال أبو جهل مستفتحاً: اللهم ربنا ديننا القديم ودين محمد الحديث، فأي الدينين كان أحب إليك وأرضى عندك فانصر أهله اليوم. ﴿وإن تنتهوا﴾ عن المكيدة ﴿فهو خير لكم وإن تعودوا﴾ إلى المشاقة ﴿نعد﴾ لنبطل كيدكم، ونكسر شوكتكم، ونغلبكم ﴿ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت﴾ فكثرتكم لن تفيدكم ﴿وأن الله مع المؤمنين﴾ فهو ينصرهم. ٢٠ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولاتولوا عنه﴾ فالطاعة تترتب على الإيمان ﴿وأنتم تسمعون﴾ مايلقيه إليكم من الدعوة الحقة، ومايأمركم به وينهاكم عنه، ممافيه صلاح دينكم ودنياكم. ومصب الكلام أوامره الحربية، وإن كان لفظه أعم. ٢١ ـ ﴿ولاتكونوا﴾ أيها المؤمنون ﴿كالذين قالوا سمعنا﴾ وتلقينا الكلام الحق ﴿وهم لايسمعون﴾ ولاينقادون للحق، كالمشركين، أو كعدة من أهل مكة الذين آمنوا بالنبي ﷺ ولما تخلص قلوبهم من الشرك. فإن توليتم عن الطاعة كان سماعكم كلا سماع، وتصديقكم كلا تصديق. ٢٢ ـ ﴿إن شر الدواب عند الله﴾ الذين لاخير فيهم ﴿الصم﴾ الذين لايسمعون ﴿البكم﴾ الذين لاينطقون ﴿الذين لايعقلون﴾ الحق ولايقبلونه ٢٣ ـ ﴿ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم﴾ فقد حرمهم نعمة السمع لأنه يعلم أن لاخير فيهم ﴿ولو أسمعهم﴾ لما قبلوا على تقدير فقدهم الخير و﴿لتولوا﴾ عن الحق ﴿وهم معرضون﴾ عنه لاتقبله نفوسهم، فلذلك حرموا نعمة السمع والقبول. ٢٤ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ
وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ ۖ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ
فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ
تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ
لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ
وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ
وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

وللرسول﴾ تأكيد للدعوة الأولى في الإطاعة الحقة، وعدم التولي عنها ﴿إذا دعاكم لما يحييكم﴾ ويخرجكم من مهبط الفناء والبوار في الدنيا، وفي يوم الحشر. والحياة هي كمال النعمة، وماوراءها إلا العدم والبطلان. وأثر الحياة هو الشعور والإرادة، والهداية الإلهية تسوق الإنسان إلى سعادته وخيره كما تملي عليه فطرته، وإذا ضل فلاتظنن أن الفطرة الإنسانية والهداية الإلهية أوقعته، بل لأنه أغفل عقله، ونسي رشده، واتبع هوى نفسه وما زينه جنود الشيطان في عينه. فالحياة هي الدين الحق. ووراء الحياة الدنيا التي هي متاع الغرور حياة أخرى وهي الدار الآخرة التي جعلها الله للذين لايريدون علواً في الأرض ولافساداً. ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ والحيلولة هي التخلل وسطاً. فالله سبحانه هو المبدع للإنسان، وهو المحيط بأجزائه والمتصرف بها، يحول بين الإنسان وبين كل جزء من أجزاء وجوده، بينه وبين سمعه، وبينه وبين بدنه، وبينه وبين نفسه. فهو يتصرف بتمليك الإنسان منها ماشاء وكيف يشاء. فهو الحائل بينه وبين ذاته، وبينه وبين توابع ذاته من قواه وآثاره وأفعاله. وهذه الحيلولة تقطع منبت كل عذر في عدم استجابته لله وللرسول اذا دعي لما يحييه ﴿وأنه إليه تحشرون﴾ وعند الحشر والبعث ينجلي أن الملك لله وحده لاشريك له، فيبطل كل ملك صوري وسلطة ظاهرية، وتتقطع الأسباب بأمر ممّن خلق الأسباب، فلايغني عنكم منه شيء. وهو يعلم صوركم وأعمالكم، وما استقر في نفوسكم من الإيمان والنفاق، ومن التوحيد والشرك. ٢٥ ـ ﴿واتقوا فتنة﴾ احذروها ﴿لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ فهي تصيب الظالمين من المؤمنين ولاتتعداهم إلى الكفار والمشركين، ولكن أثرها يعم الجميع. فلذلك يجب على الجميع أن يبادروا إلى قطع دابرها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لقطع الاختلافات الداخلية التي تهدد وحدتهم، وتسبب تحزبهم، فيكون الملك عندئذ لمن غلب منهم، وهذه الغلبة هي لكلمة الفساد لاللدين الحنيف الذي يشترك فيه عامة المسلمين، فتكون الفتنة قد أصابتهم بذلك. فمن أظلم الظلم نبذ شريعة الله وأحكامه، ومن أظلم الظلم أن لاتأخذ الأمة على يد الظالم. وقد جاء في الحديث، إذا رأت أمتي الظالم ولم تأخذ على يديه أوشك الله أن يعمهم بعقاب. ﴿واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ فإذا جمع البعض عن قبول الحق، فإن أثر الظلم يسري إلى المجتمع، وإلى كافة المؤمنين وعامة الأمة، ولذلك وجب على الجميع اتقاؤه. ومن الفتن الواقعة في صدر الإسلام ماينطبق على ذلك، وماتزال تتكرر. ٢٦ ـ ﴿واذكروا إذ أنتم قليل﴾ محصورون بمكة ﴿مستضعفون في الأرض﴾ تعدون ضعفاء بتوهين أمركم ﴿تخافون أن يتخطفكم الناس﴾ التخطف هو الخطف والانتزاع ﴿فآواكم﴾ بالمدينة من مشركي العرب، وصناديد قريش، وكثركم بالأنصار ﴿وأيدكم بنصره﴾ فأسبغ عليكم نعمة النصر ببدر ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ وهي الغنائم التي أحلها لكم ﴿لعلكم تشكرون﴾ الله على نعمه. ٢٧ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله﴾ بتعطيل فرائضه وأحكامه ﴿والرسول﴾ بتعطيل سننه. والخيانة نقض الأمانة التي هي حفظ الأمن لحق

وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

من الحقوق، أو هي النفاق. فمن الخيانة التخلي عن تكاليف الأمة المسلمة، فعلى الأمة أن تجاهد لتكون حركة الحياة مصداقاً لما جاء به الله ورسوله ولايتم ذلك إلا بالجهاد بالأنفس والأموال والأولاد. ﴿وتخونوا أماناتكم﴾ كأمانات الناس وأسرارهم وكإفشاء الأسرار السياسية والمقاصد الحربية، التي تضيع بإفشائها آمال الدين، وتضل بإذاعتها مساعي الحكومة الإسلامية، فيبطل حق الله ورسوله ويعود الضرر على عامة المؤمنين. فخيانة أماناتكم هي عين خيانة الله ورسوله ﴿وأنتم تعلمون﴾ أنها أمانات أنفسكم. فكيف تخالفون العقل والفطرة.

٢٨ ـ ﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم﴾ الذين تركتموهم بمكة بالهجرة إلى المدينة ﴿فتنة﴾ وقد افتتن بعض المسلمين من المهاجرين فصاروا ينقلون أخبار المسلمين إلى المشركين، حفظاً لأولادهم وأموالهم ﴿وأن الله عنده أجر عظيم﴾ يفوق مايفوتكم عند خوفكم عليهم.

٢٩ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله﴾ بالالتزام بأوامره والانتهاء عن نواهيه ﴿يجعل لكم فرقاناً﴾ تفرقون به بين الحق والباطل، سواء كان هذا التفريق في العقيدة بالتفريق بين الهدى والضلال، أو في العمل بالتفريق بين الطاعة والمعصية، أو في الرأي والنظر بالفصل بين الصواب والخطأ، وكل ذلك من ثمر شجرة التقوى ﴿ويكفر عنكم سيئاتكم﴾ ويزل أثرها ﴿ويغفر لكم﴾ فيستر ذنوبكم ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ ينيلكم بركات السماء والأرض.

٣٠ ـ ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾ من قريش والمكر صرف الغير عما يقصده بحيلة ﴿ليثبتوك﴾ أي ليحبسوك مكانك ﴿أو يقتلوك أو يخرجوك﴾ ليوقعوا بك ﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ فهو من ورائهم محيط، يبطل مكرهم، ويصرفهم عن بغيتهم، وذلك عطف على قوله تعالى: ﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين..﴾.

٣١ ـ ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا﴾ التي لاريب في دلالتها أنها من عندنا ﴿قالوا قد سمعنا﴾ هذا الذي تمليه علينا ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾ فأمره هين يسير ﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ فهي أحاديث وأخبار خرافية لاتأبه بها وبأمثالها.

٣٢ ـ ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك﴾ فإن كان ماسمعوه من الرسول ﷺ بدعوته، بلسان القال أو الحال، هذا هو الحق من عند الله ولاحق غيره، والأشبه أن لايكون هذا حكاية عن بعض المشركين بنسبته إلى جميعهم، بل كأنه قول عن بعض من أسلم وارتد، أو عن بعض أهل الكتاب المعتقدين بدين سماوي حق. لأنه يشترط ﴿فأمطر علينا حجارة من السماء﴾ للدلالة على كونه آية سماوية، وإهلاكاً إلهياً محضاً ﴿أو ائتنا بعذاب أليم﴾ من باقي أنواع العذاب. والداعي معاند جامح يؤثر الهلاك على الإذعان للحق أو الفطرة، نزلت في الحارث بن النعمان الفهري عند تولية الإمام علي فأصابه حجر فقتله.

٣٣ ـ ﴿وماكان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ فوجودك رحمة ينفي نزول العذاب ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ فالله لايستقبلهم بعذاب سماوي ماداموا يستغفرونه. وفيه دلالة على أن في مستقبل أمر هذه الأمة يوماً ينقطع فيه الاستغفار ويرتفع من بينهم المؤمن الإلهي فيعذبون عند ذاك.

٣٤ ـ ﴿ومالهم ألايعذبهم الله﴾ بالقتل ـ استفهام في معنى الإنكار ـ فما الذي يثبت لهم عدم تعذيب الله إياهم ﴿وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾ ويمنعون المؤمنين دخوله ﴿وماكانوا أولياءه﴾ فهم ليسوا موكلين به ﴿إن أولياؤه إلا المتقون﴾ لأن هذا المسجد مبني على تقوى الله ﴿ولكن أكثرهم لايعلمون﴾ أن الله جعل الولاية للمتقين، فهي وراثة دين وعقيدة لاوراثة دم ونسب إلا إذا اجتمعتا.

٣٥ ـ ﴿وماكان صلاتهم﴾ وهم مشركون صادون ﴿عند البيت إلا مكاء﴾ صفيراً ﴿وتصدية﴾ تصفيقاً، فصلاتهم لعب ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ بيان لإنجاز وعد العذاب لهم لكفرهم.

٣٦ ـ ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله﴾ فبذلهم غايته إبطال الدعوة، ومنع سلوك سبيلها ﴿فسينفقونها﴾ في سبيل هذه الأغراض الفاسدة فتضيع في هذا الطريق، لأن الظلم والفساد لايهدي إلى الفلاح. ﴿ثم تكون عليهم حسرة﴾ لضياعها ﴿ثم يغلبون﴾ فلاينتفعون بها ﴿والذين كفروا إلى جهنم يحشرون﴾ كما حشروا حشودهم ليطفئوا نور الله.

٣٧ ـ ﴿ليميز الله الخبيث من الطيب﴾ والتمييز إخراج الشيء عما يخالفه وإلحاقه بما يوافقه ﴿ويجعل الخبيث بعضه على بعض﴾ وهذا قانون إلهي كلي، وهو إلحاق كل شيء بأصله ﴿فيركمه جميعاً﴾ بجمعه فوق بعضه ﴿فيجعله في جهنم﴾ وهي غاية قافلة الشر ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ لأنهم سعوا لإطفاء نور الله وأنفقوا الأموال، ولم يفوزوا بما مكروا، فورثوا الحسرة والندامة وحلوا دار البوار.

٣٨ ـ ﴿قل للذين كفروا﴾ يامحمد ﴿إن ينتهوا﴾ ويقلعوا عن كفرهم ﴿يغفر لهم ماقد سلف﴾ من قتلهم المؤمنين أو إيذائهم إياهم، وفي ذلك دعوة إلى ترك القتال والفتنة بالإطماع والتخويف ﴿وإن يعودوا﴾ إلى مانهوا عنه ﴿فقد مضت سنة﴾ الله في ﴿الأولين﴾ بالإهلاك والإبادة والخسران.

٣٩ ـ ﴿وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة﴾ فلاتهنوا فيما يهمكم من إقامة الدين، وتصفية جو صالح للمؤمنين، فقاتلوهم وأضعفوهم بالقتال حتى لايغتروا بكفرهم ولايفتنوا المؤمنين ﴿ويكون الدين كله لله﴾ لايدعو إلى خلافه أحد، وهذا يعني الخروج من سلطان البشر الظالم إلى حكم الله العادل، والفرار من عبودية الطواغيت إلى عبادة رب الطواغيت، وهذا لايتم إلا بوجود جماعة مؤمنة مرابطة تحت إمرة إمامة رشيدة تخرج الناس من ظلمات الأحكام الوضعية إلى نور التشريعات الإلهية. ﴿فإن انتهوا﴾ عن القتال ﴿فإن الله بما يعملون بصير﴾ فهو يحكم بينهم بما يناسب حالهم وأعمالهم وهو بصير بها.

٤٠ ـ ﴿وإن تولوا﴾ وأعرضوا ولم ينتهوا ﴿فاعلموا أن الله مولاكم﴾ وناصركم فقاتلوهم مطمئنين بنصر الله ﴿نعم المولى ونعم النصير﴾ والله ينصر من تولاه.

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۚ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ ۚ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

٤١ ـ ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء﴾ والغنيمة هي إصابة الفائدة من جهة تجارة أو عمل أو حرب، وينطبق بحسب ورود الآية على غنيمة الحرب ﴿فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى﴾ وهم قرابة النبي ﷺ ﴿واليتامى﴾ واليتيم من مات أبوه وهو صغير ﴿والمساكين وابن السبيل﴾ فهذا حكم من الله بأن الخمس يجب أن يؤدى إلى أهله فأدوه ﴿إن كنتم آمنتم بالله ومأأنزلنا على عبدنا﴾ وهو القرآن ﴿يوم الفرقان﴾ وهو يوم بدر الذي فرق الله به بين الحق والباطل ﴿يوم التقى الجمعان﴾ وقد نصر الله الحق وأخزى الباطل ﴿والله على كل شيء قدير﴾ فهو القادر أن يفرق بين الحق والباطل بما فرق. ٤٢ ـ ﴿إذ أنتم بالعدوة الدنيا﴾ العدوة شفير الوادي ﴿وهم بالعدوة القصوى﴾ البعيدة ﴿والركب أسفل منكم﴾ وهو العير الذي كان به أبو سفيان ﴿ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد﴾ فهذا التلاقي لم يكن عن سابق قصد وعزيمة ولاعن روية ومشورة ﴿ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً﴾ حيث نزل المشركون بالعدوة القصوى وفيها الماء والأرض الصلبة، والمؤمنون على قلتهم وهوان أمرهم بالعدوة الدنيا ولاماء فيها وأرضها رملية، وقد خلصت منهم عير أبي سفيان، وتلاقى الفريقان ولامناص من الحرب، فالتلاقي سيؤدي إلى المواجهة، ثم ظهور المسلمين على المشركين. وكل ذلك لم يكن عن أسباب عادية بل بمشيئة إلهية خاصة ظهرت بها قدرته، وقد قضى الله ذلك ﴿ليهلك من هلك عن بينة﴾ ظاهرة على بطلان الباطل ﴿ويحيى من حي عن بينة﴾ على أحقية الحق. فالهلكة والحياة هما الضلال والهدى ﴿وإن الله لسميع﴾ يسمع دعاءكم واستغاثتكم ﴿عليم﴾ يعلم مافي صدوركم. ٤٣ ـ ﴿إذ يريكهم الله في منامك قليلاً﴾ ليربط بذلك على قلوبكم، وتطمئن نفوسكم، وقد ذكر الرسول ﷺ مارآه للمؤمنين، وبشرهم فعزموا على لقاء عدوهم ﴿ولو أراكهم كثيراً لفشلتم﴾ والفشل هو الضعف مع الفزع ﴿ولتنازعتم في الأمر﴾ ولاختلفتم ﴿ولكن الله سلم﴾ ونجاكم من الفشل والاختلاف ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ فهو يشهد حال القلوب ويصلح شأنها وينزل سكينته عليها ويعلم تقلبها وترابطها وقوتها. ٤٤ ـ ﴿وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً﴾ لتستحقروا جمعهم ويشجعكم ذلك على القتال والنزال ﴿ويقللكم في أعينهم﴾ إغراء لهم بقتالكم، حتى إذا زحفوا واختلطوا كثّر المؤمنين في أعينهم فرأوهم مثليهم رأي العين ﴿ليقضي الله أمراً كان مفعولاً﴾ ليوهن عزمهم، ويطير قلوبهم، ويكون لكم النصر عليهم ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ فهو الذي خلق الأسباب، وهو الذي يدبر الأمر. ٤٥ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا﴾ واصمدوا ولاتفروا ﴿واذكروا الله كثيراً﴾ في جنانكم ولسانكم بما يلزم لحالكم، وهو أنه تعالى إلهكم وربكم بيده الموت والحياة ﴿لعلكم تفلحون﴾ فكثير الذكر يجدد التقوى، ويدفع حب الدنيا ومايوسوس الشيطان لها، ﴿والله لايضيع أجر من أحسن عملاً﴾ ومآل أمركم في القتال إلى إحدى الحسنيين إما الظفر على أعداء الله أو الظفر بجنته ورحمته.

﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾

٤٦ ـ ﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ فيما أمر من التكاليف المتعلقة بالجهاد والدفاع عن حرمة الدين وبيضة الإسلام، كالابتداء بإتمام الحجة وعدم التعرض للنساء والذراري ﴿ولا تنازعوا﴾ لاتختلفوا ﴿فتفشلوا﴾ وتصابوا بالضعف والفزع ﴿وتذهب ريحكم﴾ عزتكم ودولتكم وغلبتكم ﴿واصبروا﴾ على مكاره القتال، وعلى الإكثار من ذكر الله، وعلى طاعة الله ورسوله، دون أن تزعزعكم الحوادث، أو يزجركم ثقل الطاعة، أوتغويكم لذة المعصية، أو يضلكم عجب النفس وخيلاؤها ﴿إن الله مع الصابرين﴾ يقيهم من الوهن. ٤٧ ـ ﴿ولاتكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً﴾ والبطر هو الدهش الذي يعتري الإنسان من سوء تقبل النعمة، وقلة القيام بحقها، وصرفها إلى غير وجهها ﴿ورئاء الناس﴾ مراءاة لهم ﴿ويصدون عن سبيل الله﴾ فيمنعون السالكين لسبيله ـ وهم كفار قريش ـ ﴿والله بما يعملون محيط﴾ فله السلطان على أعمالهم فلايحسبن الذين كفروا أنهم لايعجزون. والآيات الثلاث الأخيرة توجب ستة أمورفي الحروب الإسلامية: ١ ـ الثبات عند اللقاء. ٢ ـ ذكر الله كثيراً. ٣ ـ طاعة الله ورسوله. ٤ ـ عدم التنازع. ٥ ـ أن لايكون الخروج بطراً ورئاء الناس. ٦ ـ عدم الصد عن سبيل الله. ٤٨ ـ ﴿وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم﴾ فألقى في قلوبهم حسنها، بتهييج قواهم الباطنة دون أن يعقلوا سوء الأثر ﴿وقال﴾ محرضاً لهم ﴿لاغالب لكم اليوم من الناس﴾ فخرجوا ومعهم المعازف والخمور، أو أنه زين لهم أعمالهم من التمادي في الفسق والظلم والضلال ومحادة الله ورسوله. ﴿وإني جار لكم﴾ ومن حقوق الجوار نصرة الجار للجار إذا دهمه عدو وقد تصور الشيطان للمشركين بصورة سراقة بن مالك ﴿فلما تراءت الفئتان﴾ والتقتا ﴿نكص﴾ مرتداً محجماً ﴿على عقبيه﴾ متراجعاً القهقرى ﴿وقال إني بريء منكم﴾ فلاصلة بيني وبينكم ﴿إني أرى مالاترون﴾ من نزول ملائكة النصر للمؤمنين وماعندهم من العذاب الذي يهددكم ﴿إني أخاف الله﴾ وأخاف عذابه ﴿والله شديد العقاب﴾ فلاطاقة لي بتحمل عقابه. ٤٩ ـ ﴿إذ يقول المنافقون﴾ الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، ﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ وهم ضعفاء الإيمان الذين لاتخلو نفوسهم من الشك والارتياب ﴿غر هؤلاء دينهم﴾ فأقدموا على هذه المهلكة الظاهرة، وهم شرذمة أذلاء، وقريش تفوقهم عدداً وعدة وشوكة. ﴿ومن يتوكل على الله﴾ وهو وحده المؤثر فيضع قوته مع قوة الله ﴿فإن الله عزيز﴾ ينصر من استنصره ﴿حكيم﴾ لايخطيء في وضع كل أمر موضعه الذي يليق به، ومن الممكن أن يكون ضعفاء الإيمان هم فئة من قريش أسلموا بمكة واحتبسهم آباؤهم فاضطروا إلى الخروج مع المشركين، فلما شاهدوا حال المسلمين قالوا: ﴿غر هؤلاء دينهم﴾. ٥٠ ـ ﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة﴾ والوفاة هي أخذ الحق بتمامه، وتستعمل لقبض الروح. وتصح نسبة التوفي إلى الملائكة أعوان ملك الموت ﴿يضربون وجوههم وأدبارهم﴾ إزراء وإذلالاً أو هم يضربون من كافة الجهات. ﴿وذوقوا عذاب الحريق﴾ فلكم النار ٥١ ـ ﴿ذلك بما قدمت أيديكم﴾ فتعذيبكم سببه فعالكم ﴿وأن الله

وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾

ليس بظلام للعبيد﴾ لأن فعله حق لاتخلف ولااختلاف فيه. فلو ظلم واحداً لظلم كل أحد، ولو كان ظالماً لكان ظلاماً للعبيد تعالى علواً كبيراً. وسياق الآيات يشهد أنهم القتلى من مشركي بدر. ٥٢ ـ ﴿كدأب﴾ أي كديدن وعادة ﴿آل فرعون والذين من قبلهم﴾ من الأمم الخالية الكافرة ﴿كفروا بآيات الله﴾ فأذنبوا بذلك ﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾ وأهلكهم ﴿إن الله قوي﴾ لايضعف عن أخذهم ﴿شديد العقاب﴾ إذا أخذ. ٥٣ ـ ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمةً أنعمها على قوم﴾ فلايسلبها ولايبدلها ﴿حتى يغيروا مابأنفسهم﴾ فالنعمة أفيضت عليهم لما استعدوا لها في أنفسهم. فإذا غيروا الشكر إلى الكفر والطاعة إلى المعصية والإصلاح إلى الإفساد والذكر إلى اللهو والقيام بأمر المجتمع إلى التقاعس عنه، والجهاد إلى التثاقل، وقد تغير مابأنفسهم من الاستعداد فإن النعمة تتغير إلى نقمة. وهذا ضابط كلي في تبدل النعمة إلى النقمة والعقاب ﴿وأن الله سميع﴾ لدعواتكم ﴿عليم﴾ بحاجاتكم، فاستجاب لكم فعذب الكافرين، أو أنه سميع لأقوالهم عليم بأفعالهم فعذبهم. ٥٤ ـ ﴿كدأب﴾ أي كمثل ﴿آل فرعون والذين من قبلهم﴾ من الأمم المكذبة ﴿كذبوا بآيات ربهم﴾ كفراً وظلماً ﴿فأهلكناهم بذنوبهم﴾ فالله ربهم هو مهلكهم، ﴿وأغرقنا آل فرعون﴾ وأهلكنا الذين من قبلهم ﴿وكل كانوا ظالمين﴾ والله لا يأخذ بعقابه ولايبدل النعمة إلا لمن ظلم، فهو لايعذب إلا من يستحق العذاب. ٥٥ ـ ﴿إن شر الدواب عند الله﴾ وشر جميع المخلوقات، وهو الشر الذي لايرجى معه خير، والذي يجب دفعه بكل وسيلة ﴿الذين كفروا﴾ ولكفرهم ﴿فهم لايؤمنون﴾ لأن الكفر رسخ فيهم رسوخاً لايرجى زواله. ٥٦ ـ ﴿الذين عاهدت منهم﴾ أي من بينهم ﴿ثم ينقضون عهدهم في كل مرة﴾ عاهدتهم ﴿وهم لايتقون﴾ الله في نقض العهد أو لا يتقونكم، ولايخافون نقض عهدكم. وفيه دلالة على تكرر النقض منهم. ٥٧ ـ ﴿فإما تثقفنهم في الحرب﴾ فتظفر بهم وتدركهم بسرعة ﴿فشرد بهم من خلفهم﴾ وفرقهم ونكل بهم، وشدد عليهم ليستولي الرعب والخوف على قلوبهم فيتفرقوا ﴿لعلهم يذكرون﴾ أثر نقض العهد في الفساد في الأرض، وفي شؤم العاقبة عند الله الذي لايهدي القوم الفاسقين ولايهدي كيد الخائنين. ٥٨ ـ ﴿وإما تخافن من قوم خيانة﴾ بظهور إمارات تدل على وقوع مايجب التحرز منه ﴿فانبذ إليهم على سواء﴾ وألق إليهم عهدهم، وأعلمهم بإلغائه، لتكونوا أنت وهم على استواء من نقض العهد، أو تكون مستوياً على عدل، فإن من العدل المعاملة بالمثل ﴿إن الله لايحب الخائنين﴾ فقتالهم بغير إعلامهم لإلغاء العهد خيانة. ٥٩ ـ ﴿ولايحسبن الذين كفروا﴾ يامحمد ﴿سبقوا﴾ فتقدموا على طالب اللحوق بهم بتثبيتهم العذر والخيانة ﴿إنهم لايعجزون﴾ فهم لايعجزون الله لأن له كمال القدرة. ٦٠ ـ ﴿وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾ فابذلوا مبلغ وسعكم من القوى الحربية قبال أعدائكم. فأفراد المجتمع تختلف طباعهم وتتضاد أفكارهم، فلاينعقد مجتمع على سنة قيمة بما ينفعه، إلا وهناك مجتمع آخر يضاده، فالحروب لامناص عنها، فمن الواجب الفطري

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ۖ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

التجهز لعدو المجتمع الصالح. وقد اختار الله دين الإسلام ديناً قيماً في ظل حكومة اسلامية تحفظ فيها كافة الحقوق، دون الحكومات الفردية الاستبدادية التي تسير وفق أهواء الطبقة الحاكمة وتتخذ مال الله دولاً وعباده خولاً والمؤمنين حرباً والقاسطين حزباً، ودون حكومة الأكثرية التي تطابق أهواء الجمهور من الناس فترضي (النصف +١) وتبطل وتضطهد آخرين (النصف ـ ١) أما الحكومة الإسلامية فهي حكومة إنسانية ترعى حقوق كافة الأفراد، ومن أحسن من الله حكماً. فالتكليف بالدفاع عنها والسعي لإقامتها يعم الجميع. وهذا الإعداد، ﴿ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ فكونوا أشداء على الكفار. ﴿وآخرين من دونهم﴾ لاخبرة لكم بتهديدهم إياكم بعداوتهم ﴿لاتعلمونهم الله يعلمهم﴾ كالمنافقين وكفار لاتعلمونهم ﴿وماتنفقوا من شيء في سبيل الله﴾ خالصاً من أية غاية أرضية أو دافع شخصي، أو شعور قومي أو طبقي ﴿يوف إليكم وأنتم لاتظلمون﴾ فالجهاد إحياء للمجتمع، وإحياء المجتمع إحياء لكل فرد من أفراده. فالإنفاق في هذا السبيل يعود نفعه على المنفق في الدنيا والآخرة، فأنتم لاتظلمون لأن ماأنفقتم لايبطل ولايفوت بل يعود نفعه إليكم.

﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ٦٥ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٦٦ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٦٨ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٦٩﴾

٦١ ـ ﴿وإن جنحوا﴾ مالوا ﴿للسلم فاجنح لها﴾ ومل إلى الصلح والمسالمة، وقد نسخ هذا الحكم بسورة براءة ﴿وتوكل على الله﴾ فلاتخف من أن تخضع لأسباب خفية عنك على غفلة منك ﴿إنه هو السميع العليم﴾ الذي لايغفله سبب ولايعجزه مكر، ولكن ليس التوكل بإلغاء الأسباب الظاهرية، بل بسلب الاعتماد القطعي عليها، لأن الذي يبدو للإنسان إن هو إلا بعض يسير منها، أما السبب التام فإرادته سبحانه وتعالى.

٦٢ ـ ﴿وإن يريدوا أن يخدعوك﴾ بجنوحهم للسلم وهم ينوون خديعة المؤمنين، ليغيروا عليهم في شروط وأحوال مناسبة ﴿فإن حسبك الله﴾ ومن يتوكل على الله فهو حسبه، إن الله بالغ أمره ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين﴾ وهذا النصر تأييد أن الله حسبك.

٦٣ ـ ﴿وألف بين قلوبهم﴾ والإلف اجتماع مع التئام، وقد ألف بين قلوبهم بعد حروب مديدة بينهم ﴿لو أنفقت مافي الأرض جميعاً ماألفت بين قلوبهم﴾ فالإنسان مفطور على حب النعم، وهو إذا قدم نفعاً لغيره فإنما لاشتماله على نفع يعود إلى نفسه، وإذا كان يحب الوجدان فهو يبغض الفقدان، والاجتماع لايتم إلا باختصاص كل فرد بما يحرمه آخرون من مال أو جاه أو زينة أو جمال، وهذا مايودع العداوة والبغضاء في القلوب والشح في النفوس، فيبغي بعضهم على بعض ﴿ولكن الله ألف بينهم﴾ وطالما ظنت الأمم أن بغيتها في اجتماعها هي التمتع بالمحدود من الدنيا لاسبيل لها إلا قلع مادة هذا الفساد. وبما أن الدار دار تزاحم فإن الإنعام لايزيل العداوة والبغضاء، وإن أمكن أن يبسط الإلفة. على أن من النعم مالا يقبل إلا الاختصاص كالملك والرئاسة، فتزداد القلوب بغضاً وعداوة. وقد من الله على الأمة الإسلامية بأن ألف قلوبها بمعرفة إلهية ترقى بالإنسان عن التمتع بلذائذ المادة والرعي، وتصل به إلى رب مدبر يرقى بالنفوس ويسمو بها

﴿إنه عزيزٌ حكيمٌ﴾ ألف بينهم بهذه المعرفة الإلهية.

٦٤ ـ ﴿ياأيها النبي﴾ طب نفساً ﴿حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ فيكفيك الله بنصره وبمن تبعك وإن قل عددهم.

٦٥ ـ ﴿ياأيها النبي حرض المؤمنين﴾ حضِّهم ورغبهم وحثهم ﴿على القتال﴾ في سبيل الله ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾ من الذين كفروا ﴿وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لايفقهون﴾ فهم لايعلمون أن المؤمنين يبذلون نفوسهم عن إيمان بالله، وهو القوة التي لاتعادلها قوة، لابتناءه على الفقه الصحيح الذي يسمهم بكل سجية فاضلة كالشجاعة والشهامة والجرأة والاستقامة والطمأنينة، مع ثقة بالله على أنهم على إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة. أما الكفار فهم يتكئون على هوى أنفسهم وتسويل شياطينها وهذا مالايدع النفس ثابتة حيال الموت والمخاوف.

٦٦ ـ ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً﴾ في صفاتكم الروحية المنتهية إلى الإيمان، فالإيقان بالحق هو الذي تنبعث عنه السجايا الحسنة الموجبة للفتح ﴿فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين﴾ من الذين كفروا لتباين صبر المئة على المئتين عن صبر الألف على الألفين ﴿بإذن الله﴾ أي إلا أن يشاء الله خلافه، والحال أنكم مؤمنون صابرون ﴿والله مع الصابرين﴾ وهو معكم. وتدل الآية على أنه كلما زاد الإسلام عزة وشوكة ظاهراً في زمن الرسولﷺ، زادت قوى المسلمين الروحية نقصاً. وفي ظاهر الآية حكم تكليفي، أي ليثبت الواحد منكم للعشرة من الكفار. وهذا يظهر أثر ضعف الإيمان في النصر، مع أن زمن النزول واحد. فالصبر يرجح الواحد في قوة الروح على مثليه، والفقه يرجحه على خمسة أمثاله، فإذا اجتمعا في واحد يرجح على عشرة أمثال نفسه. والصبر لايفارق الفقه ـ وإن جاز العكس ـ وهو واجب في القتال على أي حال. ومقارنة حال المسلمين في بدر مع حالهم في حنين أعجب بيان.

٦٧ ـ ﴿ماكان لنبي أن يكون له أسرى﴾ عتاب من الله سبحانه لأهل بدر حين أخذوا الأسرى من المشركين ﴿حتى يثخن في الأرض﴾ أي حتى يستقر دينه بين الناس، فالسنة الجارية في الأنبياء الماضين أنهم كانوا إذا ظفروا بأعدائهم ينكلون بهم بالقتل ليعتبر بهم من وراءهم، فيكفوا عن محادة الله ورسوله، وكانوا لايأخذون أسرى حتى يستقر دينهم في الأرض ﴿تريدون عرض الدنيا﴾ وهي متاع الغرور، والعرض هو مايطرأ على الشيء ويسرع فيه الزوال ﴿والله يريد الآخرة﴾ بتشريع الدين، والأمر بقتل الكفار ﴿والله عزيز﴾ لايغلب ﴿حكيم﴾ لايلغو في أحكامه المتقنة. وقد اختلفت التفاسير فيما إذا كان العتاب والتهديد متوجه إلى النبيﷺ والمؤمنين، أو دون بعض المؤمنين، أو دون النبي. والنبيﷺ أجل من أن يجوز شيئاً أو يبيحه قبل أن يأذن الله به، وقيل أن العتاب كان أخذ الفداء وقيل غير ذلك.

٦٨ ـ ﴿لولا كتاب من الله سبق﴾ يقتضي أن لايعذبكم ولايهلككم ﴿لمسكم﴾ أي لأصابكم ﴿فيما أخذتم﴾ من الأسرى والفداء والغنيمة ـ وقد أخذتموها قبل نزول الآيات المحللة لها ـ ﴿عذاب عظيم﴾ لعظم الذنب.

٦٩ ـ ﴿فكلوا مما غنمتم﴾ فقد أبيح لكم التصرف فيما أحرزتم من الفائدة من أموال المشركين أو من الفداء ﴿حلالاً طيباً﴾ بإباحة من الله ﴿واتقوا الله﴾ الذي أباح لكم ماأباح ولم يؤاخذكم ﴿إن الله غفورٌ رحيمٌ﴾ يستر نقائصكم.

٧٠ ـ ﴿ياأيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى﴾ استعارة لتسلطكم عليهم ﴿إن يعلم الله في قلوبكم خيراً﴾ من إيمان أو اتباع للحق الذي يلازمه الإيمان ﴿يؤتكم خيراً مما أخذ منكم﴾ من الفداء ﴿ويغفر لكم﴾ ولامغفرة مع شرك ﴿والله غفور رحيم﴾ يستر ذنوبكم.

٧١ ـ ﴿وإن يريدوا خيانتك﴾ ويعودوا إلى العناد والفساد والمحاربة ﴿فقد خانوا الله من قبل﴾ بكفرهم وإصرارهم على أن يطفئوا نور الله بأفواههم ﴿فأمكن منهم﴾ فأقدرك عليهم، وهو قادر على أن يفعل بهم ذلك ثانياً ﴿والله عليم﴾ بخيانتهم لو خانوا ﴿حكيم﴾ في إمكانك منهم.

٧٢ ـ ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾ وهم الطائفة الأولى من المهاجرين ﴿والذين آووا﴾ النبي ﷺ والمؤمنين المهاجرين ﴿ونصروا﴾ الله ورسوله ﴿أولئك بعضهم أولياء بعض﴾ والولاية أعم من ولاية الميراث وولاية النصرة وولاية الأمن، والبعض من الجميع ولي البعض من الجميع ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا﴾ ممن بقي في مكة ﴿مالكم من ولايتهم من شيء﴾ لأنهم لم ينضووا تحت قيادتكم ﴿حتى يهاجروا﴾ وعندها يشملهم حكم الولاية ﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر﴾ فولاية النصرة باقية ﴿إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ عهد ﴿والله بما تعملون بصير﴾ لاتخفى عليه أعمالكم.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٧١ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥

٧٣ ـ ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾ فولايتهم لبعضهم لاتتعداهم إلى المؤمنين، فليس للمؤمنين أن يتولوهم ﴿إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾ فالمجتمع لاغنى له عن الولاية، وتولي الكفار والاختلاط بهم يفسد عقائد المسلمين وأخلاقهم، فيتبدل اتباع الحق إلى اتباع الهوى وعبادة الشيطان، وقد صدق جريان الحوادث ماأشارت إليه الآية من الفتنة والفساد.

٧٤ ـ ﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله﴾ وهم المهاجرون ﴿والذين آووا ونصروا﴾ وهم الأنصار ﴿أولئك هم المؤمنون حقاً﴾ فهذا الدين إن هو إلا تشكيل جماعة مؤمنة مترابطة تمثل تجمعاً حركياً يعمل على إقامة حكم الله في أرضه ﴿لهم مغفرة ورزق كريم﴾ وعد بالمغفرة وطيب الرزق.

٧٥ ـ ﴿والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم﴾ فهم يضمون إلى فئة المؤمنين ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ جعل للولاية بين أولي الأرحام والقرابات، وهي ولاية الإرث. فإن سائر أقسام الولاية لاتنحصر فيما بينهم. والآية تنسخ ولاية الإرث بالمؤاخاة ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ ولعلمه بكل شيء شرع ولاية الأرحام.

سورة التوبة

غرض السورة: إعلان البراءة، قتال المشركين، قتال أهل الكتاب، بيان أمر المنافقين، نبذ ولاية الكفار، آيات الزكاة. ١ ـ ﴿براءة﴾ والبرء هو التفصي مما يكره مجاورته ﴿من الله ورسوله﴾ إنشاء الحكم والقضاء برفع الأمان عن المشركين، وهم لايعرفون إلا شرعة الغاب ونقض العهود ﴿إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾ لفسقهم وعدم مراعاتهم حدودهم وعهودهم ٢ ـ ﴿فسيحوا في الأرض﴾ سيروا واجروا ﴿أربعة أشهر﴾ آمنين لا يتعرض لكم بشر حتى تختاروا ماترونه أنفع بحالكم من البقاء أو الفناء ﴿واعلموا أنكم غير معجزي الله﴾ فالأصلح لكم رفض الشرك وقبول التوحيد ﴿وأن الله مخزي الكافرين﴾ فاتعظوا ولاتهلكوا أنفسكم بالاستكبار والتعرض للخزي الإلهي وفي الكشاف في سبب النزول لتبليغ الآية: (فأمّر رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه على موسم سنة تسع ثم أتبعه علياً رضي الله عنه راكباً العضباء ليقرأها على أهل الموسم فقيل له: لو بعثت بها إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال: «لايؤدي عني إلا رجل مني») وأورد مثله ابن كثير في تفسيره. ٣ ـ ﴿وأذانٌ﴾ إعلامٌ ﴿من الله ورسوله إلى الناس﴾ ليعلنوا البراءة من المشركين، ويستعدوا لإنفاذ أمر الله فيهم بعد الأشهر الحرم. وروى ابن كثير أن الرسول ﷺ أرسل علياً بدل أبي بكر فانطلق إلى أهل مكة فقام فيهم بأربع: لايدخل مكة مشركٌ بعد عامه هذا، ولايطوف بالبيت عريان، ولايدخل الجنة إلا نفسٌ مسلمةٌ، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهدٌ فعهده إلى مدته. ﴿يوم الحج الأكبر﴾ وهو يوم النحر وتؤيد ذلك أحاديث أئمة أهل البيت، وهذا آخر عام يحج فيه المسلمون والمشركون معاً ﴿أن الله بريء من المشركين ورسوله﴾ فعلى المسلمين إعلام ذلك غيرهم، فمنهج الإسلام هداية وحياة لا مباغتة وفتك، كما يحدث في العلاقات الدولية، ﴿فإن تبتم﴾ وآمنتم ﴿فهو خير لكم﴾ فاتعظوا ﴿وإن توليتم﴾ معرضين عن الدعوة ﴿فاعلموا أنكم غير معجزي الله﴾ فالله قادر على إهلاككم فأنتم في قبضته وتحت قهره ومشيئته فهو قادرٌ عليكم ﴿وبشر الذين كفروا﴾ يامحمد وهذه بشارة استهزاء ﴿بعذاب أليم﴾ جزاء توليكم وشرككم فلكم في الدنيا الخزي والنكال ولكم في الآخرة المقامع والأغلال. ٤ ـ ﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين﴾ إستثناء من عموم البراءة من المشركين ﴿ثم لم ينقصوكم شيئاً﴾ فلم ينقضوا عهدهم، لانقضاً ظاهراً بقتلهم المسلمين، ولاغير ظاهر بإعانة غيرهم على المسلمين. ﴿ولم يظاهروا عليكم أحداً﴾ أي ولم يساعدوا عليكم أحداً، كما فعل مشركو مكة حيث مدوا بني بكر على بني خزاعة، فنقضوا بذلك عهد الحديبية، وكان ذلك من أسباب فتح مكة ﴿فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم﴾ فيجب الوفاء بميثاقهم ﴿إن الله يحب المتقين﴾ وحفظ واحترام المواثيق أحد مصاديق التقوى. ٥ ـ ﴿فإذا

سُورَةُ التَّوْبَةِ
ترتيبها ٩ آياتها ١٢٩

بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾
فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ
إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ
وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ
شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ
مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ
فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ
وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾
وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ
كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

انسلخ الأشهر الحرم» وانقضت أشهر السياحة التي جعلها الله للمشركين أجلاً مضروباً «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم» تحقيق للبراءة منهم، ورفع الحرمة عن أنفسهم ودمائهم، أينما وجدوا في حل أو حرم، ومتى وجدوا «وخذوهم» اقبضوا عليهم وأسروهم «واحصروهم» إن تحصنوا ولم يمكن أخذهم في كهفهم، واحبسوهم عن مخالطة الناس «واقعدوا لهم كل مرصد» فراقبوهم لتظفروا بهم. والمعنى: اتخذوا كل الوسائل إلى إفناء جمعهم وإنفاد عددهم وقتلهم، ليتخلص المجتمع من شرورهم لكي لايدين العباد لسلطان جائر أو طاغوت يمنع نشر الهدى «فإن تابوا» رجعوا عن الشرك إلى التوحيد «وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة» دلالة على التزامهم بأحكام دينكم العائدة إلى الخالق عز اسمه «فخلوا سبيلهم» ولاتتعرضوا لهم «إن الله غفورٌ» لمن تاب «رحيمٌ» فهي حملة هداية لاحرب إبادة. وروى ابن كثير أن النبي ﷺ بعث بأربعة أسياف. سيفٌ في المشركين من العرب، قال الله تعالى: «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم» والثاني قتال أهل الكتاب لقوله تعالى: «قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولابالبوم الآخر ولايحرمون ماحرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون» «والسيف الثالث قتال المنافقين في قوله تعالى: «ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين» الآية»، والرابع قتال الباغين في قوله تعالى: «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله» ٦ ـ «وإن أحد من المشركين» الذين لاينضوون تحت لواء تحزب جاهلي يتصدى للإسلام «استجارك» وطلب الأمان «فأجره حتى يسمع كلام الله» فالدعوة غايتها صرف الناس عن سبيل الغي والضلال إلى صراط الرشد والهدى، فلذلك يجب سلوك كل سبيل لنيل هذه الغاية ولترتفع عن المشرك غشاوة الجهل وتتم عليه الحجة «ثم أبلغه مأمنه» حتى يبلغ منك أمناً تاماً «ذلك بأنهم قوم لايعلمون» ولابأس على جاهل إذا رجي منه الخير بقبول الحق لو وضح له. أما إذا أصر واستكبر فلاأمان له بعد ذلك ووجب تطييب الأرض من قذارة وجوده. ٧ ـ «كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله» استفهام في مقام الإنكار، فهم لايدينون لله بالعبودية ولاالمنهجه بالتطبيق «إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام» ولم ينقضوا عهدهم «فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم» فالسلم لمن سالم «إن الله يحب المتقين» فالسلم لمن سالم من لوازم التقوى. ٨ ـ «كيف» يكون لهم عهد «وإن يظهروا عليكم» ويغلبوكم لفعلوا فيكم الأفاعيل «لايرقبوا فيكم» لايحفظوا ولايراعوا «إلاً» أي قرابة، والقرابة توجب رعاية القريب «ولاذمة» أي ولاعهداً، والذمة مايذم الرجل على إضاعته من عهد. «يرضونكم بأفواههم» بالكلام المدلس «وتأبى قلوبهم» حفظ عهودهم «وأكثرهم فاسقون» ناقضون للعهد والميثاق. ٩ ـ «اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً» فقد باعوا الآيات الإلهية بثمن بخس من منافع وأهواء باطلة «فصدوا عن سبيله» ومنعوا طريقه «إنهم ساء ماكانوا يعملون» لأن حصادهم سوء

العاقبة. ١٠ ـ ﴿لايرقبون﴾ لايحفظون ﴿في مؤمن إلاً﴾ قرابة ﴿ولاذمّة﴾ معتدة، ﴿وأولئك هم المعتدون﴾ وإذا كان هذا حالهم فلاتحسبوا لو نقضتم عهدهم أنكم اعتديتم عليهم، فهم المعتدون بما يضمرون من العداوة والبغضاء. ١١ ـ ﴿فإن تابوا﴾ ورجعوا إلى الله بالإيمان ﴿وأقاموا الصلاة﴾ وهي أخص مظاهر العبادة ﴿وآتوا الزكاة﴾ وهي أقوى أركان المجتمع الديني ﴿فإخوانكم في الدين﴾ فهم مساوون لكم، فالأخ مشتق مع أخيه من مادة واحدة فهما متساويان ﴿ونفصل الآيات﴾ نبينها ﴿لقوم يعلمون﴾. ١٢ ـ ﴿وإن نكثوا أيمانهم﴾ ونقضوا عهودهم. وهم غير المشركين السابقين فهم قوم لهم مع ولي الأمر من المسلمين عهود وأيمان ينكثونها ﴿من بعد عهدهم﴾ وميثاقهم ﴿وطعنوا في دينكم﴾ فإيمانهم ملغى ﴿فقاتلوا أئمة الكفر﴾ وقادته ﴿إنهم لاأيمان لهم﴾ ولاعهود ﴿لعلهم ينتهون﴾ عن الطعن في الدين الحق. ١٣ ـ ﴿ألا تقاتلون قوماً﴾ تحريض على قتالهم لأنهم ﴿نكثوا أيمانهم﴾ ونقضوا عهودهم ﴿وهمّوا بإخراج الرسول﴾ من مكة ﴿وهم بدءوكم أول مرة﴾ بالقتال ﴿أتخشونهم﴾ فتتجنبون لقاءهم ﴿فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين﴾ فالمؤمن يؤمن بأن الله يملك كل خير وشر ونفع وضر. ١٤ ـ ﴿قاتلوهم﴾ تحريض بعد كمال الإعداد ﴿يعذبهم الله بأيديكم﴾ فهي أياد تنفذ تحقق العذاب الإلهي، والله يجعلكم ستار قدرته وأداة مشيئته ﴿ويخزهم﴾ بإذلالهم ﴿وينصركم عليهم﴾ فأيديكم أدوات تنفيذ المشيئة الإلهية ووسيلة نصره ﴿ويشف صدور قوم مؤمنين﴾ بالانتقام من أعداء الله وأعدائهم، والنصر عليهم. ١٥ ـ ﴿ويذهب غيظ قلوبهم﴾ بغلبتكم عليهم ﴿ويتوب الله على من يشاء﴾ فلايجري حكم القتال على إطلاقه ﴿والله عليم﴾ بالتائبين ﴿حكيم﴾ فيما يفعل ويحكم. ١٦ ـ ﴿أم حسبتم أن تتركوا﴾ على ماأنتم عليه من الحال، ولما تظهر حقيقة صدقكم في دعوى الإيمان بالله وبآياته ﴿ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم﴾ أي لم يتحقق في الخارج جهادكم وأثر إيمانكم ﴿ولم يتخذوا من دون الله ولارسوله ولاالمؤمنين وليجة﴾ والوليجة كل مايتخذه الإنسان معتمداً عليه وليس من أهله. فالدار دار اختبار ومراتب القرب والزلفى تبذل إزاء الإيمان، والإيمان يظهر بالامتحان، والامتحان يورد المؤمن مقام العمل ﴿والله خبير بما تعملون﴾ فيجب ابتلاؤكم بالقتال الذي يفصل روابط المحبة والصلة لأعداء الله. ١٧ ـ ﴿ماكان للمشركين أن يعمروا﴾ بالبناء ﴿مساجد الله﴾ ويصلحوا ماأشرف منها على الفساد، فليس لهم ذلك الحق، إذ لايستقيم لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين، عمارة أمكنة العبادة، والكفر بالله وعبادته. ﴿شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾ بالاعتراف بالكفر لفظاً أو بعبادة الأصنام أو بما يدل على الكفر عملاً ﴿أولئك حبطت أعمالهم﴾ فبطل أثرها، والعمل إنما يؤتى به لأثر مطلوب، والعمل الحابط لاتعقبه سعادة ولاجنة ﴿وفي النار هم خالدون﴾ فأعمالهم تقودهم إلى الخلود في النار. وفي الآية دلالة على أنه لافعل إلا لنفع عائد إلى فاعله، وأن جواز الفعل مسبوق بحق مجعول من الله لفاعله أن يأتي بالفعل من غير مانع، وأن العبادة تعبير عن العقيدة فعمارة المساجد ليست بشيء إذا لم يعمر التوحيد القلوب.

قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾

١٨ ـ ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾ قصر لدفع توهم خلاف ذلك ﴿وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله﴾ فمن كان تاركاً للفروض المشروعة وخاصة الصلاة والزكاة يكون كافراً بآيات الله ـ وهذا كفر في مرتبة العمل لا العقيدة ـ لاينفعه الإيمان بالله واليوم الآخر وإن كان مسلماً إذا لم ينكرها بلسانه ولو أنكرها بلسانه كان كافراً غير مسلم ﴿فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ وهذا الرجاء قائم بأنفسهم أو بأنفس المخاطبين، لأن الاهتداء لايتم إلا بالعقيدة والعمل، مع تحقق صفة الاهتداء باستقرارها. ١٩ ـ ﴿أجعلتم سقاية الحاج﴾ ؟ وهي الموضع أو الآنية التي يسقى منها وكانوا يتباهون بها في الجاهلية ﴿وعمارة المسجد الحرام﴾ بالعمل في إصلاح شأنه ﴿كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله﴾ وقد روي أن العباس تفاخر بسقاية الحاج وتفاخر شيبة بعمارة المسجد الحرام، فقال علي بن أبي طالب (ع): وأنا أقول لكما لقد أوتيت على صغري مالم تؤتيا. وقد أورد ابن كثير أنه قال: «لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فأنزل الله عز وجل: ﴿أجعلتم سقاية الحاج؟﴾». وروي أن العباس قام إلى النبي ﷺ يشكو علياً، فنزلت هذه الآية إلى قوله: إن الله عنده أجر عظيم. فالزلفة والقيمة إنما هي للعمل إذا كان حياً بولوج روح الإيمان فيه. وهل يتساوى الشرك مع الإيمان ﴿لايستوون عند الله﴾ فلامساواة بين عمل جاهلي خال من الإيمان كالسقاية والعمارة وبين عمل ديني صادر عن إيمان بالله واليوم الآخر كالجهاد. ﴿والله لايهدي القوم الظالمين﴾ إنكار لحكمهم بالمساواة، وإظهار لما كانوا عليه من الشرك، ونفي أن يوصلهم العمل من دون إيمان إلى الجنة. ٢٠ ـ ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم﴾ ببذل كل ماعندهم ﴿أعظم درجة عند الله﴾ فالدرجة للإيمان والعمل ولافضل لعمل بلا إيمان ﴿وأولئك هم الفائزون﴾ فقد ثبت الفوز لهم. ٢١ ـ ﴿يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان﴾ لايقدر قدرهما ﴿وجنات لهم فيها نعيم مقيم﴾ لايزول ولاينفد. ٢٢ ـ ﴿خالدين فيها أبداً﴾ فلا ينقطع خلودهم بأجل ﴿إن الله عنده أجر عظيم﴾ رفع للاستبعاد عن التعجب، لكونها بشارة بأمر عظيم لايماثله نعيم في الدنيا. ٢٣ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا﴾ خطاب لهم بقصر الولاية على المؤمنين ونهي عن موالاة الكفرة ﴿لاتتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء﴾ وخصهما بالذكر لأن التولي يعطى للولي ﴿إن استحبوا الكفر على الإيمان﴾ فآثروه ﴿ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون﴾ وقد حرموا الهداية لأن تولي الولي الكافر ظلمٌ لما له من التدخل في الأمور الحياتية ومن التأثير في القلوب. ٢٤ ـ ﴿قل﴾ يامحمد ﴿إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم﴾ وهم الذين يجمعهم المجتمع الطبيعي بقرابة نسبية أوسببية ﴿وأموالٌ اقترفتموها﴾ اكتسبتموها ﴿وتجارةٌ تخشون كسادها ومساكن ترضونها﴾ وتتعلق نفوسكم بها لحبكم لزينة الحياة الدنيا، وهي أمور مما يقوم بها المجتمع من المرتبة الثانية ﴿أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله﴾ فتوليتم أعداء الدين ولم تصارموا أقاربكم الكفرة أي لم تقطعوا صلاتكم

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾

بهم ﴿فتربصوا حتى يأتي الله بأمره﴾ مما يتم به تدارك ماعرض على الدين من ثلمة وسقوط في ظرف مخالفتكم، أو عذاب يأتيكم لقاء هذه المخالفة ﴿والله لايهدي القوم الفاسقين﴾ فالله لايهديهم بأعمالهم ولايوفقهم لنصرة الله ورسوله، ولالإعلاء كلمة الدين ومحو أثر الشرك. ٢٥ ـ ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة﴾ والموطن هو موضع السكن ﴿ويوم حنين﴾ وهو اسم واد بين مكة والطائف قاتل فيه النبي ﷺ هوازن وثقيف ﴿إذ أعجبتكم كثرتكم﴾ وسرتكم فانقطعتم عن الاعتماد على الله والثقة بأيده وقوته، واستندتم إلى الكثرة، وقد قال أبو بكر: لن نهزم اليوم من قلة ﴿فلم تغن عنكم شيئاً﴾ فبان لكم أن الكثرة التي اعتمدتم عليها سبب موهوم لاغنى عنده حتى يغنيكم ﴿وضاقت عليكم الأرض بما رحبت﴾ واتسعت، فقد أحاط بكم العدو ﴿ثم وليتم مدبرين﴾ وكل هذه المواقف على مافيها من الإثم ساقكم إليها الاعتماد على الأسباب السرابية من دون الله. ٢٦ ـ ﴿ثم أنزل الله سكينته﴾ التي تهدأ النفوس بها وتطمئن ﴿على رسوله وعلى المؤمنين﴾ وحاشا لله أن يكون الرسول الكريم قد اضطرب وتزلزل، فلذلك تكون السكينة هنا حالة قلبية توجب سكون النفس وثبات القلب ملازمة لازدياد الإيمان مع الإيمان، ولكلمة التقوى التي تهدي إلى الورع عن محارم الله، فهي تردع عن الصغائر والكبائر. ﴿وأنزل جنوداً لم تروها﴾ وهي الملائكة النازلة إلى المعركة ومنها التي تحمل السكينة ﴿وعذب الذين كفروا﴾ بنزول الملائكة أيضاً ﴿وذلك جزاء الكافرين﴾ والوعد الإلهي في هذه الآية ليس بالوعد المقطوع وجوده حتى تبطل صفة الخوف من قلوبهم، ولابالمقطوع عدمه فتبطل صفة الرجاء من نفوسهم، بل وعد يتوسط الخوف والرجاء، تربية وتأهيلاً للسعادة الحقيقية، وهو الذي يكتمل في الآية التالية بالتوبة والمغفرة والرحمة. ٢٧ ـ ﴿ثم يتوب الله﴾ فيرجع إلى عباده بالعناية والتوفيق أولاً ثم بالعفو والمغفرة ﴿من بعد ذلك﴾ من بعد خطيئتهم بالركون إلى غير الله سبحانه أو بالفرار ـ وهذه معصية ـ أو غير ذلك ﴿على من يشاء﴾ من المسلمين، بالتوبة من الخطيئة والمعصية المذكورة، ومن الكافرين، بالرجوع إلى التوحيد ﴿والله غفور رحيم﴾ فجريان العناية وفيضان العفو والمغفرة الإلهية مستمر لمن تاب. ٢٨ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس﴾ وكل مستقذر نجس. فهم نجس في فكرهم ومنهجهم ومحاربتهم الدين الحق ﴿فلايقربوا المسجد الحرام﴾ نهي ومنع عن دخوله، بعدّ نوع من القذارة لهم، مقابلةً للطهارة والنزاهة التي للمسجد الحرام. والآية وراء الحكم باجتناب ملاقاتهم بالرطوبة وغير ذلك، مع أن هناك من المفسرين من يقول بالتنجس برطوبتهم ﴿بعد عامهم هذا﴾ وهي سنة تسع من الهجرة، حيث أذن فيها علي (ع) بالبراءة، ومنع الطواف بالبيت لأحد عرياناً، وعدم حج المشركين، بدلاً من أبي بكر وذلك لحديث الرسول ﷺ: «لايؤدي عني إلا أنا أو رجل من أهل بيتي». ﴿وإن خفتم عيلة﴾ أي فقراً، بتعطل أسواقكم بانقطاعهم عن الحج ﴿فسوف يغنيكم الله من فضله﴾ ويطعمكم من جوع ويؤمنكم من فقر ﴿إن شاء﴾ فبيده الأسباب ﴿إن الله عليم﴾ بحالكم ﴿حكيم﴾ فيما أورد

ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

من أحكام، وقد صدق الله وعده لأنه لم يكن قد تبقى من المشركين إلا القليل.

٢٩ ـ ﴿قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولاباليوم الآخر﴾ أمران في مرتبة العقيدة ﴿ولايحرمون ماحرم الله ورسوله﴾ في مرتبة الأعمال وتشمل كل ماحرم، والرسول هو إما رسول أنفسهم الذي قالوا بنبوته وإما رسول الله ﷺ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل ﴿ولايدينون دين الحق﴾ أي لايأخذونه ديناً وسنة ونظاماً حيوياً لأنفسهم، وهو الدين الذي يهدي متبعيه إلى الحق ﴿من﴾ بيانية لاتبعيضية ﴿الذين أوتوا الكتاب﴾ لعدم تلبسهم بالإيمان المقبول عند الله وعدم تحريمهم ماحرم الله ورسوله، كعدم مبالاتهم في التظاهر باقتراف المناهي، وكإشاعة الفساد المخالف للفطرة. وهم يقررون أمر المبدأ والمعاد تقريراً مخالفاً للحق كقولهم المسيح ابن الله وعزير ابن الله يضاهئون بذلك قول الذين كفروا، ولذلك كان قوله تعالى: ﴿الذين لايؤمنون بالله...﴾ بياناً للحكمة في قتالهم، ويترتب عليه فائدة التحريض والتحضيض عليه ﴿حتى يعطوا الجزية﴾ وهي مايؤخذ من أهل الذمة للإجتزاء بها في حقن دمهم، فهي عطية مالية مصروفة في جهة حفظ ذمتهم وحقن دمائهم وحسن إدارتهم ﴿عن يد﴾ أي عن قدرة وسلطة لكم عليهم ﴿وهم صاغرون﴾ راضون بالذلة والمنزلة الدنية، مع خضوعهم للسنة الإسلامية، والحكومة الدينية العادلة في المجتمع الإسلامي، دون أن يكافئوا المسلمين بشخصية مستقلة حرة، أو يبارزوهم في بث ماتهواه أنفسهم وإشاعة مااختلقته هوساتهم من العقائد والأعمال المفسدة للمجتمع الإنساني. إذ ليس غرض الإسلام في فرض الجزية هو تمتع المسلمين واسترسالهم في الترف والشهوات، وإنما غرض الدين هو ظهور دين الحق وسنة العدل، فهم أحرار فيما يرتضونه لأنفسهم من تربية دينهم على شرط أن يكونوا على شيء من دين التوحيد دون أن يزاحموا دين الإسلام، وهذه غاية العدل والنصفة.

٣٠ ـ ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله﴾ وعزير أو عزرا هو الذي جدد دين اليهود وجمع أسفار التوراة بعد أن سامهم بخت نصر ملك بابل سوء العذاب، وربما كانت دعوتهم له بابن الله تشريفاً لانسباً ﴿وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾ كفراً وظلماً ﴿ذلك قولهم بأفواههم﴾ كلمة هم قائلوها ﴿يضاهئون﴾ يشاكلون ﴿قول الذين كفروا من قبل﴾ من الوثنيين، وكذا القول بالثالوث مما كان دائراً بين الوثنيين من الهند والصين ﴿قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ دعاء منه تعالى عليهم لأنهم يصرفون الأمور عن وجهتها الحق، وهذا هو الإفك.

٣١ ـ ﴿اتخذوا أحبارهم﴾ علماءهم والحبر هو العالم ﴿ورهبانهم﴾ والراهب هو المتلبس بلباس الخشية وغلب على المتنسكين من النصارى، وهذا الاتخاذ هو إصغاؤهم لهم وإطاعتهم من غير قيد أو شرط ﴿أرباباً من دون الله﴾ ولايطاع كذلك إلا الله ﴿والمسيح بن مريم﴾ اتخذوه رباً بقولهم بألوهيته ﴿ومأأمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً﴾ فالاتخاذ بالربوبية بواسطة الطاعة كالاتخاذ بها بواسطة العبادة، واتخاذ الرب معبوداً هو اتخاذه إلهاً ﴿لاإله إلا هو﴾ قصر العبادة لله وحده ﴿سبحانه﴾ تنزه ﴿عما يشركون﴾ بقولهم بربوبية المسيح والأحبار والرهبان، وقد قال ﷺ لعدي بن حاتم وقد رأى في عنقه صليباً من ذهب: «أليسوا يحرمون ماأحل الله فتحرمونه ويحلون ماحرمه الله فتحلونه، قال: بلى، قال: فتلك عبادتهم».وعن فضيل:مأبالي أطعت مخلوقاً في معصية الخالق أو صليت لغير القبلة.

٣٢ ـ ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله﴾ المتمثل في هذا الدين ﴿بأفواههم﴾ وفي هذا تصغير لكيدهم، لأن الفم يؤثر في الأنوار الضعيفة دون الأقباس العظيمة ﴿ويأبى الله إلا أن يتم نوره﴾ ويظهر دين الإسلام على الدين كله ﴿ولو كره الكافرون﴾ وعد جميل بإتمام النور. ٣٣ ـ ﴿هو الذي أرسل رسوله﴾ محمداً ﷺ ﴿بالهدى﴾ مع الآيات والبينات ﴿ودين الحق﴾ وهو الإسلام بما اشتمل عليه من العقائد والأحكام المنطبقة على الواقع الحق ﴿ليظهره﴾ وينصر هذا الدين الحق ﴿على الدين كله﴾ أي على كل الأديان والأنظمة التي اختلقتها هوسات البشر ﴿ولو كره المشركون﴾ تحريض المؤمنين على قتال أعداء الدين، فالله قد أراد نشر الدين الحق لذا كان لابد من السعي والمجاهدة في ذلك، فالآية تحمل الوعد بالغلبة وماعلى المؤمنين إلا النهوض لاستنجاز الوعد. ٣٤ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار﴾ وهم علماء اليهود ﴿والرهبان﴾ وهم متنسكو النصارى ﴿ليأكلون أموال الناس بالباطل﴾ فهم يأكلون بالباطل مايقدمه الناس إليهم من المال حباً لهم لتظاهرهم بالزهد، ويأكلون الربا والسحت، ويأخذون أموال مخالفيهم، ويأخذون الرشوة على الحكم، ويأخذون المال مقابل إعطاء أوراق المغفرة وبيعها، أو مقابل تحليل الحرام وتحريم الحلال لصالح من يملكون المال والسلطان، هذا ماذكره البعض. والظاهر أن المراد بذلك أخذ الرشوة على الحكم، ويكفيهم بيع صكوك الغفران مقتاً وبغياً ﴿ويصدّون عن سبيل الله﴾ فهم يسدون طريق الحكومة الدينية العادلة بما يدأبون على جمع المال لمحاربة أهل الدين الحق كالحملات الصليبية، وحملات التبشير والاستشراق، ومايزالون مصرين على هذه السليقة إلى اليوم. وهم يحرضون الأهواء على بلوغ مرامها، وينشرون الفساد الذي يؤدي إلى انحطاط المجتمع إلى محيط حيواني ردىء لاهم فيه إلا البطن ومادونه. ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة﴾ ويحفظون ويدخرون ماكنزوا، ويمنعون جريانه بين الناس في وجوه المعاملات لينمو نماءً حسناً بحيث يتم الانتفاع به ﴿ولاينفقونها في سبيل الله﴾ وهو مايتوقف عليه قيام الدين كالجهاد، وكحفظ مصالح الدين ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ لأنهم آثروا أنفسهم على ربهم، وقدموا حاجة أنفسهم أو أولادهم الاحتمالية على حاجة المجتمع الديني القطعية. وهذه خيانة لله ورسوله، والآية لاتقتصر على أهل الكتاب بل تعم المسلمين. ٣٥ ـ ﴿يوم يحمى عليها في نار جهنم﴾ أي تسخن كنوزهم ويوقد عليها في النار ﴿فتكوى بها﴾ تلتصق حارة بها ﴿جباههم وجنوبهم وظهورهم﴾ وقد خضعوا وسجدوا لكنوزهم وأموالهم، ولاذوا بجنوبهم، واتكأوا عليها بظهورهم ويقال لهم ﴿هذا ماكنزتم لأنفسكم﴾ ولذتم به ﴿فذوقوا ماكنتم تكنزون﴾ وهذا ماقدمت أيديكم. ٣٦ ـ ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً﴾ قمرياً ﴿في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض﴾ وهي التي أثبتها في كتاب التكوين يوم خلق السموات والأرض وأجرى الحركات العامة التي منها حركة الشمس وحركة الأرض والقمر ﴿منها أربعة حرم﴾ والحرام هو الممنوع منه وهي أشهر ذي القعدة وذي الحجة والمحرم ورجب ﴿ذلك الدين القيم﴾ القائم بمصلحة الناس

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

المهيمن على إدارة أمور حياتهم وحفظ شؤونها. فتحريم القتال في هذه الأشهر غايته شيوع الأمن والكف عن القتال، وأن يرجعوا إلى ربهم بالعبادات. وكانت حرمة هذه الأشهر من شريعة إبراهيم (ع) ولكن العرب كانوا يغيرون أوقاتها ﴿فلاتظلموا فيهن أنفسكم﴾ بعدم رعاية حرمتها، وخاصة أنه يجب تجنب القتال فيها. ﴿وقاتلوا المشركين كافة﴾ أي كافّين لهم كما يقاتلونكم كافين لكم، والأقرب قاتلوا جميعهم كما يقاتلون جميعكم، لقطع منابت الشرك والفساد وهذا تهييج وتحضيض أي اجتمعوا لحربهم كما يجتمعون لحربكم وقاتلوهم بنظير مايفعلون. ﴿كما يقاتلونكم كافة﴾ فهم جميعاً صف واحد لاهم لهم إلا استئصال دينكم في كل زمان ومكان ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ تعليم وحث على التقوى مع وعد بالنصر، ومنع من تعدي حدود الله في الحروب. ٣٧ ـ ﴿إنما النسيء﴾ وهو المؤخر ﴿زيادة في الكفر﴾ وهذا كفر في مرتبة العمل إضافة إلى أنه كفر في الاعتقاد، وقد كانت العرب تؤخر حرمة بعض الأشهر الحرم للقتال فيها للتأخير الحج ﴿يضل به الذين كفروا﴾ بإضلال غيرهم إياهم بذلك ﴿يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً﴾ فهم يحلون الشهر الذي نسؤوه بتأخير حرمته عاماً ثم يعودون ليحرموه عاماً ﴿ليواطئوا﴾ ويوافقوا ﴿عدة ماحرم الله فيحلوا ماحرم الله﴾ فهم يحافظون على حرمة الأشهر الحرام بعددها مع التغيير في محل الحرمة ليتمكنوا من الحروب والغارات مع الاستنان بالحرمة ﴿زين لهم سوء أعمالهم﴾ فالشيطان هو الذي يزين هذا التغيير ﴿والله لايهدي القوم الكافرين﴾ فسقهم يحرمهم هداية الله، فيكون ذلك إذناً لداعي الضلال، لأنهم ستروا قلوبهم عن الهدى وستروا دلائل الهدى عن قلوبهم. ٣٨ ـ ﴿يأيها الذين آمنوا﴾ خطاب من الرسول ﴿مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله﴾ واخرجوا إلى الجهاد ﴿اثاقلتم إلى الأرض﴾ ملتم إليها وأبطأتكم وقد أثقلكم حب الحياة والمال واللذائذ والمصالح والمتاع ﴿أرضيتم بالحياة الدنيا﴾ الدنية فملتم إلى الراحة والاستقرار ﴿من الآخرة﴾ وهي الحياة الحقة ﴿فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل﴾ فما يحجم ذو عقيدة عن النفرة إلا وفي إيمانه وهن. ٣٩ ـ ﴿إلا تنفروا﴾ لتجاهدوا ﴿يعذبكم عذاباً أليماً﴾ غير مخصص بالآخرة لتقاعسكم عن دفع ثمن العزة ﴿ويستبدل قوماً غيركم﴾ لايتثاقلون في امتثال أوامر الله والنفر في سبيله ﴿ولاتضروه شيئاً﴾ إظهار لهوان أمركم، فهو لاينتفع بكم بل نفعكم لأنفسكم ﴿والله على كل شيء قدير﴾ فهو قادر على عذابكم وقادر أن يستبدل قوماً غيركم، يتحملون أعباء العقيدة، ويستعلون على أعداء الله. ٤٠ ـ ﴿إلا تنصروه﴾ أيها المؤمنون ﴿فقد نصره الله﴾ في وقت أحاط به الأعداء ﴿إذ أخرجه الذين كفروا﴾ من مكة، ولم يكن إلا ﴿ثاني اثنين﴾ هو وأبو بكر ﴿إذ هما في الغار﴾ وهو غار ثور ﴿إذ يقول﴾ النبي ﷺ ﴿لصاحبه﴾ أبي بكر ﴿لاتحزن﴾ مما تشاهده من الحال ﴿إن الله معنا﴾ بيده النصر ﴿فأنزل الله سكينته عليه﴾ ﷺ ﴿وأيده بجنود لم تروها﴾ حيث نزلت الملائكة لتسانده ﷺ وهي غائبة عن أبصاركم ﴿وجعل كلمة الذين كفروا السفلى﴾ فكان سعيهم لقتله كلمة غير نافذة ولامؤثرة ﴿وكلمة الله﴾ وهي الوعد

إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ
فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ
لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ
إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ
فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾
إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ
يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ
ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا
وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ
وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

بالنصر وإظهار الدين وإتمام النور ﴿هي العليا﴾ العالية القاهرة ﴿والله عزيز﴾ لايغلب ﴿حكيم﴾ لايجهل ولايغلط في ماشاءه وفعله، فهو لايذل أولياءه ويقضي بالنصر لمن يستحقه فكلمة الله عليا أبدية لأنها ليست مجعولة بفعل جعل لذلك بقيت مرفوعة أما كلمة الكفرة فهي منصوبة بفعل جعل. ٤١ ـ ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾ فاخرجوا على أي حال، دون أن تتخذوا أعذاراً لترك الخروج، سواء شعرتم بالثقل من وجود موانع الخروج كالمشاغل المالية وحب الأهل أو فقدان الزاد والعتاد أو لم يوجد مايشغلكم ﴿وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم﴾ أي بأي وسيلة أمكنت ﴿في سبيل الله﴾ لافي سبيل قومية أو عصبية ولارياء وسمعة ولاتحت راية جاهلية ﴿ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون﴾ فمشقة الجهاد خير من راحة النفس ودعة السكون، لمن يعلم. ٤٢ ـ ﴿لو كان عرضاً﴾ والعرض هو مايسرع إليه الزوال كالمال ﴿قريباً﴾ سهل التناول ﴿وسفراً قاصداً﴾ غير بعيد المقصد ﴿لاتبعوك﴾ بالخروج معك ﴿ولكن بعدت عليهم الشُّقَّة﴾ أي المسافة لما في قطعها من مشقة فاستصعبوا السير وهذا حال المنافقين ومن شاكلهم تتقاصر بهم هممهم الساقطة وعزائمهم الضعيفة، وقد تخلفوا عنه ﷺ في غزوة تبوك ﴿وسيحلفون بالله﴾ إذا رجعتم إليهم ولمتموهم على تخلفهم ﴿لو استطعنا لخرجنا معكم﴾ فهم يدعون عدم استطاعتهم الخروج ﴿يهلكون أنفسهم﴾ بما ارتضوا لأنفسهم، من الخروج طمعاً في عرض الدنيا إذا استيسروا قبضه، أو من التخلف إذا شق عليهم ﴿والله يعلم إنهم لكاذبون﴾ في أعذارهم وكذبهم وحلفهم، وهم يهلكون أنفسهم به لأنه حلف كاذب. ٤٣ ـ ﴿عفا الله عنك﴾ إظهار لنفاقهم لاكشف عن تقصير النبي ﷺ ﴿لم أذنت لهم﴾ في التخلف والقعود ﴿حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ فيتميز عندك كذبهم ونفاقهم عند تقاعسهم عن التكليف. ٤٤ ـ ﴿لايستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم﴾ فالذي يستأذن في التخلف عن الجهاد هو منافق ويميز بذلك ﴿والله عليم بالمتقين﴾ الذين يكونون على بصيرة من وجوب الجهاد بالنفس والمال، أما المنافق فقد فقد صفة التقوى، فارتاب قلبه، فاستأذن. ٤٥ ـ ﴿إنما يستأذنك الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ فهم يكرهون الخروج لعدم إيمانهم ﴿وارتابت قلوبهم﴾ متقلبة في الشك والريب ﴿فهم في ريبهم يترددون﴾ وبعد هذا التردد، يحبون التطرف فيستأذنون في التخلف عن الجهاد. ٤٦ ـ ﴿ولو أرادوا الخروج﴾ رد لادعائهم بعدم استطاعتهم الخروج ﴿لأعدوا له عدةً﴾ متأهبين له ﴿ولكن كره الله انبعاثهم﴾ والانبعاث هو الانطلاق بسرعة ﴿فثبطهم﴾ ووقفهم جزاء نفاقهم، امتناناً عليك وعلى المؤمنين لئلا يفسدوا جمعكم ﴿وقيل اقعدوا مع القاعدين﴾ أمر غير تشريعي يلائم سيرتهم الفاسدة، والريب المتردد في قلوبهم وسجاياهم الخبيثة. ٤٧ ـ ﴿لو خرجوا فيكم﴾ أي معكم ﴿مازادوكم إلا خبالاً﴾ واضراباً وفساداً في الرأي ﴿ولأوضعوا﴾ وأسرعوا في الشر ﴿خلالكم﴾ بينكم ﴿يبغونكم الفتنة﴾ فهم يطلبون لكم أو فيكم الفتنة والمحنة، كالفرقة واختلاف الكلمة ﴿وفيكم سماعون لهم﴾ سريعون بإجابتهم وقبول كلامهم ﴿والله عليم بالظالمين﴾ فكشف أمرهم وفضح نيتهم.

انفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ ۖ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾

٤٨ ـ ﴿لقد ابتغوا الفتنة﴾ أي أقسم لقد طلبوا المحنة وخلاف الكلمة ﴿من قبل﴾ هذه الغزوة، وهي غزوة تبوك، كما في غزوة أحد حيث رجع عبد الله بن أبي سلول بثلث القوم وخذل النبي ﷺ ﴿وقلبوا لك الأمور﴾ بدعوة الناس إلى الخلاف وتحريضهم على المعصية، وبعث اليهود والمشركين للتجسس ﴿حتى جاء الحق﴾ وهو أحق أن يتبع ﴿وظهر أمر الله﴾ الذي يريده من الدين ﴿وهم كارهون﴾ ولكن الله غالب على أمره. ٤٩ ـ ﴿ومنهم من يقول ائذن لي﴾ في القعود وعدم الجهاد ﴿ولا تفتني﴾ بإلقائي في الفتنة بتوصيف مافي هذه الغزوة من نفائس الغنائم ومشتهيات الأنفس، أولا تفتني بالمحنة والمصيبة والبلية ﴿ألا في الفتنة سقطوا﴾ فهم يتحرزون عن فتنة مرتقبة، وقد أخطؤوا فإن الذي هم فيه من الكفر والنفاق وسوء السريرة، ومن آثاره قولهم، هو بعينه فتنة سقطوا فيها ﴿وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ فهم واقعون ساقطون في الفتنة والتهلكة في الدنيا والآخرة،أو أن جهنم ستحيط بهم فعلاً. وقد روي أنه ﷺ أذن للجد بن قيس الذي قال أنه يخشى أن لايصبر عن نساء بني الأصفر.

٥٠ ـ ﴿إن تصبك حسنة﴾ من فتح أو ظفر أو غنيمة أو سبي ﴿تسؤهم﴾ ولاتفرحهم ﴿وإن تصبك مصيبة﴾ من قتل أوجرح أوهزيمة ﴿يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل﴾ فاحترزنا عن الشر قبل وقوعه ﴿ويتولوا وهم فرحون﴾ بنجاتهم.

٥١ ـ ﴿قل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا﴾ فما قدر لنا الله واقع ﴿هو مولانا﴾ فأمر أنفسنا له حصراً، وليس لنا ولالشيء من الأسباب أمر ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ فبما أن الله يتولى أمورنا ونحن مؤمنون به، يجب علينا أن نتوكل عليه ونرجع الأمر إليه، فلو أصابتنا حسنة كان المن له، وإن أصابتنا مصيبة كانت المشيئة والخيرة له، ولالوم علينا ولاشماتة، ولاحزن ولامساءة يطرآن على قلوبنا ٥٢ ـ ﴿قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين﴾ وهما الحسنة والمصيبة، وكلتاهما حسنيان بحسب النظر الديني، فإن في الحسنة حسنة الدنيا وعظيم الأجر في الآخرة، وفي المصيبة التي هي الشهادة أو أي عناء غيرها مرضاة الله والثواب الخالد الدائم ﴿ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده﴾ كالعذاب السماوي ﴿أو بأيدينا﴾ كأن يأمرنا بقتالكم وتطهير الأرض من وجودكم ﴿فتربصوا إنا معكم متربصون﴾ ونحن فائزون على كل حال، فانتظروا ونحن معكم منتظرون.

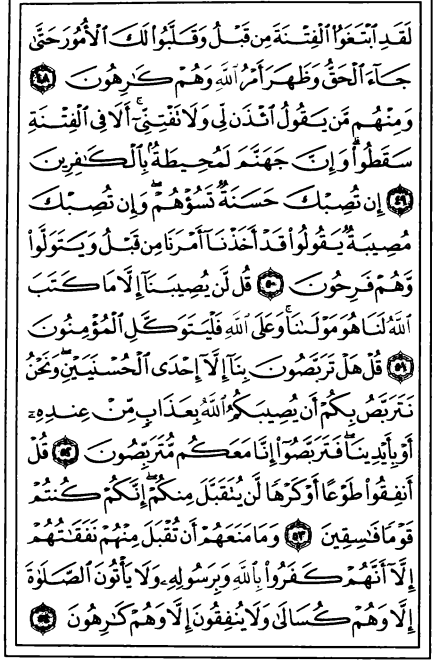
لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ۚ هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾

٥٣ ـ ﴿قل أنفقوا﴾ لفظ أمر في معنى الشرط ﴿طوعاً أو كرهاً﴾ الترديد للتعميم، والأمر كناية عن عدم النهي، فالفعل لغو لايترتب عليه أثر لأنه مظهر بلا حقيقة ﴿لن يتقبل منكم﴾ فلا قبول لفعلكم ﴿إنكم كنتم قوماً فاسقين﴾ فالذي يخرج عن إطار العبودية ولايتزيا بزيها لاأثر لأفعاله ٥٤ ـ ﴿ومامنعهم أن تقبل منهم نفقاتهم﴾ تعليل لعدم تقبلها ﴿إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله﴾ فهم منافقون ﴿ولايأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولاينفقون إلا وهم كارهون﴾ وهذه هي أركان نفاقهم.

٥٥ ـ ﴿فلاتعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾ بما فيها من جمال أو كمال ﴿إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا﴾ فهي ليست نعمة لتهتف بالسعادة بل نقمة تجر إلى الشقاء. فهي استدراج من الله تعالى بالنعمة التي خولها لهم، فهي تزيدهم بزيادتها انحرافاً عن زي العبودية ﴿وتزهق﴾ وتهلك ﴿أنفسهم وهم كافرون﴾ فتكون النتيجة الوفاة على الكفر.

٥٦ ـ ﴿ويحلفون بالله إنهم لمنكم﴾ وقد أمعنت قلوبهم في النفاق ﴿وماهم منكم﴾ وهم خرجوا بالكفر وقد دخلوا به، ولايجتمع النفاق مع الإيمان ﴿ولكنهم قوم يفرقون﴾ أي ينزعجون من ضرر متوقع، فهم يخافون افتضاح أمرهم. ٥٧ ـ ﴿لو يجدون ملجأ﴾ يتحصنون فيه ﴿أو مغارات﴾ يغورون فيها فيتوارون عن الأنظار في ثقوب الجبال ﴿أو مدخلاً﴾ طريقاً يدخلون فيه ﴿لولوا إليه وهم يجمحون﴾ لأسرعوا إليه لايصرفهم عنه شيء. ٥٨ ـ ﴿ومنهم من يلمزك﴾ اللمز هو الإشارة بالعين مع كلام خفي، ليعيبك ﴿في الصدقات﴾ متهماً عدالتك ﴿فإن أعطوا منها رضوا﴾ ولم يبالوا بالحق والعدل والدين ﴿وإن لم يعطوا منها﴾ لعدم استحقاقهم ﴿إذا هم يسخطون﴾ يغضبون ويلمزون.

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

٥٩ ـ ﴿ولو أنهم رضوا﴾ بمعنى أخذوا ﴿ماآتاهم الله ورسوله﴾ فرضوا بأخذه ﴿وقالوا حسبنا الله﴾ كفانا فيما نرغب إليه ونأمله ﴿سيؤتينا الله من فضله ورسوله﴾ فنطمع بالفضل أن نؤتاه ﴿إنا إلى الله راغبون﴾ نطلب الفضل منه، وقد كفانا سائر الأسباب وهو وحده رب الأسباب.

٦٠ ـ ﴿إنما الصدقات﴾ وهي الزكاة هنا ـ بدليل قوله فريضة من الله ـ لثمانية أصناف: ﴿للفقراء﴾ وهم المعدمون الفاقدون لما يرفع الحوائج الحيوية ﴿والمساكين﴾ وهم الذين دنا بهم فقرهم إلى المسكنة والذلة ﴿والعاملين عليها﴾ الساعين لجمعها ﴿والمؤلفة قلوبهم﴾ وهم الذين يعطون سهماً من الزكاة ليسلموا أو ليدفع بهم العدو، أو ليستعان بهم على قضاء حوائج الدين ﴿وفي الرقاب﴾ كالرق الذي يكون في شدة، أو المكاتب الذي لايقدر على تأدية ماشرطه لمولاه على نفسه لعتقه ﴿والغارمين﴾ الذين ركبتهم الديون ﴿وفي سبيل الله﴾ لحفظ الإسلام والمسلمين، كالجهاد وشق الطرق ..الخ. ﴿وابن السبيل﴾ المنقطع عن وطنه الفاقد لما يعيش به ﴿فريضة من الله﴾ فالزكاة وتقسيمها مفروض من الله لايتعدى عنه، على خلاف ماكان يطمع فيه المنافقون في لمزهم النبي ﷺ ﴿والله عليم﴾ فيما يصنع ﴿حكيم﴾ يضع الأمور في مواردها بتقسيم الزكاة كما فرض.

٦١ ـ ﴿ومنهم﴾ من المنافقين ﴿الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن﴾ يصغي إلى ماقيل له ﴿قل أذن خير لكم﴾ فهو سماع يسمع مافيه خيركم ﴿يؤمن بالله﴾ يسمع الوحي من الله ﴿ويؤمن للمؤمنين﴾ يسمع النصيحة منهم ﴿ورحمة للذين آمنوا منكم﴾ فهو الذي أنقذهم من الشقاوة والهلاك، وسلك بهم سبيل الفطرة وهي الدين الذي يحمي الفرد والمجتمع. ﴿والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم﴾ وعد لهم بأليم العذاب.

٦٢ ـ ﴿يحلفون بالله لكم ليرضوكم﴾ أيها المؤمنون ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ وقد أفرد الفعل ولم يقل يرضوهما صوناً لمقامه تعالى من أن يعدل به أحد ﴿إن كانوا مؤمنين﴾ فعلى كل مؤمن أن يرضي الله ورسوله.

٦٣ ـ ﴿ألم يعلموا أنه من يحادد﴾ أي يجاوز الحد ويشاق ﴿الله ورسوله﴾ بالمخالفة والمجانبة والمعاداة ﴿فأن له نار جهنم خالداً فيها﴾ جزاء إسخاط الله ورسوله ﴿ذلك الخزي العظيم﴾ والهوان الشديد.

٦٤ ـ ﴿يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم﴾ وهم لا يؤمنون بالوحي، ويقدرون أن المؤمنين يتجسسون أخبارهم وينقلونها إلى النبي ﷺ، فيخرجها لهم في صورة كتاب سماوي، وهم يخافون ظهور مافي نفوسهم الخبيثة، لأن السلطنة والظهور كانتا للنبي ﷺ فيما يأمر به ويحكم. ﴿قل استهزئوا﴾ سمى الله نفاقهم استهزاء، وهو ستر مايريدون ظهوره، ﴿إن الله مخرج﴾ كاشف ﴿ماتحذرون﴾ ظهوره، ومأأخفيتموه من النفاق في صدوركم.

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٦٨﴾

٦٥ ـ ﴿ولئن سألتهم﴾ يامحمد ﴿ليقولن إنما كنا نخوض﴾ والخوض هو الشروع في الماء.وقد روي أن رجلاً من المنافقين قال مارأى قراءنا إلا أرغبنا بطوناً وأكذبنا ألسنة وأجبننا عند اللقاء. فلما سأله الرسول ﷺ قال: كنا نخوض ﴿ونلعب﴾ فهم لايجدون اعتذاراً وتفسيراً لأعمالهم السيئة: على أن الناس لايقرون الخوض واللعب وخاصة من آمن منهم وكذا سائر من تظاهر بالإيمان ﴿قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾ فاعتذارهم باللعب استهزاء بالله وبآياته وبرسوله، أو اعتراف بذلك، فهم يعتذرون عن سيئة بسيئة أخرى أشد، وهي الاستهزاء بالله وبآياته وبرسوله وهذا كفر.

٦٦ ـ ﴿لاتعتذروا﴾ فقولكم لغو ﴿قد كفرتم﴾ فلافائدة من الاعتذار بعد الحكم بكفركم ﴿بعد إيمانكم﴾ الذي تظاهرتم به، أو قد سلخ منكم إيمانكم الضعيف الذي لا يأبى الزوال ﴿إن نعف عن طائفة منكم﴾ في الدنيا لمصلحة في ذلك ﴿نعذب طائفة﴾ وهذا دليل كثرة عدد هؤلاء المنافقين ـ ﴿بأنهم كانوا مجرمين﴾ فهم يستحقون العذاب. ولامانع من كون الآية: لاتعتذروا ...الخ من تتمة كلام النبي ﷺ ولامانع من نسبة العذاب الدنيوي إليه ﷺ.

٦٧ ـ ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض﴾ فقد اشتركوا في إظهار الإيمان وإبطان الكفر، وفي خبائث الأعمال، وهم مشتركون في عاقبة حالهم ﴿يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم﴾ ممسكين عن الانفاق ﴿نسوا الله﴾ بالإعراض عن ذكره ﴿فنسيهم﴾ أي تركهم، فلم يثبهم بما أثاب الذاكرين ﴿إن المنافقين هم الفاسقون﴾ الخارجون عن زي العبودية.

٦٨ ـ ﴿وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم﴾ جزاءً وفاقاً ﴿خالدين فيها﴾ مخلدين ﴿هي حسبهم﴾ لايتعدى عذابها إلى غيرهم ﴿ولعنهم الله﴾ أبعدهم وطردهم من رحمته ﴿ولهم عذاب مقيم﴾ ثابت لايزول عنهم البتة.

٦٩ ـ ﴿كالذين من قبلكم﴾ أيها المنافقون ﴿كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً﴾ فالمنافقون والكافرون ذوو طبيعة واحدة ﴿فاستمتعوا بخلاقهم﴾ نالوا نصيبهم واستمتعوا به ﴿فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم﴾ فلكل نصيبه ﴿وخضتم كالذي خاضوا﴾ واستهزأتم كما استهزأوا ﴿أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة﴾ فلم تنفعهم، وقد خسروا نتيجتها ﴿وأولئك هم الخاسرون﴾ فمن هم أقوى منكم لم يعجزوا الله وضل عنهم سعيهم، فكيف بكم وأنتم أضعف قوة وأقل مالاً وولداً.

٧٠ ـ ﴿ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم﴾ يامحمد ﴿قوم نوح﴾ وقد عمهم الله بالغرق ﴿وعاد﴾ قوم هود أهلكهم بريح صرصر عاتية ﴿وثمود﴾ قوم صالح عذبهم بالرجفة ﴿وقوم إبراهيم﴾ أهلك ملكهم نمرود، وسلب عنهم النعمة ﴿وأصحاب مدين﴾ أصابهم بعذابه ﴿والمؤتفكات﴾ المنقلبات من قرى قوم لوط، جعل عاليها سافلها ﴿أتتهم رسلهم بالبينات﴾ الواضحات من الحجج والآيات فكذبوها. ﴿فما كان الله ليظلمهم﴾ لأنه بين لهم الحق من الباطل والهدى من الضلال ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بالاستمتاع من نصيب الدنيا، والخوض في آيات الله، وتكذيب رسله.

كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

٧١ ـ ﴿والمؤمنون والمؤمنات﴾ محاذاة لما وصف به المنافقين ﴿بعضهم أولياء بعض﴾ فهم مع كثرتهم وتفاوتهم يتولى بعضهم أمر بعض ويدبره ﴿يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ فولاية بعض المجتمع على بعض سارية في جميع الأبعاض في صلاح مجتمعهم ﴿ويقيمون الصلاة﴾ وهي التي تربط العبيد بخالقهم ﴿ويؤتون الزكاة﴾ وهي التي تربط بين الناس أنفسهم، فتتكامل الولاية مادة وروحاً ﴿ويطيعون الله﴾ في الأحكام الشرعية الإلهية ﴿ورسوله﴾ في الأحكام الولائية كإدارة أمور الأمة وإصلاح شؤونها، كأوامره في الجهاد، وأحكامه في القضايا والحدود والخ. ﴿أولئك سيرحمهم الله﴾ إخبار عما في القضاء الإلهي لمن هواهم أمر الله ودستورهم شريعته ومنهجهم دينه ﴿إن الله عزيز﴾ لامانع يمنع رحمته ﴿حكيم﴾ لااختلال ولاوهن ولاجزاف في أحكامه.

٧٢ ـ ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ لقاء إيمانهم وحسن عملهم ﴿ومساكن طيبة في جنات عدن﴾ والعدن بمعنى الإقامة والاستقرار، فهم خالدون فيها ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ فرضى الله لايقدره بشر، لأن رضواناً يسيراً منه أكبر من ذلك كله ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ فالرضوان هو حقيقة كل فوز، لأن حقيقة العبودية هي العبودية حباً لله لاطمعاً في جنة ولاخوفاً من نار، فالسعادة أن يجلب المحب رضى محبوبه.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

٧٣ ـ ﴿ياأيها النبي جاهد﴾ غاية جهدك، بدءاً باللسان واليد ونهاية بالقتال، فقاتل ﴿الكفار﴾ المتجاهرين بالخلاف والشقاق ﴿والمنافقين﴾ وابذل الجهد في مقاومتهم، بالتجهير، والمجانبة، والوعظ، والتشريد، والقتال إذا أخذت عليهم الردة ﴿واغلظ عليهم﴾ شدد عليهم وعاملهم بالخشونة ﴿ومأواهم جهنم﴾ مسكنهم فيها ﴿وبئس المصير﴾ لبئس العمل.

٧٤ ـ ﴿يحلفون بالله ماقالوا﴾ مافعلوا مانسب إليهم من عمل شيّء، فعاقبهم النبي ﷺ ﴿ولقد قالوا كلمة الكفر﴾ وهي قولهم إنما كنا نخوض ونلعب اعتذاراً بكفر عن كفر ﴿وكفروا بعد إسلامهم﴾ فقد تجدد منهم القول ﴿وهموا بما لم ينالوا﴾ بإنكارهم العمل السيّء الذي أتوا به، وتأويلهم إياه إلى الخوض واللعب ﴿ومانقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾ ذم لهم وتهكم وتعيير. وسبب نقمتهم هذه هو أن الله بسط لهم الرزق والأمن، وهداهم برسوله إلى حياة صالحة تدرُّ عليهم بركات من السماء والأرض، ولكنهم بدلوا نعمة الله كفراً وكذبوا بآياته ﴿فإن يتوبوا يك خيراً لهم﴾ فالتوبة تؤدي إلى المغفرة والجنة ﴿وإن يتولوا﴾ معرضين ﴿يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا﴾ فينكل بهم، ويفضح مفاسد نفوسهم، لأنهم مخالفون بنفاقهم نظام الأسباب المبني على الصدق، وهذه المخالفة تفضحهم بسلسلة الأسباب، فيعذبهم في الدنيا ﴿والآخرة ومالهم في الأرض من ولي﴾ يصرف عنهم العذاب بتولي أمرهم ﴿ولا نصير﴾ ينصرهم ويمدهم بما يدفعون به ماوعدوا من العذاب، لأن أصلهم الفاسد منقطع عن الأسباب الكونية.

٧٥ ـ ﴿ومنهم﴾ ثعلبة بن حاطب ﴿من عاهد الله﴾ وقد طلب من الرسول ﷺ أن يدعو الله أن يرزقه وقال ﴿لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين﴾ لئن رزقني الله مالاً لأعطين كل ذي حق حقه ٧٦ ـ ﴿فلما آتاهم من فضله﴾ وبعث رسول الله لأخذ الصدقة منه ﴿بخلوا به وتولوا وهم معرضون﴾ حيث قال: ماهذه إلا أخت الجزية. فقال رسول الله ﷺ: «ياويح ثعلبة».

٧٧ ـ ﴿فأعقبهم﴾ أي فأورثهم فعلهم ومنه البخل ﴿نفاقاً في قلوبهم﴾ فالنفاق جزاء فعلهم ﴿إلى يوم يلقونه﴾ أي إلى يوم لقاء البخل، والأنسب إلى يوم القيامة ﴿بما أخلفوا الله ماوعدوه﴾ لأنهم استمروا في خلف وعد الله ﴿وبما كانوا يكذبون﴾ ويستمرون على الكذب.

٧٨ ـ ﴿ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم﴾ أي كلامهم الخفي، والاستفهام للتوبيخ ﴿وأن الله علام الغيوب﴾ لاتخفى عليه خافية، فلايخفى عليه نفاقهم ونجواهم.

٧٩ ـ ﴿الذين يلمزون﴾ويعيبون﴿المطوعين من المؤمنين في الصدقات﴾وهم يأتون بها تحبباً دون كره، ويأبون تركها ﴿والذين لايجدون﴾ من المال ﴿إلا جهدهم﴾ أي مبلغ جهدهم وطاقتهم، أومايشق عليهم القنوع به ﴿فيسخرون منهم﴾ أغنياء وفقراء لتصدقهم ﴿سخرالله منهم﴾ جزاء استهزائهم ﴿ولهم عذاب أليم﴾ جزاء لمزهم وسخريتهم.

٨٠ ـ ﴿استغفر لهم أو لاتستغفر لهم﴾ يستوي فيهم طلب المغفرة وعدمها، فهو من لغوية الفعل وحاشا للرسول أن يطلب لهم المغفرة وهو يعلم أن الاستغفار لهم لغو وهم لاينالون الهداية ﴿إن تستغفر لهم سبعين مرة﴾ كناية عن كثرة الاستغفار ﴿فلن يغفر الله لهم﴾ ولن يترتب أثر على طلب المغفرة لهم، ولن تنالهم المغفرة. لقد تقرر مصيرهم بعد أن فسدت قلوبهم ﴿ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله﴾ فما يمنع نيلهم المغفرة هو كفرهم، ولايتغير هذا المانع بالاستغفار وعدمه، قليله أو كثيره ﴿والله لايهدي القوم الفاسقين﴾ الخارجين عن زي العبودية، لأن المغفرة هداية إلى الجنة وهي لاتنالهم.

٨١ ـ ﴿فرح المخلفون بمقعدهم﴾ وهم المنافقون الذين فرحوا بعد أن تركهم الرسول ﷺ وقعدوا دون أن يخرجوا للجهاد ﴿خلاف رسول الله﴾ مخالفة لما جاء به الرسول من ربه ﴿وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾ فتخلفوا عن الخروج معه للجهاد ﴿وقالوا﴾ لغيرهم ﴿لاتنفروا في الحر﴾ ليخذلوا النبي ﷺ ﴿قل﴾ لهم يامحمد ﴿نار جهنم أشد حراً﴾ فتحمل حر الجهاد هين قبال نار جهنم، فتحلفهم عن الحر الهين يوقعهم في الحر الشديد ﴿لو كانوا يفقهون﴾ ولاأمل في فقههم وفهمهم

٨٢ ـ ﴿فليضحكوا قليلاً﴾ في الدنيا، فرحاً بتخلفهم عن الجهاد ﴿وليبكوا كثيراً﴾ في الآخرة، وقد خرجوا من حر الهواء في الدنيا إلى حر جهنم فيها ﴿جزاء بما كانوا يكسبون﴾ فأعمالهم هي التي أوردتهم جهنم.

٨٣ ـ ﴿فإن رجعك الله﴾ أي أعادك ﴿إلى طائفة منهم﴾ في المدينة بعد غزوة تبوك ﴿فاستأذنوك للخروج﴾ للجهاد ﴿فقل لن تخرجوا معي أبداً﴾ فقد فقدتم هذا الشرف ﴿ولن تقاتلوا معي عدواً﴾ ولن تقاتلوا مع المؤمنين في صف واحد ﴿إنكم رضيتم بالقعود أول مرة﴾ ولم تجاهدوا ﴿فاقعدوا مع الخالفين﴾ المتخلفين بحسب الطبع، كالنساء والأطفال والمرضى. وقيل هم المتخلفون من غير عذر، وقيل هم أهل الفساد.

٨٤ ـ ﴿ولاتصل على أحد منهم مات أبداً﴾ نهي عن الصلاة على من مات من المنافقين ﴿ولاتقم على قبره﴾ للدعاء له ﴿إنهم كفروا بالله ورسوله﴾ فلامعنى لتكريمهم بأية كرامة ﴿وماتوا وهم فاسقون﴾ خارجون عن إطار العبودية. ٨٥ ـ ﴿ولاتعجبك أموالهم وأولادهم﴾ وهي من النعم التي تستوجب الإيمان ﴿إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا﴾ لأنهم بدلوا الشكر كفراً ﴿وتزهق أنفسهم﴾ أي تهلك، لأن النعمة إذا لم تجر إلى الشكر، تتحول إلى نقمة تجر إلى الشقاء ﴿وهم كافرون﴾ بالله منكرون لنعمته.

٨٦ ـ ﴿وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله﴾ فالإيمان يتبعه الجهاد ﴿استأذنك أولو الطول منهم﴾ وهم أصحاب القدرة والنعمة ﴿وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين﴾ من النساء والأولاد والمرضى، فقد هانوا لرضاهم بالقعود والسلامة، وقعدوا صغاراً صاغرين.

أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾

رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ ۚ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

٨٧ ـ ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ المتخلفين عن القتال كرهاً للقتال ﴿وطبع على قلوبهم﴾ فقد أحاط الكفر بقلوبهم فختم عليها ﴿فهم لايفقهون﴾ مايفيدهم لخير الدنيا والآخرة وكرامتها.

٨٨ ـ ﴿لكن الرسول والذين آمنوا معه﴾ الذين خلصت قلوبهم من رين النفاق ﴿جاهدوا بأموالهم وأنفسهم﴾ ونهضوا بتكاليف العقيدة وأدوا واجب الإيمان، قبال تخلف المنافقين وبخلهم ﴿في سبيل الله﴾ لاتحت رايات عصبية أو عمّيّة أو لتحصيل المال والجاه والتسلط. ﴿وأولئك لهم الخيرات﴾ من الحياة الطيبة، ونور الهدى، والشهادة، وسائر مايتقرب به إلى الله سبحانه ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون بالسعادة.

٨٩ ـ ﴿أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ وقد عبر بالإعداد دون الوعد لأن الأمور بخواتيمها، فلو كان وعداً لكان قضاء حتمياً واجب الوفاء، سواء بقي الموعودون على صفاء إيمانهم أم غيروا، وفي هذا المعنى إشارة إلى أن هناك من سيخالف ويغير فلا يكون الإعداد له. ﴿خالدين فيها ذلك الفوز العظيم﴾ لمن بقي على الإيمان وصلاح الأعمال.

٩٠ ـ ﴿وجاء المعذرون من الأعراب﴾ وهم أهل العذر، كالذي لايجد نفقة ولاسلاحاً ﴿ليؤذن لهم﴾ بالجهاد، إذ أن تخلف المنافقين هيج بعض الأعراب ﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾ وقد أظهروا اللؤم والخسة وفساد القلب ﴿سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ فمن كفر وكذب وقعد سيناله العقاب.

٩١ ـ ﴿ليس على الضعفاء﴾ الذين لاقوة لهم على الجهاد كالمزمنين ﴿ولاعلى المرضى﴾ بمرض طارىء ﴿ولاعلى الذين لايجدون ماينفقون﴾ لفقدهم المال والوسيلة ﴿حرج﴾ فالحكم بالوجوب لهؤلاء حرج ومشقة، فلذلك رفع عنهم، لأنه يستتبع الذم والعقاب على تقدير المخالفة، ﴿إذا نصحوا لله ورسوله﴾ وأخلصوا من الغش والخيانة، ولم يجروا على ما يجري عليه المنافقون من الفساد ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾ فلاسبيل يتسلط عليهم فيصابون بما يكرهون ﴿والله غفور رحيم﴾ فهو يؤمنهم من كل مكروه.

٩٢ ـ ﴿ولاعلى الذين إذا ماأتوك لتحملهم﴾ أي تعطيهم مركوباً وتصلح سائر مايحتاجون إليه ﴿قلت لاأجد ماأحملكم عليه﴾ فليس عندي ماتحتاجونه ﴿تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً﴾ فتسكب الحزن دموعاً ﴿ألا يجدوا ماينفقون﴾ أي من أن لايجدوا، أو لأنهم لايجدون ماينفقونه في سبيل الله لجهاد أعدائهم، فهؤلاء لاحرج عليهم.

٩٣ ـ ﴿إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء﴾ فاللوم ليس لمن لايملك بل للأغنياء الذين ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ من النساء والأولاد كرهاً للقتال والإنفاق ﴿وطبع الله على قلوبهم﴾ وأغلق فيهم منافذ الشعور والعلم، وعطل أجهزة الإدراك بما كسبت أنفسهم ﴿فهم لايعلمون﴾ مايفوتهم من خير بقعودهم.

٩٤ ـ ﴿يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم﴾ الخطاب للنبي ﷺ وللمؤمنين ﴿قل﴾ يامحمد ﴿لاتعتذروا لن نؤمن لكم﴾ لن نصدقكم ﴿قد نبأنا الله من أخباركم﴾ مايظهر كذبكم ونفاقكم فيما تعتذرون به ﴿وسيرى الله عملكم ورسوله﴾ سيظهر عملكم لله ورسوله ظهور الشهادة ﴿ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ بحقائق أعمالكم خيرها وشرها ويجزيكم عليها.

٩٥ ـ ﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم﴾ راجعين، وقد كانوا يظنون أنكم لاتعودون من لقاء الروم ﴿لتعرضوا عنهم﴾ لئلا تتعرضوا لهم بالعتاب والتقريع وغير ذلك إحتقاراً لهم ﴿فأعرضوا عنهم﴾ ولاتصدقوهم فيما يحلفون ﴿إنهم رجس﴾ قذر في بواطنهم واعتقاداتهم وسلوكهم، لايقترب منهم ولاسبيل إلى تطهيرهم ﴿ومأواهم جهنم جزاءً بما كانوا يكسبون﴾ فقد كسبت أنفسهم الإثم وجزاؤها جهنم.

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۚ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾

﴿وسلوكهم﴾، لايقترب منهم ولاسبيل إلى تطهيرهم ﴿ومأواهم جهنم جزاءً بما كانوا يكسبون﴾ فقد كسبت أنفسهم الإثم وجزاؤها جهنم.

٩٦ ـ ﴿يحلفون لكم لترضوا عنهم﴾ فهم يحلفون للتوسل إلى رضاكم ﴿فإن ترضوا عنهم﴾ فتكونوا قد رضيتم عمن لم يرض الله عنه، أي رضيتم بخلاف رضى الله ﴿فإن الله لايرضى عن القوم الفاسقين﴾ ولاينبغي لمؤمن أن يرضى عمن يسخط ربه.

٩٧ ـ ﴿الأعراب﴾ وهم سكان البادية ﴿أشد كفراً ونفاقاً﴾ لأنهم أقسى وأجفى لبعدهم عن المدينة، وحرمانهم بركات الإنسانية من العلم والأدب ﴿وأحدر أن لايعلموا حدود ماأنزل الله على رسوله﴾ من المعارف الأصلية، والأحكام والسنن والشرائع والحرام والحلال ﴿والله عليم﴾ بنفوسهم وأحوالهم ﴿حكيم﴾ فيما يصنع.

٩٨ ـ ﴿ومن الأعراب من يتخذ ماينفق مغرماً﴾ فهو يفرض الإنفاق غرماً وخسارة ومصيبة ﴿ويتربص بكم الدوائر﴾ وينتظر نزول الحوادث السيئة بكم، ليتخلص من سلطتكم، ويرجع إلى رسوم الشرك والضلال ﴿عليهم دائرة السوء﴾ فلهم الخزي والمصيبة ﴿والله سميع﴾ للأقوال ﴿عليم﴾ بالقلوب.

٩٩ ـ ﴿ومن الأعراب من يؤمن بالله﴾ فيوحده من غير شرك ﴿واليوم الآخر﴾ فيصدق الحساب والجزاء ﴿ويتخذ ماينفق﴾ من المال ومايتبعه ﴿قربات عند الله وصلوات الرسول﴾ فإنفاقه وصلوات الرسول ودعاؤه بالخير والبركة بغرض التقرب من الله ﴿ألا إنها قربة لهم﴾ فإنفاقهم ودعاء الرسول لهم ستثمر قربة لهم ﴿سيدخلهم الله في رحمته﴾ وعد منه لهم ﴿إن الله غفور﴾ يستر الذنوب ﴿رحيم﴾ بالمؤمنين به، المطيعين له.

١٠٠ ـ ﴿والسابقون الأولون﴾ إلى الإيمان وهم الذين أسسوا أساس الدين ﴿من المهاجرين﴾ الذين صبروا على الفتنة والتعذيب، والخروج من ديارهم وأموالهم بالهجرة إلى الحبشة والمدينة ﴿والأنصار﴾ الذين نصروا الرسول وآووه مع من معه من المؤمنين ﴿والذين اتبعوهم بإحسان﴾ فقد اتبعوا الحق إحساناً منهم، ولكون الحق معهم فقد اتبعوهم ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ والرضى موافقة النفس لفعل من الأفعال من غير تضاد ولاتدافع. فرضى العبد عن الله هو أن لايكره بعض مايريده الله، ولايحب مايبغضه، ولايتحقق هذا الرضا إلاّ إذا رضي بقضائه تعالى ومايظهر من أفعاله التكوينية، وكذا بحكمه وبما أراد منه تشريعاً. وليس مدلول الآية أن من صدق عليه أنه مهاجر أو أنصاري أو تابع، فقد رضي الله عنه رضاً لاسخط بعده سواء أحسن أم أساء. على أن الله تعالى لايوصف لذاته بما يصير معه معرضاً للتبديل والتغيير، وإنما يرضى بمعنى أنه يعامل عبده معاملة الراضي من إنزال الرحمة وإيتاء النعمة، وهذا مايتبدل إلى سخط ونقمة إذا تبدل الإيمان وفسد العمل. ﴿وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾ إذا ثبتوا على الإيمان وصالح العمل. ١٠١ ـ ﴿وممن حولكم من الأعراب منافقون﴾ معتادون على النفاق ﴿ومن أهل المدينة﴾ أيضاً ﴿مردوا على النفاق﴾ فعتوا وخرجوا عن الطاعة حتى اعتادوا النفاق ﴿لاتعلمهم﴾ أنت يامحمد (نحن نعلمهم) ونعلم نفاقهم. ﴿سنعذبهم مرتين﴾ بالسبي والقتل في الدنيا وبعذاب القبر ﴿ثم يردون إلى عذاب عظيم﴾ في الآخرة. ١٠٢ ـ ﴿وآخرون﴾ روي أنها نزلت في أبي لبابة وجماعةٍ من أصحابه تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك؛ فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوته ربطوا أنفسهم بسواري المسجد وحلفوا لايحلهم إلا رسول الله ﷺ فلما أنزل الله تعالى هذه الآية أطلقهم الرسول ﷺ ﴿اعترفوا بذنوبهم﴾ لاينافقون مثل غيرهم ﴿خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً﴾ خلطوا هذا بذاك ﴿عسى الله أن يتوب عليهم﴾ إيجاد للرجاء في نفوسهم لئلا يحيط بها اليأس ﴿إن الله غفورٌ رحيم﴾ ترجيح لجانب الرجاء. ١٠٣ ـ ﴿خذ من أموالهم﴾ من النقدين: الذهب والفضة، ومن الأنعام الثلاثة: الإبل والبقر والغنم، والغلات الأربع: الحنطة والشعير والتمر والزبيب ﴿صدقة﴾ أي زكاة ﴿تطهرهم وتزكيهم بها﴾ بأخذها ﴿وصل عليهم﴾ وادع لهم ولأموالهم بالخير والبركة ﴿إن صلاتك سكن لهم﴾ فنفوسهم تسكن إلى دعائك وتثق به، وهو نوع من الشكر لسعيهم ﴿والله سميعٌ عليمٌ﴾ فهو يسكن نفوس المكلفين ممن يسمع الآية أو يتلوها. ١٠٤ ـ ﴿ألم يعلموا﴾ استفهام إنكاري بداعي تشويق الناس ﴿أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات﴾ تشويق للتوبة ودفع الزكاة، فالتوبة طهارة، والزكاة تطهر، فالتوبة بمنزلة الصدقة في الأعمال والحركات. ﴿وأن الله هو التواب الرحيم﴾ فهو يقبل التوبة والتصدق وقد أخبر تعالى أن كل من تاب إليه تاب عليه ومن تصدق بصدقةٍ من كسبٍ حلالٍ فإن الله تعالى يتقبلها ويربيها لصاحبها. ١٠٥ ـ ﴿وقل اعملوا﴾ خطاب لكل الناس من مؤمن وكافر ومنافق ﴿فسيرى الله عملكم

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

ورسوله والمؤمنون﴾ فحقائق الأعمال من خير وشر لايختص تأثيرها من فائدة أو مضرة في زمن حدوثها، بل يبقى زماناً بعد زمان، ويمتد من قوم إلى قوم. فحقائق أعمال المؤمنين ومايتفرع عنها من فوائد وآثار، كشيوع التقوى، وإصلاح شؤون المجتمع الإسلامي، وإمداد الفقراء في معايشهم، وزكاة الأموال، يعلمها الله ورسوله ويشاهدها المؤمنون فيما بينهم. والناس يوقَفون على حقيقة أعمالهم يوم البعث، أما قبل ذلك فيرون ظاهرها فقط. فاعملوا ماشئتم من عمل خيراً أو شراً، فسيشاهد الله سبحانه حقيقة عملكم ويشاهدها رسوله والمؤمنون وهم شهداء الأعمال ﴿وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ فترون حقيقة أعمالكم. ١٠٦ ـ ﴿وآخرون مرجون﴾ مؤخرون ﴿لأمر الله﴾ وقد خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ﴿إما يعذبهم وإما يتوب عليهم﴾ فلاسبب عندهم يرجح جانب العذاب أو جانب المغفرة، كالمستضعفين الظالمي أنفسهم. ﴿والله عليمٌ حكيم﴾ فهو يحكم فيهم بما يقتضيه علمه وحكمته فهو يعلم من يستحق العقوبة ممن يستحق العفو لتوبته. ١٠٧ ـ ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً﴾ مضارة وضروراً ﴿وكفراً﴾ وهم طائفة من المنافقين اتخذوا مسجداً للضرار بغيرهم ﴿وتفريقاً بين المؤمنين﴾ لتفتيت كلمتهم ﴿وإرصاداً﴾ إعداداً وترقباً ﴿لمن حارب الله ورسوله من قبل﴾ فقد ابنى جماعة من بني عمرو بن عوف مسجد قبا، وسألوا النبي ﷺ أن يصلي فيه، فحسدهم جماعة من ابني غنم بن عوف وهم منافقون، فبنوا مسجداً إلى جانب مسجد قبا ليضروا بذلك المؤمنين ويفرقوهم، وينتظروا أبا عامر الراهب الذي وعدهم أن يأتيهم بجيش من الروم ليخرجوا النبي ﷺ من المدينة. وطلبوا من الرسول ﷺ أن يصلي بهم فيه ويدعو لهم بالبركة، فوعدهم إلى الفراغ من أمر تبوك، والرجوع إلى المدينة فنزلت الآيات ﴿وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى﴾ أي التسهيل للمؤمنين بتكثير أماكن عبادة الله ﴿و الله يشهد إنهم لكاذبون﴾ لأنه يعلم حقيقة نفوسهم ومافيها من نفاق. ١٠٨ ـ ﴿لاتقم فيه أبداً﴾ يامحمد للصلاة ﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه﴾ وهو مسجد قبا ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا﴾ من الذنوب أو الأرجاس والأحداث ﴿والله يحب المطهرين﴾ وعليك أن تقوم فيه. ١٠٩ ـ ﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان﴾ فهل حال المؤمنين وحياتهم وسلوكهم مسلك الدين الحق عن يقين بالله تعالى ﴿خير﴾ ولاشك في خيرته ﴿أم من أسس بنيانه على شفا﴾ طرف ﴿جرف هار﴾ أي جرفٍ منهارٍ ﴿فانهار به في نار جهنم﴾ فدين المنافق مبني على التزلزل والشك، كمن بنى بنياناً على نهاية شفير واد لاثقة بثباته فتساقط وكان في أصله جهنم فوقع في نارها ﴿والله لايهدي القوم الظالمين﴾ ولاينقذهم من شفير الهاوية الذي بنوا عليه بنيانهم بأيديهم. ١١٠ ـ ﴿لايزال بنيانهم الذي بنوا﴾ لنفاقهم ﴿ريبة﴾ شكاً ﴿في قلوبهم﴾ لايتعدى إلى مرحلة اليقين ﴿إلا أن تقطع قلوبهم﴾ فتتلاشى الريبة بتلاشيها ﴿والله عليمٌ حكيم﴾ ولذلك يضع هؤلاء ويرفع هؤلاء. ١١١ ـ ﴿إن الله اشترى﴾

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

والشراء قبول العين المبيعة بنقل الثمن في المبايعة ﴿من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ فهي وعد قطعي للمجاهدين بالجنة ﴿يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن﴾ وهذه الكتب الثلاثة هي سند المبايعة. ﴿ومن أوفى بعهده من الله﴾ وهو رب الأرباب ﴿فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به﴾ بشرى للمؤمنين بهذه الصفقة الرابحة ﴿وذلك هو الفوز العظيم﴾ فهنيئاً لكم به. ١١٢ ـ ﴿التائبون﴾ العائدون من غير الله إلى الله ﴿العابدون﴾ فهم يقومون بكمال العبادة، فكل منهم شاكر ﴿الحامدون﴾ وكل منهم قائم بكمال الحمد بجميل الثناء ﴿السائحون﴾ فهم يسيحون ويجولون بين المساجد والمعاهد الدينية ﴿الراكعون الساجدون﴾ بأبدانهم وجوارحهم. وهذا وصف للمؤمنين بأجمل صفاتهم، وهذا شأنهم في حال الإنفراد، أما في حال الاجتماع، فهم ﴿الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر﴾ الحافظون للسنن الدينية ﴿والحافظون لحدود الله﴾ لايتعدونها لافي انفراد ولافي اجتماع ﴿وبشر المؤمنين﴾ يامحمد، وقد بشرهم الله تعالى بنفسه وفيه من كمال التأييد مالايقدر. ١١٣ ـ ﴿ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ وهم أصحاب الجحيم ﴿ولو كانوا أولي قربى﴾ فالاستغفار لهم لغو لايجوز ولايترتب عليه أثر، والخضوع الإيماني يمنع أن يلغو العبد مع ساحة الكبرياء، لأن من حاربوا الله قد انسلخوا من العبودية، فصلة الدم مقطوعة ولاصلة إلا للعقيدة، فلايجوز الاستغفار للمشركين ﴿من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾ إذ لامعنى لسؤال الرحمة لمن يأبى القبول. ١١٤ ـ ﴿وماكان استغفار ابراهيم لأبيه﴾ المشرك ﴿إلا عن موعدة وعدها إياه﴾ فاستعطفه فوعده فاستغفر له، وهو يظن أنه ليس بعدو معاند لله ﴿فلما تبين له أنه عدو لله﴾ مستكبر جاحد ﴿تبرأ منه﴾ ونزه نفسه عن التلوث بقذارة شركه ﴿إن إبراهيم لأواه﴾ كثير التضرع خوفاً من ربه، ولذلك استغفر لأبيه عن موعدته ﴿حليم﴾ تحمل جفوته. ١١٥ ـ ﴿وماكان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون﴾ تهديد للمؤمنين بالإضلال من بعد الهداية إن لم يتقوه. والمشركون أعداء لله، لذلك لايجوز التودد إليهم والاستغفار لهم ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا مابأنفسهم. ١١٦ ـ ﴿إن الله له ملك السموات والأرض﴾ فكل شيء بيده ﴿يحيي ويميت﴾ وهاتان صفتان من أخص خصائص الألوهية ﴿ومالكم من دون الله من ولي ولانصير﴾ فإليه ترجع أمور التدبير كلها. ففي الآية نهي عن تولي أعداء الله مع وجوب التبري منهم، سواء كان التولي بالاستغفار، أم بغير ذلك، وسواء كان العدو مشركاً أم كافراً أم منافقاً أم غيرهم من أهل البدع والضلال الكافرين بآيات الله أو المصرين على بعض الكبائر كالمرابين وغيرهم، فالذي يدخل في ولاية الله هو من تجرد من صلات النسب بعد التجرد من الأموال والأنفس. ١١٧ ـ ﴿لقد تاب الله على النبي﴾ أي رجع عليه بالرحمة، دون ذنب منه ﷺ لأنه معصوم ﴿والمهاجرين والأنصار﴾ فالرجوع إليهم بالرحمة ثم التوبة عليهم توبة عليه ﷺ، وهذا قسم من الله

التَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾

بأن يرجع برحمته عليهم وهم ﴿الذين اتبعوه في ساعة العسرة﴾ أيام مسيرهم إلى تبوك ﴿من بعد ماكاد يزيغ قلوب فريق منهم﴾ مائلين عن الحق بترك الخروج أو ترك السير ﴿ثم تاب عليهم﴾ بعد ماتابعوه ﴿إنه بهم رؤوفٌ رحيم﴾ فهو يعرف ضعف نفوسهم، ويرحمهم جميعاً بتوبته. ١١٨ ـ ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ ولم يخرجوا معه ﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾ لأن الناس لم يعاشروهم ولم يكلموهم حتى أهلوهم، فلم يجدوا أنيساً يأنسون به ﴿وضاقت عليهم أنفسهم﴾ من دوام الغم بهم ﴿وظنوا﴾ يقيناً ﴿أن لاملجأ من الله﴾ ولاملاذ منه ﴿إلا إليه﴾ بالتوبة والإنابة ﴿ثم تاب عليهم﴾ رجع عليهم برحمته ﴿ليتوبوا﴾ فيقبل توبتهم ﴿إن الله هو التواب﴾ كثير الرجوع إلى عباده، فهو يرجع إليهم بالهداية والتوفيق للتوبة ثم يقبل توبتهم ﴿الرحيم﴾ بالمؤمنين. ١١٩ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ التزموا بما أمر وانتهوا عما نهى ﴿وكونوا مع الصادقين﴾ أي كونوا منهم فالإنسان يوصف بالصدق إذا طابق خبره الخارج فاصدقوا بالعمل بما اعتقدتم، واصدقوا في كافة أموركم. ١٢٠ ـ ﴿ماكان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب﴾ أي ليس لهم الحق ﴿أن يتخلفوا عن رسول الله﴾ في جهاد أو غيره ﴿ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه﴾ ولا أن يشتغلوا بأنفسهم عن نفسه ﴿ذلك بأنهم لايصيبهم ظمأٌ﴾ عطش ﴿ولانصبٌ﴾ تعب ﴿ولامخمصةٌ﴾ مجاعة ﴿في سبيل الله﴾ لافي سبيل راية عمية يتعصب لفئة أو ينصر فئة ﴿ولايطؤون موطئاً يغيظ الكفار﴾ بأقدامهم ﴿ولاينالون من عدوٍ نيلاً﴾ فيصيبونه بأذى أو ضرر ﴿إلا كتب لهم به عمل صالح﴾ وكتب بذلك أنهم محسنون ﴿إن الله لايضيع أجر المحسنين﴾ بل يجزيهم به كاملاً غير منقوص. ١٢١ ـ ﴿ولاينفقون نفقةً صغيرةً﴾ يسيرة ﴿ولاكبيرةً﴾ خطيرة ﴿ولايقطعون وادياً﴾ في سبيل مرضاة الله ﴿إلا كتب لهم﴾ محفوظاً لأجلهم ﴿ليجزيهم الله أحسن ماكانوا يعملون﴾ لأن العامل يبتغي جزاء أحسن ماعمل، أو لأن الجزاء بالأحسن يستلزم الجزاء بغيره، أو لأن المراد بأحسن الأعمال الجهاد في سبيل الله، لأنها أشق الأعمال وبها تقوم الدعوة الدينية، وأحسن الجزاء هو لأحسن العمل. فالله يغفر سيئاتهم المشوبة بأعمالهم الحسنة ويستر نقائصها فيكون العمل أحسن بعد ماكان حسناً.

وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

١٢٢ ـ ﴿وماكان المؤمنون لينفروا كافةً﴾ بالخروج جميعاً إلى الجهاد ﴿فلولا نفر من كل فرقةٍ منهم﴾ أي يجب أن تذهب ﴿طائفةٌ﴾ من المؤمنين إلى النبي ﴿ليتفقهوا في الدين﴾ بتعلم أمور دينهم ليعملوا بما علموا ﴿ولينذروا قومهم﴾ بذكر الأحكام المخالفة لأصوله وفروعه ﴿إذا رجعوا إليهم﴾ من الجهاد ﴿لعلهم يحذرون﴾ مخالفة أحكامه ويتقون الله فيها. دون أن يكون مرماهم ماينتحيه بعض الفقهاء من الأغراض الخسيسة، كالتصدر والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمة في ملابسهم ومآكلهم ومراكبهم، ومنافسة بعضهم بعضاً، وفشو داء الضرائر بينهم، وانقلاب محاليق أحدهم إذا لمح بصره مدرسة للآخر، أو شرذمة جثوا بين يديه، وتهالكه على أن يكون موطىء العقب من دون الناس.

١٢٣ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا﴾ وإيمانكم يقتضي نهوضكم بأعباء التكليف ﴿قاتلوا الذين يلونكم﴾ من تلى يلي ﴿من الكفار﴾ لتستأصلوا شأفتهم ولتتسع الرقعة التي ترتفع فيها راية التوحيد ويكون الدين كله لله بدلاً من رايات الكفر والشرائع التي ماأنزل الله بها من سلطان ﴿وليجدوا فيكم غلظة﴾ وشدة، لينقادوا إلى قبول كلمة الله ويرتدعوا عن الكفر ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ فهو يؤيدهم وينصرهم فالتزموا بأوامره ونواهيه والزموا حدوده.

١٢٤ ـ ﴿وإذا ماأنزلت سورة فمنهم من يقول﴾ وهو لايجد في قلبه أثراً من نزول القرآن، ويرى أن الرسول يدعي أن القرآن يصلح لكل قلب، سواء كان مستعداً للصلاح أم لا ـ فهو يسأل ـ ﴿أيكم زادته هذه إيماناً﴾ فكلما نزلت سورة جديدة ولم يجد في قلبه خشوعاً ولاميلاً إلى الحق، زاد شكاً حتى يستقر في شكه ويثبت في نفاقه ﴿فأما الذين آمنوا﴾ وقد برئت قلوبهم من المرض ﴿فزادتهم إيماناً﴾ بإنارتها أرض القلوب بنور الهداية فيتوهج نور القلوب بها ﴿وهم يستبشرون﴾ فتنشرح صدورهم وتتهلل وجوههم فرحاً ١٢٥ ـ ﴿وأما الذين في قلوبهم مرض﴾ وهم أهل الشك والنفاق ﴿فزادتهم رجساً إلى رجسهم﴾ وضلالاً إلى ضلالهم القديم ﴿وماتوا وهم كافرون﴾ وقد ملأ الشك والجحود قلوبهم. وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين إلا خسارا ١٢٦ ـ ﴿أو لايرون﴾ مالهم لايتفكرون ولايعتبرون ﴿أنهم يفتنون﴾ يبتلون ويمتحنون ﴿في كل عام مرة أو مرتين﴾ فيعصون الله ﴿ثم لايتوبون﴾ لايرجعون إلى الله بالتوبة ﴿ولاهم يذكرون﴾ ولو فعلوا لانتبهوا إلى أن الاستمرار على هذا الشأن ينتهي بهم إلى تراكم الرجس على الرجس وإلى الهلاك الدائم والخسران المؤبد ١٢٧ ـ ﴿وإذا ماأنزلت سورة﴾ وهم حاضرون ﴿نظر بعضهم إلى بعض﴾ نظر من يقول ﴿هل يراكم من أحد﴾ خوفاً من ظهور علائم الضيق والاضطراب الذي يكشف مافي قلوبهم من نفاق ﴿ثم انصرفوا﴾ من عند النبي ﷺ ﴿صرف الله قلوبهم﴾ عن وعي الآيات. وهذا دعاء إلهي عليهم ﴿بأنهم قوم لايفقهون﴾ صم بكم عمي فهم لايعقلون ١٢٨ ـ ﴿لقد جاءكم﴾ أيها الناس ﴿رسولٌ من أنفسكم﴾ من أوصافه ﴿عزيزٌ عليه ماعنتم﴾ فيشق عليه ضرركم وهلاككم ﴿حريصٌ عليكم﴾ جميعاً، مؤمنين أو غير مؤمنين ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيمٌ﴾ فهو شفيق بكم، فيحق عليكم أن تطيعوا أمره لأنه ناصح لكم، ومن يطع الرسول فقد أطاع الله. وقيل لم يجمع الله اسمين من أسمائه لأحد غير رسول الله ﷺ في قوله: رؤوف رحيم ١٢٩ ـ ﴿فإن تولوا﴾ معرضين عن الدعوة ﴿فقل حسبي الله﴾ فهو يكفيني ﴿لاإله إلا هو﴾ فلااعتصام إلا به فقد تقطعت الأسباب من دونه ﴿عليه توكلت﴾ اتخذته وكيلاً يتولى تدبير أموري، فلاسبب من دونه فهو رب الأسباب، ولاثقة بالأسباب الظاهرية فبيده كل الأسباب ﴿وهو رب العرش العظيم﴾ صاحب الملك والسلطان، يحكم به على كل شيء ويدبر به كل أمر.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

سُورَةُ يُونُسَ

سورة يونس

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: تأكيد القول بالتوحيد، الإنذار والتبشير، الرد على المنكرين والمكذبين.

١ ـ ﴿الر﴾ يوجد ارتباط بين معاني السور المصدرة بنفس الأحرف. ﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ فهي أجزاء الكتاب الإلهي الرفيع الدرجة، العالي المقام، الذي استقرت فيه الحكمة، أو هو المحكم الذي لايفسد، أو هو اللوح المحفوظ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

٢ ـ ﴿أكان للناس عجباً﴾ إنكار لتعجبهم ﴿أن أوحينا إلى رجلٍ منهم﴾ ماانشتملت عليه الدعوة القرآنية ﴿أن أنذر الناس﴾ عامة ﴿وبشر الذين آمنوا﴾ فالوحي بشرى للمؤمنين وإنذار لمن تولى وكفر ﴿أن لهم قدم صدقٍ عند ربهم﴾ فلهم منزلة صادقة ومقعد صدق عند مليك مقتدر، فللصدق قدم وللكذب قدم وقدم الصدق لاتزول. ﴿قال الكافرون إن هذا لساحرٌ مبين﴾ إتهام للنبي ﷺ بالسحر من جهة القرآن، وقد وجدوه خارقاً للعادة، آخذاً بمجامع النفوس. ٣ ـ ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام﴾ فهو الذي خلق العالم المشهود كله ﴿ثم استوى على العرش﴾ وهو عرش قدرته ﴿يدبر الأمر﴾ فهو الخالق المدبر ﴿مامن شفيع﴾ فلا معين يتوسط في تدبير أمر من الأمور ﴿إلا من بعد إذنه﴾ فإذنه هو السبب الأصلي، ولاسبب بالأصالة دونه ﴿ذلكم الله ربكم﴾ المدبر أمركم ﴿فاعبدوه﴾ فله الخلق والتدبير ﴿أفلا تذكرون﴾ أفلا يدلكم فكركم إلى الاستنارة بأنه لا إله إلا الله ٤ ـ ﴿إليه مرجعكم جميعاً﴾ تذكير بالمعاد بعد تذكير بالمبدأ ﴿وعد الله حقاً﴾ فإن ماتوعدون لواقع ﴿إنه يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ فكما أن الحجر الساقط يقترب من الأرض حتى ينتهي إليها، كذلك حركة الإنسان منذ خلقه تقترب من المعاد ﴿ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط﴾ فالعدل والقسط الإلهي من فعله، وليس من العدل أن يستوي من خضع له بالإيمان وصالح العمل ومن كفر وعتا. وإذا لم يبن الفرق بين الطائفتين في الدنيا، فلأن الله أعطى لكل شيء سبباً فأتبع سبباً فكانت هناك سيطرة للأسباب الكونية، ولكن لابد أن يفرق الله بين الطائفتين في الآخرة ﴿والذين كفروا لهم شرابٌ من حميمٍ﴾ يقطع أمعاءهم ﴿وعذابٌ أليمٌ بما كانوا يكفرون﴾ بالله ويجحدون بآياته. ٥ ـ ﴿هو الذي جعل الشمس ضياءً﴾ مصدراً للنور ﴿والقمر نوراً﴾ يعكس أشعة الشمس ﴿وقدّره منازل﴾ فله في كل ليلة منزل غير مانزله في الليلة السابقة ﴿لتعلموا عدد السنين والحساب﴾ فترتسم بذلك الشهور وترتسم بالشهور السنين ﴿ماخلق الله ذلك إلا بالحق﴾ فغاية الخلق حقيقة منتظمة تترتب على خلقه ماخلق، فليست باطلاً ولاصدفة، وقد خلق كل ذلك لتدبير شؤون حياتكم ومعادكم،

فهو ربكم المدبر شأنكم لارب سواه ﴿يفصل الآيات﴾ حسب التكوين الخارجي، وقيل حسب البيان اللفظي؛ والأول أقرب ﴿لقوم يعلمون﴾ عظمة خلقه. ٦ ـ ﴿إن في اختلاف الليل والنهار﴾ فدوران الأرض حول نفسها يعني تغير الجزء المضاء المقابل للشمس، فيحل محله جزء كان ظلاماً ليلاً، فيرد أحدهما خلف الآخر، مع اختلاف طول الليل والنهار من بقعة لأخرى ومن فصل لآخر ﴿وماخلق الله في السموات والأرض﴾ وخاصة العالم الإنساني، وكل الخلق يدل على نظام واحد متقن يدبره مدبر واحد أحسن تدبير، وإن في هذا النظام ﴿لآيات لقوم يتقون﴾ ففيه دلالة على ربوبية واحدة ترب كل شيء. ٧ ـ ﴿إن الذين لايرجون لقاءنا﴾ منكرين للجزاء والرجوع إلى الله بالبعث يوم القيامة ﴿ورضوا بالحياة الدنيا﴾ فقصرت همهم عليها ﴿واطمأنوا بها﴾ فرضوا بها وسكنوا بسببها عن طلب الآخرة ﴿والذين هم عن آياتنا غافلون﴾ بنسيانهم الآخرة والاشتغال بالدنيا. ٨ ـ ﴿أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون﴾ فجزاؤهم النار الخالدة، لأن الاعتقاد بالمعاد أحد الأصول التي يتقوم بها الدين، إذ بسقوطه يسقط الأمر والنهي والوعد والوعيد والنبوة والوحي، ويبطل الدين الإلهي من رأس. ٩ ـ ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ يصعدون إلى مرتبة القرب، فالعمل الصالح يعين الإيمان، فهؤلاء ﴿يهديهم ربهم بإيمانهم﴾ فإيمانهم يهديهم إلى ربهم، والهداية هي وسائل ومدارج تنتهي إليه تعالى فإليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴿تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم﴾ فالنعيم هو الولاية الإلهية وهي قمة النعيم ١٠ ـ ﴿دعواهم فيها سبحانك اللهم﴾ وقد طهرت قلوبهم من كل شريك لله، فقولهم تنزيه منهم لربهم عن كل مالايليق بساحة قدسه، من شريك في الاسم أو في المعنى، أو نقص أو عدم، فهم يسبحون قولاً وفعلاً، لساناً وجناناً، وما دون ذلك فهو شوب من شرك ﴿وتحيتهم فيها سلام﴾ فلايواجهون بقلوبهم التي تحمل الخير والسلام إلا الخير والسلام، أما الذي يبدل الخير والسلام شراً وضراً، فلاخير له ولاسلام ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ فقلوبهم تمجد كمال آلائه وجميل نعمائه، فلايسهون عن ربهم، ويكون وصفهم لكل كمال وصفاً منهم لربهم بالجميل في أفعاله، فيكون ثناء منهم عليه وحمداً له. ١١ ـ ﴿ولو يعجل الله للناس الشر﴾ وهو العذاب ﴿استعجالهم بالخير﴾ والنعمة ﴿لقضي إليهم أجلهم﴾ أي لأنزل عليهم العذاب بقضاء أجلهم، ولكنه تعالى لايعجل لهم الشر ﴿فنذر الذين لايرجون لقاءنا﴾ وينكرون المعاد، ويمرقون عن الدين ﴿في طغيانهم﴾ أي تجاوزهم ﴿يعمهون﴾ متحيرين بتوسط الأسباب بأمر الله. ١٢ ـ ﴿وإذا مس الإنسان الضر﴾ في نفسه ﴿دعانا لجنبه﴾ منبطحاً عليه ﴿أو قاعداً أو قائماً﴾ وأصر على الدعاء لكشف الضر ﴿فلما كشفنا عنه ضره﴾ ورفعنا عنه ماأصابه ﴿مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه﴾ ماراً لوجهه، متوغلاً في شهواته، دون كابح ولازاجر، وقد نسي ماكان يدعوه ويذكره ﴿كذلك زين للمسرفين ماكانوا يعملون﴾ فنسوا ربهم بعد ذكره، فالشيطان

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۚ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

يزين للمسرف سوء عمله فيراه حسناً. ١٣ ـ ﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم﴾ بعد إنكارهم البينات ﴿لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وماكانوا ليؤمنوا﴾ بعد ظهور حقية دعوتهم ﴿كذلك نجزي القوم المجرمين﴾ بالعذاب والهلاك، فلو آمنوا بالرسول الكريم محمد ﷺ لما كفروا بالله، لأنه أظهر لهم السنة الإلهية في إهلاك المجرمين. ١٤ ـ ﴿ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم﴾ وهذه الخلافة ﴿لننظر كيف تعملون﴾ فسنة الامتحان والبلاء جارية، والتفكر فيها يقي من الاستغراق والتكالب على متاع الدنيا. ١٥ ـ ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ واضحات الدلالة ﴿قال الذين لايرجون لقاءنا﴾ وقد توغلوا في تقديس أوثانهم، وفي المظالم والآثام واقتراف المعاصي ﴿ائت بقرآن غير هذا أو بدله﴾ ليطابق أهواءهم ويوافق ظلمهم وفسقهم وشهواتهم، فهم يريدون قرآناً لاينهى عن الشرك ولايدعو إلى اتقاء الفحشاء والمنكر، أو أن تتبدل آياته بما يلائم ظلمهم ﴿قل مايكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي﴾ لأن آياته تكشف عما يريده الله سبحانه من رفض الأصنام، واتباع أمره ﴿إن أتبع إلا مايوحى إلي﴾ فهو ليس كلامي وإنما هو وحي من الله ﴿إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾ فأنتم تسألون ماتسألون لأنكم لاترجون لقاء الله، ولكنني لاأشك فيه لأني أخاف عذاب يوم اللقاء، وهو عذاب عظيم؛ وفيه إنذار عظيم للكافرين. ١٦ ـ ﴿قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولاأدراكم به﴾ فلم تعلموه، وهذا رد لقولهم إئت بقرآن غير هذا، فالمشيئة لله ﴿فقد لبثت فيكم عمراً من قبله﴾ أي من قبل نزول القرآن، ولو كان ذلك بيدي لبادرت إليه من قبل ﴿أفلا تعقلون﴾ أنه من الله وأنه ليس لي من أمره إلا البلاغ. ١٧ ـ ﴿فمن أظلم﴾ ـ استفهام إنكاري ـ إذ لاأحد أشد إجراماً ﴿ممن افترى على الله كذباً﴾ وقال أوحي إلي ولم يوح إليه بشيء ﴿أو كذب بآياته﴾ وآيات الله تدل على الله، فإذا اختص الظلم بجنب الله كان أشد الظلم، فلو بدلت القرآن لكنت مفترياً على الله، ولو تركت القرآن وجئتكم بما ترضونه لكنت مكذباً بآياته ﴿إنه لايفلح المجرمون﴾ فالمكذب مجرم لايفلح ولايفوز ببغيته. ١٨ ـ ﴿ويعبدون من دون الله مالايضرهم ولاينفعهم﴾ من الأصنام وما شاكلها، والعبادة إنما تكون لجلب نفع أو اتقاء ضرر ﴿ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ مع أنها ليست ذات شعور حتى ترضى فتشفع ﴿قل أتنبئون الله بما لايعلم في السموات ولا في الأرض﴾ فالله سبحانه لاعلم له بهؤلاء الشفعاء لأنه لاوجود لهم فدعواكم هذه إخبار منكم إياه بما لايعلم، وهو من أقبح الإفتراء وأشنع المكابرة ﴿سبحانه﴾ تنزه ﴿وتعالى عما يشركون﴾ وعما يفترون. ١٩ ـ ﴿وماكان الناس إلا أمة واحدة﴾ على دين الفطرة وهو التوحيد ﴿فاختلفوا﴾ من حيث المعاش، أو من حيث الأحكام، فهناك ظالم ومظلوم ومتعد ومعتدى عليه. وهذا التعدي هو الذي رفعه الله سبحانه، وهو الذي من أجله بعث النبيين مبشرين ومنذرين ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وأما الاختلاف في نفس الدين فما هو إلا بغي دبره علماؤهم، وقد هدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا ۖ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

بينهم فيما فيه يختلفون﴾ فاختلافهم كان يقضي أن يحكم الله بينهم بإظهار الحق على الباطل وفيه هلاك المبطلين ونجاة المحقين، لكن سبقت كلمة الله بمنع القضاء بينهم، ولهم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين. ٢٠ ـ ﴿ويقولون لولا أنزل عليه آيةٌ من ربه﴾ غير القرآن، وقولهم هذا إزراء وتحقير لأمر القرآن ﴿فقل إنما الغيب لله﴾ والآيات من الغيب المختص بالله وليس بيدي ﴿فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾ في الآية دلالة على أن النبي ﷺ كان ينتظر آية فاصلة غير القرآن، وهذه الآية هي أن لكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون، فلكل أمة حياة اجتماعية وراء الحياة الفردية، والأمم التي شقت منهج العبودية أخذها الله أخذ عزيز مقتدر، واستبدل بها قوماً غيرها. ٢١ ـ ﴿وإذا أذقنا الناس رحمةً﴾ إلهية فالتذوا بها من غير أن يستوجبوها ﴿من بعد ضراء مستهم﴾ كان من الواجب أن يسارعوا إلى توحيده وشكره ﴿إذا لهم مكرٌ في آياتنا﴾ فهم يوجهون الحوادث بما تبطل به دلالة الآيات، كقولهم: قد مس آباءنا السراء والضراء، أو كالاعتذار بمالا يرتضيه تعالى ـ كقولهم: ﴿لولا أنزل عليه آية﴾ ـ ﴿قل﴾ يامحمد ﴿الله أسرع مكراً﴾ من مكركم بآيات الله ﴿إن رسلنا يكتبون ماتمكرون﴾ فلنا شهداء يكتبون أعمالكم لتحفظ عليكم وتنالوا جزاءها، حيث تخرج الأعمال من كمون الاستعدادات إلى مرحلة الفعلية الخارجية ورسم الأعمال نفسها في صحيفة الكون. ٢٢ ـ ﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر﴾ وقد سخرها لكم ﴿حتى إذا كنتم في الفلك﴾ وهي السفينة أو السفن ﴿وجرين بهم بريحٍ طيبةٍ﴾ تصلح لما يريدون ﴿وفرحوا بها﴾ وقد سخرت لهم ﴿جاءتها ريحٌ عاصفٌ﴾ شديدة الهبوب ﴿وجاءهم الموج من كل مكانٍ﴾ من حولهم ﴿وظنوا أنهم أحيط بهم﴾ وأشرفوا على الهلاك ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ وقد خلصت قلوبهم من الشرك ﴿لئن أنجيتنا من هذه﴾ الشدة ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ المعترفين بالنعمة والمنعم والحامدين له. ٢٣ ـ ﴿فلما أنجاهم﴾ من الشدة ﴿إذا هم يبغون﴾ يظلمون ﴿في الأرض بغير الحق﴾ تعدياً وظلماً ﴿ياأيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم﴾ فالله أقرب إليكم من حبل الوريد فما تعملونه من عمل بغياً ومكراً موجود في تقدير الله فكيف تبغون؟ فهو بغي منكم على أنفسكم يبعدكم من الله الذي يكتب آثامكم في صحائف أعمالكم.وهذا البغي تتمتعون به ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ أياماً قلائل ﴿ثم إلينا مرجعكم فنتبئكم بما كنتم تعملون﴾ فتتضح لكم حقائق أعمالكم. ٢٤ ـ ﴿إنما مثل الحياة الدنيا﴾ الدنية التي ترضاها النفوس الضعيفة ﴿كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام﴾ لهوانها وزوالها ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها﴾ وبهجتها ﴿وازينت﴾ وقد اكتمل نموها ﴿وظن أهلها أنهم قادرون عليها﴾ نائلون لثمرها ﴿أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً﴾ فأصبحت كالصريم ﴿كأن لم تغن بالأمس﴾ كأن لم يطل بها المقام بالأمس ﴿كذلك نفصل الآيات﴾ نبينها ونظهرها ﴿لقومٍ يتفكرون﴾ فيعرفون أن الحياة الدنيا هي متاع الغرور. ٢٥ ـ ﴿والله يدعو إلى دار

وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

السلام﴾ الآمنة المتعرية عن كل آفة ودعاؤه تعالى تكويني، وهو إيجاد مايريده لشيء كأن يدعوه إلى مايريده، كما أنه تشريعي، وهو تكليف الناس بما يريده من دين بلسان آياته، والدعاء من العبد لربه هو عطف رحمته وعنايته إلى نفسه بنصب نفسه في مقام العبودية والمملوكية ﴿ويهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم﴾ فطرة الله التي فطر الناس عليها، صراط الذين أنعم عليهم. ٢٦ ـ ﴿للذين أحسنوا﴾ في الدنيا المثوبة ﴿الحسنى وزيادةٌ﴾ من فضل الله لاتقدر بقدر ﴿ولا يرْهَقُ وجوههم﴾ لايغشاها ﴿قَتَرٌ﴾ أي سواد صوري ﴿ولا ذِلّةٌ﴾ ولاسواد معنوي ﴿أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ ﴿لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد﴾ .٢٧ ـ ﴿والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها﴾ عقوبة سيئة ﴿وترْهَقُهُم ذِلّةٌ﴾ سواد معنوي ﴿مالهم من الله من عاصمٍ﴾ لعصمهم من عذابه، ولاشفعاء يشفعون لهم ﴿كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً﴾ فاسودت ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ فهم مداومون على البقاء فيها وماكثون فيها. ٢٨ ـ ﴿ويوم نحشرهم جميعاً﴾ من مؤمنين ومشركين وشركائهم ﴿ثم نقول للذين أشركوا مكانكم﴾ الزموا مكانكم ﴿أنتم وشركاؤكم﴾ فقد تقطعت الروابط بينكم وهي روابط الوهم، وقد عبدتم الشركاء وماهم بشركاء ﴿فزيلنا بينهم﴾ الأوهام التي حجبت حقيقة الأمر، وهي أن هؤلاء الشركاء الذين عُبدوا لم يكونوا شركاء ولامعبودين لهم في الحقيقة لغفلتهم عن عبادة من يعبدونهم الذين كانوا يأتون لهم بصورة العبادة التي كان الوهم والهوى يصورانها عبادة ﴿وقال شركاؤهم ماكنتم إيانا تعبدون﴾ تجاه ماحكاه تعالى من قول المشركين: ﴿ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك﴾ والشركاء لم يكن ينفعهم إلا نفي عبادة المشركين عن أنفسهم ليخفف عنهم العذاب. أما مسألة ثبوت أمر العبادة ولمن كانت؟ فلاغرض لهم يتعلق بذلك وإنما ينحصر همهم بتنزيه أنفسهم عن دعوى الشركة. ٢٩ ـ ﴿فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين﴾ فنحن لم نشعر بهذه العبادة، ولو شعرنا بها للزمتنا دعوى الشركة. ٣٠ ـ ﴿هنالك تبلو﴾ تختبر ﴿كل نفسٍ ماأسلفت﴾ وماقدمت من أعمال فتنكشف لها حقيقة أعمالها ﴿وردوا إلى الله مولاهم الحق﴾ فكل إله دونه باطل، وعندها تنهدم الأوهام ﴿وضل عنهم ماكانوا يفترون﴾ وتضل عنهم الدعاوى التي يفتريها الإنسان، وقد غر بالروابط بين الأسباب والمسببات في الدنيا، والأمر يومئذ لله. ٣١ ـ ﴿قل من يرزقكم﴾ عطاء جارياً ﴿من السماء﴾ من مطر وثلج ونحوه ﴿والأرض﴾ من نبات وحيوان، وهذه بركات يتقوم بها بقاء النوع الإنساني ﴿أمن يملك السمع والأبصار﴾ ؟ هو الله، وقد أذن أن يتمتع بها من ملكه الله إياها، فبالحواس تتم فائدة الرزق الإلهي ﴿ومن يخرج الحي من الميت﴾ هو الله يخلق الحي من التراب الميت، ويخرج الإنسان العاقل الصالح من الإنسان الذي لاعقل له ولاصلاح، ويخرج المؤمن من الكافر، والكلمة الحية تؤثر في نفس السامع. وحياة الإنسان كونه جارياً على ماتهدي إليه الفطرة. ﴿ويخرج الميت من الحي﴾ فالأرض الميتة تخرج من

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

الأرض المخضرة وهكذا. أو تخصص النظرة بخروج الحي من المني والبيضة ثم موته ﴿ومن يدبر الأمر فسيقولون الله﴾ اعترافاً بأنه الذي ينتهي إليه جميع أمور التدبيرات في الإنسان ﴿فقل﴾ يامحمد ﴿أفلا تتقون﴾ فكيف تعبدون غيره مع ظهور الحجة على ربوبيته. ٣٢ ـ ﴿فذلكم الله ربكم الحق﴾ الذي بيده كل شيء ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾ فإذا كانت ربوبيته تعالى حقاً، فإن الهدى في اتباعه وعبادته، لأن الهدى مع الحق لاغير، فلايبقى مع غيره الذي هو باطل إلا الضلال ﴿فأنى تصرفون﴾ وتنصرفون عن الحق الذي معه الهدى إلى الضلال الذي مع الباطل. ٣٣ ـ ﴿كذلك حقت كلمة ربك﴾ قضى قضاء حتماً ﴿على الذين فسقوا﴾ خرجوا عن الحق ﴿أنهم لايؤمنون﴾ وهذا القضاء ليس ظلماً ولاجزافاً، وإنما قضى ذلك لأنهم صرفوا عن الحق ففسقوا، فوقعوا في الضلال. ٣٤ ـ ﴿قل هل من شركائكم﴾ أيها المشركون ﴿من يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ فيستحق أن يعبد إتقاء من يوم لقاءه وأمناً من أليم عذابه، ونيلاً لعظيم ثوابه ﴿قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ وقد أثبت المعاد وأنه الغاية من الخلق لأن لكل فعل غاية ﴿فأنى تؤفكون﴾ وإلى متى تصرفون عن الحق. ٣٥ ـ ﴿قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق﴾ والحق واجب الاتباع عقلاً، وكذلك من يهدي إليه، ولاجواب لهم مثبتاً، إذ أن شركاؤهم من أصنام أو ملائكة أو آلهة أو جن أو طواغيت كفرعون ونمرود وغيرهما لايملكون لأنفسهم ضراً ولانفعاً ولاحياة ولاموتاً ولانشوراً ﴿قل﴾ يامحمد ﴿الله يهدي للحق﴾ فهو يهدي كل مخلوق إلى مقاصده التكوينية، فهو الذي خلق فسوى وقدر فهدى ﴿أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لايهدي إلا أن يهدى﴾ فاقضوا في الترجيح بين اتباعه تعالى، وبين اتباع الشركاء وهم لايهدون ولايهتدون إلا بغيرهم. والرجحان لمن يهدي على من لايهدي، والمشركون يحكمون بالعكس ﴿فما لكم كيف تحكمون﴾ توبيخ لهم ولوم. ٣٦ ـ ﴿ومايتبع أكثرهم إلا ظناً﴾ أما أئمة الضلال وهم أقل عدداً فعلى يقين من الحق، ولكنهم يبغون على البينات ﴿إن الظن لايغني من الحق شيئاً﴾ والأكثرون إنما اتبعوا آباءهم تقليداً لهم لحسن ظنهم بهم. ﴿إن الله عليمٌ بما يفعلون﴾ وبما يأتونه من أعمال وهم يتبعون فيها الظن. ٣٧ ـ ﴿وماكان هذا القرآن أن يُفترى من دون الله﴾ نفي لشأنية الإفتراء وهو أبلغ من فعليته ﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾ من التوراة والانجيل وهما أقرب إليه من صحف ابراهيم وكتاب نوح ﴿وتفصيل الكتاب﴾ أي الكتب السماوية النازلة من عند الله، وإيجاد الفصل بين أجزائها. فالقرآن ﴿لاريب فيه﴾ ولاشك فيه ﴿من رب العالمين﴾ وهو المهيمن على كافة الكتب. ٣٨ ـ ﴿أم يقولون افتراه﴾ بمعنى بل يقولون افتراه ﴿قل فأتوا بسورة مثله﴾ تحدياً لهم، وليس التحدي بسورة معينة لأنهم إنما رموا بالافتراء القرآن كله. والتحدي لابلاغة القرآن وفصاحته فحسب، بل بما هو عليه من صفات جمعت كل كمال وكل فضيلة، مع الشرائع والأحكام العبادية، والقوانين المدنية والسياسية والقضائية والأخبار الغيبية الخ. ﴿وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ فالتحدي ليس لكم فحسب بل لو اجتمع على ذلك الانس والجن وكان بعضهم لبعض ظهيراً لما استطاعوا.

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾

٣٩ ـ ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾ ففيه معارف حقيقية وعلوم واقعية لايسعها علمهم ﴿ولما يأتهم تأويله﴾ أي تأويل الذي كذبوا به وهو يوم القيامة، وهذا التأويل هو الحقيقة التي يعتمد عليها لتوضيح المعاني والأحكام وغير ذلك ﴿كذلك كذب الذين من قبلهم﴾ ممن حملهم الجهل على التكذيب ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ المكذبين حتى تحدس بما سيصيب هؤلاء. ٤٠ ـ ﴿ومنهم من يؤمن به﴾ من قومك ﴿ومنهم من لايؤمن به﴾ فبعضهم كافر به ﴿وربك أعلم بالمفسدين﴾ المكذبين. ٤١ ـ ﴿وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم﴾ فأنا بريء منكم إن كذبتم، وهذا من مراتب الانتصار للحق ﴿أنتم بريئون مما أعمل﴾ فلاعلاقة لكم بعملي الصالح ﴿وأنا بريءٌ مما تعملون﴾ فلاتحملونني على باطلكم. ٤٢ ـ ﴿ومنهم من يستمعون إليك﴾ وهم صم لاسمع لقلوبهم ﴿أفأنت تُسْمِعُ الصمَّ ولو كانوا لايعقلون﴾ فلست قادراً على إسماعهم مالايعقلون. ٤٣ ـ ﴿ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لايبصرون﴾ فلهم أعين لايبصرون بها الحقائق لأن قلوبهم غلف ولست قادراً على هدايتها. ٤٤ ـ ﴿إن الله لايظلم الناس شيئاً﴾ فهو لم يسلبهم السمع والبصر ﴿ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ فما ابتلوا به من سلب السمع والبصر إنما أوتوه من قبل أنفسهم. ٤٥ ـ ﴿ويوم يحشرهم﴾ يوم القيامة وقد كذبوا بلقائه ﴿كأن لم يلبثوا﴾ في الدنيا ﴿إلا ساعةً من النهار﴾ فقط ﴿يتعارفون بينهم﴾ دون أن ينكر بعضهم بعضاً أو ينساه ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله﴾ وسيظهر خسرانهم بإتيان تأويل الدين، وانكشاف حقيقة الأمر وظهور نور التوحيد ﴿وماكانوا مهتدين﴾ وقد اغتروا بالجمود على مظاهر الحياة الدنيا يستكثرون الأمد، ويستبطئون الأجل. ٤٦ ـ ﴿وإما نرينك﴾ فيظهر لك ﴿بعض الذي نعدهم﴾ من العذاب ﴿أو نتوفينك﴾ استيعاباً للتقادير ﴿فإلينا مرجعهم﴾ وأمرهم إلينا ﴿ثم الله شهيد على مايفعلون﴾ فهو بمقتضى ألوهيته موقع بهم مايعدهم، فطب نفساً يامحمد. ٤٧ ـ ﴿ولكل أمة رسول﴾ يبلغهم رسالات ربهم، وهذا قضاء دينه ﴿فإذا جاء رسولهم﴾ وبلغ الرسالة واختلفوا من مصدق ومكذب ﴿قضي بينهم بالقسط﴾ وهذا قضاء آخر ﴿وهم لايُظْلَمون﴾ فيما يحل بهم من عذاب. ٤٨

وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

ـ ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ والسائلون هم المشركون يسألون عن موعد هذا القضاء بينهم في الدنيا ٤٩ ـ ﴿قل﴾ يامحمد ﴿لاأملك لنفسي ضراً﴾ أدفعه ﴿ولانفعاً﴾ أجلبه ﴿إلا ماشاء الله﴾ فالأمر إليه، واقتراحهم عليه أن يعجل لهم القضاء والعذاب، مبعثه الجهل ﴿لكل أمةٍ أجلٌ﴾ وهو غيب عند الله ﴿إذا جاء أجلهم فلايستأخرون ساعةً ولايستقدمون﴾ وهذه حقيقة من النواميس العامة الجارية في الكون تنحل بها العقدة، وتندفع بها الشبهة، فأجلهم آت لامحالة لايتخطاهم ولايتخطونه. فلكل أمة حياة اجتماعية وراء الحياة الفردية، ولها نصيبها من السعادة والشقاوة والتكليف والعبث والرشد والغي والأمم المنقرضة من مكذبة ومؤمنة تشهد بذلك. والله سيقضي بينهم، إنه لبالمرصاد، فلايظنن أحد أن إكرام الله لنبيه بعدم تعذيبهم وهو فيهم لكرامة خاصة لهم عند الله، لأنه لايبقى بذلك للملة والشريعة إلا أنها أحكام

جزافية وتكاليف لعب بها رب العالمين ـ تعالى عن ذلك علواً كبيراً ـ وهذا كله من الإعراض عن ذكر الله. ﴿وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ ٥٠. ـ ﴿قل أرأيتم﴾ أي أخبروني ﴿إن أتاكم عذابه بياتاً أو نهاراً﴾ فإنه لايأتيكم إلا بغتة ﴿ماذا يستعجل منه المجرمون﴾ وأنتم مجرمون لايتخطاكم إذا ماأتاكم فلاتشافهوا بصريح الشر ٥١ ـ ﴿أثم إذا ما وقع﴾ العذاب ﴿آمنتم به﴾ أي بالقرآن أو بالدين أو بالله ﴿آلآن﴾ أتؤمنون به في هذا الوقت، وقد أخرتموه ـ أي إيمانكم ـ إلى حين نزول العذاب، وهو وقت ـ لاينفع فيه الإيمان ـ أنتم مشرفون فيه على الهلكة ﴿وقد كنتم به تستعجلون﴾ لاستهزائكم به. ٥٢ ـ ﴿ثم قيل للذين ظلموا﴾ بعد نزول العذاب بهم ﴿ذوقوا عذاب الخلد﴾ وهو عذاب الآخرة ﴿هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون﴾ فالعذاب سيشملكم بما قدمت أيديكم وبما كسبتم من سيئات. ٥٣ ـ ﴿ويستنبئونك﴾ يستخبرونك ﴿أحقٌ هو﴾ هذا القضاء أو العذاب ﴿قل﴾ يامحمد ﴿إي وربي إنه لحقٌ﴾ إثبات لتحققه لوجود المقتضي ﴿وماأنتم بمعجزين﴾ فلامانع يمنع من حلول العذاب بكم. ٥٤ ـ ﴿ولو أن لكل نفس ظلمت مافي الأرض لافتدت به﴾ للتخلص من هول العذاب وشدته وهو عذاب الدنيا ﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾ خشية الشماتة ﴿وقضي بينهم بالقسط وهم لايظلمون﴾ فالقضاء بينهم عادل وهم يستحقون ماأصابهم وقد سعوا إليه بأيديهم واستعجلوا نزوله. ٥٥ ـ ﴿ألا إن لله مافي السموات والأرض﴾ بيانٌ ساطعٌ أن كل شيء مملوك له تعالى ﴿ألا إن وعد الله حق﴾ لايمنع تحققه مانع وليس لغيره التصرف إلا بإذنه، فإذا وعد كان الوعد حقاً لامرد له ولايمازجه باطل ﴿ولكن أكثرهم لايعلمون﴾ فهم يقيسون ملكه تعالى إلى ملك العظماء والسلاطين. ويرون لهم القدرة المطلقة يحكمون بما يريدون، مع أنهم ربما يرونهم يهمون بما لاينالون، أو يعدون ولايوفون، ولو تصوروهم وقد طحنتهم نازلات الدهر، أو تغيرت عقائد الناس فسلبتهم ملكهم وقدرتهم، لعلموا أن الله يتصرف بنفسه وأن كل شيء قائم به، فكيف يتسرب إليه الكذب؟ وكيف تتخلف مشيئته؟ وكيف يخلف وعده؟ تعالى وتقدس عن ذلك. ٥٦ ـ ﴿هو يحيي ويميت﴾ فأمركم جميعاً إليه ﴿وإليه تُرجعون﴾ فكيف لاتكونون ملكاً له؟ ٥٧ ـ ﴿يأيها الناس قد جاءتكم موعظةٌ من ربكم﴾ والموعظة زجر مع تخويف، أو هي التذكير بالخير فيما يرق له القلب، فالقرآن يدرككم وقد غشيكم يم الغفلة وأظلمت نفوسكم بالشك والريب، فيذكركم ويزجركم عن سوء السريرة، ويبعثكم نحو الخير والسعادة ﴿وشفاءٌ لما في الصدور﴾ من الصفات الروحية الخبيثة التي تجلب إلى الإنسان الشقاء وتحرمه خير الدنيا والآخرة ﴿وهدىً﴾ يدلكم على المعارف الحقة والأخلاق الكريمة والأعمال الصالحة، برفعكم درجة درجة حتى تستقروا في مستقر المقربين ﴿ورحمةٌ للمؤمنين﴾ والرحمة إفاضة تستر مايوجد من النقص في الآخرين فينزلكم الله برحمته دار الكرامة مع عباده المقربين في أعلى عليين. ٥٨ ـ ﴿قل بفضل الله﴾ وهو الغني لايحتاج في إفاضته لما يفيضه، ولاإلى من يفيض عليه ﴿وبرحمته﴾ وهي العطية الإلهية الخاصة

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۗ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۚ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾

التي هي سعادة الدنيا والآخرة ﴿فبذلك فليفرحوا﴾ وهذا أحق بالسرور وأحرى بالابتهاج ﴿هو خير مما يجمعون﴾ من المال الذي ليس إلا فتنة ربما أهلكتهم وأشقتهم. ٥٩ ـ ﴿قل أرأيتم ماأنزل الله لكم من رزق﴾ أنزله من خزائنه ليمدكم بأسباب بقائكم من مأكل ومشرب وملبس لتنتفعوا به ﴿فجعلتم منه حراماً وحلالاً﴾ قسماً حرمتم وقسماً تحللون ﴿قل آلله أذن لكم﴾ بهذا التقسيم ﴿أم على الله تفترون﴾ تنسبون إليه من الأحكام مالم ينزل، وأنتم تلحقون سنن مجتمعكم وعاداتكم القومية التي ماأنزل الله بها من سلطان، إما لتحرزوا مصلحة أو لتتبعوا الأهواء. والله هو الخالق لما خلق، وكمال الخلق أن يجهز مخلوقاته بقوى ووسائل يتوسل بها إلى غاياتها، والوصول إلى الكمال لايتم إلا من الطريق المرسوم له من صفات اكتسابية وأعمال فالإنسان مجهز بجهاز للتغذية والنكاح، فلذلك لارهبانية في الإسلام لأنها معارضة للفطرة.

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍ بِهَٰذَا ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

٦٠ ـ ﴿وماظن الذين يفترون على الله الكذب﴾ بتقسيم الرزق حلالاً وحراماً ﴿يوم القيامة﴾ حيث ينال المفتري جزاءه ﴿إن الله لذو فضل على الناس﴾ فهو الذي أعطاهم مايملكون ﴿ولكن أكثرهم لايشكرون﴾ نعمه تعالى بل يحرفون بعضه وهذا كفران وعدم شكر. ٦١ ـ ﴿وماتكون في شأن﴾ حال أو أمر ﴿وماتتلوا منه من قرآن﴾ نازل من عند الله عليك يامحمد ﴿ولاتعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً﴾ فلايتوهمن متوهم أن الله يخفى عليه شيء من أمره، فلايحاسبه به يوم القيامة ﴿إذ تفيضون فيه﴾ تخوضون فيه جميعاً ﴿ومايعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولافي السماء ولاأصغر من ذلك ولاأكبر إلا في كتاب مبين﴾ فلايغيب عن أمره شيء من أعمالكم وكل صغيرة وكبيرة في كتاب مفصل. ٦٢ ـ ﴿ألا﴾ للتنبيه ﴿إن أولياء الله﴾ الذين يعدون الله ولياً لهم، والله ولي المؤمنين لإيمانهم، والمراد بإيمانهم مرتبته العالية، فالمرتبة الأولى من الإسلام هي إجراء الشهادتين لساناً والتسليم ظاهراً، وتليه المرتبة الثانية من الإيمان، ولازمها الإذعان بمؤدى الشهادتين قلباً إجمالاً، ولايزال إسلام العبد يصفو حتى يسلم لله في كل أمر، ويرتفع إيمانه بالإذعان بلوازم تلك المرتبة، حتى يسلم العبد لربه حقيقة معنى ألوهيته، وينقطع عن السخط والاعتراض. وبإزاء ذلك الإيمان باليقين بالله يصل العبد إلى كمال الإيمان الذي تتم به للعبد عبوديته فيكون من أولياء الله الذين ﴿لاخوفٌ عليهم﴾ من توقع ضرر ﴿ولاهم يحزنون﴾ لفقدان مايحبون، لأنهم يرون كل شيء ملكاً لله. ٦٣ ـ ﴿الذين آمنوا﴾ أن الأمر لله ﴿وكانوا يتقون﴾ فيتلبسون بلباس العبودية في التزام أوامره واجتناب نواهيه ٦٤ ـ ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ بما تَقَرُّ به أعينهم ﴿لاتبديل لكلمات الله﴾ فإن ذلك من القضاء المحتوم ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ فلتطب أنفسهم. ٦٥ ـ ﴿ولايحزنك﴾ يامحمد ﴿قولهم﴾ الذي يطعنون به في دين الحق ويعتزون به بآلهتهم ﴿إن العزة لله جميعاً﴾ فلايعبأ بما اعتزوا به من العزة الوهمية ﴿هو السميع﴾ لمقالهم ﴿العليم﴾ بحالهم ولو شاء لأخذهم بالنكال. ٦٦ ـ ﴿ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض﴾ فهو الرب المالك المدبر لأمر مملوكيه ممن لهم شعور وعقل، وهم الملائكة والثقلان

﴿ومايتبع الذين يدعون من دون الله شركاء﴾ فهم في دعواهم الشركاء ﴿إن يتبعون إلا الظن﴾ لأنه ليس لشركائهم معنى الشركة لله ﴿وإن هم إلا يخرصون﴾ فهم يتبعون مفهوماً لامصداق له. ٦٧ ـ ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه﴾ وتتعبدوا وتتجدد قواكم بالراحة ﴿والنهار مبصراً﴾ لتتحركوا وتكسبوا مواد حياتكم وتصلحوا شؤون معاشكم ﴿إن في ذلك لآياتٍ لقوم يسمعون﴾ فيعلمون أن لله الملك والتدبير. ٦٨ ـ ﴿قالوا اتخذ الله ولداً﴾ والولد يطلب ليعين على نوائب الدهر ويكون ذخراً ليوم الفاقة وهو بعض أبيه. والله ﴿سبحانه هو الغني﴾ لايخالطه فقر ولايحتاج ولداً ﴿له مافي السموات ومافي الأرض﴾ فله كل شيء ﴿إن عندكم من سلطان بهذا﴾ فهل لديكم برهان، ولابرهان، فالدليل ـ على خلافه ـ أنه الغني ﴿أتقولون على الله مالاتعلمون﴾ توبيخ لهم، فالقول عن غير علم يستقبحه العقل ولاسيما في مايرجع إلى رب العزة. ٦٩ ـ ﴿قل إن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون﴾ إنذار بشؤم العاقبة، وقد تنزه عن كل مالايليق بساحة جلاله وكمال قدسه. ٧٠ ـ ﴿متاعٌ في الدنيا﴾ قليل ﴿ثم إلينا مرجعهم﴾ يوم القيامة ﴿ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون﴾ فهم لايفلحون لأنهم كافرون لهم العذاب الشديد عند الله. ٧١ ـ ﴿واتل عليهم﴾ يامحمد ﴿نبأ نوح﴾ خبره العظيم ﴿إذ قال لقومه﴾ متحدياً لهم ﴿ياقوم إن كان كبر عليكم مقامي﴾ ومنزلتي ونهضتي لأمر الدعوة إلى التوحيد ﴿وتذكيري بآيات الله﴾ وأنتم تستكبرون، فإذا دعاكم ذلك إلى قتلي وضري ﴿فعلى الله توكلت﴾ قبال تهديدكم فهو وكيلي يتصرف في شؤوني ﴿فأجمعوا أمركم وشركاءكم﴾ الذين تزعمون أنهم ينصرونكم في الشدائد، واعزموا على مابدا لكم، وهذا أمر تعجيزي. فالله يمد المؤمن بقوة قاهرة من عنده لقهر الطغاة المستكبرين ﴿ثم لايكن أمركم عليكم غمةً﴾ فلكم أن تتوسلوا إلى كل سبب في دفعي ﴿ثم اقضوا إلي﴾ بدفعي وقتلي ﴿ولاتنظرون﴾ ولاتمهلوني. ٧٢ ـ ﴿فإن توليتم﴾ معرضين عن إجابة دعوتي، فلاضير علي في ذلك ﴿فماسألتكم من أجرٍ﴾ فلاأخسر شيئاً ﴿إن أجري إلا على الله﴾ فهو المجزي ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ الذين يسلمون الأمر له ولايستكبرون عن أمره ولايسلمون لسائر الأسباب الظاهرة حتى يتوقعوا إيصال نفع أو دفع شر. ٧٣ ـ ﴿فكذبوه﴾ واستكبروا استكباراً، ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر ﴿فنجيناه ومن معه في الفلك﴾ في السفينة ﴿وجعلناهم خلائف﴾ يخلف بعضهم بعضاً ﴿وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا﴾ فأدخلوا ناراً ﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ وقد أنذرهم الله، فكذبوا فأخذهم أخذ عزيز مقتدر. ٧٤ ـ ﴿ثم بعثنا من بعده رسلاً إلى قومهم﴾ إلى زمن موسى ﴿فجاءوهم بالبينات﴾ من الآيات المعجزة التي اقترحتها الأمم على أنبيائها ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل﴾ فلم يكن في وسعهم أن يؤمنوا ثانياً بما كذبوا به أولاً ﴿كذلك نطبع على قلوب المعتدين﴾ ونختم على قلوب المكذبين. ٧٥ ـ ﴿ثم بعثنا من بعدهم﴾ من بعد أولئك الرسل ﴿موسى وهارون إلى فرعون وملئه﴾ وهم القبط

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

﴿بآياتنا﴾ كالثعبان واليد البيضاء ﴿فاستكبروا﴾ ورفضوا الإذعان للحق ﴿وكانوا قوماً مجرمين﴾ ظالمين. ٧٦ ـ ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا﴾ وهو الآية الحقة التي أجراها الله على يد موسى ﴿قالوا إن هذا لسحرٌ مبينٌ﴾ مع أنه حق وليس بسحر موهوم، وهذه سمة المكذبين والمستكبرين، فهم يقذفون المؤمنين بالأباطيل ٧٧ ـ ﴿قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحرٌ هذا﴾ ـ إنكار لقولهم بصورة الاستفهام ـ فالسحر باطل والمعجز حق ﴿ولايفلح الساحرون﴾ وهذا تعليل لإنكارهم أو لأنه يرى لنفسه الفلاح وللساحرين خلافه. ٧٨ ـ ﴿قالوا أجئتنا لتلفتنا﴾ وتصرفنا ﴿عما وجدنا عليه آباءنا﴾ لنترك سنتهم ﴿وتكون لكما﴾ أنت وهارون ﴿الكبرياء في الأرض﴾ أي الرئاسة والحكومة وانبساط القدرة مدّعيين الدعوة الدينية لإبطال طريقتنا ﴿ومانحن لكما بمؤمنين﴾ كي لاتنالا غايتكما من هذه الدعوة المزورة. ٧٩ ـ ﴿وقال فرعون ائتوني بكل ساحرٍ عليمٍ﴾ ليعارض معجزة موسى، لأنه لم يكن له في دفعها حيلة إلا رميه بالسحر. ٨٠ ـ ﴿فلما جاء السحرة﴾ وتهيؤوا لمعارضته ﴿قال لهم موسى ألقوا ماأنتم ملقون﴾ من الحبال والعصي ٨١ ـ ﴿فلما ألقوا﴾ وبدت حبالهم وعصيهم تسعى ﴿قال موسى ماجئتم به السحر﴾ وهو إظهار الشيء بغير صورته ﴿إن الله سيبطله﴾ لأنه ليس واقعاً وليس حقاً، والله يبطل الباطل ﴿إن الله لايصلح عمل المفسدين﴾ فالدولة للحق وإن كانت للباطل أحياناً جولة، ولو أصلحه الله وهو فساد كان ذلك إفساداً للنظام الكوني. *ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض*. ٨٢ ـ ﴿ويحق الله الحق بكلماته﴾ وهذه سنة إلهية كونية يجب التنبه لها ﴿ولو كره المجرمون﴾ المعاندون لسبيل الحق، فهم يكرهون الحق ويكرهون ظهوره ولكن كراهيتهم لاتعطل مشيئة الله. ٨٣ ـ ﴿فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه﴾ أي من قوم موسى، وهم المستضعفون منهم، لأن المستكبرين والأقوياء يتوسلون بكل وسيلة لحفظ مكانتهم الاجتماعية وجاههم القومي، فلذلك يتقربون إلى الحاكم بالمال والخدمة والتظاهر بالولاء والنصح، وقد ذكر المفسرون غير ذلك ﴿على خوف من فرعون

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ
مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ
عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ
الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ
خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ
فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ
آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ
تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا
بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ
أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ
رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ
وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

وملئهم﴾ فالذرية الضعفاء كانوا يخافون فرعون، والملأ والأشراف من بني إسرائيل كانوا يمنعونهم لعدم إيمان أنفسهم أو كانوا يتظاهرون بذلك ليرضوا فرعون وقومه ﴿أن يفتنهم﴾ أي يعذبهم ليعودوا في ملته ﴿وإنَّ فرعون لعالٍ في الأرض وإنه لمن المسرفين﴾ فهو لايعدل فيما يحكم، ويجاوز الحد في الظلم والتعذيب. ٨٤ ـ ﴿وقال موسى ياقوم إن كنتم آمنتم بالله﴾ وسلمتم له، وقد علمتم بإيمانكم مقام ربكم، وأنه خالق الأسباب ﴿فعليه توكلوا﴾ اجعلوه وكيلاً لكم يتصرف في أموركم ﴿إن كنتم مسلمين﴾ إن بلغتم كمال الإيمان، إذ يكتمل الإيمان بالاسلام الحق. ٨٥ ـ ﴿فقالوا على الله توكلنا﴾ جعلناه وكيلاً لنا للنجاة من فرعون وملئه ﴿ربنا لاتجعلنا فتنةً للقوم الظالمين﴾ فانزع عنا لباس الضعف والذلة؛ فضعف الضعفاء إغراءٌ للأقوياء الظالمين، فالضعيف فتنة للقوي يشجعه على الاستضعاف ٨٦ ـ ﴿ونجنا برحمتك من القوم

الكافرين﴾ طلب للتنجية بعد التوكل وطلب لنزع لباس الذلة. ٨٧ ـ ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا﴾ خذا مسكناً ومنزلاً ﴿لقومكما بمصر بيوتاً﴾ واسكنوا فيها ﴿واجعلوا بيوتكم قبلة﴾ أي متقابلة لسهولة الاتصال والتبليغ والمشورة، تنظيماً للتعبئة البنيوية والروحية ﴿وأقيموا الصلاة﴾ جماعة لحفظ صلتكم بربكم ﴿وبشر المؤمنين﴾ ياموسى أن الله سينجيهم من فرعون وقومه. ٨٨ ـ ﴿وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة﴾ تجذب النفوس ﴿وأموالاً﴾ من الأنعام والأراضي والخيرات ﴿في الحياة الدنيا﴾ والنعمة تستوجب من العبد أن يكون شاكراً ﴿ربنا ليضلوا عن سبيلك﴾ وعاقبة أمرهم الجحود والضلال وهم مستكبرون مصرون على الاستكبار والإفساد فكان ماوهبهم الله ليضلوا عن سبيله جزاء بما كسبوا وقد بدلوا نعمة الله كفراً ﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾ وصيرها إلى الفناء والزوال والاندثار ﴿واشدد على قلوبهم﴾ وقسّها وارباط عليها ربطاً لاينشرح للحق ﴿فلايؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم﴾ أي حتى يقفوا موقفاً لاينفعهم الإيمان، وهو زمان ورود العذاب الإلهي. وقد دعا موسى عليهم بعد يأسه التام من إيمانهم وقد حرّموا الإيمان على عباد الله. ٨٩ ـ ﴿قال قد أجيبت دعوتكما﴾ وقد كان موسى يدعو وهارون يؤمن له ﴿فاستقيما﴾ واثبتا على الدعوة ﴿ولاتتبعان﴾ البتة ﴿سبيل الذين لايعلمون﴾ وهم الجهلة من شعب إسرائيل، بإجابة مايقترحون عليكما من أهواء أنفسهم، ودواعي شهواتهم، وفي ذلك تلويح إلى أنهم سيحيون سنتهم القومية وسيرتهم الجاهلية. ٩٠ ـ ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر﴾ فاجتازوه ﴿فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً﴾ وظلماً ﴿وعدواً﴾ وعدواناً ﴿حتى إذا أدركه الغرق﴾ ولحق به وتسلط عليه ﴿قال آمنت أنه لاإله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل﴾ ليظفر بما ظفروا به، وهو مجاوزة البحر والأمان من الغرق ﴿وأنا من المسلمين﴾ لإزالة الإصرار على المعصية وهو الشرك والاستكبار. ٩١ ـ ﴿ءآلآن﴾ تؤمن حيث لااختيار وقد أدركك العذاب، ولاإيمان ولاتوبة حين غشيان العذاب ومجيء الموت ﴿وقد عصيت قبل﴾ هذا ﴿وكنت من المفسدين﴾ وقد أفنيت أيامك في المعصية ولم تقدم التوبة لوقتها. ٩٢ ـ ﴿فاليوم ننجيك ببدنك﴾ أما نفسك فهي وراء بدنك فلانجاة لها، وأسماء الأشخاص في الحقيقة لنفوسهم لا لأبدانهم ﴿لتكون لمن خلفك آية﴾ دليلاً ﴿وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون﴾ ساهون عما ظهر من الدلائل. ٩٣ ـ ﴿ولقد بوأنا بني إسرائيل﴾ وأسكناهم ﴿مبوأ صدقٍ﴾ مسكناً طيباً وأتممنا نعمتنا عليهم ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ والرزق ﴿فما اختلفوا حتى جاءهم العلم﴾ بغياً بينهم ﴿إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ وقد كفروا النعمة وفرقوا الكلمة واختلفوا في الحق لما جاءهم. ٩٤ ـ ﴿فإن كنت في شكٍ مما أنزلنا إليك﴾ من المعارف الراجعة إلى المبدأ والمعاد والسنة الإلهية في القضاء على الأمم ﴿فاسأل﴾ أهل الكتاب ﴿الذين﴾ لايزالون ﴿يقرأون﴾ جنس ﴿الكتاب﴾ منزلاً من السماء ﴿من قبلك﴾ أقسم ﴿لقد جاءك الحق من ربك﴾ بحجج تضطر العقول إلى قبولها ﴿فلاتكونن من الممترين﴾ المترددين، ولاريب ولاشك في قلبك ولكن إظهاراً للحجج على أهل

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

الكتاب. ٩٥ ـ ﴿ولاتكونن من الذين كذبوا بآيات الله﴾ عناداً للحق، واستكباراً بعد ظهور البيان ﴿فتكون من الخاسرين﴾ بزوال رأس المال أو انتقاصه، ورأس المال هو الإيمان بالله وآياته. ٩٦ ـ ﴿إن﴾ المكذبين ﴿الذين حقت عليهم كلمة ربك﴾ وهي قوله لآدم: ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾. فالذين حق عليهم العذاب ﴿لايؤمنون﴾ أبداً ٩٧ ـ ﴿ولو جاءتهم كل آية﴾ بعد أن فقدوا رأس مال سعادتهم ﴿حتى يروا العذاب الأليم﴾ وعندها لاينفع نفس لم تكن قد آمنت إيمانها. ٩٨ ـ ﴿فلولا﴾ أي هلا ﴿كانت قريةٌ﴾ من القرى التي كذبت الرسل ﴿آمنت﴾ قبل نزول العذاب، إيماناً اختيارياً ﴿فنفعها إيمانها﴾؟ ﴿إلا قوم يونس لما آمنوا﴾ اختياراً ﴿كشفنا﴾ ورفعنا ﴿عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا﴾ لإيمانهم ﴿ومتعناهم﴾ بالحياة ﴿إلى حين﴾ آجالهم العادية الطبيعية. فلاجبرية إذن في تصرفات الناس ولكن في ترتيب آثارها عليها. ٩٩ ـ ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً﴾ ولكنه لم يشأ، فلاينبغي لك أن تطمع في ذلك لأنك لاتقدر على إكراههم وإجبارهم على الإيمان ﴿أفأنت تُكْرِهُ الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ والله لم يشأ ذلك وأنت لاتقدر عليه ولايقبل الإيمان ممن أكره عليه. ١٠٠ ـ ﴿وماكان لنفسٍ أن تؤمن إلا بإذن الله﴾ فله الملك وله طلاقة التصرف لايشاركه في ذلك مشارك إلا أن يأذن لبعض خلقه في بعض التصرفات. فالنفوس تتملك الإيمان بإذن الله ﴿ويجعل الرجس﴾ والريب والضلال ﴿على الذين لايعقلون﴾ بسلب استعداد حصول إذن الإيمان، وهم لايعقلون لأن الله طبع على قلوبهم وحقت عليهم كلمة العذاب. ١٠١ ـ ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض﴾ من مختلف المخلوقات التي يدعو كل واحد منها للإيمان ﴿وماتغني الآيات والنذر عن قومٍ لايؤمنون﴾ فأي تأثير للنذر فيهم وهم مجمعون عازمون على أن لايؤمنوا. ١٠٢ ـ ﴿فهل ينتظرون﴾ ولم تغن الآيات والنذر ﴿إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم﴾ فهم يحبسون أنفسهم لآية العذاب الإلهي التي تفصل بينك وبينهم وقد حقت عليهم كلمة العذاب ﴿قل فانتظروا﴾ مثل هذه الأيام ﴿إني معكم من المنتظرين﴾ يوم العذاب الذي يفصل فيه بيني وبينكم. ١٠٣ ـ ﴿ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا﴾ من العذاب ﴿كذلك حقاً علينا ننج المؤمنين﴾ كما أنجينا مَن قَبلك من الرسل والمؤمنين معهم ووعد الله حق. أو أن في قوله ننج المؤمنين تلويحاً إلى أن النبي ﷺ لايدرك هذا القضاء. ١٠٤ ـ ﴿قل ياأيها الناس إن كنتم في شكٍ من ديني﴾ أي طريقتي التي أسلكها، وشك الانسان في دين إنما يكون في تزلزل ثباته عليه، وهل يستقر وهل يستقيم ﴿فلاأعبد الذين تعبدون من دون الله﴾ فلاأعبد آلهتكم ﴿ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم﴾ فعنده وحده الأمن من العذاب ﴿وأُمرت أن أكون من المؤمنين﴾ لكي أكون من الناجين الذين يجتنبون عبادة الآلهة. ١٠٥ ـ ﴿وأن أقم وجهك للدين حنيفاً﴾ مائلاً عن الشرك، معتدلاً ﴿ولاتكونن من المشركين﴾ الظالمين. ١٠٦ ـ ﴿ولاتدع من دون الله مالاينفعك ولايضرك﴾ من الأصنام والآلهة

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾

التي لايرجى نفعها ولايخشى ضررها، فهي جماد لاإرادة لها ولاقدرة ﴿فإن فعلت﴾ ودعوتها ﴿فإنك إذاً من الظالمين﴾ فالشرك يدخل الإنسان في زمرة الظالمين الذين حقت عليهم كلمة العذاب. ١٠٧ ـ ﴿وإن يمسسك الله بضر﴾ في نفسك ﴿فلاكاشف له إلا هو﴾ فلايرفعه غيره ﴿وإن يُردك بخير فلا رادّ لفضله﴾ فهو القاهر دون غيره ﴿يصيب به من يشاء من عباده﴾ فيغدق عليهم من فيضه ﴿وهو الغفور﴾ لذنوب عباده ﴿الرحيم﴾ بهم وهذا يقتضي تخصيصه بالعبودية والدعوة له. ١٠٨ ـ ﴿قل ياأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم﴾ وهو القرآن الذي يحمل الدعوة الحقة ﴿فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه﴾ ونفع ذلك عائد إليه ﴿ومن ضل فإنما يضل عليها﴾ فضرره على نفسه فلهم أن يختاروا لأنفسهم مايحبونه من نفع أو ضرر ﴿وما أنا عليكم بوكيل﴾ حتى أتصدى لأفعالكم. ١٠٩ ـ ﴿واتبع مايوحى إليك واصبر﴾ على مايصيبك في جنب هذا الاتباع من المصائب والمحن ﴿حتى يحكم الله﴾ بينك وبين القوم ﴿وهو خير الحاكمين﴾ لايحكم إلا بما تقرُّ به عينك فله الحكم وهو خير من حكم ولك العاقبة الحسنى.

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

سورة هود

سُورَةُ هُودٍ — ترتيبها ١١ — آياتها ١٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾

غرض السورة: ذكر معارف الدين، ذكر الأحكام الكلية في العبادات والمعاملات والسياسات والولايات، وصف الخليقة، وصف المبدأ والمعاد، الرابطة بين الإنسان وعمله. ١ ـ ﴿الر﴾ إعجاز للبشر وتحد لهم بحروفهم على ماقيل، وذكر أن هناك علاقة بين هذه الحروف والمعاني التي تحملها السورة ﴿كتابٌ أُحكمت آياته﴾ فربطت ببعضها لتكون وحدة متكاملة على اختلاف مضامينها وتشتت مقاصدها تهدف إلى التوحيد ﴿ثم فصلت﴾ بإيجاد الفصل بين أجزائها المتصلة لتدل على المراد بالأحكام. فالآية في مقام رجوع تفاصيل المعارف والشرائع القرآنية إلى أصل واحد ﴿من لدن حكيم﴾ يتقن ماصنع ﴿خبير﴾ يعلم جزيئات الأمور ومصالحها. ٢ ـ ﴿أن لاتعبدوا إلا الله﴾ دعوة إلى توحيد العبادة بالنهي عن عبادة غير الله من الآلهة المتخذة شركاء لله، مع قصر العبادة عليه تعالى ﴿إنني لكم منه نذيرٌ وبشيرٌ﴾ فالنذر والبشرى ترجع إلى التوحيد. ٣ ـ ﴿وأن استغفروا ربكم﴾ الله الواحد ﴿ثم توبوا إليه﴾ بالرجوع إليه بالأعمال الصالحة. وبذلك يتم سلوك الطريق الموصل إلى القرب منه زلفى ﴿يمتعكم متاعاً حسناً﴾ ويرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم في الحياة الدنيا بهدايته لكم إلى سبل التنعم بأمن وعزة وشرف فالحياة الحسنة لمجتمع صالح هي أن يشتركوا في التنعم بما تستحسنه الفطرة، وهو الاعتدال في التمتعات المادية في ضوء العلم والعمل بالنسبة للفرد، والانتفاع من نعم الحياة بتخصيص الأفراد بكدهم وسعيهم في المجتمع الملتئم الأجزاء دون تضاد أو تناقض ﴿إلى أجل مسمى﴾ عنده ﴿ويؤت كل ذي فضل﴾ زيادة ﴿فضله﴾ زيادته من غير أن يبطل حقه أو يغصب فضله أو يملكه غيره. أما في المجتمعات غير الدينية ـ وإن كانت مدنية

راقية ـ فالناس ينقسمون إلى طائفة مستكبرة مستعلية قاهرة وأُخرى مستضعفة مستعبدة مقهورة ولايعدل هذا الافراط والتفريط إلا الإسلام دين التوحيد ﴿وإن تولوا﴾ معرضين ﴿فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾ هو يوم القيامة والعذاب هو غشيان الدخان والصيحة ٤ ـ ﴿إلى الله مرجعكم﴾ يوم البعث ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ فلايعجز عن إحيائكم وعذابكم.

٥ ـ ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم﴾ ويطوون أعطافهم ﴿ليستخفوا منه﴾ فهم يطأطئون رؤوسهم ليستتروا ويتخفوا من استماع الكتاب وتلاوته، لئلا يروا فتلزمهم الحجة ﴿ألا حين يستغشون ثيابهم﴾ ويسترون رؤوسهم بثيابهم ﴿يعلم مايسرون ومايعلنون﴾ فهم مكشوفون لله في أخفى أحوالهم فما يغنيهم التخفي عن استماع القرآن والله يعلم سرهم وعلانيتهم ﴿إنه عليمٌ بذات الصدور﴾ وماتخفي الأنفس.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

٦ ـ ﴿ومامن دابةٍ في الأرض﴾ وهي كل ما يدب ويتحرك ﴿إلا على الله رزقها﴾ دلالة على سعة علمه في جميع أحوال كل دابة وعلى وجوب الرزق عليه تعالى ﴿ويعلم مستقرها﴾ الذي لاتخرج منه كالحيتان في الماء ﴿ومستودعها﴾ أي في مكان ستتركه كالطير أو المسافر أو الجنين ﴿كلٌ في كتاب مبين﴾ وكل شيء أحصاه في كتاب مبين، فالرزق لايصيب المرزوق إلا بعلم الرازق.

٧ ـ ﴿وهو الذي خلق السموات﴾ وهي مايعلو أرضنا من خلق سماوي، والسماء الأولى هي التي تزينها مصابيح النجوم ﴿والأرض﴾ وهي كل ما دنا ﴿في ستة أيام﴾ وقد خلق الله السموات السبع في برهتين من الزمان. قال تعالى: ﴿خلق الأرض في يومين﴾ وقال ﴿وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام﴾ قيل وهي الفصول الأربعة. فالسموات والأرض لم تكن عن عدم بحت بل هي مسبوقة الوجود بمادة متشابهة مركومة فجعلت أرضاً في برهتين أي يومين، وقد كانت السماء دخاناً فقضيت سبع سموات في برهتين من الزمان. ويبقى يومان من الستة لغير ذلك ﴿وكان عرشه على الماء﴾ ومنه كل شيء حي، فعرش الملك مظهر ملكه واستقراره على محله وأخذه في تدبيره ﴿ليبلوكم﴾ فمن كان شاكراً مطيعاً أثابه، ومن كفر وعصى عاقبه ﴿أيكم أحسن عملا﴾ لتمييز الجيد من الرديء والحسن من السيّء. وعد العمل الصالح أو الانسان المحسن غاية للخلقة لاينافي غايات أُخرى لها، لأن في الإنسان كمال الصنع وعليه أن يؤدي كمال التكليف لينال كمال الأجر ﴿ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت﴾ يوم القيامة ﴿ليقولن الذين كفروا﴾ عن حقائق المعارف كالبعث بعد الموت ﴿إن هذا إلا سحرٌ مبينٌ﴾ فقد سموا ماللقرآن من كمال الفصاحة وبلاغة النظم سحراً، ثم تعدوا اللفظ ورموا المعنى بالسحر.

٨ ـ ﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب﴾ وهم يستحقونه ﴿إلى أمةٍ معدودةٍ﴾ أي وقت معلوم أو إلى أمة صالحة لاتؤثر على دينه ﷺ ﴿ليقولن﴾ مستهزئين ﴿مايحبسه﴾ أي ماذا يوقف العذاب، ولماذا لايحل بنا، لأنه لو كان حقاً لم يكن لحبسه سبب، لأننا كافرون غير عادلين عن الكفر، فتأخر نزوله مع الموجب لتعجيله كاشف على كونه من قبيل الوعد الكاذب ﴿ألا يوم يأتيهم﴾ ماوعدوا من العذاب ﴿ليس مصروفاً عنهم﴾ فهو نازل بهم لامحالة ماله من دافع ﴿وحاق بهم ماكانوا به يستهزئون﴾ فعذاب الدنيا سيحيق بهم وقد استهزأوا به.

٩ ـ ﴿ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة﴾ ليدرك طعمها ثم يزول أثرها ﴿ثم نزعناها منه﴾ وذهب أثرها ﴿إنه ليؤوسٌ﴾ يقطع بأن مايتوقع لايكون ﴿كفورٌ﴾ يستر النعمة. فهو لايرى عودة النعمة إليه ثانياً أمراً ممكناً، ويرى الله غير مالك لتلك النعمة فهو كفور بها.

١٠ ـ ﴿ولئن أذقناه نعماء﴾ أي إنعاماً يظهر أثره على صاحبه ﴿بعد ضراء مسته﴾ مضرة تظهر حاله ﴿ليقولن ذهب السيئات عني﴾ وارتفعت المصائب والبلايا ولن تعود ولن تنزل ﴿إنه لفرحٌ﴾ يسر وينفتح قلبه بما يلتذ به ﴿فخورٌ﴾ يتطاول بتعديد المناقب وفيها التكبر على من لايجوز أن يتكبر عليه. ولو كان يرى أن ماعنده من النعماء جائز الزوال، وأمره ليس إليه بل إلى غيره لم يكن فرحاً، إذ لافرح في أمر مستعار غير ذي قرار ولافخر إلا بكرامة أو منقبة يملك زمامها بيده فافهم.

١١ ـ ﴿إلا الذين صبروا﴾ ولم ييأسوا عند الشدة والبلاء ولم يفرحوا ويفخروا عند الرخاء والنعماء لأنهم يرون أن مايحلّ بهم من سراء أو ضراء بيده تعالى ﴿وعملوا الصالحات﴾ بالثناء عليه على كشف الضراء وجلب النعماء ﴿أولئك لهم مغفرةٌ﴾ بإمحاء آثار اليأس والفرح، وهما من كلالة البصر، وبوضع الخصال المحمودة موضعهما ـ أما المشركون فلاتنالهم المغفرة ـ ﴿وأجر كبير﴾ جزاء إيمانهم وعملهم الصالح وصبرهم.

١٢ ـ ﴿فلعلك تاركٌ بعض مايوحى إليك وضائق به صدرك﴾ ولايثنينك ذلك عن دعائهم لأن هذه سنة المكذبين مع أنبيائهم فهم يكفرون بالحق بعد وضوحه بالحجج والبينات مع أن هذا مما لايسع ذي عقل إنكاره. فإن كنت تركت بعض الوحي مخافة ﴿أن يقولوا﴾ وهم يقترحون عليك الآيات ﴿لولا أنزل عليه كنزٌ أو جاء معه ملكٌ﴾ ليشهد على الرسالة؛ فلاتأبه لتكذيبهم وأقوالهم ﴿إنما أنت نذيرٌ﴾ ليس لك إلا الرسالة وتبليغها، وليس بيدك أن تجيبهم إلى ماقترحوه إلا أن يشاء الله ﴿والله على كل شيءٍ وكيلٌ﴾ فإن جرت الأمور على العادة أو كانت خارقة لها، فأمرها إلى الله فهو المدبر لشؤون عباده وهو الذي يسلم إليه الأمر وينفذ منه الحكم لأنه الموجد للأشياء وفاطرها والقائم بها.

١٣ ـ ﴿أم﴾ بمعنى بل ﴿يقولون افتراه﴾ لأن من المستبعد أن يسمعوا القرآن ثم لايؤمنوا به ﴿قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾ وقوله مفتريات تصعيد للتحدي ﴿وادعوا من استطعتم﴾ من أوثانكم التي تزعمون أنها آلهة ﴿من دون الله﴾ حتى تتم لكم كافة الأسباب، فلو كان من عندي جاز أن تأتوا حينئذ بمثله ﴿إن كنتم صادقين﴾ وهذا تحد بالقرآن الكريم من حيث كمال نظمه وبلاغته، وسائر معارفه وحججه ومواعظه وأخلاقه، وإخباره بالغيب، وقوله عشر سور دلالة على إعجاز القرآن بربط الآيات بغرض واحد. ١٤ ـ ﴿فإن لم يستجيبوا لكم﴾ فإن لم يستجب لكم معاشر المشركين هؤلاء الذين دعوتموهم من دون الله من آلهتكم، ومن بلغاء أهل لسانكم وعلماء أهل الكتاب والكهنة المستمدين من إلقاء شياطين الجن وجهابذة العلم والفهم، ولم تقدروا على المعارضة ﴿فاعلموا أنما أنزل﴾ القرآن ﴿بعلم الله﴾ وهو علم الغيب المختص به تعالى ﴿وأن لاإله إلا هو﴾ فليس الإله إلا من يجيب المضطر إذا دعاه، فإذا أخبر القرآن النازل من عند الله أنه ليس مع الله إله آخر فاعلموا أنه لاإله إلا الله ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ لما وقع عليه علمكم من توحيد الله سبحانه وكون القرآن نازلاً بعلمه. ١٥ ـ ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها﴾ تفضيلاً لها على الحق ونسياناً للآخرة ويأساً من نعيمها ﴿نوف إليهم أعمالهم فيها﴾ فنوصل إليهم كمال حقهم ﴿وهم فيها لايبخسون﴾ ولاتنقص أجورهم فأعمالهم توفى إليهم حسب نظام الأسباب والمسببات لابحسب مايقصده الفاعل بفعله ويرجوه بمسعاه. أما الغايات الأخروية فلاخبر عنها لأنها لم تقصد حتى تقع، فمجرد صلاحية العمل لأن يقع في طريق الآخرة لايوجب الثواب مالم يقصد به وجه الله. ١٦ ـ ﴿أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار﴾ التي تأكل أعمالهم ﴿وحبط ماصنعوا فيها﴾ بطل ماأسلفوا من الأعمال في الدنيا وهي دار البوار والهلاك ﴿وباطل ماكانوا يعملون﴾ ولاأثر لأعمالهم. ١٧ ـ ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ وهي البصيرة الإلهية التي أوتيها النبي ﷺ ﴿ويتلوه﴾ أي يليه ﴿شاهدٌ منه﴾ وهو بعض من أيقن بحقيقة القرآن وكان على بصيرة، فآمن عن بصيرة وشهد أنه حق، وهذا مايدفع عنه مرية الاستيحاش وريبة التفرد. وقد لحق بالرسول ﷺ من هو من نفسه فشهد على صحة أمره واستقامته وهو علي بن أبي طالب (ع) بحسب انطباق المورد. وقد وردت بذلك عدة روايات من طرق الشيعة وأهل السنة ﴿ومن قبله كتاب موسى﴾ فما عنده ﷺ من القرآن ليس بدعاً من الأمر، بل هناك طريق مسلوك من قبل يهدي به كتاب موسى ﴿إماماً﴾ يؤتم به بما يشتمل عليه من معارف حقة وشريعة إلهية ﴿ورحمةً﴾ يتنعم بها ﴿أولئك﴾ الذين كانوا على بينة من ربهم ﴿يؤمنون به﴾ أي بالقرآن ﴿ومن يكفر به من الأحزاب﴾ ممن عاند البينة ﴿فالنار موعده﴾ لكفره ﴿فلاتك في مريةٍ منه﴾ وشك به ﴿إنه الحق من ربك﴾ وأنت على بينة من ذلك ﴿ولكن أكثر الناس لايؤمنون﴾ بالحق، والحق من عند الله. ١٨ ـ ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ وحاشاك أن تكون مفترياً يامحمد لأنك على بينة من ربك ولست بظالم، والافتراء من أظهر الظلم ويعظم الظلم بعظم متعلقه حتى إذا انتهى إلى ساحة الكبرياء كان من أعظم الظلم

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ۚ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾

﴿أولئك يُعرضون على ربهم﴾ ويبرزون لله الواحد القهار لفصل القضاء ﴿ويقول الأشهاد﴾ في موقف لايقال فيه إلا الحق ﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم﴾ بانتحالهم غير دين الله، وأخذهم العقائد الباطلة في المبدأ والمعاد كالماديين والدهريين وغيرهم من الملحدين والجاحدين، واستنانهم بغير سنة الله في حياتهم الدنيوية ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾ طرد لهم ومنع من الرحمة والعطاء الإلهي ولهم العذاب الأليم. ١٩ ـ ﴿الذين يصدون عن سبيل الله﴾ فيمنعون دين الفطرة وأحكام الله وتشريعاته ﴿ويبغونها عوجاً﴾ فهم يشرعون مايلائم نزواتهم وأهوائهم من القوانين الوضعية، فعملهم عمل بسنة محرفة فهم محرفون منحرفون سواء اعترفوا بخالق أم لا ﴿وهم بالآخرة﴾ ولقاء ربهم ﴿هم كافرون﴾ فهم ظالمون مفترون على الله الكذب، فالدين في عرف القرآن هو النظام وسنة الحكم الدائرة في المجتمع، وهو إما دين حق فطري وهو الإسلام، أو دين محرف وسبيل عوج فافهم. ٢٠ ـ ﴿أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض﴾ في حياتهم الأرضية حيث خرجوا عن زي العبودية إذ لم يكن ذلك لأن قدرتهم المستعارة فاقت قدرة الله سبحانه ولاغلبت قوتهم قوته والله هو الولي المدبر، بل لأن الله يمتحنهم فيما آتاهم ﴿وماكان لهم من دون الله من أولياء﴾ ينصرونهم ﴿يضاعف لهم العذاب﴾ لأنهم فسقوا وداوموا على الفسق، أو لأنهم عصوا الله بأنفسهم وحملوا غيرهم على معصيته ﴿وماكانوا يستطيعون السمع﴾ لما يأتيهم من بشير ونذير ﴿وماكانوا يبصرون﴾ آيات الله وقد كذبوا بها. ٢١ ـ ﴿أولئك الذين خسروا أنفسهم﴾ والإنسان بالحقيقة لايملك إلا نفسه ـ بتمليك من الله ـ فإذا اشترى لنفسه مايهلكها فقد خسرها بالكفر والمعصية، وهي أفدح خسارة ﴿وضل عنهم ماكانوا يفترون﴾ لأنه كذب وافتراء ليس له صحة من واقع فأوهامهم ومزاعمهم التي زينتها هوساتهم الدينية تمحي ويضل مالاح واستقر فيها من الكذب. ٢٢ ـ ﴿لاجرم﴾ لابد ولامحالة ﴿أنهم في الآخرة هم الأخسرون﴾ لأنهم خسروا أنفسهم في الآخرة بإهلاكها وإضاعتها بالكفر، وقد خسروا سعادة الحياة الدنيا التي يمهدها الدين الحق، ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً. ٢٣ ـ ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم﴾ وهم لايستكبرون عن عبادته وقد لانت قلوبهم وخشعت له واطمأنت إليه بحيث لايتزلزل مافي قلوبهم من الإيمان فلا يزيغون. وهم طائفة خاصة من المؤمنين من أهل البصيرة ﴿أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ لقاء عقيدتهم وعملهم الصالح وإخباتهم. ٢٤ ـ ﴿مثل الفريقين﴾ من ظالمين ومؤمنين ﴿كالأعمى والأصم﴾ لايرى الحق بنفسه ولايتلقاه من غيره بالسمع، فهو ضال ﴿والبصير والسميع﴾ وهو مهتد ﴿هل يستويان مثلاً أفلا تذكرون﴾ مثال محسوس ليتذكر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. ٢٥ ـ ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ ليبلغهم رسالة ربه فقال لهم ﴿إني لكم نذيرٌ مبينٌ﴾ أنذركم بعذاب من الله وليس لي من الأمر إلا أني رسول ٢٦ ـ ﴿ألا تعبدوا إلا الله﴾ وهذا قوام الرسالة وقوام الإنذار ﴿إني أخاف عليكم عذاب يومٍ أليمٍ﴾ هو عذاب الاستئصال. ٢٧ ـ ﴿فقال الملأ الذين كفروا﴾ وهم

أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۖ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ ۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾

الأشراف والكبراء الذين يملأون أعين الناس: ﴿مانراك إلا بشراً مثلنا﴾ فلاموجب لاتباعك، وهذا الإنكار دون تفكير بما هو أصلح، ﴿ومانراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا﴾ وهم المرغوب عنهم لرداءتهم وخستهم ﴿بادي الرأي﴾ ذوي رأي ظاهر غير متروٍّ ﴿ومانرى لكم علينا من فضلٍ﴾ إذ ليس لكم متاع دنيوي مما يتنعم به، ولاأمر غيبي كعلم الغيب ولاتأييد بقوة ملكوتية ﴿بل نظنكم كاذبين﴾ وهذا إضراب في الاحتجاج بتعليق الكذب الخبري. وهذه تهمة على طريقة الطبقة المترفة في المجتمعات، وهي طبقة أكابر مجرميها، التي تقول بل نظنكم لأن اليقين في القول والعقيدة من طبيعة الجماهير المندفعة ـ بادي الرأي ـ بزعمهم، وهذا مايترفع عنه المترفون المتحفظون. ٢٨ ـ ﴿قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بينةٍ من ربي﴾ وقد قلتم أني بشر مثلكم، فالرسالة نوع من الاتصال بالغيب الخارق للعادة لاتثبت إلا بغيب خارق للعادة وأنا أحمل معجزة تثبت رسالتي ﴿وآتاني رحمةً من عنده﴾ من الكتاب والعلم ﴿فعُمِّيَت عليكم﴾ هذه الرحمة لجهلكم وكراهتكم للحق ﴿أنُلزِمُكُمُوهَا﴾ بالإجبار ﴿وأنتم لها كارهون﴾ فأنتم لاتؤمنون استكباراً وطغياناً ولاإكراه في دين الله ولاإجبار. ٢٩ ـ ﴿وياقوم لاأسألكم عليه مالاً﴾ ولامطمع لي في ذلك ﴿إن أجري إلا على الله﴾ ولست كاذباً كما اتهمتموني ﴿ومانا بطارد الذين آمنوا﴾ ممن وصفتم بأنهم أراذلكم ﴿إنهم ملاقوا ربهم﴾ فإيمانهم تعظيم لأمرهم وقد ارتبطوا بربهم وسيرجعون إليه فيحاسبهم على أعمالهم وليس لهم من الأمر شيء ﴿ولكني أراكم قوماً تجهلون﴾ ولجهالتكم تتوقعون طرد الفقراء والمساكين من مجتمع الخير ٣٠ ـ ﴿وياقوم من ينصرني من الله﴾ يمنعني وينجيني منه ﴿إن طردتهم﴾ كما تطلبون ﴿أفلا تذكرون﴾ أنه ظلم والله ينتصر للمظلوم من الظالم ولايساوي بينهما. ٣١ ـ ﴿ولاأقول لكم عندي خزائن الله﴾ رد عليهم بأن على الرسول أن يملك خزائن الرحمة فلست أدعي شيئاً من الفضل ﴿ولاأعلم الغيب﴾ ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسني السوء، فمن اطلع على الغيب جلب الخير لنفسه ودفع عنها كل شر ﴿ولاأقول إني ملكٌ﴾ منزه عن لوث الطبيعة ونقائص البشرية التي تحتاج إلى الأكل والشرب وخلاف ذلك، وليست هذه جهات الفضل التي تزعمون أن الرسول يجب أن يؤتاها ﴿ولا أقول للذين تزدري أعينكم﴾ فتستقلهم وتستهين بهم ﴿لن يؤتيهم الله خيراً﴾ لاعتقادكم أن الضعيف إنسان منحط أو حيوان في صورة إنسان مسخر ليستفيد الشريف من عمله ﴿الله أعلم بما في أنفسهم﴾ فالملاك في إحراز الخير والكرامة هو أمر النفوس وخبايا القلوب ولايعلمها إلا الله وليس لي ولالكم أن نحكم بحرمانهم الخير والسعادة ﴿إني إذاً لمن الظالمين﴾ فتحريم الخير جزافاً على من يمكن أن يستحقه من غير دليل ظلم يدخل من يفعله في زمرة الظالمين. ٣٢ ـ ﴿قالوا﴾ بعد أن لزمتهم الحجة ﴿يانوح﴾ وقد قطعت جميع معاذيرهم ﴿قد جادلتنا فأكثرت جدالنا﴾ حتى سئمنا ومللنا، ومانحن لك بمؤمنين ﴿فأتنا بما تعدنا﴾ من العذاب ﴿إن كنت من الصادقين﴾ فاعمل عمل من يأس من السمع والطاعة. ٣٣ ـ ﴿قال إنما يأتيكم به الله﴾ فليس ذلك لي فهو ربكم وإليه مرجعكم ﴿إن شاء﴾ أن يأتيكم به ﴿ومأأنتم

وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾

بمعجزين﴾ تنزيه له تعالى وهو القادر على عذابكم مع أنكم لاتعبئون بالتهديد والإنذار. ٣٤ ـ ﴿ولاينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم﴾ فما أنتم بمعجزين له إن أراد عذابكم، ولاينفعكم نصحي إن أراد الله إغواءكم جزاء لكم على معصيتكم ﴿هو ربكم﴾ إليه تدبير أمر العباد ﴿وإليه ترجعون﴾ فتحاسبون. ٣٥ ـ ﴿أم يقولون افتراه﴾ فأنا لم أذكر لكم إلا مابثه الرسول في قومه ﴿قل إن افتريته فعلي إجرامي﴾ ومعصيتي ﴿وأنا بريءٌ مما تجرمون﴾ وقد رفضتم الحجج العقلية القاطعة التي لاتقبل الكذب، وهي تثبت لهؤلاء الكفار إجراماً مستمراً في رفض مايهديهم إليه من الإيمان. ٣٦ ـ ﴿وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾ إيئاس له وإقناط ﴿فلاتبتئس بما كانوا يفعلون﴾ فلاتذهب نفسك عليهم حسرات، ولاتتعب نفسك في دعوتهم للسمع والطاعة بعد إتمام الحجة. ٣٧ ـ ﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾ كناية عن المراقبة بشدة ﴿ووحينا﴾ هداية عملية لتسديد صنع الفلك مؤيدة بروح القدس ﴿ولاتخاطبني في الذين ظلموا﴾ لاتسألني في أمرهم شيئاً تدفع به الشر والعذاب عنهم، فلاشفاعة لهم ﴿إنهم مُغرقون﴾ فالقضاء فصل والحكم حتم. ٣٨ ـ ﴿ويصنع الفلك﴾ وهم يستهزئون به ﴿وكلما مر عليه ملأ﴾ جماعة ممن يعبأ بأمرهم ﴿من قومه﴾ ورأوه ﴿سخروا منه﴾ وهزئوا ﴿قال﴾ نوح (ع) ﴿إن تسخروا منا﴾ وترمونا بالخبل والجنون ﴿فإنا نسخر منكم﴾ أنا ومن معي من المؤمنين ﴿كما تسخرون﴾ مقابلة بالمثل ٣٩ ـ ﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذابٌ يخزيه﴾ نحن أو أنتم؟ وهو عذاب الاستئصال في الدنيا وهو الغرق ﴿ويحل عليه عذابٌ مقيمٌ﴾ ثابت لازم لايفارق هو عذاب جهنم. ٤٠ ـ ﴿حتى إذا جاء أمرنا﴾ وتعلق الأمر الربوبي بهم ﴿وفار التنور﴾ فنبع الماء ومنه ارتفع وذلك من بيت امرأة عجوز على ماتقول الروايات، أو اشتد غضب الرب ﴿قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين﴾ الذكر والأنثى ﴿وأهلك﴾ من زوج وولد وأزواجهم وأولادهم ﴿إلا من سبق عليه القول﴾ وتقدم عليه عهدنا أنه هالك، وهما زوجته الكافرة وابنه ﴿ومن آمن﴾ احملهم معك ﴿ومآمن معه إلا قليل﴾ من قومه. ٤١ ـ ﴿وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها﴾ لجلب الخير والبركة لجري السفينة وإرسائها. فتعليق الفعل على اسم الله صيانة له من الهلاك والفساد والخسران. فجريان السفينة ورسوها سببان ظاهران لنجاتها من الغرق، وإنما ينجح هذان السببان لو شملت العناية الإلهية من ركبها ﴿إن ربي لغفورٌ﴾ لخطايا ركابها ﴿رحيمٌ﴾ ينجيهم من الغرق. ونوح أول إنسان حكى الله عنه التسمية باسمه وهو أول من أقام الحجة على التوحيد، وأول من جاء بكتاب وشريعة وأول من نهض لتعديل الطبقات ورفع التناقض عن المجتمع الإنساني. ٤٢ ـ ﴿وهي تجري بهم في موج كالجبال﴾ وهي القطع العظيمة من الماء ﴿ونادى نوح ابنه وكان في معزل﴾ عن أبيه ومن معه ﴿يابني﴾ تصغيراً وإشفاقاً ﴿اركب معنا ولاتكن مع الكافرين﴾ فتشاركهم في البلاء كما شاركتهم في الصحبة وعدم ركوب السفينة. ولم يقل من الكافرين لأنه لم يكن يعلم نفاقه، ولذلك دعاه إلى الركوب. ٤٣ ـ ﴿قال سآوي إلى جبل﴾ أجد فيه المأوى

وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۖ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾

﴿يعصمني﴾ ويقيني ﴿من الماء﴾ فلا أغرق ﴿قال لاعاصم اليوم من أمر الله﴾ فلامنقذ منه وقد قضى بالغرق على أهل الأرض ﴿إلا من رحم﴾ ممن التجأ منهم إلى الله، فلاعاصم لاجبل ولاغيره ﴿وحال بينهما الموج فكان﴾ ابنه ﴿من المغرقين﴾ الهالكين. ٤٤ ـ ﴿وقيل﴾ نداء من ساحة العظمة والكبرياء بكلمة كن ﴿ياأرض ابلعي ماءك﴾ ادخليه في جوفك ﴿وياسماء أقلعي﴾ أمسكي ﴿وغيض الماء﴾ فنقص وجف عن ظاهر الأرض وتجمع مايجتمع منه في الغدران والبحار والبحيرات ﴿وقضي الأمر﴾ وقد أنجز لنوح ماوعد من عذاب القوم وإنفاذ الأمر الإلهي بتطهير الأرض منهم ﴿واستوت﴾ السفينة ﴿على﴾ جبل ﴿الجودي﴾ وهو الأرض الصلبة، أو هو جبل بأرض الموصل في سلسلة تنتهي إلى أرمينية وهي المسماة آرارات ﴿وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾ وهم المقضي عليهم بالعذاب. ٤٥ ـ ﴿ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي﴾ وهو يظنه مؤمناً ﴿وإن وعدك الحق﴾ وقد وعدت بإنجاء المؤمنين، ولاحكم إلا لك ﴿وأنت أحكم الحاكمين﴾ أي أعلم الحكام وأعدلهم، لأن لافضل لحاكم على غيره إلا بالعلم والعدل. ورُبَّ غريق في الجهل والجَور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لُقب أقضى القضاة ومعناه أحكم الحاكمين فاعتبر. ٤٦ ـ ﴿قال يانوح إنه ليس من أهلك﴾ الموعودين بالنجاة فأهلك أهل العقيدة والميزان ميزان الدين لاميزان الدم، وهذا رد على قول نوح أن ابنه من أهله ﴿إنه عمل غير صالح﴾ فمقياس الإنسان هو عمله لاذاتيته فالذاتية مهدورة في القيم فهو ليس من أهلك الموعودين بالنجاة ﴿فلاتسألن ماليس لك به علم﴾ مبادرة بالنهي عن سؤال نوح ربه أن ينجي ابنه ﴿إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ فأنصحك أن لاتكون بسؤالك هذا من الجاهلين الذين استقرت فيهم صفة الجهل بعد تكرارها، لأن الأهلية هي صلة العقيدة، فإذا انقطعت هذه العروة فلارابطة ولاوشيجة. ٤٧ ـ ﴿قال رب إني أعوذ بك﴾ وألتجيء إليك ﴿أن أسألك ماليس لي به علم﴾ وهو من الجهل ﴿وإلا تغفر لي﴾ وترجع علي بالمغفرة بعد رجوعي إليك بالتوبة بأن تستر زلتي ﴿وترحمني﴾ فتحيط بي عنايتك ﴿أكن من الخاسرين﴾ ثناء وشكر لصنعه الجميل بالمغفرة والرحمة. ٤٨ ـ ﴿قيل يانوح اهبط بسلام منا﴾ وأمن من العذاب ﴿وبركات عليك﴾ ونعم تسوق الإنسان إلى الخير والسعادة والعاقبة المحمودة ﴿وعلى أمم ممن معك﴾ خطاب للبشر إلى يوم القيامة ممن آمن مع بشرى الخير والسعادة لمن تعلقتا به من الأمم الصالحة من أصحاب السفينة ومن سيظهر من نسلهم من الصالحين ﴿وأمم سنمتعهم﴾ في الحياة الدنيا ﴿ثم يمسهم منا عذاب أليم﴾ فسيعذبون طرداً لهم من موقف الكرامة وينالون أليم العذاب في الآخرة. ٤٩ ـ ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك﴾ يامحمد ﴿ماكنت تعلمها أنت ولاقومك من قبل﴾ فهي على صحتها مجهولةلك ولقومك، والذي عند أهل الكتاب محرف مقلوب ﴿فاصبر﴾ وقد علمت ماآل إليه أمر نوح وقومه، وقد صبر مع المؤمنين الذين معه ﴿إن العاقبة للمتقين﴾ وقد أورثهم الله الأرض بما صبروا. ٥٠ ـ ﴿وإلى عاد﴾ أرسلنا ﴿أخاهم هوداً﴾ وهو أخاهم لانتسابه وإياهم إلى أب القبيلة ﴿قال ياقوم اعبدوا الله﴾ ولاتعبدوا غيره من آلهة

قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِى ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾

اتخذتموها أرباباً من دون الله لتكون لكم شفعاء عند الله ﴿مالكم من إله غيره﴾ فالعبادة له حصراً ﴿إن أنتم إلا مفترون﴾ بدعوى الشركة والشفاعة. ٥١ ـ ﴿ياقوم لاأسألكم عليه أجراً﴾ حتى تتهموني أني أستدر نفعاً لنفسي وإن أضر بكم ﴿إن أجري إلا على الذي فطرني﴾ ولست أدعوكم من غير جزاء مطلوب بل أطلب جزائي من الذي أبدعني وأوجدني ﴿أفلا تعقلون﴾ ماأقول حتى يتضح لكم أني ناصح لكم في دعوتي ومانريد إلا أن أحملكم على الحق. ٥٢ ـ ﴿وياقوم استغفروا ربكم﴾ واطلبوا منه ستر ذنوبكم ﴿ثم توبوا إليه﴾ ارجعوا إليه بالتوبة ﴿يرسل السماء﴾ بمعنى السحاب ﴿عليكم مدراراً﴾ تدر مطراً متتابعاً تنبت الخير ﴿ويزدكم قوة﴾ في الإيمان ﴿إلى قوتكم﴾ في الأبدان ﴿ولاتتولوا﴾ عن التوحيد فتكونوا ﴿مجرمين﴾ باتخاذ الآلهة من دونه. وفي الآية دليل على أنهم كانوا مبتلين بإمساك السماء، هذا أولاً، وثانياً على أن هناك ارتباطاً تاماً بين الأعمال الانسانية والحوادث الكونية، فالأعمال الصالحة توجب فيضان الخيرات ونزول البركات، والأعمال الطالحة تستدعي البلايا والمحن.

٥٣ ـ ﴿قالوا ياهود ما جئتنا ببينة﴾ فدعوتك خالية عن الحجة والمعجزة ﴿ومانحن بتاركي آلهتنا﴾ عن قولك الذي تدعونا فيه إلى رفض الشركاء ﴿ومانحن لك بمؤمنين﴾ إيناس وقطع للأمل. ٥٤ ـ ﴿إن نقول﴾ رأينا بك ﴿إلا اعتراك﴾ اعترضك وأصابك ﴿بعض آلهتنا بسوء﴾ كالخبل والجنون لشتمك إياها، فلايعبأ بدعوتك ﴿قال﴾ هود ﴿إني أشهد الله﴾ على براءتي من الشرك ﴿واشهدوا﴾ واعلموا ﴿أني بريء مما تشركون﴾ باتخاذ الآلهة ٥٥ ـ ﴿من دونه﴾ سبحانه ﴿فكيدوني جميعاً﴾ أنتم وآلهتكم، وأنا أتحداكم وأتحدى آلهتكم إذ لو كانت ذات علم وقدرة لانتقمت ﴿ثم لاتنظرون﴾ فلاتمهلوني. أمر ونهي تعجيزيان، وقد تحدى بقوة عقيدته قوماً غلاظاً شداداً وهو ينسف عقيدتهم ويؤنبهم ويهيج ضراوتهم. ٥٦ ـ ﴿إني توكلت على الله ربي وربكم﴾ فتحديتكم بالتعجيز ـ والتعجيز يكون إما بإظهار عجز الخصم أو قوة الأمر ـ ﴿مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها﴾ فالله هو المالك ذو السلطان علي وعليكم وعلى كل دابة، وسيجري سنته العادلة بنصر دينه وحفظي من شركم ﴿إن ربي على صراط مستقيم﴾ فأمري إليه. ٥٧ ـ ﴿فإن تولوا﴾ معرضين قل: ﴿فقد أبلغتكم ماأرسلت به إليكم﴾ وتمت عليكم الحجة ولزمتكم البلية ﴿ويستخلف ربي قوماً غيركم﴾ بجعلهم خلفاء في الأرض مكانكم فاذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ﴿ولاتضرونه شيئاً﴾ فلافوت لكم إن أراد إهلاككم أو تعذيبكم ﴿إن ربي على كل شيء حفيظ﴾ لايعزب عن علمه شيء ولايفوت من قدرته كائن. ٥٨ ـ ﴿ولما جاء أمرنا﴾ وصدر الأمر الإلهي بنزول العذاب الذي يستتبع القضاء الفاصل بين الرسول وقومه ﴿نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا﴾ تستوجب نصرهم وإنجاءهم من الاستئصال ﴿ونجيناهم من عذاب غليظ﴾ شمل الكفار من قومهم. ٥٩ ـ ﴿وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم﴾ وهي الحكم والمواعظ والمعجزات التي أبانت لهم طريق الرشد ﴿وعصوا رسله﴾ هود ومن قبله، فعصيان الواحد عصيان للجميع ﴿واتبعوا أمر كل جبار﴾ يقهر الناس بإرادته ويتسلط عليهم ويكرههم على ماأراد

إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَىٰكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا ۖ أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ۖ وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾

﴿عنيد﴾ لايقبل الحق. ٦٠ ـ ﴿وأتبعوافي هذه الدنيا لعنة﴾ إبعاداً من الرحمة وعذاباً لحق بهم، أو آثاماً وسيئات تكتب عليهم مادامت الدنيا لأنهم سنوا سنة الإشراك والكفر لمن بعدهم ﴿ويوم القيامة﴾ عليهم اللعنة بالعذاب ﴿ألا إن عاداً كفروا ربهم ألا بعداً لعاد قوم هود﴾ لكفرهم وجحودهم. ٦١ ـ ﴿وإلى ثمود﴾ أرسلنا ﴿أخاهم صالحاً﴾ فهو وإياهم ينتمون إلى رأس قبيلة واحد ﴿قال ياقوم اعبدوا الله﴾ دعوة لعبادته وتوحيده ﴿مالكم من إله غيره﴾ فاحصروا عبادتكم به ﴿هو أنشأكم﴾ وأوجدكم ﴿من الأرض﴾ وفطركم على التصرف فيها ﴿واستعمركم فيها﴾ بحيث تنتفعون من فوائدها ﴿فاستغفروه﴾ بسؤاله أن يغفر لكم معصيتكم بعبادة غيره ﴿ثم توبوا إليه﴾ ارجعوا إليه بالإيمان به وعبادته ﴿إن ربي قريب﴾ لاكما تزعمون أنه لايدركه فهم، ولايناله عبادة وقربان وهو ﴿مجيب﴾ دعاءكم لقربه. ٦٢ ـ ﴿قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا﴾ ونحن نرتجي من أفعالك الخير والنفع لتحمل الأمة إلى كل كمال ورشد، قبل أن يظهر منك ماأبدعت من القول وأقمت من الدعوة ﴿أتنهانا أن نعبد مايعبد آباؤنا﴾ استفهام إستنكاري يداعي الذم واللوم فأنت تبطل سنة الآباء وتمحو مظاهر القومية وهي سنة مقدسة ﴿وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب﴾ يدعو إلى التهمة وسوء الظن، فأنت لم تأت بحجة تورث اليقين. ٦٣ ـ ﴿قال ياقوم أرأيتم﴾ اعلموا ﴿إن كنت على بينة﴾ ظاهرة الدلالة أو معجزة ﴿من ربي وآتاني منه رحمة﴾ بنبوتي ﴿فمن ينصرني من الله﴾ وينجيني ﴿إن عصيته﴾ وأطعتكم فيما تسألون ووافقتكم على ترك الدعوة، وقد أيدني الله بآية وأعطاني الرسالة وأمرني بالتبليغ ﴿فماتزيدونني﴾ إذا وافقتكم وخالفت الله، بالدعوة إلى سنتكم القومية، ﴿غير تخسير﴾ فما مخالفة الحق إلا خسران مبين. ٦٤ ـ ﴿وياقوم هذه ناقة الله لكم آية﴾ معجزة لإثبات النبوة وقد أخرجت عن مسألتكم من صخر الجبل بإذن الله ﴿فذروها تأكل في أرض الله﴾ محررة ﴿ولا تمسوها بسوء﴾ احذروا أن تصيبوها بضرب أو جرح أو قتل ﴿فيأخذكم عذاب قريب﴾ معجل، جزاء ذلك. ٦٥ ـ ﴿فعقروها﴾ ضربوا قوائمها ليقتلوها ﴿فقال﴾ صالح ﴿تمتعوا في داركم﴾ أي مدينتكم ﴿ثلاثة أيام﴾ تنعمون بمتاع الحياة الدنيا ولذائذها وأهواء أنفسكم ﴿ذلك وعد غير مكذوب﴾ فلكم مدة التمتع هذه. ٦٦ ـ ﴿فلما جاء أمرنا﴾ بالعذاب، وحقت الكلمة الإلهية بالفصل بين صالح وقومه ﴿نجينا صالحاً والذين آمنوا معه﴾ من العذاب والهلكة ﴿برحمة منا﴾ تحمل النصر وظهور الكلمة ﴿ومن خزي يومئذ﴾ مما أصاب القوم من العيب الذي تظهر فضيحته ويكره إظهاره ﴿إن ربك هو القوي العزيز﴾ فلايعجزه شيء وقد أخذ بعزته الذين كفروا. ٦٧ ـ ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة﴾ فهلكوا بها ﴿فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾ مكبوبين على وجوههم. ٦٨ ـ ﴿كأن لم يغنوا فيها﴾ كأن لم يقيموا في ديارهم ﴿ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعداً لثمود﴾ فالإبعاد والطرد واللعن والعذاب للكافرين. ٦٩ ـ ﴿ولقد جاءت رسلنا﴾ من الملائكة المرسلين ﴿إبراهيم بالبشرى﴾ بالولد وهو إسحاق على الأغلب، وإلى لوط لإهلاك قومه ﴿قالوا﴾ سلمنا عليك ﴿سلاماً﴾. ﴿قال﴾ إبراهيم ﴿سلام﴾ ورفع السلام أبلغ من نصبه، فرده أحسن من تحيتهم،

قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾

وقد بالغ في إكرامهم ظناً منه أنهم ضيوف. ﴿فما لبث﴾ ومابطأ ﴿أن جاء بعجل حنيذ﴾ يقطر ماءً وسمناً. ٧٠ ـ ﴿فلما رأى أيديهم لاتصل إليه﴾ إذ أنهم ماكانوا يمدون أيديهم إلى الطعام ﴿نكرهم﴾ لأن الاحجام عن الطعام أمارة العداوة وإضمار الشر ﴿وأوجس منهم خيفة﴾ استشعر خوفاً والخوف تأثر النفس عن مشاهدة المكروه، فيبعثها ذلك على التحرز من هذا المكروه والمبادرة إلى دفعه، وهذا ليس من الرذائل وإنما الرذيلة هي التأثر الذي يستوجب بطلان مقاومة النفس وظهور الفزع وهو الجبن ﴿قالوا﴾ تأميناً ﴿لاتخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط﴾ فعلم ابراهيم (ع) أنهم من الملائكة المنزهين عن لوازم البدن. ٧١ ـ ﴿وامرأته قائمة﴾ هناك ﴿فضحكت﴾ بعد أن علمت أنهم ملائكة ﴿فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ بشارة بالولد وولده، وتخطئة لما في التوراة من كونهما توأمين خرج الثاني وهو يعقوب ويده قابضة بعقب عيسو وهو إسحاق. ٧٢ ـ ﴿قالت ياويلتى﴾ والويل هو القبح وكل مساءة توجب التحسر ﴿أألد وأنا عجوز﴾ شيخة ﴿وهذا بعلي﴾ زوجي ﴿شيخاً﴾ كذلك ﴿إن هذا لشيء عجيب﴾ وهو تولد ولد من عجوز عقيم وشيخ هرم، يعجب منه الناس ويهزأون ويضحكون وذلك فضيحة. ٧٣ ـ ﴿قالوا أتعجبين من أمر الله﴾ فالعجب إنما يكون جهلاً بالسبب واستغراباً للأمر، والله يفعل مايشاء ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾ أنزلها الله عليكم، فلذلك ليس من البعيد مابشرناك به ﴿إنه حميد﴾ مصدر كل حمد ﴿مجيد﴾ يفيض رحمته وبركته على من يشاء من عباده. وقد أورد ابن كثير عنه ﷺ: «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ». ٧٤ ـ ﴿فلما ذهب عن إبراهيم الروع﴾ والخوف الذي اعتراه ﴿وجاءته البشرى﴾ بالولد أخذ ﴿يجادلنا في قوم لوط﴾ إذ أخذ يجادل الملائكة، يريد صرف العذاب عن قوم لوط ٧٥ ـ ﴿إن إبراهيم لحليم﴾ لايعاجل العقوبة والانتقام ﴿أواه﴾ كثير التأوه مما يصيبه أو يشاهده من السوء ﴿منيب﴾ يرجع إلى الله في كل أمر. ٧٦ ـ ﴿ياإبراهيم أعرض عن هذا﴾ قطعت الملائكة بقبولها هذا جداله ﴿إنه قد جاء أمر ربك﴾ فبلغ مبلغاً لايتخلف عنه البتة ﴿وإنهم لآتيهم عذاب غير مردود﴾ ولايدفعه دافع إذ لا معقب لحكم الله. ٧٧ ـ ﴿ولما جاءت رسلنا لوطاً﴾ وهم الملائكة النازلون بإبراهيم ﴿سيء بهم﴾ أي ساء مجيئهم لوطاً، وعجز عن الاحتيال لنجاتهم من شر القوم. إذ أنهم دخلوا عليه في صورة غلمان مرد ﴿وضاق بهم ذرعاً﴾ وقد انسدت طريق الحيلة وصعب الاهتداء إلى مخلص النجاة ﴿وقال هذا يوم عصيب﴾ شد بالبلاء شداً لاينفك ولاينحل. ٧٨ ـ ﴿وجاءه قومه يهرعون إليه﴾ مسرعين ﴿ومن قبل كانوا يعملون السيئات﴾ ويقترفون المعاصي ويأتون بالفاحشة ﴿قال ياقوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم﴾ فتزوجوهن نكاحاً لاسفاحاً ﴿فاتقوا الله﴾ ولاتتعرضوا لضيوفي اتقاء لله ﴿ولاتخزوني في ضيفي﴾ ولاتذلوني بالتعرض لهم بالفاحشة ﴿أليس منكم رجل رشيد﴾ ذو رشد إنساني ينتصر لي وينجبني وضيوفي. ٧٩ ـ ﴿قالوا لقد علمت مالنا في بناتك من حق﴾ فلا حاجة لنا

قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

بهن ﴿وإنك لتعلم مانريد﴾ إشارة خبيثة إلى قصد خبيث وهو السنة القومية الجارية، بعدم التعرض لنساء الناس وخاصة بالقهر والغلبة، أو عدم إتيان النساء واستباحة التعرض للغلمان. ٨٠ ـ ﴿قال لو أن لي بكم قوة﴾ ليت لي قوة بسببكم بانضمام رجل منكم رشيد ينصرني فأدفعكم به ﴿أو آوي إلى ركن شديد﴾ عشيرة منيعة تمنعني منكم. ٨١ ـ ﴿قالوا يالوط إنا رسل ربك﴾ ملائكة مرسلون من عند الله ﴿لن يصلوا﴾ إليك، فأنت تأوي إلى ركن شديد لايتخلى عن أوليائه، ﴿ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم﴾ ﴿فأسر بأهلك﴾ سر بهم ليلاً ﴿بقطع من الليل﴾ جزء منه ﴿ولايلتفت منكم أحد﴾ ولايعدل عن قبله بوجهه ولاينظر وراءه ﴿إلا امرأتك﴾ استثناء من أهلك ﴿إنه مصيبها ماأصابهم﴾ قدرنا إنها لمن الغابرين ﴿إن موعدهم الصبح﴾ لإهلاكهم ﴿أليس الصبح بقريب﴾ فأخذتهم الصيحة مشرقين. ومن الممكن أن يكون قد استعجل عليهم العذاب. ٨٢ ـ ﴿فلما جاء أمرنا﴾ وحقت كلمة العذاب ﴿جعلنا عاليها سافلها﴾ بكلمة كن، فقلبت عليهم الأرض كما قلبوا الفطرة وأركسوا في البهيمية ﴿وأمطرنا عليها حجارة من سجيل﴾ وهو الحجر والطين ﴿منضود﴾ منظوم ومرتب ٨٣ ـ ﴿مسومة﴾ معلمة ﴿عند ربك﴾ وفي علمه وليس لها أن تخطىء هدفها. ومن الممكن أن يكون ذلك بحدوث بركان زلزل أرضهم وأمطر عليهم حجارته. ﴿وماهي من الظالمين ببعيد﴾ فهي ليست بعيدة عن ظالمي أهل مكة والشام، أو أنها نالت الظالمين من قوم لوط. ٨٤ ـ ﴿وإلى مدين﴾ أرسلنا ﴿أخاهم شعيباً﴾ من قومهم ﴿قال ياقوم اعبدوا الله﴾ لاتشركوا به شيئاً ﴿مالكم من إله غيره﴾ فاقصروا عبادتكم عليه ﴿ولاتنقصوا المكيال والميزان﴾ بانقاص المكيل والموزون، وقد شاع فيهم ذلك وأفرطوا فيه ﴿إني أراكم بخير﴾ من سعة الرزق والخصب، فلاحاجة لكم إلى اختلاس اليسير طمعاً وظلماً. أو أنكم مشمولون بالعناية الإلهية بما أتاكم من عقل ورشد فلامسوغ لأن تعبدوا الآلهة من دونه وتشركوا به ... الخ ﴿وإني أخاف عليكم عذاب يوم﴾ هو يوم القيامة أو يوم نزول عذاب الاستئصال ﴿محيط﴾ لامخرج منه ولا مفر ولادافع ولاناصر. ٨٥ ـ ﴿ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط﴾ بإعطاء الحق بتمامه ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ فلاتنقصوها بإنقاص الكيل والميزان وكل ماأنقص حق الناس ﴿ولاتعثوا في الأرض مفسدين﴾ فلاتفسدوا فيها بالقتل أو الجرح أو أي ظلم مادي. فالاجتماع المدني قائم على المبادلة، ومن خانه معامله وأنقص الكيل والميزان يكون قد أفسد تدبيره وأبطل تقديره فيختل بذلك نظام معيشته لأنه يبذل أكثر مما يلزم وينال أقل من ما يستحق فيتخبط خبط عشواء وهذا هو الفساد، وشيوعه يسلب الأمن العام، فيصبح الاجتماع اجتماعاً على المكر ويفسد المجتمع وتفسد الحياة. ٨٦ ـ ﴿بقية الله﴾ وهو الربح الباقي للبائع بعد تمام المعاملة ﴿خير لكم﴾ من المال الذي تقتنونه بنقص الكيل والميزان ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ فالمؤمن ينتفع من المال بالمشروع الذي ساقه الله إليه بالحلال ﴿وماأنا عليكم بحفيظ﴾ فليس في قدرتي جلب خير لكم أو دفع شر، ومابكم من نعمة فمن الله، وإنما أنا رسول علي البلاغ فمن أبصر

فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

فلنفسه ومن عمي فعليها. ٨٧ ـ ﴿قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا﴾ ونحن في حرية فيما نختاره لأنفسنا من دين أو فيما نتصرف به في أموالنا ولست تملكنا حتى تأمرنا، فإن ساءك شيء مما تشاهد منا بما تصلي فلاتتعد نفسك لأنك لاتملك إلا إياها، فصلاتك ملكتك ولست بمالكنا، ولامعنى لأن تأمرك صلاتك بشيء ونحن نمتثل له ﴿أو أن نفعل في أموالنا مانشاء﴾ أو نترك التصرف فيها ﴿إنك لأنت الحليم﴾ الذي لا يعجل في أمر حتى ينجلي له وجه الصواب ﴿الرشيد﴾ الذي لايقدم على أمر فيه غي وضلال، فكيف تطلب منا ذلك. ٨٨ ـ ﴿قال ياقوم أرأيتم﴾ أي أخبروني ﴿إن كنت على بينة من ربي﴾ رسولاً من الله إليكم خصني بالمعارف والشرائع وأيدني بآية ومعجزة ﴿ورزقني رزقاً حسناً﴾ بوحي النبوة، فهل أنا سفيه في رأيي ﴿وماأريد أن أخالفكم إلى ماأنهاكم عنه﴾ فأنا لاأريد أن أميل إلى ماأنهاكم عنه مخالفة لكم، وإنما أنهاكم لحفظ مصالح المجتمع وكوني فرداً من هذا المجتمع يجعلني أطلب مراعاة حفظ الحقوق فيه ﴿إن أريد إلا الإصلاح ماستطعت﴾ والإصلاح إنما يكون بعدم الاسترسال بنيل المشتهيات بحرمان البعض من حقوقهم ليتمتع بها آخرون ﴿وماتوفيقي إلا بالله﴾ فلاقدرة لي على كل شيء، وليس لي ولالأحد أي استقلال أو استطاعة من دون الله سبحانه، فالله هو الذي وفقني لما أقول لكم من إصلاح ﴿عليه توكلت﴾ فله أسلمت كل شيء في تدبير أموري ﴿وإليه أنيب﴾ إليه أرجع. ٨٩ ـ ﴿وياقوم لايجرمنكم﴾ احذروا أن يكسبكم ﴿شقاقي﴾ ومخالفتي ومعاداتي ﴿أن يصيبكم مثل ماأصاب قوم نوح﴾ من الغرق ﴿أو قوم هود﴾ من الريح العقيم ﴿أو قوم صالح﴾ من الصيحة والرجفة ﴿وماقوم لوط منكم ببعيد﴾ فلاكثير فصل بين زمانهم وزمانكم، وهي أقل من ثلاثة قرون ٩٠ ـ ﴿واستغفروا ربكم﴾ من ذنوبكم ﴿ثم توبوا إليه﴾ وارجعوا إليه بالإيمان به وبرسوله ﴿إن ربي رحيم﴾ يرحم المستغفرين والتائبين ﴿ودود﴾ يحبهم، والود هو الحب الذي تظهر آثاره على من أحب. ٩١ ـ ﴿قالوا ياشعيب﴾ ـ وقد لزمتهم الحجة ـ ﴿مانفقه كثيراً مما تقول﴾ والفقه أبلغ من الفهم وأقوى، ونحن لانفهم كلامك ـ فلذلك قطعوه دون حجة ـ ﴿وإنا لنراك فينا ضعيفاً﴾ ولست قوياً حتى تضطرنا قوتك على الاجتهاد في فهم كلامك ﴿ولولا رهطك﴾ وهذا النفر الذي هو عشيرتك ﴿لرجمناك﴾ قتلناك ويمكننا قتلك دون أن نأبه لعشيرتك، وإن لم نفعل فاحتراماً لهم ﴿ومأانت علينا بعزيز﴾ فلست بقوي منيع. فالصلة في حسابهم عصبة العشيرة لاوشيجة العقيدة، وصلة الرحم لاصلة الإيمان. ٩٢ ـ ﴿قال ياقوم أرهطي﴾ وعشيرتي ﴿أعز عليكم من الله﴾ فكيف تعزونهم ولاتعزون الله ولاتحترمون جانبه وهو الذي أرسلني لدعوتكم ﴿واتخذتموه وراءكم ظهرياً﴾ وجعلتموه نسياً منسياً ﴿إن ربي بما تعملون محيط﴾ وسع كل شيء وجوداً وعلماً وقدرة ٩٣ ـ ﴿وياقوم اعملوا على مكانتكم﴾ ومالكم من القوة والتمكن ﴿إني عامل﴾ عملي ﴿سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب﴾ فستعلمون من الذي يناله العذاب أنا أو أنتم ﴿وارتقبوا إني معكم رقيب﴾ لاأفارقكم.

وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ ۖ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾

٩٤ ـ ﴿ولما جاء أمرنا﴾ وحقت كلمة العذاب والفصل ﴿نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا﴾ فرحمناهم من العذاب والهلكة وأيدناهم بالنصر ﴿وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾ مكبوبين على وجوههم ٩٥ ـ ﴿كأن لم يغنوا فيها﴾ كأن لم يقيموا فيها ﴿ألا بعداً لمدين﴾ فلهم اللعنة ﴿كما بعدت ثمود﴾ ولعنت. ٩٦ ـ ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ مصحوباً بها ﴿وسلطان مبين﴾ هو البرهان والحجة القاطعة، أو أن يكون تسليطه على الأوضاع الجارية بينه وبين آل فرعون، فأرسله الله ٩٧ ـ ﴿إلى فرعون وملئه﴾ وهم أشراف قومه وعظماؤهم الذين يملؤون القلوب رهبة ومهابة، والباقي تبع لهم ﴿فاتبعوا أمر فرعون﴾ وهو الذي يقول لهم ماأريكم إلا ماأرى وماأهديكم إلا سبيل الرشاد، فطريقة فرعون وسنته وتشريعاته هي أمره ﴿وماأمر فرعون برشيد﴾ حتى يهدي إلى الحق بل كان ذا غي وضلال ٩٨ ـ ﴿يقدم قومه يوم القيامة﴾ فهو إمام لهم من أئمة الضلال ﴿فأوردهم النار﴾ باتباعهم إياه، وقبلها ﴿أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ من حين الموت إلى يوم القيامة ﴿وبئس الورد﴾ والورد هو النصيب من الماء ﴿المورود﴾ الذي يبتغيه العطاش، فهم يردون النار. والورد يخمد لهيب الصدر ويروي الحشا وهم سيردونه ناراً حميماً يقطع أمعاءهم ٩٩ ـ ﴿وأتبعوا في هذه لعنة﴾ لقاء اتباعهم فرعون، وقد أصابهم الغرق، أو الحكم منه تعالى بإبعادهم عن الرحمة ﴿ويوم القيامة﴾ ملعونون أيضاً ﴿بئس الرفد﴾ وهو العطية ﴿المرفود﴾ فسيعطون النار وساءت عطاء، وهم يوم القيامة من المقبوحين. ١٠٠ ـ ﴿ذلك من﴾ بعض ﴿أنباء القرى نقصه عليك﴾ يامحمد ﴿منها قائم﴾ لم تذهب بقايا آثارها كقرى قوم لوط وقد تركنا منهم آية بينة لقوم يعقلون، ومنها منطمس ﴿وحصيد﴾ انمحت آثارها تماماً. وإن كان المراد بالقرى أهلها، فمنهم قائم لم يقطع دابرهم جميعاً كأمة نوح وصالح، ومنهم من قطع الله دابرهم كقوم لوط. ١٠١ ـ ﴿وماظلمناهم﴾ بإنزال العذاب عليهم وإهلاكهم إثر شركهم وفسوقهم ﴿ولكن ظلموا أنفسهم﴾ بخروجهم عن زي العبودية، وعدولهم عن التوحيد. وكلما كان هناك عمل وعقوبة عليه كان أحدهما ظلماً، إما العمل وإما العقوبة عليه، فإذا لم تكن العقوبة ظلماً، كان الظلم هو العمل المستتبع للعقوبة ﴿فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء﴾ لافي دفع نقمة ولافي جلب نعمة ﴿لما جاء أمر ربك﴾ وحقت كلمته ﴿ومازادوهم غير تتبيب﴾ تدمير وإهلاك، لأن عبادتهم الأصنام كانت ذنباً تقتضي عذابهم، ولما أحسوا بالعذاب والبؤس التجأوا إليها، وهذا ذنب آخر، فما زادتهم إلا تشديد العذاب والهلاك. ١٠٢ ـ ﴿وكذلك أخذ ربك﴾ فحكمه عام شامل ﴿إذا أخذ القرى وهي ظالمة﴾ كما أخذ الأقوام الظالمة ﴿إن أخذه أليم شديد﴾ فيما أخذ وفيما سيأخذ. فليعتبر المعتبرون حين يدينون بغير دين الله ويظلمون أنفسهم بالشرك والفساد. ١٠٣ ـ ﴿إن في ذلك﴾ القصص من أخذ القرى الظالمة ﴿لآية﴾ دلالة ﴿لمن خاف عذاب الآخرة﴾ فالله سيأخذ المجرمين بإجرامهم أخذاً أليماً ﴿ذلك يوم مجموع له الناس﴾ وهو يوم عذاب الآخرة ﴿وذلك يوم

يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾

مشهود﴾ تشهده الناس والملائكة والجن. فعمل الفرد يرتفع من أحواله السابقة المرتبطة بأعماله الباطنة، ويرتفع منه جميع أعماله اللاحقة، وترتبط أعمال الأفراد ببعضها، والأجيال ببعضها، ويسأل المتقدمون وفيهم أئمة الهدى والضلال عن أعمال المتأخرين، ويسأل المتأخرون وفيهم الأذناب والأتباع المسؤولون عن غرور متبوعيهم المتقدمين. ١٠٤ ـ ﴿ومانؤخره إلا لأجل معدود﴾ والله يحكم لامعقب لحكمه ولاراد لقضائه ١٠٥ ـ ﴿يوم يأت﴾ الأجل ﴿لاتكلم نفس إلا بإذنه﴾ سبحانه، لاكالدنيا يتكلم الواحد بما اختاره وأراده، أذن الله فيه إذن تشريع أم لم يأذن. وقد سقطت الأسباب عما كان يتوهم لها من الاستقلال في الدنيا. وتنطمس نجوم كانت تهتدي بها الأوهام في ظلمتها، ولايبقى لذي ملك ملك يستقل به ويومها تكشف خفايا القلوب. والتكلم من الأسباب الاجتماعية نتوسل به لكشف مافي الضمير من المعاني، ولو كنا ممدين بحس ينال المعاني الذهنية ـ كما يهتدي البصر إلى الأضواء والألوان ـ لم نحتج إلى وضع اللغات والتكلم بها. فلذلك يعرف المجرمون يوم القيامة بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام ولايسأل عن ذنبه إنس ولاجان ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾ وسعادة كل شيء أن ينال مالوجوده من الخير الذي يكمل بسببه ويلتذ، وهي أن ينال الخير بحسب قواه البدنية والروحية ليتنعم به، والشقاوة أن يحرم ذلك.

١٠٦ ـ ﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير﴾ وهو أول نهاق الحمار، أو هو إخراج النفس ﴿وشهيق﴾ من شاهق أي متناهي الطول. فهم يردون أنفاسهم إلى صدورهم ثم يخرجونها، فيمدونها برفع الصوت بالبكاء من شدة حر النار وعظم الكربة كما يفعل الحمار عند نهيقه. ١٠٧ ـ ﴿خالدين فيها﴾ والخلود هو تبري الشيء من اعتراض الفساد وبقاؤه على حاله، وقيد الخلود بقوله ﴿مادامت السموات والأرض إلا ماشاء ربك﴾ فهي غير دائمة، مع أن الآيات تنص على بقاء الجنة والنار من دون زوال. ويندفع الإشكال بقوله تعالى: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾ فتلك باقية والجنة والنار باقية ﴿إن ربك فعال لما يريد﴾ فله القدرة المطلقة، التي لاتنقطع عنهم، وسلطته باقية وملكه لايزول. وقد ورد في الأخبار خروج بعض المجرمين من النار بمشيئة الله.

١٠٨ ـ ﴿وأما الذين سعدوا﴾ فنالوا متعة أجسادهم وأرواحهم ﴿ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ماشاء ربك﴾ فله الملك وله التصرف وله السلطان ﴿عطاء غير مجذوذ﴾ ولامقطوع.

١٠٩ ـ ﴿فلاتك في مرية﴾ شك ﴿مما يعبد هؤلاء﴾ وهم قومك المشركون يامحمد ﴿مايعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل﴾ من الأمم الهالكة الماضية من غير حجة ولابينة ﴿وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص﴾ ولاشك أننا سنعطيهم حظهم من الجزاء، كما فعلنا ذلك بآبائهم.

١١٠ ـ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه﴾ إشارة إلى اختلاف اليهود في التوراة بعد موسى بغياً بينهم ﴿ولولا

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم﴾ فاختلافهم ملتقى قضائين. الأول يقتضي الحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، والثاني أن يمتعهم الله إلى يوم القيامة. ومقتضى ذلك تأخير عذابهم إلى يوم القيامة ﴿وإنهم لفي شك منه مريب﴾ والريب هو إلقاء الشك في القلب. فلليهود أن يشكوا في توراتهم، لأن سند التوراة الحاضرة ينتهي إلى ماكتبه كاهن منهم اسمه عزراء عند رجوعهم من بابل ـ بعد انقضاء السبي ـ إلى الأرض المقدسة، وقد أحرقت التوراة قبل ذلك بسنين عند إهلاك الهيكل، إضافة إلى أنه يوجد فيها أشياء لاترضى الفطرة نسبها إلى كتاب سماوي ومقتضى ذلك الشك فيها.

١١١ ـ ﴿وإن كلاً لما ليوفينهم ربك أعمالهم﴾ فكل هؤلاء، أقسم ليوفينهم ويعطينهم جزاء أعمالهم ﴿إنه بما يعملون﴾ من خير أو شر ﴿خبير﴾ وسيقاضيهم بخبرته.

١١٢ ـ ﴿فاستقم كما أمرت﴾ والاستقامة طلب القيام مع استدعاء ظهور عامة آثاره ومنافعه، فاستقامة الإنسان صلاحه بحيث لايتطرق إليه فساد أو نقص. فكن ثابتاً على الدين موفياً لحقه، وفق مأأمرت بالاستقامة، أنت ـ يامحمد ـ ﴿ومن تاب معك﴾ من المؤمنين الذين رجعوا إلى الإيمان بالله ﴿ولا تطغوا﴾ ولاتتجاوزوا حدكم الذي خطته لكم الفطرة وهو العبودية لله وحده ﴿إنه بما تعملون بصير﴾ فيؤاخذكم لو خالفتم أمره.

١١٣ ـ ﴿ولاتركنوا إلى الذين ظلموا﴾ لأن ركونكم يعني إقراركم على مايزاولونه من المنكر، فلا تجالسوهم ولا تصاحبوهم لأن ذلك يؤدي إلى الرضا بأعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم، فلاتميلوا إليهم ولاتسمحوا لهم بالمداخلة في إدارة أمور مجتمعكم بولاية الأمور العامة، ولاتوادوهم لأن المودة تفضي إلى المخالطة والتأثير في شؤون المجتمع أو الفرد الحيوية. والمراد بالذين ظلموا أناس حالهم في الظلم حال أولئك الذين ردوا الدعوة الإلهية ﴿فتمسكم النار﴾ لركونكم إليهم وهذا ظلم عاقبته النار ﴿ومالكم من دون الله من أولياء﴾ يوم القيامة حين تمسكم النار، فلاشفيع يشفع لكم ﴿ثم لاتنصرون﴾ فلامجيب إلا الله، والله لايجيبكم فيؤول أمركم إلى الخذلان والخسران.

١١٤ ـ ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار﴾ في الصباح والمساء ﴿وزلفاً من الليل﴾ وساعات من الليل هي أقرب من النهار. وينطبق ذلك على الصلوات الخمس المفروضة ﴿إن الحسنات يذهبن السيآت﴾ فالصلوات حسنات تذهب بآثار المعاصي ﴿ذلك ذكرى للذاكرين﴾ فما ذكر تذكرة للمتلبسين بذكر الله تعالى من عباده.

١١٥ ـ ﴿واصبر﴾ فالصبر في الأخلاق، والصلاة في العبادات من أعظم الأركان، واجتماعهما أحسن وسيلة يستعان بها على النوائب والمكاره، فالصبر يحفظ النفس من القلق والجزع والانهزام، والصلاة تنسي المكاره ﴿فإن الله لايضيع أجر المحسنين﴾ الصابرين المصلين.

١١٦ ـ ﴿فلولا كان من القرون﴾ فهلا كان من الأقوام ﴿من قبلكم أولوا بقية﴾ أي قوم باقون ﴿ينهون عن الفساد في الأرض﴾ ويأمرون بالمعروف ﴿إلا قليلاً ممن أنجينا منهم﴾ من العذاب والهلاك، لأنهم كانوا ينهون عن الفساد ﴿واتبع الذين ظلموا﴾ وهم الأكثرية ﴿ماأترفوا فيه وكانوا مجرمين﴾ لاتباعهم لذائذ الدنيا وزخرفها من حب الرياسة والشهوات والثروة والعيش الهنيء، وهذا مايستمرئه الناس.

١١٧ ـ ﴿وماكان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾ إذ لم يكن من سنته ذلك لأنه ظلم ولايظلم ربك أحداً. فالسنة الإلهية تقضي بهلاك الأمة التي يقع فيها الفساد ومنه تعبيد الناس لغير الله بأية صورة من الصور إذا لم ينهض من يدفع الشرك والظلم والفساد.

١١٨ ـ ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ لاتختلف في شأن الدين الحنيف، ولكنه حمل الناس تبعة الاختيار للهدى والضلال وقد فطرهم على معرفته وتوحيده، ولكنهم اختلفوا في الدين بغياً بينهم، ومع ذلك لم يعجزوا الله ﴿ولايزالون مختلفين﴾ في الدين ١١٩ ـ ﴿إلا من رحم ربك﴾ فقد رحمهم برفع الاختلاف في أمر الدين، أما الاختلاف في غير أمور الدين ـ فلم يرفعه الله حتى عن الطائفة المرحومة ـ لأن من الضروري للمجتمع الانساني ـ بحسب اختلاف المقاصد والأعمال ـ أن تختلف الاستعدادات البدنية والروحية ﴿ولذلك خلقهم﴾ فقد خلقهم للرحمة، ولكن الذين ظلموا اختلفوا بغياً بينهم. فكما أن الله ماكان ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون، كذلك ماكان ليخلقهم ليبغوا في الأرض ويفسدوا فيها ويسفكوا الدماء فيهلكهم، بدل أن يسبحوا بحمده ويقدسوا له. فالذي منه رحمة والذي منهم ظلم ﴿وتمت كلمة ربك﴾ حقت وأخذت مصداقها ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ بما ظلموا وكانوا يعتدون، وبما اختلفوا في الحق من بعد ماجاءهم بغياً بينهم.

١٢٠ ـ ﴿وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل﴾ يامحمد ﴿مانثبت به فؤادك﴾ ونربط جأشك، في مأأنت عليه من سلوك سبيل الدعوة إلى الحق، والنهضة لقطع منابت الفساد، في كل مالايوافق شرع الله وأحكامه ﴿وجاءك في هذه﴾ القصص والمعارف ﴿الحق﴾ في ماحوت من معارف المبدأ والمعاد وسنن الله تعالى في خلقه ﴿وموعظة﴾ في القصص والعبر ﴿وذكرى للمؤمنين﴾ فيما نسوه من علوم الفطرة. ١٢١ ـ ﴿وقل للذين لايؤمنون﴾ ختماً للحجاج وقطعاً للخصام بعد الذكرى وعدم الانتفاع بالعبر ﴿اعملوا على مكانتكم﴾ ومنزلتكم وماتحسبونه خيراً لكم ﴿إنا عاملون﴾ لمنزلتنا طبقاً لمنهج ربنا. ١٢٢ ـ ﴿وانتظروا﴾ ماسيستقبلكم من عاقبة عملكم ﴿إنا منتظرون﴾ فسوف تعرفون صدق النبأ الإلهي وكذبكم. ١٢٣ ـ ﴿ولله غيب السموات والأرض﴾ وهذا الغيب يتضمن عاقبة الأمر ﴿وإليه يرجع الأمر كله﴾ فالله سبحانه مالك لهذا الغيب دون آلهتهم التي يشركون بها، ودون الأسباب التي يتوكلون عليها. فالدائرة لك عليهم يامحمد. فالملجأ والملاذ الحق هو الله، لايقهره قاهر، ولايغلب عليه غالب ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾ لأن من الجهل الاعتماد على شيء من الأسباب ﴿وماربك بغافل عما تعملون﴾ فلا يجوز التساهل في عبادته والتوكل عليه.

وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

سورة يوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: بيان قصة يوسف (ع) وقصة آل يعقوب، إظهار طور ولاية الله لعباده المخلصين. ١ ـ ﴿الر﴾ تشترك مواضيع السور إذا كان لها الحروف المقطعة نفسها في صدر السورة ﴿تلك﴾ الإشارة بلفظ البعيد للتعظيم والتفخيم ﴿آيات الكتاب﴾ وهو القرآن ﴿المبين﴾ الواضح في نفسه، والموضح لغيره ماضمنه الله تعالى من المعارف الإلهية

سُورَةُ يُوسُفَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾

وحقائق المبدأ والمعاد، ويمكن أن يكون المراد بالكتاب المبين اللوح المحفوظ. ٢ ـ ﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً﴾ فألبسناه في مرحلة الإنزال لباس القراءة العربية ﴿لعلكم تعقلون﴾ ليقع في موطن التعقل منك ومن قومك أو أمتك، فالذي يصنع من الكلمات العادية هذا الكتاب المعجز لايمكن أن يكون بشراً فلابد ـ عقلاً ـ أن يكون وحياً. ٣ ـ ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ قص أي تتبع الأثر، فهو أحسن القصة والحديث ﴿بما أوحينا إليك هذا القرآن﴾ فهذه القصة تصف إخلاص التوحيد في العبودية، وولاية الله سبحانه لعبده يرفعه من حضيض الذلة إلى أوج العزة، أو هي اقتصاص لقصة الحب والغرام بأعف مايكون ﴿وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾ عن هذه القصة أو عن هذا النحو من الموضوعات التي يطرقها القرآن. ٤ ـ ﴿إذ قال يوسف لأبيه﴾ يعقوب ﴿ياأبت إني رأيت أحد عشر كوكباً﴾ روي أن السورة نزلت بعام الحزن للتسرية عن الرسول ﷺ. فهي قصة كاملة فيها الإيحاء بالإخراج من مكة، والابتلاء بالشدة والرخاء وفتنة الشهرة والسلطان. ﴿والشمس والقمر﴾ مشاهدة أمر صوري ﴿رأيتهم لي ساجدين﴾ مشاهدة بأمر معنوي، وهذا السجود عن علم وإرادة وعقل. ٥ ـ ﴿قال يابني﴾ بالتصغير للتحبب ـ وقد أيقن أن الله تعالى سيتولى أمر يوسف (ع) ويرفع قدره ﴿لاتقصص رؤياك على إخوتك﴾ فإنهم سيحسدونك ويغتاظون من أمرك ﴿فيكيدوا لك كيداً﴾ ليحولوا بينك وبين ماتبشر به الرؤيا ﴿إن الشيطان للإنسان عدوٌ مبين﴾ فيغريه بالكيد. لقد أدرك يعقوب أنه سيكون ليوسف شأن لأن هذا المنام ليس منام صبية. ٦ ـ ﴿وكذلك يجتبيك ربك﴾ فيخصك بمزيد من الكرامة، ويقصدك برحمته، ويحفظك من التفرق في السبل المتفرقة الشيطانية ﴿ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾ والتأويل هو ماتنتهي إليه الرؤيا من الأمر الذي تتعقبه، كما تمثل سجدة أبوي يوسف وإخوته الأحد عشر في الصورة التي رآها في منامه. وهي هنا الأحاديث والوقائع التي تتصور للانسان والتي هي أعم من أن تتصور له في يقظة أو منام، إذ أن بين الحوادث والأصول التي تنشأ عنها والغايات التي تنتهي إليها اتصالاً لايسع إنكاره، واهتداء عبد بإذن الله إلى هذه الروابط يسبب انكشاف تأويل الأحاديث والحقائق ﴿ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب﴾ والنعمة هي الحالة الحسنة. ولاتعد العطايا الإلهية كالمال والجاه والأزواج والأولاد نعمة إلا إذا وقعت في طريق السعادة ومنصبغة بصبغة الولاية الإلهية. ومما أتم الله به النعمة على يوسف (ع) أن آتاه الحكم والنبوة والملك والعزة في مصر، وجعله من المخلصين، وعلمه من تأويل الأحاديث، وأتم النعمة على آل يعقوب بأن أقر عين يعقوب بيوسف (ع)، وجاء به وبأهله من البدو، ورزقهم الحضارة بنزول مصر. ﴿كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق﴾ فقد آتاهما خير الدنيا والآخرة ﴿إن ربك عليم﴾ لايغيب عن علمه شيء ﴿حكيم﴾ في تدبيره. ٧ ـ ﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين﴾ الذين سألوا النبي

قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٦ ۞ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ۝٩ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ۝١٠ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ۝١١ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝١٢ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ۝١٣ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ۝١٤

محمداً ﷺ فهؤلاء إخوة يوسف (ع) حسدوا أخاهم وكادوه وألقوه في قعر بئر، ليشري من السيارة عبداً يريدون بذلك أن يسوقوه إلى الهلاك، فأحياه الله بعين السبب اللائح منه الهلاك. وكلما أرادوا به ذلاً رفعه الله. فالآيات تظهر أن من أخلص العبودية لله تولى الله أموره، والله يرفعه ولو حالت كافة المخلوقات دون ذلك. ٨ ـ ﴿إذ قالوا ليوسف وأخوه﴾ وهما أخوان لأم غير أمهم ﴿أحب إلى أبينا منا﴾ ونحن عشرة رجال ندبر البيت وندير المواشي والأموال ﴿ونحن عصبة﴾ تدفع وتمنع أي جماعة مشدود ضعف بعضنا بقوة بعض ﴿إن أبانا لفي ضلال مبين﴾ لتفضيله طفلين صغيرين على عصبة قوية تقوم بالتدبير وتدفع المكروه. وهذا ليس إلا ضلالاً عن صراط الاستقامة واعوجاجاً في التدبير.

٩ ـ ﴿اقتلوا﴾ والقتل أكبر الكبائر بعد الشرك ﴿يوسف﴾ وهو المخصوص بحب أبيه ﴿أو اطرحوه أرضاً﴾ أي غربوه في أرض لايقدر بعده على العود إلى بيت أبيه ﴿يخل لكم وجه أبيكم﴾ ويخلص حبه لكم بارتفاع المانع الذي يحجب الحب والعطف ﴿وتكونوا من بعده قوماً صالحين﴾ بعد التوبة من هذه المعصية، وهذا دليل على أنهم كانوا يحترمون أمر الدين، ولكن غلبهم الحسد وزين لهم الشيطان أعمالهم، لأن التوبة التي هذا شأنها لاتقبل البتة لأن من يفعل ذلك يقصد المكر بربه. والمراد بالصلاح في الآية صلاح الأمر من حيث سعادة الدنيا وصلاح الأمر مع أبيهم.

١٠ ـ ﴿قال قائل منهم لاتقتلوا يوسف﴾ خوفاً من إهلاك ذي رحم ﴿وألقوه في غيابة الجب﴾ ـ أي البئر التي لم يبن داخلها بالحجارة ـ بحيث يغيب عن الأنظار في قعرها ﴿يلتقطه بعض السيارة﴾ أي المارة ﴿إن كنتم فاعلين﴾ فيسيروا به إلى بلاد نائية تقطع خبره.

١١ ـ ﴿قالوا ياأبانا﴾ إثارة للعطف والرحمة ﴿مالك لاتأمنا على يوسف وإنا له لناصحون﴾ فلانريد به إلا الخير، ولانبتغي إلا مايرضيه ويسره. تزكية لأنفسهم وتجلية لقلبه من كدر الشبهة.

١٢ ـ ﴿أرسله معنا غداً﴾ فهو في أمن من جهتنا ﴿يرتع﴾ ويتوسع في التنزه وأكل الفواكه ﴿ويلعب﴾ في نزهته ﴿وإنا له لحافظون﴾ من أذى غيرنا مادام عندنا.

١٣ ـ ﴿قال إني ليحزنني أن تذهبوا به﴾ فإن ذهابه يحزن نفسي، تلطف في الجواب لئلا يهيج عنادهم ﴿وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون﴾ وهذا عذر موجه.

١٤ ـ ﴿قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذاً لخاسرون﴾ ولن نكون خاسرين لأننا جماعة أقوياء متعاضدون ذوو بأس، وهذا الرد منهم مستغرب منكر كأنهم لم يفقهوا إلا أنه يأمنهم عليه ولكن يخاف أن يأكله الذئب.

١٥ ـ ﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب﴾ وعزموا أن يجعلوه في قعر البئر دون ذنب أذنبه وهو طفل معصوم. والسكوت عن الفعل ـ أي عدم ذكر جواب لما ـ لشدة فجعه وفظاعته ﴿وأوحينا إليه﴾ أي إلى يوسف أقسم ﴿لتنبئنهم بأمرهم هذا﴾ أي بإلقائهم إياه في الجب ﴿وهم لايشعرون﴾ حقيقة أمرهم هذا أو حقيقة الإيحاء وتأويل مافعلوا بك، فإنه يرونه نفياً لشخصك وتذليلاً لك، وهو في الحقيقة تقريب لك إلى أريكة العزة وهم لا يشعرون بهذه الحقيقة وستنبئهم بذلك. ١٦ ـ ﴿وجاءوا أباهم عشاء يبكون﴾ ليلبسوا الأمر على أبيهم فيصدقهم فيما يكذبون ١٧ ـ ﴿قالوا ياأبانا إنا ذهبنا نستبق﴾ في العدو ﴿وتركنا يوسف عند متاعنا﴾ ورحلنا ﴿فأكله الذئب﴾ عند ذلك ﴿ومأأنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين﴾ فقد انقطعت عنا الأسباب وانسدت علينا طريق الحيلة ـ وهذا دليل على أنهم يعلمون أن كلامهم غير مسموع عنده ـ فمن خيبتنا أنك لست بمصدق لنا ولو كنا صادقين. ١٨ ـ ﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب﴾ لأن من افترسته السباع لاتترك له قميصاً غير ممزق. فالكذب لايدوم، لأن نظام الكون مترابط الأجزاء وليس في وسع الإنسان ولاأي سبب مفروض إذا ستر شيئاً من الحقائق الكونية أن يستر جميع مايرتبط به. ومن هنا كانت الدولة للحق وإن كانت للباطل جولة ﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً﴾ ووسوست لكم أمراً، وليس الأمر كما تذكرون ﴿فصبر جميل﴾ لاشكوى فيه فسأصبر على مأأصابني لأنه إذا كان الأبناء ـ وهم أولو قوة وشدة ـ سبب نزول النائبة، فبماذا يدفعهم عن نفسه؟ فلايسعه إلا الصبر وهو وضع للسبب موضع المسبب. وليس الصبر أن يتحمل الإنسان الرزية كالأرض الميتة تطؤها الأقدام، بل الصبر هو الاستقامة في القلب وحفظ النظام النفسي الذي يستقيم به أمر الحياة، فالله سبحانه طبع الإنسان على دفع المكروه وجهزه بما ينهض لدفع النوائب والرزايا ماستطاع، فالصابرون هم القائمون في النوائب على ساق لاتزيلهم هجمات المكاره ﴿والله المستعان على ماتصفون﴾ فكأنه يقول إني أعلم أن لكم مكراً في الأمر، ولاأركن إلى كشف كذبكم والحصول على يوسف بالأسباب الظاهرة ولكن أوكل ربي ليكون عوناً لي. فالأمر منوط به، وهذا من كمال توحيد يعقوب (ع). ١٩ ـ ﴿وجاءت سيارة﴾ أي جماعة مارة ﴿فأرسلوا واردهم﴾ ليطلب لهم الماء ﴿فأدلى دلوه﴾ في البئر ﴿قال يابشرى هذا غلام﴾ وهو أمر غير متوقع ـ وقد تعلق يوسف بالحبل فخرج ـ ﴿وأسروه بضاعة﴾ أخفوه على أنه بضاعة يقصد بها البيع والتجارة ﴿والله عليم بما يعملون﴾ يؤاخذهم عليه، أو أنه تعالى كان يسير يوسف هذا المسير ليستقر في مستقر العزة والملك. ٢٠ ـ ﴿وشروه﴾ أي باعوه ﴿بثمن بخس﴾ ناقص عن حق القيمة ﴿دراهم معدودة﴾ قليلة. وقد ورد أن إخوة يوسف أخذوا يوسف منهم بدعوى أنه عبدهم سقط في البئر، ثم باعوه منهم بثمن بخس ولكن الآيات تظهر أن السيارة هم الذين باعوه ﴿وكانوا فيه من الزاهدين﴾ والزهد هو الرغبة عن الشيء وزهدهم فيه كان اتقاء لظهور الحال.

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

٢١ ـ ﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته﴾ بعد أن أخذه إلى بيته وقد تفرس في وجهه آثار الأصالة والرشد ﴿أكرمي مثواه﴾ اهتمي بأمره واجعلي له مقاماً كريماً عندك ﴿عسى أن ينفعنا﴾ في مقاصدنا العالية ﴿أو نتخذه ولداً﴾ بالتبني ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض﴾ بإقراره فيها بما يقدر معه على التمتع من مزايا الحياة، بتوصية العزيز، تمكيناً يتبوأ به من الأرض حيث يشاء ﴿ولنعلمه من تأويل الأحاديث﴾ وهو غاية التمكين المذكور ﴿والله غالب على أمره﴾ فكل شيء ينقاد له، وهو غالب على الأسباب الفعالة بإذنه ليس لها إلا السمع والطاعة ﴿ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ لحسبانهم أن الأسباب الظاهرة مستقلة في تأثيرها فعالة برؤوسها. وقد أخطؤوا. ٢٢ ـ ﴿ولما بلغ أشده﴾ بأن عمر إلى ماتشتد به قوى بدنه بذهاب آثار الصبا ﴿آتيناه حكماً﴾ وهو القول الفصل، وإزالة الشك والريب من الأمور القابلة للاختلاف، وإصابة النظر في معارف الدين وآداب المجتمع ﴿وعلماً﴾ لايخالطه جهل ولاهوى ولاتسويل شيطاني، فهو من إيتاء الله النفوس المحسنة ﴿وكذلك نجزي المحسنين﴾ فالحكم والعلم اللذين آتاهما الله إياه، لم يكونا موهبتين ابتدائيتين لامستدعي لهما أصلاً، بل من قبيل الجزاء لإحسانه أو أن الله يجزي كل محسن شيئاً من الحكم والعلم يناسب موقعه في الإحسان. ٢٣ ـ ﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه﴾ والرود هو التردد في طلب الشيء برفق، والمراودة منازعة الغير في الإرادة. وقوله في بيتها للدلالة على أن الأوضاع والأحوال كانت لها عليه، وأن الأمر كان عليه شديداً ﴿وغلقت الأبواب﴾ وقد جهزت لما عزمت ﴿وقالت هيت لك﴾ هلم، أمراً يدل على إعمال المولوية والسيادة مع إشعاره بأنها هيئت له من نفسها ماليس بينه وبين طلبتها إلا مجرد إقبال يوسف. فظاهر الحال كان تنازعاً بين حب وهيام إلهي، وعشق وغرام حيواني، وكانت كلمة الله هي العليا، فأخذته الجذبة الإلهية السماوية، ودافعت عنه المحبة الإلهية ﴿قال معاذ الله﴾ مما تدعينني إليه ﴿إنه﴾ الله ﴿ربي﴾ تولى أمري ﴿أحسن مثواي﴾ وأسعدني بتوليه أمري ﴿إنه لايفلح الظالمون﴾ فلو اقترفت هذا الفعل لخرجت من تحت ولايته. وقد أظهر يوسف من أدب العبودية مالايخفى فقد أتى بلفظ الجلالة ثم صفة الربوبية والتوحيد ثم صفة التدبير. ٢٤ ـ ﴿ولقد همت به﴾ وقد أخذ بمجامع قلبها، وهو شاب بالغ أشده، وكان ذا جمال بديع ومستغرقاً في النعمة، وكانت هي فائقة الجمال، عاشقة والهة، ذات غنج ودلال، وهذه أمور لو توجهت إلى جبل لهدّته. فالمعنى: أقسم لقد قصدت يوسف بما تريده منه ولا يكون الهم إلا بأن تشفع الإرادة بشيء من العمل ﴿وهم بها لولا أن رأى برهان ربه﴾ وأقسم لولا رؤيته برهان ربه لهم بها وكاد أن يجيبها لما تريده منه. فلولا مارآه من البرهان لهم وكاد يفعل. ولكنه (ع) لم يفعل ولم يكد لأن برهان ربه ملازم له. والبرهان الذي رآه يوسف هو الذي يريه الله عباده المخلصين من العلم المكشوف واليقين المشهود، تطيعه النفس الإنسانية طاعة لاتميل معها إلى معصية أصلاً ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء﴾ ولم يقل لنصرفه عن

وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾

السوء والفحشاء لأنه منصرف عنهما بإحسانه. والسوء هو الذي يسوء صدوره من العبد بما هو عبد، وهو مطلق المعصية أو الهم بها، والفحشاء هي ارتكاب الأعمال الشنيعة كالزنا وغيره ﴿إنه من عبادنا المخلصين﴾ الذين أخلصهم الله لنفسه، فلايشاركه فيهم شيء، فلايطيعون غيره من تسويل شيطان أو تزيين نفس.

٢٥ ـ ﴿واستبقا الباب﴾ تسابقا نحوه ﴿وقدت﴾ شقت ﴿قميصه من دبر﴾ طولاً، فهو يريد الخروج والتخلص، وهي تريد منعه من فتحه لعلها تفوز بما تريد، وسبقها يوسف فقدت قميصه لأنه كان في حال الهرب ﴿وألفيا سيدها﴾ زوجها ﴿لدى الباب﴾ عند فتحه ﴿قالت ماجزاء من أراد بأهلك سوءاً﴾ لم تصرح ماهو السوء ومن المريد تأدباً في حضرة العزيز ﴿إلا أن يسجن أو عذاب أليم﴾ تحريضاً له لئلا يتفطن لواقع الأمر، وترديداً للجزاء بين السجن والعذاب، لأن قلبها الواله ماكان ليساعدها على التعيين.

٢٦ ـ ﴿قال هي راودتني عن نفسي﴾ دفع للتهمة وتصريح بالحق أي لم أردها بسوء ﴿وشهد شاهد من أهلها﴾ وقد ورد في الروايات أنه كان صبياً في المهد من أهلها ﴿إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين﴾ فالشق من قبل يدل على منازعتهما ومصارعتهما. فالقضاء لها عليه.

٢٧ ـ ﴿وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين﴾ لأن هذا يدل على هربه منها وتعقبها إياه، فالقضاء له عليها. ومأتى به الشاهد بيان عقلي لايسمى شهادة، وربما كان ذلك يدل على صدور كلام غير متروٍّ وخاصة إذا كان صبياً في المهد.

٢٨ ـ ﴿فلما رأى العزيز قميصه﴾ أي قميص يوسف ﴿قد من دبر قال إنه من كيدكن﴾ معاشر النساء ﴿إن كيدكن عظيم﴾ فقد أوتين من أسباب الاستمالة مايكون معه في وسعهن أن يأخذن بمجامع قلوب الرجال الذين يميلون إليهن، فيكون لهن التصرف في إرادتهم من حيث لايشعرون.

٢٩ ـ ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾ الأمر، ولاتحدث به، وهذه صورة الطبقة المترفة التي تحاول الحفاظ على المظاهر البراقة وهي تغطي القذارة وتكتم الفضائح ﴿واستغفري لذنبك إنك من الخاطئين﴾ فاطلبي المغفرة من ربك ومعبودك، وهذا كله من كلام العزيز.

٣٠ ـ ﴿وقال نسوة في المدينة﴾ وقد انتشر الخبر في محافل النسوة، فللقصور جدران وراءها آذان، وفيها خدم وحشم يحبون أن تشيع الفاحشة ليشمتوا بأسيادهم، وهناك مقربون ومبعدون يهدفون تداول الفضائح ليدفعوا عن أنفسهم تهماً مماثلة ويحولوا الأنظار عنها. وكيف يخفى حديث استمر عهداً ليس بالقصير، وقد استولى على امرأة العزيز الوله وسلب منها الغرام كل حزم وحلم حتى قالوا ﴿امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه﴾ وذلك مكراً منهن بالعزيزة ﴿قد شغفها حباً﴾ فتولهت به وافتتنت، وقد أحاط بها حباً ﴿إنا لنراها في ضلال مبين﴾ لأنها امرأة ومن القحة أن تراود المرأة الرجل. وهي امرأة العزيز فيجب أن ترعى شرف بيتها، ولكنها تعلقت بعبدها وأحبته، وراودته فامتنع، فألحت فاستعصم، وكل ذلك من أقبح الضلال.

٣١ ـ ﴿فلما سمعت بمكرهن﴾ وحيلتهن لينلن من سرها بالهتك ﴿أرسلت إليهن﴾ لتريهن يوسف ﴿وأعتدت لهن متكأ﴾ فأعدت وهيأت النمارق والكراسي ومايتكأ عليه، وفسر المتكأ بالإترج وهو نوع من الفاكهة ﴿وآتت كل واحدة منهن سكيناً﴾ لقطع الفاكهة ﴿وقالت اخرج عليهن﴾ وأمرت يوسف أن يخرج عليهن وهن خاليات الأذهان، مشتغلات بأخذ الفاكهة وقطعها ليتفاجأن بإظهاره بغتة، ليندهشن من بديع جماله ﴿فلما رأينه أكبرنه﴾ وأعظمنه وقد دهشن وغبن عن شعورهن ﴿وقطعن أيديهن﴾ تقطيعاً أو جرحاً مكان الفاكهة ﴿وقلن حاش لله﴾ تنزيه لله سبحانه في أمر يوسف ﴿ماهذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم﴾ لحسن صورته وسيرته، وجمال خَلقه وخُلقه، وكمال ظاهره وباطنه. وكان الوثنيون يعتقدون أن الملائكة موجودات شريفة يترشح منها الحياة والعلم والحسن والجمال الصوري والمعنوي. ٣٢ ـ ﴿قالت فذلك الذي لمتنني فيه﴾ بعد أن فضحتهن، فعلاً بتقطيع، وقولاً بتنزيه الحسن، فلم يبق لهن إلا معذرتها فيما تفعل ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾ وأخذ بالعفة ﴿ولئن لم يفعل ماآمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين﴾ وهذا يدل على عزيمة جازمة منها، وعندها مايجبره على مأأرادته. وقد تحققت أنها تملك قلب زوجها وتقدر أن تصرفه إلى ماتريد وكيفما شاءت. ٣٣ ـ ﴿قال رب السجن أحب إلي مما تدعونني إليه﴾ من المراودة والاسترسال في بث مافي ضمائرهن، ودعوة منه (ع) لربه بقلب لامكان فيه إلا لله ولاشغل له إلا به. وهذا ليس دعاء منه على نفسه بالسجن وإنما بيان حاله لربه، وأنه يرجح عذاب السجن في جنب الله، على لذة المعصية والبعد منه ﴿وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن﴾ وأمل ﴿وأكن من الجاهلين﴾ فإني إنما أتوقى شرهن بعلمك فإن أمسكت عن إفاضته علي صرت جاهلاً، ووقعت في مهلكة الصبوة والهوى، وهذه دعوة المؤمن العارف الذي لايغتر بعصمته بل يطلب المزيد من ولاية الله. ٣٤ ـ ﴿فاستجاب له ربه﴾ لاباستجابة دعائه بالسجن كما توهم البعض بل استجاب ﴿فصرف عنه كيدهن﴾ وصرف عنه السوء والفحشاء ﴿إنه هو السميع﴾ لأقوال عباده ﴿العليم﴾ بأحوالهم. ٣٥ ـ ﴿ثم بدا لهم من بعد مارأوا الآيات﴾ التي تشهد على براءته (ع) مما اتهموه به، كشهادة الصبي، وقد القميص من خلفه، ولعل منها تقطيع النسوة أيديهن، واستعصامه، واعتراف امرأة العزيز بتصرفها فأقسموا ﴿ليسجننه﴾ وعزموا على ذلك ﴿حتى حين﴾ حتى ينقطع حديث المراودة بين الناس، وصوناً لأسرة العزيز عن التهمة والعار، وأن تفتتن النسوة به، ولكن يبدو أن المرأة ألبست الأمر على زوجها وأرابته في براءة يوسف. ٣٦ ـ ﴿ودخل معه السجن فتيان﴾ وهما عبدان من عبيد الملك ﴿قال أحدهما إني أراني أعصر﴾ عنباً ليصير ﴿خمراً﴾ نبيذاً ﴿وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه﴾ وتنهشه ﴿نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين﴾ فنشاهد فيك سيماهم، والمحسنون الأبرار يربطون الأمور بصورة أقرب للرشد. ٣٧ ـ ﴿قال لايأتيكما طعام ترزقانه﴾ وأنتما في السجن ﴿إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما﴾

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدْتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾

بإظهار حقيقة مايؤول إليه أمره. وهذا تمهيد لبث أسرار التوحيد والدعوة إلى الله ﴿ذلك مما علمني ربي﴾ فهو ليس علماً اكتسابياً، بل هو فيض مما علمني ربي ﴿إني تركت ملة قوم﴾ مشركين ﴿لايؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون﴾ والمشركون يعتقدون بالله ويقولون بالتناسخ كجزاء، ولكن دين التوحيد ينفي الشرك ولذلك نفى (ع) عنهم الإيمان بالله وبالآخرة، وأكد كفرهم بقوله: ﴿هم كافرون﴾. ٣٨ ـ ﴿واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب﴾ إظهاراً للنسب ﴿ماكان لنا أن نشرك بالله من شيء﴾ أي لم يجعل الله لنا أهل البيت سبيلاً إلى الشرك به ﴿ذلك﴾ المنع من الشرك ﴿من فضل الله﴾ وهذا الفضل هو الهدى ﴿علينا وعلى الناس﴾ لأن الله أيدهم بهداية الرسل وهو أفضل الفضل، والناس في وسعهم أن يرجعوا إلى أهل الحق فيفوزوا باتباعهم ويهتدوا بهداهم ﴿ولكن أكثر الناس لايشكرون﴾ فهم يكفرون بنعمة النبوة والرسالة ولايتبعون أهلها، أو لأنهم يكفرون بنعمة التوحيد، ويتخذون لله سبحانه شركاء من الملائكة والجن والإنس، أو يعرضون عن هذا الفضل. ٣٩ ـ ﴿ياصاحبي السجن﴾ دعوة لهما للاختيار وهو يرسم معالم الدين ويهز قوائم الشرك والطاغوت ﴿أأرباب متفرقون﴾ وهم الملائكة والآلهة التي يعبدها العابدون ﴿خير أم الله الواحد القهار﴾ الذي يبطل التفرقة بوحدانيته،والأرباب بقهرها. ٤٠ ـ ﴿ماتعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم﴾ ولامسميات وراء هذه الأسماء، فتقع عبادتكم في مقابل الأسماء التي لم يضعها أحد، بل أنتم وآباؤكم وضعتموها ﴿ماأنزل الله بها من سلطان﴾ ولابرهان على أن مسميات وراءها، أو ماأنزل الله حجة على عبادتها بأن يثبت لها شفاعة واستقلالاً في التأثير ﴿إن الحكم إلا لله﴾ والحكم لايستقيم إلا ممن يملك كمال التصرف، ولامالك للتصرف والتدبير في أمور العالم، وتربية العباد إلا الله سبحانه، فله وحده الحكم دون الحكام من السلاطين والطواغيت، وفي ذلك اختصاص الله بالحكم تحقيقاً لاختصاصه بالعبادة، فلله السلطان والحكم والطاعة والعبادة ومن نازعه أحدها كفر ومن قبل بتنحية التشريع عن الحاكمية أشرك ﴿أمر أن لاتعبدوا إلا إياه﴾ وقد حكم أنه لم ينزل سلطاناً بآلهتكم ﴿ذلك﴾ حصراً ﴿الدين القيم﴾ القائم بالأمر، وهو القوي على إدارة المجتمع وسوقه إلى منازل السعادة ﴿ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ لأنسهم بالحس والمحسوس، وانهماكهم في زخارف الدنيا الفانية، فلذلك فقدوا سلامة القلب، واستقامة العقل، فهم لايعلمون ذلك، وإنما يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة معرضون. ٤١ ـ ﴿أما أحدكما فيسقي ربه خمراً﴾ تأويل رؤيا من قال: إني أراني أعصر خمراً ﴿وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه﴾ تأويل رؤيا الآخر ﴿قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾ أي أن التأويل الذي استفتيتما فيه مقطوع لامناص عنه، وهذا يشعر أن أحدهما كذب نفسه في دعواه الرؤيا ولعله الثاني. ٤٢ ـ ﴿وقال﴾ يوسف ﴿للذي ظن﴾ واعتقد ﴿أنه ناج منهما﴾ من صاحبي السجن ﴿اذكرني عند ربك﴾ أي عند سيدك ـ الذي تدين بشرعه وتخضع لحكمه وهذا تأكيد

وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾

لمعنى الربوبية بالمصطلح الاسلامي ـ بما يثير رحمته لعله يخرجني من السجن ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ أي أنسى الشيطان صاحبه الناجي أن يذكره لربه ﴿فلبث في السجن بضع سنين﴾ أقل من عشر سنين. ٤٣ ـ ﴿وقال الملك﴾ وهو ملك مصر لملئه ﴿إني أرى﴾ في منامي ﴿سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف﴾ مهازيل ﴿وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات﴾ جافات ﴿ياأيها الملأ أفتوني في رؤياي﴾ وبينوا لي ماعندكم من حكمها ﴿إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾ وتعرفون مآلها. ٤٤ ـ ﴿قالوا أضغاث أحلام﴾ أي حزم أخلاط من الأحلام التي لا تتبين حقيقتها ﴿ومانحن بتأويل الأحلام﴾ من هذا النوع ﴿بعالمين﴾ أو مانحن بتأويل جميع المنامات بعالمين، وإنما نعلم تأويل الرؤى الصالحة. ٤٥ ـ ﴿وقال الذي نجا منهما﴾ من صاحبي السجن ﴿وادّكر بعد أمة﴾ أي تذكر بعد عدة من السنين ماسأله يوسف في السجن حين أول رؤياه ﴿أنا أنبئكم بتأويله﴾ أعلمكم بتأويل ماسأله الملك ﴿فأرسلون﴾ إلى يوسف في السجن حتى أخبركم بتأويل ذلك. ٤٦ ـ ﴿يوسف أيها الصديق﴾ الكثير الصدق ﴿أفتنا﴾ دلنا على الحكم ﴿في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات﴾ هن مارآه الملك في منامه ﴿لعلي أرجع﴾ بالحكم والعلم ﴿إلى الناس﴾ فأنا لاأسأل لنفسي بل لأحمل العلم إلى الملك والملأ ﴿لعلهم يعلمون﴾ لترتفع حيرة الجهالة من الناس وقد أهمهم هذا الأمر. ٤٧ ـ ﴿قال﴾ يوسف ﴿تزرعون سبع سنين دأباً﴾ ازرعوا سبع سنين متواليات ﴿فما زرعتم فذروه في سنبله﴾ لئلا يهلك ويفسد ويقع فيه سوس واحفظوه كذلك ﴿إلا قليلاً مما تأكلون﴾ حفظاً لغذائكم والتين لغذاء أنعامكم ٤٨ ـ ﴿ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد﴾ لما فيهن من الجدب والمجاعة فهن كالسباع ﴿يأكلن ماقدمتم لهن﴾ ومادخرتم ﴿إلا قليلاً مما تحصنون﴾ تدخرون وتحرزون. فيجب أن تدبروا الأمور على ماذكر لحفظ الناس في سني المجاعة. ٤٩ ـ ﴿ثم يأتي من بعد ذلك عام﴾ بعد مضي السبع الشداد ﴿فيه يغاث الناس﴾ بالمطر والعشب والكلأ ﴿وفيه يعصرون﴾ فتدر مواشيهم بالحليب وسماؤهم بالمطر، وعندها يكون الناس في غنى عن تدبيركم. والرؤيا ـ خلافاً لما قاله المفسرون ـ لاتجلي حادثة الخصب والجدب نفسها، وإنما تجلي التكليف العملي قبال الحادثة. ٥٠ ـ ﴿وقال الملك ائتوني به﴾ وقد اهتم لما سمع، ودهش من عظمة الأمر، فطلب إطلاقه من السجن وإحضاره ﴿فلما جاءه الرسول﴾ لإطلاق سراحه ﴿قال﴾ يوسف ﴿ارجع إلى ربك فاسأله مابال النسوة اللاتي قطعن أيديهن﴾ وهذه الصيغة من كمال الأدب، إذ لم يذكر امرأة العزيز بما يسوءه ـ مع أنه لاهم له إلا أن يقضي بينه وبينها ـ وإنما أشار إلى النسوة، ولم يذكرهن بشيء من المكروه إلا في قوله ﴿إن ربي بكيدهن عليم﴾ وفيه بث الشكوى لربه، مع تبليغ الحق بقوله ربي، وقد قال فيما سبق إنه ربي أحسن مثواي. فما الأمر العظيم والشأن الخطير الذي جعل النسوة يقطعن أيديهن. ٥١ ـ ﴿قال﴾ الملك للنسوة اللاتي طلب احضارهن فحضرن ﴿ماخطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه﴾ ماهو الأمر العظيم الذي استدعاكن لمراودته ﴿قلن حاش لله﴾ تنزيهاً له

قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾
وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾

﴿ماعلمنا عليه من سوء﴾ فلم يظهر لنا منه مايسوء فيما راودناه عن نفسه ﴿قالت امرأة العزيز﴾ وقد ظهر الحق وزهق الباطل ﴿الآن حصحص الحق﴾ وظهر وبان ووضح ﴿أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾ فكذبت نفسها في اتهامه بالمراودة وبرأته تماماً بأنه لم يراود ولم يجب مراودتها بالطاعة وأنه صدق في كل ماقال. فقال يوسف: ٥٢ ـ ﴿ذلك﴾ إشارة إلى إرجاع الرسول إلى الملك وسؤاله القضاء ﴿ليعلم﴾ العزيز ﴿أني لم أخنه بالغيب﴾ بمراودتي امرأته وهذا مما يزيل عن نفس العزيز أية شبهة وريبة ﴿وأن الله لايهدي كيد الخائنين﴾ فالخائن سيفتضح لامحالة، فالخيانة من الباطل، والباطل لايدوم وسيظهر عليه الحق، ولو اهتدى الخائن لم تفتضح النسوة اللاتي قطعن أيديهن وأخذن بالمراودة، ولاامرأة العزيز فيما قالت، وفي ذلك إعلام للملك أنه لايخون، ومن لايخون يؤتمن. وهذه توطئة لطلبه: اجعلني على خزائن الأرض. ٥٣ ـ ﴿ومأأبرىء نفسي﴾ وهذا قول من لا يرى لغيره تعالى حولاً أو قوةً ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾ وكل عمل صالح يظهر فهو من رحمة الله. فقوله: ـ إني لم أخنه بالغيب ـ ليس تنزيهاً لنفسه فحسب بل إظهاراً لرحمة ربه عليه أيضاً ﴿إلا مارحم ربي﴾ فرحمته تكف النفس عن الأمر بالسوء والدعوة إلى الشر ﴿إن ربي غفور﴾ يستر النقيصة اللازمة للطبع ﴿رحيم﴾ يظهر الأمر الجميل. ٥٤ ـ ﴿وقال الملك ائتوني به أستخلصه﴾ وأجعله خالصاً ﴿لنفسي﴾ وخاصة لي ﴿فلما كلمه قال﴾ له ﴿إنك اليوم لدينا مكين﴾ صاحب مكانة ومنزلة ﴿أمين﴾ على جميع شؤون الملك. وقد ظهر من كمال صفاتك مأأبهر. ٥٥ ـ ﴿قال اجعلني على خزائن الأرض﴾ لأتقلد إدارة أرزاق الناس في السنين السبع الشداد ﴿إني حفيظ عليم﴾ وهما صفتان ضروريتان لمن يتصدى مقاماً هو سائله. ٥٦ ـ ﴿وكذلك﴾ إشارة إلى ماساقه من القصة بما انتهى إلى نيله (ع) عزة مصر ﴿مكنا ليوسف في الأرض﴾ جعلنا له المكانة والإمكان بعد أن رفعنا عنه حرج السجن ﴿يتبوأ منها حيث يشاء﴾ فصار مطلق المشيئة له أن يتبوأ ويأخذ أية بقعة يشاء ﴿نصيب برحمتنا من نشاء﴾ ولايسع أي مانع مفروض أن يمنع إصابة الرحمة. ولو وسع سبب أن يبطل مشيئة الله لوسع في يوسف الذي تعاضدت الأسباب القاطعة وتظاهرت لخفضه، فرفعه الله ﴿ولانضيع أجر المحسنين﴾ فالتمكين أجر ليوسف على إحسانه ٥٧ ـ ﴿ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ فهو لأولياء الله من عباده وعد أخروي جميل، وكان يوسف منهم. وهو لايعم المؤمنين عامة، وإنما يتحقق بملازمة التقوى للإيمان. ٥٨ ـ ﴿وجاء إخوة يوسف﴾ خلال سني الجدب لاشتراء الطعام ليبت يعقوب ﴿فدخلوا عليه﴾ بعد سنين طوال من افتراقهم ﴿فعرفهم﴾ بفراسة النبوة أو بكياسته ﴿وهم له منكرون﴾ فهو في زي عزيز مصر، لايظن به أنه رجل عبري من غير القبط. ٥٩ ـ ﴿ولما جهزهم بجهازهم﴾ وحملهم ماأعدلهم من الجهاز والطعام الذي باعه منهم ﴿قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم﴾ بعد أن أورد كلاماً يصرف عنهم أن يتفطنوا أنه يوسف ﴿ألا ترون أني أوفي الكيل﴾ فلاأبخس فيه، ولاأظلمكم بالاتكاء على قدرتي وعزتي ﴿وأنا خير المنزلين﴾ أكرم

﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۖ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾

النازلين بي وأحسن مثواهم. ٦٠ ـ ﴿فإن لم تأتوني به﴾ وخالفتم أمري بشأنه ﴿فلاكيل لكم عندي﴾ أي لاطعام ﴿ولاتقربون﴾ بدخول أرضي والحضور عندي للامتيار وشراء الطعام. ٦١ ـ ﴿قالوا سنراود عنه أباه﴾ ونلح عليه ﴿وإنا لفاعلون﴾ فسنأتي به أو سنراوده لحمله معنا. وفي هذا إشارة إلى أن أباهم يضن به ولايرضى بمفارقته، فلذلك قالوا أباه ولم يقولوا أبانا. ٦٢ ـ ﴿وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم﴾ مالهم ﴿في رحالهم﴾ أوعيتهم ﴿لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم﴾ رجعوا إليهم وفتحوا الأوعية ﴿لعلهم يرجعون﴾ إلينا ويأتون بأخيهم، فإن ذلك يطمعهم في الرجوع والتمتع من الإكرام والإحسان. ٦٣ ـ ﴿فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا ياأبانا منع منا الكيل﴾ أي أخذ الطعام ﴿فأرسل معنا أخانا نكتل﴾ لأنه لاكيل لنا إذا لم ترسله معنا ﴿وإنا له لحافظون﴾ تأكيد منهم أنهم شفوقون له وراعون. ٦٤ ـ ﴿قال هل آمنكم عليه﴾ هل تتوقعون أن أثق بكم فيه، وتطمئن نفسي إليكم ﴿إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل﴾ فلم تغنوا عني شيئاً بشأن يوسف مع وعدكم بحفظه ﴿فالله خير حافظاً﴾ فإذا كان الاطمئنان إليكم لغواً لاأثر له، فخير الاطمئنان ماكان اطمئناناً إلى الله سبحانه من حيث حفظه ﴿وهو أرحم الراحمين﴾ فلايترك الرحمة في محل الرحمة، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، إن الله بالغ أمره، ولايقهر في مشيئته. وهذا تلويح إلى أنهم لم يستوفوا الرحم ـ أو لم يرحموه أصلاً ـ في أمر يوسف. ٦٥ ـ ﴿ولما فتحوا متاعهم﴾ ورحلهم ﴿وجدوا بضاعتهم﴾ وأموالهم ﴿ردت إليهم﴾ وهذا دليل على إكرام العزيز لهم وقد سلم إليهم الطعام ورد إليهم الثمن ﴿قالوا ياأبانا مانبغي﴾ ماذا نطلب من سفرنا وراء هذا ﴿هذه بضاعتنا ردت إلينا﴾ كاملة ﴿ونمير أهلنا﴾ أي نحضر الأطعمة ونحملها إلى بلدنا ﴿ونحفظ أخانا﴾ كما وعدنا ﴿ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير﴾ سهل، أو أن ماأحضرنا من الكيل قليل لايقنعنا، فنحن نحتاج أن نضيف إليه كيل بعير أخينا. ٦٦ ـ ﴿قال لن أرسله معكم حتى تؤتون﴾ تعطوني ﴿موثقاً من الله﴾ أعتمد عليه وأثق به من عهد أو يمين ﴿لتأتنني به﴾ على أن قسمهم يمضي ويفيد فيما كان راجعاً إلى استطاعتهم ﴿إلا أن يحاط بكم﴾ وتسلبوا القدرة والاستطاعة ﴿فلما آتوه موثقهم﴾ من الله ﴿قال﴾ يعقوب ﴿الله على مانقول وكيل﴾ فليكن الله وكيلاً على هذه الأقوال يجريها على رسلها، فمن التزم بشيء فليأت به كما التزم وإن تخلف فليجازه الله وينتصف منه. ٦٧ ـ ﴿وقال يابني لاتدخلوا من باب واحد﴾ ليتسنى ليوسف أن يكلم أخاه بعد أن يتفرق إخوته بدخولهم من أبوابٍ متفرقةٍ. وقيل إن ذلك خوفٌ عليهم أن يراهم الناس وهم أحد عشر فيصيبوهم بحسد أو ينالوا منهم بغير ذلك ﴿وادخلوا من أبواب متفرقة﴾ ولاتنظاهروا بالاجتماع ﴿وماأغني عنكم من الله من شيء﴾. فلاأحكم بأن تحفظوا بهذه الحيلة، فإن هذه الأسباب لاتغني من الله شيئاً. ﴿إن الحكم إلا لله﴾ فالحكم المطلق لله وحده، والأسباب الظاهرية إنما تؤثر إذا أراد الله لها أن تؤثر ﴿عليه توكلت﴾ في أخذ هذا السبب وفي سائر الأسباب التي أخذتها في أموري، ﴿وعليه فليتوكل المتوكلون﴾ فهذا هو مسير كل رشيد يرى أنه لايقوى باستقلاله على

قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُۖ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٩﴾

إدارة أموره، ولا الأسباب تقوى باستقلالها فالوكيل هو الله سبحانه، القاهر الغالب يفعل مايشاء ويحكم بما يريد. ٦٨ ـ ﴿ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم﴾ من أبواب متفرقة، لدفع ما تفرسه يعقوب من نزول مصيبة بهم ﴿ماكان يغني عنهم من الله من شيء﴾ فما كان ليدفع عنهم قضاء من الله ماضياً فيهم، وهو أخذ العزيز أخيهم من أبيهم، وبقاء الكبير في مصر، ولم تندفع فرقتهم ﴿إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها﴾ الله فرد إليه ولده يوسف الذي فقده ﴿وإنه لذو علم لما علمناه﴾ فهو علم موهوب من الله سبحانه، وإخلاص التوحيد يؤدي إلى مثل هذه الغاية الإلهية، والعلم الموهوب لايخطئ. وهذا تصويب لما اتخذه يعقوب من الوسيلة لحاجته، بأمرهم بما أمر، وتوكله على الله، فقضى الله له حاجة في نفسه ﴿ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ إذ لو كان العلم الاكتسابي الذي يحكم بالأسباب الظاهرة، يتوصل إليه من الطرق العادية، لعلمه الناس واهتدوا إليه. ٦٩ ـ ﴿ولما دخلوا على يوسف﴾ بعد دخولهم مصر ﴿آوى﴾ وقرب ﴿إليه أخاه﴾ الذي من أمه وأبيه ﴿قال إني أنا أخوك﴾ يوسف ﴿فلاتبتئس﴾ ولاتغتم ﴿بما كانوا﴾ أي الإخوة ﴿يعملون﴾ من الأذى والظلم والحسد. ٧٠ ـ ﴿فلما جهزهم بجهازهم﴾ وحملهم أمتعتهم ﴿جعل السقاية﴾ أي الظرف الذي يشرب فيه ﴿في رحل أخيه﴾ والرحل هو مايوضع على البعير للركوب. ﴿ثم أذن مؤذن﴾ ونادى مناد ﴿أيتها العير﴾ أيها القوم الذين تحملون المير والأطعمة ﴿إنكم لسارقون﴾ فالسقاية مفقودة عند بعضكم. ومن المعلوم أن أخا يوسف عالم بهذا الكيد، وأن يوسف أراد أن يأخذه إليه، فلم تكن تسميته بالسارق تهمة حقيقية بل توصيفاً صورياً، لمصلحة لازمة جازمة. ٧١ ـ ﴿قالوا﴾ وهم الإخوة ﴿وأقبلوا عليهم﴾ على يوسف وفتيانه ﴿ماذا تفقدون﴾ من المتاع. ٧٢ ـ ﴿قالوا نفقد صواع الملك﴾ وهو السقاية، ثم قال يوسف ﴿ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم﴾ كفيل. ٧٣ ـ ﴿قالوا تالله لقد علمتم ماجئنا لنفسد في الأرض﴾ دلالة على أنهم قد فتشوا ومحص أمرهم بأمر يوسف بدعوى الخوف من أن يكونوا عيوناً وجواسيس ﴿وماكنا سارقين﴾ ولسنا ممن اتصفوا بهذه الرذيلة.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

٧٤ ـ ﴿قالوا﴾ أي فتيان يوسف أوهم وهو أيضاً ﴿فما جزاؤه﴾ أي ماجزاء السارق ﴿إن كنتم كاذبين﴾ وكان السارق منكم. ٧٥ ـ ﴿قالوا جزاؤه﴾ أن يؤخذ ﴿من وجد في رحله﴾ الصواع فيسترق ﴿فهو جزاؤه﴾ فالسارق يصبح عبداً لمن سرقه السارق ﴿وكذلك نجزي الظالمين﴾ فالسرقة يجازى بها نفس السارق لارفقته وصحبه وهم أحد عشر. ٧٦ ـ ﴿فبدأ بأوعيتهم﴾ ففحصها أولاً ﴿قبل وعاء أخيه﴾ وفتش ﴿ثم استخرجها من وعاء أخيه﴾ فاستقر الجزاء عليه لكونها في رحله. ﴿كذلك كدنا ليوسف﴾ تم التوصل بذلك لما يطلبه ﴿ماكان ليأخذ أخاه﴾ إذ لم يكن في سنة الملك ولافي حكمه استعباد السارق، وقوله ﴿في دين الملك﴾ يعني منظوراً سياسياً وقانونياً لمفهوم الدين، أكبر من أن ينحصر تطبيق الدين في العقائد والعبادات. فالدين هو النظام الذي يحكم حركة الحياة في كافة المجالات السياسية والاقتصادية

والاجتماعية والجنائية إضافة إلى القوانين الجزائية والمدنية، والمعاملات والعلاقات الانسانية فهو يشمل كافة نواحي الحياة وتأطر الناس ضمن إطار الدين بهذا المفهوم يجعلهم يرتقون ليفتح الله عليهم بركات من السماء والأرض وليأكلوا من فوق رؤوسهم ومن تحت أرجلهم. فلذلك أخذهم يوسف بما رضوا به لأنفسهم ﴿إلا أن يشاء الله﴾ وحال المشيئة هو الحال الذي رضوا فيه أن يجازوا بما رضوا به لأنفسهم ﴿نرفع درجات من نشاء﴾ امتنان على يوسف (ع) بما رفعه الله على إخوته ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ فالعلم لايقف على حد بل كل صاحب علم يمكن أن يفرض من هو أعلم منه. أما علم الله فهو عين ذاته وهو خارج عن إطلاق الكلام. والجملة تصدق على من له فوق والله لايحد بحدود. ٧٧ ـ ﴿قالوا إن يسرق﴾ بنيامين صواع الملك، فليس ببعيد منه ﴿فقد سرق أخ له من قبل﴾ فهما يتوارثان ذلك من ناحية أمهما. وقد قيل أنه سرق صنماً لعمته، أو أن عمته اتهمته بسرقة متاع لتبقيه عندها ﴿فأسرها يوسف في نفسه﴾ أخفى تهمتهم هذه ﴿ولم يبدها لهم﴾ بل ﴿قال أنتم شر مكاناً﴾ وأسوأ حالاً، لما في أقوالكم من التناقض، ولما في نفوسكم من الحسد، واجترائكم على الكذب في حضرة العزيز بعد إكرامه لكم ﴿والله أعلم بما تصفون﴾ بقولكم أن له أخاً قبله قد سرق. ٧٨ ـ ﴿قالوا ياأيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً﴾ فلاتأخذه بالاستعباد، لأننا أعطينا أبانا موثقاً أن نرجعه ﴿فخذ أحدنا مكانه﴾ وخل سبيله ﴿إنا نراك من المحسنين﴾ فارحم حالنا بإحسانك. ٧٩ ـ ﴿قال﴾ يوسف ﴿معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذاً لظالمون﴾ فلاأحد يؤخذ بجريرة غيره. ٨٠ ـ ﴿فلما استيأسوا منه﴾ أي من يوسف أن يخلي سبيل أخيه وقطعوا الأمل من الأمر ﴿خلصوا﴾ خرجوا من بين الناس ﴿نجياً﴾ يتناجون ويتباحثون ﴿قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله﴾ أن تعيدوا أخاكم وأن لاترجعوا إلا به ﴿ومن قبل﴾ هذه الواقعة اذكروا ﴿مافرطتم﴾ ماقصرتم ﴿في﴾ أمر ﴿يوسف﴾ عاهدتم أباكم أن تحفظوه، فألقيتموه في الجب، ثم أخبرتم أباكم أنه أكله الذئب ﴿فلن أبرح الأرض﴾ ولن أتنحى وأفارق مصر ﴿حتى يأذن لي أبي﴾ برفعه اليد عن الموثق الذي واثقته به ﴿أو يحكم الله لي﴾ فيجعل لي طريقاً للنجاة ﴿وهو خير الحاكمين﴾ فيحكم من حيث لاأحتسب. ٨١ ـ ﴿ارجعوا إلى أبيكم فقولوا ياأبانا إن ابنك سرق﴾ صواع الملك ﴿وماشهدنا إلاّ بما علمنا﴾ من سرقته، وقيل ماشهدنا بأن السارق يؤخذ بسرقته إلا بما علمنا من حكم ﴿وماكنا للغيب حافظين﴾ أي لم نكن نعلم أن ابنك سيسرق وأنه سيؤخذ بشهادتنا حتى نكف عن تلك الشهادة. ٨٢ ـ ﴿واسأل القرية التي كنا فيها﴾ وهي مصر ﴿والعير التي أقبلنا منها﴾ وجميع من صاحبنا في القافلة ﴿وإنا لصادقون﴾ فيما نخبرك من سرقته واسترقاقه، ونكلفك السؤال لإزالة الريب من نفسك. ٨٣ ـ ﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً﴾ وهذا ليس تكذيباً لهم، بل وجد بفراسة إلهية أن هذه الواقعة تتفرع على تسويل نفساني منهم إجمالاً، فهي من أذناب

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُّمْ فِي يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

واقعة يوسف ﴿فصبر جميل﴾ فسأصبر صبراً جميلاً لاشكوى فيه للعباد كما صبرت عند فقد يوسف ﴿عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً﴾ أي بيوسف وأخيه وكبير الإخوة ﴿إنه هو العليم﴾ بمورد الاجتباء وإتمام النعمة وهو ﴿الحكيم﴾ في فعله، يقدر الأمور على ماتقتضيه الحكمة البالغة. ٨٤ ـ ﴿وتولى عنهم﴾ معرضاً ﴿وقال ياأسفى﴾ ياحزني ﴿على يوسف﴾ وقد التاع قلبه شوقاً وحزناً ﴿وابيضت عيناه﴾ فذهب بصره ﴿من الحزن﴾ عليه ﴿فهو كظيم﴾ حابس غيظه، متجرع حزنه. ٨٥ ـ ﴿قالوا تالله﴾ نقسم بالله ﴿تفتأ تذكر يوسف﴾ لاتزال تذكره ﴿حتى تكون حرضاً﴾ مشرفاً على الهلاك ﴿أو تكون من الهالكين﴾ فتهلك. ٨٦ ـ ﴿قال إنما أشكو بثي﴾ وهمي ﴿وحزني إلى الله﴾ ولو كنت أشكوه لكم لانقطع. فالله سبحانه لايأخذه ملل ولاسأم فيما يسأله عباده ﴿وأعلم من الله مالاتعلمون﴾ فلست أيأس من روحه، ولاأقنط من رحمته. ٨٧ ـ ﴿يابني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه﴾ فاطلبوهما وابحثوا عنهما لعلكم تظفرون بهما ﴿ولاتيأسوا من روح الله﴾ والفرج الذي يرزقه الله بعد الشدة ﴿إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ الذين لايؤمنون بأن الله يقدر أن يكشف كل غمة وينفس كل كربة. ٨٨ ـ ﴿فلما دخلوا عليه﴾ أي على يوسف ﴿قالوا ياأيها العزيز﴾ ـ وهم على ماهم عليه من الذل ـ فبالغوا في الاسترحام قائلين: ﴿مسنا وأهلنا الضر﴾ وسوء الحال من قلة الطعام ﴿وجئنا ببضاعة مزجاة﴾ هو متاع قليل لايعدل مانسألك من الطعام ﴿فأوف لنا الكيل﴾ بإعطائنا الطعام ﴿وتصدق علينا﴾ كأنهم يريدون بقولهم أخاهم أو إياه والطعام ﴿إن الله يجزي المتصدقين﴾ خيراً. ٨٩ ـ ﴿قال﴾ يوسف في موقف ذلهم وعزته وقد تمت الكلمة الإلهية ﴿هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه﴾ تذكيرهم بعملهم من غير توبيخ ومؤاخذة ليعرفهم من الله عليه وعلى أخيه ﴿إذ أنتم جاهلون﴾ وفيه تلقين عذر. ٩٠ ـ ﴿قالوا أإنك لأنت يوسف﴾ وأنت العزيز ﴿قال أنا يوسف وهذا أخي﴾ ألحقه بنفسه ﴿قد منّ الله علينا﴾ بالرغم من الحسد والكيد ﴿إنه من يتق ويصبر فإن الله لايضيع أجر المحسنين﴾ فسبب المن هو التقوى والصبر، وهذه دعوة لهم إلى الإحسان وهو يتحقق بالتقوى والصبر. ٩١ ـ ﴿قالوا تالله لقد آثرك الله علينا﴾ اختارك وفضلك ﴿وإن كنا لخاطئين﴾ اعتراف بالخطأ وتفضيل الله يوسف عليهم ٩٢ ـ ﴿قال لاتثريب عليكم﴾ فلالوم ولاتوبيخ، مع أنه عزيز مصر وقد أوتي النبوة والحكم وعلم الأحاديث وهم إخوة أذلاء معترفون بالخطيئة وبأن الله آثره بالرغم من قولهم: ﴿ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا﴾ ﴿يغفر الله لكم﴾ دعاء واستغفار منه لهم جميعاً وإن كان الحاضرون بعضهم لا جميعهم ﴿وهو أرحم الراحمين﴾ ولاتأتي الرحمة بلا مغفرة. ٩٣ ـ ﴿اذهبوا بقميصي هذا﴾ مقابل القميص الذي أخذتموه أول مرة، وكان سبب حزن أبي حتى ابيضت عيناه ﴿فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً﴾ علم وإعجاز برد بصره ﴿وأتوني بأهلكم أجمعين﴾ من البدو إلى مصر. ٩٤ ـ ﴿ولما فصلت العير﴾ وخرجت من مصر وانقطعت عنها وهي تحمل قميص يوسف ﴿قال أبوهم﴾ لمن

يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

يقي عنده من أولاده ﴿إني لأجد ريح يوسف﴾ وأحس به ﴿لولا أن تفندون﴾ وترموني بضعف الرأي فلا تذعنوا لقولي. ٩٥ ـ ﴿قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم﴾ مقابل قولهم في بداية القصة: إن أبانا لفي ضلال مبين ومرادهم بالضلال المبالغة في حب يوسف وأنهم أحق منه بحبه. ولايعنون الضلال في الدين فيصيروا بذلك كافرين. ٩٦ ـ ﴿فلما أن جاء البشير﴾ وهو يحمل القميص ﴿ألقاه على وجهه فارتد بصيراً﴾ وتحقق قول يوسف ﴿قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله مالاتعلمون﴾ إشارة إلى قوله لهم حين لاموه على ذكر يوسف: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله. ٩٧ ـ ﴿قالوا ياأبانا استغفر لنا ذنوبنا﴾ ومافعلناه في أمر يوسف وأخيه ﴿إنا كنا خاطئين﴾ اعتراف منهم بالخطيئة. ٩٨ ـ ﴿قال سوف أستغفر لكم ربي﴾ وقد استغفر لهم يوسف، لتطيب نفسي وأنسى آثار الفراق ﴿إنه هو الغفور الرحيم﴾ بهم. ٩٩ ـ ﴿فلما دخلوا على يوسف﴾ بعد سفرهم إلى مصر ﴿آوى إليه أبويه﴾ ضمهما إليه ﴿وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين﴾ حيث أعطاهم الأمن وأصدر لهم حكمه على سنة الملوك، وقيد ذلك بمشيئة الله سبحانه، فالمشيئة الإنسانية لاتؤثر أثرها إلا إذا وافقت المشيئة الإلهية. ١٠٠ ـ ﴿ورفع أبويه على العرش﴾ الذي كان يجلس عليه، وقد رفعا بأمر من يوسف تصدّاه له خدمه ﴿وخروا له سجداً﴾ وقد غشيهم النور الإلهي المتلألىء من جماله البديع ﴿وقال ياأبت هذا تأويل رؤياي من قبل﴾ وهي سجود الشمس والقمر والكواكب الأحد عشر له ﴿قد جعلها ربي حقاً﴾ أي جعل الرؤيا حقاً ﴿وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن﴾ وهو ضراء وبلاء دفعه الله عني وبدله عزاً من حيث لاأحتسب ﴿وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي﴾ وقد دخل في أمرنا لإفساده ﴿إن ربي لطيف لما يشاء﴾ وماكانت البلايا لتنحل عقدها إلا بلطفه، واللطيف هو المحيط بالأشياء من باطنها مهما دقت ﴿إنه هو العليم الحكيم﴾ وقد قدر فهدى إلى ماحصل. ١٠١ ـ ﴿رب قد آتيتني من الملك﴾ ثناء على الله سبحانه ﴿وعلمتني من تأويل الأحاديث﴾ زيادة في الثناء وقد هاج به الشوق الإلهي فانقطع عن مخاطبة أبيه إلى مخاطبة ربه ﴿فاطر السموات والأرض﴾ وخالقها ﴿أنت وليي في الدنيا والآخرة﴾ فأنا تحت ولايتك التامة، من غير أن يكون لي صنع في نفسي واستقلال في ذاتي وصفاتي، أو أملك لنفسي شيئاً من نفع وضر، أو موت أو حياة أو نشور ﴿توفني مسلماً﴾ كما تستدعيه ولايتك علي في الدنيا والآخرة، فإن كمال العبد المملوك أن يسلم لربه مايريده منه ﴿وألحقني بالصالحين﴾ أدخلني في زمرتهم فأنا أعبدك مختاراً طالما كان لي الاختيار وأدعوك أن أكون صالحاً لقربك فيما لايرجع إلى اختياري. ١٠٢ ـ ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك﴾ يامحمد ﴿وماكنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون﴾ على إلحاق الأذى بيوسف ﴿وهم يمكرون﴾ به، وهذا دليل على أن ذلك من أنباء الغيب التي شرفك بها الله وأيد بها نبوتك. ١٠٣ ـ ﴿وماأكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾ لانكبابهم على الدنيا وسهوهم عما أودع الله في فطرتهم من العلم بالله وآياته. ١٠٤ ـ ﴿وماتسألهم عليه من أجر﴾ فما هم بمؤمنين والحال أنك

فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

لاتسألهم أجراً على ذلك حتى تصدهم الغرامة المالية ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ فالقرآن ذكر لما أودع الله في قلوب البشر من العلم بالله وآياته. ١٠٥ ـ ﴿وكأين﴾ للتكثير ﴿من آية في السموات والأرض﴾ لها كمال الصنع وبديع النظام، تدل على توحيد ربهم ﴿يمرون عليها﴾ وتتكرر عليهم ﴿وهم عنها معرضون﴾ لاينتبهون، أو أن حركة الأرض بالنسبة إلى غيرها من الأجرام تستدعي التفكر لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. ١٠٦ ـ ﴿ومايؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ فأكثر الناس يتلبسون بالإيمان والشرك معاً مع كونهما معنيين متناقضين وذلك بصورة نسبية قريباً من أحدهما بعداً عن الآخر، فمن الجائز أن يتعلق الإنسان بالحياة الدنيا وزينتها الباطلة وينسى كل حق وحقيقة، ومن الجائز أن ينقطع عن كل ذلك ويخلص توجهه لله وحده، وبينهما مراتب مختلفة، والدليل مخالفة النفس لما تعتقده حقاً أو باطلاً، فهناك من يدعي الإيمان ولكن فرائصه ترتعد من أية نائبة أو مصيبة تهدده وهو يذكر أن لاقوة إلا بالله، ويلتمس العزة والجاه من غيره تعالى وهو يتلو ﴿إن العزة لله جميعاً﴾ ويقرع كل باب يبتغي الرزق وقد ضمنه الله، ويعصي الله ولايستحيي وهو يرى أن ربه عليم بما في نفسه، سميع لما يقول، بصير بما يعمل، لايخفى عليه شيء في الأرض ولافي السماء... ١٠٧ ـ ﴿أفأمنوا أن تأتيهم غاشية﴾ أي عقوبة تغشاهم ﴿من عذاب الله﴾ تفاجئهم ﴿أو تأتيهم الساعة بغتة﴾ فجأة ﴿وهم لايشعرون﴾ بإتيانها لعدم مسبوقيتها بعلامات تشخص قيامها. ١٠٨ ـ ﴿قل هذه سبيلي﴾ سبيل التوحيد والحق الصريح الذي يصل إلى محض الإيمان وهو عزيز المنال ﴿أدعو إلى الله على بصيرة﴾ فدعوتي إلى الله وحده، على أساس التوحيد الخالص، لامعدل عنه إلى شرك أصلاً. ﴿أنا ومن اتبعني﴾ تعميم لحمل الدعوة، فالسبيل وإن كان مختصاً به ﷺ فإن حمل الدعوة يشمل من اتبعه ﴿وسبحان الله﴾ تقدس وتنزه عما لايليق بقدسه مما نسب إليه ﴿ومأنا من المشركين﴾ الغافلين عن ربهم، الآمنين مكره، المعرضين عن آياته. ١٠٩ ـ ﴿ومأرسلنا من قبلك إلا رجالاً﴾ فأنت يامحمد لست بدعاً من الرسل، فالأنبياء قبلك بشر ﴿نوحي إليهم من أهل القرى﴾ ليدعوا أقوامهم ـ وهم منهم ـ لتقوى الله والفوز بسعادة خالدة ونعيم مقيم، ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون. ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ إنذار لأمة النبي ﷺ بمثل ما أنذر به الأمم الخالية فلم يسمعوا فذاقوا وبال أمرهم وصاروا أحاديث. فهذه ثمود أهلكوا بالطاغية، وعادٌ أصابتهم ريحٌ صرصرٌ عاتيةٌ، وقبلهم قوم نوح كفروا فأغرقوا فأُدخلوا ناراً ولم يجدوا من دون الله أنصاراً، وسنة القهر الإلهي وإهلاك الجبارين جاريةٌ في السابقين واللاحقين من الطاغين لاتتخلف البتة. ﴿ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون﴾ فالتقوى هي أصل كل خير وجماع كل سعادة، وثواب الدار الآخرة للمتقين. ١١٠ ـ ﴿حتى إذا استيأس الرسل﴾ واقتربوا من اليأس من إيمان أولئك الناس ﴿وظنوا أنهم قد كذبوا﴾ أي ظن الناس أن الرسل كذبوا، أي أخبروا بالعذاب كذباً ﴿جاءهم نصرنا﴾ وكان

وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾
وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا
وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا
وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ
أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ
سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ
ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ
إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ
وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ
إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ
نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ
﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ
حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ
وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

حقاً علينا نصر المؤمنين ﴿فنجي من نشاء﴾ من المؤمنين ﴿ولايرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾ وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلامرد له ومالهم من دونه من وال. ١١١ ـ ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ والعبرة هي التجاوز من حال إلى حال، ويتوصل بها إلى معرفة ماليس بمشاهد من المشاهد. ففي قصص الأنبياء ومنها قصة يوسف عبرة لأصحاب العقول؛ فهي ذات مرامٍ وغاياتٍ لفائدة الناس في أمور عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم وأصحاب الألباب هم الذين ينالون العبرة من قصصهم. ﴿وماكان حديثاً يفترى﴾ ومن أصدق من الله قيلاً؛ وقد نزل بعلمه على رسوله الأمين محمد ﷺ. ﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾ أي بين يدي القرآن، وهو التوراة ﴿وتفصيل كل شيء﴾ بياناً وتمييزاً لكل مايحتاج إليه الناس في دينهم الذي عليه بناء سعادتهم في الدنيا والآخرة، ﴿وهدى﴾ إلى السعادة والفلاح ﴿ورحمة﴾ خاصة ﴿لقوم يؤمنون﴾ به فيهتدون بهدايته إلى صراط مستقيم.

سورة الرعد
بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: بيان حقيقة ماأنزل على النبي ﷺ من الكتاب الكريم، دحض أقوال من رفض الدعوة، بيان آيات التوحيد، ذكر نبذ من أخبار الماضين وآثارهم وكفرهم وأخذهم بذنوبهم. ١ ـ ﴿المر﴾ هذه الحروف هي مجموع الحروف التي صدرت بها السور المبتدئة بـ: الم و المر، كما أن المعارف المبينة في هذه السورة يبدو كأنها مجموع المعارف المبينة في هذين الصنفين من السور ﴿تلك آيات الكتاب﴾ وهي الموجودات الكونية الموجودة في الكون، وهو الكتاب الذي يفصح عن التوحيد ﴿والذي أنزل إليك من ربك﴾ هو القرآن ﴿الحق﴾ الذي لايأتيه الباطل ﴿ولكن أكثر الناس لايؤمنون﴾ لابتلك الآيات العينية، ولابهذا الحق النازل.

٢ ـ ﴿الله الذي رفع السموات﴾ وفصلها عن الأرض فصلاً يتسلط به على الأرض بإلقاء أشعة شمسها، وإنزال أمطارها وصواعقها، وهي مرفوعة ﴿بغير عمدٍ ترونها﴾ فهي مرفوعة بقدرته، قائمة به، حتى ولو كان لها عمد ترونها، فالإنسان يبحث بفطرته عن علل الأمور، ويرى قانون العلية، فإذا وجد أمراً خارقاً للعادة يجب أن ينتبه إلى أن هناك إلهاً قادراً وراء ذلك رفع السموات ﴿ثم استوى على العرش﴾ وهو عرش القدرة، أي استوت نسبة كافة الأشياء إليه. فما هو قريب من شيء قد يكون بعيداً عن آخر، ولكن الله بعد فلا يرى، وقرب فشهد النجوى وهو أقرب إليكم من حبل الوريد. فلاشيء أقرب إليه من شيء، وهو محيط بكل شيء، فهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله، وهو معكم أينما كنتم، وهو القادر لايغيب عن قدرته شيء ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ كما سخر للإنسان مافي الأرض جميعاً، فلا الشمس تأبى أن تمد الأرض بنورها وأشعتها، ولاالقمر يخالف غايته المسخر لها، فحركته جزء من نظام محكم يتكامل مع غيره ﴿كلٌ يجري﴾ فالقمر يجري حول الأرض، والقمر والأرض وكواكب المجموعة الشمسية الأخرى تدور حول الشمس، وتجري كلها

سُورَةُ الرَّعْدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓرٰۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾

حول نجم الجاثي على ركبتيه وكل في فلك يسبحون وكل في فلك يسبّحون ولكن لاتفقهون تسبيحهم ﴿لأجلٍ مسمى﴾ إلى يوم الوقت المعلوم. ﴿يدبر الأمر﴾ والتدبير الإتيان بالشيء عقيب الشيء ويراد به ترتيب الأشياء ونظمها بلا اختلال. وتدبير أمر العالم نظمه ليصل كل شيء إلى الكمال الخاص به، ومنتهى ذلك يرجع إلى الله سبحانه. ﴿يفصل الآيات﴾ الكونية ويميزها عن بعضها البعض، فيخرج من كل شيء ماهو كامن مستخف في باطنه، فينفصل النور من الظلمة والحق من الباطل والصالح من الطالح ﴿لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾ إن يوم الفصل ميقاتكم أجمعين. فالربوبية لربكم الذي خلق الكون فدبره، فهو ربه وربكم وأمركم إليه وحده لاشريك له. فالساعة آتية لاريب فيها والله يبعث من في القبور.

٣ ـ ﴿وهو الذي مد الأرض﴾ فبسطها لتصلح لمعاش الحيوان ونبت الزرع ﴿وجعل فيها رواسي﴾ وهي الجبال التي تدخر الماء، ولولاها لما خزن الماء الذي يتفجر ينابيع ﴿وأنهاراً﴾ للشرب والري ﴿ومن كل الثمرات﴾ الممكنة الكينونة ﴿جعل فيها زوجين اثنين﴾ كثمار الصيف وثمار الشتاء، والحامض والحلو ﴿يغشي الليل النهار﴾ فيلبس ظلمة الليل ضوء النهار ﴿إن في ذلك لآياتٍ﴾ دلائل ﴿لقوم يتفكرون﴾ في كمال هذا النظام وبديع صنعه، فكل جزء يسير إلى غايته وكل يكشف عن مدبر واحد، ويدل على أن هناك إلهاً واحداً لاشريك له في ربوبيته.

٤ ـ ﴿وفي الأرض قطع متجاورات﴾ متشابهات في ترابها وفيها ألوان ﴿وجنات من أعناب﴾ من الثمرات المختلفة لوناً وطعماً ﴿وزرع﴾ مختلف في جنسه من القمح والشعير ﴿ونخيل صنوان﴾ أي أمثال نابتة على أصل مشترك ﴿وغير صنوان﴾ أي ذات أصل مختلف؛ وقد سبق القرآن الهندسة الوراثية بما تحمل هذه الآية من دلالات ﴿يسقى﴾ الجميع ﴿بماء واحد﴾ ومع ذلك تختلف بأحوالها وأشكالها ومذاقها ﴿ونفضل بعضها على بعض في الأكل﴾ بما فيه من المزية المطلوبة في الشيء من صفاته ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ فهذا الاختلاف يعود إلى اختلاف إرادة الله سبحانه فيها، فحجج الله مبنية على مقدمات عقلية لاتتم بدونها.

٥ ـ ﴿وإن تعجب﴾ وقول الكفار يدعو إلى التعجب ﴿فعجب قولهم﴾ لكونه ظاهر البطلان ﴿أإذا كنا تراباً﴾ بعد الموت ﴿أإنا لفي خلقٍ جديدٍ﴾ أوَهل يمكن أن تتحول المواد الأرضية منياً ثم علقة ثم مضغة ثم إنساناً سوياً كما بدأت، إذ من المستبعد حسب قولهم إيجاد الشيء بعد عدمه. ونسوا أن حقيقة الإنسان ليس البدن المادي، بل حقيقة روح علوية يأخذها الله من البدن بالموت، ويجدد الله يوم البعث خلق البدن ويعلقها به ليتم القيام لله لفصل القضاء. فللإنسان حياة باقية في دار باقية لايتمتع فيها إلا بما اكتسبت نفسه في حياته الأولى من الإيمان بالله والعمل الصالح، أو من الكفر والإخلاد إلى الأرض. ﴿أولئك الذين كفروا بربهم﴾ لأن لازم قولهم أن يكون الإنسان صورة مادية قائمة بهذا الهيكل المادي العائش بحياة مادية من غير أن تكون له حياة أُخرى خالدة بعد الموت، يبقى فيها ببقاء الرب وهذا إنكار للعالم الربوبي ـ إذ لامعنى لرب لامعاد إليه ـ ولازم ذلك أن يقصر الإنسان همه في المقاصد الدنيوية والغايات المادية دون أن يرتقي إلى نعيم الله المقيم، وعند ذلك يثبت في شقاء لازم وعذاب دائم لأنه أفسد الاستعداد للسعادة ﴿أولئك الأغلال في أعناقهم﴾ فقد أخلدوا إلى الأرض واتبعوا أهواءهم ﴿وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ لأنهم قطعوا طريق السعادة ومكثوا في الشقاء.

٦ ـ ﴿ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة﴾ فيطلبون نزول العذاب عليهم استهزاء بالنبي ﷺ قبل سؤال الرحمة والعافية ﴿وقد خلت من قبلهم المثلات﴾ فهم على علم بالعقوبات النازلة على المكذبين من الأمم الماضية ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾ فرحمته تسع الناس في جميع أحوالهم حتى حال ظلمهم ﴿وإن ربك لشديد العقاب﴾ وقد سبقت رحمته غضبه، فما بالهم يعرضون عن وسيع رحمته ومغفرته، ويستعجلون عذابه. ٧ ـ ﴿ويقول الذين كفروا﴾ تعريضاً منهم بالقرآن ﴿لولا﴾ بمعنى هلاّ ﴿أنزل عليه آية من ربه﴾ وليس المراد بذلك آية تقضي بين الحق والباطل، وتهلك من كفر واستعجل بالسيئة. بل آية أُخرى غير القرآن ﴿إنما أنت منذر﴾ فليست لك قدرة غيبية مطلقة على فعل كل ماتريده. ومأأنت إلا بشر رسول لتنذرهم عذاب الله، وتحذرهم من الاستكبار عن عبادته والإفساد في الأرض ﴿ولكل قوم هاد﴾ فالأرض لاتخلو من هاد يهدي إلى الحق، إما نبي منذر، أو هاد غيره، ليتم إجراء السنة الإلهية وتشريع الله وأحكامه وهي التي تهدي كل شيء إلى كماله المطلوب. ٨ ـ ﴿الله يعلم ماتحمل كل أنثى﴾ وماتحفظه من الأجنة ﴿وماتغيض الأرحام﴾ من دم الحيض وهو ماتفسده فتجعله كالماء الذي تبتلعه الأرض، وهذا الدم ينصب في الرحم أثناء الحمل فتصرفه الرحم في غذاء الجنين ﴿وماتزداد﴾ وهو الدم الذي يندفع إلى الخارج كدم النفاس ودم الحمل ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ هو الحد الذي يتعين به ويمتاز عن غيره به. فلذلك من المحال أن يغيب عن علمه شيء، فهو أحق بالربوبية. ٩ ـ ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ والشيء الواحد يمكن أن يكون غيباً بالنسبة لشيء وشهادة بالنسبة لآخر، لأن الأشياء لاتخلو من حدود تلازمها. فما تداخل من الحدود كان شهادة وإلا كان غيباً، والله تعالى غير محدود الوجود بحد وهو بكل شيء محيط، فعلمه بالغيب والشهادة يرجع إلى أنه لاغيب بالنسبة إليه. وهو ﴿الكبير﴾ مع علمه وهو يملك كمال كل شيء، وله كمال كل ذي كمال وزيادة، وهو ﴿المتعال﴾ وقد سما في علوه، فلذلك هو عالم الغيب والشهادة، لايعزب عن علمه شيء. ١٠ ـ ﴿سواء منكم من أسرّ القول ومن جهر به﴾ يعلمه الله ﴿ومن هو مستخف بالليل وسارب﴾ مار ﴿بالنهار﴾ لايخفى على الله. ١١ ـ ﴿له﴾ أي للإنسان ملائكة ﴿معقبات﴾ تقتفي أثره وتحفظه بأمر الله ﴿من بين يديه ومن خلفه﴾ فللإنسان وراء هيكله المادي نفس لها الشعور والإرادة، وإليها يتوجه الأمر والنهي، وبها يقوم الثواب والعقاب، ولولا أن حفظت المعقبات الإنسان بأمر الله بهذه الوسائط، لشمله الفناء وأسرع إليه الهلاك. وكذلك ﴿يحفظونه من أمر الله﴾ إذ ليس لحالته الروحية من ثبات أو عمل أو أثر إلا بأمر من الله؛ فالأمر كله لله وإليه يرجع الأمر كله ﴿إن الله لايغير مابقوم﴾ من الأحوال والواقع الذي يعيشونه ﴿حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ من الحالات الروحية، كأن يغيروا الشكر إلى الكفر، والطاعة إلى المعصية، والإيمان إلى الشرك، فيغير الله النعمة إلى النقمة، والهداية إلى الإضلال، والسعادة إلى الشقاء. وهذا قضاء حتم بنوع من التلازم بين

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۗ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾

النعم الموهوبة من عنده للإنسان وبين الحالات النفسية الراجعة إلى الإنسان، الجارية على استقامة الفطرة وهي تقتضي نعيم الدنيا والآخرة وبركات السماء. فإذا ارتدوا عن الفطرة زال النعيم، فما يقع عليهم يترتب على مايكون منهم، ويجيء لاحقاً له في الزمان بالقياس إليهم ﴿وإذا أراد الله بقوم سوءاً﴾ ولايريد ذلك إلا إذا غيروا مابأنفسهم من سمات المعبودية ومقتضيات الفطرة ﴿فلا مرد له﴾ إذ لامناص من حكم الله ﴿ومالهم من دونه من وال﴾ لأنه لاوالي لهم يري أمرهم من دونه، حتى يرد ماأراد الله بهم من سوء. ١٢ ـ ﴿هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً﴾ ليظهر في عيونكم صفتي الخوف والطمع، فالمسافر يخافه والحاضر يطمع به ﴿وينشىء السحاب الثقال﴾ التي تثقل بالمياه التي تحملها ١٣ ـ ﴿ويسبح الرعد بحمده﴾ تنزيهاً له وتعظيماً لقدرته ﴿والملائكة﴾ يسبحون ﴿من خيفته﴾ لعظمته ﴿ويرسل الصواعق﴾ وهي القطع النارية النازلة من السماء ﴿فيصيب بها من يشاء﴾ فلاراد لأمره ﴿وهم يجادلون في الله﴾ فالوثنيون يجادلون في ربوبيته، بتلفيق الحجة على ربوبية أربابهم كالتمسك بدأب آبائهم ﴿وهو شديد المحال﴾ أي المجادلة لإظهار مساوئهم وعيوبهم وهو قدير على إظهارها وفضحهم، فهو يقلب الأمور من وجه إلى وجه ومن حال إلى حال فله الحجة البالغة ١٤ ـ ﴿له دعوة الحق﴾ والدعاء يكون حقيقة، إذا كان المدعو ذا نظر يمكن أن يوجه الداعي، أو ذا قدرة يمكنه استجابة الدعاء، فلله دعوة الحق ﴿والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشيء﴾ لفقدهم الفقه والقدرة، فالآلهة والأرباب لاتغني عنهم ولايستجيبون لهم ﴿إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه﴾ وليس له من الدعاء إلا صورته الخالية من المعنى وهي بسط الكفين بالدعاء ﴿وماهو ببالغه﴾ فلن يبلغ الماء لأنه بعيد عنه ولن ينال شيئاً بدعائه ﴿ومادعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ فلاطريق لبلوغ الدعاء إلا الله، ومن دعا غيره فقد الارتباط بالغاية وخرج من الطريق فضل دعاؤه وهذا حال الكافرين. ١٥ ـ ﴿ولله يسجد من في السموات والأرض﴾ فتشمل الذلة والضعة لله جميع الموجودات ﴿طوعاً﴾ لأنه خضوع ذاتي لاينفك عنها ولايتخلف، فحياتها قائمة به تعالى وبقاؤها وبلوغها غاياتها كذلك ﴿وكرهاً﴾ فيما يخالف طباعها كالموت والفساد وبطلان الأثر والعاهات ﴿وظلالهم﴾ ساجدة له أيضاً، فالظل وإن كان عدمياً إلا أن له آثاراً خارجية. والسجود دائم ﴿بالغدو والآصال﴾ فطرفا النهار يمثلان سقوط الظل على الأرض حسياً كما يمثلان ذلة السجود. ١٦ ـ ﴿قل من رب السموات والأرض﴾ من يملكها ويدبر أمرها ﴿قل الله﴾ فالمشركون ممتنعون عن الإقرار بتوحيد الربوبية لأنهم لايعقلون ﴿قل أفاتخذتم من دونه أولياء لايملكون لأنفسهم نفعاً ولاضراً﴾ إذ كيف تملكون الولاية لغير الله؟ فقولكم يكذب نفسه وهو عدم ولاية أربابكم في عين ولايتهم ﴿قل هل يستوي الأعمى﴾ الذي يكفر بالحجة الحقة ﴿والبصير﴾ الذي يؤمن بها ﴿أم هل تستوي الظلمات﴾ وهي الكفر بالحق ﴿والنور﴾ وهو الإيمان بالحق. فإذا كان لكم أيها المشركون عقول سليمة وجب أن

لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَٰبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۚ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾

تسلموا للحق وترفضوا الباطل ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم﴾ وهم لايرون لله سبحانه شريكاً في الخلق والإيجاد، واختصاص الخلق والإيجاد بالله ينفي استقلال الوجود والعلم والقدرة عن غيره. ولاربوبية مع انتفاء هذه النعوت الكمالية ﴿قل الله خالق كل شيء﴾ ولاشريك له في خلقه ﴿وهو الواحد القهار﴾ لكل عدد وكثرة. ١٧ ـ ﴿أنزل من السماء ماء﴾ ثجاجاً ﴿فسالت أودية﴾ مختلفة في كبرها وصغرها وسعتها ﴿بقدرها﴾ أي بقدر سعتها ﴿فاحتمل السيل﴾ الواقع في كل واحد من الأودية المختلفة ﴿زبداً رابياً﴾ طافياً على الماء هو الظاهر على الحس يستر الماء ستراً ﴿ومما يوقدون عليه في النار﴾ مما يذيبون في النار من الفلزات والمعادن التي يوقدون النار تحتها ﴿ابتغاء حلية﴾ للزينة ﴿أو متاع﴾ من آلة وأداة يخرج ﴿زبد مثله﴾ أي مثل زبد ماء السيل ﴿كذلك يضرب الله الحق والباطل﴾ فيثبت الحق ويزهق الباطل، نظير مافعل في السيل وزبده ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء﴾ ويصير باطلاً متلاشياً ﴿وأما ماينفع الناس﴾ والحق يختص بنفعهم ﴿فيمكث في الأرض﴾ وينتفعون به ﴿كذلك﴾ أي بهذه الحوادث الخارجية، لاالقول فيها ﴿يضرب الله الأمثال﴾ ليتبين للناس ماينفعهم في معاشهم ومعادهم. ١٨ ـ ﴿للذين استجابوا لربهم﴾ ودعوته الحقة، العاقبة ﴿الحسنى﴾ لقاء استجابتهم ﴿والذين لم يستجيبوا له﴾ لهم من عاقبة الأمر ما ﴿لو أن لهم مافي الأرض جميعاً ومثله معه﴾ فلو ملكوا أكثر مما يتمنون ﴿لافتدوا به﴾ عما يفوتهم من الحسنى ﴿أولئك لهم سوء الحساب﴾ وهو الحساب الذي لايسرهم ﴿ومأواهم﴾ مسكنهم وملاذهم ﴿جهنم وبئس المهاد﴾ ما مهد لهم ليكون لهم مستقراً ومقاماً. ١٩ـ ﴿أفمن يعلم أن ماأنزل إليك من ربك الحق﴾ فاستقر الحق في قلوب الذين استجابوا لربهم فصارت ألباباً لها آثارها من التذكر والتبصر، فهي تثبت على الوفاء بعهد الله، فلا ينقضون ميثاق ربهم، ويصلون ماأمر الله به أن يوصل، ويصلحون في الأرض ولهم عقبى الدار، فهل هم ﴿كمن هو أعمى﴾ فالمقابل الذي يقابل من يعلم ليس الذي لايعلم بل هو الأعمى. وأعجب العجب ممن يزعم أنه مسلم ثم يأخذ المنهج من البشر الذين يقول الله عنهم أنهم عمي، وكم شقت البشرية بتخبطها بمناهج العمي ﴿إنما يتذكر أولوا الألباب﴾ فهم ذوو عقول وقلوب وليس ذلك لغيرهم. فهم ٢٠ ـ ﴿الذين يوفون بعهد الله﴾ وهو عهد الفطرة الصافية التي لم يشبها دنس أن توحد الله لاتشرك به شيئاً وأن ترعى مايترتب على هذا العهد من سلوك الفرد مع نفسه ومع مجتمعه ومع الإنسانية جمعاء. ﴿ولاينقضون الميثاق﴾ الذي عقدته فطرتهم ٢١ ـ ﴿والذين يصلون ماأمر الله به أن يوصل﴾ وهو الأمر التشريعي، فلاتتم الحجة إلا بنزول الوحي، مع أن بعض الأحكام مدركة بالفطرة، كقبح الظلم وحسن العدل. ومن أشهر مصاديق الآية صلة الرحم ﴿ويخشون ربهم﴾ والخشية تأثر القلب من احتمال وقوع الشر ﴿ويخافون سوء الحساب﴾ فالأعمال مكتوبة محفوظة في صحيفة الأعمال، وما ساء منها ساء وزرها.

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾

٢٢ ـ ﴿والذين صبروا﴾ كل شعب الصبر وهي الصبر عند المصيبة، والصبر على الطاعة والصبر عن المعصية ﴿ابتغاء وجه ربهم﴾ أي طلباً لوجهه الكريم، وارتباطاً بعبوديتهم له ﴿وأقاموا الصلاة﴾ ولم يخلوا بشرائطها ولم يستهينوا بأمرها لأنها صلتهم بربهم ﴿وأنفقوا مما رزقناهم﴾ إحكاماً للصلة بين عباد الله وهم منهم ﴿سراً﴾ في مايحسن فيه الإسرار ﴿وعلانية﴾ لتشويق الناس إلى البر والمعروف، ودفع التهمة ﴿ويدرءون بالحسنة السيئة﴾ في المعاملات اليومية لافي دين الله، فيدفعون مايصادفون من سيئة بحسنة تزيد عليها أو تعادلها لإطفاء جذوة الشر ونزغ الشيطان ﴿أولئك لهم عقبى الدار﴾ أي العاقبة المحمودة، لأن الشيء لاينتهي بحسب ماجبله الله عليه إلا إلى عاقبة تناسبه وتكون منها سعادته.

٢٣ ـ ﴿جنات عدن﴾ هي مستقر لهم، فيها خلود وسلام ﴿يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم﴾ فسيصاحبون من صلح من أرحامهم ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب﴾ لأنهم داوموا على الطاعة من كل باب. يقولون لهم.

٢٤ ـ ﴿سلام عليكم بما صبرتم﴾ فلكم الأمن والسلام الخالد ﴿فنعم عقبى الدار﴾ والعاقبة المحمودة التي لايعتريها ذم وسوء أبداً.

٢٥ ـ ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾ وهم غير المؤمنين الذين نقضوا عهد الفطرة السليمة التي تقضي بالتوحيد ﴿ويقطعون مأأمر الله به أن يوصل﴾ فأحكام الله ومنهجه توصل إلى السعادة وتغييرها قطع لها يوصل المجتمع إلى الشقاء ﴿ويفسدون في الأرض﴾ فيغيرون وظائف الأشياء عما خلقت لأجلها، ويخرجونها عن حد الاعتدال في القيام بمهمتها ﴿أولئك لهم اللعنة﴾ الإبعاد والطرد من الرحمة ومن كل كرامة ﴿ولهم سوء الدار﴾ لانكبابهم على الباطل ورفضهم الحق النازل من عند الله، وليس للباطل إلا البوار وسوء العاقبة.

٢٦ ـ ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ فما أوتي الفريقان من العاقبة المحمودة ومن سوء الدار هو الرزق الذي يرزقه الله لمن يشاء وكيف يشاء ﴿وفرحوا بالحياة الدنيا﴾ مع أن الرزق هو رزق الآخرة ﴿وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع﴾ فهي ليست مقصودة بنفسها بل مقصودة لغيرها، فهي متاع للآخرة لكسب رزق الآخرة فيها.

٢٧ ـ ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ وهم لايعدون القرآن آية ﴿قل﴾ لهم يامحمد ﴿إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب﴾ والإنابة هي الإيمان واطمئنان القلب بذكر الله، فالأمر ليس إلى الآية حتى يهتدوا بنزولها ويضلوا بعدمه، بل أمر الهداية والإضلال إلى الله سبحانه، وهداية الله قائمة بمشيئة منه على سنة دائمة ونظام متقن هو أن يشاء هداية من أناب ورجع إليه.

٢٨ ـ ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾ وهم الذين أنابوا، لديهم تهيؤ واستعداد يستعقب عطية الهداية الإلهية، كما أن الفسق والزيغ في باب الضلال تهيؤ واستعداد يستعقب الإضلال من الله .﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ فتسكن وتستقر ولايطمئن القلب إلى شيء غير الله إلا غفلة عن حقيقة حاله، وذكر الله هو وحده الذي يطمئن القلوب لأن النفس تدرك أن السعادة والشقاء بيد رب الأسباب، فهو الغالب الغني ذو الرحمة.

٢٩ ـ ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وهم الذين تطمئن قلوبهم، وتغبطهم نعمة الله عليهم، وقد أووا إلى ركن لاينهدم واستقروا في ولايته، لايوجه إليهم ربهم إلا مافيه سعادتهم، فإن أعطوا شيئاً فهو خير لهم، وإن منع عنهم شيء فهو خير لهم أيضاً ﴿طوبى لهم﴾ فلهم طيب الحياة ﴿وحسن مآب﴾ وحسن المرجع. ٣٠ ـ ﴿كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم﴾ إرسالاً يماثل سنته الجارية في دعوة الأمم إلى التوحيد ثم إضلال من يشاء، وهداية من يشاء وفق نظام الرجوع إلى الله والإيمان به أو عدم الرجوع إليه ﴿لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك﴾ وتبلغهم مايتضمنه هذا الكتاب ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ فهم يكفرون برحمة إلهية عامة تضمن لهم سعادة دنياهم وأخراهم لو أخذوه وعملوا به ﴿قل هو ربي﴾ وحده لاشريك له ﴿لاإله إلا هو﴾ من غير شريك كما تقولون ﴿عليه توكلت﴾ فأتخذه القائم على جميع أموري، ﴿وإليه مآب﴾ وإليه أرجع. ٣١ ـ ﴿ولو أن قرآناً سيرت به الجبال﴾ وقلعت من أصولها وذهب بها من مكان لآخر ﴿أو قطعت به الأرض﴾ وشقت قطعة قطعة ﴿أو كلم به الموتى﴾ بإحيائهم لاستخبارهم عما جرى عليهم بعد الموت ليُستدل على حقية الدار الآخرة، لكان هذا القرآن ﴿بل لله الأمر جميعاً﴾ فما كانوا ليهتدوا بكل ذلك إلا أن يشاء الله، والأمر كله لله، ليس شيء منه لغيره حتى يتوهم متوهم أنه لو نزلت آية عظيمة هائلة أمكنها أن تهديهم ﴿أفلم ييأس﴾ أي يعلم ﴿الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً﴾ أفلم ييأسوا من إيمانهم واهتدائهم فعلموا أن لو يشاء الله لهداهم أجمعين ﴿ولايزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا﴾ أي بما كفروا بالرحمن قبال الدعوة الحقة ﴿قارعة﴾ مصيبة شديدة لمن كان منهم خارج الحرم ﴿أو تحل قريباً من دارهم﴾ لمن كان منهم من أهل الحرم، فيصيبهم عارها، وتنالهم وحشتها ﴿حتى يأتي وعد الله﴾ من عذاب السيف الذي أخذهم في غزوة بدر وغيرها ﴿إن الله لايخلف الميعاد﴾ فإذا حقت كلمته لايستقدمون ساعة ولايستأخرون. ٣٢ ـ ﴿ولقد استهزيء برسل من قبلك﴾ بالكفر وطلب الآيات، كما كفر هؤلاء بدعوتك، ثم اقترحوا عليك آية أُخرى مع وجود القرآن ﴿فأمليت للذين كفروا﴾ وأمهلتهم ﴿ثم أخذتهم﴾ بالعذاب الإلهي ﴿فكيف كان عقاب﴾ أكان وعيداً لاشيء وراءه؟ أم أمراً يمكنهم أن يتقوه ويدفعوه؟ فإذا كان ذلك قد وقع بهم فليحذر هؤلاء، وفعالهم كفعالهم، أن يقع مثله بهم. ٣٣ ـ ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ وهو المهيمن المتسلط المدبر، وهو القائم على كل نفس لأنه محيط بذاتها، قاهر عليها، شاهد لها، وقائم بما كسبت لأنه يدبر أعمالها فيحولها من مرتبة الحركة والسكون إلى أعمال محفوظة ثم يحولها إلى المثوبات والعقوبات في الدنيا والآخرة، ﴿وجعلوا لله شركاء﴾ فمن كان قائماً مهيمناً فهل يعدله غيره حتى يشاركه في ألوهيته؟ ﴿قل﴾ يامحمد للمشركين بشأن آلهتهم ﴿سموهم﴾ وصفوهم فإن صفات الأشياء هي

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَايْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ۚ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾

التي تتعين بها شؤونها، فلو كانت شركاء لله شفعاء عنده، لوجب أن يكون لها من الصفات مايسوي لها هذا الشأن ﴿أم تنبئونه بما لايعلم في الأرض﴾ من وجود شركاء له فيها ولو كان له شركاء في الأرض لعلم، لأن الشريك لايخفى تأثيره على شريكه والله سبحانه لايرى لنفسه شريكاً، والدليل أنه القائم على كل نفس بما كسبت وله الخلق والأمر، ﴿أم﴾ تنبئونه ﴿بظاهر من القول﴾ من غير حقيقة. فهم مترددون بين محاذير ثلاثة: الأول هو القول بشركتها من غير حجة، والثاني أن يدعوا لها أوصافاً لايعلمها الله، والثالث أن يكونوا متظاهرين بالقول بشركتها من غير حقيقة ﴿بل زين للذين كفروا مكرهم﴾ فدع هذه الحجج لأن دعوى الشركاء مكر زينه الشيطان ﴿وصدوا عن السبيل﴾ يريدون عرض الدنيا وزينتها ﴿ومن يضلل الله فماله من هاد﴾ فقد أضلهم بإمساك نعمة الهدى منهم ولاهادي لهم من دونه. ٣٤ ـ ﴿لهم عذاب في الحياة الدنيا﴾ معجل بهم ﴿ولعذاب الآخرة أشق﴾ بما أشركوا به مالم ينزّل به سلطاناً ﴿ومالهم من الله من واق﴾ فلاشفيع ولاشفاعة تقيهم من عذاب الله. ٣٥ ـ ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ فوصفها جنة ﴿تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم﴾ لاينفد ولاينقص ﴿وظلها﴾ دائم مستقر فضل منه ورحمة ﴿تلك عقبى الذين اتقوا﴾ فمجموع أعمالهم في الدنيا عمل واحد، فهم متصفون بالتقوى دائماً، أما من تبدل منه العمل فهو خارج عن ذلك ﴿وعقبى الكافرين النار﴾ مقابلة بينهم وبين المؤمنين الذين عملوا الصالحات، أما المؤمنون من غير عمل صالح فهم مؤمنون بالله كافرون بآياته، وهذا كفر في مرتبة العمل لا العقيدة. ٣٦ ـ ﴿والذين آتيناهم الكتاب﴾ وهم اليهود والنصارى أو هم والمجوس على ماقيل ﴿يفرحون بما أنزل إليك﴾ إذ لم يكونوا يعاندون النبي محمداً ﷺ في أوائل البعثة في مكة، كما أنهم شهدوا على نبوته ﷺ ﴿ومن الأحزاب﴾ من أهل الكتاب ﴿من ينكر بعضه﴾ وهو مادل منه على التوحيد ونفي التثليث، ومخالف ماعندهم من المعارف والأحكام المحرمة ﴿قل﴾ يامحمد ﴿إنما أمرت أن أعبد الله ولاأشرك به﴾ فمنهجي التوحيد ولاتوحيد مع شرك ﴿إليه أدعو وإليه مآب﴾ فدعوتي توحيد ولاأرجع في أي أمر من أموري إلا إليه.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾

٣٧ـ﴿وكذلك أنزلناه﴾ أي القرآن ﴿حكماً﴾ قضاء وعزيمة وشريعة ﴿عربياً﴾ بلسان عربي هو لسانه ﷺ ﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ من اقتراح آية غير القرآن، او اتباعهم فيما عندهم من أحكام ﴿بعد ماجاءك من العلم﴾ الحق، أخذناك بالعقوبة و ﴿مالك من الله من ولي﴾ يلي أمرك من دون الله ﴿ولاواق﴾ يقيك منه. ٣٨ ـ ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك﴾ وهم بشر ﴿وجعلنا لهم أزواجاً وذرية﴾ وهذه سنة جارية فيهم ﴿وماكان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾ فهم محرومون القدرة الغيبية المستقلة إلا أن يمدهم الإذن الإلهي ﴿لكل أجل﴾ أي وقت محدد ﴿كتاب﴾ أي حكم مقضي مكتوب، فهو الذي يأذن فيما شاء وينزل مايشاء في الوقت المعلوم. ٣٩ ـ ﴿يمحو الله مايشاء﴾ فيبطل أثره ﴿ويثبت﴾ فيقر الشيء في مستقره ﴿وعنده أم الكتاب﴾ أي أصله وجنسه والأمر الثابت الذي ترجع إليه هذه الكتب التي تمحى وتثبت

بحسب الأوقات والآجال. فلله في كل وقت وأجل كتاب أي حكم وقضاء، وهو تعالى يمحو مايشاء من هذه الكتب والأحكام والأقضية، ويثبت ما يشاء، أي يغير القضاء الثابت في وقت فيضع في الوقت الثاني قضاء آخر وعنده أصل الكتاب الذي ترجع إليه هذه الكتب. ٤٠ ـ ﴿وإما نرينك بعض الذي نعدهم﴾ من العذاب فيحل بهم وترى عذابهم ﴿أو نتوفينك﴾ قبل ذلك ﴿فإنما عليك البلاغ﴾ فوظيفتك الإنذار والبلاغ فحسب، فلاينبغي أن تتبع أهواءهم، لأن نتيجة بلاغك ليست لهم ﴿وعلينا الحساب﴾ والحساب جار في الدنيا والآخرة. وليس للداعية أن يبلغ بدعوته كل مراحلها، وليس له أن يقطف ثمارها وليس له أن يشعر بالخيبة إذا لم ينبلج صبحها. ٤١ ـ ﴿أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾ فننقص أهلها بالإماتة والإهلاك، فليعتبروا بعد ماقدم إليهم الوعيد بالإهلاك فيد الله بادية الآثار، فهي تأتي الأمم القوية الغنية المفسدة فتنقص من قوتها وثرائها وتحصرها في قطعة محصورة من الأرض بعد سعة ونفوذ ﴿والله يحكم﴾ مايريد ﴿لامعقب لحكمه﴾ فلا يغلبه بالرد والمنع معقب ﴿وهو سريع الحساب﴾ فهو يحاسب على كل عمل بمجرد وقوعه بلا مهلة، ولامتصرف غيره بالإخلال. ٤٢ ـ ﴿وقد مكر الذين من قبلهم﴾ فلم ينفعهم مكرهم ﴿فلله المكر جميعاً﴾ والدليل أنهم لم يقدروا على صدنا من أن نأتي الأرض فننقصها من أطرافها، فليعتبروا وهو ﴿يعلم ماتكسب كل نفس﴾ فالمكر إنما يتم مع جهل الممكور به أما إذا علم به فعنده بطلانه ﴿وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار﴾ فعواقب الأمور من الضرورات العينية، لاتتخلف عن الوقوع، وسيشهدونها شهود عيان، فلاحاجة إلى الإطالة والإطناب في إعلامهم، فسيعلمون.

٤٣ ـ ﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلا﴾ لعدم إجابتهم إلى طلبهم بشأن الآية ﴿قل﴾ يامحمد ﴿كفى بالله شهيداً بيني وبينكم﴾ استشهاد بالله سبحانه وهو ولي أمر الإرسال، وهي شهادة تأدية لاشهادة تحمل ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ وكفى بمن عنده علم الكتاب شهيداً بيني وبينكم، وهو ممن آمن بالنبي ﷺ يومئذ. وبهذا يتأيد ماورد في الروايات أن الآية نزلت في علي (ع) ويكفيه ماورد عن النبي ﷺ في حديث الثقلين المتواتر من الفريقين: «إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض. ماإن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي».

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

سورة إبراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: إثبات أن القرآن آية للرسول ﷺ، وجوب تلبية الدعوة الإسلامية، مع وعد ووعيد.

١ ـ ﴿الر﴾ قد يكون المراد بهذه الحروف الدلالة على أسمائه تعالى، أو الإشارة إلى نعمائه أو تسكيت الكفار الذين قالوا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ﴿كتاب أنزلناه إليك﴾ هو القرآن ﴿لتخرج الناس﴾ يامحمد ﴿من الظلمات﴾

ومنها الضلال والأوهام والخرافات والتقاليد والأحكام الأهوائية والتشريعات الوضعية، وجمعت الظلمات لكونها متغايرة أهوائية، لا اتحاد لأبعاضها ومصاديقها. ﴿إلى النور﴾ وهو الهدى والهدى من الحق والحق واحد. فالرسول ﷺ هو أحد الأسباب الظاهرية، وإليه ينتهي إيمان المؤمنين بلاوساطة أو بوساطة ﴿بإذن ربهم﴾ فهو أيضاً رب هؤلاء المشركين الذين اتخذوا له أنداداً ﴿إلى صراط العزيز﴾ الذي لا يغلبه ولايقهره شيء وهو القاهر فوق كل شيء، ولذلك انحصرت العزة فيه تعالى فلاتوجد عند غيره إلا بتمليك منه، وهو ﴿الحميد﴾ الذي يثنى على كمال جميله الاختياري، وهو سبحانه قد توحد بالربوبية والعزة، وأنعم على العباد بها وعزم عليهم أن يشكروه. فإن فعلوا أدخلهم الجنة وإلا فالنار مثوى لهم، فليخافوا ربهم لأن له العزة فلا يمنع عن حلول عذابه مانع وهو حميد لايذم في إثابته المؤمنين ولا في تعذيبه الكافرين، ولا في بسط ماأنعم.

٢ ـ ﴿الله الذي له مافي السموات وما في الأرض﴾ فله مافي الكون جميعاً وهو عزيز يتصرف فيما يشاء بما يشاء، وتصرفه محمود، لأن التصرف المذموم يأتي من كون المتصرف لايملك تصرفه إما عقلاً أو شرعاً أو عرفاً، وهو تعالى مالك لكل شيء، فهو حميد محمود الأفعال ﴿وويلٌ للكافرين من عذابٍ شديد﴾ بيان لما تقتضيه صفة العزة من القهر لمن يرد دعوته ويكفر بنعمته.

٣ ـ ﴿الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة﴾ على أن اختيار الدنيا وجعلها غاية، يستلزم نفي الآخرة من أصلها، لأنها لو ثبتت لثبتت غاية، وإذا لم تجعل غاية انتفت. ولا بغية للإنسان إلا سعادة حياته، والحياة دائمة غير منقطعة بالموت الذي ماهو إلا انفصال النفس عن الجسد، وتنقسم هذه الحياة إلى الحياة الدنيا المؤجلة بالموت والحياة الآخرة بعد الموت، وهي تتفرع في سعادتها وشقائها على الحياة الدنيا وماكتسب الإنسان فيها من أعمال، وهذه الأعمال إما أن تكون حسنة وهي التي تسمى في كتاب الله ديناً وسبيلاً، وإما غير ذلك من الملل والسنن والأنظمة والشرائع التي ماأنزل الله بها من سلطان. والذين يؤثرون الدنيا على الآخرة، يكفرون بالمعاد المستلزم للكفر بالتوحيد والنبوة ﴿ويصدون عن سبيل الله﴾ فلا يتدينون بدينه، ويصرفون الناس عن الإيمان بالله واليوم الآخر والتشرع بشريعته ﴿ويبغونها عوجاً﴾ منحرفة باختيار السنن والقوانين والأحكام الاجتماعية التي وضعها البشر ﴿أولئك في ضلالٍ بعيد﴾ لأنهم انحرفوا عن دين الله الحق.

٤ ـ ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ وهي لغة القوم الذين أرسله الله فيهم ﴿ليبين لهم﴾ الهدى من الضلال والحق من الباطل ﴿فيضل الله من يشاء﴾ فهو تعالى يضل من جحده واتبع هواه مجازاة لا إضلالاً ابتدائياً ﴿ويهدي من يشاء﴾ وقد قضت سنته أن يهدي من يتبع الحق ﴿وهو العزيز﴾ لايضره ولايغلبه من ضل منهم وهو ﴿الحكيم﴾ لايشاء مايشاء جزافاً بل عن نظام متقن دائم.

٥ ـ ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ وقصة موسى من أوضح مصاديق ظهور العزة الإلهية ﴿أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور﴾ وهذا الإخراج هو غاية الرسالة ﴿وذكرهم بأيام الله﴾ التي يظهر فيها أمره تعالى ظهوراً لايبقى معه لغيره ظهور كيوم الموت، ويوم القيامة، وأيام العذاب، أو هي أيام ظهور النعم الإلهية، كخروج نوح (ع) ومن معه من السفينة بسلام، ويوم إنجاء ابراهيم من النار ﴿إن في ذلك لآياتٍ لكل صبارٍ﴾ كثير الصبر عند الضراء ﴿شكورٍ﴾ كثير الشكر على النعماء.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ۖ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

٦ ـ ﴿وإذ قال موسى لقومه﴾ وهم بنو إسرائيل ﴿اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون﴾ وخاصة من القبط ﴿يسومونكم سوء العذاب﴾ فهم مستمرون في إذاقتكم العذاب ﴿ويذبحون أبناءكم﴾ أي الذكور منهم ﴿ويستحيون نساءكم﴾ أي يستبقون حياتهن للاسترقاق ﴿وفي ذلكم بلاء﴾ امتحان ﴿من ربكم عظيم﴾ وهذا الامتحان ليتميز من ينهض للتغلب على ظلم الظالم ممن يستكين قبال ظلمه. ٧ ـ ﴿وإذ تأذن ربكم﴾ أعلم ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ بين تعالى أن حقيقة الشكر استعمال النعمة بنحو يذكر بإنعام المنعم ويظهر إحسانه ويؤول إلى الإيمان والتقوى. وهذا الشكر موجب لمزيد النعمة ﴿ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾ فالكافر على خطر من كفره، فالله سبحانه لم يصرح بفعلية العذاب ـ في هذه الآية ـ على كل من كفر. ٨ ـ ﴿وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني﴾ بذاته عن كل شيء، فلا ينتفع بشكر من شكر، ولاينتضر بكفر من كفر، وهو ﴿حميد﴾ لأن الحمد إظهار الحامد بلسانه ما لفعل المحمود، وفعله تعالى حسن جميل من كل جهة، وهو ظاهر الجمال ويمتنع خفاؤه وإخفاؤه، فهو محمود سواء حمد باللسان أم لم يحمد وإن من شيء إلا يسبح بحمده، قصد به الحمد أو قصد به غيره. ٩ ـ ﴿ألم يأتكم نبأ﴾ هلاك وانقراض ﴿الذين من قبلكم﴾ يابني اسرائيل ﴿قوم نوح وعاد وثمود﴾ من قبيل ذكر الأمثلة ﴿والذين من بعدهم﴾ ممن لم يذكر مع من ذكر ﴿لايعلمهم إلا الله﴾ فلا أحد يحيط بتفاصيل حياتهم وحقيقة حالهم ﴿جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ التي تجلي الحق ﴿فردوا أيديهم في أفواههم﴾ ومنعوا رسلهم أن يتفوهوا بالحق وسدوا عليهم طريق التكلم ﴿وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به﴾ إنكاراً للشريعة الإلهية ﴿وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب﴾ إنكار للحجج والبينات، وإظهار الشك المريب في توحيد الربوبية. ١٠ ـ ﴿قالت رسلهم أفي الله شك فاطر﴾ خالق وموجد ﴿السموات والأرض﴾ رد على إنكار الكفار، فكل مافي الوجود بوجوده وآثاره ينطق بتوحيد الربوبية ﴿يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم﴾ وهذا برهان النبوة التي أنكروها، فسنته تعالى تدعو إلى هداية كل شيء إلى كمال سعادته، ولاتتم هذه إلا بإرسال الرسل لدعوة الناس إلى الإيمان والعمل الصالح، فغاية الدعوة هي المغفرة ﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ لأن غاية الحياة هي دار القرار وهي المقصودة بالذات، فلايعاجلكم بالعقوبة والهلاك ﴿قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا﴾ هاتوا دليلاً على النبوة، فالآية المعجزة حجة عامة على نبوة النبي، لأن الوحي والنبوة وهما نوع اتصال بالغيب، أمر خارق للعادة لايجدهما الناس من أنفسهم فعلى من يدعيهما الإثبات، ولا طريق إلى الإثبات إلا الإتيان بخارق عادة آخر ﴿تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا﴾ فهم ولو قبلوا أن مقتضى العناية الإلهية يدعو إلى الرحمة، ولكن ماعهدوه هو أن تغيير السنن القومية إنما يهدف إلى مطامع دنيوية مادية، وهذا يمنعهم من إيجاب دعوة النبي وهو بشر مثلهم ﴿فأتونا بسلطان مبين﴾ وبرهان قاطع لنذعن بنبوتكم.

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

١١ ـ ﴿قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشرٌ مثلكم﴾ نماثلكم في البشرية ﴿ولكن الله يمن على من يشاء من عباده﴾ فلا تماثل في صفات الكمال الصورية والمعنوية والإنسانية بين أفراد البشر، والله يمن على من يشاء منهم بالوحي ﴿وما كان لنا أن نأتيكم بسلطانٍ﴾ برهان أو معجزة ﴿إلا بإذن الله﴾ إذ ليس للنبي قدرة غيبية فعالة حتى يأتي بآية من عنده إلا أن يشاء الله ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ الذين يذعنون أن الإتيان بالآية إنما هو إلى الله، لأن له الحول والقوة، ولايملك غيره شيئاً من ذلك إلا بإذنه. ١٢ ـ ﴿ومالنا ألا نتوكل على الله﴾ استفهام للإنكار ﴿وقد هدانا سبلنا﴾ وهي سبل الشرائع، دون أن يكون لنا صنع في هذه النعمة والسعادة، وإنما هي من الله، فمن الواجب أن نتوكل عليه في سائر الأمور ﴿ولنصبرن على ما آذيتمونا﴾ في سبيل الدعوة إليه، فلا نتزحزح ولانضعف ولانهون ولانحيد ﴿وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾ حتى يحكم بما يريد، ويفعل مايشاء. وكل من تلبس بالتوكل فعليه أن يتوكل على الله، سواء كان مؤمناً أم غير مؤمن إذ لا دليل ولا معين غيره، والمؤمن مذعن أن الأمر كله لله فلا يسعه إلا الالتزام بأحكامه وهذا هو الإيمان. ١٣ ـ ﴿وقال الذين كفروا لرسلهم﴾ تهديداً لهم بعد سقوط محاجتهم ﴿لنخرجنكم من أرضنا﴾ أنتم وأتباعكم ﴿أو لتعودن في ملتنا﴾ أنتم ومن آمن بكم، فالتجمع الجاهلي لايسمح لعنصر مسلم أن يعمل من داخله إلا إذا كان يعمل لحساب هذا التجمع الجاهلي، وكل تجمع غير مسلم هو تجمع جاهلي. ﴿فأوحى إليهم ربهم﴾ أي إلى الرسل ﴿لنهلكن الظالمين﴾ بسبب ظلمهم ١٤ ـ ﴿ولنسكننكم الأرض من بعدهم﴾ أنتم والمؤمنون معكم ﴿ذلك لمن خاف مقامي﴾ إشعار بعلية الخوف للإسكان ﴿وخاف وعيد﴾ ماأوعد الله المخالفين لأمره من العذاب. ١٥ ـ ﴿واستفتحوا﴾ فطلبوا ـ أي الرسل ـ الفتح والنصر من الله، لما انقطعت بهم الأسباب، أو استفتح الرسل والكفار جميعاً ﴿وخاب كل جبارٍ عنيدٍ﴾ وخيبتهم كانت عذاب استئصالهم. ١٦ ـ ﴿من ورائه﴾ من بعد العذاب الشديد ﴿جهنم﴾ يحترق الكافر بنارها ﴿ويسقى من ماء صديد﴾ والصديد هو القيح السائل من الجرح ١٧ ـ ﴿يتجرعه﴾ يتناوله جرعة جرعة ﴿ولايكاد يسيغه﴾ ولايكاد يجريه في حلقه ﴿ويأتيه الموت من كل مكان﴾ فكل عذاب هو عذاب موصل للموت ﴿وما هو بميت﴾ فلا نجاة من العذاب ﴿ومن ورائه عذابٌ غليظٌ﴾ فهو عذاب فوق عذاب. ١٨ ـ ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم﴾ أي أن نتيجة أعمالهم ﴿كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف﴾ فنثرته ولم يبق منه شيء ﴿لايقدرون مما كسبوا على شيء﴾ فأعمالهم حابطة ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً. فهو يتناسب مع الرماد المتطاير الضال.

١٩ ـ ﴿ألم تر﴾ ألم تعلم علماً قاطعاً ﴿أن الله خلق السموات والأرض بالحق﴾ والفعل الحق أن يكون لفاعله غاية مطلوبة، فكل نوع متوجه لغاية مؤجلة، فالنبات ينتفع بالعناصر الأرضية، والحيوان ينتفع بالنبات، وخلق السموات والأرض يخلف عالماً باقياً بعد زواله هو غايته ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد﴾ الخطاب لعامة البشر أو لأمة محمد ٢٠ ـ ﴿وماذلك على الله بعزيز﴾ لاشاق ولاصعب، والله غني بذاته لايستكمل ذاته بما خلق، لا كالإنسان يستكمل مايحتاج بما يصنع. فالخلق لغاية، لالعب ولالهو، وإلا لأذهبكم ولأتى بخلق جديد. ٢١ ـ ﴿وبرزوا لله جميعاً﴾ خرجوا إلى البَراز وهو الفضاء، فلايحجبهم حاجب، وقد كانوا يتوهمون أن ربهم في غيبة عنهم، أو أنهم خلصوا لحساب الأعمال ﴿فقال الضعفاء﴾ المقلدون المطيعون لأوليائهم من الكفار، وقد تنازلوا عن حريتهم في التفكير والاعتقاد والمنهج، وهذا الضعف من الضعفاء ليس عذراً بل جريمة ﴿للذين استكبروا﴾ وهم أولياؤهم المتبوعون، أولو الطول والقوة، المستنكفون عن الإيمان بالله وآياته، الرافضون لشرعه ومنهجه ﴿إنا كنا لكم تبعاً﴾ في العقيدة والتفكير والسلوك، وخدماً مطيعين من غير أن نسألكم حجة على ماتأمروننا به. فالقلة المستكبرة لاتتمكن من استتباع الكثرة المستضعفة إلا بتنازل من هذه الأخيرة التي تصبح تبعاً، ولكن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ولايرضى الله لأحد من عباده أن يتنازل عن حريته ليكون عبداً لغيره. ولاتستطيع الطواغيت المستكبرة أن تملك أكثر من الجسد أما النفس والروح والعقل فلا يملك أحد أن ينال منها إلا أن يسلمها صاحبها للذل مختاراً. ﴿فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء﴾ فتدفعون عنا شيئاً منه ﴿قالوا لوهدانا الله﴾ إلى طريق التخلص من العذاب، أو طريق الدين الحق ﴿لهديناكم﴾ بهذا الهدى ﴿سواء علينا أجزعنا﴾ والجزع خلاف الصبر ﴿أم صبرنا﴾ فالأمران متساويان ﴿مالنا من محيص﴾ فلا مهرب لنا. ٢٢ ـ ﴿وقال الشيطان﴾ وهو مصدر كل غواية ﴿لما قضي الأمر﴾ حكم فيه وقد تبرأ كل متبوع من تابعه، فالمجرمون يعترفون بجرمهم وضلالهم، وأئمة الضلال لايستجيبون لمن تبعهم ﴿إن الله وعدكم وعد الحق﴾ فوعد البعث والجزاء قد حققه الوقوع، وصدقته المشاهدة ﴿ووعدتكم﴾ أن لابعث ولاحساب ولاجنة ولانار ﴿فأخلفتكم﴾ ولم أف بما وعدتكم وقد ظهر خلافه، أو أن الوعد يترتب على الإيمان والشرك في الدنيا والآخرة ﴿وماكان لي عليكم من سلطان﴾ إذ لاتسلط ولاقهر فالحجة عليكم قائمة. ولم يكن في مقدوري أن أجبركم على معصيته، ولم يكن بمقدوري أن أقيم لكم الحجة على الشرك ﴿إلا أن دعوتكم﴾ من غير سلطان ﴿فاستجبتم لي﴾ فعصيتم ﴿فلاتلوموني﴾ إذ لم يكن لي عليكم سلطان ﴿ولوموا أنفسكم﴾ لأن لكم السلطان على عملكم ومعصيتكم ﴿ماأنا بمصرخكم﴾ مغيثكم ومنجيكم ﴿ومأأنتم بمصرخيّ﴾ فلاتشفعون لي ولاأنا شافع لكم ﴿إني كفرت بما أشركتموني من قبل﴾ متبرئاً من إشراككم إياي في الدنيا، وهذا الإشراك هو إشراك في الطاعة دون الإشراك بالعبادة.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾

﴿إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ بقية كلام إبليس لأنهم ظلموا ظلماً لايرجع إلا إلى أنفسهم. ٢٣ ـ ﴿وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ وهذه نهاية السعداء من المؤمنين ﴿خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام﴾ مقابلة لهم مع حال الكفار وسلامهم المبارك مع خصام أهل النار. ٢٤ ـ ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة﴾ وهذه الكلمة ليست بما هي لفظ بل بما هي مشتملة على اعتقاد وعزم يستقيم عليه الإنسان ولايزيغ عنه عملاً، وهي التي يرتب تعالى عليها تثبيت الذين آمنوا في الدنيا والآخرة. فيظهر بهذا أن المراد بهذه الكلمة هو كلمة التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله، وقيل هي الإيمان، وقيل هي القرآن، وقيل هي الطاعات...الخ ﴿كشجرة طيبة﴾ قيل هي النخلة، وقيل كل شجرة، وقيل لاتوجد بالفعل بل بما وصفها الله ﴿أصلها ثابت﴾ ـ فللتوحيد أصل ثابت هو الله عز وجل، أو هو أرض الحقائق ـ فلايزعزعها عصف المكذبين ولارياح الباطل ﴿وفرعها في السماء﴾ وهذا الفرع ينمو من غير عائق وتنشأ منه العقائد، والأخلاق، والأعمال الصالحة التي تلائم سير النظام الكوني ٢٥ ـ ﴿تؤتي أكلها﴾ وثمارها الطيبة المفيدة النافعة ﴿كل حين﴾ قيل هو شهران، وقيل ستة أشهر، وقيل سنة، وقيل الغداة والعشي، وقيل جميع الأوقات ﴿بإذن ربها﴾ فإذن الله هو سبب فيض الخير ﴿ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾ أن لامحيص لمريد السعادة عن كلمة التوحيد والاستقامة عليها. ٢٦ ـ ﴿ومثل كلمة خبيثة﴾ وهي كلمة الشرك ﴿كشجرة خبيثة﴾ مفروضة ﴿اجتثت﴾ اقتلعت ﴿من فوق الأرض﴾ ليس لها أصل ثابت ﴿مالها من قرار﴾ فلا أثر لها إلا الضرر والشر. ٢٧ ـ ﴿يثبت الله الذين آمنوا﴾ إذا ثبتوا على إيمانهم، واستقاموا ﴿بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ ولولا تثبيته تعالى لهم، لم يستفيدوا من الثبات من أنفسهم. ﴿ويضل الله الظالمين﴾ والضلال يبتدىء من العبد بسوء اختياره فيجازيه الله بالضلال على الضلال، أما الهداية فتبتدىء من الله، ويترتب عليها اهتداء العبد. ﴿ويفعل الله مايشاء﴾ فيثبت هؤلاء ويضل أولئك، على ماتقتضيه مشيئته، ولامانع له ولادافع ولاحائل بينه وبين مشيئته. ٢٨ ـ ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً﴾ وهم أئمة الكفر ورؤساء الضلال، وطواغيت العصور، فقد بدلوا شكر النعمة كفراً ﴿وأحلوا قومهم﴾ وأنفسهم ﴿دار البوار﴾ أي دار الهلاك والشقاء وهي النار. ٢٩ ـ ﴿جهنم يصلونها﴾ وهي دار البوار ﴿وبئس القرار﴾ وساءت مستقراً ومقاماً. ٣٠ ـ ﴿وجعلوا لله أنداداً﴾ أمثالاً آلهة من الملائكة والجن والإنس ونسبوا إليهم تدبير أمر العالم ثم عبدوهم خوفاً وطمعاً ﴿ليضلوا عن سبيله﴾ تعالى وليستعبدوا الناس ويحرفوهم عن سبيل الفطرة عن علم منهم بما يعملون ﴿قل تمتعوا﴾ بعرض الحياة الدنيا ﴿فإن مصيركم إلى النار﴾ فلامرجع لكم سواها. ٣١ ـ ﴿قل لعبادي الذين آمنوا﴾ أن يلتزموا سبيل الله بأن ﴿يقيموا الصلاة﴾ وهي رابطتهم بربهم ﴿وينفقوا مما رزقناهم﴾ تأدية لحق مجتمعهم ﴿سراً﴾ فيما يحسن فيه الإسرار ﴿وعلانية﴾ فيما يحسن فيه الإعلان

تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

كمورد حث الغير على الإنفاق ﴿من قبل أن يأتي يوم لابيع فيه﴾ ولاتجارة ﴿ولاخلال﴾ لامحبون ولاشفعاء، لتقطع هذه الأسباب التي كانت تدبر معائشهم في الحياة الدنيا بأمر ممن خلق الأسباب. ٣٢ ـ ﴿الله الذي خلق السموات والأرض﴾ فله الربوبية وحده دون الذين جعلتموهم أنداداً له ﴿وأنزل من السماء ماءً﴾ وإليه ينتهي الماء في الأرض ﴿فأخرج به من الثمرات رزقا لكم﴾ من النباتات والحيوانات ﴿وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره﴾ بحيث تنفعكم في مقاصدكم ﴿وسخر لكم الأنهار﴾ لتشربوا منها وتغتسلوا وتروا أرضكم وتسقوا حيواناتكم. ٣٣ ـ ﴿وسخر لكم الشمس والقمر دائبين﴾ مداومين في حركتهما وسيرهما وفق عادة ونظام متقن ﴿وسخر لكم الليل والنهار﴾ وهما ينتجان عن حركة الأرض حول نفسها أثناء دورانها حول الشمس. ٣٤ ـ ﴿وآتاكم من كل ماسألتموه﴾ والله تعالى يرفع حاجة كل محتاج ، وما من سؤال إلا وعنده له عطاء، فالله سبحانه قد رفع حاجة النوع الإنساني كلاً أو بعضاً ﴿وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها﴾ إن نعم الله تخرج عن طوق الإحصاء، وكيف يمكن إحصاء نعمه تعالى وعالم الوجود ومايلحق به من الأحوال، مرتبط بأجزائه، بنظام متكامل ﴿إن الإنسان لظلوم كفار﴾ فيظلم نفسه بعدم شكر النعمة فيؤديه ذلك إلى البوار والخسران؛ وقد آتاه سؤاله بلسان فطرته؛ وبدعائه. ٣٥ ـ ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد﴾ وهو مكة ﴿آمناً﴾ دعاء منه لتشريف مكة بالأمن وهذا الأمن هو الأمن التشريعي لاالتكويني وقد أجاب الله دعوته ﴿واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام﴾ بإبعادنا عن عبادتها برحمة منك وهذا الإبعاد وهذه الهداية الإلهية إنما هي للمستعدين لتقبلها دون المعاندين المستكبرين والدعاء له ولمن جاء من نسله وهم بنو إسماعيل وبنو إسحاق إلا أن يقال أن قرائن الحال تدل على اختصاص الدعوة بآل إسماعيل القاطنين بالحجاز فلا تعم بني إسحاق، والأصنام ليست سوى لبوس يختفي وراءها الطواغيت ليعبدوا الناس باسمها. فالسادن أو الكاهن أو الحاكم يقوم من ورائها ليذل الجماهير ولئن اختفت هذه الحجارة أحياناً فإن الكامن وراءها باق في كل زمان ومكان يظهر تارة ويخنس أخرى. ٣٦ ـ ﴿رب﴾ إعادة للدعاء بإثارة الرحمة الإلهية ﴿إنهن أضللن كثيراً من الناس﴾ لارتباط الإضلال بالأصنام، وإن لم يكن ارتباطاً شعورياً ﴿فمن تبعني﴾ سلوكاً وعقيدة ﴿فإنه مني﴾ فالاتباع هو سلوك الطريقة المبنية على توحيد الله سبحانه، ليكون في ذلك عرض النفس على رحمته تعالى وإجنابها عن عبادة الأصنام ﴿ومن عصاني﴾ بترك طريقتي كلها أو بعضها، سواء من بنيَّ أو غيرهم، فلا ألحقه بنفسي ﴿فإنك غفور رحيم﴾ فلاأسألك إجنابه، بل أخلي بينه وبين مغفرتك ورحمتك. ٣٧ ـ ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي﴾ إسماعيل ومن سيولد له ﴿بواد غير ذي زرع﴾ فلايصلح للزرع ﴿عند بيتك المحرم﴾ فهو الذي وضع لعبادتك وجعلت له الحرمة تشريعاً ﴿ربنا ليقيموا الصلاة﴾ فغرض إسكانهم هو إقامة الصلاة ﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم﴾ تحن وتميل إليهم بالمساكنة أو الحج

وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ۙ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾

﴿وارزقهم من الثمرات﴾ بالنقل إليهم تجارة، لأن الوادي لايصلح للزرع وهو أعزل عن أمتعة الحياةمن الماء والنباتات لينقطعوا إلى عبادة الله ﴿لعلهم يشكرون﴾ نعمائه. ٣٨ ـ ﴿ربنا إنك تعلم مانخفي وما نعلن﴾ فأنت تعلم سرنا وجهرنا ﴿ومايخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء﴾ لامما ظهر لنا ولا مما غاب عن حسنا. ٣٩ ـ ﴿الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق﴾ نعمة منه بعدما انقطعت الأسباب العادية المؤدية إلى ظهور النسل ﴿إن ربي لسميع الدعاء﴾ وقد سمع دعائي بطلب الولد وأجابه. ٤٠ ـ ﴿رب اجعلني مقيم الصلاة﴾ بإذنك ومشيئتك ومني التصدي والعمل ﴿ومن ذريتي﴾ إلحاقاً بي، ﴿ربنا وتقبل دعاء﴾ إلحاح وإصرار في الدعاء، مع طلب القبول، وإجابة دعائه تفيد في أن الأرض لاتخلو من ذريته إلى قيام الساعة.

﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾

٤١ ـ ﴿ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ في الآية دليل على أنه ليس من صلب آزر المشرك، لأنه يستغفر لوالديه وهو على الكبر وفي آخر عهده، وقد تبرأ من آزر فيما سبق.

٤٢ ـ ﴿ولاتحسبن الله﴾ لاتظنه ﴿غافلاً عما يعمل الظالمون﴾ بما تشاهده من ترفهم وإفسادهم ﴿إنما يؤخرهم﴾ ممهلاً إياهم ﴿ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ أي تسكن.

٤٣ ـ ﴿مهطعين﴾ رافعين ﴿مقنعي رؤوسهم﴾ يمدونها ﴿لايرتد إليهم طرفهم﴾ فلايقدرون أن يطرفوا من هول مايشاهدونه ﴿وأفئدتهم هواء﴾ خالية عن التعقل أو التدبر أو زائلة. وفي الآية إنذار للظالمين، وتعزية لغيرهم.

٤٤ ـ ﴿وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب﴾ وهو إنذار بعذاب الاستئصال الذي يقطع دابر الظالمين، وهذا اليوم هو اليوم الذي تطهر الأرض فيه من قذارة الشرك والظلم ولايعبد غيره ﴿فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب﴾ وهم يرون عذاب الاستئصال يحل بهم ﴿نجب دعوتك﴾ نؤمن بك ﴿ونتبع الرسل﴾ في سلوكهم وسيرتهم ﴿أو لم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال﴾ والإقسام تعليق الحكم في الكلام بأمر شريف ليدل على صدقه، فلو كذب المتكلم لأذهب شرف المقسم به. وأنكم بما عندكم من القوة والسيطرة أمة خالدة مسيطرة على الحوادث، فما لكم تستمهلون إلى أجل قريب؟

٤٥ ـ ﴿وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم﴾ وظهر لكم صدق الدعوة ﴿وتبين لكم كيف فعلنا بهم﴾ وماأنزلنا بهم من العذاب ﴿وضربنا لكم الأمثال﴾ فالأمثال والنذر تتكلم عن قطع دابر الظالمين، وقد خلفتموهم ومساكنهم أمامكم خاوية، وهاأنتم تقسمون ما لكم من زوال.

٤٦ ـ ﴿وقد مكروا مكرهم﴾ وكادوا كيدهم ﴿وعند الله مكرهم﴾ فالله محيط بهم بعلمه وبقدرته، والمكر لايكون مكراً إلا إذا لم يحط الممكور به وجهله، فعلم الله وقدرته تعيد مكرهم على أنفسهم ﴿وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾ فالله قادر على دفعه، حتى لو كانت شدته مما توجب زوال الجبال.

٤٧ ـ ﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله﴾ بعدم مؤاخذة الظالمين فهو إنما يؤخرهم إلى يوم القيامة ﴿إن الله عزيز﴾ لايخلف وعده، قادر لاتتخلف مشيئته ﴿ذو انتقام﴾ ممن استكبر عن الحق، وينتصف للمظلوم من الظالم.

٤٨ ـ ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾ فتزول هذه الأرض، ويتغير النظام الذي يعمل فيها وفي السموات وتشرق الأرض بنور ربها إشراقاً غير إشراقها بأشعة الشمس لتصبح عالماً خالداً بعد فناء ﴿وبرزوا لله الواحد القهار﴾ وسقطت العلل والأسباب التي كانوا يستقلون بها في الدنيا، وظهروا لله وتولى أمرهم، واستقل تأثيره فيهم، فهم لايلتفتون إلى جانب أوجهة في ظاهرهم وباطنهم، حاضرهم وماضيهم، إلا وجدوه سبحانه مهيمناً محيطاً.

٤٩ ـ ﴿وترى المجرمين يومئذ مقرنين﴾ ومجموعين مع نظائرهم ﴿في الأصفاد﴾ والأغلال التي تربط بها أيديهم وأعناقهم.

٥٠ ـ ﴿سرابيلهم﴾ أي قمصانهم ﴿من قطران﴾ أسود منتن، فهم يطلون به فيصير كالقميص عليهم ﴿وتغشى وجوههم النار﴾ فتغطيها.

٥١ ـ ﴿ليجزي الله﴾ بعذابه ﴿كل نفس ماكسبت﴾ فما تجزى به كل نفس هو عين ماكسبته من حسنة أو سيئة، ويعود عمل المجرم بعينه إليه ﴿إن الله سريع الحساب﴾ فالجزاء واقع من غير فصل ولامَهل إلا أن ظرف ظهوره هو ذلك اليوم، أو أن الحكم بالجزاء وكتابته متحقق يوم القيامة.

٥٢ ـ ﴿هذا بلاغ للناس﴾ فما ورد في هذه السورة هو بلاغ للناس ﴿ولينذروا به﴾ ففهمهم لايحيط به وغايته الإنذار ﴿وليعلموا أنما هو إله واحد﴾ فيسلكوا سبيل التوحيد ﴿وليذكر أولو الألباب﴾ فيخرجوا من الظلمات إلى النور ومن الجهل إلى العلم فهو إنذار للناس وتذكرة للمؤمنين ليقيموا حياتهم على منهج هذا العلم ويدينوا لله وحده بحكمه وشريعته. وهذه دورة كاملة من الحجج فهي تثبت الألوهية والتوحيد، وتثبيت الرسالة ونصر الله لرسله والانتقام ممن استكبر عن الدعوة، وتثبت المعاد، وتصف أحوال يوم القيامة والوقوف لفصل الجزاء، وتصف أحوال المجرمين وحسابهم وعقابهم. وتبلغ الناس ضرورة قيامهم بواجبهم في الإنذار.

سورة الحجر

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: بيان استهزاء الكفار بالرسول والقرآن، تعزيته ﷺ وأمره بالصفح والثبات، إنذار وتبشير.

١ ـ ﴿الر﴾ أشير فيما سبق إلى العلاقة بين مواضيع السور والأحرف المقطعة التي تصدرت بها هذه السور ﴿تلك آيات الكتاب﴾ وهو القرآن أو اللوح المحفوظ ﴿وقرآن مبين﴾ ـ التنكير للتعظيم ـ والقرآن يفصل الحق عن الباطل وآياته رفيعة المنزلة. ٢ ـ ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ فهم سيتمنون الإسلام وسيندمون على كفرهم بعد انطواء بساط الحياة الدنيا ٣ ـ ﴿ذرهم﴾ وباطلهم ولاتجادلهم واتركهم ﴿يأكلوا ويتمتعوا﴾ بلذات المادة ﴿ويلههم الأمل﴾ بالتمني فلا منطق لهم إلا منطق الأنعام، لأنها مثال سلوكهم ﴿فسوف يعلمون﴾ فالحق ظاهر لامحالة، وسيسلمون له بعد عذابهم. ٤ ـ ﴿وماأهلكنا من قرية﴾ نتيجة صدها عن سبيل الله ﴿إلا ولها كتاب﴾ أجل ﴿معلوم﴾ عند الله ٥ ـ ﴿ماتسبق من أمة أجلها ومايستأخرون﴾ فليس لهم تغيير آجال أمتهم، فللأمة كتاب، كما أن لكل فرد كتاباً. ٦ ـ ﴿وقالوا ياأيها الذي نزل عليه الذكر﴾ استهزاء منهم كما لو كان يدعيه ﴿إنك لمجنون﴾ خطاب لمحمد ﷺ فمنزله غير معلوم وهو كذب ٧ ـ ﴿لو ماتأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين﴾ ليشهدوا على صدق دعوى النبوة وينذروا معك. وقولهم هذا اعتقاد منهم أن البشرية كينونة مادية مغمورة في قذارة الشهوة والغضب، ولااتصال بينها وبين العالم السماوي النوراني الطاهر. والملائكة آلهة عندهم دون الله سبحانه فالدعوة إلى التوحيد معناها أن هؤلاء الآلهة في معزل من الشفاعة بأمر الله وهو إله الآلهة، ولادليل على ذلك، فلينزلوا وليعترفوا ويصدقوا النبوة. ٨ ـ ﴿ماننزل الملائكة إلا بالحق﴾ فسنة الله جارية على ستر ملائكته ولو أنزلهم وأظهرهم إجابة لاقتراحهم كان ذلك آية سماوية خارقة ﴿وماكانوا إذاً منظرين﴾ أي لن يمهلوا عند نزولهم، فشأنها عذاب الاستئصال والهلاك إن لم يؤمنوا بها، وهؤلاء الكفار معاندون ليسوا بمؤمنين، فهو الهلاك عندئذ لايتخلف. ٩ ـ ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ إنزالاً تدريجياً وهو ليس من عندك حتى يعجزوك ويبطلوه بعنادهم وبطشهم ﴿وإنا له لحافظون﴾ فلا تتكلف لحفظه. فهو ذكر في حاله مصون من الزيادة أو النقص أو التغيير. ١٠ ـ ﴿ولقد أرسلنا من قبلك﴾ رسلاً ﴿في شيع الأولين﴾ أي فرقهم والبشر أولين وآخرين لايحترمون الرسالة الإلهية١١. ـ ﴿وما يأتيهم من رسول إلا وكانوا به يستهزئون﴾ فهذه عادتهم، فطب نفساً فنحن نحفظ الذكر. ١٢ ـ ﴿كذلك نسلكه في قلوب المجرمين﴾ فكما قوبل الرسل بالرد والاستهزاء فإننا ندخل هذا الذكر وننفذه في قلوب المجرمين ١٣ ـ ﴿لايؤمنون به وقد خلت سنة

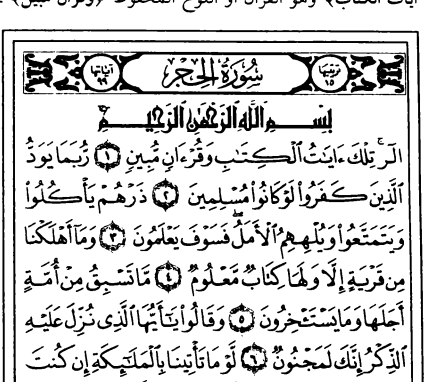

سُورَةُ الحِجْرِ — ترتيبها ١٥ — آياتها ٩٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟
وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا
مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ
أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ
ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟
إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن
رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى
قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ
﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۙ
﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

الأولين﴾ بالرد والاستهزاء وهؤلاء يستنون بسنتهم. ١٤ ـ ﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء﴾ أي أوجدنا لهم طريقاً يدخلون به في العالم العلوي الذي هو مأوى الملائكة وليس كما يظن سقفاً جرمانياً ﴿فظلوا فيه يعرجون﴾ ليطلعوا على أصول الدعوة الحقة ١٥ ـ ﴿لقالوا إنما سكرت أبصارنا﴾ فهم يخطئون أبصارهم لما في قلوبهم من الفساد وقذارة الريبة ﴿بل نحن قوم مسحورون﴾ فغشيت أبصارنا فشاهدت أموراً لاحقيقة لها. ١٦ ـ ١٨ ـ ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجاً﴾ أي قصوراً، هي منازل النجوم والكواكب ﴿وزيناها للناظرين﴾ فتظهر لها البهجة والجمال ﴿وحفظناها﴾ أي السماء ﴿من كل شيطان رجيم﴾ مطرود من رحمة الله لئلا يطلع على الملكوت. ﴿إلا من استرق السمع﴾ بالاقتراب ليسمع بما تحدث به الملائكة من أحاديث الغيب والمستقبل ﴿فأتبعه شهاب مبين﴾ ظاهر. ١٩ـ٢٠ ـ ﴿والأرض مددناها﴾ لتصلح للسكن والزرع ﴿وألقينا فيها رواسي﴾ هي الجبال الثابتة التي تمنع الأرض من الميدان ﴿وأنبتنا فيها من كل شيء موزون﴾ لتقدير الأجسام من حيث ثقلها، أو كناية عن كون الشيء لايزيد ولاينقص حسب ماتقتضيه الحكمة ﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾ ففيها مايعيش به الكائن الحي ﴿ومن لستم له برازقين﴾ كالعبيد والحيوانات، أو جعلنا لغيركم من أرباب الحياة مثل ذلك. ٢١ ـ ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه﴾ أي أمكنة حفظه وادخاره ﴿وماننزله إلا بقدر معلوم﴾ أي بكمية متعينة، فالله ينزل الغيث، فينبت النبات ويعيش بذلك الانسان والحيوان، وكل شيء عنده بمقدار كما تقتضيه الحكمة. ٢٢ ـ ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ فهي تحمل حبات اللقاح وهي مذكرة لتلقح بها الأعضاء المؤنثة ﴿فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه﴾ وهو المطر النازل من السماء ﴿وماأنتم له بخازنين﴾ فكل مياه الأرض المدخرة تنتهي إلى الأمطار. ٢٣ ـ ٢٤ ـ ﴿وإنا لنحن نحيي ونميت﴾ فترجع كافة التدابير إليه تعالى، وإليه الحياة والموت والحشر ﴿ونحن الوارثون﴾ الباقون بعد موتكم، المتصرفون فيما خولناكموه من أمتعة الحياة نحن نحييكم فنحن قبلكم ونميتكم ونرثكم فنحن بعدكم. وكل ذلك عن نظام مبني على الحكمة والعلم. ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم﴾ وهم من تقدمكم بالوجود ﴿ولقد علمنا المستأخرين﴾ أي المتأخرين بعد ذلك. ٢٥ ـ ﴿وإن ربك هو يحشرهم﴾ هو وحده لاغيره ﴿إنه حكيم﴾ وحكمته تقتضي حساب الأعمال، ومجازاة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ﴿عليم﴾ لايغادر منهم أحداً. ٢٦ ـ ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال﴾ أي طين جاف، والصلصال هو تردد صوت الشيء اليابس ﴿من حمأ مسنون﴾ أي من طين ترك حتى جف والمسنون هو المتغير المنتن. ٢٧ ـ ﴿والجان﴾ أصله من الجن أو الستر ﴿خلقناه من قبل من نار السموم﴾ وهي الريح الحارة التي تؤثر تأثير السم إذ لاتوجد إشارة إلى كون استمرار الخلقة في أفراد الجان على سنة الخلق الأول، أو أنه كالإنسان بدىء خلقه من تراب ثم استمر بالنطفة. ٢٨ ـ ٢٩ ـ ﴿وإذ قال ربك للملائكة﴾ وهم ملائكته الكرام ﴿إني خالق بشراً﴾ والبشرة هي ظاهر الجلد،

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾
وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ
فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا
رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا
مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا
خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ
لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ
بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾
وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ
مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ
السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ
صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ
رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾

والإنسان بشر لظهور بشرته ﴿من صلصال من حمأ مسنون﴾ من طين جاف متغير منتن ﴿فإذا سويته﴾ وجعلته مستوياً قيماً على أمره على الحال التي ينبغي أن يكون عليها. أو أن يكون الخلق جسمانياً أولاً ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ بتعليق الروح بالبدن. ونسبة الروح إلى الله للتشريف والتكريم ﴿فقعوا له ساجدين﴾ أي اسجدوا، أوخروا سجداً. ٣٠ ـ ٣١ ـ ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ تأكيد بعد تأكيد ﴿إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين﴾ كان من الجن ففسق عن أمر ربه. ٣٢ ـ ﴿قال ياإبليس مالك أن لاتكون مع الساجدين﴾ مابالك لم تسجد. ٣٣ ـ ﴿قال لم أكن لأسجد﴾ دلالة على أن الإباء عن السجدة مقتضى ذاته ﴿لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون﴾ فأنا من نار والنار لاتسجد للطين. ونسي أن الكرامة للأمر الإلهي لا للطين ولاللنار. ٣٤ ـ ٣٥ ـ ﴿قال فاخرج منها﴾ أي من مرتبة الكرامة الإلهية أو مقام القرب ﴿فإنك رجيم﴾ مطرود مبعد عن الرحمة ﴿وإن عليك اللعنة﴾ وهي الطرد من الرحمة ﴿إلى يوم الدين﴾ وهو يوم القيامة واللعنة هي عنوان الإثم والوبال العائد إلى النفس من المعصية فلذلك قيدت اللعنة بأنها إلى يوم الدين لأن يوم القيامة يوم جزاء لايوم عمل. ٣٦ ـ ﴿قال رب فأنظرني﴾ أمهلني ﴿إلى يوم يبعثون﴾ وقد قال رب اعترافاً بربوبيته ليستجيب دعوته. لأن أمر السجود كان لعامة البشر، وآدم (ع) كالقبلة المنصوبة للسجود يمثل به النوع الإنساني. وهذا السجود لم يكن تشريفاً اجتماعياً، من غير غاية حقيقية، بل كانت خضوعاً للإنسان بحسب ماأريد من كمال خلقته، فهم مسخرون عاملون لأجله. أي أن للإنسان مرحلة من كمال السعادة تفوق ماللملائكة. فإباء إبليس استنكاف منه عن الخضوع لنوع الإنسان والعمل في سبيل سعادته وإعانته على الكمال المطلوب، وهذا الكمال لايتحقق إلا بتطبيق نظام الله وأحكامه وشرائعه في أرضه، ودور إبليس هو الدأب على جر الإنسان إلى البهيمية عن طريق جره إلى المعاصي، وإلى الشرك عن طريق الأنظمة الوضعية والأهوائية. ٣٧ ـ ٣٨ ـ ﴿قال فإنك من المنظرين﴾ الممهلين ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ وهو قبل يوم البعث الذي سأل إبليس أن ينظر إليه. ٣٩ ـ ﴿قال رب بما أغويتني﴾ أي أتسبب بإغوائك إياي إلى التزيين لهم، وقد نسب إلى الله سبحانه أنه أغواه بقوله تعالى وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين، مع أن هذه الغواية هي إثر الغواية التي أبداها من نفسه ﴿لأزينن لهم في الأرض﴾ الباطل أو المعاصي في الحياة الدنيا ﴿ولأغوينهم أجمعين﴾ أي ولأضلنهم أجمعين ٤٠ ـ ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾ الذين أخلصوا لله ومأأخلصهم إلا الله سبحانه فليس لغيره تعالى فيهم شركة. فحق العبودية أن يخلص الله العبد لنفسه أي أن لايملكه إلا هو ويرجع إلى أن لايرى الإنسان لنفسه ملكاً وأن الملك لله وحده. ٤١ ـ ﴿قال هذا صراط علي مستقيم﴾ فالأمر إليه تعالى، فكما أن طريق البحر يقتضي وجود السفينة بلوازمها فصراطه تعالى مستقيم وكل أمر متوجه إليه ولايملك أمر العباد إلا الله، ولايحكم غيره إلا عن قضائه، ومن هذا القضاء قوله: ٤٢ ـ ٤٤ ﴿إن عبادي ليس لك عليهم

قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾

سلطان﴾ فكل بني آدم عباد الله وليس للشيطان عليهم وسيلة حتى يستقل بأمرهم فيغويهم ﴿إلا من اتبعك من الغاوين﴾ فلك السلطان عليهم لأنهم ولوك أمرهم، وألقوا إليك زمام تدبيرهم. فالآية ترد على ابليس من ثلاث جهات: الأولى نفي ادعاء إبليس بحصر عباد الله بالمخلصين من العباد، والثانية قصر سلطان ابليس على الغاوين فقط. ونفي ادعائه الاستقلال في الإغواء، لأنه بتمليك من الله، والثالثة أن سلطان إبليس على الغاوين ليس إضلالاً ابتدائياً بل بنحو المجازاة ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾ فهي مكان إنجاز ماوعدهم الله من العذاب ﴿لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم﴾ فهناك سبعة أنواع من العذاب، وكل نوع ينقسم حسب الجزء الداخل فيه من الناس. ٤٥ ـ ٤٦ ـ ﴿إن المتقين في جنات وعيون﴾ فهم مستقرون فيها ﴿ادخلوها بسلام آمنين﴾ فهو سلام لايوصف في حال كونكم آمنين من كل شر وضر. ٤٧ ـ ٤٨ ـ ﴿ونزعنا مافي صدورهم من غل﴾ أي حقد ﴿إخواناً على سرر متقابلين﴾ فالأخلاء في الله ينظر بعضهم إلى بعض ﴿لايمسهم فيها نصب﴾ لاتعب ولاشقاوة لامن ناحية أنفسهم ولامن ناحية سائر ماخلق الله ولامن ناحية ربهم ﴿وماهم منها بمخرجين﴾ فلهم السعادة والكرامة من كل جهة. ٤٩ ـ ٥٠ ـ ﴿نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم﴾ ومغفرته ورحمته لاتقدر بقدر ولايقاس بها غيرها، ولامانع لها ولاحائل دونها، فليس لأحد من العباد أن ييأس من مغفرته ورحمته تعالى ﴿وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ فليس لأحد أن يحقر عذابه، أو يأمل عجزه، أو يأمن مكره. ٥١ ـ ٥٦ ـ ﴿ونبئهم عن ضيف إبراهيم﴾ وهم الملائكة المكرمون الذين أرسلوا لبشارة إبراهيم بالولد، ولهلاك قوم لوط. ﴿إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً﴾ تحية لك ﴿قال إنا منكم وجلون﴾ أي خائفون بعد أن رأى أنهم لايأكلون. ﴿قالوا لاتوجل﴾ فطب نفساً ولاتخف ﴿إنا نبشرك بغلام﴾ أي ولد ﴿عليم﴾ بتعليم الله ووحيه. ﴿قال أبشرتموني على أن مسني الكبر﴾ وأنا شيخ كبير هرم، ولاعقب لي من زوجي ﴿فبم تبشرون﴾ فإن ظاهر كلامكم أمر عجيب، فهو مستبعد، لأن وسائل الإنجاب قد انعدم أثرها ﴿قالوا بشرناك بالحق﴾ فلاتصفه بالاستبعاد ﴿فلا تكن من القانطين﴾ من رحمة الله. ﴿قال﴾ ابراهيم (ع) ﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾ ولست بضال فليس سؤال قانط مستبعد. ٥٧ـ٦٠ ـ ﴿قال فما خطبكم﴾ ماشأنكم العظيم ﴿أيها المرسلون﴾ وفي هذا دلالة على أنهم ذكروا له قبلاً. ﴿قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ نكروا القوم صوناً للسان عن التصريح باسمهم تنفراً منه. ﴿إلا آل لوط﴾ وهم لوط وقومه ﴿إنا لمنجوهم أجمعين﴾ ومخلصوهم من العذاب ﴿إلا امرأته﴾ مستثناة من آل لوط ﴿قدرنا إنها لمن الغابرين﴾ أي الباقين من القوم بعد خروج آل لوط من قريتهم، فلا نجاة لها وسيشملها العذاب. والغابر هو الماكث بعد مضي من هو معه، أو من طال عمره. ٦١ ـ ٦٦ ـ ﴿فلما جاء آل لوط المرسلون﴾ بصورة غلمان مرد حسان ﴿قال إنكم لقوم منكرون﴾ وقد شق عليه مايراه منهم، وشأن قومه من الفحشاء مبين. ﴿قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون﴾

إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَـٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَـٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَـٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾

أي يشكون وهو حلول العذاب الذي هم به منذرون. ﴿وأتيناك بالحق﴾ فعذابهم قضاء حق غير مردود ﴿وإنا لصادقون﴾ بما نقول ونفعل. ﴿فأسر بأهلك﴾ سر بهم ليلاً ﴿بقطع من الليل﴾ بجزء من الليل ﴿واتبع أدبارهم ولايلتفت منكم أحد﴾ وسيروا سيراً حثيثاً ﴿وامضوا حيث تؤمرون﴾ فإن أمامكم هداية إلهية تهديكم وقائداً يقودكم. ﴿وقضينا﴾ وأوحينا ﴿إليه ذلك الأمر﴾ وهو أمر العذاب ﴿أن دابر هؤلاء﴾ أي آثرهم ﴿مقطوع مصبحين﴾ فلانسل يبقى ولاعمل. ٦٧ ـ ٧١ ـ ﴿وجاء أهل المدينة﴾ إلى لوط ﴿يستبشرون﴾ لِوَلعهم بالفحشاء وخاصة بالداخلين من خارج المدينة. ﴿قال﴾ لوط ﴿إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون﴾ بالعمل الشنيع بهم ﴿واتقوا الله ولا تخزون﴾ ولاتصيبوني بالذل والهوان بطليكم. ﴿قالوا أولم ننهك عن العالمين﴾ ونقطع عذرك في إيوائهم أو الشفاعة لهم. ﴿قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين﴾ فهن أطهر لكم فتزوجوهن. ٧٢ ـ ﴿لعمرك﴾ قسم وتشريف للنبي ﷺ ﴿إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ يترددون في غفلتهم محتارين. ٧٣ ـ ٧٤ ـ ﴿فأخذتهم الصيحة مشرقين﴾ في إشراق الصباح ﴿فجعلنا عاليها سافلها﴾ وفوقها تحتها كما قلبوا نظام الفطرة ﴿وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾ وهي حجارة العذاب من الحجر والطين. ٧٥ ـ ٧٧ ـ ﴿إن في ذلك لآيات﴾ علامات دالة على وقوع الحادثة من بقايا الآثار، ودالة للمؤمنين على حقيقة الإنذار والدعوة ﴿للمتوسمين﴾ المتفرسين الذين ينتقلون من سيماء الأشياء إلى حقيقة حالها ﴿وإنها لبسبيل مقيم﴾ فهذه الآيات طريق لم يعف ولم يمنع ﴿إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾ ففي مجموع ماذكر دلالة للمؤمنين وتأكيد على تأكيد. ٧٨ ـ ٧٩ ـ ﴿وإن كان أصحاب الأيكة﴾ وهي الشجر الملتف، وهم قوم شعيب ﴿لظالمين﴾ بكفرهم وتكذيبهم ﴿فانتقمنا منهم﴾ فأهلكناهم ﴿وإنهما لبإمام مبين﴾ فقوم لوط وقوم شعيب كان لكل منهما إمام ودليل واضح. ٨٠ ـ ٨٤ ـ ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين﴾ وهم ثمود قوم صالح، وعدهم مكذبين لجميع الرسل لكون دعوة الرسل واحدة ﴿وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين﴾ فقد عقروا الناقة وأعرضوا عن المعارف الحقة. ﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين﴾ فكانوا يسكنون الكهوف آمنين من الحوادث بزعمهم. ﴿فأخذتهم الصيحة﴾ أي صيحة العذاب التي فيها إهلاكهم ﴿مصبحين﴾ في الصباح. ﴿فما أغنى عنهم ماكانوا يكسبون﴾ من الأعمال لتأمين سعادتهم في الحياة. ٨٥ ـ ﴿وماخلقنا السموات والأرض ومابينهما إلا بالحق﴾ فخلقها لاينفك عن الحق، وللحق غاية فإن إلى ربك الرجعى ﴿وإن الساعة لآتية﴾ فهي غاية الخلق ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ فاترك التثريب لأنه مادامت الخلقة بالحق وهناك يوم يحاسبون فيه فلا تشغل نفسك بتكذيبهم، واعف عنهم من غير عتاب أو جدال. ٨٦ ـ ﴿إن ربك هو الخلاق﴾ الذي خلقك وخلقهم بالحق ﴿العليم﴾ بحالك وأحوالهم، ووراءهم يوم لايفوتونه. ٨٧ ـ ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني﴾ وهي سورة الحمد وهي من المثاني، والثني بمعنى اللوي والعطف والإعادة، فالآيات القرآنية مثاني لأن بعضها يوضح البعض الآخر، وتلوي

قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾

وتنعطف على بعضها، ﴿والقرآن العظيم﴾ تعظيم لأمر الفاتحة، ولأمر القرآن الذي وصفه تعالى بالعظيم. وهذه تكفيه. ٨٨ ـ ٨٩ ـ ﴿لاتمدن عينيك﴾ كناية عن عدم التعدي وعن قصر النظر على ماآتاه الله من نعمة، وعدم التعلق القلبي والميل ﴿إلى مامتعنا به أزواجاً منهم﴾ أي من الرجال والنساء من الوثنيين واليهود والنصارى والمجوس. هذا أولاً، وثانياً ﴿ولاتحزن عليهم﴾ من جهة تماديهم في التكذيب والاستهزاء، وثالثاً ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ فتواضع لهم، كالطائر يبسط جناحيه ثم يخفضهما على فراخه، ورابعاً ﴿وقل إني أنا النذير﴾ بعذاب الله ﴿المبين﴾ أبين لكم ماتحتاجون إلى بيانه. وهذه الأمور الأربعة هي الصفح الجميل. ٩٠ ـ ٩٧ ـ ﴿كما أنزلنا على المقتسمين﴾ وهم قوم من كفار قريش جزؤوا القرآن أجزاء، فقالوا: سحر، وقالوا أساطير الأولين، وقالوا مفترى، وتفرقوا يصدون الناس الواردين عن رسول الله فهم ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾ أي متفرق الأعضاء، والتعضية التفريق وليس دين الله بالمعضي ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين﴾ قسم بذات العزة أنه تعالى سيسألهم ﴿عما كانوا يعملون﴾ من نسب الكذب والافتراء إلى القرآن والهزء بالدعوة. ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ فاجهر بالحق، وأعلن الدعوة ﴿وأعرض عن المشركين﴾ الذين يفترون على القرآن ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ بإنزال العذاب عليهم؛ وهم المشركون ﴿الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر﴾ ويجعلون له أنداداً ﴿فسوف يعلمون﴾ عاقبة شركهم ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون﴾ من استهزاء وافتراء، فطب نفساً، ولاتأبه لهم ولينشرح صدرك فالله يعلم مايقولون وأثره عليك. ٩٨ ـ ٩٩ ـ ﴿فسبح بحمد ربك﴾ توصية من الله لنبيه ﷺ بالتسبيح والتحميد ﴿وكن من الساجدين﴾ المصلين، فأفضل أجزاء الصلاة السجود، ونزه ربك عما يقولون، وداوم على تسبيحه وحمده والثناء عليه كقول: سبحان الله والحمد لله، مع التذلل له تذللاً يليق بساحة كبريائه ﴿واعبد ربك﴾ إذا كان المطلوب هو العبادة كانت الآية أمراً بإدامة العبادة لله وإن كان المراد هو الأخذ بالعبودية كما هو ظاهر السياق فهي أمر بالصفح والإعراض ولازمهما الصبر وانتهاج منهج التسليم والطاعة والقيام بلوازم العبودية ﴿حتى يأتيك اليقين﴾ حتى حلول الأجل، ونزول الموت، الذي يتبدل به الغيب شهادة.

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سورة النحل

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: إظهار نعمه تعالى، ارتباط معاش الإنسان بنظام الكون، الاستدلال على التوحيد، إبطال مزاعم المشركين، وجزاؤهم، بيان أن حق العبادة لله وحده، بيان أن الدين الحق لله، فلايشرعن من دونه. ١ ـ ﴿أتى أمر الله﴾ وهو وعده تعالى للمؤمنين بالنصر، ووعيده للكافرين بالخزي ﴿فلا تستعجلوه﴾ فقد أشرف على التحقق واقترب ظهوره،

فلاتستعجلوا عذابه وتطلبوا الفتح أيها المشركون ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ فتنزه وتقدس عن شركهم واستهزائهم باستعجال العذاب. ٢ ـ ﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره﴾ أي بمصاحبة الروح، لإفاضة المعارف الإلهية وإلقائها في روع النبي. فكلمته تعالى هي كلمة الحياة تحكم في الملائكة وتحييهم كما تحكم في الإنسان وتحييه، وتنزيله ﴿على من يشاء من عباده﴾ وهم من اصطفى من رسله ﴿أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا﴾ والإنذار هو إخبار فيه تخويف، ليقروا بالوحدانية، ﴿فاتقون﴾ فمن لوازم صفة الألوهية أن يتقيد الإنسان بتقوى الله، لتوقف كل خير وسعادة عليه تعالى، والتقوى هي إصلاح مقام العمل واصلاح الاعتقاد والنظر. فالخضوع لغيره تعالى لايجامع الاعتقاد بإله واحد، ولذا لم يؤمر نبي بالدعوة إلى توحيد من غير عمل أو عمل من غير توحيد. ٣ ـ ﴿خلق السموات والأرض بالحق﴾ فليس للباطل فيها أثر، وللحق غاية، وهي الرجوع إلى الله، وإن الساعة آتية وغايتها حساب المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ﴿تعالى عما يشركون﴾ بعبادة الملائكة وغيرهم ليشفعوا لهم عند الله ويهدوهم إلى الخير لأن عبادتهم من الباطل الذي لاأثر له، إذ لامدبر إلا الله. ٤ ـ ﴿خلق الإنسان من نطفة﴾ ولايشمل ذلك آدم وعيسى (ع) فالنسل الإنساني يتحدر من نطفة آدم ﴿فإذا هو خصيم مبين﴾ يجادل في الحق، وقد بدل الله بقدرته التامة نقطة من ماء مهين إنساناً تام الخلقة. ٥ ـ ٨ ـ ﴿والأنعام﴾ جمع نعم وهي الإبل والبقر والغنم ﴿خلقها لكم﴾ لمنافعكم ﴿فيها دفء﴾ بصوفها وجلودها ﴿ومنافع﴾ أخرى ﴿ومنها تأكلون﴾ من لحمها ولبنها وشحومها. ﴿ولكم فيها جمال﴾ أي زينة، ومنظر حسن ﴿حين تريحون﴾ فتردونها بالعشي إلى منازلها ﴿وحين تسرحون﴾ أي تخرجونها بالغداة إلى مراعيها. ﴿وتحمل أثقالكم﴾ ومتاعكم ﴿إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس﴾ فهي تتحمل عنكم المشقة، لأنها مسخرة لكم ﴿إن ربكم لرؤوف رحيم﴾ بكم. ﴿والخيل والبغال والحمير﴾ خلقها لكم ﴿لتركبوها﴾ وتنتفعوا بها ﴿وزينة﴾ تتخذونها فهي مسخرة لكم ﴿ويخلق مالا تعلمون﴾ من الحيوان وغيره وسخر ذلك لكم لتنتفعوا به. ٩ ـ ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ أي استقامة الطريق، فمن نعمه التي منَّ بها على عباده، إضافة لما ذكر، أن أوجب على نفسه سبيلاً سوياً قاصداً لهم، يوصلهم إلى سعادة حياتهم، وهداهم إليه، ﴿ومنها جائر﴾ ومائل عن الغاية، فيضل سالكيه، وهو غير منسوب إلى الله، لأن سبيل الضلال ليست مجعولة له، وإنما هي الخروج عن السبيل وعدم التلبس بسلوكه فهي ليست بسبيل وهو تعالى قاهر على عباده فمن سلك السبل الجائرة لم يغلب الله في تدبيره ﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾ فعدم اهتدائهم ليس عجزاً منه، لأنه الغالب على كل حال. ١٠ ـ ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء﴾ شروع في نوع آخر من النعم ﴿لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون﴾ أي ترعون مواشيكم. وهي من النعم النباتية التي يقتات بها. ١١ ـ ﴿ينبت لكم به الزرع والزيتون

وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات﴾ فمن الماء كل شيء حي ﴿إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ فهذا التدبير العام الذي يجمع شمل الانسان والحيوان في الارتزاق، حجة على وحدانيته في الربوبية. فهي حجة ساذجة يكفي فيها مطلق التفكر. ١٢ ـ ﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره﴾ فهي تجري وفق نظام محكم متقن بأمره تعالى. ففيها حياتكم ومعاشكم ومسكنكم، وفي كل مما ذكر إثبات لربوبيته تعالى ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ لأن لكل منها آثاراً في نفسها من شأنها أن تستقل بإثبات وحدانيته في ربوبيته. وهي مقومات علمية لايتيسر فهمها إلا لمن غار في حركات الأجرام السماوية. ١٣ ـ ﴿وماذرأ﴾ أي ماخلق ﴿لكم في الأرض مختلفاً ألوانه﴾ من المعادن وسائر العناصر، على مافيها من الاختلاف النوعي ﴿إن في ذلك لآية لقوم يذكرون﴾ فهي حجة تثبت وحدانيته بالربوبية وهي مؤلفة من مقدمات كلية فلسفية، ينالها الإنسان بتذكر ماللوجود من الأحكام العامة الكلية كاحتياج النشأة المتغيرة إلى المادة، ووجوب إنتهاء الاختلافات إلى أمر آخر وراء المادة. ١٤ ـ ﴿وهو الذي سخر البحر﴾ وهذا بيانٌ لنوع آخر من النعم ﴿لتأكلوا منه لحماً طرياً﴾ فيه ممايؤكل لحمه ﴿وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾ كاللؤلؤ والمرجان ﴿وترى الفلك مواخر فيه﴾ تشق الماء عن اليمين وعن الشمال ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ أي ولتطلبوا بعض رزقه فيما ذكر من رزقه ﴿ولعلكم تشكرون﴾ فمن الغايات في تسخير البحر وإجراء الفلك فيه، شكركم له، فقد أغناكم بما أنعم عليكم في البر، وزادكم بتسخير البحر، فالإنسان قليلاً ماينتبه إلى الضروريات، وأما الزوائد فهي أقرب للتنبه. ١٥ ـ ﴿وألقى في الأرض رواسي﴾ فطرح جبالاً ثابتة ﴿أن تميد بكم﴾ لئلا تضطرب الأرض، فيختل نظام معاشكم ﴿وأنهاراً﴾ للسقي والري ﴿وسبلاً﴾ أي طرقاً ﴿لعلكم تهتدون﴾ فغاية السبيل هي الهداية. ١٦ ـ ﴿وعلامات﴾ تستدلون بها ﴿وبالنجم هم يهتدون﴾ فمواقع النجوم، هداية في البر والبحر. ١٧ ـ ﴿أفمن يخلق كمن لايخلق﴾ والله خالق كل شيء، وهو المنعم بما لايحصى من النعم التي ينتظم بها نظام الكون، وهو عالم بسرها وعلنها، ويملك الكل، ويدبر الأمر فهو ربها، وليس لشيء مما يدعونه شيء من هذه الصفات، فهي ليست أرباباً، فالإله واحد لاغير وهو الله عز اسمه ﴿أفلا تذكرون﴾ بقياس ماله سبحانه ومالغيره من النعت، ونفي للمساواة، والاستفهام للإنكار. ١٨ ـ ﴿وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها﴾ فما من شيء إلا وهو نعمة، ولاسبيل لإحصائها ﴿إن الله لغفور رحيم﴾ فخروج النعمة عن حد الاحصاء هو من بركات اتصافه بالمغفرة والرحمة؛ فبمغفرته يستر النقص وشوهة القصور، وبرحمته ـ والرحمة إتمام النقص ورفع الحاجة ـ يظهر في النعمة الخير والكمال ويحليها بالجمال. فالأشياء بعضها نعمة لبعض. ١٩ ـ ﴿والله يعلم ماتسرون وماتعلنون﴾ فالعلم هو الركن الثالث للربوبية بعد الخلق والإنعام، فلو لم يعلم لاستوت العبادة وعدمها بالنسبة إليه ولكانت العبادة لغواً لاأثر لها وعلمه تعالى محيط بالظاهر والباطن فهو يستحق

وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

بذلك أن يعبد. ٢٠ ـ ﴿والذين يدعون من دون الله لايخلقون شيئاً وهم يخلقون﴾ فآلهتهم قد فقدت الركن الأول من أركان الربوبية، كما أنهم لاينعمون ففقدوا الركن الثاني. فليسوا أرباباً والله هو الرب. ٢١ ـ ﴿أموات﴾ بلا شعور ﴿غير أحياء﴾ فلا حياة فيهم ﴿ومايشعرون أيان يبعثون﴾ نفي للركن الثالث عنهم، وهو العلم. فهم لايعلمون متى يبعثون، فلا شيء يقوم بالأصالة والاستقلال إلا الله. فهو حق وعبادته حق، لأنه الله عز اسمه. ٢٢ ـ ﴿إلهكم إله واحد﴾ نتيجة للحجة المقامة فيما سبق ﴿فالذين لايؤمنون بالآخرة﴾ يجعلون الحياة غاية والنعمة لغواً باطلاً لأن الإيمان بالآخرة يستلزم التوحيد والإيمان بالرسالة؛ والكفار ﴿قلوبهم منكرة﴾ للحق جاحدة له عناداً ﴿وهم مستكبرون﴾ عن الانقياد للحق من غير حجة ولابرهان. ٢٣ ـ ﴿لاجرم﴾ إن من الحق ﴿أن الله يعلم مايسرون ومايعلنون﴾ فسيجزيهم بأعمالهم، ويؤاخذهم على ماأنكروا ﴿إنه لايحب المستكبرين﴾ المعاندين. ٢٤ ـ ﴿وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم﴾ والسائل إما بعض المؤمنين، أو القول اختبار لهم أو يكون القول من المشركين استهزاء منهم ﴿قالوا أساطير الأولين﴾ أكاذيب خرافية. ٢٥ ـ ﴿ليحملوا أوزارهم﴾ وهي أثقال ذنوبهم ﴿كاملة يوم القيامة﴾ لايغفر منها شيء ﴿ومن أوزار الذين يضلونهم من غير علم﴾ وسيحملون أيضاً وزر إضلال غيرهم فمن سن سنة سيئة كان له وزرها ووزر من عمل بها ﴿ألا ساء ما يزرون﴾ ذم لهم وتقبيح لأعمالهم، فقد أضلوا أتباعهم تقليداً لهم بغير علم فهم أئمة الضلال. ٢٦ ـ ﴿قد مكر الذين من قبلهم﴾ فاحتالوا لإبطال دعوة التوحيد ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ أي حقت كلمة الله فيهم ﴿فخر عليهم السقف من فوقهم﴾ فأبطل كيدهم من حيث لايتوقعون، فالله يأتي ببنيان مكرهم من قواعده وهم مراقبون سقفه، فينهدم عليهم السقف بانهدام القواعد، ﴿وأتاهم العذاب من حيث لايشعرون﴾ فكانوا هم الممكورين. ٢٧ ـ ﴿ثم يوم القيامة يخزيهم﴾ ويذلهم ﴿ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون﴾ أهل الحق ﴿فيهم﴾ فتخاصمونهم

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوٓءَ عَلَى الْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوٓا أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ الْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ۙ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾

وتوجدون الاختلاف في دين الله ﴿قال الذين أوتوا العلم﴾ وانكشفت لهم حقيقة التوحيد، مقابلة لهم مع المشركين الذين ماكانوا يعبدون إلا أسماء سموها وسراباً توهموه ﴿إن الخزي اليوم﴾ والذل والهوان ﴿والسوء على الكافرين﴾ فلهم العذاب. ٢٨ ـ ﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ وهم الكافرون ﴿فألقوا السلم﴾ وقدموا الخضوع والانقياد وقالوا ﴿ماكنا نعمل من سوء﴾ فهانحن منقادون فيرد عليهم ﴿بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون﴾ من سوء قبل ورودكم هذا المورد، قبل موتكم. ٢٩ ـ ﴿فادخلوا أبواب جهنم﴾ فليدخل كل واحد منكم باباً منها يناسب عمله وكفره ﴿خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين﴾ المستكبرين الذين يأخذون التكبر صفة لهم. ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾. ٣٠ ـ ﴿وقيل للذين اتقوا﴾ في الدنيا وداوموا عليه ﴿ماذا أنزل ربكم﴾ لكم ﴿قالوا

خيراً﴾ لأنه أنزل قرآناً يتضمن الخير لمن عمل بمعارفه وشرائعه ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة﴾ فبالإحسان الذي هو العمل بما يتضمنه الكتاب يرزقون مجتمعاً صالحاً يحكم فيه العدل والإحسان، وعيشة طيبة في الدنيا ﴿ولدار الآخرة خير﴾ جزاء، لأن فيها بقاء بلا فناء، ونعمة من غير نقمة ﴿ولنعم دار المتقين﴾ فلهم طيب الدار. ٣١ ـ ٣٢ ـ ﴿جنات عدن يدخلونها﴾ فهي دارهم ﴿تجري من تحتها الأنهار لهم فيها مايشاءون كذلك يجزي الله المتقين﴾ وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان. ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين﴾ وقد خلصوا من خبث الظلم ـ قبال الذين استكبروا ـ ﴿يقولون سلام عليكم﴾ وهو تأمين قولي ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ هداية لهم إليها. ٣٣ ـ ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة﴾ فهل ينتظرون إلا عذاب الاستئصال على أيدي الملائكة ﴿أو يأتي أمر ربك﴾ وهو قيام الساعة، وفصل القضاء والانتقام الإلهي منهم انتصاراً له ﷺ عليهم ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ مثل فعلهم من الجحود والاستهزاء مما فيه انتظار العذاب ﴿وماظلمهم الله﴾ بنزول العذاب عليهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ فقد ظلموا أنفسهم فأمهلهم، فاستمروا في ظلمهم وأصروا عليه، فعند ذلك أصابهم الله بعذابه.

٣٤ ـ ﴿فأصابهم سيئات ماعملوا﴾ فما أصابهم هو سيّء عملهم ﴿وحاق بهم﴾ حل ونزل بهم ﴿ماكانوا به يستهزئون﴾ وقد كانوا يستهزئون بالعذاب فحل بهم.

٣٥ ـ ﴿وقال الذين أشركوا﴾ شبهة على النبوة ﴿لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شيء﴾ لاستحالة تخلف مراده عن ارادته، لكنا نعبد غيره ونحرم أشياء ولايشاء شيئاً يخالف ذلك، فلا نهي ولاأمر منه تعالى ولاشريعة ولارسالة من قبله ﴿نحن ولاآباؤنا﴾ فنحن نقتدي بهم ﴿ولاحرمنا من دونه من شيء﴾ أي ولو شاء الله أن لانحرم من دونه من شيء أو نحل ماحرمناه لما خالفنا، فالعبادة لغير الله لم تتعلق بها مشيئة من الله بنهي، ولو تعلقت لم يعملوها ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ فهذا هو الطريق الذي سلكوه ﴿فهل على الرسل إلا البلاغ المبين﴾ أي تبليغ الرسالة بلاغاً واضحاً تتم به الحجة، لأن يحملوا معهم إرادة الله الموجبة التي لاتتخلف عن المراد، حتى يضطروا العاصي إلى الإطاعة. فلو شاء ـ تعالى ـ لجعل الناس أمة واحدة ولكنه أراد أن يبلوهم فيما آتاهم فمن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فعليها. ٣٦ ـ ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً﴾ فإرسال الرسل سنة جارية في جميع الأمم ﴿أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ دعوة لإلجاء ولااضطرار فيها ﴿فمنهم من هدى الله﴾ فالهدى هدى الله ولكن لايستلزم ذلك كونها أمراً اضطرارياً لاصنع للعبد فيه أصلاً، فإنها اختيارية بالمقدمة ﴿ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾ فثبتت ولزمت، وهي من قبل العبد بسوء اختياره وليست بالتي تتبعها مجازاة من الله لأن الله لايهدي من يضل فكل من الفريقين لم يخرج عن مشيئة الله ولم يقسر على الهداية أو الضلالة وإنما كان له ماسعى إليه باختياره ﴿فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

فالرسالة ليست من الإرادة التكوينية الملجئة إلى ترك عبادة الأصنام وتحريم مالم يحرمه الله حتى يستدلوا بعدم وجود الإلجاء على عدم وجود الرسالة. بل هي دعوة بوعد ووعيد وعاقبة المكذبين تنبيء أن الدعوة حق.

٣٧ ـ ﴿إن تحرص على هداهم﴾ لم ينفعهم حرصك لأنهم ليسوا ممن يمكن له الاهتداء ﴿فإن الله لايهدي من يضل﴾ فقد ثبتت في حقهم الضلالة، ولايجتمع الهدى والضلال ﴿ومالهم من ناصرين﴾ ينصرونهم على الله فيقهرونه على هداهم.

٣٨ ـ ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ فبلغوا في القسم كل مبلغ ﴿لايبعث الله من يموت﴾ فالموت فناء؛ فلايتعلق به بعده خلق جديد ـ وهذا لاينافي قولهم بالتناسخ ـ ﴿بلى وعداً عليه حقاً﴾ فالبعث حق أوجبه تعالى على نفسه بالوعد وأثبته فلا يتخلف ﴿ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ أنه الوعد الذي لايخلف، لإعراضهم عن الآيات الدالة عليه وهي خلق السموات، واختلاف الناس في الظلم والعدل، والتكليف في الشرائع.

٣٩ ـ ﴿ليبين لهم الذي يختلفون فيه﴾ فالبعث غايته البيان ﴿وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين﴾ في نفيهم للمعاد وقد بان الاختلاف الذي ظهر بينهم وبين الرسل حول إثبات المعاد ونفيه وظهر المعاد لهم عياناً.

٤٠ ـ ﴿إنما قولنا﴾ وهو أمرنا ﴿لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ فقوله هو الحق الثابت بحقيقة معنى الثبوت ـ أي نفس العين الخارجة التي هي من فعله، والواقع لايتغير عما هو عليه ـ فلايخطيء ولايغلط، ولايردُّ أمره، ولايكذب قوله، ولايخلف وعده. وله إرادة تكوين وله إرادة تشريع، فإرادة التكوين لايتخلف عنها المراد، وإرادة التشريع يمكن أن تطاع وتعصى.

٤١ ـ ﴿والذين هاجروا في الله﴾ وطلب مرضاته وقد كانت من المؤمنين هجرتان الأولى إلى الحبشة والثانية إلى المدينة بعد هجرة النبيﷺ والظاهر أن المراد هو الأخيرة ﴿من بعد ماظلموا﴾ فهو قيد للمهاجرين ﴿لنبوئنهم في الدنيا حسنة﴾ أي بلدة حسنة، بدلاً مما تركوه في وطنهم، وقيل حالة حسنة من الفتح والظفر. والوجهان متحدان، فإنهم إنما هاجروا ليعقدوا مجتمعاً إسلامياً طيباً لايعبد فيه إلا الله، ولايحكم فيهم إلا بأحكامه ﴿ولأجر الآخرة أكبر﴾ أفضل من الأجر الدنيوي ﴿لو كانوا يعلمون﴾ ماأعد الله لهم فيها من النعم.

٤٢ ـ ﴿الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾ فلو لم يصبروا على مر الجهاد، ولم يتأيدوا بالتوكل على الله بدل اعتمادهم على أنفسهم الضعيفة، لأحيط بهم، ولفرقهم العدو ولتلاشى المجتمع الصالح.

٤٣ ـ ﴿ومأرسلنا من قبلك إلا رجالاً﴾ من البشر مبلغين للرسالة، ولم يجهزوا بقدرة قاهرة غيبية ﴿نوحي إليهم﴾ الرسالة ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون﴾ فمن كان لايعلم كبعض المشركين فعليه سؤال أهل الذكر ومن كان يعلم كالنبي والمؤمنين به كان في غنى عن الرجوع والسؤال. ٤٤ ـ ﴿بالبينات والزبر﴾ أي أرسلنا رسلاً بالبينات والزبر، وهي الآيات الدالة على رسالتهم ﴿وأنزلنا إليك الذكر﴾ يامحمد، ﴿لتبين للناس مانزل إليهم﴾ فأنت والناس بشأن نزول الذكر سواء وإنما اخترناك ـ لالنحملك قوة غيبية نجعلك مسيطراً بها عليهم وعلى كل شيء ـ بل لأمرين الأول أن تبين للناس المعارف الإلهية ﴿ولعلهم يتفكرون﴾ وهو الثاني فيتبصروا فيعلموا أن ماجئت به حق. فالأوضاع المحيطة بك من يتم وأمية، وهم قوم جهلة أخساء كانت أسباباً قاطعة أن لاتذوق من الكمال قطرة، ولكن الله أنزل إليك ذكراً تتحدى به الإنس والجن. ٤٥ ـ ﴿أفأمن الذين مكروا السيئات﴾ وقد دلت الآيات البينات على توحده تعالى بالربوبية وعلى أن الرسالة هي دعوة لما فيه صلاح معاشهم ومعادهم من رجال أمثالهم، وهم يمكرون بالله ورسله لتسوية الطريق إلى ترك دين الله، وتشريع مايوافق أهواءهم، ويعملون السيئات فهل أمنوا ﴿أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لايشعرون﴾ فيفاجئهم من غير أن ينتبهوا له. ٤٦ ـ ﴿أو يأخذهم﴾ الله ﴿في تقلبهم﴾ وتحولهم من حال إلى حال في مقاصدهم النسيئة، وانتقالهم من نعمة إلى أخرى، وأخذهم في تقلبهم هو أخذهم في عين مايتقلبون فيه من السيئات ﴿فما هم بمعجزين﴾ لله فيما أراد بالتغلب عليه أو الفرار من حكمه. ٤٧ ـ ﴿أو يأخذهم على تخوف﴾ وهو العذاب المبني على المخافة بأن يشعروا بالعذاب فيتقوه بالتوبة، وقيل هو العذاب مما يخاف منه من غير هلاك كالزلزلة وغيرها وقيل التخوف هو التنقص بأن يأخذهم الله بنقص النعم واحدة واحدة تدريجياً كأخذ الأمن، ثم الأمطار، ثم الرخص، ثم الصحة وهكذا ﴿فإن ربكم لرؤوف رحيم﴾ فهو يأخذهم على تخوف ويتنزل في عذابهم إلى هذا النوع من العذاب لأنه رؤوف رحيم. ٤٨ ـ ﴿أولم يروا﴾ أولم ينظروا وهم مشركون منكرون لتوحيد الربوبية ولدعوة النبوة ﴿إلى ماخلق الله من شيء﴾ من هذه الأجسام القائمة من جبل أو شجر أو بناء ﴿يتفيؤا ظلاله﴾ التي ترجع وتدور ﴿عن اليمين والشمائل سجدا لله﴾ واقعة على الأرض تذللاً وتعبداً له ﴿وهم داخرون﴾ خاضعون صاغرون. ٤٩ ـ ﴿ولله يسجد﴾ ويقع على الأرض تذللاً، ويخضع وينقاد له خضوعاً ذاتياً ﴿مافي السموات ومافي الأرض من دابة﴾ فكلها تسجد وتخضع، فمن حقه تعالى أن يعبد ويسجد له، وفي الآية دلالة على أن في غير الأرض من السموات شيئاً من الدواب يسكنها ﴿والملائكة﴾ يسجدون أيضاً وقد خصوا بالذكر لأن أكثر آلهة الوثنيين من الملائكة ﴿وهم لايستكبرون﴾ ولايطلبون الكبر فالاستكبار مذموم لأن استكبار المخلوق على المخلوق ـ وقد استوعبهما الفقر والحاجة جميعاً ـ ظلم وطغيان واستكبار المخلوق على الخالق لايتم إلا مع دعوى المخلوق

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖۖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾

الاستقلال والغنى بنفسه، فهي دعوى الاستكبار وهو استكبار الذات، ويتبعه الاستكبار بحسب الفعل وهو أن لايأتمر بأمره ولاينتهي عما نهى عنه ولايمكن للملائكة أن تقع في هذه الغفلة فهم لايستكبرون. ٥٠ ـ ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ فيعلمون أنه قاهر لهم، مستعلٍ عليهم، فهم يخافون مقامه خوفاً ذاتياً ينفي استكبار ذواتهم ﴿ويفعلون مايؤمرون﴾ فلايستكبرون في مقام الفعل فهم لايعصون. ٥١ ـ ﴿وقال الله لاتتخذوا إلهين اثنين﴾ نهي عن اتخاذ إله آخر أو أكثر مع الله فلاتتخذوا إلهاً للخلق، وإلهاً للتدبير وهو الذي له العبادة ﴿إنما هو إله واحد﴾ لاشريك له ﴿فإياي فارهبونِ﴾ فإذا كنت أنا الخالق الموجد فأنا المدبر الذي تجب عبادته وإياي فاعبدوني وارهبوني. ٥٢ ـ ﴿وله مافي السموات والأرض﴾ فكل شيء مملوك له، ولامعنى أن يكون العالم مملوكاً له ثم يستقل غيره بالتدبير. وإذا كان هو المدبر فله العبادة ﴿وله الدين واصباً﴾ أي دائماً لازماً، فهو المسنن وهو الذي يجب الاستنان بسنته وأحكامه وتشريعاته إذ أنها هي التي تهدي إلى السعادة. ﴿أفغير الله تتقون﴾ استفهام إنكاري فإذا كان كذلك فهل تعبدون غيره وليس من حقه أن يشرع ديناً فيطاع فيما وضعه وشرعه. ٥٣ ـ ﴿ومابكم من نعمة فمن الله﴾ بيان آخر لوحدانيته في الربوبية وذمهم على شركهم وتشريعهم أموراً من عند أنفسهم من غير إذن ورضى منه ﴿ثم إذا مسكم الضر﴾ وفقدتم النعمة ﴿فإليه تجأرون﴾ ترفعون أصواتكم بالدعاء والتضرع والاستغاثة والجؤار صوت الوحوش وتعلق الرجاء عند البلية دليل على أن الداعي يرى سبباً فوق الأسباب المنقطع عنها، لاتعجزه عظائم الحوادث، وداهمات الرزايا وهو الله عز اسمه. ٥٤ ـ ﴿ثم إذا كشف الضر عنكم﴾ لأنه رب الأسباب ﴿إذا فريق منكم بربهم يشركون﴾ فيعودون إلى التعلق بالأسباب، وتتنبه الرواقد من رذائل ملكاتهم. ٥٥ ـ ﴿ليكفروا بما ءاتيناهم﴾ فهم يشركون ليكفروا بما أعطيناهم من النعمة بكشف الضر عنهم ولايشكروه، فلا غاية لهم في مسيرة حياتهم إلا الكفر فتعلقهم بالحس والمادة أورثهم ملكة التعلق بالأسباب الظاهرة، وإسناد النعم الإلهية إليها وضربهم إياها حجاباً ثخيناً على عرفان الفطرة

لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ۖ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

﴿فتمتعوا فسوف تعلمون﴾ فسيؤاخذكم الله على ماتمتعتم به ولاينفعكم شيء منه. ٥٦ ـ ﴿ويجعلون لما لايعلمون﴾ من الأسباب الظاهرة في أنفسهم نصيباً مفروضاً، فهم يتولون غير الله، وقد أشركوا بربهم ﴿نصيباً مما رزقناهم﴾ بإسناد الرزق إليها بالاستقلال، من غير أن يذكروا الله معها ومقتضاه نفي التأثير عنه تعالى رأساً لإشراكه معها ﴿تالله لتسألن عما كنتم تفترون﴾ من إشراك الأسباب في التأثير في الرزق وسيحاسبكم به الله. ٥٧ ـ ﴿ويجعلون لله البنات﴾ فيأخذون الآلهة دون الله أو بعضها إناثاً، بقولهم إن الآلهة بنات الله، وقولهم: الملائكة بنات الله كما تقول البرهمية والبوذية والصابئة وكانوا يتخذون الملائكة الذين تنتهي إليهم وجوه الخير، والجن الذين ترجع إليهم الشرور بزعمهم آلهة يعبدونها رغباً ورهباً ويقولون بتزاوجها من بعضها وتحصل الأولاد من اجتماعها ﴿سبحانه ولهم

مايشتهون﴾ فيئدون لأنفسهم البنين بقتل البنات ووأدها. فهم يرضون لله مالايرضون به لأنفسهم.

٥٨ ـ ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً﴾ من شدة غضبه ﴿وهو كظيم﴾ يتجرع غيظه.

٥٩ ـ ﴿يتوارى﴾ يستخفي ﴿من القوم من سوء مابشر به﴾ على عقيدته، ويفكر في أمره ﴿أيمسكه على هون﴾ وذل ﴿أم يدسه في التراب﴾ حيث يئدون الأنثى بطمرها بحفرة في التراب حية حتى تموت ﴿ألا ساء مايحكمون﴾ وهو حكمهم أن له البنات ولهم البنون.

٦٠ ـ ﴿للذين لايؤمنون بالآخرة مثل السوء﴾ لأن الإيمان بالآخرة والإذعان بالحساب والجزاء هو الأصل الوحيد الذي يضمن حفظ الإنسان من اقتراف الأعمال السيئة، ويجيره من لحوق أي ذم وخزي، والذين لايؤمنون بالآخرة هم مثل كل سوء وقبح ﴿ولله المثل الأعلى﴾ فهو سبحانه ذو علم ونزاهة وله كمال الصفات فهو المثل الذي هو أعلى ﴿وهو العزيز﴾ فله كل العزة فلا تعتريه ذلة لأن كل ذلة هي فقد عزة وهو ﴿الحكيم﴾ فلايتصف بشيء من صفات النقص، ولاينعت بشيء من نعوت الذم.

٦١ ـ ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم﴾ مستمراً على المؤاخذة ﴿ماترك عليها﴾ أي على الأرض ﴿من دابة﴾ تتحرك وينتج عن ذلك أن الناس يهلكون بظلمهم، وأما الأشد والأندر وهم الأنبياء والأئمة المعصومون فهم لايوجدون لهلاك آبائهم وأمهاتهم. وعندها تهلك الدواب لأنها مخلوقة لمنافع العباد ﴿ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾ هو موعد موتهم المحتوم إذا كانوا أفراداً، وانقراضهم إذا كانوا أمة ﴿فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة﴾ عن أجلهم ﴿ولايستقدمون﴾ فالله يؤخرهم ولايعاجلهم.

٦٢ ـ ﴿ويجعلون لله مايكرهون﴾ يعني البنات ﴿وتصف ألسنتهم الكذب﴾ أي تخبر الخبر الكاذب وهو ﴿أن لهم الحسنى﴾ أي العاقبة الحسنى من الحياة، وهي أن يخلفهم البنون ﴿لاجرم أن لهم النار﴾ جزاءً وفاقاً ﴿وأنهم مفرطون﴾ أي مقدمون إلى عذاب النار.

٦٣ ـ ﴿تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك﴾ كاليهود والنصارى والمجوس ممن لم ينقرضوا ﴿فزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ فاتبعوه وأعرضوا عن رسلنا ﴿فهو وليهم اليوم﴾ أي يوم نزول الآية، وقد اتفقوا على الضلال في زمان الوحي ﴿ولهم﴾ يوم القيامة ﴿عذاب أليم﴾ هو عذابهم الموعود.

٦٤ ـ ﴿ومأأنزلنا عليك الكتاب﴾ وهو القرآن ﴿إلا لتبين لهم﴾ أي للمشركين ﴿الذي اختلفوا فيه﴾ من المعارف الحقة، والأحكام الإلهية فتتم عليهم الحجة ﴿وهدى﴾ يهديهم الله به إلى الحق ﴿ورحمة﴾ تصيبهم بالإيمان ﴿لقوم يؤمنون﴾ فينالون الهداية والرحمة لإيمانهم.

٦٥ ـ ﴿والله أنزل من السماء ماء﴾ هو المطر فتنمو النباتات بعد سكونها ﴿فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ بنمو النباتات فيها ﴿إن في ذلك لآية لقوم يسمعون﴾ الحق فيقبلونه ويعونه، ويعلمون بذلك أن الله محيي الموتى. ٦٦ ـ ﴿وإن لكم في الأنعام﴾ أي في الإبل والبقر والغنم ﴿لعبرة﴾ وعظة ﴿نسقيكم مما في بطونه﴾ أي بطون الأنعام باعتبارها شيئاً واحداً ﴿من بين فرث﴾ مما في الكرش ﴿ودم﴾ فنسقيكم من بين الفرث والدم ﴿لبناً خالصاً﴾ لايُشعر به طعمهما ورائحتهما ـ ﴿سائغاً﴾ يجري في الحلق بسهولة ﴿للشاربين﴾ والذي خلص اللبن من بين فرث ودم، قادر على بعث الإنسان وإحياء العظام وهي رميم. ٦٧ ـ ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب﴾ عطف على والله أنزل من السماء ﴿تتخذون منه سكراً﴾ أي ماهو مسكر وهو حرام ﴿ورزقاً حسناً﴾ كالتمر والزبيب ﴿إن في ذلك لآية لقوم يعقلون﴾ فمن تعقل أمر النبات وثمره كان له ذلك دليلاً على رجوع الأمر إلى نظام عام لمدبر واحد. ٦٨ ـ ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ إلهاماً عن طريق الغريزة ﴿أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون﴾ أي مايبنون لبيوت العسل؛ وذكر أنوثة عاملات النحل والعنكبوت مما سبق إليه القرآن. ٦٩ ـ ﴿ثم كلي من كل الثمرات﴾ فهي تأكل من الأزهار من مواد الثمرات في بواكير تشكل الثمار ﴿فاسلكي سبل ربك ذللاً﴾ فارجعي إلى بيوتك لتودعي ماهيأت من العسل بالسبل المسخرة لك ﴿يخرج من بطونها﴾ أي بطون النحل ﴿شراب﴾ هو العسل ﴿مختلف ألوانه﴾ من الأبيض إلى الأحمر وإلى مايميل إلى السواد ﴿فيه شفاء للناس﴾ من كثير من الأمراض ﴿إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ فأمر النحلة عجيب، يتضمن دقائق عجيبة لاتنكشف إلا بالإمعان في التفكر، فهو آية للمتفكرين. ٧٠ ـ ﴿والله خلقكم ثم يتوفاكم﴾ في عمر متوسط ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ وأردئه، وهو سن الهرم ﴿لكي لايعلم بعد علم شيئاً﴾ لانحطاط قوى الشعور والإدراك ﴿إن الله عليم﴾ فبعلمه أقام هذا النظام وهو ﴿قدير﴾ فخلقه بقدرته. ٧١ ـ ﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق﴾ وهو ماتبقى به الحياة، كماً من غنى أو فقر، أو كيفاً من حيث التصرف من مالك وعبد ﴿فما الذين فضلوا﴾ بالحرية والرزق والتصرف ﴿برادي رزقهم على ماملكت أيمانهم﴾ فهم لايردون النعمة على من هم دونهم، وهذه النعمة من الله سبحانه، لأن لأمر المولوية والرِّقية أو العبودية أصول تكوينية. فالأمم الحاضرة، وإن ألغت سنة الاسترقاق فإن الناس لايزالون يحترمون معناها وإن ألغوا صورتها، ويجرون مسماها وإن هجروا اسمها. ﴿فهم فيه سواء﴾ فلن يردوا رزقهم ليكونوا فيه سواء لأن في ذلك ذهاب مولويتهم ﴿أفبنعمة الله يجحدون﴾ استفهام توبيخي لإنكار النعمة وهي هذا التفضيل المذكور. ٧٢ ـ ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ تألفونها وتأنسون بها ﴿وجعل لكم من أزواجكم﴾ بالإيلاد ﴿بنين وحفدة﴾ أعواناً تستعينون بخدمتهم على حوائجكم، وتدفعون بهم عن أنفسكم المكاره ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ من متاع الدنيا كالماء والثمرات أو مما تقومون بتدبيره كالأطعمة والملابس

وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ۚ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

﴿أفبالباطل﴾ كالأصنام والأوثان والقول بالبنات لله، وتطبيق الأحكام التي يشرعها لهم أئمتهم أئمة الضلال ﴿يؤمنون﴾ ولها يسجدون ﴿وبنعمة الله﴾ من الأزواج والرزق ﴿هم يكفرون﴾ وقد جعلها أساساً تكوينياً يبتني عليه المجتمع البشري، ويظهر فيه حكم التعاضد بين الأفراد وبكفرانه هلاك الإنسانية. ٧٣ ـ ٧٤ ـ ﴿ويعبدون من دون الله مالايملك لهم رزقاً﴾ بل لايملك لهم ﴿من السموات والأرض شيئاً ولايستطيعون﴾ فآلهتهم لاتملك ولاتستطيع. وفي ذلك إثبات للتوحيد عن طريق النعمة. ﴿فلاتضربوا لله الأمثال﴾ بالتوصيف، كقولهم: إن له بنات، وإن الملائكة بناته، وإنه كيف يحيي العظام ﴿إن الله يعلم وأنتم لاتعلمون﴾ لاحقائق الأمور ولاكنهه تعالى. ٧٥ ـ ﴿ضرب الله مثلاً عبداً مملوكا لايقدر على شيء﴾ فهو لايملك نفسه ولايملك شيئاً من متاع الحياة ولايقدر على التصرف ﴿ومن رزقناه منا رزقاً حسناً﴾ فهو يملك الرزق من الله ﴿فهو ينفق منه سراً وجهراً﴾ فهو قادر على التصرف ﴿هل يستوون﴾ لايستوون، فالله المالك لكل شيء، المنعم بجميع النعم لايساويه أحد في خلقه ﴿الحمد لله﴾ فله الثناء على الجميل الاختياري لأن جميل النعمة من عنده، ولايحمد إلا الجميل فله تعالى كل الحمد وله جنس الحمد ﴿بل أكثرهم﴾ أي المشركين ﴿لايعلمون﴾ أن ماينسبونه لأوليائهم من الملك والتدبير والقدرة هي لله سبحانه فهو الرب المنعم لاغير. ٧٦ ـ ﴿وضرب الله مثلاً﴾ مقايسة أُخرى ﴿رجلين﴾ متقابلين ﴿أحدهما أبكم﴾ وهو الذي يولد أصماً لايسمع ولايفهم ولايفهّم ﴿لايقدر على شيء﴾ من تلقي المعلومات وإلقائها إذ لم يبق له إلا البصر ﴿وهو كل﴾ ثقل ﴿على مولاه﴾ الذي يدبر أمره ﴿أينما يوجهه لايأت بخير﴾ فلايستطيع أن ينفع غيره كما لاينفع نفسه ﴿هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل﴾ وهو الطرف المقابل الذي يلتزم حد الوسط، ويجتنب الإفراط والتفريط، فالعدل هو التمكن من صلاح النفس ثم صلاح الأعمال ﴿وهو على صراط مستقيم﴾ وهو السبيل الذي يهدي سالكيه إلى غايتهم التي تقتضيها الفطرة الإنسانية. فأصل الحجة هو الدلالة على النبوة والتشريع. ٧٧ ـ ﴿ولله غيب السموات والأرض﴾ والغيب بالنسبة إلى شيء شهادة بالنسبة لآخر ﴿ومأمر الساعة﴾ وهي من الغيب وفيها يظهر ماستر من الحقائق. والله عالم الغيب والشهادة ﴿إلا كلمح البصر أو هو أقرب﴾ بالنسبة إلى الله تعالى فأمر الساعة كأمر أيسر الخلق وأهونه ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ فقدرته على كل شيء توجب أن تكون الأشياء بالنسبة إليه سواء فقدرته عين ذاته. ٧٨ ـ ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم﴾ إشارة إلى التولد ﴿لاتعلمون شيئاً﴾ عند خروجكم ﴿وجعل لكم السمع والأبصار﴾ وهما مبدأ الحس ﴿والأفئدة﴾ وهي مبدأ الفكر ﴿لعلكم تشكرون﴾ الله على نعمه. ٧٩ ـ ﴿ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء﴾ والتسخير يتحقق بقهر أحد السببين الآخر في فعله على مايريده السبب القاهر ﴿مايمسكهن إلا الله﴾ فإن كافة الأسباب تنتهي إلى الله ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ فحركاتها وطيرانها آيات لقوم يؤمنون.

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُونَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

٨٠ ـ ﴿والله جعل لكم من بيوتكم﴾ التي تأوون إليها ﴿سكناً﴾ تسكنون فيه ﴿وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً﴾ وهي القباب والخيم ﴿تستخفونها﴾ تعدونها خفيفة ﴿يوم ظعنكم﴾ وارتحالكم ﴿ويوم إقامتكم﴾ من غير سفر وظعن ﴿ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً﴾ تستعملونه في بيوتكم ﴿ومتاعاً﴾ تتمتعون به ﴿إلى حين﴾ محدود، فلاينبغي اختيار الدنيا على الآخرة.

٨١ ـ ﴿والله جعل لكم مماخلق ظلالاً﴾ وهي أمر عدمي محقق بغيره ﴿وجعل لكم من الجبال أكناناً﴾ وأستاراً تستترون بها ﴿وجعل لكم سرابيل﴾ أي قمصاناً ﴿تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم﴾ كدروع الحديد ﴿كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون﴾ فمن يعرف النعمة وإتمامها عليه أن يسلم لإرادة منعمه، لأن منعماً هذا شأنه لايريد به سوءاً، فلا يحق له الاستكبار.

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾

٨٢ ـ ﴿فإن تولوا﴾ وأعرضوا ﴿فإنما عليك البلاغ المبين﴾ الواضح وأنت لم تعظهم إلا لما فيه صلاحهم.

٨٣ ـ ﴿يعرفون نعمة الله﴾ وأنها منه ـ ومقتضاها أن يؤمنوا بالله وبرسوله واليوم الآخر ويسلموا في العمل ـ ﴿ثم ينكرونها﴾ فهم يعملون بآثار الإنكار دون المعرفة ﴿وأكثرهم الكافرون﴾ بالنعم بما تدل عليه من التوحيد وغيره.

٨٤ ـ ﴿ويوم نبعث من كل أمة﴾ يوم القيامة ﴿شهيداً﴾ من شهداء الأعمال على أممهم ﴿ثم لايؤذن للذين كفروا﴾ بالكلام والاعتذار لإفساح المجال لأداء الشهود شهادتهم ﴿ولاهم يستعتبون﴾ فلا تطلب منهم العتبى لتحصيل رضى الله لأن الموقف موقف حساب وجزاء، ولاسبيل إلى رجوعهم القهقرى حتى يعملوا صالحاً.

٨٥ ـ ٨٦ ـ ﴿وإذا رأى الذين ظلموا العذاب﴾ وأشرفوا عليه لظلمهم وكفرهم ﴿فلا يخفف عنهم﴾ إذا حل بهم ﴿ولا هم ينظرون﴾ فلا تأخير له ﴿وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم﴾ الذين سموهم شركاء لله ﴿قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك﴾ فهم الذين كنا ننسب إليهم التدبير ودفع الضر ﴿فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون﴾ أي أن شركاءهم ردوا إليهم القول وكذبوهم. ويقول تعالى: ﴿ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾.

٨٧ ـ ﴿وألقوا إلى الله يومئذ السلم﴾ بعد ما كانوا يدعون إلى الإسلام في الدنيا وهم يستكبرون، فهم الآن يستسلمون عن خضوع وقهر إلهي ﴿وضل عنهم ماكانوا يفترون﴾ لأنهم اختاروا تسليم عبادتهم لشركائهم فضل سعيهم وافتراؤهم.

٨٨ ـ ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ بالعناد واللجاج وأثموا حملة الكفر، فاقتدى بهم غيرهم ﴿زدناهم عذاباً﴾ بسبب صدهم وهم يختصون به ﴿فوق العذاب﴾ الذي هو لمطلق الظلم والذي يشاركهم فيه إخوانهم ﴿بما كانوا يفسدون﴾ غيرهم بصرفهم عن الهدى ومحاربة انعقاد مجتمع صالح. ٨٩ ـ ﴿ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم﴾ للشهادة على أعمالهم ﴿وجئنا بك﴾ يامحمد ﴿شهيداً على هؤلاء﴾ فأنت شهيد على أمتك ومن تلاها من الأمم ﴿ونزلنا عليك الكتاب﴾ وهو القرآن ﴿تبياناً﴾ إيضاحاً ﴿لكل شيء﴾ مما يحتاج إليه الناس في اهتدائهم من المعارف الحقيقية المتعلقة بالمبدأ والمعاد والأخلاق والشرائع الإلهية والمواعظ ﴿وهدى﴾ يهتدون به إلى صراط مستقيم ﴿ورحمة﴾ إلهية يحوزون بالعمل بها خير الدنيا والآخرة ﴿وبشرى للمسلمين﴾ بمغفرة من الله ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم والأفضل أن يقال: إن الآيات دالة على التوحيد والنبوة والمعاد، فقد نزلنا عليك القرآن بياناً للهداية وجئنا بك شهيداً على أعمالهم فتشهد على الظالمين بما ظلموا وعلى المسلمين بما أسلموا لأنك أرسلت هادياً ورحمة ومبشراً لهم. ٩٠ ـ ﴿إن الله يأمر بالعدل﴾ وهو المساواة في المكافأة إن خيراً فخير وإن شراً فشر على ماقيل والعدل عدل فردي وعدل اجتماعي، وهو المقصود بالآية، وهو أن يعامل كل فرد من المجتمع بما يستحقه. فيتعلق الأمر بالمجموع، فيكلف المجتمع إقامة هذا الحكم، وتتقلده الحكومة المسلمة بما أنها تتولى وتدبر أمر المجتمع. ﴿والإحسان﴾ وهو إيصال الخير إلى الغير لاعلى سبيل المقابلة والمجازاة، بل إصلاح حال من أذلته المسكنة أو الفاقة، وهذا ماينشر المحبة والأمن والسلامة ﴿وإيتاء﴾ أي إعطاء ﴿ذي القربى﴾ زيادة بالعناية بالمجتمع الصغير فالبنيان المتين لروابط القربى يزيد من عرى ربط الذي يليهم ﴿وينهى عن الفحشاء﴾ وهي ماعظم قبحه من فعل أو قول أو ماخرج عن حد التحمل والصبر والسكوت ﴿والمنكر﴾ وهو مالايعرفه الناس في مجتمعهم من القبائح والآثام ككشف العورة ومظاهر الفسق والفساد ﴿والبغي﴾ وهو التعدي والاستكبار والظلم. فوقوع مانهى الله عنه في مجتمع، يبطل إلتئامه، ويقطع أواصره ويسبب تحلله. وفي ذلك هلاك سعادة الأفراد ﴿يعظكم لعلكم تذكرون﴾ فتعلمون أن الذي يدعوكم إليه فيه حياتكم وسعادتكم. ٩١ ـ ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم﴾ وتعهدتم بحفظه ومراعاته ﴿ولاتنقضوا﴾ لاتنكثوا ﴿الأيمان﴾ وهي الحلف بالله سبحانه ﴿بعد توكيدها﴾ أي إحكامها بالقصد والعزم فحقيقة معنى اليمين هي ايجاد ربط خاص بين مايقسم عليه وبين مايقسم به من أمر شريف بحيث يستوجب بطلان النسبة إذا ظهر خلافه، كما لو أن المقسم به بما له من شرف هو المسؤول عن المقسم عليه. ﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً﴾ في الوفاء بما عقد عليه اليمين، فإن نكث فلكفيله أن يؤديه إلى الجزاء والعقوبة. فنكث اليمين إهانة وإزراء بساحة العزة مع الانقطاع عن الله بعد توكيد الاتصال ﴿إن الله يعلم ماتفعلون﴾ وهذا العمل مبغوض يعلمه الله.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

٩٢ ـ ﴿ولاتكونوا كالتي نقضت﴾ وأفسدت وحلت ﴿غزلها﴾ فتلها ﴿من بعد قوة﴾ وعقد ﴿أنكاثاً﴾ لافتل فيه ونقل الكلبي أنها حمقاء من قريش كانت تغزل إلى منتصف النهار مع جواريها ثم تأمرهن بنكثه وهي ريطة بنت عمرو بن كعب وكانت تسمى خرقاء مكة ﴿تتخذون أيمانكم دخلاً﴾ سبباً ووسيلة ﴿بينكم﴾ للغدر والخيانة ﴿أن تكون أمة﴾ وهي الحالفة ﴿هي أربى﴾ وأزيد سهماً من زخارف الدنيا ﴿من أمة﴾ وهم المحلوف لهم ﴿إنما يبلوكم الله به﴾ أي يمتحنكم ﴿وليبينن لكم يوم القيامة ماكنتم فيه تختلفون﴾ فتظهر حقيقة ماتكالبتم عليه في الدنيا وماسلكتم من الباطل لدحض الحق. ٩٣ ـ ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ برفع الاختلاف بينكم، فاختلافكم ليس بناقض للغرض الإلهي ولا أنكم معجزون لله ﴿ولكن يضل من يشاء﴾ بعد ضلاله الابتدائي ورفضه الهداية ﴿ويهدي من يشاء﴾ لمن اختار الهدى أولاً ثم جرى على الطاعة، أو تاب ورجع عن المعصية ﴿ولتسألن عما كنتم تعملون﴾ فاستناد الضلال والهدى إليه سبحانه لايبطل تأثيركم في اختيار مااخترتم ـ وبغير ذلك تبطل الرسالة وتلغو الدعوة ـ بل الله يمد لكم في ما اخترتم. ٩٤ ـ ﴿ولاتتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم﴾ نهي استقلالي عن الخدعة باليمين ﴿فتزل قدم بعد ثبوتها﴾ فزلة القدم بعد ثبوتها مثل لنقض اليمين بعد توكيده ﴿وتذوقوا السوء﴾ والعاقبة السيئة في الدنيا ﴿بما صددتم﴾ وأعرضتم وامتنعتم ﴿عن سبيل الله﴾ وهي الفطرة والدعوة إلى التزام الصدق والاستقامة، وتجنب الخدعة والخيانة والكذب والزور والغرور ﴿ولكم عذابٌ عظيمٌ﴾ في الآخرة بما أفسدتم. ٩٥ ـ ﴿ولاتشتروا بعهد الله﴾ بنقض الأيمان ﴿ثمناً قليلاً﴾ من حطام الدنيا الذي تحصلون عليه بجعل أيمانكم دخلاً بينكم ﴿إن ماعند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ من الثمن الذي تحصلون عليه بنقض الأيمان. ٩٦ ـ ﴿ماعندكم ينفد﴾ ويزول لأن حياتكم المادية قائمة على التحول ﴿وماعند الله باق﴾ لايفنى والباقي خير من النافد ﴿ولنجزين الذين صبروا أجرهم﴾ لمما نعتهم هوى أنفسهم في جنب الله ﴿بأحسن ماكانوا يعملون﴾ فالله سبحانه يرى أعمالهم ويجزيهم بأحسنها. فيعطي جميع العبادات أجر أحسنها لأن الصبر في الله يوجب كمال أجر العمل. ٩٧ ـ ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن﴾ حكم كلي لمن عمل صالحاً وقيده بالإيمان لأن العمل بلا إيمان حابط ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾ بإفاضة حياة جديدة غير مايشاركه سائر الناس في الحياة العامة فيعطيه الله من العلم والإدراك ماليس لغيره وكذلك له من إحياء الحق وإماتة الباطل ماليس لغيره، فلا يغتر بالدنيا ولايفتنه الشيطان ولايستذله بوساوسه، ويتعلق قلبه بربه فلا يريد إلا وجهه فلا حسن إلا ماقال عنه الله إنه حسن، ولاقبيح إلا ماقبحه الله من معصية. فيجد نفسه قد تألقت بالبهاء والكمال واللذة والسرور، مع خير وسعادة لاشقاء معها ﴿ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون﴾ لصلاح أعمالهم وكمال إيمانهم. ٩٨ ـ ٩٩ ـ ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله﴾ اطلب أن يعيذك ويحميك ﴿من الشيطان الرجيم﴾ المبعد عن الرحمة.

وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَـٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

﴿إنه ليس له سلطان﴾ ولاقدرة على التصرف والتأثير ﴿على الذين آمنوا﴾ بالله ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ فيلقون إليه تعالى زمام أمرهم راضين ويسلمون له. ١٠٠ ـ ﴿إنما سلطانه﴾ أي الشيطان ﴿على الذين يتولونه﴾ ويتخذونه ولياً ﴿والذين هم به﴾ تعالى ﴿مشركون﴾ فتولي من لم يأذن الله به شرك لأنه عبادة وطاعة لغير الله، ومن لم يتوكل على الله فهو من أولياء الشيطان. ١٠١ ـ ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية﴾ بالنسخ ﴿والله أعلم بما ينزل﴾ فهو أعلم بالحق ﴿قالوا﴾ أي المشركون للنبي محمد ﷺ ﴿إنما أنت مفتر﴾ فسموه مفترياً لكل ماجاء به ﴿بل أكثرهم﴾ أي المشركون ﴿لايعلمون﴾ حقيقة هذا التبديل وحكمته. ١٠٢ ـ ﴿قل نزله﴾ أي نزل القرآن تدريجاً ﴿روح القدس من ربك بالحق﴾ فهو حق ﴿ليثبت﴾ ويحكم ثبات ﴿الذين آمنوا﴾ بالله ورسوله واليوم الآخر ﴿وهدى﴾ إلى واجب العمل ﴿وبشرى للمسلمين﴾ بأن الغاية هي الجنة والسعادة. ١٠٣ ـ ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون﴾ افتراء ﴿إنما يعلمه بشر﴾ فقد اتهموا الرسول بأن أعجمياً يعلمه. ولم يقولوا يلقنه لأن من الممكن بزعمهم أن يسبك الرسول ﷺ ماعلم بقالب العربية ﴿لسان الذين يلحدون إليه﴾ أي يميلون إليه وينونه ﴿أعجمي﴾ غير فصيح ولامبين ﴿وهذا لسان عربي مبين﴾ واضح. ١٠٤ ـ ١٠٥ ـ ﴿إن الذين لايؤمنون بآيات الله﴾ ويكفرون بها ﴿لايهديهم الله﴾ إليه وإلى معارفه الحقة ﴿ولهم عذاب أليم﴾ والنبي مؤمن نال الهداية لإيمانه، فالمفتري هو الذي لايؤمن ﴿إنما يفتري الكذب﴾ وينسبه إلى الله ﴿الذين لايؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون﴾ المستمرون على الكذب. ١٠٦ ـ ﴿من كفر بالله بعد إيمانه﴾ وارتد ﴿إلا من أكره﴾ استثناء لمن تظاهر بالكفر ﴿وقلبه مطمئن﴾ مستقر ﴿بالإيمان﴾ مستثنى ﴿لكن من شرح بالكفر صدراً﴾ فبسط صدره للكفر ﴿فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾ لأنهم بدلوا الشكر كفراً. ١٠٧ ـ ﴿ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا﴾ ومافيها من متاع حيواني ﴿على الآخرة﴾ وهي حياة دائمة في جوار رب العالمين وهي غاية الحياة الانسانية ﴿وأن الله لايهدي القوم الكافرين﴾ وإذا لم يهدهم ضلوا طريق السعادة والجنة فوقعوا في غضب من الله وعذاب عظيم. ١٠٨ ـ ﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم﴾ لأنهم اختاروا الدنيا غاية لأنفسهم فوقفت حواسهم وعقولهم عندها لاتتخطاها فطبع عليها ﴿وأولئك هم الغافلون﴾ عما يدلهم إلى الآخرة فلا يتنبهون بشيء من أمرها. ١٠٩ ـ ﴿لاجرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون﴾ لأنهم ضيعوا رأس مالهم في الدنيا فبقوا بلا زاد في الآخرة. ١١٠ ـ ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد مافتنوا﴾ والفتنة إدخال الذهب في النار لتظهر جودته، وقد كان المشركون يعذبون المؤمنين ليفتنوهم عن دينهم ﴿ثم جاهدوا وصبروا﴾ في جنب الله ﴿إن ربك من بعدها لغفورٌ رحيم﴾ وعد جميل لهم بالمغفرة والرحمة يوم القيامة، والله لايرضى عنهم إلا أن يهاجروا ولا عن هجرتهم إلا أن يجاهدوا بعدها ويصبروا.

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾

﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

١١١ ـ ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾ وتدافع عنها بما تقدر من الأعذار ﴿وتوفى كل نفس ماعملت﴾ فتعطى حقها بتمامه دون زيادة أو نقصان ﴿وهم لايظلمون﴾ لأنهم يجزون عين ماعملوا.

١١٢ ـ ﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة﴾ من الأشرار والغارات والكوارث ومن كمال اطمئنانها أنه ﴿يأتيها رزقها رغداً من كل مكان﴾ ولايلجأ أهلها إلى الإغتراب وتحمل المشاق في طلب الرزق ﴿فكفرت بأنعم الله﴾ وهي الأمن والاطمئنان وإيتاء الرزق ﴿فأذاقها الله﴾ والإذاقة استعارة للإيصال اليسير، فإذاقة الله لها ﴿لباس الجوع والخوف﴾ تشعر أن المقدار اليسير من الجوع والخوف الذي شملهم كما يشمل اللباس البدن من الله سبحانه يمكن أن يشملهم أسوأ منه لأن الله سبحانه هو المتناهي في قهره وغلبته، وهم المتناهون في ذلتهم وهوانهم ﴿بما كانوا يصنعون﴾ فسنة المجازاة في الشكر والكفر قائمة.

١١٣ ـ ﴿ولقد جاءهم رسول منهم﴾ نعمة معنوية إضافة إلى النعمة المادية، وفيها صلاح معاشهم ومعادهم ﴿فكذبوه﴾ وهم يعلمون أنه إنما يدعوهم إلى أمر إلهي، ويهديهم سبيل الرشاد ﴿فأخذهم العذاب وهم ظالمون﴾ لأنهم ردوا الدعوة وكذبوا الرسول.

١١٤ ـ ﴿فكلوا مما رزقكم الله حلالاً﴾ من غير منع بتحريم ﴿طيباً﴾ يلذ لكم ﴿واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون﴾ ولاتعبدون غيره.

١١٥ ـ ﴿إنما حرم عليكم الميتة﴾ وهي مالم يذكَّ ﴿والدم ولحم الخنزير ومااهل لغير الله به﴾ وهي المحرمات الأصلية. وماسواها قد حرمها النبي ﷺ بأمر من ربه ﴿فمن اضطر غير باغ﴾ فيما أوصله إلى الاضطرار ﴿ولاعاد﴾ متعد مايرفع الحرج. إذ ما من شيء حرمه الله إلا وقد أحله لمن اضطر إليه ﴿فإن الله غفور﴾ للذنوب ﴿رحيم﴾ بعباده.

١١٦ ـ ﴿ولاتقولوا لما تصف ألسنتكم﴾ من ﴿الكذب﴾ افتراء ﴿هذا حلال وهذا حرام﴾ في الأحكام الجارية في المجتمع، من دون وحي ينزل به ﴿لتفتروا على الله الكذب﴾ فالدين لله ومن زاد أو نفى منه شيئاً ولو بلسانه فقد افترى على الله، حتى إن سكت عن إسناد ذلك إلى الله ﴿إن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون﴾ ولايفوزون ببغيتهم.

١١٧ ـ ﴿متاع قليل﴾ في الدنيا مايكسبون ﴿ولهم عذاب أليم﴾ بما كانوا يفترون.

١١٨ ـ ﴿وعلى الذين هادوا﴾ وهم اليهود ﴿حرمنا﴾ عليهم ﴿ماقصصنا عليك من قبل﴾ من تحريم كل ذي ظفر الخ. ﴿وماظلمناهم﴾ في تحريمه ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ فجزيناهم بتحريمه عقوبة لهم.

١١٩ ـ ﴿ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة﴾ والجهالة هي عدم الانكشاف التام للواقع، وإن لم يخل عن علم ما؛ كحال من يقترف المحرمات وهو يعلم بحرمتها، ولكن الأهواء تغلبه ولاتدعه يفكر في حقيقة هذه المخالفة والمعصية، فله علم بما ارتكب، ولذلك يؤاخذ ويعاقب وهو مع ذلك جاهل بحقيقة الأمر ولو تبصر تمام التبصر لم يرتكب ماارتكب. ولكن لو فعلوا الجهالة ﴿ثم تابوا من بعد ذلك﴾ ورجعوا إلى الله بالتوبة ﴿وأصلحوا﴾ حتى يتبين استقرار التوبة ﴿إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾ فشمول المغفرة والرحمة من تبعات التوبة. ١٢٠ ـ ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾ أي قائماً مقام جماعة في عبادة الله لأنه حقق الملة التي أرادها الله لعباده، وهي ملة تحلل الطيبات وتحرم الخبائث وتجلب النفع لمن عمل بها، فاجتباه الله وهداه إلى صراط مستقيم وأصلح بها دنياه وآخرته ﴿قانتاً لله﴾ مطيعاً مداوماً على العبادة ﴿حنيفاً﴾ مائلاً عن الطرفين إلى حال الوسط وهو الاعتدال ﴿ولم يك من المشركين﴾ الذين يغيرون أحكام الله أو يعبدون غيره. ١٢١ ـ ﴿شاكراً لأنعمه﴾ تعالى، وحقيقة الشكر هي الإخلاص في العبودية ﴿اجتباه﴾ من الجباية أي الجمع وقد حفظه الله من التفرق في المذاهب وأخلصه لنفسه ﴿وهداه إلى صراط مستقيم﴾ يسعد به في الدنيا والآخرة. ١٢٢ ـ ﴿وآتيناه في الدنيا حسنة﴾ وهي المعيشة الحسنة، فقد كان (ع) ذا مال كثير ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ لأن من سلك الصراط المستقيم في الدنيا سيجده في الآخرة وهو صالح للجنة التي هي غاية الخلقة للمحسنين. ١٢٣ ـ ﴿ثم أوحينا إليك﴾ يامحمد ﴿أن اتبع ملة ابراهيم﴾ وهي دين الفطرة الحق ﴿حنيفاً﴾ مائلاً عن الطرفين إلى الاعتدال ﴿وماكان من المشركين﴾ تأكيد لما ذكر. ١٢٤ ـ ﴿إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه﴾ وسمي السبت ويعني القطع لأن الله أمر اليهود بعدم العمل فيه تشديداً وابتلاءً وامتحاناً لهم ليتميز المطيعون من العاصين، ﴿وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ وكيف كانوا يحتالون للعمل فيه مع التظاهر بالالتزام بالنهي. ١٢٥ ـ ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ فهي الطرق الثلاث للدعوة والدعاة. والحكمة هي الحجة التي تنتج الحق الذي لامرية فيه ولاإبهام، والموعظة هي البيان الذي تلين به النفس ويرق له القلب لما فيه من صلاح السامع ومحمود الأثر، والجدال هو الحجة التي تفتل الخصم عما يصر عليه دون أن يراد بذلك ظهور الحق بالمؤاخذة عليه من طريق مايتلقاه من حجة؛ فيجب التحرز من زيادة تهييج الخصام والعناد وسوق الخصم إلى المكابرة، واستعمال المقدمات الكاذبة، والإزراء بالخصم وبما يقدسه من الاعتقاد، والسب والشتم ﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ فهو سبحانه يعلم أن الذي ينفع هو استخدام التي هي أحسن. ١٢٦ ـ ﴿وإن عاقبتم﴾ والعقوبة تختص بالعذاب ﴿فعاقبوا﴾ المشركين والكفار ﴿بمثل ماعوقبتم به﴾ أيها المسلمون من أذى الكفار لأن تعذيبهم إياكم مجازاة

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾
شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾
وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾
ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾
إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾
ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾
وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾
وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

لكم على إيمانكم وجهادكم في الله ﴿ولئن صبرتم﴾ على مُرِّ ماعوقبتم به ولم تعاقبوا ﴿لهو خير للصابرين﴾ لإيثاركم رضى الله وثوابه على رضى أنفسكم بالتشفي والانتقام فيكون العمل خالصاً لوجهه الكريم، ولما للصفح والعفو من آثار جميلة. ١٢٧ ـ ﴿واصبر﴾ يامحمد ولازمه قدرة المأمور على المأمور به ﴿وماصبرك إلا بالله﴾ فهو الذي قواك على ماأمرك به من الصبر ﴿ولاتحزن عليهم﴾ أي على الكافرين لكفرهم ﴿ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾ نهي عن التحرج من مكرهم في واقع الحال أو على سبيل الاستمرار فلا يحزنك الذين يسارعون في آياتنا.. ١٢٨ ـ ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ فكل من التقوى والإحسان سبب مستقل في موهبة النصرة الإلهية، وإبطال مكر أعداء الدين ودفع كيدهم فالنصر من الله وقد وعد به.

سُورَةُ الإِسْرَاءِ — ترتيبها ١٧ — آياتها ١١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ
إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ
هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾
ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾
وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ
مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا
عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ
وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ
وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾
إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ
وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

سورة الإسراء

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: توحيده تعالى وتنزيهه عن الشريك مطلقاً، غلبة جانب التسبيح على جانب الحمد، التعرض لحال بني اسرائيل وكيف أنه كلما أطاعوا رفعهم الله، وكلما عصوا خفضهم الله، ذكر بعض العقائد والأحكام. ١ ـ ﴿سبحان﴾ تنزه ﴿الذي أسرى بعبده﴾ محمد ﴿ليلاً﴾ والاسراء هو السير بالليل ﴿من المسجد الحرام﴾ وقد تم ذلك في ليلة واحدة، ذهاباً وعودةً ﴿إلى المسجد الأقصى﴾ البعيد ﴿الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا﴾ الإلهية التي صدرت عن ساحة العظمة والكبرياء ﴿إنه هو السميع﴾ لأقوال عباده ﴿البصير﴾ بأفعالهم وقد رأى حاله ﷺ أنه خليق أن يكرم هذه التكرمة. ٢ ـ ﴿وآتينا موسى الكتاب﴾ أي مجموعة الشرائع المكتوبة على الناس، القاضية بينهم فيما اختلفوا فيه من الاعتقاد والعمل. ﴿وجعلناه هدى لبني إسرائيل﴾ فهداه لهم هو بيانه لشرائع ربهم التي لو علموا بها لاهتدوا ونالوا سعادة الدارين. ﴿ألا تتخذوا من دوني وكيلاً﴾ فلاتشركوا بي شيئاً باتخاذ الوكلاء من الحكام والرؤساء بمظنة أنهم يجلبون النفع فالوكيل الذي يكفل اصلاح شؤون موكله هو الله سبحانه. ٣ ـ ﴿ذرية﴾ تطلق الذرية على صغار الأولاد من الأبناء والبنات معاً، اختصاصاً بإظهار العناية بهم ﴿من حملنا مع نوح﴾ الذين نالوا الوعد الجميل بالنجاة من الطوفان بقوله تعالى:﴿يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك﴾ وهم السلالة الذين نالوا الهداية والإرشاد بالدعوة إلى التوحيد عن طريق نبيهم موسى (ع) وهو يسلك سبيل نوح (ع) ﴿إنه كان عبداً شكوراً﴾ ولشكره أجرينا سنته وطريقته. ٤ ـ ﴿وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب﴾ أي أعلمناهم في التوراة إخباراً قاطعاً ﴿لتفسدن في الأرض﴾ ويسطر التاريخ صدق ما أنبأ الله من أخبارهم وإفسادهم أينما حلّوا ﴿مرتين﴾ مرة بعد مرة ﴿ولتعلن علواً كبيراً﴾ بالطغيان والتعدي والظلم. ٥ ـ ﴿فإذا جاء وعد أولاهما﴾ وهو ماوعدكم الله من النكال والنقمة على إفسادكم ﴿بعثنا عليكم عباداً لنا﴾

فأرسلناهم وأنهضناهم ﴿أولي بأسٍ شديد﴾ ليذلوكم وينتقموا منكم ﴿فجاسوا خلال الديار﴾ بالقتل الذريع، والأسر والسبي والنهب والتخريب جزاء على افسادكم وعلوكم وبغيكم بغير الحق ﴿وكان وعداً مفعولاً﴾ وقضاء لازماً. ٦ ـ ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم﴾ فستعود الدولة لكم على أعدائكم ﴿وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً﴾ أي أكثر عدداً من الرجال، وستغلبونهم وتقهرونهم وتتخلصون من استعبادهم واسترقاقهم في برهة معتد بها من الزمان. ٧ ـ ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم﴾ فرد الكرة لكم على أعدائكم إنما يرجع لإحسانكم ﴿وإن أسأتم﴾ بعد إحسانكم ﴿فلها﴾ أي لأنفسكم، فنتيجة إحسانكم أو إساءتكم تعود لأنفسكم وهي سنة الله في أرضه ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ أي الإفسادة الثانية بعثناهم ﴿ليسوؤا وجوهكم﴾ ويحزنوكم بالخزي والكآبة والذلة والمسكنة والاستعباد بما يرتكبونه فيكم من القتل الذريع والسبي والنهب ﴿وليدخلوا المسجد﴾ الأقصى ﴿كما دخلوه أول مرة﴾ فهم القوم أنفسهم ﴿وليتبروا﴾ ويهلكوا ﴿ماعلوا﴾ أي الذي غلبوا عليه ﴿تتبيراً﴾ وإهلاكاً فيقتلوا النفوس، ويحرقوا الأموال ويخربوا البلاد. ٨ ـ ﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾ بعد البعث الثاني، فمقتضى ربوبيته أن يرحم عباده، وترجي الرحمة على تقدير التوبة والطاعة والإحسان ﴿وإن عدتم﴾ إلى الإفساد والعلو ﴿عدنا﴾ إلى العقوبة والنكال ﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾ من الحصر لما فيها من التضييق والحبس. ٩ ـ ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ أي للملة التي هي أعدل الحالات فالقيام بأمر هو التصدي له بما يناسبه وهذا الدين يهيمن على مافيه خير الناس في دنياهم وآخرتهم لكونه موافقاً لما تقتضيه الفطرة فما هدى إليه القرآن أقوم سنة من السنن التي يديرها الناس فيما بينهم، وهو أقوم مما تهدي إليه باقي الشرائع. ﴿ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات﴾ بوعد منجز من الله ﴿أن لهم أجراً كبيراً﴾ لقاء إيمانهم وعملهم الصالح. ١٠ ـ ﴿وأن الذين لايؤمنون بالآخرة﴾ وقد خص بالذكر عدم إيمانهم بالآخرة مع جواز أن يكفروا بغيرها كالتوحيد والنبوة، لأن الكلام مسوق لبيان الأثر الذي يعقبه الدين القيم، فلاموقع للدين ولافائدة له مع إنكار المعاد، ومن لم يطبق أحكام الدين فقد أنكر المعاد عملاً ولو أثبته قولاً ﴿أعتدنا لهم﴾ هيأنا وادخرنا ﴿عذاباً أليماً﴾ فمن كمال البشرى للمؤمنين الانتقام من أعداء الدين. ١١ ـ ﴿ويدعُ الإنسان بالشر دعاءه بالخير﴾ والدعاء هو مطلق الطلب، سواء كان بلفظ الدعاء أو بطلب وسعي، فالإنسان يطلب كل مالاح له ويسأل كل مابدا له، فيتعلق به هواه من غير تمييز بين الخير والشر. فيريد الشر كما يريد الخير، ويهجم على الباطل كما يهجم على الحق ﴿وكان الإنسان عجولاً﴾ فلايتفكر ويتروى في جهات صلاح الأمور وفسادها حتى يتبين له وجه الخير فيما يريده. وكما أن الخير موجود فالشر موجود وكما يمحو الله آية الليل ويبقي آية النهار مبصرة، يجب على الإنسان أن يمحو الشر فيجتنبه، ويثبت الخير فيأتي به. ١٢ ـ ﴿وجعلنا الليل

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

والنهار﴾ وهما الظلمة والنور ﴿آيتين﴾ أي خلقهما كذلك ﴿فمحونا آية الليل﴾ بإظلامه وإخفائه عن الأبصار ﴿وجعلنا آية النهار مبصرة﴾ مضيئة نيرة ﴿لتبتغوا فضلاً من ربكم﴾ رزقاً عطاء من ربكم ﴿ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾ ولولا الظلمة وهي فقدان النور، لما كان هناك انتقال للإنسان لامن نور إلى ظلمة، ولامن ظلمة إلى نور. فتعاقب الليل والنهار وحركة الأرض والقمر أساس لحساب السنين والفصول والأشهر والأيام ﴿وكل شيءٍ فصلناه تفصيلاً﴾ فالخلقة لاتتضمن إبهاماً وقد تميزت الأشياء من بعضها.

١٣ ـ ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره﴾ والمراد بالطائر عمل الإنسان أي مايستدل به على الميمنة وحسن العاقبة أو المشأمة وسوئها، وإلزام الإنسان طائره ﴿في عنقه﴾ لأنه العضو الذي لايفارقه، فمصير الطاعة إلى الجنة، ومصير المعصية إلى النار ﴿ونخرج له يوم القيامة كتاباً﴾ لايغادر صغيرة ولاكبيرة إلا أحصاها وهذا الكتاب هو الطائر نفسه وهو العمل الذي يعمله الإنسان ﴿يلقاه﴾ يوم القيامة ﴿منشوراً﴾ بعد أن كان مستوراً وراء حجاب الغفلة.

١٤ ـ ﴿اقرأ كتابك﴾ فحجته قاطعة لايرتاب فيها قارئه ولو كان هو المجرم نفسه ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ فقد أنزل الله القرآن هادياً إلى ملة أقوم فمن اهتدى رأى صالح عمله ومن ضل رأى طالح عمله. فمن واجب الإنسان أن لايركب أهواءه، ولايستعجل أعماله حتى يتحرى ويميز الخير فيأخذ به ويتحرز عن الشر.

١٥ ـ ﴿من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه﴾ فينفع بذلك نفسه دون أن يتبع النفع غيره ﴿ومن ضل فإنما يضل عليها﴾ أي على نفسه، فهو الذي يتضرر دون أن يفارقه الضرر فيلحق غيره، فالتبعة فردية في الهدى والضلال ﴿ولاتزر وازرة﴾ الوزر هو الثقل ويعبر به عن الإثم ﴿وزر أُخرى﴾ فلاتتحمل نفس حمل غيرها، لاكما يظن أتباع الضلال أن وبال ضلالهم على أئمتهم ﴿وماكنا معذبين﴾ عذاباً دنيوياً بالاستئصال ﴿حتى نبعث رسولاً﴾ ينذر بعذاب الله، وإن كان له أن يعذبهم به؛ ولكنه برحمته يبالغ في الموعظة ويتم الحجة بعد الحجة، ثم ينزل العقوبة. فالأصول كالتوحيد والنبوة والمعاد تثبت عقلاً من غير توقف على نبوة أو رسالة، وتستقر المؤاخذة الإلهية على ردها بمجرد قيام الحجة العقلية. بينما تستقر المؤاخذة الأخروية على الفروع بالبيان النبوي.

١٦ ـ ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية﴾ أي دنا وقت إهلاكها، ويمكن أن يراد به الإرادة الفعلية وحقيقتها توافق الأسباب المقتضية لذلك، كما لو طغوا بالمعصية أو كفروا بالنعمة ﴿أمرنا مترفيها﴾ الذين أوسع الله عليهم نعمه. والنعمة موجبة للشكر، ولكنهم جعلوها ذريعة للمعاصي ﴿ففسقوا فيها﴾ كأنهم مأمورون بذلك، والفسق هو الخروج عن زي العبودية والطاعة أو أمرنا مترفيها بالطاعة ففسقوا عن أمرنا ﴿فحق عليها القول فدمرناها تدميراً﴾ ولو أخذ المؤمنون على أيديهم ودفعوهم لما استحقوا الهلاك. فوجود المترفين دليل على تخلخل البناء الاجتماعي وعلى السير في طريق التدمير فالتبعة جماعية في السلوك الإجتماعي.

١٧ ـ ﴿وكم أهلكنا من القرون﴾ والقرن هم القوم المقترنون في زمن واحد ﴿من بعد نوح﴾ فسنة الإهلاك جارية لمن استحق الهلاك ﴿وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً﴾ فيقضي بإهلاكهم لأنه مطلع على خلقه، خبير بأعمالهم، بصير بهم.

١٨ ـ ﴿من كان يريد العاجلة﴾ وهي الحياة الدنيا وزخرفها ومتاعها فيسلك طريقها معرضاً عن طريق الآخرة، وهو لايرى لنفسه إلا هذه الحياة المادية الدنيوية وينكر الحياة الآخرة ﴿عجلنا له فيها﴾ أي أسرعنا في إعطائه ﴿مانشاء﴾ من الدنيا لما نريده لا لما يريده ﴿لمن نريد﴾ فالأثر لإرادتنا لا لإرادة أحد ﴿ثم جعلنا له جهنم﴾ جزاء في الآخرة ﴿يصلاها﴾ يقاسي حرها ﴿مذموماً مدحوراً﴾ مبعداً من الرحمة. ١٩ ـ ﴿ومن أراد﴾ بعمله الحياة ﴿الآخرة﴾ فالإيمان ليس بالتمني ﴿وسعى لها سعيها﴾ بأداء تكاليفها والنهوض للقيام بمقدماتها فبذل كمال الجهد في حسن العمل وأخذه من عقل قطعي أو حجة شرعية ﴿وهو مؤمن﴾ بالله موحد له مقر بالنبوة والمعاد ﴿فأولئك كان سعيهم مشكوراً﴾ أي يشكره الله بحسن قبول السعي والثناء على ساعيه، وشكره تعالى على عمل العبد تفضل منه على تفضل، فإن أصل إثابته العبد على عمله تفضل، لأن من وظيفة العبد أن يعبد مولاه من غير وجوب الجزاء، فالأعمال الأخروية لاتتخلف عن غاياتها بخلاف الأعمال الدنيوية. ٢٠ ـ ﴿كلاً نمد﴾ والإمداد هو الإضافة إلى الشيء من نوعه فالله سبحانه يمد الإنسان في أعماله سواء كان ممن يريد العاجلة أو الآخرة فإن جميع مايتوقف عليه العمل من علم وإرادة وأدوات لاصنع للإنسان فيها، ولو فقد كلها أو بعضها لم يكن العمل، فالله سبحانه هو الذي يفيضها بفضله ويمد الإنسان بعطائه ولو انقطع العطاء انقطع العمل. فالمؤمن يقوم بعمله مبتغياً وجه ربه أما إذا فسق بعدم استعمال الإمداد في مورده الحق فلايلومن إلا نفسه والله يمد ﴿هؤلاء وهؤلاء﴾ أي المعجل لهم والمشكور سعيهم ﴿من عطاء ربك﴾ فهم يستفيدون مما أعطى مالك العطاء وهو ربك المدبر لامايزعمون من شركاء ﴿وما كان عطاء ربك محظوراً﴾ فلا مانع له وهو مطلق غير محدود بحد لإطلاق العطاء ونفي الحظر. ٢١ ـ ﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ في الدنيا نتيجة لتفاوت المساعي، فلا يتساوى قليل العمل مع كثيره ولا رديئه مع جيده. والتفضيل في الدنيا هو مايزيد به بعض أهلها على بعض، من أعراضها وأمتعتها، كالجاه والولد والرئاسة ﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً﴾ فلايتوهمن متوهم أن أهل الآخرة في العيش سواء، ولا أن التفاوت بينهم كتفاوت أهل الدنيا. إذ أن سبب التفضيل في الدنيا هو اختلاف الأسباب الكونية وهي محدودة والدار دار تزاحم، أما اختلاف درجات الآخرة فهو اختلاف النفوس والإيمان والإخلاص وهي لاتتعلق بالأسباب الكونية، فالعقيدة قضية فردية ومسؤوليتها فردية. ٢٢ ـ ﴿لاتجعل مع الله إلهاً آخر﴾ أي لاتشرك ﴿فتقعد﴾ وتحتبس عن السير إلى درجات القرب ﴿مذموماً مخذولاً﴾ لاينصرك الله ولاناصر دونه. ٢٣ ـ ﴿وقضى ربك﴾ قضاء تشريعياً ﴿أن لاتعبدوا إلا إياه﴾ وهو لايغفر أن يشرك به فالشرك أكبر الكبائر الموبقة فلذلك قدم على بقية المعاصي ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ فعقوق الوالدين أكبر الكبائر بعد الشرك. فالمجتمع يقوم على الرابطة بين الوالدين والولد، ولولا هذه الرابطة لبطلت العاطفة وانحل عقد الاجتماع وبينما يدأب الإسلام على

مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

حفظ وشائج العلاقة بين الآباء والأولاد لأنها نواة المجتمع الصالح الذي يمكن أن يتسع ليشمل الأمة كلها فإن غير المسلمين قد وعوا أهمية هذه الرابطة فلذلك يصرون على تحطيم هذه الرابطة في المجتمعات ليصبح الناس طرائق قدداً بدل أن يجتمعوا على صعيدٍ واحدٍ ﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما﴾ تخصيص الكبر بالذكر لأن حالة الكبر شاقة يحس الوالدان فيها الحاجة إلى إعانة الأولاد لهما وفي الآية تذكيرٌ للأولاد الذين ينعمون بقوة تفوق قوة الكبار بكثير أنه سيأتي عليهم يومٌ يصيرون فيه إلى حالة ضعفٍ من بعد قوةٍ لأن من يُعَمَّر يُنَكَّس في الخلق فإن وضع ذلك نصب عينيه وهو يرى والديه فعليه أن يرأف بهما ﴿فلا تقل لهما أفٍ﴾ وهي كلمة تفيد الضجر والانزعاج ﴿ولاتنهرهما﴾ برفع الصوت والصياح والإغلاظ في القول ﴿وقل لهما قولاً كريماً﴾ في المحاورة والمعاشرة. ٢٤ ـ ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ بالغ في التواضع والخضوع قولاً وفعلاً كما يخفض الطائر جناحيه ليستعطف أمه لتغذيته ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾ مع ذكرك لتربيتهما لك صغيراً فادع الله أن يرحمهما كما رحماك وربياك. ٢٥ ـ ﴿ربكم أعلم﴾ منكم بمن غير موازنة ﴿بما في نفوسكم﴾ في كل بادرة في حق الوالدين ﴿إن تكونوا صالحين﴾ وعلم الله في نفوسكم ذلك ﴿فإنه كان للأوابين﴾ أي الراجعين إليه عند كل معصية ﴿غفوراً﴾ يستر نقص الأعمال. ٢٦ ـ ﴿وآت ذا القربى حقه﴾ فالإنفاق حق لاتفضل ﴿والمسكين﴾ وهو من ضاقت حاله لكثرة فقره ﴿وابن السبيل﴾ الذي انقطع عن أهله وماله ﴿ولاتبذر تبذيراً﴾ التبذير هو الإسراف بما يكون على سبيل الإفساد. ٢٧ ـ ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾ لأن الواحد منهم يلازم شيطانه فهم قرناء الشياطين ﴿وكان الشيطان﴾ وهو أبو الشياطين إبليس ﴿لربه كفوراً﴾ فقد كفر بنعم الله حيث أنه يصرف ماآتاه الله من قوة وقدرة واستطاعة في سبيل إغواء الناس وحملهم على المعصية ودعوتهم إلى الخطيئة وكفران النعمة. فالشيطان الذي خسر الجنة ومقام القرب بسبب رفضه السجود لآدم سيضع شراكه لبني آدم ليخرجهم من الجنة كما أُخرِجَ منها وذلك بحض من يحتنكهم على التبذير والإفساد كما يفعل اللجام عندما يوضع في حنك الفرس. وفي ذلك انهدام المجتمع الإسلامي فمن كان هذا سلوكه كان من إخوان الشياطين وإبليس هو أبو الشياطين أو أنه يمثل جنس الشيطان. ٢٨ ـ ﴿وإما تعرضن عنهم﴾ كإعراضك عمن سألك شيئاً من المال ينفقه ويسد به حاجته ﴿ابتغاء رحمة من ربك ترجوها﴾ فإعراضك لأنك فاقد مبتغٍ رزق ربك ﴿فقل لهم قولاً ميسوراً﴾ سهلاً ليناً. ٢٩ ـ ﴿ولاتجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾ كناية عن الإمساك كمن لايعطي بخلاً وشحاً ﴿ولاتبسطها كل البسط﴾ كناية عن إنفاق الانسان كل ماوجده ﴿فتقعد ملوماً﴾ من نفسك ومن غيرك ﴿محسوراً﴾ منقطعاً مغموماً. ٣٠ ـ ﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء﴾ فلا حد لعطائه ﴿ويقدر﴾ أي يقبض فهذا دأب ربك فلا يبسط كل البسط ولايمسك كل الإمساك ﴿إنه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾ فهو خبير بمصالحهم يرعى أحوالهم

وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

وينبغي أن تتخلق بخلق الله وتتجنب الإفراط والتفريط.

٣١ ـ ﴿ولاتقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾ خوفاً من أن تبتلوا بالفقر والحاجة فيؤديكم ذلك إلى ذل السؤال، أو تزويج البنات من غير الأكفاء ﴿نحن نرزقهم وإياكم﴾ إذ لستم أنتم برازقيهم حتى تفقدوا الرزق بسببهم ﴿إن قتلهم كان خطئاً كبيراً﴾ والخطأ هو العدول عن الجهة وهو أن يريد الإنسان غير مايحسن فعله وإرادته.

٣٢ ـ ﴿ولاتقربوا الزنا﴾ وقد بالغ في تحريمه بالنهي عن قربه ﴿إنه كان فاحشة﴾ هي المعصية المستقبحة الشنيعة ﴿وساء سبيلاً﴾ فهو سبيل رديء يؤدي إلى فساد المجتمع وهلاك الإنسانية وبطلان النسب ففيه ضياع للأنساب وإذهاب لرابطة الزوجية، وتحويل الحياة الزوجية إلى نافلة بسبب قضاء الشهوة عن طريقه.

٣٣ ـ ﴿ولاتقتلوا النفس﴾ المحرمة فحرمة المؤمن ﴿التي حرم الله﴾ قتلها ﴿إلا بالحق﴾ كاستحقاق القتل بقَوَدٍ أو ردة أو غير ذلك. إذ أن حرمة المؤمن أعظم من حرمة الكعبة ﴿ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا﴾ بحسب التشريع ﴿لوليه﴾ وهو ولي دمه ﴿سلطاناً﴾ على قتل القاتل ﴿فلايسرف في القتل﴾ بأن يقتل غير القاتل، أو أزيد من الواحد ﴿إنه كان منصوراً﴾ أي مسلطاً تسليطاً شرعياً، وعليه أن لايستغل النصر للإسراف.

٣٤ ـ ﴿ولاتقربوا مال اليتيم﴾ نهي عن الاقتراب، مبالغة في حرمة أكله، وهو من الكبائر التي أوعد الله عليها النار ﴿إلا بالتي هي أحسن﴾ أي بالطريقة الأحسن لإنماء ماله ﴿حتى يبلغ أشده﴾ وهو أوان البلوغ والرشد حيث يرتفع عنه اليتم ﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً﴾ فالأعمال تتمثل وتشهد.

٣٥ ـ ﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ وهو الميزان العادل ﴿ذلك خير﴾ يختاره الانسان إذا تردد الأمر بينه وبين غيره ﴿وأحسن تأويلاً﴾ أي أحسن حقيقة ينتهي إليها الأمر، لما فيه من اتقاء التعدي على أموال الناس، وجلب وثوقهم، لأنهم إذا خسروا بالتطفيف مقابل مايبذلونه من المال، اختلت عليهم الحياة وارتفع الأمن.

٣٦ ـ ﴿ولاتقف﴾ أي لاتتبع ﴿ماليس لك به علم﴾ وهي تشمل الاعتقاد والعمل، وهذا يطابق الفطرة التي تدعو الإنسان أن لايتخطى العلم في سير حياته ﴿إن السمع والبصر والفؤاد﴾ وهي الوسائل التي يحصل العلم بها ﴿كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾ لأنها نعم آتاها الله الإنسان ليشخص الحق فسيسأل عن كل منها، هل أدرك مااستعمل فيه إدراكاً علمياً؟ وهل اتبع الإنسان ماحصلته تلك الوسيلة من العلم؟.

٣٧ ـ ﴿ولاتمش في الأرض مرحاً﴾ والمرح شدة الفرح بالباطل لأنه يخرج عن حد الاعتدال، ولايختال إلا من يخلو قلبه من الشعور بالخالق القاهر، فلاتستعظم نفسك بأكثر مما أنت عليه، بطراً وكبراً وخيلاء ﴿إنك لن تخرق الأرض﴾ فهناك ماهو أقوى منك لايخترق بقديمك مهما توهمت من عظمة نفسك ﴿ولن تبلغ الجبال طولاً﴾ فاعترف بذلك أنك وضيع مهين وكل ماتنعم به من ملك وعزة وسلطان ومال إنما هو أمور وهمية لاحقيقة لها وراء الإدراك الإنساني.

٣٨ ـ ﴿كل ذلك﴾ مما أحل أو حرم ﴿كان سيئه﴾ وهو مانهي عنه وكان معصية ﴿عند ربك مكروهاً﴾ لايريده الله تعالى.

٣٩ ـ ﴿ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة﴾ فمن الحكمة التزام الحدود التي تقرها الفطرة وتفرضها الشريعة ﴿ولاتجعل مع الله إلهاً آخر﴾ نهي عن الشرك ﴿فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً﴾ مطروداً. ٤٠ ـ ﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين﴾ خطاب لمن يقول إن الملائكة بنات الله ﴿واتخذ من الملائكة إناثاً﴾ وبدل البنات من الإناث لكونهم يعدون الأنوثة من صفات الخسة ﴿إنكم لتقولون قولاً عظيماً﴾ يستتبع التبعة السيئة. ٤١ ـ ﴿ولقد صرفنا﴾ من حالة إلى حالة أي وأقسم لقد رددنا الكلام معهم في أمر التوحيد ونفي الشريك من وجه إلى وجه ﴿في هذا القرآن﴾ وبيناه ﴿ليذكروا﴾ ويبين لهم الحق ﴿ومايزيدهم﴾ التصريف ﴿إلا نفوراً﴾ وانزعاجاً. ٤٢ ـ ﴿قل﴾ يامحمد ﴿لو كان معه آلهة﴾ يتولون التدبير كإله للسماء وإله للأرض الخ ﴿كما يقولون﴾ شركاً منهم ﴿إذاً لابتغوا﴾ وطلبوا بسبب حب السلطة ﴿إلى ذي العرش﴾ وهو الله سبحانه ﴿سبيلاً﴾ لينالوا من ملكه فيعزلوه عن عرشه ليستقروا عليه. ٤٣ ـ ﴿سبحانه﴾ تنزيهاً له ﴿وتعالى عما يقولون علواً كبيراً﴾ فلا يمكن أن يكون ملكه تعالى مما يمكن أن يناله غيره. ٤٤ ـ ﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن﴾ وإن من شيء إلا يسبح بحمده وينزهه عن الشريك إذ ما من شيء إلا وقد ابتدأ به، وينتهي إليه، ويقوم به، ويخضع ساجداً له وحده فلايتلبس بالملك ولايصلح له إلا هو فلارب غيره، والمخلوقات تسبح تسبيحاً حقيقياً لأنها ليست في أنفسها إلا محض الحاجة وصرف الفاقة إليه، في ذاتها وصفاتها وأحوالها، والنظام الجاري الذي يجمع شتات الأشياء قائم به تعالى، وحتى المشرك يشهد بذلك فكل مافي الوجود يكشف عن ربه، وسائر جهات الكمال حمد له تعالى ﴿ولكن لاتفقهون تسبيحهم﴾ أي لاتفقهون دلالة الأشياء على صانعها ﴿إنه كان حليماً﴾ لايعاجل بالعقوبة ﴿غفوراً﴾ لمن تاب ورجع إليه ولازم الحلم أن لايخاف الفوت، ولازم المغفرة أن لايتضرر بالمغفرة وإفاضة الرحمة، فملكه لايقبل نقصاً ولازوالاً. ٤٥ ـ ﴿وإذا قرأت القرآن﴾ وتلوته عليهم ﴿جعلنا بينك وبين﴾ المشركين ﴿الذين لايؤمنون بالآخرة﴾ وبإنكارها يلغو الإيمان بالله وحده وبالرسالة ﴿حجاباً﴾ معنوياً ﴿مستوراً﴾ عن فهمهم فلايسعهم أن يسمعوا ذكره تعالى، ولا أن يعرفوك بالرسالة الحقة، ولا أن يؤمنوا بالمعاد ويفقهوا حقيقته. ٤٦ ـ ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ وأستاراً وحجباً ﴿أن يفقهوه﴾ فقه إيمان وتصديق ﴿وفي آذانهم وقراً﴾ ثقلاً أن يسمعوه، جزاء لكفرهم وفسقهم ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده﴾ أي بنفي الشريك ﴿ولوا على أدبارهم نفوراً﴾ وأعرضوا عنه استدباراً. ٤٧ ـ ﴿نحن أعلم بما يستمعون به﴾ وهي آذانهم ﴿إذ يستمعون إليك﴾ ونحن أعلم بقلوبهم ﴿وإذ هم نجوى﴾ يتحرزون عن الإجهار ورفع الصوت ﴿إذ يقول الظالمون﴾ تعدياً على الحق ﴿إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً﴾ وهذا دليل على أنهم لم يفقهوا الحق. ٤٨ ـ ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ بالتوصيف بالصفات ﴿فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً﴾ ولامطمع في إيمانهم. ٤٩ ـ ﴿وقالوا إذا كنا عظاماً ورفاتاً﴾ مكسرة مسحوقة دقيقة ﴿أإنا لمبعوثون خلقاً جديداً﴾ فقد استبعدوا البعث، وزعموا أن الموت فناء

ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورٗا ﴿٤١﴾ قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴿٤٢﴾ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ﴿٤٦﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾

للإنسان واستبعدوا البعث من الفناء. ٥٠ ـ ﴿قل كونوا حجارةً أو حديداً﴾ وإخراج الإنسان منها أصعب عندكم من إخراجه من رفات العظام. ٥١ ـ ﴿أو﴾ كونوا ﴿خلقاً مما يكبر في صدوركم﴾ وتستبعدون أن يخلق منه الإنسان ﴿فسيقولون من يعيدنا﴾ إلى الخلقة الإنسانية ﴿قل الذي فطركم أول مرة﴾ فالذي خلقكم يعيدكم ﴿فسينغضون إليك رؤوسهم﴾ فيحركونها تحريك المستهزىء المستخف ﴿ويقولون متى هو﴾ استهانة به ﴿قل عسى أن يكون قريباً﴾ فإنه لاسبيل إلى العلم به وهو من الغيب الذي لايعلمه إلا الله. ٥٢ ـ ﴿يوم يدعوكم﴾ ليوم الجزاء ﴿فتستجيبون﴾ متلبسين ﴿بحمده﴾ تعدون البعث والإعادة منه فعلاً جميلاً يحمد فاعله، لأن الحقائق تنكشف لكم ﴿وتظنون إن بعثتم إلا قليلاً﴾ في قبوركم بعد الموت. ٥٣ ـ ﴿وقل لعبادي﴾ المؤمنين ﴿يقولوا التي هي أحسن﴾ لتكون الدعوة مشتملة على الأدب الجميل، وعارية عن الخشونة والشتم وسوء الأمر ﴿إن الشيطان ينزغ بينهم﴾ ويدخل في أمورهم لإفسادها ﴿إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً﴾ ظاهر العداوة. ٥٤ ـ ﴿ربكم أعلم بكم﴾ فتحرزوا من إغلاظ القول على غيركم، والقضاء بما الله به أعلم من سعادة أو شقاء ﴿إن يشأ يرحمكم﴾ ولايشاء ذلك إلا مع الإيمان والعمل الصالح ﴿أو إن يشأ يعذبكم﴾ ولايشاء ذلك إلا مع الكفر والفسوق ﴿وماأرسلناك عليهم وكيلاً﴾ فلست وكيلاً على المؤمنين وليس لهم أن يعتمدوا في نجاتهم عليك. ٥٥ ـ ﴿وربك أعلم بمن في السموات والأرض﴾ وأنت وقومك منهم ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً﴾ فهو تفضيل لداود وزبوره الذي فيه أحسن كلمات الحمد والتنزيه فعلى المؤمنين أن يرغبوا في أحسن القول. ٥٦ ـ ﴿قل ادعوا الذين زعمتم﴾ والزعم هو الاعتقاد وغلب استعماله في الاعتقاد الباطل ﴿من دونه﴾ آلهة من الملائكة والجن والإنس وغيرها والرب يجب أن يكون قادراً على إيصال النفع ودفع الضر ﴿فلايملكون كشف الضر عنكم ولاتحويلاً﴾ فهم ليسوا بآلهة وكيف يملكون ذلك وهم مخلوقون يبتغون إليه الوسيلة. ٥٧ ـ ﴿أولئك﴾ المشركون ﴿الذين يدعون﴾ الآلهة ويعبدونها ﴿يبتغون إلى ربهم﴾ بطلب مايتقربون به إليه تعالى ويستعلمون عن حال الملائكة والجن والإنس ويطلبون ﴿الوسيلة﴾ ـ القربة ـ ويتنافسون ﴿أيهم أقرب﴾ من رحمته تعالى حتى يسلكوا سبيله ويقتدوا بأعماله، ليتقربوا إليه، كتقربه ﴿ويرجون رحمته﴾ في كل ما يستمدون به وجودهم ﴿ويخافون عذابه﴾ فيطيعونه ولايعصونه ﴿إن عذاب ربك كان محذوراً﴾ يجب التحرز منه أي أنهم ـ أي المشركين ـ يتوسلون إلى الله ويتقربون منه بعبادة الملائكة والجن وغيرهم فيعبدون الوسيلة ويتركون عبادة الله فيشركون بإعطاء الاستقلال لها في الربوبية والعبادة. ٥٨ ـ ﴿وإن من قرية إلا نحن مهلكوها﴾ بإماتة أهلها ﴿قبل يوم القيامة﴾ حتف أنفها ﴿أو معذبوها عذاباً شديداً﴾ بالاستئصال فلا تبقى أية قرية بقيام الساعة ﴿كان ذلك في الكتاب﴾ وهو اللوح المحفوظ ﴿مسطوراً﴾ أي قضاء محتوماً.

﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَينْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾

٥٩ ـ ﴿ومامنعنا أن نرسل بالآيات﴾ التي تقترحها قريش كإحياء الموتى وقلب الصفا ذهباً ﴿إلا أن كذب بها الأولون﴾ فلو أرسلناها لم يؤمنوا بها وهذا مايقضي أن يستحقوا عذاب الاستئصال ولكنا قضينا على هذه الأمة أن لانعذبهم إلا بعد مهلة وهو الخزي الذي أصابهم ببدر وغيرها ﴿وآتينا ثمود الناقة﴾ آية ﴿مبصرة﴾ بينة ﴿فظلموا بها﴾ أنفسهم أو كذبوا بسببها وقريش تعلم ماحل بثمود ﴿ومانرسل بالآيات﴾ التي تستتبع عذاب الاستئصال ﴿إلا تخويفاً﴾ بعقوبة التكذيب.

٦٠ ـ ﴿وإذ قلنا لك﴾ يامحمد ﴿إن ربك أحاط بالناس﴾ بعلمه وقدرته فإن من شيمة الناس الاستمرار في الفساد والفسوق واقتداء أخلافهم بأسلافهم ﴿وماجعلنا الرؤيا التي أريناك﴾ في منامك وهي رؤيته مصارع قريش في بدر ﴿إلا فتنة للناس﴾ وامتحاناً نختبرهم بهذه الرؤية ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾ ويراد بذلك قوم من المنافقين المتظاهرين بالإسلام يفرقون بين المسلمين إما ببعث التفاخر بالنسب وإما بالعقيدة الباطلة ﴿ونخوفهم﴾ أي نخوف الناس إما بالموعظة والبيان أو بالآيات المخوفة التي هي دون الآيات المهلكة ﴿فما يزيدهم﴾ التخويف ﴿إلا طغياناً كبيراً﴾ فيفرطون في عنادهم مع الحق. ويؤيد ماتقدم ماورد من طريق أهل السنة والشيعة أن المراد بالرؤيا والشجرة بنو أمية.

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ٥٩ وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا ٦٠ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ٦١ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٢ قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا ٦٣ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ٦٤ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ٦٥ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِي ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٦٦﴾

٦١ ـ ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس﴾ ﴿كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾ ﴿قال﴾ مستكبراً: ﴿أأسجد لمن خلقت طيناً﴾ فإباؤه السجود ظلم منه وضلال كما يضل أبناء آدم لينكبوا على الظلم والطغيان والإعراض عن آيات الله، وقد أحاطت بهم الفتنة الإلهية من جانب والشيطان بخيله ورجله من جانب.

٦٢ ـ ﴿قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي﴾ وفضلته بأمرك إياي بالسجود له ورجمي بهذه المعصية ﴿لئن أخرتن إلى يوم القيامة﴾ أقسم ﴿لأحتنكن ذريته﴾ ولألجمنهم كالدواب في فكها اللجام ولأملكن زمامهم ولأجعلنّهم في قبضة يدي ﴿إلا قليلاً﴾ منهم وهم المخلصون.

٦٣ ـ ﴿قال اذهب﴾ كناية عن تخليته ونفسه ﴿فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً﴾ يوفى كاملاً ولاينقص منه شيء.

٦٤ ـ ﴿واستفزز﴾ واستنهض للمعصية ﴿من استطعت منهم﴾ أي من ذرية آدم ﴿بصوتك﴾ ووسوستك ﴿وأجلب عليهم﴾ وصح عليهم لسوقهم إلى المعصية ﴿بخيلك ورجلك﴾ أي بأعوانك وجيوشك فرسانهم ورجالتهم ﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾ بأخذ المال أو الولد من غير حله أو باستعماله في غير طاعة الله. فتتم المشاركة بانتفاع الشيطان بغرضه وهذا سهمه وانتفاع الإنسان بغرضه وهذا سهمه فينتفعان معاً وكل منهما صفر الكف من رحمة الله ﴿وعدهم ومايعدهم الشيطان إلا غروراً﴾ أي وعدا غاراً بإظهار الخطأ في صورة الصواب كالوعد بالإفلات من العقوبة والوعد بالغنى من الأسباب الحرام والوعد بالغلبة والفوز بالوسائل القذرة والوعد بالعفو والمغفرة بعد الذنب

والخطيئة. وهذا دأب أصحاب السلطان مع أصحاب الدعوات يغرونهم لينحرفوا ويحرفوا ويستدرجونهم إلى الحلول الوسط ويفتنونهم بالمال والمناصب ويسول الشيطان للدعاة أن خير الدعوة يكون في كسب أصحاب السلطان إليها ولو بالتنازل عن جانب منها.

٦٥ ـ ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ فهم المستثنون من اتباع إبليس ﴿وكفى بربك وكيلاً﴾ أي قائماً على نفوسهم وأعمالهم متولياً لأمورهم.

٦٦ ـ ﴿ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر﴾ يجريها بإرسال الرياح ونحو ذلك ﴿لتبتغوا من فضله﴾ والجواد يجود بما زاد على مقدار حاجة نفسه، وخزائن الله لاتنقص ﴿إنه كان بكم رحيماً﴾ وبرحمته يفيض عليكم مابكم من خير.

٦٧ ـ ﴿وإذا مسكم الضر﴾ والشدة ﴿في البحر﴾ فأشرفتم على الغرق ﴿ضل من تدعون إلا إياه﴾ فأنتم تدعون آلهتكم قبل ذلك وهم يقطعون طريق وصولكم إلى ذكره تعالى لأنكم ترجون النجاة منهم فتنقطع صلتكم بربكم. وعندما يتبين لكم أنكم ضللتم الطريق لغفلة من تدعون تنسون آلهتكم وهذه رحمة من ربكم لتذكروه وتجأروا إليه بالدعاء بقلب حاضر ـ لأنه القادر على إجابتكم ـ ﴿فلما نجاكم إلى البر﴾ برفع الضر عنكم ﴿أعرضتم﴾ عن دعائه تعالى ﴿وكان الإنسان كفوراً﴾ دأبه الكفر، فينسى مسبب الأسباب فلايشكره وهو يتقلب في نعمه.

٦٨ ـ ﴿أفأمنتم﴾ ولامأمن لكم من دون الله ﴿أن يخسف بكم جانب البر﴾ فقد قضى زلزال طوكيو في اليابان عام ١٩٢٣ على ١٤٠٠٠٠ شخص وخسائر زلزال كوبي عام ١٩٩٥ زادت عن ٩٥ مليار دولار ﴿أو يرسل عليكم حاصباً﴾ أي ريحاً مهلكة ﴿ثم لاتجدوا لكم وكيلاً﴾ يدفع عنكم الشدة والبلاء، ويعيد إليكم الأمن والسلام.

٦٩ ـ ﴿أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أُخرى﴾ فتقعون في الضر من جديد ﴿فيرسل عليكم قاصفاً من الريح﴾ فيكسر سفنكم وأبنيتكم ﴿فيغرقكم بما كفرتم﴾ جزاء لكم ﴿ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعاً﴾ إذ لأحد يتبع الله لكم على مأصابكم فيسأله لم فعل هذا بكم أويؤاخذه على مافعل.

﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا ﴿٦٧﴾ أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا ﴿٦٨﴾ أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ﴿٦٩﴾ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴿٧٠﴾ يوم ندعوا كل أناس بإمامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلا ﴿٧١﴾ ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا ﴿٧٢﴾ وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا ﴿٧٣﴾ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا ﴿٧٤﴾ إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ﴿٧٥﴾

٧٠ ـ ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ وخصصناه بالعناية وشرفناه بما يختص به وهو العقل الذي يميز به الحق من الباطل والخير من الشر ﴿وحملناهم في البر والبحر﴾ على الدواب والسفن ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ مما يتنعمون به من الفواكه والثمار وغير ذلك مما هم فيه كأنهم ضيوف والله يكرمهم ﴿وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ فهم مفضلون على الحيوان والجن.

٧١ ـ ﴿يوم﴾ القيامة ﴿ندعو كل أناس بإمامهم﴾ وإمام كل أناس من ائتموا به، سواء كان إمام حق أو إمام باطل. ﴿فمن أوتي كتابه بيمينه﴾ لصلاح عقيدته وعمله ﴿فأولئك يقرأون كتابهم﴾ فرحين مستبشرين ﴿ولايظلمون فتيلاً﴾ والفتيل هو

الذي في بطن النواة فهم يوفون أجورهم كاملة. ٧٢ ـ ﴿ومن كان في هذه﴾ الدنيا ﴿أعمى﴾ عن الإمام الحق ولايسلك سبيل الحق ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ البصيرة كحاله في الدنيا ﴿وأضل سبيلاً﴾ فهو لايجد السعادة والفلاح ولايهتدي إلى المغفرة والرحمة.

٧٣ ـ ﴿وإن﴾ المشركون ﴿كادوا﴾ واقتربوا ﴿ليفتنونك﴾ ويصرفونك ويزلونك ﴿عن الذي أوحينا إليك﴾ من الحق ﴿لتفتري علينا غيره﴾ أي لتتخذ من السيرة والعمل مايخالفه ﴿وإذاً لاتخذوك خليلاً﴾ لتكون منهم.

٧٤ ـ ﴿ولولا أن ثبتناك﴾ بالعصمة ﴿لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً﴾ ولكنك لم تجبهم إلى ما سألوا ولم تمل إليهم شيئاً قليلاً ولاكدت أن تميل.

وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ۖ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

٧٥ ـ ﴿إذاً لأذقناك ضعف﴾ عذاب ﴿الحياة﴾ الدنيا ﴿وضعف﴾ عذاب ﴿الممات﴾ الذي نعذب به المجرمين ﴿ثم لاتجد لك علينا نصيراً﴾ فالعذاب حينئذ واقع لامحيص عنه ولامخلص منه.

٧٦ ـ ﴿وإن﴾ المشركون ﴿كادوا ليستفزونك من الأرض﴾ بالإزعاج والتحريك ﴿ليخرجوك منها﴾ أي من مكة ﴿وإذاً لا يلبثون خلافك إلا قليلاً﴾ فلو كان خروجك بسبب هؤلاء المشركين أو اليهود لأهلكهم الله بعدك بزمن قليل.

٧٧ ـ ﴿سنة من قد أرسلنا قبلك﴾ فنهلكهم لسنتنا التي سننّاها لمن قبلك ﴿من رسلنا ولاتجد لسنتنا تحويلاً﴾ فإهلاك المشركين يعقب إخراج الرسل ولامحول لذلك.

٧٨ ـ ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾ أي لزوالها ﴿إلى غسق الليل﴾ وهو ظلامه ﴿وقرآن الفجر﴾ أي صلاة الصبح ﴿إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ والآية لتحديد أوقات الفرائض اليومية.

٧٩ ـ ﴿ومن الليل فتهجد به﴾ فاسهر بالقرآن بعد تهجدك أي نومك ﴿نافلة لك﴾ فصلّ صلاة زائدة لك ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ فيعطي لك المقام المحمود ويقيمك فيه وهذا المقام المحمود هو مقام الشفاعة الكبرى له ﷺ.

٨٠ ـ ﴿وقل ربي أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق﴾ بأن يكون كل أمر منعوتاً بالصدق جارياً على الحقيقة من غير أن يخالف ظاهره باطنه كأن يدعو إلى الله وهو يريد أن يسود الناس ﴿واجعل لي من لدنك سلطاناً﴾ وسلطنة ﴿نصيراً﴾ بنصرتي على مأأهم به من الأمور، فلا أغلب في دعوتي بحجة باطلة ولاأضل بنزغ الشيطان ووسوسته.

٨١ ـ ﴿وقل جاء الحق﴾ أي ظهر ﴿وزهق الباطل﴾ أي هلك ﴿إن الباطل كان زهوقاً﴾ هالكاً لادوام له. أمر بإيئاس المشركين من نفسه فلامطمع لهم فيه ﷺ.

٨٢ ـ ﴿وننزل من القرآن﴾ على القلوب التي حافظت على الفطرة التي لها عقائد حقة في المبدأ والمعاد وما يترتب عليهما من أصول المعارف، ومن كمال الأخلاق ﴿ماهو شفاء﴾ من الشكوك والشبهات والهوى والدنس والطمع

ونزغات الشيطان وعلل المجتمع بما فيه من المعارف والقصص والعبر والأمثال لعاهات الأفئدة ﴿ورحمة﴾ تفيض عليهم ماترتفع به حاجتهم، ويتم به نقصهم، فالقرآن ينور القلوب بنور العلم واليقين ويحليها بالملكات الفاضلة بعد مايزيل الهيآت الردية والصفات الخسيسة ﴿للمؤمنين﴾ والإيمان ماوقر في القلب وأفضى به إلى الله وصدقه القول والعمل ﴿ولايزيد الظالمين﴾ ويراد بهم الكافرون ﴿إلا خساراً﴾ ونقصاً في رأس مالهم وهو الدين بحسب الأصل، فلكفرهم خسروا وأنقصوا رأس مالهم، وظلمهم سبب لهم خساراً على خسار.

٨٣ ـ ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان﴾ والنعمة تقتضي الشكر ﴿أعرض﴾ وولى ﴿ونأى بجانبه﴾ فتولى وابتعد وانقطع عن ربه استكباراً واستعلاء ﴿وإذا مسه الشر﴾ فأصابه إصابة خفيفة ﴿كان يؤوساً﴾ منقطع الرجاء عن الخير وهو النعمة لأنه يتعلق بالأسباب وينسى من خلقها والشر أمر نسبي وما يتحقق من الشر إنما هو بالنسبة إلى مورده.

٨٤ ـ ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾ أي سجيته، فهي تقيد الإنسان ضمن حدود مايناسبها وتقتضيه سواء كانت هذه الشاكلة نوع خلقته وخصوصيته تركيب بدنه، أو شاكلة خلقية متحصلة من تأثير العوامل الخارجية في النفس الإنسانية فمن كانت عنده شاكلة عادلة سهل اهتداؤه إلى كلمة الحق، ومن كانت عنده شاكلة ظالمة صعب عليه التلبس بالحق والعمل الصالح فلاتزيده الدعوة إلا خساراً ﴿فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً﴾ فالشاكلة الظالمة وإن كانت مضلة داعية إلى العمل الطالح غير أنها لاتحتم الضلال، ففيها أثر من الهدى وإن كان ضعيفاً، والشاكلة العادلة أهدى.

٨٥ ـ ﴿ويسألونك عن الروح﴾ أي مبدأ الحياة الذي يقوى به الحيوان على الوظائف الحيوية ويمكن أن تنسب إلى الهداية ﴿أومن كان ميتاً فأحييناه﴾ أو إلى الوحي ﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره﴾ أو هو القرآن ﴿وأوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾ أو هو المصاحب للملائكة في الوحي والتبليغ ﴿قل نزله روح القدس من ربك﴾ ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ وأمره في كل شيء هو ملكوت ذلك الشيء، وهو كلمة الإيجاد فعيسى (ع) هو كلمة من الله وقد قال له كن فكان وقوله فعله ﴿ومماأوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ فما عندكم من العلم بالروح الذي آتاكم الله به له موقع من الوجود وخواصه وآثاره في الكون عجيبة وأنتم عنها في حجاب.

٨٦ ـ ﴿ولئن شئنا﴾ أقسم ﴿لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾ فنذهب الروح النازل عليك بالقرآن الذي هو كلمتنا ﴿ثم لاتجد لك به علينا وكيلاً﴾ يدافع عنك ويطالبنا به ويجبرنا على رد ماأذهبنا به.

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾

٨٧ ـ ﴿إلا رحمة من ربك﴾ هي التي اختصتك وأعطتك ماأعطت من نزول الروح وملازمته إياك ﴿إن فضله كان عليك كبيراً﴾ وقد امتن عليك بما أعطاك وخصك. ٨٨ ـ ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله﴾ تحد بجميع ماللقرآن من صفات الكمال ﴿ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ معيناً. ٨٩ ـ ﴿ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ بالرد والتكرار والتحويل من بيان لآخر ﴿فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾ فمقتضى كونهم ناسا يُقتضي الشكر ولكن أكثرهم يكفرون ولايشكرون.

٩٠ ـ ٩٢ ـ ﴿وقالوا﴾ أي قالت قريش ﴿لن نؤمن لك﴾ يامحمد ﴿حتى تفجر﴾ تشق ﴿لنا من الأرض﴾ أرض مكة لقلة مائها ﴿ينبوعاً﴾ عيناً لاينضب ماؤها ﴿أو تكون لك جنة من نخيل وعنب﴾ بالإعجاز ﴿فتفجر الأنهار﴾ أي تشقها وتجريها ﴿خلالها تفجيراً﴾ في وسط تلك الجنة ﴿أو تسقط السماء﴾ كما زعمت بما نقلت عن ربك ﴿علينا كسفاً﴾ قطعاً ﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً﴾ أي مقابلاً نعاينهم ونشاهدهم ﴿أو يكون لك بيت من زخرف﴾ فيه زينة وذهب ﴿أو ترقى﴾ تصعد ﴿في السماء﴾ صعوداً ﴿ولن نؤمن لرقيك﴾ وصعودك ﴿حتى تنزل علينا﴾ منها ﴿كتاباً نقرؤه﴾ نتلوه.

٩٣ ـ ﴿قل﴾ إجابة على اقتراحهم وجهلهم ومكابرتهم ﴿سبحان ربي﴾ وتنزه أن يكون كما حدوه بأفهامهم ﴿هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾ والرسالة لاتقتضي إلا حمل ماحمله الله، لاتفويض القدرة الغيبية إليه، وإقداره أن يخلق مايريد.

٩٤ ـ ﴿ومامنع الناس﴾ الوثنيين ﴿أن يؤمنوا﴾ بالرسالة ﴿إذ جاءهم الهدى﴾ من ربهم على لسان رسلهم ﴿إلا أن قالوا﴾ لرد الدعوة ﴿أبعث الله بشراً رسولاً﴾ حكاية لحالهم بحسب الاعتقاد وإن لم يتكلموا بهذه الكلمة بعينها، فهم ينكرون رسالة البشر.

٩٥ ـ ﴿قل﴾ يامحمد للرد عليهم ﴿لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين﴾ ويعيشون عيشة مادية أرضية ﴿لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً﴾ كما ننزل على البشر، لأن العناية الإلهية قد تعلقت بهداية أهل الأرض، ولايكون ذلك إلا بوحي سماوي، يحمله ملك رسول إليهم ويختص بذلك بينهم.

٩٦ ـ ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم﴾ فبعد بيان أمر معجزة الرسالة، وهي القرآن فإن مرجع الأمور إلى الله الذي يشهد خصومة الطرفين وهو وحده مالك الأمر ﴿إنه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾ وسيقضي بينهم بقضائه في مااختلفوا فيه.

٩٧ ـ ﴿ومن يهد الله فهو المهتدِ﴾ لأنه استفاد مما جهزه الله به ليختار الهداية، والهداية لله تعالى لايشاركه فيها أحد ﴿ومن يضلل﴾ والله لايضل إلا من اختاروا الضلالة على الهدى، وقد تمت عليهم الحجة. ﴿فلن تجد لهم﴾ يامحمد ﴿أولياء﴾ يتولون أمرهم وهم الملائكة المعبودون ﴿من دونه﴾ يهدونهم بزعمهم ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً﴾ لما عموا وصموا عن الحق ولم ينتفعوا بحواسهم التي وهبهم الله ليستدلوا بها على منعمهم ﴿مأواهم جهنم كلما خبت﴾ وسكن لهبها ﴿زدناهم سعيراً﴾ ولهيباً. ٩٨ ـ ﴿ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا﴾ وهي دالة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴿وقالوا أإذا كنا عظاماً ورفاتاً﴾ بقايا مسحوقة ﴿أإنا لمبعوثون خلقاً جديداً﴾ فكيف للفناء أن يبعث منه الخلق. ٩٩ ـ ﴿أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض﴾ من عدم ﴿قادر على أن يخلق مثلهم﴾ فالله قادر على البعث كقدرته على الخلق ﴿وجعل لهم أجلاً لاريب فيه﴾ وهو يوم الموت وعسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون. فالتذكير بالموت تذكير بالبعث والحساب ﴿فأبى الظالمون إلا كفوراً﴾ فالآيات واضحة الدلالة بينة المقاصد ولكن ظلمهم أوحى إليهم حجب دلالة هذه الآيات. ١٠٠ ـ ﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي﴾ ومن رحمته هداية الناس بالرسالة ﴿إذا لأمسكتم﴾ عن نشر الرحمة ﴿خشية الإنفاق﴾ لبخلكم ﴿وكان الانسان قتوراً﴾ بخيلاً شديد الإمساك. ١٠١ ـ ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾ هي العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنون ونقص من الثمرات ﴿فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم﴾ موسى ﴿فقال له فرعون إني لأظنك ياموسى مسحوراً﴾ قد اختل عقلك، وقيل المسحور هو الساحر؛ فكثرة الآيات لاتنشىء الإيمان في القلوب الجاحدة. ١٠٢ ـ ١٠٣ ـ ﴿قال﴾ موسى ﴿لقد علمت﴾ يافرعون ﴿ماأنزل هؤلاء﴾ الآيات البينات ﴿إلا رب السموات والأرض﴾ أنزلها ﴿بصائر﴾ يتبصر بها لتمييز الحق من الباطل ﴿وإني لأظنك﴾ واستعمل الظن دون اليقين، لأن الحكم لله، ورداً على ظن فرعون ﴿يافرعون مثبوراً﴾ هالكاً في الآخرة لعنادك وجحودك. ﴿فأراد أن يستفزهم من الأرض﴾ يخرجهم ويزعجهم ﴿فأغرقناه ومن معه جميعاً﴾ وينجي الله المؤمنين. ١٠٤ ـ ﴿وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض﴾ المقدسة التي كتبها الله لكم ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ أي يوم القيامة ﴿جئنا بكم لفيفاً﴾ أي مجموعاً ملفوفاً أو هو ماتذكره الآية ﴿فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم﴾ الخ والوعد يكون إجلاؤهم إلى بابل وأسرهم. ١٠٥ ـ ﴿وبالحق أنزلناه﴾ فهو مصون عن الباطل من جهة من أنزله ﴿وبالحق نزل﴾ فهو مصون من أن يكون من لغو القول أو يداخله شيء يفسده ﴿وماأرسلناك إلا مبشراً ونذيراً﴾ فليس للنبي محمد ﷺ أن يتصرف فيه باقتراح من الناس، أو هوى من نفسه أو يسأل الله آية أخرى. ١٠٦ ـ ﴿وقرآناً فرقناه﴾ وفصلناه ﴿لتقرأه على الناس على مكث﴾ ومهل ليسهل على الناس تعقله وحفظه ﴿ونزلناه تنزيلاً﴾ تدريجاً، حسب

وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ ۖ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

حصول استعدادات الناس، وتمام قابليتهم. ١٠٧ ـ ١٠٨ ـ ﴿قل آمنوا به أو لاتؤمنوا﴾ فيستوي ذلك عند الله ﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله﴾ وتحققوا بالعلم بالله وآياته قبل نزول القرآن من اليهود أو النصارى أو غيرهم وقد استعدوا لفهم الحق ﴿إذا يتلى عليهم﴾ القرآن ﴿يخرون للأذقان سجداً﴾ فينقطون على الأرض على أذقانهم للسجدة وذكرت الأذقان لأنها أقرب أجزاء الوجه من الأرض ﴿ويقولون سبحان ربنا﴾ تنزيهاً له عن كل نقص ﴿إن كان وعد ربنا﴾ بالبعث ﴿لمفعولاً﴾ فهو واقع لايتخلف. ١٠٩ ـ ﴿ويخرون للأذقان يبكون﴾ خضوعاً وتذللاً بأبدانهم ﴿ويزيدهم﴾ القرآن ﴿خشوعاً﴾ وتذللاً بقلبهم. ١١٠ ـ ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ فالله والرحمن اسمان دالان على المسمى فالدعاء له تعالى ﴿أياً ماتدعوا﴾ فالأسماء سواء ﴿فله الأسماء الحسنى﴾ فأي من هذين الاسمين هو الاسم الأحسن له، والأسماء الحسنى منها ماهو أحسن لاشوب نقص وقبح فيه كالغني والحي والعزيز ومنها ماهو حسن يغلب عليه الحسن. والوثنية ترى أنه سبحانه ذات متعالية ثم تعينت اسماً بعد اسم، وتسمي ذلك تولداً، وترى الملائكة والجن مظاهر عالية لأسمائه فهم أبناؤه المتصرفون والعبادة لاتتجاوز طور الأسماء والأبناء ﴿ولاتجهر بصلاتك﴾ أي بصلواتك كلها فتبالغ في رفع الصوت ﴿ولاتخافت بها﴾ فتبالغ في خفضه ﴿وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾ هوحد الاعتدال وهو سنة يسنن بها من الجهر ببعضها والاخفات ببعضها. ١١١ ـ ﴿وقل الحمد لله﴾ فله الملك كل الملك وله القدرة كل القدرة وله التدبير كل التدبير ﴿الذي لم يتخذ صاحبة ولاولداً﴾ فلايماثله شيء في ذات أو صفة حتى يكون له ذلك ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ لأنه لايجانسه شيء ﴿ولم يكن له ولي﴾ يفوق عليه ﴿من الذل﴾ وهو العزيز ﴿وكبره تكبيراً﴾ والله أكبر فهو أكبر من أن يوصف وهو أعز ساحة من أن يشاركه شيء في أمر. ومن لطيف الصنعة الافتتاح بالتسبيح واختتام آخر آية بالتكبير مع افتتاحها بالتحميد، وبينهما نفي الشريك وإثبات العزة.

وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾
وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾
قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

سُورَةُ الْكَهْفِ

(ترتيبها ١٨ ـ آياتها ١١١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴿١﴾
قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

سورة الكهف

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: الدعوة إلى الاعتقاد الحق والعمل الصالح بالوعد والوعيد، العناية بنفي الولد، ذكر ثلاث قصص عجيبة.

١ ـ ﴿الحمد لله﴾ ثناء منه تعالى على نفسه فهو ﴿الذي أنزل على عبده الكتاب﴾ وهو القرآن النازل على محمد ﷺ ﴿ولم يجعل له عوجا﴾ انحرافاً. فله الحمد كل الحمد فيما يرتب من الخيرات من يوم نزل القرآن إلى يوم القيامة. فلا ينبغي أن يرتاب الباحث أن مافي طي المجتمع من الصلاح إنما هو من بركات الأنبياء وقد امتاز القرآن بتقدمه على القرون الخمسة عشر في العلم والعمل فللقرآن كمال الغاية وهو مكمل لغيره.

٢ ـ ﴿قيماً﴾ يقوم بمصالح مايتضمنه الدين القيم، الذي لاإفراط فيه ولاتفريط، ويدبر الكتب السماوية ويحفظها وينسخ شرائعها. ﴿لينذر﴾ الذين لايعملون الصالحات، وقيل لينذر الكافرين ﴿بأساً﴾ عذاباً ﴿شديداً من لدنه﴾ تعالى ﴿ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات﴾ وقد حسنت عقيدتهم وحسن عملهم ﴿أن لهم أجراً حسناً﴾ مقابل إحسانهم. ٣ ـ ﴿ماكثين فيه أبداً﴾ فهم باقون في الأجر الحسن دائماً. ٤ ـ ﴿وينذر﴾ الوثنيين ﴿الذين قالوا اتخذ الله ولداً﴾ من الملائكة أو الجن أو البشر ومن النصارى القائلين أن المسيح ابن الله واليهود الذين قالوا عزير ابن الله. ٥ ـ ﴿مالهم به من علم﴾ فقولهم جهل بغير علم ﴿ولاآبائهم﴾ الذين كانوا يركنون إليهم ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم﴾ فنسبة الشريك اجتراء عظيم على الله سبحانه ﴿إن يقولون إلا كذباً﴾ افتراء من عند أنفسهم. ٦ ـ ﴿فلعلك باخع نفسك﴾ أي قاتلها ومهلكها ﴿على آثارهم﴾ من كثرة الحزن لتوليهم وإعراضهم ﴿إن لم يؤمنوا بهذا الحديث﴾ أي القرآن ﴿أسفاً﴾ من شدة الحزن. ٧ ـ ﴿إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها﴾ لنزيدها جمالاً ﴿لنبلوهم﴾ ونختبرهم ﴿أيهم أحسن عملاً﴾ فيتميز بذلك أهل السعادة من غيرهم. ٨ ـ ﴿وإنا لجاعلون ماعليها﴾ أي ماعلى الأرض ﴿صعيداً﴾ أي أرضاً ﴿جرزاً﴾ لانبت فيها ولاشيء مما ترغب فيه النفس. كناية عن الدعوة إلى قطع رابطة التعلق بين الانسان ومتاع الدنيا. فسنجعل هذا الذي زين لهم بعينه كالصعيد الجرز. ٩ ـ ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف﴾ وهو أوسع من المغارة في الجبل ﴿والرقيم﴾ وقد نقشت قصتهم في لوح منصوب فسموا أصحاب الرقيم ﴿كانوا من آياتنا عجباً﴾ لا وليسوا بعجب، فما يجري على واقع الانسان من افتتانه بزينة الأرض وغفلته عن أمر المعاد آية تضاهي آية الكهف. وهذا يدل أنها معلومة إجمالاً له ﷺ. ١٠ ـ ﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف﴾ فرجعوا يستقرون فيه هرباً بالعقيدة من أن تمس ﴿فقالوا ربنا﴾ وقد انقطعت عنهم الحيلة ﴿آتنا من لدنك رحمة﴾ أي تأييداً إلهياً ﴿وهيىء لنا من أمرنا﴾ وقد هربنا من قوم يتتبعون المؤمنين ويسفكون دماءهم ويكرهونهم على عبادة غير الله ﴿رشداً﴾ اهتداء لما فيه نجاتنا. ١١ ـ ﴿فضربنا على آذانهم في الكهف﴾ أي أنمناهم نوماً ثقيلاً لاتنبههم فيه الأصوات كما تنيم الأم طفلها بالربت على أذنه بحنان ﴿سنين عدداً﴾ أي سنين قليلة قابلة للعد. ١٢ ـ ﴿ثم بعثناهم﴾ أي أيقظناهم من نومهم ﴿لنعلم﴾ علماً فعلياً، وهو ظهور الشيء وحضوره بوجوده الخاص عنده تعالى. أي ليظهر معلوماً على ماعلمناه ﴿أي الحزبين﴾ أي الطائفتين من أصحاب أهل الكهف حين سألوا بعضهم كم لبثتم. ﴿أحصى لما لبثوا أمداً﴾ ليتبين أي الحزبين أقرب إحصاء لزمن مكثهم. ١٣ ـ ﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق﴾ المطابق للواقع ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم﴾ إيماناً مرضياً ولولا ذلك لم ينسبه إليهم قطعاً ﴿وزدناهم هدى﴾ ليرتقوا بدرجة إيمانهم وينتهي ذلك إلى رضوانه تعالى. ١٤ ـ ﴿وربطنا على قلوبهم﴾ فسلبنا القلق والاضطراب عنها ﴿إذ قاموا﴾ في مجلس يصدر عنه الأمر بعبادة الأوثان والإجبار عليها والنهي عن عبادة

مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِـَٔابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

الله كمجلس الملك ﴿فقالوا﴾ أمام الملأ إعلان مخالفتهم لما يدعون إليه. وقد ورد في الروايات أنهم ستة من خواص الملك فقاموا من مجلسه وأعلنوا التوحيد بعد أن أسرُّوه فترة من الزمن وقالوا يقذفون الباطل ويظهرون الحق: ﴿ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلهاً﴾ وهذا إصرار منهم على التوحيد وجحد الشرك ﴿لقد قلنا إذا شططاً﴾ بالخروج عن الحد وتجاوز الحق. ١٥ ـ ﴿هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة﴾ لقولهم إن الله أجل من أن يحيط به إدراك خلقه، فلا يمكن التقرب إليه بالعبودية إلا بعبادة بعض الموجودات من عباده ﴿لولا يأتون عليهم بسلطان مبين﴾ وحجة واضحة تثبت ألوهية آلهتهم وبما أنه لاحجة لهم ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ والافتراء ظلم والظلم على الله أعظم الظلم. ١٦ ـ ﴿وإذ اعتزلتموهم ومايعبدون إلا الله﴾ وقد تفرس إثنان منهم رحمة ربهما وقالا تنحوا عنهم وعن آلهتهم التي يعبدونها مع حصر العبادة لله ﴿فأووا إلى الكهف﴾ لتنجوا من الظلم ﴿ينشر لكم ربكم من رحمته﴾ يفيض عليكم منها ﴿ويهيىء لكم من أمركم مرفقاً﴾ فالله لطيف خبير يهديكم سبيل النجاة برفق. ١٧ ـ ﴿وترى﴾ أنت وكل راءٍ ﴿الشمس إذا طلعت تزاور﴾ تميل ﴿عن كهفهم ذات اليمين﴾ فلايقع نورها عليه ﴿وإذا غربت تقرضهم﴾ تقطعهم ﴿ذات الشمال﴾ لئلا يقع شعاعها عليه ﴿وهم في فجوة منه﴾ أي متسع من الكهف لاتناله الشمس فقد كان الكهف قطبياً شمالياً لاشرقياً ولاغربياً ﴿ذلك من آيات الله﴾ أي دلالاته ﴿من يهد الله فهو المهتد﴾ وقد هداهم الله لإيمانهم ﴿ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً﴾ يهديه من دون الله. ١٨ ـ ﴿وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود﴾ تلويح إلى أنهم كانوا مفتوحي الأعين حال نومهم ﴿ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾ لئلا تأكلهم الأرض ولاتبلى ثيابهم، ولاتبطل قواهم بالركود والخمود طول المكث ﴿وكلبهم باسط ذراعيه﴾ مفترش ذراعيه ﴿بالوصيد﴾ أي بفناء الكهف ﴿لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً﴾ خوفاً من خطرهم مبتعداً من المكروه المتوقع من ناحيتهم ﴿ولملئت منهم رعباً﴾ أي فزعاً ولسرى ذلك إلى جميع جوارحك. ١٩ ـ ﴿وكذلك بعثناهم﴾ كما أنمناهم ﴿ليتساءلوا بينهم﴾ فتظهر لهم حقيقة الأمر ﴿قال قائل منهم كم لبثتم﴾ وقد استشعر طولاً في لبثهم ﴿قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ كأنهم أخذوا في النوم أوائل النهار وانتبهوا في أواسطه أو أواخره ثم شكوا إلى مرور الليل عليهم ﴿قالوا ربكم أعلم بما لبثتم﴾ إحالة العلم إلى الله تعالى ليس لمجرد مراعاتهم حسن الأدب كما قيل بل لبيان حقيقة من معارف التوحيد وهي أن العلم حصراً لله؛ فمن قالوا ذلك كانوا أعلى كعباً في مقام المعرفة ﴿فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة﴾ وهذا إعجازٌ قرآني ينبيء عن استخدام الأوراق النقدية ﴿فلينظر أيها أزكى طعاماً﴾ أطيب أو أحل ﴿فليأتكم برزق منه﴾ تتغذون به ﴿وليتلطف﴾ بإعمال اللطف والرفق بكم كي لانقع خصومة أو منازعة ﴿ولايشعرن بكم أحداً﴾ فيكشف أمركم. ٢٠ ـ ﴿إنهم إن يظهروا عليكم﴾ ويطلعوا على أمركم ويعلموا بمكانكم

وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ۖ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

﴿يرجموكم﴾ بالقتل بالحجارة وهو شر القتل ﴿أو يعيدوكم﴾ يدخلوكم ﴿في ملتهم﴾ بحرمانكم من الدين الحق وشرائعه، وإجباركم على ممارسة طقوسهم ﴿ولن تفلحوا إذاً أبداً﴾ لأنكم عدتم إلى سلطانهم بعد أن أمكنكم الله من الخروج منه. لأنه لاييأس على من حصر واضطر إلى الإقامة في بلاد الكفر إذا كان حراً في اعتقاده وعمله، أما إذا ألقى بنفسه في مجتمع الكفر في مملكة الضلال فلن يفلح أبداً. ٢١ ـ ﴿وكذلك أعثرنا﴾ الناس ﴿عليهم﴾ كما بعثناهم ﴿ليعلموا أن وعد الله حق﴾ فالبعث حق ﴿وأن الساعة لاريب فيها﴾ فبعثهم من النوم كالبعث يوم القيامة من جهة انتزاع أرواحهم وتعطيل شعورهم وركود حواسهم ثم عودتهم إلى ماكانوا عليه قبل دخولهم إلى الكهف ﴿إذ يتنازعون بينهم أمرهم﴾ حيث يتنازع الناس في أمر أهل الكهف ﴿فقالوا﴾ وهم المشركون ﴿ابنوا عليهم بنياناً﴾ لسترهم عن الناس ﴿ربهم أعلم بهم﴾ إذ قبضهم إليه بعد أن شاهدهم القوم وحصلت الدلالة الإلهية وارتفعت الشبهة في أمر البعث بعد أن تنازع القوم بها طويلاً بين مؤمن مصدق ومشرك منكر ﴿قال﴾ الموحدون ﴿الذين غلبوا على أمرهم﴾ بعد أن انتصرت حجة التوحيد على الشرك في المنازعة في أمر البعث ﴿لنتخذن عليهم مسجداً﴾ وهو المحل المتخذ لذكر الله والسجود له تعالى. ٢٢ ـ ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم﴾ يذكر تعالى اختلاف الناس في عددهم ﴿ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب﴾ أي قولاً بغير علم لكلا القولين ﴿ويقولون سبعة ثامنهم كلبهم﴾ لايخلو بأنه هو القول الحق والواو تدل على ثبات علم وطمأنينة نفس ﴿قل ربي أعلم بعدتهم﴾ وقوله الحق ﴿مايعلمهم إلا قليل﴾ وربما هم من أهل الكتاب. والسين في سيقولون تفيد الاستقبال القريب بالنسبة إلى زمن نزول الآيات أو زمن وقوع الحادثة ﴿فلا تمار فيهم﴾ لاتتردد ﴿إلا مراءً ظاهراً﴾ فلا تتعمق فيه، مع الاقتصار على ماقصه القرآن من غير تجهيل لهم ولارد ﴿ولاتستفت فيهم منهم أحداً﴾ ولاتطلب الفتوى في الفتية من أحد منهم فربك حسبك. ٢٣ ـ ٢٤ ـ ﴿ولاتقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً﴾ فكل مافي الوجود مملوك لله، يحكم فيه مايريد، لامعقب لحكمه، وليس لغيره أن يملك إلا ماملكه تعالى. فعلى الإنسان العارف بمقام ربه أن لايرى نفسه سبباً مستقلاً. ففي الآية نهي عن نسبة المرء فعله إلى نفسه ﴿إلا أن يشاء الله﴾ تقييد بإذن الله أو عدم مشيئة خلافه ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾ الاستثناء. فإذا ذكرت فقيد الأفعال بإذنه ومشيئته أو اذكر ربك إذا نسيته ثم ذكرته ﴿وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا﴾ الذكر بعد النسيان ﴿رشداً﴾. ٢٥ ـ ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً﴾ على حال نومهم والسنون التسع هي الفرق بين السنين الشمسية والقمرية. ٢٦ ـ ﴿قل الله أعلم بما لبثوا﴾ ولاعبرة باختلاف الناس في ذلك ﴿له غيب السموات والأرض﴾ فلايفوته غيب ﴿أبصر به وأسمع﴾ أي له كمال البصر والسمع وهو حي قيوم فكيف لايكون أعلم بلبثهم وهو يملكهم وقد رأى حالهم وسمع مقالهم ﴿مالهم﴾ الضمير

وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۗ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ۖ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا ۖ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ۖ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

لأصحاب الكهف أو لجميع ما ـ أومن ـ في السموات والأرض والأول أوجه ﴿من دونه من ولي﴾ نفي لولاية غير الله ﴿ولايشرك في حكمه أحداً﴾ فهو مستقل بلا شريك، ولم يوكل عليهم غيره كما يفعل الولاة في نصب الحكام والعمال في الشعب المختلفة من أمورهم فيباشر الحكام والعمال من الأحكام مالاعلم للولاة به. ٢٧ ـ ﴿واتل﴾ عليهم ﴿ماأوحي إليك من كتاب ربك﴾ وهو القرآن أو اللوح المحفوظ وفيه أمر إلهي بالتبليغ لأنه حكمة إلهية ﴿لامبدل لكلماته﴾ فهي حق ثابت ﴿ولن تجد من دونه ملتحداً﴾ أي مكاناً تميل إليه، وأنت رسول وليس لك أن تميل إلا إلى مرسلك وتؤدي رسالته. ٢٨ ـ ﴿واصبر نفسك﴾ وامسك نفسك ﴿مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ وهم يداومون على الدعاء ويتكرر منهم ذلك غداة بعد عشي ﴿يريدون وجهه﴾ وأسماءه الحسنى التي بها يتوجه إليه المتوجهون والداعون فهم يريدون رحمته وإنعامه، ويتقربون إليه بصفات علمه وكبريائه وقدرته، أو يضعون أنفسهم موضعاً تقتضيه الصفات الإلهية كالوقوف موقف الذل قبال عزته وكبريائه ﴿ولاتعد عيناك عنهم﴾ فلا تجاوزهم بذلك ولاتتركهم عيناك، ﴿تريد زينة الحياة الدنيا﴾ فمن لايصبر مع المؤمنين يكون ممن تعلقت نفسه بزخرف الحياة الدنيا ﴿ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ بعد أن اتجه إلى ذاته وماله وأبنائه ولذائذه بتسليط الغفلة والنسيان عليه، مجازاة له لمعاندته الحق ﴿واتبع هواه﴾ لغفلة قلبه ﴿وكان أمره فرطا﴾ متجاوزاً للحق خارجاً عنه. ٢٩ ـ ﴿وقل الحق من ربكم﴾ ولاتزد على ذلك فالحق لاينثني ولاينمحي ﴿فمن شاء﴾ منهم أن يؤمن بالحق ﴿فليؤمن﴾ أمر بالاختيار ﴿ومن شاء﴾ أن يكفر ﴿فليكفر﴾ تهديد فلاينفعنا إيمانهم ولايضرنا كفرهم، بل مرد ذلك إليهم فليختاروا ماشاؤا فلا مداهنة على حساب العقيدة ﴿إنا أعتدنا﴾ وهيأنا ﴿للظالمين نارا﴾ لظلمهم ومنه كفرهم ﴿أحاط بهم سرادقها﴾ والسرادق هو ثوب يدار حول الفسطاط، ﴿وإن يستغيثوا﴾ من النار ﴿يغاثوا بماء كالمهل﴾ وهو خثارة الزيت ﴿يشوي الوجوه﴾ ينفحها ﴿بئس الشراب﴾ فساءت شراباً ﴿وساءت مرتفقا﴾ ومتكأ. ٣٠ ـ ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ فاقترن صالح عملهم مع صالح عقيدتهم ﴿إنا لانضيع أجر من أحسن عملا﴾ فسنوفيهم أجرهم لإحسانهم. وربما أشعرت الآية أن لاثواب للإيمان المجرد من صالح العمل بل وربما أنه يعد من الظلم. ٣١ ـ ﴿أولئك لهم جنات عدن﴾ والعدن هو الإقامة ﴿تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب﴾ في معاصمهم ﴿ويلبسون ثياباً خضراً من سندس﴾ وهو ما رق من الديباج ﴿واستبرق﴾ وهو ماثخن منه ﴿متكئين فيها على الأرائك﴾ أي السرر ﴿نعم الثواب﴾ مقابلة مع بئس الشراب الخ ﴿وحسنت مرتفقا﴾ متكأ. ٣٢ ـ ﴿واضرب لهم﴾ أي لهؤلاء المتولهين بزينة الدنيا ﴿مثلاً رجلين﴾ وهذا المثل ليتبين لهم أنهم لم يتعلقوا إلا بسراب وهمي ﴿جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب﴾ كروم ﴿وحففناهما بنخل﴾ من حوافهما ﴿وجعلنا بينهما زرعاً﴾ في وسطهما فتواصلت العمارة واجتمعت الأقوات والفواكه. ٣٣ ـ ﴿كلتا الجنتين آتت أكلها﴾ فأثمرت

وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ۞ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا ۙ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾

أشجارها ﴿ولم تظلم﴾ أي لم تنقص ﴿منه شيئا﴾ فأثمرت مابوسعها ﴿وفجرنا﴾ وشققنا ﴿خلالهما﴾ وسطهما ﴿نهرا﴾ يرفع حاجتهما إلى الشرب والسقي. ٣٤ - ﴿وكان له ثمر﴾ أي كان لصاحبهما مال أو كان للشجر ثمره ﴿فقال لصاحبه وهو يحاوره﴾ وقد أبطرته النعمة ﴿أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً﴾ فلي من الأشخاص والخدم والولد من يلازمني. لقد نظر إلى نفسه وماخوله الله من نعمه، ونسي أن الله ماملكه ماملك إلا فتنة وبلاء، فاجتذبته الزينة وتعلق بالأسباب الظاهرية وهذا هو الشرك. ٣٥ - ﴿ودخل جنته﴾ ولم يقل جنتيه لأن الدخول لايتحقق في اثنتين معاً ﴿وهو ظالم لنفسه﴾ لأنه تكبر على صاحبه وكشف عن اعجابه بنفسه وشركه بالله بالركون إلى الأسباب الظاهرية. ﴿قال ماأظن أن تبيد﴾ أي تفنى ﴿هذه﴾ الجنة ﴿أبداً﴾ وهذه حال الإنسان فإن نفسه بدل أن تنظر إلى المتاع على أنه فانٍ من جهة أنه متغير يسرع إليه الزوال، تحمل القلب على التعلق بما تشاهد فيه من سمة البقاء، فيطمئن إلى رأي الهوى فلا يلتف إلى قضاء العقل فيتبعه الشيطان ليضله. ٣٦ - ﴿وماأظن الساعة قائمة﴾ فمن المستبعد تغير الوضع الحاضر بقيام الساعة وهذا شأن المترفين الذين تبطرهم النعمة فتبعثهم على الاتكاء على العزة الوهمية التي ملكهم الله إياها وعلى الأسباب التي نالوا ماوصلوا إليه بسببها فيغفلون عن كل حقٍ وحقيقةٍ ويظنون أن لهم درجةً عند الله تقربهم منه زلفى توجب ما هم فيه من نعمة وهذا إنكارٌ عمليٌ للمعاد فيقول قائلهم: ﴿ولئن رددت إلى ربي﴾ وقوله ربي وإن دلَّ على عدم إنكار الربوبية لله تعالى قولاً فإنه لاينفي عنه صفة الشرك لركونه للأسباب الظاهرية والاعتماد عليها مع الدعوى الزائفة بنيل سعادةٍ أكبر في الآخرة وهذا مايظهر من قوله ﴿لأجدن خيراً منها منقلباً﴾ وهذا القول مبني على دعوى كرامة النفس واستحقاق الخير، مما يورث رجاءً كاذباً بالخير من غير عمل، ويؤكد ذلك بلام القسم في لئن وفي لأجدن. ٣٧ - ﴿قال له صاحبه﴾ المحافظ على سكينة الإيمان ﴿وهو يحاوره﴾ للرد عليه ﴿أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً﴾ فكيف تستعلي على الله سبحانه بدعوى الاستقلال في النفس والملك وقد صورك إنساناً سوياً دون أن يملك أي من الأسباب شيئاً في فعل ذلك. فأنت ذاك التراب ثم المني الذي ماكان يملك من الانسانية والرجولية شيئاً فكيف تستر ربوبيته وتكفر به؟ وهو المتصرف بك كيف يشاء. ٣٨ - ﴿لكنا هو الله ربي ولاأشرك بربي أحداً﴾ فلايجوز الإشراك به وقد ثبت تفرده بالربوبية وتوحده بالألوهية. ٣٩ - ﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله﴾ فالأمر ماشاءه الله وليس لأحد استقلال ولااستغناء ﴿لاقوة إلا بالله﴾ فكل قوة قائمة فيه تعالى حصراً ﴿إن ترن أنا أقل منك مالاً وولداً﴾ وتستعلي بما عندك فالأمر في ذلك إلى الله سبحانه لاإليك. ٤٠ - ﴿فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك﴾ فمن الممكن أن يديرني الله إلى حال أحسن من حالك اليوم، ويديرك إلى حال أسوء من حالي اليوم ﴿ويرسل عليها﴾ أي على جنتك

وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

﴿حساباً من السماء﴾ كبرد أو ريح سموم أو صاعقة ﴿فتصبح صعيداً﴾ أرضاً ﴿زلقاً﴾ ملساء لاشجر فيها ولازرع. ﴿أو يصبح ماؤها غوراً﴾ أي غائراً ﴿فلن تستطيع له طلباً﴾ لإمعانه في الغور. ٤٢ ـ ﴿وأحيط بثمره﴾ فهلك ﴿فأصبح يقلب كفيه﴾ ندامة ﴿على ماأنفق فيها﴾ من النفقات ﴿وهي خاوية﴾ ساقطة ﴿على عروشها﴾ وقد سقطت سقوفها ثم جدرانها. ﴿ويقول ياليتني لم أشرك بربي أحداً﴾ ولم أتعلق بما تعلقت به وركنت إليه من هذه الأسباب التي كنت أحسب أن لها استقلالاً في التأثير. فقد ضل سعيي. ٤٣ ـ ﴿ولم تكن له فئة﴾ جماعة ﴿ينصرونه من دون الله﴾ الذي هو رب الأسباب ﴿وماكان منتصراً﴾ ولامتمتعاً بما يقيه جزاء ظلمه. ٤٤ ـ ﴿هنالك الولاية﴾ أي التدبير ﴿لله الحق﴾ الذي بيده أمر كل شيء لأنه إله حق، له التدبير والتأثير ولاتأثير إلا لمن أذن الله وبما أذن ﴿هو خير ثواباً﴾ من الأسباب المدعوة. فهو يثيب ثواباً حقاً من دان له ﴿وخير عقباً﴾ لأنه سبحانه هو الخير الثابت الذي لايضن ولايزول فله العاقبة. ٤٥ ـ ﴿واضرب لهم﴾ وقد أعرضوا عن ذكر ربهم ﴿مثل الحياة الدنيا﴾ وزينتها ﴿كماءٍ أنزلناه من السماء﴾ هو ماء المطر ﴿فاختلط به نبات الأرض﴾ فتألق نضارة وبهجة بعدما غلب ظهوره ﴿فأصبح هشيماً﴾ مكسراً ﴿تذروه الرياح﴾ وتحمله فتفرقه ﴿وكان الله على كل شيءٍ مقتدراً﴾ فهو القوي القادر. ٤٦ ـ ﴿المال والبنون﴾ وإن تعلقت بها القلوب هي ﴿زينة الحياة الدنيا﴾ فهي تغر الإنسان ولا يسعها أن تثيبه كما أنها سريعة الزوال ﴿والباقيات الصالحات﴾ وهي الأعمال الصالحة وهي محفوظة عند الله ﴿خير عند ربك ثواباً﴾ لأن الله يجازي بها خير جزاء ﴿وخيرٌ أملاً﴾ فهي أصدق أملاً من زخارف الدنيا التي لاتنفي أكثر مما تعد. فمن عرف أن الدنيا متاع الغرور وأن مايتعلق به القلب من زخرفها ماهو إلا عرضٌ يسرع فيه الزوال ولاقيمة له قبال ما أعد الله للمؤمنين الذين يعملون الصالحات من الثواب الجزيل في الآخرة التي هي الحيوان لو كانوا يعلمون. وقد روي في الأحاديث أن الباقيات الصالحات هي: سبحان الله والحمد لله ولاإله إلا الله والله أكبر أو هي الصلاة. ٤٧ ـ ﴿ويوم تسير الجبال﴾ فنزيلها ﴿وترى الأرض بارزة﴾ لانغيب ناحية منها بحائل ﴿وحشرناهم﴾ جميعاً ﴿فلم نغادر﴾ أي لم نترك ﴿منهم أحداً﴾ فالحشر عام للجميع. ٤٨ ـ ﴿وعرضوا﴾ وقد أشركوا بالركون إلى الأسباب الظاهرية، والتعلق بزينة الحياة ﴿على ربك صفاً﴾ فهم ملجؤون إلى الرجوع إليه وقد طاحت عنهم أوهام الدنيا من نسب ومال وجاه فصفوا صفاً واحداً لاتمييز فيه لعلي من دانٍ ولالمولى من عبد ﴿لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة﴾ وهذا بيان لخطئكم وضلالكم في الدنيا، إذ تعلقتم بزخرفها ولم تسلكوا سبيل الله ولم تأخذوا دينه ﴿بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً﴾ تحاسبون فيه عند لقاء ربكم لأنكم نسيتم المعاد فتركتم الطريق وفسد عملكم. ٤٩ ـ ﴿ووضع الكتاب﴾ أي كتاب الأعمال فنصب ليحكم عليه ﴿فترى المجرمين مشفقين مما فيه﴾ فالحكم يعم كل مجرم وإن لم يكن مشركاً ﴿ويقولون ياويلتنا﴾

الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَٰقِيَٰتُ الصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُمْ مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ الْكِتَٰبُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ ۖ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ۖ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَٰقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

دهشة وفزعا ﴿مالهذا الكتاب لايغادر﴾ لايترك معصية أو خطيئة ﴿صغيرة ولاكبيرة إلا أحصاها﴾ فهو يحصي كل الذنوب أو مطلق الحوادث ﴿ووجدوا ماعملوا حاضراً﴾ بصورته لابكتابته ﴿ولايظلم ربك أحداً﴾ فالأعمال تتجسم والعمل يرد صاحبه ولايتخلف عنه. ٥٠ - ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ بعد نفخ الروح فيه ﴿فسجدوا﴾ تلبية لأمر ربهم ﴿إلا إبليس كان من الجن ففسق﴾ تمرد ﴿عن أمر ربه﴾ فهو عدو مضل لابن آدم ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء﴾ بإعطائه ولاية الملك وولاية التدبير وهي الربوبية ملبين دواعي المعصية ملتوين عن الطاعة ﴿من دوني﴾ والولاية لله لاشريك له ﴿وهم لكم عدو﴾ فتعبدونهم وتتقربون إليهم وضلالكم وشقاؤكم إنما هو بإغوائهم ﴿بئس للظالمين بدلاً﴾ فقبحاً بدلاً لمن ظلم. ٥١ - ﴿ماأشهدتهم﴾ وأنا المهيمن على كل حال ﴿خلق السموات والأرض﴾ فما حضر إبليس وجنوده الخلق ولم يعاينوه ﴿ولاخلق أنفسهم﴾ فكيف يسعهم أن يلوا تدبير الأمور شطراً منها، وهم لمحدوديتهم لاسبيل لهم إلى ماوراء أنفسهم ﴿وماكنت متخذ المضلين عضدا﴾ نفي لولاية الشياطين وولاية كل مضل. ٥٢ - ﴿ويوم يقول﴾ لإظهار بطلان الرابطة بين المشركين وبين شركائهم يوم القيامة ﴿نادوا شركائي الذين زعمتم﴾ فدعوهم ليستجيبوا لهم ﴿فلم يستجيبوا لهم﴾ وعندها يظهر أنهم لايستجيبون وليسوا شركاء ﴿وجعلنا بينهم موبقاً﴾ أي محل هلاك وتقطعاً للرابطة، ورفعها من بينهم. ٥٣ - ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا﴾ أي علموا ﴿أنهم مواقعوها﴾ أي واقعون فيها وواقعة فيهم ﴿ولم يجدوا عنها مصرفاً﴾ أي محلاً ينصرفون إليه ويعدلون عن النار ولامناص. ٥٤ - ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل﴾ بالرد والتكرار والتحويل لتبين آياته ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلا﴾ منازعة ومشاجرة. ٥٥ - ﴿ومامنع الناس أن يؤمنوا﴾ بطلب الإيمان النافع لهم ﴿إذ جاءهم الهدى﴾ لنفعهم ﴿ويستغفروا ربهم﴾ قبل أن يهلكوا بعذاب الاستئصال ﴿إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلاً﴾ وسنن الأولين تقضي بإهلاك المكذبين. ٥٦ - ﴿ومانرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين﴾ فلايضق صدرك يامحمد من أذى المنكرين ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل﴾ فما عندهم باطل ولكنهم يجادلون ﴿ليدحضوا به الحق﴾ ويهلكوه ويبطلوه ﴿واتخذوا آياتي﴾ على مافيها من الحق والدلالة ﴿وماأنذروا﴾ به من العذاب ﴿هزواً﴾ وسخرية. ٥٧ - ﴿ومن أظلم ممّن ذكر بآيات ربه﴾ بدلالاتها ﴿فأعرض عنها﴾ متولياً ﴿ونسي ماقدمت يداه﴾ أي لم يبال بما يأتيه من الإعراض عن الحق وهو يعلم أنه حق ﴿إنا جعلنا على قلوبهم أكنة﴾ غلفاً ﴿أن يفقهوه﴾ فيستفيدوا من ذلك ﴿وفي آذانهم وقراً﴾ فلايسمعون الهدى إذ جاءهم ﴿وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً﴾ إيئاس من إيمانهم، بعد ماضرب الله على قلوبهم وآذانهم. ٥٨ - ﴿وربك الغفور﴾ كثير المغفرة ﴿ذو الرحمة﴾ فرحمته تشمل كل شيء والمغفرة تمنع عدم الرحمة. ﴿لو يؤاخذهم بما كسبوا﴾ من الفساد والإفساد

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

﴿لعجل بهم العذاب﴾ وقد حق عليهم رحمة منه ﴿بل لهم موعد لم يجدوا من دونه موئلاً﴾ فلا ملجأ لهم عند حضور أجلهم من الله سبحانه. ٥٩ ـ ﴿وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا﴾ فسنة الله بإهلاك الظالمين قائمة ﴿وجعلنا لمهلكهم موعداً﴾ فتأخير أجلهم جرى على السنة الإلهية في الأمم الماضية. ومن هنا يظهر أن العذاب والهلاك ليس بعذاب يوم القيامة بل عذاب دنيوي وهو عذاب بدر أو غيره. ٦٠ ـ ﴿وإذ قال موسى لفتاه﴾ يوشع بن نون وهو وصيه وملازمه، أو كان يخدمه ﴿لاأبرح﴾ ولأستمرن أمشي وأسير ﴿حتى أبلغ مجمع البحرين﴾ قيل هو الذي ينتهي إليه بحر الروم وبحر الفرس ﴿أو أمضي حقباً﴾ أي دهراً طويلاً. ٦١ ـ ﴿فلما بلغ مجمع بينهما﴾ أي بين البحرين ﴿نسيا حوتهما﴾ وهو مملوح أو مشوي حملاه ليرتزقا به فنسي موسى أن الحوت في المكتل فلم يتفقده، ونسي الفتى أن يذكر لموسى أن الحوت حي ورآه يغوص حياً في البحر. على أن الآية لاتدل على حياة الحوت ﴿واتخذ﴾ الحوت ﴿سبيله في البحر سرباً﴾ مسلكاً وطريقاً غاب فيه. ٦٢ ـ ﴿فلما جاوزا﴾ المجمع ﴿قال لفتاه آتنا غداءنا﴾ وهو الحوت ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً﴾ وتعباً. ٦٣ ـ ﴿قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة﴾ لنستريح عند مجمع البحرين ﴿فإني نسيت﴾ حال ﴿الحوت﴾ فلم أذكره لك ﴿وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره﴾ فهو الذي أنساني ذكر الحوت لك ﴿واتخذ سبيله في البحر عجباً﴾ فأمره عجيب. ٦٤ ـ ﴿قال ذلك ماكنا نبغ﴾ فقد كان موسى مأموراً من طريق الوحي أن يلقى العالم في مجمع البحرين، وكانت علامة المحل ماوقع من أمر الحوت ﴿فارتدا على آثارهما قصصاً﴾ فرجعا يتبعان آثار أقدامهما. ٦٥ ـ ﴿فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة﴾ وكل نعمة رحمة ﴿من عندنا﴾ دون توسط الأسباب الكونية فهي من النعم الباطنية وهي النبوة ﴿وعلمناه من لدنا علماً﴾ فهو علم وهبي لااكتسابي. وقيل أنه الخضر وقيل أنه عالم وليس بالخضر الخ. ٦٦ ـ ﴿قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً﴾ صواباً لأرشد به، وهذه معرفة تعلم. ٦٧ ـ ٦٨ ـ ﴿قال إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ نفي مؤكد للصبر بدليل نفي الاستطاعة لأنه لايطيق الطريق في التعليم. ﴿وكيف تصبر على مالم تحط به خبراً﴾ علماً. فهو لايملك إحاطة بالخبر والعلم بحقيقة الواقعة وتأويلها. ٦٩ ـ ﴿قال ستجدني إن شاء الله صابراً﴾ تقييد للصبر بالمشيئة فلم يكذب إذ لم يصبر ﴿ولاأعصي لك أمراً﴾ وهو مقيد بالمشيئة أيضاً. ٧٠ ـ ﴿قال فإن اتبعتني﴾ للتعلم ﴿فلا تسألني عن شيء﴾ تشاهده من أمري تشق عليك مشاهدته ﴿حتى أحدث لك منه ذكراً﴾ وأبتدىء أنا بإخبارك. ومظاهر من الأدب بينهما مالايخفى فيما سبق من الحوار. ٧١ ـ ﴿فانطلقا﴾ دون الفتى على مايظهر ﴿حتى إذا ركبا في السفينة خرقها﴾ بإحداث ثقب فيها ﴿قال أخرقتها لتغرق أهلها﴾ فالخرق يستتبع الغرق ﴿لقد جئت شيئاً إمراً﴾ والإمر هو الداهية

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾

العظيمة. ٧٢ ـ ﴿قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ إنكار لسؤال موسى وتذكير لما قاله. ٧٣ ـ ﴿قال لاتؤاخذني بما نسيت﴾ من الوعد وغفلتي عنه ﴿ولاترهقني﴾ أي لاتكلفني ﴿من أمري عسراً﴾ أي شدة. ٧٤ ـ ﴿فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله﴾ وهو دون سن البلوغ ﴿قال أقتلت نفساً زكية﴾ طاهرة من الذنوب لعدم البلوغ وعدم التكليف ﴿بغير﴾ قتل ﴿نفس﴾ بغير قصاص ﴿لقد جئت شيئاً نكراً﴾ يستنكره الطبع والمجتمع. ٧٥ ـ ﴿قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ زيادة له بالتقريع بعد التذكير والإنكار. ٧٦ ـ ﴿قال إن سألتك عن شيء بعدها﴾ أي بعد هذه المسألة ﴿فلا تصاحبني﴾ أي يجوز لك ذلك ﴿قد بلغت من لدني عذراً﴾ أي بلغ عذرك النهاية من عندي. ٧٧ ـ ﴿فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها﴾ أي طلبا الطعام منهم بالإضافة ﴿فأبوا أن يضيفوهما﴾ الطعام ﴿فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض﴾ أي أشرف على السقوط والانهدام ﴿فأقامه﴾ الخضر وثبته بإصلاح شأنه ﴿قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً﴾ ولو أخذ الأجرة لأمكنهما شراء الطعام لسد جوعهما. ٧٨ ـ ﴿قال هذا فراق بيني وبينك﴾ وقد بلغ الإعذار غايته ﴿سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبراً﴾ وسأعلمك بمآل كل أمر مما لم تستطع انتظار جوابه حتى أحدث لك منه ذكراً. ٧٩ ـ ﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون﴾ بها ﴿في البحر﴾ ويتعيشون بذلك ﴿فأردت أن أعيبها﴾ بخرقها ﴿وكان وراءهم ملك﴾ طاغ ﴿يأخذ كل سفينة غصباً﴾ فخرقتها لكي لايأخذها. ٨٠ ـ ﴿وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا﴾ خشية تحذر عن رأفة ورحمة، لا عن تأثر قلبي منفي عنه تعالى ﴿أن يرهقهما﴾ أي يغشيهما ابنهما ﴿طغياناً وكفراً﴾ بالاغواء والتأثير الروحي أو بطغيان الغلام وكفره. فبوادر الطغيان والكفر تتقى لقطع منابت الفساد، ومن يعترض الدين يقتل ولو كان ابناً.

٨١ ـ ﴿فأردنا أن يبدلهما ربهما﴾ ابناً آخر ﴿خيراً منه زكاة﴾ طهارة وصلاحاً ﴿وأقرب رحماً﴾ ويكون أوصل للرحم والقرابة فلا يرهقهما وقد كان الغلام في علم الغيب خلاف ذلك.

٨٢ ـ ﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة﴾ وقد تكون غير القرية ﴿وكان تحته كنز لهما﴾ ولو انقض الجدار لظهر الكنز وضاع ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾ فسبب انبعاث الرحمة بهما صلاح أبيهما ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما﴾ الذي قد يكون أبوهما الذي كنزه لهما. ﴿رحمة من ربك﴾ فصلاح الانسان ربما أورث أولاده أثراً جميلاً وأعقب فيهم السعادة والخير. ﴿ومافعلته عن أمري﴾ إنما فعلته عن أمر الله ﴿ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبراً﴾ فالتأويل هو الحقيقة التي يتضمنها الشيء ويؤول إليها ويبتني عليها. فتأويل الواقعة هو علتها الواقعية، كما أن تأويل الفعل مصلحته.

٨٣ ـ ﴿ويسألونك عن﴾ شأن ﴿ذي القرنين﴾ وأمره ﴿قل سأتلوا عليكم منه ذكراً﴾ أي قرآناً.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾

٨٤ ـ ﴿إنا مكنا له في الأرض﴾ وأقدرناه على التصرف بالملك فيها كيفما شاء وأراد دون مانع ﴿وآتيناه من كل شيء سببا﴾ ووسيلة يتوصل به إلى المقاصد الهامة الحيوية كالعقل والعلم والدين وقوة الجسم وكثرة المال والجند. ٨٥ ـ ﴿فأتبع سبباً﴾ فلحق سبباً واتخذ وسيلة يسير بها نحو مغرب الشمس. ٨٦ ـ ﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس﴾ أي أقصى مايمكن الوصول إليه بالمسير غرباً ﴿وجدها تغرب في عين حمئة﴾ أي ذات طين أسود وربما أريد بالعين البحر أي وقف على ساحل بحر لامطمع في وجود بر وراءه. ﴿ووجد عندها قوماً﴾ فيهم من ظلم ﴿قلنا ياذا القرنين﴾ ويبدو أن هذا القول بتوسط بين ﴿إما أن تعذب﴾ هؤلاء القوم ﴿وإما أن تتخذ فيهم حسنى﴾ إباحة للإختيار مع ترجيح الحسنى. ٨٧ ـ ﴿قال أما من ظلم﴾ بالإشراك أو بالإفساد في الأرض ﴿فسوف نعذبه﴾ بالقتل أو غيره ﴿ثم يرد إلى ربه﴾ يوم القيامة ﴿فيعذبه عذاباً نكراً﴾ لاعهد له به، ولايحتسبه ولايرتقبه. ٨٨ ـ ﴿وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى﴾ ومثوبة حسنى ﴿وسنقول له من أمرنا﴾ التكليفي أمراً ﴿يسراً﴾ فلا نكلفه إلا بما يتيسر له ولايشق عليه. ٨٩ ـ ﴿ثم أتبع سبباً﴾ أي هيأ السبب للسير. ٩٠ ـ ﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس﴾ وبلغ الصحراء بسيره نحو المشرق ﴿وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم دونها ستراً﴾ فهم عراة لالباس لهم يعيشون على الصعيد دون أن تكون لهم بيوت يأوون إليها ويستترون بها من الشمس. ٩١ ـ ﴿كذلك﴾ وصفهم وحالهم ﴿وقد أحطنا بما لديه خبراً﴾ أي أحاط علم الله بما عند ذي القرنين من عدة، ومأأجرى ومايجري من أمور اختارها ودبرها بهدايته تعالى. ٩٢ ـ ﴿ثم أتبع سبباً﴾ أي هيأ الأسباب لما سيقدم عليه من أمر. ٩٣ ـ ﴿حتى إذا بلغ بين السدين﴾ أي بين الجبلين ﴿وجد من دونهما﴾ وقريباً منهما ﴿قوماً لايكادون يفقهون قولاً﴾ لبساطة وسذاجة فهمهم. ٩٤ ـ ﴿قالوا ياذا القرنين﴾ والقائلون هم القوم الذين وجدهم من دون الجبلين ﴿إن يأجوج ومأجوج﴾ وهم جيلان من الناس ﴿مفسدون في الأرض﴾ فهم يغيرون من وراء الجبلين، ويقتلون ويسلبون وينهبون ﴿فهل نجعل لك خرجاً﴾ أي مقداراً من المال ﴿على أن تجعل بيننا وبينهم سداً﴾ يمنع تجاوزهم وتعديهم. ٩٥ ـ ﴿قال مامكني فيه ربي خير﴾ ما أقرني عليه ربي من السعة والقدرة خير من خرجكم ومانعدونني به فلا حاجة لي إليه ﴿فأعينوني بقوة﴾ أي بما أتقوى به على بنائه كالرجال ومايستعمل في بنائه ﴿أجعل بينكم وبينهم ردماً﴾ أي سداً قوياً، فقد طلبوا السد ووعدهم مما هو فوق مااستدعوه وأملوه. ٩٦ ـ ﴿آتوني زبر الحديد﴾ جمع زبرة وهي القطعة ﴿حتى إذا ساوى بين الصدفين﴾ أي بين جانبي الجبل، بقطع الحديد التي جعلت هيكلاً للسد وبالحجارة التي ردم بها مابين جانبي الجبل ﴿قال انفخوا﴾ أي انصبوا المنافخ على السد لإحماء ماوضع فيه من الحديد ﴿حتى إذا جعله ناراً﴾ أي ارتفعت حرارة الحديد كثيراً ﴿قال آتوني أفرغ عليه قطراً﴾ نحاساً أو صفراً مذاباً. لسد خلل السد وثقوبه وفروجه ليصير مصمتاً. ٩٧ ـ ﴿فما اسطاعوا﴾ وهم يأجوج ومأجوج ﴿أن يظهروه﴾

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾

ويعلوه لارتفاعه ﴿وماستطاعوا له نقباً﴾ لإحكامه.

٩٨ ـ ﴿قال﴾ ذو القرنين ﴿هذا﴾ السد ﴿رحمة من ربي﴾ نعمة ووقاية من شرور يأجوج ومأجوج ﴿فإذا جاء وعد ربي﴾ أي موعد تهدم السد أو وعده العام بقيام الساعة ﴿جعله دكاء﴾ وسوى به الأرض ﴿وكان وعد ربي حقا﴾ فلا مخلف لكلماته وبقايا السد اليوم شواهد على ذلك.

٩٩ ـ ﴿وتركنا﴾ الناس ﴿بعضهم يومئذ﴾ أي يوم مجيء الوعد ﴿يموج في بعض﴾ فيضطربون من شدة الهول اضطراب البحر ويختل نظمهم ﴿ونفخ في الصور﴾ النفخة الثانية التي فيها الإحياء ﴿فجمعناهم جمعاً﴾ ولم نغادر منهم أحداً.

١٠٠ ـ ﴿وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً﴾ أي أبرزناها للكافرين المنكرين لها.

قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

١٠١ ـ ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري﴾ فلم يروا الآيات ولم يهتدوا بها ﴿وكانوا لايستطيعون سمعاً﴾ فلايستفيدون من العبرة والحكمة والموعظة بالسمع، فانقطع الطريق بينهم وبين الحق.

١٠٢ ـ ﴿أفحسب الذين كفروا﴾ وجحدوا توحيد الله ﴿أن يتخذوا عبادي﴾ من الرؤساء والآلهة والملائكة ﴿من دوني أولياء﴾ وأرباباً ينصرونهم ويدفعون عقابي عنهم. فقد فتنوا بزينة الحياة الدنيا فاطمأنوا إلى ظاهر الأسباب ﴿إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلاً﴾ فجهنم نزلهم يضيفون بها ويصلون نارها.

١٠٣ ـ ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً﴾ وهم المشركون الذين شمل الخسران جميع أعمالهم.

١٠٤ ـ ﴿الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا﴾ وانتهى طريقهم إلى خلاف غرضه. فالمكاسب والمساعي غايتها استدرار الربح، أما إذا كانت النتيجة نقصان رأس المال أو ذهابه أو ضياع السعي فقد تحقق الخسران، والإنسان قد يخسر لعدم تدربه في العمل أو لجهل بالطريق وغير ذلك وهذا خسران يرجى زواله، لأن من المرجو أن يتنبه صاحبه ليتدارك ماضاع ويقضي مافات. أما إذا كان يسير في طريق الخسران وهو يذعن بأنه يربح، ويتضرر وهو يعتقد ويرى أنه يستفيد فهذا أشد الخسران، لارجاء بزواله والذين ضربوا على الحق حجاب الإعراض وركنوا إلى زينة الاستكبار وعصبية الجاهلية فقد خسروا ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾ لأنهم جحدوا الحق واتبعوا الهوى وانغمروا في الشهوات وقد استحسنوا أفعالهم.

١٠٥ ـ ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم﴾ الدالة على توحيده ﴿ولقائه﴾ أي أنهم أنكروا النبوة والمعاد، وهذا من خواص الوثنيين ﴿فحبطت أعمالهم﴾ وخسرت وضاعت. يقال حبطت الناقة إذا رعت مرعى خبيثاً فانتفخت وهلكت. وأعمال الكافرين كذلك. ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ فلا ثقل لحسناتهم لأنهم لايريدون وجه الله بأعمالهم، ولايبتغون ثواب الآخرة.

١٠٦ ـ ﴿ذلك جزاؤهم بما كفروا﴾ فجهنم جزاؤهم لكفرهم ﴿واتخذوا آياتي ورسلي هزواً﴾ فازدادوا بذلك كفراً.
١٠٧ ـ ١٠٨ ـ ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً﴾ فلهم الجنات الملتفة بالأشجار والكروم. وهذه الجنات هي النزل ولهم من الثواب مالايوصف ﴿خالدين فيها﴾ حسنت مستقراً ومقاماً ﴿لايبغون عنها حولاً﴾ ولاتغييراً.
١٠٩ ـ ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي﴾ فالقرآن من كلماته وعيسى (ع) كلمةٌ منه والمجرات والسماوات والشمس والقمر كلماتٌ منه، وبكلمةٍ منه يحق الحق فيظهر دينه؛ كما ﴿تمت كلمةُ ربك صدقاً وعدلاً﴾. وإضلال الفاسقين كلمةٌ منه ﴿وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ ﴿لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي﴾ وكيف تنفذ وهو يقول ﴿والسماء خلقناها بأيدٍ وإنّا لموسعون﴾ ﴿ولو جئنا بمثله مدداً﴾ ﴿فما عندكم ينفد﴾ وما عند الله لاينفد ولو كان البحر ﴿يمده من بعده سبعة أبحرٍ مانفدت كلمات الله﴾.
١١٠ ـ ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾ فأنا لاأزيد عنكم بالبشّرية ولاأدعي كينونة إلهية، وقدرة غيبية كما تزعمون ﴿يوحى إلي﴾ من الله وهذا ماأثبته لنفسي منه ﴿أنما إلهكم إله واحد﴾ وكل مافي الكون ينطق أن الله واحد ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ فإن من تمام معنى الألوهية رجوع العباد إليه فله تعالى كل كمال مطلوب وكل وصف جميل ومنها فعل الحق والحكم بالعدل ﴿فليعمل عملاً صالحاً﴾ لأن مرجعه إلى الله الذي يحاسبه ﴿ولايشرك بعبادة ربه أحداً﴾ فالاعتقاد بالوحدانية مع الإشراك في العمل متناقضان لايجتمعان فالإله ـ عز اسمه ـ هو واحد في جميع صفاته ومنها المعبودية لاشريك له فيها.

سورة مريم

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: التبشير والإنذار، إظهار إخلاص المخلصين وغي الضالين، ذكر نبذة من هفوات أهل الغي، تقسيم الناس إلى ثلاث طوائف: أهل الهدى وأهل الغي والذين تابوا وعملوا صالحاً. ١ ـ ﴿كهيعص﴾ قيل أن هذه الأحرف تدل على أسماء الله: كافٍ، هادٍ، حكيم، عليم، صادق. وقيل هي تسكيت للكفار وقيل للدلالة على بقاء الأقوام وأعمارهم وقيل غير ذلك. ويظهر أن هناك علاقة بين هذه الأحرف وبين معاني السور. ٢ ـ ٣ ـ ﴿ذكر رحمة ربك﴾ أي استجابته ﴿عبده زكريا﴾ في دعائه ﴿إذ نادى ربه نداء﴾ مجهراً بدعوته ﴿خفياً﴾ بعيداً من الناس، لايسمعون مادعا. ٤ ـ ﴿قال﴾ زكريا ﴿رب﴾ استرحاماً وتأكيداً على تلبسه بالحاجة ﴿إني وهن العظم مني﴾ فضعف هيكل بدني ﴿واشتعل الرأس شيباً﴾ وقد انتشر الشيب في شعري ﴿ولم أكن بدعائك رب﴾ والطلب إليك ﴿شقياً﴾ أو محروماً الإجابة، وقد عودتني الإجابة إذا دعوتك، والتقبل إذا سألتك. ٥ ـ ﴿وإني خفت﴾ أن يرثني ﴿الموالي﴾ أي العمومة وبنو العم، وقيل: الكلالة وقيل العصبة وقيل الورثة ﴿من ورائي﴾ بعد موتي، إذا مت بلا عقب ﴿وكانت امرأتي عاقراً﴾ لاتلد ﴿فهب لي من لدنك﴾ وقد سقطت القوى والأسباب العادية ﴿ولياً﴾ يلي أمري ويخلفني فيما أترك. ٦ ـ ﴿يرثني﴾ بعد موتي ﴿ويرث من آل يعقوب﴾ والآل هم الخاصة الذين يؤول إليه أمرهم ويعقوب هو حفيد إبراهيم، وقيل هو يعقوب بن ماثان أخو عمران بن ماثان أبو مريم، وكانت امرأة زكريا أخت مريم ﴿واجعله رب رضياً﴾ مرضيا يشمله العلم والعمل وحلّه بالعلم النافع والعمل الصالح. وقد كفل زكريا مريم وكلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً من عند الله. هنالك دعا زكريا ربه قال: ﴿رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء﴾. ٧ ـ ﴿يازكريا﴾ قد أجيبت دعوتك ﴿إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى﴾ وكان هذا وحياً بتوسط الملائكة ﴿لم نجعل له من قبل سمياً﴾ فلم يسم بهذا الاسم أحد قبله. أو يراد بالسمي المثيل فقد آتاه الله الحكم صبياً ووصفه سيداً وحصوراً وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً، والمسيح (ع) وإن شاركه في هذه النعوت فقد ولد بعده. ٨ ـ ﴿قال رب أنى يكون لي غلام﴾ والغلام من نبت شاربه ـ وهذا استعجاب للبشرى واستفسار خصوصياتها دون الاستبعاد والإنكار ﴿وكانت امرأتي عاقراً﴾ وهذا مايمنع الإيلاد من جهتها ﴿وقد بلغت من الكبر عتياً﴾ فقد غيرني طول الزمن وجف سبيل الإيلاد. ٩ ـ ﴿قال﴾ المَلك الأمر ﴿كذلك﴾ واقع ﴿قال ربك هو علي هين﴾ فلا يتخلف عن إرادته مراد وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً﴾ فخلق غلام من أبوين بحالكما هين سهل. ١٠ ـ ﴿قال

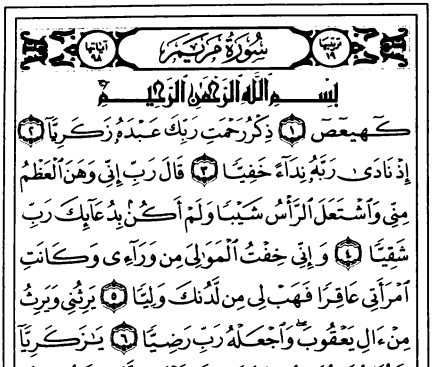
سورة مريم
بسم الله الرحمن الرحيم
كهيعص ﴿١﴾ ذكر رحمت ربك عبده زكريا ﴿٢﴾
إذ نادى ربه نداء خفيا ﴿٣﴾ قال رب إني وهن العظم
مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب
شقيا ﴿٤﴾ وإني خفت الموالي من ورائي وكانت
امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا ﴿٥﴾ يرثني ويرث
من آل يعقوب واجعله رب رضيا ﴿٦﴾ يزكريا
إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا
﴿٧﴾ قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي
عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا ﴿٨﴾ قال كذلك
قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك
شيئا ﴿٩﴾ قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا
تكلم الناس ثلث ليال سويا ﴿١٠﴾ فخرج على قومه
من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا ﴿١١﴾

ربي اجعل لي آية﴾ ليتميز لي الحق من الباطل، والآية للدلالة على أن النداء وحي ملكي، لاإلقاء شيطاني. ﴿قال آيتك أن لاتكلم الناس﴾ فيعتقل لسانك، فلا ينطلق إلا بذكر الله، وهذه آية لاسبيل للشيطان إليها ﴿ثلاث ليال سوياً﴾ أي أيام بلياليها. ١١ ـ ﴿فخرج على قومه من المحراب﴾ والمتوجه إلى محراب المسجد يقف كالمحارب للشيطان ﴿فأوحى إليهم﴾ فألقى في نفوسهم ﴿أن سبحوا بكرة وعشياً﴾ وداوموا على التسبيح وعلى تنزيهه تعالى. ١٢ ـ ﴿يايحيى﴾ نداء له ليحمل الأمانة الكبرى ﴿خذ الكتاب﴾ وهو التوراة ﴿بقوة﴾ فقم به علماً وعملاً ﴿وآتيناه الحكم﴾ وهو العلم بالمعارف الإلهية الحقة، وانكشاف ماهو تحت أستار الغيب بالنسبة للأنظار العادية ﴿صبياً﴾ لم يبلغ الحلم بعد. ١٣ ـ ﴿وحناناً﴾ أي رحمة وإشفاقاً من الله سبحانه بتولي أمره ﴿من لدنا﴾ فهو عطف وانجذاب لامجرى فيه للأسباب الطبيعية ﴿وزكاة﴾ وهي النمو الصالح، والنمو نمو الروح ﴿وكان تقياً﴾ ورعاً عن محارم الله. ١٤ ـ ﴿وبراً﴾ محسناً ﴿بوالديه ولم يكن جباراً﴾ مستكبراً مستعلياً، ﴿عصياً﴾ من العصيان أي الإمتناع. فلم يكن ممتنعاً عن نصح الضعفاء وهديهم وإرشادهم. ١٥ ـ ﴿وسلام﴾ كريم وأمن ﴿عليه﴾ دون خوف ﴿يوم ولد﴾ وهو مفتتح أول عالم يدخله ﴿ويوم يموت﴾ وهو ثاني عالم يدخله وهو عالم البرزخ ﴿ويوم يبعث حياً﴾ وهو ثالث عالم يدخله وهو يوم القيامة. ١٦ ـ ﴿واذكر﴾ يامحمد ﴿في الكتاب﴾ وهو القرآن أو السورة ﴿مريم﴾ ابنة عمران ﴿إذ انتبذت﴾ اعتزلت ﴿من أهلها مكاناً شرقياً﴾ كأنه شرقي المسجد. ١٧ ـ ﴿فاتخذت من دونهم حجاباً﴾ ستراً، لتنقطع عنهم وتعتكف للعبادة ﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾ وهو جبريل ﴿فتمثل لها بشراً سوياً﴾ تراءى لها في حاستها بصورة بشر وهو روح ليس ببشر. ١٨ ـ ﴿قالت إني أعوذ بالرحمن منك﴾ استدراراً لرحمته العامة ـ وهو تعالى غياث المستغيثين ـ التي هي غاية آمال المنقطعين إليه من أهل القنوت ﴿إن كنت تقياً﴾ ومن الواجب أن تكون تقياً، فليردعك تقواك عن أن تتعرض لي وتقصدني بسوء. والتقوى وصف جميل يشق على الإنسان أن ينفيه عن نفسه أويعترف بفقده. ١٩ ـ ﴿قال﴾ الروح ﴿إنما أنا رسول ربك﴾ فلست بشراً فلا ترتاعي ﴿لأهب لك﴾ بشارة من الله ﴿غلاماً زكياً﴾ ناميا نمواً صالحاً ونابتاً نباتاً حسناً. وقد ذكر تعالى في هذه السورة أيضاً زكريا بأنه وهب له يحيى، وإبراهيم بأنه وهب له إسحاق ويعقوب، وموسى أنه وهب له أخاه هارون وزيراً يشد أزره ويشاركه في أمره؛ عليهم جميعاً أفضل السلام. ٢٠ ـ ﴿قالت أنى يكون لي غلام﴾ استفهام للتعجب ﴿ولم يمسسني بشر﴾ كناية عن النكاح ﴿ولم أك بغياً﴾ كناية عن الزنا فلم يخالطني رجل لابالحلال نكاحاً ولابالحرام سفاحاً ومن أحصنت فرجها لاتحمل فكيف يكون لها غلام. ٢١ ـ ﴿قال كذلك﴾ فالأمر كما وصفت لك ﴿قال ربك هو علي هين﴾ فلا يتخلف شيء عن قدرته تعالى، وهو أمر سهل يسير. ﴿ولنجعله آية للناس﴾ فهو الغرض من خلق المسيح على هذا النهج الخارق، بنفخ الروح من غير والد ﴿ورحمة منا﴾ برسالته والآيات الجارية

يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ﴿١٣﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿١٥﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾

على يده وغير ذلك من الأغراض الإلهية التي لايحيط بها فهم أو لفظ ﴿وكان أمراً مقضيا﴾ فقد تحتم القضاء، ولايرد بإباء أو دعاء. ٢٢ ـ ﴿فحملته﴾ مريم ﴿فانتبذت﴾ انفردت ﴿به مكاناً قصياً﴾ بعيداً. ٢٣ ـ ﴿فأجاءها المخاض﴾ أي فألجأها الطلق ووجع الولادة ﴿إلى جذع النخلة﴾ وهذا مايشعر بكونها نخلة يابسة ﴿قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً﴾ لايذكر، خوفاً من الناس واستحياءً. ٢٤ ـ ﴿فناداها﴾ عيسى (ع) ﴿من تحتها﴾ وقد وضعته ﴿ألا تحزني﴾ تسلية لها لما حل بها من الحزن والغم، فلا مصيبة على المرأة المتنسكة العذراء أشد من أن تتهم في عرضها؛ فالعفة والحياء من الفطرة فالذين يتبعون مريم يجب أن تكون قدوةً لهم في عفتها وحصانتها؛ وما هم فيه من دعوة إلى التحلل يناقض دعوة عيسى (ع) وهو بريءٌ من اللاتي يحملن دون زواجٍ شرعيٍ ﴿قد جعل ربك تحتك سرياً﴾ أي جدولاً من الماء. ٢٥ ـ ﴿وهزي إليك﴾ وحركي ﴿بجذع النخلة﴾ وقد كانت يابسة لاثمر فيها ﴿تساقط عليك﴾ وقد اخضرت وأثمرت ﴿رطباً﴾ وهو نضيج البسر وهو نوعٌ من ثمار النخل ﴿جنياً﴾ قد جني لساعته. ٢٦ ـ ﴿فكلي﴾ من الرطب الجني ﴿واشربي﴾ من السري الذي تحتك ﴿وقري عيناً﴾ فقد سرك الله به فتمتعي به من غير حزن. ٢٧ ـ ﴿فإما ترين من البشر أحداً﴾ وسألك عن شأن الولد ﴿فقولي﴾ بالتفهيم بالإشارة ﴿إني نذرت للرحمن صوماً﴾ عن الكلام أي صمتاً ﴿فلن أكلم اليوم إنسياً﴾ وكان صوم الصمت مسنوناً في ذلك الوقت. ٢٨ ـ ﴿فأتت به قومها تحمله﴾ أي تحمل عيسى ﴿قالوا يامريم﴾ أنى لك هذا؟ ﴿لقد جئت شيئاً فرياً﴾ والفري هو العظيم البديع وقيل هو الافتراء. ٢٩ ـ ﴿ياأخت هارون﴾ ذكر أن هارون كان رجلاً صالحاً ينسب إليه كل صلاح أو أنه كان أخاً لها لأبيها ولا صحة لما قيل من أنه أخو موسى أو أنه كان رجلاً معروفاً بالعهر والفساد ﴿ماكان أبوك امرأ سوء﴾ فهو رجل قديس ﴿وماكانت أمك بغياً﴾ أي زانية. فأنت من بيت معروف بالعفة والنزاهة. ٣٠ ـ ﴿فأشارت إليه﴾ أي أرجعتهم إلى عيسى الوليد (ع) حتى يجلي لهم الأمر ﴿قالوا كيف نكلم من كان في المهد﴾ وهو السرير ﴿صبياً﴾ وكيف يكشف لنا حقيقة الأمر صبي ممعن في صباه من شأنه أنه سيلبث في صباه ردحاً من الزمن. ﴿قال إني عبد الله﴾ اعتراف منه (ع) بالعبودية لله، ليبطل غلو الغالين ﴿آتاني الكتاب﴾ فقد أعطاني الله الإنجيل ﴿وجعلني نبياً﴾ إعلام بالنبوة. ٣١ ـ ﴿وجعلني مباركاً أينما كنت﴾ والبركة نماء الخير ونفع الناس بالعلم ودعوتهم إلى العمل الصالح. ﴿وأوصاني بالصلاة﴾ إشارة إلى تشريع الصلاة وهي التوجه العبادي الخاص إلى الله سبحانه ﴿والزكاة﴾ وهي الإنفاق المالي ﴿مادمت حياً﴾ فحق المجتمع باق حتى الموت. ٣٢ ـ ﴿وبراً﴾ حنوناً رؤوفاً ﴿بوالدتي﴾ وبالناس ﴿ولم يجعلني جباراً﴾ أحمل الناس ولاأتحمل منهم ﴿شقياً﴾ لاأتصنع. ٣٣ ـ ﴿والسلام علي﴾ من الله ﴿يوم ولدت﴾ في هذا العالم ﴿ويوم أموت﴾ حيث عالم البرزخ ﴿ويوم أبعث حياً﴾ يوم القيامة شهادة منه (ع) على نزاهته وبراءة أمه من كل

فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي
إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾
فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ۖ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا
فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ
أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي
الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي
نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي
جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ
وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ الْحَقِّ
الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَانَهُ ۚ
إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ
فَاعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن
بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ
وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾

قذارة وخباثة، ودلالة على نزاهة وطهارة مولده. ٣٤ ـ ﴿ذلك عيسى بن مريم﴾ فهذه هي كيفية دلالته وأوصافه ﴿قول الحق﴾ أي أقول قول الحق، ﴿الذي فيه يمترون﴾ يشكون ويتنازعون. ٣٥ ـ ﴿ماكان لله أن يتخذ من ولد﴾ نفي وإبطال لما قالت به النصارى من بنوة المسيح ﴿سبحانه﴾ تنزه تعالى عن ذلك، لأن الولد إنما يراد للإستعانة به في الحوائج بعد أن يكبر، وهو غني عن ذلك لابالتدريج ولادونه ﴿إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ لايتخلف مراده عن إرادته، فقدرته تجسد قوله. ٣٦ ـ ﴿وإن الله ربي وربكم فاعبدوه﴾ وهذا اعتراف بالمربوبية لله الخالق المدبر ليقطع الحجة على من غالى ﴿هذا صراط مستقيم﴾ وماعداه ضلال. ٣٧ ـ ﴿فاختلف الأحزاب﴾ والحزب هو الجمع المنقطع في رأيه من غيره فالحزب هو مجموعة من الناس تفردت برأي معين، واختلافهم قول كل منهم فيه (ع) خلاف مايقوله الآخرون ﴿من بينهم﴾ أي من بين الذين ثبتوا على الحق ﴿فويل﴾ وهلاك وتشديد عذاب ﴿للذين كفروا﴾ بمجانبة الحق ﴿من مشهد يوم عظيم﴾ أي من شهود يوم القيامة، ولامفر ولاملاذ. ٣٨ ـ ﴿أسمع بهم وأبصر﴾ أي ماأسمعهم وأبصرهم بالحق ﴿يوم يأتوننا﴾ ويرجعون إلينا يوم القيامة فيتبين لهم الحق ﴿لكن الظالمون اليوم﴾ لاينتفعون ولايهتدون فهم ﴿في ضلال مبين﴾ لأنه يوم جزاء لاعمل، فلا معدل لهم عما هيؤوا لأنفسهم من الضلال. ٣٩ ـ ﴿وأنذرهم﴾ خوفهم ﴿يوم الحسرة إذ قضي الأمر﴾ يوم يقضى فيه الأمر، فيتحتم عليهم الهلاك الدائم، فيتحسرون حسرة لاتقدر ﴿وهم في غفلة﴾ في الدنيا عن سلوك الصراط الذي يهديهم إلى السعادة في الآخرة ﴿وهم لايؤمنون﴾ بالله وحده، ولاينزهونه عن الشريك والولد. ٤٠ ـ ﴿إنا نحن نرث الأرض﴾ فالله هو الباقي بعد فناء كل شيء فهو يملكها ﴿ومن عليها﴾ فيملك ماكانت تملكه من الوجود، وآثار الوجود ﴿وإلينا يرجعون﴾ فحشرهم إليه تعالى. والذي يرث كل شيء في غنى عن الولد سبحانه عما يشركون. ٤١ ـ ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم﴾ وقد نادى بالتوحيد في عالم وثني وهو وحده فحاج أباه وقومه، وقاوم ملك بابل وكسر الآلهة، وثبت على ماقال، حتى ألقي في النار، ثم اعتزلهم ومايعبدون ﴿إنه كان صديقاً﴾ اسم مبالغة من الصدق، فلامناقضة بين قوله وفعله ﴿نبياً﴾ من النبأ، لأن عنده نبأ الغيب بوحي من الله. ٤٢ ـ ﴿إذ قال﴾ ابراهيم ﴿لأبيه﴾ آزر ﴿يأأبت لم تعبد مالا يسمع ولايبصر﴾ إنكار توبيخي لعبادة الأصنام. فعبادتها لغو باطل لأن العبادة لاتتم إلا مع سماع المعبود وبصره ﴿ولايغني عنك شيئاً﴾ فهي لاتجلب نفعاً ولاتدفع ضراً. وقد تقدم أنه لم يكن والده وإنما عمه أو جده لأمه أو زوج أمه. ٤٣ ـ ﴿ياأبت إني قد جاءني من العلم مالم يأتك﴾ فأنا لم أسلك طريق الجهل بل لي علم ﴿فاتبعني أهدك صراطاً سوياً﴾ وهو الطريق الذي لايضل سالكه لوضوحه. فالهداية إراءة الطريق، والإمامة إيصال إلى المطلوب وهو (ع) لم يجعل إماماً وقتئذ. ٤٤ ـ ﴿ياأبت لاتعبد الشيطان﴾ وهو من الجن الذين يؤمن بهم الوثنيون، والنهي عن عبادة

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾

الشيطان نهي عن طاعته فيما يأمر به ومما يأمر به عبادة غير الله كعبادة الأصنام ﴿إن الشيطان كان للرحمن عصياً﴾ مقيماً على معصية الله الذي هو مصدر كل رحمة ونعمة، فهو يأمر بحرمان العبد رحمته تعالى.

٤٥ ـ ﴿يأبت إني أخاف أن يمسك عذاب﴾ بمعنى خذلان ﴿من الرحمن﴾ فتنقطع عنك رحمته ﴿فتكون للشيطان ولياً﴾ لأن الله إذا لم يتول أمرك فإن الشيطان سيتولى ذلك.

٤٦ ـ ﴿قال أراغب أنت عن آلهتي ياإبراهيم﴾ أمعرض عن عبادتها ﴿لئن لم تنته﴾ بالكف عن التعرض لها ﴿لأرجمنك﴾ برميك بالحجارة ﴿واهجرني﴾ فارقني ﴿ملياً﴾ دهراً طويلاً.

٤٧ ـ ﴿قال سلام عليك﴾ قابل بسلامه تهديد أبيه له بسلب الأمن والرجم، وفيه إحسان وعطاء. يقول تعالى: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ ﴿سأستغفر لك ربي﴾ مقابل تهديده بالرجم، وقد استغفر له وهو مشرك لأن ابراهيم (ع) لم يكن قاطعاً بكونه من أولياء الشيطان المطبوع على قلبهم بالشرك وعناد الحق ﴿إنه كان بي حفياً﴾ فهو يرعى أموري ويجيب طلبتي.

٤٨ ـ ﴿وأعتزلكم﴾ أبتعد عنكم ﴿وماتدعون من دون الله﴾ من الأصنام لأخلو بربي ﴿وأدعو ربي﴾ وأخلص الدعاء له ﴿عسى أن لاأكون بدعاء ربي شقياً﴾ فالدعاء والتوجه إلى الله ليسا بأسباب موجبة عليه تعالى بل يتفضل بالإثابة والإسعاد، فالأمور بخواتيمها، ولايعلم الغيب إلا الله، وعلى المؤمن أن يسير بين الخوف والرجاء.

٤٩ ـ ﴿فلما اعتزلهم﴾ وابتعد عنهم ﴿ومايعبدون﴾ من الأصنام ﴿من دون الله﴾ وله وحده حق العبادة ﴿وهبنا له إسحق ويعقوب وكلاً جعلنا نبياً﴾ ففي الشجرة الإسرائيلية جمع غفير من الأنبياء.

٥٠ ـ ﴿ووهبنا لهم﴾ الإمامة ﴿من رحمتنا﴾ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا، أو أيدناهم بروح القدس ﴿وجعلنا لهم لسان صدق﴾ ذكر جميل بين الناس ﴿علياً﴾ رفيع القدر.

٥١ ـ ﴿واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً﴾ أخلصه الله لنفسه فلانصيب لغيره تعالى فيه لافي نفسه ولافي عمله، وهذا أعلى مقامات العبودية ﴿وكان رسولاً﴾ صاحب كتاب وشريعة ﴿نبياً﴾ موحى إليه وقد أخلصه الله لما تلبس به من الخصائص الباطنة والكرامات الظاهرة. فقد ابتلي عليه السلام بمفارقة الأهل ورعي الغنم ونصرة المظلوم وقتل المعتدي والهرب من الظالم، ثم العودة للوقوف بوجه الطاغية مع قومٍ متقاعسين، متكالبين على متاع الدنيا، مؤثرين ذُلَّ الاستضعاف على الانتصار من الظلم؛ مع أنه عليه السلام قد تربى في قصر أعظم ملوك الأرض ولكن الترف الذي رافق حياته في قصر فرعون كان دافعاً له لنصرة المستضعفين وإخراجهم مما كانوا فيه مع مافي ذلك من مشقةٍ وعناء.

٥٢ ـ ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن﴾ وفيه كان التكليم ﴿وقربناه﴾ تقريباً معنوياً، هبة من الله ﴿نجياً﴾ للمناجاة وفي ذلك مالم ينله غيره. ٥٣ ـ ﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً﴾ بعد أن دعا ربه: ﴿اجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي﴾. ٥٤ ـ ﴿واذكر في الكتاب إسماعيل﴾ ابن حزقيل، من أنبياء بني إسرائيل وقيل هو ابن إبراهيم وقد خص بالذكر اعتناء بشأنه ﴿إنه كان صادق الوعد﴾ حافظاً له ﴿وكان رسولاً نبياً﴾ يعلم من أنباء الغيب مايعلّمه الله. ٥٥ ـ ﴿وكان يأمر أهله﴾ أي خاصته من عترته وعشيرته وقومه ﴿بالصلاة والزكاة﴾ وهما الصلة بين العبد وربه وبينه وبين مجتمعه ﴿وكان عند ربه مرضياً﴾ فنفسه كانت مرضية عند ربه، لما تحمل من رضى عما يصدر عن ساحة العزة. ٥٦ ـ ٥٧ ـ ﴿واذكر في الكتاب إدريس﴾ قيل كان اسمه أخنوخ، وهو من أجداد نوح (ع) واشتهر بادريس لكثرة اشتغاله بالدرس ﴿إنه كان صديقاً نبياً﴾ مقرباً منه تعالى ﴿ورفعناه﴾ بموهبة النبوة والولاية ﴿مكاناً علياً﴾ رفع به درجة من درجات القرب، وقيل إن الله رفعه إلى بعض السموات وقبضه هناك. ٥٨ ـ ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم﴾ فقد غشيتهم النعمة الإلهية من غير نقمة، وهذا هو معنى السعادة ﴿من النبيين﴾ وقد خصوا بمواهب إلهية خاصة ﴿من ذرية آدم﴾ فهم من بعض ذرية آدم ﴿وممن حملنا مع نوح﴾ وذريتهم وقد قال تعالى: ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾.وقد قسم تعالى الذين أنعم عليهم من النبيين إلى ذرية آدم ومن حمله مع نوح ﴿ومن ذرية ابراهيم وإسرائيل﴾ مع أنهم جميعاً من ذرية آدم عليهم السلام، إشارة إلى نزول نعمة السعادة كرة بعد كرة ﴿وممن هدينا واجتبينا﴾ من غير النبيين ممن نالتهم النعمة الإلهية أيضاً ﴿إذا تتلى عليهم آيات الرحمن﴾ أي مطلق مايحكي شأناً من شؤونه تعالى ﴿خروا﴾ سقطوا ﴿سجداً وبكياً﴾ كناية عن كمال الخضوع والخشوع. ٥٩ ـ ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ وبدل ﴿أضاعوا الصلاة﴾ أفسدوها بالتهاون فيها، والاستهانة بها مما يؤدي إلى التغيير فيها، والترك لها ﴿واتبعوا الشهوات﴾ الصارفة لهم عن المجاهدة في الله والتوجه إليه ﴿فسوف يلقون غياً﴾ أي جزاء غيهم، أو أنهم بسلوكهم طريق إضاعة الصلاة واتباع الشهوات كانوا يسلكون طريقاً غايتها الغي وسيلاقون غيهم يوم القيامة. ٦٠ ـ ﴿إلا﴾ يستثنى من الآية السابقة ﴿من تاب﴾ ورجع إلى الله سبحانه ﴿وآمن﴾ فحسنت عقيدته ﴿وعمل صالحاً﴾ فحسن عمله ﴿فأولئك يدخلون الجنة﴾ فهم ملحقون بالذين أنعم الله عليهم، فهم يوفون أجورهم ﴿ولايظلمون شيئاً﴾ وهو من لوازم توفية الأجور لامن لوازم دخول الجنة. ٦١ ـ ﴿جنات عدن﴾ والعدن الإقامة ففيها معنى الخلود ﴿التي وعد الرحمن عباده بالغيب﴾ بما ليس تحت إدراك الموعود له ﴿إنه كان وعده مأتياً﴾ فوعده تعالى لايتخلف. ٦٢ ـ ﴿لايسمعون فيها لغواً﴾ واللغو هو الكلام الذي لايترتب عليه شيء ﴿إلا سلاماً﴾ لطمأنتهم بتجنبهم مايسوؤهم ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً﴾ فيتوالى من غير انقطاع. ٦٣ ـ ﴿تلك الجنة﴾ يحرمها من أضاع الصلاة واتبع الشهوات ﴿التي نورث من عبادنا من كان تقياً﴾ والإرث شيء لغيرك آن لك. فهي لمن أورثه تقواه الإيمان والعمل الصالح. ٦٤ ـ ﴿ومانتنزل إلا بأمر ربك﴾ فملائكة الوحي لاينزلون على مهل إلا

وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ۩ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾

رَبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

بأمره تعالى ﴿له مابين أيدينا﴾ أي مانشرف عليه ونتسلط في التصرف به، وماهو مشهود لنا ﴿وماخلفنا﴾ وماهو غائب عنا ﴿ومابين ذلك﴾ فملكه تعالى محيط، وهو المتصرف الحقيقي ولامتصرف غيره. فلايتنزل ملك إلا بأمر ربه ﴿وماكان ربك نسياً﴾ فلاينسى شيئاً من ملكه حتى يختل بإهماله أمر التدبير. ٦٥ ـ ﴿رب السموات والأرض ومابينهما﴾ تعليل للآية السابقة: ﴿له مابين أيدينا وماخلفنا ومابين ذلك﴾ ورب كل شيء هو مالكه المدبر لأمره، فملكه وعدم نسيانه مقتضى ربوبيته ﴿فاعبده﴾ وحده ﴿واصطبر لعبادته﴾ فليس هناك رب غيره تعبده أو تشرك به ﴿هل تعلم له سمياً﴾ مشاركاً بالاسم ممن تثبت له الربوبية وصار رباً حتى تعدل عنه إليه فتعبده دونه؟ ٦٦ ـ ﴿ويقول الإنسان أإذا مامت لسوف أخرج حياً﴾ إنكار للبعث في صورة الاستبعاد، ولايترقب من الإنسان قول ذلك، فقد جهزه تعالى بالإدراك العقلي وقد خلقه الله ولم يك شيئاً. وقوله يقول الانسان إشارة إلى استمرار الإنكار سواء بالقول أو بممارسة الإنكار عملاً بتغيير نظام الله وأحكامه وشرائعه. ٦٧ ـ ﴿أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً﴾ الاستفهام للتعجيب وإنه على جمعه لقادر. ٦٨ ـ ﴿فوربك﴾ أي أقسم بربك ﴿لنحشرنهم﴾ نجمعهم يوم القيامة ﴿والشياطين﴾ أولياءهم ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً﴾ جاثون على ركبهم من الذلة، زمراً وجماعات. ٦٩ ـ ﴿ثم لننزعن﴾ نستخرجن ﴿من كل شيعة﴾ شيعة هي الجماعة المتعاونة على أمر، أو التابعون لمتبوعة ﴿أيهم أشد على الرحمن عتياً﴾ وتمرداً في العصيان، فسنستخرج أئمة الضلال ورؤساء الاستكبار أي الأشد ثم الأشد حتى يحاط بهم. وقد تمردوا على من شملتهم رحمته. ٧٠ ـ ﴿ثم لنحن أعلم بمن هو أولى بها﴾ أي بالنار ﴿صلياً﴾ أي من هو أولى مقاساة لحرها، فدرجات عذابهم لاتخفى علينا. ٧١ ـ ﴿وإن منكم﴾ من مؤمنين وكافرين ﴿إلا واردها﴾ وقاصدها وحاضرها ﴿كان على ربك حتماً﴾ جزماً ﴿مقضياً﴾ حكم به تعالى ولامعقب لحكمه. ٧٢ ـ ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ فالظالمون يدخلون ويتركون فيها والمتقون ينجون إما بعد دخولها أو بعدم دخولها أصلاً وهو الأرجح ﴿ونذر الظالمين فيها جثياً﴾ على ركبهم أذلاء. ٧٣ ـ ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا﴾ أي على الناس من مؤمنين وكافرين ﴿بينات﴾ ظاهرة الحجة والدلالة، قاطعة للريب ﴿قال الذين كفروا﴾ وهم في متعة من الحياة الدنيا ﴿للذين آمنوا﴾ وقد غشيهم فقد المال ورثاثة الحال ﴿أي الفريقين خير مقاماً﴾ ومسكناً ﴿وأحسن نديا﴾ أي مجلساً ومشورة. فما هم عليه من المتع سعادة، والحق ماهم عليه. ٧٤ ـ ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن﴾ أي من أناس مقترنين في زمان واحد ﴿هم أحسن أثاثاً﴾ ومتاعاً ﴿ورئياً﴾ أي منظراً. فقد فاتهم أن دار الإقامة ليست الدار الدنيا بل الدار الآخرة، فسعادة الإنسان في الدنيا ساعات قليلة لاقدر لها قبال مالانهاية له. وهذه التمتعات لاتقي من غضب الله. وقد قال فرعون أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي وقد أغرقهم الله فأدخلوا ناراً. ٧٥ ـ ﴿قل من كان في الضلالة﴾ مستمراً بها ﴿فليمدد له الرحمن مداً﴾ فقد أوجب الله على نفسه أن يمده بما منه ضلالته كالزخارف الدنيوية، فينصرف بذلك عن الحق حتى يأتيه

أمر الله ﴿حتى إذا رأوا مايوعدون﴾ دليل على أن المد خذلان في صورة إكرام ﴿إما العذاب﴾ بالاستئصال ﴿وإما الساعة﴾ أي يوم القيامة حيث يظهر الحق ولاينتفع به من أنكر ﴿فسيعلمون من هو شر مكاناً﴾ بدل ماظنوه خيراً مقاماً ـ وقد ألقي صناديد قريش الذين تليت عليهم هذه الآيات بعد معركة بدر في قليب بدر وهو المكان الذي دفنوا فيه ـ ﴿واضعف جنداً﴾ فلا عاصم لهم من عذاب الجحيم لأنه ليس لهم جندٌ من دون الرحمن ينصرونهم. ٧٦ ـ ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾ لإقبالهم على الحق وإيمانهم ﴿والباقيات الصالحات﴾ من الأعمال هي ﴿خير عند ربك ثواباً﴾ فهي أحسن أجر لأحسن عمل ﴿وخير مرداً﴾ يرتدون إليه وهي الجنة والنعيم المقيم. ٧٧ ـ ٧٨ ـ ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا﴾ تعجيب من كفره وعدم استفادته من الدلائل ﴿وقال لأوتين مالاً وولداً﴾ مقسماً بأن ينال المال والولد في الدنيا مع الإلتحاق بموكب الشرك، كأن في الإيمان بالله شؤماً، وفي اتخاذ الآلهة ميمنة ﴿أطلع الغيب﴾ فكلامه رجم بالغيب ﴿أم اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ حتى يطمئن إلى مقالته. ويعلم بأنه سيؤتى بكفره مايأمله. وهو نفي في صورة الاستفهام الإنكاري. ٧٩ ـ ﴿كلا﴾ كلمة ردع وزجر ﴿سنكتب﴾ نثبت ﴿مايقول﴾ فالذي يترتب على قوله ليس إيتاء المال والولد فإن لذلك أسباباً أخر ﴿ونمد له من العذاب﴾ على كفره ورجمه بالغيب ﴿مداً﴾ فهو سينال عذاباً ممدوداً وهذه نتيجة سعيه وسعي كل مكذب. ٨٠ ـ ﴿ونرثه مايقول﴾ فسيموت ويفنى ويترك قوله لأوتين بكفري مالاً وولداً ﴿ويأتينا فرداً﴾ دون ناصر ينصره من عدد وعدة. ٨١ ـ ﴿واتخذوا من دون الله آلهة﴾ من الملائكة والجن والقديسين من الإنس وجبابرة الملوك، فإن أكثرهم يرى أن للملوك قداسة سماوية ﴿ليكونوا لهم عزاً﴾ أي شفعاء، فينالوا العزة من الملوك، فلا ينجر إليهم الشر وينالوا الخير. ٨٢ ـ ﴿كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً﴾ أي أن الآلهة سيكفرون بعبادة هؤلاء المشركين لهم، وسوف يعادونهم ولو كانوا لهم عزاً لثبتوا على ذلك. ٨٣ ـ ﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم﴾ تحركهم بشدة وإزعاج وتهزهم ﴿أزاً﴾ فتهيجهم إلى الشر والفساد والتزلزل عن الثبات على الحق، حتى الشياطين وهم من آلهتهم ترسل إليهم بإذن من الله فهم ليسوا مطلقي العنان فالله محيط بهم. ٨٤ ـ ﴿فلاتعجل عليهم﴾ فإذا كانوا ينتفعون باتخاذ الآلهة وكانوا وآلهتهم غير خارجين عن سلطاننا، فلا تعجل بالقبض والقضاء عليهم ﴿إنما نعد لهم﴾ أنفاسهم وأعمالهم ﴿عداً﴾ حتى يأتي اليوم الذي ينتهي فيه العد ويفنى المعدود. ٨٥ ـ ﴿ويوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً﴾ والوفد هم الركبان من القوم الواردون لزيارة أو حاجة، ولهم الجنة وهي مقام القرب. ٨٦ ـ ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم وِرداً﴾ يردون النار كأنهم عطاش. ٨٧ ـ ﴿لايملكون الشفاعة﴾ فليس كل من يهوى الإنسان شفاعته يشفع له ﴿إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ وهذا العهد هو الإيمان بالله والتصديق بالنبوة. ٨٨ ـ ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً﴾ وهو قول بعض الوثنيين، بمعنى الاشتقاق من حقيقة اللاهوت. ٨٩ ـ ﴿لقد جئتم شيئاً إداً﴾

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

منكراً فظيعاً. ٩٠ ـ ٩١ ـ ﴿تكاد السموات يتفطرن منه﴾ يتشققن ﴿وتنشق الأرض﴾ من عظم الذنب الذي تقولون ﴿وتخر الجبال﴾ تسقط على السهل ﴿هداً﴾ متهدمة ﴿أن دعوا للرحمن ولداً﴾ فقولهم رهيب شنيع. ٩٢ ـ ﴿وماينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً﴾ لأن كل من في السموات والأرض عبد لله، فكيف تجتمع الألوهية والفقر، وكيف يحتاج الرحمن إلى الولد. ٩٣ ـ ﴿إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً﴾ لأنه الخالق لكل شيء والمدبر لأمره والكل مطيع له في عبوديته وليس له من الوجود وآثار الوجود إلا ماآتاه الله. ٩٤ ـ ﴿لقد أحصاهم وعدهم عداً﴾ فالعبيد تتعين لهم أرزاقهم وتتبين وظائفهم بعد الإحصاء والتثبيت في ديوان العبيد، وبه تسجل العبودية عليهم. ٩٥ ـ ﴿وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً﴾ صفر الكف لايملك شيئاً مما كان يملكه بحسب ظاهر الدنيا. وقد تقطعت بهم الأسباب. ٩٦ ـ ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً﴾ أي مودة في قلوبهم لحسن إيمانهم وعملهم. ٩٧ ـ ﴿فإنما يسرناه بلسانك﴾ ونزلناه قرآناً عربياً وهذا ينبيء عن حال سابقة ماكان يسهل معها تلاوته ﴿لتبشر به المتقين﴾ المتلبسين بالإيمان ﴿وتنذر به قوماً لداً﴾ خصمين، ومعاندين للحق. ٩٨ ـ ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن﴾ كانوا خصماء مجادلين، ولكنهم غير معجزي الله بخصامهم ﴿هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً﴾ أي صوتاً، وقد مضى أمر الله فيهم.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

سورة طه

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: الإنذار والتخويف، التبشير، التذكير بقصص تختم بهلاك الطاغين، ذكر حجج تلزم العقول على التوحيد وبيان ماسيستقبل الإنسان من أهوال الساعة. ١ ـ ﴿طه﴾ هما من الحروف المقطعة التي صدرت بها أوائل بعض السور، وقيل: إن طه ويس اسمان للنبي ﷺ ويظهر أنهما يمثلان أمراً راجعاً إلى شخصه ﷺ متحققاً به بعينه أي أنه وصف لشخصيته الباطنية. وقيل أن المعنى يمثل من خوطب بطه ويس ثم صار علماً بكثرة الإستعمال. وقيل طه معناه ياطالب الحق الهادي إليه. ٢ ـ ﴿ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ وتتعب نفسك في سبيل تبليغه بالتكلف في حمل الناس عليه. ٣ ـ ٤ ـ ﴿إلا تذكرة لمن يخشى﴾ فالإنسان ينال حقائق العقيدة بفطرته، ولكن إخلاد الإنسان إلى الأرض وإقباله على الدنيا واشتغاله بما يهواه من زخارفها، أنساه ماأودع الله في فطرته. ومن المعلوم أن ذلك إعراض سمي نسياناً. فالقرآن تذكير بكلام إلهي ممن كان في طبعه أن يخشى، أو كان مستعداً لظهور الخشية في قلبه لو سمع كلمة الحق ﴿تنزيلاً﴾ من مقام علي ﴿ممن خلق الأرض والسموات العلى﴾ فالخالق لهذا الكون العظيم هو المنزل لهذا القرآن العظيم. ٥ ـ ٦ ـ ﴿الرحمن﴾ وهو مبالغة من الرحمة ﴿على العرش استوى﴾ فقد ظهر سلطانه على الكون، ومن الثابت استقرار ملكه واستعلاؤه على الأشياء بتدبير أمورها وإصلاح شؤونها، وقد أحاط ملكه بكل شيء وحاشا أن تدل الآية على الممائلة ﴿له مافي السموات وما

سُورَةُ طٰهٰ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾

في الأرض﴾ أي مابسط على بسيطها من الأحياء والأشياء ﴿ومابينهما﴾ من خلق ﴿ومانحت الثرى﴾ أي ما في جوف الأرض. ٧ ـ ﴿وإن تجهر بالقول﴾ برفع الصوت به ﴿فإنه يعلم السر وأخفى﴾ فهو يعلم الحديث المكتوم الخافي في النفس وماهو أخفى من ذلك. فهو مالك كل شيء، مدبر لكل أمر، عالم بما يجري في ملكه، وفي مستقر سلطانه. ٨ ـ ﴿الله لاإله﴾ أي لامعبود ﴿إلا هو﴾ فهو المعبود الحق والعبادة له قصراً، وبما أن العبادة هي إظهار الحاجة إلى المعبود فمن الواجب أن يكون المعبود مالكاً لعابده، مدبراً أمره ولارب سواه تعالى. والعبادة إما رجاء لما عند المعبود من خير فيعبد طمعاً في خيره، وإما خوفاً من عقابه، وإما لأنه أهل العبادة والخضوع وهو تعالى المالك لكل خير، وهو العزيز القهار المنتقم شديد العقاب، وهو الأهل للعبادة لأن له كل كمال وكل جمال وكل جلال ﴿له الأسماء الحسنى﴾ الدالة على معان وصفية تحمل كمال كل كمال كالحي والقدير والعليم وهو تعالى يملك الأسباب الحسنة الدالة على مافيه كمال من دون شوب نقص كالعادل والعالم. والدالة على فيضه على عباده فهو الهادي وهو الرحمن وهو الرزاق. ٩ ـ ﴿وهل أتاك﴾ الاستفهام للتقرير ﴿حديث﴾ أي قصة ﴿موسى﴾ بعد أن أمضى فترة التعاقد مع شعيب. ١٠ ـ ﴿إذ رأى ناراً﴾ في الجانب الأيمن من الطور في البقعة المباركة وهو في منصرفه من مدين إلى مصر مسقط رأسه حيث يعيش بنو إسرائيل تحت سياط فرعون عصرهم وقهره ﴿فقال لأهله﴾ وهو يتفرس معالم الطريق ﴿امكثوا إني آنست﴾ أبصرت ووجدت ﴿ناراً﴾ ولم يرها غيره (ع) ﴿لعلي آتيكم منها بقبس﴾ أي شعلة ﴿أو أجد على النار هدى﴾ أي هادياً نهتدي بهداه. ١١ ـ ١٢ ـ ﴿فلما أتاها﴾ ووصل إلى النار ﴿نودي ياموسى إني أنا ربك﴾ أكلمك وأنت بمحضر مني ﴿فاخلع نعليك﴾ إحتراماً ﴿إنك بالوادي المقدس طوى﴾ لكونه حظيرة القرب وموطن الحضور والمكالمة، قرب طور سيناء. ١٣ ـ ﴿وأنا اخترتك﴾ من الخيرة، لغاية إلهية وهي إعطاء النبوة والرسالة بإنشائهما ﴿فاستمع لما يوحى﴾ واصغ إليه. ١٤ ـ ﴿إنني أنا الله﴾ تعريف المسمى بالاسم، أي تعريف وصف الشيء بذاته ﴿لا إله إلا أنا﴾ مبدأ كل شيء ومرجع كل شيء، والمدبر لكل شيء ﴿فاعبدني﴾ عبادة خضوع للإله الحق ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾ لأن الصلاة أفضل عمل يمثل به الخضوع العبودي، ويتحقق بها ذكر الله تحقق الروح بقالبه. أي حقق ذكرك لي بالصلاة. ١٥ ـ ﴿إن الساعة آتية﴾ تعليل للعبادة، لأنه إذا لم يكن ثواب ولاعقاب ولاتمييز للمطيع من العاصي فالعبادة لغو لاأثر له ﴿أكاد أخفيها﴾ فلاأخبر عنها أصلاً، ﴿لاتأتيكم إلا بغتة﴾ ﴿لتجزى كل نفس بما تسعى﴾ ويتحقق جزاء السعي والعمل. ١٦ ـ ﴿فلا يصدنك﴾ يصرفنك ﴿عنها﴾ أي عن الساعة ﴿من لايؤمن بها﴾ وهو كافر بحالها وعظيم شأنها فأنكرها ﴿واتبع هواه﴾ فعدم الإيمان مصداق اتباع الهوى ﴿فتردى﴾ أي تهلك. ١٧ ـ ٢٢ ـ ﴿وماتلك بيمينك ياموسى﴾ والاستفهام

﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾

للتقرير وليتبين أنها جماد لاحياة له حتى يأخذ تبدلها حية مكانة في نفسه، وهنا شروع في وحي الرسالة وقد تم وحي النبوة ﴿قال هي عصاي أتوكأ عليها﴾ وأعتمدها ﴿وأهش بها على غنمي﴾ فأضرب أوراق الشجر بها لتساقط على الغنم ويأكله ﴿ولي فيها مآرب﴾ حوائج ﴿أخرى﴾ أيضاً. ﴿قال ألقها ياموسى﴾ على الأرض ﴿فألقاها فإذا هي حية تسعى﴾ تهتز كأنها جان ﴿قال خذها ولاتخف﴾ والخوف هو الأخذ بمقدمات التحرز عن الشر، وهو غير الجبن الذي ينافي الشجاعة ﴿سنعيدها سيرتها الأولى﴾ كما كانت عصا ﴿واضمم يدك إلى جناحك﴾ أي أدخل يدك في جيبك ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾ أو برص أو أي أذى آخر ﴿آية أخرى﴾ برهاناً آخر. ٢٣ ـ ﴿لنريك من آياتنا الكبرى﴾ فكل ماجرى لنريك بعض آياتنا الكبرى. ٢٤ ـ ﴿إذهب إلى فرعون﴾ هذا هو أمر الرسالة ﴿إنه طغى﴾ تجاوز الحد ظلماً وعدواناً. ٢٥ ـ ٣٥ ـ ﴿قال رب اشرح لي صدري﴾ وزد في سعته ليحمل أعباء الرسالة ﴿ويسر لي أمري﴾ لتكون على مافيها من العسر هينة ﴿واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي﴾ فاحلل مايمنع أن يفقهوا قولي ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي﴾ والوزير من الوزر هو الذي يحمل أثقال حمل الملك أو من الوزر بمعنى الجبل الذي يلتجأ إليه ﴿هارون أخي﴾ وهو سؤال رابع وأخير ليستعين على مايواجهه في دعوته ﴿اشدد به أزري﴾ ليخفف عني ويؤيدني ﴿وأشركه في أمري﴾ إشراكاً في التبليغ لاإشراكاً في الوحي، فكل مؤمن مكلف بالدعوة والإرشاد. وقد صح من طرق الفريقين أن النبي ﷺ دعا بهذا الدعاء في حق علي (ع) ولم يكن نبياً. ﴿كي نسبحك كثيراً﴾ ننزهك معاً ﴿ونذكرك كثيراً﴾ بين الناس علناً في أي مجلس لتكثر الدعوة إلى الإيمان بالله ورفض الشركاء. ﴿إنك كنت بنا بصيراً﴾ فقد خلقتنا وعرفتنا نفسك، وتعلم أننا لم نزل نعبدك بالتسبيح والذكر. فإن جعلت هارون أخي، وزيراً لي سبحناك كثيراً وذكرناك كثيراً، وقيل أن المعنى أنك تعلم حالنا وتطلع على ضعفنا وقصورنا وتعلم حاجتنا للعون والتدبير. ٣٦ ـ ٣٧ ـ ﴿قال قد أوتيت سؤلك ياموسى﴾ إجابة لأدعيته جميعاً وهو إنشاء لاإخبار ﴿ولقد مننا عليك مرة أخرى﴾ امتنان مع تعظيم لظهور قدرته تعالى وتخييب سعي فرعون. ٣٨ ـ ٤١ ـ ﴿إذ أوحينا﴾ إلهاماً وهو نوع من القذف في القلب في يقظة أو نوم ﴿إلى أمك مايوحى﴾ وهو غير وحي النبوة ﴿أن اقذفيه﴾ بوضعه ﴿في التابوت﴾ أي الصندوق ﴿فاقذفيه﴾ ألقيه ﴿في اليم﴾ أي البحر وهو النيل ﴿فليلقه اليم بالساحل﴾ أي الشاطئ، أمر يشير إلى تحقق وقوعه، فهو أمر تكويني وهو واقع حتماً مقضياً ﴿يأخذه عدو لي﴾ وقد حارب الله بدعوى الألوهية ﴿وعدو له﴾ أي لموسى بقتله الأطفال وهذا الأخذ جزاء مترتب على الأمر السابق. ﴿وألقيت عليك محبة مني﴾ فكان يحبك كل من رآك ﴿ولتصنع على عيني﴾ وليحسن إليك بمرأى مني فإني معك أراقب حالك ولاأغفل عنك لمزيد عنايتي بك وقد كنت في متناول يد فرعون ولكن يمينه لاتمتد لك بشر ولاتنالك بضرر ﴿إذ تمشي أختك﴾ لتجوس خبرك، فتجد عمال فرعون يطلبون مرضعةً

إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ
فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ
عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ
فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ
عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ
فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾
وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا
فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا
لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ
أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ
﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ
ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ
وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ
كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾

ترضعك ﴿فتقول﴾ لهم ﴿هل أدلكم على من يكفله﴾ بالحضانة والإرضاع ﴿فرجعناك﴾ رددناك ﴿إلى أمك كي تقر عينها﴾ وتسر ﴿ولاتحزن﴾ بفقدك ﴿وقتلت نفساً﴾ هو القبطي الذي وكزه موسى فقضى عليه ﴿فنجيناك من الغم﴾ بعد أن ائتمر بك الملأ ليقتلوك ﴿وفتناك فتونا﴾ أي اختبرناك اختباراً وابتلاء بالخوف والهرب من القصاص والغربة ومفارقة الأهل والوطن ورعي الغنم ـ وقد ترعرع في قصر أعظم ملوك الأرض ـ ﴿فلبثت سنين﴾ بالفتنة ﴿في أهل مدين﴾ أجيراً ترعى غنم شعيب ﴿ثم جئت على قدر ياموسى﴾ هو مقدار ماحصلته من العلم والعمل ومااكتسبته من فعلية الكمال ﴿واصطنعتك﴾ أحسنت إليك واتخذتك ﴿لنفسي﴾ أي وجعلتك خالصاً لنفسي، فيما نلته من النعم، فالجميع مني وإحساني، ولايشاركني فيك غيري. ٤٢ ـ ﴿اذهب أنت وأخوك﴾ تجديد للأمر الذي أمر به موسى وحده أولاً ﴿بآياتي﴾ وعد جميل بالتأييد بغير الآيتين ﴿ولاتنيا﴾ لاتفترا ﴿في ذكري﴾ أي في الدعوة إلى الإيمان به تعالى وحده. ٤٣ ـ ٤٤ ـ ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى﴾ متجاوزاً الحد ﴿فقولا له قولاً ليناً﴾ دون خشونة أو عنف وهو من أوجب واجبات الدعوة ﴿لعله يتذكر﴾ رجاء تذكره ويقظة قلبه وقبوله حجة المذكر وإيمانه به ﴿أو يخشى﴾ والخشية من مقدمات القبول. وقد كان استعباده بني اسرائيل إجراء سياسياً خوفاً من تكاثرهم وغلبتهم، وفي سبيل الملك والحكم لايتحرج الطغاة من ارتكاب أشد الجرائم وحشية وأشنعها همجية كفرعون يقتل الذكور ويستحيي الإناث. ٤٥ ـ ﴿قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا﴾ فيعجل بالعقوبة، ويتقدم بها قبل إتمام الدعوة وإظهار المعجزة ﴿أو أن يطغى﴾ يتجاوز حده في ظلمه فيقابل الدعوة بتشديد عذاب بني إسرائيل والاجتراء على ساحة القدس بما كان لايجترىء عليه قبل الدعوة. ٤٦ ـ ﴿قال لاتخافا﴾ من فرطه وطغيانه ﴿إنني﴾ حاضر ﴿معكما أسمع﴾ مايقال ﴿وأرى﴾ مايفعل فأنصركما ولاأخذلكما. ٤٧ ـ ﴿فأتياه فقولا إنا رسولا ربك﴾ تبليغ أنهما رسولا الله الذي هو ربه وإذا كان الله ربه فلا ربوبية له على الناس ﴿فأرسل معنا بني إسرائيل ولاتعذبهم﴾ تكليف شرعي موجه إلى فرعون ﴿قد جئناك بآية من ربك﴾ وحجة تثبت الرسالة ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾ ترغيب واستمالة فالسلامة منبسطة على من سعد واهتدى، فلايصادف مكروهاً لافي دنيا ولافي عقبى. ٤٨ ـ ﴿إنا قد أوحي إلينا أن العذاب﴾ وهو خلاف السلام ﴿على من كذب﴾ بالدعوة الحقة التي هي الهدى ﴿وتولى﴾ معرضاً عنها. وفي الآية من التقريع لفرعون والاستهانة به ولما تزين به من زخارف الدنيا مالايخفى. ٤٩ ـ ﴿قال﴾ فرعون ﴿فمن ربكما﴾ تغافلاً عن كونه سبحانه رباً له ﴿ياموسى﴾ طلب منه للمعرفة بحال من اتخذاه إلهاً، متغافلاً عن دعوتهما لله سبحانه دون الآلهة التي دأب الوثنيون على اتخاذها ومن هذه الآلهة الملوك والعظماء وفرعون منها، وهم يعبدون الآلهة استشفاعاً إليه تعالى ببعض خلقه، ولايمنع ذلك الملك الرب أن يتخذ إلهاً من الآلهة فيعبده وهو معبود لغيره من الرعية. ٥٠ ـ ﴿قالا ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه﴾ فهو واهب الوجود لكل موجود. وهذا برهان على أنه تعالى رب كل شيء ولا رب غيره ﴿ثم هدى﴾ كل شيء وأراه الطريق الموصل إلى كمال مطلوبه، فالجنين نطفة تصل إلى كمال خلقها بتشكلها إنساناً سوياً. وكمال خلقة الإنسان هو أن يدين بدين الحق فقد ألقى الله سبحانه الرابطة بين ماجُهِّزَ به الشيء وبين آثاره التي تنتهي به إلى غاية وجوده ومن ذلك هداية الإنسان بإراءته الطريق ليصل نحو كمال مطلوبه. وكذلك الرابطة بين الفعل والانفعال فانتقال الأشياء من جزء منها إلى جزء مصداق هدايته تعالى وتدبيره. فالله الموجد هو مالك التدبير. ولاتتم هداية الإنسان إلا بنبوة ومعاد. ٥١ ـ ﴿قال﴾ فرعون ﴿فما بال القرون الأولى﴾ وماهي حال الأقوام الماضين. الذين ماتوا ولاخبر عنهم؟ أإنهم لفي خلق جديد؟

٥٢ ـ ﴿قال علمها عند ربي﴾ فعلمه مطلق لايفوته شيء ﴿في كتاب﴾ مثبت محفوظ فجزاؤها يشكل لو جُهل بها، ولكنها معلومة دون خطأ أو تغيير أو زوال ﴿لايضل ربي﴾ نفي للجهل الإبتدائي ﴿ولاينسى﴾ نفي للجهل بعد العلم. فالضلال قصد الغاية بسلوك سبيل لايؤدي إليها، والنسيان خروج الشيء من العلم بعد دخوله فيه. ٥٣ ـ ﴿الذي جعل لكم الأرض مهداً﴾ فمن هداية الله أن أقر الإنسان في الأرض يحيا فيها حياة أرضية ليتخذ منها زاداً لحياته العلوية السماوية، كالصبي يقر في المهد ويربى لحياة أشرف ﴿وسلك لكم فيها سبلاً﴾ لمآربكم الحيوية ولتنتبهوا إلى أنه يجب إقامة منهج المعبود للوصول إلى حظيرة الكرامة ﴿وأنزل من السماء ماء﴾ ومنه مياه الأرض ﴿فأخرجنا به أزواجاً﴾ أصنافاً وأنواعاً ﴿من نبات شتى﴾ ليقوم بها بدنكم ويستدل بها عقلكم أن الله ربكم. فمع تنوعها فهي كل تسقى بماء واحد. ٥٤ ـ ﴿كلوا﴾ منها ﴿وارعوا أنعامكم﴾ فقد هداكم لأكلها لإبقاء حياتكم ﴿إن في ذلك لآيات لأولي النهى﴾ أي العقل وسمي نهى لنهيه عن اتباع الهوى. ٥٥ ـ ﴿منها خلقناكم﴾ فمن الأرض خلقتم ﴿وفيها نعيدكم﴾ فتعادون جزءاً منها ﴿ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ لترجعوا إلى الله، ففيها الدورة الكاملة من هداية الإنسان. ٥٦ ـ ﴿ولقد أريناه آياتنا كلها﴾ وهي آية العصا واليد وغيرها ﴿فكذب﴾ فهو دائم التكذيب لكل شيء ﴿وأبى﴾ تلبية الدعوة إلى الحق. ٥٧ ـ ﴿قال﴾ فرعون لصرف الناس عن الدعوة ﴿أجئتنا لتخرجنا من أرضنا﴾ اتهام له بأنه يريد إخراج القبط من أرض مصر، وهي تهمة سياسية يريد بها صرف الناس عن موسى، وإثارة مشاعرهم عليه بأنه عدو يريد طردهم من بيئتهم ولاحياة لمن لابيئة له ﴿بسحرك ياموسى﴾ اتهام له بالسحر لئلا يلزمه الاعتراف بصدق دعوته وآياته. ٥٨ ـ ﴿فلنأتينك﴾ أي أقسم لنأتينك ﴿بسحر مثله﴾ لقطع حجتك وإبطال إرادتك. ﴿فاجعل بيننا وبينك موعداً﴾ أي زمناً معلوماً ﴿لانخلفه نحن ولاأنت﴾ فنلتزم به ﴿مكاناً سوى﴾ مستوي الأطراف أو بيننا. ٥٩ ـ ﴿قال موعدكم يوم الزينة﴾ يظهر أنه يجري بينهم مجرى العيد ﴿وأن يحشر الناس﴾ فيخرجون من مقرهم ﴿ضحى﴾ أي وقت انبساط الشمس من النهار في ساعة مبصرة. واختيار المكان المكشوف مبالغة في التحدي. ٦٠ ـ ﴿فتولى فرعون﴾ وانصرف يعد العدة ﴿فجمع كيده﴾ أي مايكاد به من السحرة وسائر مايتوسل به إلى رئاسة الناس من عماله وأعوانه ﴿ثم أتى﴾ الموعد وحضره. ٦١ ـ ﴿قال لهم موسى﴾ لفرعون وأعوانه والسحرة ﴿ويلكم﴾ عذبكم الله عذاباً ﴿لاتفتروا على الله كذباً﴾ إن تسمية آيات الله سحراً، ورمي الدعوة بتهمة سياسية هي إخراج الناس عن أرضهم، والإتيان بالسحر قبال المعجزة، مع الاعتراف بكونها سحراً، لايعد افتراء على الله وإنما افتراء الكذب على الله وهو الاعتقاد بأصول الوثنية كألوهية الآلهة، وشفاعتها، ورجوع تدبير العالم إليها ﴿فيسحتكم بعذاب﴾ أي فيستأصلكم ويهلككم لشرككم ﴿وقد خاب﴾ يئس من بلوغ النتيجة المأمولة ﴿من افترى﴾ فالأسباب

قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾

الكاذبة لاتهتدي إلى مسببات حقة، وآثار صادقة فنتائجها غير صالحة للبقاء، ولاتسوق الإنسان إلى السعادة بل إلى الخسران. ٦٢ ـ ٦٤ ـ ﴿فتنازعوا﴾ تخالفوا ﴿أمرهم بينهم﴾ وقد أثرت موعظة موسى أثرها ﴿وأسروا النجوى﴾ وهم فرعون وأياديه فتساروا في الكلام في أمر موسى، واجتهدوا لرفع الخلاف الحاصل من بينهم ويظهر أن بعض القلوب تأثرت من كلام موسى فدب الجدال بين السحرة همساً ﴿قالوا﴾ في نجواهم للقوم ومنهم السحرة ﴿إن هذان لساحران﴾ وليسا ذوي إسناد غيبي إلى الله ﴿يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما﴾ والقضية لاتتعدى خطة سياسية لإخراج أمة القبط من أرضها ﴿ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾ وستتكم القومية، التي هي ملة الوثنية الحاكمة فيهم قرناً بعد قرن. والعامة تقدس السنن القومية وخاصة ماعتادت عليها منها وأذعنت أنها سنن سماوية ﴿فأجمعوا كيدكم﴾ ودعوا الاختلاف ولاتهنوا في حفظ ملتكم ومدنيتكم ﴿ثم ائتوا صفاً﴾ واحداً على عدوكم. ويظهر أن السحرة هم أول من أظهروا الشقاق، وشدد فرعون الدعوة لهم لمقارعة العدو. ﴿وقد أفلح اليوم من استعلى﴾ فلوا استعلى موسى عليهم كان في ذلك فناؤهم وإخراجهم من أرضهم وقد وعدهم فرعون بالأجر والتقريب إن غلبوا. ٦٥ ـ ٦٩ ـ ﴿قالوا ياموسى إما أن تلقي﴾ فتبدأ أنت ﴿وإما أن نكون أول من ألقى﴾ فاختر ﴿قال﴾ موسى ﴿بل ألقوا﴾ وهو معتمد على ربه واثق بوعده له ﴿فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليهم من سحرهم أنها تسعى﴾ كما خيل إلى غيره من الناظرين أيضاً، وقد سحروا أعين الناس واسترهبوهم ﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى﴾ أحسّ في نفسه خوفاً خفياً خفيفاً ﴿قلنا لاتخف﴾ للتقوية والتأييد ﴿إنك أنت الأعلى﴾ فأنت فوقهم من كل جهة، فلا تخف فمعك الحق ومعهم الباطل، معك العقيدة ومعهم الخرافة، معك الله ومعهم وعد فرعون ﴿وألق مافي يمينك﴾ وليس للشيء من الحقيقة إلا ماأراد الله، فإن أراد لما في اليمين أن تكون عصا كانت عصا، وإذا أراد أن تكون حية كانت حية ﴿تلقف ماصنعوا﴾ بالسحر وتأتي عليه. فالمغالبة واقعة بين القدرة المطلقة التي تتبعها الأشياء في أسمائها وحقائقها وبين الصنع البشري الذي لايعدو أن يكون كيداً باطلاً. ﴿إن ماصنعوا كيد ساحر﴾ فنالوا بسحرهم خيالاً من الناظرين لاحقيقة له ﴿ولايفلح الساحر حيث أتى﴾ فلاحقيقة ولا فلاح ولاسعادة لهم. لأن الباطل كان زهوقاً فالباطل يزين أموراً ويشبهها بالحق ولكن الحق يمحق الباطل ويزهقه وعصا موسى تلقف سحر السحرة. ٧٠ ـ ﴿فألقي السحرة سجداً﴾ وقد أذلتهم القدرة الإلهية وغشاهم الحق بظهوره ﴿قالوا آمنا برب هارون وموسى﴾ للدلالة على ربوبيته تعالى ورسالة موسى وهارون. ٧١ ـ ﴿قال﴾ فرعون ﴿آمنتم له قبل أن آذن لكم﴾ تهديد من فرعون للسحرة، فإذا كانت الجملة استفهامية فالاستفهام للإنكار. وإذا كانت خبرية فهي مسوقة لتقرير الجرم ﴿إنه لكبيركم﴾ رئيسكم ﴿الذي علمكم السحر﴾ ـ وليس الأمر هو الإيمان الذي تردد في قلوبهم ـ رمي لهم بتوطئة سياسية مسبقة على المجتمع القبطي

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

لإذهاب طريقته المثلى وسنته القومية، وفي هذا الكلام تهييج للعامة عليهم كما سبق أن رمى فرعون موسى (ع) بمثله. ﴿فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ إيعاد لهم وتهديد بشديد العذاب ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ أي سوقه ﴿ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى﴾ فأنا القادر على تعذيبكم وسومكم سوء العذاب وطول أمده. ٧٢ ـ ﴿قالوا﴾ أي السحرة ﴿لن نؤثرك﴾ لن نختار ماتدعي أنك تملكه من الدنيا العريضة بمالها ومنالها ولذائذها الفانية، وعزتها وزخارفها، وهي كلها سراب باطل ﴿على ماجاءنا من البينات﴾ كآية العصا واليد أو غيرها ﴿والذي فطرنا﴾ ولن نختارك بل نختار الله الذي خلقنا ونختار ولايته، والاعتزاز بعزته ولانخاف غيره جل وعلا ﴿فاقض ماأنت قاض﴾ فلك ماتريد وماتقضي وقد غرك جهلك، واتبعت باطلك، وزينت لك نفسك. فأنت تظن أنك متصرف في النفوس لاتؤمن إلا بإذنك، وترى أن لاحقيقة للإنسان إلا هذه البنية الجسمانية الفانية ﴿إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ الفانية، ولانهاب أن نخسرها إذا كان في ذلك ربح الآخرة الباقية التي هي مدار السعادة والشقاء. لقد سقط فرعون وزخارف دنياه من النفوس ليعلو الحق فيها. ٧٣ ـ ﴿إنا﴾ اخترنا الله ﴿آمنا بربنا﴾ وقد خلقنا وهو المدبر لأمرنا ﴿ليغفر لنا خطايانا﴾ ويسترها ﴿وماأكرهتنا عليه من السحر﴾ الذي كنت تكلفناه فلا نملك لك عصياناً وهو من هذه الخطايا ﴿والله خير وأبقى﴾ فملاك الخيرية والكمال والبقاء لله فعنده تعالى صفات كل كمال. ٧٤ ـ ٧٦ ـ ﴿إنه من يأتي ربه مجرماً﴾ بكفر أو معصية ﴿فإن له جهنم لايموت فيها ولايحيى﴾ تعليل لجعل غفران الخطايا غاية للإيمان بالله. أي لأن من لم تغفر خطاياه كان مجرماً، فله جهنم لايموت فينجو من مقاساة عذابها ولايحيى لأنه لاينال ماتطلب الحياة به وهذا هو العذاب الباقي لاماتتوعدنا به في الدنيا ﴿ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات﴾ مقابلة مع الكفر والعصيان ﴿فأولئك لهم الدرجات العلى﴾ والمنزلة السامية ﴿جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ فهي الباقية وماعذاب فرعون باقٍ ﴿ذلك جزاء من تزكى﴾ بالإيمان والعمل الصالح. والتزكي هو التنمي بالنماء الصالح. ٧٧ ـ ﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي﴾ فسر بهم ليلاً ﴿فاضرب لهم﴾ بعصاك ﴿طريقاً في البحر يبساً﴾ جافاً ﴿لاتخاف دركاً﴾ فلايتبعك أحد ﴿ولاتخشى﴾ فلن ينالك ماتخشاه ٧٨ ـ ﴿فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ماغشيهم﴾ تمثيل لهول الموقف وقد غشيهم الماء من كل جانب ٧٩ ـ ﴿وأضل فرعون قومه﴾ فأوردهم مورد التهلكة ﴿وماهدى﴾ وقد كذب فيما قال لهم: وماأهديكم إلا سبيل الرشاد. وهل يملك الطغاة رشاداً غير هذا. ٨٠ ـ ﴿يابني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم﴾ فرعون بإغراقه بعد طول المحنة ﴿وواعدناكم جانب الطور الأيمن﴾ ولعلها مواعدة موسى أربعين ليلة لميقات ربه ﴿ونزلنا عليكم المن والسلوى﴾ تذكير بمنن الله عليهم. ٨١ ـ ﴿كلوا من طيبات مارزقناكم﴾ إباحة في صورة الأمر ﴿ولاتطغوا فيه﴾ بكفران النعمة وعدم أداء الشكر كما قالوا: ياموسى لن نصبر على

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۖ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾

طعام واحد الخ ﴿فيحل﴾ أي يجب ﴿عليكم غضبي﴾ ومصداقه إصابة المكروه للعبد بتهيئة الأسباب عن معصية عصاها ﴿ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾ وسقط وهلك. ٨٢ ـ ﴿وإني لغفار﴾ وعد بالرحمة المؤكدة عقيب الوعيد الشديد ﴿لمن تاب﴾ أي رجع عن المعصية إلى الطاعة وعن الشرك إلى التوحيد ﴿وآمن﴾ بالله وآياته من أنبياء ورسل وأحكام ﴿وعمل صالحاً﴾ بتبديل المخالفة إلى طاعة ﴿ثم اهتدى﴾ هل المراد بالهداية أن لايضل في نفس ماتاب منه؟ أو أن لايضل في غيره؟ أو المعنيان؟ وبالنظر لسيرة جل بني إسرائيل يظهر أنهم يؤمنون بالله سبحانه ويصدقون رسالة موسى وهارون ولكنهم متوقفون في ولايتهما. يتبين أن المراد بالاهتداء هو الإيمان بالرسول باتباعه في أمر الدين والدنيا وبعبارة أُخرى المراد هو الإهتداء إلى ولايته والالتزام بما يأمرهم به من أحكام وغيرها. والنبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فله تدبير أمر الناس في دينهم ودنياهم، ثم جعل الأمر من بعده إلى الإعتصام بما إن تمسك به المؤمن لايضل بعده كما تواتر عنه ﷺ من حديث الثقلين ونظائره. ٨٣ ـ ٨٤ ـ ﴿وماأعجلك عن قومك﴾ وهم السبعون المختارون للميقات ﴿بالموسى﴾ فحضرت ميعاد الطور قبلهم ﴿قال هم أولاء على أثري﴾ وسيلحقون بي عما قريب ﴿وعجلت إليك رب لترضى﴾ فإسراعي لتحصيل رضاك، وأنت أعلم بسبب حضوري. ٨٥ ـ ﴿قال فإنا قد فتنا﴾ اختبرنا ﴿قومك﴾ من بعدك فلا تكن واثقاً منهم على ماخلفتهم فيه فقد ضلوا ﴿وأضلهم السامري﴾ الذي سبك لهم العجل فعبدوه. ٨٦ ـ ﴿فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً﴾ وقد اشتد به الغضب والحزن ﴿قال ياقوم﴾ تأنيباً لهم ﴿ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً﴾ بأن ينزل عليكم التوراة فيها حكم الله وفي الأخذ بها سعادة الدنيا والآخرة، أو أن ينجيكم ويخصكم بنعمه ﴿أفطال عليكم العهد﴾ وهو مدة مفارقة نبيكم لكم حتى تيأسوا من رجوعه فيختل النظم بينكم ﴿أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم﴾ فطغيتم بالكفر بعد الإيمان، وعبدتم العجل ﴿فأخلفتم موعدي﴾ فتركتم ماوعدتموني من حسن الخلافة بعدي. ٨٧ ـ ﴿قالوا ماأخلفنا موعدك بملكنا﴾ وتدبيرنا. فلم نملك من الأمر شيئاً، ولم نصرف في صوغ العجل شيئاً من أموالنا ﴿ولكنا حملنا أوزاراً﴾ أي أثقالاً ﴿من زينة القوم﴾ من الحلي وغير ذلك من زينة قوم فرعون ﴿فقذفناها﴾ وطرحناها ﴿فكذلك ألقى السامري﴾ ماطرحناه في النار أو ألقى ماعنده كما ألقينا. ٨٨ ـ ﴿فأخرج لهم﴾ أي صنع لهم خفية عن الناس ﴿عجلاً جسداً﴾ جثة لاروح فيها ﴿له خوار﴾ وهو صوت العجل ﴿فقالوا﴾ أي قال جمع منهم والسامري منهم ﴿هذا إلهكم وإله موسى فنسي﴾ أي نسي موسى إلهه هذا وهو هنا وذهب يطلبه في الطور. وهذا من بقية قول الجمع، أو نسي السامري ربه فأتى بما أتى فأضل القوم. ٨٩ ـ ﴿أفلا يرون﴾ توبيخ لهم ﴿ألا يرجع إليهم قولاً﴾ إذ لايستجيب العجل الجسد لمن يدعوه ﴿ولايملك لهم ضراً﴾ فيدفعه عنهم ﴿ولانفعاً﴾ يوصله. ٩٠ ـ ﴿ولقد قال لهم هارون من قبل﴾ تأكيداً لتوبيخهم وتقريراً لجرمهم

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ
وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا
يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ
يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا
أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ
﴿٩١﴾ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ
أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۖ
إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ
قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ
بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ
فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ
فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ
مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ
عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا
إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

﴿ياقوم إنما فتنتم به﴾ فهو اختبار لكم وأنا أذكركم بأنه صنم ﴿وإن ربكم الرحمن﴾ هو الإله الحق ﴿فاتبعوني وأطيعوا أمري﴾ فطريقي طريق الهدى. ٩١ ـ ﴿قالوا لن نبرح﴾ سنداوم ﴿عليه عاكفين﴾ ملازمين لعبادته ﴿حتى يرجع إلينا موسى﴾ فنرى ماذا يقول فيه. ٩٢ ـ ٩٣ ـ ﴿قال﴾ موسى ﴿ياهارون مامنعك إذ رأيتهم ضلوا﴾ باتخاذهم العجل ﴿ألاتتبعن﴾ أي أن تتبعني ـ لا زائدة ـ وتسلك طريقتي بمنعهم عن الضلال مع الشدة في جنب الله ﴿أفعصيت أمري﴾ وهو أن تتبعني ولاتتبع سبيل المفسدين. ٩٤ ـ ﴿قال﴾ هارون ﴿يابنؤم﴾ استرحاماً واسترقاقاً ﴿لاتأخذ بلحيتي ولابرأسي﴾ لتضربني ﴿إني خشيت أن تقول﴾ إذا منعتهم ﴿فرقت بين بني إسرائيل﴾ إلى مؤمن مطيع، ومشرك كافر وليس في عملي إقرار على عبادتهم العجل بعد تقديم النصح لهم، وأن تقول أيضاً ﴿ولم ترقب قولي﴾ إذ أمرتني بالإصلاح والتفريق ربما جر إلى الاقتتال. ٩٥ ـ ﴿قال فما خطبك ياسامري﴾ وماهذا الأمر العظيم الذي جئت به. ٩٦ ـ ﴿قال بصرت بما لم يبصروا به﴾ أي رأيت مالم يروه ﴿فقبضت قبضة من أثر الرسول﴾ وقد اختلفوا في تفسير ذلك فقد قيل إنه أثر جبريل (ع) حين أغرق فرعون وجنوده وقيل إنه اقتفى أثر موسى (ع) في رسالته لقومه وقيل أن الزينة كانت لموسى وقد صنع السامري العجل من هذه الزينة وهي أثر موسى ﴿فنبذتها﴾ أي طرحتها ﴿وكذلك سولت لي نفسي﴾ فقد صنعت بتسويلها العجل من الزينة. ٩٧ ـ ﴿قال﴾ موسى ﴿فاذهب﴾ قضاء بطرده عن المجتمع ﴿فإن لك في الحياة أن تقول لامساس﴾ فلا يقربك أحد بصحبة أو إيواء أو تكليم، فتتحسر من الوحدة والوحشة ودوامهما. وروي أنه دعاء ابتلي بعده بمرض لايقترب منه أحد إلا أصابته حمى شديدة فكان يقول لمن اقترب منه لامساس لامساس، وقيل ابتلي بوسواس فكان يتوحش ويفر من كل من يلقاه وينادي لامساس ﴿وإن لك موعداً لن تخلفه﴾ فسوف تهلك فيه، وقيل المراد به عذاب الآخرة ﴿وانظر إلى إلهك﴾ العجل ﴿الذي ظللت﴾ أي دمت ﴿عليه عاكفاً﴾ ملازماً لعبادته ﴿لنحرقنه﴾ أي أقسم لنحرقنه، وقيل لنبردنه لأنه من الحديد ﴿ثم لننسفنه في اليم نسفاً﴾ أي نذروه ذروا. ٩٨ ـ ﴿إنما إلهكم الله﴾ فهو الإله الحق ﴿الذي لا إله إلا هو﴾ فلا يشاركه في ألوهيته غيره من عجل أو شريك مفروض ﴿وسع كل شيء علماً﴾ فكل مايسمى شيئاً فقد وسعه علم الله. ٩٩ ـ ﴿كذلك﴾ أي كما ذكرنا في قصة موسى ﴿نقص عليك﴾ يامحمد ﴿من أنباء ماقد سبق﴾ من الأمور والحوادث الماضية، والأمم الخالية ﴿وقد آتيناك من لدنا ذكراً﴾ هو القرآن الكريم أو مايشتمل عليه من المعارف. ١٠٠ ـ ﴿من أعرض عنه﴾ أي عن الذكر ﴿فإنه يحمل يوم القيامة وزراً﴾ أي ثقلاً من أثر الوزر. ١٠١ ـ ﴿خالدين فيه﴾ أي في الوزر، فالأعمال تتجسم والإنسان يعذب بعمله ويخلد فيه ﴿وساء لهم يوم القيامة حملاً﴾ فساء مايزرون. ١٠٢ ـ ﴿يوم ينفخ في الصور﴾ كناية عن الإحضار والدعوة ﴿ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً﴾ وإذا ذهب نور العين ازرق ناظرها على ماقيل. ١٠٣ ـ

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾

﴿يتخافتون بينهم﴾ فيتخاطبون بخفض الصوت من أهل المحشر لهول المطلع ﴿إن لبثتم إلا عشراً﴾ فيقولون مالبثتم في الدنيا قبل الحشر إلا عشرة أيام، فيستقلون لبثهم بقياسه إلى مايلوح لهم من حكم الخلود، ﴿قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادين﴾. ١٠٤ ـ ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ فلنا إحاطة علمية بجميع مايقولون ﴿إذ يقول أمثلهم طريقة﴾ وهي الأقرب إلى الصدق ﴿إن لبثتم إلا يوماً﴾ فلامقدار له أمام الليث الأبدي. ١٠٥ ـ ١٠٧ ـ ﴿ويسألونك﴾ يامحمد ﴿عن الجبال﴾ يوم القيامة ﴿فقل ينسفها ربي نسفاً﴾ أي يذروها ﴿فيذرها﴾ بتركها ﴿قاعاً صفصفاً﴾ أي أرضاً مستوية ملساء ﴿لاترى فيها عوجاً﴾ أي منخفضاً ﴿ولاأمتاً﴾ أي مرتفعاً. ١٠٨ ـ ﴿يومئذ يتبعون الداعي لاعوج له﴾ فيستجيبون للذي يدعوهم وليس لهم أن يتوقفوا أو يستنكفوا لأن ذلك فرع القدرة والاستطاعة، وهم اليوم يعاينون أن الملك لله الواحد القهار ﴿وخشعت الأصوات للرحمن﴾ فلا ارتفاع لها لأنه ليس لأحد أن يتكبر أو يتمرد ﴿فلا تسمع﴾ يامحمد ﴿إلا همساً﴾ أي صوتاً خفياً من الذلة والمسكنة. ١٠٩ ـ ﴿يومئذ لاتنفع الشفاعة﴾ كناية عن أن القضاء عدل والحكم فصل على حسب الوعد والوعيد ﴿إلا من أذن له الرحمن﴾ فلاشفعاء إلا بإذنه فلاتكلم نفس إلا بإذنه ﴿ورضي له قولاً﴾ فلا يخالطه مايسخط الله من خطأ أو خطيئة، ولايكون ذلك إلا ممن أخلص الله سريرته من الخطأ في الاعتقاد والخطيئة في العمل. ١١٠ ـ ﴿يعلم مابين أيديهم وماخلفهم﴾ فليس في وسعهم أن يغروه بقول غير مرضي، وإن كانت راجعة إلى المجرمين فالله محيط بأعمالهم في الدنيا ومحيط بحالهم بعدها ﴿ولايحيطون به علماً﴾ وهو محيط بهم يجازيهم ولا يستطيعون رد حكمه لخيبتهم. ١١١ ـ ﴿وعنت الوجوه﴾ أي ذلت فلا مانع لحكمه تعالى فيهم ﴿للحي﴾ دائم الحياة وقد أحيا أمواتاً ﴿القيوم﴾ القائم بكل أمر، وقد تقطعت دونهم الأسباب. ١١٢ ـ ﴿وقد خاب من حمل ظلماً﴾ فله سوء الجزاء، لكن لاكل من حمل ظلماً من مؤمن أو كافر، لأن المؤمن لايخيب بالشفاعة ﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن﴾ فالكفر يحبط العمل الصالح ﴿فلا يخاف ظلماً ولاهضماً﴾ فله أجره غير منقوص. ١١٣ ـ ﴿وكذلك﴾ وكما بينا الآيات ﴿أنزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه﴾ حولنا فيه من حال إلى حال ﴿من الوعيد﴾ والإنذار ﴿لعلهم يتقون﴾ المعاندة واللجاج ويخشون من الخطر لاحتمال كونه حقاً ﴿أو يحدث لهم ذكراً﴾ فيتذكرون الحق فيعتقدون به. ١١٤ ـ ﴿فتعالى الله﴾ تسبيح له وتنزيه ﴿الملك الحق﴾ فهو يتصرف في ملكه بهداية الناس ووعدهم ووعيدهم ثم إحضارهم ومجازاتهم ﴿ولاتعجل بالقرآن﴾ يامحمد ﴿من قبل أن يقضى إليك وحيه﴾ قبل أن يتم إنقضاء الوحي ﴿وقل رب زدني علماً﴾ فبدل الاستعجال اطلب زيادة العلم. ١١٥ ـ ﴿ولقد عهدنا﴾ بمعنى أوصينا ﴿إلى آدم من قبل فنسي﴾ وترك الوصية ﴿ولم نجد له عزماً﴾ أي قصداً جازماً إلى حفظها أو صبراً عليها. فما يريد الله هو التحرر من رغبات النفس مع ضبط سلوكها والتحكم فيها والاستعلاء عليها. ١١٦ ـ ﴿وإذ قلنا للملائكة

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾

اسجدوا لآدم﴾ بعد أن تنفخ فيه الروح ﴿فسجدوا﴾ لأمر ربهم ﴿إلا إبليس أبى﴾ امتنع واستكبر.

١١٧ ـ ١٢١ ـ ﴿فقلنا ياآدم﴾ تحذيراً له من إبليس ﴿هذا عدو لك ولزوجك﴾ فلا تقبل منه شيئاً لأنه عدو ﴿فلا يخرجنكما من الجنة﴾ بالغفلة عن كيده والاستهانة بمكره ﴿فتشقى﴾ أي تتعب بمشقة الحياة الأرضية وتكاليفها، لمعاشك ومعاش زوجك ﴿إن لك أن لاتجوع فيها﴾ أي في الجنة. ﴿ولاتعرى﴾ من اللباس ﴿وأنك لاتظمأ فيها ولاتضحى﴾ أي لاتصيبك حرارة الشمس ﴿فوسوس إليه الشيطان قال ياآدم هل أدلك على شجرة الخلد﴾ وهي الشجرة المنهية ﴿وملك لايبلى﴾ أي سلطان لايتأثر بمرور الدهر فتبقى خالداً ﴿فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما﴾ والسوأة هي مايسوء الإنسان ظهوره ﴿وطفقا يخصفان﴾ أي يضمان ﴿عليهما من ورق الجنة﴾ لستر سوآتهما. ﴿وعصى آدم ربه﴾ معصية أمر إرشادي لامولوي غايته إحراز المأمور خيراً أو منفعة من خيرات حياته بانتخاب الطريق الأصلح. وليكن هذا معنى قول القائل أن الأنبياء على عصمتهم يجوز لهم ترك الأولى ومنه أكل آدم (ع) من الشجرة ﴿فغوى﴾ الغي خلاف الرشد الذي هو بمعنى إصابة الواقع، وهو غير الضلال بمعنى الخروج من الطريق.فانظروا كيف نعيت على نبي الله زلته وعاقبتها خسارة الجنة فلا تتهاونوا بصغائر الأمور ولاتفرطوا بالجنة.

١٢٢ ـ ﴿ثم اجتباه ربه﴾ فجمعه لنفسه لايشاركه فيه أحد وجعله من المخلصين ﴿فتاب عليه وهدى﴾ أي ورجع إليه وهداه وسلك به إلى نفسه.

١٢٣ ـ ﴿قال﴾ مصدراً الأمر إلى الخصمين بالهبوط إلى أرض المعركة الطويلة ﴿اهبطا منها جميعاً﴾ وهو هبوط المنزلة وهو هبوط معنوي لايعني النزول من الجنة إلا أن يرجع الهبوط إلى الجنة بوجه ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ فالدار دار تزاحم، والتزاحم يفضي إلى الصراع والعداوة ﴿فإما يأتينكم مني هدى﴾ وهو آت لامحالة ﴿فمن اتبع﴾ الهادي الذي يهدي ﴿هداي﴾ وهو دين الفطرة والعمل به ﴿فلا يضل﴾ في طريقه ﴿ولايشقى﴾ في غايته التي هي عاقبة أمره.

١٢٤ ـ ﴿ومن أعرض عن ذكري﴾ بعدم اتباع الدعوة الحقة، وعدم الأخذ بأحكام الشريعة ﴿فإن له معيشة ضنكا﴾ أي ضيقة، لأنه لايبقى له إلا الدنيا، وكلما حصل منها على شيء زاد حباً لتحصيل ماهو أكثر، من غير أن يقف منها على حد. فهو دائماً في ضيق صدر وحنق مما وجد متعلق القلب بما وراءه. مع مايهجم عليه من الهم والحزن والقلق والاضطراب والخوف بنزول العوارض من موت ومرض وعاهة وحسد وكيد وخيبة سعي. ﴿ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ لايهتدي إلى مافيه سعادته وهو الجنة.

١٢٥ ـ ﴿قال ربي لم حشرتني أعمى﴾ لأبصر مافيه السعادة والفلاح والفوز بالكرامة، ﴿وقد كنت بصيراً﴾ في الدنيا وقيل في المعنى أنه عمى الأعين وقيل أنهم يحشرون مبصرين ثم يعمون وقيل يحشرون مبصرين ثم عمياً ثم مبصرين. ولادليل على أي منها.

١٢٦ ـ ﴿قال كذلك﴾ إشارة إلى حشره المذكور ﴿أتتك آياتنا فنسيتها﴾ معرضاً عن ذكر ربك، عاصياً، مجرماً، ﴿وكذلك اليوم تنسى﴾ فتترك اليوم أعمى لاتهتدي إلى النجاة. وجزاء سيئة سيئة مثلها.

١٢٧ ـ ﴿وكذلك نجزي من أسرف﴾ بتجاوز حد العبودية ﴿ولم يؤمن بآيات ربه﴾ وكفر بها وتركها، ﴿ولعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾ من عذاب الدنيا لكونه محيطاً بباطن الإنسان كظاهره، ولكونه دائماً لايزول.

١٢٨ ـ ﴿أفلم يهد لهم﴾ أي ألم يبين لهم طريق الاعتبار ﴿كم أهلكنا قبلهم من القرون﴾ وقد أهلكنا منهم الكثير ﴿يمشون في مساكنهم﴾ فأهل مكة يمرون بمساكن عاد بأحقاف اليمن، ومساكن ثمود وأصحاب الأيكة بالشام، ومساكن لوط بفلسطين ﴿إن في ذلك لآيات لأولي النهى﴾ أي أرباب العقول.

١٢٩ ـ ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ تقضي بتأخير عذابهم ﴿لكان﴾ هلاكهم ﴿لزاماً﴾ أي ملازماً لإسرافهم وكفرهم. ﴿وأجل مسمى﴾ ولكن الكلمة والأجل المسمى هو سبب تأخير العذاب.

١٣٠ ـ ﴿فاصبر على مايقولون﴾ وأنت راض عما قضاه الله ﴿وسبح بحمد ربك﴾ تنزيهاً له عما يقولون من كلمة

الشرك، ومايواجهونك به من السوء ﴿قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾ فداوم على التسبيح في هذه الأوقات ﴿ومن أناء الليل﴾ أي أوقات الليل ﴿فسبح﴾ بها ﴿وأطراف النهار﴾ وقيل إنها الفرائض اليومية، ولادليل عليه من جهة اللفظ ﴿لعلك ترضى﴾ بقضاء الله وقدره بالصبر والتسبيح والتحميد. وقيل لعلك ترضى بالشفاعة والدرجة الرفيعة، أو ماوعدك الله به.

١٣١ ـ ﴿ولاتمدن عينيك﴾ أي ولاتطيلن نظرك ﴿إلى مامتعنا به أزواجاً منهم﴾ أي تتعلق نفسك بما متعنا به أصنافاً من الكفار أو أزواجاً من النساء والرجال، متعناهم ﴿زهرة الحياة الدنيا﴾ وبهجتها ﴿لنفتنهم فيه﴾ ونختبرهم ونمتحنهم فيما متعناهم به ﴿ورزق ربك خير وأبقى﴾ في الآخرة.

قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

١٣٢ ـ ﴿وأمر أهلك﴾ أي خديجة زوج النبي ﷺ وعلياً (ع) أو هما وبعض بنات النبي لأن الآية مكية ﴿بالصلاة واصطبر عليها﴾ فالصلاة إظهار عبودية العابد للمعبود ﴿لانسألك رزقا﴾ ونحن في غنى عنك ﴿نحن نرزقك﴾ وأنت المحتاج المفتقر إلينا ﴿والعاقبة للتقوى﴾ فحسن العاقبة للمتقين.

١٣٣ ـ ﴿وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه﴾ وقول المشركين هذا إهانة للقرآن الكريم وتعجيز للنبي ﷺ باقتراح آية معجزة أُخرى ﴿أولم تأتهم بينة﴾ شاهد يشهد صحة ﴿مافي الصحف الأولى﴾ وهي التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية من حقائق المعارف والشرائع وقد أتى به أمي لامعلم له أو ألم تأتهم أخبار هلاك الماضين وقد اقترحوا المعجزات فكانت سبباً لهلاكهم واستئصالهم بعد كفرهم بها!.

١٣٤ ـ ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله﴾ لإسرافهم قبل أن تأتيهم البينة، لما تمت عليهم الحجة، ولكانت الحجة لهم علينا و ﴿لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك﴾ وهي التي تدل عليها البينة ﴿من قبل أن نذل﴾ بعذاب الاستئصال ﴿ونخزى﴾ أي نهون.

١٣٥ ـ ﴿قل كل﴾ منا ومنكم ﴿متربص﴾ منتظر ﴿فتربصوا﴾ فنحن ننتظر ماوعده الله فيكم، وننتظر تمام نوره، وأنتم تنتظرون بنا الهلاك لتبطلوا الدعوة الحقة، وكل منا يسلك سبيلاً إلى مطلوبه ﴿فستعملون من أصحاب الصراط السوي﴾ والطريق المستقيم الذي يوصل إلى الغاية ﴿ومن اهتدى﴾ إلى مطلوبه؛ وفيه إخبار بالفتح، كما فيه تهديد وملحمة.

سورة الأنبياء

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: الكلام حول النبوة المبنية على التوحيد والمعاد، إعراض الناس عن الدعوة وجزاؤهم، ذكر قصص جماعة من الأنبياء، ذكر يوم الحساب. ١ ـ ﴿اقترب للناس حسابهم﴾ على أعمالهم، فمن الواجب أن يستمعوا لما أنزل إليهم من ربهم ﴿وهم في غفلة معرضون﴾ فقد تعلقوا بالدنيا فامتلأت قلوبهم من حبها، فلم يبق فراغ فيها لذكر الحساب بحيث تتأثر به، حتى أنهم لو ذكِّروا لم يذكروا؛ كما لو كان مفضولاً لعدم تصوره من أصله. ٢ ـ ﴿مايأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ وحي جديد إلهي كالكتب السماوية ومنها القرآن الكريم الذي يتلوه النبي ﷺ عليهم ﴿إلا استمعوه وهم يلعبون﴾ ففي كل حال ينزل الذكر يكون حالهم اللعب، فلا يؤثر فيهم إحداث الذكر وتجديده أي أثر ولايمنعهم عن الاشتغال بلعب الدنيا. ٣ ـ ﴿لاهية قلوبهم﴾ فهي تشتغل بما يهمها ﴿وأسروا النجوى﴾ فتناجى ﴿الذين ظلموا﴾ سراً بينهم ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾ واتخذوا ذلك حجة لإبطال نبوته ﴿أفتأتون السحر﴾ وتقولون أنه آية النبوة ليس بآية معجزة من الله ﴿وأنتم تبصرون﴾ أنه سحر تعجزون عن مثله، ولاينبغي لذي بصر سليم أن يذعن بالسحر ويؤمن بالساحر فنقض دعوى السحر وإثبات إعجاز القرآن حجة على النبوة. ٤ ـ ﴿قال ربي يعلم القول في السماء والأرض﴾ فهو محيط علماً بكل قول سراً كان أم جهراً وفي كل مكان ﴿وهو السميع﴾ لأقوالكم ﴿العليم﴾ بأفعالكم فالأمر إليه وليس لي من الأمر شيء. ٥ ـ ﴿بل قالوا﴾ تدرجاً منهم في الرمي بالتكذيب ﴿أضغاث أحلام﴾ أي أخلاط رؤى غير منتظمة حسبها نبوة وكتاباً فأمره أهون من السحر ﴿بل افتراه﴾ والافتراء يستلزم التعمد ﴿بل هو شاعر﴾ ترقٍ في التكذيب لأن المفتري يتروى والشاعر يلفظ مايتخيل دون ترو؛ وربما أنكر الضروري، وأصر على الباطل. وأما إذا كان حال القرآن كما ذكر ﴿فليأتنا بآية﴾ مثل الناقة والعصا ﴿كما أرسل الأولون﴾ فليقتد بهم فيما احتجوا به على رسالتهم. والمشركون منكرون للنبوة من رأس فهم يتخبطون في طلبهم وافترائهم. ٦ ـ ﴿ماآمنت قبلهم من قرية أهلكناها﴾ فهم كاذبون في وعدهم بالإيمان، فلو أنزلنا مااقترحوه من آيات الأولين ﴿أفهم يؤمنون﴾ والحال أننا أنزلناها على الأولين ولم يؤمنوا بها وكان فيها هلاكهم. ٧ ـ ﴿وماأرسلنا قبلك﴾ من الأنبياء ﴿إلا رجالاً نوحي إليهم﴾ فالفرق بين الأنبياء وغيرهم هو الوحي الذي يختصون به، والخاص لايجب أن يعم كل بشر ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾ أي أهل الكتب السماوية فإنهم كانوا يشايعون المشركين في عداوة النبي ﷺ ﴿إن كنتم لاتعلمون﴾ واسألوهم هل كان الأنبياء الأولون إلا رجالاً من البشر؟ والخطاب

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ
ترتيبها ٢١ — آياتها ١١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾
مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ
يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ
تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ
ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ
﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ
﴿٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ
ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا
لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ
ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾
لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

في اسألوا يشمل كل من يقرع سمعه هذا الخطاب عالماً كان أو جاهلاً. ٨ ـ ﴿وماجعلناهم﴾ أي الأنبياء ﴿جسداً﴾ بلاروح ﴿لايأكلون الطعام﴾ فهم لم يفقدوا خواصهم البشرية ﴿وماكانوا خالدين﴾ فما عصمناهم من الموت. ٩ ـ ﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ بالنصر وإعلاء كلمة الحق ﴿فأنجيناهم ومن نشاء﴾ أي الرسل والمؤمنين، وكان حقاً علينا إنجاء المؤمنين ﴿وأهلكنا المسرفين﴾ المشركين المتعدين طور العبودية. ١٠ ـ ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً﴾ امتنان منه تعالى بإنزال القرآن على هذه الأمة ﴿فيه ذكركم﴾ أي الذكر اللائق بحالكم ﴿أفلا تعقلون﴾ أنه يحمل الهداية والمعارف، وأقوم مايمكن أن يجري في المجتمع البشري. ١١ ـ ١٥ ـ ﴿وكم قصمنا﴾ أي كسرنا بمعنى أهلكنا ﴿من﴾ أهل ﴿قرية كانت ظالمة﴾ لنفسها بالإسراف والكفر ﴿وأنشأنا﴾ أوجدنا ﴿بعدها قوماً آخرين﴾ غيرهم ﴿فلما أحسوا﴾ أي أهل القرية الظالمة

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾

﴿بأسنا﴾ وعذابنا ﴿إذا هم منها يركضون﴾ فيعدون هاربين كالمنهزمين. فيقال لهم تقريعاً ﴿لاتركضوا﴾ منها ولاتهربوا ﴿وارجعوا إلى ماأترفتم فيه﴾ من النعم ﴿و﴾ إلى ﴿مساكنكم﴾ ارجعوا ﴿لعلكم تسألون﴾ ويطلب منكم المساكين وأرباب الحوائج حاجتهم، فتستكبرون وأنتم تعتزون وتستعلون وتعدون أنفسكم أرباباً للتابعين من دون الله ﴿قالوا﴾ تندماً ﴿ياويلنا إنا كنا ظالمين﴾ لأنفسنا فالله هو ربنا ﴿فما زالت تلك دعواهم﴾ لما أتاهم العذاب ﴿حتى جعلناهم حصيداً﴾ محصوداً مقطوعاً ﴿خامدين﴾ ساكنين ساكتين، لايسمع لهم ركز. ١٦ ـ ﴿وماخلقنا السماء والأرض ومابينهما لاعبين﴾ فنزول العذاب على القرى الظالمة، حجة برهانية على ثبوت المعاد ثم في ضوئه النبوة. لأن من الواجب أن يميز الناس بين الخير والشر بهداية إلهية، وهذه هي الدعوة الحقة المعتمدة على النبوة وإلا كان الخلق لعباً ـ لاأثر له ولاثمر ـ لدفع ضجر أو ملل أو كسل وهو لهو ١٧ ـ ﴿ولو أردنا أن نتخذ لهواً﴾ لكان ذلك لرفع حاجة من حوائج اللاهي. فهو من الأسباب المؤثرة، ولامعنى لتأثير خلقه فيه تعالى واحتياجه إلى ماهو محتاج من كل جهة إليه تعالى بل وجب أن يكون تلهية بأمر غير خارج عن ذاته، أي ﴿لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين﴾ وهذا محال لاستلزامه حاجة في ذاته إلى مايشغله ويصرفه عما يجد في نفسه، فتكون ذاته مركبة من حاجة حقيقية متقررة فيها وأمر رافع لتلك الحاجة، ولاسبيل للنقص والحاجة إلى ذاته تعالى، كما أنه حاشا لله أن يذم الدنيا بتسميتها لعباً ولهواً ويكون هو أول اللاعبين ١٨ ـ ﴿بل نقذف﴾ نرمي ﴿بالحق﴾ وهو الثابت العين ﴿على الباطل﴾ وهو ماليس له عين ثابتة، لكنه يتشبه بالحق فيظن أنه حق ﴿فيدمغه﴾ الحق. ويبلغ به كل مبلغ ﴿فإذا هو زاهق﴾ هالك. إذ أن لله تعالى كمال كل شيء، وتفاضل الأشياء فيما بينها لاينفي نقصها، فما عداه فيه شوب بطلان فيظهر من هنا أن الخلقة هي امتزاج الحق والباطل كالسيل يحتمل زبداً رابياً، فأما الزبد فيذهب جفاء. وأما ماينفع الناس فيمكث في الأرض فالحق يبطل العقائد الباطلة وهي لوازم نقص الإدراك ويهلك من اتبعها من القرى الظالمة ﴿ولكم الويل مما تصفون﴾ وعيد بالهلاك للناس المنكرين للمعاد والنبوة.

١٩ ـ ٢٠ ـ ﴿وله من في السموات والأرض﴾ فهو متسلط على ملكه الشامل لكل شيء ولاينجو من حكمه أحد، ويتصرف كما يريد ﴿ومن عنده لايستكبرون عن عبادته﴾ وهم المخصوصون بموهبة القرب وربما انطبق على الملائكة المقربين ﴿ولايستحسرون﴾ فلايأخذهم عي ولاكلال في تسبيحهم. فالسنة الجارية بين الملوك والرؤساء ومواليهم وعبيدهم، أن العبد كلما زاد تقرباً من مولاه خفف عنه التكاليف والوظائف والرسوم لحاجة كل منهما للآخر فالأمر معاملة ومبايعة. وهذا بخلاف ملكه تعالى لعبيده فإنه في غنى عن مملوكه ومملوكه في حاجة مطلقة له فهم ﴿يسبحون الليل والنهار لايفترون﴾ فكلما زاد العبد قرباً كانت العظمة والكبرياء أكمل ظهوراً فيحس العابد بذلة نفسه وحاجتها أكثر ويلزمها الإمعان في خضوع العبودية وخشوع العبادة.

٢١ ـ ﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون﴾ أي يحيون الموتى، ويحاسبونهم، وليس لله سبحانه من أمر المعاد شيء حتى يخافوه؟ وهذا دفع لحجة منكري المعاد فآلهتهم من الأرض وحكم آلهتهم حكمهم من موت ونشور؛ أويراد التهكم والتحقير. فإذا كانوا يئسوا من اتخاذ الملائكة آلهة ولأنهم من عباده تعالى عن الالتجاء إليهم في أمر المعاد فهل يتخذون أصنامهم آلهة مكان أرباب الأصنام والتماثيل؟

٢٢ ـ ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ والنزاع بين الوثنيين والموحدين ليس في وحدة الإله فالله لاشريك له، وإنما النزاع في الإله بمعنى الرب المعبود فالوثنيون يعدون الأرباب موكلين بتدبير أمر العالم، وينبغي أن يعبدوا حتى يشفعوا لعبادهم ويقربوهم إلى الله زلفى فلو فرض أكثر من إله، لتعددت الإرادات لتعدد النزوات ولكان هناك تباين في تدبيرهم، فتفسد السماء والأرض، ولكن وحدة النظام تدل على وحدة المدبر الذي يفرض النظام الواحد الذي يسعد به أبناء البشرية، واختلافهم في الأنظمة يعود إلى عدم أخذهم بمنهج الله الواحد القهار ﴿فسبحان الله رب العرش﴾ تنزيهاً له وهو مالك التدبير ﴿عما يصفون﴾ بشركهم.

٢٣ ـ ﴿لايسأل﴾ الله تعالى عما يفعل ﴿وهم يسألون﴾ فالآلهة مسؤولون والسؤال إنما يكون لتمييز جهة المصلحة في الفعل والله حكيم لايفعل فعلاً إلا لمصلحة مرجحة فلامعنى للسؤال أما غيره تعالى فمن الممكن أن يفعل الباطل فلذا يجوز في حقهم السؤال حتى يؤاخذوا بالذم العقلي، أو العقاب المولوي إن لم يقارن الفعل المصلحة، والأوجه أن يقال: إن الله حكيم مالك للكل والكل مملوكون له ومقتضى ذلك أن يفعل ما يشاء وليس لغيره ذلك فمن براهين ربوبيته أنه لايسأل وأنه مالك لهم كما أن برهان عدم ربوبيتهم أنهم مسؤولون ومملوكون لأن الذي يُسأل هو من لايملك الفعل ـ إلا لمصلحة لازمة ـ فالله هو رب العرش العظيم وهم مربوبون داخرون.

٢٤ ـ ﴿أم اتخذوا من دونه ءالهة﴾ يعبدونهم، فاستغنوا بذلك عن عبادة الله وولايته المستلزمة للمعاد إليه وحسابه، ووجوب إجابة دعوة أنبيائه ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ فالدليل يدل على خلافه وهذا يدعى في فن المناظرة «المنع مع السند». فالدعوى التي لا دليل عليها لا تسمع ولا يجوز الركون إليها ﴿هذا ذكر من معي﴾ وهو القرآن ﴿وذكر من قبلي﴾ من الكتب السماوية وما فيها لا يوافقكم على كل ما ادعيتم بل يخالفكم فالذكر يحصر الألوهية والعبادة بالله تعالى ﴿بل أكثرهم لا يعلمون الحق﴾ ولا يميزونه من الباطل ﴿فهم معرضون﴾ عن الحق واتباعه.

٢٥ ـ ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول﴾ يامحمد ﴿إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ فالذكر يذكر توحيده ووجوب عبادته، والعقيدة الحقة لا تقوم إلا على التوحيد ونفي الشريك. ٢٦ ـ ٢٧ ـ ﴿وقالوا﴾ إشراكاً به ﴿اتخذ الرحمن ولداً﴾ فالملائكة بزعمهم أولاده سبحانه ﴿بل﴾ ـ تنزيه لنفسه ـ فهم ﴿عباد مكرمون﴾ من خلق الله مع بيان كمال عبادتهم فهم مكرمون بالعبادة لا بغيرها. ﴿لا يسبقونه بالقول﴾ فقولهم تبع وإرادتهم تبع ﴿وهم بأمره يعملون﴾ فهم تابعون له قولاً وفعلاً، فلا يريدون إلا ما أراد ولا يعملون إلا ما أراد، فمن كمال العبودية أن يكون العبد وإرادته مملوكين لمولاه ـ فعملهم قصر على مورد الأمر. ٢٨ ـ ﴿يعلم مابين أيديهم﴾ من أعمال وأقوال ﴿وماخلفهم﴾ من سبب به وجدوا وأصل عليه نشؤوا. فلذلك أكرم ذواتهم وحمد آثارهم. ﴿ولايشفعون إلا لمن ارتضى﴾ الله دينه،

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ٣١ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ٣٢ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٣٣ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ٣٤ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥

فالإيمان بالله من غير شرك هو الارتضاء، والوثنيون مشركون، وهم يشركون بالملائكة أنفسهم الذين لا يشفعون إلا لغير المشركين. ﴿وهم من خشيته مشفقون﴾ فهم يخشون سخطه وعذابه، مع الأمن منه بسبب عدم المعصية، فهو يملك بعد الأمن عين ماكان يملكه قبله، وهو على كل شيء قدير. ٢٩ ـ ﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه﴾ ومن شرطية، ولا تقتضي تحقق الشرط ﴿فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين﴾ فادعاء الربوبية ظلم، والشرك ظلم، والجزاء جهنم. ٣٠ ـ ﴿أو لم ير الذين كفروا﴾ أو لم يعلم الوثنيون وهم يفرقون بين الخلق والتدبير، بنسبة الخلق الى الله سبحانه والتدبير الى الآلهة ﴿أن السموات والأرض كانتا رتقاً﴾ أي متصلين عند خلقهما ﴿ففتقناهما﴾ بالفصل بينهما، وهذا من التدبير، فكيف يمكن قيام الخلق بواحد وقيام التدبير بآخرين؟! ﴿وجعلنا﴾ أي خلقنا ﴿من الماء كل شيء حي﴾ وقد اتضح ارتباط الحياة بالماء، أفلا يصدقون القرآن ؟ أفلا يصدقون مايرون من الأدلة ؟ ٣١ ـ ﴿وجعلنا في الأرض رواسي﴾ أي جبالاً ثابتة ﴿أن تميد بهم﴾ لئلا تضطرب الأرض بهم ﴿وجعلنا فيها فجاجاً﴾ أي طرقاً بين الجبال ﴿سبلاً لعلهم يهتدون﴾ الى مقاصدهم ومواطنهم وفي هذا دلالة على أن للجبال ارتباطاً بالزلازل. ٣٢ ـ ﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً﴾ وحفظناها من كل شيطان رجيم ﴿وهم عن ءاياتها معرضون﴾ فلايستدلون بالحوادث السماوية المختلفة على وحدة التدبير، واستناده الى موجدها الواحد. ٣٣ ـ ﴿وهو الذي خلق الليل والنهار﴾ أي حركة الاجرام السماوية بالنسبة لبعضها ولولا ذلك لما كان هناك ليل ولانهار ﴿والشمس والقمر﴾ ومدار كل منهما ﴿كل في فلك يسبحون﴾ تظهر في الآية إضافة فعل العقلاء لهما وهي للدلالة على أن حركتهما ذات آثار وغايات تدل على وحدة التدبير. ٣٤ ـ ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾ والحال أنهم كانوا يسلون أنفسهم بأن النبي ﷺ سيموت، فيتخلصوا من دعوته، وتنجوا آلهتهم من طعنه ﴿أفإن مت فهم الخالدون﴾ إنك ميت وإنهم ميتون. ولا يخرج من سلطان الله أحد ومرجع الجميع إليه وحسابهم عليه. ٣٥ ـ ﴿كل نفس﴾ إنسانية، فنفس الشيء معناها

الشيء ﴿ذائقة الموت﴾ فالموت ليس للروح ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ ليظهر صبركم على الفقر والحرمان والتعذيب والتهجير والكفاح، فحياة كل نفس حياة ابتلاء، والامتحان أمر مقدمي ومن الضروري ان لاتكون المقدمة خالدة، وبعد كل إمتحان موقف تتعين فيه نتيجته، ﴿وإلينا ترجعون﴾ فلكل نفس حية موت محتوم، ثم لها رجوع الى الله سبحانه لفصل القضاء. ومن الروايات المشهورة قول علي عليه السلام الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر. وورد في الحديث إن الله عز وجل إذا أحب عبداً غثه بالبلاء غثاً .ويتبين من الآية أن المراد بالنفس الإنسان لاغير فلاتشمل هنا الملائكة وسائر الحيوان إذ أن الروح ليست مما يتصف بالموت. والموت هو فقد الحياة وآثارها من الشعور والإرادة، كما أن معنى مفارقة النفس للبدن أو الانتقال من دارٍ إلى دارٍ مما يحدث عند الموت يُعَدُّ أمراً يثبته العقل. أما الهلاك والصعق فهما أمران غير الموت وإن انطبقا عليه. ٣٦ ـ ﴿واذا رءاك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا﴾ فهم يقصرون معاملتهم معه على اتخاذهم إياه هزؤاً يستهزأ به قائلين ﴿أهذا الذي يذكر ءالهتكم﴾ فهم يستهزئون به بالإشارة إليه بالوصف، ويأنفون من وصفه آلهتهم بأنها لاتنفع ولاتضر ﴿وهم بذكر الرحمن﴾ وهو القرآن ﴿هم كافرون﴾ فلا يقدسونه ويأنفون منه. ٣٧ ـ ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ لايعرف سواه نظيراً، والمشركون زيادة على كفرهم بالدعوة النبوية، يستهزئون بالنبي ﷺ والاستهزاء بعد الكفر تعرض للعذاب الالهي بعد تعرض، وهذا هو الاستعجال بالعذاب فإنهم لايقنعون بما جاءهم من الآيات وهم في عافية، بل يطلبون آيات تجازيهم بما صنعوا ﴿سأوريكم ءاياتي فلا تستعجلون﴾ وستعذبون بنار جهنم. ٣٨ ـ ﴿ويقولون﴾ للنبي والمؤمنين ﴿متى هذا الوعد﴾ وهو وعد العذاب ﴿إن كنتم صادقين﴾ مطالبة للرسول بما لايقدر عليه تعجيزاً، مع إضافة المؤمنين لإضلالهم وإغرائهم بمحادته. ٣٩ ـ ﴿لو﴾ للتهديد ﴿يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار﴾ فلا يملكون دفعاً للنار عن وجوههم ﴿ولاعن ظهورهم﴾ لا بالاستقلال من أنفسهم ﴿ولاهم ينصرون﴾ فلا ناصر لهم يدفعها عنهم من غيرهم. ٤٠ ـ ﴿بل تأتيهم﴾ النار ﴿بغتة﴾ فتفاجئهم ﴿فتبهتهم﴾ وتحيرهم لا يدرون من أين تأتيهم وتحيط بهم ﴿فلا يستطيعون ردها﴾ ودفعها ﴿ولاهم ينظرون﴾ ولا يمهلون في إتيانها. ٤١ ـ ﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك﴾ وقد استهزأ الكافرون بهم تصغيراً لقدرهم ﴿فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون﴾ فقد أحاط بهم وشملهم الذل الذي استهزؤا به، ونزل بهم العذاب الذي كذبوه. ٤٢ ـ ﴿قل من يكلؤكم﴾ يحفظكم ﴿بالليل والنهار من الرحمن﴾ إن أراد أن يعذبكم ﴿بل هم عن ذكر ربهم معرضون﴾ فلا تأثير للعظة والإنذار فيهم، ولا يصغون لتلاوة القرآن. ٤٣ ـ ﴿أم لهم ءالهة تمنعهم من دوننا﴾ أي أسألهم إن كان لهم آلهة قادرة أن تمنعهم منا، وهو استفهام إنكاري ﴿لايستطيعون نصر أنفسهم﴾ بأن ينصر بعضهم بعضاً ﴿ولا هم منا يصحبون﴾ يجارون ويحفظون، فكيف ينصرون عبادهم من المشركين. ٤٤ ـ ﴿بل متعنا هؤلاء وءاباؤهم﴾ ودام لهم التمتع ﴿حتى

وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا
أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ
هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ
ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ
لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا
هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ
بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ
ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ
لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ
أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ
وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى
ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾

طال عليهم العمر﴾ فاغتروا بذلك، ونسوا ذكر الله، وأعرضوا عن عبادته وهذه حال قريش بعد إسماعيل (ع) فقد نسوا دين إبراهيم (ع) وعبدوا الأصنام، ﴿أفلايرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾ كناية عن انقراض أمة بعد أمة ﴿أفهم الغالبون﴾ إن أرادهم الله سبحانه بضر أو هلاك وانقراض. ٤٥ ـ ﴿قل إنما أنذركم بالوحي﴾ وهو إلهي لا ريب فيه ﴿ولا يسمع الصم الدعاء إذا ماينذرون﴾ ولايؤثر فيكم الوحي والهداية لأنكم صم لا تسمعون الإنذار فالنقص في ناحيتكم لافيه. ٤٦ ـ ﴿ولئن مستهم نفحة﴾ ومضة ﴿من عذاب ربك﴾ لعدم نفع الإنذار فيهم ﴿ليقولن ياويلنا إنا كنا ظالمين﴾ فيضطرون ويؤمنون ويعترفون بظلمهم. ٤٧ ـ ﴿ونضع الموازين القسط﴾ العادلة ﴿ليوم القيامة﴾ ليحاسبوا بما عملوا ﴿فلا تظلم نفس شيئاً﴾ بل توفى كل نفس ما كسبت ﴿وإن كان﴾ العمل الموزون ﴿مثقال حبة من خردل﴾ في ثقله ﴿أتينا بها﴾ على دقتها ﴿وكفى بنا حاسبين﴾ فالله تعالى لايغادر صغيرة ولاكبيرة إلا أحصاها. ٤٨ ـ ٤٩ ـ ﴿ولقد ءاتينا موسى وهارون الفرقان﴾ وهو التوراة، يفرق بها الحق عن الباطل ومنهج الله عن منهج البشر ﴿وضياء﴾ تضيء مسيرة السعادة والفلاح ﴿وذكراً للمتقين﴾ يشتمل على مايذكر به الله من المواعظ والعبر والحكم، ولاينتفع بها إلا المتقين. ﴿الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون﴾ خائفون وهذا ما يستدر ابتعادهم عن مسالك الأهواء. ٥٠ ـ ﴿وهذا﴾ القرآن ﴿ذكر مبارك﴾ فهو ثابت كثير البركة ينتفع به المؤمن والكافر، وتتنعم به الدنيا سواء عرفته أو أنكرته ﴿أفأنتم له منكرون﴾ وأنتم تتنعمون ببركته. فما يشاهد اليوم من آثار الرشد والصلاح في المجتمع البشري إنما هو بسببه وبركته، حتى وإن أنكر الجاحدون حقه، وأعانهم على ذلك المسلمون بإهمالهم أمره، ﴿وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾. ٥١ ـ ﴿ولقد ءاتينا إبراهيم رشده من قبل﴾ والرشد هو إصابة الواقع، وقد اهتدى (ع) بالفطرة الى التوحيد وسائر المعارف الحقة ﴿وكنا به عالمين﴾ وبمبلغ استعداده ولياقته. وفي قصة إبراهيم إثباتٌ إلى أن العقائد يمكن تحصيلها بمحض الفطرة ولو لم تترافق مع الرسالة. فالعقل يثبت الألوهية وتفردها بالربوبية. ٥٢ ـ ﴿إذ قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون﴾ ملازمون لها، تعبدونها، وتقربون القرابين لها. ٥٣ ـ ﴿قالوا وجدنا ءاباءنا لها عابدين﴾ فنحن نتمسك بذيل السنة القومية. ٥٤ ـ ﴿قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين﴾ بعبادة ما لاينفع ولا يضر، في طريق لا تسلك بصاحبها الى ما فيه هدايته. ٥٥ ـ ﴿قالوا أجئتنا بالحق﴾ أي الجد ﴿أم أنت من اللاعبين﴾ فلا ثمرة مما تقول. ٥٦ ـ ﴿قال بل ربكم﴾ هو الله الواحد ﴿رب السموات والأرض﴾ وهو ﴿الذي فطرهن﴾ وخلقهن وخلق كل ماتزعمون من آلهة ﴿وأنا على ذلكم من الشاهدين﴾ مقر معترف بما أقول، ملتزم بما يترتب على ذلك من أثر. فأنا لست من اللاعبين بل أنا أعلم بذلك وأتدين به. ٥٧ ـ ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم﴾ وأدبر لها خفية

قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۖ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

مايسوءها ﴿بعد أن تولوا مدبرين﴾ دلالة على أنهم كانوا يخرجون من بيت الأصنام لعيد كان لهم أو نحوه، ومن المستبعد أن يكون قد خاطب كل القوم بذلك.

٥٨ ـ ﴿فجعلهم جذاذاً﴾ فتاتاً وقطعاً مكسرة ﴿إلا﴾ صنماً ﴿كبيراً لهم﴾ تركه سالماً ﴿لعلهم إليه يرجعون﴾ فيتهمونه في أمر أصنامهم. ٥٩ ـ ﴿قالوا من فعل هذا بآلهتنا﴾ استفهام بداعي التأسف مع رغبة في الكشف عن الفاعل ﴿إنه لمن الظالمين﴾ فقد تعدى على حق الآلهة وحقهم التعظيم، وظلم الناس بالتعدي على حقهم وهو احترام آلهتهم وظلم نفسه بالتعدي على ماليس له بحق. ٦٠ ـ ﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم﴾ بسوء ﴿يقال له إبراهيم﴾ إذ لا يتجرأ على هذا الفعل إلا المتجرىء على ذاك القول. ٦١ ـ ﴿قالوا فأتوا به على أعين الناس﴾ وأحضروه في مجمع منهم ومرآهم حيث كسرت الأصنام ﴿لعلهم يشهدون﴾ أنه ذكر الآلهة بسوء، فيكون ذلك ذريعة الى أخذ الإقرار منه بالجذ والكسر. ٦٢ ـ ﴿قالوا ءأنت فعلت هذا﴾ الاستفهام لتقرير الفاعل لا الفعل ﴿بآلهتنا ياإبراهيم﴾ إشارة إلى أنهم ماكانوا يعدون إبراهيم من عبدة الاصنام. ٦٣ ـ ﴿قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ وهذه دعوى بداعي إلزام الخصم، وهذا فرض وتقدير قصد به إبطال ألوهيتها، وليس خبراً جدياً البتة. فاسألوا الأصنام عن حقيقة الحال فيخبرونكم إن كانوا ينطقون. ٦٤ ـ ٦٥ ـ ﴿فرجعوا إلى أنفسهم﴾ فتنبهوا وتفكروا ﴿فقالوا﴾ أي قال كل لنفسه ﴿إنكم أنتم الظالمون﴾ حيث تعبدون جماداً لا ينطق. ﴿ثم نكسوا على رؤوسهم﴾ كناية عن قلب الحق وإلباسه الباطل ﴿لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾ فدفاعك عن نفسك برمي كبير الاصنام بالفعل وتعليق ذلك باستنطاق الآلهة مع العلم بأنها لاتنطق دليل على أنك أنت الفاعل. ٦٦ ـ ٦٧ ـ ﴿قال﴾ ليدعم دعوته وهي حق دون أن يشتغل بالدفاع عن نفسه ﴿أفتعبدون من دون الله ما لاينفعكم ولايضركم﴾ خصمهم بلازم قولهم: ﴿لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾ فعبادة كهذه لا تعدو أن تكون لغواً لاأثر له. ﴿أف لكم﴾ زجر لكم وتبر منكم ﴿ولما تعبدون من دون لله﴾ وقد ثبتت وحدانيته ﴿أفلا تعقلون﴾ توبيخ لهم. ٦٨ ـ ﴿قالوا﴾ بدل أن يكسروا أصنامهم وقد لزمتهم الحجة ﴿حرقوه وانصروا ءالهتكم﴾ فقد ثبت جرمه وهذا منطق الطغاة حين يفقدون الحجة ويعوزهم الدليل ﴿إن كنتم فاعلين﴾ وتريدون مجازاته. ٦٩ ـ ﴿قلنا يانار﴾ خطاب تكويني للنار التي أوقدوها لحرقه ﴿كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ فتبدلت حرارتها وإفناؤها برداً وسلاماً عليه. وليس للنار ولغيرها من أثر إلا ما أراده الله. ٧٠ ـ ﴿وأرادوا به كيداً﴾ فاحتالوا ليطفئوا نوره ويبطلوا حجته ﴿فجعلناهم الأخسرين﴾ حيث خسروا ببطلان كيدهم وعدم تأثيره وزادوا خسارة حيث أظهره الله عليهم بالحفظ والنجاة. ٧١ ـ ﴿ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾ وهي أرض الشام. ٧٢ ـ ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة﴾ أي عطية حيث وهبه إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، فهو ابن إسحاق ﴿وكلاً جعلنا صالحين﴾ فهم صالحون في أعمالهم كما هم صالحون في أنفسهم وعقيدتهم. ٧٣ ـ ﴿وجعلناهم

فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾

أئمة يهدون بأمرنا﴾ وهذه الهداية المجعولة من شؤون الإمامة ليست بمعنى إراءة الطريق لأن الله جعلهم أئمةً بعد النبوة فيبقى للإمامة معنى الإيصال إلى المطلوب؛ فهي نوع من التصرف التكويني في النفوس بتسييرها في سِيَر الكمال، أي هي الفيوضات المعنوية والمقامات الباطنية التي يتلبس بها المؤمنون برحمة من ربهم.﴿**وأوحينا إليهم فعل الخيرات**﴾ ذكر الفعل دون الأمر بالفعل ﴿**وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة**﴾ في الآية دلالة على تحقق الفعل، أي أن الوحي تعلق بالفعل الصادر عنهم، أي قارن الوحي الفعلي ﴿**وكانوا لنا عابدين**﴾ قبل ذلك ثم أيدوا بالوحي تسديداً وليس تشريعاً. ٧٤ ـ ﴿**ولوطاً ءاتيناه حكماً وعلماً**﴾ لفصل الخصومات أو أن الحكم من الحكمة ﴿**ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث**﴾ فأهلها يأتون الفاحشة ما سبقهم إليها أحد من العالمين ﴿**إنهم كانوا قوم سوء فاسقين**﴾ خارجين عن زي العبودية. فجعل الله عالي القرية سافلها كما قلبوا نظام الفطرة. ٧٥ ـ ﴿**وأدخلناه في رحمتنا إنه كان من الصالحين**﴾ فكان صلاحه مقدمة لفوزه بالنجاة ونيله الرحمة. ٧٦ ـ ﴿**ونوحاً إذ نادى من قبل**﴾ رب إني مظلوم فانتصر ﴿**فاستجبنا له**﴾ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر ﴿**فنجيناه وأهله من الكرب**﴾ والغم ﴿**العظيم**﴾ مما يشاهده من مظاهر الكفر ومعاندة قومه له وتهديدهم إياه. إلا إمرأته كانت من الغابرين وابنه كان من المغرقين. ٧٧ ـ ﴿**ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا**﴾ وما يكفر بآيات الله إلا القوم الظالمون ﴿**إنهم كانوا قوم سوء**﴾ لا صلاح ولا خير فيهم ﴿**فأغرقناهم أجمعين**﴾ وكذلك يفعل ربك بالمجرمين. ٧٨ ـ ﴿**وداود وسليمان إذ**﴾ يتشاوران وهما ﴿**يحكمان في الحرث**﴾ أي الزرع ﴿**إذ نفشت فيه غنم القوم**﴾ وانتشرت ترعى بلا راع فأفسدته فرفع الأمر إلى داود لأنه الملك الحاكم ﴿**وكنا لحكمهم**﴾ أي لحكم الأنبياء، وقد آتاهم الله الحكم والنبوة، ﴿**شاهدين**﴾ حاضرين؛ نرى ونسمع تناظرهما وتشاورهما في الحكم، إذ لا معنى لحكمين في واقعة واحدة فالحكم واحد وقد اختلفا في كيفية إجرائه عملاً. فقد حكم داود لصاحب الحرث برقاب الغنم وحكم سليمان له بمنافعها في تلك السنة من ضرع وصوف ونتاج. وكان ثمن رقاب الغنم مساوياً لما أفسدته الغنم من الحرث، والمنافع المستفادة المستوفاة من الغنم كل السنة تعدل قيمتها قيمة الرقبة عادة. ٧٩ ـ ٨٠ ـ ﴿**ففهمناها سليمان**﴾ وهو العلم بحكم الله الواقعي ﴿**وكلاً ءاتينا حكماً وعلماً**﴾ فحكم كليهما علمي لا ظني. ﴿**وسخرنا مع داود الجبال**﴾ ذللت له ﴿**يسبحن والطير**﴾ وتسخيرهما هو أن يسبحن مع داود بمواطأة تسبيحهما تسبيحه ﴿**وكنا فاعلين**﴾ فهذه المواهب والعنايات من سنتنا وليست بدعاً من الفعل. ﴿**وعلمناه صنعة لبوس**﴾ أي سلاح لكم، ليحصنكم من بأسكم وشدة وقع السلاح عليكم ﴿**فهل أنتم شاكرون**﴾ لأنعمه. ٨١ ـ ﴿**ولسليمان**﴾ سخرنا ﴿**الريح عاصفة**﴾ شديدة الهبوب ﴿**تجري بأمره**﴾ في حالة شدتها ورخائها لتنقله ﴿**إلى الأرض التي باركنا فيها**﴾ وهي أرض الشام التي كان يأوي إليها، أو لتنقله إلى غيرها ﴿**وكنا بكل شيء عالمين**﴾.

وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾

٨٢ ـ ﴿ومن الشياطين من يغوصون له﴾ ـ لخدمته ـ لاستخراج أمتعة البحر من اللآلىء وغيرها ﴿ويعملون عملاً دون ذلك﴾ فيعملون له ﴿ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات﴾ ﴿وكنا لهم حافظين﴾ فهم مسخرون في خدمته، دون أن يقدروا على الهرب أو الفساد.

٨٣ ـ ﴿وأيوب إذ نادى ربه﴾ وقد شملته البلية فذهب ماله وولده،وابتلي في بدنه فدعا ﴿أني مسني الضر﴾ في نفسي فأصابني المرض والهزال ونحوهما ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾ ترحم من استرحمك.

٨٤ ـ ﴿فاستجبنا له﴾ دعاءه ﴿فكشفنا مابه من ضر﴾ فنجيناه وشفيناه من مرضه ﴿وءاتيناه أهله﴾ أي من مات منهم وقد ورد أنهم ردوا بأعينهم ﴿ومثلهم معهم﴾ زيادة عليهم ﴿رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾ ليتذكروا أن الله يبتلي أولياءه امتحاناً منه ثم يؤتيهم أجرهم ولا يضيع أجر المحسنين.

٨٥ ـ ﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين﴾ فهم ثلاثة من أنبياء الله الصابرين.

٨٦ ـ ﴿أدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين﴾ فالصلاح سبيل لنيل الرحمة.

٨٧ ـ ﴿وذا النون﴾ وهو يونس بن متى صاحب الحوت إذ بعث إلى أهل نينوى، فدعاهم فلم يؤمنوا، فسأل الله أن يعذبهم، فلما أشرف عليهم العذاب تابوا وآمنوا، فكشفه الله عنهم، فاذكر ﴿إذ ذهب﴾ يونس ﴿مغاضباً﴾ لقومه مفارقاً لهم ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ أي لن نضيق عليه، من: قدر عليه رزقه أي ضيقه. فابتلعه الحوت، ﴿فنادى في الظلمات﴾ في بطن الحوت أو هي ظلمة البحر وظلمة البطن وظلمة الليل كما قيل ﴿أن لا إله إلا أنت سبحانك﴾ فقد تبرأ من فعله في مفارقة قومه ثم نزه الله تعالى لأنه في خروجه وبقائه باقٍ ضمن ساحة التدبير الإلهي. ﴿إني كنت من الظالمين﴾ فعمله كان يمثل الظلم، وإن لم يكن ظلماً في نفسه ولا هو (ع) قصد به الظلم.

٨٨ ـ ﴿فاستجبنا له﴾ وإن لم يصرح بشيء من الطلب والدعاء ﴿ونجيناه من الغم﴾ وهو الكرب الذي نزل به، ﴿وكذلك ننجي المؤمنين﴾ وعد بالإنجاء لمن ابتلي ثم نادى ربه بمثل ما نادى به يونس.

٨٩ ـ ﴿وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فرداً﴾ فهب لي من لدنك ولياً يرثني ﴿وأنت خير الوارثين﴾ تنزيه لله تعالى وهو الوارث لكل شيء ولا يشاركه أحد.

٩٠ ـ ﴿فاستجبنا له﴾ دعاءه ﴿ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه﴾ بجعلها ولوداً بعد ما كانت عاقراً. ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات﴾ فلذلك أنعمنا عليهم ﴿ويدعوننا رغباً﴾ رغبة في رحمتنا أو ثوابنا ﴿ورهباً﴾ من غضبنا أو عقابنا. ﴿وكانوا لنا خاشعين﴾ فقلوبهم كانت خاشعة لله، من مشاهدة دلائل العظمة والكبرياء.

وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾

٩١ ـ ﴿والتي أحصنت فرجها﴾ وهي مريم ابنة عمران، العفيفة بخلاف اتهام اليهود لها ﴿فنفخنا فيها من روحنا﴾ بالكلمة الإلهية فولادة عيسى لم تستند إلى العادة الجارية في كينونة الولد. ﴿وجعلناها وابنها ءاية للعالمين﴾ فهي وابنها آية واحدة لأن ابنها قائم بها. وكفى بها فخراً ذكرها مع ذكر الأنبياء وليست منهم. ٩٢ ـ ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ والأمة جماعة من الناس يجمعها مقصد واحد فأمة محمد يجمعها الإسلام. والمراد بالأمة هنا النوع الإنساني، وبما أن الأمة واحدة فلها رب واحد، وقد جعل لها نظاماً واحداً، ونظام التدبير الواحد لا يقوم إلا بمدبر واحد، فلا معنى لأن يختلف الإنسان في أمر الربوبية، فيتخذ بعضهم رباً غير ما يتخذ الآخر أو يسلك في عبادته غير ما يسلكه الآخرون ﴿وأنا ربكم فاعبدونِ﴾ فأنا المالك المدبر لأمركم فاعبدوني لتكونوا متخذيَّ إلهاً. ٩٣ ـ ٩٤ ـ ﴿وتقطعوا أمرهم بينهم﴾ وتفرقوا في دين التوحيد المندوب إليهم من طريق النبوة، فقطعوه ووزعوه فيما بينهم أخذ كل منهم شيئاً منه وترك شيئاً؛ كالوثنيين واليهود والنصارى الخ... وهذا تقريع وذم للناس لاختلافهم في الدين وتركهم الأمر الإلهي حتى أن أتباع الرسول الواحد يقتل بعضهم بعضاً باسم العقيدة وهي واحدة. ﴿كل إلينا راجعون﴾ ومجزون حسب ما اختلفوا. ﴿فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن﴾ إذ لا عمل صالح بلا إيمان ﴿فلا كفران لسعيه﴾ ولا ستر لصالح عمله ﴿وإنا له كاتبون﴾ أي مثبتون في صحائف الأعمال. ٩٥ ـ ﴿وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون﴾ فأهل القرية المؤمنة الذين لم يعملوا الصالحات، وانجر أمرها إلى الإهلاك، ممتنع عليهم أن يرجعوا فيتداركوا مافاتهم من السعي المشكور والعمل المكتوب المقبول. ٩٦ ـ ٩٧ ـ ﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج﴾ أي فتح السد الذي كان يمنع خروجهم، خرجوا إلى سائر الناس ﴿وهم من كل حدب ينسلون﴾ يخرجون على عجل وهذا من أشراط الساعة وعندها تتوقف كتابة الأعمال الصالحة وشكر السعي ﴿واقترب الوعد الحق﴾ أي اقتربت الساعة ﴿فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا﴾ فلا تطرف أجفانهم، فلا يشتغلون بغيرها. ﴿ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا﴾ ولم نعترف بأنَّ الساعة آتية لاريب فيها، ولم تنشأ الغفلة إلا عن ظلم النفس ﴿بل كنا ظالمين﴾ فنسينا الآخرة، ونحن نهتم بالدنيا. ٩٨ ـ ١٠٠ ـ ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله﴾ من الأصنام والحجارة ـ فلفظ ما لغير عاقل فلا تشمل الأنبياء والملائكة والصالحين ـ ﴿حصب جهنم﴾ ووقودها ﴿أنتم لها واردون﴾ تردون جهنم وتردّون إليها. ﴿لو كان هؤلاء﴾ الشفعاء، وما عبدتم من دون الله ﴿ءالهة﴾ كما زعمتم ﴿ما وردوها﴾ ولا دخلوها ﴿وكل فيها خالدون﴾ فأنتم وآلهتكم مخلدون في النار. ﴿لهم فيها زفير﴾ روي أنه لما نزلت الآية قال ابن الزبعرى للرسول ﷺ: قد خصمتك ورب الكعبة أوليس اليهود عبدوا عزيراً، والنصارى عبدوا المسيح، وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال ﷺ: بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك. فأنزل الله الآية التالية: ﴿وهم فيها لايسمعون﴾ بعد أن صموا آذانهم عن كلمة الحق في الدنيا.

وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾

١٠١ ـ ١٠٤ ـ ﴿إن الذين سبقت لهم منا﴾ الموعدة ﴿الحسنى﴾ بالنجاة والجنة ﴿أولئك عنها مبعدون﴾ فلا يقربون النار ﴿لايسمعون حسيسها﴾ صوتها ﴿وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون﴾ فلهم مايشاؤون فيها ولدينا مزيد ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ والخوف الأعظم الذي يقع في يوم الصور ﴿وتتلقاهم الملائكة﴾ بالبشرى ﴿هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾ وهذه هي البشرى ﴿يوم نطوي السماء﴾ ونردها إلى خزائن الغيب بعد ما نزلت منها وقدرت ﴿كطي السجل للكتب﴾ والسجل هو الصحيفة المكتوب فيها الكتاب، فإذا انطوى السجل انطوى بطيه الكتاب. فتغيب السموات والأرض لا يظهر منها عين ولا أثر ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾ فالله يعيد الأشياء ويرجعها بعد فنائها، وكيف تعز الإعادة على من يسهل عليه الخلق ﴿وعداً علينا﴾ وعدناه ووجب علينا ﴿إنا كنا فاعلين﴾ لما وعدنا فلك سنتنا. ١٠٥ ـ ١٠٦ ـ ﴿ولقد كتبنا في الزبور﴾ وهو كتاب داود ﴿من بعد الذكر﴾ وهي التوراة ﴿أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ فينتقل التسلط على منافعها إليهم، وتستقر بركات الحياة فيهم. وهذه البركات إما دنيوية، فيكون مؤدى الآية أن الأرض ستطهر من الشرك والمعصية، وإما أخروية وهي مقامات القرب التي اكتسبوها في حياتهم الدنيا، فإنها من بركات الحياة الأرضية، وهي نعيم الآخرة. ﴿إن في هذا لبلاغاً﴾ أي كفاية أو فيه بلوغ البغية، أو هو البلوغ ﴿لقوم عابدين﴾ فما بين الله في السورة من أن الرب واحد يجب أن يعبد عن طريق النبوة ويستعد بذلك ليوم الحساب بلاغ للعابدين. ١٠٧ ـ ﴿وما أرسلناك﴾ يا محمد ﴿إلا رحمة﴾ مرسلة ﴿للعالمين﴾ فدينك يهدي لسعادة أهل الدنيا في دنياهم وأخراهم وأنت رحمة من حيث الآثار الحسنة التي سرت من قيامك بالدعوة. ١٠٨ ـ ١١٠ ـ ﴿قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد﴾ فالوحي ليس إلا للتوحيد وما ينفرع منه ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ منقادون له ﴿فإن تولوا﴾ بعد أن لزمتهم الحجة بالتبليغ والإنذار ﴿فقل ءاذنتكم﴾ أعلمتكم وحذرتكم ﴿على سواء﴾ أي أعلمتكم أنكم على خطر لكونكم متساوين في الإعلام أو الخطر. ﴿وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون﴾ من العذاب الذي سيحل بكم لما تطعنون في الإسلام ظاهراً وماتكيدون له خفية. ﴿إنه يعلم الجهر من القول﴾ وما أظهرتموه من الطعن والاستهزاء في الإسلام ﴿ويعلم ما تكتمون﴾ وما أبطنتم من المكر والخديعة. ١١١ ـ ﴿وإن أدري لعله فتنة لكم﴾ فلعل هذا الإذن لي أن أنذركم بالخطر، إمتحان لكم ليظهر مافي باطنكم ﴿ومتاع إلى حين﴾ استدراج لكم وإمهال. ١١٢ ـ ﴿قال رب احكم بالحق﴾ وقد أعرضوا عن الدعوة، فاحكم بحكمك الحق وهو ظهور الحق ﴿وربنا الرحمن المستعان﴾ في إعراضكم ﴿على ما تصفون﴾ من الباطل، وطعنكم في الدين بما هو بريء مما نسبتم إليه.

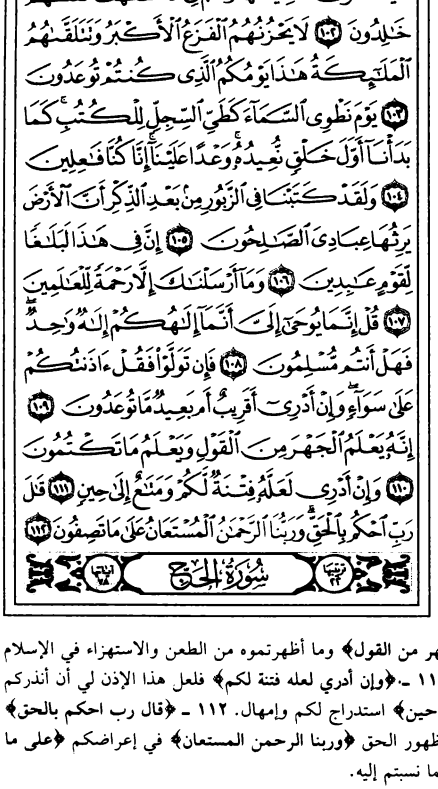
لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾
سُورَةُ الْحَجِّ

سورة الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: مخاطبة المشركين بأصول الدين تخويفاً وإنذاراً، الإذن للمؤمنين في القتال، مسائل العبادات.

١ ـ ﴿يا أيها الناس﴾ خطاب لعامة الناس من مؤمن وكافر، ممن هو كائن وممن سيكون ﴿اتقوا ربكم﴾ فعلى الكافر أن يتقي ربه بالإيمان، والمؤمن يتقيه بتجنب المخالفة ﴿إن زلزلة﴾ وهزة وحركة ﴿الساعة﴾ وهي آخر مواقف الدنيا ﴿شيء عظيم﴾ فزلزلتها عظيمة، وهذه دعوة عن طريق الإنذار بالساعة والزلزلة من أشراطها. ٢ ـ ﴿يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت﴾ فينزع ثديها عن فيه لما يلحقها من الدهشة ﴿وتضع كل ذات حمل حملها﴾ فتضع ما في بطنها ﴿وترى الناس سكارى﴾ ذهبت عقولهم وسقطت في مهبط الدهشة ﴿وما هم بسكارى﴾ من خمر ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ وهذه الزلزلة قبل النفخة الأولى التي يصعق فيها من في السموات والأرض. ٣ ـ ٤ ـ ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ بصفاته وأفعاله بكلام مبني على الجهل بالإصرار عليه ﴿ويتبع كل شيطان مريد﴾ خبيث متجرد للفساد منقرض الخير. فهو يتبع الباطل الذي يهدي إليه كل شيطان، فلا يقف على حد لبطلان استعداده للحق. ﴿كتب عليه﴾ أي قضى الله في حق الشيطان ﴿أنه من تولاه فأنه يضله﴾ فمن اتخذ من الشيطان ولياً متبعاً فالشيطان يضله ﴿ويهديه إلى عذاب السعير﴾ وهذا قضاء لازم. ٥ ـ ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب﴾ وشك ﴿من البعث﴾ وإحياء الموتى والرجوع إلى الله ﴿فإنا خلقناكم من تراب﴾ ميت ﴿ثم من نطفة﴾ وهي الحيوان المنوي عند الذكر ﴿ثم من علقة﴾ أي القطعة من خثرة الدم، وهي ما ينتج من إلقاح النطفة المذكرة والبييضة المؤنثة ﴿ثم من مضغة﴾ وهي ما ينتج من تقسم العلقة ﴿مخلقة﴾ تامة الخلقة ﴿وغير مخلقة﴾ فالجنين يمر بمراحل متعددة خلال تشكله وتصوره في الأرحام ﴿لنبين لكم﴾ أن البعث ممكن، فهذه المراحل لاتدع ريباً في إمكان تلبس الميت بالحياة ﴿ونقر في الأرحام مانشاء﴾ من الأجنة ﴿إلى أجل مسمى﴾ هو تمام مدة الحمل ولا نسقطه ﴿ثم نخرجكم طفلاً﴾ من بطون أمهاتكم ﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾ تشتد أعضاؤكم وقواكم ﴿ومنكم من يتوفى﴾ قبل أن يصل إلى أرذل العمر ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ وأحقره وأهونه ومن نعمره ننكسه في الخلق وهو سن الهرم ﴿لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً﴾ يعتد به وقد ضعفت قواه ومشاعره وتحصيله. ﴿وترى الأرض هامدة﴾ لانبات فيها ﴿فإذا أنزلنا عليها الماء﴾ من السماء ﴿اهتزت﴾ وتحركت ﴿وربت﴾ فزادت وعلت ﴿وأنبتت من كل زوج بهيج﴾ أي من كل صنف من النبات أزواجاً بهيجة فإنبات النبات يماثل إنبات الرحم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

٦ ـ ٧ ـ ﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾ وكونه حقاً يتحقق به كل شيء حق ﴿وأنه يحي الموتى﴾ كما يعطي الحياة للأجنة

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾

والنبات ﴿وأنه على كل شيء قدير﴾ فهو الموجد والمدبر لما في الكون جميعاً. ﴿وأن الساعة آتية لاريب فيها﴾ فالله حق، ولايصدر عنه إلا فعل الحق، ولو اقتصرت الخلقة على الإيجاد ثم الإعدام ثم الإيجاد وهكذا لكان الأمر لعباً باطلاً، فكونه تعالى لا يفعل إلا الحق يستلزم نشأة البعث، فالساعة آتية لأن الحياة تستلزم الحساب فهي حق لا شك فيها ﴿وأن الله يبعث من في القبور﴾ فالساعة لا تأتيكم إلا بغتة لأن البعث فالحساب فالجزاء غاية الخلق. ٨ ـ ﴿ومن الناس﴾ صنف معرض عن الحق؛ وهم ﴿من يجادل في الله بغير علم﴾ فهو لا يأتي بحجة عقلية ﴿ولا هدى﴾ مما تفيض به الهداية الإلهية لمن أخلص لله في عبادته وعبوديته فاستنار قلبه بنور معرفته ﴿ولا كتاب منير﴾ آت من طريق النبوة وبوحي إلهي، وتلك طرق العلم الثلاثة العقل والبصر والسمع. ٩ ـ ﴿ثاني عطفه﴾ الثني الكسر، والعطف الجانب. فهو معرض عن الحق ﴿ليضل عن سبيل الله﴾ استكباراً وهذه حال الرؤساء المتبوعين من المشركين ﴿وله في الدنيا خزي﴾ وهوان وذل وهذا ما آل إليه صناديد قريش ﴿ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق﴾ وهو عذاب جهنم. ١٠ ـ ﴿ذلك بما قدمت يداك﴾ فما تذوق من العذاب جزاء استكبارك وإضلالك ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ فهو يعامل كلاً منهم بما يستحقه بعمله، ويعطيه ما يسأله بلسان حاله. ١١ ـ ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ الحرف هو الطرف أو الجانب، وهذا صنف آخر من الناس من غير المؤمنين الصالحين يبني عبادته على جانب واحد وهو جانب جلب الخير الدنيوي، ولازمه استخدام الدين للدنيا ﴿فإن أصابه خير اطمان به﴾ واستقر على عبادة الله واطمأن إليها ﴿وإن أصابته فتنة﴾ أو محنة ﴿انقلب على وجهه﴾ وارتد عن دينه، تشاؤماً من الدين، أو رجاء أن ينجو بذلك من المحنة ﴿خسر الدنيا﴾ بإصابة الفتنة ﴿والآخرة﴾ بانقلابه على وجهه ﴿ذلك هو الخسران المبين﴾ لأنه لم ينل خير الدنيا وآل إلى جهنم. ١٢ ـ ١٣ ـ ﴿ويدعو من دون الله﴾ من الأصنام من حجر وبشر ﴿مالا يضره ومالا ينفعه﴾ لفقده زمام الأسباب ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ فالصنم لا يتوجه منه إلى عابده نفع أو ضرر، والضرر الذي يصيب العابد يأتيه من ناحية العبادة. ﴿يدعو﴾ أي يقول عابد الأصنام يوم القيامة لصنمه ﴿لمن﴾ أي يامن ﴿ضره أقرب من نفعه﴾ أقسم أنك أيها الصنم ﴿لبئس المولى وبئس العشير﴾ يقول ذلك لما يشاهد ما تستتبعه عبادته له من العذاب الخالد والهلاك المؤبد. ١٤ ـ ﴿إن الله يدخل الذين ءامنوا وعملوا الصالحات﴾ وقد حسنت عقيدتهم وحسن عملهم ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ فلهم كريم المثوى وحسن المنقلب ﴿إن الله يفعل ما يريد﴾ وهو يريد إكرامهم ويريد بذلك حسن العاقبة لهم وهذه مقابلة بينهم وبين الأصناف الثلاثة المذكورين من الكفار وهم الأئمة المتبوعون، والمقلدون التابعون لكل شيطان، والمذبذبون العابدون الله على حرف. ١٥ ـ ﴿من كان يظن أن لن ينصره الله﴾ أي لن ينصر النبي، أو لن ينصره كإنسان وهو أقرب ﴿في الدنيا﴾ برفع الذكر وبسط الدين ﴿والآخرة﴾ بالمغفرة والرحمة، وغاظه ذلك ﴿فليمدد بسبب﴾ أي سبيل أو حبل

﴿إلى السماء﴾ كأن يربط طرف الحبل على جذع عال أو نحوه ﴿ثم ليقطع﴾ الحبل أي يختنق نفسه، أو يقطع مسافة إلى السماء ﴿فلينظر هل يذهبن كيده﴾ وحيلته ﴿ما يغيظ﴾ مما سبب غيظه من الحكم والظن. ١٦ ـ ﴿وكذلك أنزلناه ءايات بينات﴾ فللقرآن آيات واضحة الدلالات ﴿وأن الله يهدي من يريد﴾ ومن لم يرد أن يهديه فلا هادي له. فكون الآيات بينات لا يكفي في هداية من سمعها مالم يرد الله هدايته. ١٧ ـ ﴿إن الذين ءامنوا﴾ بمحمد ﷺ والقرآن النازل عايه ﴿والذين هادوا﴾ وهم المؤمنون بموسى ومن قبله وكتابهم التوراة وقد أحرقها بخت نصر ملك بابل في أواسط القرن السابع قبل الميلاد ثم جدد كتابتها لهم عزراء في أوائل القرن الذي يليه؛ حينما فتح كورش ملك إيران بابل وتخلص بنو اسرائيل من الأسر، ورجعوا إلى الأرض المقدسة ﴿والصابئين﴾ قيل أنهم قوم متوسطون بين اليهودية والمجوسية ولهم كتاب ينسبونه إلى يحيى بن زكريا ﴿والنصارى﴾ وهم المؤمنون بعيسى بن مريم وكتبهم الأناجيل الأربعة وكتب العهد القديم؛ وهذا الذي تقره الكنيسة وتقدسه يدحضه القرآن الذي يذكر أن كتابهم هو الإنجيل النازل على عيسى ﴿والمجوس﴾ المؤمنين بزردشت وكتابهم المقدس أوستا على ماقيل ﴿والذين أشركوا﴾ وهم الوثنيون عبدة الأصنام وأصول مذهبهم: الصابئة، والبرهمانية، والبوذية، وهناك من يعبدون الأصنام دون أصل منظم كعرب الحجاز وغيرهم في سائر المعمورة ﴿إن الله يفصل﴾ ويقضي ﴿بينهم يوم القيامة﴾ فينفصل المحق منهم، ويتميز من المبطل ﴿إن الله على كل شيء شهيد﴾ فالفصل يومئذ فصل بالحق. ١٨ ـ ﴿ألم تر﴾ خطاب لمن يرى ويصلح لأن يخاطب، ويمكن أن يكون الخطاب للنبي ﷺ والرؤية قلبية ﴿أن الله يسجد له﴾ سجوداً تكوينياً، وتذللاً وجودياً، خضوعاً وصغاراً قبال عزته وكبريائه تعالى والكل تحت قهره وسلطانه ﴿من في السموات ومن في الأرض﴾ من مؤمن وكافر فكل مخلوق منقاد لعظمته حتى الكافر في عصيانه ﴿والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب﴾ وهذا دليل على أن المراد بالسجدة السجدة التكوينية الإضطرارية فالمخلوقات العلوية والسفلية من ذي عقل وغير ذي عقل ساجدة متذللة ﴿وكثير من الناس﴾ يسجدون، استجابة لتشريعه تعالى، إظهاراً لمعنى العبودية ﴿وكثير حق عليه العذاب﴾ لإبائهم عن السجود، فعملهم يرد إليهم ﴿ومن يهن الله فما له من مكرم﴾ فإباؤهم عن السجود هوان لهم من الله ليس بعده إكرام أبداً ﴿إن الله يفعل ما يشاء﴾ فله كمال القدرة. ١٩ ـ ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ حصر للمختلفين على كثرة أديانهم في فئتين محقة ومبطلة ﴿فالذين كفروا﴾ بنفي وحدانيته، أو بإسناد الصنع والإيجاد إلى الطبيعة أو الدهر، أو بإنكار ضرورة من ضرورات الدين الحق ﴿لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾ أي الماء الحار المغلي ٢٠ ـ ﴿يصهر به ما في بطونهم والجلود﴾ فيذيبها وينضجها ٢١ ـ ﴿ولهم مقامع﴾ أي مدقات وأعمدة ﴿من حديد﴾ يعذبون بها ٢٢ ـ ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم﴾ وضيق وكرب يصيبهم فيها ﴿أعيدوا فيها﴾ أي في النار

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

﴿وذوقوا عذاب الحريق﴾ أي ذوقوا العذاب المحرق المؤلم. ٢٣ ـ ﴿إن الله يدخل الذين ءامنوا وعملوا الصالحات﴾ مقابلة مع من كفروا ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ حسنت مستقراً ومقاماً ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير﴾ بيان لماهم فيه من نعيم ﴿وهدوا إلى الطيب من القول﴾ مما لا خباثة ولا باطل فيه ٢٤ ـ ﴿وهدوا إلى صراط الحميد﴾ فلا يصدر منهم إلا الفعل المحمود وطيب القول. ٢٥ ـ ﴿إن الذين كفروا﴾ وهم مشركو مكة ويصدق القول على من يشاكلهم من غيرهم ﴿ويصدون عن سبيل الله﴾ بمنعهم الناس عن الاسلام ﴿والمسجد الحرام﴾ أي يمنعون المؤمنين عن إقامة الشعائر فيه ﴿الذي جعلناه للناس﴾ للعبادة فيه، لا تمليك لهم إذ ليس لأحد الحق أن يمنع أحداً عن ذلك ﴿سواء العاكف فيه﴾ أي المقيم فيه ﴿والباد﴾ القادم إليه ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ لظلمه وصده. ٢٦ ـ ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾ وجعلناه مرجعاً يقصده للعبادة لا للسكن ﴿أن لا تشرك بي شيئاً﴾ في كافة الأعمال العبادية فلا تلبية لأوثان، أو إهلال الخ ﴿وطهر بيتي﴾ بتنزيهه من الأعمال الدنسة والأرجاس التي تفسد العبادة وليست إلا الشرك ومظاهره ﴿للطائفين والقائمين والركع السجود﴾ عبادة خالصة من الشرك. ٢٧ ـ ﴿وأذن في الناس﴾ وأعلمهم منادياً ﴿بالحج﴾ بمعنى القصد، أي بقصد البيت أو بعمل الحج ﴿يأتوك رجالاً﴾ راجلين ﴿وعلى كل ضامر﴾ أي بعير مهزول أتعبه السير ﴿يأتين من كل فج بعيد﴾ أي طريق قاص. ٢٨ ـ ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ دنيوية تتقدم بها الحياة الإجتماعية ليتعارفوا بينهم، ولتكون كلمتهم واحدة هي كلمة الحق وإلههم واحد وهو الله عز اسمه، ويتعاونون على زيادة رقي مجتمعهم، ثم تمتزج المجتمعات لتكون مجتمعاً وسيعاً له من القوة والعدة ما لا تقوم له الجبال الرواسي. ولا تقوى عليه أية قوة جبارة طاغية، ومنافع أخروية هي وجوه التقرب إلى الله بقول أو فعل. ﴿ويذكروا اسم الله في أيام معدودات﴾ أي في أيام التشريق وهي يوم الأضحى وثلاثة أيام بعده ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ أي يذكروا اسم الله عند ذبح أنعامهم، خلافاً للمشركين ﴿فكلوا منها وأطعموا البائس﴾ الذي أصابته شدة الضر والحاجة ﴿والفقير﴾ المحتاج. ٢٩ ـ ﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ أي ليزيلوا شعث البدن بتقليم الأظافر وأخذ الشعر أي ليخرجوا من إحرامهم ﴿وليوفوا نذورهم﴾ أي يتموا نذرهم ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ طواف النساء أو هو وغيره.

وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾

٣٠ ـ ﴿ذلك ومن يعظم حرمات الله﴾ مما لا يجوز انتهاكه مع وجوب رعايته ﴿فهو خير له عند ربه﴾ ندب إلى تعظيم الحرمات وعدم تعديها ﴿وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم﴾ ففيها محرمات نزلت في سورة الأنعام ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور﴾ وقد خصص ذكر هاتين الحرمتين نظراً للإبتلاء بهما في الحج وإصرار المشركين على التقرب من الأصنام والإهلال بها.

٣١ ـ ﴿حنفاء لله﴾ مائلين من الأطراف إلى عدل الوسط ﴿غير مشركين به﴾ وقد كان المشركون يلبون بقولهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك ﴿ومن يشرك بالله﴾ فهو ساقط من أعلى الدرجات الإنسانية والهداية إلى هاوية الضلال ﴿فكأنما خر﴾ وسقط ﴿من السماء فتخطفه الطير﴾ وتأخذه ﴿أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾ بعيد فيه هلاكه.

٣٢ ـ ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله﴾ أي العلامات والأعلام التي نصبها الله لطاعته كالصفا والمروة ﴿فإنها من تقوى القلوب﴾ ومن التقوى التحرز والتجنب عن سخطه، والتورع عن محارمه.

٣٣ ـ ﴿لكم فيها﴾ أي في الشعائر وهي البدن ﴿منافع إلى أجل مسمى﴾ فتنتفعون بركوبها وألبانها إلى وقت نحرها. وقيل المنافع هي التجارة ﴿ثم محلها إلى البيت العتيق﴾ فمنتهى الناسك الطواف.

حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۗ فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَـٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

٣٤ ـ ٣٥ ـ ﴿ولكل أمة﴾ من الأمم السالفة المؤمنة ﴿جعلنا منسكاً﴾ أي عبادة من تقريب القرابين ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام﴾ فلستم أول أمة شرع لها تقريب القربان. ﴿فإلهكم إله واحد﴾ وهو المشرع ﴿فله أسلموا﴾ واستسلموا له بإخلاص عملكم. ﴿وبشر المخبتين﴾ فمن أسلم لله في حجه خالصاً فهو من المخبتين ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ خاشعة لذكره ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ من مكاره ﴿والمقيمي الصلاة﴾ ناصبين أنفسهم في موقف العبودية ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ فهذه أربع صفات للمخبتين.

٣٦ ـ ﴿والبدن﴾ وهي السمينة من الإبل ﴿جعلناها لكم من شعائر الله﴾ بجعلها هدياً ﴿لكم فيها خير﴾ بما تنتفعون بها ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ عند ذبحها ﴿صواف﴾ أي قائمة قد صفت يداها ورجلاها وجمعت وقد ربطت يداها ﴿فإذا وجبت﴾ وسقطت ﴿جنوبها﴾ كناية عن موتها ﴿فكلوا منها﴾ فهي مباحة لكم ﴿وأطعموا القانع﴾ وهو الفقير الذي يقنع بما أعطي سواء سأل أم لا ﴿والمعتر﴾ هو الذي قصدك من الفقراء.

٣٧ ـ ﴿لن ينال لحومها ولا دماؤها﴾ دفع لمتوهم يتوهم أن لله نفعاً يناله من ذلك ﴿ولكن يناله التقوى منكم﴾ نيلاً معنوياً فيقرب المتقي منه. ﴿كذلك سخرها لكم﴾ فقد سخرها ليضحى بها ﴿لتكبروا الله على ماهداكم﴾ فتذكروه بالكبرياء والعظمة، فهدايته تهدي إلى طاعته وعبوديته. ومن ذلك التضحية بها. ﴿وبشر المحسنين﴾ الذين يأتون بالأعمال الحسنة أو بالإحسان وهو الإنفاق في سبيل الله.

٣٨ ـ ﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا﴾ فهو مولاهم يدفع الأعداء عنهم ﴿إن الله لايحب كل خوان﴾ والخوان الكثير الخيانة، والله تعالى ينفي أصل الصفة إذ ليست المعنى أنه يحب قليل الخيانة ﴿كفور﴾ كثير الكفر. وهذه صفة المشركين، لأن الله حملهم أمانة الدين الحق، وجعلها وديعة عند فطرتهم، لينالوا سعادة الدارين، فخانوه بالحجج والإنكار وكفروا بنعمه الظاهرة والباطنة.

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

٣٩ ـ ﴿أذن﴾ من جانب الله ﴿للذين يقاتلون﴾ وهم المؤمنون الذين قاتلهم المشركون ﴿بأنهم ظلموا﴾ بسبب أنهم ظلموا ﴿وإن الله على نصرهم لقدير﴾ فنصرهم هين يسير على من هو قدير. ٤٠ ـ ﴿الذين أخرجوا من ديارهم﴾ من مكة ﴿بغير حق﴾ يبيح إخراجهم، إضافة إلى ظلمهم بالإيذاء والتعذيب واضطرارهم لترك البيت والمال. ﴿إلا أن يقولوا ربنا الله﴾ وهذا هو السبب الذي أباح للمشركين إخراجهم ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾ وفي ذلك حفظ لاستقامة حال العيش وهي سنة فطرية منتهية إلى الله تعالى، يشهد بها تجهيز الإنسان ـ كسائر الموجودات ـ بأدوات وقوى تسهل له البطش ثم بالفكر الذي يهديه إلى اتخاذ وسائل الدفع. والدفع بالقتال هو آخر ما يتوصل إليه من وسائل الدفع إذا لم ينجع غيره، لأن فيه إفناء البعض لبقاء البعض، وتحمل المشقة في سبيل راحة البقية ولو لا هذا الدفع ﴿لهدمت صوامع﴾ والصومعة بناء في أعلاه حدة، يسكنها الزهاد ﴿وبيع﴾ وهي معابد اليهود والنصارى ﴿وصلوات﴾ وهي مصلى اليهود ﴿ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً﴾ وهي معابد المسلمين. ولولا قيام أمة مجاهدة للدفع لما قامت للدين قائمة. ﴿ولينصرن الله﴾ أي أقسم أن الله ناصر ﴿من ينصره﴾ بالدفاع عن دينه ﴿إن الله لقوي﴾ لا يضعفه أحد ولا يمنعه مانع ﴿عزيز﴾ منيع الجانب، لا يتعدى إلى ساحة عزه شيء. ولقد صدق الله وعده فانتصر المسلمون في حروبهم ومغازيهم. ٤١ ـ ﴿الذين إن مكناهم في الأرض﴾ أي أقدرناهم على اختيار مايريدونه دون مانع يمنعهم، عقدوا مجتمعاً صالحاً و﴿أقاموا الصلاة﴾ وهي أسمى مظاهر العبودية وهي الصلة بين العبد وربه ﴿وآتوا الزكاة﴾ وهي صلة الفرد بمجتمعه ﴿وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ لإقامة أحكام الله وشرائعه. وهذا المجتمع الصالح عقد لأول مرة في المدينة. وكان السبب الأول والعامل الغالب فيه الأنصار دون المهاجرين. ثم انبسط فشمل جزيرة العرب في عهد النبي محمد ﷺ ولم يتفق في تاريخ الإسلام للمهاجرين أن يعقدوا وحدهم مجتمعاً يتصف بما ذكر من غير شركة الأنصار، ويضبط التاريخ من أعمال الصدر الأول وخاصة المهاجرين منهم أموراً لا يمكن أن تسمى إحياء للحق وإماتة للباطل سواء قلنا بكونهم مجتهدين معذورين أم لا ﴿ولله عاقبة الأمور﴾ وعد بالنصر للمؤمنين على أعدائهم. ٤٢ ـ ٤٤ ـ ﴿وإن يكذبوك﴾ فتكذيبك يامحمد ليس بدعاً من الفعل ﴿فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد﴾ قوم هود ﴿وثمود﴾ قوم صالح ﴿وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين﴾ وهم قوم شعيب ﴿وكذب موسى﴾ ولم يكذبه قومه، وإنما فرعون وقومه ﴿فأمليت للكافرين﴾ وأمهلتهم وأخرت أجلهم وقد كذبوا رسلهم ﴿ثم أخذتهم﴾ بالعقاب ﴿فكيف كان نكير﴾ أي كيف كان النكال بهم في تكذيبهم وكفرهم؟ وهو كناية عن بلوغ الإنكار وشدة الأخذ. ٤٥ ـ ﴿فكأين﴾ وكم ﴿من قرية أهلكناها وهي ظالمة﴾ متلبسة بظلمها ﴿فهي خاوية على عروشها﴾ وقد سقطت سقوفها على جدرانها ﴿وبئر معطلة﴾ لا وارد لها ولا مستسقي منها ﴿وقصر مشيد﴾ أي مجصص. وقد هلك سكان القرى من بدا

منهم من أصحاب الآبار، ومن حضر منهم من أصحاب القصور. ٤٦ ـ ﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾ فيعتبروا بالأمم البائدة وآثارهم المعطلة، ويستحضروا الحج فيتذكروا عاقبة الشرك والاستكبار ﴿فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ فيميزوا الخير من الشر والنافع من الضار ﴿أو آذان يسمعون بها﴾ وعظ الناصحين ولا عظة ككتاب الله ولا ناصح كرسوله. ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ وهذه صفة قلوب من لا يعقلون ولا يسمعون.

٤٧ـ ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ استهزاء به وتعجيزاً لك يامحمد ﴿ولن يخلف الله وعده﴾ وقد ذاقوه يوم بدر، أو هو عذاب موعود يقضي به الله بين محمد ﷺ وبين أمته، ولم ينزل بعد. ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ فيستوي عند الله اليوم الواحد والألف سنة، فلا يخاف الفوت حتى يعجل لهم العذاب.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

٤٨ ـ ﴿وكأين﴾ وكم ﴿من قرية أمليت لها﴾ وأمهلت ﴿وهي ظالمة﴾ معاندة ﴿ثم أخذتها﴾ بإهلاكها. فيستوي عند ربك قليل الزمان وكثيره ﴿وإلي المصير﴾ فمن كان مصير كل شيء إليه لايخاف الفوت حتى يأخذ الظالمين بعجل.

٤٩ ـ ٥١ ـ ﴿قل ياأيها الناس﴾ أمر بإعلام الرسالة ﴿إنما أنا لكم نذير مبين﴾ فأنا أنذر وأبين تبعة الكفر، وثواب الإيمان ﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم﴾ فجزاؤهم الجنة بما فيها ﴿والذين سعوا في آياتنا معاجزين﴾ وقد أسرعوا وبذلوا جهدهم لإبطالها وإطفاء نورها بمعاجزة الله ﴿أولئك أصحاب الجحيم﴾ فلا مفارقة بين الجحود والجحيم.

٥٢ ـ ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول﴾ وهو الذي ينزل عليه الملك بالوحي فيراه ويكلمه ﴿ولا نبي﴾ وهو من يرى المنام ويوحى إليه فيه ﴿إلا إذا تمنى﴾ وقدر بعض ما يتمناه من توافق الأسباب على تقدم دينه وإقبال الناس عليه وإيمانهم به ﴿ألقى الشيطان في أمنيته﴾ وداخلها بوسوسة الناس وتهييج الظالمين أو بمعنى يقوم بوسوسته ليثير الجدل في آيات الله لإفساد الأمر وإبطال السعي. ﴿فينسخ الله مايلقي الشيطان﴾ ويبطله ﴿ثم يحكم الله آياته﴾ بإنجاح السعي وإظهار الحق. ﴿والله عليم﴾ بالأفعال والأقوال ﴿حكيم﴾ يورد الأمور في موارد الحق.

٥٣ ـ ﴿ليجعل مايلقي الشيطان﴾ في أمنية الرسول ﴿فتنة﴾ ففعل الشيطان مسخر لاختبار العباد وامتحان ﴿للذين في قلوبهم مرض﴾ وهم أهل الشك من الكفار ﴿والقاسية قلوبهم﴾ وهم أهل الجحود والفساد، فالقلب المريض سريع التصور للحق بطيء الإذعان به، والقلب القاسي بطيئهما معاً وكلاهما سريع القبول للوساوس الشيطانية ﴿وإن الظالمين﴾ وهم أهل الجحود والشك ﴿لفي شقاق﴾ ومخالفة ﴿بعيد﴾ صاحبها من الحق وأهله.

٥٤ ـ ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم﴾ بسبب ذلك النسخ والإحكام ﴿أنه الحق من ربك﴾ وهو ماتمناه الرسول ﴿فيؤمنوا به﴾ وقد أبطل الله مالقى الشيطان ﴿فتخبت قلوبهم﴾ وتلين وتخشع ﴿وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم﴾ فما

فعل الله إنما ليعلموا أن الأمر حق وأنه هاديهم بهذا التعليم إلى الصراط المستقيم.

٥٥ ـ ﴿ولا يزال الذين كفروا﴾ وقد حرموا الإيمان ﴿في مرية منه﴾ أي في شك من القرآن ﴿حتى تأتيهم الساعة بغتة﴾ ويحل بهم يوم القيامة فجأة لا يمهلهم ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ يأتي بعده يوم القيامة ويحل بهم عذابه.

٥٦ ـ ٥٧ ـ ﴿الملك يومئذ لله﴾ فيظهر كون الملك لله لأن الملك له دائماً ﴿ويحكم بينهم﴾ ولا حاكم غيره، لأن الحكم من فروع الملك ﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم﴾ وهذا حكمه فيهم. ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا﴾ وهم المعاندون المستكبرون ﴿فأولئك لهم عذاب مهين﴾ مذل، وهذا حكمه فيمن كفر وكذب.

٥٨ ـ ٥٩ ـ ﴿والذين هاجروا في سبيل الله﴾ والمثوبة تترتب على صالح العمل، ويكون صالحاً بخصوص النية فيه ﴿ثم قتلوا﴾ في سبيل الله ﴿أو ماتوا﴾ وقد تغربوا في سبيله ﴿ليرزقنهم الله رزقاً حسناً﴾ ثواباً لهم على مهاجرتهم ومحنتهم ﴿وإن الله لهو خير الرازقين﴾ فالنعمة الأخروية موطنها بعد القتل أو الموت.

﴿ليدخلنهم مدخلاً﴾ هو الجنة ﴿يرضونه﴾ لهم فيها مايشاؤون ﴿وإن الله لعليم﴾ بما يرضيهم فيعده لهم ﴿حليم﴾ لا يعاجل بالعقوبة لأعدائهم الظالمين.

٦٠ ـ ﴿ذلك﴾ الأمر كما ذكر ﴿ومن عاقب بمثل ماعوقب به﴾ كناية عن المعاملة بالمثل، والعقاب مؤاخذة الإنسان بما يكرهه بإزاء فعله، مما لا يرتضيه المعاقب وهو عقاب لأنه عقب الفعل. ﴿ثم بغي عليه﴾ أي من عامل من عاقبه بغياً عليه بمثل ما عاقب ﴿لينصرنه الله﴾ وقد أذن بذلك ﴿إن الله لعفو غفور﴾ يمحو ما تستوجبه هذه المعاملة والانتقام من المساءة والتبعة، كأن العقاب مبغوض والله يستر أثره السيّء إذا كان عقاباً من مظلوم لظالمه الباغي، وهذا ينطبق على العلاقات بين المسلمين.

٦١ ـ ﴿ذلك بأن الله يولج الليل في النهار﴾ فيحله محله ﴿ويولج النهار في الليل﴾ فضوء الصباح يرد على ظلمة الليل ويتسع حتى يشغل النهار ماشغله الليل، وهذه سنة الله في ظهور المظلوم على الباغي. ﴿وأن الله سميع﴾ لأقوالهم ﴿بصير﴾ بأعمالهم فينصر المظلوم.

ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

٦٢ ـ ﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾ لا يشوبه باطل أو أنه لا حق غيره إلا ماحققه هو ﴿وأن مايدعون من دونه هو الباطل﴾ فالتصرف في التكوين والتشريع من الله سبحانه لأن الله حق يحق بمشيئته كل الحق. وكل مايركن إليه ظالم باغ من دونه باطل ﴿وأن الله هو العلي﴾ يعلو ولا يعلى عليه ﴿الكبير﴾ وكل من ادعى الكبر له الهوان والمذلة.

٦٣ ـ ﴿ألم تر﴾ من قدرة الله ﴿أن الله أنزل من السماء ماء﴾ والسماء هي كل ما علا ﴿فتصبح الأرض مخضرة﴾ بذلك الماء ﴿إن الله لطيف خبير﴾ يعلم أدق الأشياء. وهي تشهد بعموم قدرته.

٦٤ ـ ﴿له مافي السموات ومافي الأرض﴾ يتصرف بملكه كما يشاء بلطف وخبرة ﴿وإن الله لهو الغني﴾ فلا يحتاج إلى شيء ﴿الحميد﴾ يحمد على جميل فعاله والنفع يعود إلى الخلق أنفسهم.

٦٥ ـ ﴿ألم تر أن الله سخر لكم مافي الأرض﴾ استشهاد على عموم القدرة ﴿والفلك تجري في البحر بأمره﴾ فهي مسخرة لكم ﴿ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه﴾ فما يقع على الأرض من الأحجار السماوية والصواعق بإذنه ﴿إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ فمن كمال النعم تسخير كل شيء للناس رأفة ورحمة بهم.

٦٦ ـ ﴿وهو الذي أحياكم﴾ في الحياة الدنيا ﴿ثم يميتكم﴾ عند حلول أجلكم ﴿ثم يحييكم﴾ يوم البعث في الحياة الآخرة ﴿إن الإنسان لكفور﴾ لا ينكر الله على هذه النعم الإلهية العظمى من إحياء وإماتة وإحياء.

٦٧ ـ ﴿لكل أمة﴾ من الأمم المتعاقبة ﴿جعلنا منسكاً هم ناسكوه﴾ وعبادة عابدوها ﴿فلا ينازعنك في الأمر﴾ من أوامر ونواه وعبادات. فقد بدل الله منسك السابقين بما هو أحسن منه في حق اللاحقين، لتقدمهم في الرقي الفكري واستعدادهم في الكمال الحق لما هو أكمل وأفضل. ﴿وادع الى ربك﴾ وطب نفساً ولا تعبأ بمنازعتهم ﴿إنك لعلى هدى مستقيم﴾ فصراطك مستقيم هاد.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

٦٨ ـ ٦٩ ـ ﴿وإن جادلوك﴾ في أمر اختلاف منسكك عن الشرائع السابقة ﴿فقل الله أعلم بما تعملون﴾ وهو يحكم حكم من يعلم ﴿الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون﴾ وتخالفون الحق وأهله.

٧٠ ـ ﴿ألم تعلم أن الله يعلم مافي السماء والأرض﴾ ومن ذلك ما يعملون ﴿إن ذلك في كتاب﴾ تثبت فيه، فهو محفوظ ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ فثبته في كتاب محفوظ هين عليه.

٧١ ـ ﴿ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطاناً﴾ وبرهاناً وحجة ﴿ماليس لهم به علم﴾ إذ من الممكن أن يعتقد المرء ويعبد أشياء من غير حجة ودليل، ﴿وما للظالمين من نصير﴾ ينصرهم فيمنع عنهم العذاب. والبرهان نصير لمن يحتج به والعلم نصير، وهم ظالمون لا برهان لهم ولا علم.

٧٢ ـ ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ واضحة الدلالة ﴿تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر﴾ فهم من أثر الإنكار ﴿يكادون يسطون﴾ ويبطشون ﴿بالذين يتلون عليهم آياتنا﴾ لما يأخذهم من غيظ ﴿قل أفأنبئكم بشر من ذلكم﴾ الذي تعدونه شراً تحترزون منه وتصدون عن سماعه، لتتقوه ﴿النار﴾ شر من ذلك ﴿وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير﴾ فهذا هو الشر فاتقوه.

٧٣ـ ﴿ يا أيها الناس﴾ جميعاً والعناية بالمشركين منهم ﴿ضرب مثل﴾ وهو الوصف الذي يمثل الشيء، سواء كان واقعاً أو مقدراً متخيلاً ﴿فاستمعوا له﴾ واتعظوا به ﴿إن﴾ آلهتكم ﴿الذين تدعون من دون الله﴾ مشركين به ﴿لن يخلقوا ذباباً﴾ إذا فرض أنهم أرادوا ذلك ﴿ولو اجتمعوا له﴾ وهو أضعف الحيوانات ﴿وإن يسلبهم الذباب شيئاً﴾ مما عليهم ﴿لا يستنقذوه منه﴾ بالانتزاع منه، فلا قدرة لهم على خلق وتدبير أهون الأمور. وكيف يستحق الدعوة والعبادة من كان هذا شأنه ﴿ضعف الطالب﴾ فإن من المفروض أنهم يطلبون خلق الذباب ﴿والمطلوب﴾ وهو الذباب. فهم أضعف من أضعف ما يستضعفه الناس. ٧٤ ـ ﴿ما قدروا الله حق قدره﴾ ومنزلته التي تقتضيها أوصافه، وقدره أن يتخذ رباً لا رب غيره ﴿إن الله لقوي﴾ لا يعرضه ضعف ﴿عزيز﴾ لا تعتريه ذلة، ولا يستذله من سوّى بينه وبين الأصنام والآلهة. ٧٥ ـ ﴿الله يصطفي﴾ يأخذ الصفوة والخلاصة ﴿من الملائكة رسلاً ومن الناس﴾ من يصلح لذلك ولازمه العصمة. ﴿إن الله سميع بصير﴾ وقد ظهرت حاجتهم، وسمع استدعاؤهم لما ترتفع به حاجاتهم، فأرسل رسله إليهم. ٧٦ ـ ﴿يعلم مابين أيديهم﴾ فهو يعلم مابين الرسل وبين من يؤدون إليه ﴿وما خلفهم﴾ وهو ما بينهم وبين الله سبحانه، والجميع سائرون من جانب الله إلى الناس فالوحي ورسله معصومون في إبلاغهم للناس ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ فكيف يخفى عليه شيء. وكل شيء مملوك لذاته تعالى فلا استقلال لغيره ولا خفاء له منه. ٧٧ ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾ أمر بالصلاة ﴿واعبدوا ربكم﴾ أمر بسائر العبادات المشرعة ﴿وافعلوا الخير﴾ بإقامة سائر الأحكام والقوانين المشرعة ﴿لعلكم تفلحون﴾ ففي العمل بأحكام الله خير المجتمع وسعادة الأفراد وحياتهم.. ٧٨ ـ ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾ فابذلوا وسعكم في مدافعة العدو وكل ما يتوقع منه الشر كالشيطان الذي يضل الإنسان، والنفس الأمارة بالسوء، وخالفوا النفس في هواها، وقد سمى رسول الله ﷺ ذلك الجهاد الأكبر. وحق الجهاد أن يكون خالصاً لوجهه تعالى ﴿هو اجتباكم﴾ أي جمعكم للدين ﴿ما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ لا في أصل الأحكام ولا في ما يطرأ عليها فهي شريعة سمحة سهلة ﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾ الذي أسلم لربه ﴿هو سماكم المسلمين من قبل﴾ نزول القرآن ﴿وفي هذا﴾ الكتاب سماكم مسلمين أيضاً، وقد قبل الله تعالى إسلامكم ﴿ليكون الرسول شهيداً عليكم﴾ فله شهادة الأعمال ﴿وتكونوا شهداء على الناس﴾ في أعمالهم ﴿فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ عاملين بالأحكام العبادية والمالية ﴿واعتصموا بالله﴾ فائتمروا بما أمر وانتهوا عما نهى ﴿وهو مولاكم﴾ وليس للعبد أن ينقطع عن مولاه ﴿فنعم المولى﴾ ولا ولي غيره ﴿ونعم النصير﴾ فلا نصير غيره، فلتطب نفوسكم ولتقو قلوبكم.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ ۖ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ المُؤْمِنُونَ

سورة المؤمنون

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: الدعوة إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، تمييز المؤمنين من الكفار بمسلكهم، تبشير وإنذار.

١ ـ ٧ ـ ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ ظفروا وأدركوا بغيتهم، والفلاح الدنيوي هو البقاء والعلم والغنى والعز، والفلاح الأخروي بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعز بلا ذل، وعلم بلا جهل. والإيمان هو الإذعان والتصديق بشيء بالالتزام بلوازمه ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ والخشوع تأثر خاص من المقهور قبال القاهر، حيث ينقطع عن غيره بالتوجه إليه ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ فهم منصرفون عن اللغو وهو من الأفعال المباحة التي لا ينتفع بها في الآخرة أو الدنيا. فهم متعلقون دائماً بساحة الكبرياء والعظمة، ولا يستعظمون ما يهتم به سفلة الناس وجهلتهم من متاع الدنيا﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾ فهم مطهرون مالهم بالإنفاق منه. وذلك من دواعي سعادة المجتمع وكمال حفظه ﴿والذين هم لفروجهم﴾ والفرج ما يسوء ذكره من الرجال والنساء ﴿حافظون﴾ يجتنبون المواقعة المحرمة ﴿إلا على أزواجهم﴾ من النساء الحرائر ﴿أو ما ملكت أيمانهم﴾ من الجواري المملوكة ﴿فإنهم غير ملومين﴾ بمواقعتهن ﴿فمن ابتغى وراء ذلك﴾ مما أحل الله ﴿فأولئك هم العادون﴾ المتجاوزن لحدود الله. ٨ ـ ٩ ـ ﴿والذين هم لأماناتهم﴾ أي ما ائتمنوا عليه من مال ونحوه، أو هي أمانة حفظ استقامة الفطرة متناسقة مع الوجود؛ بحفظ دين الله وأحكامه ونظامه. ﴿وعهدهم﴾ وهو ما التزموا به بصيغة العهد كالنذر واليمين، أو يمكن أن يراد بذلك مطلق التكليف المتوجه إلى المؤمن ﴿راعون﴾ حافظون فلا ينقضون عهدهم، وقد استقر إيمانهم ﴿والذين هم على صلواتهم يحافظون﴾ فهم يراقبونها لكيلا يفوتهم شيء منها. ١٠ ـ ١١ ـ ﴿أولئك هم الوارثون﴾ والإرث شيء لغيرك آن أوانه لك ﴿الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ فهي لهم بعدما كانت في معرض أن يشاركهم فيها غيرهم.وقد ورد في الروايات أن لكل إنسان منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار فإذا مات ودخل أحدهما ورث آخر مكانه. ١٢ ـ ١٤ ـ ﴿ولقد خلقنا﴾ جنس ﴿الإنسان﴾ آدم ومن نسل منه ﴿من سلالة من طين﴾ حيث جعل النسل من النطفة ﴿ثم جعلناه نطفة﴾ والنطفة هي خلية واحدة ﴿في قرار﴾ ومقر ﴿مكين﴾ هو الرحم لتمكنه من حفظ النطفة ﴿ثم خلقنا النطفة علقة﴾ وهي الخلايا الناتجة من تقسم البيضة الملقحة﴿فخلقنا العلقة مضغة﴾ باستمرار الانقسام ﴿فخلقنا المضغة عظاماً﴾ بالتشكل الجنيني ﴿فكسونا العظام لحماً﴾ بعد تشكلها ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ ليبرز بذات وصفات وخواص مغايرة لما سبق ﴿فتبارك الله﴾ لأنه مختص بكثير الخير الذي يجود به على خلقه وهو ﴿أحسن الخالقين﴾ والخلق في أصله بمعنى التقدير فقد أوجد الله

بسم الله الرحمن الرحيم

قد أفلح المؤمنون ﴿١﴾ الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴿٢﴾
والذين هم عن اللغو معرضون ﴿٣﴾ والذين هم للزكوة فاعلون ﴿٤﴾
والذين هم لفروجهم حافظون ﴿٥﴾ إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ﴿٦﴾
فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ﴿٧﴾ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ﴿٨﴾
والذين هم على صلواتهم يحافظون ﴿٩﴾ أولئك هم الوارثون ﴿١٠﴾ الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴿١١﴾
ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴿١٢﴾ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ﴿١٣﴾ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴿١٤﴾ ثم إنكم بعد ذلك لميتون ﴿١٥﴾ ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴿١٦﴾ ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين ﴿١٧﴾

الأشياء وركب أجزاءها بحيث تتناسب فيما بينها ومع ما حولها ومن ذلك ينتشر الخير الكثير. ١٥ ـ ١٦ ـ ﴿ثم إنكم بعد ذلك لميتون﴾ بيان لتمام التدبير الإلهي فالموت مرحلة من مسيرتكم ﴿ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ وهذا تمام التدبير فهي المرحلة التي إذا حل بها الإنسان لزمها. ١٧ ـ ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ أي سبل وهي السموات السبع وهي السبل التي ينزل منها الوحي وتسلكها الأعمال في صعودها ﴿وما كنا عن الخلق غافلين﴾ فلستم بمعزل عن مراقبتنا. ١٨ـ٢٠ ـ ﴿وأنزلنا من السماء﴾ وهي ما علاكم وأظلكم ﴿ماء بقدر﴾ حسب ما يقتضيه التدبير الإلهي ﴿فأسكناه في الأرض﴾ في الجبال والسهول تتفجر منه العيون ﴿وإنا على ذهاب به لقادرون﴾ على إذهابه دون أن تهتدوا إلى العلم به ﴿فأنشانا لكم به جنات من نخيل وأعناب﴾ إخراجاً من الأرض وإنباتاً لها ﴿لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون﴾ وهذا كله من التدبير الإلهي ﴿وشجرة تخرج من طور سيناء﴾ هي شجرة الزيتون ﴿تنبت بالدهن﴾ فتثمر ثمرة فيها الزيت ﴿وصبغ﴾ أي إدام ﴿للآكلين﴾ .٢١ ـ ٢٢ ـ ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة﴾ ودلالة يستدل بها على أنه تعالى مدبر لأمر خلقه، حنون رؤوف بهم ﴿نسقيكم مما في بطونها﴾ من ألبان ﴿ولكم فيها منافع كثيرة﴾ من صوفها وشعرها ووبرها وجلدها ﴿ومنها تأكلون﴾ من لحومها ﴿وعليها وعلى الفلك تحملون﴾ أي تحملون على الأنعام في البر وعلى السفن في البحر. ٢٣ ـ ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ وهو أول أولي العزم من الرسل أصحاب الشرائع والكتب ﴿فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ دعوة إلى التوحيد ورفض اتخاذ الآلهة كعبادة الملائكة والجن وشياطين الإنس بدعوى ألوهيتهم فلا رب لكم غيره حتى ترجوا رحمته وتخافوا سخطه ﴿أفلا تتقون﴾ عذابه وأنتم تكفرون به ولا تعبدونه. ٢٤ ـ ٢٥ ـ ﴿قال الملأ﴾ وهم أشراف الناس ﴿الذين كفروا من قومه﴾ ولم يؤمن منهم أحد ﴿ما هذا إلا بشر مثلكم﴾ فلو كان صادقاً فيما يدعيه من الوحي والاتصال بالغيب كان نظير ما يدعيه متحققاً فيكم، وإذلم يتحقق فهو كاذب ﴿يريد أن يتفضل عليكم﴾ ويترأس فيكم ﴿ولو شاء الله﴾ أن يدعونا بدعوة غيبية ﴿لأنزل ملائكة﴾ وهم المقربون الشفعاء، فهم الأجدر بالإنزال ﴿ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين﴾ وهذه حجتهم الثالثة وهي أنه لم يتفق لآبائهم وهم أعقل منهم ما يناظر هذه الدعوة فليست إلا بدعة كاذبة ﴿إن هو إلا رجلٌ به جنّة﴾ فقد حل به من الجن من يتكلم على لسانه، فيقول مالا يقوله إلا مصاب في عقله وهذه هي الحجة الرابعة.﴿فتربصوا به﴾ وانتظروا ﴿حتى حين﴾ لعله يفيق من جنونه أو يموت . ٢٦ ـ ﴿قال رب انصرني بما كذبون﴾ أي بدل تكذيبهم لي، أو انصرني بالذي كذبوني به وهو العذاب. ٢٧ ـ ﴿فأوحينا إليه﴾ لنصره ﴿أن اصنع الفلك بأعيننا﴾ ومراقبتنا ﴿ووحينا﴾ حفظنا وتعليمنا ﴿فإذا جاء أمرنا﴾ وهو حكم الفصل والقضاء على القوم الظالمين بالغرق ﴿وفار التنور﴾ وخرج الماء من محل النار وهو من عجيب الأمر في ذاته ﴿فاسلك فيها من كل زوجين﴾ من الحيوان ﴿اثنين﴾ ذكراً وأنثى ﴿وأهلك﴾ وهم خاصتك، أو أهلك والمؤمنون

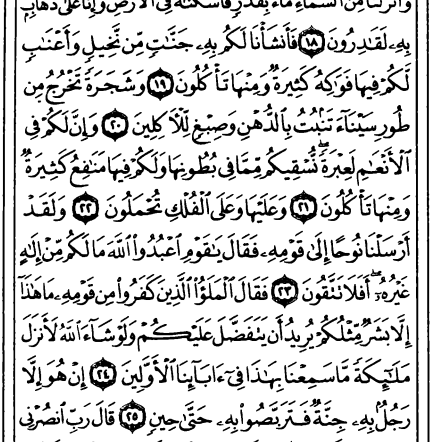
وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً ۖ مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

بك ﴿إلا من سبق عليه القول فيهم﴾ وحتم عليه القضاء بالغرق ﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا﴾ ولا تشفع لهم ﴿إنهم مغرقون﴾ تأكيد للنهي عن الكلام فيهم فضلاً عن الشفاعة لهم. ٢٨ ـ ٢٩ ـ ﴿فإذا استويت أنتَ ومن معك على الفلك﴾ فكنتم جميعاً على السفينة ﴿فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين﴾ وأمره (ع) بالحمد دليل على أنه (ع) من العباد المخلصين، فإنه تعالى منزه عما يصفه غيرهم وتأكيد لهلاك القوم. ﴿وقل رب أنزلني منزلاً مباركاً﴾ للنجاة من الطوفان ﴿وأنتَ خير المنزلين﴾ فالإنزال المبارك من خير المنزلين. ٣٠ ـ ﴿إن في ذلك لآيات﴾ ودلائل ﴿وإن كنا لمبتلين﴾ فما جرى مع هذه الدعوة كان اختباراً إلهياً. ٣١ ـ ٣٢ ـ ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين﴾ والقرن هم أهل عصر واحد ﴿فأرسلنا فيهم رسولاً منهم أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾ دعوة لهم إلى التوحيد ونفي الشرك ﴿أفلا تتقون﴾ عذاب ربكم؛ بالإيمان به وتوحيده. ٣٣ ـ ٣٨ ـ ﴿وقال الملأ﴾ الأشراف ﴿من قومه﴾ المتوغلون في الدنيا، المخلدون إلى الأرض ﴿الذين كفروا﴾ بعبادة الله، وهذه أولى صفاتهم ﴿وكذبوا بلقاء الآخرة﴾ وهذه ثاني صفاتهم ﴿وأترفناهم في الحياة الدنيا﴾ وهي ثالثة صفاتهم وقد اتبعوا الهوى ونسوا كل حقيقة ﴿ماهذا إلا بشر مثلكم﴾ استحقاراً لأمره ﴿يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون﴾ فهم يرون أنه ليس للإنسان أزيد مما للحيوان فلا فضيلة إلا في الأكل والشرب والمتع الحيوانية ﴿ولئن أطعتم بشراً مثلكم﴾ من غير فضل له عليكم ﴿إنكم إذاً لخاسرون﴾ فهو يقيد حريتكم ولا سعادة في الدنيا إلا الحرية في التمتع من لذائذها ﴿أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون﴾ ومبعوثون من قبوركم للحساب والجزاء ﴿هيهات هيهات لما توعدون﴾ فذلك أمر فيه أشد استبعاد ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا﴾ فيموت قوم في هذه الدنيا ويحيا آخرون ﴿وما نحن بمبعوثين﴾ لحياة أُخرى ﴿إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً﴾ وقال أوحي إلي ولم يوح إليه فرسالته كاذبة ودعواه داحضة ﴿وما نحن له بمؤمنين﴾ إشراكاً للعامة لكي لا يتهمونهم بأنهم يأمرونهم بالكفر بالرسول، أو خاصة أنفسهم لتقتدي بهم العامة. ٣٩ ـ ﴿قال رب انصرني بما كذبون﴾ أي بسبب تكذيبهم أو بالعذاب الذي يكذبوه. ٤٠ ـ ﴿قال عما قليل ليصبحن نادمين﴾ أي أقسم لتأخذنهم الندامة بعد قليل، بمشاهدة حلول العذاب.

فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَٰرَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾

٤١ ـ ﴿فأخذتهم الصيحة﴾ السماوية وهي العذاب أخذاً ﴿بالحق﴾ بسبب القضاء الحق أو أخذاً مصاحباً للحق ﴿فجعلناهم غثاء﴾ كغثاء السيل وهو ما يحمله من يابس النبات والورق وباقي العيدان ﴿فبعداً للقوم الظالمين﴾ إبعاد ولعن لهم أو دعاء عليهم. وليس من البعيد أن يكونوا هم ثمود قوم صالح.

٤٢ ـ ﴿ثم أنشأنا﴾ وخلقنا ﴿من بعدهم قروناً آخرين﴾ بعدما حل العذاب بهم.

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۖ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

٤٣ ـ ﴿ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون﴾ فإذا جاء أجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون. ٤٤ ـ ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترا﴾ أي فرادى يتبع بعضهم بعضاً ﴿كل ما جاء أمة رسولها﴾ المبعوث فيها ﴿كذبوه﴾ وجحدوا رسالته ﴿فأتبعنا بعضهم بعضاً﴾ بالعذاب ﴿وجعلناهم أحاديث﴾ وهي أبلغ كلمة تفصح عن القهر الإلهي الذي يغشى أعداء الحق حيث يمحو العين ويعفو الأثر ولا يبقى إلا الخبر ﴿فبعداً لقوم لا يؤمنون﴾ لعناً لهم. ٤٥ ـ ٤٦ ـ ﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون﴾ يشد عضده ﴿بآياتنا﴾ وهي العصا واليد البيضاء وغيرها ﴿وسلطان مبين﴾ وحجج واضحة ﴿إلى فرعون وملئه﴾ وهم الأشراف المتبوعون، وأما سائر القوم فهم أتباع أو رعاع ﴿فاستكبروا وكانوا قوماً عالين﴾ يتطاولون على بني إسرائيل، ويقهرونهم على الطاعة، ويستعبدونهم. ٤٧ ـ ﴿فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا﴾ لا فضل لهم علينا ﴿وقومهما لنا عابدون﴾ فهما مثل قومهم ويجب أن يقوما بعبادتنا أيضاً كما قال فرعون لموسى: ﴿لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين﴾. ٤٨ ـ ٤٩ ـ ﴿فكذبوهما فكانوا من المهلكين﴾ فالسنة الالهية تجزي بإهلاك المكذبين ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ فالتوراة نزلت بعد إهلاك المكذبين ﴿لعلهم يهتدون﴾ إلى الحق. ٥٠ ـ ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ فولادته من غير أب وحملها من غير زوج آية واحدة ﴿وآويناهما﴾ وأرجعناهما ﴿إلى ربوة﴾ ومرتفع واسع من الأرض ﴿ذات قرار ومعين﴾ والمَعين هو الماء الجاري. ٥١ ـ ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات﴾ بالارتزاق منها ﴿واعملوا صالحاً﴾ لمقابلة الارتزاق بشكر النعمة ﴿إني بما تعملون عليم﴾ تحذير من مخالفة أمره وبعث إلى ملازمة التقوى.

٥٢ ـ ٥٣ ـ ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ والأمة هي الجماعة من الناس التي يجمعها مقصد واحد، فالأمة المسلمة يجمعها مقصد واحد هو الاسلام فإذا اختلف المقصد، كانت أمة غير مسلمة ﴿وأنا ربكم فاتقون﴾ فالله هو رب الأمة المسلمة وهوالمشرع لها والحاكم فيها، وإذا كان الله هو الرب فتجب عبادته وإطاعته فيما أمر به من أحكام والاجتناب عما نهى عنه. ومع أن الله أرسل رسله تترا فالجميع أمة واحدة ولكنهم اختلفوا. ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً﴾ فلم يأتمروا بأمره بل تقطعوا أمرهم جماعات وقطعاً أو كتباً اختص بكل كتاب حزب ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ والحزب هو الجماعة التي انفصلت برأي معين.

٥٤ ـ ﴿فذرهم في غمرتهم﴾ وما يسترهم من جهالة ﴿حتى حين﴾ حتى يبغتهم العذاب الموعود.

٥٥ ـ ٥٦ ـ ﴿أيحسبون أن مانمدهم به﴾ من رزق ﴿من مال وبنين﴾ دون انقطاع ﴿نسارع لهم في الخيرات﴾ بإفاضتها عليهم لكرامتهم ولرضانا عنهم ﴿بل لا يشعرون﴾ أننا نمدهم في طغيانهم يعمهون ثم نستدرجهم من حيث لا يعلمون، ﴿وأملي لهم إن كيدي متين﴾.

٥٧ ـ ٦١ ـ ﴿إن﴾ المؤمنين ﴿الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾ وقد اتخذوا الله سبحانه رباً يدبر أمرهم وهم مشفقون

من خشيته تأثراً قلبياً بعظمته ﴿والذين هم بآيات ربهم يؤمنون﴾ فهم يجيبون دعوة رسله ﴿والذين هم بربهم لا يشركون﴾ فالإيمان بآيات الله إيمان بالشريعة التي شرعت لعبادته وحده لا شريك له. ومن لطيف القول للإمام علي « لو كان لربك شريك لأتتك رسله » ﴿والذين يؤتون﴾ ويعطون ﴿ما آتوا﴾ من المال أو يقومون بالأعمال الصالحة ﴿وقلوبهم وجلة﴾ وخائفة ﴿أنهم إلى ربهم راجعون﴾ فيأتون بصالح العمل إيماناً منهم باليوم الآخر ﴿أولئك يسارعون في الخيرات﴾ أي الأعمال الصالحة ﴿وهم لها سابقون﴾ فكل منهم يريدها فيتسابقون إليها. ٦٢ ـ ﴿ولا نكلف نفساً إلا وسعها﴾ فلا يتوهمن متوهم أن أمر التلبس بصفات المؤمنين عسير ودون أجر، بل هو سهل يسير، والله مجزيهم أحسن ماكانوا يعملون. وهذا نفي للتكاليف المبنية على الحرج في أصل تشريعه تعالى كتشريع الرهبانية، والأمر بذبح الأولاد. ونفي التكاليف التي عرضت لها الحرجية، كالقيام في الصلاة للمريض ﴿ولدينا كتاب ينطق بالحق﴾ معرباً عن أعمالهم. مصوناً من الزيادة والنقيصة والتحريف ﴿وهم لا يظلمون﴾ بنسيان أجرهم أو إنقاصه. ٦٣ ـ ﴿بل قلوبهم في غمرة من هذا﴾ القرآن، أو ما وصفته الآيات السابقة فقلوبهم الكافرة غافلة ومشغولة عما وصفنا به المؤمنين ﴿ولهم أعمال من دون ذلك﴾ فأعمالهم خبيثة تشغلهم عن ذلك ﴿هم لها عاملون﴾ فهم يسعون الى هذه الغفلة. ٦٤ ـ ٦٧ ـ ﴿حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب﴾ وهم متبوعون لتابعيهم ﴿إذا هم يجأرون﴾ ويستغيثون ويتضرعون والجؤار صوت الوحش كالظباء ﴿لا تجأروا اليوم﴾ ولا تستغيثوا ﴿إنكم منا لا تنصرون﴾ توبيخ وتقريع فلا أمل بالنجاة. فلا ناصر من الله والله لا ينصركم. ﴿قد كانت آياتي تتلى عليكم﴾ لتؤمنوا ﴿فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾ فتعرضون عنها وترجعون إلى أعقابكم القهقرى ﴿مستكبرين به﴾ أي بنكوصكم ﴿سامراً﴾ تحدثون بأمره وفي الليل ﴿تهجرون﴾ وتهذون. ٦٨ ـ ٧١ ـ ﴿أفلم يدبروا القول﴾ استفهام للإنكار وقطع لأعذارهم في عدم تدبر القرآن ﴿أم﴾ أي هل ﴿جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين﴾ فما جاء به بدعاً ينكر ويتحرز منه وكون الشيء بدعاً لا يستلزم كونه باطلاً ولكن لو صحت الهداية لوجبت للجميع ﴿أم لم يعرفوا رسولهم﴾ بمعرفة حسبه ونسبه وسجاياه وملكاته من اكتسابية وموروثة حتى يتبينوا صدقه. ﴿فهم له منكرون﴾ وهو يندب إلى حقائق وشريعة تحير العقول بعظمتها. ﴿أم يقولون به جنة﴾ وهو عذر آخر تشبثوا به ﴿بل جاء بالحق﴾ وهم كاذبون في عذرهم ﴿وأكثرهم للحق كارهون﴾ فلذلك كرهوا الإيمان به، وأما قليلهم فمستضعفون لا يعبأ بهم ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم﴾ وهذه بغيتهم من الدعوة ـ وهذا مالا يكون البتة ـ ﴿لفسدت السموات والأرض ومن فيهن﴾ فهم يتخذون الأرباب، وينفون الرسالة والمعاد ويقترفون ما أرادوه من الفحشاء والمنكر. والنظام يجري بالحق، فلو اتبع الحق أهواءهم لاختل النظام وهوى. فللإنسان حقيقة كونية مرتبطة في وجودها بالكون العام، وينال كمال سعادته بطي الطريق المنصوب لذلك وهو مجهز

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾

بالقوى والوسائل المناسبة لهذا الطريق وهذا هو الدين من اعتقاد وعمل. ﴿بل أتيناهم بذكرهم﴾ وهو القرآن الذي يذكر لهم دين الله من اعتقاد حق وعمل صالح ﴿فهم عن ذكرهم﴾ ودينهم الحق ﴿معرضون﴾ ناكصون. ٧٢ ـ ﴿أم تسألهم خرجاً﴾ غلة ومالاً يدفعونه إليك ﴿فخراج ربك خير وهو خير الرازقين﴾ فهو رازقك ولا حاجة لك إلى خرجهم. ٧٣ ـ ٧٤ ـ ﴿وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم﴾ هو الطريق الواضح الذي لا يختلف ولا يتخلف في حكمه، وهو إيصاله سالكيه إلى الغاية المقصودة، وهذه صفة الحق ﴿وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون﴾ فهم عادلون عنه مائلون إلى غيره فالدين الحق مجموعة من التكاليف الاعتقادية والعملية، والتكليف لا يتم إلا بحساب وجزاء، ورفضهم لدين الله وأحكامه إنما يعود إلى عدم إيمانهم باليوم الآخر، فلا يريدون من الحياة إلا التمتع بالبطن ومادونه. فهم يتبعون الهوى، وافق الحق أو خالفه. ٧٥ ـ ٧٦ ـ ﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر﴾ لم يرجعوا بمقابلة ذلك بالشكر بل ﴿للجوا في طغيانهم﴾ وأصروا وعاندوا في تمردهم ﴿يعمهون﴾ به ويترددون ويتحيرون. فلا تنفعهم رحمة بكشف ضر أو بتخويف بعذاب ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ الخفيف الذي لا ينقطع به الإنسان عن عامة الأسباب ﴿فما استكانوا لربهم﴾ ولا خضعوا له ﴿وما يتضرعون﴾ إليه. ٧٧ ـ ﴿حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد﴾ وهو عذاب الموت وما يستتبعه من عذاب الآخرة ﴿إذا هم فيه مبلسون﴾ يائسون من كل خير. ٧٨ ـ ﴿وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار﴾ وعليهما يتوقف الاستدلال وبهما يتم. وهما يخصان الأنواع الحيوانية وبهما يقف الموجود المجهز بهما موقفاً جديداً وتتسع فعاليته فيدرك خيره وشره، نافعه وضاره، فيتجه بحركته الإرادية إلى ما يريده ويبتعد عما يكرهه، ويستقر في عالم حديث فيه من معاني الجمال واللذة والعزة والغلبة والمحبة مالايناله بغير ذلك ﴿والأفئدة﴾ مرتبة وجودية أعلى، فيها يدرك الإنسان ما غاب وما حضر وما مضى من أخبار الأشياء وآثارها، ثم يرقى بفؤاده أي بتعقله إلى ما فوق المحسوسات والجزئيات، فيتعقل الكليات فيحصّل القوانين الكلية، ويتفكر في العلوم النظرية والمعارف الحقيقية، وينفذ بسلطان التدبر في أقطار السموات والأرض ﴿قليلاً ما تشكرون﴾ عجيب التدبير الإلهي. ٧٩ ـ ﴿وهو الذي ذرأكم﴾ وأظهر وجودكم ﴿في الأرض﴾ متعلقين بها ﴿وإليه تحشرون﴾ فيخرجكم ويرجعكم إلى لقائه. ٨٠ ـ ﴿وهو الذي يحيي ويميت﴾ فقد جعلكم ذوي علم بعد أن أظهر وجودكم، فالعلم متوقف على الحياة والحشر متوقف على الموت ﴿وله اختلاف الليل والنهار﴾ حتى ينقضي العمر، ويحل الأجل أو ربما يراد بذلك الإشارة إلى الفصول الأربعة المتفرعة على طول النهار والليل وقصرهما. ﴿أفلا تعقلون﴾ الانفعال الجاري بين الأشياء بما بينها من الروابط المختلفة المجعولة بالتكوين فالله سبحانه هو المدبر ومن عقل تنبه فتدبر فآمن. ٨١ ـ ﴿بل قالوا﴾ ـ بدل أن يعقلوا ـ ﴿مثل ما قال الأولون﴾ فتقليد آبائهم منعهم من اتباع الحق، فانغمروا في الماديات سنة جارية بينهم.

﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

٨٢ ـ ٨٣ ـ ﴿قالوا﴾ إنكاراً للمعاد ﴿أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون﴾ وإذا لم يكن هناك معاد فلا جدوى من الدين ﴿لقد وعدنا نحن وآباؤنا﴾ وعد البعث ﴿هذا من قبل﴾ فهو ليس بحديث ﴿إن هذا﴾ البعث الموعود ﴿إلا أساطير﴾ وخرافات ﴿الأولين﴾ الماضين؛ والدليل على كونها أساطير تخويف الأنبياء من قديم الدهر بقيام الساعة، ولو كان هذا حقاً لوقع.

٨٤ ـ ٨٥ ـ ﴿قل لمن الأرض ومن فيها﴾ فاسألهم يامحمد عن الملك الحقيقي، الذي هو قيام شيء بشيء بحيث لا يستقل المملوك عن مالكه ﴿إن كنتم تعلمون﴾ مالكها التكويني الحقيقي. ﴿سيقولون لله﴾ فلا مناص لهم من الاعتراف بكونها لله سبحانه ﴿قل أفلا تذكرون﴾ توبيخاً لهم على عدم تذكرهم بالحجة الدالة على إمكان البعث، فالمالك له أن يتصرف بالإحياء بعد الإماتة.

٨٦ ـ ٨٧ ـ ﴿قل من رب السموات السبع﴾ التي تتنزل منها أقدار الأمور وأقضيتها ﴿ورب العرش العظيم﴾ الذي تصدر منه الأحكام لعامة ما في العالم من الملائكة فمن دونهم ؟ ﴿سيقولون لله﴾ فإنهم وما يملكونه مملوكون لله وهو الذي ملّكهم ما ملكوه. ﴿قل أفلا تتقون﴾ سخطه بإنكار البعث وعدِّه أساطير الأولين، وأنتم تسخرون من أنبيائه الذين وعدوكم به.

٨٨ ـ ٨٩ ـ ﴿قل من بيده ملكوت﴾ وسلطان وحكم ﴿كل شيء﴾ ومن له الملكوت يملك المال والمالك ﴿وهو يجير﴾ ويحمي من قصده من السوء ﴿ولا يجار عليه﴾ فهو الحافظ لا حافظ دونه ولا يمنعه شيء ـ إذا أراد شيئاً بسوء ـ عما أراد ﴿إن كنتم تعلمون﴾ من بيده التصرف الحقيقي في المخلوقات وأفعالهم. ﴿سيقولون لله﴾ فالملكوت له ﴿قل﴾ توبيخاً وتبكيتاً ﴿فأنى تسحرون﴾ فإلى متى يخيل لكم الحق باطلاً ؟ فإذا كان الملك المطلق لله فله أن يوجد النشأة الآخرة.

٩٠ ـ ﴿بل أتيناهم بالحق﴾ فهم معترفون بصحة الحجج ﴿وإنهم لكاذبون﴾ في نفيهم البعث.

٩١ ـ ﴿ما اتخذ الله من ولد﴾ بإيجاد الولد بالتبعض والاشتقاق ـ ومن في سياق النفي نفي للجنس ـ لا من ملائكة ولا من قديسين ولا من غيرهم ﴿وما كان معه من إله﴾ ترقٍ من نفي الأخص إلى نفي الأعم ﴿إذاً لذهب كل إله بما خلق﴾ ولاستقل كل إله بالتدبير، ولانقطعت رابطة الاتحاد والإتصال بين أنواع التدابير الجارية في العالم، فينقطع نظام عالم الإنسان عن نظام عالم الحيوان عن نظام الشمس والقمر... إلخ. وفي ذلك فساد جميع العوالم. ﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾ فلكل تدبير تدبير عام كلي حاكم وتدبير جزئي خاص محكوم، فلو انقطع عن التدبير العام الكلي ما دونه ـ لانفصال الإله الأدنى عن الأعلى ـ لما تم التدبير الكلي الحاكم لأن كمال تدبيره بتدبير ما دونه ﴿سبحان الله عما يصفون﴾ تنزيهاً له عن شركهم وقولهم أن كل إله خالق لما دونه.

٩٢ ـ ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ وهو لا يعلم لنفسه شريكاً ﴿فتعالى عما يشركون﴾ قل أفتنبئون الله بما لا يعلم في

بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

السموات ولا في الأرض. ٩٣ ـ ٩٤ ـ ﴿قل رب إما تريني﴾ فأعاين ﴿ما يوعدون﴾ من العذاب الدنيوي، وقد أنكروا البعث، واستهزؤا بالرسل ﴿رب فلا تجعلني في القوم الظالمين﴾ دعاء واستغاثة وتضرع لئلا يكون فيهم حين يشملهم العذاب. ٩٥ ـ ﴿وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون﴾ تطييب لنفس الرسول، وقد أراد الله عذابهم يوم بدر. ٩٦ ـ ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ واختر من الحسنات أحسنها لتدفع ﴿السيئة﴾ التي يؤذونك بها ﴿نحن أعلم بما يصفون﴾ فلا يحزنك ما تلقاه من إساءتهم. ٩٧ ـ ٩٨ ـ ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين﴾ وإغوائهم ﴿وأعوذ﴾ وأحتمي ﴿بك رب أن يحضرون﴾ فما ابتلي به المشركون إنما هو من همزات الشياطين وإحاطتهم بهم بالحضور. ٩٩ ـ ١٠٠ ـ ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت﴾ وهو مغرق في شركه ﴿قال﴾ للملائكة المتصدين لقبض روحه ﴿رب﴾ استغاثة به ﴿أرجعون﴾ إلى الدنيا ﴿لعلي﴾ ترجياً للنجاة بما يشرف عليه من عذاب ﴿أعمل صالحاً فيما تركت﴾ من المال بإنفاقه في البر والإحسان ورضى الله أو من العمر والمال كما قيل ﴿كلا﴾ لا يرجع إلى الدنيا ﴿إنها كلمة هو قائلها﴾ يطلب فيها العودة ولكن لا أثر لها، فلا إجابة لمسألته ﴿ومن ورائهم برزخ﴾ حاجز هو عالم القبر وهو عالم المثال، يتم البقاء فيه ﴿إلى يوم يبعثون﴾ وهو يوم القيامة. وهذا الحاجز يمنعهم من العودة. ١٠١ ـ ﴿فإذا نفخ في الصور﴾ النفخة الثانية التي يحيا فيها الأموات ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ﴾ لأنها من الحوائج الدنيوية التي تبتنى بها البيوت لما فيها من التعاطف والتعاضد ﴿ولا يتساءلون﴾ عن حال بعضهم فلكل إمرئ منهم شأنٌ يغنيه وقد تقطعت بهم الأسباب والحكم لله وحده فالله قد خلق الجنة لمن أطاع وأحسن ولو كان عبداً حبشياً وخلق النار لمن عصاه ولو كان سيداً قرشياً. ١٠٢ ـ ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ أي الأعمال التي هي الوزن يومئذ ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ الذين ينالون ثواب عملهم. ١٠٣ ـ ﴿ومن خفت موازينه﴾ لأن أعماله لا تسبب ثقلاً في ميزان الأعمال ﴿فأولئك الذين خسروا أنفسهم﴾ فقد ذهب رأس مالهم وهو أنفسهم ﴿في جهنم خالدون﴾ مادامت السموات والأرض. ١٠٤ ـ ﴿تلفح وجوههم النار﴾ فتعذبهم بسمومها ﴿وهم فيها كالحون﴾ متقلصة شفاههم، منكشفة أسنانهم كالرؤوس المشوية يقال لهم. ١٠٥ ـ ﴿ألم تكن آياتي تتلى عليكم﴾ وهي ظاهرة بينة الدلالة ﴿فكنتم بها تكذبون﴾ ترفضون الحق؛ وأنتم إلى الباطل تجنحون. ١٠٦ ـ ﴿قالوا﴾ اعترافاً بتمام الحجة ﴿ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾ فقد أخذنا أنفسنا قابلة للتزكية والتدسية صالحة للُحوق السعادة والشقاء ولسوء اختيارنا قهرتنا شقوتنا ﴿وكنا قوماً ضالين﴾ على أن الاعتراف بالذنب للتخلص من سوء العذاب يمكن أن يؤثر أثره في الدنيا أما في الآخرة فتظهر الملكات الكامنة في النفوس ولا مناص من العذاب. ١٠٧ ـ ﴿ربنا أخرجنا منها﴾ لنعود إلى الدنيا فنكون ممن تاب وعمل صالحاً ﴿فإن عدنا﴾ إلى الضلال ﴿فإنا ظالمون﴾ مستحقون للعذاب.

أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

سُورَةُ النُّورِ

١٠٨ ـ ﴿قال اخسؤا فيها﴾ وانزجروا وابتعدوا ﴿ولا تكلمون﴾ ولايسأل عن ذنوبهم المجرمون.

١٠٩ ـ ﴿إنه كان فريق من عبادي﴾ وهم المؤمنون في الدنيا ﴿يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا﴾ وتب علينا ﴿وارحمنا﴾ لنفوز بالسعادة ﴿وأنت خير الراحمين﴾ فأنت تشمل المؤمنين برحمتك الخاصة بهم ليدخلوا الجنة.

١١٠ ـ ﴿فاتخذتموهم﴾ لكفركم ﴿سخرياً﴾ وداومتم على الانشغال بالهزء بالمؤمنين ﴿حتى أنسوكم ذكري﴾ وأنتم بهم تسخرون ﴿وكنتم منهم تضحكون﴾ وتهزؤون.

١١١ ـ ﴿إني جزيتهم اليوم﴾ وهو يوم الجزاء ﴿بما صبروا﴾ على ذكري مع سخريتكم منهم لأجله ﴿أنهم هم الفائزون﴾ دونكم. لأن اليوم يوم جزاء لا يوم عمل.

١١٢ ـ ﴿قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين﴾ سؤال من الله للناس.

١١٣ ـ ﴿قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ من أيام الدنيا، وقد استقلوا اللبث حينما قاسوه بالخلود، ونحن لا نحسن الإحصاء ﴿فاسأل العادين﴾ الذين يعدونه وقيل هم الملائكة العادون للأيام.

١١٤ ـ ﴿قال﴾ الله ﴿إن لبثتم إلا قليلاً﴾ في قبوركم و ﴿لو أنكم كنتم تعلمون﴾ في الدنيا أنكم لا تلبثون في قبوركم إلا قليلاً، لما أنكرتم البعث، ولما ابتليتم بخلود العذاب.

١١٥ ـ ﴿أفحسبتم﴾ وظننتم ﴿أنما خلقناكم عبثاً﴾ باطلاً تحيون وتموتون ﴿وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ من غير غاية باقية في خلقكم.

١١٦ ـ ﴿فتعالى الله﴾ وتنزه فهو ﴿الملك﴾ يحكم بما يشاء من بدء وعود ورزق ولا راد لحكمه وهو ﴿الحق﴾ ولا يصدر عن الحق بما هو حق إلا حق دون أن يكون عبثاً باطلاً، ولا مبطل لحكمه ﴿لا إله﴾ ولا معبود ﴿إلا هو﴾ لربوبيته ﴿رب العرش الكريم﴾ فهو رب عرش العالم، وهو يمسك بأزمة الأمور. ويصدر أحكامه فيها؛ فهو الله الموجود بذاته، الموجد لغيره.

١١٧ ـ ﴿ومن يدع مع﴾ وجود ﴿الله﴾ وهو أحد ﴿إلهاً آخر﴾ غيره فيثبت له شريكاً، أو يدعو ما أشرك من إله ﴿لا برهان له به﴾ فالحجة قائمة على نفيه ﴿فإنما حسابه عند ربه﴾ لا يداخله أحد فيما قضى له ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾ فلا شفيع لهم ولا منجي ولا أمل والنار مثواهم.

١١٨ ـ ﴿وقل﴾ يا محمد ﴿رب اغفروارحم﴾ فعد علي بالمغفرة والرحمة ﴿وأنت خيرالراحمين﴾ترحم المؤمنين رحمةخاصةبهم توفقهم بها للسعادة فيعملون صالحاً فيدخلون الجنة.

وفي الآية إعراضٌ عن مخاطبة المشركين، والتفاتٌ إلى العناية بالرسول الأعظمﷺ بتوجيه الخطاب له، وتأكيد المغفرة والرحمة له صلى الله عليه وآله وسلم لأنه سبحانه طلب منه ذلك بقوله ﴿وقل رب اغفر وارحم﴾ وفي ذلك تأكيد ربوبية الغافر الرحيم لمن هو رب العرش الكريم وهي ماذكر في الآيات السابقة.

وكذلك تعميم صفة الرحمة من خير الراحمين لينالها المؤمنون وفيها بشارةٌ بالجنة لمن يستحقها.

سورة النور

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: بيان نبذة من الأحكام المفروضة، بيان جملة من المعارف الإلهية.

١ ـ ﴿سورة﴾ أي طائفة من الكلام يجمعها غرض واحد ﴿أنزلناها وفرضناها﴾ وأوجبنا العمل بها ﴿وأنزلنا فيها آيات بينات﴾ لحقيقة الإيمان والكفر والتوحيد والشرك ﴿لعلكم تذكرون﴾ هذه المعارف الإلهية. ٢ ـ ﴿الزانية والزاني﴾ اللذين تحقق منهما الزنى، وقدمت الزانية لأن الزنى منها أشنع ولكون الشهوة فيهن أقوى ﴿فاجلدوا﴾ أيها المسلمون، ويقوم بذلك من قام بأمركم من ذوي الولاية من نبي أو إمام أو من ينوب منابه ﴿كل واحد منهما﴾ إن لم يكونا محصنين ﴿مائة جلدة﴾ أي ضربة بسوط أما المحصن فحده الرجم إن زنى ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾ أي في حكمه. فلا تسَّاهلوا بمن يستحق العذاب ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ تأكيد للنهي عن الرأفة والتساهل ﴿وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾ فليحضروا وينظروا ليعتبروا فلا يقربوا الفاحشة. وفي الحديث لا يزني الزاني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن فإنه إذا فعل ذلك خلع عنه الإيمان كخلع القميص. ٣ ـ ﴿الزاني﴾ إذا اشتهر منه الزنى وأقيم عليه الحد ولم تتبين منه التوبة ﴿لا ينكح إلا زانية أو مشركة﴾ فمحرم عليه نكاح غيرهما ﴿والزانية﴾ إذا اشتهر منها الزنى وأقيم عليها الحد ولم تتبين منها التوبة ﴿لا ينكحها إلا زانٍ أو مشرك﴾ فمحرم عليها نكاح غيرهما لأن كلاً ينكح من يشاكله ﴿وحرم ذلك على المؤمنين﴾ الذين هم لفروجهم حافظون. ٤ ـ ٥ ـ ﴿والذين يرمون المحصنات﴾ بنسبة الزنى إليهن ﴿ثم لم يأتوا بأربعة شهداء﴾ على صدقهم في قذفهم إياهن ﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ بالسوط ﴿ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾ الخارجون عن الطاعة ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا﴾ أعمالهم ﴿فإن الله غفور﴾ يغفر ذنبهم ﴿رحيم﴾ فيرتفع عنهم الحكم بالفسق وعدم قبول شهادتهم. ٦ ـ ٩ ـ ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾ بالزنى ﴿ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم﴾ إذا لم يتوفر لهم أربعة شهداء ﴿فشهادة أحدهم﴾ بأن يقول أشهد الله على صدقي فيما أقذف به ﴿أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين﴾ في القذف ﴿والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين﴾ لتحد وتحرم عليه تحريماً مؤبداً ﴿ويدرؤا﴾ ويدفعوا ﴿عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين﴾ قبال شهاداته بصدقه ﴿والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾ وهذا هو اللعان الذي ينفصل به الزوجان. ١٠ ـ ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ وتوبته لحل بكم ما دفعته عنكم هذه الأحكام ﴿وأن الله تواب حكيم﴾ فهو يتوب على مذنبيكم، حكيم فيما يفعل فيشرع لكم ما يزيل عنكم الشقوة والمعصية واختلال نظام حياتكم بالجهالة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

١١ ـ ﴿إن الذين جاءُوا بالإفك﴾ وهو الكذب أو كل مصروف عن وجهه. وقد روى أهل السنة أن المقذوفة هي أم المؤمنين عائشة، وروت الشيعة أنها مارية القبطية أم إبراهيم، وكل من الحديثين يحتاج الى تدبر . ﴿عصبة منكم﴾ أي جماعة متعصبة متعاضدة تواطأت على إذاعة هذا الخبر ليطعنوا به في نزاهة بيت النبي ﷺ ويفضحوه بين الناس. ﴿لا تحسبوه شراً لكم﴾ أيها المؤمنون ﴿بل هو خير لكم﴾ فمن كمال سعادة المجتمع الصالح أن يتميز فيه أهل الزيغ والفساد ﴿لكل إمرىء منهم﴾ من هؤلاء الذين خاضوا بالإفك ﴿ما اكتسب من الإثم﴾ وهو مقدار ما خاض فيه، والإثم هو ما يمنع نيل الخير؛ ليقتصر بذلك الخير على المؤمنين الذين لا يخوضون مع الخائضين وليكونوا على بصيرة من أمرهم، وينهضوا لإصلاح ما فسد من أعضائهم؛ وبذلك يفتضح أهل الإفك ﴿والذي تولى﴾ وأصر على إذاعة ﴿كبره﴾ فالنيل من بيت النبوة وتداول معظم الحديث أمر كبير ﴿منهم﴾ أي من عصبة الإفك ﴿له عذاب عظيم﴾ لما اقترف من الإفك. ١٢ ـ ﴿لولا إذ سمعتموه﴾ أي الإفك ﴿ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً﴾ والمرمي بالإفك من أنفسهم ﴿وقالوا هذا إفك مبين﴾ لأن الخبر الذي لا علم لمخبره إفك، والدعوى التي لا بينة لمدعيها محكوم عليها شرعاً بالسقوط لعدم التأكد من صحتها. ١٣ ـ ﴿لولا﴾ بمعنى هلا ﴿جاءُوا عليه﴾ لو كانوا صادقين فيما يرمون لأقاموا عليه الشهادة ﴿بأربعة شهداء فإن لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون﴾ لأن الدعوى من غير بينة وعلم إفك وكذب. ١٤ ـ ١٥ ـ ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم﴾ ولوصل إليكم ﴿فيما أفضتم فيه﴾ وخضتم ﴿عذاب عظيم﴾ في الدنيا والآخرة. ﴿إذ تلقونه﴾ وتتناقلونه ﴿بألسنتكم﴾ من غير تثبت وتدبر ﴿وتقولون بأفواهكم﴾ دون تثبت قلبي ﴿ما ليس لكم به علم﴾ فهو لم يتعد كونه كلاماً بلا مصداق من واقع ﴿وتحسبونه هيناً﴾ فتتناقلونه بألسنتكم ﴿وهو عند الله عظيم﴾ لأنه بهتان وافتراء ولأنه مرتبط بالنبي ﷺ. ١٦ ـ ١٨ ـ ﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم﴾ بدل تلقيه بالألسنة ﴿ما يكون لنا أن نتكلم بهذا﴾ فليس لنا ذلك ﴿سبحانك﴾ تنزيه له تعالى أن تكون زوجة نبيه فاجرة ﴿هذا بهتان عظيم﴾ لأنه افتراء في عرض وليس أي عرض بل عرض النبي ﷺ.﴿يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين﴾ فليس من صفات المؤمنين تلقي الإفك بألسنتهم ﴿ويبين الله لكم الآيات﴾ والدلائل واضحة مفصلة ﴿والله عليم حكيم﴾ يورد الأمور بعلمه في مواردها المناسبة. ١٩ ـ ﴿إن الذين يحبون﴾ والله يعلم البواعث والنوايا والغايات ﴿أن تشيع الفاحشة﴾ من زنى وقذف ﴿في الذين آمنوا﴾ مع أن جهم هذا لإشاعة الفاحشة لا يستوجب الحد ﴿لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ تأكيد وإعظام لما فيه من سخط الله وغضبه، وإن جهله الناس. ٢٠ ـ ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ التي يرحم بها عباده فيوفقهم للسعادة، لما صلح عملهم ولما دخلوا الجنة ﴿وأن الله رؤوف رحيم﴾ يرحم عباده ويرأف بهم ويهديهم لما فيه صلاحهم.

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

٢١ ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ والخطوات التي يخطوها المؤمنون إنما تكون في طريق مسلوك، وهو طريق الإيمان. ﴿ومن يتبع خطوات الشيطان﴾ بعدم التسليم لله وباتباعه فيما يزين من الباطل بزينة الحق، وهو طريق شيطاني في الإيمان يأخذ به الإنسان دون علم ﴿فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر﴾ والشيطان يأمر بالأفعال الشنيعة والمنكرات التي ينكرها الشرع والعقل. فتجب مخالفة خطواته. ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾. ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ رجوع بعد رجوع إلى الامتنان بالفضل والرحمة. ﴿ما زكى منكم من أحدٍ أبداً﴾ لأن مفيض الخير والسعادة هو الله سبحانه ﴿ولكن الله يزكي من يشاء﴾ فالأمر إلى مشيئته، ولا يشاء إلا تزكية من استعد لها وسأله بلسان استعداده. ﴿والله سميع﴾ لسؤال من سأله التزكية ﴿عليم﴾ بحال من استعد لها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾

٢٢ ـ ﴿ولا يأتل﴾ ولا يقصر ﴿أولوا الفضل منكم والسعة﴾ وهم الأغنياء ﴿أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله﴾ من مالهم. أولا يتركوا إيتاءهم ولا يحلفوا أن لا يؤتوهم ﴿وليعفوا وليصفحوا﴾ عن أهل الإفك ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾ حث على إدامة الإيتاء والدفع بالتي هي أحسن.

٢٣ ـ ﴿إن الذين يرمون المحصنات﴾ العفيفات ﴿الغافلات المؤمنات﴾ وهذا القذف ظلم ومعصية والمرمية مظلومة ﴿لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم﴾ لعظم ظلمهم لمن هن محصنات غافلات مؤمنات.

٢٤ ـ ﴿يوم﴾ القيامة ﴿تشهد عليهم﴾ وعلى أعمالهم وسيئاتهم ومعاصيهم ﴿ألسنتهم﴾ التي قذفوا بها ﴿وأيديهم وأرجلهم﴾ التي اقترفت المعاصي ﴿بما كانوا يعملون﴾ فالشاهد على كل فعل هو العضو الذي صدر منه.

٢٥ ـ ﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم﴾ أي جزاءهم أو ملّتهم ﴿الحق﴾ إيتاء كاملاً ﴿ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾ فلا ستر عليه، وهو حق يظهر الحق ويبينه لمن غفل عنه.

٢٦ ـ ﴿الخبيثات للخبيثين﴾ وهم ذوو حال مستقذرة يوجبها لهم تلبسهم بالكفر، ﴿والخبيثون للخبيثات﴾ بمقتضى المجانسة والمضاهاة ﴿والطيبات للطيبين﴾ وهم مبرؤون من الخبث ومتلبسون بالطيب ﴿والطيبون للطيبات﴾ لتلبسهم بالإيمان والإحصان ﴿أولئك مبرءون مما يقولون﴾ فهم مصونون من الرمي بغير بينة ﴿لهم مغفرة ورزق كريم﴾ لكرامتهم على الله بإيمانهم.

٢٧ ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا﴾ بأن تطلبوا ذلك بفعل يؤدي إليه كالاستئناس لدخول بيت بذكر الله، وغير ذلك من أجل الستر على عورات الناس والتحفظ على كرامة الإيمان ﴿وتسلموا على أهلها﴾ فتعينوهم على ستر عوراتهم، وتعطوهم الأمن من أنفسكم ﴿ذلكم خير لكم﴾ فهذه السيرة الجميلة، تسبب استحكام الألفة والأخوة ﴿لعلكم تذكرون﴾ ما يجب عليكم رعايته وإحياؤه من سنة تألف القلوب التي تسعد المجتمع.

٢٨ ـ ﴿فإن لم تجدوا فيها أحداً﴾ أي علمتم بذلك ﴿فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم﴾ من قبل من يملك الإذن، دون التطلع إلى ما فيها ﴿وإن قيل لكم ارجعوا﴾ ولم يؤذن لكم ﴿فارجعوا﴾ ولا تدخلوا ﴿هو أزكى لكم﴾ وأطهر ﴿والله بما تعملون عليم﴾.

٢٩ ـ ﴿ليس عليكم جناح﴾ وميل ﴿أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة﴾ معدة لأنواع الإستمتاع كالحانات والحمامات ﴿فيها متاع لكم﴾ وأثاث موضوع للبيع والشراء ﴿والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ في خبايا نفوسكم.

٣٠ ـ ﴿قل للمؤمنين﴾ مرهم ﴿يغضوا من أبصارهم﴾ ولا ينظروا إلى ما لا يحل النظر إليه من الأجنبي والأجنبية ﴿ويحفظوا فروجهم﴾ بسترها عن النظر والتعفف ﴿ذلك أزكى لهم﴾ أي أطهر ﴿إن الله خبير بما يصنعون﴾ فهو يراقبهم.

٣١ ـ ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾ أمر بالتزام الحشمة والتعفف والحياء في النظر ﴿ويحفظن فروجهن﴾ بسترها عن الأجنبي والأجنبية. ﴿ولا يبدين﴾ ولا يظهرن ﴿زينتهن﴾ ومواضعها ﴿إلا ما ظهر منها﴾ وهي الوجه والكفان والقدمان ﴿وليضربن﴾ أي ليلقين ﴿بخمرهن على جيوبهن﴾ لتنسدل على صدورهن ﴿ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن﴾ أي أزواجهن ﴿أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن﴾ وهم محارمهن من جهة النسب ﴿أو نسائهن﴾ إذ لا يجوز لهن التجرد لغير المؤمنات من النساء ﴿أو ما ملكت أيمانهن﴾ من العبيد والإماء ﴿أو التابعين﴾ المولى عليهم ﴿غير أولي الإربة﴾ أي الشهوة وهم ﴿من الرجال﴾ من لا شهوة لهم. ﴿أو الطفل الذين لم يظهروا﴾ ولم يقووا ﴿على عورات النساء﴾ فلم يبلغوا سن البلوغ ﴿ولا يضربن بأرجلهن﴾. بإصدار أصوات الزينة ﴿ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾ كالخلخال والسوار ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً﴾ أي امتثلوا أوامره وانتهوا عن نواهيه ﴿أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ إذا اتبعتم سبيله.

فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

٣٢ ـ ﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾ والأيم هو الذكر الذي لا أنثى معه، والأنثى التي لا ذكر معها ﴿والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾ للزواج ﴿إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾ وعد جميل بالغنى وسعة الرزق ﴿والله واسع عليم﴾ والرزق يتبع صلاحية المرزوق بمشيئة من الله.

٣٣ ـ ﴿وليستعفف﴾ ويتحرز على الوقوع في الزنى ﴿الذين لا يجدون نكاحاً﴾ أي لا يقدرون على المهر والنفقة ﴿حتى يغنيهم الله من فضله﴾ وتتيسر لهم سبل النكاح ﴿والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم﴾ وطلب المكاتبة أن يسأل العبد مولاه أن يكاتبه على إتيانه مالاً على أن يعتقه ﴿فكاتبوهم﴾ وأجيبوهم ﴿إن علمتم فيهم خيراً﴾ وصلاحاً لذلك. ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ من الزكاة المفروضة فمن مصارف الزكاة ﴿وفي الرقاب﴾ أو إسقاط شيء من مال المكاتبة. ﴿ولا تكرهوا فتياتكم﴾ أي إمائكم ومن تولد لكم ﴿على البغاء﴾ والزنى ﴿إن أردن تحصناً﴾ تعففاً وإزدواجاً ﴿لتبتغوا عرض الحياة الدنيا﴾ من المال ﴿ومن يكرههن﴾ من بعد إحصانهن بالزواج ﴿فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾ فالله لا يؤاخذهن بذلك إذا أكرهن عليه. ولكن لا يلزم من عدم إرادة الإحصان جواز الإكراه وإنما تشديد للنهي عن الإكراه.

٣٤ ـ ﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات﴾ تبين لكم من معارف الدين ما تفلحون به ﴿ومثلاً﴾ وصفة ﴿من الذين خلوا من قبلكم﴾ من السابقين أخبارهم وأشرارهم ﴿وموعظة للمتقين﴾ ليتميز لكم ما ينبغي أن تأخذوا به مما ينبغي أن تجتنبوه.

٣٥ ـ ﴿الله نور السموات والأرض﴾ فالله هو الظاهر بذاته، المظهر لغيره من المحسوسات للبصر، ولغير البصر من الحواس، ولغير المحسوس أيضاً، والعقل يعد نوراً تظهر به المعقولات، فالله منورها نوراً يشرق منه النور العام الذي يستنير به كل شيء وهو مساو لوجود كل شيء ـ وظهوره في نفسه ولغيره ـ وهي الرحمة العامة. ﴿مثل نوره﴾ الذي يفيضه لا النور الذي هو الله ﴿كمشكاة﴾ وهي الكوة غير النافذة ﴿فيها مصباح﴾ أو فانوس ﴿المصباح في زجاجة﴾ والمشبه به هنا هو مجموع ما ذكر ﴿الزجاجة كأنها كوكب دري﴾ لامع جداً ويزداد إشراقه بتركيب الزجاجة، فتزيد الشعلة من غير اضطراب ﴿يوقد من شجرة مباركة زيتونة﴾ فيشعل من دهن زيت مأخوذ منها ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ فهي تأخذ من الشمس حظها طول النهار فيجود دهنها لكمال نضجها. ﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار﴾ لكمال استعداده للاشتعال. فنور الزجاجة ﴿نور على نور﴾ في كمال اللمعان. فالنور هو نور الله المشرق على قلوب المؤمنين، والمشكاة تجمعه وتعكسه على المستنيرين ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾ ممن وصل إلى كمال الإيمان ﴿ويضرب الله الأمثال للناس﴾ لأن الأمثال أسهل الطرق لتبيين الحقائق والدقائق، ويشترك فيها العالم والعامي فيأخذ منها كل ما قسم له ﴿والله بكل شيء عليم﴾ فالأمثال مضروبة على طور من علمه تعالى. على أن ظهور الأشياء بالنور

وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾

الإلهي هو عين وجودها، وظهور الأجسام الكثيفة بالأنوار الحسية غير أصل وجودها. ٣٦ ـ ٣٨ ـ ﴿في بيوت أذن الله﴾ برفع المانع ﴿أن ترفع﴾ وتعظم، قدراً ومنزلة ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ فيرتفع قدرها باسمه عز وجل اسمه. ﴿يسبح له فيها﴾ وينزهه عن كل ما لا يليق بساحة قدسه ﴿بالغدو والآصال﴾ في الغداة والعصر، مع استمرار بالتسبيح ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع﴾ فلا تغفلهم مكاسبهم وأرباحهم ﴿عن ذكر الله﴾ قلباً ﴿وإقام الصلاة﴾ أداء لحق الله عبودية له تعالى ﴿وإيتاء الزكاة﴾ أداء لحق الخلق وهو ذكر عملي لله سبحانه ﴿يخافون يوماً﴾ هو يوم القيامة ﴿تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ تنصرف النفوس وبصائرها عن ما يشغل عن الله إلى الرؤية بنور الإيمان، فتنظر إلى كرامة الله، ويعمى الكافر فلا يجد إلا ما يسوؤه ﴿ليجزيهم الله أحسن ما عملوا﴾ فيزكي أعمالهم، ولا يظهر جهات النقص فيها وانحطاط قدرها، فيعد الحسن منها أحسن ﴿ويزيدهم من فضله﴾ وعطائه. لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ فالرزق موهبة محضة من غير أن يستحق المرزوقون شيئاً منه، وله أن يخص برزقه ما يشاء لمن يشاء؛ ولا يشاء إلا ما تقتضيه حكمته. ٣٩ ـ ﴿والذين كفروا﴾ تمثل ﴿أعمالهم﴾ من قرابين وأذكار وكل ما يتقربون به إلى آلهتهم ﴿كسراب﴾ يلمع كالماء وليس ماء ﴿بقيعة﴾ بأرض ﴿يحسبه الظمآن ماء﴾ فيتجه إليه ليرتوي ﴿حتى إذا جاءه﴾ ووصل إليه ﴿لم يجده شيئاً﴾ فأعمالهم سراب، وهم عطاش يريدون الماء وهو عندهم عذب؛ ولكنهم يعرضون عنه دون إصغاء إلى المولى الناصح، وكل من اتجه إلى السراب وجد مصيره ﴿ووجد الله عنده﴾ ليحاسبه ﴿فوفاه حسابه﴾ جزاء بما يستوجبه حساب الأعمال. ﴿والله سريع الحساب﴾ فعلمه محيط بالقليل والكثير، المتقدم والمتأخر. وهذه ليست حال المشركين والكفار فحسب، بل حال كل من يرى مؤثراً في الكون غيره تعالى، وكل من توسل بأعماله بأي مؤثر يظن أنه ينال بذلك سعادته. ٤٠ ـ ﴿أو﴾ إن أعمالهم ﴿كظلمات﴾ وحجب تحجب النور ﴿في بحر لجي﴾ متردد الأمواج ﴿يغشاه موج﴾ ويحيط به ﴿من فوقه موج﴾ آخر ﴿من فوقه سحاب﴾ وهذه الحجب تمنع ضوء الشمس وغيرها ﴿ظلمات﴾ متراكمة ﴿بعضها فوق بعض﴾ فهي غير متفرقة ﴿إذا أخرج يده لم يكد يراها﴾ من شدة الظلمة ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً﴾ يستضيء ويهتدي به ﴿فما له من نور﴾ وقد حرمهم الله هذا النور ولا هادي لهم. ٤١ ـ ﴿ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض﴾ فوجود كل شيء يفتقر إليه تعالى لأنه يظهر به، ويدل على من أظهره بما أفاض عليه من الوجود، وينزهه عن النقص وهذا هو التسبيح إذ لا مدبر في الكون سواه ﴿والطير صافات﴾ تطير في الجو وهي من ذوات الروح وهي تسبح كغيرها ﴿كل﴾ مما خلق الله ﴿قد علم صلاته وتسبيحه﴾ فكل يدعو ليلفت نظر المدعو إلى حاجته، والمدعو في غنى عن حاجة الداعي فهو منزه وغيره مفتقر إليه ﴿والله عليم بما يفعلون﴾ ومن فعلهم تسبيحه ـ وإن كان وجودهم نفسه تسبيح ـ وسيجزيهم جزاء حسناً، وسيجزي الكافرين الذين

رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۚ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾

يسبحونه تعالى بوجودهم وينكرونه بألسنتهم. ٤٢ ـ ﴿ولله ملك السموات والأرض﴾ قصر واخصاص الملك لله تعالى. فهو لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴿وإلى الله المصير﴾ إظهار لمرجعيته تعالى في الأمور كلها ؛في الحياة الدنيا قبل الآخرة. ٤٣ ـ ﴿ألم تر﴾ يامحمد والخطاب لكل سامع ﴿أن الله يزجي﴾ ويدفع ﴿سحاباً﴾ متفرقاً ﴿ثم يؤلف بينه﴾ فيجمعه ﴿ثم يجعله ركاماً﴾ متراكماً ﴿فترى الودق﴾ أي المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ وفرجه فينزل على الأرض. ﴿وينزل من السماء من جبال فيها﴾ أي من السماء ﴿من برد﴾ فالبرد المتجمد متراكم كالجبال ينزله الله ﴿فيصيب به من يشاء﴾ فيفسد الزرع أو يقتل النفوس والمواشي ﴿ويصرفه عمن يشاء﴾ فلا يتضرر به ﴿يكاد﴾ يقرب ﴿سنا برقه﴾ وضوئه ﴿يذهب بالأبصار﴾ لشدته ؛ وكذلك يصرف الله أمر عباده . ٤٤ ـ ﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ فيبدل أحدهما بالآخر ﴿إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار﴾ يعتبرون بها، ويصلون منها إلى أن المدبر هو الله وحده. ٤٥ ـ ﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾ بيان آخر لرجوع الأمر إلى مشيئته ﴿فمنهم من يمشي على بطنه﴾ كالحيات والديدان ﴿ومنهم من يمشي على رجلين﴾ كالإنسان والطيور ﴿ومنهم من يمشي على أربع﴾ كالبهائم والسباع ﴿يخلق الله ما يشاء﴾ من الدواب من مادة واحدة، فله أن يعمم فيوضه على جميع خلقه بالنور العام والرحمة العامة، وله أن يختص البعض بالنور الخاص والرحمة الخاصة ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ .٤٦ ـ ﴿لقد أنزلنا آيات مبينات﴾ هي آية النور وما يتلوها المبينة لصفة نوره تعالى ﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ لا سبيل للعمى والضلال إلى من اهتدى إليها. ٤٧ ـ ﴿ويقولون﴾ نفاقاً ﴿آمنا بالله﴾ عقداً على توحيده وعلى ما شرع من الدين ﴿وبالرسول﴾ مرسلاً من عند ربه ﴿وأطعنا﴾ أوامره واجتنبنا نواهيه وقبلنا أحكامه ﴿ثم يتولى فريق منهم﴾ ويكذب بالأعمال ما نطق اللسان ﴿من بعد ذلك﴾ القول ﴿وما أُولئك بالمؤمنين﴾ لأن مدلول الإيمان لا يتحقق في سلوكهم. ٤٨ ـ ٥٠ ـ ﴿وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم﴾ في منازعة ﴿إذا فريق منهم معرضون﴾ عن حكمه، وقد أعرضوا عن الإيمان ﴿وإن يكن لهم الحق﴾ في ما حكم الرسول ﷺ ﴿يأتوا إليه مذعنين﴾ منقادين لكون الحق لهم لا عليهم. فهم يتبعون الهوى لا الحق. ﴿أفي قلوبهم مرض﴾ أوَهل هم ضعيفو الإيمان ﴿أم ارتابوا﴾ وشكوا في دينهم بعد الإيمان ﴿أم يخافون أن يحيف﴾ ويجور ﴿الله عليهم ورسوله﴾ لكون الشريعة مبنية على الجور، أو لكون النبي ﷺ لا يراعي الحق في قضائه ؟ ﴿بل أُولئك هم الظالمون﴾ فهم قد تعدوا طور الإيمان مع الإقرار به قولاً. أو تعدوا إلى الباطل فيما يطلبون من الحقوق. ٥١ ـ ٥٢ ـ ﴿إنما كان قول المؤمنين﴾ لما تقتضيه طبيعة الإيمان ﴿إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم﴾ في منازعة مفروضة، في أي زمان ﴿أن يقولوا سمعنا وأطعنا﴾ للدعوة الإلهية. سواء فرض الداعي أحد المتنازعين للآخر، أو فرض الداعي هو الله ورسوله. ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ لأنهم يقرون لولاية الله وأحكامه أن

يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾
وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن
يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ
وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ
ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ
ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ
يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ
أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾
إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ
أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن
يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ
﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل
لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾

تنظم علاقاتهم. ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ وهو مؤمن حقاً ﴿ويخش الله﴾ في باطنه ﴿ويتقه﴾ في ظاهره ﴿فأولئك هم الفائزون﴾ المفلحون. ٥٣ ـ ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ فأقسموا أغلظ الأيمان ﴿لئن أمرتهم﴾ بالخروج إلى الجهاد ﴿ليخرجن﴾ ليجاهدوا ﴿قل لا تقسموا﴾ لكي ترضوا الله ورسوله، فالجهاد ﴿طاعة معروفة﴾ وهي خير من قسمكم ﴿إن الله خبير بما تعملون﴾ فلا يغره إغلاظكم في الأيمان. ٥٤ ـ ﴿قل أطيعوا الله﴾ فيما أنزل من الدين ﴿وأطيعوا الرسول﴾ فيما يأمركم به في أمر دنياكم ﴿فإن تولوا﴾ وأعرضوا عن طاعة الرسول ﴿فإنما عليه ما حمل﴾ من التكليف ﴿وعليكم ما حملتم﴾ ولا يمسه منه شيء، فالطاعة جميعاً لله سبحانه ﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾ فالطاعة لله وفيها الهداية ﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ فلا بأس عليه إن خالفتم ما بلغ. ٥٥ ـ ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات﴾ خطاب لعامة المسلمين وفيهم المنافق والمؤمن ومن يعمل الصالحات ومن لا يعمل ﴿ليستخلفنهم﴾ بإعطائهم الخلافة الإلهية ﴿في الأرض﴾ ويجعلهم الوارثين؛ بإيراثهم إياها وتسليطهم عليها إذا كانوا مؤمنين ﴿كما استخلف الذين من قبلهم﴾ فسنة الله جارية فيهم ﴿وليمكنن﴾ وليثبتن ﴿لهم دينهم الذي ارتضى لهم﴾ وهو دين الإسلام، بحيث يعمل به في المجتمع من غير مانع ولا حاجز، ومن دون كفر به واستهانة بأمره. ﴿وليبدلنهم من بعد خوفهم﴾ أي ما كانوا يقاسونه من الكفار والمنافقين ﴿أمناً﴾ فلا يعبد في مجتمعهم إلا الله ولا يتخذ رب غيره حال أنهم ﴿يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾ عبادة خالصة دون شرك جلي أو خفي. ﴿ومن كفر بعد ذلك﴾ أي بعد تحقق الوعد ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ الخارجون عن زي العبودية. ٥٦ ـ ﴿وأقيموا الصلاة﴾ وهي نصب العبد نفسه في موضع العبودية ﴿وآتوا الزكاة﴾ أداء لحق المجتمع ﴿وأطيعوا الرسول﴾ إنفاذاً لولايته ﷺ في القضاء والحكومة ﴿لعلكم ترحمون﴾ أي رجاء أن تشملكم الرحمة الإلهية. فبعض الخير في مجتمع صالح يدين بالإسلام. ٥٧ ـ ﴿ولا تحسبن الذين كفروا﴾ يا محمد ﴿معجزين﴾ لله ﴿في الأرض﴾ فيمنعونه بما عندهم من الشوكة أن ينجز وعده، وهي بشرى للرسول ﷺ بأن أعداءه سينهزمون ثم إلى الله يرجعون ﴿ومأواهم النار ولبئس المصير﴾ إضافة إلى أنهم مقهورون في الدنيا. ٥٨ ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ تعقيباً لقوله لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم ﴿ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم﴾ من العبيد دون الإماء، وإن كان اللفظ لا يأبى عن العموم ﴿والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾ أي المميزين من الأطفال قبل البلوغ ﴿ثلاث مرات﴾ كل يوم ﴿من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة﴾ أي وقت الظهر ﴿ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم﴾ لا ينبغي أن يطلع عليكم فيها غيركم ﴿ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن﴾ فلا مانع لكم من أن لا تأمروهم بالاستئذان، ولا هم من أن لا يستأذنوكم في غير هذه الأوقات ﴿طوافون عليكم﴾ يطوف ﴿بعضكم على بعض﴾ للخدمة ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات﴾ الأحكام الدينية التي هي آيات دالة

﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

عليه ﴿والله عليم﴾ بأحوالكم وما تستدعيه من الحكم ﴿حكيم﴾ يراعي مصالحكم.

٥٩ ـ ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم﴾ وأدركوا سن البلوغ ﴿فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم﴾ من البالغين من الرجال والنساء والأحرار ﴿كذلك يبين الله لكم آياته﴾ وأحكامه ودلالاتها ﴿والله عليم حكيم﴾ يورد الأمور مواردها الحقة.

٦٠ ـ ﴿والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً﴾ لعدم الرغبة في مباشرتهن لكبرهن ﴿فليس عليهن جناح﴾ ولا بأس عليهن ﴿أن يضعن ثيابهن﴾ أي لا يتحججن ﴿غير متبرجات بزينة﴾ بإظهار ما يجب ستره من المحاسن ﴿وأن يستعففن﴾ بوضع الحجاب ﴿خير لهن﴾ من وضع الثياب ﴿والله سميع﴾ لما يسأله بفطرتهن ﴿عليم﴾ بما يحتجن إليه من أحكام.

٦١ ـ ﴿ليس على الأعمى حرج﴾ وتضييق ﴿ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ لكونهم أرباب عاهات بحيث يشكل عليهم أن يرتزقوا بالعمل ﴿ولا على أنفسكم﴾ حرج ﴿أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم﴾ أي من بيوت قراباتكم ﴿أو ما ملكتم مفاتحه﴾ من البيوت التي أُئتمنتم عليها ﴿أو صديقكم﴾ ما لم يكرهوا ذلك ﴿ليس عليكم جناح﴾ فهو مأذون لكم ﴿أن تأكلوا﴾ دون إسراف أو إفساد ﴿جميعاً أو أشتاتاً﴾ مجتمعين أو متفرقين ﴿فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم﴾ فمن في البيوت من أنفسكم، فالإيمان يوحدكم ﴿تحية من عند الله﴾ شرعها الله ﴿مباركة﴾ ذات خير كثير باق ﴿طيبة﴾ تلائم النفس ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات﴾ والأحكام ﴿لعلكم تعقلون﴾ وتعلمون معالم دينكم فتعملوا بها.

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

٦٢ ـ ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله﴾ إيماناً حقاً ﴿وإذا كانوا معه﴾ أي مع الرسول ﴿على أمر جامع﴾ اجتمعوا للتدبر في أطرافه ﴿لم يذهبوا﴾ من عنده ﴿حتى يستأذنوه﴾ للإنصراف .﴿إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله﴾ إيماناً لا ينفك عنهم ﴿فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم﴾ تخيير للرسول ﷺ ﴿واستغفر لهم الله﴾ تطييباً لنفوسهم ﴿إن الله غفور رحيم﴾ يستر النقيصة ويعفو عن اللمم.

٦٣ ـ ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم﴾ أي دعوته الناس إلى أمر من الأمور كدعوتهم إلى الإيمان والعمل ﴿كدعاء بعضكم بعضاً﴾ إلى أموركم ﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم﴾ ويخرجون برفق واحتيال ﴿لواذاً﴾ يلوذون بغيرهم ويستترون به فينصرفون فلا يهتمون بدعاء الرسول ولا يعتنون به ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ ودعائه وهو الرسول ﷺ ﴿أن تصيبهم فتنة﴾ أي بلية ﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾ لمخالفتهم إياه ﷺ.

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ۖ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾

سورة الفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: بيان أن الرسالة من الله، ودفع كون القرآن من عند غير الله، والاحتجاج على التوحيد.

١ ـ ﴿تبارك﴾ تحقق الخير الكثير من الله تعالى ﴿الذي نزل الفرقان﴾ الذي يفرق بين الحق والباطل، وهذا يثبت أنه حق وقد نزله ﴿على عبده﴾ محمد ﷺ ﴿ليكون للعالمين﴾ من الإنس والجن ﴿نذيراً﴾ من العذاب.

٢ ـ ﴿الذي له ملك السموات والأرض﴾ فهو وحده تعالى المالك لها، والمتصرف بالحكم فيها وإدارة رحاها ﴿ولم يتخذ ولداً﴾ فالملك على الإطلاق لا يدع حاجة لاتخاذ الولد، لأن الولد إنما يتخذ لمحدودية البقاء، أو لعدم القدرة على التدبير وهذا رد على المشركين والنصارى. ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ والشريك يلزم لمن لا يستوعب ملكه الأمور كلها، والله تعالى محيط بالجميع ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾ فكونه تعالى مالك السموات والأرض، الحاكم المتصرف فيها، يستلزم قيام الخلقة به وقيام التدبير به؛ فله الملك والتدبير فهو الرب عزّ شأنه.

سُورَةُ ٱلْفُرْقَانِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾

٣ ـ ٥ ـ ﴿واتخذوا من دونه آلهة﴾ صنعوها بأيديهم ﴿لا يخلقون شيئاً﴾ فليس لها من الألوهية إلا اسم سموها به ﴿وهم يخلقون﴾ فهم من صنع عبادهم ﴿ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً﴾ وإذا كانوا لا يملكون ذلك لأنفسهم فهم لا يملكونه لغيرهم. فعبادتهم خبل وضلال. ﴿ولا يملكون موتاً﴾ حتى يدفعوه عمن شاؤا ﴿ولا حياة﴾ حتى يسلبوها ﴿ولا نشوراً﴾ حتى يجازوا ويحاسبوا؛ فلا ألوهية لهم لفقدانهم لوازمها.﴿وقال الذين كفروا﴾ دون المشركين من العرب ﴿إن هذا﴾ القرآن ﴿إلا إفك﴾ فهو كلام مصروف عن وجهه ﴿افتراه﴾ محمد ونسبه إلى الله ﴿وأعانه عليه قوم آخرون﴾ من أهل الكتاب ﴿فقد جاؤا ظلماً وزوراً﴾ فهو كلام من غير سند. ﴿وقالوا أساطير الأولين﴾ وأخبارهم الخرافية ﴿اكتتبها﴾ بمعنى كتبت باستدعاء منه تدريجاً ﴿فهي تملى عليه﴾ ليحفظها ويعيها ﴿بكرة وأصيلاً﴾ صباحاً ومساء بمعنى وقتاً بعد وقت. ٦ ـ ﴿قل﴾ إن القرآن حق ﴿أنزله﴾ الله ﴿الذي يعلم السر في السموات والأرض﴾ وهو يعلم سرّكم المستقر في سرائركم المجبولة عليه فطرتكم حباً للسعادة وانتزاعاً للعاقبة الحسنى وحقيقتها فوز الدنيا والآخرة ﴿إنه كان غفوراً رحيماً﴾ فيجيبكم إلى ما تسألونه في سركم أو بلسان فطرتكم فيهديكم إلى سبيله، فإن استجبتم شملتكم المغفرة والرحمة، وإن توليتم حرمتم ذلك، وهو نازل من عند الله ولو لم يكن كذلك، لم يهد إلى حقيقة السعادة ولدعاكم تارة إلى المغفرة والرحمة، وتارة إلى ما يستوجب العقوبة. ٧ ـ ٨ ـ ﴿وقالوا﴾ استهزاء وتهكماً ﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾ الاستفهام للتعجيب، فالرسالة اتصال غيبي لا تلائم الارتزاق، فلذلك لا تلائم البشر بل تلائم الملائكة التي تقربهم عبادتها من الله زلفى ﴿لولا أنزل إليه ملك﴾ منزه عن المادة ﴿فيكون معه نذيراً﴾ يتوسط الرسالة ﴿أو يلقى إليه كنز﴾ حتى لا يكدح في الأسواق والاكتساب ﴿أو تكون له جنة يأكل منها﴾ وهذا أسهل من إلقاء الكنز إليه. مع أن الله أراد لرسوله قدوة كاملة، ينهض بأعباء الرسالة ويسعى لرزقه كما يسعى أي رجل من أمته ﴿وقال الظالمون﴾ الذين اجترؤا على الله ورسوله باقتراحهم ﴿إن تتبعون﴾ أيها المؤمنون ﴿إلا رجلاً مسحوراً﴾ سحره بعض السحرة فصار يخيل إليه أنه رسول يأتيه ملك الوحي بالرسالة والكتاب. ٩ ـ ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ أي الأشباه وكيف وصفوك ﴿فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً﴾ ومن ضلالتهم قولهم أنك لا تصلح لأنك تأكل الطعام و...الخ، ولأن تسميتهم كتاب الله أساطير الأولين ووصفهم رسوله بالمسحور لا يرجى معه اهتداء. لقد استدبروا طريق الهداية فكلما أمعنوا في المسير زادوا عنها بعداً. ١٠ ـ ﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك﴾ الذي يقترحونه لتعجيزك وتبكيتك، فهو قادر على أن يجعل لك ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً﴾ في هذه الدنيا لا يبلغها واصف، وهي خير من الكنز والجنة. وفي الآية إعراض عن جوابهم لفساد ماقترحوه. ١١ ـ ﴿بل كذبوا بالساعة﴾ وهذا هو السبب الحقيقي، فردُّ

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

نبوتك كلام صوري يخفي وراءه إنكار المعاد ﴿وأعتدنا﴾ هيأنا ﴿لمن كذب بالساعة﴾ وهم بذلك يستوون مع غيرهم من منكري المعاد ﴿سعيراً﴾ ناراً ملتهبة ١٢ ـ ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد﴾ وظهروا لها ﴿سمعوا لها تغيظاً﴾ وغضباً ﴿وزفيراً﴾ والزفير تردد النفس حتى تنتفخ الضلوع منه ١٣ ـ ﴿وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين﴾ مصفدين بالأغلال ﴿دعوا هنالك ثبوراً﴾ فقالوا واثبوراه، واهلاكاه، ياويلنا ١٤ ـ ﴿لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً﴾ فلا تستغيثوا بالويل والهلاك للتخلص من الشدة، فهو لا ينفعكم يوم القيامة ﴿وادعوا ثبوراً كثيراً﴾ فالثبور لا ينفعكم قل أو كثر ففي كل وقت ثبور وفي كل نوع من العذاب ثبور.

إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

١٥ ـ ﴿قل أذلك﴾ السعير ﴿خير﴾ فاختيار الحق اعتراف بما أنكروا، واختيار الباطل افتضاح ﴿أم جنة الخلد﴾ بلا فناء ﴿التي وعد المتقون﴾ ثواباً لهم ﴿كانت لهم جزاء﴾ لتقواهم ﴿ومصيراً﴾ ينقلبون إليه.

١٦ ـ ﴿لهم فيها ما يشاءون﴾ بتمليك من الله لهم ﴿خالدين﴾ فيها ﴿كان على ربك وعداً مسئولاً﴾ والله موف ما وعد وقد أوجبه على نفسه.

١٧ ـ ١٨ ـ ﴿ويوم يحشرهم﴾ لكفرهم ﴿وما يعبدون من دون الله﴾ من الملائكة والبشر والأصنام أو الأصنام فقط ﴿فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء﴾ الذين كفروا ﴿أم هم ضلوا السبيل﴾ واختاروا الضلالة على الهدى ﴿قالوا سبحانك﴾ تنزيهاً لك عن الشرك وأهله ﴿ما كان ينبغي أن نتخذ من دونك من أولياء﴾ بل هم الذين عبدونا واتخذونا أولياء من دونك ﴿ولكن متعتهم وءاباءهم﴾ بمتع الحياة الدنيا امتحاناً وابتلاء، فتمتعوا بها ﴿حتى نسوا الذكر﴾ الذي جاءت به الرسل فأشركوا ﴿وكانوا قوماً بوراً﴾ هالكين فاسدين بسبب انهماكهم في الشهوات.

١٩ ـ ﴿فقد كذبوكم﴾ مع أنكم عبدتموهم ﴿بما تقولون﴾ في حقهم أنهم آلهة يصرفون السوء عن عبدتهم وينصرونهم ﴿فما تستطيعون﴾ أيها العبدة ﴿صرفاً﴾ للعذاب عن أنفسكم بسبب عبادتهم ﴿ولا نصراً﴾ بسببهم ﴿ومن يظلم منكم﴾ بارتكاب المعاصي ﴿نذقه عذاباً كبيراً﴾ فالحكم الإلهي جار في الظلمة لا مانع له.

٢٠ ـ ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾ فلم تكن بدعاً من الرسل ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾ وامتحاناً، والرسل فتنة يمتحن بهم سائر الناس فيتميز بهم أهل الإيمان من أهل الريب ﴿أتصبرون﴾ على الطاعة وعلى مأصابكم لتتميزوا ﴿وكان ربك بصيراً﴾ عالماً بالصواب فيضع كل أمر الموضع المناسب له؛ فهدف النظام كمال كل فرد بقطعه طريق السعادة أو الشقاوة حسب ما يستعد له ويستحقه.

٢١ ـ ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ وقد أنكروا المعاد ﴿لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا﴾ لنصدق الرسالة، لأنها لو تيسرت لك لتيسرت لنا، فكأنهم قالوا للنبي ﷺ إنك ترى أن الله ربك وقد حن إليك فخصك بالمشافهة والتكليم، وترى انه ربنا، فليحن إلينا بالمشافهة وبالرؤية كما فعل بك. وأقسم ﴿لقد استكبروا﴾ وطلبوا الكبر بغير حق ﴿وعتوا عتواً كبيراً﴾ وطغوا كثيراً. ٢٢ ـ ﴿يوم يرون الملائكة﴾ وقد كانوا مشركين لا يرجون لقاءنا ﴿لا بشرى يومئذ للمجرمين﴾ وهم منهم ﴿ويقولون﴾ للملائكة وهم قاصدوهم بالعذاب ﴿حجراً محجوراً﴾ أي لتكن في معاذ منكم. ٢٣ ـ ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل﴾ وهو ماتتم الحياة الآخرة به ﴿فجعلناه هباء منثوراً﴾ وفرقناه تفريقاً، فالقهر الإلهي يستولي على جميع أعمالهم ولا يقيم الله لها يوم القيامة وزناً. ٢٤ ـ ﴿أصحاب الجنة﴾ المتقون ﴿يومئذ خير مستقراً﴾ فهي أفضل مكان للإستقرار ﴿وأحسن مقيلاً﴾ ومستراحاً وقت القيلولة. فأصحاب النار اختاروا الشرك واستحسنوه ولازمه النار في الآخرة، فأثبتوا للنار خيرية وحسناً، ولكن الجنة هي الأحسن، فالخير هو اختيار الإيمان على الكفر. ٢٥ ـ ﴿ويوم تشقق السماء﴾ وتتفتح ﴿بالغمام﴾ المتلبسة به ﴿ونزل الملائكة تنزيلاً﴾ فيراها المشركون، أو تنكشف غمة الجهل ببروز عالم السماء من الغيب فتبرز الملائكة. ٢٦ ـ ﴿الملك﴾ المطلق ﴿يومئذ الحق﴾ ثابت ﴿للرحمن﴾ وذلك لبطلان الأسباب، وزوال الروابط بينها لأنه نزع من الأسباب ذاتيتها التي ملكت إياها دون استقلالها منها في الدنيا ﴿وكان يوماً على الكافرين عسيراً﴾ لأنهم انقطعوا عن السبب الحقيقي الذي تعود إليه الأسباب. ٢٧ ـ ٢٩ ـ ﴿ويوم يعض الظالم﴾ وهو كل من لم يهتد بهدي الرسول ﴿على يديه﴾ ندماً ﴿يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً﴾ إلى الهدى ﴿يا ويلتى﴾ يا هلاكاه ﴿ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً﴾ وصديقاً أشاوره وأسمع منه، ولا مخلص من عذاب الله ﴿لقد أضلني عن الذكر﴾ وهو ما جاءت به الرسل أو هو الكتب السماوية وينطبق على القرآن بحسب المورد ﴿بعد إذ جاءني﴾ فتركته ﴿وكان الشيطان للإنسان خذولاً﴾ فقد كان يعد بالنصر لمن تمسك بالأسباب ونسي ربه، ولكنه يوم القيامة يقول: ﴿ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخيّ﴾. ٣٠ ـ ﴿وقال الرسول﴾ محمد ﷺ ﴿يارب إن قومي﴾ وهم عامة العرب أو عامة الأمة باعتبار كفرهم وعصيانهم ﴿اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ ومتروكاً، على أنّ من قرأ القرآن ولم يعمل بما فيه أو لم يتخذه شرعة ومنهاجاً فقد هجره. ٣١ ـ ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين﴾ كما جعلنا هؤلاء المجرمين عدواً لك فلا يسوءنّك ما تلقى من عداوتهم فهم مجرمون بعداوتهم للأنبياء والله مجازيهم على أعمالهم. ﴿وكفى بربك هادياً﴾ فلا تخافنّهم على اهتداء الناس ﴿ونصيراً﴾ ينصرك وينصر دينك. وإن هجرك من هجر. ٣٢ ـ ﴿وقال الذين كفروا﴾ وهم مشركو العرب ﴿لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾ فقد كان اقتراحهم أن يقرأ الذي يتلوه ملك الوحي على النبي ﷺ دفعة واحدة بدل آية بعد آية، وليتلقه هو مرة واحدة ولو دامت القراءة والتلقي مدة من الزمن؛ إذ لو كان كتاباً سماوياً

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾

لكان الدين المضمن فيه المراد من الناس ديناً تام الأجزاء ﴿كذلك﴾ أنزلنا القرآن نجوماً ﴿لنثبت به فؤادك﴾ وتستقر نفسك على معارفه بحيث تتزايد هذه المعارف، وتترتب عليها آثارها ﴿ورتلناه ترتيلاً﴾ فآياته متعاقبة، لا تبطل روابطها ولا تنقطع آثار أبعاضها.

٣٣ ـ ﴿ولا يأتونك بمثل﴾ أي وصف فيك أو في غيرك حادوا فيه عن الحق ﴿إلا جئناك بالحق﴾ فيه ﴿وأحسن تفسيراً﴾ لدفع ما أتوا به من الباطل.

٣٤ ـ ﴿الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم﴾ فلضلالهم وتعنتهم وإنكارهم المعاد يسحبون مكبوبين على وجوههم ﴿أولئك شر مكاناً﴾ لقدحهم مقام النبي ﴿وأضل سبيلاً﴾ أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أم من يمشي سوياً على صراط مستقيم.

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

٣٥ ـ ٣٨ ـ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ وهذا استشهاد على رسالة النبي ﷺ وكتابه ﴿وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً﴾ يحمل معه أعباء الرسالة ﴿فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ التي في الآفاق وفي أنفسهم، بما فيها من الدلالة على التوحيد ﴿فدمرناهم تدميراً﴾ ﴿مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً﴾. ﴿وقوم نوح لمـّا كذبوا الرسل﴾ فتكذيب الواحد تكذيب للجميع لاتفاق الرسل على كلمة التوحيد ﴿أغرقناهم وجعلناهم للناس آية﴾ لمن بقي بعدهم من ذراريهم ﴿وأعتدنا للظالمين عذاباً أليماً﴾ لأن تكذيبهم ظلم. ﴿وعاداً وثمودا﴾ أهلكهم الله ﴿وأصحاب الرس﴾ وهم قوم نزلوا على بئر أو نهر اسمه الرس، وقد أرسل الله إليهم رسولاً فكذبوه فأهلكهم الله ﴿وقروناً بين ذلك كثيراً﴾ متخللين بين هؤلاء، أهلكهم الله أيضاً.

٣٩ ـ ﴿وكلاً ضربنا له الأمثال﴾ تذكيراً وموعظة وإنذاراً ﴿وكلاً تبرنا﴾ فتنا ﴿تتبيراً﴾ إهلاكاً وهذه سنة الأولين.

٤٠ ـ ٤٢ ـ ﴿ولقد أتوا على القرية التي أُمطرت مطر السوء﴾ حجارة من سجيل أُمطرت على قوم لوط ﴿أفلم يكونوا يرونها﴾ وهي قرية في طريقهم إلى الشام ﴿بل كانوا لا يرجون نشوراً﴾ ولا يخافون معاداً فلم تنجع الدعوة فيهم. ﴿وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزواً﴾ وسخرية ﴿أهذا الذي بعث الله رسولاً﴾ بيان لاستهزائهم. ﴿إن كاد ليضلنا عن آلهتنا﴾ ويصرفنا عنها ﴿لولا أن صبرنا عليها﴾ وداومنا على عبادتها ﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً﴾ فهم غافلون عما سيستقبلهم من معاينة العذاب وقد ضلوا وغووا.

٤٣ ـ ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ وقد سلّم أن له إلهاً مطاعاً، لكنه يرى أن هذا المطاع هو الهوى، فقد وضع الهوى وهو ميل النفس إلى الشهوة من غير تعديله بالعقل موضع الحق ﴿أفأنت تكون عليه وكيلاً﴾ استفهام إنكاري أي لست قائماً على نفسه حتى تهديه إلى سبيل الرشد، وقد أضله الله وقطع عنه أسباب الهداية.

٤٤ ـ ﴿أم تحسب أن اكثرهم يسمعون أو يعقلون﴾ فالطريق إلى الرشد إما بالتعقل استقلالاً أو بالرجوع إلى قول من يعقل الحق ﴿إن هم إلا كالأنعام﴾ والبهائم التي لا تعقل ولا تسمع إلا اللفظ دون المعنى ﴿بل هم أضل سبيلاً﴾ لأنهم يرجحون مايضرهم، والأنعام غير مجهزة بما جهزوا به ليسلكوا سبيل الحق وهم مجهزون وقد ضلوا. ٤٥ ـ ٤٦ ـ ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾ تنظير لشمول الجهل والضلال للناس ورفعه تعالى ذلك بالرسالة والدعوة الحقة، فبعد الزوال يمتد الظل شيئاً فشيئاً من المغرب إلى المشرق حتى إذا غربت الشمس في الأفق كانت فيه نهاية الامتداد وهو الليل، ﴿ولو شاء لجعله ساكناً﴾ ولكنه متحرك في جميع الأحوال ﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً﴾ فهي تدل بنورها على أن هناك ظلاً، وتغير الأحوال ينبه الانسان لتمييز المعاني. ﴿ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً﴾ فإشراق الشمس يزيل الظل تدريجياً حتى ينسخه، ويظهر بذلك كبرياؤه تعالى وكمال عظمته. فالرسالة هداية تشرق لتنسخ الظل الممدود. ولا نصيب فيها لمن لا يعقل ولا يسمع.

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ۖ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

٤٧ ـ ٥٢ ـ ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباساً﴾ يستركم بغشيان الظلمة ﴿والنوم سباتاً﴾ وقطعاً للعمل ﴿وجعل النهار نشوراً﴾ للعمل والسعي ﴿وهو الذي أرسل الرياح بُشراً﴾ مبشرات ﴿بين يدي رحمته﴾ فهي تبشر بالمطر ﴿وأنزلنا من السماء ماء طهوراً﴾ طاهراً ومطهراً ﴿لنحيي به بلدة﴾ أي مكاناً ﴿ميتاً﴾ لانبات فيه ﴿ونسقيه مما خلقنا﴾ أي نسقي بهذا المطر ﴿أنعاماً وأناسي كثيراً﴾ والأناسي جمع إنسان ؛ وإحياء المطر للأرض الميتة يشبه مد الظل ونسخه ويذكر بإحياء النفوس بالإيمان ﴿ولقد صرفناه بينهم﴾ فالماء يتحول من قوم إلى قوم، فلا يدوم في نزوله على قوم فيهلكوا، ولا ينقطع عن قوم دائماً فيهلكوا ﴿ليذكروا﴾ فيشكروا ﴿فأبى أكثر الناس إلا كفورا﴾ للنعمة ﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً﴾ يبلغهم رسالتنا ولكن بعثناك يا محمد إلى القرى كلها لعظيم منزلتك أو لمصلحة في اختيارك ﴿فلا تطع الكافرين﴾ لأن طاعتهم تبطل هذا الناموس العام المضروب للهداية ﴿وجاهدهم به جهاداً كبيراً﴾ وابذل مبلغ جهدك ووسعك في تبليغ رسالتك. ٥٣ ـ ﴿وهوالذي مرج البحرين﴾ خلطهما ﴿هذا عذب﴾ طيبٌ ﴿فرات﴾ عذبٌ ﴿وهذا ملح﴾ متغير الطعم ﴿أجاج﴾ شديد الملوحة ﴿وجعل بينهما برزخاً﴾ وحاجزاً ﴿وحجراً محجوراً﴾ أي حراماً محرماً أن يختلط أحد المائين بالآخر. ٥٤ ـ ﴿وهو الذي خلق من الماء﴾ أي النطفة ﴿بشراً﴾ فقسمه قسمين ﴿فجعله نسباً﴾ ذا نسبٍ وهو الرجل ﴿وصهراً﴾ ذا صهرٍ وهو المرأة ﴿وكان ربك قديراً﴾ فالله سبحانه يحفظ الكثرة في عين الوحدة، والتفرق في عين الاتحاد، وهكذا يحفظ اختلاف النفوس والآراء بالإيمان، مع اتحاد المجتمع البشري بما بعث الله من الرسل لهدايته. ٥٥ ـ ﴿ويعبدون من دون الله﴾ كفراً وشركاً ﴿ما لا ينفعهم﴾ بإيصال الخير على تقدير العبادة ﴿ولا يضرهم﴾ بإيصال الشر على تقدير تركها ﴿وكان الكافر﴾ للشيطان ﴿على ربه ظهيراً﴾ ومعيناً فكلاهما يدعو إلى الطغيان والتكذيب.

٥٦ ـ ﴿وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً﴾ وليس لك وراء ذلك من الأمر شيء، فليسوا بمعجزين لله. ٥٧ ـ ﴿قل ما أسألكم عليه﴾ أي على القرآن ﴿من أجر﴾ لأن تلاوته تبليغ للرسالة ﴿إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ بالايمان والطاعة، فاستجابته أجر لنفسه. ٥٨ ـ ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت﴾ ولايفوته فائت واتخذه وكيلاً في أمرهم ﴿وسبح بحمده﴾ نزهه عن العجز والجهل وكل ما لا يليق بساحة قدسه، مقارناً ذلك للثناء عليه بالجميل، لأنه لا يمهل عن عجز ولا يهلك إلا عن حكمة ﴿وكفى به بذنوب عباده خبيراً﴾ فهو الوكيل المتصرف الحاكم، لايحتاج إلى من يعينه في علمه أو حكمه. ٥٩ ـ ﴿الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ بعلمه وقدرته وخبرته وهو الحي الذي لا يموت ﴿ثم استوى على العرش﴾ فله السلطان في الحكم والمقاليد في التصرف ﴿الرحمن﴾ الذي يقوم الخلق برحمته وإفاضته ﴿فاسأل به خبيراً﴾ وما أخبر به كان عن خبرة، فهو حق لا معدل عنه، فأمر كل شيء يبتدىء منه ويعود إليه. ٦٠ ـ ﴿وإذا قيل لهم﴾ أي إذا قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للكفار ﴿اسجدوا للرحمن﴾ الذي استوى على عرش الملك ﴿قالوا وما الرحمن﴾ مبالغة منهم في التجاهل يقولون ما الرحمن وما هي هويته بدل ومن الرحمن ﴿أنسجد لما تأمرنا﴾ إصرار منهم على الاستكبار والتهكم ﴿وزادهم نفوراً﴾ إباء. ٦١ ـ ﴿تبارك﴾ وتحقق الخير الكثير من الله ﴿الذي جعل في السماء بروجاً﴾ وهي منازل الشمس والقمر وغيرها ﴿وجعل فيها سراجاً﴾ وهاجاً هي الشمس تشع من ذاتها ﴿وقمراً منيراً﴾ يعكس ضوء الشمس. وهذا سبق قرآني قصر عنه العلم مئات من السنين. فهم غير معجزي الله باستكبارهم فلله كمال العزة والغنى والسلطان. ٦٢ ـ ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة﴾ يخلف كل منهما الآخر ﴿لمن أراد أن يذكر﴾ ويرجع إلى ما بفطرته من الحجج الدالة على توحيد ربه، ﴿أو أراد شكوراً﴾ بقول أو عمل صالح ينبىء عن ثناء الجميل. ٦٣ ـ ٦٦ ـ ﴿وعباد الرحمن﴾ مقابلة وتكريم لهم مع من قالوا وما الرحمن منهم ﴿الذين يمشون على الأرض هوناً﴾ متذللين لربهم، متواضعين للناس، لا يتبخترون ولا يتكبرون بمشيهم. وحاشاهم التذلل لأعداء الله ابتغاء ما عندهم من العزة الوهمية. ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون﴾ بما يكرهون ﴿قالوا﴾ لهم قولاً ﴿سلاما﴾ خالياً من اللغو والإثم، فلا يقابلون الجهل بالجهل ﴿والذين يبيتون لربهم﴾ فيدركهم الليل ﴿سجداً وقياماً﴾ عابدين لله ويمكن أن يراد بذلك التهجد نوافل الليل ﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم﴾ وقنا منها ﴿إن عذابها كان غراماً﴾ والغرام ماينوب الإنسان من شدة أو مصيبة فيلزمه ولا يفارقه ﴿إنها ساءت مستقراً ومقاماً﴾ فبئس مكان الإقامة والقرار جهنم. ٦٧ ـ ﴿والذين إذا أنفقوا﴾ المال في حوائجهم ﴿لم يسرفوا﴾ ولم يزيدوا عن الحد ﴿ولم يقتروا﴾ بتقليل الإنفاق ﴿وكان﴾ إنفاقهم ﴿بين ذلك قواماً﴾ عدلاً ووسطاً. وعن رسول الله ﷺ: من أعطى من غير حق فقد أسرف، ومن منع من غير حق فقد قتر.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٥٦﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾

٦٨ ـ ٧٠ ـ ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها ءاخر﴾ والله إله مدعو بالفطرة، فدعاء غيره دعاء لإله آخر معه، أو أنه تعالى ثابت في نفسه سواء دعي أم لا ﴿ولا يقتلون النفس﴾ الإنسانية ﴿التي حرم الله﴾ قتلها ﴿إلا﴾ حال تلبس القتل ﴿بالحق﴾ كقتلها قصاصاً وحداً ﴿ولا يزنون﴾ وكان ذلك شائعاً بين العرب في الجاهلية. ﴿ومن يفعل ذلك يلق أثاماً﴾ وبالاً بخطيئته في الآخرة. ﴿يضاعف له العذاب يوم القيامة﴾ جزاء بما فعل ﴿ويخلد فيه مهاناً﴾ فيبقى مذلاً جزاء آثامه. ﴿إلا من تاب﴾ بالرجوع عن المعصية، وأقل مراتبها الندم ﴿وآمن﴾ فرجع عن الشرك ﴿وعمل عملاً صالحاً﴾ وهذا مما تستقر به التوبة وتكون نصوحاً ﴿فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ فتتبدل نفوسهم وقد تطهرت بالتوبة فكل سيئة منهم تتبدل حسنة، ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ يبدل ذواتهم فيجعلها سعيدة خالية من قذارة الشقاء.وقد قال ﷺ: ما جلس قوم يذكرون الله إلا نادى بهم مناد من السماء قوموا فقد بدل الله سيئاتكم حسنات.

٧١ ـ ٧٣ ـ ﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ ولا يحضرون مجالس الباطل واللهو والغناء فهي مجالس زور ﴿وإذا مروا باللغو﴾ وهو ما لا يشتمل على غرض عقلائي من الأفعال والأقوال ﴿مروا كراماً﴾ ينزهون أنفسهم عن الدخول في مجتمع أهل اللغو ومجالستهم ﴿والذين إذا ذكروا بئايات ربهم﴾ من حكمة أو موعظة، من القرآن أو وحي ﴿لم يخروا عليها﴾ ويسقطوا ﴿صماً وعمياناً﴾ دون تفكر وتبصر، بل يتعقلون ويتعظون بمواعظها.

٧٤ ـ ٧٦ ـ ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾ فهم مصدر سرور بطاعة الله والتجنب عن معصيته ﴿واجعلنا للمتقين إماماً﴾ متسابقين بالخيرات سابقين إلى رحمتك ﴿أولئك﴾ الموصوفون ﴿يجزون الغرفة﴾ وهي الدرجة العليا من البيت أي الجنة ﴿بما صبروا﴾ على الطاعة وعند المعصية وعند المصيبة ﴿ويلقون فيها تحية﴾ تسرهم وتحييهم بها الملائكة ﴿وسلاماً﴾ فلا يوجد ما يخافونه ويحذرونه ﴿خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً﴾ فهي خير دار.

٧٧ ـ ﴿قل ما يعبأ بكم ربي﴾ فلا قدر ولا منزلة لكم عند الله، فوجودكم أو عدم وجودكم عنده سواء ﴿لولا دعاؤكم﴾ فالدعوة لإتمام الحجة عليكم أو لعلكم ترجعون ﴿فقد كذبتم﴾ فلا خير فيكم ﴿فسوف يكون﴾ هذا التكذيب ﴿لزاماً﴾ لكم حجته لأنكم لم تذعنوا للحجة واستمرأتم التكذيب.

وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّو۟ا بِٱللَّغْوِ مَرُّو۟ا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُو۟ا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّو۟ا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُو۟ا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

سورة الشعراء

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: تسلية الرسول ﷺ قبال ما كذبه به قومه. وتهديد لمن كفر؛ مع الموعظة بقصص الغابرين.

١ ـ ﴿طسم﴾ تحدٍّ للبشرية بحروف من لغتهم، وإلجائهم إلى سماع القرآن، أو تعني طالب سميع مبدىء معيد على ما قيل. ٢ ـ ﴿تلك آيات الكتاب المبين﴾ الظاهر الجلي كونه من عند الله سبحانه، ولو كذب المكذبون. ٣ ـ ﴿لعلك باخع﴾ مهلك ﴿نفسك ألا يكونوا مؤمنين﴾ بآيات القرآن. ٤ ـ ﴿إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية﴾ تخضعهم وتلجئهم إلى قبول الإيمان ﴿فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾ وقد طأطأت رؤوسهم ولا فضل لهم في إيمان يحملون عليه. ٥ ـ ﴿وما يأتيهم من ذكر من الرحمن﴾ أي رسالة إلهية﴿محدث﴾ جديد ينشأ عن صفة الرحمة التي بها صلاح دنياهم وأخراهم ﴿إلا كانوا عنه معرضين﴾ لاستمرارهم في تكذيب آيات الله، وتمكن الإعراض في نفوسهم. ٦ ـ ﴿فقد كذبوا﴾ وتحقق منهم ذلك ﴿فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون﴾ وستحيق بهم العقوبات العاجلة والآجلة. ٧ ـ ﴿أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ من أزواج النبات؛ وتعم الحيوان والإنسان. ٨ ـ ٩ ـ ﴿إن في ذلك لآية﴾ تحمل المهدي إلى السعادة في الدنيا والآخرة ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ لتمكن ملكة الإعراض في نفوسهم ﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ فلا يعاجل أخذ المكذبين لأنه غير مغلوب ﴿الرحيم﴾ ينزل عليهم الذكر ليهديهم ويغفر للمؤمنين ويمهل الكافرين. ١٠ ـ ١١ ـ ﴿وإذ نادى ربك موسى﴾ وبعثه بالرسالة لإنجاء بني إسرائيل ﴿أن ائت القوم الظالمين﴾ فقد ظلموا بشركهم وظلموا بتعذيب بني إسرائيل ﴿قوم فرعون﴾ قل لهم ﴿ألا يتقون﴾ توبيخاً لهم من الله. ١٢ ـ ١٧ ـ ﴿قال رب إني أخاف أن يكذبون﴾ فيوقعوا بي الضر ﴿ويضيق صدري ولا ينطلق لساني﴾ وهذا من خوف التكذيب أيضاً ﴿فأرسل﴾ ملك الوحي ﴿إلى هارون﴾ ليكون معيناً لي على تبليغ الرسالة ﴿ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون﴾ لأني قتلت القبطي. ﴿قال كلا﴾ لا تخف مما ذكرت ﴿فاذهبا بآياتنا﴾ فقد أوتيت سؤلك ﴿إنا معكم مستمعون﴾ حاضرون مجلس الدعوة، شاهدون عليكم، معتنون بما يجري بينكم. ﴿فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين﴾ فنحن أصحاب رسالة رب العالمين ﴿أن أرسل معنا بني إسرائيل﴾ وأطلقهم ليعودوا إلى الأرض المقدسة. ١٨ ـ ٢٢ ـ ﴿قال﴾ فرعون ﴿ألم نربك فينا وليداً﴾ ياموسى؟ ﴿ولبثت فينا من عمرك سنين﴾ نعرفك باسمك ونعتك فمن أين لك هذه الرسالة؟ ﴿وفعلت فعلتك﴾ الشنيعة ﴿التي فعلت﴾ وهي قتل القبطي ﴿وأنت من الكافرين﴾ بنعمتي في قصري، فقد تربى في بيت فرعون الذي لم يقتله والذي يرى في بني إسرائيل عبيداً لنفسه، ويرى نفسه رباً منعما عليهم وقتل القبطي إفساد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ
أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ
أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ
إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا
بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ
كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ
أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ
إِلَىٰ هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ
كَلَّا ۖ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ
فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾
وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾

في الأرض وخروج عن طور العبودية. ﴿قال فعلتها إذاً﴾ في ذلك الحين ﴿وأنا من الضالين﴾ أي من الجاهلين بجهة المصلحة وجهة الحق الذي يجب أن يتبع، إذ أن الوقت لم يكن مناسباً للقتل،فأقدمت على الدفاع عمن استنصرني ولم أعلم أنه يؤدي إلى قتل الرجل، ويؤدي ذلك إلى عاقبة وخيمة تحوجني إلى خروجي من مصر وإلى فراري وتغربي. ﴿ففررت منكم لما خفتكم﴾ وقد قيل لي: ﴿يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك، فاخرج إني لك من الناصحين﴾. ﴿فوهب لي ربي حكماً﴾ وهو إصابة النظر في حقيقة الأمر، وإتقان الرأي في العمل به ﴿وجعلني من المرسلين﴾ فمعرفتك بحالي لاتنفي رسالتي، لأن الرسالة ليست أمراً اكتسابياً بل هي أمر وهبي لاتأثير للأسباب العادية فيه ﴿وتلك نعمةٌ تمنها علي﴾ وتقرّعُني بكفرانها ﴿أن عبّدت بني إسرائيل﴾ ظلماً وقهراً وهذا ليس من النعمة في شيء، إذ لاولاية لظالم. فما كانت تربيتي في بيتك إلا جراء استعبادك لبني إسرائيل، مما اضطر أمي إلى أن تلقيني في التابوت. وهذا الاستعباد كان إجراء سياسياً؛ والقضاء على الذكور أسلوب يلجأ إليه الطغاة للمحافظة على ملكهم. ٢٣ ـ ٢٨ ـ ﴿قال فرعون﴾ وقد أفحم بكلام موسى ﴿وما رب العالمين﴾ فأنا ربكم الأعلى، فالعبادة للأصنام الآلهة، والربوبية هي الاستقلال في تدبير شيء من العالم، فلكل عالم من عوالم الخلقة مدبر، فمن الموصوف برب العالمين؟ ﴿قال﴾ موسى: هو ﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾ فالتدبير متصل ﴿إن كنتم موقنين﴾ فرب العالمين هو الرب المدبر الواحد الذي يوقن الموقنون بربوبيته لجميع السموات والأرض وما بينهما إذا نظروا إلى وحدة التدبير فيها ﴿قال﴾فرعون ﴿لمن حوله﴾ ﴿ألاتستمعون﴾ وتتعجبون من قوله حيث يدعي رسالة رب العالمين. وإذا سئل ما رب العالمين ؟ أعاد الكلمة ثانياً ولم يزد على ما بدأ به. ﴿قال﴾ موسى لكشف تمويه فرعون لما ظهر من الحق بوحدة التدبير ﴿ربكم ورب آباءكم الأولين﴾ فرب العالمين هو رب عوالم الإنسانية من الحاضرين والماضين. ﴿قال﴾ فرعون تهكماً ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ فهو يفسر رب العالمين بأنه ربكم ورب آبائكم الأولين، وهذا يدل على اختلال في تعقله.

﴿قال فعلتها إذاً وأنا من الضالين ﴿٢٠﴾ ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين ﴿٢١﴾ وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل ﴿٢٢﴾ قال فرعون وما رب العالمين ﴿٢٣﴾ قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ﴿٢٤﴾ قال لمن حوله ألا تستمعون ﴿٢٥﴾ قال ربكم ورب آبائكم الأولين ﴿٢٦﴾ قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ﴿٢٧﴾ قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون ﴿٢٨﴾ قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين ﴿٢٩﴾ قال أولو جئتك بشيء مبين ﴿٣٠﴾ قال فأت به إن كنت من الصادقين ﴿٣١﴾ فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ﴿٣٢﴾ ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين ﴿٣٣﴾ قال للملإ حوله إن هذا لساحر عليم ﴿٣٤﴾ يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون ﴿٣٥﴾ قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين ﴿٣٦﴾ يأتوك بكل سحار عليم ﴿٣٧﴾ فجمع السحرة لميقات يوم معلوم ﴿٣٨﴾ وقيل للناس هل أنتم مجتمعون ﴿٣٩﴾

﴿قال﴾ موسى ﴿رب المشرق﴾ وهوجهة شروق الشمس وسائر الأجرام السماوية ﴿والمغرب﴾ وهي الجهة التي تغرب فيها بحسب الحس ﴿وما بينهما﴾ من العالم المشهود ويساوي السماوات والأرض وما بينهما ﴿إن كنتم تعقلون﴾ فالمدبر واحد والذين لايدركون وحدانيته هم المحرومون نعمة التعقل والتفقه، والوراثة التي تقوم عليها ألوهية فرعون باطلة لأن فرعون ماهو إلاخلق من مخلوقات الله وعبد له٠ ٢٩ ـ ٣٧ ـ ﴿قال﴾ فرعون مهدداً متوعداً وهذا هو أسلوب الطغاة عندما تنقطع حجتهم ﴿لئن اتخذت إلهاًغيري﴾ قائلاً بربوبية رب العالمين ﴿لأجعلنك من المسجونين﴾ المعذبين جزاءاً لإنكار ألوهيتي ﴿قال﴾ موسى ﴿أولو جئتك بشيء مبين﴾ يظهر صحة دعوتي ـ أوتجعلني من المسجونين ـ فالمعجزة تدل على صدق الرسول في دعواه ﴿قال﴾ فرعون ﴿فأت به إن كنت من الصادقين﴾ في أن عندك الشيء

المبين ﴿فألقى﴾ موسى ﴿عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده﴾ بعد وضعها في جيبه ﴿فإذا هي بيضاء للناظرين﴾ فهاتان آيتان بينتا الدلالة ﴿قال﴾ فرعون ﴿للملأ حوله إن هذا لساحر عليم﴾ وما جاء به بهتان ﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره﴾ فاحذروا منه واتفقوا على دفعه بأية وسيلة ممكنة ﴿فماذا تأمرون﴾ وماذا تشيرون علي أن أعامله به حتى أعمل به ﴿قالوا أرجه وأخاه﴾ وأمهلهما ﴿وابعث جنودك في المدائن﴾ والبلاد ﴿حاشرين﴾ ليخرجوا السحرة المهرة و ﴿يأتوك بكل سحار عليم﴾ لتعارضهما بسحرهم.

٣٨ ـ ٤٢ ـ ﴿فجمع السحرة لميقات يوم معلوم﴾ فالموعد يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى ﴿وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة﴾ في دينهم ﴿إن كانوا هم الغالبين﴾ وفي ذلك مدعاة إلى عدم اتباع دين موسى ﴿فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين﴾ الظاهرين على موسى ﴿قال نعم وإنكم إذاً لمن المقربين﴾ إضافة لأجركم.

لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ
وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ
﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ
ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾
رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ
لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ
إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ
أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم
مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ
لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ
﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾
كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

٤٣ ـ ٤٥ ـ ﴿قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون﴾ أولاً ﴿فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون﴾ مع أنه يستنجد بهم ﴿إنا لنحن الغالبون﴾ ولنا الظهور ﴿فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف﴾ وتبتلع بسرعة ﴿ما يأفكون﴾ بصرف الشيء عن وجهه وصورته الواقعية إلى صورته الخيالية. ٤٦ ـ ٥١ ـ ﴿فألقي السحرة ساجدين﴾ ولم يتمالكوا أنفسهم فخروا على الأرض ساجدين ﴿قالوا آمنا برب موسى وهارون﴾ مع الإيمان بالرسالة ﴿قال آمنتم له قبل﴾ أي دون ﴿أن آذن لكم﴾ وأنا لا آذن بذلك ﴿إنه لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ وهذا بهتان آخر يبهت به موسى (ع) ليصرف عنه قلوب قومه وملئه زيادة في خداع الجماهير ﴿فلسوف تعلمون﴾ عاقبته ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ بقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى أو بالعكس ﴿ولأصلبنكم أجمعين﴾ بجعلكم على الصليب ﴿قالوا لاضير﴾ فلا نبالي بهذا العذاب ﴿إنا إلى ربنا منقلبون﴾ وإليه راجعون وما أكرمه من رجوع ﴿إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا﴾ ولا نخاف الرجوع إليه ﴿أن كنا أول المؤمنين﴾ وفتح الباب في كل خير له أثر من الخير.

٥٢ ـ ﴿وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي﴾ سر بهم ليلاً ﴿إنكم متبعون﴾ فآل فرعون سيتبعونكم ولكن في ذلك فرجكم. ٥٣ ـ ٥٦ ـ ﴿فأرسل فرعون في المدائن حاشرين﴾ بعد أن أسرى موسى وقومه؛ ملتجئاً إلى التعبئة العامة ضد الحق ﴿إن هؤلاء﴾ بني إسرائيل ﴿لشرذمة قليلون﴾ لايؤبه لهم ﴿وإنهم لنا لغائظون﴾ بأعمالهم وفي قوله تحريض للعامة ليقارعوا موسى ﴿وإنا لجميع﴾ متفقون فيما نعزم عليه ﴿حاذرون﴾ أن يمكر بنا العدو وإن كان ضعيفاً قليلاً فنحن له بالمرصاد.

٥٧ ـ ٥٩ ـ ﴿فأخرجناهم من جنات وعيون﴾ ورغد من العيش ﴿وكنوز ومقام كريم﴾ فيه قصورهم المشيدة. ﴿كذلك وأورثناها بني إسرائيل﴾ بعد إهلاك فرعون.

٦٠ ـ ﴿فأتبعوهم﴾ ولحقوا ببني إسرائيل ﴿مشرقين﴾ وقت شروق الشمس.

٦١ ـ ﴿فلما تراءى الجمعان﴾ ودنا بعضهم من بعض ﴿قال أصحاب موسى﴾ من بني إسرائيل فزعاً: ﴿إنا لمدركون﴾ فقد لحقوا بنا والبحر أمامنا. ٦٢ ـ ﴿قال﴾ موسى وثقته بربه لا تنثلم: ﴿كلا﴾ لن يدركونا ﴿إن معي ربي سيهدين﴾ وسيدلني على طريق لايدركني فرعون معها. ٦٣ ـ ﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر﴾ فضربه ﴿فانفلق﴾ وانشق ﴿فكان كل فرق﴾ وقطعة منفصلة من الماء ﴿كالطود﴾ أي كالقطعة من الجبل ﴿العظيم﴾ فدخلها موسى ومن معه. ٦٤ ـ ﴿وأزلفنا ثم﴾ وقربنا هناك ﴿الآخرين﴾ وهم فرعون وجنوده. ٦٥ ـ ٦٦ ـ ﴿وأنجينا موسى ومن معه أجمعين﴾ بحفظ البحر على حاله حتى خرجوا منه ﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ بإطباق البحر عليهم وهم في فلقه. ٦٧ ـ ﴿إن في ذلك﴾ وهو ما ذكر من بعثة موسى إلى غرق فرعون ﴿لآية﴾ تدل على توحده بالربوبية، وعلى صدق الرسالة لمن تدبرها ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ مع ظهور الدلائل البينة، كما لم يؤمن أكثر قومك يا محمد، فلا تحزن فهذا دأب كل الأمم التي بعثنا إليهم رسولاً فدعاهم إلى توحيد الربوبية ٦٨ ـ ﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ فلا يعاجل أخذ المكذبين لأنه غير مغلوب وهو ﴿الرحيم﴾ ينزل عليهم الذكر ليهديهم، ويغفر للمؤمنين ويمهل الكافرين. فالخارقة لاتصنع الإيمان؛ الذي ما هو إلا إشراقة نور الهداية في القلوب. ٦٩ ـ ﴿واتل﴾ يا محمد ﴿عليهم﴾ وهم مشركو العرب وعمدتهم قريش ﴿نبأ إبراهيم﴾ وهو أبوهم وقد قام لنشر كلمة التوحيد. ٧٠ ـ ﴿إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون﴾ ليحاجهم عن فطرة ساذجة طاهرة. ٧١ ـ ﴿قالوا نعبد أصناماً﴾ من فلز أو خشب تمثل ما في المعبود من صفات مع أن استقلال الأصنام بالمعبودية يتنافى مع كونها أصناما ممثلة للغير ﴿فنظل﴾ وندوم ﴿لها عاكفين﴾ ملازمين. ٧٢ ـ ٧٣ ـ ﴿قال هل يسمعونكم إذ تدعون﴾ فالعبادة تمثل ذل العابد وحاجته إلى المعبود، والأصنام لاتسمع ﴿أو ينفعونكم أو يضرون﴾ وإذا لم يكونوا كذلك، فلا معنى لعبادتهم. ٧٤ ـ ﴿قالوا﴾ بدل أن يجيبوا بالنفي ﴿بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون﴾ فعملنا محض تقليد الآباء، دون مستند. وقولهم هذا من الجهل ،وإذا زاغت العقيدة انحطت العادات والتصورات.

فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾

٧٥ ـ ٨٠ ـ ﴿قال أفرأيتم ماكنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون﴾ دون دليل إلا التقليد ﴿فإنهم عدو لي﴾ لأنها عبادة باطلة من أصلها، فعبادتي لها ضارة لديني، مهلكة لنفسي، فأنا لاآخذ بالتقليد كما أخذتم ولاأعبد ﴿إلا رب العالمين﴾ فهو منزه عن صفات أصنامكم. والله تعالى ليس عدواً لي لأنه ﴿الذي خلقني﴾ والخلق والتدبير لاينفكان ﴿فهو يهدين﴾ هداية عامة للمنافع الدنيوية والأخروية ﴿والذي هو يطعمني ويسقين﴾ وهذه من النعم التي تلي الهداية الخاصة الدينية في أهميتها ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ فهو المتمم للنواقص وهو الذي يرفع الحوائج الدنيوية. ٨١ ـ ٨٢ ـ ﴿والذي يميتني ثم يحيين﴾ بعد الموت ﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ فالمغفرة ليست بالاستحقاق بل هي فضل من الله. والخطيئة من مثل إبراهيم (ع) ـ وهو معصوم ـ هي اشتغاله عن ذكر الله محضاً بما تقتضيه ضرورات الحياة؛ كالنوم

والأكل والشرب ونحوها. وقد أتى (ع) بثناء جامع أدرج فيه عناية ربه به من بدء خلقه إلى أن يعود إلى ربه وأقام فيه نفسه مقام الفقر ولم يذكر لربه إلا الجود وابتدأ باسم الرب وقصر مسألته على النعم الأخروية الباقية دون التفات إلى زخارف الدنيا؛ كما أن من كمال الجمال نسبة المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله. ٨٣ ـ ﴿رب﴾ أجب مسألتي ﴿هب لي حكماً﴾ والحكم إصابة النظر والرأي في المعارف الاعتقادية والعملية الكلية وتطبيق العمل عليها ﴿وألحقني بالصالحين﴾ والصلاح هو كون الشيء على مقتضى الطبع الأصلي فيترتب عليه الخير والنفع دون أن يفسد ويحرم آثاره الحسنة، فصلاح الذات كونها تامة الاستعداد لقبول الرحمة الإلهية وإفاضة الخير والسعادة، ويلازمها صلاح العمل. ٨٤ ـ ٨٥ ـ ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ وذلك بأن يبعث الله في الآخرين من يقوم بدعوته، ويدعو الناس إلى ملته وهي دين التوحيد وقيل المراد به بعث النبي ﷺ ؛ وقد روي أنه قال: أنا دعوة أبي إبراهيم. ﴿واجعلني من ورثة جنة النعيم﴾ والإرث شيء لغيرك انتقل لك، والجنة للمؤمنين بعدما كانت في معرض أن يشاركهم فيها غيرهم. ٨٦ ـ ٨٩ ـ ﴿واغفر لأبي إنه كان من الضالين﴾ وقد قال له: ﴿سأستغفر لك ربي﴾ وكان ذلك ﴿عن موعدة وعدها إياه﴾ ﴿ولا تخزني﴾ والخزي عدم النصر ممن يؤمل منه النصر ﴿يوم يبعثون﴾ يوم القيامة، فالإنسان بضعفه لايستطيع مواجهة أهوال القيامة إلا بنصر من الله تعالى ﴿يوم لاينفع مال ولا بنون﴾ لأن رابطتهما وهمية اجتماعية دنيوية، وكل سبب وضعي اعتباري ينقطع يوم انكشاف الحقائق؛ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ متعر من الآفات الظاهرة والباطنة. ٩٠ ـ ٩٣ ـ ﴿وأزلفت الجنة﴾ وقربت ﴿للمتقين﴾ فهم في جنات وعيون ﴿وبرزت الجحيم﴾ وأظهرت ﴿للغاوين﴾ وإن جهنم لموعدهم أجمعين. ﴿وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله﴾ وقد ضللتم في عبادتكم إياهم ﴿هل ينصرونكم﴾ ويدفعون الشقاء عنكم ﴿أو ينتصرون﴾ لأنفسهم. ٩٤ ـ ٩٥ ـ ﴿فكبكبوا فيها﴾ وألقوا على

﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾

وجوههم في جهنم ﴿هم﴾ أي الأصنام ﴿والغاوون﴾ الذين أشركوا ﴿وجنود إبليس أجمعون﴾ وهم قرناء الشياطين الذين لايفارقون أهل الغواية حتى يدخلوا النار. ٩٦ ـ ٩٩ ـ ﴿قالوا﴾ والقائلون هم الغاوون ﴿وهم فيها يختصمون﴾ يخاصمون أنفسهم والشياطين ﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين﴾ وهذا اعتراف منهم بالضلال ﴿إذ نسويكم﴾ أيتها الآلهة من الأصنام ﴿برب العالمين﴾ ولستم إلا آلهة أو شياطين أو متبوعين أو رؤساء من الغاوين. ﴿وما أضلنا إلا المجرمون﴾ وكل من القائلين يريد بالمجرمين غيره من إمام ضلال اقتدى به في الدنيا وداع دعاه إلى الشرك فاتبعه، وآباء مشركين قلدهم فيه وخليل تشبه به، وكبير أو رئيس أطاعه. ١٠٠ ـ ١٠٢ ـ ﴿فما لنا من شافعين﴾ يشفعون لنا ﴿ولا صديق حميم﴾ يشفق علينا ﴿فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين﴾ لننال ما نالوه من السعادة. ١٠٣ ـ ١٠٤ ـ ﴿إن في ذلك

لآية﴾ لمن تدبرها على أن محن إبراهيم آيات لأولي الألباب ﴿وماكان أكثرهم مؤمنين﴾ فالأكثرية من قومه لم يؤمنوا ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ ولعزته لايعاجل بالعقوبة ولرحمته يهدي عباده. ١٠٥ ـ ١١٠ ـ ﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾ وقد كذبوا نوحاً، وتكذيبه تكذيب للمرسلين لأنهم جميعا يدعون إلى التوحيد ﴿إذ قال لهم أخوهم﴾ أي نسيبهم ﴿نوح ألا تتقون﴾ توبيخاً لهم. ﴿إني لكم رسول﴾ من الله سبحانه ﴿أمين﴾ على رسالته ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ فطاعتي طاعة لله ﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾ وليس لي من مطمع دنيوي ﴿إن أجري إلا على رب العالمين﴾ وهو الله الواحد لا إله سواه ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ فأنا ناصح لكم لا أغشكم. ١١١ ـ ﴿قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون﴾ الدنيئون، والشرف والكرامة تكون في الأموال والجموع من البنين والأتباع بزعمهم. ١١٢ ـ ١١٥ ـ ﴿قال وما علمي بما كانوا يعملون﴾ قبل إيمانهم ﴿إن حسابهم إلا على ربي﴾ وهو رب العالمين الذي أدعو إليه ﴿لو تشعرون﴾ وهو يجازيهم حسب أعمالهم. ﴿وما أنا بطارد المؤمنين﴾ ولا أتفحص سابق أعمالهم لأحاسبهم ﴿إن أنا إلا نذير مبين﴾ ولا شأن لي إلا الإنذار والدعوة. ١١٦ ـ ﴿قالوا لئن لم تنته يا نوح﴾ عما تدعو إليه ﴿لتكونن من المرجومين﴾ بالحجارة وهذه سنة المكذبين بدعوة الحق. ١١٧ ـ ١١٨ ـ ﴿قال رب إن قومي كذبون﴾ تكذيبا مطلقاً لا مطمع في تصديقهم بعده ﴿فافتح بيني وبينهم فتحاً﴾ واقض بيني وبينهم بحيث يبتعد أحد القبيلين عن الآخر ﴿ونجني ومن معي من المؤمنين﴾ وأهلك الفاسقين. ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾. ١١٩ ـ ١٢٠ ـ ﴿فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون﴾ المملوء منهم ومن كل زوجين اثنين ﴿ثم أغرقنا بعد الباقين﴾ المكذبين. ١٢١ ـ ١٢٢ ـ ﴿إن في ذلك لآية﴾ تدل على التوحيد ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ لدعوته ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ لايعاجل بالعقوبة لأن مرجع الأمور إليه ويرحم الناس بهدايتهم. ١٢٣ ـ ١٢٧ ـ ﴿كذبت عاد المرسلين﴾ وهم من العرب العاربة الذين يسكنون الأحقاف في جزيرة العرب، وعاد اسم أبيهم. ﴿إذ قال لهم أخوهم﴾ أي نسيبهم ﴿هود ألا تتقون﴾ توبيخاً لهم.

قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ
لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ
﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ
رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن
مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ
﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ
عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ
ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾
وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾
وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾
وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣٥﴾ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾

﴿إني لكم رسول﴾ من الله سبحانه ﴿أمين﴾ على رسالته ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ فطاعتي طاعة لله ﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾ أو مال ﴿إن أجري إلا على رب العالمين﴾ وهو الله الواحد لا إله سواه. ١٢٨ ـ ١٣١ ـ ﴿أتبنون بكل ريع﴾ أي مرتفع ﴿آية﴾ أي علامة ﴿تعبثون﴾ فتقومون من الأفعال بما لاثمرة منه، تفاخراً واتباعاً للهوى. ﴿وتتخذون مصانع﴾ أي حصوناً مشيدة منيعة ﴿لعلكم تخلدون﴾ وتدومون دهراً طويلاً ﴿وإذا بطشتم﴾ وقتلتم بالسيف وضربتم بالسوط ﴿بطشتم جبارين﴾ عالين على غيركم كما يبالغ الجبابرة في الشدة، إسرافاً في البطش والغضب وخروجاً عن طور العبودية. ﴿فاتقوا الله﴾ فيما أمرتكم ﴿وأطيعون﴾ بترك الاستكبار والإصرار على البغي. ١٣٢ ـ ١٣٥ ـ ﴿واتقوا﴾ الله ﴿الذي أمدكم﴾ وأنعم عليكم ﴿بما تعلمون﴾ من نعمه ﴿أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون﴾ وهي نعم لايشاركه في

إيجادها والإمداد بها غيره، فهو الذي يجب أن يشكر ويعبد دون الأوثان والأصنام. ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ هو يوم القيامة أو يوم عذاب الاستئصال.

١٣٦ ـ ﴿قالوا سواء علينا﴾ ويستوي عندنا ﴿أوعظت أم لم تكن من الواعظين﴾ فلا أثر لكلامك.

١٣٧ ـ ١٣٨ ـ ﴿إن هذا﴾ الذي تدعو إليه من التوحيد والموعظة ﴿إلا خلق﴾ وعادة ﴿الأولين﴾ من أهل الأساطير والخرافات ﴿وما نحن بمعذبين﴾ فلا بعث ولا معاد.

١٣٩ ـ ١٤٠ ـ ﴿فكذبوه فأهلكناهم﴾ بالريح العقيم ﴿إن في ذلك﴾ الحديث ﴿لآية﴾ وعبرة ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ ولو آمنوا لبدل الله هلاكهم ثواباً ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ لايعاجل بالعقوبة ويهدي عباده.

إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

١٤١ ـ ١٤٥ ـ ﴿كذبت ثمود المرسلين﴾ وهم قوم من العرب بعد عاد ﴿إذ قال لهم أخوهم صالح﴾ وهو نبيهم ﴿ألا تتقون﴾ توبيخاً لهم. ﴿إني لكم رسول أمين﴾ على ما أرسلت به ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ فأنا ناصح لكم ﴿وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين﴾ فلا مطمع لي في نفع دنيوي.

١٤٦ ـ ١٥٢ ـ ﴿أتتركون في ما ههنا﴾ من النعم التي أحاطت بكم من أرضكم ﴿آمنين﴾ من المؤاخذة الإلهية، وأنتم مطلقو العنان ﴿في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها﴾ ونورها ﴿هضيم﴾ متداخل ﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين﴾ أي حاذقين وهذه من نعمة الله، أو بمعنى أشرين والبطر مستنكر. ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ وتجنبوا الأشر والبطر ﴿ولا تطيعوا﴾ أيها التابعون ﴿أمر المسرفين﴾ بتقليد كبراء القوم وعظمائهم المتبوعين؛ إذ لامطمع في إيمان السادة أكابر مجرميها فقد كان ميؤوساً منهم.. ﴿الذين يفسدون في الأرض﴾ ويحرفون النظام الجاري في الكون، وخروجهم عن النظام وهم جزء منه إفساد للكون ولايؤمن معه الإفساد والعذاب الإلهي ﴿ولايصلحون﴾ فقد بدلوا صلاح الفطرة فساداً.

١٥٣ ـ ١٥٦ ـ ﴿قالوا إنما أنت من المسحرين﴾ الذين سحروا مرة بعد مرة، أو المسحر من له جوف، أو المسحر من له رئة ﴿ما أنت إلا بشر مثلنا﴾ فلا ميزة لك علينا ﴿فأتِ بآية إن كنت من الصادقين﴾ تثبت رسالتك ﴿قال هذه ناقة لها شرب﴾ أي نصيب من الماء ﴿ولكم شرب يوم معلوم﴾ وهو نصيبكم ﴿ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم﴾ يستأصلكم.

١٥٧ ـ ﴿فعقروها﴾ جاء في نهج البلاغة:« أيها الناس إنما يجمع الناس الرضى والسخط وإنما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمهم الله بالعذاب لما عموه بالرضى (بعقرها)» ﴿فأصبحوا نادمين﴾ عند ظهور دلائل العذاب.

١٥٨ ـ ١٥٩ ـ ﴿فأخذهم العذاب﴾ الموعود ﴿إن في ذلك لآية﴾ على التوحيد ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ بصالح ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ لايخرج شيء من سلطانه فلا يعاجل بالعقوبة، ويهدي عباده.

١٦٠ ـ ١٦٤ ـ ﴿كذبت قوم لوط المرسلين﴾ لهدايتهم ﴿إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون﴾ لوماً لهم ﴿إني لكم رسول أمين﴾ على ما أرسلت به ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ فأنا ناصح أمين ﴿وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين﴾ فلا مطمع لي في متاع الدنيا.

١٦٥ ـ ١٦٦ ـ ﴿أتأتون الذكران﴾ بدل النساء، ما سبقكم بها من أحد ﴿من العالمين﴾ أو من بين العالمين على كثرتهم واشتمالهم على النساء. ﴿وتذرون﴾ وتتركون ﴿ما خلق لكم ربكم من أزواجكم﴾ فالفطرة والخلقة تقضي أن الزوجية الطبيعية إنما تكون بين الذكر والأنثى لحفظ النوع وزيادة العدد ﴿بل أنتم قوم عادون﴾ متجاوزون لحد الفطرة متعدون عليها.

١٦٧ ـ ١٦٩ ـ ﴿قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين﴾ المبعدين المنفيين من قريتنا ﴿قال إني لعملكم من القالين﴾ المبغضين، لأأخاف من الإخراج ﴿رب نجني وأهلي مما يعملون﴾ فأنا راغب في النجاة من هذا العمل من أصله.

١٧٠ ـ ١٧٥ ـ ﴿فنجيناه﴾ إذ لم يكن قد آمن به من أهل القرية أحد ﴿وأهله أجمعين﴾ لإيمانهم ﴿إلا عجوزاً في الغابرين﴾ هي زوجه الباقية بعد ذهابه ومن معه. ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ بإهلاكهم وجعلنا عاليها سافلها ﴿فأمطرنا عليهم مطراً﴾ من حجارة من سجيل ﴿فساء مطر المنذرين﴾ لأنه يحمل إليهم عذاب الاستئصال ﴿إن في ذلك لآية﴾ تدل على الرسالة ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ بلوط ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ لا يفلت من قضائه أحد فهو يمهل المعذبين ويهدي الناس. (هناك من علماء الجيولوجيا من يؤكد أن البحر الميت يغمر مدناً كانت آهلة بالسكان).

١٧٦ ـ ١٨٠ ـ ﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين﴾ الأيكة هي الشجرة الملتفة وقيل: إنها غيضة قرب مدين ﴿إذ قال لهم شعيب﴾ وقد بعث إليهم ﴿ألا تتقون﴾ الله وتوحدوه ﴿إني لكم رسول أمين﴾ على ما أرسلت به ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ فأنا ناصح أمين ﴿وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين﴾ فلا مطمع لي في مال أو نفع دنيوي.

١٨١ ـ ١٨٣ ـ ﴿أوفوا الكيل﴾ لاتنقصوا ما يقدر به المتاع من جهة حجمه ﴿ولا تكونوا من المخسرين﴾ بعدم التوفية ﴿وزنوا بالقسطاس﴾ أي الميزان ﴿المستقيم﴾ العادل في الأخذ والإعطاء ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ ولا تنقصوهم سلعهم وأمتعتهم ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ لاختلال نظام المجتمع الإنساني لعدم التقدير الصحيح في طرفي المعاوضة.

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَـٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾

١٨٤ ـ ﴿واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين﴾ وقد فطرهم وقرر في جبلتهم تقبيح الفساد.
١٨٥ ـ ١٨٨ ـ ﴿قالوا إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين﴾ فلا فضل لك علينا بل أنت كاذب ﴿فأسقط علينا كسفاً﴾ قطعاً ﴿من السماء إن كنت من الصادقين﴾ والأمر مبني على التعجيز والاستهزاء.
١٨٩ ـ ١٩١ ـ ﴿قال ربي أعلم بما تعملون﴾ فليس بيدي إتيان العذاب ﴿فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة﴾ حيث عذبوا بظلة من الغمام ﴿إنه كان عذاب يوم عظيم﴾ فصاروا أحاديث ﴿إن في ذلك لآية﴾ تدل على التوحيد ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ به ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ لايعاجل عباده بالعقوبة لأنهم في قبضته وهو يسرع إليهم بالهداية.
١٩٢ ـ ١٩٦ ـ ﴿وإنه﴾ أي القرآن ﴿لتنزيل رب العالمين﴾ وقد أخرجه من عنده إلى موطن الخلق والتقدير، والتنزيل يدل على التدريج؛ بينما يدل الإنزال على الدفعة.

﴿نزل به الروح الأمين﴾ وهو جبريل ﴿على قلبك﴾ يا محمد ﴿لتكون من المنذرين﴾ تهديداً وتخويفاً للمنكرين ﴿بلسان عربي مبين﴾ ظاهر في عربيته أو مبين للمقاصد تام البيان ﴿وإنه لفي زبر الأولين﴾ أي كتبهم إذ أنها تحمل البشرى بنبوته صلى الله عليه وآله.

١٩٧ ـ ﴿أو لم يكن لهم آية﴾ أي دليل للمشركين على نبوة محمد ﷺ ﴿أن يعلمه علماء بني إسرائيل﴾ وقد أسلم عدد منهم، وهو الرسول النبي الأمي ﴿الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل﴾، ﴿يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾.

١٩٨ ـ ١٩٩ ـ ﴿ولو نزلناه على بعض الأعجمين﴾ كان في لسانه عجمة وإبهام سواء كان عربياً أو غير عربي ﴿فقرأه عليهم﴾ بلسان أعجمي ﴿ما كانوا به مؤمنين﴾ ولردوه لعدم فهم مقاصده.

٢٠٠ ـ ﴿كذلك سلكناه﴾ وأدخلناه ﴿في قلوب المجرمين﴾ الكافرين والمشركين، فسلوكه في قلوبهم على هذه الحال المنفورة مجازاة لهم على إجرامهم.

٢٠١ ـ ٢٠٣ ـ ﴿لايؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم﴾ عند الموت فيلجؤا إلى الإيمان الاضطراري الذي لاينفعهم، ﴿فيأتيهم بغتة﴾ دون أن يعلموا موعده ﴿وهم لايشعرون﴾ ولو شعروا لآمنوا باختيار منهم ﴿فيقولوا﴾ تحسراً ﴿هل نحن منظرون﴾ وممهلون.

وَاتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾

٢٠٤ ـ ٢٠٦ ـ ﴿أفعذابنا يستعجلون﴾ توبيخ لهم وتهديد ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين﴾ معدودة ستنقضي ﴿ثم جاءهم ما كانوا يوعدون﴾ من العذاب بعد انقضاء سني الإمهال.

٢٠٧ ـ ﴿ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ فتمتيعهم أمد محدود طال أو قصر لايرفع عنهم العذاب الخالد الذي قضي في حقهم. ٢٠٨ ـ ٢٠٩ ـ ﴿وما أهلكنا من قرية إلا﴾ في حال كون ﴿لها منذرون﴾ تتم بهم الحجة ﴿ذكرى وما كنا ظالمين﴾ ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾. ٢١٠ ـ ٢١٢ ـ ﴿وما تنزلت به الشياطين﴾ وهم أشرار الجن كما يرجف المشركون، يا محمد ﴿وما ينبغي لهم﴾ لأنه لاهم لهم إلا الشر والفساد وتصوير الباطل حقاً، والقرآن حق لاسبيل للباطل إليه فلا يناسب جبلتهم الشيطانية أن يلقوه إلى أحد ﴿وما يستطيعون﴾ لأنه كلام سماوي تتلقاه الملائكة من رب العزة فينزلونه بأمره في حفظ وحراسة ﴿إنهم عن السمع لمعزولون﴾ ولو تسمعوا لقذفوا بالشهب الثاقبة. ٢١٣ ـ ٢٢٠ ـ ﴿فلا تدع مع الله إلها آخر﴾ يامحمد ﴿فتكون من المعذبين﴾ والعصمة توجب بطلان تعلق الأمر والنهي بالمعصوم ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ وقرابتك، فلا فرق في تعلق الإنذار بين النبي وأمته، ولا بين الأقارب والأجانب فالكل فيه سواء. ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك﴾ أي أطاعك ﴿من المؤمنين﴾ فاجمعهم إليك بالرأفة واشتغل بهم بالتربية ﴿فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون﴾ فليس لك من أمر طاعتهم ومعصيتهم شيء وراء ما كلفناك ﴿وتوكل على العزيز﴾ الذي يعذب العاصين ﴿الرحيم﴾ الذي ينجي المؤمنين. ﴿الذي يراك حين تقوم﴾ فأنت بعينه في الحالتين يرى قيامك ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ المصلين معك من المؤمنين. ﴿إنه هو السميع العليم﴾ تعليل لقوله ﴿وتوكل على العزيز الرحيم﴾ فهو يعذب العاصين وينجي المؤمنين.

٢٢١ ـ ٢٢٣ ـ ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين﴾ وإلى من تنقل الأخبار؟ ﴿تنزل على كل أفاك﴾ كذاب قلاب للأخبار ﴿أثيم﴾ مرتكب للقبيح. فالشياطين ﴿يلقون السمع﴾ ولكن ما استرقوه من أخبار السماء لايكون إلا ناقصاً غير تام ولا كامل فيتسرب إليه الكذب كثيراً ﴿وأكثرهم كاذبون﴾ لايخبرون بصدق أصلاً. ٢٢٤ ـ ٢٢٧ ـ ﴿والشعراء﴾ ولست منهم يا محمد ﴿يتبعهم الغاوون﴾ السالكون سبيل الباطل والغواية مما يختص به الشعر المبني على التخيل ﴿ألم تر أنهم في كل واد يهيمون﴾ على وجوههم، ويسترسلون في مالا حد له من القول ﴿وأنهم يقولون مالا يفعلون﴾ منحرفون بذلك عن سبيل الفطرة المبنية على الرشد الداعية إلى الحق. وكل الشعراء كذلك ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ منهم مرتدعون عن اتباع الباطل وترك الحق ﴿وذكروا الله كثيراً﴾ فهم معرضون عن الباطل لايحبون الاشتغال به ﴿وانتصروا﴾ أي انتقموا ﴿من بعد ما ظلموا﴾ فردوا على المشركين أشعارهم التي هجوا بها النبي ﷺ وطعنوا الإسلام والمسلمين ﴿وسيعلم الذين ظلموا﴾ وهم المشركون ﴿أي منقلب﴾ ومرجع ﴿ينقلبون﴾ وينصرفون فالنار مثوى لهم.

مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٢٢٢﴾ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

سُورَةُ النَّمْلِ

سورة النمل

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: التبشير والإنذار،نبذة من أصول المعارف. ١ ـ ﴿طس﴾ ذكر أنها ترمز لاسمين من أسمائه تعالى: الطالب والسميع. ﴿تلك آيات القرآن﴾ الرفيعة القدر ﴿وكتاب مبين﴾ مقروء عظيم ومبين لمقاصده. ٢ ـ ٣ ـ ﴿هدى وبشرى للمؤمنين﴾ فهي تهدي إلى السعادة وتبشر بكريم المآل ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ وهي صلة العبد بربه ﴿ويؤتون الزكاة﴾ وهي صلة الإنسان بمجتمعه. فهم يأتون الأعمال الصالحة ﴿وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ فعدم الإيمان بالآخرة محبط للأعمال. ٤ ـ ٥ ـ ﴿إن الذين لايؤمنون بالآخرة﴾ وهي غاية مسيرهم ﴿زينا لهم أعمالهم﴾ فانجذبت إليها نفوسهم ﴿فهم يعمهون﴾ متحيرون في طرق يسلكونها بلا غاية. ﴿أولئك لهم سوء العذاب﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وهم في الآخرة هم الأخسرون﴾ لأن سيئاتهم محفوظة وحسناتهم حابطة. ٦ـ﴿ وإنك لتلقى القرآن﴾ يا محمد ﴿من لدن حكيم﴾ لاينقضه ناقض، ولايوهنه موهن ﴿عليم﴾ في علمه محيط فلا يكذب في خبره ولايخطىء في قضائه. ٧ ـ ﴿إذ قال موسى لأهله﴾ خوطبت بصيغة الجمع لما كني عنها بالأهل؛ وهي بنت شعيب عليه السلام ﴿إني آنست ناراً﴾ وأبصرت ناراً فالزموا مكانكم ﴿سآتيكم منها بخبر﴾ تهتدي به ﴿أو ءاتيكم بشهاب قبس﴾ أي شعلة متناولة من النار ﴿لعلكم تصطلون﴾ بها وتستدفئون. ٨ـ﴿ فلما جاءها﴾ وحضر عندها ﴿نودي أن بورك﴾ وألبس الخير الكثير ﴿من﴾ ظهر سلطانه ﴿في النار﴾ لأن التكليم كان من الشجرة وقد أحاطت بها النار ﴿ومن حولها﴾ وهو موسى ﴿وسبحان الله رب العالمين﴾ تنزيهاً له سبحانه من أن يكون جسماً أو جسمانياً يحيط به المكان أو يجاوره الحدوث. ٩ ـ ١١ـ﴿ يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم﴾ الذي يشافهك في الكلام ﴿وألق عصاك﴾ فألقاها ﴿فلما رءاها تهتز كأنها جان﴾ وقد أصبحت ثعباناً مبيناً ﴿ولى مدبراً﴾ راجعاً ﴿ولم يعقب﴾ لم يعد ﴿يا موسى لاتخف﴾ فأنت في أمن من كل سوء ﴿إني لايخاف لدي المرسلون﴾ فهم في مقام القرب والأمن ولا خوف مع الأمن ﴿إلا من ظلم﴾ باقتراف المعصية ـ من غير المرسلين ـ وعلى هذا فالاستثناء منقطع ﴿ثم بدل حسناً بعد سوء﴾ توبة بعد معصية ﴿فإني غفور﴾ أغفر ظلمه ﴿رحيم﴾ أرحمه فلا يخافن بعد ذلك شيئاً. ١٢ ـ ﴿وأدخل يدك في جيبك﴾ وجناحك ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾ أو برص ﴿في تسع آيات﴾ أي من جملة تسع آيات ﴿إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ خارجين عن زي العبودية. ١٣ ـ ﴿فلما جاءتهم آياتنا مبصرة﴾ واضحة جلية ﴿قالوا﴾ ازدراء بها وإهانة لها ﴿هذا سحر مبين﴾ فلا يؤبه بها وبدلالتها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طس ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ۖ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾

١٤ ـ ﴿وجحدوا بها﴾ فنفوا ما أُثبت في قلوبهم منها ﴿واستيقنتها أنفسهم﴾ أي أيقنت بها، فالجملة حالية، ﴿ظلماً﴾ أي جحدوا بها بغير حق ﴿وعلواً﴾ واستكباراً ﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ المحولين الأمور عن دلالتها الفطرية. ١٥ ـ ﴿ولقد آتينا داود وسليمان علماً﴾ عظيم المرتبة ﴿وقالا الحمد لله الذي فضلنا﴾ بالعلم ﴿على كثير من عباده المؤمنين﴾ أو بتسخير الجبال والطير والجن والوحش لداود وتليين الحديد له وإيتائه الملك، وتسخير الريح لسليمان وتعليمه منطق الطير وإيتائه الملك.

١٦ ـ ﴿وورث سليمان داوود﴾ فورث ماله وملكه، أما النبوة فلا تقبل الوراثة، والعلم كرامة يخص الله بها من يشاء والنبي يورِّث العلم ولايرثه ﴿وقال﴾ سليمان ﴿يا أيها الناس علمنا﴾ أنا وأبي ﴿منطق الطير﴾ وهو ما تدل به الطيور بعضها على مقاصدها ﴿وأوتينا﴾ وأعطينا ﴿من كل شيء﴾ من النعم التي يمكن أن يعطاها الإنسان ﴿إن هذا هو الفضل المبين﴾ فلله الشكر على ما أفضل دون عجب أو كبر.

وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

١٧ ـ ١٨ ـ ﴿وحشر﴾ وجمع ﴿لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون﴾ يجمعون دون تفرق أو اختلاط ﴿حتى إذا أتوا﴾ بسيرهم ﴿على وادِ النمل﴾ وهو وادٍ بالشام على ما قيل أو في أرض الطائف أو في أقصى اليمن ﴿قالت نملة﴾ لسائر النمل ﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم﴾ ويكسرنكم ﴿سليمان وجنوده﴾ بأقدامهم ﴿وهم لايشعرون﴾ بكم. لقد ذكرته النملة بما له من الملك العظيم وقد سخرت له الريح تجري بأمره، والجن يعملون له ما يشاء وعلم منطق الطير إضافة إلى غير ذلك من النعم في صورة أجمل أمنية يتمناها الإنسان، ولكنه عليه السلام لم ينس عبوديته ومسكنته.

١٩ ـ ﴿فتبسم ضاحكا من قولها﴾ وقد فهم ما في نفسها وعرف مقاصدها دون أن يسمع صوتها، إلهاماً من الله عز وجل ﴿وقال رب أوزعني﴾ أجعلني وألهمني ﴿أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي﴾ بما في ذلك النبوة والعلم بمنطق الحيوان والملك والجنود من الإنس والجن والطير ﴿وعلى والديَّ﴾ من نعمة النبوة والملك والحكمة وفصل الخطاب على داود ومن زواج أمي من داود ورزقها سليماناً وجعلها من أهل بيت النبوة ﴿وأن أعمل صالحاً ترضاه﴾ فهو لم يسأل صلاح العمل بل أن يعمل صالح العمل ﴿وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾ الذين صلحت ذاتهم، فخصهم الله بمواهب أبرزها العبودية.

٢٠ ـ ٢١ ـ ﴿وتفقد الطير فقال ما لي لاأرى الهدهد﴾ بين الطير ﴿أم كان من الغائبين﴾ وما كان له أن يغيب عن موكبه عليه السلام ﴿لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه﴾ وفي ذلك شقاؤه ﴿أو ليأتيني بسلطان مبين﴾ وحجة واضحة.

٢٢ ـ ﴿فمكث﴾ سليمان أو الهدهد زمناً ﴿غير بعيد﴾ ثم حضر ﴿فقال أحطت﴾ من العلم ﴿بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين﴾ وخبر عظيم لا شك فيه.

٢٣ ـ ﴿إني وجدت امرأة تملكهم﴾ فهي تحكم أهل سبأ ﴿وأوتيت من كل شيء﴾ من لوازم الملك من حزم وعزم وسطوة وكنوز وجند ورعية مطيعة ﴿ولها عرش عظيم﴾ وسلطان كبير.

٢٤ ـ ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله﴾ فهم من الوثنيين عبدة الشمس ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ فحببهم بها ﴿فصدهم عن السبيل﴾ التي يسلكها الإنسان بفطرته ﴿فهم لايهتدون﴾ لأنهم لايسلكون سبيل الله. فزين لهم الشيطان ٢٥ ـ ﴿ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء﴾ أي المخبوء ﴿في السموات والأرض﴾ فالله يخرج من العدم إلى الوجود ﴿ويعلم ما تخفون وما تعلنون﴾ فهو يعلم سركم وعلنكم. فالأحق بالسجود هو ٢٦ ـ ﴿الله لاإله إلا هو﴾ فالعبادة له وهو ﴿رب العرش العظيم﴾ فعنده تجتمع أزمة الأمور ومنه تصدر الأحكام الجارية في الملك.

إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾

٢٧ ـ ﴿قال﴾ سليمان ﴿سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين﴾ وسنقضي بأمرك فيما بعد ٢٨ ـ ﴿إذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم﴾ وتنح بحيث تراهم ﴿فانظر ماذا يرجعون﴾ أي ماذا يرجع بعضهم إلى بعض من القول.

٢٩ ـ ﴿قالت﴾ ملكة سبأ ﴿يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم﴾ من ملك عظيم ٣٠ ـ ﴿إنه من سليمان﴾ ذي القوة والسلطان ﴿وإنه﴾ أي الكتاب ﴿باسم الله الرحمن الرحيم﴾ وهو رب الأرباب ٣١ ـ ﴿ألا تعلوا علي﴾ ولا تستكبروا ﴿وأتوني مسلمين﴾ منقادين؛ وقد اشتمل الكتاب مع إيجازه على تمام المقصود من إثبات الصانع وصفاته، بالبسملة والنهي عن التكبر والأمر بالانقياد.

٣٢ ـ ﴿قالت يا أيها الملأ أفتوني﴾ وأشيروا علي ﴿في أمري﴾ الذي واجهته ﴿ما كنت قاطعة أمراً﴾ من الأمور وقاضية به حتى اليوم ﴿حتى تشهدون﴾ وتكونوا حاضرين للقضاء.

٣٣ ـ ﴿قالوا﴾ تطييباً لها ﴿نحن أولوا قوة﴾ وجند ﴿وأولوا بأس شديد﴾ ونجدة وشجاعة ﴿والأمر إليك﴾ لتفصلي ﴿فانظري ماذا تأمرين﴾ فنحن لانهاب عدواً وإن كان سليمان.

٣٤ ـ ﴿قالت﴾ لتتبصر في الأمر ﴿إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها﴾ بالتخريب والإحراق ﴿وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾ بالقتل والسبي والتحكم ﴿وكذلك يفعلون﴾ فهذه سنتهم، وهذه سنة الحرب، فليس من الحزم الإقدام على الحرب مع قوة العدو وشوكته.

٣٥ ـ ﴿وإني مرسلة إليهم بهدية﴾ ـ عدم ذكرها سليمان تجبر واعتزاز ملكي منها ـ ﴿فناظرة بم يرجع المرسلون﴾ حتى أعمل عند ذلك ما تقتضيه الحال. لأن الهدية تلين قلب من يهمه أمر الدنيا فإن لم تقبل فهو إذن أمر العقيدة الذي لايهتم بمال أو عرض دنيوي.

٣٦ ـ ﴿فلما جاء﴾ الرسول ﴿سليمان﴾ بالهدية ﴿قال﴾ سليمان توبيخاً وخطاباً للرسول والمرسل ﴿أتمدونن بمال﴾ حقير؛ وهذا عمل قبيح ﴿فما ءاتاني الله﴾ من الملك والنبوة والثروة ﴿خير مما ءاتاكم﴾ فلا قيمة للمال عندي ﴿بل أنتم بهديتكم تفرحون﴾ لأنها من القيم الوضعية الأرضية، واستعظامكم لها وإعجابكم بها أقبح.

٣٧ ـ ﴿ارجع﴾ الخطاب لرئيس المرسلين ﴿إليهم﴾ أي إلى ملكة سبأ وقومها ﴿فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها﴾ ولايستطيعون مواجهتها ﴿ولنخرجنهم منها﴾ أي من سبأ ﴿أذلة وهم صاغرون﴾ مهانون.

٣٨ ـ ﴿قال يا أيها الملؤا أيكم يأتيني بعرشها﴾ قبل حضورها وقومها عنده ﴿قبل أن يأتوني مسلمين﴾ حتى يسلموا للقدرة الموهوبة من الله. ٣٩ ـ ﴿قال عفريت﴾ أي مارد قوي ﴿من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي﴾ لايجهدني نقله ﴿أمين﴾ لاأخونك.

٤٠ ـ ﴿قال﴾ آصف بن برخيا وزير سليمان ووصيه ﴿الذي عنده علم من الكتاب﴾ من جنس الكتب السماوية، أو اللوح المحفوظ وقيل أنه كان يعلم اسم الله الأعظم الذي إن سئل به أجاب ﴿أنا ءاتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ في أقل من الفاصلة الزمانية بين النظر إلى الشيء والعلم به ﴿فلما رءاه﴾ سليمان ﴿مستقراً عنده قال هذا﴾ الإحضار للعرش في أقل من طرفة العين ﴿من فضل ربي﴾ من غير استحقاق مني ﴿ليبلوني﴾ أي يمتحنني ﴿أأشكر﴾ نعمته ﴿أم أكفر﴾ بها ﴿ومن شكر فإنما يشكر لنفسه﴾ ؛يعود النفع إليه لاإلى ربي ﴿ومن كفر﴾ فلم يشكر ﴿فإن ربي غني كريم﴾ عن شكر الشاكرين وهو معط كريم.

٤١ ـ ﴿قال﴾ سليمان ﴿نكروا لها عرشها﴾ بحيث لايعرف،لاختبار عقلها ولإظهار آية باهرة لها من آيات نبوته ﴿ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لايهتدون﴾ والعاقل من اهتدى.

٤٢ ـ ﴿فلما جاءت﴾ الملكة سليمان ﴿قيل أهكذا عرشك﴾ ولم يقل أهذا عرشك زيادة في التنكير ﴿قالت﴾ تحرزاً من الطيش ﴿كأنه هو﴾ فهو يشبهه ﴿وأوتينا العلم﴾ بما آتى الله سليمان من القدرة ﴿من قبلها﴾ أي من قبل آية إحضار العرش ﴿وكنا مسلمين﴾ لسليمان طائعين له.

٤٣ ـ ﴿وصدها﴾ عن الإسلام لله ﴿ما كانت تعبد من دون الله﴾ فقد كانت تعبد الشمس ﴿إنها كانت من قوم كافرين﴾ فاتبعتهم في كفرهم.

٤٤ ـ ﴿قيل لها ادخلي الصرح﴾ أي القصر أو هو الموضع المنكشف من غير سقف ﴿فلما رأته حسبته لجة﴾ من الماء، لما كان عليه الزجاج من الصفاء كالماء ﴿وكشفت عن ساقيها﴾ بجمع ثيابها لئلا تبتل أذيالها بالماء ﴿قال﴾ سليمان ﴿إنه صرح ممرد﴾ مملس ﴿من قوارير﴾ من زجاج، وهو ليس بلجة ﴿قالت﴾ موقنة بآيات نبوته وقد رفض الهدية ﴿رب إني ظلمت نفسي﴾ إذ لم أعبد الله من بدء أو من حين رؤية الآيات ﴿وأسلمت﴾ لم تقل لسليمان بل ﴿مع سليمان لله رب العالمين﴾ توحيداً دون شرك.

فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ۖ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾

٤٥ ـ ﴿و﴾ أقسم ﴿لقد أرسلنا إلى﴾ قوم ﴿ثمود أخاهم﴾ ونسبهم ﴿صالحاً أن اعبدوا الله﴾ واجتمعوا على الإيمان ﴿فإذا هم فريقان﴾ مؤمن وكافر ﴿يختصمون﴾ ويتنازعون.

٤٦ ـ ﴿قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة﴾ باستهانتكم بالعذاب أو بقولكم بعد عقر الناقة: ﴿ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾ ﴿قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون﴾ بالرحمة التي سببها الإيمان والاستغفار.

٤٧ ـ ﴿قالوا اطيرنا﴾ وتشاءمنا ﴿بك وبمن معك﴾ فقيامك بالدعوة قارن ما ابتلينا به من المحن ﴿قال﴾ صالح ﴿طائركم﴾ ونصيبكم من الشر ﴿عند الله﴾ وهو كتاب أعمالكم ﴿بل أنتم قوم تفتنون﴾ وتمتحنون، ليمتاز مؤمنكم من كافركم، ومطيعكم من عاصيكم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَٰسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾

٤٨ ـ ﴿وكان في المدينة تسعة رهط﴾ أي عصابة ﴿يفسدون في الأرض ولا يصلحون﴾ فهم يسلكون في الأمور سلوكاً مخالفاً لما خلقت له.

٤٩ ـ ﴿قالوا تقاسموا بالله﴾ أي تشاركوا في القسم ﴿لنبيتنه﴾ ولنقصدنه بالسوء ولنقتلنه ﴿وأهله﴾ بالليل ﴿ثم لنقولن لوليه﴾ إذا عقبنا ﴿ما شهدنا مهلك أهله﴾ وهذا ينفي مشاهدة مهلكه ﴿وإنا لصادقون﴾ في هذا القول لأن قسمنا متعلقٌ بمهلك أهله ولم نشهد مهلكهم.

٥٠ ـ ﴿ومكروا مكراً﴾ بالتواطؤ على تبييته وأهله ﴿ومكرنا مكراً وهم لايشعرون﴾ بما قدر لهم من الهلاك. والمكر لايسري إلا مع جهل الممكور به؛ فكيف بمكرهم قبالة مكر عالم الغيب والشهادة العزيز القهار.

٥١ ـ ﴿فانظر كيف كان عاقبة مكرهم﴾ وهم الرهط ﴿أنا دمرناهم وقومهم أجمعين﴾ وأهلكناهم.

٥٢ ـ ﴿فتلك بيوتهم خاوية﴾ خالية ﴿بما ظلموا إن في ذلك لآية﴾ ودلالة ﴿لقوم يعلمون﴾ فالله من ورائهم محيط.

٥٣ ـ ﴿وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ فالتقوى كالمجن للإيمان، فالمؤمن ينجيه الله بتقواه.

٥٤ ـ ﴿ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة﴾ والمنكر الشنيع في ناديكم ﴿وأنتم تبصرون﴾ يشاهد بعضكم بعضاً.

٥٥ ـ ﴿أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء﴾ الاستفهام للإنكار والاستبعاد ﴿بل أنتم قوم تجهلون﴾ فأنتم مستمرون على الجهل ولستم بمرتدعين.

٥٦ ـ ﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا﴾ استهزاء ﴿أخرجوا ءال لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون﴾ ويتنزهون عن هذا العمل، وهذه سنة الأقوام الفاسدة تتهكم بالتطهر والمتطهرين.

٥٧ ـ ﴿فأنجيناه وأهله﴾ أي أهل بيته ﴿إلا امرأته قدرناها من الغابرين﴾ أي جعلناها من الباقين في العذاب.

٥٨ ـ ﴿وأمطرنا عليهم مطراً﴾ حجارة من سجيل ﴿فساء مطر المنذرين﴾ وبئس العذاب ما أصابهم.

٥٩ ـ ﴿قل﴾ يا محمد ﴿الحمد لله﴾ ارجع كل التحميد إليه ﴿وسلام على عباده الذين اصطفى﴾ فلا مانع لما عندهم من الهداية الإلهية وآثارها الجميلة ﴿آلله خير﴾ وله كل الثناء ﴿أما يشركون﴾ من آلهة يعبدونها من دونه.

٦٠ ـ ﴿أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم﴾ لنفعكم ﴿من السماء ماء فأنبتنا به حدائق﴾ وبساتين ﴿ذات بهجة﴾ ونضارة ﴿ما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾ إذ لاتملكون ذلك ﴿أءله مع الله﴾ إنكار لهم وتوبيخ ﴿بل هم قوم يعدلون﴾ عن الحق إلى الباطل، وعن الله سبحانه إلى غيره.

٦١ ـ ﴿أمن جعل الأرض قراراً﴾ مستقرة ﴿وجعل خلالها﴾ وفي فرجها ﴿أنهاراً وجعل لها﴾ جبالاً ﴿رواسي﴾ ثابتة ﴿وجعل بين البحرين حاجزاً﴾ يمنع اختلاطهما ﴿أءله مع الله بل أكثرهم لايعلمون﴾ ولو علموا لم يشركوا.

٦٢ ـ ﴿أمن يجيب المضطر﴾ فهو تعالى يقضي حاجة الذي تحقق منه الدعاء والمسألة ﴿إذا دعاه﴾ عندما ينقطع الداعي عن عامة الأسباب الظاهرية، ويتعلق قلبه بالله وحده ﴿ويكشف السوء﴾ عندما تتحقق حقيقة الدعاء، ويكون الداعي متعلقاً بالله وحده، فيكشف ما يطلب الداعي كشفه إن شاء، في مورد حقيقة الطلب والإيمان، ولايكشف إن لم يشأ ﴿ويجعلكم خلفاء في الأرض﴾ لتتقدموا فيها وبما فيها فيكشف الضر لإتمام الخلافة ﴿أءله مع الله قليلاً ما تذكرون﴾ خطاب توبيخي للكفار، فلو تذكروا هذه الحقائق لما انقطعوا عن ربهم.

٦٣ ـ ﴿أمن يهديكم في ظلمات﴾ وليالي ﴿البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته﴾ تبشر بالمطر قبل نزوله ﴿أءله مع الله تعالى الله عما يشركون﴾ والله هو المدبر ولا مدبر غيره.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ۖ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

٦٤ ـ ﴿أمن يبدؤا الخلق﴾ أول مرة ﴿ثم يعيده﴾ بالبعث ﴿ومن يرزقكم من السماء والأرض﴾ ويدبر أمركم بين بدء وعود ﴿أإله مع الله﴾ وكل إله ما خلا الله باطل ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ ولابرهان لديكم، لأن الخلق وعوده والتدبير أمر واحد منتسب إليه تعالى قائم به.

٦٥ ـ ﴿قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ وهذا يبطل ألوهية الآلهة ﴿وما يشعرون﴾ لاهم ولا آلهتهم ولا كل من في السموات والأرض ﴿أيان يبعثون﴾ والبعث أوضح أفراد الغيب وأهمها علماً بالنسبة إلى أمر التدبير.

٦٦ ـ ﴿بل ادارك علمهم في الآخرة﴾ أي صرفوا ما عندهم من العلم في غيرها حتى نفد عملهم فلم يبق منه شيء يدركون به أمر الآخرة ﴿بل هم في شك منها﴾ بعد أن سمعوا خبرها ولكن قلوبهم ارتابت بها ولم تصدقها ﴿بل هم منها عمون﴾ فالله أعمى بصائر قلوبهم فهيهات أن يدركوا من أمرها شيئاً والترقي في التعبير لطيف.

٦٧ ـ ﴿وقال الذين كفروا﴾ نفياً للبعث ﴿أءذا كنا تراباً﴾ نحن ﴿وءاباؤنا أئنا لمخرجون﴾ بشراً تامين كما نحن اليوم؟ ٦٨ ـ ﴿لقد وعدنا﴾ وعد البعث ﴿هذا نحن وءاباؤنا من قبل﴾ أن يعدنا هذا النبي ﴿إن هذا إلا أساطير﴾ خرافات ﴿الأولين﴾ ولو صدق الوعد لوقع.

٦٩ ـ ﴿قل﴾ لهم إنذاراً وتخويفاً ﴿سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾ المكذبين للأنبياء المنكرين للبعث، فما لحق بهم كفاية للمعتبرين.

٧٠ ـ ﴿ولاتحزن عليهم﴾ أي لايحزنك إصرارهم على الكفر والجحود ﴿ولاتكن في ضيق مما يمكرون﴾ لإبطال دعوتك فليسوا بمعجزي الله وسيجزيهم أعمالهم.

٧١ ـ ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ بالمجازاة ﴿إن كنتم صادقين﴾ إصرار على الانكار وهزء بالوعد.

٧٢ ـ ﴿قل﴾ للسائلين عن وقت الوعد ﴿عسى أن يكون ردف لكم﴾ تبعكم ﴿بعض﴾ الوعد ﴿الذي تستعجلون﴾ وهو عذاب الدنيا الذي يقربكم من عذاب الآخرة.

٧٣ ـ ﴿وإن ربك لذو فضل على الناس﴾ فهو يؤخر عنهم العذاب مع استحقاقهم ﴿ولكن أكثرهم لايشكرون﴾ ويسألون تعجيل العذاب.

أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾
قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾
قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾

٧٤ ـ ﴿وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون﴾ فتأخير العذاب ليس عن جهل منه تعالى بحالهم وبما يستحقونه بالكفر والجحود ٧٥ ـ ﴿وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين﴾ محفوظ.

٧٦ ـ ﴿إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل﴾ من قصص الأنبياء ويبين الحق الذي يظهر ﴿أكثر الذي هم فيه يختلفون﴾ سواء في أمر المسيح، أو في المعارف والأحكام.

٧٧ ـ ﴿وإنه لهدى﴾ يهدي المؤمنين إلى الحق ﴿ورحمة للمؤمنين﴾ لتطمئن قلوبهم، ويثبت الإيمان في نفوسهم. ٧٨ ـ ﴿إن ربك يقضي بينهم بحكمه﴾ فلا تك في ضيق مما يمكرون ﴿وهو العزيز العليم﴾ لايغلب ولايخطئ.

٧٩ ـ ﴿فتوكل على الله﴾ فالأمر إليه وحده، فاتخذه وكيلاً وهو كافيك ﴿إنك على الحق المبين﴾ ولا خوف مع الحق.

٨٠ ـ ﴿إنك لاتسمع الموتى ولاتسمع الصم الدعاء﴾ فهم لا ينالون الهداية ﴿إذا ولوا مدبرين﴾ ولو لم يولوا لأمكن تفهيمهم بالإشارة ٨١ ـ ﴿وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم﴾فليس في وسعك ذلك ﴿إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا﴾ الدالة علينا ﴿فهم مسلمون﴾ مذعنون بتلك الحجج مصدقون لها.

٨٢ ـ ﴿وإذا وقع القول عليهم﴾ أظهرنا لهم الآيات في الآفاق وفي أنفسهم وقد ﴿أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم﴾ آية خارقة للعادة، قيل إنها دابة عظيمة تخرج وتكلمهم فتضطرهم للاعتراف بالحق وسبب ذلك ﴿أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾ مع أن آيات السماء والأرض تجاه أعينهم.

٨٣ ـ ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم نحشر﴾ ونخرج ﴿من كل أمة فوجاً﴾ بعد الموت ﴿ممن يكذب بآياتنا﴾ الدالة على المبدأ والمعاد أو الدالة على الأنبياء والأئمة والكتب، دون الساعة وما يقع فيها ﴿فهم يوزعون﴾ أي يحبسون لرد أولهم على آخرهم.

٨٤ ـ ﴿حتى إذا جاءوا﴾ في موطن الخطاب ﴿قال﴾ تعالى ﴿أكذبتم بآياتي﴾ الدالة على الحق ﴿ولم تحيطوا بها علماً﴾ إذ لاعلم لكم بها لإعراضكم عنها ﴿أماذا كنتم تعملون﴾ غير التكذيب ٨٥ ـ ﴿ووقع القول عليهم بما ظلموا﴾ فلم يهتدوا إلى ما يعتذرون به ﴿فهم لاينطقون﴾.

٨٦ ـ ﴿ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً﴾ لتظهر لهم آيات السماء والأرض، فلم يتبصروا ﴿إن في ذلك﴾ مما ذكر من الدلائل ﴿لآيات﴾ وعلامات دالة على التوحيد ﴿لقوم يؤمنون﴾ فيذعنون للحق إذا لاح لهم.

٨٧ ـ ﴿ويوم ينفخ في الصور﴾ إعلاماً ﴿ففزع﴾ وجزع من الخوف ﴿من في السموات ومن في الأرض﴾ فحكم الفزع شامل يصيب الجميع ﴿إلا من شاء الله﴾ فهم آمنون ﴿وكل أتوه داخرين﴾ صاغرين أذلاء.

٨٨ ـ ﴿وترى الجبال﴾ يا محمد ﴿تحسبها جامدة﴾ في ذلك اليوم ﴿وهي تمر مر السحاب﴾ تتحرك بجوهرها إلى غاية وجودها وهو حشرها ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾ فتهديم العالم وتخريب الدنيا إتقان للنظام الذي يوصل كل شيء إلى غايته ووجهته، فتخريب مقدمة لتعمير الآخرة ﴿إنه خبير بما تفعلون﴾ يوم ينفخ في الصور وتأتوه داخرين.

وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

٨٩ ـ ٩٠ ـ ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها﴾ فالعمل مقدمة للجزاء، والغاية أفضل من المقدمة ﴿وهم من فزع يومئذ﴾ بعد نفخة الصور الثانية ﴿آمنون﴾ تتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون ﴿ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار﴾ يلقائهم عليها ﴿هل تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ فجزاؤكم هو نفس عملكم وقد لزمكم.

٩١ ـ ٩٣ ـ ﴿إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة﴾ وهي مكة المشرفة ﴿الذي حرمها﴾ تعريض لمن كفر بنعمة حرمتها وأشرك بربه ﴿وله كل شيء﴾ فلا يقتصر ملكه عليها ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ الذين أسلموا له وهو يهديهم إلى الدين الحنيف الفطري ﴿وأن أتلو القرءان فمن اهتدى﴾ به ﴿فإنما يهتدي لنفسه﴾ فالنفع يعود إليه ﴿ومن ضل﴾ ولم يهتد ﴿فقل إنما أنا من المنذرين﴾ فعليه ضلال كفره ﴿وقل﴾ يا محمد ﴿الحمد لله﴾ ثناء جميلاً له فيما يجريه في ملكه، حيث دعا الناس إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم ﴿سيريكم ءاياته فتعرفونها﴾ إشارة إلى قوله أخرجنا لهم دابة من الأرض فتضطركم إلى الاعتراف بالحق ﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾ فلا يفوته شيء من الحكمة قبال أعمالكم من الدعوة والهداية والإضلال وإراءة الآيات ثم الثواب والعقاب.

مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

سورة القصص

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: الوعد الجميل للمؤمنين ـ قبل الهجرة ـ بالتنجية،كنجاة قوم موسى؛وبيان الحكمة من إنزال الكتاب.

سُورَةُ ٱلْقَصَصِ (مكية) ترتيبها ٢٨ آياتها ٨٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾

١ـ٢ ـ ﴿طسم﴾ قيل أنها طالب سميع مبدىء معيد ﴿تلك آيات الكتاب المبين﴾ وهو القرآن بدلالاته الواضحة.

٣ ـ ٤ ـ ﴿نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون﴾ تلاوة ﴿بالحق لقوم يؤمنون﴾ ليتحققوا أن الله الذي آمنوا به وبرسوله وتحملوا الأذى في سبيله، هو الله الذي بعث موسى لإحياء الحق، وإعزاز بني إسرائيل بعد ذل؛ وسيفعل بهم حذو ما صنع ببني إسرائيل. ﴿إن فرعون علا في الأرض﴾ تجبراً واستكباراً وبسط سلطته على الناس ﴿وجعل أهلها شيعاً﴾ فرقاً مختلفة، لاتجتمع كلمتهم على شيء، وبذلك تضعف عامة قوتهم عن المقاومة ﴿يستضعف طائفة منهم﴾ وهم أولاد يعقوب وقد قطنوا بمصر منذ أحضر يوسف (ع) أهله إليها ﴿يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم﴾ أي يستبقيهن للخدمة ﴿إنه كان من المفسدين﴾ فالناس سواسية، أما تحرير قوم وتعبيد آخرين فهو الإفساد الذي يقود الإنسانية إلى البيد والهلاك؛ وما هذا إلا إجراء سياسي يلجأ إليه الطغاة للمحافظة على سلطتهم، فيقضون على الفئات المناوئة لهم مضاهئين مقلدين بذلك سلوك الهمج.

٥ ـ ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض﴾ أي نثقلهم بالنعمة وقد أحاطت بهم قدرة فرعون الطاغية وهو يقضي عليهم بالإبادة. وهذا ظاهر الأمر، أما في باطنه فقد تعلقت الإرادة الإلهية بنجاتهم منه ﴿ونجعلهم أئمة﴾ ليكونوا قادة متبوعين بعدما كانوا تابعين ﴿ونجعلهم الوارثين﴾ بنيلهم من غيرهم.

٦ ـ ﴿ونمكن لهم في الأرض﴾ مكاناً يستقرون فيه ويملكونه ﴿ونري فرعون وهامان﴾ وزيره ﴿وجنودهما منهم﴾ أي من هؤلاء المستضعفين ﴿ما كانوا يحذرون﴾ وقد كانوا يحاذرون أن يظهروا عليهم ويذهبوا بملكهم ومالهم وسنتهم.

٧ ـ ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾ بالإلقاء في قلبها إلهاماً ﴿أن أرضعيه﴾ ما دمت لاتخافين عليه ﴿فإذا خفت عليه﴾ من آل فرعون أن يقتلوه ﴿فألقيه في اليم﴾ البحر وهو النيل ﴿ولاتخافي﴾ عليه القتل ﴿ولاتحزني﴾ لفقده ﴿إنا رادوه إليك﴾ بعد ذلك ﴿وجاعلوه من المرسلين﴾ إلى آل فرعون وفي الآية من الإيجاز والإعجاز مالايخفى ففيها أمران ونهيان وبشارتان.

٨ ـ ﴿فالتقطه ءال فرعون﴾ أي أخذوه من غير طلب ﴿ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ أي لتكون العاقبة حزنهم ﴿إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾ فيما يفعلون في بني إسرائيل حذراً من انهدام ملكهم. فقد قتلوا الكثير من الأبناء ولا شأن لهم بزوال ملكهم وتركوا موسى وربوه في حجورهم وكان هو الذي بيده انقراض دولتهم.

٩ ـ ﴿وقالت امرأة فرعون﴾ تشفع لموسى حينما جاؤوا به من اليم ﴿قرة عين لي ولك﴾ وقد ألقى الله محبة منه في قلبها ﴿لاتقتلوه﴾ الخطاب بالجمع لأن شركاء القتل كثيرون من مسبب ومباشر وآمر ومأمور ومأجور ﴿عسى أن ينفعنا﴾ إذ تبدو على وجهه آثار الجلال وسيماء الجذبة الإلهية ﴿أو نتخذه ولداً﴾ إذ لاولد لنا ﴿وهم لايشعرون﴾ عاقبة الحال وأن يد الله المدبرة تحبط ما يحيكون.

١٠ ـ ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً﴾ من الخوف والحزن والاضطراب والأوهام ﴿إن كادت﴾ أي قربت ﴿لتبدي به﴾ وهو ما سترت من أمرها ﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾ ثبتناه بالوحي ﴿لتكون من المؤمنين﴾ الواثقين بالله فتصبر ولاتجزع، فلا يبدو أمره.

١١ ـ ﴿وقالت لأخته﴾ مريم ﴿قصيه﴾ واتبعي أثره ﴿فبصرت به عن جنب﴾ أي عن بعد ﴿وهم لايشعرون﴾ أنها تراقبه.

١٢ ـ ﴿وحرمنا عليه المراضع﴾ تحريما تكوينياً بحيث لايقبل ثدي مرضع ﴿من قبل﴾ حضورها ﴿فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم﴾ لنفعكم ﴿وهم له ناصحون﴾ مهتمون بأمره.

١٣ ـ ﴿فرددناه إلى أمه﴾ بنظم هذه الأسباب ﴿كي تقر عينها﴾ وترضى نفسها ﴿ولاتحزن ولتعلم﴾ بالمشاهدة علم اليقين ﴿أن وعد الله حق﴾ فتطمئن نفسها وقد صدقها ما وعدها ﴿ولكن أكثرهم لايعلمون﴾ طلاقة قدرته.

وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

١٤ ـ ﴿ولما بلغ أشده﴾ واشتدت قواه، ويكون ذلك في الغالب في سن الثامنة عشرة ﴿واستوى﴾ واستقر في أمر حياته ﴿آتيناه حكماً﴾ وهو إيراد الأمور موارد الصواب ﴿وعلماً وكذلك نجزي المحسنين﴾ في العقيدة والعمل. ١٥ ـ ﴿ودخل المدينة﴾ وهي مصر ﴿على حين غفلة من أهلها﴾ وهو حين دخول الناس إلى بيوتهم وتعطل الأسواق وخلو الشوارع من المارة، كالظهيرة وأواسط الليل ﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان﴾ ويتضاربان ﴿هذا من شيعته﴾ فهو إسرائيلي ينتسب إلى دين إبراهيم وإسحق ويعقوب، وإن لم يبق من الدين إلا الاسم؛ وكان قومه يتظاهرون بعبادة فرعون ﴿وهذا من عدوه﴾ فهو من القبط ﴿فاستغاثه﴾ استنصره ﴿الذي من شيعته على الذي من عدوه﴾ القبطي ﴿فوكزه موسى﴾ أي ضربه بجمع كفه ودفعه ﴿فقضى عليه﴾ فمات، وكان قتل خطأ ﴿قال﴾ موسى ﴿هذا﴾ الاقتتال الذي أدى إلى موت القبطي ﴿من عمل الشيطان﴾ الذي أوقع العداوة وأغرى على الاقتتال ﴿إنه عدو مضل مبين﴾ فهو ضلال منسوب إلى الشيطان وإن لم يكن من المعصية التي فيها إثم ومؤاخذة لأنه خطأ محض وإن كان دفعاً لكافر ظالم لأن الواقعة لاتبقى خفية مكتومة بل سيثور القبط وكبراؤهم عليه وهذا ما يسعى إليه الشيطان. ١٦ ـ ﴿قال رب إني ظلمت نفسي﴾ بإيرادها مورد الخطر ﴿فاغفر لي﴾ بإلغاء تبعة عملي ﴿فغفر له﴾ وأنجاه من الغم ﴿إنه هو الغفور الرحيم﴾ وقد خلصه من شر فرعون. ١٧ ـ ﴿قال رب بما أنعمت علي﴾ بما حفظتني أقسم ﴿فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾ عهد على عدم إعانة المجرم على إجرامه مع شكر لله تعالى على ما أنعم، والمجرمون هم أمثال فرعون وجنوده وقومه؛ فلم يكن في إعانة الذي استنصره جرم ولا كان وكز القبطي جرماً. ١٨ ـ ﴿فأصبح في المدينة﴾ ولم يرجع إلى بلاط فرعون ﴿خائفاً﴾ من فرعون ﴿يترقب﴾ الشر ﴿فإذا الذي استنصره﴾ على القبطي ﴿بالأمس يستصرخه﴾ ويستغيث به ﴿قال له موسى إنك لغوي مبين﴾ لاتسلك سبيل الرشد والصواب، لأنه كان يخاصم قوماً ليس في مخاصمتهم إلا الشر كل الشر. ١٩ ـ ﴿فلما أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما﴾ وهو القبطي خلافا لما تقوله التوراة الحاضرة حيث تذكر أن المتقاتلين كانا إسرائيليين ﴿قال﴾ الإسرائيلي ﴿يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس﴾ فعلم القبطي أن موسى هو الذي قتل القبطي وهذا يثبت أن موسى ما كان يرى قتل القبطي ـ عدوهما ـ خطيئة. ﴿إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض﴾ وقد خاف منه لما سمعه يعاتبه بقوله إنك لغوي مبين ﴿وما تريد أن تكون من المصلحين﴾ فذهب القبطي إلى فرعون ووشى بموسى. ٢٠ ـ ﴿وجاء رجل من أقصا المدينة يسعى﴾ وقد كان قصر فرعون خارج المدينة ﴿قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك﴾ يتشاورون ﴿ليقتلوك فاخرج﴾ من المدينة ﴿إني لك من الناصحين﴾ فلا أخونك. ٢١ ـ ﴿فخرج منها خائفاً يترقب﴾ حذر أن يناله جند فرعون بسوء ﴿قال رب نجني من القوم الظالمين﴾ التجاء إلى الله وطلب عونه.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۖ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾

٢٢ ـ ﴿ولما توجه تلقاء﴾ أي باتجاه ﴿مدين﴾ وهي مدينة قوم شعيب وهي تجاه تبوك ﴿قال عسى ربي﴾ أرجوه ﴿أن يهديني سواء السبيل﴾ أي وسط الطريق، فلا أضل بالعدول عنه إلى أحد طرفي الإفراط والتفريط.

٢٣ ـ ﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس﴾ أي جماعة ﴿يسقون﴾ أغنامهم ﴿ووجد من دونهم﴾ مما يليه ﴿امرأتين تذودان﴾ أغنامهما وتمنعانها أن ترد المورد ﴿قال﴾ موسى ﴿ما خطبكما﴾ ما شأنكما حتى اضطررتما للخروج للسقي ﴿قالتا لانسقي حتى يصدر الرعاء﴾ يخرجوا أغنامهم ﴿وأبونا شيخ كبير﴾ لايقدر أن يتصدى بنفسه أمر السقي وهذا ما أحوجنا إلى الخروج من البيت ٢٤ ـ ﴿فسقى لهما﴾ وقد فهم أن تأخرهما عن السقي كان تعففاً وتحجباً ﴿ثم تولى إلى الظل﴾ ليستريح فيه والحر شديد ﴿فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير﴾ فأنا محتاج إلى القوة البدنية التي أعمل بها الأعمال الصالحة كالدفاع عن الإسرائيلي والهرب من فرعون ..إلخ، وهذه كناية عن إظهار الفقر إلى شيء من الطعام. وقيل الخير هو ماناله موسى عليه السلام بدعائه وقد نال قوة البدن والرزق والزوجة الصالحة والهداية والنبوة..إلخ.

٢٥ ـ ﴿فجاءته إحداهما تمشي على استحياء﴾ وتعفف ﴿قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾ أغنامنا ﴿فلما جاءه وقص عليه القصص﴾ طيب نفسه و ﴿قال لاتخف نجوت من القوم الظالمين﴾ فلا سلطان لهم على مدين. وقد استجاب الله لموسى أدعيته الثلاثة، فنجاه، وهداه مدين، ورزقه وكفل رزقه عشر سنين ووهب له زوجاً يسكن إليها.

٢٦ ـ ﴿وقالت إحداهما ياأبت استأجره﴾ واستخدمه لمطلق الحوائج ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ وقد ظهرت قوته في السقي، وأمانته في عفته في سلوكه معهما إذ كان يمشي أمامهما حتى لايقع نظره على محرم منهما؛ واستئجاره يغنيهما عن الخروج للعمل والسقي فالقوة والأمانة مطلوبتان ممن يتصدى لعمل يلزم أداؤه. ٢٧ ـ ﴿قال﴾ له شعيب عليه السلام ﴿إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين﴾ وهما حاضرتان ﴿على أن تأجرني﴾ نفسك ﴿ثماني حجج﴾ أي ثماني سنين ﴿فإن أتممت عشراً فمن عندك﴾ وباختيار منك ﴿وما أريد أن أشق عليك﴾ فالعمل غير شاق ﴿ستجدني إن شاء الله من الصالحين﴾ أي من المخدومين الصالحين.

٢٨ ـ ﴿قال﴾ موسى ﴿ذلك﴾ الشرط ﴿بيني وبينك﴾ ليس لنا أن نخالفه ﴿أيما الأجلين قضيت﴾ واخترت ﴿فلا عدوان علي﴾ فليس لك أن تلزمني بالزيادة ﴿والله على ما نقول وكيل﴾ توكيل لله تعالى وإشهاده، وإرجاع الحكم والقضاء بينهما إليه لو اختلفا.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

٢٩ ـ ﴿فلما قضى موسى الأجل﴾ بإتمام مدة الخدمة وروي أنه قضى أطول الأجلين ﴿وسار بأهله﴾ ليلاً ﴿ءانس من جانب الطور ناراً﴾ وقد ضل الطريق ﴿قال لأهله امكثوا إني ءانست ناراً لعلي ءاتيكم منها بخبر﴾ فأجد من يدلني ﴿أو جذوة﴾ أي قطعة ﴿من النار لعلكم تصطلون﴾ أي تستدفئون بحرها.

٣٠ ـ ﴿فلما أتاها﴾ أي النار ﴿نودي من شاطىء الواد الأيمن في البقعة المباركة﴾ وهي قطعة خاصة كانت فيها الشجرة التي نودي منها، ومباركتها لتشرفها بالتقريب والتكليم الإلهي ﴿من الشجرة﴾ التي كانت مبدأ للنداء والتكليم، على أن الكلام وهو كلام الله سبحانه لم يكن قائماً بها كقيام الكلام بالمتكلم، إذ لم تكن إلا حجاباً احتجب كلام الله سبحانه به ﴿أن يا موسى إني أنا الله﴾ الذي يشافهك ﴿رب العالمين﴾ المالك المدبر الذي يستحق العبادة، وكافة العوالم مربوبة لي.

فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَانِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾

٣١ ـ ﴿وأن ألق عصاك﴾ فألقاها ﴿فلما رءاها تهتز كأنها جان﴾ وقد أصبحت ثعباناً مبيناً ﴿ولى مدبراً﴾ راجعاً ﴿ولم يعقب﴾ ولم يعد ﴿يا موسى أقبل ولاتخف﴾ فلن يصيبك أي سوء ﴿إنك من الآمنين﴾ فأنت مرسل والمرسلون آمنون لدي.

٣٢ ـ ﴿اسلك يدك في جيبك﴾ أي جناحك ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾ ولابرص خلافاً لما تذكره التوراة بأن يده برصاء ﴿واضمم إليك جناحك﴾ والجناح هو اليد أو العضد على ما قيل ﴿من الرهب﴾ أي بأن يأخذ ﷺ لنفسه سيماء الخاشع المتواضع دون تكبر وخيلاء ﴿فذانك برهانان﴾ أي دليلان ﴿من ربك إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ خارجين عن زي العبودية.

٣٣ ـ ﴿قال رب إني قتلت منهم نفساً﴾ إشارة إلى قتل القبطي ﴿فأخاف أن يقتلون﴾ قصاصاً.

٣٤ ـ ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً﴾ وكون أخيه أفصح منه لاينافي فصاحته وهذا ينفي أن يكون في لسانه لكنة كما قيل بسبب إصابة فيه ﴿فأرسله معي رداءاً﴾ أي معيناً ﴿يصدقني﴾ إذا خاصموني ﴿إني أخاف أن يكذبون﴾ فلا أستطيع بيان صدق دعواي.

٣٥ ـ ﴿قال سنشد عضدك بأخيك﴾ أي نقويك به ﴿ونجعل لكما سلطاناً﴾ أي قهراً وغلبة ﴿فلا يصلون إليكما﴾ لايتسلطون عليكما بسبب تزويدكما ﴿بآياتنا﴾ التي نظهركما بها ﴿أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾ فلن يدركوكما بما جعل لكما من السلطان.

٣٦ ـ ﴿فلما جاءهم موسى بآياتنا﴾ الدالة علينا ﴿قالوا ما هذا إلا سحر مفترى﴾ ومختلق وقد نسب إلى الله كذباً ﴿وما سمعنا بهذا﴾ الدين ﴿في آبائنا الأولين﴾ ولم ينقل أنهم اتخذوا هذا الدين في وقت من الأوقات.

٣٧ ـ ﴿وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده﴾ فهو الذي أرسلني بدين التوحيد ﴿ومن تكون له عاقبة الدار﴾ فالأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والجنة للمتقين ﴿إنه لايفلح الظالمون﴾ تعريض لفرعون وقومه، وقد بنوا سنة الحياة على الظلم وفيه انحراف عن العدالة الاجتماعية التي تهدي إليها فطرة الإنسان الموافقة للنظام الكوني.

٣٨ ـ ﴿قال فرعون﴾ تعريضاً بموسى ودعوته وآياته ﴿ياأيها الملأ﴾ والملأ هم جماعة الناس الذين يملأون العين مهابة ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ فلا صحة لدعوة موسى إلى إله واحد هو رب العالمين ﴿فأوقد لي يا هامان على الطين﴾ وأجج النار عليه ليصبح آجراً ﴿فاجعل لي صرحاً﴾ أي بناءً عالياً مكشوفاً ﴿لعلي أطلع إلى إله موسى﴾ الذي يدعو إليه؛ بالنظر إلى طبقات الجو، أو بترصد الكواكب ﴿وإني لأظنه من الكاذبين﴾ ترقٍ منه من الجهل بعدم العلم إلى الظن بعدم الوجود لخداع الجماهير.

٣٩ ـ ﴿واستكبر هو وجنوده في الأرض﴾ ورفضوا الحق الذي جاء به موسى ﴿وظنوا أنهم إلينا لايرجعون﴾ واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً.

٤٠ ـ ﴿فأخذناه وجنوده﴾ بالعذاب ﴿فنبذناهم في اليم﴾ أي طرحناهم في البحر ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ ولم يكن لهم إلا الذل والهوان.

٤١ ـ ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾ فهم سابقون إلى الضلال بما يدعون إليه من الكفر والمعاصي ﴿ويوم القيامة لاينصرون﴾ فلا تنالهم شفاعة من ناصر.

٤٢ ـ ﴿وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة﴾ فهم لكونهم أئمة يقتدي بهم من خلفهم في الكفر، لايزال يتبعهم وبال ضلال من يقتدي بهم، وليحملن أثقالاً مع أثقالهم ﴿ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾ فتنفر منهم النفوس وتشمئز.

٤٣ ـ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ وهو التوراة ﴿من بعد ما أهلكنا القرون الأولى﴾ كقوم نوح ومن بعدهم من الأمم الهالكة، ولعل منهم قوم فرعون ﴿بصائر للناس﴾ وحججاً بينة يبصر بها الحق ﴿وهدى﴾ يهتدى به ﴿ورحمة﴾ تنالهم عند العمل بشرائعه وأحكامه ﴿لعلهم يتذكرون﴾ فيفقهون ما يجب عليهم من الاعتقاد والعمل، ويتبصرون كيف تتدخل يد القدرة لتحكم بهلاك الطغاة وتدميرهم واستخلاف المستضعفين.

فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى ۖ فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

٤٤ ـ ﴿وما كنت﴾ يا محمد ﴿بجانب﴾ الوادي ﴿الغربي إذ قضينا﴾ الرسالة، وعهدنا ﴿إلى موسى الأمر﴾ بالنبوة ﴿وما كنت من الشاهدين﴾ لما جرى فيه.

٤٥ ـ ﴿ولكنا أنشأنا قروناً﴾ وأجيالاً بعده ﴿فتطاول عليهم العمر﴾ وتمادى بهم الأمر ﴿وما كنت ثاوياً﴾ مقيماً ﴿في أهل مدين﴾ وهم شعيب وقومه ﴿تتلو عليهم﴾ أي على المشركين من قومك ﴿آياتنا﴾ القاصة خبره ﴿ولكنا كنا مرسلين﴾ لك إلى قومك، موحين بهذه الآيات إليك لتتلوها عليهم.

٤٦ ـ ﴿وما كنت﴾ حاضراً ﴿بجانب الطور إذ ناديا﴾ موسى وكلمناه، حتى نخبر عن هذه القصة كمن رآها ﴿ولكن رحمة من ربك﴾ أخبرناك بها ﴿لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون﴾ فيقودهم التذكر إلى الإيمان فيقبلون دعوتك.

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

٤٧ ـ ﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم﴾ أي بما اكتسبوه من السيئات من طريق الاعتقاد والعمل ﴿فيقولوا﴾ احتجاجاً على ما أصابهم ﴿ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك﴾ التي يتلوها علينا ﴿ونكون من المؤمنين﴾ بك.

٤٨ ـ ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا﴾ بإرسال النبي محمد ﷺ والقرآن النازل عليه ﴿قالوا﴾ كفراً وجحوداً ﴿لولا أوتي﴾ محمد ﷺ ﴿مثل ما أوتي موسى﴾ أي هلا نزل عليه القرآن جملة واحدة ﴿أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل﴾ ولو صدقوا بقولهم لآمنوا به ولكن ﴿قالوا﴾ إن التوراة والإنجيل ﴿سحران تظاهرا﴾ فلا سبيل إلى تصديقهما ﴿وقالوا إنا بكل كافرون﴾ كفر بأصل النبوة.

٤٩ ـ ﴿قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه﴾ إن كان أكثر هداية ﴿إن كنتم صادقين﴾ في دعوى أنهما سحران تظاهرا.

٥٠ ـ ﴿فإن لم يستجيبوا لك﴾ ولم يأتوا بكتاب هو أهدى، وتعين أن لا هدى أتم وأكمل من هداهما؛ وهم مع ذلك يرمونهما بالسحر ﴿فاعلم أنما يتبعون أهواءهم﴾ وأنهم ليسوا بصدد طلب الحق واتباع حجة العقل؛ أو أنهم يبنون سنة الحياة على اتباع الهوى. ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾ استفهام إنكاري يراد به استنتاج ضلالهم ﴿إن الله لايهدي القوم الظالمين﴾ فاتباع الهوى إعراض عن الحق وهو ظلم والظالم غير مهتد، وغير المهتدي هو الضال.

٥١ ـ ﴿ولقد وصلنا لهم القول﴾ آية بعد آية وسورة إثر سورة ﴿لعلهم يتذكرون﴾ ما فيه من مواعظ ومعارف.

٥٢ ـ ٥٣ ـ ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله﴾ أي من قبل القرآن ﴿هم به يؤمنون﴾ مدح لمن آمن من أهل الكتاب ﴿وإذا يتلى عليهم﴾ القرآن ﴿قالوا ءامنا به إنه الحق من ربنا﴾ الذي عرفناه من قبل ﴿إنا كنا من قبله مسلمين﴾ للدين الذي يدعو إليه ويسميه إسلاماً.

٥٤ ـ ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين﴾ أجر إيمانهم بكتابهم وأجر إيمانهم بالقرآن ﴿بما صبروا﴾ على إيمان بعد إيمان بما فيهما من مخالفة الهوى ﴿ويدرءون﴾ أي يدفعون ﴿بالحسنة﴾ والحلم ﴿السيئة﴾ من أذى الناس.

٥٥ ـ ﴿وإذا سمعوا اللغو﴾ من الكلام ﴿أعرضوا عنه﴾ ولم يقابلوه بمثله ﴿وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ فنحن تاركون لعملكم ﴿سلام عليكم﴾ أي أمان منا لكم ﴿لانبتغي الجاهلين﴾ أي لانطلبهم بمعاشرة ومجالسة، وهو حكاية عن لسان حالهم.

٥٦ ـ ﴿إنك لاتهدي من أحببت﴾ والهداية هي الإيصال إلى المطلوب، ومرجعه إلى إفاضة الإيمان على القلب ﴿ولكن الله يهدي من يشاء﴾ فهذا النوع من الهداية من شأنه تعالى لايشاركه فيه أحد ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ فالمشركون محرومون نعمة الهداية وهم قومك الذين تحب اهتداءهم، مع أن من أهل الكتاب من هم مهتدون وهم من غير قومك.

٥٧ ـ ﴿وقالوا إن نتبع الهدى معك﴾ وهذا إقرار بحقية أصل الدعوة ﴿نتخطف من أرضنا﴾ فالمانع من الإيمان هو ما يصيب أرض مكة من القتل والسبي ونهب الأموال من العرب المشركين الذين لايرضون الإيمان. ﴿أولم نمكن لهم حرماً آمناً﴾ ذا أمن تشريعي؟ فلا موجب لهذا الخوف، وقد جعل بلدهم ذا أمن تحترمه العرب ﴿يجبى إليه ثمرات كل شيء﴾ دون أن تنقطع عنهم الميرة إن آمنوا ﴿رزقاً من لدنا﴾ فمجري الرزق المدبر هو الله ﴿ولكن أكثرهم لايعلمون﴾ أنا حفظناهم ورزقناهم، فيحسبون أن الذي حفظهم من تخطف العرب هو شركهم.

٥٨ ـ ﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها﴾ وطغت عند النعمة ﴿فتلك مساكنهم﴾ خاوية على عروشها ﴿لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً﴾ من الزمن ﴿وكنا نحن الوارثين﴾ فلم يخلفهم غيرنا، فنحن المالكون وقد ملكناهم ثم نزعنا ما ملكوا.

٥٩ ـ ﴿وما كان ربك مهلك القرى﴾ بعذاب الاستئصال ﴿حتى يبعث في أمها﴾ مكة وهي أم القرى ﴿رسولاً يتلو عليهم آياتنا﴾ لإقامة الحجة عليهم. ﴿وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾ فتكذيب النبي تقوية لنفسه ﷺ وتأكيد لحجته، لأنهم لو أصروا على الكفر كانوا في معرض نزول العذاب.

﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾

٦٠ ـ ﴿وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها﴾ وهي أقرب الحياتين منكم وهي بائدة فانية ﴿وما عند الله﴾ من ثواب في الدار الآخرة ﴿خير وأبقى﴾ لمن اتبع الهدى ﴿أفلا تعقلون﴾ وتؤثرون الآخرة على متاع الدنيا وزينتها ولو تخطفكم العرب من أرضكم.

٦١ ـ ٦٢ ـ ﴿أفمن وعدناه وعداً حسناً﴾ مغفرة وجنة ﴿فهو لاقيه﴾ ألا إن وعد الله حق ﴿كمن متعناه متاع الحياة الدنيا﴾ وهو محروم الوعد الحسن ﴿ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ للعذاب ولن تنفعه آلهته ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي﴾ المعبودين في الدنيا ﴿الذين كنتم تزعمون﴾ أن لهم العبادة والتدبير.

٦٣ ـ ﴿قال الذين حق عليهم القول﴾ من أئمة الضلال ﴿ربنا هؤلاء﴾ المشركون هم ﴿الذين أغوينا﴾ وكنا سبباً في ضلالهم. ﴿أغويناهم﴾ باختيار منهم دون إلجاء ﴿كما غوينا﴾ باختيار منا دون إلجاء ﴿تبرأنا إليك﴾ فلم يكن لنا أن نسلبهم الاختيار ﴿ما كانوا إيانا يعبدون﴾ بالجاء منا، وتبرينا من عملهم لعدم نَسْبِه إلينا.

٦٤ ـ ﴿وقيل ادعوا شركاءكم﴾ الآلهة اللواتي كانت شركاء لله بزعمكم ﴿فدعوهم﴾ لينصروهم ﴿فلم يستجيبوا لهم﴾ ولم يدفعوا عنهم العذاب ﴿ورأوا العذاب﴾ واعتقدوا أنه حق ﴿لو أنهم كانوا يهتدون﴾ أو بمعنى ليت.

٦٥ ـ ٦٧ ـ ﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾ الذين دعوكم إلى الإيمان بالله ﴿فعميت عليهم الأنباء يومئذ﴾ فلا يهتدون إلى خبر، وقد تقطعت بهم الأسباب ﴿فهم لا يتساءلون﴾ ليجدوا عذراً يعتذرون به عن تكذيب الرسل ورد الدعوة؛ ﴿فأما من تاب﴾ ورجع ﴿وءامن وعمل صالحا﴾ قرن العمل الصالح مع الإيمان ﴿فعسى أن يكون من المفلحين﴾ الفائزين.

٦٨ ـ ﴿وربك يخلق ما يشاء﴾ فلا مؤثر في الوجود غيره ﴿ويختار﴾ في مرحلة التكوين من الخلق والتدبير ما يشاء، فله الاختيار التشريعي الاعتباري. ثم إن الإنسان يرى بالطبع لنفسه اختياراً تشريعياً اعتبارياً فيما يشاؤه من فعل أو ترك بحذاء اختياره التكويني فله أن يفعل ما يشاء ويترك ما يشاء، من غير أن يكون لأحد من بني نوعه أن يحمله على شيء أو يمنعه عن شيء لكونهم أمثالاً له لايزيدون عليه بشيء في معنى الإنسانية، ولايملكون من الله شيئاً، وهذا هو المراد بكون الإنسان حراً بالطبع. فالإنسان مختار حر إلا أن يملك غيره من نفسه شيئاً، فيسلب بنفسه عن نفسه الحرية، ويملّك غيره ما سلب نفسه بنفسه باختياره. والله سبحانه يملك الإنسان في نفسه وفي فعله ملكاً مطلقاً تكوينياً وملكاً اعتبارياً، فلا خيرة له ولاحرية بالنسبة إلى ما يريده منه تشريعاً، ولاخيرة له بالنسبة إلى ما يشاؤه بمشيئته التكوينية ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ إذا اختار الله لهم شيئاً من فعل أو ترك ﴿سبحان الله وتعالى﴾ تنزهاً وعلواً ﴿عما يشركون﴾ فمن الشرك الادعاء أن لهم خيرة بالنسبة إلى ما يختاره تعالى لأنه تعالى يتصف بكل كمال وينتزه عن كل نقص.

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

٦٩ ـ ﴿وربك يعلم ما تكنّ صدورهم وما يعلنون﴾ فهو يعلم سرهم وعلنهم، وقد اختار لهم ما اختار لعلمه بما في ظاهرهم وباطنهم من أوساخ الشرك والمعصية فطهرهم بذلك بحكمته. ٧٠ ـ ﴿وهو الله لاإله إلا هو﴾ فله أن يختار لهم أن يعبدوه وحده ﴿له الحمد في الأولى والآخرة﴾ لأن كل كمال في الدنيا والآخرة نعمة نازلة منه تعالى يستحق بها جميل الثناء، وكل نعمة مترشحة من كمال ذاتي من صفاته الذاتية يستحق بها الثناء، فله كل الثناء، ولايستقل شيء غيره بشيء من الثناء يثنى به عليه إلا وينتهي إليه، والعبادة ثناء بقول أو فعل فهو المعبود المستحق للعبادة ﴿وله الحكم﴾ لأنه المالك، لايملك غيره إلا ما ملكه إياه، وهو المالك لما ملكه، وهو سبحانه مالك في مرحلة التشريع والاعتبار، ومالك في مرحلة التكوين والحقيقة، ومن آثار ملكه أن يقضي على عبيده ومملوكيه أن لايعبدوا إلا إياه ﴿وإليه تُرجعون﴾ فهو المحاسب المُجازي وحده، وهو الذي يجب أن تعبدوه وحده، وبدينه يجب أن يُتعبد. ٧١ ـ ﴿قل أرءيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً﴾ دائماً ﴿إلى يوم القيامة﴾ لانهار بعده بأن يجعل الحياة ليلاً واحدا دائماً ﴿من إله غيرالله﴾ ينقض حكمه ﴿يأتيكم بضياء﴾ تستضيئون به وتَسعون بسببه في طلب المعاش ﴿أفلا تسمعون﴾ سمع فهم وتفكر، فتفهموا أن لاإله إلا الله ولارب غيره تعالى. ٧٢ ـ ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً﴾ دائماً ﴿إلى يوم القيامة﴾ دون ليل ﴿من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه﴾ وتستريحون مما أصابكم ﴿أفلا تبصرون﴾ إبصار تفهم وتذكر، وإذ لم يبصروا فهم صمّ عمي. ٧٣ ـ ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه﴾ أي لتستريحوا في الليل ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ أي لتطلبوا الرزق في النهار ﴿ولعلكم تشكرون﴾ فالتكوين كالسكون والتشريع كالابتغاء وهوهداية إلى الشكر رحمة من الله. ٧٤ ـ ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ وأين ما تدعون من دون الله؟ وما لكم من دونه من ناصر أو شفيع. ٧٥ ـ ﴿ونزعنا من كل أمة شهيداً﴾ من شهداء الأعمال ﴿فقلنا هاتوا برهانكم﴾ وحجتكم على ما زعمتم أن لله شركاء ﴿فعلموا أن الحق لله﴾ فالألوهية حق لله وحده ﴿وضلّ عنهم﴾ وغاب عنهم ﴿ما كانوا يفترون﴾ وقد ظهر أمر الألوهية ظهوراً لاستر عليه. ٧٦ ـ ﴿إن قارون كان من قوم موسى﴾ من بني إسرائيل ﴿فبغى عليهم﴾ وطلب العتوّ بغير حق ﴿وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه﴾ أي مفاتيح الخزائن ﴿لتنوء بالعصبة أولي القوة﴾ أي تثقل الجماعة ذوي القوة ﴿إذ قال له قومه لاتفرح﴾ فالسرور المفرط بمتاع الدنيا يُنسي الآخرة ويورث البطر ﴿إن الله لايحب الفرحين﴾ المتعلقين بالدنيا. ٧٧ ـ ﴿وابتغ فيما ءاتاك الله﴾ من مال الدنيا أن تعمر ﴿الدار الآخرة﴾ بإنفاقه في سبيل الله ﴿ولاتنسَ نصيبك من الدنيا﴾ أي لاتترك ما قسم الله لك من الدنيا ترك المنسي، واعمل فيه لآخرتك ﴿وأحسن﴾ بالإنفاق لغيرك ﴿كما أحسن الله إليك﴾ دون استحقاق منك ﴿ولاتبغ الفساد في الأرض﴾ بالاستعانة بما آتاك الله من مال وجاه في غير ما أمر الله ﴿إن الله لايحب المفسدين﴾ فالخلقة بنيت على الصلاح والإصلاح.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

٧٨ ـ ﴿قال﴾ قارون جواباً على قولهم ﴿إنما أوتيته﴾ دون إسناد إلى الله ﴿على علم عندي﴾ بطرق الاقتناء والتدبير، فهو استحقاق بسبب النبوغ الفكري في اكتساب العزة، ولي أن أفعل بما أملك ما أشاء ﴿أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً﴾ فلو كان العلم هو السبب الجامع للمال أو الحافظ له لكان سبباً في نجاة من هلك ﴿ولايُسئل عن ذنوبهم المجرمون﴾ فلا إمهال لهم ولاإصغاء إلى ما لفقوه من المعاذير أو التذلل..

٧٩ ـ ٨٠ ـ ﴿فخرج على قومه في زينته﴾ تبختراً وكبراً ﴿قال الذين يريدون الحياة الدنيا﴾ ويجعلونها الغاية المطلوبة في مساعيهم ليس لهم وراءها غاية ﴿يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون﴾ من المال ﴿إنه لذو حظ عظيم﴾ ونصيب من السعادة كبير ﴿وقال الذين أوتوا العلم﴾ وهم المؤمنون بالله ﴿ويلكم﴾ لكم الهلاك أيها الجهلة ﴿ثواب الله خير لمن ءامن وعمل صالحاً﴾ من ما أوتي قارون ومن التمني به ﴿وما يلقاها إلا الصابرون﴾ المتلبسون بالصبر عند الشدائد، وعلى الطاعات وعن المعاصي.

٨١ ـ ﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾ فانهارت بهم الأرض وظهر بطلان ما كان يدعيه لنفسه من الاستحقاق والاستغناء عن الله ﴿فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله﴾ ويمنعون عنه عذابه ﴿وما كان من المنتصرين﴾ ولم يكن قادراً على أن يدفع عن نفسه ما أصابه بقوته وجمعه.

٨٢ ـ ﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون﴾ تندّماً ﴿ويكأنّ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ فلا صحة لما كان يزعمه قارون وهم يصدّقونه أن القوة والجمع في الدنيا بنبوغ الإنسان في علمه وتدبيره لابفضل الله سبحانه ﴿لولا أن منّ الله علينا لخسف بنا﴾ فهو القادر على كل شيء المدبر لكل أمر ﴿ويكأنه لايفلح الكافرون﴾ تندّم ثان منهم وإظهار لملازمة الكفر لمن تمنى مكان قارون.

٨٣ ـ ﴿تلك الدار الآخرة﴾ العالية المكانة ﴿نجعلها﴾ خاصة ﴿للذين لايريدون علواً في الأرض﴾ ولايبغون الاستعلاء والاستكبار على عباد الله ﴿ولافساداً﴾ ولامعصية. فالتكاليف مبنية على الفطرة، ولاتقتضي الفطرة إلا ما يوافق النظام الأحسن، فكل معصية فساد. قال تعالى: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس﴾. ﴿والعاقبة﴾ المحمودة ﴿للمتقين﴾ فلهم الجنة.

٨٤ ـ ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها﴾ فله عشر أمثالها وذلك من كمال الفضل ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ وأحاطت به خطيئته ﴿فلا يجزى الذين عملوا السيئات﴾ ولايُزادون على ما عملوا ﴿إلا ما كانوا يعملون﴾ وذلك من العدل.

٨٥ ـ ﴿إن الذي فرض عليك القرءان﴾ لتقرأه على الناس وتبلغه للعمل به ﴿لرادّك إلى معاد﴾ وسيصيّرك إلى عَود عظيم القدر. ومن المعلوم أنه ﷺ عاد إلى مكة فاتحاً مظفّراً وورث المؤمنون الأرض بعدما كانوا أذلاّء معذبين ﴿قل﴾ يا محمد لفراعنة قومك ويصدق على من بعدهم ﴿ربي أعلم من جاء بالهدى﴾ رداً على ما كذّبوك ورموك بالسحر ﴿ومن هو في ضلال مبين﴾ فالمشركون هم الضالون.

٨٦ ـ ﴿وما كنت ترجو أن يُلقى إليك الكتاب﴾ فإلقاؤه ليس على نهج الحوادث العادية، وما كنت ترجو ﴿إلا رحمة من ربك﴾ فإلقاء الكتاب رحمة وليس بإلقاء عادي يُرجى مثله لأنها رحمة فوق رجائك ﴿فلا تكونن ظهيراً للكافرين﴾ وتبرّأ منهم ولاتكن معيناً ناصراً لهم.

٨٧ ـ ٨٨ ـ ﴿ولا يصدنّك﴾ لايصرفنّك الكافرون ﴿عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك﴾ بما رموا به كتاب الله بأنه سحر أو شعر أو كهانة أو أساطير الأوّلين ﴿وادع إلى ربك﴾ فهو مدبّر أمرك ﴿ولا تكوننّ من المشركين﴾ فعبادتك لايشاركك فيها المشركون ﴿ولا تدعُ مع الله إلهاً ءاخر﴾ كما يفعل المشركون ﴿لاإله إلا هو﴾ إخلاصاً له في العبودية ﴿كل شيء هالك﴾ في نفسه باطل في ذاته، لاحقيقة له ﴿إلا وجهه﴾ إلا ما كان وجهاً له تعالى، منتسباً إليه عز اسمه، سواء كان ملكاً أو قوة أو مالاً، فليس في الوجود إله غيره، ألا كل شيء ما خلا الله باطل. ﴿وله الحكم﴾ والقضاء النافذ، ولا معقّب لحكمه ﴿وإليه تُرجعون﴾ فعليه يدور التدبير في نظام الكون.

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۘ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

سورة العنكبوت

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: إظهار أن ما يريده الله تعالى من الإيمان ليس مجرد قول الإيمان، بل حقيقة الإيمان التي لاتحركها عواصف الفتن.

١ ـ ﴿الم﴾ تتشابه معاني السور إذا صدّرت بالأحرف المقطعة نفسها وذكر أن ﴿الم﴾ ربما ترمز إلى: أنا الله الملك.

٢ ـ ٤ ـ ﴿أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا ءامنّا﴾ دون أن يُتعرض لهم ﴿وهم لايفتنون﴾ ولايمتحنون بما يظهر به صدق دعواهم الإيمان ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم﴾ فالفتنة والامتحان سنة إلهية جارية ﴿فليعلمنّ الله الذين صدقوا﴾ من آثار صدق إيمانهم ﴿وليعلمن الكاذبين﴾ من آثار كذبهم، فالثواب يترتب على حقيقة الإيمان الذي له آثار ظاهرة من الصبر عند المكاره، والصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية، لاعلى دعوى الإيمان المجردة. ﴿أم حسب الذين يعملون السيئات﴾ وهم المشركون الذين يفتنون المؤمنين ﴿أن يسبقونا﴾ معجزين لنا بما يفتنون.

٥ ـ ﴿من كان يرجو لقاء الله﴾ بقوله آمنت فهو يتوقع الرجوع إلى الله سبحانه يوم القيامة ﴿فإن أجل الله﴾ وهو الغاية التي عيّنها الله للقائه ﴿لآتٍ﴾ لاريب فيه ﴿وهو السميع﴾ لأقوالهم ﴿العليم﴾ بأحوالهم. فلا ينبغي أن يقول القائل: آمنت بالله، إلا عن قلب ومع الصبر على كل فتنة ومحنة، مجاهداً في ربه.

٦ ـ ﴿ومن جاهد﴾ وبذل طاقته ﴿فإنما يجاهد لنفسه﴾ فالنفع يعود لنفسه لأن في الجهاد كمال الخير في الدنيا والآخرة ﴿إن الله لغني عن العالمين﴾ فعليهم أن يلزموا الإيمان ويصبروا على المكاره.

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَـَٔاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾

٧ ـ ﴿والذين ءامنوا وعملوا الصالحات﴾ وهذا من الجهاد ﴿لنكفرن عنهم سيئاتهم﴾ بالعفو عنها ﴿ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون﴾ برفع درجتهم إلى ما يناسب أحسن أعمالهم، أو بعدم المناقشة في أعمالهم عند الحساب إذا كانت فيها جهات رداءة.

٨ ـ ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حُسناً﴾ أي عهدنا إليه توصية حسنة ﴿وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم﴾ فالشرك جهل، وعبادة بدون علم لاتكون إلا افتراء ﴿فلا تطعهما﴾ إذ لاطاعة ولااتباع إلا للعلم ﴿إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ أي فأعلمكم ما معنى أعمالكم ومنها عبادتكم الأصنام وشرككم بالله سبحانه.

٩ ـ ﴿والذين ءامنوا وعملوا الصالحات﴾ وعصوا والديهم المشركين المجاهدين لهم على الشرك ﴿لندخلنهم في الصالحين﴾ ولنرزقنهم خيراً منهما وندخلنهم في العباد المنعمين في الجنة.

١٠ ـ ﴿ومن الناس من يقول ءامنا بالله﴾ وهو يعبد الله على حرف ﴿فإذا أوذي في الله﴾ أي لأجل الإيمان بالله ﴿جعل فتنة الناس﴾ والعذاب والإيذاء الذي يصيبه من الناس ﴿كعذاب الله﴾ وبمنزلته، فرجع ـ تحرّزاً من عذاب الناس ـ من الإيمان إلى الشرك، مع أن عذابهم يسير منقطع، وعذاب الله عظيم دائم ﴿ولئن جاء نصرٌ﴾ يسر ﴿من ربك﴾ بعد ما أنتم فيه من الشدة ﴿ليقولن إنا كنا معكم﴾ فلنا نصيب ﴿أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين﴾ استفهام إنكاري فيه رد دعواهم أنهم مؤمنون.

١١ ـ ﴿وليعلمن الله الذين ءامنوا﴾ بالفتنة والامتحان ﴿وليعلمن المنافقين﴾ فإيمانهم مقيد بعدم الفتنة، والفتنة سنة إلهية جارية لامعدل عنها.

١٢ ـ ﴿وقال الذين كفروا﴾ وهم مشركو مكة ﴿للذين ءامنوا﴾ استمالة لهم ﴿اتبعوا سبيلنا﴾ وارجعوا إلى الشرك ﴿ولنحمل خطاياكم﴾ بفرض هذا الاتباع خطيئة، أو نحمل جميع خطاياكم ومنها اتباع سبيلنا ﴿وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء﴾ إذ لو كان رجوعهم عن الإيمان خطيئة، لكان خطيئة عند الله لاحقة بالراجعين، وانتقالها لغيرهم يحتاج لإذن من الله ﴿إنهم لكاذبون﴾ فيما قالوا.

١٣ ـ ﴿وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم﴾ فهم لايحملون خطاياكم بعينها لأنها لازمة لفاعليها، لكنهم حاملون أثقالاً من الأوزار مثل أوزار فاعليها مع أثقال أنفسهم لأنهم ضالون مضلون ﴿وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون﴾ فقد افتروا بشركهم، وبدعواهم القدرة على إنجاز ما وعدوه وأن الله يجيز ذلك.

١٤ ـ ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ ليدعوهم إلى التوحيد ﴿فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً﴾ وهي مدة دعوته بين بعثه إلى أخذ الطوفان ﴿فأخذهم الطوفان﴾ فأغرقهم ﴿وهم ظالمون﴾ باتخاذ الآلهة من دون الله.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ۖ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾

فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

١٥ ـ ﴿فأنجيناه وأصحاب السفينة﴾ لأنهم لم يكونوا ظالمين ﴿وجعلناها آية للعالمين﴾ من الأجيال اللاحقة بهم.

١٦ ـ ﴿وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله﴾ وحده ﴿واتقوه﴾ بالتلبس بلباس العبودية ﴿ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ فالخير هو عبادة من بيده الأمر ﴿إنما تعبدون من دون الله أوثاناً﴾ فلا ألوهية للأصنام ولانفع ﴿وتخلقون إفكاً﴾ وتفتعلون كذباً بتسميتها آلهة ١٧ ـ ﴿إن الذين تعبدون من دون الله﴾ من تماثيل المقربين من الملائكة والجن ﴿لايملكون لكم رزقاً﴾ فيرزقوكم برضاهم عنكم ﴿فابتغوا عند الله الرزق﴾ لأنه هو مالك الرزق ﴿واعبدوه﴾ منصرفين عنهم ﴿واشكروا له﴾ ما رزقكم فمن الواجب شكر المنعم على ما أنعم ﴿إليه ترجعون﴾ وهذا الرجوع هو الباعث إلى العبادة والشكر دون ابتغاء الرزق ١٨ ـ ﴿وإن تكذبوا﴾ دعوة الله ﴿فقد كذب أمم من قبلكم﴾ وهذه سنة الكافرين ولم ينفعهم تكذيبهم وقد حل بهم عذاب الله ولم يكن لهم دون الله من ولي ولا نصير ﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ فليس له من الأمر إلا البلاغ.

١٩ ـ ﴿أولم يروا﴾ ويعلموا ﴿كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده﴾ وكل من الإبداء والإعادة من صنف واحد هو إنشاء ما لم يكن ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ فإذا كانت القدرة المطلقة تتعلق بالإيجاد، فهي جائزة التعلق بالإنشاء بعد الإيجاد.

٢٠ ـ ﴿قل﴾ يا محمد ﴿سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ من غير مثال سابق ﴿ثم الله ينشىء النشأة الآخرة﴾ كما أنشأ النشأة الأولى بما فيها من اختلاف وتفاوت ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ فلا حدود للقدرة الإلهية. ٢١ ـ ﴿يعذب من يشاء﴾ لإجرامهم ﴿ويرحم من يشاء﴾ لصلاحهم ﴿وإليه تقلبون﴾ وتردون، فلا يحكم فيكم غيره ٢٢ ـ ﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء﴾ لأنه ليس لكم الفوت منه بالخروج من سلطانه والفرار من حكمه يوم القيامة ﴿وما لكم من دون الله من ولي﴾ يتولى أموركم ﴿ولا نصير﴾ ينصركم.

٢٣ ـ ﴿والذين كفروا بآيات الله﴾ ومنها القرآن الدالة على الوحدانية، والنبوة، والمعاد ﴿ولقائه﴾ بعد المعاد ﴿أولئك يئسوا من رحمتي﴾ فقد أيقنوا بحرمانهم إياها، بجحد المعاد، أو هو قضاء منه تعالى أن لايدخل الجنة كافر ﴿وأولئك لهم عذاب أليم﴾ بما كفروا.

٢٤ ـ ﴿فما كان جواب قومه﴾ على قوله ﷺ اعبدوا الله ﴿إلا أن قالوا اقتلوه أو حرّقوه﴾ وانصروا آلهتكم ﴿فأنجاه الله من النار﴾ بقوله: ﴿يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾، ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ تدلهم على صحة الرسالة.

٢٥ ـ ﴿وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً﴾ مستنين بسنة من تعظّمونه وتحترمونه، كما يحترم الابن أباه، ويعظم التابع رئيسه ﴿مودّة بينكم﴾ لحفظ الرابطة القومية ﴿في الحياة الدنيا﴾ دون حجة عقلية ﴿ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض﴾ أي يتبرأ بعضكم من بعض ﴿ويلعن بعضكم بعضاً﴾ لأنكم توسلتم إلى هذا المتاع القليل بالشرك وهو أعظم الظلم ﴿ومأواكم النار﴾ وفيها الهلاك المؤبد ﴿وما لكم من ناصرين﴾ يدفعون عنكم العذاب، ولانفع لما توسلتم به إلى المودة القومية لتتناصروا.

٢٦ ـ ﴿فآمن له لوط وقال﴾ إبراهيم ﴿إني مهاجر﴾ لا إلى دعة ولا إلى كسب ولا إلى ملك، بل ﴿إلى ربي﴾ تاركاً وطني خارجاً من المشركين إلى أرض لايعترضني فيها ما يعترض عبادتي ﴿إنه عزيز﴾ لايذل من نصره ﴿حكيم﴾ لايضيع من حفظه.

٢٧ ـ ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب﴾ استجابة لقوله: ﴿ربي اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي﴾، لما طلب في دعائه ﴿وآتيناه أجره في الدنيا﴾ وهو الجزاء الحسن الذي يقابل العمل ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ بنيله درجات القرب.

٢٨ ـ ﴿ولوطاً إذ قال لقومه﴾ استعجاباً وإنكاراً ﴿إنكم لتأتون الفاحشة﴾ وهي الفعل المستقبح ﴿ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ إذ لم يشع هذا العمل في قوم قبلكم.

٢٩ ـ ﴿أئنكم لتأتون الرجال﴾ وهذا أمر لايقبله ذو لب ﴿وتقطعون السبيل﴾ الفطري للتناسل بالإعراض عن النساء وقيل تتعرضون للمارة في السبيل ﴿وتأتون في ناديكم﴾ أي مكان اجتماعكم ﴿المنكر﴾ والفاحشة أو مقدماتها بمرأى من الجماعة ﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا﴾ استهزاء وسخرية ﴿ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين﴾ فيما تنذرنا به.

٣٠ ـ ﴿قال رب انصرني على القوم المفسدين﴾ سؤال للفتح على عملهم الذي يهدد الإنسانية بالفناء بعد شيوع المنكر.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

٣١ ـ ﴿ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى﴾ ليبشروه وامرأته بإسحاق ويعقوب ﴿قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية﴾ وهي قرية لوط وهي قريبة من الأرض المقدسة التي كان إبراهيم نازلاً بها ﴿إن أهلها كانوا ظالمين﴾ وقد استقرت فيهم رذيلة الظلم.

٣٢ ـ ﴿قال﴾ ليصرف العذاب عن القرية كرامة للوط ﴿إن فيها لوطاً﴾ وإهلاك أهلها يشمله ﴿قالوا نحن أعلم بمن فيها﴾ فلوط لايعذب ولاوجوده يرفع العذاب عنهم ﴿لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين﴾ الباقين في العذاب.

٣٣ ـ ﴿ولما أن جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم﴾ فأخذته المساءة لكونهم في صورة شبان حسان مرد يُخاف عليهم من القوم ﴿وضاق بهم ذرعاً﴾ لضعفه أن يدفع قومه عنهم ﴿وقالوا لاتخف﴾ والخوف يكون في المكروه الممكن ﴿ولاتحزن﴾ والحزن يكون في المكروه الواقع ﴿إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين﴾ الباقين في العذاب.

٣٤ ـ ﴿إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً﴾ أي عذابا ﴿من السماء بما كانوا يفسقون﴾ ويتعدون حدود الله بتجاوز سبيل الفطرة.

٣٥ ـ ﴿ولقد تركنا منها﴾ أي من القرية ﴿آية بينة﴾ أي علامة ظاهرة ﴿لقوم يعقلون﴾ ليعتبروا ويتقوا. وهي اليوم مجهولة الأثر وقد كانت معروفة في زمن نزول الآية وربما يقال أن الماء غمرها وهي بحر لوط، أو أنها قرب مكة يمر أهلها عليها مصبحين.

٣٦ ـ ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً فقال يا قوم اعبدوا الله﴾ وحده ﴿وارجوا اليوم الآخر﴾ فالاعتقاد بالمعاد يصلح الأعمال ﴿ولاتعثوا في الأرض مفسدين﴾ بإنقاص الميزان والمكيال.

٣٧ ـ ﴿فكذبوه فأخذتهم الرجفة﴾ أي أهلكتهم الصيحة والزلزلة ﴿فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ ميتين.

٣٨ ـ ﴿عاداً وثموداً﴾ أهلكهم الله بذنوبهم ﴿وقد تبين لكم من مساكنهم﴾ ما كانت عليه حالهم ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ فحببها إليهم، فتعلقوا بها، ﴿فصدهم﴾ بذلك ﴿عن﴾ سبيل الله التي هي ﴿السبيل﴾ الفطري ﴿وكانوا مستبصرين﴾ قبل صدهم عن سبيل الله لأنه كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين.

وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

٣٩ ـ ﴿وقارون﴾ بغى بثروته وماله ﴿وفرعون﴾ طغى وعتا ﴿وهامان﴾ الوزير المدبر الذي كان بمستوى أهواء فرعون وظلمه وبطشه انحرفوا عن سبيل الله ﴿ولقد جاءهم موسى بالبينات﴾ الواضحة الدلالة ﴿فاستكبروا في الأرض﴾ ورفضوا الحق ﴿وما كانوا سابقين﴾ وما كانت لهم الغلبة، فلم تعصمهم الثروة والقوة والدهاء.

٤٠ ـ ﴿فكلاً﴾ من الأمم المذكورة ﴿أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً﴾ إذا كانت الحاصب هي الحجارة فهم قوم لوط وإذا كانت الحاصب هي الريح التي ترمي بالحصى فهم قوم عاد ﴿ومنهم من أخذته الصيحة﴾ وهم قوم ثمود وقوم شعيب ﴿ومنهم من خسفنا به الأرض﴾ وهو قارون ﴿ومنهم من أغرقنا﴾ وهم أقوام نوح وفرعون وهامان ﴿وما كان الله ليظلمهم﴾ فيما وقع بهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ فالدار دار فتنة وامتحان، وهي السنة الإلهية التي لامعدل عنها، فمن اهتدى فقد اهتدى لنفسه ومن ضل فعليها.

وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

٤١ ـ ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء﴾ وهم المشركون ﴿كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً﴾ ليس له من آثار البيت إلا اسمه ﴿وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت﴾ كذلك ليس لولاية أولياء المشركين إلا الاسم فهم لاينفعون ولايضرون ولايملكون حياة ولانشوراً ﴿لو كانوا يعلمون﴾ أن مثلهم كمثل العنكبوت وبيتها.

٤٢ ـ ﴿إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء﴾ فالذي يعبدونه من الآلهة لاحقيقة له فهو توكيد للمثل في الآية السابقة أو أن الله يعلم الشيء الذي يدعون من دونه، وليس لأوليائهم من الولاية إلا اسمها، والمثل الذي ضربه في محله ﴿وهو العزيز﴾ الذي لايغلبه شيء، ولايشاركه في تدبير ملكه أحد كما لايشاركه في الخلق والإيجاد أحد وهو ﴿الحكيم﴾ الذي يأتي بالمتقن من الفعل والتدبير، فلا يفوض تدبير خلقه إلى أحد.

٤٣ ـ ﴿وتلك الأمثال﴾ المضروبة في القرآن ﴿نضربها للناس﴾ عامة ﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾ فأهل العلم خاصة هم الذين يشرفون على حقيقة معانيها ولب مقاصدها.

٤٤ ـ ﴿خلق الله السموات والأرض بالحق﴾ وما كان الخلق لعباً، فالخلق والتدبير ينتهي إليه تعالى، وولاية من يدّعون ولايته ليس لها إلا اسم الولاية من غير مسمى ﴿إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾ فهم المنتفعون بدلالتها.

٤٥ ـ ﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب﴾ فالقرآن خير رادع عن الشرك والفحشاء والمنكر بما فيه من البينات والحجج التي تنير الحق وتشتمل على القصص والعبر والمواعظ ﴿وأقم الصلاة﴾ وهي خير العمل ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ فهي تردع عن كل معصية كبيرة، وهي توجهٌ عبادي يلقن بما فيه من الذكر العبد الإيمان بوحدانيته تعالى وبالرسالة والمعاد، وأن يقابل ربه بإخلاص العبادة والاستعانة به وسؤال الهداية إلى صراطه؛ مع التوجه بروحه وبدنه إلى ساحة الكبرياء والعظمة بعد التطهر من الحدث والخبث ﴿ولذكر الله أكبر﴾ فالذكر القلبي بمعنى استحضار المذكور هو

غاية مترتبة على الصلاة، وهذا الذكر أفضل عمل يتصور صدوره عن الإنسان، فهو السعادة الأخيرة ومفتاح كل خير ﴿والله يعلم ما تصنعون﴾ من خير أو شر، فعليكم أن تراقبوه ولاتغفلوا عنه.

٤٦ ـ ﴿ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ مع لين ورفق في القول لإظهار الحق من غير لجاج وعناد، بالاتفاق على إظهار الحق دون استثارة العصبية ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ وهم من لاينفع معهم الرفق واللين والتقرب في المطلوب، بل يتلقون حسن الجدال نوع مذلة وهوان للمجادل ويعتبرونه تمويهاً واحتيالاً ﴿وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وإليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾ والإيمان بالله وما أنزل يقتضي الإيمان بكل ما أنزل، ويقتضي التسليم لأوامره.

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٧ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٤٨ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٩ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٥٠ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٥١ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٥٢

٤٧ ـ ﴿وكذلك أنزلنا إليك الكتاب﴾ أي على تلك الصفة وهي الإسلام لله وتصديق كتبه ورسله أنزلنا القرآن ﴿فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به﴾ لما عندهم من الإيمان بالله وتصديق كتبه ورسله ﴿ومن هؤلاء﴾ وهم المشركون ﴿من يؤمن به﴾ مهتدياً به ﴿وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون﴾ الساترون للحق بالباطل.

٤٨ ـ ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب﴾ فما كان من عادتك قبل نزول القرآن أن تقرأ كتاباً ﴿ولا تخطه بيمينك﴾ لكونك أمياً، ولو كنت كذلك ﴿إذاً لارتاب المبطلون﴾ الذين يبطلون الحق بدعوى أنه باطل.

٤٩ ـ ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ وليس بكتاب مؤلف مخطوط ﴿وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون﴾ المكذبون، استكباراً وعناداً.

٥٠ ـ ﴿وقالوا﴾ يقترحون آيات غير القرآن ﴿لولا أنزل عليه آيات من ربه﴾ فالنبي يجب أن يكون ذا قوة غيبية إلهية بزعمهم ﴿قل إنما الآيات عند الله﴾ فهو القادر على كل شيء، ولايشاركه غيره في قدرته ﴿إنما أنا نذير مبين﴾ وليس لي من الأمر إلا ما شاء به الله.

٥١ ـ ﴿أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾ الاستفهام للإنكار فالقرآن الذي يسمعونه ويعرفون مكانته وإعجازه أكبر آية ﴿إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾ فهو آية بينة واضحة.

٥٢ ـ ﴿قل﴾ يا محمد ﴿كفى بالله بيني وبينكم شهيداً﴾ فيما نتخاصم فيه، وهو أمر الرسالة، فإنه سبحانه يشهد في كلامه برسالتي، وقد أعجزتكم آياته ﴿يعلم ما في السموات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون﴾ فقد خسروا في إيمانهم بالباطل لعدم إيمانهم بالله وبالكفر بكتابه.

٥٣ ـ ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ ويقولون تحدّياً ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين ﴿ولولا أجل مسمى﴾ قضاه الله لبني آدم بقوله: ﴿ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾ ﴿لجاءهم العذاب﴾ بسبب أعمالهم ﴿ولتأتينهم بغتة وهم لايشعرون﴾ فلهم موعد لن يجدوا من دونه موئلاً. وكثيراً ما يكون الإمهال إملاءً للظالمين ليزدادوا ثباتاً.

٥٤ ـ ﴿يستعجلونك بالعذاب﴾ دلالة على كمال جهلهم وفساد فهمهم، لاستعجالهم لأمر مؤجل ﴿وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ ولاصرف لعذابها الواقع عنهم ٥٥ ـ ﴿يوم يغشاهم﴾ ويحيط بهم ﴿العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون﴾ فأنتم مجزيون بأعمالكم التي لاتفارقكم.

٥٦ ـ ﴿يا عبادي الذين آمنوا﴾ الخطاب للمؤمنين الذين وقعوا في أرض الكفر ولايقدرون على إظهار دينهم الحق ﴿إن أرضي واسعة﴾ فهناك نواح تمكن فيها عبادة الله تعالى، ولافرق عنده تعالى في أن يعبد في أية قطعة من الأرض ﴿فإياي فاعبدون﴾ فالعبادة حصراً لله؛ فإن لم تمكن في أرض لزمت الهجرة إلى غيرها حفاظا على العقيدة.

٥٧ ـ ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ فالحياة الدنيا ليست إلا أياماً قلائل ﴿ثم إلينا ترجعون﴾ فتهيأوا للقاء الله بالإيمان والعمل ولاتصدنكم زينة الحياة الدنيا ٥٨ ـ ٥٩ ـ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غُرفاً﴾ ولننزلنهم دوراً عالية ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ جزاء لهم لإيمانهم وعملهم الصالح ﴿خالدين فيها﴾ أبداً ﴿نعم أجر العاملين﴾ وهم ﴿الذين صبروا﴾ في الله على كل أذى، فإذا تعذرت عليهم إقامة الدين، خرجوا من ديارهم وهاجروا إلى أرض غيرها، وصبروا على التعب والعناء ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ ويسلمون له جميع أمورهم.

٦٠ ـ ﴿وكأين﴾ للتكثير ﴿من دابة لاتحمل رزقها﴾ تطييب لنفوس المؤمنين، أنهم لو هاجروا لرزقهم ربهم، فكثير من الدواب لاتدخر رزقها ﴿الله يرزقها وإياكم﴾ وهم ﴿الذين صبروا﴾ في الله على كل أذى، فإذا تعذرت عليهم إقامة الدين، خرجوا من ديارهم وهاجروا إلى أرض غيرها، وصبروا على التعب والعناء ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ ويسلمون له جميع أمورهم.

٦٠ ـ ﴿وكأين﴾ للتكثير ﴿من دابة لاتحمل رزقها﴾ تطييب لنفوس المؤمنين، أنهم لو هاجروا لرزقهم ربهم، فكثير من الدواب لاتدخر رزقها ﴿الله يرزقها وإياكم﴾ معاشر الآدميين الذين يدخرون الأرزاق ﴿وهو السميع﴾ للدعاء ﴿العليم﴾ بالحوائج ومقتضى الاسمين أن يرزقهم.

٦١ ـ ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض﴾ إيجاداً من عدم ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ بتحويل حالاتهما بالطلوع والغروب، والقرب والبعد ﴿ليقولن الله﴾ فهو المدبر لأمرهم، وبيده تدبير الرزق ﴿فأنى يؤفكون﴾ بصرف الأمر إلى غيره تعالى ممن لايملك شيئاً ٦٢ ـ ﴿الله يبسط﴾ ويوسع ﴿الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له﴾ فيضيق عليه؛ ولايشاء إلا طبق المصلحة ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ لأنه الله الذي لايغيب عنه شيء.

٦٣ ـ ﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ بإنبات النبات بعد هموده ﴿ليقولن الله﴾ اعترافاً بأنه المدبر لأمر خلقه ﴿قل الحمد لله﴾ على تمام الحجة عليهم باعترافهم الذي يلزمهم أن يعبدوه سبحانه ﴿بل أكثرهم لايعقلون﴾ ولايتدبرون الآيات ولايحكمون العقول ليميّزوا الحق من الباطل.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

٦٤ ـ ﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو﴾ يلهي عما يهم فهي تشغل الإنسان بزينتها عن الحياة الخالدة الباقية ﴿و﴾ هي ﴿لعب﴾ لأنها فانية سريعة البطلان كلعب الصبيان يتولعون باللعب ساعة ثم يتفرقون، وكذلك عامة المقاصد التي يتنافس فيها المتنافسون ويتكالب عليها الظالمون، فهي أمور وهمية سرابية، كالأموال والأزواج والبنين والتصدر والرئاسة والمولوية والخدم والأنصار فتملكها وهم وخيال ﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان﴾ أي هي الحياة الحقة فهي البقاء لافناء معه، واللذة لالم عندها، والسعادة لاشقاء معها، فيعيش فيها الإنسان بكماله الواقعي الذي اكتسبه بإيمانه وعمله الصالح ﴿لو كانوا يعلمون﴾ حقائق الأمور. ٦٥ ـ ٦٧ ـ ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين﴾ وهذه حكاية لتناقض آخر منهم ﴿فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾ ويكفرون بنعمته، فهم مترددون بين الاعتراف والجحود. ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ من المنح الإلهية ﴿وليتمتعوا فسوف يعلمون﴾ تهديد لهم وإنذار بسوء العاقبة. فاللام هي لام الأمر للامهال ﴿أولم يروا أنا جعلنا﴾ مكة وما حولها ﴿حرماً آمناً﴾ بدعاء إبراهيم ﴿وينخطف الناس من حولهم﴾ فقد كان العرب يعيشون في الغزو والتناهب والقتل والسبي، لكنهم يحترمون الحرم ولايتعرضون لمن أقام به. ﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ فيعبدون الأصنام ﴿وبنعمة الله يكفرون﴾ توبيخ لهم على مقابلة النعم بالكفران.

٦٨ ـ ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ بالقول بالآلهة والشرك ﴿أو كذب بالحق لما جاءه﴾ وقد جاءهم القرآن الحق ﴿أليس في جهنم مثوى للكافرين﴾ وهم سيصلون نارها.

٦٩ ـ ﴿والذين جاهدوا فينا﴾ أي استقر جهادهم في الله؛ فلا ينصرفون عن الإيمان به والائتمار بأوامره والانتهاء عن نواهيه ﴿لنهدينهم سبلنا﴾ التي تهديهم إلينا وتقربهم منا، والذين اهتدوا زدناهم هدى ﴿وإن الله لمع المحسنين﴾ يشملهم بالرحمة والهداية لكمال عنايته بهم.

وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

سورة الروم

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: الوعد القطعي بالنصر؛ ذكر المعاد؛ الاستدلال على أنه تعالى سينجز وعده بيوم القيامة؛ ذكر آيات الربوبية.

١ ـ ﴿الم﴾ تكرر الكلام عن الارتباط بين معاني السور والحروف المقطعة المصدرة بها.

٢ ـ ٥ ـ ﴿غُلبت الروم﴾ وامبراطوريتهم ﴿في أدنى الأرض﴾ الظاهر أن المراد بالأرض أرض الحجاز، وقد أنجز وعد الله وهزمت الروم ﴿وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين﴾ فستكون لهم الغلبة على الفرس ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ أن غلبت الروم ﴿ومن بعد﴾ أن غلبت ﴿يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾ لهم ﴿ينصر من يشاء وهو العزيز﴾ يعز بنصره من يشاء ﴿الرحيم﴾ يختص برحمته من يشاء. فنصر الروم حدثٌ يأتي بعده نصر المؤمنين فيتحقق إنجاز الله وعده، وهذا إثبات عقلي للمعاد وقد وعد الله به.

سُورَةُ الرُّومِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾

٦ ـ ﴿وعد الله﴾ حق ﴿لايخلف الله وعده﴾ وهو منجزه ﴿ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ لأنهم جهلة بشؤونه تعالى لايثقون بوعده ويقيسونه إلى أمثالهم ممن ينجز ويخلف ٧ ـ ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا﴾ مما ينالونه بحواسهم من زينتها فيخلدون إليها ﴿وهم عن الآخرة﴾ ومعارفها الحقة ﴿هم غافلون﴾ وفيها خيرهم ونفعهم.

٨ ـ ﴿أولم يتفكروا في أنفسهم﴾ الاستفهام للتعجب كأنهم عند اشتغالهم بأمور الدنيا يغيبون عن أنفسهم، وإذا تفكروا عادوا إلى الحق ﴿ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ وهذا هو الفكر الذي يجب أن يمعنوا النظر فيه؛ فالله سبحانه ما خلق الخلق إلا بالحق ﴿وأجل مسمى﴾ حيث يفنى الخلق، ثم هناك النشأة الآخرة ﴿وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم كافرون﴾ لايقرون الرجوع إليه في المعاد وهذا عجب منهم. فكيف يبتدئون منه ولاينتهون إليه.

٩ ـ ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ فالدين يلغو مع الكفر بالمعاد ﴿كانوا أشد منهم قوة﴾ وشدة ﴿وأثاروا الأرض﴾ وقلبوها حرثاً ﴿وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات﴾ الآيات الواضحة ﴿فما كان الله ليظلمهم﴾ بما انتهوا إليه من سوء العذاب ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بالكفر والعصيان

١٠ ـ ﴿ثم كان عاقبة الذين أساؤا﴾ وعملوا السوء، العاقبة ﴿السوأى﴾ بسبب ﴿أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون﴾ فعاقبتهم هي عملهم نفسه.

١١ ـ ﴿الله يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ فذلك بيده ﴿ثم إليه ترجعون﴾ للجزاء.

١٢ ـ ﴿ويوم تقوم الساعة﴾ وهي ساعة الرجوع إليه تعالى ﴿يبلس المجرمون﴾ ييأسون من الرحمة لأنهم يرون أنهم خسروها بما صدر من أعمالهم.

١٣ ـ ﴿ولم يكن لهم من شركائهم﴾ وآلهتهم ﴿شفعاء﴾ يشفعون لهم ﴿وكانوا بشركائهم﴾ وعبادتهم ﴿كافرين﴾ منكرين.

١٤ ـ ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون﴾ ويتميز المؤمنون من المجرمين.

١٥ ـ ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون﴾ ويفرحون وينعمون.

وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾

١٦ ـ ﴿وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة﴾ فالتفرق في الوجود حجة على ثبوت المعاد ﴿فأولئك في العذاب محضرون﴾ لايفارقونه ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾.

١٧ ـ ١٨ ـ ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون﴾ تنزيهاً له عن الاعتقادات الباطلة والأعمال الردية ﴿وله الحمد في السموات والأرض﴾ على جميع ما خلقه ودبره ﴿وعشياً وحين تظهرون﴾ أي وقت الظهيرة، فالأوقات وما فيها للتسبيح، والأمكنة وما فيها للتحميد.

١٩ ـ ﴿ويخرج الحي من الميت﴾ أي من الأرض الميتة ﴿ويخرج الميت من الحي﴾ بتبديل ذوي الحياة أرضاً ميتة، وفسر بخلق المؤمن من الكافر وخلق الكافر من المؤمن ﴿ويحيي الأرض بعد موتها﴾ فتنبت في الربيع بعد خمودها في الخريف والشتاء ﴿وكذلك تخرجون﴾ فبعثكم من قبوركم كإحياء الأرض بعد موتها.

٢٠ ـ ﴿ومن آياته أن خلقكم﴾ من مركبات أرضية وهي كلها ﴿من تراب ثم إذا أنتم بشر﴾ ذوو حياة وشعور عقلي ﴿تنتشرون﴾ في الأرض، وهذه أدلة على الصانع الحي العليم المدبر.

٢١ ـ ﴿ومن آياته أن خلق لكم من﴾ جنس ﴿أنفسكم أزواجاً﴾ أي قرائن ﴿لتسكنوا إليها﴾ ليتم التناسل، فكل واحد مفتقر إلى الآخر، وكل ناقص مشتاق إلى كماله ﴿وجعل بينكم مودة﴾ وهي الحب الذي يظهر أثره في العمل ﴿ورحمة﴾ وهي تأثر نفسي من مشاهدة حرمان المحروم من الكمال وحاجته إلى رفع نقيصته. فلذلك يتلازم الزوجان بالمودة والمحبة ويرحمان الصغار لضعفهم وعجزهم، ونظير هذه المودة والرحمة مشهود في المجتمع الكبير المدني. فالغني يعطي، والضعيف والمفتقر ينال الرحمة ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ فمن تفكر عثر من عجائب الآيات الإلهية في أمر الازدواج على ما يبهر العقول.

٢٢ ـ ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض﴾ والنظام الدقيق الذي يجري فيهما ﴿واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ حسب اللغات والعروق أو حسب الفروق الفردية ﴿إن في ذلك لآيات للعالمين﴾ والباحثين تدل على عظمة الصانع المدبر.

٢٣ ـ ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار﴾ راحة بعد تعب، وسكوناً بعد نصب وهذا قائم بالأوضاع السماوية للشمس والأرض ﴿وابتغاؤكم من فضله﴾ بما أودعكم من قوة لطلب الرزق وتحصيله ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ ويعقلون ويتبعون ماسمعوه من الحق.

٢٤ ـ ﴿ومن آياته يريكم البرق خوفاً﴾ من الصاعقة ﴿وطمعاً﴾ في المطر ﴿وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها﴾ بإنبات النبات فيها ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ أن ذلك عن تدبير لا عن صدفة واتفاق.

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾

٢٥ ـ ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾ فهما تثبتان على حركتهما وتغيرهما بأمره تعالى ﴿ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض﴾ بعثاً منها ﴿إذا أنتم تخرجون﴾ وتعودون إليه.وهذا احتجاج على ثبوت المعاد. ٢٦ ـ ﴿وله من في السموات والأرض﴾ فملكه تعالى محيط بكل شيء وكل شيء مفتقر إليه ﴿كل له قانتون﴾ فهم مطيعون منقادون للعلل والأسباب الكونية، فهو المالك لهم ولما يملكونه. ٢٧ ـ ﴿وهو الذي يبدأ الخلق﴾ على غير مثال سابق ﴿ثم يعيده﴾ إنشاء بعد إنشاء ﴿وهو أهون عليه﴾ فالإعادة متصفة بالهون إذا قيست إلى الإنشاء وهذا بين؛ فكلما زادت القدرة قلّت المشقة، حتى إذا كانت القدرة غير متناهية انعدمت المشقة من رأس ﴿وله المثل الأعلى في السموات والأرض﴾ فله كل وصف كمالي كالحياة والقدرة والعلم والكرم وغير ذلك وكل كمال لغيره فهو مما أفاض الله عليه ﴿وهو العزيز﴾ الواجد لكل مايفقده غيره ﴿الحكيم﴾ لايعرض فعله فتور. ٢٨ ـ ﴿ضرب لكم مثلاً﴾ يظهر قبح الشرك ﴿من أنفسكم﴾ ينقض قول: «لبيك لاشريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك» أو غير ذلك من مظاهر الشرك .﴿هل لكم مما ملكت أيمانكم﴾ من العبيد والأجراء ﴿من شركاء فيما رزقناكم﴾ من المال والمتاع ﴿فأنتم﴾ مالكون ومملوكون ﴿فيه سواء﴾ والإستفهام للإنكار، فأنتم لاتخافون أن يقاسمكم عبيدكم أموالكم ولا ﴿تخافونهم كخيفتكم أنفسكم﴾ إن كان لكم شركاء أحرار بل تأنفون من ذلك؛ فكيف تجعلون له أنداداً من خلقه من الملائكة أو الجن أو غير ذلك والكل عبيدٌ له داخرون. ﴿كذلك يفصل الآيات لقوم يعقلون﴾ فما ذكر من الدلائل يسقط دعوى الشرك من أصلها. والمشركون لم يبنوا شركهم على التعقل ٢٩ ـ ﴿بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم﴾ فلم يبنوا شركهم على التعقل ﴿فمن يهدي من أضل الله﴾ استفهام إنكاري مدلوله الإيئاس من نعمة الهداية لمن اتبع هواه بسبب ظلمه الموجب لإضلاله ﴿وما لهم من ناصرين﴾ فلا نجاة لهم بنصرة ناصر. ٣٠ ـ ﴿فأقم وجهك للدين﴾ وهو الإسلام ﴿حنيفاً﴾ مائلاً إلى الوسط أي معتدلاً ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ وأوجدهم وأبدعهم ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ فالدين سنة الحياة

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَـٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

والنظام الجاري فيها، ولو اختلفت سعادة الإنسان باختلاف أفراده لم ينعقد مجتمع صالح يضمن سعادة جميع الأفراد، ولو اختلفت السعادة باختلاف الأقطار، كان الإنسان أنواعاً مختلفة، ولو اختلفت السعادة باختلاف الأزمنة اختلفت نوعية كل قرن وجيل ولم تكن الإنسانية متوجهة من النقص إلى الكمال، ولا يتحقق الكمال إلا بإحكام الدين كنظام يشمل البشرية بأجيالها كافة ﴿ذلك الدين القيم﴾ القائم على الفطرة ﴿ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ أن الهادي إلى سنة الحياة هو الفطرة. فالسنة الدينية هي البنية الإنسانية التي هي حقيقة واحدة ثابتة. فالإنسان إنما ينال ما قدر له من كمال وسعادة بعقد مجتمع صالح تحكم فيه سنن وقوانين صالحة، ومن أحسن من الله حكماً. ٣١ ـ ٣٢ ـ ﴿منيبين إليه﴾ عائدين إليه بالتوبة، بإقامة الوجه للدين ﴿واتقوه﴾ بالالتزام بأوامره ونواهيه ﴿وأقيموا الصلاة﴾ فهي عمود الدين ﴿ولا

تكونوا من المشركين﴾ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴿من الذين فرقوا دينهم﴾ وهذه أخص صفاتهم ﴿وكانوا شيعاً﴾ وأحزاباً ﴿كل حزب بما لديهم﴾ من الدين ﴿فرحون﴾ لأن هوى النفس لا يتفق في النفوس فيتغير الدين بتغير الأهواء فصفة التفرقة في الكلمة والتحزب في الدين مذمة تصيب المشركين المتصفين بها. والحزب هو جماعة من الناس تفردت برأي معين. ٣٣ ـ ٣٤ ـ ﴿وإذا مس الناس ضر﴾ خفيف كمرض أو فقر أو شدة ﴿دعوا ربهم منيبين إليه﴾ راجعين من غيره ﴿ثم إذا أذاقهم منه رحمة﴾ تستوجب الشكر ﴿إذا فريق منهم بربهم﴾ الذي كانوا يدعونه ويعترفون بربوبيته ﴿يشركون﴾ باتخاذ الأنداد والشركاء ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ واللام للأمر الغائب وهو مع الأمر اللاحق للتهديد ﴿فتمتعوا﴾ تهديد آخر ﴿فسوف تعلمون﴾ عاقبة التفريط في جنب الله والاستهانة بأمره.

٣٥ ـ ﴿أم أنزلنا عليهم سلطاناً﴾ أي أم أعلمناهم برهاناً ﴿فهو يتكلم بما كانوا به يشركون﴾ ويدل عليه. ٣٦ ـ ﴿وإذا أذقنا الناس رحمة﴾ وهي كثيرة قطعية مفاضة ﴿فرحوا بها﴾ من غير تعقل وتبصر ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ وهي قليلة احتمالية عدمية ﴿بما قدمت أيديهم﴾ من عمل ﴿إذا هم يقنطون﴾ ويأسون وهذا القنوط غير مرتقب، كأن ذلك ليس بإذن من ربهم فهم سطحيون. ٣٧ ـ ﴿أو لم يروا﴾ بيان لخطئهم في المبادرة إلى الفرح والقنوط ﴿أن الله يبسط الرزق لمن يشاء﴾ رحمة منه ﴿ويقدر﴾ أي ويضيق على من يشاء، وذلك بإذنه فلا موجب للفرح بما لا يؤمن فقده ولا للقنوط مما يرجى زواله ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ لئلا يفرحوا بما آتاهم ولا يأسوا على ما فاتهم. ٣٨ ـ ﴿فآت ذا القربى﴾ من الأرحام من قرابة النبي ﴿حقه والمسكين﴾ وهو أسوأ حالاً من الفقير ﴿وابن السبيل﴾ المسافر ذي الحاجة ﴿ذلك﴾ أي إيتاء الخمس لمن كُلِّفه ـ على تقدير كون الآية مدنية ـ ﴿خير﴾ فله أثر جميل ﴿للذين يريدون وجه الله﴾ فيقومون بأعمالهم خالصة له ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون. ٣٩ ـ ﴿وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس﴾ أي ليزيد في أموالهم ﴿فلا يربو عند الله﴾ ولا يزيد وينمو عنده ولا تثابون عليه لعدم قصد الوجه ﴿وما آتيتم من زكاة﴾ أي صدقة ﴿تريدون وجه الله﴾ وثوابه ﴿فأولئك هم المضعفون﴾ يضاعف لهم مالهم وثوابهم فالمراد بالربا هو العطية الحلال من غير قصد القربة، والصدقة هي العطية مع قصد القربة على تقدير كون الآية مكية، أما بتقدير كونها مدنية فالمراد بالربا الربا المحرم وبالزكاة الزكاة المفروضة. ٤٠ ـ ﴿الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ فهو المتصف بصفات الألوهية والربوبية ﴿هل من شركائكم﴾ من الآلهة ﴿من يفعل من ذلكم من شيء﴾ فالرزق لا ينفك عن الخلق، والله وحده هو المدبر ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ وتنزه عما ينسبون إلى غيره من أمور التدبير. ٤١ ـ ﴿ظهر الفساد في البر والبحر﴾ أي انتشرت البلايا والمصائب والزلازل والجدب والأمراض والحروب وارتفاع الأمن وكل مايفسد النظام الجاري ﴿بما كسبت أيدي الناس﴾ من الأعمال

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

والمعاصي والشرك ﴿ليذيقهم﴾ الله ﴿بعض الذي عملوا﴾ من الأعمال السيئة، في صورة وبال ويعفو عن كثير ﴿لعلهم يرجعون﴾ عن شركهم ومعاصيهم إلى التوبة والتوحيد.

٤٢ ـ ﴿قل﴾ يامحمد ﴿سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل﴾ الذين خربت ديارهم وعفت آثارهم بما قدمت أيديهم ﴿كان أكثرهم مشركين﴾ فأذاقهم الله بعض ما عملوا ليعتبر المعتبرون ٤٣ ـ ﴿فأقم وجهك للدين القيم﴾ لأن للشرك وبالاً سيلحق بالمتلبس به ﴿من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله﴾ وهو يوم القيامة ﴿يومئذ يصدعون﴾ ويتميز أهل الجنة من أصحاب السعير.

قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

٤٤ ـ ﴿من كفر فعليه﴾ وبال كفره، ويكون ﴿كفره﴾ عليه ناراً ﴿ومن عمل صالحاً﴾ بعد الإيمان ﴿فلأنفسهم يمهدون﴾ ويبسطون مايستقرون عليه.

٤٥ ـ ﴿ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله﴾ فهم وما يصدر عنهم من أعمال ملك لله تعالى لا يملكون شيئاً حتى يستحقوا به أجراً، وأين العبودية من الملك! ولكنه سبحانه فضلاً منه اعتبر لهم ملكاً في أعمالهم فجعل لهم بذلك حقاً، وجعل ماينالونه أجراً، فضلاً منه آخر ﴿إنه لا يحب الكافرين﴾ فلذلك يختص المؤمنين بفضله.

٤٦ ـ ﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات﴾ تبشر بالمطر ﴿وليذيقكم من رحمته﴾ أي ليصيبكم بأنواع النعم المترتبة على جريان الرياح كتلقيح الأشجار وغير ذلك ﴿ولتجري الفلك بأمره﴾ لجريان الرياح وهبوبها ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ ورزقه من فضله ﴿ولعلكم تشكرون﴾ والشكر هو استعمال النعمة بنحو ينبيء عن إنعام المنعم، أو الثناء اللفظي عليه بذكر إنعامه، وينطبق على عبادته.

٤٧ ـ ﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبينات﴾ والدلالات ﴿فانتقمنا من الذين أجرموا﴾ واكتسبوا السيئات ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ ولايرد هذا الحق محذور لكونه تعالى قاهراً غالباً وانتقامه تعالى من المجرمين نصر للمؤمنين.

٤٨ ـ ﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً﴾ فتحركه وتنشره ﴿ويبسطه في السماء كيف يشاء﴾ وفي العلو الذي يريد ﴿ويجعله كسفاً﴾ وقطعا متراكبة ﴿فترى الودق﴾ أي قطر المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ من بين فرجه ﴿فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون﴾ لأنه مادة حياتهم وحياة غيرهم من الأحياء ٤٩ ـ ﴿وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم﴾ بالمطر ـ ﴿من قبله﴾ أي من قبل إرسال الرياح ﴿لمبلسين﴾ قانطين.

٥٠ ـ ﴿فانظر إلى آثار رحمة الله﴾ وهي المطر وما يترتب عليها ﴿كيف يحيي الأرض بعد موتها﴾ فتنبت وتثمر رحمة منه تعالى ﴿إن ذلك لمحيي الموتى﴾ مماثلة مع إحياء الأرض ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ فلا حدود لقدرته وتشمل هذه القدرة الإحياء بعد الموت.

٥١ ـ ﴿و﴾ أقسم ﴿لئن أرسلنا ريحاً﴾ باردة فضربت زرعهم ﴿فرأوه مصفراً﴾ غير أخضر ﴿لظلوا من بعده يكفرون﴾ بنعمه.

٥٢ ـ ﴿فإنك لاتسمع الموتى ولاتسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين﴾ فلا تحزن لهؤلاء الذين تتبدل بهم الأحوال من إبلاس واستبشار، فهم موتى وصم لايسمعون ٥٣ ـ ﴿وما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم﴾ فقد تعطلت حواسهم ﴿إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا﴾ ويسمع هذه الحجج ﴿فهم مسلمون﴾ منقادون لله.

٥٤ ـ ﴿الله الذي خلقكم من ضعف﴾ فابتدأكم أطفالاً أو نطافا ضعيفة ﴿ثم جعل من بعد ضعف قوة﴾ ببلوغ الأشد ﴿ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة﴾ بالشيخوخة ﴿يخلق ما يشاء﴾ كما يشاء قوة وضعفاً ﴿وهو العليم﴾ بأحوالكم ﴿القدير﴾ على جعلكم كما يريد فهو المدبر لأمركم.

٥٥ ـ ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون﴾ الذين لم يكن هناك مطمع في هدايتهم ﴿ما لبثوا غير ساعة﴾ دلالة على اشتباه الأمر عليهم في أمر الفصل بين الدنيا والبعث ﴿لذلك كانوا يؤفكون﴾ أي يصرفون من الحق إلى الباطل فيدعون إلى الحق بالحجج والآيات فيظنونه باطلاً.

٥٦ ـ ﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان﴾ رداً منهم لقول المجرمين: ﴿لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث﴾ وقلتم ما قلتم لإخلادكم إلى الأرض فتقديركم الفصل بساعة لأنكم كنتم ترون الأمور بمقاييس الدنيا وكنتم تشكون بالبعث ﴿فهذا يوم البعث﴾ الذي كنتم تكذبون ﴿ولكنكم كنتم لاتعلمون﴾ بهذا اليوم فاشتبه عليكم أمر اللبث. ٥٧ ـ ﴿فيومئذ لاينفع الذين ظلموا معذرتهم﴾ عن ظلمهم ﴿ولا هم يستعتبون﴾ فلا يطلب منهم أن يزيلوا العتاب عن أنفسهم.

٥٨ ـ ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ لإظهار الحق لمن أراده ولكنهم كانوا مصروفين عنه مطبوعاً على قلوبهم ﴿ولئن جئتهم بآية﴾ تظهر الحق ﴿ليقولن الذين كفروا﴾ بما طبع على قلوبهم ﴿إن أنتم إلا مبطلون﴾ تحملون الباطل. ٥٩ ـ ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الذين لايعلمون﴾ فيجهلون الله وآياته ومنها البعث وهم يصرون على جهلهم وارتيابهم.

٦٠ ـ ﴿فاصبر﴾ على ما يواجهونك به من أقوال وتهكمات؛ كقولهم: ﴿إن أنتم إلا مبطلون﴾؛ ﴿إن وعد الله حق﴾ وقد وعدك أن ينصرك ﴿ولا يستخفنك الذين لايوقنون﴾ بوعد الله سبحانه، ولايحملنك على الخفة والضجر.﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ ومن جمال السورة أنها بدأت بالوعد وختمت بالوعد، والوعدان كلاهما مبشر بالنصرة.

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

سورة لقمان

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: الدعوة إلى التوحيد، الإيقان بالمعاد، الأخذ بشرائع الدين.

١ ـ ﴿الم﴾ تتشابه مواضيع السور المشتركة في الأحرف المصدرة بها.

٢ ـ ٥ ـ ﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ لاانثلام فيه ولالهو ولاباطل ﴿هدى﴾ تهدي إلى الواقع الحق ﴿ورحمة﴾ ونعمة ﴿للمحسنين﴾ في العقيدة والسلوك ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ وهي أظهر مظاهر العبودية ﴿ويؤتون الزكاة﴾ وهي حق المجتمع ﴿وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ والإيقان بها يستلزم التوحيد والتقوى ﴿أولئك على هدى من ربهم﴾ يهديهم ربهم بإيمانهم ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون.

سُورَةُ لُقْمَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

٦ ـ ٧ ـ ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾ وهو الحديث الذي يلهي عن الحق بنفسه كالحكايات الخرافية والقصص الداعية إلى الفساد والفجور، أو بما يقارنه كالشعر والغناء والملاهي والمعازف ﴿ليضل عن سبيل الله﴾ وهو القرآن الكريم بما فيه من المعارف الحقة الاعتقادية والعملية ﴿بغير علم﴾ ضلالاً وجهلاً ﴿ويتخذها هزوا﴾ وسخرياً بعده حديث الأولين وأساطيرهم ﴿أولئك لهم عذاب مهين﴾ يذلهم حذاء استكبارهم في الدنيا. ﴿وإذا تتلى عليه آياتنا﴾ وقد اشترى لنفسه لهو الحديث ﴿ولى﴾ وأعرض ﴿مستكبراً كأن لم يسمعها﴾ قط ﴿كأن في أذنيه وقراً﴾ وصمماً ﴿فبشره بعذاب أليم﴾ بما كذب واستكبر.

٨ ـ ٩ ـ ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم﴾ بشرى لهم وطوبى ﴿خالدين فيها﴾ أبداً ﴿وعد الله حقاً﴾ إن الله لايخلف الميعاد ﴿وهو العزيز﴾ بلا ذلة، وهو ﴿الحكيم﴾ لايداخل كلامه باطل ولاهزل ولاخرافة.

١٠ ـ ﴿خلق السموات بغير عمد ترونها﴾ أي ترونها ولاعمد لها، أو بغير عمد مرئية؛ إشعاراً بأن هناك أعمدة غير مرئية ﴿وألقى في الأرض رواسي﴾ وهي الجبال الشامخة حذر ﴿أن تميد بكم﴾ وتضطرب وتتزلزل ﴿وبث﴾ ونشر ﴿فيها من كل دابة﴾ من الحيوانات التي تدب عليها ﴿وأنزلنا من السماء ماء﴾ ومنه كل شيء حي ﴿وأنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ ففي النبات أزواج نباتية شريفة فيها منافع وفوائد.

١١ ـ ﴿هذا خلق الله﴾ وتدبيره الذي يثبت ألوهيته ﴿فأروني﴾ خطاب من النبي ﷺ ﴿ماذا خلق الذين من دونه﴾ من آلهتكم وأربابكم؛ فلو كان لهم تدبير لكان لهم خلق ﴿بل الظالمون في ضلال مبين﴾ لقولهم: إن الخلق لله وإن التدبير لآلهتهم.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

١٢ ـ ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ وهي المعرفة العلمية النافعة، وهي وسط الاعتدال بين الجهل والجربزة أو المغالاة في التطرق إلى ما يفيد ﴿أن اشكر لله﴾ فإيتاؤه الحكمة بعث له على الشكر الذي يظهر إنعام المنعم ﴿ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه﴾ فالشكر يعود على الشاكر نفسه، والله لاينتفع به ﴿ومن كفر﴾ فكفره على نفسه ﴿إن الله غني﴾ عن شكر الشاكر ﴿حميد﴾ محمود على ما أنعم سواء كان المنعم عليه شاكراً أم كفوراً.

١٣ ـ ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾ وعظمة كل عمل بعظمة أثره، وعظمة المعصية بعظمة المعصي، لأن مؤاخذة العظيم عظيمة، وأعظم معاصيه تعالى الشرك.

١٤ ـ ﴿ووصينا الإنسان بوالديه﴾ أمر للإنسان بأداء حقهما فعقوق الوالدين من السبع الموبقات إذ لايدخل الجنة عاقّ لوالديه ﴿حملته أمه وهناً على وهن﴾ أي ضعفاً على ضعف ولا شيء يعدل عناء الأم بولدها ﴿وحمله وفصاله﴾ أي فطامه ﴿في عامين﴾ فالإرضاع يمكن أن يكون منهما ﴿أن اشكر لي ولوالديك﴾ فوجوب الشكر للوالدين كوجوب الشكر لله ﴿إليّ المصير﴾ إنذار وتأكيد للأمر بالشكر ١٥ ـ ﴿وإن جاهداك﴾ وألحا عليك ﴿على أن تشرك بي ما ليس لك به علم﴾ شريكاً لي ﴿فلا تطعهما﴾ فالشريك المفروض لله معدوم، وهنا يسقط واجب الطاعة لتعلو وشيجة العقيدة على الدم ﴿وصاحبهما في الدنيا﴾ وأمورها غير الدينية ﴿معروفاً﴾ مع رفق ولين؛ فليست الدنيا إلا أياما متصرمة ﴿واتبع سبيل من أناب إليّ﴾ فلو كانا منيبين إلى الله فاتبع سبيلهما وإن لم يكونا منيبين فاتبع سبيل من أناب ﴿ثم إليّ مرجعكم﴾ يوم القيامة ﴿فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ فأقضي بينكم بعد إظهار حقيقة أعمالكم.

١٦ ـ ﴿يا بني إنها﴾ أي خصال أعمالك من خير أو شر ﴿إن تك مثقال حبة من خردل﴾ مما لايعتد بقيمته ﴿فتكن في﴾ جوف ﴿صخرة أو﴾ في أي مكان ﴿في السموات أو في الأرض يأت بها الله﴾ للحساب والجزاء ﴿إن الله لطيف﴾ ينفذ علمه في أعماق الأشياء، ويصل إلى كل خفي ﴿خبير﴾ يعلم كنه الموجودات وخفاياها.

١٧ ـ ﴿يا بني أقم الصلاة﴾ فهي عمود الدين ﴿وأمر بالمعروف وانه عن المنكر﴾ فلا يتم صلاح الفرد إلا بصلاح مجتمعه ﴿واصبر على ما أصابك﴾ فالصبر من الأخلاق الفاضلة ﴿إن ذلك من عزم الأمور﴾ وهو حبس النفس في الأمر ليثبت على ما عزم.

١٨ ـ ﴿ولا تصعر خدك للناس﴾ لاتمله معرضاً عنهم تكبراً ﴿ولاتمش في الأرض مرحاً﴾ كمشية من اشتد فرحه ﴿إن الله لايحب كل مختال﴾ متكبر بتخيل الفضيلة ﴿فخور﴾ متفاخر بنفسه.

١٩ ـ ﴿واقصد في مشيك﴾ واعتدل فيه ﴿واغضض من صوتك﴾ أخفضه ﴿إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ لمبالغتها في رفعه، والحمار ونهيقه مثلان للذم.

٢٠ ـ ﴿ألم تروا﴾ تنبيه للنبي ﷺ وقد اشتد وجده من جهل المخاطبين وتماديهم في غيهم وغفلتهم ﴿أن الله سخر لكم ما في السموات والأرض﴾ وقد ارتبطت أجزاء الكون في نظام عام يدبر أمر العالم عامة والإنسان خاصة. والتسخير قهر الفاعل في فعله، بحيث يفعله على ما يستدعيه القاهر ﴿وأسبغ﴾ أي أتم ﴿عليكم نعمه ظاهرة﴾ كالسمع والبصر والحواس والجوارح والرزق ﴿وباطنة﴾ أي غائبة من الحس كالشعور والإرادة والعقل ﴿ومن الناس من يجادل في الله﴾ ويخاصم به ﴿بغير علم﴾ مكتسب من حجة عقلية ﴿ولا هدى﴾ من وحي أو إلهام ﴿ولا كتاب منير﴾ سماوي، وهذه هي طرق ثلاث من العلم لارابع لها.

٢١ ـ ٢٢ ـ ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله﴾ دعوة إلى دين التوحيد الذي يدل عليه الكتاب النازل من عند الله ﴿قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا﴾ تحكماً بغير حجة ﴿أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير﴾ فالاتباع يحسن إذا كانواعلى حق، أوَ يتبعونهم لو لم يدعهم الشيطان ولو دعاهم؟! ﴿ومن يسلم وجهه لله﴾ ويقبل بكليته عليه ﴿وهو محسن﴾ يأتي بالأعمال الصالحة عن إيقان بالآخرة ﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ فهو ناج غير هالك ﴿وإلى الله عاقبة الأمور﴾ لنيل الوعد بالنجاة والفلاح.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

٢٣ ـ ٢٤ ـ ﴿ومن كفر فلا يحزنك كفره﴾ تطييب لنفس النبي ﷺ ﴿إلينا مرجعهم﴾ ﴿إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم﴾ ﴿فننبئهم بما عملوا﴾ ﴿ولا ينبؤك مثل خبير﴾ ﴿إن الله عليم بذات الصدور﴾ يعلم ما يسرون ﴿نمتعهم قليلاً﴾ في الدنيا ﴿ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ﴾ فهم مغلوبون مقهورون على كل حال، وأمرهم إلى الله.

٢٥ ـ ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ إشارة إلى أنهم مفطورون على التوحيد، وإذا كان هو الخالق فهو المدبر ﴿قل الحمد لله﴾ يا محمد ثناء عليه لاعترافهم ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ وقليلهم يجحدون وقد استيقنت أنفسهم.

٢٦ ـ ﴿لله ما في السموات والأرض﴾ فهو مبدىء كل خلق ومعطي كل كمال ﴿إن الله هو الغني﴾ على الإطلاق فله التدبير والتصرف وهو ﴿الحميد﴾ الذي يعود إليه الثناء على كل جميل وكل خلقه جميل.

٢٧ ـ ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾ بجعل الأشجار أقلاماً ﴿والبحر يمده من بعده سبعة أبحر﴾ السبعة للتكثير دون خصوص العدد، وكتب بها كلمات الله بتبديلها ألفاظاً دالة عليها ﴿ما نفدت كلمات الله﴾ لكونها غير متناهية ومن هذه الكلمات قوله تعالى ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون﴾ ومن كلماته قوله ﴿ولولا كلمةٌ سبقت من ربك لكان لزاماً﴾ ومنها خلقه فيحيى كلمةٌ من الله ﴿إن الله عزيز﴾ لايقهره شيء، ولاينفد ما عنده بالكتابة وهو ﴿حكيم﴾ لايفوض التدبير إلى غيره.

٢٨ ـ ﴿ماخلقكم ولابعثكم إلا كنفس واحدة﴾ فلا مكان لاستبعادكم المعاد لكثرة الموتى واختلاطهم بالأرض من غير

تميز، فلا فرق بين البدء والعود، ولايتصف فعله بالسهولة والصعوبة ﴿إن الله سميع﴾ لأقوالكم ﴿بصير﴾ بأعمالكم لاتخفى عليه خافية فيجازيكم بما كسبتم.

٢٩ ـ ﴿ألم تر أن الله يولج الليل في النهار﴾ فيأخذ من طوله ﴿ويولج النهار في الليل﴾ فينقص منه ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ على نظام ثابت جارٍ على اختلاف الفصول ﴿كل يجري لأجل مسمى﴾ ينتهي فيه كل وضع من أوضاعهما ﴿وأن الله بما تعملون خبير﴾ فمن شاهد الفطرة في نفسه ونظام الأعمال في أجهزة بدنه وتوزعها إلى قوى ظاهرة من سمع وبصر وغير ذلك، وقوى باطنة مدركة، لم يرتب أن ذلك تقدير من ربه الخبير بخلقه وبما يصنعون.

٣٠ ـ ﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾ قصر له تعالى في ثبوت لا يعتريه بطلان، فكل ما في الوجود يستند إليه وكافة الكمالات الوجودية قائمة به ولاشريك يشاركه في التدبير ﴿وأن ما يدعون من دونه الباطل﴾ لأنه لا شريك له في الألوهية والربوبية ﴿وأن الله هو العلي﴾ المنزه عما لايليق بساحته ﴿الكبير﴾ يسع كل كمال وجودي فهو الذات المستجمعة لجميع صفات الكمال. فهو حق واجب الوجود وعلي منزه من الصفات السلبية وكبير يعطي كمال الوجود.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ۖ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

سُورَةُ السَّجْدَةِ

٣١ ـ ٣٢ ـ ﴿ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله﴾ أي بسببها من ريح وغيره ﴿ليريكم من آياته﴾ ما يستوجب شكره ﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار﴾ كثير الصبر ﴿شكور﴾ كثير الشكر على النعماء. ﴿وإذا غشيهم موج كالظلل﴾ أي كقطع السحاب ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ وهذا دليل على أنهم مفطورون على التوحيد ﴿فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد﴾ فقليل منهم سالك القصد وهو طريق التوحيد المستقيم ﴿وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار﴾ غدار ﴿كفور﴾ جاحد.

٣٣ ـ ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾ وهو الله ﴿واخشوا يوماً﴾ هو يوم القيامة ﴿لايجزي﴾ ولايغني ﴿والد عن ولده ولا مولود هو جازٍ﴾ ولا مغنٍ ولا كافٍ ﴿عن والده شيئاً﴾ ﴿إن وعد الله﴾ بالبعث ﴿حق﴾ لا يتخلف ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾ بزينتها ﴿ولايغرنكم بالله الغرور﴾ في شؤون الدنيا أو خصوص الشيطان الذي أقسم ليغوينكم أجمعين إذا دخلتم تحت ولايته.

٣٤ ـ ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ لايعلمه إلا هو ﴿وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام﴾ ولو كان من الممكن أن يعلمه غيره ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾ فالإنسان يجهل كل ما يجري عليه من الحوادث ولو علم الغيب لاستكثر الخير ودفع عن نفسه السوء والمكاره ونظام الحياة الدنيا قائمٌ على أن تكشف للمرء أشياء وتحجب عنه أشياء وذلك ليكتمل نظام الاختبار والامتحان ومن ثم المجازاة.

سورة السجدة

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: تقرير المبدأ والمعاد وإقامة الحجة عليهما، دفع ما يختلج القلوب في ذلك، الإشارة إلى النبوة والكتاب، بيان ما يتميز به كل من المؤمنين والفاسقين مع وعد ووعيد.

١ ـ ﴿الم﴾ إعجاز بحروف من اللغة نفسها والجاء إلى الاستماع على ما قيل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَآءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَٰرَ وَالْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

٢ ـ ﴿تنزيل الكتاب﴾ وهو القرآن لاريب فيه ولاشك ﴿من رب العالمين﴾ تعالى عما يقولون أن لكل عالم إلهاً.

٣ ـ ﴿أم﴾ بمعنى بل ﴿يقولون افتراه﴾ على الله ﴿بل هو الحق من ربك﴾ النازل من عنده ﴿لتنذر قوماً﴾ قيل هم قريش ﴿ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ فلا كتاب لهم ولاشريعة ﴿لعلهم يهتدون﴾ بالرسالة.

٤ ـ ٥ ـ ﴿الله الذي خلق السموات والأرض﴾ إنشاء من عدم ﴿ثم استوى على العرش﴾ أي قام مقام التدبير في الموجودات بنظام عام إجمالي يحكم الجميع ﴿ما لكم من دونه من ولي﴾ يملك تدبير الأمور ﴿ولاشفيع﴾ يتمم السبب الناقص في تأثيره؛ كأجزاء الأسباب المركبة وشرائطها. فكل من السحاب والمطر والشمس والظل شفيع للنبات. لا ينمو بغير هذه الأسباب ﴿أفلا تتذكرون﴾ استفهام توبيخي لإعراضهم عن أدلة العقول التي تذكر أن الملك والتدبير له سبحانه وهو المعبود الحق. ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض﴾ فالتدبير وضع الشيء في دابر الشيء، فيرجع إلى إظهار الحوادث واحداً بعد واحد كالسلسلة المتصلة بين السماء والأرض. ﴿ثم يعرج إليه﴾ ظاهر العروج أنه صعود الطريق التي وصل منها إلى مقام القرب الذي تنتهي إليه أزمة الأمور ﴿في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ في العالم الأرضي.

٦ ـ ٨ ـ ﴿ذلك عالم الغيب والشهادة﴾ فالله سبحانه محيط بهما جميعاً وهو ﴿العزيز﴾ لايقهره ولايعزه شيء وهو ﴿الرحيم﴾ بعباده فرحمته هداية ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾ والحسن كل مبهج مرغوب فيه إما من جهة العقل أو من جهة الهوى أو من جهة الحس. والتدبر في الأشياء يظهر تلاؤمها مع بعضها، أما المساءة والقبح في الأشياء فتعود لأحد أمرين: إما لكون الشيء المسيء ذا عنوان عدمي فالظلم ليس بسيء من جهة نفس العمل الخارجي بل بما أنه مبطل لحق ثابت؛ أو بقياسه لشيء آخر كقياس الشوك إلى الورد. ﴿وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ فخلق آدم وحواء كان من طين ﴿ثم﴾ للتراخي ﴿جعل نسله﴾ ينسل وينتزع ﴿من سلالة﴾ أي صفوة ﴿من ماء مهين﴾ ضعيف حقير ﴿ثم سواه﴾ أي صوره ﴿ونفخ فيه من روحه﴾ أي من روح شريف منسوب إليه تعالى ﴿وجعل لكم السمع والأبصار﴾ للمحسوسات

﴿والأفئدة﴾ للفكريات ﴿قليلاً ما تشكرون﴾ فالإنعام الإلهي الشامل يربو على شكركم وأكثركم مقصرون.

٩ ـ ﴿وقالوا أئذا ضللنا في الأرض﴾ أي انتشرت أجزاء أبداننا فيها، ولم تعد أجزاؤنا تتميز ﴿أئنا لفي خلق جديد﴾ وبعث بعد ذلك ﴿بل هم بلقاء ربهم كافرون﴾ وهذا لازم قولهم. ١٠ ـ ﴿قل يتوفاكم ملك الموت﴾ والوفاة أخذ الشيء أخذاً كاملاً ﴿الذي وكل بكم﴾ فهو ينزع أرواحكم من أبدانكم ويحفظها، فهو السبب القريب؛ والله هو مسبب الأسباب ﴿ثم إلى ربكم ترجعون﴾ عند البعث، حيث ترجع الأرواح إلى الأجساد. ١١ ـ ﴿ولو ترى إذ المجرمون﴾ المنكرون لقاء الله ﴿ناكسوا رؤوسهم﴾ مطرقون ﴿عند ربهم ربنا أبصرنا﴾ بالمشاهدة ﴿وسمعنا﴾ بالطاعة ﴿فارجعنا نعمل عملاً صالحاً إنا موقنون﴾ أن النجاة في الإيمان والعمل الصالح. ١٢ ـ ١٤ ـ ﴿ولو شئنا﴾ أن نعطي كل نفس؛ أعم من المؤمنة والكافرة؛ الهدى، أي لو شئنا أن نعطي كافة النفوس الهداية ﴿لآتينا كل نفس هداها﴾ الذي يختص بها ويناسبها بأن نشاء من طريق اختيار الكافر أن نجعله يتلبس بالهدى؛ فيتلبس به من طريق الاختيار والإرادة كما شئنا في المؤمن كذلك؛ فيتلبس ـ أي الكافر ـ بالهدى باختيار منه وإرادة، دون أن ينجر إلى الإلحاد؛ فيبطل التكليف ويلغو الجزاء. ﴿ولكن حق القول مني﴾ بقضاء سابق محتوم ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ ولازم ذلك عدم هداية الظالمين وفسقهم. ﴿فذوقوا﴾ العذاب ﴿بما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ وجحدتم به ﴿إنا نسيناكم﴾ ولم نعتن بما يهمكم من السعادة والنجاة ﴿وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون﴾ من أعمال سيئة. ١٥ ـ ﴿إنما يؤمن بآياتنا﴾ حصر للإيمان بحقيقة معناه في ﴿الذين إذا ذكروا بها﴾ وهي تدلهم على التوحيد والمعاد والدعوة إلى الإيمان والعمل ﴿خروا سجداً﴾ تذللاً واستكانة ﴿وسبحوا بحمد ربهم﴾ نزهوه مع الثناء الجميل عليه ﴿وهم لايستكبرون﴾ عن الخضوع لمقام الربوبية والألوهية. ١٦ ـ ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ كناية عن ترك النوم ﴿يدعون ربهم﴾ في جوف الليل ﴿خوفاً﴾ من غضبه ﴿وطمعاً﴾ في ثوابه وذلك التزاماً بأدب العبودية ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ وهذه صفة أخرى لهم. ١٧ ـ ﴿فلا تعلم نفس﴾ وهذا فوق تصورهم ﴿ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ مما يبهج نفوسهم ويقرّ أعينهم ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ وثواباً لهم على أعمالهم. ١٨ ـ ﴿أفمن كان مؤمناً﴾ ولازم الإيمان الالتزام العملي بما آمن به ﴿كمن كان فاسقاً﴾ خارجاً عن التلبس بزي العبودية ﴿لايستوون﴾ . والاستفهام في الآية للإنكار وقد حاج الحسن بن علي عليه السلام الوليد بن عقبة عند معاوية فقال له: فوالله ما ألومك أن تبغض عليا وقد جلدك في الخمر ثمانين جلدة وقتل أباك صبرا بيده يوم بدر، أم كيف تسبه وقد سماه الله مؤمنا في عشر آيات من القرآن وسماك فاسقاً: ﴿أفمن كان مؤمناً﴾... الآية. ١٩ ـ ﴿أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلاً﴾ وإقامة ﴿بما كانوا يعملون﴾ فالعمل الصالح يستتبع طيب الأثر. ٢٠ ـ ﴿وأما الذين فسقوا﴾ بإنكار المعاد ﴿فمأواهم النار﴾ فهم خالدون فيها ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها﴾ فلا مأوى لهم

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾

غيرها ﴿وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون﴾ وقد كنتم تنكرون المعاد وتشتمون المؤمنين به.

٢١ ـ ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى﴾ أي الأقرب مثل القحط والأمراض والقتل ﴿دون﴾ أي قبل ﴿العذاب الأكبر﴾ يوم القيامة ﴿لعلهم يرجعون﴾ إلينا بالتوبة من شركهم وجحودهم. وفي الدر المنثور عن الرسول ﷺ في الآية: هي المصائب والأسقام والأنصاب عذاب للمسرف في الدنيا دون عذاب الآخرة، وهي للمؤمنين زكاة وطهور.

٢٢ ـ ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها﴾ وهذا أشد الظلم ﴿إنا من المجرمين منتقمون﴾ لأنهم ظالمون فلا يحسبن الظالم أن الله مخلف وعد رسله والله عزيزٌ ذو انتقام.

٢٣ ـ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ كما آتيناك القرآن ﴿فلا تك في مرية من لقائه﴾ تعالى يوم البعث، فالشك بالبعث الذي ينطق به القرآن هو شك في القرآن نفسه. ويمكن أن يكون المراد بلقائه الانقطاع التام إليه تعالى عند وحي القرآن ﴿وجعلناه هدى لبني إسرائيل﴾ فالتوراة تثبت المعاد.

٢٤ ـ ٢٥ ـ ﴿وجعلنا منهم﴾ أي من بني إسرائيل ﴿أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا﴾ أي نصبناهم أئمة لأنهم صبروا في الدين ﴿وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ ويذعنون بحقيقتها ﴿إن ربك يفصل بينهم يوم القيامة﴾ فهو يقضي ﴿فيما كانوا فيه يختلفون﴾ فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم.

٢٦ ـ ﴿أو لم يهد لهم﴾ ويتبين ﴿كم أهلكنا من قبلهم من القرون﴾ والقرن هو الجماعة التي تعيش في عصر واحد ﴿يمشون في مساكنهم﴾ بعد هلاكهم ﴿إن في ذلك لآيات﴾ دالة ﴿أفلا يسمعون﴾ المواعظ التي تؤدي إلى قبول الحق.

٢٧ ـ ﴿أولم يروا أنا نسوق الماء﴾ بدفعه إلى الجريان ﴿إلى الأرض الجرز﴾ اليابسة التي لا نبات فيها لانقطاع الأمطار عنها ﴿فنخرج به زرعاً﴾ ونباتاً ﴿تأكل منه أنعامهم وأنفسهم﴾ وفي هذا تدبير من الله لمقاصد حياتهم ﴿أفلا يبصرون﴾ ولو أبصروا لاتعظوا.

٢٨ ـ ٣٠ ـ ﴿ويقولون متى هذا الفتح﴾ الدنيوي ﴿إن كنتم صادقين﴾ فيما تقولون ﴿قل يوم الفتح لاينفع الذين كفروا إيمانهم﴾ فلم تستعجلون الفتح؟ ﴿ولاهم﴾ عندئذ ﴿ينظرون﴾ ولا يمهلون ﴿فأعرض عنهم﴾ وانتظر الفتح ﴿إنهم منتظرون﴾ قتلك يا محمد أو موتك أو انقطاع دابر دعوتك الحقة.

وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ الأَحْزَابِ

سورة الأحزاب

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: تمييز المؤمنين بجهادهم عن المنافقين المتقاعسين، بيان أنّ الكرامة لمن نالت شرف الزواج بالرسول ﷺ إنما تكون اذا تقارنت بالإحسان والتقوى. ١ ـ ﴿يا أيها النبي اتق الله ولاتطع الكافرين والمنافقين﴾ وقد ورد أن عدة من صناديد قريش دخلوا المدينة بأمان من النبي ﷺ بعد أحد وسألوه أن يتركهم وآلهتهم فيتركوه وإلهه؛ فلم يجبهم، ونزلت الآيات ﴿إن الله كان عليماً﴾ بسؤال الكافرين وإلحاح المنافقين، ﴿حكيماً﴾ في قضائه بعدم طاعتهم. ٢ ـ ٣ ـ ﴿واتبع ما يوحى إليك من ربك﴾ مع قصر الاتباع على الوحي الإلهي ﴿إن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ والاتباع هو الإجراء عملاً ﴿وتوكل على الله﴾ فيما يأمر به الوحي ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ وهو مالك الأسباب، فلا تخف من الأسباب الظاهرية فإنه السبب الوحيد الذي لايغلبه غالب. ٤ ـ ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ فلا يمكن أن تسع النفس اعتقادين متنافيين، وقيل أن الآية نفي على الجمع بين الزوجية والأمومة، وبين بنوة الغير وبنوة النفس أو يمكن أن تكون تعليلاً لما سبق فإن طاعة الله وولايته وطاعة الكفار والمنافقين وولايتهم متنافيتان متباينتان ﴿وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهنّ أمهاتكم﴾ وقد كان الرجل في الجاهلية يقول لزوجته: أنت مني كظهر أمي أو ظهرك علي كظهر أمي، وكان ذلك يسمى ظهاراً ويعد طلاقاً، وقد ألغاه الإسلام ﴿وما جعل أدعياءكم﴾ والدعي هو المتخذ ابنا ﴿أبناءكم﴾ وقد كان التبني دائراً بينهم في الجاهلية وكذلك اليوم بين الأمم المعاصرة فهم يرتبون على الولد الدعي أحكام الولد الصلبي ﴿ذلكم قولكم بأفواهكم﴾ فنسبة الدعي إلى أنفسكم قول لاأثر له ﴿والله يقول الحق﴾ ويخبر عن الواقع، ويرتب الآثار على الأحكام ﴿وهو يهدي السبيل﴾ التي فيها الخير والسعادة. ٥ ـ ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ أي انسبوهم إلى آبائهم ﴿هو أقسط عند الله﴾ وأعدل ﴿فإن لم تعلموا ءاباءهم﴾ فلا تنسبوهم إلى غيرهم ﴿فإخوانكم في الدين﴾ أي ادعوهم بالأخوة الدينية ﴿ومواليكم﴾ أي بينكم الموالاة الدينية ﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به﴾ ولاذنب لكم إذا دعوتموهم خطأ لغير آبائهم ﴿ولكن ما تعمدت قلوبكم﴾ ففيه الذنب ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ يستر الخطأويجبر النقيصة. ٦ ـ ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ فجانب النبي أرجح عند المؤمن من جانب نفسه في الأمور الدينية والدنيوية فليكن النبي ﷺ أحب إليه من نفسه، ﴿وأزواجه﴾ ﷺ بمنزلة ﴿أمهاتهم﴾ في وجوب تعظيمهن وحرمة نكاحهن من بعده ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ فالقرابة الرحمية الأولى مقدمة على غيرها ﴿من المؤمنين﴾ غير المهاجرين ﴿والمهاجرين﴾ فلا توارث إلا بالنسب ﴿إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم

بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۖ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۖ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

معروفاً﴾ فتوصوا لهم بشيء من التركة، وقد حد شرعاً بثلث المال فما دونه ﴿كان ذلك في الكتاب مسطوراً﴾ فحكم فعل المعروف بالوصية مسطور في اللوح المحفوظ أو القرآن أو السورة.

٧ ـ ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم﴾ ويمكن أن يكون أمراً متعلقاً بالنبوة أو مأخوذاً على وحدة الكلمة وعدم الاختلاف في الدين ﴿ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم﴾ وقد خصصهم الله لأنهم أولو العزم وقدم النبي لفضله وشرفه وتقدمه على الجميع ﴿وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً﴾ تأكيد للميثاق. ٨ ـ ﴿ليسأل الصادقين عن صدقهم﴾ مطالبة لهم أن يظهروا ما في باطنهم من الصدق في مرتبة القول والفعل وهو عملهم الصالح في الدنيا ﴿وأعد للكافرين عذاباً أليماً﴾ لعدم أخذهم بميثاق النبيين. ٩ ـ ١٠ ـ ﴿يا أيها الذين ءامنوا اذكروا نعمة الله عليكم﴾ تذكير بأيام الخندق ﴿إذ جاءتكم جنود﴾ من أحزاب الشيطان كجند غطفان وقريش وغيرهما ﴿فأرسلنا عليهم﴾ نعمةً منا ﴿ريحاً﴾ هي ريح الصبا الباردة في ليال شاتية ﴿وجنوداً لم تروها﴾ وهي الملائكة لخذلان المشركين ﴿وكان الله بما تعملون بصيراً﴾ فهو يرى أعمالكم ﴿إذ جاؤوكم من فوقكم﴾ من الجانب الشرقي للمدينة حيث جاءت غطفان ويهود بني قريظة وبني النضير ﴿ومن أسفل منكم﴾ من الجانب الغربي حيث جاءت قريش وكنانة والأحابيش ﴿وإذ زاغت الأبصار﴾ ومالت ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ كنايتان عن كمال غشيان الخوف لهم حتى حولهم إلى حال المحتضر ﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ أي يظن المنافقون والذين في قلوبهم مرض أن الكفار سيغلبون وأن الإسلام سيمحق وأن الجاهلية ستعود وغر هؤلاء دينهم. ١١ ـ ﴿هنالك ابتلي المؤمنون﴾ وامتحنوا ﴿وزلزلوا زلزالاً شديداً﴾ أي اضطربوا بشدة. ١٢ ـ ١٣ ـ ﴿وإذ يقول المنافقون﴾ الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان ﴿والذين في قلوبهم مرضٌ﴾ وهم ضعفاء الإيمان من المؤمنين ﴿ما وعدنا الله ورسوله﴾ وهو وعد الفتح ﴿إلا غروراً﴾ والغرور حمل الإنسان على الشر بإرائته في صورة الخير، والاغترار احتماله. وقد ورد عن المنافقين قولهم يعدنا محمد أن يفتح مدائن كسرى وقيصر ونحن لانأمن أن نذهب إلى الخلاء ﴿وإذ قالت طائفةٌ منهم يا أهل يثرب﴾ وهو اسم المدينة قبل الإسلام ﴿لامقام لكم فارجعوا﴾ أي لاوجه لإقامتكم ههنا قبال جنود المشركين فالغلبة لهم لامحالة ﴿ويستأذن فريق منهم﴾ أي المنافقين ﴿النبي﴾ في الرجوع ﴿يقولون إن بيوتنا عورةٌ﴾ لايأمن صاحبها دخول السارق وزحف العدو ﴿وما هي بعورةٍ إن يريدون﴾ بقولهم هذا ﴿إلا فراراً﴾ من أعباء الجهاد. ١٤ ـ ١٥ ـ ﴿ولو دخلت﴾ البيوت ﴿عليهم من أقطارها﴾ أي جوانبها وهم فيها ﴿ثم سئلوا الفتنة﴾ والردة عن الدين ﴿لأتوها﴾ وارتدوا عن دينهم ﴿وما تلبثوا﴾ وما تأخروا ﴿بها إلا يسيراً﴾ فهم يقيمون على الدين ما دام الرخاء فإذا هجمت الشدة لم يلبثوا دون أن يرجعوا ﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل﴾ وهذا العهد ربما كان بيعتهم بالإيمان بالله ورسوله ﴿لايولون الأدبار﴾ ولايفرون من الجهاد ﴿وكان عهد الله مسؤولاً﴾ ليسأل الصادقين عن صدقهم والمعوقين

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ۛ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾

والمتخلفين عن تقاعسهم.

١٦ ـ ١٧ ـ ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل﴾ فلكل نفس أجل محتوم، وإذا نفعكم الفرار ﴿وإذاً لاتمتعون إلا﴾ زمناً ﴿قليلاً﴾ متصرماً لا يؤبه به ﴿قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمةً﴾ فالخير والشر تابعان لإرادة الله لايمنع عن نفوذها سبب ﴿ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولانصيراً﴾ فالحزم إيكال الأمر إلى إرادته تعالى والقرار على أمره بالتوكل عليه.

١٨ ـ ١٩ ـ ﴿قد يعلم الله المعوقين﴾ المثبطين للناس ﴿منكم والقائلين لإخوانهم﴾ من المنافقين ليصرفوهم عن القتال ﴿هلم إلينا﴾ أي أقبلوا ﴿ولايأتون البأس﴾ ولايحضرون الحرب ﴿إلا قليلاً﴾ حفظاً لأنفسهم ﴿أشحة عليكم﴾ أي بخلاء بأنفسهم ﴿فإذا جاء الخوف﴾ كالذي يغشى عليه من الموت لرعبه فإذا ذهب الخوف والشدة بظهور علامات القتال ﴿رأيتهم ينظرون إليك﴾ بلا إرادة ﴿تدور أعينهم﴾ بلا استقرار ﴿سلقوكم﴾ أي طعنوكم ﴿بألسنة حداد أشحة على الخير﴾ بخيلة به ﴿أولئك لم يؤمنوا﴾ ولم يستقر الإيمان في قلوبهم ﴿فأحبط الله أعمالهم﴾ وأبطلها ﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾ لعلمه ما في قلوبهم.

٢٠ ـ ﴿يحسبون﴾ من شدة خوفهم أن ﴿الأحزاب﴾ وهم جنود المشركين المتحزبون على الرسول ﴿لم يذهبوا﴾ بعد ﴿وإن يأت الأحزاب﴾ ثانية ﴿يودوا﴾ ويحبوا ﴿أنهم بادون في الأعراب﴾ أي خارجون من المدينة إلى البدو ﴿يسألون عن أنبائكم﴾ وأخباركم ﴿لو كانوا فيكم﴾ ولم يخرجوا بادين ﴿ما قاتلوا إلا قليلاً﴾ فلا ترجى فائدة في لزومهم إياكم وكونهم معكم إذ لا يعتد بهم.

٢١ ـ ﴿لقد كان لكم في رسول الله﴾ في مورده ﴿أسوة حسنة﴾ تقتدون بها وأنتم ترون ما يقاسيه في جنب الله ﴿لمن كان يرجو الله﴾ فتعلق قلبه به ﴿واليوم الآخر﴾ فعمل صالحاً ﴿وذكر الله كثيراً﴾ فكان لايغفل عن ربه فتأسى بالنبي في أفعاله وأعماله.

٢٢ ـ ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب﴾ وقد نزلت جيوشهم حول المدينة ﴿قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله﴾ أي كان ذلك سبباً في تصديقهم لله ﴿وصدق الله ورسوله﴾ وقد وعدهم أن الأحزاب سيتظاهرون عليهم ﴿وما زادهم إلا إيماناً﴾ بالله ورسوله ﴿وتسليماً﴾ لأمر الله بنصرة دينه والجهاد في سبيله.

قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

٢٣ ـ ﴿من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ فلم يفروا ولم يولوا الأدبار ﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ بموت أو قتل في سبيل الله ﴿ومنهم من ينتظر﴾ ذلك ﴿وما بدلوا تبديلاً﴾ ما كانوا عليه من قول أو عهد.

٢٤ ـ ﴿ليجزي الله الصادقين بصدقهم﴾ في عهدهم ﴿ويعذب المنافقين إن شاء﴾ تعذيبهم، وذلك فيما لم يتوبوا ﴿أو يتوب عليهم﴾ إن تابوا ﴿إن الله كان غفوراً رحيماً﴾ فالمعاصي يمكن أن تسوق النفس إلى حيث تتوحش وتتنبه فتتوب إلى ربها فيتوب الله عليها.

٢٥ ـ ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم﴾ وغمهم وحنقهم ﴿لم ينالوا﴾ ما يعدونه ﴿خيراً﴾ وهو الظفر بالنبي ﷺ والمؤمنين ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ فلم يقاتلوا ﴿وكان الله قوياً﴾ على ما يريد ﴿عزيزاً﴾ لايغلب وقد نصركم دون قتال من علو عزته.

٢٦ ـ ﴿وأنزل﴾ بني قريظة ﴿الذين﴾ عاونوا المشركين و ﴿ظاهروهم من أهل الكتاب﴾ وهم اليهود ﴿من صياصيهم﴾ أي حصونهم ﴿وقذف﴾ وألقى ﴿في قلوبهم الرعب﴾ والخوف ﴿فريقاً تقتلون﴾ وهم الرجال ﴿وتأسرون فريقاً﴾ وهم الذراري والنساء.

٢٧ ـ ﴿وأورثكم﴾ وملككم بعدهم ﴿أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها﴾ وهي أرض خيبر أو التي أفاء الله ﴿وكان الله على كل شيء قديراً﴾ فلا يعجزه شيء.

٢٨ ـ ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك﴾ السياق يلوح بأن أزواج النبي أو بعضهن كانت لاترتضي ما في عيشتهن في بيت النبي ﷺ من الضيق والضنك فاشتكت فأمر الله سبحانه نبيه أن يقول لهن ﴿إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها﴾ بجعلها الأصل سواء أريدت الآخرة أم لا ﴿فتعالين أمتعكن﴾ من مال الدنيا ﴿وأسرحكن﴾ بالطلاق ﴿سراحاً جميلاً﴾ ويتبين أن ليس لزوجية النبي ﷺ من حيث هي زوجية كرامة عند الله سبحانه، إنما الكرامة لمقارنة الإحسان والتقوى.

٢٩ ـ ﴿وإن كنتن تردن﴾ وتخترن ﴿الله ورسوله والدار الآخرة وهي﴾ ملاك السعادة ،مع الصبر على ضيق العيش والحرمان، كناية عن البقاء في زوجية النبي ﴿فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً﴾ فإن لم تكن محسنات لم يكن لكن إلا خسران الدنيا والآخرة.

٣٠ ـ ﴿يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة﴾ أوفعلة شنيعة ظاهرةكإيذاء النبي والافتراء والغيبة ﴿يضاعف لها العذاب ضعفين﴾ أي مثلين ﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾ ولايمنع من ذلك كرامة الزوجية إذ لاكرامة إلاللتقوى .

﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾

٣١ ـ ﴿ومن يقنت منكن﴾ وتخضع ﴿لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين﴾ أي ضعفين ﴿وأعتدنالهارزقاً كريماً﴾ في الجنة. ٣٢ ـ ﴿يانساءالنبي لستن كأحد من النساء﴾ فأنتن أعلى منزلة ﴿إن اتقيتن﴾ فتكاليفكن مضا عفة ﴿فلا تخضعن بالقول﴾ نهي عن تليين وترقيق الكلام مع الرجال بما يدعو إلى الريبة والشهوة ﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ وهو فقدان قوة الإيمان التي تردعه عن الميل الى الفحشاء ﴿وقلن قولاً معروفاً﴾ أي كلاماً يعرفه الشرع الإسلامي وهو القول الذي لايشير بلحنه إلى أزيد من مدلوله. ٣٣ ـ ﴿وقرن في بيوتكن﴾ واثبتن فيها ﴿ولاتبرجن﴾ والتبرج هو الظهور للناس بما يلفت الأنظار كظهور البروج لناظريها ﴿تبرج الجاهلية الأولى﴾ قبل البعثة ﴿وأقمن الصلاة وآتين الزكاة﴾ وهما ركنان في العبادات والمعاملات ﴿وأطعن الله ورسوله﴾ أمر بامتثال الأوامر الدينية ﴿إنما﴾ تدل على حصر الإرادة ﴿يريدالله ليذهب عنكم الرجس﴾ والقذارات الظاهرية كالأعيان النجسة والباطنية كالشرك والكفر وأثر العمل السيّء ﴿أهل البيت﴾ وليس المراد بأهل البيت نساء النبي خاصة لقوله ليذهب عنكم لاعنكن بل المراد بأهل البيت مأأيدته الروايات أن الآية نزلت في النبي محمد ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام لا يشاركهم فيها غيرهم. وقد روى ابن كثير أنها قالت لمن سألها عن علي(ع): «تسألني عن رجل كان من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ وكانت تحته ابنته وأحب الناس إليه؟ لقد رأيت رسول الله ﷺ دعا علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً رضي الله عنهم فألقى عليهم ثوباً فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». قالت: «فدنوت منهم فقلت يا رسول الله وأنا من أهل بيتك؟ فقال: تنحي... الحديث» ﴿ويطهركم تطهيراً﴾ أي بعد العصمة من الرجس وذلك بتجهيزهم بإدراك الحق في الاعتقاد والعمل. ٣٤ ـ ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ءايات الله والحكمة﴾ واحفظنها ولا تغفلن عنها ﴿إن الله كان لطيفاً خبيراً﴾ يعلم دقائق الأمور.

٣٥ ـ ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ مساواة بين الرجال والنساء في التلبس بكرامة الدين فالإسلام هو التسليم العملي للدين بإتيان عامة التكاليف ﴿والمؤمنين والمؤمنات﴾ والإيمان هوعقد القلب على الدين بحيث يترتب عليه العمل بالجوارح فكل مؤمن مسلم ولا عكس ﴿والقانتين والقانتات﴾ والقنوت هو لزوم الطاعة مع الخضوع ﴿والصادقين والصادقات﴾ والصدق مطابقة ما يخبر به الإنسان أويظهره للواقع ﴿والصابرين والصابرات﴾ المتلبسين بالصبر عند المصيبة وبالصبر على الطاعة وبالصبر عن المعصية ﴿والخاشعين والخاشعات﴾ والخشوع تذلل باطني بالقلب ﴿والمتصدقين والمتصدقات﴾ بإنفاق المال في سبيل الله ومنه الزكاة ﴿والصائمين والصائمات﴾ القائمين بالصوم الواجب والمندوب ﴿والحافظين فروجهم والحافظات﴾ بالتجنب عن غير ماأحل الله ﴿والذاكرين الله كثيراً والذاكرات﴾ قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ﴿أعد الله لهم مغفرة﴾ تستر نقيصة أعمالهم ﴿وأجراً عظيماً﴾ مقابل عقيدتهم وعملهم.

٣٦ ـ ﴿وما كان لمؤمن ولامؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً﴾ قضاء تشريعياً ﴿أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ أي ليس لهم أن يختاروا خلافه.

٣٧ ـ ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه﴾ بالإيمان وهو زيد بن حارثة ﴿وأنعمت عليه﴾ بالإحسان إليه وتحريره وتخصيصه بنفسك ﴿أمسك عليك زوجك﴾ كناية عن الكف عن تطليقها ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾ أي مظهره ﴿وتخشى الناس﴾ في الله ـ إستشعاراً منه ﷺ أنه لوأظهره عابه الناس، وطعن فيه من في قلبه مرض ﴿والله أحق أن تخشاه﴾ والله هوالذي فرض له ﷺ أن يتزوج زوج زيد الذي كان تبناه ليرتفع بذلك الحرج عن المؤمنين في التزوج بأزواج الأدعياء وهذا ماكان يخفيه ﷺ في نفسه إلى حين مخافة سوء أثره في الناس فأمنه الله ذلك بعتابه ﴿فلما قضى زيد منها وطراً﴾ كناية عن الدخول والتمتع ﴿زوجناكها﴾ وهذا يشعرأن ذلك بأمرمن الله خارج عن إرادته ﷺ ﴿لكي لايكون على المؤمنين حرج في﴾ الزواج من ﴿أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً﴾ تعليل للتزويج ومصلحة للحكم ﴿وكان أمر الله مفعولاً﴾ فحكمه تعالى مؤكد ومتحقق الوقوع .

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

٣٨ ـ ٣٩ ـ ﴿ماكان على النبي من حرج﴾ أي منع ﴿فيما فرض الله له﴾ أي عين الله له أو أباح له ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل﴾ من الأنبياء والرسل الماضين ﴿وكان أمرالله قدراً مقدوراً﴾ فالله يقدرمن عنده لكل أحد مايلائم حاله ويناسبها وهؤلاء الرسل هم ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه﴾ والخشية تأثر قلبي من عظمة ربهم أو هي تحرز من المكروه الذي يمكن أن ينال الإنسان من غيره وهذه الخشية منفية عن الأنبياء وإن كان السياق يلوح أن المنفي هو الخشية في التبليغ ﴿ولايخشون أحداً إلا الله﴾ لأنه لامؤثر عندهم في الوجود سواه ﴿وكفى بالله حسيباً﴾ يحاسب على الصغيرة والكبيرة.

٤٠ ـ ﴿ماكان محمدٌ أبا أحد من رجالكم﴾ دفع لاعتراضهم على النبي ﷺ بأنه تزوج زوج ابنه، فتبنيه ﷺ زيداً لايترتب عليه شيءمن آثارالأبوة والبنوة .أما أبناؤه ﷺ فقد ماتوا قبل أن يبلغوا فلم يكونوا رجالاً حتى تنتقض الآية وكذا الحسن والحسين وهما ابنا ابنة رسول الله ﷺ فإن النبي ﷺ قبض قبل أن يبلغا حد الرجال . ﴿ولكن رسول الله﴾ والرسول هو الذي يحمل رسالة من الله إلى الناس ﴿وخاتم النبيين﴾ والنبي هو الذي يحمل نبأ الغيب الذي هو الدين وحقائقه، وهذايدل على ارتفاع الرسالة بارتفاع النبوة ﴿وكان الله بكل شيء عليماً﴾ وما بينه كان بعلمه .

٤١ ـ ٤٢ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ بتوجيه الإدراك نحوه أما التلفظ بما يدل عليه فهو بعض مصاديق الذكر ﴿وسبحوه﴾ تنزيها له والتلفظ بعض مصاديق التسبيح ﴿بكرة﴾ أول النهار ﴿وأصيلاً﴾ أو كناية عن الدوام كالليل والنهار. وقد قال رسول الله ﷺ: «من أعطي لساناً ذاكراً فلقد أعطي خيراً كثيراً».

٤٣ ـ ﴿هو الذي يصلي عليكم﴾ والصلاة هي الإنعطاف . فالصلاة من الله هي الرحمة ﴿وملائكته﴾ صلاتهم استغفار

﴿ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ أي من ظلمات النسيان والغفلة إلى نور الذكر ﴿وكان بالمؤمنين رحيماً﴾ فسبب الرحمة هو التوصف بالإيمان وقد قال ﷺ لمن سأله أن يعلمه كيفية الصلاة عليه: «قل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كماباركت على إبراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد».

٤٤ - ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾ فهم في أمن وسلام من كل مكروه ﴿وأعد لهم أجراً كريماً﴾ وثواباً جزيلاً.

٤٥ - ٤٦ - ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً﴾ على الأعمال يوم القيامة ومبشراً للمؤمنين بثواب الله وجنته ﴿ونذيراً﴾ للكافرين بعذاب الله ﴿وداعياً إلى الله بإذنه﴾ تدعو الناس إلى الإيمان بالله وحده ﴿وسراجاً منيراً﴾ يهتدي بك الناس للنجاة من ظلمات الشقاء والضلالة.

٤٧ - ﴿وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً﴾ أي عطاء زائداً من غير استحقاق.

٤٨ - ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ في ترك دعوتهم ﴿ودع أذاهم﴾ فلا تشتغل بما يؤذونك به ﴿وتوكل على الله﴾ أي لاتستقل بنفسك ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ فهو يتولى أمر من توكل عليه..

٤٩ - ﴿ياأيها الذين ءامنوا إذا نكحتم المؤمنات﴾ أي عقدتم عقدة النكاح ﴿ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن﴾ أي من قبل المواقعة ﴿فما لكم عليهم من عدة تعتدونها فمتعوهن﴾ بشيء من المال فيما إذا لم يفرض لهن فريضة ﴿وسرحوهن﴾ أي أطلقوهن ﴿سراحاً جميلاً﴾ من غير خصومة وخشونة.

٥٠ - ﴿ياأيها النبي إنا أحللنا لك﴾ سبعة أصناف من النساء الأول أحللنا ﴿أزواجك اللاتي ءاتيت أجورهن﴾ أي مهورهن ؛والثاني ﴿وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك﴾ من الغنائم والأنفال؛والثالث والرابع ﴿وبنات عمك وبنات عماتك﴾ يعني نساء قريش والخامس والسادس ﴿وبنات خالك وبنات خالاتك﴾ يعني نساء بني زهرة ﴿اللاتي هاجرن معك﴾ وقدنسخ شرط الهجرة في التحليل بعدذلك ؛والسابع ﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسهاللنبي﴾ من غير صداق ﴿إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين﴾ وهذه خصيصة للنبي فقط ﴿قدعلمنا مافرضناعليهم في أزواجهم ومامَلكت أيمانهم﴾ تقريرلحكم الاختصاص ﴿لكيلا يكون عليك حرج﴾ فيماأحل الله لك ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ فهو يستر النقيصة ويرحم عباده.

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

٥١ ـ ﴿ترجي﴾ أي ترد وتبعد ﴿من تشاء منهن وتؤوي﴾ أي تسكن وتقبل ﴿إليك من تشاء﴾ ممن وهبن لك أنفسهن ﴿ومن ابتغيت﴾ أي طلبتها ﴿ممن عزلت﴾ ولم تقبلها ﴿فلا جناح عليك﴾ ولاإثم ولالوم أن تطلبها بعد رد، أو يكون المعنى أن له ﷺ أن يقسم بين نسائه وأن يترك القسم ويعزل بعضهن من القسم ﴿ذلك أدنى﴾ أي أقرب ﴿أن تقر أعينهن﴾ أي يسررن ﴿ولايحزن ويرضين بما ءاتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم﴾ وذلك لسرور المتقدمة ورجاء المتأخرة أن تتقدم بعد ﴿وكان الله عليماً﴾ بمصالح عباده ﴿حليماً﴾ يمهل في بعض الأمور لتطابق المصلحة.

٥٢ ـ ﴿لايحل لك النساء من بعد﴾ مدلول الآية تحريم النساء إلا من اخترن الله، أو تحريم ما عدا المعدودات من الأصناف المتقدمة ﴿ولا أن تبدل بهن من أزواج﴾ أي أن تطلق بعضهن وتتزوج مكانها من غيرهن ﴿إلا ما ملكت يمينك﴾ من الإماء ﴿وكان الله على كل شيء رقيباً﴾ تحذير عن المخالفة.

٥٣ ـ ﴿يا أيها الذين ءامنوا لاتدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾ استثناء من النهي ﴿إلى طعام﴾ فتعلق بالإذن ﴿غير ناظرين إناه﴾ أي غير منتظرين أوان ورود إناء الطعام بأن تدخلوا من قبل فتطيلوا المكث ﴿ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم﴾ أي أكلتم ﴿فانتشروا ولا﴾ تكونوا ﴿مستئنسين لحديث﴾ قبل الطعام ولابعده ﴿إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم﴾ أن يسألكم الخروج ﴿والله لا يستحي من﴾ بيان ﴿الحق﴾ وهو التأديب بالأدب اللائق ﴿وإذا سألتموهن متاعاً﴾ كناية عن تكليمهن لحاجة ﴿فاسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾ بيان لمصلحة الحكم ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله﴾ بمخالفة ما أمرتم في نسائه وفي غير ذلك ﴿ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً﴾ إشعار بأن بعضهم ذكر ما يشير إلى نكاحهم أزواجه بعده ﴿إن ذلكم كان عند الله عظيماً﴾ فلا يحل فعله.

٥٤ ـ ﴿إن تبدوا شيئاً أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليماً﴾ تنبيه تهديدي لمن كان يؤذي النبي أو يذكر نكاح أزواجه من بعده.

والتعميم بعد التخصيص بالتنبيه من عواقب مخالفة الله الذي لاتخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء. وليحذر الذين يلوذون بالمعاصي سراً وجهراً من وبال آثامهم وإن لم يخرج وجودها من القوة إلى الفعل فالله يعلم ما وقر في نفوسكم وما حوت قلوبكم من الإذعان أو الرد ويحاسبكم عليه، فالله يحذر الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا من عقابٍ شديدٍ ولو لم يباشروا بمقدماتها بأنفسهم فميلهم القلبي لها إثمٌ يحاسبون عليه.

﴿ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾

٥٥ ـ ﴿لاجناح عليهن﴾ استثناء من حكم الحجاب ﴿في ءابائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولاأبناء إخوانهن ولاأبناء أخواتهن﴾ وهم من المحارم ﴿ولانسائهن﴾ المؤمنات، دون الكافرات ﴿ولا ما ملكت أيمانهن﴾ من العبيد والإماء ﴿واتقين الله﴾ تأكيد للحكم ﴿إن الله كان على كل شيء شهيداً﴾ فلا يغيب عنه شيء.

٥٦ ـ ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ فصلاته تعالى انعطاف عليه ﷺ بالرحمة وصلاة الملائكة انعطاف عليه بالتزكية والاستغفار ﴿ياأيها الذين ءامنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾ وصلاة المؤمنين دعاء بالرحمة وقد استفاضت الروايات من طرق الشيعة وأهل السنة أن طريق صلاة المؤمنين هي أن يسألوا الله أن يصلي عليه وآله، كما أخرج أحمد والترمذي عن الحسن بن علي أن رسول الله ﷺ قال: البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليّ.

٥٧ ـ ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾ و الله سبحانه منزه من أن يناله الأذى فذكره مع الرسول تشريف للرسول، فمن قصد رسوله بسوء فقد قصده أيضاً به. وهؤلاء ﴿لعنهم الله في الدنيا والآخرة﴾ وأبعدهم من الرحمة والهداية ﴿وأعد لهم عذاباً مهيناً﴾ لأنهم يقصدون باستكبارهم إهانة الله ورسوله.

٥٨ ـ ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا﴾ أي دون استحقاق ﴿فقد احتملوا بهتاناً﴾ وهو الكذب على غيرهم بما ليس فيهم ﴿وإثما مبيناً﴾ يدركه العقل.

٥٩ ـ ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ أي يسترن بها، فلا تظهر جيوبهن وصدورهن للناظرين ﴿ذلك أدنى﴾ وأقرب إلى ﴿أن يعرفن﴾ أنهن أهل الستر والصلاح ﴿فلا يؤذين﴾ بالتعرض لهن بحسبان أنهن إماء ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ يستر النقيصة ويرحم عباده.

٦٠ ـ ﴿لئن لم ينته﴾ أقسم لئن لم يكف ﴿المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة﴾ الذين يشيعون الأخبار الكاذبة في المدينة كقولهم قتل النبي أو أسر في الغزو لإلقاء الاضطراب بين المسلمين ﴿لنغرينك بهم﴾ ولنحرضنك عليهم ﴿ثم لايجاورونك في المدينة﴾ وذلك بنفيهم ﴿إلا﴾ زماناً ﴿قليلاً﴾ بين صدور الأمر وفعلية إجرائه.

٦١ ـ ﴿ملعونين أينما ثقفوا﴾ وأدركوا وظفر بهم ﴿أخذوا وقتلوا تقتيلاً﴾ أي بولغ في قتلهم فعمهم القتل.

٦٢ ـ ﴿سنة الله في﴾ نكال ﴿الذين خلوا من قبل﴾ من المفسدين ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ وقد قضت بهلاك الظالمين والمفسدين في كل العصور.

لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۚ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾

٦٣ ـ ﴿يسئلك الناس عن الساعة﴾ وزمن وقوعها ﴿قل إنما علمها عند الله﴾ وحده ﴿وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً﴾ زيادة في الإبهام، فالنبي ﷺ مثل غيره في عدم العلم بها.

٦٤ ـ ٦٥ ـ ﴿إن الله لعن الكافرين﴾ وأبعدهم من رحمته ﴿وأعد لهم﴾ وهيأ ﴿سعيراً﴾ ملتهبة ﴿خالدين فيها أبداً لايجدون ولياً﴾ يلي أمورهم وحده ﴿ولانصيراً﴾ يعين من استنصره.

٦٦ ـ ﴿يوم تقلب وجوههم في النار﴾ متحولة من حال إلى حال فتصفر وتسود وتكون كالحة، أو تنتقل من جهة إلى جهة كما يفعل باللحم المشوي ﴿يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا﴾ وهذا تحسر وتمنٍ.

٦٧ ـ ٦٨ ـ ﴿وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا﴾ وهم سادة القوم ﴿وكبراءنا﴾ سناً ﴿فأضلونا السبيلا﴾ بتقليدهم دون إعمال العقل ﴿ربنا آتهم ضعفين﴾ أي مثلين ﴿من العذاب والعنهم لعناً كبيراً﴾ لأنهم ضلوا وأضلوا.

٦٩ ـ ﴿يا أيها الذين ءامنوا لاتكونوا كالذين ءاذوا موسى﴾ فقد اتهمه بنو إسرائيل بأنه ليس له ما للرجال ﴿فبرأه الله﴾ ونزهه ﴿مما قالوا﴾ وأوجه ما قيل في إيذائهم النبي ﷺ أنه إشارة إلى قصة زيد وزينب ﴿وكان عند الله وجيهاً﴾ أي ذا جاه ومنزلة.

٧٠ ـ ٧١ ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ بالتزام أوامره ونواهيه ﴿وقولوا قولاً سديداً﴾ يطابق الواقع دون أن يكون لغواً أو ذا فائدة غير مشروعة كالنميمة ﴿يصلح لكم أعمالكم﴾ بملازمة السديد من كل القول ﴿ويغفر لكم ذنوبكم﴾ فمن صلح عمله ندم على ما سبق من ذنبه ﴿ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ فطاعة الله ورسوله هي الكلمة الجامعة بين جميع الأحكام السابقة.

٧٢ ـ ﴿إنا عرضنا الأمانة﴾ أي الولاية الإلهية واستكمال تزكية النفس بحقائق الدين الحق علماً وعملاً، وعرضها هو اعتبارها مقيسة إلى هذه الأشياء ﴿على السموات والأرض والجبال﴾ وخلقها أعظم من خلق الإنسان ﴿فأبين أن يحملنها﴾ لعدم صلاحية التلبس بها ﴿وأشفقن منها﴾ فثقلها أكبر من احتمال السموات والأرض ﴿وحملها الإنسان﴾ أي اشتمل على صلاحيتها والتهيؤ للتلبس بها على ضعفه وصغر حجمه ﴿إنه كان ظلوماً جهولاً﴾ لنفسه ﴿جهولاً﴾ بما تعقبه هذه الأمانة لو خانها من وخيم العاقبة والهلاك الدائم. أي لكون الإنسان خالياً في بداية نشأته من العلم والعدل، قابلاً للتلبس بما يفاض عليه من ذلك للارتقاء من حضيض الظلم إلى أوج العدل والعلم.

٧٣ ـ ﴿ليعذب الله المنافقين والمنافقات﴾ فالخائن للأمانة يتظاهر بالصلاح والأمانة فتحق كلمة العذاب عليه ﴿والمشركين والمشركات﴾ لأن الله لايغفر أن يشرك به ﴿وينوب الله على المؤمنين والمؤمنات﴾ والتوبة من الله هي الرجوع على عباده بالرحمة ﴿وكان الله غفوراً﴾ يستر جهل العباد ﴿رحيماً﴾ يحليهم بالعلم النافع والعمل الصالح.

سورة سبأ

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: دفع الإعتراض على التوحيد والنبوة والبعث، الاهتمام ببيان أمر البعث.

١ ـ ﴿الحمد لله الذي له مافي السموات ومافي الأرض﴾ ثناء عليه على ملكه المنبسط على كل شيء بحيث له أن يتصرف في كل شيء بما شاء وأراد ﴿وله الحمد في الآخرة﴾ كما له الحمد على الدنيا ونظامها ﴿وهو الحكيم الخبير﴾ فبحكمته عقب الدنيا بالآخرة، وبخبرته يحشر الناس ويجزي كل نفس بما كسبت.

٢ ـ ﴿يعلم ما يلج﴾ ويدخل ﴿في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج﴾ أي يصدر ﴿فيها﴾ فهو يعلم حركة كل متحرك ﴿وهو الرحيم الغفور﴾ وبهذه الرحمة والمغفرة سيصيب قوماً بإيمانهم.

٣ ـ ﴿وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة﴾ وهي يوم القيامة ﴿قل بلى وربي لتأتينكم﴾ فلا مورد للارتياب بها، لأن الله ﴿عالم الغيب لايعزب﴾ ولايفوت ولا يغيب ﴿عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض﴾ فهو اللطيف الخبير ﴿ولاأصغر من ذلك ولاأكبر إلا﴾ هو محفوظ ﴿في كتاب مبين﴾ فالأشياء ثابتة وإن زالت رسومها عن صفحة الكون فهي محفوظة في اللوح المحفوظ.

٤ ـ ﴿ليجزي الذين ءامنوا وعملوا الصالحات﴾ بيان لأحد السببين لقيام الساعة ﴿أولئك لهم مغفرة ورزق كريم﴾ وهو الجنة بما فيها.

٥ ـ ﴿والذين سعوا في ءاياتنا﴾ طاقة جهدهم ﴿معاجزين﴾ الله ﴿أولئك لهم عذاب من رجز أليم﴾ فعملهم السيّء سيتبدل عليهم رجزاً أليماً وهو السبب الثاني.

٦ ـ ﴿ويرى﴾ أولو الألباب ﴿الذين أوتوا العلم﴾ أن القرآن ﴿الذي أنزل إليك من ربك هو الحق﴾ فهم يرون القرآن يثبت الساعة ﴿ويهدي إلى صراط العزيز﴾ الذي لايغلب ﴿الحميد﴾ المحمود الذي له الثناء على فعاله.

٧ ـ ﴿وقال الذين كفروا﴾ استهزاءاً ﴿هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق﴾ أي إذا قطعتم وفرقتم ﴿إنكم لفي خلق جديد﴾ تحيون بعد موتكم!.

سُورَةُ سَبَإٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ۖ عَالِمِ الْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۙ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾

٨ ـ ﴿أفترى على الله كذباً﴾ حتى يُنكر قوله بالبعث؟ ﴿أم به جنة﴾ يتفوه بما بدا له من غير فكر مستقيم؟ ﴿بل الذين لايؤمنون بالآخرة﴾ ينكرون البعث وهم لذلك ﴿في العذاب والضلال البعيد﴾ فلا يسعهم أن يعقلوا الحق ولاأن يذعنوا به.

٩ ـ ﴿أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض﴾ فهم محاطون ولامفر لهم ﴿إن نشأ نخسف بهم الأرض﴾ فنهلكهم ﴿أو نسقط عليهم كسفاً﴾ وقطعاً ﴿من السماء﴾ فنقضي عليهم لتكذيبهم بآياتنا فمالهم لايتعظون؟ ﴿إن في ذلك لآية﴾ ودلالة ﴿لكل عبد منيب﴾ راجع إلى ربه بالطاعة، وهؤلاء لايستهينون ولايجرؤون على التكذيب إلا لكونهم مستكبرين لايريدون الإنابة.

أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾

١٠ ـ ١١ ـ ﴿ولقد آتينا داود منا فضلاً﴾ أي عطية ﴿يا جبال أوبي معه والطير﴾ والتأويب الترجيع فالجبل والطير ترجع الصوت فتسبح معه ﴿وألنا له الحديد﴾ أي جعلناه ليناً ﴿أن اعمل سابغات﴾ أي دروعاً وقد لين لك الحديد ﴿وقدر في السرد﴾ أي اقتصد في نسج الدرع ليكون متناسباً ﴿واعملوا صالحاً إني بما تعملون بصير﴾ أي اشكر النعم أنت وقومك بالعمل الصالح.

١٢ ـ ١٣ ـ ﴿ولسليمان﴾ سخرنا ﴿الريح غدوها شهر﴾ فمسيرها من أول النهار إلى الظهر مسير شهر ﴿ورواحها﴾ مسيرها من الظهر إلى آخر النهار ﴿شهر﴾ أي أنها تسير في يوم مسير شهرين ﴿وأسلنا له عين القطر﴾ أي أذبنا له النحاس فسال كالعين الجارية ﴿و﴾ جمع ﴿من الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه﴾ مسخرون له ﴿ومن يزغ﴾ أي ينحرف ﴿عن أمرنا﴾ ولم يطع سليمان ﴿نذقه من عذاب السعير﴾ في الدنيا ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب﴾ والمحراب مكان إقامة الصلاة والعبادة ﴿وتماثيل﴾ مجسمة ﴿وجفان﴾ هي صحاف الطعام ﴿كالجواب﴾ أي كالأحواض التي يجمع فيها الماء ﴿وقدور﴾ يطبخ فيها الطعام ﴿راسيات﴾ ثابتات لايزلن عن أمكنتهن لعظمتهن ﴿اعملوا ءال داود شكراً﴾ لله ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ فمرتبة الشاكر عالية لايتمكن منها إلا القليل والشكور هو الشاكر لله شكراً بعد شكر.

١٤ ـ ﴿فلما قضينا عليه بالموت﴾ وكان متكئاً على عصاه، بقي على تلك الحال زماناً ﴿ما دلهم على موته إلا دابة الأرض﴾ وهي الأَرَضة ﴿تأكل منسأته﴾ أي عصاه حتى إذا انكسرت العصا سقط ﴿فلما خر﴾ سليمان على الأرض ﴿تبينت الجن﴾ بموته ﴿أن لوكانوا يعلمون الغيب﴾ لعلموا بموت سليمان المستور عنهم و ﴿ما لبثوا في العذاب المهين﴾ المذل من زمن قبضه إلى زمن سقوطه.

١٥ ـ ١٦ ـ ﴿لقد كان لسبأ في مسكنهم﴾ في اليمن، وهم عرب عاربة نسبوا إلى أبيهم سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان ﴿ءاية جنتان عن يمين وعن شمال﴾ لمساكنهم ﴿كلوا من رزق ربكم واشكروا له﴾ نعمته ﴿بلدة طيبة﴾ صالحة للمقام ﴿ورب غفور﴾ لايؤاخذكم بسيئاتكم ﴿فأعرضوا﴾ عن الشكر ﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾ الذي قضى على جنتيهم ﴿وبدلناهم بجنتيهم﴾ وقد أخذهما السد ﴿جنتين ذواتي أكل خمط﴾ أي ثمار مرة ﴿وأثل﴾ والأثل الطرفاء وقيل شجر أعظم منها لاثمر له ﴿وشيء من سدر قليل﴾ جزاء لإعراضهم عن الشكر.

١٧ ـ ﴿ذلك﴾ الجزاء ﴿جزيناهم بما كفروا﴾ وأعرضوا عن الشكر ﴿وهل نجازي إلا الكفور﴾ الكثير الكفران لأنعم الله.

١٨ ـ ١٩ ـ ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها﴾ أي القرى الشامية ﴿قرى ظاهرة﴾ متقاربة يظهر بعضها لبعض ﴿وقدرنا فيها السير﴾ فالمسافات بينها متناسبة ﴿سيروا فيها ليالي وأياماً ءامنين﴾ من غير خوف ولاقلق ﴿فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا﴾ اقتراح ضمني لتخريب بلادهم كما طلب بنو إسرائيل الثوم والبصل مكان المن والسلوى ﴿وظلموا أنفسهم﴾ بالمعاصي ﴿فجعلناهم أحاديث﴾ أثراً بعد عين ﴿ومزقناهم كل ممزق﴾ أي أزلنا أعيانهم وآثارهم ﴿إن في ذلك لأيات لكل صبار شكور﴾ فيستدل بنعمة الله أن عليه أن يعبد ربه وينهى نفسه عن الهوى شكراً لنعمه وأن وراءه يوماً يبعث فيه ويجزى بعمله.

٢٠ ـ ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه﴾ وقد قال لربه: لأغوينهم ولأضلنهم، ولاتجد أكثرهم شاكرين ﴿فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين﴾ وضمير عليهم لعامة الناس.

٢١ ـ ﴿وما كان له عليهم من سلطان﴾ يضطرهم إلى اتباعه حتى يكونوا معذورين ﴿إلا لنعلم﴾ أي لنميز ﴿من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك﴾ فالرادع الوحيد عن المعصية، والداعي إلى الطاعة هو الإيمان بالآخرة ﴿وربك على كل شيء حفيظ﴾ فهو عالم لايفوته المعلوم بنسيان أو سهو فالحذار من الكفران والمعصية.

٢٢ ـ ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله﴾ فماذا يكون لو دعوتموهم؟ ﴿لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض﴾ فهم لايستجيبون بشيء ولو ملكوا لاستجابوا، ولا ربوبية لمفتقر لايملك ولايعطي ﴿وما لهم فيها﴾ أي في السموات والأرض ﴿من شرك﴾ فلا ملك لهم لأي نوع من الخلقة أو لبعض منها ﴿وماله﴾ سبحانه وتعالى ﴿منهم﴾ كلاً أو بعضاً ﴿من ظهير﴾ معين، فهو الله له كمال القدرة والتدبير والملك.

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

٢٣ ـ ﴿ولاتنفع الشفاعة عنده﴾ في الدنيا، فالمشركون ما كانوا يقولون بالمعاد ﴿إلا لمن أذن له﴾ من المشفوع لهم. فالملائكة جميعاً شفعاء لكن لافي كل أمر ولالكل الناس، بل في أمر أذن الله فيه ولمن أذن له ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾ أي غشي التذلل قلوب الملائكة من حيث أنهم أسباب وشفعاء في نفوذ الأوامر الإلهية، بحيث لايظهر من وجودهم إلا فعلهم وطاعتهم لله فيما أمرهم به، وأنه لاواسطة بين الله سبحانه وبين الفعل إلا أمره ﴿قالوا ماذا قال ربكم﴾ يتساءلون عن الأمر الإلهي بعد وقوعه ﴿قالوا الحق﴾ وقد زال الفزع عن قلوب بعضهم قبل البعض الآخر ﴿وهو العلي﴾ الذي دونه كل شيء وهو ﴿الكبير﴾ الذي يصغر عنده كل شيء.

٢٤ ـ ﴿قل من يرزقكم من السموات والأرض﴾ احتجاج آخر على المشركين من جهة الرزق ﴿قل الله﴾ لأنهم يستنكفون عن الاعتراف به بألسنتهم وإن أذعنت قلوبهم ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ فانظروا بعين الانصاف وميزوا المهدي من الضال.وهذه دعوة إلى التفكر في حال النفس دون تعزز باطل.

٢٥ ـ ﴿قل لاتسئلون عما أجرمنا ولانسئل عما تعملون﴾ فلا يلقى وبال العمل إلا عامله.

٢٦ ـ ﴿قل يجمع ربنا بيننا﴾ يوم البعث ﴿ثم يفتح بيننا بالحق﴾ ليتميز المحسن من المسيء ﴿وهو الفتاح﴾ الذي يفصل كل طرف حده، ليتميز كل منهما بذاته وصفاته وأفعاله ﴿العليم﴾ بالنوايا والأعمال وهو المدبر وهو رب الأرباب.

٢٧ ـ ﴿قل﴾ يا محمد ﴿أروني الذين ألحقتم به شركاء﴾ هل منهم من له صفات الألوهية كالاستقلال بالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر؟ ﴿كلا﴾ ردع لهم ليسوا بشركاء ﴿بل هو الله العزيز الحكيم﴾ فبعزته ومنعة جانبه لايعدو إلى حريم كماله عادٍ لكونه لايحد بحد، وبحكمته لايشرك أحداً في تدبيره، فله كمال الألوهية والربوبية.

٢٨ ـ ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾ أي كافاً لهم عن المعاصي، والهاء للمبالغة؛ فالرسالة من لوازم الربوبية ورسالته ﷺ دليل على أن الربوبية منحصرة به تعالى والإمام علي عليه السلام يقول: «لوكان لربك شريك لأتتك رسله» ﴿بشيراً ونذيراً﴾ صفة له ﷺ ﴿ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ فدلالة انحصار الرسالة في رسل الله على انحصار الربوبية في الله أمسُّ بجهل الناس من كونه ﷺ رسولاً كافّاً لهم عن المعاصي فلو كان لهم إله غير الله لماتأتى له أن يرسل رسوله إلى عباد إله آخر وقيل كافة للناس أي لجميعهم.

٢٩ـ٣٠ ـ ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ بالبعث والفتح ﴿إن كنتم صادقين﴾ بقولكم أيها الرسل ﴿قل لكم ميعاد يوم﴾ مقضي محتوم ﴿لاتستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون﴾ وهو وعد لايتخلف وقت وقوعه البتة.

٣١ ـ ﴿وقال الذين كفروا﴾ وهم المشركون ﴿لن نؤمن بهذا القرءان ولا بالذي بين يديه﴾ من الكتب السماوية ﴿ولوترى﴾ يامحمد ﴿إذ الظالمون﴾ وهم الكافرون بكتب الله ورسله ﴿موقوفون عندربهم﴾ للحساب والجزاء يوم القيامة

وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

﴿يرجع بعضهم إلى بعض القول﴾ يتحاورون ويتخاصمون ﴿يقول الذين استضعفوا﴾ وهم الأتباع ﴿للذين استكبروا﴾ وهم الأئمة القادة ﴿لولا أنتم لكنا مؤمنين﴾ فأنتم حلتم بيننا وبين الإيمان وأجبرتمونا على الكفر.

٣٢ ـ ﴿قال الذين استكبروا للذين استضعفوا﴾ دفعاً لما اتهموهم به من الإجبار والإكراه ﴿أنحن صددناكم﴾ الاستفهام للإنكار أي أنحن صرفناكم ﴿عن الهدى بعد إذ جاءكم﴾ فتبلغكم بالدعوة دليل على أنكم كنتم مختارين ﴿بل كنتم قوماً مجرمين﴾ متلبسين مستمرين بالإجرام.

٣٣ ـ ﴿وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا﴾ رداً لدعواهم البراءة ﴿بل مكر الليل والنهار﴾ حملنا على الكفر ﴿إذ كنتم تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً﴾ وأمثالاً من الآلهة أي أنكم تخططون الخطط لتستضعفونا وتتأمروا علينا فتحملونا على طاعتكم فيما تريدون ﴿وأسروا﴾ وأخفوا ﴿الندامة لما رأوا العذاب﴾ وشاهدوا أن لامناص، وهذا الإخفاء من قبيل ظهور ملكاتهم الرذيلة فقد كانوا يسرون الندامة في الدنيا خوفاً من شماتة الأعداء ﴿وجعلنا الأغلال﴾ أي السلاسل ﴿في أعناق الذين كفروا﴾ تحبسهم في العذاب ﴿هل يجزون إلا ما كانوا يعملون﴾ فأعمالهم أغلالهم.

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۚ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾

وأخفوا ﴿الندامة لما رأوا العذاب﴾ وشاهدوا أن لامناص، وهذا الإخفاء من قبيل ظهور ملكاتهم الرذيلة فقد كانوا يسرون الندامة في الدنيا خوفاً من شماتة الأعداء ﴿وجعلنا الأغلال﴾ أي السلاسل ﴿في أعناق الذين كفروا﴾ تحبسهم في العذاب ﴿هل يجزون إلا ما كانوا يعملون﴾ فأعمالهم أغلالهم.

٣٤ ـ ٣٥ ـ ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير﴾ ينذرهم من العذاب ﴿إلا قال مترفوها﴾ المنعمون ﴿إنا بما أرسلتم به كافرون﴾ فالإتراف يفضي إلى الاستكبار ﴿قالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً﴾ فلا سعادة إلا في هذه الدنيا، ولا شقوة معها ﴿وما نحن بمعذبين﴾ في الآخرة، بمعنى قوله تعالى: ﴿وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾.

٣٦ ـ ﴿قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء﴾ ويوسعه ﴿ويقدر﴾ ويضيق على من يشاء ﴿ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ فينسبون ما لم يؤتوه إلى الأسباب الظاهرية الانفاقية ثم إذا أوتوه نسبوه إلى حزمهم وتدبيرهم.

٣٧ ـ ٣٨ ـ ﴿وما أموالكم ولا أولادكم﴾ التي تعتمدون عليها في السعادة وانتفاء عذاب الله ﴿بالتي تقربكم عندنا زلفى﴾ أي تقربكم منا تقريباً ﴿إلا من ءامن وعمل صالحاً﴾ في ماله وولده بالإنفاق والتربية الصالحة ﴿فأولئك لهم جزاء الضعف﴾ لأنهم اهتدوا وهدوا ولهم عشرة أضعاف من الحسنات ﴿وهم في الغرفات﴾ أي المنازل العالية ﴿آمنون﴾ من العذاب. ﴿والذين يسعون في آياتنا معاجزين﴾ يجدون في المعاجزة ﴿أولئك في العذاب محضرون﴾ وإن كثرت أموالهم وأولادهم.

٣٩ ـ ﴿قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له﴾ فأمر الرزق في سعته وضيقه إلى الله سبحانه لاينقص بالإنفاق ولايزيد بالإمساك ﴿وما أنفقتم من شيء﴾ مهما كان شأنه ﴿فهو يخلفه﴾ ويرزقكم بدلاً منه إما في الدنيا أو في الآخرة ﴿وهو خير الرازقين﴾ فهو يرزق جوداً لامعاوضة.

٤٠ ـ ٤١ ـ ﴿ويوم يحشرهم جميعاً﴾ عابدين ومعبودين ﴿ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون﴾ والغرض من السؤال تبكيت المشركين وإقناطهم من نصرة الملائكة وشفاعتهم لهم ﴿قالوا سبحانك﴾ تنزيهاً لقدسه ﴿أنت ولينا من دونهم﴾ فلا رضى لنا بعبادتهم لنا ﴿بل كانوا يعبدون الجن﴾ دفعاً لما كانوا يعتقدونه من شرهم ﴿أكثرهم بهم مؤمنون﴾ والجن بهذه العبادة راضون.

٤٢ ـ ﴿فاليوم لايملك بعضكم لبعض نفعاً ولاضراً﴾ وقد تقطعت بينهم الأسباب، وتبرأ بعضهم من بعض ﴿ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون﴾ فستصلون ما كذبتم.

٤٣ ـ ٤٤ ـ ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ لاريب فيها ﴿قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد ءاباؤكم﴾ فقد تبدلوا بالإيمان كفراً وحثوا غيرهم على تقليد آبائهم ﴿وقالوا﴾ عن الآيات ﴿ما هذا إلا إفك مفترى﴾ أي كلام مصروف عن وجهه مكذوب به على الله ﴿وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم﴾ وبلغهم ﴿إن هذا إلا سحر مبين﴾ ظاهر البطلان ﴿وما ءاتيناهم من كتب يدرسونها﴾ حتى يميزوا بها الحق من الباطل ﴿وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير﴾ ينذرهم ويبين لهم فيقولون استناداً إلى ما جاءهم به النذير: إنه حق أو باطل.

٤٥ ـ ﴿وكذّب﴾ بالحق من الآيات ﴿الذين من قبلهم﴾ أي من قبل كفار قريش ﴿وما بلغوا﴾ أي كفار قريش ﴿معشار ما ءاتيناهم﴾ من قوة وشدة ﴿فكذبوا رسلي فكيف كان نكير﴾ وكيف كان أخذي بالعذاب وما أهون أمر قريش.

٤٦ ـ ﴿قل إنما أعظكم﴾ وأوصيكم ﴿بواحدة﴾ تفعلونها ﴿أن تقوموا لله﴾ أي تنهضوا لأجل الله ﴿مثنى وفرادى﴾ دون تجمع وغوغائية تميت الحق ﴿ثم تتفكروا ما بصاحبكم﴾ أي الرسول ﷺ ﴿من جنة﴾ فقد خبرتموه في سداد الرأي والصدق والأمانة ﴿إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾ في يوم القيامة وهذا نصح لاخيانة وهذه العظة ضرورة دائمة لتمييز الحق بدل النعيق مع الناعقين.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ ۚ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ ۚ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾

٤٧ ـ ﴿قل ما سألتكم من أجر فهو لكم﴾ كناية عن عدم سؤال أجر على الدعوة ﴿إن أجري إلا على الله﴾ لئلا يرد عليه قوله بأنه دعوى غير مسموعة فإن الإنسان لايروم عملاً بغير غاية ﴿وهو على كل شيء شهيد﴾ وهو يشهد عملي.

٤٨ ـ ﴿قل إن ربي يقذف﴾ ويرمي ﴿بالحق﴾ وهو القرآن فالله ﴿علام الغيوب﴾ يدفع الباطل ويزهقه.

٤٩ ـ ﴿قل جاء الحق﴾ وهو القرآن بحججه الساطعة ﴿وما يبدىء الباطل وما يعيد﴾ فالباطل لايظهر أمراً ابتدائياً جديداً بعد مجيء الحق، ولا يعيد أمراً، فهو باطل ساقط الأثر. ٥٠ ـ ﴿قل إن ضللت﴾ وفرض مني ضلال ﴿فإنما أضل على نفسي﴾ فللإنسان من نفسه أن يضل ﴿وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي﴾ فوحيه حق لا يحتمل ضلالاً ولا يؤثر إلا الهدى ﴿إنه سميع﴾ يسمع الدعوة ﴿قريب﴾ لايحجبه عنها حاجب البعد. ٥١ ـ ﴿ولو ترى إذ فزعوا﴾ عند الموت ﴿فلا فوت﴾ ولامهرب ولامناص ﴿وأخذوا من مكان قريب﴾ فلا فاصل بينهم وبين من يأخذهم. ٥٢ ـ ٥٣ ـ ﴿وقالوا ءامنا به﴾ وقد تعين الجزاء ﴿وأنى لهم التناوش﴾ أي تناول الإيمان تناولاً يفيد النجاة ﴿من مكان بعيد﴾ فهم في عالم الآخرة وقد تبدل الغيب شهادة والشهادة غيباً ﴿وقد كفروا به من قبل﴾ وظنوا بالآخرة الظنون ﴿ويقذفون بالغيب﴾ مع كونه غائباً عن حواسهم ﴿من مكان بعيد﴾ وهو الدنيا. ٥٤ ـ ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ من ملاذ الدنيا ﴿كما فعل بأشياعهم﴾ أي أشباههم ﴿من قبل﴾ من الأمم الماضية ﴿إنهم كانوا في شك مريب﴾ من الحق أو من الآخرة فيقذفونها بالغيب.

قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾

سورة فاطر

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: بيان التوحيد، بيان الرسالة، بيان المعاد، الإشارة إلى الملائكة وسائط الرحمة.

١ ـ ﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض﴾ والفطر هو الشق طولاً فالله هو الموجد من عدم، فيقرب المعنى من البديع، والإيجاد مستمر، وفيض الوجود غير منقطع ولو انقطع لانعدمت الأشياء ﴿جاعل الملائكة رسلا﴾ وهم مخلوقات موكلة بأمور العالم التكوينية والتشريعية ﴿أولي أجنحة﴾ فلهم ما يتوسلون به إلى الصعود والنزول ﴿مثنى وثلاث ورباع﴾ من الأجنحة ﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾ فمنهم من له أكثر من أربعة أجنحة ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ تعليل لجميع ما تقدم؛ أو تعليل لما ذكر من أنه يزيد في الخلق والأول أظهر. ٢ ـ ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة﴾ أي نعمة ﴿فلا ممسك لها﴾ ولامانع فالرحمة التي يؤتاها الناس مخزونة في خزائن محيطة بالناس لايتوقف نيلهم منها إلا على فتحها ﴿وما يمسك﴾ أي وما يمنع من رحمة ﴿فلا مرسل له من بعده﴾ فهو الأول في المنع كما أنه الأول في العطاء ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ فلكونه عزيزاً لايغلب لا مانع يمنعه إذا أعطى، وإذا منع فليس لمعط غيره أن يعطي، وهو حكيم يعطي عن حكمة ويمنع عن حكمة. ٣ ـ ﴿يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم﴾ والإله إنما يكون معبوداً لربوبيته ومن دلائلها رزقه ﴿هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض﴾ فهو الذي خلقكم وهو المدبر أموركم. والرزق هو ما يُمد به البقاء ومبدؤه السماء كالمطر والأشعة والنبات والحيوان ﴿لاإله إلا هو﴾ فلا معبود بالحق إلا هو المنعم الرازق ﴿فأنى تؤفكون﴾ وتصرفون عن الحق إلى الباطل. فلا عبادة لغير الخالق الرازق وهم لا يتوجهون إلى سبيل الحق ولا يذعنون به.

سُورَةُ فَاطِرٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾

٤ ـ ﴿وإن يكذبوك﴾ بعد استماع هذه البراهين الساطعة فلا تحزن ﴿فقد كُذبت رسل من قبلك﴾ فهذه سنة الأمم ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ فيجازي المكذبين.

٥ ـ ﴿يا أيها الناس إنّ وعد الله﴾ بالبعث ﴿حق﴾ واقع ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾ وتنشغلوا بالتلهي والاستغراق في طلبها بما ينسيكم يوم الحساب ﴿ولايغرنكم بالله الغرور﴾ وهو الشيطان الذي يوجه أنظار الناس تارة إلى مظاهر حلمه وعفوه تعالى وتارة إلى مظاهر ابتلائه واستدراجه وكيده فيرون أن الاشتغال بالدنيا لايستتبع مؤاخذة، وكلما أمعنوا في طلب الدنيا واستغرقوا في طلب المعاصي زادوا في عيشهم تمتعاً، فيلقي في قلوبهم أن لاكرامة إلا في التقدم في الدنيا، فالمراد بالغرور بالله الذي يصيب الشيطانُ الإنسان به اغترار الإنسان بالإمهال الذي يعامل به الله الإنسان على غفلته وظلمه. ٦ ـ ﴿إن الشيطان لكم عدوٌ﴾ فلا شأن له إلا إغواء الإنسان وحرمانه سعادة الحياة وحسن العاقبة ﴿فاتخذوه عدوا﴾ بتجنب اتباع دعوته ووسوسته ﴿إنما يدعو حزبه﴾ والحزب هو عدة من الناس يجمعهم غرض واحد ﴿ليكونوا من أصحاب السعير﴾ فغاية دعوته جهنم. وكونهم من أصحاب السعير علة غائية لدعوته. ٧ ـ ﴿الذين كفروا لهم عذاب شديد﴾ ودركات تختلف باختلاف كفرهم ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير﴾ وهذا هو الوعد الحق الذي وعدهم الله سبحانه. ٨ ـ ﴿أفمن زين له سوء عمله فرءاه حسنا﴾ وهو ذو فهم منكوس، كمن ليس كذلك؟ ﴿فإن الله يضل من يشاء﴾ فالكافر يضل بمشيئته وهو يرى السيئة حسنة ﴿ويهدي من يشاء﴾ فالمؤمن يرى السيئة سيئة ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾ أي لاتهلك نفسك بالغم والندم لعدم إيمانهم ﴿إن الله عليم بما يصنعون﴾ فلا يختلط عليه أمرهم ولايفعل بهم إلا الحق. ٩ ـ ﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا﴾ ينتشر ﴿فسقناه إلى بلد ميت﴾ أي أرض لانبات فيها ﴿فأحيينا به الأرض بعد موتها﴾ بإنبات النبات الحي فيها ﴿كذلك النشور﴾ فالبعث يشبه إحياء الأرض بعد موتها. ١٠ ـ ﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعا﴾ التي تمنعه من أن يغلب ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ فمن أرادها فليطلبها منه تعالى بالعبودية التي لاتحصل إلا بالإيمان والعمل الصالح ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وهو مما فيه سعادة النفس وفلاحها، ويراد به الاعتقادات الحقة التي يسعد الإنسان بالإذعان لها وبناء عمله عليها والمتيقن منها كلمة التوحيد والعمل الصالح، وهما الكلم الطيب الذي بصعوده يتم التقرب من الله سبحانه ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ ﴿والذين يمكرون السيئات﴾ فيتخذون الحيل لكسب العزة ﴿لهم عذاب شديد﴾ بما كسبوا ﴿ومكر أولئك هو يبور﴾ ويهلك فلا يستعقب أثراً حياً فيه سعادتهم وعزتهم. ١١ ـ ﴿والله خلقكم من تراب﴾ وهو المبدأ البعيد الذي تنتهي إليه الخلقة ﴿ثم من نطفة﴾ وهي المبدأ القريب الذي تتعلق به الخلقة ﴿ثم جعلكم أزواجا﴾ أي ذكوراً وإناثاً ﴿وما تحمل من أنثى ولاتضع إلا بعلمه﴾ فكل ذلك هو يعلمه ﴿وما يعمر من معمر ولاينقص من عمره﴾

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

من عمره﴾ أي ما يزاد أو ينقص من الأعمار ﴿إلا في كتاب﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ أي أن هذا التدبير المهيمن على كليات الحوادث وجزئياتها يسير على الله.

١٢ ـ ﴿وما يستوي البحران هذا عذب﴾ طيب ﴿فرات﴾ يكسر العطش ﴿سائغ﴾ يسهل ﴿شرابه﴾ بلعه ﴿وهذا ملح أجاج﴾ مر أو يحرق لملوحته. ومعنى الآية لايستوي المؤمن والكافر في الكمال الفطري وإن تشاركا في الخواص الإنسانية، فالمؤمن باق على فطرته الأصلية ينال بها سعادة الحياة الدائمة، والكافر منحرف عنها ﴿ومن كل تأكلون لحماً طرياً﴾ غضّاً ﴿وتستخرجون حلية تلبسونها﴾ كقوله: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ ﴿وترى الفلك فيه مواخر﴾ تشق الماء ﴿لتبتغوا من فضله﴾ وتطلبوا رزقه ﴿ولعلكم تشكرون﴾ نعمه.

١٣ ـ ﴿يولج الليل في النهار﴾ فيقصر النهار بطول الليل ﴿ويولج النهار في الليل﴾ فيطول النهار بقصر الليل ﴿وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى﴾ فالأجرام السماوية وحركتها مسخرة لحياة الإنسان على الأرض ﴿ذلكم الله ربكم﴾ الذي يملككم ويدبر أمركم ﴿له الملك﴾ لالغيره ﴿والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾ وهو على ما قيل الأثر على رأس النواة أو قشر النواة.

١٤ ـ ﴿إن تدعوهم لايسمعوا دعاءكم﴾ فلا حس للأصنام ولاشعور، أما أرباب الأصنام من القديسين والملائكة فلا يملكون سمعاً من عند أنفسهم، وهم في شغل شاغل عن ذلك ﴿ولو سمعوا ما استجابوا لكم﴾ إذ لاقدرة لهم على الاستجابة والله لايأذن لأحد من الملائكة أن يستجيب لمن يدعوهم بالربوبية ﴿ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾ أي يردون عبادتكم إليكم ويتبرؤون منكم بدلاً من أن يكونوا شفعاء لكم ﴿ولا ينبئك﴾ عن الحقيقة مخبر ﴿مثل خبير﴾ خطاب للنبي ﷺ.

١٥ ـ ١٧ ـ ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله﴾ فكل الفقر فيكم ﴿والله هو الغني الحميد﴾ فكل الغنى فيه سبحانه.فالتوهم بالاستغناء عن الله سبحانه بعبادة الآلهة باطل، فله الخلق والتدبير ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ لأنه غني عنكم ﴿ويأت بخلق جديد﴾ يحمدونه لالحاجة منه بل لأنه محمود لجوده ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ لأن له القدرة المطلقة.

١٨ ـ ﴿ولاتزر وازرة﴾ أي لاتحمل نفس حاملة للإثم ﴿وزر﴾ ثقل حمل ﴿أخرى﴾ من الإثم ﴿وإن تدع﴾ نفس ﴿مثقلة﴾ بالإثم ﴿إلى حملها﴾ ليحمل عنها ﴿لايحمل منه شيء﴾ ولايستجاب لها ﴿ولو كان﴾ المدعو ﴿ذا قربى﴾ كالأب والأم ﴿إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة﴾ أما هؤلاء المكذبون فلا ينتفعون بالإنذار لأنه مطبوع على قلوبهم، والذي يتذكر يخشى الله ويقيم الصلاة. ولا يستقيم المعنى بأن يكون الإنذار لمن يصلي كما قيل ﴿ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه﴾ والتزكية هي التلبس بالخشية من الله ﴿وإلى الله المصير﴾ ولن يترك الناس سدى؛ ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لاترجعون﴾.

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

١٩ ـ ٢٣ ـ ﴿وما يستوي الأعمى والبصير﴾ وما يستوي المتزكون مع المكذبين ﴿ولا الظلمات ولا النور﴾ تأكيد للنفي ﴿ولا الظل ولاالحرور﴾ والحرور هو شدة حر الشمس ﴿وما يستوي الأحياء ولا الأموات﴾ تمثيل للمؤمن والكافر فالمؤمن هو البصير وهو الحي والإيمان هو الإحياء ﴿إن الله يسمع من يشاء﴾ فهو يسمع المؤمن؛ كان ميتاً قبل إيمانه فأحياه الله فأسمعه لما في نفسه من الاستعداد ﴿وما أنت﴾ يا محمد ﴿بمسمع من في القبور﴾ وهم الكفار المطبوع على قلوبهم ﴿إن أنت إلا نذير﴾ فليس لك إلا إنذارهم.

٢٤ ـ ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً﴾ فهذه سنة الله في خلقه ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ فما كنت بدعاً من الرسل.

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

٢٥ ـ ﴿وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم﴾ من الأقوام الغابرة ﴿جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ والآيات المعجزة ﴿وبالزبر﴾ أي الكتب الحاوية على ذكر الله دون أحكام وشرائع ﴿وبالكتاب المنير﴾ السماوي المتضمن للشرائع ككتاب نوح وإبراهيم.

٢٦ ـ ﴿ثم أخذت الذين كفروا﴾ بالعذاب ﴿فكيف كان نكير﴾ أي فكيف كان إنكارهم.

٢٧ ـ ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء﴾ وهذه حجة أُخرى على التوحيد ﴿فأخرجنا به﴾ لما لنا من كمال القدرة والحكمة ﴿ثمرات مختلفاً ألوانها﴾ ولولا التدبير الإلهي لكانت ذات لون واحد ﴿ومن الجبال جدد﴾ جمع جدة أي طريقة وجادة ﴿بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب﴾ أي صخور سوداء ﴿سود﴾ فالجبال أو طرقها مختلفة الألوان لاختلاف تركيبها وعناصرها.

٢٨ ـ ﴿ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك﴾ كاختلاف الثمرات والجبال في ألوانها ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ فالإيمان يؤثر أثره في العلماء دون الجهال. فالعلم بالله بأسمائه وصفاته وأفعاله تطمئن به القلوب، وتزيل الشكوك، فيخشع باطنهم ويخضع ظاهرهم ﴿إن الله عزيز غفور﴾ فلعزته وقهره يخشاه العارفون، ولمغفرته يؤمنون به ويشتاقون إلى لقائه.

٢٩ ـ ٣٠ ـ ﴿إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة﴾ دواماً ومحافظة عليها ﴿وأنفقوا مما رزقناهم سراً﴾ حذر الرياء ﴿وعلانية﴾ ليشيع في الناس حب الإنفاق ﴿يرجون تجارة لن تبور﴾ لن تهلك بالخسران ﴿ليوفيهم أجورهم﴾ وثواب أعمالهم ﴿ويزيدهم من فضله﴾ لأن ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها﴾ ﴿إنه غفور﴾ لزلاتهم ﴿شكور﴾ يثيبهم ويزيدهم من فضله. ويمكن أن يراد بالزيادة زيادة مغايرة لثواب الأعمال ﴿لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد﴾.

٣١ ـ ﴿والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق﴾ لا يشوبه باطل ﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ من الكتب السماوية ﴿إن الله بعباده لخبير بصير﴾ ولخبرته أرسل لهم الكتب الهادية لهم.

٣٢ ـ ﴿ثم أورثنا﴾ ذريتك يا محمد ﴿الكتاب﴾ أي القرآن وهؤلاء هم ﴿الذين اصطفينا﴾ والاصطفاء أخذ الصفوة والخالص ﴿من عبادنا﴾ وهم ذريتك. من أولاد فاطمة عليهم السلام وقد روى الفريقان عنه ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض». ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ عليه شيء من السيئات ﴿ومنهم مقتصد﴾ متوسط في قصد السبيل ﴿ومنهم سابق بالخيرات﴾ فهو إمام بسبب فعل الخير ومن كانت هذه صفته يستحق وراثة الكتاب ﴿بإذن الله﴾ لأنهم لايستقلون بفعلهم ﴿ذلك﴾ الإيراث ﴿هو الفضل الكبير﴾ من الله، لادخل للكسب فيه، وقيل أن المراد بالعباد هنا علماء الأمة أو أمة محمد.

٣٣ ـ ﴿جنات عدن يدخلونها﴾ هو الفضل ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير﴾ ذكر لما أعد الله من فضله.

٣٤ ـ ﴿وقالوا﴾ القائلون هم السابقون بالخيرات والمقتصدون. ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ في الدنيا ونوائبها بدخول الجنة ﴿إن ربنا لغفور﴾ للزلات ﴿شكور﴾ يزيد الثواب من فضله.

٣٥ ـ ﴿الذي أحلنا دار المقامة﴾ التي لاخروج منها ولاتحول عنها ﴿من فضله لايمسنا فيها نصب﴾ وتعب ﴿ولايمسنا فيها لغوب﴾ أي عي وكلال في طلب ما نريد.

٣٦ ـ ﴿والذين كفروا لهم﴾ اختصاصاً ﴿نار جهنم﴾ جزاء لاينفك عنهم ﴿لايقضى﴾ ويحكم ﴿عليهم فيموتوا ولايخفف عنهم من عذابها﴾ العظيم ﴿كذلك نجزي كل كفور﴾ ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون﴾.

٣٧ ـ ﴿وهم يصطرخون فيها﴾ ينادون مستغيثين ﴿ربنا أخرجنا﴾ من النار ﴿نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل﴾ فيرد عليهم ﴿أولم نعمركم﴾ من العمر ﴿ما يتذكر فيه من تذكر﴾ فلم تتذكروا ﴿وجاءكم النذير﴾ فلم تؤمنوا ﴿فذوقوا﴾ العذاب ﴿فما للظالمين من نصير﴾ يخلصهم من العذاب وكيف يخلصهم وهو معهم.

٣٨ ـ ﴿إن الله عالم غيب السموات والأرض﴾ ولايغيب عن علمه شيء ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ فيعاملكم بما في باطنكم من الاعتقاد وآثار الأعمال ويحاسبكم عليه سواء وافق ظاهركم باطنكم أو خالفه. إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله يوم تبلى السرائر.

وَالَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَۖ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُمۡ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

٣٩ ـ ﴿هو الذي جعلكم خلائف في الأرض﴾ يقوم كل لاحق مقام سابق، ويتسلط على ما كان السابق مسلطاً عليه والخلافة لاتنفك عن الخلقة، فالخالق هو الرب وهو الله. ﴿فمن كفر﴾ وستر هذه الحقيقة ﴿فعليه كفره﴾ ووزره ﴿ولايزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتاً﴾ وبغضاً لإعراضهم عن العبودية ﴿ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خساراً﴾ لأنهم بدلوا السعادة شقاء ووبالاً سيصيبهم في دار الجزاء.

٤٠ ـ ﴿قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله﴾ وتدعون أنهم شركاء لله ﴿أروني ماذا خلقوا من الأرض﴾ فلو كانوا آلهة لكان لهم شيء من تدبير العالم ولو كانوا خالقين لبان خلقهم ﴿أم لهم شرك في السموات﴾ فالشرك لايكون إلا بخلق ﴿أم ءاتيناهم كتاباً فهم على بينة منه﴾ تثبت أنهم شركاء لله ﴿بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً﴾ فيغرونهم بوعد الشفاعة والزلفى، فالأسلاف يغرون الأخلاف، والرؤساء والأئمة يغرون المرؤوسين والتابعين.

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۗ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۚ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾

٤١ ـ ﴿إن الله يمسك السموات والأرض﴾ ويحفظهما ﴿أن تزولا﴾ وتضمحلا ﴿ولئن زالتا﴾ أي وأقسم لئن أشرفتا على الزوال ﴿إن﴾ أي ما ﴿أمسكهما من أحد من بعده﴾ فلا قدرة لأحد على ذلك ﴿إنه كان حليماً﴾ لايعجل في أمر ﴿غفوراً﴾ يستر العدم في الأشياء، وبمقتضى الاسمين يمسك السموات والأرض.

٤٢ ـ ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ وقد اجتهدت قريش في الحلف ﴿لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم﴾ التي كذبت رسولها من اليهود أو النصارى ﴿فلما جاءهم نذير﴾ هو النبي ﷺ ﴿ما زادهم إلا نفوراً﴾ وتباعداً وهرباً.

٤٣ ـ ﴿استكباراً في الأرض﴾ ورفضاً لدعوة الحق ﴿ومكر السيىء﴾ والمكر هو صرف الغير عما يقصده بحيله ﴿ولا يحيق﴾ أي ولايصيب ولاينزل ﴿المكر السيىء إلا بأهله﴾ وبمن فعله ﴿فهل ينظرون﴾ أي ينتظرون ﴿إلا سنة الأولين﴾ وهي إنزال العذاب بالمكذبين ﴿فلن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ ولن توضع العافية موضع العذاب ﴿ولن تجد لسنة الله تحويلاً﴾ ولن يتحول العذاب من قوم يستحقونه إلى غيرهم، والخطاب للنبي ﷺ أو لكل سامع.

٤٤ ـ ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ استشهاداً على سنته الجارية ﴿وكانوا أشد منهم قوة﴾ فكانوا أقوى من مشركي قريش، فأخذهم الله ﴿وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض﴾ بقوة أو مكر ﴿إنه كان عليماً﴾ لايجهل ولا ينخدع بمكر أو حيلة ﴿قديراً﴾ لايعجزه شيء.

٤٥ ـ ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا﴾ من المعاصي مؤاخذة دنيوية ﴿ما ترك على ظهرها﴾ أي ظهر الأرض ﴿من دابة﴾ وهي كل ما يدب على الأرض من إنسان ويمكن أن يكون المراد كل ما يدب من حيوان ﴿ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾ هو الموت أو القيامة ﴿فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا﴾ فيجازي كلاً بما عمل، لأنه رب وهم عباده.

سورة يس

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: بيان النبوة، بيان التوحيد، بيان المعاد.

١ ـ ﴿يس﴾ ورد أن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس أو أنها اسم للنبي ﷺ معناه أيها السامع للوحي. ٢ ـ ٦ ـ ﴿والقرآن الحكيم﴾ قسم بالقرآن وقد استقرت فيه الحكمة والمعارف ﴿إنك لمن المرسلين﴾ مقسم عليه ﴿على صراط مستقيم﴾ وطريق واضح يوصل عابريه إلى الله تعالى، أي إلى السعادة الإنسانية وكمال العبودية ﴿تنزيل العزيز الرحيم﴾ فالله قاهر لايعجزه إعراض المعرضين عن عبوديته وهو رحيم يهدي الناس إلى السعادة والكمال، وقد أرسلك يا محمد ﴿لتنذر﴾ بتبعات التكذيب ﴿قوما ما أنذر ءاباؤهم﴾ وهم قوم قريش وآباؤهم الأدنون أو إلى جميع الناس المعاصرين وآباؤهم بعد عيسى ﷺ ﴿فهم غافلون﴾ عن دين التوحيد. ٧ ـ ﴿لقد حق القول على أكثرهم﴾ فصاروا مصاديق قوله تعالى: ﴿فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾ ﴿فهم لا يؤمنون﴾ ولذلك حقت عليهم كلمة العذاب. ٨ ـ ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً﴾ وهي ما تشد به اليد إلى العنق ﴿فهي إلى الأذقان فهم مقمحون﴾ أي رافعو رؤوسهم كأن الأغلال ملأت ما بين صدورهم وأذقانهم لا يتأتى لهم أن ينكسوها فينظروا إلى الطريق ويميزوها. ٩ ـ ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم﴾ وغطيناهم من كل جهة ﴿فهم لا يبصرون﴾ ولا يهتدون، جزاء لكفرهم وغوايتهم وطغيانهم، وروي أنها نزلت في أبي جهل ونفر من أهل بيته وقد حلف أن لئن رأى النبي ﷺ يصلي ليدمغه بحجر فجعل كلما رفع الحجر ليرميه أثبت الله يده إلى عنقه. ١٠ ـ ﴿وسواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ فيستوي فيهم الإنذار وعدمه. ١١ ـ ﴿إنما تنذر﴾ وينتفع بالإنذار ﴿من اتبع الذكر﴾ وهو القرآن ﴿وخشي الرحمن بالغيب﴾ قبل انكشاف الحقيقة بالموت أو البعث مع رجاء رحمته تعالى ﴿فبشره بمغفرة﴾ عظيمة من الله ﴿وأجر كريم﴾ لا يقدر قدره وهو الجنة. ١٢ ـ ﴿إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ماقدموا﴾ من أعمال قدموها على موتهم ﴿وآثارهم﴾ كعلوم ينتفع بها أو مسجد بنوه أو مبضأة يتوضأ فيها أو شر يعمل به كوضع سنة مبتدعة يستن بها أو بناء مفسقة يعصى الله فيها أو مكان لهو محرم ﴿وكل

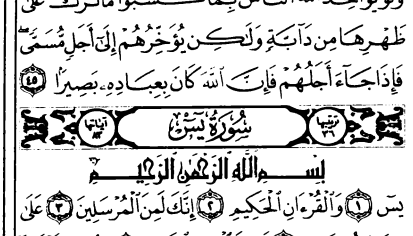

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾

سُورَةُ يٰسٓ

مكية وهي ثلاث وثمانون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يٰسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ هو اللوح المحفوظ من التغيير الذي يشتمل على تفصيل قضائه سبحانه في خلقه، وهو متبوع للخلق مقتدى لهم، ﴿هذا كتابنا ينطق بالحق إنا كنا نستنسخ ماكنتم تعملون﴾.

١٣ ـ ١٥ ـ ﴿واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون﴾ من الله ﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين﴾ من رسلنا ﴿فكذبوهما فعززنا بثالث﴾ تقوية لهما ﴿فقالوا إنا إليكم مرسلون﴾ من جانب الله ﴿قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء﴾ فالبشر لا ينالون النبوة والوحي ﴿إن أنتم إلا تكذبون﴾ لأنا لا نجد على بشريتنا شيئاً من الوحي النازل.

١٦ ـ ﴿قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون﴾ فنحن مبلغون للرسالة ونحن في غنى عن تصديقكم ﴿وما علينا إلا البلاغ المبين﴾ لإتمام الحجة، إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده.

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

١٧ ـ ﴿قالوا إنا تطيرنا﴾ تشاءمنا ﴿بكم﴾ ونقسم ﴿لئن لم تنتهوا﴾ عن التبليغ ﴿لنرجمنكم﴾ بالحجارة ﴿وليمسنكم منا عذاب أليم﴾ يصل إليكم.

١٨ ـ ﴿قالوا طائركم﴾ أي حظكم ونصيبكم من الخير والشر ﴿معكم﴾ في أفعالكم ﴿أئن ذكرتم﴾ بالحق من وحدانيته تعالى والرجوع إليه جحدتم ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾ مجاوزون للحد في المعصية.

١٩ ـ ٢٢ ـ ﴿وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى﴾ ويجد في مشيه ﴿قال ياقوم اتبعوا المرسلين﴾ حث لقومه على اتباعهم وهذا يدل على أن الله قد نور قلبه بنور الإيمان ﴿اتبعوا من لا يسألكم أجراً﴾ فلا غرض فاسد لهم ﴿وهم مهتدون﴾ فالحجة على التوحيد قائمة ﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني﴾ وخلقني من عدم وهذه دعوة لحث النفس على التفكر ﴿وإليه ترجعون﴾ يوم الحساب، وقد جاء نظير هذا السعي في قصة موسى والقبطي.

٢٣ ـ ٢٥ ـ ﴿أأتخذ من دونه آلهة﴾ ليشفعوا لي ﴿إن يردن الرحمن بضر﴾ واقع ﴿لا تغني عني شفاعتهم شيئاً﴾ في منع نفوذ الضر ﴿ولا هم ينقذون﴾ فاتخاذهم وعدمه سواء، وإن اتخذتهم ﴿إني إذا لفي ضلال مبين﴾ لأن التدبير لله تعالى وحده؛ وقيامه بتقليب الأمر مع نفسه لكي يسلك الباقون سبيله ﴿إني آمنت بربكم﴾ أيها الرسل، ﴿فاسمعون﴾ إقامة الحجة ثم تجديد للشهادة بالحق وتأكيد للإيمان.

٢٦ ـ ٢٧ ـ ﴿قيل﴾ له وقد قتله قومه ﴿ادخل الجنة﴾ كأن قتله هو أمره بدخول الجنة والجنة هي جنة البرزخ ﴿قال﴾ ينصر قومه ميتاً ﴿يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾ وموهبة الإكرام ينالها كثيرون كالإكرام بالنعمة ولكن كرامة العبد عند الله بمعنى إكرام الله لعبده بعدّه من المكرمين لا يتصف بها إلا الملائكة والكاملون في إيمانهم.

٢٨ ـ ٢٩ ـ ﴿وما أنزلنا على قومه من بعده﴾ أي من بعد قتله ﴿من جند من السماء﴾ لهوان أمرهم فلا يحتاجون إلى عدد وعدة لهلاكهم ﴿وما كنا منزلين﴾ في إهلاك من هلك من قبلهم ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة﴾ أهلكتهم بمشيئتنا ﴿فإذا هم خامدون﴾ ساكنون موتى لا يتحركون.

٣٠ ـ ﴿يا حسرة﴾ ويا ندامة ﴿على العباد﴾ وهم عامة الناس ﴿ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون﴾ فرد العبد دعوة مولاه أشنع من رده غيره،سواء كان غيره رئيساً له أو دون ذلك.

٣١ ـ ٣٢ ـ ﴿ألم يروا﴾ فيعتبروا ﴿كم أهلكنا قبلهم من القرون﴾ والقرن أهل عصر واحد ﴿أنهم إليهم لا يرجعون﴾ فهم مأخوذون بأخذ إلهي لا رجوع منه إلى ما كانوا يترفون فيه. ﴿وإن كل لما جميع لدينا محضرون﴾ للحساب والجزاء يوم القيامة.

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

٣٣ ـ ٣٥ ـ ﴿وءاية لهم الأرض الميتة أحييناها﴾ وهذه من آيات الربوبية وتدبير أرزاق الناس ﴿وأخرجنا منها حباً﴾ كالحبوب والبقول ﴿فمنه يأكلون﴾ فبالأكل يتم التدبير ﴿وجعلنا فيها جنات﴾ ذات أشجار تستر الأرض ﴿من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون﴾ أي شققنا الأرض ليخرج الماء ﴿ليأكلوا من ثمره﴾ أي من ثمار الجنات ﴿وما﴾ نافية ﴿عملته أيديهم﴾ فلم يشاركونا في التدبير ﴿أفلا يشكرون﴾ الله على هذا التدبير بإظهار نعمه قولاً وفعلاً فشكره هو الاعتراف بربوبيته واتخاذه إلهاً معبوداً.

٣٦ ـ ﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها﴾ فكل فاعل ومنفعل ينتجان بتلاقيهما أمراً ثالثاً ﴿مما تنبت الأرض﴾ من النبات وقد يشمل الحيوان ﴿ومن أنفسهم﴾ أي من الناس ﴿ومما لا يعلمون﴾ من الخليقة.

٣٧ ـ ﴿وءاية لهم﴾ على الربوبية ﴿الليل نسلخ﴾ ونخرج ﴿منه النهار فإذا هم مظلمون﴾ وقد أحاط الليل بما كان قد أضاءه النهار.

٣٨ ـ ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ إذ أن لها حركة دنيوية فهي تتحرك حركة لولبية حول نجم الجاثي على ركبتيه تستقر بنهايتها فتخرب الدنيا ويبطل النظام ﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾ فلا يغلب إرادته غالب ولا يجهل جهات الصلاح في أفعاله.

٣٩ ـ ﴿والقمر قدرناه منازل﴾ وهي المنازل الثماني والعشرون التي للقمر في كل ثمانية وعشرين يوماً وليلة ﴿حتى عاد كالعرجون القديم﴾ وهو عود عنق النخلة وهو أصفر مقوس يشبه الهلال.

٤٠ ـ ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار﴾ فالتدبير ليس مما يجري يوماً ويقف آخر بل هو تدبير دائم غير مختل ولا منقوض ﴿وكل في فلك يسبحون﴾ فالأجرام السماوية تجري في مدارات فضائية وفق أمره تعالى.

٤١ ـ ٤٤ ـ ﴿وءاية لهم﴾ من آيات الربوبية ﴿أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون﴾ بهم وبأمتعتهم، ولا حافظ له من الغرق إلا الله ﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾ من سائر وسائط النقل ﴿وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم﴾ ولا مغيث ﴿ولا هم ينقذون﴾ من الغرق ﴿إلا رحمة منا﴾ فنجاتهم بسبب من الأسباب رحمة من الله ﴿ومتاعاً إلى حين﴾ أي إلى أجل مسمى قدرناه لهم.

٤٥ ـ ٤٦ ـ ﴿وإذا قيل لهم﴾ وقد أعرضوا عن آيات الربوبية ﴿اتقوا ما بين أيديكم﴾ من المعاصي والشرك في الدنيا ﴿وما خلفكم﴾ وهو العذاب في الآخرة ﴿لعلكم ترحمون﴾ برحمة تنالكم، أعرضوا ﴿وما تأتيهم من ءاية من ءايات ربهم﴾ بالمشاهدة والتلاوة والذكر ﴿إلا كانوا عنها معرضين﴾ متولين.

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا
لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ
وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾
وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ
﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ
﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾
وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ
﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ
وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً
وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

٤٧ ـ ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله﴾ فالله هو المالك الحق وقد سلطكم على ما رزقهم به، وهو الذي خلق الفقراء وأقام حاجتهم عند فضل مؤن المرزوقين هؤلاء ﴿قال الذين كفروا للذين ءامنوا﴾ رداً لدعوة الإنفاق وهي حكم تشريعي ﴿أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾ وهذا رد للدعوة بأن إرادة الله لا تتخلف عن مراده فلو شاء أن يطعمهم أطعمهم أي وسع في رزقهم، وهذه مغالطة منهم خلطوا فيها بين الإرادة التشريعية المبنية على الابتلاء والاختبار والإرادة التكوينية التي لا تتخلف عن المراد ﴿إن أنتم إلا في ضلال مبين﴾ في دعواكم أن الله أمرنا بالإنفاق وشاء منا ذلك.

٤٨ ـ ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ بيوم القيامة ﴿إن كنتم صادقين﴾ استهزاء منهم مبني على الإنكار.

٤٩ ـ ﴿ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم﴾ لهوان أمرهم على الله ﴿وهم يخصمون﴾ ويختصمون فيما بينهم غافلين عنها.

٥٠ ـ ﴿فلا يستطيعون توصية﴾ ولا يتركون وصية ﴿ولا إلى أهلهم يرجعون﴾ إذا كانوا خارج بيوتهم.

٥١ ـ ﴿ونفخ في الصور﴾ النفخة الثانية التي بها البعث ﴿فإذا هم من الأجداث﴾ أي القبور ﴿إلى ربهم﴾ الذي أنكروه ﴿ينسلون﴾ أي يسرعون في المشي.

٥٢ ـ ﴿قالوا ياويلنا﴾ وهلاكنا ﴿من بعثنا من مرقدنا﴾ وقد كذبوا البعث في الدنيا ﴿هذا ما وعد الرحمن﴾ وقولهم الرحمن طلب للرحمة ـ ﴿وصدق المرسلون﴾ وقد كذبنا بهم في الدنيا.

٥٣ ـ ٥٤ ـ ﴿إن كانت إلا صيحة﴾ ونفخة ﴿واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾ من غير تأخير ومهلة ﴿فاليوم لا تظلم نفس شيئاً﴾ فالقضاء عدل والحكم حق ﴿ولا تجزون إلا ماكنتم تعملون﴾ فالجزاء هو الأعمال نفسها للسعيد وللشقي.

إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ
فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم
مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ
أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا
تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ
هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ
أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ
﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ
عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟
يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟
ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ
عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ
﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾
وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ
﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾

٥٥ ـ ٥٨ ـ ﴿إن أصحاب الجنة اليوم في شغل﴾ يشغلهم عما هو دونه فهم ﴿فاكهون﴾ متمتعون في النعيم ﴿هم وأزواجهم﴾ من حلائلهم المومنات في الدنيا ومن الحور العين ﴿في ظلال على الأرائك متكئون﴾ اتكاء الأعزة ﴿لهم فيها فاكهة﴾ من كل الثمرات ﴿ولهم ما يدعون﴾ أي يتمنون ويطلبون ﴿سلام﴾ لهم ﴿قولاً من رب رحيم﴾ تكريماً لهم.

٥٩ ـ ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾ عن المؤمنين ﴿أم نجعل المتقين كالفجار﴾ ؟ ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم﴾ ! ٦٠ ـ ﴿ألم أعهد إليكم﴾ أي أوصي إليكم ﴿يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان﴾ بإطاعته فيما يوسوس به ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ إذ قال: ﴿أرأيت هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلاً﴾. وفي اعتقادات الصدوق: «من أصغى إلى ناطق فقد عبده فإن كان الناطق ينطق عن الله فقد عبد الله وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس». والإصغاء بمعنى الطاعة.

٦١ ـ ٦٢ ـ ﴿وأن اعبدوني﴾ ولا تعبدوا الشيطان ﴿هذا صراط مستقيم﴾ يوصل سالكيه إلى السعادة ﴿ولقد أضل منكم جبلاً﴾ أي جمعاً ﴿كثيراً أفلم تكونوا تعقلون﴾ الكلام مبني على التوبيخ والعتاب.

٦٣ ـ ٦٥ ـ ﴿هذه جهنم التي كنتم توعدون﴾ أي كان يستمر الوعد بها ﴿اصلوها اليوم﴾ والزموها ﴿بما كنتم تكفرون﴾ أيها المجرمون ﴿اليوم نختم على أفواههم﴾ فلا تنطق ﴿وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ فكل عضو سوف يشهد بما كان يكسب من السيئات والمعاصي. ٦٦ ـ ﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم﴾ والطمس هو محو الشيء حتى يذهب أثره ﴿فاستبقوا الصراط﴾ أي أرادوا السبق إلى الطريق الواضح الذي لا يخطىء قاصده ﴿فأنى يبصرون﴾ فلن يبصروه. ٦٧ ـ ﴿ولو نشاء لمسخناهم﴾ وقلبنا صورهم ﴿على مكانتهم﴾ وهم في مكانهم ﴿فما استطاعوا مضياً﴾ في العذاب ﴿ولا يرجعون﴾ إلى حالهم قبل العذاب والمسخ. ٦٨ ـ ﴿ومن نعمره﴾ ونزد في عمره ﴿ننكسه﴾ أي نقلبه ﴿في الخلق﴾ فتتبدل قوته ضعفاً ﴿أفلا يعقلون﴾ توبيخ وحث على التدبر والاعتبار. ٦٩ ـ ﴿وما علمناه الشعر﴾ فهو ﷺ لا يحسنه ﴿وما ينبغي له﴾ فهو ﷺ منزه عما يتعاوره العارفون بصناعة الشعر من التخيلات والأوزان الموسيقية ليكون أوقع في السمع ﴿إن هو إلا ذكر وقرءان مبين﴾ وهو ليس شعراً بل عظة ودلالات. ٧٠ ـ ﴿لينذر﴾ بالقرآن ﴿من كان حياً﴾ أي يسمع الحق ويعقله ﴿ويحق القول على الكافرين﴾ أي لتثبت كلمة العذاب عليهم بصيرورتهم مصاديق يصدق عليهم القول الذي قضي فيهم.

٧١ ـ ٧٣ ـ ﴿أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً﴾ فالخلق من اختصاصه تعالى لا يشاركه به أحد ﴿فهم لها مالكون﴾ وقد خلقها الله لأجل الإنسان، ولازمه اختصاصها به وينتهي الاختصاص إلى الملك وهو ملك اعتباري من شعب الاختصاص ﴿وذللناها لهم﴾ فهي مسخرة لهم ﴿فمنها ركوبهم ومنها يأكلون﴾ من لحومها ﴿ولهم فيها منافع﴾ ينتفعون بشعرها وجلودها ﴿ومشارب﴾ ينتفعون بألبانها ﴿أفلا يشكرون﴾ الله على هذا التدبير وهذه النعم. ٧٤ ـ ٧٥ ـ ﴿واتخذوا من دون الله آلهة﴾ من الحجر والبشر كالأصنام والرؤساء ﴿لعلهم ينصرون﴾ أي ليتقوا سخطهم ويستدروا نفعهم مع أنهم ﴿لا يستطيعون نصرهم﴾ فهؤلاء الآلهة لا يملكون شيئاً من نفع أو ضر ﴿وهم﴾ أي المشركون ﴿لهم جند﴾ أي للآلهة ﴿محضرون﴾ يوم القيامة فالمشركون مطيعون للآلهة، دون أن تستطيع الآلهة نصر المشركين. فالذين يؤلهون الطغاة الجبارين يشاركون المشركين في عبادة الأصنام فهم مطيعون راكعون. ٧٦ ـ ٨٠ ـ ﴿فلا يحزنك قولهم﴾ باتخاذهم الآلهة رجاء نصرها ﴿إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ وسيحضرون آلهتهم معهم للعذاب ولسنا بغافلين عنهم. ﴿أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة﴾ حقيرة ﴿فإذا هو خصيم مبين﴾ يصر على خصومته وجداله وينكر البعث. ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه﴾ من نطفة لأول مرة ﴿قال من يحيي العظام وهي رميم﴾ بالية،وفي قوله كان رد على نفسه وإجابة عن المثل الذي ضربه خلقه الأول ﴿قل﴾ يامحمد ﴿يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾ إيجاداً من عدم ﴿وهو بكل خلق عليم﴾ فهو تعالى لا ينسى ولا يجهل شيئاً من خلقه، وهو المنشىء أولاً وهو الذي يعلم ما كانت عليه النفوس قبل الموت وبعده. وهو ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً﴾ يراد به شجر المرخ والعفار اللذين كانا يقدحان ناراً على خضرتهما أو مطلق الشجر بعديبسه ﴿فإذا أنتم منه توقدون﴾ أي تشعلون النار، وحصول الحي من الميت ليس بأعجب من انقداح النار من الشجرة الخضراء وهما متضادان. ٨١ ـ ﴿أو ليس الذي خلق السموات والأرض﴾ بما فيها من عجيب النظام المتضمن لما لا يحصى من الجزئيات ﴿بقادر على أن يخلق مثلهم﴾ أي مثل هؤلاء الناس ﴿بلى وهو الخلاق العليم﴾ فالنفس لا تموت بموت البدن بل هي محفوظة حتى ترجع إلى الله سبحانه. ٨٢ ـ ﴿إنما أمره﴾ أي شأنه عند إرادة خلق شيء من الأشياء ﴿إذا أراد﴾ أن يوجد ﴿شيئاً﴾ من الأشياء ﴿أن يقول له﴾ مخاطباً بكلمة ﴿كن﴾ ومن المعلوم أن ليس هناك لفظ ولا مخاطب، فالكلام تمثيل لإفاضته تعالى وجود الشيء من غير حاجة إلى شيء آخر وراء ذاته المتعالية ﴿فيكون﴾ دون تخلف ولا مهل ﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾ فيلبسه الوجود. وعن الإمام علي عليه السلام قال: «فالله يقول له كن بلا لفظ ولا نطق بلسان». ٨٣ ـ ﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء﴾ والمراد بالملكوت هو الجهة التالية له تعالى من وجهي وجود الأشياء فهو متسلط على الأشياء لا نصيب فيها لغيره ﴿وإليه ترجعون﴾ بعد البعث ومن كان إليه المعاد يكون بيده الحساب.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

سورة الصافات

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: توحيد الألوهية ، تأنيب المكذبين بربوبيته تعالى، إنذار المنكرين للمعاد، ذكر نبذ من سير المرسلين. ١ ـ ٣ ـ ﴿والصافات﴾ أي أقسم بالملائكة الذين يُصفون ﴿صفاً﴾ في طريق الوحي ﴿فالزاجرات﴾ للشياطين ﴿زجراً﴾ لمنعهم عن المداخلة في الوحي ﴿فالتاليات ذكراً﴾ ووحياً على النبي ﷺ. ٤ ـ ٥ ـ ﴿إن إلهكم لواحد﴾ أيها الناس وهو المقسم به ﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾ فهو المتصرف المدبر لجميع شؤونها ﴿ورب المشارق﴾ أي مشارق الشمس باختلاف الفصول،أو مشارق النجوم،أو غيرها من المشارق. ٦ ـ ١٠ ـ ﴿إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب﴾ وهذه الزينة هي عالم الكواكب ﴿وحفظاً﴾ حفظناها ﴿من كل شيطان﴾ شرير ﴿مارد﴾ خبيث عار من الخير ﴿لا يسمعون إلى الملأ الأعلى﴾ فالشياطين ممنوعون من الإصغاء إلى الملائكة الكرام الذين هم سكنة السموات العلا، ولا سبيل لهم إلى الإطلاع على أخبار الغيب ﴿ويقذفون من كل جانب﴾ وجهة ﴿دحوراً﴾ مطرودين ﴿ولهم عذاب واصب﴾ لازم واجب ﴿إلا من خطف الخطفة﴾ واختلس السمع ﴿فأتبعه شهاب ثاقب﴾ لا يخطىء هدفه. ١١ ـ ﴿فاستفتهم أهم﴾ أي السموات والأرض وما بينهما ﴿أشد خلقاً أم من خلقنا﴾ من غيرهم ﴿إنا خلقناهم﴾ لهوان أمر خلقهم ﴿من طين لازب﴾ ملتزق.بما يجاوره . ١٢ ـ ١٥ ـ ﴿بل عجبت﴾ يا محمد من تكذيبهم للحق لما جاءهم ﴿ويسخرون﴾ من تعجبك أو من دعائك إياهم إلى الحق ﴿وإذا ذكروا﴾ بآيات الله الدالة على التوحيد ﴿لا يذكرون﴾ ولا ينتبهون ﴿وإذا رأوا ءاية﴾ كالقرآن وشق القمر ﴿يستسخرون﴾ ويهزئون ﴿وقالوا﴾ عن الآية ﴿إن هذا إلا سحر مبين﴾ فهم لا يفقهون منها إلا أنها شيء ما، وهو من أقوى الإهانة والسخرية.

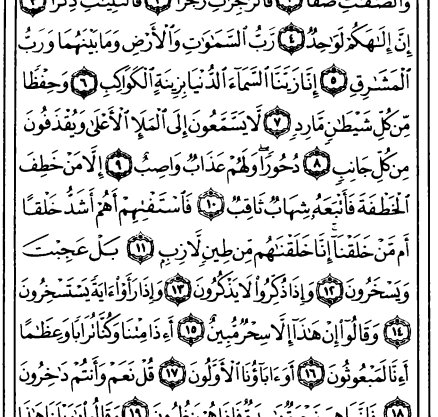
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾
إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ
الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا
مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ
مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ
الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا
أَمْ مَنْ خَلَقْنَا ۚ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ
وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ
﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا
أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ
﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا
يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾
احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ
اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾

١٦ ـ ٢١ ـ ﴿أءذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أءنّا لمبعوثون﴾ بعد تلاشي أبداننا ﴿أو ءاباؤنا الأولون﴾ وقد مسحت رسومهم ﴿قلْ﴾ يا محمد ﴿نَعَمْ﴾ ستبعثون ﴿وأنتم داخرون﴾ صاغرون أذلاء. ﴿فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون﴾ ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب﴾ ﴿وقالوا﴾ من فرط الدهشة وقد بهتوا ﴿ياويلنا هذا يوم الدين﴾ وهو يوم البعث فيه الدين والجزاء فيقال لهم ﴿هذا يوم الفصل﴾ بين الحق والباطل ﴿الذي كنتم به تكذبون﴾ وامتازوا اليوم أيها المجرمون. ٢٢ ـ ٢٤ ـ ﴿احشروا﴾ أيها الملائكة ﴿الذين ظلموا﴾ الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً ﴿وأزواجهم﴾ قرناءهم من الشياطين ﴿وماكانوا يعبدون من دون الله﴾ من بشر أو حجر ﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ لايصالهم إلى النار ﴿وقفوهم﴾ أي احبسوهم ﴿إنهم مسئولون﴾ والسؤال يقع في صراط الجحيم عن قول لا إله إلا الله

وقيل عن شرب الماء البارد استهزاء بهم.

٢٥ ـ ٢٦ ـ ﴿مالكم لا تناصرون﴾ فينصر بعضكم بعضاً كما كنتم تفعلون في الحياة الدنيا وتستكبرون ﴿بل هم اليوم مستسلمون﴾ خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة.

٢٧ ـ ٣٢ ـ ﴿وأقبل بعضهم﴾ وهم معترضون ﴿على بعض﴾ وهم المعترض عليهم ﴿يتساءلون﴾ ويتخاصمون ﴿قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين﴾ فتقطعون الطريق وتحولون بيننا وبين الخير والسعادة وتضلونا ﴿قالوا﴾ لأتباعهم ﴿بل لم تكونوا مؤمنين﴾ باختيار منكم ﴿وما كان لنا عليكم من سلطان﴾ حتى نسلب إيمانكم بفرض وجوده ﴿بل كنتم قوماً طاغين﴾ متجاوزين عن الحد كما كنا مستكبرين طاغين، فتعاضدنا على ترك سبيل الرشد واتخاذ سبيل الغي ﴿فحق علينا قول ربنا﴾ وأصبحنا مصاديق كلمات عذابه ﴿إنا لذائقون﴾ العذاب ﴿فأغويناكم إنا كنا غاوين﴾ فالغاوي لا تتأتى منه إلا الغواية، والإناء ينضح بما فيه.

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾

٣٣ ـ ٣٤ ـ ﴿فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون﴾ لاشتراكهم في الظلم وتعاونهم على الجرم ﴿إنا كذلك نفعل بالمجرمين﴾ تأكيد لتحقيق العذاب.

٣٥ ـ ٣٧ ـ ﴿إنهم﴾ لإجرامهم ﴿كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون﴾ عن التوحيد والإخلاص ﴿ويقولون﴾ بعد أن أنكروا التوحيد ﴿أإنا لتاركوا ءالهتنا لشاعر مجنون﴾ وهذا إنكار للرسالة واتهام للرسول العظيم، ورمي لكتاب الله بكونه شعراً ﴿بل جاء بالحق﴾ وهو القرآن ﴿وصدق المرسلين﴾ السابقين، فليس باطلاً ولا شعراً ولا بدعاً.

٣٨ ـ ٣٩ ـ ﴿إنكم لذائقوا العذاب الأليم﴾ لاستكباركم ورميكم الحق بالباطل ﴿وما تجزون إلا ماكنتم تعملون﴾ دون ظلم، فعملكم نفسه يرد إليكم.

٤٠ ـ ٤٩ ـ ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ فهم مستثنون من العذاب لأنهم لا يريدون إلا ما أراد الله ولا يعملون إلا له، فأخلصهم الله لنفسه فلا يشاركه فيهم أحد فليس في قلوبهم إلا الله سبحانه ﴿أولئك لهم رزق معلوم﴾ متعين خاص بهم ﴿فواكه﴾ وثمار ﴿وهم مكرمون﴾ به لا يشاركهم به غيرهم ﴿في جنات النعيم﴾ وحقيقة النعمة هي الولاية الإلهية وهي كونه تعالى هو القائم بأمر عبده ﴿على سرر متقابلين﴾ يستأنس بعضهم ببعض ﴿يُطاف عليهم بكأس من معين﴾ فيه الصافي من المشروبات ﴿بيضاء لذة للشاربين﴾ مبالغة في الوصف ﴿لا فيها غول﴾ أي إضرار وإفساد ﴿ولا هم عنها ينزفون﴾ فلا يذهب عقلهم بها ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ ذوات غنج ودلال ﴿عين﴾ ذوات أعين جميلة واسعة ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ مستور.

٥٠ ـ ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ وهم في الجنة.

٥١ ـ ﴿قال قائل منهم إني كان لي قرين﴾ من الشياطين.

٥٢ ـ ٥٣ ـ ﴿يقول أءنك لمن المصدقين﴾ للبعث والجزاء ﴿أءذا متنا وكنا تراباً وعظاماً﴾ فتلاشت أبداننا ﴿أءنا لمدينون﴾ ومجزيون بالبعث والإعادة؟ فهذا مما لا ينبغي أن يصدق!.

٥٤ ـ ﴿قال﴾ لمحادثيه من أهل الجنة ﴿هل أنتم مطلعون﴾ ومشرفون على النار.

٥٥ ـ ﴿فاطلع﴾ على قرينه في النار ﴿فرءاه في سواء الجحيم﴾ أي في وسطها.

٥٦ ـ ﴿قال تالله إن كدت لتردين﴾ لأكون مثلك من المهلكين الساقطين وتسقطني فتهلكني كما هلكت.

٥٧ ـ ﴿ولولا نعمة ربي﴾ أي هدايته وتوفيقه ﴿لكنت من المحضرين﴾ للعذاب مثلك.

٥٨ ـ ٥٩ ـ ﴿أفما نحن بميتين﴾ وهل نحن خالدون في النعيم ﴿إلا موتتنا الأولى﴾ وهي ميتة الحياة الدنيا ﴿وما نحن بمعذبين﴾ بعد ذلك.

﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

٦٠ ـ ٦١ ـ ﴿إن هذا لهو الفوز العظيم﴾ إعظام لموهبة الخلود وارتفاع العذاب وشكر للنعمة ﴿لمثل هذا﴾ الفوز ﴿فليعمل العاملون﴾ في دار التكليف وهو من قول القائل المذكور وقيل هو من قول الله سبحانه وقيل هو من قول أهل بيت الجنة.

٦٢ ـ ﴿أذلك﴾ الرزق الكريم ﴿خير نزلاً﴾ والنزل هو ما يهيأ لورود الصيف ﴿أم شجرة الزقوم﴾ وهي شجرة مرة كريهة الرائحة يورم لبنها الجسد.

٦٣ ـ ﴿إنا جعلناها فتنة﴾ محنة وعذاباً ﴿للظالمين﴾ المنكرين.

٦٤ ـ ﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم﴾ وقعرها.

٦٥ ـ ﴿طلعها﴾ وحملها ﴿كأنه رؤوس الشياطين﴾ فهو في أقبح صورة.

٦٦ ـ ﴿فإنهم لآكلون منها﴾ لظلمهم ﴿فمالئون منها البطون﴾ من شدة جوعهم.

٦٧ ـ ﴿ثم إن لهم عليها لشوباً﴾ أي مزيجاً وخليطاً ﴿من حميم﴾ أي من ماء حار يشربونه مع الزقوم.

٦٨ ـ ﴿ثم إن مرجعهم﴾ بعد الشرب ﴿لإلى الجحيم﴾ فيستقرون ويعذبون.

٦٩ ـ ﴿إنهم ألفوا﴾ ووجدوا ﴿ءاباءهم ضالين﴾ فقلدوهم.

٧٠ ـ ﴿فهم على آثارهم﴾ إلى الجحيم ﴿يهرعون﴾ ويسرعون؛ مع أنهم يدعونهم إلى عذاب السعير.

٧١ ـ ﴿ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين﴾ فالمشركون ماكانوا سابقين في ذلك.

٧٢ ـ ﴿ولقد أرسلنا فيهم منذرين﴾ كما أرسل إليهم.

٧٣ ـ ﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ وقد هلكوا.

٧٤ ـ ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ فكانوا ناجين.

٧٥ ـ ﴿ولقد نادانا نوح﴾ فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ﴿فلنعم المجيبون﴾ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر.

٧٦ ـ ﴿ونجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾ وحملناه على ذات ألواح ودسر.

٧٧ ـ ٨٢ ـ ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ جزاء لمن شكر ﴿وتركنا﴾ وأبقينا ﴿عليه في الآخرين﴾ من الأمم الغابرة بإحياء دعوته إلى التوحيد ﴿سلام على نوح في العالمين﴾ من البشر وجماعاتهم إلى يوم القيامة ولا يوجد في كلامه تعالى سلام على هذه السعة على أحد ممن دونه ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ فقد أجاب الله تعالى نداء نوح عليه السلام، ومنَّ عليه بما ذكر، فلكل محسن جزاء حسن، ولو خالفت صفات حسنه ما اختص به ﷺ ﴿إنه من عبادنا﴾ الذين لا يريدون إلا ما يريد الله وهو من ﴿المؤمنين﴾ حقاً، فسرى اعتقاده الحق إلى جميع أركان وجوده، فكان من المحسنين ﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ من المشركين إجابة لدعوته: ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا﴾. ٨٣ ـ ٨٦ ـ ﴿وإن من شيعته لإبراهيم﴾ والشيعة هم القوم المشايعون لغيرهم الذاهبون على أثرهم فإبراهيم موافق لنوح ﴿إذ جاء ربه﴾ مصدقاً مؤمناً ﴿بقلب سليم﴾ خال من الشرك والمعاصي ﴿إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون﴾ مستغرباً عبادتهم للأصنام ﴿أئفكاً ءالهة دون الله تريدون﴾ وهذا افتراء صريح على الله.

٨٧ ـ ﴿فما ظنكم برب العالمين﴾ وإذا كان للعالمين رب بطلت ربوبية أربابكم لأنه ما أنزل بها من سلطان.

٨٨ ـ ٩٠ ـ ﴿فنظر نظرة في النجوم﴾ لتشخيص الوقت كمن به حمى ذات نوبة يعين وقتها من أوضاع النجوم ﴿فقال﴾ لقومه ﴿إني سقيم﴾ ستعتريني النوبة فلا أقدر على الخروج معكم إلى عيدكم ﴿فتولوا عنه مدبرين﴾ وخلفوه في المدينة.

٩١ ـ ٩٣ ـ ﴿فراغ﴾ ومال ﴿إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون﴾ ما وضعه المشركون عندكم من طعام العيد ﴿ما لكم لا تنطقون﴾ ويزعم عبادكم أنكم عقلاء مدبرون ﴿فراغ عليهم ضرباً باليمين﴾ أي بيده اليمين أو ضرباً بقوة.

٩٤ ـ ٩٩ ـ ﴿فأقبلوا إليه يزفون﴾ مسرعين في المشي ﴿قال أتعبدون ما تنحتون﴾ فمن السفه أن يعبد الإنسان ما هو مخلوق للإنسان صنماً كان أم أمراً أو شرعةً ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ فالله هو الرب المعبود لأن الخلق لا ينفك عن التدبير ﴿قالوا ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم﴾ والنار المتأججة ﴿فأرادوا به كيداً﴾ وحيلة لحرقه ﴿فجعلناهم الأسفلين﴾ ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ ﴿وقال إني ذاهب إلى ربي﴾ وأعتزلكم وما تدعون من دون الله ﴿سيهدين﴾ إلى مكان فيه التجرد لعبادته تعالى وهو الأرض المقدسة.

١٠٠ ـ ١٠٢ ـ ﴿رب هب لي من الصالحين﴾ سؤال للولد ﴿فبشرناه﴾ أنا سنرزقه ﴿بغلام﴾ ذكر ﴿حليم﴾ يبلغ حد الغلمان ويظهر ما له من الكمال والصفاء ﴿فلما بلغ معه﴾ سن ﴿السعي﴾ في طلب حوائج الحياة وهو سن الرهاق ﴿قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك﴾ وقد تكررت الرؤيا ﴿فانظر ماذا ترى﴾ فتفكر فيما قلت وعيّن ما هو رأيك ﴿قال يا أبت افعل ما تؤمر﴾ فأنت مأمور وأنا راض ﴿ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ تطييب منه لنفس أبيه أنه لا يجزع منه، وأن صبره هبة من الله وموهبة.

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ
عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ
عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِنْ
شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ
لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ
﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾
فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ
فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا
بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ
﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ
فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾
وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ
﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ
يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ
يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾

فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾

١٠٣ ـ ١٠٦ ـ ﴿فلما أسلما﴾ ورضيا واستسلما ﴿وتله للجبين﴾ أي صرعه على أحد جانبي الجبهة ﴿وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا﴾ وامتثلت الأمر ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ فنمتحنهم امتحانات شاقة. فإذا أتموا الابتلاء جزيناهم ﴿إن هذا لهو البلاء المبين﴾ والامتحان الظاهر.

١٠٧ ـ ١١٣ ـ ﴿وفديناه بذبح﴾ وكان كبشاً أتى به جبريل على ما قيل ﴿عظيم﴾ الشأن لكونه من عند الله ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ وأبقينا دعوته إلى التوحيد في الأمم الغابرة ﴿سلام على إبراهيم﴾ تحية فخمة له ﴿كذلك نجزي المحسنين﴾ وقد أجاب دعاءه وخصه بكرامات منه ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾ وقد سرى اعتقاده الحق إلى جميع وجوده فترشح عنه الصلاح والإحسان ﴿وبشرناه بإسحاق﴾ وهو بعد اسماعيل عليهما السلام وكان ﴿نبياً من الصالحين﴾ بشارة بنبوة إسحاق ﴿وباركنا عليه وعلى إسحاق﴾ بوفرة دعاء الخير في أولاده وأولاد إسحاق ﴿ومن ذريتهما﴾ من هو ﴿محسن﴾ مبارك ﴿وظالم لنفسه مبين﴾ وفي أفعال بني إسرائيل من الفساد في الأرض أكبر مصداق لهذه الآية وقيل أن من حسن الإرداف مضاهاة نوح الأب الثاني للبشر الذي نجاه الله من الغرق بإبراهيم أبي الأنبياء الذي نجاه الله من الحرق.

١١٤ ـ ١١٦ ـ ﴿ولقد مننا﴾ وأنعمنا ﴿على موسى وهارون﴾ بنعم التنجية والنصر والهداية وغير ذلك ﴿ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم﴾ والغم الشديد من استضعاف فرعون لهم. ﴿ونصرناهم﴾ وهذا ما أدى إلى خروجهم من مصر ﴿فكانوا هم الغالبين﴾ بتجاوز البحر وهلاك فرعون وجنوده.

١١٧ ـ ١٢٢ ـ ﴿وءاتيناهما الكتاب المستبين﴾ الذي يبين المجهولات التي يحتاج إليها الناس في دنياهم وآخرتهم ﴿وهديناهما الصراط المستقيم﴾ هداية تامة إلى السبيل التي توصل سالكيها إلى مقاصدهم ﴿وتركنا عليهما في الآخرين﴾ بإبقاء كلمة التوحيد بعدهما ﴿سلام على موسى وهارون﴾ تحية من الله ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ ونجيب دعاءهم ﴿إنهما من عبادنا المؤمنين﴾ الذين تلبسوا بحسن العقيدة وسرت عقيدتهم عملاً صالحاً يترشح منهم.

١٢٣ ـ ١٢٦ ـ ﴿وإن إلياس لمن المرسلين﴾ قيل إنه من آل هارون كان مبعوثاً إلى بعلبك ﴿إذ قال لقومه ألا تتقون﴾ ولم لا تتلبسون بلباس العبودية ﴿أتدعون بعلاً﴾ وهو صنم من حجر ﴿وتذرون أحسن الخالقين﴾ والخلق والإيجاد يتعلق بذوات الأشياء كما يتعلق بالنظام الجاري فيها فيسمى تدبيراً ﴿الله ربكم ورب ءابائكم الأولين﴾ فهو المدبر لجميع الخلق.

١٢٧ ـ ١٣٢ ـ ﴿فكذبوه﴾ وأنكروا دعوته ﴿فإنهم لمحضرون﴾ ومبعوثون للعذاب ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ وكان في قومه جمع منهم ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ بإبقاء دعوة التوحيد بعده ﴿سلام على إل ياسين﴾ فلهم الأمن والنعمة. ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ وكل محسن ينال جزاءه من الله ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾ المتلبسين بالعقيدة الحقة والسلوك الحق.

١٣٣ ـ ١٣٦ ـ ﴿وإن لوطاً لمن المرسلين﴾ إلى قومه الذين يأتون الفاحشة ﴿إذ نجيناه وأهله أجمعين﴾ من الخسف وإمطار حجارة السجيل ﴿إلا عجوزاً﴾ هي إمرأته ﴿في الغابرين﴾ الباقين في العذاب ﴿ثم دمرنا﴾ أي أهلكنا ﴿الآخرين﴾ وهم قومه الذين أرسل إليهم.

١٣٧ ـ ١٣٨ ـ ﴿وإنكم لتمرون عليهم﴾ في ديارهم الخربة ﴿مصبحين وبالليل﴾ فإنهم على طريق الحجاز إلى الشام على ما قيل ﴿أفلا تعقلون﴾ وتنقادون إلى الحق.

١٣٩ ـ ١٤٢ ـ ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾ من عند الله ﴿إذ أبق﴾ وهرب مغاضباً عن قومه ﴿إلى الفلك المشحون﴾ بالناس، فعرض حوت للسفينة فاضطروا إلى أن يلقوا واحداً منهم ليبتلعه ويخلي السفينة ﴿فساهم﴾ بالقرعة فكان سهمه ﴿فكان من المدحضين﴾ المغلوبين ﴿فالتقمه الحوت﴾ وابتلعه ﴿وهو مليم﴾ داخل في اللوم.

١٤٣ ـ ١٤٦ ـ ﴿فلولا أنه كان من المسبحين﴾ المتلبسين بالتسبيح ﴿فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ ﴿للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾ فيكون بطن الحوت قبراً له ﴿فنبذناه﴾ وطرحناه ﴿بالعراء﴾ في مكان لا ستر فيه ﴿وهو سقيم﴾ عليل ﴿وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾ وهو نوع من القرع ليستظل بورقه العريض.

١٤٧ ـ ١٤٨ ـ ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ وهم أهل نينوى ﴿فآمنوا﴾ فنفعهم إيمانهم فلم نعذبهم ﴿فمتعناهم إلى حين﴾ إلى أجلهم المقدر لهم.

١٤٩ ـ ﴿فاستفتهم﴾ والاستفتاء طلب الفتوى ﴿ألربك البنات﴾ والمشركون والوثنية البرهمية والبوذية والصابئة يقولون بأنوثة الملائكة جميعاً ﴿ولهم البنون﴾ وقولهم يستلزم تفضيلهم على الله.

١٥٠ ـ ﴿أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون﴾ والذكورة والأنوثة لا تعلم إلا بالحس؟

١٥١ ـ ١٥٢ ـ ﴿ألا إنهم من إفكهم﴾ وصرفهم القول عن وجهه الحق ﴿ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون﴾ في دعواهم فالله ﴿أحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾.

١٥٣ ـ ﴿أصطفى البنات على البنين﴾ تكرار لنقض قولهم بأنهم شفعاء.

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾

١٥٤ ـ ١٦٠ ـ ﴿ما لكم كيف تحكمون﴾ من غير دليل ﴿أفلا تذكرون﴾ أن الدليل يقوم على خلاف قولكم ﴿أم لكم سلطان مبين﴾ أي كتاب برهان من عند الله ﴿فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين﴾ فيما تدعون ﴿وجعلوا بينه﴾ تعالى ﴿وبين الجنة نسباً﴾ بقولهم إن الجنة أولاده ﴿ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون﴾ للحساب والجزاء فهم مربوبون لله سبحاسبهم ويجازيهم ﴿سبحان الله﴾ تنزيهاً له ﴿عما يصفون﴾ مما لا يليق بساحة قدسه ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ الذين أخلصهم لنفسه فعرفهم نفسه وأنساهم غيره، فهم يصفونه في أنفسهم بما يليق بساحة كبريائه وإذا وصفوه بألسنتهم اعترفوا بقصور البيان.

١٦١ ـ ١٦٣ ـ ﴿فإنكم وما تعبدون﴾ من أصنام أو أصنام وآلهة معاً ﴿ما أنتم عليه بفاتنين﴾ مضلين أحداً ﴿إلا من هو صال﴾ ومتبع وملازم ﴿الجحيم﴾ السالك سبيل النار.

١٦٤ ـ ١٦٦ ـ ﴿وما منا﴾ ـ اعتراض من كلام جبريل أو هو وأعوانه ـ ﴿إلا له مقام معلوم﴾ على قدر أعماله يوم القيامة ﴿وإنا لنحن الصافون﴾ أي نصف عند الله في انتظار أوامره في تدبير العالم ﴿وإنا لنحن المسبحون﴾ أي المنزهون له تعالى عما لا يليق بساحة كبريائه.

١٦٧ ـ ١٧٠ ـ ﴿وإن كانوا ليقولون﴾ قريش ومن يتلوهم ﴿لو أن عندنا ذكراً﴾ أي كتاباً سماوياً ﴿من﴾ جنس كتب ﴿الأولين﴾ لاهتدينا ﴿لكنا عباد الله المخلصين﴾ فأنزلنا عليهم القرآن ﴿فكفروا به﴾ ولم يفوا بما قالوا ﴿فسوف يعلمون﴾ وبال كفرهم.

١٧١ ـ ١٧٩ ـ ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾ وهي قضاء محتوم ﴿إنهم لهم المنصورون﴾ في الحجة وبالنصر على أعدائهم وهم منصورون في الآخرة ﴿وإن جندنا﴾ والجند هم المجتمع الغليظ ﴿لهم الغالبون﴾ وهذا حكم اجتماعي منوط على العنوان لاغير، فما داموا جند الله فهم منصورون غالبون، وأما إذا لم يبق من الإيمان إلا اسمه فلا يرجى نصر ولا غلبة ﴿فتول عنهم حتى حين﴾ إلى أمد غير بعيد وقد حقق الله وعده فقد هاجر النبي ﷺ بعد قليل وأباد صناديد قريش في غزوة بدر ﴿وأبصرهم﴾ وأنظرهم وهم على ما هم عليه من العناد ﴿فسوف يبصرون﴾ وبال استكبارهم ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ ويقولون متى هذا الوعد ومتى هذا الفتح ﴿فإذا نزل﴾ العذاب ﴿بساحتهم فساء صباح المنذرين﴾ وهم مشركو قريش ﴿وتول عنهم حتى حين﴾ وأنذرهم بالعذاب ﴿وأبصر﴾ كفرهم ﴿فسوف يبصرون﴾ وبال كفرهم.

١٨٠ ـ ١٨٢ ـ ﴿سبحان ربك﴾ تنزيهاً له وهو ﴿رب العزة﴾ لا يغلبه غالب وتعالى ﴿عما يصفون﴾ ومامهم له بمعجزين ﴿وسلام على المرسلين﴾ فهم في تحية وأمان من الله ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ فله الثناء على الجميل الاختياري وهو المدبر لجميع العالمين.

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

سُورَةُ صٓ

سورة ص

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: إثبات كون النبي ﷺ منذراً بالذكر، إثبات أن الذكر يدعو إلى التوحيد والإخلاص، الاعتبار بمآل الطاغين، مآل الشيطان بسبب رفضه السجود لآدم. ١ ـ ٢ ـ ﴿ص﴾ ذكر أنها عين تنبع من تحت العرش توضأ منها النبي ﷺ لما عرج إلى السماء. ﴿والقرءان ذي الذكر﴾ أي أُقسم بالقرآن المتضمن للذكر إنك لمن المنذرين ﴿بل الذين كفروا في عزة﴾ وامتناع عن قبوله ﴿وشقاق﴾ مخالفة له. ٣ ـ ﴿كم أهلكنا من قبلهم من قرن﴾ وأمة بتكذيبهم الرسل ﴿فنادوا﴾ حين نزول العذاب ﴿ولات حين مناص﴾ أي ليس الحين حين فرار. ٤ ـ ٥ ـ ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾ أي بشر من نوعهم ﴿وقال الكافرون هذا﴾ النبي محمد ﷺ ﴿ساحر﴾ يأتي بما لا نقدر أن نأتي به ﴿كذاب﴾ ينسب القرآن إلى الله تعالى ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً﴾ بحكمه أن لا إله إلا الله ﴿إن هذا لشيء عجاب﴾ فإبطال الآلهة أمر شديد العجب. ٦ ـ ٨ ـ ﴿وانطلق الملأ منهم﴾ وقد اجتمع أشراف قريش ليحلوا مشكلة دعوته إلى التوحيد ﴿أن امشوا واصبروا على آلهتكم﴾ ولا تتركوا عبادتها ﴿إن هذا لشيء يراد﴾ إشارة إلى أن محمداً يتخذ من الدعوة ذريعة للرئاسة ﴿ما سمعنا بهذا﴾ المذهب ﴿في الملة الآخرة﴾ من الأمم المعاصرة ﴿إن هذا إلا اختلاق﴾ وكذب وافتعال ﴿أءنزل عليه الذكر من بيننا﴾ ولا ترجيح له ﷺ ولا اختصاص بالرسالة ﴿بل هم في شك من ذكري﴾ وهو القرآن ﴿بل لما يذوقوا عذاب﴾ فهم لعتوهم لا يعترفون بالحق حتى يذوقوا العذاب. ٩ ـ ١١ ـ ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك﴾ التي ينفق منها على من يشاء حتى يمنعوك منها والله هو ﴿العزيز﴾ لا يداخل في أمره أحداً ﴿الوهاب﴾ لا صارف لأحد عن هبة رحمته ﴿أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما﴾ فيكون لهم أن يتصرفوا فيها ﴿فليرتقوا في الأسباب﴾ وليصدوا وليمنعوا نزول الوحي ﴿جند ما﴾ هم ﴿هنالك مهزوم من الأحزاب﴾ فهم أقلاء مخذولون حق عليهم العقاب. ١٢ ـ ١٤ ـ ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد﴾ قيل سمي بذلك لأنه كانت له ملاعب من أوتاد، وقيل لأنه كان يعذب من غضب عليه بأن يوتد يديه ورجليه ورأسه على الأرض وذكر حديثاً أنه كان يستعمل الأوتاد في الأهرامات والأبنية لشد الحجارة إلى بعضها ﴿وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة﴾ وهم قوم شعيب ﴿أولئك الأحزاب﴾ وكلهم مهزومون وقد أهلكهم الله بعذابه ﴿إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب﴾ أي ثبت في حقهم الهلاك. ١٥ ـ ﴿وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة﴾ تهلكهم ﴿ما لها من فواق﴾ أو مهلة أو رجوع ١٦ ـ ﴿وقالوا ربنا عجل لنا قطنا﴾ ونصيبنا من العذاب ﴿قبل يوم الحساب﴾ وهذا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ص ۚ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾
كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوا
أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾
أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ
مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾
مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ ۖ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾ أَأُنزِلَ
عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾
أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم
مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾
جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ
لْأَيْكَةِ ۖ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ
فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا
مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾

استهزاء بيوم الحساب والوعيد فيه.

١٧ ـ ﴿اصبر على ما يقولون﴾ يا محمد ﴿واذكر عبدنا داوُد ذا الأيد﴾ والقوة ﴿إنه أواب﴾ كثير الرجوع إلى ربه.

١٨ ـ ﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق﴾ اقتداء به (ع) ١٩ ـ ﴿والطير محشورة﴾ مجموعة تسبح معه لله ﴿كل له أواب﴾راجع لما سخر له.

٢٠ ـ ﴿وشددنا ملكه﴾ وأحكمنا سلطته ﴿وءاتيناه الحكمة﴾ أي المعارف الحقة المتقنة النافعة ﴿وفصل الخطاب﴾ أي وتمييز الحق من الباطل.

٢١ ـ ﴿وهل أتاك﴾ يا محمد ﴿نبأ الخصم﴾ أي خبر المتخاصمين ﴿إذ تسوروا﴾ وعلوا ﴿المحراب﴾.

٢٢ ـ ﴿إذ دخلوا على داوُد﴾ في محرابه ﴿ففزع منهم﴾ ونفر منهم لأنهم دخلوا بغير إذن ومن طريق غير عادي ﴿قالوا لا تخف﴾ نحن ﴿خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط﴾ في حكمك ولا تجر ﴿واهدنا إلى سواء الصراط﴾ أي الوسط من الطريق الحق.

٢٣ ـ ﴿إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها﴾ أي اجعلها تحت كفالتي وتحت سلطتي ﴿وعزني في الخطاب﴾ وغلبني فيه.

٢٤ ـ ﴿قال﴾ داود ـ قبل سماع المتخاصم الآخر وقد هاجت الرحمة فيه ـ ﴿لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيراً من الخلطاء﴾ والشركاء المخالطين ﴿ليبغي بعضهم على بعض﴾ وهذا ظلم منهم ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ فلا يبغون ﴿وقليل ما هم﴾ لقلة من يتصف بالإيمان والعمل الصالح ﴿وظن﴾ أي علم ﴿داوُد أنما فتناه﴾ أي اختبرناه بهذه الواقعة ﴿فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب﴾ أي ورجع إلى ربه بالتوبة وتذكر الروايات أن المتخاصمين كانا من الملائكة، وأنه لا تكليف في ظرف التمثل.

اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

٢٥ ـ ﴿فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى﴾ ومنزلة وحظوة ﴿وحسن مآب﴾ وكريم المرجع.

٢٦ ـ ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾ بإخراج الخلافة من القوة إلى الفعل؛ ومن شأن الخلافة أن يحاكي الخليفة من استخلفه، فعلى خليفة الله أن يتخلق بأخلاق الله ﴿فاحكم بين الناس بالحق﴾ لأن الله يقضي بالحق ﴿ولا تتبع الهوى﴾ في قضائك ﴿فيضلك عن سبيل الله﴾ فسبيل الله هو الحق ﴿إن الذين يضلون عن سبيل الله﴾ وهو حق ﴿لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾ فلا ضلال ولا معصية مع تذكر يوم الحساب.

٢٧ ـ ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً﴾ فالخلق بلا غاية ممتنع التحقق في الأعيان وهو مستحيل على الحكيم المجيد ﴿ذلك ظن الذين كفروا﴾ فلذلك ينكرون يوم الحساب ﴿فويل للذين كفروا من النار﴾ وعذابها.

٢٨ ـ ﴿أم نجعل الذين ءامنوا وعملوا الصالحات﴾ وقد وصلوا إلى الكمال وكمال الإنسان هو خروجه في جانبي العلم والعمل من القوة إلى الفعل فهل يعدون ﴿كالمفسدين في الأرض﴾ لفساد اعتقادهم وعملهم ﴿أم نجعل المتقين﴾ الكاملين في إنسانيتهم ﴿كالفجار﴾ الخاسرين في إنسانيتهم، ومقتضى الكمال الحياة السعيدة ومقتضى النقص خلاف ذلك.

٢٩ ـ ﴿كتاب أنزلناه إليك﴾ دفعة واحدة ﴿مبارك﴾ كثير الخيرات ﴿ليدبروا ءاياته﴾ ويهتدوا بها ﴿وليتذكر أولوا الألباب﴾ فيهتدوا إلى الحق.

٣٠ ـ ٣٢ ـ ﴿ووهبنا لداود﴾ ابناً هو ﴿سليمان نعم العبد إنه أواب﴾ كثير الرجوع إلى الله ﴿إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد﴾ والصافنة من الخيل هي التي تقوم على ثلاث قوائم وترفع إحدى يديها حتى تكون على طرف الحافر ﴿فقال﴾ سليمان ﴿إني أحببت﴾ أي آثرت ﴿حبَّ الخير﴾ أي الخيل فشغلني التهيؤ للجهاد ﴿عن ذكر ربي﴾ أي عن الصلاة ﴿حتى توارت﴾ الشمس ﴿بالحجاب﴾ أي غربت ولما أصل بعد.

٣٣ ـ ﴿ردوها علي﴾ أمر منه للملائكة برد الشمس ﴿فطفق﴾ يتوضأ ﴿مسحاً بالسوق والأعناق﴾ وكان ذلك وضوءهم ثم صلى وصلوا وقيل أن المعنى ردوا الخيل فشرع يمسح بسوقها وأعناقها ويجعلها مسبلة في سبيل الله جزاء ما اشتغل بها عن الصلاة، وقيل غير ذلك.

٣٤ ـ ٣٥ ـ ﴿ولقد فتنا سليمان﴾ واختبرناه ﴿وألقينا على كرسيه جسداً﴾ ميتاً لصبي له ﴿ثم أناب﴾ دلالة على أنه كان له (ع) فيه رجاء أو أمنية في الله فأماته الله سبحانه تنبيهاً له (ع) أن يسلم الأمر لربه ﴿قال رب اغفر لي﴾ ما ترجيته من الصبي ﴿وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾ ملكاً اختصاصياً ﴿إنك أنت الوهاب﴾ كثير العطاء.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى ۖ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾

٣٦ ـ ٤٠ ـ ﴿فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء﴾ مطاوعة لأمره ﴿حيث أصاب﴾ أي حيث أراد ﴿والشياطين﴾ سخرنا له منها ﴿كل بناء﴾ في البر ﴿وغواص﴾ يعمل له في البحر فيستخرج اللؤلؤ وغيره ﴿وآخرين مقرنين﴾ مجموعين ﴿في الأصفاد﴾ والأغلال ﴿هذا عطاؤنا﴾ لك ﴿فامنن أو أمسك﴾ فهو لا ينفد بالعطاء والمن فيستوي فيه العطاء والإمساك فهو عطاء ﴿بغير حساب﴾ من العزيز الكريم ﴿وإن له عندنا لزلفى﴾ ومنزلة مقربة ﴿وحسن مآب﴾ أي كريم المرجع.

٤١ ـ ٤٢ ـ ﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه﴾ يسأل العافية ﴿أني مسني الشيطان﴾ وأصابني ﴿بنصب﴾ وتعب ﴿وعذاب﴾ في البدن والأهل، وذلك استناداً إلى بعض الأسباب العادية الطبيعية فاستجبنا له ﴿اركض برجلك﴾ وكان لا يقدر على المشي ومصاباً في بدنه ﴿هذا مغتسل بارد وشراب﴾ من عين هناك فشفي من مرضه بعد أن ضرب برجله الأرض.

٤٣ ـ ﴿ووهبنا له أهله ومثلهم معهم﴾ وقد روي أنه ابتلي بموتهم جميعاً إلا إمرأته فأحياهم الله ووهبه مثلهم ﴿رحمة منا﴾ وهبة ﴿وذكرى لأولي الألباب﴾ يتذكرون بها. ٤٤ ـ ﴿وخذ بيدك ضغثاً﴾ وهو ملء الكف من فروع الشجر والحشيش ونحو ذلك ﴿فاضرب به﴾ زوجته وكان عليه السلام قد حلف لئن عوفي أن يجلدها مائة جلدة لأمر أنكره عليها ﴿ولا تحنث﴾ بيمينك ﴿إنا وجدناه صابراً﴾ فيما حل به من البلاء ﴿نعم العبد﴾ أيوب ﴿إنه أواب﴾ كثير الرجوع إلى الله. ٤٥ ـ ٤٧ ـ ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار﴾ التي استعملت في مرضاة الله ﴿إنا أخلصناهم﴾ لإيصالهم الخير بأيديهم، وتبصرهم في إصابة الحق بأبصارهم فتميزوا ﴿بخالصة ذكرى الدار﴾ الآخرة وقد استغرقوا في ذكرها وذكر ربهم فسعوا إلى كمال معرفته تعالى ﴿وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾ والاصطفاء يلازم الإسلام التام له تعالى في العقيدة الخيرة والعمل الصالح فاستغراق الانسان في ذكر الدار الآخرة وجوار رب العالمين وانصباب همه وترسخه فيها يلازم كمال معرفته في جنب الله وإصابة نظره في حق الاعتقاد والتبصر في سلوك سبيل العبودية، والإعراض عمن تولى عن ذكر ربه ولم يرد إلا الحياة الدنيا؛ ذلك مبلغهم من العلم. ٤٨ ـ ﴿واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار﴾ وقد حسنت عقيدتهم وحسن عملهم.

٤٩ ـ ٥٢ ـ ﴿هذا﴾ القصص أو هذا القرآن وهو أوجه ﴿ذكر﴾ جميل ﴿وإن للمتقين﴾ المتلبسين بالعبودية ﴿لحسن مآب﴾ ومرجع فلهم ﴿جنات عدن﴾ وخلود واستقرار ﴿مفتحة لهم الأبواب﴾ فلا تمنع عنهم نعمة من النعم ﴿متكئين فيها﴾ لرفاههم عزاً وشرفاً ﴿يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب﴾ فهم مخدومون مكرمون ﴿وعندهم﴾ أزواج ﴿قاصرات الطرف﴾ ذوات غنج ودلال يرضين أزواجهن ﴿أتراب﴾ وأمثال لأزواجهن فكلما زادوا نوراً وبهاء زدن حسناً وجمالاً أو أنهن لا يختلفن سناً وجمالاً.

٥٣ ـ ٥٤ ـ ﴿هذا ما توعدون﴾ من النعم ﴿ليوم الحساب﴾ جزاء لتقواكم ﴿إن هذا لرزقنا ما له من نفاد﴾ ولا انقطاع.

٥٥ ـ ٥٨ ـ ﴿هذا وإن للطاغين﴾ المتجاوزين حدود العبودية ﴿لشر مآب﴾ ومرجع ﴿جهنم يصلونها﴾ ويلازمونها ويلسعون بحرها ﴿فبئس المهاد﴾ وساء فراشاً ﴿هذا فليذوقوه﴾ فهم مكرهون على ذلك ﴿حميم﴾ شديد الحرارة ﴿وغساق﴾ نتن ذو قيح ﴿وآخر من شكله﴾ وما يشابهه ﴿أزواج﴾ وأقسام ليذوقوا العذاب.

٥٩ ـ ٦١ ـ ﴿هذا فوج﴾ من التابعين ﴿مقتحم معكم﴾ أيها المتبوعون الطاغون، فيقول المتبوعون ﴿لا مرحباً بهم﴾ فلا رحب ولا سعة ﴿إنهم صالوا النار﴾ وذائقو حرارتها وجواب التابعين ﴿قالوا بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا﴾ بدعوتكم لنا لاتباعكم ﴿فبئس القرار﴾ وساء المستقر في النار و ﴿قالوا ربنا من قدم لنا هذا﴾ العقاب من العذاب ﴿فزده عذاباً ضعفاً في النار﴾ أي ضعفين من العذاب.

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾

٦٢ ـ ٦٣ ـ ﴿وقالوا﴾ ـوهم عموم أهل النار ـ ﴿ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار﴾ وهم المؤمنون وهم في الجنة ﴿أتخذناهم سخرياً﴾ وقد كانوا ناجين ﴿أم زاغت عنهم الأبصار﴾ فلا نراهم وهم في النار. ٦٤ ـ ﴿إن ذلك لحق﴾ ثابت واقع ﴿تخاصم أهل النار﴾ لما استقر في نفوسهم في الدنيا من ملكة التنازع والتشاجر. ٦٥ ـ ﴿قل﴾ يا محمد ﴿إنما أنا منذر﴾ ولكل قوم هاد ولا أسألكم عليه أجراً ﴿وما من إله إلا الله الواحد القهار﴾ فلا معبود سواه، ولا يماثله شيء في وجوده ولا تناهي في كماله وهو المعبود الحق الذي يخضع له كل شيء؛ على أن ثبوت ألوهيته تعالى تقضي بانتفاء ألوهية غيره ولا نزاع بين الإسلام والشرك في أصل ثبوت الإله وإنما في أن الإله وهو المعبود بالحق هو الله تعالى أو غيره. ٦٦ ـ ﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾ حجة أخرى على توحيده فهو المدبر لكل شيء، وهو المتصرف بإفاضة النعمة ورفع النقمة، ولا مؤثر في الوجود غيره، وهو﴿العزيز﴾ لا يغلبه شيء وكل ماعداه ذليل وهو﴿الغفار﴾ المستقل بالرحمة التي لا تنفد خزائنها فهو الغفار الذي يجب أن يعبد طمعاً في مغفرته إذ أن غاية العبادة وهي تمثل العبودية التقرب إلى المعبود ورفع وصمة البعد عنه تعالى؛ وهذه هي مغفرة الذنب من الله المستقل بالرحمة. ٦٧ ـ ٦٨ ـ ﴿قل هو﴾ القرآن ﴿نبأ عظيم أنتم عنه معرضون﴾ مع ما فيه من الخير والرحمة. ٦٩ ـ ٧٠ ـ ﴿ما كان لي من علم بالملأ الأعلى﴾ أي جماعة الملائكة ﴿إذ يختصمون﴾ حول الخليفة الأرضي ﴿إن يوحى إلي﴾ دون علم لي مسبق في ذلك ﴿إلا أنما أنا نذير مبين﴾ والوحي هو الذي أوحى إلي ذلك وأعلمنيه. ٧١ ـ ٧٤ ـ ﴿إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً﴾ والبشر ظاهر الجلد ﴿من طين﴾ من حمأ مسنون ﴿فإذا سويته﴾ بتعديل وتركيب أعضائه ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ بجعله نفساً حية، وإضافة الروح إليه تعالى تشريفية ﴿فقعوا له ساجدين﴾ أمر منه تعالى بالسجود لآدم ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ من غير استثناء ﴿إلا إبليس استكبر﴾ ولم يسجد ﴿وكان من الكافرين﴾ قبل ذلك، فإباؤه عن السجود أظهر ما خفي من كفره. ٧٥ ـ ٧٦ ـ ﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ تشريفاً له ﴿أستكبرت﴾ فلم تسجد ﴿أم كنت من العالين﴾ الذين يعلو قدرهم أمر السجود ﴿قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ وفيه تلويح إلى أن الأمر الإلهي إنما يطاع إذا كان حقاً لا لذاته، وهذا الأمر غير حق بنظره وهذا يؤول إلى إنكار إطلاق حكمته تعالى وملكه، والمعصية إنما تقع بالخروج عن حكم عبوديته تعالى. ٧٧ ـ ٧٨ ـ ﴿قال فاخرج منها﴾ أي من هذه المنزلة وهي منزلة القرب ولا يمكن إرجاعها إلى الخروج من الجنة أو من مجموعة الملائكة إلا بوجه. ﴿فإنك رجيم﴾ مطرود ﴿وإن عليك لعنتي﴾ والإبعاد من رحمتي ﴿إلى يوم الدين﴾ وهو يوم الجزاء. ٧٩ ـ ٨١ ـ ﴿قال ربِّ فأنظرني﴾ وأمهلني ﴿إلى يوم يبعثون﴾ أي يوم القيامة ﴿قال فإنك من المنظرين﴾ الممهلين ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ وهو آخر يوم يعصي فيه الناس ربهم. ٨٢ ـ ٨٣ ـ ﴿قال فبعزتك﴾

وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾

أقسم ﴿لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾ الذين أخلصتهم لنفسك وقد أخلصوا لك.

٨٤ ـ ٨٥ ـ ﴿قال فالحق﴾ قسمي ﴿والحق أقول لأملأن جهنم منك﴾ أي من جنسك من الشياطين ﴿وممن تبعك منهم أجمعين﴾ من ذرية آدم. ٨٦ ـ ٨٨ ـ ﴿قل﴾ يامحمد ﴿ما أسئلكم عليه من أجر﴾ دنيوي ﴿وما أنا من المتكلفين﴾ الذين يتصنعون ما ليس لهم ﴿إن هو﴾ أي القرآن ﴿إلا ذكر للعالمين﴾ من جميع الأمم ﴿ولتعلمن نبأه﴾ أي النبأ الذي أخبر به القرآن ﴿بعد حين﴾ أي بعد مرور زمان وقيل المراد بذلك يوم القيامة، وقيل يوم الموت، وقيل يوم بدر ولا يبعد كل ذلك.

سورة الزمر

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: الإخلاص لله في دينه، الاحتجاج على التوحيد والربوبية، مقايسة بين المؤمنين والمشركين وجزاءهم، وصف يوم البعث.

١ ـ ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز﴾ الذي ينزل الكتاب من علو عزته ﴿الحكيم﴾ في ما نزل لهداية البشر. ٢ ـ ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب﴾ يامحمد ﴿بالحق﴾ فهو يأمر بعبادة الإله الحق ﴿فاعبد الله مخلصاً له الدين﴾ والدين هو سنة الحياة، وهي الطريقة المسلوكة في الحياة في المجتمع الإنساني؛ فلاتتبع غير ماشرعه الله لك.

٣ ـ ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ فلا تقبل العبادة ممن لايعبده وحده ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ يقولون: يجب التقرب إلى الله ـ الذي لا يدرك ـ بالمقربين إليه من خلقه، كالأصنام والملائكة والبشر ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ ليقربونا ويشفعوا لنا ﴿إن الله يحكم بينهم﴾ بين المشركين وأوليائهم ﴿فيما هم فيه مختلفون﴾ وقيل المختلفون هم المشركون والمخلصون للدين ﴿إن الله لايهدي﴾ إلى حسن العاقبة ﴿من هو كاذب كفار﴾ كثير الكفران لأنعمه تعالى، فهم مسيرون إلى العذاب لإيثارهم الضلالة على الهدى. ٤ ـ ﴿لو أراد الله أن يتخذ ولداً﴾ والبنوة تقتضي شركة مابين الأب والإبن في لوازم الإنسانية إن كانت بنوة حقيقية، أو تقتضي شركة بالسؤدد والملك والشرف والوراثة إن كانت بنوة اعتبارية، ولو أراد الله ذلك ﴿لاصطفى﴾ واختار ﴿مما يخلق مايشاء﴾ وعدّه مخلوقاً لكون ماعدا الله سبحانه خلقاً له ﴿سبحانه﴾ تنزيهاً له ﴿هو الله الواحد القهار﴾ فلا شريك يماثله، فهو واحد في العلم والقدرة والخلق والملك، وهو قهار يقهر كل شيء فلا حاجة له لولد أو غير ذلك.

٥ ـ ﴿خلق السموات والأرض بالحق﴾ فللخلق غاية هي البعث ﴿يكور الليل على النهار﴾ فيغشاه ﴿ويكور النهار على الليل﴾ فيطرحه عليه، وهو من التدبير ﴿وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى﴾ لا يتجاوزه ولا يتعداه ﴿ألا هو العزيز﴾ فآمنوا به واعتزوا بعزته ﴿الغفار﴾ فآمنوا به يغفر لكم من علو عزته.

قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ
مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ
﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ الزُّمَرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ
ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا
لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ
مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ
كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا
يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ
وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ
كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ ﴿٥﴾

٦ ـ ﴿خلقكم﴾ أيها الناس ﴿من نفس واحدة﴾ هي آدم أبو البشر ﴿ثم جعل منها﴾ من مادتها ﴿زوجها﴾ أي حواء، ثم كثر أفراد الخلق منهما ﴿وأنزل لكم﴾ من خزائنه وفيضه ﴿من الأنعام ثمانية أزواج﴾ هي الإبل والبقر والضأن والمعز ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم﴾ ـ في الخطاب تغليب لأولي العقل على غيرهم ـ ﴿خلقاً من بعد خلق﴾ وهي الأطوار الجنينية ﴿في ظلمات ثلاث﴾ هي ظلمات البطن والرحم والغشاء المغلف للجنين ﴿ذلكم الله ربكم﴾ الخالق المدبر ﴿له الملك﴾ على الإطلاق ﴿لا إله إلا هو﴾ فبعد إما خوفاً منه أو رجاء فيه أو شكراً له ﴿فأنى تصرفون﴾ عن عبادته إلى عبادة غيره؟.

٧ ـ ﴿إن تكفروا﴾ بتوحيده ﴿فإن الله غني عنكم﴾ فلا ينتفع بإيمانكم ولا يتضرر بكفركم ومعصيتكم ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ بالنعمة. ﴿وإن تشكروا يرضه لكم﴾ فالعبودية مقتضاها الشكر ﴿ولا تزر﴾ أي ولا تحمل نفس ﴿وازرة﴾ أي حاملة للذنب ﴿وزر أخرى﴾ فلا يؤخذ بالذنب إلا من ارتكبه ﴿ثم إلى ربكم مرجعكم﴾ يوم القيامة ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ بإظهار حقيقة أعمالكم ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ فيحاسبكم على ما في قلوبكم.

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

٨ ـ ﴿وإذا مس الإنسان ضر﴾ من شدة أو مرض أو قحط ﴿دعا ربه﴾ ـوهو يعترف عند ذلك بربوبيته ـ ﴿منيباً إليه﴾ راجعاً إليه ﴿ثم إذا خوّله نعمة منه﴾ بعد كشف الضر ﴿نسي ما كان يدعو إليه من قبل﴾ أي نسي الضر وانشغل بالنعمة ﴿وجعل لله أنداداً﴾ أمثالاً من الأصنام وأربابها ﴿ليضل عن سبيله﴾ تعالى باتخاذ الآلهة والركون للأسباب ﴿قل تمتع بكفرك قليلاً﴾ فلا يدوم لك ﴿إنك من أصحاب النار﴾ فهي لك وقد سعيت لامتلاكها.

٩ ـ ﴿أمن هو قانت﴾ مطيع خاضع ﴿آناء الليل ساجداً و قائماً﴾ عابداً لله ﴿يحذر الآخرة﴾ لايمانه بالمعاد ﴿ويرجو رحمة ربه﴾ المدبر لأمره وقد صلح إيمانه وعمله كمن كفر؟ ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون﴾ طريق كمال سعادتهم وينتفعون بعلمهم ويتضررون بعدمه ﴿والذين لا يعلمون﴾ فغير العلم يعد كالمال ينتفع به في الحياة الدنيا ويفنى النفع بفنائها، ﴿إنما يتذكر أولوا الألباب﴾ والتذكر لا ينفك عن التعقل لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

١٠ ـ ﴿قل ياعباد الذين آمنوا اتقوا ربكم﴾ باتباع الأوامر واجتناب النواهي ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا﴾ ولزموا الإحسان في العقيدة والأعمال فلهم ﴿حسنة﴾ لا يقدر وصفها بقدر، فلهم طيب النفس وسلامة الروح مما يتقلب فيه الكفار من تشوش البال وتقسم القلب وغل الصدر والخضوع للأسباب الظاهرية وفقد من يرجى في كل نائبة. ﴿وأرض الله واسعة﴾ حث على الهجرة من مكة من تشديد المشركين وفتنتهم ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم﴾ عطاء ﴿بغير حساب﴾ فلا يحاسبون بقدر أعمالهم بل بما يفوقها إذ لايقدر ثوابهم وأجرهم بزنة عملهم. ومورد الآية هو الصبر على مصائب الدنيا وخاصة ما يصيب من جهة أهل الكفر والفسوق من آمن بالله وأخلص له واتقاه.

قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَـٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَـٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢١﴾

١١ ـ ١٥ ـ ﴿قل إني أُمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين﴾ فأنا أخاف ربي وأعبده آمنتم أو كفرتم ﴿وأُمرت لأن أكون أول المسلمين﴾ لهذا الدين ﴿قل إني أخاف إن عصيت ربي﴾ بمخالفة أمره بعبادته مخلصاً له الدين ﴿عذاب يوم عظيم﴾ هو يوم القيامة. ﴿قل الله أعبد﴾ ولا أعبد أحداً غيره ﴿مخلصاً له ديني﴾ تأكيد للمصير ﴿فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾ فسينالكم وبال ذلك ﴿قل إن الخاسرين﴾ بذهاب رأس المال كلاً أو بعضاً ﴿الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة﴾ بإيراد أنفسهم مورد الهلكة والشقاء بحيث يبطل استعدادها للكمال ﴿ألا ذلك هو الخسران المبين﴾ لأن الخسران المتعلق بالدنيا سريع الزوال، أما الخسران في الآخرة فلا زوال له ولا انقطاع. وقد وجه الخطاب إلى الرسول من قبيل «إياك أعني واسمعي ياجارة» فأنا مأمور بأن أسلم أولاً وأبلغ الإسلام غيري.

١٦ ـ ﴿لهم من فوقهم ظلل﴾ وأستار ﴿من النار ومن تحتهم ظلل﴾ فهم محاطون بها ﴿ذلك يخوف الله به عباده﴾ لينصاعوا إلى الحق ﴿يا عباد فاتقون﴾ بالتزام حدود العبودية؛ فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة.

١٧ ـ ١٨ ـ ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها﴾ والطاغوت كل معبود من دون الله ﴿وأنابوا إلى الله﴾ بعبادته بعد رفض عبادة من دونه ﴿لهم البشرى﴾ بحسن الجزاء ﴿فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ وأرشده في إصابة الحق، وأنصحه للإنسان، فالإنسان إذا كان ممن ينجذب إلى الحسن والكمال قصد الأحسن ﴿أولئك هم الذين هداهم الله﴾ فهذه الهداية الإلهية هي هداية إجمالية وإليها تنتهي كل هداية تفصيلية إلى المعارف الإلهية ﴿وأولئك هم أولوا الألباب﴾ أي ذوو العقول، فبالعقل يتم الإهتداء إلى الحق وآيته صفة اتباع الحق.

١٩ ـ ﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب﴾ وثبت وجوب دخوله النار هل هو ناج؟ ﴿أفأنت تنقذ من في النار﴾ وتخلصه منها.

٢٠ ـ ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف﴾ ومنازل رفيعة ﴿من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار﴾ مقابلة لظلل النار لمن هم في النار ﴿وعد الله﴾ الحق ﴿لا يخلف الله الميعاد﴾ فسارعوا إلى جنة عرضها السموات والأرض.

٢١ ـ ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه﴾ وأدخله ﴿ينابيع﴾ وعيوناً ومجاري ﴿في الأرض﴾ هي كالعروق في الأبدان ﴿ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج﴾ ويجف ﴿فتراه مصفراً﴾ إذا يبس ﴿ثم يجعله حطاماً﴾ وفتاتاً كفتات التبن ﴿إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب﴾ وذوي النهى وما أكثر العبر لمن أراد أن يعتبر فالتصرف في الخلق لله وحده.

٢٢ ـ ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام﴾ ليسع مايلقى إليه من القول وليسلم لله فيما أراده وهو حق، وليقبل ما يرد إليه من الحق دون رد ﴿فهو على نور من ربه﴾ يميز به الحق من الباطل كمن قسى قلبه فلم يقبل الإسلام ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾ فصدورهم لا تنشرح للحق والنور ﴿أولئك في ضلال مبين﴾ لفقدهم ما يميزون به الحق من الباطل.

٢٣ ـ ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾ وهو القرآن وهو حق مطلق لا يداخله باطل ﴿كتاباً متشابهاً﴾ يشبه بعضه أجزاء بعض ﴿مثاني﴾ منعطفة آياته على بعض ﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم﴾ فتنقبض قبال عظمة ربهم ﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ فتطمئن نفوسهم وتسكن ﴿ذلك﴾ الذي يأخذهم من اقشعرار الجلود ثم سكونها ﴿هدى الله يهدي به من يشاء﴾ فالهداية تصيب من لم يبطل استعداده للإهتداء، ولم يشتغل بالموانع كالفسق والظلم والمعصية ﴿ومن يضلل الله﴾ لبطلان استعداده للهدى ﴿فما له من هاد﴾ فالهداية من الله وحده.

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

٢٤ ـ ﴿أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة﴾ لكون يده التي كان يتقي بها المكاره مغلولة إلى عنقه كمن هو آمن منه، هكذا قيل أو أن المعنى يتضمن مقايسة بين أهل الضلال وأهل الهدى. ﴿وقيل للظالمين﴾ والقائل هم الملائكة: ﴿ذوقوا ما كنتم تكسبون﴾ فعلة الحكم هي الظلم.

٢٥ ـ ٢٦ ـ ﴿كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب﴾ فجأة ﴿من حيث لا يشعرون﴾ أي من الجهة التي لا يحتسبون ﴿فأذاقهم الله الخزي﴾ والذل والصغار ﴿في الحياة الدنيا﴾ كالغرق والخسف والمسخ والرجفة ﴿ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾ فلا مقايسة بين عذاب الدنيا والآخرة.

٢٧ ـ ٢٨ ـ ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ فتنوعت الأمثال ﴿لعلهم يتذكرون﴾ ويتعظون ﴿قرءاناً عربياً غير ذي عوج﴾ فلا انحراف فيه ﴿لعلهم يتقون﴾ ويتلبسون بالعبودية.

٢٩ ـ ﴿ضرب الله مثلاً﴾ للمشرك ﴿رجلاً فيه شركاء متشاكسون﴾ وأرباب مختلفون متشاجرون،وكل يريد أن يتفرد فيه ﴿ورجلاً﴾ موحداً ﴿سلماً﴾ خالصاً ﴿لرجل﴾ من غير تنازع ﴿هل يستويان مثلاً﴾؟ لا يستويان فمن هو سلم لرجل أحسن حالاً ﴿الحمد لله﴾ ثناء له فعبوديته خير من عبودية سواه ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ مزية عبادته على عبادة غيره لما له من الظهور التام لمن له أدنى بصيرة.

٣٠ ـ ٣١ ـ ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ فهذه العاقبة تعم الجميع ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ فالاختصام ما يقع بين النبي ﷺ وبين الناكثين من أمته ﴿وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾.

٣٢ ـ ﴿فمن أظلم ممن كذب على الله﴾ وافترى عليه بأن ادعى أن له شركاء والظلم يعظم بعظم من تعلق به، وإذا كان هو الله سبحانه كان أعظم الظلم ﴿وكذب بالصدق إذ جاءه﴾ وهو الدين الإلهي ﴿أليس في جهنم مثوى﴾ ومقاماً ﴿للمتكبرين﴾ على الحق. والآية خاصة بمشركي عهد النبي ﷺ أو بمشركي أمته بحسب السياق، وعامة لكل من ابتدع بدعة وترك سنة من سنن الدين.

٣٣ ـ ﴿والذي جاء بالصدق﴾ أي أتى بالدين الحق ﴿وصدق به﴾ وآمن ﴿أولئك هم المتقون﴾ فالدعوة إلى الحق من شؤون أتباع النبي. ٣٤ ـ ﴿لهم ما يشاؤون عند ربهم﴾ فالمشيئة هناك هي السبب التام لحصول ما يشاؤه الإنسان ﴿ذلك جزاء المحسنين﴾ المصدقين قولاً وفعلاً. ٣٥ ـ ﴿ليكفر الله عنهم﴾ ويسقط عنهم ﴿أسوأ الذي عملوا﴾ وهو الشرك والكبائر. ﴿ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون﴾ فينظر إلى أرفع أعمالهم درجة فترفع درجتهم بحسبه فلا يضيع شيء مما هو آخر ما بلغه عملهم من الكمال.

٣٦ ـ ﴿أليس الله بكاف عبده﴾ وهو المتصف بما ذكر من الصفات ﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾ من آلهتهم ﴿ومن يضلل الله﴾ لعدم قابليته لاستقبال الحق ﴿فما له من هاد﴾ يهديه. ٣٧ ـ ﴿ومن يهد الله﴾ لتلبسه بصفة قبول الحق ﴿فما له من مضل﴾ لأن هدى الله هو الهدى ﴿أليس الله بعزيز ذي انتقام﴾ استفهام للتقرير، فهو ينتقم ممن جحد الحق فيضله ولا هادي له لأنه تعالى عزيز لا يغلبه غالب، وإذا هدى عبداً من عباده لتقواه وإحسانه لم يقدر على إضلاله مضل.

٣٨ ـ ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ لأنهم لا ينازعون في أن الله هو الخالق وإنما يدعون أن لله شركاء في التدبير ﴿قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله﴾ من الآلهة ﴿إن أرادني الله بضر﴾ كمرض وشدة ومصيبة ﴿هل هن كاشفات ضره﴾ فهل لهن رفع المصيبة؟ ﴿أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته﴾ وهل بقدرتهن منع وصول الرحمة ﴿قل حسبي الله﴾ فهو يكفيني ﴿عليه يتوكل المتوكلون﴾ فهو المدبر لأموري، وصدقت ذلك عملاً باتخاذه وكيلاً فيها.

٣٩ ـ ٤٠ ـ ﴿قل يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ ومنزلتكم واستمروا على كفركم وصدكم ﴿إني عامل﴾ على منزلتي بالإيمان والعمل الصالح ﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه﴾ ويذله في الدنيا ﴿ويحل عليه عذاب مقيم﴾ في الآخرة.

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

٤١ ـ ﴿إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس﴾ لتتلوه عليهم وهو منزل ﴿بالحق﴾ لا يشوبه باطل ﴿فمن اهتدى فلنفسه﴾ فالنفع عائد إليه ﴿ومن ضل فإنما يضل عليها﴾ فشقاؤه ووبال أمره يعود عليه، والله سبحانه أجل من أن ينتفع بهدى من اهتدى أو يتضرر بضلال من ضل ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ فلست قائماً بتدبير شؤونهم حتى توصل الهدى إلى قلوبهم.

٤٢ ـ ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ فيقبض الأرواح من أبدانها ﴿والتي لم تمت في منامها﴾ فالموت والنوم كلاهما توف ولكن الموت توف لا إرسال بعده، والنوم توفٍ ربما كان بعده إرسال ﴿فيمسك التي قضى عليها الموت﴾ ويحفظها ﴿ويرسل الأخرى﴾ التي لم يقض عليها الموت إلى بدنها ﴿إلى أجل مسمى﴾ تنتهي إليه الحياة. ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ فيتذكرون أن الله سبحانه هو المدبر لأمرهم، وأنهم إليه راجعون مجازون بما عملوا.

إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

٤٣ ـ ﴿أم﴾ بمعنى بل ﴿اتخذوا من دون الله﴾ آلهة ﴿شفعاء﴾ وقالوا: ماعبدناهم إلا ليقربونا من الله زلفى ﴿قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون﴾ إذ لا معنى لشفيع لا يعقل ولا يملك ولا ينفع.

٤٤ ـ ﴿قل لله الشفاعة جميعاً﴾ ما من شفيع إلا من بعد إذنه ومن أذن له لا يتصف بصفات مالكه ﴿له ملك السموات والأرض﴾ فهو المالك لكل شيء بما في ذلك الشفاعة، ﴿ثم إليه ترجعون﴾ فالشفاعة إنما يملكها الذي ينتهي إليه أمر المشفوع له.

٤٥ ـ ﴿وإذا ذكر الله وحده﴾ من غير ذكر آلهتهم ﴿اشمأزت﴾ ونفرت وانقبضت ﴿قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ ولو كانوا مؤمنين بها لم يرغبوا عن ذكره وحده ﴿وإذا ذكر الذين من دونه﴾ من آلهتهم ﴿إذا هم يستبشرون﴾ ويسرون. وهكذا نرى أهل المناهج الأرضية يرفضون حاكمية الله لأنهم يرغبون بالسلطة غير المقيدة، وهم يريدون أن يطلقوا أيديهم في البلاد والعباد.

٤٦ ـ ﴿قل اللهم فاطر السموات والأرض﴾ أي مخرجها من كتم العدم إلى ساحة الوجود ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ فلا يخفى عليك شيء ﴿أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون﴾ لأن مرجعهم إليك.

٤٧ ـ ﴿ولو أن للذين ظلموا﴾ بإنكارهم المعاد ﴿ما في الأرض جميعا ومثله معه﴾ من أموال وكنوز ﴿لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة﴾ لهوله وشدته.

٤٨ ـ ﴿وبدا﴾ وظهر ﴿لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ أي سيواجهون أموراً أعظم وأهول مما خطر ببالهم. ﴿وبدا لهم سيئات ما كسبوا﴾ بعد خفائها ﴿وحاق بهم﴾ وأصابهم ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ وهي أهوال يوم القيامة.

٤٩ ـ ٥١ ـ ﴿فإذا مس الإنسان ضر﴾ أي مرض أو شدة ﴿دعانا﴾ وانقطع عن غيرنا ﴿ثم إذا خولناه﴾ أي أعطيناه ﴿نعمة منا﴾ ظاهرة ﴿قال إنما﴾ هو مال لا نعمة ﴿أوتيته على علم﴾ وخبرة بطرق كسب المعاش، لأن الاعتراف بها نعمة يقتضي الاعتراف بالمنعم. ﴿بل هي﴾ أي النعمة ﴿فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ ومقالتهم هذه ﴿قد قالها الذين من قبلهم﴾ قارون وأمثاله ﴿فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ وقد جعل الله النعمة فتنة لهم ﴿فأصابهم سيئات ما كسبوا﴾ لم يغن عنهم ما كسبوا ﴿والذين ظلموا من هؤلاء﴾ من قومك ﴿سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين﴾ فالله يملي لهم إن كيده متين ويستدرجهم من حيث لا يعلمون وهو بهم محيط.

٥٢ ـ ﴿أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ فسعي الإنسان عن علم وإرادة ليس سبباً تاماً موجباً لحصول الرزق. فهناك عمل وشرائط زمانية ومكانية وظروف تفوق حد الإحصاء إذا اجتمعت وتوافقت أنتجت حصول الرزق، وتوافق هذه الظروف والعلل يخضع لمدبر يدبر أمر الكون بنظام يجري بمشيئته تعالى ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ فخالق العالم مدبره، والمدبر رازق وهو الله عز اسمه.

٥٣ ـ ﴿قل يا عبادي﴾ ترغيباً لاستجابة الدعوة ﴿الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ وتجاوزوا الحد بالذنوب ﴿لا تقنطوا﴾ ولا تيأسوا ﴿من رحمة الله﴾ لكم على ما فرطتم في جنبه ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ فالمغفرة عامة لكنها تحتاج إلى سبب مخصص ولا تكون جزافاً. فالشرك لا يغفر إلا بالتوبة وغير الشرك يغفر بالتوبة أو بالشفاعة أو بكليهما.

٥٤ ـ ﴿وأنيبوا إلى ربكم﴾ وارجعوا إليه بالتوبة ﴿وأسلموا له﴾ وانقادوا لأوامره ﴿من قبل أن يأتيكم العذاب﴾ في الآخرة ﴿ثم لا تنصرون﴾ فالتوبة حينئذ مفروضة العدم والشفاعة لا تشمل الشرك. ٥٥ ـ ٥٦ ـ ﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم﴾ أي طريق استعمال العبودية في امتثال الخطابات الإلهية الاعتقادية والعملية، من التقوى والإخلاص في الدين وهذا ما ينفخ روح الإيمان ويؤدي إلى الدخول في ولاية الله تعالى وهي كرامة ليست فوقها كرامة ﴿من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون﴾ فالتخويف من الحرمان يصلح الباطن والظاهر. حذر ﴿أن تقول نفس﴾ تندماً على ما فات ﴿ياحسرتى على ما فرطت﴾ والتفريط هو إهمال ما يجب أن يتقدم فيه حتى يفوت وقته ﴿في جنب الله﴾ أي فيما يرجع من الأمور إليه تعالى ﴿وإن كنت لمن الساخرين﴾ المستهزئين.

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُّ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾

٥٧ ـ ﴿أو تقول﴾ النفس ﴿لو أن الله هداني﴾ وأرشدني إلى الطريق ﴿لكنت من المتقين﴾ والآية لقطع العذر ٥٨ ـ ﴿أو تقول حين ترى العذاب﴾ متمنية ﴿لو أن لي كرة﴾ ورجعة إلى الدنيا ﴿فأكون من المحسنين﴾ الصالحين. ﴿كلا كلمة هو قائلها﴾.

٥٩ ـ ﴿بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت﴾ فقولك لو أن الله هداني مردود ﴿وكنت من الكافرين﴾ بالحق لما جاءك.

٦٠ ـ ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله﴾ بالقول بأن له شريكاً ﴿وجوههم مسودة﴾ دليل على الذلة ﴿أليس في جهنم مثوى للمتكبرين﴾ جزاء تكبرهم.

٦١ ـ ﴿وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم﴾ ففوزهم سبب تنجيتهم ﴿لا يمسهم السوء﴾ من خارج ﴿ولا هم يحزنون﴾ في أنفسهم.

٦٢ ـ ﴿الله خالق كل شيء﴾ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴿وهو على كل شيء وكيل﴾ لأن انتهاء خلق كل شيء إليه يقتضي أن يكون تعالى هو المالك، وبما أن غير الله لا يملك كان سبحانه هو الوكيل وهو المدبر. ٦٣ ـ ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ ومفاتيح خزائنها الغيبية التي يظهر منها النظام والتدبير ﴿والذين كفروا بآيات الله﴾ الدالة على توحيده ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ بعدم عبادته.

٦٤ ـ ﴿قل أفغير الله تأمروني أعبد﴾ بعدما ظهر من الآيات والحجج؟ ﴿أيها الجاهلون﴾ فطلبكم ليس إلا جهلاً منكم.

٦٥ ـ ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك﴾ واللام في لقد للقسم ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ وليبطلن. وكون الأنبياء معصومين لا يوجب سقوط التكليف عنهم. فمنع العلم القطعي بمفسدة شيء عن صدوره عن العالم به أي أن عدم العلم بمفسدة أمر إذا حدث لا ينفي المفسدة التي تكون بحدوثه كمنع العلم بأثر السم عن شربه وهذا لا ينافي كون العالم بذلك مختاراً ﴿ولتكونن من الخاسرين﴾ الذين كفروا بآيات الله وأعرضوا عن حججه ٦٦ ـ ﴿بل الله فاعبد﴾ ولا تعبد غيره ﴿وكن من الشاكرين﴾ والشاكر هو الذي يظهر شكره في قوله وعمله.

٦٧ ـ ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ إذ لم يؤمنوا بالمعاد ﴿والأرض جميعاً﴾ بما فيها ﴿قبضته يوم القيامة﴾ فله التسلط التام عليها لأن له الملك والأمر والحكم والسلطان ﴿والسموات مطويات بيمينه﴾ وقد تقطعت الأسباب وظهر أن لا مؤثر في الوجود إلا الله ﴿سبحانه وتعالى﴾ تنزيهاً له ﴿عما يشركون﴾ بنسب التدبير لآلهتهم. بعد أن نسبوا إليه العجز عن إرجاع الخلق فأنكروا المعاد وهذا إنكار للربوبية إذ لا معنى لرب لا معاد إليه.

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾
أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ
مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا
وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى
جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟
بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ
خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا
ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ
أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ
فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ
وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ
مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

٦٨ ـ ﴿ونفخ في الصور﴾ نفخة للإماتة ﴿فصعق من في السموات ومن في الأرض﴾ أي غشي أو مات ﴿إلا من شاء الله﴾ فالموت يلحق الأجساد دون الأرواح ﴿ثم نفخ فيه أخرى﴾ نفخة أخرى ﴿فإذا هم قيام﴾ من قبورهم ﴿ينظرون﴾ مبهوتين أو ينتظرون ماذا يفعل بهم.

٦٩ ـ ﴿وأشرقت الأرض﴾ وظهرت ﴿بنور ربها﴾ فانكشف الغطاء، وظهرت الأشياء بحقائقها، وبدت الأعمال من حق أو باطل للناظرين ﴿ووضع الكتاب﴾ وهو اللوح المحفوظ. إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴿وجيء بالنبيين﴾ ليسألوا عن أداء رسالتهم ﴿والشهداء﴾ ليؤدوا ما تحملوه من الشهادة ﴿وقضي بينهم بالحق﴾ فيما اختلفوا فيه ﴿وهم لا يظلمون﴾ وما ربك بظلام للعبيد.

٧٠ ـ ﴿ووفيت كل نفس ما عملت﴾ فأخذت عملها دون جزائه ﴿وهو أعلم بما يفعلون﴾ فالمجيء بالنبيين والشهداء لا عن جهل منه بل لأن حكمه يجري على القسط والعدل.

٧١ ـ ﴿وسيق﴾ وحث على السير ﴿الذين كفروا إلى جهنم زمراً﴾ جماعة بعد جماعة ﴿حتى إذا جاؤوها﴾ وبلغوها ﴿وفتحت أبوابها﴾ ولها سبعة أبواب ﴿وقال لهم خزنتها﴾ إنكاراً وتهجيناً ﴿ألم يأتكم رسل منكم﴾ من البشر ﴿يتلون﴾ ويقرأون ﴿عليكم آيات ربكم﴾ من الحجج الدالة على توحيده ووجوب عبادته ﴿وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾ تخويفاً من أهواله ﴿قالوا بلى﴾ فعلوا ﴿ولكن﴾ كفروا، فلذلك ﴿حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾ وهذه الكلمة هي: ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾.

٧٢ ـ ﴿قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها﴾ أبداً ﴿فبئس مثوى﴾ ومقر ﴿المتكبرين﴾ المعاندين للحق.

٧٣ ـ ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً﴾ وجماعات ﴿حتى إذا جاءوها﴾ وقد أعدت لاستقبالهم ﴿وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها﴾ من الملائكة يستقبلونهم ﴿سلام عليكم﴾ لا يلقاكم إلا ما ترضون ﴿طبتم فادخلوها خالدين﴾ وهذا أثر طيبكم.

٧٤ ـ ﴿وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾ إذ قال: ﴿للذين اتقوا ربهم عند ربهم جنات﴾ ﴿وأورثنا الأرض﴾ وهي الجنة ﴿نتبوأ من الجنة حيث نشاء﴾ ونختار ﴿فنعم أجر العاملين﴾ لله. وهذا الأخير من قول أهل الجنة أو ربما قوله تعالى.

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾

٧٥ ـ ﴿وترى الملائكة حافين﴾ ومحدقين ﴿من حول العرش﴾ الذي تصدر منه الأوامر الإلهية التي يدبر بها العالم ﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ تنزيهاً له وثناء عليه ﴿وقضي بينهم﴾ بصدور الحكم الإلهي أو هو ما يجري عليهم من البعث إلى نيل الحساب ﴿وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ فهو لا يفعل إلا الجميل ومن ذلك هذا الموقف.

سورة غافر

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: بيان استكبار الكافرين ومجادلتهم بالباطل، ذكر عاقبة المكذبين، حجج الربوبية والألوهية، دعوة النبي إلى الصبر مع وعد بالنصر.

١ ـ ﴿حم﴾ ذُكر أنها حميد مجيد.

٢ ـ ٣ ـ ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم﴾ ففي القرآن من الإعجاز والعلم ما تضيق عنه الأفهام فمنزله عزيز عليم ﴿غافر الذنب وقابل التوب﴾ لمن أناب ﴿شديد العقاب﴾ لمن استكبر ﴿ذي الطول﴾ وهوالإنعام الذي تطول مدته. فالكتاب مبني على العلم وعلى مضامين هذه الأسماء الإلهية الأربعة، فالعالم الإنساني يتحد في نيل الطول الإلهي والتنعم بنعمه ثم ينقسم إلى سعيد وشقي والله يعلم بتفاصيل خلقه ويغفر لمن استعد للمغفرة ويقبل توبة التائب، ويعاقب من استحق العقاب. ﴿لا إله إلا هو﴾ فله تجب العبادة ﴿إليه المصير﴾ فالاعتقاد بيوم الحساب يستتبع الخوف من العقاب ورجاء الثواب.

٤ ـ ﴿مايجادل في ءايات الله﴾ البينة ﴿إلا الذين كفروا﴾ فجدالهم جدال بالباطل ليدحضوا به الحق المنزل بعلم الله ﴿فلا يغررك تقلبهم في البلاد﴾ فانتقالهم من نعمة إلى نعمة ليس مدعاة للاغترار لأنهم غير معجزي الله.

٥ ـ ﴿كذب قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم﴾ كعاد وثمود وغيرهم فهذه سنة الأمم ﴿وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه﴾ بالقتل أوالإخراج ﴿وجادلوا بالباطل ليدحضوا﴾ ويزيلوا ﴿به الحق﴾ وهو من الله ﴿فأخذتهم﴾ أي عذبتهم ﴿فكيف كان عقاب﴾ وقد استؤصلوا ولا ناصر لهم ولامعين.

٦ ـ ﴿وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا﴾ من قومك وتعم كل من كفر ﴿أنهم أصحاب النار﴾ في الآخرة.

٧ ـ ﴿الذين يحملون العرش﴾ الذي تصدر منه الأوامر والأحكام التي بها يدبر أمر العالم ﴿ومن حوله﴾ من الملائكة المقربين ﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ وينزهونه مع الثناء عليه ﴿ويؤمنون به﴾ أحداً متفرداً في ربوبيته ﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ فيقولون ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً﴾ فأنت تعلم حاجة المحتاج للرحمة ﴿فاغفر للذين تابوا﴾ ورجعوا إليك بالإيمان ﴿واتبعوا سبيلك﴾ الذي شرعت لهم وهو الإسلام ﴿وقهم عذاب الجحيم﴾ فهذه الوقاية هي غاية المغفرة.

وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۚ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

سُورَةُ غَافِرٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾

٨ ـ ٩ ـ ﴿ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم﴾ بلسان رسلك وكتبك هم ﴿ومن صلح﴾ لدخول الجنة ﴿من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم﴾ فأدخلهم الجنة معهم ﴿إنك أنت العزيز الحكيم﴾ فلا يغلب حكمك غالب، ولاتحكم إلا عن حكمة. ﴿وقهم السيئات﴾ والأهوال التي تواجههم يوم القيامة ﴿ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته﴾ لوقايته من أهوال القيامة ﴿وذلك هو الفوز العظيم﴾ ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ ويظهر من دعاء الملائكة أن من أدب الدعاء أن يبدأ الداعي بحمد الله والثناء عليه تعالى ثم يذكر حاجته ثم يستشفع بأسمائه الحسنى المناسبة؛ هذا أولاً، وثانياً أن يسأل المغفرة قبل الجنة.

١٠ ـ ﴿إن الذين كفروا ينادون﴾ من جانبه تعالى: أقسم ﴿لمقت الله﴾ وشدة بغضه لكم ﴿أكبر من مقتكم أنفسكم﴾ حيث أوردتموها مورد الهلكة ﴿إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون﴾ بدعوة أنبيائكم.

١١ ـ ﴿قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين﴾ إماتة عن الدنيا ثم إحياء للبرزخ ثم إماتة عن البرزخ ثم إحياء للحساب يوم القيامة ﴿فاعترفنا بذنوبنا﴾ وهذا الاعتراف مترتب على حصول اليقين بالمعاد الموجب لحصول العلم بكون انحرافاتهم عن سبيل الله ضلالات وذنوباً ﴿فهل إلى خروج﴾ من العذاب ﴿من سبيل﴾ مهما كان وقد تقطعت الأسباب وبلغ بهم الجهد مبلغه. ١٢ ـ ﴿ذلكم﴾ ما تقاسونه من الجهد والشدة ﴿بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم﴾ وجحدتم حق الله ﴿وإن يشرك به تؤمنوا﴾ فلماذا تؤمنون بكل مافيه سمة شرك ﴿فالحكم لله﴾ وقد ابتعدتم عنه، وهو ﴿العلي الكبير﴾ يحكم فيكم بما يناسب حالكم.

١٣ ـ ﴿هو الذي يريكم ءاياته﴾ الدالة على ربوبيته وألوهيته وتوحيده، فعبادته كمال للإنسان والإمام علي يقول: ﴿لو كان لربك شريك لأتتك رسله﴾ ﴿وينزل لكم من السماء رزقاً﴾ والرزق من التدبير وهذه حجة أخرى على الربوبية ﴿وما يتذكر إلا من ينيب﴾ ويرجع إلى ربه، أما المجادل والكفور والجحود فيبطلون التذكر. ١٤ ـ ﴿فادعوا الله مخلصين له الدين﴾ لأنه الله المنعم الرازق المدبر ﴿ولو كره الكافرون﴾ الكارهون للتوحيد، المعرضون عن قبول أدلة الحق. ١٥ ـ ﴿رفيع الدرجات﴾ التي يرقى منها إلى عرشه المتحجب وهو ﴿ذو العرش﴾ الذي تجتمع عنده أزمة أمور الخلق. ﴿ويلقي الروح من أمره﴾ المصاحب لملائكة الوحي ﴿على من يشاء من عباده﴾ وهم رسله ﴿لينذر يوم التلاق﴾ وهو يوم القيامة الذي يتم فيه تلاقي الظالم والمظلوم، أو أهل السموات والأرض، أو تلاقي المرء وعمله، أو تلاقي الخلائق أو تلاقي الخالق والمخلوق، ومعنى التلاقي تقطع الأسباب الشاغلة وظهور أن الله هو الحق المبين وبروزهم لله. ١٦ ـ ﴿يوم هم بارزون﴾ وقد ارتفعت الأسباب وبروزهم هو ظهور ذلك لهم ﴿ولايخفى على الله منهم شيء﴾ ظهر أو بطن، كشف أو ستر ﴿لمن الملك اليوم﴾ ؟سؤال من الله ﴿لله الواحد القهار﴾ جواب منه تعالى وقد ظهر ملكه على الخلق على الإطلاق.

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۗ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

١٧ ـ ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت﴾ فالدار دار جزاءٍ ومن كان من صفاته أنه قهارٌ وله الملك كان له حق المجازاة ﴿فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يره﴾ ﴿لاظلم اليوم﴾ لأن الله هو الذي يحكم بين العباد وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف ﴿إن الله سريع الحساب﴾ فهو يعلم السر والعلم ولاتخفى عليه خافية.

١٨ ـ ﴿وأنذرهم يوم الآزفة﴾ أي الدانية وهي القيامة ﴿إذ القلوب لدى الحناجر﴾ من شدة الخوف ﴿كاظمين﴾ مغتمين ﴿ما للظالمين من حميم﴾ قريب ﴿ولاشفيع يطاع﴾ فلا أنساب بينهم يومئذ. ١٩ ـ ﴿يعلم خائنة الأعين﴾ ومعاصيها التي لاتظهر للغير كاسترق النظر ﴿وما تخفي الصدور﴾ من الكفر والنفاق والمعاصي.

٢٠ ـ ﴿والله يقضي بالحق﴾ بين الخلق وفي الخلق ومن قضائه تشريع الدين وتدبير ما جل ودق من أمور عباده والفصل والحكم ﴿والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء﴾ لأنهم مملوكون لايملكون ﴿إن الله هو السميع البصير﴾ له لالغيره حقيقة العلم بالمسموع وحقيقة المبصر.

٢١ ـ ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا﴾ ويعتبروا ﴿كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم﴾ من الأمم المكذبين لرسلهم ﴿كانوا هم أشد منهم قوة﴾ وسلطة ﴿وءاثاراً في الأرض﴾ لما بنوا من القلاع والقصور ﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾ وأهلكهم بأعمالهم ﴿وما كان لهم من الله من واقٍ﴾ يقيهم ويحفظهم.

٢٢ ـ ﴿ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات﴾ الواضحات من الدلائل ﴿فكفروا فأخذهم الله﴾ وأهلكهم ﴿إنه قوي شديد العقاب﴾ يأخذ أخذ عزيز مقتدر.

٢٣ ـ ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ ومعجزاتنا ﴿وسلطان﴾ إلهي ﴿مبين﴾ قاهر ظاهربحميه.

٢٤ ـ ﴿إلى فرعون﴾ جبار القبط ﴿وهامان﴾ وزيره الذي يسند عرش ظلمه ﴿وقارون﴾ ذي الخزائن المليئة من طغاة بني إسرائيل؛ وهم أصول الفساد والفتن ﴿فقالوا ساحر كذاب﴾ وهذه سنة المستكبرين قبال دعاة الحق.

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾

٢٥ ـ ﴿فلما جاءهم بالحق من عندنا﴾ وكان من الواجب قبوله ﴿قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم﴾ لئلا يؤمن به أحد. ويشعر السياق أن قارون وافقهم على هذا القول ﴿وماكيد الكافرين إلا في ضلال﴾ وقد ضل كيدهم ولم يصب المؤمنين؛ كما ضاع كيدهم في ظنهم أن يصدوا المؤمنين عن مظاهرة موسى.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

٢٦ ـ ﴿وقال فرعون﴾ لملئه وقد رأى في دعوة الحق زلزلة لملكه ﴿ذروني﴾ أي اتركوني ﴿أقتل موسى وليدع ربه﴾ أن ينجه إن قدر ﴿إني أخاف أن يبدل دينكم﴾ وما أنتم عليه من الأصنام ومن ذلك عبادتهم وطاعتهم لفرعون ﴿أو أن يظهر في الأرض الفساد﴾ بتبديل دنياهم بازدياد متبعيه فيتمردون ويقتتلون. ٢٧ ـ ﴿وقال موسى إني عذت﴾ واحتميت ﴿بربي وربكم﴾ فحكمه نافذ في الجميع ﴿من كل متكبر لايؤمن بيوم الحساب﴾ كفرعون ومن شاكله.

٢٨ ـ ﴿وقال رجل﴾ قبطي ﴿مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه﴾ تقية ﴿أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله﴾ وفعلكم هذا منكر ﴿وقد جاءكم بالبينات من ربكم﴾ الذي هو ربه ﴿وإن يك كاذباً فعليه كذبه﴾ وهذا القول تلطف منه لاشك في صدقه ﴿وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم﴾ من العذاب ولازم صدقه إصابة ماوعد ﴿إن الله لايهدي من هو مسرف كذاب﴾ وقوله يعني وأنتم متعدون طور العبودية كذابون في نفي ربوبية ربكم؛ والله لايهديكم.

٢٩ ـ ﴿يا قوم لكم الملك اليوم﴾ عالين غالبين ﴿ظاهرين في الأرض﴾ أرض مصر ﴿فمن ينصرنا من بأس الله﴾ وعذابه ﴿إن جاءنا﴾ كما يعدنا موسى ﴿قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى﴾ وهذا تمويه منه وتجلد ﴿وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ أي طريق الصواب المطابق للواقع. وهل يرى الطغاة المستكبرون لمتبوعيهم ومرؤوسيهم إلا الرشاد وهل لهم أن يروا غير مايرى إذا كان الرأي هو ما يرى!

٣٠ ـ ﴿وقال الذي آمن﴾ من آل فرعون ﴿ياقوم إني أخاف عليكم مثل﴾ السنة والعادة الجارية ﴿يوم الأحزاب﴾ المكذبين لرسلهم.

٣١ ـ ﴿مثل دأب﴾ سنة أو جزاء ﴿قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم﴾ من الكافرين المكذبين ﴿ومالله يريد ظلماً للعباد﴾ بعقاب الجاحدين.

٣٢ ـ ﴿ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد﴾ وهو يوم القيامة لمناداة الظالمين بعضهم فيه بالويل والثبور.

٣٣ ـ ﴿يوم تولون مدبرين﴾ من النار ﴿مالكم من الله من عاصم﴾ يخلصكم من حرها ﴿ومن يضلل الله﴾ وقد أضلكم لكفركم ﴿فماله من هاد﴾ بعد أن زاغ.

٣٤ ـ ﴿ولَ﴾ أقسم ﴿لقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات﴾ التي تثبت نبوته ﴿فما زلتم في شك مما جاءكم به﴾ ما دام حياً ﴿حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً﴾ كقولهم: لانبي بعده ﴿كذلك يضل الله من هو مسرف﴾ يتمادى في تجاوز حده ﴿مرتاب﴾ كثير الشك، وثمرة ذلك الضلال وعاقبته الإضلال.

٣٥ ـ ﴿الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان﴾ وبرهان ﴿أتاهم﴾ لإسرافهم وارتيابهم ﴿كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا﴾ فالله قد فطر الناس على قبول الحق ومن رفضه يكون قد سعى إلى المقت بنفسه. ﴿كذلك يطبع الله على قلب كل متكبر جبار﴾ فلا يفقه حجة ولايركن إلى برهان.

٣٦ ـ ﴿وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً﴾ مرتفعاً عالياً ﴿لعلي أبلغ الأسباب﴾بالصعود .

٣٧ ـ ﴿أسباب السموات﴾ الكاشفة عن خبايا السماء ﴿فأطلع إلى إله موسى﴾ فلعله في السماء ﴿وإني لأظنه كاذباً﴾ فما في الأرض إله غيري وكل ذلك لتعمية الحق على العامة لئلا يؤمنوا ﴿وكذلك زين لفرعون سوء عمله﴾ فرآه حسناً ﴿وصد عن السبيل﴾ الحق فرأى ـ وقد زين الشيطان عمله ـ انصداده عنها سلوكاً فيها ﴿وما كيد فرعون إلا في تباب﴾ وهلاك وانقطاع فالله من ورائه محيط.

٣٨ ـ ﴿وقال الذي آمن يا قوم اتبعون﴾ واتبعوا موسى كما تبعته ﴿أهدكم سبيل الرشاد﴾ أي أريكم وفيها إصابة الحق والسعادة.

٣٩ ـ ﴿يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع﴾ قليل في الآخرة ومقدمة مقصودة لأجلها ﴿وإن الآخرة هي دار القرار﴾ ففيها الحياة الخالدة .

٤٠ ـ ﴿من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها﴾ فاتقوا تبعة أعمالكم في دار الجزاء ﴿ومن عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب﴾ فالدين الحق إيمان وعمل صالح في الدنيا ودار جزاء وقرار في الآخرة.

وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾

٤١ ـ ﴿ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة﴾ من النار بعبادة الله ﴿وتدعونني إلى النار﴾ بشرككم.

٤٢ ـ ﴿تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ماليس لي به علم﴾ ولاحجة، افتراء عليه تعالى ﴿وأنا أدعوكم إلى العزيز﴾ الذي لايغلب ﴿الغفار﴾ لمن تاب وآمن به وأسلم له.

٤٣ ـ ﴿لاجرم﴾ ولابد ﴿أن ماتدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة﴾ إذ لم يعهد أن نبياً دعا الناس إلى عبادته مع نفي الآخرة ﴿وأن مردنا إلى الله﴾ فيجب الإسلام له ﴿وأن المسرفين﴾ المتعدين طور العبودية ﴿هم أصحاب النار﴾ فالعذاب لهم

٤٤ ـ ﴿فستذكرون ما أقول لكم﴾ حين معاينة العذاب ﴿وأفوض أمري إلى الله﴾ فالأمر له وليس لي منه شيء ﴿إن الله بصير بالعباد﴾ فلذلك أكل أمري إليه.

٤٥ ـ ﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا﴾ ودفع عنه السوء الذي قصدوه به فالله ولي الذين آمنوا أليس الله بكافٍ عبده ﴿وحاق بآل فرعون﴾ ونزل بهم ﴿سوء العذاب﴾ وأشده.

٤٦ ـ ﴿النار يعرضون عليها﴾ في عالم البرزخ بين الموت والبعث ﴿غدواً وعشياً﴾ من غير انقطاع ﴿ويوم تقوم الساعة﴾ يقال: ﴿أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ وأعظمه.

٤٧ ـ ﴿وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء﴾ التابعون الناعقون الخاضعون ﴿للذين استكبروا﴾ من أئمة الكفر والضلال وقد وجدوا أن رؤساءهم ومتبوعيهم قد قادوهم إلى النار ﴿إنا كنا لكم تبعاً﴾ لتكفونا في الحوائج وتنصرونا في الشدائد ونأخذ نصيباً من دنياكم ﴿فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار﴾ إن لم يكن جميع عذابها قبال ما قدمناه لكم من سند وعون في حفظ عرشكم.

٤٨ ـ ﴿قال الذين استكبروا﴾ وقد سقطت الأسباب وظهر أن لا مؤثر إلا الله ﴿إنا كل فيها﴾ وقد سلبنا ما متعنا الله به من قوة فلسنا نختص دونكم بقوة ﴿إن الله قدحكم بين العباد﴾ وقد طاح منا ماكنا نتوهمه لأنفسنا في الدنيا من القوة والقدرة واليوم يوم جزاء.

٤٩ ـ ﴿وقال الذين في النار لخزنة جهنم﴾ بعد أن يئسوا من أن يستجاب منهم سؤالهم ﴿ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب﴾ أي جزءاً منه .

٥٠ ـ ﴿قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات﴾ والآيات ﴿قالوا بلى﴾ اعتراف منهم بالكفر بالنبوة مع العلم بكونها حقاً.﴿قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ فلا إجابة لدعائهم.

٥١ ـ ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ وهذه الآية وعد نوعي لا وعد شخصي كقوله: ﴿إنهم لهم المنصورون﴾ .٥٢ ـ ﴿يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم﴾ في موقف يوم القيامة ﴿ولهم اللعنة﴾ والإبعاد من الرحمة ﴿ولهم سوء الدار﴾ وهي جهنم.

٥٣ ـ ﴿ولقد آتينا موسى الهدى﴾ وهو الدين ﴿وأورثنا بني إسرائيل الكتاب﴾ وهو التوراة يعملون بها.

٥٤ ـ ﴿هدى﴾ تهديهم ﴿وذكرى لأولي الألباب﴾ يتذكر بها أولو العقول.

٥٥ ـ ﴿فاصبر﴾ يا محمد على إيذاء المشركين لك ﴿إن وعد الله حق﴾ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴿واستغفر لذنبك﴾ أي لما يُعَدُّ له ﷺ ذنباً لأنه معصوم ﴿وسبح بحمد ربك﴾ ونزهه مع الثناء على آلائه ﴿بالعشي والإبكار﴾ بتوالي الأيام قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وإدبار السجود..

٥٦ ـ ﴿إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم﴾ ودون برهان ﴿إن في صدورهم إلا كبر﴾ يريدون به دحض الحق ﴿وماهم ببالغيه﴾ فكبرهم سبب جدالهم فما هم ببالغي بغيتهم من الجدال ﴿فاستعذ بالله﴾ منهم ﴿إنه هو السميع﴾ لدعاء عباده ﴿البصير﴾ بحوائجهم وماهم فيه من شدة أو رخاء.

٥٧ ـ ﴿لخلق السموات والأرض﴾ أي مجموع الكون ﴿أكبر من خلق الناس﴾ فهم ليسوا بمعجزين لله ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ ولجهلهم يظنون أنهم يعجزونه بكيدهم وجدالهم.

٥٨ ـ ﴿وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلاً ما تتذكرون﴾ ولو تذكرتم لعلمتم أن الله لا يجعل المتقين كالفجار.

قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدٗى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾

٥٩ ـ ﴿إن الساعة لآتية لا ريب فيها﴾ وعندها يخسر المبطلون ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ أن الدعوة لله وحده.

٦٠ ـ ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ فالملك له، وله السلطان والإحاطة فالوعدبالإجابة المطلقة إذا كان الداعي داعياً بحسب الحقيقة، مريداً بحسب العلم الفطري، مواطئاً لسانه قلبه. ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي﴾ ودعائي ﴿سيدخلون جهنم داخرين﴾ أذلاء؛ إنذار للمستكبرين.

وفي الخصال: من أعطي الدعاء أعطي الإجابة، ومن أعطي الشكر أعطي الزيادة، ومن أعطي التوكل أعطي الكفاية، فإن الله عز وجل يقول في كتابه: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾، وقال: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ وقال: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾.

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾

٦١ ـ ﴿الله الذي جعل لكم الليل﴾ مظلماً، ﴿لتسكنوا فيه﴾ من التعب والسعي في جلب حوائجكم في النهار ﴿والنهار مبصراً﴾ لتسعوا في مناكبها وتأكلوا من رزقه ﴿إن الله لذو فضل على الناس﴾ في تدبيره لشؤونهم ﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ فهم يتقلبون في النعمة وينسون المنعم.

٦٢ ـ ﴿ذلكم الله ربكم﴾ المدبر أمر حياتكم ورزقكم ﴿خالق كل شيء﴾ والخلق لا ينفك عن التدبير ﴿لا إله﴾ ولا معبود بالحق ﴿إلا هو فأنى تؤفكون﴾ وكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره. ٦٣ ـ ﴿كذلك﴾ الإفك ﴿يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون﴾ فينصرفون عن مدلولها وهو ظاهر، ولا سبب في ذلك إلا الجحود.

٦٤ ـ ﴿الله الذي جعل لكم الأرض قراراً﴾ ومستقراً ﴿والسماء بناءً﴾ أي قبة مضروبة عليكم ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾ وجهزكم بما يلزم لأعمالكم ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ من الحبوب والفواكه واللحوم ﴿ذلكم الله ربكم﴾ المدبر لأمركم ﴿فتبارك الله رب العالمين﴾ فالثناء له وهو منشأ الخير الكثير.

٦٥ ـ ﴿هو الحي لا إله إلا هو﴾ فهو الله الحي بذاته ﴿فادعوه مخلصين له الدين﴾ لأنه الحي بذاته ولأنه المعبود بالاستحقاق الذاتي ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ ثناء عليه لربوبيته للعالمين.

٦٦ ـ ﴿قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله﴾، ﴿أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون﴾، ومن أشرك حبط عمله ﴿لما جاءني البينات من ربي﴾ فلا مطمع لكم في موافقتي لكم في عبادة آلهتكم ﴿وأمرت أن أسلم لرب العالمين﴾ وقد أنزل الدين من فيض تدبيره.

٦٧ ـ ﴿هو الذي خلقكم من تراب﴾ فآدم أبوكم من تراب ﴿ثم من نطفة﴾ حقيرة ﴿ثم من علقة﴾ وهي نتاج الإلقاح ﴿ثم يخرجكم﴾ من بطون أمهاتكم ﴿طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم﴾ وقواكم ﴿ثم لتكونوا شيوخاً﴾ بعدذلك ﴿ومن نعمره ننكسه في الخلق﴾، ﴿ومنكم من يتوفى من قبل﴾ فلا يبلغ الشيخوخة ﴿ولتبلغوا أجلاً مسمى﴾ عنده ﴿ولعلكم تعقلون﴾ وتدركون الحق وهو غاية الخلقة بحسب الحياة المعنوية.

٦٨ ـ ﴿هو الذي يحي ويميت﴾ فهو المتصرف وله المبدأ والمعاد ﴿فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ فبقوله تعالى يكون.

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ ۚ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾

٦٩ ـ ﴿ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله﴾ بغير سلطان أتاهم ﴿أنى﴾ وكيف ﴿يصرفون﴾ عن الحق إلى الباطل وعن الهدى إلى الضلال.

٧٠ ـ ٧٢ ـ ﴿الذين كذبوا بالكتاب﴾ وهو القرآن الكريم ﴿وبما أرسلنا به رسلنا﴾ من كتاب ودين ﴿فسوف يعلمون﴾ حقيقة تكذيبهم ﴿إذ الأغلال﴾ والأطواق ﴿في أعناقهم﴾ إذلالاً وإيلاماً لهم ﴿والسلاسل﴾ يسلكون بها ﴿يسحبون في الحميم﴾ في الماء الشديد الحرارة ﴿ثم في النار يسجرون﴾ ويلقون فيصيرون وقود النار.

٧٣ ـ ٧٤ ـ ﴿ثم قيل لهم﴾ وهم يتقلبون بين السحب والسجر ﴿أين ما كنتم تشركون من دون الله﴾ وأين آلهتكم لينصروكم ﴿قالوا ضلوا عنا﴾ وغابوا ﴿بل لم نكن ندعو من قبل شيئا﴾ إن هي إلا أسماء لا مسميات وراءها ﴿كذلك يضل الله الكافرين﴾ الساترين للحق؛ يرون الباطل حقاً فيقصدونه. ٧٥ ـ ﴿ذلكم﴾ العذاب ﴿بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون﴾ لتعلق قلوبكم بعرض الدنيا وزينتها وتفرطون في الفرح بإحياء الباطل وإماتة الحق. ٧٦ ـ ﴿ادخلوا أبواب جهنم﴾ المقسومة لكم ؟﴿خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين﴾ الذين يتكبرون عن الحق.

٧٧ ـ ﴿فاصبر إن وعد الله حق﴾ وقد وعد بعذاب الكافرين ﴿فإما نرينك بعض الذي نعدهم﴾ من عذاب الدنيا ﴿أو نتوفينك﴾ بالموت ﴿فإلينا يرجعون﴾ فننجز فيهم ما وعدناهم.

٧٨ ـ ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك﴾ وهذه سنة جارية ﴿منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾ آثارهم ﴿وماكان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾ سواء كانت معجزة لتأييد الرسالة أو ماهو أعم من ذلك ﴿فإذا جاء أمر الله﴾ بالعذاب ﴿قضي بالحق﴾ وأزهق الباطل ﴿وخسرهنالك المبطلون﴾ المتمسكون بالباطل في دنياهم فلهم الهلاك في الدنياوالعذاب في الآخرة.

٧٩ ـ ﴿الله الذي جعل﴾ سخر ﴿لكم الأنعام لتركبوا منها﴾ ما يصلح للركوب ﴿ومنها تأكلون﴾ أي من بعضها. ٨٠ ـ ﴿ولكم فيها منافع﴾ من لبنها وجلودها وغير ذلك ﴿ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم﴾ وهي الانتقال من مكان لآخر لأغراض مختلفة ﴿وعليها وعلى الفلك تحملون﴾ لقطع البر والبحر.

٨١ ـ ﴿ويريكم آياته﴾ الدالة على ربوبيته وألوهيته وتوحيده ﴿فأي آيات الله تنكرون﴾ وهو يريكم إياها عياناً وبياناً.

٨٢ ـ ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا﴾ ما جرى من سنة القضاء والحكم في الأمم السالفة ﴿كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ من المكذبين ﴿كانوا أكثر منهم﴾ عدداً ﴿وأشد قوة وآثاراً في الأرض﴾ من قريش ﴿فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ ولم ينفع في دفع عذاب الله ما فرحوا به بما لديهم من العلم والعمل.

٨٣ ـ ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ والآيات ﴿فرحوا بما عندهم من العلم﴾ الذي يشغل قلوبهم بزينة الحياة الدنيا يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ فنزل بهم ما استهزؤوا به من عذاب.

٨٤ ـ ﴿فلما رأوا بأسنا﴾ وحل بهم العذاب الشديد ﴿قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين﴾ ولا نفع للإيمان عند حلول العذاب، وقد تبدل الغيب شهادة.

٨٥ ـ ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ لعدم استناد الإيمان حينئذ إلى الاختيار ﴿سنة الله التي قد خلت في عباده﴾ فهي سنة ماضية، أن لا تقبل توبة بعد رؤية البأس ﴿وخسر هنالك الكافرون﴾ فقد ذهب رأس مالهم وقد خسروا أنفسهم.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

سورة فصلت

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: إعراض الكفار عن الكتاب وإنكارهم التوحيد والنبوة والمعاد، والتبشير والإنذار.

١ـ٥ ـ ﴿حم تنزيل﴾ للكتاب ﴿من الرحمن﴾ الذي يرحم المؤمن والكافر ﴿الرحيم﴾ يختص المؤمنين برحمته الخاصة، فيصلح دنياهم وآخرتهم ﴿كتاب فصلت آياته﴾ وميزت أبعادها، لتفهم معانيها ﴿قرآنا عربياً﴾ نزل بلسان العربي ﴿لقوم يعلمون﴾ ليدركوا معارفه لمعرفته باللسان ﴿بشيراً ونذيراً﴾ لهم ﴿فأعرض أكثرهم﴾ وتولوا ﴿فهم لا يسمعون﴾ سمع قبول ﴿وقالوا قلوبنا في أكنة﴾ أي حفظ ﴿مما تدعونا إليه﴾ فلا أمل أن تصل دعوتك إليها ﴿وفي آذاننا وقر﴾ أي ثقل من الصمم ﴿ومن بيننا وبينك حجاب﴾ يحجزنا عنك ﴿فاعمل﴾ ما يمكنك في إبطال أمرنا ﴿إنا عاملون﴾ في إبطال أمرك.

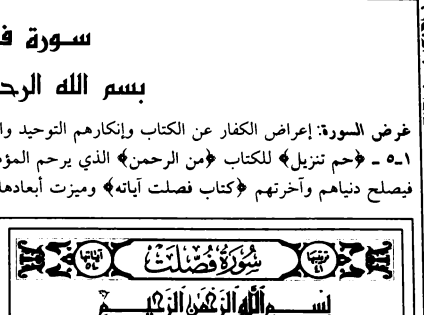
سُورَةُ فُصِّلَتْ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
حم ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾

٦ ـ ٧ ـ ﴿قل﴾ جواباً على قولهم ﴿إنما أنا بشر مثلكم﴾ أعاشركم كما يعاشر بعضكم بعضاً فلست من جنس يباينكم حتى يكون بيني وبينكم حجاب مضروب ﴿يوحى إلي أنما إلهكم﴾ الذي يستحق أن تعبدوه ﴿إله واحد﴾ لا آلهة متفرقون ﴿فاستقيموا إليه﴾ أي فاستووا إليه بتوحيده ﴿واستغفروه﴾ فيما صدر عنكم من الشرك والذنوب. ﴿وويل﴾ هلاك ﴿للمشركين﴾ الذين لا يوحدون الله ﴿الذين لا يؤتون الزكاة﴾ ولا ينفقون للفقراء والمساكين لوجه الله أو لا يزكون أنفسهم من الذنوب ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾ فهم منكرون للمعاد.

٨ ـ ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي قرنوا الإيمان بالعمل الصالح ﴿لهم أجر﴾ استحقوه بجعل من الله تعالى؛ لا من عند أنفسهم ﴿غير ممنون﴾ لا كعطاءات البشر.

٩ ـ ١١ ـ ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين﴾ أي في برهتين من الزمان ﴿وتجعلون له أنداداً﴾ وأمثالاً شركاء يماثلونه في الربوبية والألوهية. ﴿ذلك رب العالمين﴾ تعالى وتنزه عن أوهامهم، وهو المدبر لأمر العالمين ﴿وجعل فيها رواسي﴾ وجبالاً ثابتة ﴿من فوقها وبارك فيها﴾ فجعل فيها الخير الكثير مما ينتفع به، ﴿وقدر فيها أقواتها﴾ وأرزاقها ﴿في أربعة أيام﴾ هي الفصول الأربعة ﴿سواء للسائلين﴾ بلسان الحاجة تكفيهم دون زيادة أو نقيصة. والسائلون هم أنواع الإنسان والحيوان والنبات. ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ أي توجه إليها وقصدها بالخلق ﴿وهي دخان﴾ أي حال كونها شيئاً سماء الله دخاناً ﴿فقال لها وللأرض ائتيا﴾ كلمة إيجاد وأمر تكوين، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴿طوعاً أو كرهاً﴾ أي مع قبول الفعل أو مع عدمه، كناية عن وجوب إتيانهما بلا مناص ﴿قالتا أتينا طائعين﴾

بتواضع ومسايرة لسائر المخلوقات المطيعة لأمره تعالى، وتشريك الأرض مع السماء في قوله ﴿ائتيا﴾ يشعر بوجود الارتباط في الوجود، والاتصال في النظام، والفعل والانفعال في العالم المشهود.

١٢ ـ ﴿فقضاهن﴾ والقضاء بمعنى فصل الأمر ﴿سبع سموات في يومين﴾ أي برهتين ﴿وأوحى في كل سماء﴾ إلى أهلها من الملائكة ﴿أمرها﴾ المنسوب إلى تلك السماء المتعلقة بها ﴿وزينا السماء الدنيا﴾ القريبة ﴿بمصابيح﴾ أي بزينة الكواكب ﴿وحفظاً﴾ من الشياطين ﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾ فبعزته خلق ونظم ورتب.

١٣ ـ ﴿فإن أعرضوا﴾ عن الحق ﴿فقل أنذرتكم صاعقة﴾ أي صوتاً شديداً يتبعه نار ﴿مثل صاعقة عاد وثمود﴾ وقد أصابهم الريح والصيحة ١٤ ـ ﴿إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم﴾ أي من جميع الجهات ﴿أن لا تعبدوا إلا الله﴾ وهو دين التوحيد الذي جاء على لسان جميع الرسل ﴿قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة﴾ كانوا هم الرسل لأنه ـ حسب قولهم ـ لا نبوة لبشر ﴿فإنابما أرسلتم به كافرون﴾ إذ لم يرسل الملائكة.

١٥ ـ ﴿فأما عاد فاستكبروا في الأرض﴾ وعتوا ﴿بغير الحق﴾ وهذا دأب المكذبين ﴿وقالوا من أشد منا قوة﴾ ونسوا من أعطاهم القوة ﴿أو لم يروا أن الله الذي خلقهم﴾ قادر على خلقهم كيف يشاء ﴿هو أشد منهم قوة﴾ وعزة ﴿إن العزة لله جميعاً﴾ ﴿وكانوا بآياتنا يجحدون﴾ ينكرون دلالاتها ١٦ ـ ﴿فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً﴾ شديدة السموم، أو شديدة البرد أو الصوت ﴿في أيام نحسات﴾ مشؤومات لاتحمل الخير ﴿لنذيقهم عذاب الخزي﴾ والذل ﴿في الحياة الدنيا﴾ عذاباً معجلاً ﴿ولعذاب الآخرة أخزى﴾ مما لاقوا ﴿ولا هم ينصرون﴾ فلا منجي لهم ولا شفيع.

١٧ ـ ﴿وأما ثمود فهديناهم﴾ بإراءة الطريق والدلالة على الحق ببيان حق الاعتقاد والعمل ﴿فاستحبوا﴾ وآثروا ﴿العمى﴾ والضلال ﴿على الهدى﴾ والبصر ﴿فأخذتهم صاعقة العذاب الهون﴾ المذل ﴿بماكانوا يكسبون﴾ من ضلال.

١٨ ـ ﴿ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ وقد جمعوا بين الايمان في نفوسهم والالتزام في سلوكهم.

١٩ ـ ﴿ويوم يحشر أعداء الله﴾ المكذبون به ﷺ من مشركي قومه لا مطلق الكفار، وهذا لا ينفي حشر غيرهم ﴿إلى النار﴾ فيخرجون للسؤال والحساب ﴿فهم يوزعون﴾ أي يجمعون بحبس أول القوم ليلحق بهم آخرهم.

٢٠ ـ ﴿حتى إذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم﴾ قيل:كني بها عن الفروج أيضاً ﴿بما كانوا يعملون﴾ وشهادة الأعضاء ذكرها ما تحملته في الدنيا من معصية، وشهادة السمع أداؤه ما تحمل وإن لم يكن معصية، كالإعراض عن آيات الله، وشهادة البصر هي الآيات الدالة على توحيده تعالى.

فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾

٢١ ـ ﴿وقالوا لجلودهم﴾ يعتبون عليها ﴿لم شهدتم علينا﴾ ما ارتكبناه وخصصت الجلود لكونها أسباباً مباشرة للأفعال بخلاف السمع والبصر فإنها تشهد كسائر الشهداء ما ارتكبه غيرها وقيل خصصت الجلود زيادة في التشنيع والفضاحة وخاصة لو كان المراد بالجلود الفروج. وهذه الشهادات إثبات من الأنفس على ذواتها عندما تنشر الصحف لتعلم كل نفس ما قدمت وأخرت ﴿قالوا أنطقنا الله﴾ والنطق هو إظهار ما في الضمير ﴿الذي أنطق كل شيء﴾ فالنطق ليس مختصاً بالأعضاء حتى تختص هي بالسؤال بل هو عام شامل والسبب الموجب له هو الله ﴿وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون﴾ للجزاء.

٢٢ ـ ﴿وما كنتم تستترون﴾ في المعاصي ﴿أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾ ونسيتم أن لا حائل بين الله وخلقه فالإنسان أينما كان يكون الله معه، والله يرصده ويرقبه ﴿ولكن ظننتم﴾ عند المعاصي ﴿أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون﴾ فلم تستهينوا عند المعصية بشهادة أعضائكم وإنما استهنتم بشهادة الله.

وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ۖ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

٢٣ ـ ﴿وذلكم ظنكم الباطل الذي ظننتم بربكم﴾ لا يغني من الحق شيئاً وقد غفلتم أن ربكم عالم وشهيد فالعلم والشهادة على حالها؛ فظنكم ﴿أرداكم﴾ وأهلككم ﴿فأصبحتم من الخاسرين﴾ أو أن ظنكم أن ربكم لا يعلم كثيراً مما تعملون هون عليكم المعاصي والكفر فأهلككم.

٢٤ ـ ﴿فإن يصبروا﴾ على العذاب ﴿فالنار مثوى لهم﴾ مستقراً ومقاماً ﴿وإن يستعتبوا﴾ ويطلبوا الاسترضاء لينجوا من العذاب ﴿فما هم من المعتبين﴾ وليسوا ممن يقبل منهم اعتذارهم.

٢٥ ـ ﴿وقيضنا لهم قرناء﴾ فلو آمنوا واتقوا لأيدهم الله بمن يهديهم، لكنهم كفروا وفسقوا فسبب لهم الله قرناء من الشياطين ﴿فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ من التمتعات المادية التي تعلقت عليها آمالهم في المستقبل ﴿وحق عليهم القول﴾ وثبتت كلمة العذاب ﴿في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس﴾ وهي قوله تعالى: ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾، ﴿إنهم كانوا خاسرين﴾ خسروا الدنيا والآخرة.

٢٦ ـ ﴿وقال الذين كفروا﴾ وقد عجزوا عن مخاصمة القرآن ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن﴾ ولا تنصتوا إليه ﴿والغوا فيه﴾ عندما يقرؤه النبي ﷺ لتخلط قراءته ولا يسمعه الناس ﴿لعلكم تغلبون﴾ بلغو أثره.

٢٧ ـ ٢٨ ـ ﴿فلنذيقن الذين كفروا﴾ الذين قالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه. ﴿عذاباً شديداً ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون﴾ مبالغة في الزجر ﴿ذلك جزاء أعداء الله النار﴾ تحيط بهم جميعاً ﴿لهم فيها دار الخلد﴾ خالدين فيها ﴿جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون﴾ وينكرون.

٢٩ ـ ﴿وقال الذين كفروا﴾ وهم في النار ﴿ربنا أرنا﴾ المتبوعين ﴿اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت

أقدامنا ليكونا من الأسفلين﴾ وما كان هذا ليغني عنهم من عذاب الله شيئاً إنهم في العذاب مشتركون.

٣٠ ـ ﴿إن الذين قالوا ربنا الله﴾ إيماناً تفيض به قلوبهم، ومنهاجاً في حياتهم وعملاً صالحاً في حركاتهم وسكناتهم ﴿ثم استقاموا﴾ ولزموا المنهج المستقيم ووسط الطريق من غير ميل وانحراف ﴿تتنزل عليهم الملائكة﴾ تقوية لقلوبهم وتبشيراً بالكرامة ﴿أن لا تخافوا﴾ من مكروه متوقع ﴿ولا تحزنوا﴾ من مكروه واقع ﴿وأبشروا بالجنة التي توعدون﴾ فالذنب مغفور والعذاب مصروف.

٣١ ـ ﴿نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ لنسددكم ونؤيدكم ﴿ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم﴾ والشهوة نزوع النفس بقوة من قواها إلى ما تريده وتتلذذ به كشهوة الطعام والنكاح ﴿ولكم فيها ما توعدون﴾ فالوعد حق.

٣٢ ـ ﴿نزلاً﴾ إقامة ﴿من غفور رحيم﴾ يغفر الذنوب ويرأف بعباده.

٣٣ ـ ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله﴾ المراد به النبي ﷺ وإن كان لفظ الآية يعم من دعا ﴿وعمل صالحاً﴾ فالعمل الصالح يكشف عن نية صالحة ﴿وقال إنني من المسلمين﴾ المراد بالقول الرأي والاعتقاد فأحسن القول أحقه.

٣٤ ـ ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة﴾ من حيث التأثير في النفوس ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ فادفع بالحق باطلهم وبالحلم جهلهم ﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ ودود ٣٥ ـ ﴿و﴾ خصلة الدفع بالتي هي أحسن ﴿مايلقاها إلا الذين صبروا﴾ لاستقرار الخير فيهم ﴿وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ من كمال الانسانية.

٣٦ ـ ﴿وإما ينزغنك﴾ وينخسنك ﴿من الشيطان نزغ﴾ والنزغ هو غرز الدابة لتهيجها، والشيطان يقلب الأمر على النبي ﷺ بالوسوسة للمدعوين من أهل الكفر والجحود ﴿فاستعذ بالله﴾ والتجيء إليه ﴿إنه هو السميع﴾ لمسألتك ﴿العليم﴾ بحالك.

٣٧ ـ ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر﴾ احتجاج بوحدة التدبير واتصاله مع وحدة الرب المدبر ﴿لا تسجدوا للشمس ولا للقمر﴾ فهي مخلوقات له تعالى ﴿واسجدوا لله الذي خلقهن﴾ فله وحده السجود ﴿إن كنتم إياه تعبدون﴾ دون أن تعبدوا معه إلهاً آخر.

٣٨ ـ ﴿فإن استكبروا﴾ عن السجود ﴿فالذين عند ربك﴾ من الملائكة والمخلصين من عباد الله ﴿يسجدون له بالليل والنهار﴾ مداومين ﴿وهم لا يسأمون﴾ ولا يملون.

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾

٣٩ ـ ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة﴾ وضيعة ﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت﴾ ونمت وعلت كشخص وضيع الحال أصاب مالاً فانتصب متبختراً تعرف في وجهه نضرة النعيم ﴿إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير﴾ فالبعث كإحياء الأرض الميتة.

٤٠ ـ ﴿إن الذين يلحدون﴾ ويميلون عن الحق ﴿في آياتنا﴾ فيعبدون من دون الله الشمس والقمر وغيرها وهم يعدونها من آيات الله سبحانه، أو يعدون القرآن مفترى ﴿لا يخفون علينا﴾ فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة ﴿أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة﴾ لاستقامته؟!! ﴿إعملوا ما شئتم﴾ تشديد في التهديد ﴿إنه بما تعملون بصير﴾ وسيجازيكم بأعمالكم. ٤١ ـ ﴿إن الذين كفروا بالذكر﴾ وهو القرآن ﴿لما جاءهم﴾ وهم مشركو العرب ﴿وإنه لكتاب عزيز﴾ لانظير له أو منيع ممتنع أن يغلب ٤٢ ـ ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه﴾ في زمان نزوله ﴿ولا من خلفه﴾ إلى يوم القيامة ﴿تنزيل من حكيم﴾ متقن في فعله ﴿حميد﴾ محمود.

٤٣ ـ ﴿ما يقال لك﴾ مما رموك به من السحر والجنون ﴿إلا ما قد قيل للرسل من قبلك﴾ وقد قيل لهم ﴿إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم﴾ فاعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير.

٤٤ ـ ﴿ولو جعلناه قرآناً أعجمياً﴾ والعجم خلاف الإبانة ﴿لقالوا لولا فصلت آياته﴾ وبينت دلائله بالعربية ﴿أأعجمي وعربي﴾ يتنافيان ولا يتناسبان. ﴿قل هو للذين آمنوا هدى﴾ إلى الحق ﴿وشفاء﴾ لما في القلوب من الريب ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ ﴿والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر﴾ وصمم ﴿وهو عليهم عمىً﴾ يعميهم فلا يبصرون الحق ﴿ومايزيد الظالمين إلا خساراً﴾ ﴿أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ لا يسمعون ولا يرون، فلا يقبلون العظة ولا يعقلون الحجة.

٤٥ ـ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه﴾ تعزية للرسول محمد ﷺ ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم﴾ والكلمة هي قوله تعالى: ﴿ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين..﴾. ﴿وإنهم لفي شك منه مريب﴾ فهم في شك من كتاب موسى.

٤٦ ـ ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها﴾ فالعمل قائم بصاحبه والجزاء عائد عليه ﴿وماربك بظلام للعبيد﴾ فهو لا يضع الجزاء في غير موضعه.

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾

٤٧ ـ ﴿إليه يرد علم الساعة﴾ لا يعلمها إلا هو ﴿وما تخرج من ثمرات من أكمامها﴾ وأوعيتها ﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه﴾ فهو الرب المدبر العليم ﴿ويوم يناديهم أين شركائي﴾ من الآلهة الذين نسبتم إليهم أمر التدبير ﴿قالوا آذناك﴾ أعلمناك ﴿ما منا من شهيد﴾ سمع أو رأى.

٤٨ ـ ﴿وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل﴾ وهذا هو سبب انتفاء الشهادة ﴿وظنوا مالهم من محيص﴾ أي أيقنوا مالهم من مهرب من العذاب.

٤٩ ـ ﴿لا يسأم الإنسان من دعاء الخير﴾ وطلب ما يرى أنه ينفعه ﴿وإن مسه الشر فيؤوس قنوط﴾ فينقطع رجاءه لما يرى من سقوط الأسباب التي كان يستند إليها.

٥٠ ـ ﴿ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته﴾ وهذه الرحمة هي خير أصابه من الله ﴿ليقولن هذا لي﴾ فلي أن أتصرف فيه كيف ما أريد، فليس لأحد أن يمنعني أو يحاسبني ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ لا أعتقد قيامها والساعة هي يوم الحساب ﴿ولئن رجعت إلى ربي﴾ ـ فرضاً ـ أقسم ﴿إن لي عنده للحسنى﴾ لكرامتي عليه، لما أنعم علي من النعم. ﴿فلننبئن الذين كفروا﴾ يوم القيامة ﴿بما عملوا﴾ في الدنيا ﴿ولنذيقنهم من عذاب غليظ﴾ وعيد لهم بأليم العذاب.

٥١ ـ ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى﴾ وابتعد مستدبراً وخبط سادراً ﴿بجانبه﴾ تكبرا وخيلاء ﴿وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض﴾ مستمر وطويل.

٥٢ ـ ﴿قل﴾ للمشركين ﴿أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به﴾ أخبروني ﴿من أضل ممن هو في شقاق بعيد﴾ وخلاف لا يقارب الوفاق؟ فيجب احتمال صدق القرآن لدفع الضرر المحتمل.

٥٣ ـ ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾ وهذه الآيات هي الحوادث التي أخبر القرآن أنها ستقع كوعد النصر وظهور الدين، والانتقام من مشركي قريش وقتلهم في بدر ﴿حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ وهو القرآن ﴿أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ فما من شيء إلا وهو فقير إليه تعالى متعلق به وهو تعالى قائم عليه قاهر فوقه. ويمكن أن تشمل الآيات الدلالات الكونية وعظائم خلق الأنفس.

٥٤ ـ ﴿ألا إنهم في مرية﴾ وشك ﴿من لقاء ربهم﴾ فلا ينتفعون بالاحتجاج على وحدانيته بكونه شهيداً على كل شيء ﴿ألا إنه بكل شيء محيط﴾ فلا يخلو عنه مكان، وهوليس في مكان ولا يفقده شيء وليس في شيء ولا يغيب عن علمه شيء.

سورة الشورى

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: الكلام حول الوحي، التعرض لآيات التوحيد، صفات المؤمنين والكفار ومآلهم.

١ ـ ﴿حم﴾ ٢ ـ ﴿عسق﴾ قيل أن الأحرف المقطعة تدل على أسماء الله تعالى وقيل أنها أقسام جمع قسم منه تعالى أو أنها أسماء للسور، أو أسماء لمجموع القرآن، أو أنها إشارة إلى نعمائه تعالى أو مدة بقاء الأقوام وأعمارهم، وقيل غير ذلك ويعطي التدبر فيها أن هناك ارتباطاً بين مضامين السور وبين الأحرف المقطعة التي صدِّرت بها. وقيل أن حم عسق تعني أنا الحكيم المثيب العالم السامع القادر القوي. ٣ ـ ٤ ﴿كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك﴾ فالوحي إلى الأنبياء سنة جارية لهداية الناس والموحي هو ﴿الله العزيز﴾ لايمنعه مانع ﴿الحكيم﴾ لايهمل أمر هداية عبادة ﴿له ما في السموات ومافي الأرض﴾ فهو المالك ﴿وهو العلي﴾ فله التصرف فيهم، وفي أمورهم. وهو ﴿العظيم﴾ عليهم أن يعبدوه. ٥ ـ ﴿تكاد السموات يتفطرن﴾ يتشققن ﴿من فوقهن﴾ بسبب الوحي النازل من الله العظيم ﴿والملائكة يسبحون بحمد ربهم﴾ ينزهونه عما لايليق بساحة قدسه ويثنون عليه، وقد هدى عباده بدين يسعدهم ﴿ويستغفرون لمن في الأرض﴾ فهم يطلبون من الله هداية الناس إلى سبيل العبودية وهو دين الحق ﴿ألا إن الله﴾ يقبل دعوة الملائكة ﴿هو الغفور الرحيم﴾ فلذلك ينال أهل الأرض بمغفرته ورحمته بتشريع دينه فعدم قدرتهم على التشريع بما يصلح حالهم ويسعدهم نقص فيهم يستره الله بشريعته. ٦ ـ ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ شركاء في الربوبية ـ وقد ثبت أنه تعالى هو المشرع للدين الحق وهو الدين الذي يجب أن يتبع ـ ﴿الله حفيظ عليهم﴾ يحفظ شركهم وأعمالهم ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ فليس لك أمر أعمالهم. ٧ ـ ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر﴾ بالبلاغ ﴿أم القرى﴾ وهي مكة ﴿ومن حولها﴾ من سائر أهل الجزيرة فالدعوة ذات مراتب، والوحي إلقاء إلهي لغرض النبوة والانذار ﴿وتنذر يوم الجمع﴾ وهو يوم القيامة ﴿لاريب فيه﴾ يتفرق فيه الناس ﴿فريقاً في الجنة وفريقا في السعير﴾ فالانذار للتحرز من الهلكة. ٨ ـ ﴿ولو شاء الله﴾ مشيئة عزم وإمضاء ﴿لجعلهم أمة واحدة﴾ برفع التمييز بينهم، ولاحاجة عندئذ إلى نبوة وإنذار ولأمن من في الأرض جميعاً ﴿ولكن يدخل من يشاء في رحمته﴾ فسنته قضت أن يميز بينهم، فكلفهم وبنى أمرهم على اختيارهم ﴿والظالمون مالهم من ولي﴾ يدخلهم الرحمة ﴿ولا نصير﴾ يقيهم عذاب النار. ٩ ـ ﴿أم اتخذوا من دونه أولياء﴾ انكار لظلمهم وكفرهم ﴿والله هو الولي﴾ تنحصر فيه الولاية ﴿وهو يحيي الموتى﴾ فيجب اتخاذه ولياً

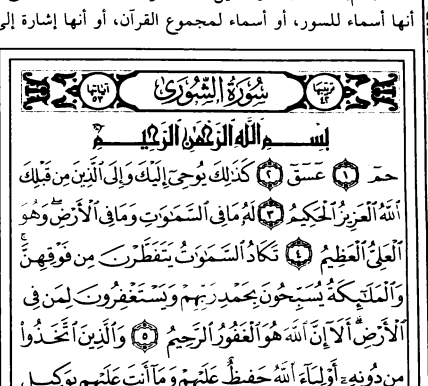
سُورَةُ الشُّورَىٰ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ
ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ
ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي
ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟
مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ
﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ
حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي
ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ
مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾
أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ
عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ
إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾

للفوز بالجنة والنجاة من العقاب ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ حجة ثالثة على وجوب اتخاذه تعالى ولياً. ١٠ ـ ﴿وما اختلفتم فيه من شيء﴾ سواء كان اختلافاً في عقيدة، أو اختلافاً في حكم، أو غير ذلك ﴿فحكمه إلى الله﴾ فاختلاف الناس في عقائدهم وأعمالهم لايرفعه إلا الأحكام والقوانين التشريعية، وهي لله، وهذه حجة رابعة على كونه تعالى لا ولي غيره، لأن حكم الحاكم بين المختلفين هو إحكامه وتثبيته الحق المضطرب بينهما بسبب تخالفهما في النفي والإثبات فالحكم يساوي القضاء مصداقاً وإن اختلفا مفهوماً، فإذا تنازع المتنازعان إلى ثالث واتخذاه حكماً فقد رضيا به ولياً والله سبحانه هو المالك ـ لامالك سواه ـ لأن كل شيء قائم بالله بوجوده وآثاره فله تعالى الحكم والقضاء بالحق. فحكمه تعالى إما تكويني وهو تثبيته المسببات قبال الأسباب المجتمعة وإما تشريعي كالتكاليف الموضوعة في الدين الإلهي الراجعة إلى الاعتقاد والعمل، وهناك قسم ثالث يمكن أن يعد من كل من القسمين السابقين وهو حكمه تعالى في عباده وبين عباده فيما اختلفوا فيه وهو إعلانه وإظهاره الحق يوم القيامة ﴿ذلكم الله﴾ الجامع لصفات الكمال ﴿ربي﴾ فقد أُقيمت الحجج على ربوبيته فله الولاية وله الحكم ﴿عليه توكلت﴾ فله أمر نظام التشريع بما فيه من قوانين وأحكام توصل الإنسان إلى كمال سعادته ﴿وإليه أنيب﴾ أي وإليه أرجع في كافة أموري تكويناً وتشريعاً. لأن الحكم بالحق يوم القيامة يستتبع أن يسعد به من كان مع الحق ويشقى به من استكبر عليه. ١١ ـ ١٢ ـ ﴿فاطر السموات والأرض﴾ موجدها من كتم العدم ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ فكثركم ﴿ومن الأنعام أزواجاً﴾ فكثرها لتنتفعوا بها، وهذا خلق وتدبير ﴿يذرؤكم فيه﴾ أي يكثركم في هذا الجعل ﴿ليس كمثله شيء﴾ سبحانه ﴿وهو السميع﴾ لما يرفع إليه من سائر خلقه ﴿البصير﴾ بأعمالهم ﴿له مقاليد﴾ مفاتيح ﴿السموات والأرض﴾ فله خزائن الفيض الوجودي والآثار الوجودية ﴿يبسط الرزق لمن يشاء﴾ فيوسعة ﴿ويقدر﴾ أي يضيق الرزق على من يشاء ﴿إنه بكل شيء عليم﴾ فالبسط والقدر ليسا مجازفة وجهلاً بل عن علم بحال كل مرزوق، فهو يبسط بالحكمة ويقدر بالحكمة. ١٣ ـ ﴿شرع لكم﴾ بين لكم ﴿من الدين ماوصى به نوحاً﴾ من العقائد والأعمال ﴿والذي أوحينا إليك﴾ فشريعته ﷺ جامعة لكل ما جل ودق ﴿وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى﴾ وهذا يدل على أنه لاتشريع قبل نوح ﴿أن أقيموا الدين﴾ احفظوه بالاتباع والعمل ﴿ولاتتفرقوا فيه﴾ ولاتختلفوا فيه فهو دين مطلق شامل لجميع الناس في جميع الأزمان. ﴿كبر على المشركين ماتدعوهم إليه﴾ وهو دين التوحيد ﴿الله يجتبي إليه من يشاء﴾ فهو يجمع على دين التوحيد من يشاء من عباده ﴿ويهدي إليه من ينيب﴾ أي من يرجع إلى الله سبحانه، فالرجوع إلى الله سبحانه مقدمة لنيل كرامة الهداية. ١٤ ـ ﴿وماتفرقوا﴾ في الدين وذهبوا فيه مذاهب وشيعاً ﴿إلا من بعد ماجاءهم العلم﴾ وتبينت لهم الشريعة الحقة ﴿بغياً بينهم﴾ وظلماً لاجهلاً كل حزب بما لديهم فرحون ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ إلى أجل

فَاطِرُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ الْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا۟ الْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

مسمى وهي قوله لهم: ﴿ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾، ﴿لقضي بينهم﴾ لأن جزاء هذه التفرقة هي أن يأخذهم الله. ﴿وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم﴾ أي من بعد البادئين بالتفرقة والتحزب ـ على علم من الحق ـ ﴿لفي شك منه مريب﴾ فالوارثون مرتابون والسابقون باغون. ١٥ ـ ﴿فلذلك﴾ لرأب الصدع ﴿فادع﴾ إلى ماشرع من الدين ﴿واستقم كما أمرت﴾ بلزوم المنهج المستقيم ﴿ولاتتبع أهواءهم﴾ المخالفة لشرعته تعالى ﴿وقل ءامنت بما أنزل الله من كتاب﴾ تسوية بين الكتب السماوية من حيث تصديقها والإيمان بها ﴿وأمرت لأعدل بينكم﴾ فلا أقدم قوياً على ضعيف ولاكبيراً على صغير، فالناس قبال الشرع سواء ﴿الله ربنا وربكم﴾ فلاتفاضل في الأرباب لأن الرب هو الله الواحد تعالى ﴿لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ ولايتعدى العمل عامله ﴿لاحجة بيننا وبينكم﴾ فلاتقدم لبعض على بعض لعدم قبولكم حجتنا وبطلان حجتكم ﴿الله يجمع بيننا﴾ للحساب والجزاء ﴿وإليه المصير﴾ فهو الرب ومعاد الجميع إليه. والآية تشير إلى أن هناك قوماً يؤمنون بما آمن به النبي ﷺ ويلبون دعوته ويتبعون شريعته. ١٦ ـ ﴿والذين يحاجون في الله﴾ ويحتجون على نفي ربوبيته وإبطال دينه ﴿من بعد مااستجيب له﴾ بالفطرة السليمة والبيان بالآيات ﴿حجتهم داحضة﴾ باطلة ﴿عند ربهم وعليهم غضب﴾ منه ﴿ولهم عذاب شديد﴾ لايقدر قدره. ١٧ ـ ١٨ ـ ﴿الله الذي أنزل الكتاب بالحق﴾ لايخالطه باطل شيطاني ولانفساني ﴿والميزان﴾ وهو الدين ـ بأصوله وفروعه ـ الذي تحاسب العقائد والأعمال بحسبه ﴿ومايدريك لعلّ الساعة قريب﴾ إتيانها ﴿يستعجل بها الذين لايؤمنون بها﴾ فيستهزئون ويسخرون بها ﴿والذين آمنوا مشفقون منها﴾ خائفون ﴿ويعلمون أنها الحق﴾ فيبعثهم ذلك على سلوك الصراط الموصل إلى السعادة فيها ﴿ألا إن الذين يمارون﴾ ويصرون على الجدال ﴿في الساعة﴾ وإنكارها ﴿لفي ضلال بعيد﴾ فلتوهمهم أن الحياة مقطوعة فانية انكبوا على شهوات الدنيا وملذاتها. ١٩ ـ ﴿الله لطيف بعباده﴾ برٌ رفيقٌ بهم ﴿يرزق من يشاء﴾ ومن رزقه هبة الدين ﴿وهو القوي﴾ مع لطفه، الغالب على كل شيء ﴿العزيز﴾ لايغيب عنه أحد ولايمنعه مانع عما أراد؛ فهو ينال دقائق الأمور بإحاطته وعلمه ويفعل مايشاء. ٢٠ ـ ﴿من كان يريد حرث الآخرة﴾ وثمرة عمله فيها ﴿نزد له في حرثه﴾ فيضاعف ثوابه ﴿ومن كان يريد حرث الدنيا﴾ وثمرة عمله فيها ﴿نؤته منها﴾ لم يقل يؤتاها لأن الأسباب بيد الله وربما لاتوافق تماماً ماأراد؛ فالأمر لله يبسط الرزق ويقدر ﴿وماله في الآخرة من نصيب﴾ لأنه أذهب نصيبه في الدنيا وقد قصر همه فيها. ٢١ ـ ﴿أم لهم شركاء﴾ الاستفهام للإنكار ﴿شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله﴾ ولادين إلا دين الله ولاشرع إلا ماشرع ولاحكم إلا ماحكم؛ وقبول أحكام غير الله هو أن يستعبد المرء نفسه بإطاعة من يقبل حكمه ﴿ولولا كلمة الفصل﴾ أنهم يعيشون إلى أجل مسمى ﴿لقضي بينهم﴾ جزاء إجرامهم ﴿وإن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ في الآخرة وما لهم من محيص. ٢٢ ـ ٢٣ ـ ﴿ترى الظالمين﴾ المعرضين عن الساعة ﴿مشفقين﴾ خائفين من هول العذاب

وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ﴿١٧﴾ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِىُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِى حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِىَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

﴿مما كسبوا﴾ من السيئات ﴿وهو واقع بهم﴾ لامناص؛ والآية من الدلائل على تجسم الأعمال ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ - إذ لاإيمان بلا عمل صالح ولاعمل صالح بلا إيمان - ﴿في روضات الجنات﴾ وخضر الحدائق ﴿لهم مايشاؤون عند ربهم﴾ فنظام الأسباب مطوي فيها والسبب الوحيد هو مشيئتهم ﴿ذلك هو الفضل الكبير﴾ الذي يكرم الله به عباده وهو محض فيض. ﴿ذلك﴾ الفضل ﴿الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وقد صلحت عقيدتهم وحسن عملهم ﴿قل لاأسألكم عليه أجراً﴾ فلا أجر على الدعوة والرسالة ﴿إلا المودة في القربى﴾ وأورد ابن كثير أن رسول الله ﷺ قال في خطبته بغدير خم: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»، وفي أحاديث أُخرى: «أهل بيتي». وهم عترته من أهل بيته؛ على أن إيجاب مودتهم وجعلها أجراً على الرسالة إنما هو ذريعة إلى إرجاع الناس إليهم فيما كان لهم من المرجعية العلمية ﴿ومن يقترف﴾ أي يكسب ﴿حسنة﴾؛ أي فعلة يرتضيها الله سبحانه - وحسن العمل كمال صلاحه لغايته - وعن السدي أن الحسنة هي المودة في آل الرسول ﷺ ﴿نزد له فيها﴾ برفع نقائصها وزيادة أجرها ﴿إن الله غفور﴾ يمحو السيئات ﴿شكورٌ﴾ يظهر محاسن العمل ويدني ثوابه ويتفضل على المثاب. ٢٤-٢٥ - ﴿أم يقولون افترى على الله كذباً﴾ الكلام للوم والإنكار؛ أي أيتمالكون أن ينسبوا مثله إلى الافتراء ﴿فإن يشأ الله يختم على قلبك﴾ ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لاتجد لك به علينا وكيلاً﴾؛ وهذا تنزيه لساحته ﷺ أن يأتي بشيء من عنده ﴿ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته﴾ فهي سنة جارية له تعالى ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ فيعلم ماتستدعيه من هدى أو ضلال؛ بإنزال الوحي وتوجيه الدعوة ﴿وهو الذي يقبل التوبة﴾ والتوبة هي الرجوع عن المخالفة بالندم؛ والعزم على عدم المعاودة. وقد سئل الإمام علي عليه السلام ماالتوبة؟ فقال: «اسم يقع على ستة معان: على الماضي من الذنوب الندامة، ولتضييع الفرائض الإعادة، ورد المظالم، وإذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية، وإذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته». ﴿عن عباده ويعلم ماتفعلون﴾ تحضيض على التوبة وتحذير من اقتراف المعاصي. ٢٦ - ﴿ويستجيب﴾ الله دعاء ﴿الذين آمنوا﴾ ويتقبل عبادتهم ﴿وعملوا الصالحات﴾ إذ أنه لاإيمان بلا عمل صالح ولاعمل صالح بلا إيمان ﴿ويزيدهم من فضله﴾ وثوابه ﴿والكافرون لهم عذاب شديد﴾ مقابلة لهم مع ثواب المؤمنين. ٢٧ - ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده﴾ فأترف الجميع ﴿لبغوا في الأرض﴾ لأن من طبع سعة المال الأشر والبطر والاستكبار والطغيان ﴿ولكن ينزل بقدرٍ مايشاءُ﴾ من الرزق ﴿إنه بعباده خبير بصير﴾ فيعلم مايستحقه كل عبد ويعلم مايصلحه من غنى أو فقر فيؤتيه ذلك. على أن لصلاح حالهم أثراً في تقدير أرزاقهم ولاينافي ذلك سنة الامتحان والبلاء للمثرين؛ وكفى بقارون عبرة. وفي الحديث القدسي: [إن من عبادي من لايصلحه إلا السقم ولو صححته لأفسدته، وإن من عبادي من لايصلحه إلا

ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ
لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ
كَذِبًا ۚ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ
بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ
عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾
وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ
وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ
لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ
خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟
وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ
إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا
كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ
فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾

الصحة ولو أسقمته لأفسدته وإن من عبادي من لايصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسدته، وإن من عبادي من لايصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسدته، ذلك أني أدبر عبادي لعلمي بقلوبهم]. ٢٨ ـ ﴿وهو الذي ينزل الغيث﴾ من السماء مدراراً والغيث هو المطر النافع في وقته ﴿من بعد ماقنطوا﴾ يئسوا ﴿وينشر رحمته﴾ ويفيض نعمته بإنبات النبات بالمطر ﴿وهو الولي الحميد﴾ فله الثناء على جميل ولايته. ٢٩ ـ ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض ومابث فيهما من دابة﴾ وظاهر الآية أن في السموات خلقاً من الدواب المنتشرة كما في الأرض ﴿وهو على جمعهم﴾ أي حشرهم ﴿إذا يشاء قدير﴾ والقدير هو الذي له كمال القدرة، وهو الفاعل لما يشاء على قدر ماتقتضي حكمته. ٣٠ ـ ٣١ ـ ﴿ومأأصابكم من مصيبة﴾ ونائبة ﴿فبما كسبت أيديكم﴾ من المعاصي والسيئات؛ على أن من الممكن أن يقترف البعض السيئات وتكون المصيبة عامة وعندها تكون العقوبة امتحاناً للبعض أو رفعاً لآخرين ﴿ويعفو عن كثير﴾ من السيئات؛ تجاوزاً أو كرماً. «وعن الرسول ﷺ: مامن اختلاج عرقٍ ولاخدش عودٍ ولانكبةِ حجرٍ إلا بذنب، ولما يعفو الله عنه أكثر» والخطاب إلى المجتمع بمعنى: ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس. ويمكن أن يكون الخطاب منحلاً إلى الأفراد. ﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض﴾ حتى لاتصيبكم المصائب ﴿ومالكم من دون الله من ولي﴾ يدفع عنكم المصائب ﴿ولانصير﴾ يعينكم. ٣٢ ـ ٣٥ ـ ﴿ومن آياته الجوار﴾ أي السفن الجارية ﴿في البحر كالأعلام﴾ كالجبال في علوها ﴿إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره﴾ فيثبت السفن على ظهر البحر ﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار﴾ يحبس نفسه عن الاشتغال في الدنيا ﴿شكور﴾ يتفكر في نعمه تعالى. والمؤمن إما صابرٌ وإما شاكرٌ. ﴿أو يوبقهن﴾ بمعنى يغرقهنَّ ﴿بما كسبوا﴾ من السيئات ﴿ويعفو عن كثير﴾ منهن فلايغرقن. ﴿ويعلم الذين يجادلون في آياتنا﴾ والجدال هو مصداق لنقض الإيمان، فعدم التسليم يقتضي لجوءهم إلى غير الله ولكن ﴿مالهم من محيص﴾ فلا مفر ولامخلص. ٣٦ ـ ﴿فما أوتيتم من شيء﴾ من الرزق ﴿فمتاع الحياة الدنيا﴾ فهو منقطع زائل ﴿وماعند الله﴾ وهو ماادخره ثواباً للمؤمنين ﴿خير وأبقى﴾ فهو خالصٌ من الألم وغير منقطع ﴿للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ يجعلونه وكيلاً لهم في كافة أمورهم يتولاها ويدبرها. ٣٧ ـ ٣٨ ـ ﴿والذين يجتنبون كبائر الإثم﴾ كالخمر والميسر ﴿والفواحش﴾ كالزنا واللواط، الآية إجمال لما سيفصل من تشريع ﴿وإذا ماغضبوا هم يغفرون﴾ وهذه من أخص صفات المؤمنين ﴿والذين استجابوا لربهم﴾ فيما يكلفهم من أعمال فمقدار أداء التكليف هو معيار الإيمان ﴿وأقاموا الصلاة﴾ وهي أخص مظاهر العبودية ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ فشأنهم المشاورة، فهم أهل الرشد يمعنون في استخراج صواب الرأي ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ فهم يقرون أن مابأيديهم من رزق هو فيض من الله فإنفاقهم ليس تكرماً منهم بل إنفاقٌ لما هم مستخلفون فيه، ابتغاء لمرضاة الله؛ وفي ذلك من

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾

كمال العبودية وهضم الذات مالايخفى. ٣٩ ـ ٤٣ ـ ﴿والذين إذا أصابهم البغي﴾ أي الظلم ﴿هم ينتصرون﴾ فيطلب بعضهم النصرة من الآخرين، كأن الظلم أصابهم جميعاً ﴿وجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مثلُها﴾ فقد جعل للمنتصر في انتصاره أن يقابل الباغي بما يماثل فعله، وليس هذا بظلم ولابغي ﴿فمن عفا وأصلح﴾ فيما بينه وبين ربه أو مابينه وبين ظالمه بالعفو والاغضاء ﴿فأجره على الله إنه لايحب الظالمين﴾ فالعفو عن الظالم ليس مِيلاً له؛ ولكن ليعوض المظلوم جزيل الثواب. ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه﴾ فحقه محفوظ ﴿فأولئك ماعليهم من سبيل﴾ فلا مجوز لإبطال حقهم في الشرع الإلهي ﴿إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق﴾ فيجب الانتقام للمظلومين منهم ﴿أولئك لهم عذاب أليم﴾ بما ظلموا وبغوا ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ فالدعوة إلى الصبر والعفو ليست إبطالاً لحق الانتصار وإنما إرشاد إلى فضيلة هي من أعظم الفضائل. لأن السكوت عن الظلم ظلم ﴿ولاتركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾. فالصبر بالمفهوم القرآني استعلاء ليكون تحملاً لا ذلاً. ٤٤ ـ ﴿ومن يضلل الله﴾ بسبب كفره وتكذيبه لأن الله لايضل إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون مأمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض ﴿فماله من ولي من بعده﴾ فهو صفر الكفين من نعمة الله ومن رزقه ﴿وترى﴾ ويرى كل راءٍ ﴿الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مردٍّ﴾ إلى الدنيا ﴿من سبيل﴾ تخلصاً من العذاب. ٤٥ ـ ﴿وتراهم يعرضون عليها﴾ أي على النار ﴿خاشعين من الذلِّ﴾ والهوان ﴿ينظرون من طرف خفيٍّ﴾ إلى المكاره، فهم لايريدون النظر إليها لرهبتها، دون أن تغفل عيونهم عنها ﴿وقال الذين آمنوا إن الخاسرينَ﴾ هم ﴿الذين خسروا أنفسهمْ﴾ بحرمانها من النجاة ﴿وأهليهم﴾ بعدم الانتفاع بهم ﴿يوم القيامة﴾ وقيل: أهلوهم الحور العين ﴿ألا إن الظالمين في عذاب مقيم﴾ فهو عذاب غير منقطع؛ وقد تحول عزهم ذلاً وسلطانهم هواناً وتكبرهم ضعة. ٤٦ ـ ﴿وماكان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله﴾ فدعواهم ولاية أوليائهم في الدنيا باطلة من رأس ﴿ومن يضلل الله فماله من سبيل﴾ لأن سبيل الله الذي شرعه من طريق الوحي والرسالة هو وحده سبيل الهدى. ٤٧ ـ ﴿استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم﴾ هو يوم القيامة ﴿لامردَّ له من الله﴾ فهو مقضي محتوم ﴿مالكم من ملجأ﴾ وملاذ ﴿يومئذٍ ومالكم من نكير﴾ فلا إنكار لما صدر منكم لظهور الأمر عليكم. ٤٨ ـ ﴿فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾ فأنت يامحمد لست مسؤولاً عن إيمانهم ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾ لاأكثر فلاتتعب نفسك فيهم ولاتذهب نفسك عليهم حسرات ﴿وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة﴾ ونعمة ﴿فرح بها﴾ منصرفاً عن ذكر المنعم؛ ﴿وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم﴾ من الذنوب ﴿فإن الإنسان كفورٌ﴾ يغفل عن ذكر ربه، ولاتنفع به موعظة. ٤٩ ـ ٥٠ ـ ﴿لله ملك السموات والأرض﴾ فله الملك والسلطان ﴿يخلق مايشاء﴾ فالخلق منوط بمشيئته؛ من غير أن يكون هناك أمرٌ يوجب عليه المشيئة ﴿يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور﴾ تكرار المشيئة

وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾

لأن الذكور هم المطلوبون في أذهانهم ﴿أو يزوجهم﴾ أي يجمع بينهم فيكونون ﴿ذكراناً وإناثاً﴾ معاً ﴿ويجعلُ من يشاءُ عقيماً﴾ لايولد له ﴿إنهُ عليمٌ قديرٌ﴾ لايزيد مايزيد لجهل ولاينقص ماينقص عن عجز. ٥١ ـ ﴿وماكان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً﴾ والوحي هو الإلقاء في القلب ويراد به هنا التكلم الخفي دون أن تتوسط واسطة بينه تعالى وبين النبي ﴿أو من وراء حجاب﴾ والحجاب ليس هو الوحي، وإنما الوحي من ورائه ﴿أو يرسل رسولاً﴾ هو ملكُ الوحي ﴿فيوحي بإذنه﴾ تعالى ﴿مايشاءُ﴾ الله سبحانه ﴿إنه عليٌّ حكيم﴾ فلعلوّه يجلُّ أن يكلمهم كما يكلم بعضهم بعضاً ولحكمته يوحي لهم مايهديهم إلى كمال سعادتهم. ٥٢ ـ ٥٣ ـ ﴿وكذلك أوحينا إليك﴾ بتوسط جبريل أو بالوحي في المنام من دون واسطة كما ورد في الروايات ﴿روحاً من أمرنا﴾ قيل هو القرآن، أو هو مطلق الوحي، أو هو جبريل، أو هو روح الأمرِ ﴿ماكنت تدري﴾ قبل الوحي ﴿ماالكتابُ﴾ بما فيه من المعارفِ والشرائع ﴿ولا الإيمانُ﴾ كما أنت متلبسٌ به بعد الوحي ﴿ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاءُ من عبادنا﴾ أي نهدي بالقرآن النبي ومن آمن به، أو نهدي بروح الأمر جميع الأنبياء ومن آمن بهم ﴿وإنك لتهدي إلى صراطٍ مستقيم﴾ فهدايتكَ بامحمد هداية الله وصراطك من ﴿صراط الله الذي له مافي السموات وما في الأرض﴾ فإنه تعالى لما ملك كل شيء ملك الغاية التي تتوجه إليها الأشياء، فكانت السعادة فيما بيَّن الله، وكان الطريق والسبيل هو ماشرعه وحكم به ﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾ فلازم ملكه تعالى استمرار رجوع أمورهم إليه.

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

سورة الزخرف

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: الإنذار، نفي الولد عنه سبحانه، إهلاك المستهزئين، حقائق أُخرى.

١ـ٥ ـ ﴿حم﴾ سبق الكلام في الأحرف المقطعة ﴿والكتاب المبين﴾ قسم بالقرآن المظهر طريق الهدى ﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ وهذا يظهر أن للقرآن مرحلة من الكينونة والوجود لاتنالها عقول الناس، وألبس هذا اللباس ليعقلوه. ﴿وإنه في أم الكتاب لدينا﴾ في اللوح المحفوظ وراء تعقل العقول ﴿لعلي﴾ رفيع المنزلة ﴿حكيم﴾ محكم غير مفسد ولاناقص ﴿أفنضربُ﴾ أي أفنصرفُ ﴿عنكم الذكر﴾ ـ وهو القرآن الذي جعلناه لتعقلوه ـ ﴿صفحا﴾ أي إعراضاً ﴿إن كنتم قوماً مسرفين﴾ أي ولانصرفه عنكم لذلك. ٦ ـ ٨ ـ ﴿وكم﴾ ـ للتكثير ـ ﴿أرسلنا من نبي في الأولين﴾ من الأمم الغابرة ﴿ومايأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون﴾ فإسرافهم لايمنعنا من إجراء سنة الهداية ﴿فأهلكنا أشد منهم بطشاً﴾ لعدم اعتبارهم ﴿ومضى﴾ في السور النازلة قبل هذه السورة ﴿مثل الأولين﴾ وكيف حاق بهم ماكانوا به يستهزئون. ٩ ـ ١٠ ـ ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض﴾ ـ احتجاجاً على نقضهم ربوبيته تعالى ـ ﴿ليقولنَّ خلقهنَّ العزيز﴾ الذي لايعجزه شيء ﴿العليم﴾ الذي لايغيب عن علمه شيء ﴿الذي جعل لكم الأرض

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

مهداً﴾ تربون فيها كما تربى الأطفال ﴿وجعل لكم فيها سبلاً﴾ طرقاً ﴿لعلكم﴾ بسلكها ﴿تهتدون﴾ إلى مقاصدكم.

١١ ـ ﴿والذي أنزل من السماء ماءً بقدرٍ﴾ معلوم؛ عن إرادة وتدبير، لايزيد فيغرق ولايقلُّ فيقحط ﴿فأنشرنا﴾ أحيينا ﴿به بلدة ميتاً كذلك تخرجون﴾ أي تبعثون كإحياء البلدة الميتة. ١٢ ـ ﴿والذي خلق الأزواج كلها﴾ من أصناف الموجودات ﴿وجعل لكم من الفلك والأنعام ماتركبون﴾ وقد سخر ذلك لكم. ١٣ ـ ﴿لتستووا على ظهوره﴾ وتستقروا عليها ﴿ثم تذكروا نعمة ربكم﴾ معترفين بجميل صنعه حامدين له ﴿إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وماكنا له مقرنين﴾ مطيقين، فتسبيحه لتنزيهه عمّا لايليقُ بساحة قدسهِ وهو الشريكُ في الربوبية والألوهية. ١٤ ـ ﴿وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾ أي صائرون إليه، شهادة بالمعاد. وكأين من ركاب سفينة غرقوا أو طائرة سقطوا أو عربة هلكوا. فنحن عائدون بعد خلافة الأرض إلى ربنا ليجزينا.

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ۚ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ ۗ مَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾

١٥ ـ ﴿وجعلوا له من عباده جزءاً﴾ ولداً ﴿إن الإنسان لكفورٌ مبينٌ﴾ فإن جزئية شيء من شيء لاتتم إلا بتركبٍ في ذلك الشيء والله سبحانه واحد أحد. ١٦ ـ ﴿أم اتخذ مما يخلق بناتٍ﴾ ـ فالملائكة بزعمهم بنات الله ـ ﴿واصطفاكم بالبنين﴾ فتخصون أنفسكم بالذكور أشرف الصنفين وتثبتون له أخس الصنفين بزعمكم.

١٧ ـ ﴿وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً﴾ أي بالأنثى التي جعلها شبهاً مجانساً للرحمن ﴿ظل وجهه مسوداً﴾ من الغم ﴿وهو كظيمٌ﴾ مملوءٌ كرباً وغيظاً. ١٨ ـ ﴿أو من ينشأ في الحلية﴾ ويتربى في الزينة ﴿وهو في الخصام غير مبين﴾ فالمرأة أقوى عاطفة وأضعف تعقلاً والحجة مبينة على قوة التعقل.

١٩ ـ ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً﴾ رد لقولهم بأنوثتهم لأن الإناث لايطلق عليهن اسم العباد ﴿أشهدوا خلقهم﴾ والعلم إنما يتم بالحس ﴿ستكتب شهادتهم ويسألون﴾ يوم القيامة عن فريتهم وكذبهم في وجوه كفرهم الثلاثة: نسبة الولد إلى الله، نسبة أخس النوعين بزعمهم له تعالى واستخفافهم بالملائكة.

٢٠ ـ ﴿وقالوا لو شاء الرحمن ماعبدناهم﴾ لاستحالة تخلف مراده عن إرادته، وهذان وجهان للكفر: عبادة الملائكة وزعمهم أن عبادتهم لهم بمشيئة الله ﴿مالهم بذلك من علم﴾ أي هو قول مبني على الجهل ﴿إن هم إلا يخرصون﴾ لأنه لاإرادة تكوينية منه تعالى متعلقة بعدم عبادتهم الملائكة. وانتفاء الإرادة التكوينية لايستلزم انتفاء تعلق الإرادة التشريعية به. ٢١ ـ ﴿أم آتيناهم كتاباً من قبله﴾ ـ أي من قبل القرآن ـ ﴿فهم به مستمسكون﴾ نفي للحجة عن طريق النقل بعد نفيها من طريق العقل.

٢٢ ـ ﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمةٍ﴾ أي طريقة أو دين ﴿وإنا على آثارهم مهتدون﴾ مقلدون.

٢٣ ـ ﴿وكذلك ماأرسلنا من قبلك في قريةٍ من نذير﴾ هو النبي ﴿إلا قال مترفوها﴾ وقد صرفهم ترفهم عن قبول الحق ـ ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمةٍ وإنا على آثارهم مقتدون﴾ فالتشبث بالتقليد سنة بين الأمم. ٢٤ ـ ﴿قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم﴾ أي فيقول النبي: هل أنتم لازمون لدينكم حتى لو كان ماجئتكم به أهدى ﴿قالوا إنا لما أرسلتم به كافرون﴾ وهذا تحكم من غير دليل. ٢٥ ـ ﴿فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين﴾ وقد أهلكهم الله، وفيه تهديد لقوم النبي محمد ﷺ.

٢٦ ـ ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براءٌ مما تعبدون﴾ تقليداً لآبائكم من غير حجة. ٢٧ ـ ﴿إلا الذي فطرني﴾ وأوجدني فهو الخالق المدبر ﴿فإنه سيهدين﴾ إلى الحق الذي أطلبه فالسوق إلى الكمال من تمام تدبير الرب. ٢٨ ـ ﴿وجعلها﴾ الله ﴿كلمة باقية في عقبه﴾ وهي كلمة البراءة من الآلهة ﴿لعلهم يرجعون﴾ فيرجع العابدون لغير الله بدعوة العابدين لله ويظهر من الآية أن ذرية ابراهيم ﷺ لاتخلو من هذه الكلمة إلى يوم القيامة.

٢٩ ـ ﴿بل متعت هؤلاء﴾ من قومك ﴿وآباءهم﴾ فشغلوا بالمهلة وأخذتهم الغفلة وغرتهم النعمة وأطاعوا الشيطان وعافوا الدين وتكاليفه، فأشركوا ولم يرجعوا إلى التوحيد ﴿حتى جاءهم الحق﴾ وهو القرآن ﴿ورسول مبين﴾ هو محمد ﷺ. ٣٠ ـ ﴿ولما جاءهم الحق﴾ لينبههم من غفلتهم ﴿قالوا هذا سحر﴾ وهذا طعن في المرسل والرسول والرسالة ﴿وإنا به كافرون﴾ جاؤوا بما هو شر من غفلتهم فقد ضموا إلى شركهم معاندة الحق والاستخفاف بكتاب الله وشرائعه، ولاتزال تجد هذه السجايا باقية إلى اليوم. ٣١ ـ ﴿وقالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين﴾ ـ أي مكة والطائف ـ ﴿عظيم﴾ ذي مال وجاه. فالرسالة منزلة شريفة إلهية لاينبغي أن يتلبس بها إلا رجل شريف. ٣٢ ـ ﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾ وقد اختصك الله بالرسالة رحمة منه ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا﴾ بيان لوجه الإنكار بأنهم عاجزون عن قسمة ماهو دون النبوة ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾ لأن كثرة حوائج الإنسان أحوجته إلى الاجتماع عن طريق التعاون والتعاضد والاستخدام والاستدرار ﴿ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً﴾ فالخادم يتسخر للمخدوم لماله والمخدوم يتسخر للخادم لخدمته ﴿ورحمة ربك خير مما يجمعون﴾ من المال ومايتبعه من لوازم الحياة.

٣٣ ـ ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة﴾ مجتمعين على الكفر لو رأوا تنعم الكافرين وحرمان المؤمنين، أو بأن يكونوا أمة واحدة تجاه الأسباب ﴿لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج﴾ ومصاعد ﴿عليها يظهرون﴾ يصعدون.

وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ﴿٣٣﴾

٣٤ ـ ٣٥ ـ ﴿ولبيوتهم أبواباً﴾ فخمة ﴿وسرراً﴾ رفيعة ﴿عليها يتكئون﴾ لراحتهم ﴿وزخرفاً﴾ هو كمال حسن الشيء ﴿وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا﴾ فكل ماذكر متاع زائل ﴿والآخرة عند ربك للمتقين﴾ فلهم كمال السعادة وحسن البقاء. فالله لم يوسع على الكافرين كي لايطبق الناس على الكفر. فإن قلت لِمَ لَمْ يوسع على المسلمين ليطبق الناس على الإسلام؟ قلت: التوسعة عليهم مفسدة لما تؤدي إليه من الدخول في الإسلام لأجل الدنيا وكثرة المنافقين الداخلين في الدين. فكانت الحكمة فيما دبر فتدبر.

٣٦ ـ ٣٩ ـ ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن﴾ ويتعامى عنه ﴿نقيض له شيطاناً﴾ نسبب له شيطاناً أي نجيء به إليه ﴿فهو له قرين﴾ ملازم يضله حتى يرد عذاب الآخرة معه. ﴿وإنهم﴾ أي الشياطين ﴿ليصدونهم عن السبيل﴾ والذكر فالإنسان مفطور على الميل إلى الحق ومعرفته وأما من يعرض عن الحق فهو يعرض اتباعاً للهوى فإذا داوم على ذلك طبع الله على قلبه وقيض له القرين ﴿ويحسبون أنهم﴾ أي العاشون أنفسهم ﴿مهتدون﴾ إلى الحق. وهذا هو الغطاء المضروب عليهم في الدنيا. ﴿حتى إذا جاءنا﴾ يوم البعث ﴿قال﴾ مخاطباً قرينه ﴿ياليت بيني وبينك بعد المشرقين﴾ تأذياً من صحبته ﴿فبئس القرين﴾ فهم معذبون بمصاحبة القرناء وراء عذابهم بالنار ﴿ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم﴾ في الدنيا ﴿أنكم في العذاب مشتركون﴾ فاشتراككم في العذاب لايسليكم كما كان يسليكم اشتراككم في البلاء في الدنيا.

٤٠ ـ ٤٢ ـ ﴿أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين﴾ الاستفهام للإنكار فلا تتكلف في دعوتهم ولاتحزن لإعراضهم ﴿فإما نذهبن بك﴾ بالوفاة ﴿فإنا منهم منتقمون﴾ لامحالة ﴿أو نرينك الذي وعدناهم﴾ من الانتقام منهم قبل وفاتك ﴿فإنا عليهم مقتدرون﴾ فاقتدارنا يفوق عليهم. والمعرضون قد تعطلت لديهم أجهزة الحس، والله إنما جعل لهم السمع والأبصار والأفئدة لتهديهم إلى التوحيد.

٤٣ ـ ٤٥ ـ ﴿فاستمسك بالذي أوحي إليك﴾ من الكتاب ﴿إنك على صراط مستقيم﴾ فاثبت عليه ﴿وإنه﴾ أي ذكر الله ﴿لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾ عنه يوم القيامة ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا﴾ أي اسأل أرواح الأنبياء وقد اجتمع بهم ﷺ ليلة المعراج ﴿أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾ أي هل جاؤوا بدين وراء دين التوحيد.

٤٦ ـ ٤٧ ـ ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ المصاحبة له ﴿إلى فرعون وملئه﴾ وهم أشراف قومه الذين يملأون العيون مهابة ﴿فقال إني رسول رب العالمين﴾ بشيراً ونذيراً ﴿فلما جاءهم بآياتنا﴾ ومعجزاتنا ﴿إذا هم منها يضحكون﴾ استهزاء واستخفافاً.

وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾

٤٨ ـ ﴿ومانريهم من آية﴾ تامة كاملة ﴿إلا هي أكبر من أختها﴾ فكلها تامة معجزة ﴿وأخذناهم بالعذاب﴾ كالسنين ونقص الثمرات والطوفان الخ. ﴿لعلهم يرجعون﴾ عن استكبارهم إلى قبول الرسالة.

٤٩ ـ ٥٣ ـ ﴿وقالوا ياأيها الساحر﴾ استهزاء ﴿ادع لنا ربك﴾ بدل أن يقولوا ادع الله ﴿بما عهد عندك﴾ أن يكشف العذاب لو آمنا ﴿إننا لمهتدون﴾ بذلك ﴿فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون﴾ وينقضون عهدهم. ﴿ونادى فرعون في قومه قال ياقوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي﴾ وهي أنهار النيل ﴿أفلا تبصرون﴾ عظمة ملكي ﴿أم﴾ بمعنى بل ﴿أنا خير من هذا الذي هو مهين﴾ تحقيراً لموسى عليه السلام ﴿ولايكاد يبين﴾ لقلة عدده وعدته ولرثاثة حاله وعدم خيرته ﴿فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب﴾ فمن كانت له السيادة سوروه بسوار من ذهب ﴿أو جاء معه الملائكة مقترنين﴾ لتصديق رسالته.

وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾

٥٤ ـ ﴿فاستخف﴾ عقول وأحلام ﴿قومه فأطاعوه إنهم كانوا فاسقين﴾ خارجين عن زي العبودية. وهذه سنة جارية بين الأمم تطيع ملوكها ورؤساءها وتغفل عن هدي ربها فتستحق غضبه، مع أن في كلام فرعون من خداع الجماهير مالايخفى، فقد أشار إلى تقلبه في النعمة وتغافل عن المنعم، وأثبت الكرامة لسعة الملك مع أنه لم يبن قصوره إلا من جهد شعبه، ولم يقارن ماجاء به موسى مع زيف عقيدته بل قارنه بملكه وأثبت الخيرة للمال ووجه التوجه للذهب وما ذاك إلا فتنة.

٥٥ ـ ٥٦ ـ ﴿فلما آسفونا﴾ وأغضبونا ﴿انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين﴾ لفسقهم ﴿فجعلناهم سلفاً ومثلا للآخرين﴾ ليتعظ به خلفهم وقد دخلوا النار لإفراطهم في المعاصي وتعديهم طور العبودية.

٥٧ ـ ٥٩ ـ ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً﴾ في سورة مريم وهي مكية ﴿إذا قومك منه يصدون﴾ ويضحكون أو يعرضون ﴿وقالوا﴾ آخذين بقول النصارى ﴿آلهتنا خير أم هو﴾ فالنصارى يقولون هو إله ابن إله ولاتأبه بما وصفه به القرآن ﴿ماضربوه لك إلا جدلاً﴾ لإبطال المثل المذكور وإن كان حقاً ﴿بل هم قوم خصمون﴾ مصرون على خصومتهم. إذ أنه عندما تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى ﴿إنكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ امتعضوا امتعاضاً شديداً واحتج ابن الزبعرى بأن المسيح يعبد والملائكة تعبد فأنزل الله ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾، ﴿إن هو إلا عبد أنعمنا عليه﴾ وأيدناه بروح القدس وبإجراء المعجزات الباهرة على يديه ﴿وجعلناه مثلاً﴾ أي آية عجيبة ﴿لبني إسرائيل﴾ نصف به الحق. وهذا رد لقولهم إنه إله النصارى وإن آلهتهم خير.

٦٠ ـ ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض﴾ فمن غير المستبعد أن يتلبس البشر برتبة من الكمال مماثلة لما يقصه القرآن من معجزات عيسى عليه السلام. ﴿يخلفون﴾ أي يخلف بعضهم بعضاً.

٦١ ـ ﴿وإنه﴾ أي عيسى عليه السلام ﴿لعلم للساعة﴾ فخلقه من غير أب وإحياؤه الموتى يدل على إمكان البعث ﴿فلا تمترن بها﴾ أي لاتشكوا بالساعة ﴿واتبعون﴾ أي اتبعوا هداي أو شرعي أو رسولي ﴿هذا صراط مستقيم﴾ قيل: هو من كلام الله تعالى وقيل هو من كلام رسوله صلى الله عليه وآله.

٦٢ ـ ﴿ولايصدنكم الشيطان﴾ ولايصرفنكم ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ ظاهر العداوة. ومن ظهرت عداوته وجبت مخالفته.

٦٣ ـ ﴿ولما جاء عيسى بالبينات﴾ المعجزات ﴿قال قد جئتكم بالحكمة﴾ والمعارف الإلهية الحقة ﴿ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه﴾ من الحوادث والأفعال ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ فليس لي إلا الرسالة.

٦٤ ـ ﴿إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه﴾ إتمام للحجة على من يقول بألوهيته ﴿هذا صراط مستقيم﴾ يوصل سالكه إلى مقصده الحق.

وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَاتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

٦٥ ـ ﴿فاختلف الأحزاب﴾ المتشعبة من أمته فبعضهم يقول إن الله هو المسيح بن مريم وبعضهم يقول إنه وأمه إلهين وبعضهم يقول إنه ابن الله ﴿من بينهم﴾ منهم كافر به قال له ومنهم مؤمن غالٍ فيه، ومقتصد ﴿فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم﴾ تهديد ووعيد للقالي منهم والغالي.

٦٦ ـ ﴿هل ينظرون﴾ أي ينتظرون ﴿إلا الساعة أن تأتيهم بغتة﴾ وفجأة ﴿وهم لايشعرون﴾ لاشتغالهم بأمور الدنيا.

٦٧ ـ ﴿الأخلاء﴾ والخليل هو الصديق يرفع خلة صديقه وحاجته ﴿يومئذ بعضهم لبعض عدو﴾ فإعانة أحد الخليلين الآخر إذا كانت لغير وجه الله كانت إعانة على الشقوة ﴿إلا المتقين﴾ الذين تكون إعانة كل منهم للآخر إعانة على البر والتقوى والالتزام بأحكام الله وحدوده.

٦٨ ـ ﴿ياعباد لاخوف عليكم اليوم﴾ من مكروه محتمل ﴿ولا أنتم تحزنون﴾ وقد ارتفع المكروه المقطوع به للعباد.

٦٩ ـ ﴿الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين﴾ لأوامر الله ونواهيه ويقال لهم: ٧٠ ـ ﴿ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم﴾ المؤمنات في الدنيا ﴿تحبرون﴾ تسرون.

٧١ ـ ﴿يطاف عليهم بصحافٍ﴾ كالصواع ﴿من ذهب وأكوابٍ﴾ تكريماً لهم ﴿وفيها ماتشتهيه الأنفس﴾ مما تتعلق به الشهوة من مذوق ومشموم إلخ ﴿وتلذ الأعين﴾ لبهجة المنظر ﴿وأنتم فيها خالدون﴾ لإكمال اللذة الروحية.

٧٢ ـ ﴿وتلك الجنة التي أورثتموها﴾ من الكفار ﴿بما كنتم تعملون﴾ من الصالحات.

٧٣ ـ ﴿لكم فيها فاكهة كثيرة﴾ من النعم ﴿منها تأكلون﴾ فهي لاتنفد بالأكل، فما أنتم فيه غير منقطع.

٧٤ ـ ٧٦ ـ ﴿إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون﴾ لإجرامهم ﴿لايفتر عنهم﴾ ولايقلل ولايخفف ﴿وهم فيه مبلسون﴾ آيسون من الرحمة. ﴿وماظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين﴾ فقد أوردوا أنفسهم ـ بأعمالهم ـ مورد الشقوة. فالشرك ظلم لمقام الربوبية سواء كان باتخاذ شريك لله أو بإطاعة غير الله في أحكامه وتشريعاته، والكفر ظلم لأنه تغطية للحق، واقتراف المعاصي ظلم للنفس، والتقصير في العبادات ظلم بحق من خلق ليعبد. ٧٧ ـ ٧٨ ـ ﴿ونادوا يامالك﴾ وهو خازن النار ﴿ليقض علينا ربك﴾ فنموت وننجو من العذاب ﴿قال إنكم ماكثون﴾ فيما أنتم فيه، وقد كنتم ترون أن الموت انعدام وفوت، لاانتقال من دار إلى دار ﴿لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم﴾ وهم المجرمون ﴿للحق كارهون﴾ والحق هو الملاك في السعادة، وهم يكرهونه لأنه يصدم أهواءهم وشهواتهم. ٧٩ ـ ﴿أم أبرموا﴾ أحكموا ﴿أمراً﴾ من الكيد بك يامحمد ﴿فإنا مبرمون﴾ محكمون الكيد بهم. ٨٠ ـ ﴿أم يحسبون أنا لانسمع سرهم﴾ في قلوبهم ﴿ونجواهم﴾ الذي يتناجونه فيما بينهم ﴿بلى ورسلنا﴾ الموكلون على حفظ أعمالهم ﴿لديهم يكتبون﴾ وهم اليوم بارزون لله ولاتخفى منهم خافية، وقد استنسخ الملائكة ماكانوا يعملون. ٨١ ـ ﴿قل إن كان للرحمن ولد﴾ كما يقولون ﴿فأنا أول العابدين﴾ أداء لحق بنوته ومشاكلته لوالده. ٨٢ ـ ﴿سبحان رب السموات والأرض﴾ وهو العالم المشهود ﴿رب العرش﴾ الذي منه التدبير ﴿عما يصفون﴾ بشركهم. ٨٣ ـ ﴿فذرهم يخوضوا﴾ في أباطيلهم ﴿ويلعبوا﴾ في دنياهم ﴿حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾ وهو يوم القيامة. ٨٤ ـ ﴿وهو الذي في السماء إله﴾ مستحق للعبودية ﴿وفي الأرض إله﴾ له العبادة وحده، ولاعبادة ولاطاعة لمن دونه من أوثان البشر وأحكامهم ﴿وهو الحكيم العليم﴾ ومن لوازم الربوبية الحكمة والعلم. ٨٥ ـ ﴿وتبارك﴾ الله مصدر الخير الكثير ﴿الذي له ملك السموات والأرض ومابينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون﴾ وكل من هذه الصفات الثلاث حجة على توحده في الربوبية لأن له كل التدبير، والكل ملكه.

٨٦ ـ ﴿ولا يملك الذين يدعون﴾ ويعبدون ﴿من دونه﴾ من آلهتهم من الملائكة والجن والبشر وغيرهم ﴿الشفاعة إلا من شهد﴾ واعترف ﴿بالحق﴾ وهو التوحيد ﴿وهم يعلمون﴾ بحقيقة حال من شفعوا له، فما هم بشافعين إلا لأهل التوحيد. وقد شهدوا بالحق عن بصيرة وإيقان وإخلاص.

٨٧ ـ ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾ وإلى متى يصرفون عن الحق إلى الباطل، فهم معترفون أن الخالق هو الله، والتدبير غير منفك عن الخلق، فالرب المعبود هو الله سبحانه.

٨٨ ـ ﴿وقيله﴾ والقائل هو النبي ﷺ ﴿يارب إن هؤلاء قوم لايؤمنون﴾ عطفاً على قوله: وعنده علم الساعة.

٨٩ ـ ﴿فاصفح عنهم﴾ أمر بالإعراض عنهم مع إقناط من إيمانهم ﴿وقل سلام﴾ موادعة لهم ﴿فسوف يعلمون﴾ تهديد ووعيد لهم وتسلية للرسول ﷺ.

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ ۖ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

سورة الدخان

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: إنذار المرتابين في الكتاب بعذاب الدنيا وعذاب الآخرة. إقامة الحجة على المعاد. ذكر طرف من أخبار يوم الفصل.

١ ـ ﴿حم﴾ تتشابه مضامين السور المصدرة بنفس الأحرف، فمضامين هذه السورة تتشابه مع مضامين سور الزخرف والجاثية والأحقاف. ٢ ـ ٦ ـ ﴿والكتاب المبين﴾ قسم بالقرآن ﴿إنا أنزلناه﴾ مرة واحدة ﴿في ليلة مباركة﴾ ـ هي ليلة القدر ـ لما انبسط فيها من الخير على الخلق بنزول القرآن كله إلى السماء الدنيا في ليلة من ليالي رمضان ـ وهي تتكرر كل سنة قمرية ـ ومرة تنزيلاً بالتدريج نجوماً في مدة دعوة النبي ﷺ ﴿إنا كنا منذرين﴾ فالإنذار سنة منه تعالى. وليلة القدر ﴿فيها يفرق﴾ تتميز أجزاء ﴿كل أمر حكيم﴾ أي تخرج الأمور من مرحلة الإجمال والإبهام إلى مرحلة التفصيل والفرق. ﴿أمراً﴾ شأناً ﴿من عندنا إنا كنا مرسلين﴾ فهذه سنتنا. ﴿رحمة من ربك﴾ يفيضها على الناس ﴿إنه هو السميع﴾ للمسائل ﴿العليم﴾ بالحوائج فينزل الكتاب ويرسل الرسل رحمة منه. ٧ ـ ٨ ـ ﴿رب السموات والأرض ومابينهما﴾ فالربوبية مختصة به ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ عارفين بيقين لايرقى إليه ريب أنه رب كل شيء. ﴿لاإله إلا هو﴾ فهو وحده المعبود لانحصار الربوبية به تعالى ﴿يحيي ويميت﴾ وهاتان من أخص صفاته ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ فلا عبادة إلا له. ٩ ـ ﴿بل هم﴾ قوم النبي ﴿في شك﴾ وارتياب ﴿يلعبون﴾ بالاشتغال بدنياهم. ١٠ ـ ١٢ ـ ﴿فارتقب﴾ وانتظر وعيد العذاب ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ قيل أن المراد به مجاعة أصابت أهل مكة بدعاء النبي ﷺ ورفعت بدعائه، وقيل هو من أشراط الساعة، فيدخل الدخان أسماع الناس حتى أن رؤوسهم تكون كالرأس الحنيذ المشوي فيقول الناس عند ذلك ﴿هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾ بربوبيتك ودعوتك الحقة. ١٣ ـ ١٤ ـ ﴿أنى لهم الذكرى﴾ والإذعان بالحق ﴿وقد جاءهم رسول مبين﴾ لايقبل الارتياب هو محمد ﷺ فردوا دعوته ﴿ثم تولوا عنه﴾ وأعرضوا ﴿وقالوا معلم﴾ يعلمه غيره ﴿مجنون﴾ مختل العقل. ١٥ ـ ١٦ ـ ﴿إنا كاشفوا العذاب﴾ زماناً ﴿قليلاً إنكم عائدون﴾ إلى ماكنتم عليه من التكذيب بعده أو عائدون إلى عذاب يوم القيامة. ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ والبطشة تناول الشيء بصولة ﴿إنا منتقمون﴾ كما حدث يوم بدر، أو أنها بطشة يوم القيامة. ١٧ ـ ١٨ ـ ﴿ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون﴾ بامتحانهم بالنعمة والسلطان والتمكين في الأرض والإملاء في الرخاء والإستعلاء ﴿وجاءهم رسول كريم﴾

سُورَةُ الدُّخَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حم ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾

بشخصه، كريم برسالته فطلب منهم ﴿أن أدوا إلي عباد الله﴾ أرسلوا معي بني اسرائيل ولاتعذبوهم فتعذيب عباد الله استكبار على الله ﴿إني لكم رسول أمين﴾ لا أخون في الرسالة. ١٩ ـ ٢١ ـ ﴿وأن لاتعلوا على الله﴾ لاتتجبروا بتكذيب رسالته ورسوله ﴿إني آتيكم بسلطانٍ مبين﴾ أي حجة بارزة ﴿وإني عذت﴾ واحتميت ﴿بربي وربكم﴾ وهو يعيذني منكم وهو ربكم للتناقض بين ماأحمل وماتحملون فلاتقدرون ﴿أن ترجمون﴾ ﴿وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون﴾ ولاتتعرضوا لي بخير أو شر. ولكن الطغاة يخشون من بقاء الحق طليقاً فلم يعتزلوه.

٢٢ ـ ٢٤ ـ ﴿فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون﴾ يستحقون الهلاك، فأجابه ربه: ﴿فأسر بعبادي ليلاً إنكم متبعون﴾ أي يتبعكم فرعون وجنوده ﴿واترك البحر رهواً﴾ أي ساكناً أو مفتوحاً على سعة ﴿إنهم جند مغرقون﴾ عندما يطمعون في إدراككم، فلا تطبقه بضربة أُخرى من عصاك. ٢٥ ـ ٢٩ ـ ﴿كم تركوا من جنات وعيون﴾ كم للتكثير ﴿وزروع ومقام كريم﴾ ومساكن زاهية ﴿ونعمة كانوا فيها فاكهين﴾ متنعمين ﴿كذلك﴾ نفعل لمن نريد إهلاكه أو إخراجه ﴿وأورثناها قوماً آخرين﴾ بعد هلاكهم ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾ إذ لا أثر لهلاكهم ﴿وماكانوا منظرين﴾ فلا مؤخر للقهر الإلهي. فالسماء والأرض قائمتان بالله وقد أتيتا طائعتين، فهما ينكران شرك المشرك وكفر الكافر وعصيان العاصي وتقصير العابد ومخالفة المخالف. فإذا مات ابن آدم بكى عليه موضعان موضعه في الأرض مصلاه وموضعه في السماء مهبط عمله. ٣٠ ـ ٣٣ ـ ﴿ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين﴾ أي من الأسر والذبح واستحياء النساء ﴿من فرعون إنه كان عالياً﴾ متكبراً ﴿من المسرفين﴾ المتعدين الحد ﴿ولقد اخترناهم على علم﴾ باستحقاقهم الاختيار ﴿على العالمين﴾ من الأمم فقد امتازوا بكثرة الأنبياء، وامتازوا بمرور دهر طويل عليهم في التيه وهم يتظللون الغمام ويأكلون المن والسلوى على أنه تعالى خاطب الأمة الإسلامية بقوله: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾. فبنو إسرائيل بهذا المعنى مختارون على عالمي أهل زمانهم فقط ﴿وآتيناهم من الآيات﴾ والمعجزات ﴿مافيه بلاء مبين﴾ واختبار ظاهر وعندما يتم الامتحان يأخذ الله الظالمين ويشرد بهم في الأرض. وقد قضى الله في بني اسرائيل أن يبعث عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة كلما بغوا في الأرض، فهل من مجيب ليكون مصداق هذه الآية.

وهذه الآيات تطييب لنفس النبي ﷺ إيماء إلى أن الله سينجيه من فراعنة مكة ويمكّن له في الأرض. ٣٤ ـ ٣٦ ـ ﴿إن هؤلاء﴾ القرشيين ومن يلحق بهم ﴿ليقولون﴾ إنكاراً للمعادِ ﴿إن هي إلا موتتنا الأولى﴾ فهي عاقبة أمرنا ﴿ومانحن بمنشرين﴾ أي بمبعوثين فهم ينفون الموتة الثانية الملازمة للحياة البرزخية بعدما سمعوا قوله تعالى: ﴿قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين﴾ ﴿فأتوا بآبائنا﴾ أحيوهم ﴿إن كنتم صادقين﴾ إذ لم يعد منهم أحد. ٣٧ ـ ﴿أهم خير أم قوم تبع﴾ وهو من ملوك حمير باليمن ﴿والذين من قبلهم أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين﴾ تهديد للقوم بالهلاك وتلويح إلى سلامة

وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

تبع نفسه من الإهلاك، مع إيماء إلى أن سنة الإهلاك جارية للمجرمين.

٣٨ ـ ٣٩ ـ ﴿وماخلقنا السموات والأرض ومابينهما لاعبين﴾ دون غاية وراء ذلك، فإحياء هذا وعدمه، وإحياء آخر وعدمه عبث، واللعب محال على الله ﴿ماخلقناهما إلا بالحق﴾ فالفعل له غرض صحيح، وهناك عالم دائم ينتج عن هذا العالم الفاني الذي هو مقدمة له ﴿ولكن أكثرهم لايعلمون﴾ تقريع لهم بالجهل.

٤٠ ـ ٤٢ ـ ﴿إن يوم الفصل﴾ بين الحق والباطل أو يوم القضاء الفصل وهو يوم القيامة ﴿ميقاتهم أجمعين﴾ فهو موعد كافة الأقوام، العرب وقريش خاصة ومن تقدمهم ومن تأخر عنهم. ﴿يوم لايغني مولى﴾ أي صاحب متصرف ﴿عن مولىً﴾ متصرف بأمره ﴿شيئاً ولاهم ينصرون﴾ وتقطعت بهم الأسباب ﴿إلا من رحم الله﴾ فهناك من يشفع لهم أو أن المتقين في غنى عن نصرة غير الله ﴿إنه هو العزيز﴾ لايغلبه شيء فيورد عذابه من يريد، وهو ﴿الرحيم﴾ يفيض الخير على من يريد رحمته.

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى
عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾
طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ
ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ
صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ
﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ
﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾
كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ
فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ
إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا
مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

٤٣ ـ ٥٠ ـ ﴿إن شجرة الزقوم﴾ وهي شجرة كريهة الرائحة يورم لبنها الجسد ﴿طعام الأثيم﴾ وهو من استقر فيه الإثم لمداومته على المعصية أو الإكثار منها ﴿كالمهل﴾ وهو المذاب من النحاس والرصاص وغيرهما ﴿يغلي في البطون كغلي الحميم﴾ أي الماء الحار ﴿خذوه فاعتلوه﴾ زعزعوه وادفعوه ﴿إلى سواء الجحيم﴾ ووسطه ﴿ثم صبوا فوق رأسه﴾ أيها الملائكة ﴿من عذاب الحميم﴾ الذي يعذب به ﴿ذق﴾ العذاب الشديد ﴿إنك أنت العزيز الكريم﴾ كما كنت تدعي في الدنيا. ﴿إن هذا﴾ العذاب هو ﴿ماكنتم به تمترون﴾ وتشكون في الدنيا. على أن في ترقية العذاب ـ بقوله ذق والخطاب بإنك ونعته بالعزيز الكريم وهو في أسفل دركات العذاب ـ من اللطف مالايخفى.

٥١ ـ ٥٧ ـ ﴿إن المتقين في مقام أمين﴾ من كل مكروه ﴿في جنات وعيون﴾ مختلفة ﴿يلبسون من سندس واستبرق﴾ وهما ما رق وماغلظ من الحرير ﴿متقابلين﴾ يستأنس بعضهم ببعض ﴿كذلك﴾ الأمر ﴿وزوجناهم بحور عين﴾ والحوراء بمعنى شديدة سواد العين وبياضها، والعين جمع عيناء، وهي التي عظم سواد عينها في سعة ﴿يدعون فيها بكل فاكهة آمنين﴾ من ضررها ﴿لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾ وهي موتة الدنيا، وقد ذاقوها فمضت، فهم أحياء عند ربهم خالدون ﴿ووقاهم﴾ وحفظهم من ﴿عذاب الجحيم﴾ فلا انتقال من الجنة إلى غيرها. ﴿فضلاً من ربك﴾ من غير استحقاق يوجب لهم ماوهبهم الله ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ فالظفر بالبغية منتهى مايسعد به الإنسان.

٥٨ ـ ٥٩ ـ ﴿فإنما يسرناه بلسانك﴾ أي فهمنا مقاصد القرآن بالعربية ﴿لعلهم يتذكرون﴾ ويعقلون ﴿فارتقب إنهم مرتقبون﴾ فانتظر عذابهم إنهم منتظرون له.

سورة الجاثية

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: التوحيد، تشريع الشريعة، الحساب، وعد ووعيد.

١ ـ ٢ ـ ﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ والتنزيل يدل على التدريج والانزال على الدفعة.

٣ ـ ٦ ـ ﴿إن في السموات والأرض لآياتٍ للمؤمنين﴾ تدلهم بارتباط أجزائها على أن الله هو خالقها المدبر لأمرها ﴿وفي خلقكم﴾ من بدن أرضي مادي يفسد بالموت وجزء علوي ـ هو الروح ـ لايفسد بالموت ﴿وما يبث﴾ ويفرق ﴿من دابة﴾ على الأرض ﴿آيات لقوم يوقنون﴾ أي يسلكون سبيل اليقين ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ حسب الفصول ﴿وما أنزل الله من السماء من رزق﴾ هو المطر ﴿فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ بإنبات النبات فيها ﴿وتصريف الرياح﴾ وتحويلها من جانب إلى جانب لسوق السحب وتلقيح النباتات ودفع العفونات والروائح وتحريك أمواج البحر ﴿آيات لقوم يعقلون﴾ أي يميزون بين الحق والباطل بالعقل. وقد خص آية السموات والأرض بالمؤمنين لأنها تدل بدلالة بسيطة ساذجة على خالقها، أما خلق ذوات الأرواح فتدل على عالم وراء عالم المادة وهو عالم الملكوت فلذلك كان دلالة للموقنين. وأما آية تدبير أمور الأرض فتحتاج إلى تعقل فخص بها الذين يعقلون. ﴿تلك آيات الله﴾ ومنها الكونية الدالة على ماله من كمال الصفات ولازمها الإيمان ومنها الدالة على المعارف الاعتقادية والأحكام والأخلاق فمضامينها دالة عليه تعالى ولازمها اليقين ومنها الآيات المعجزة ولازمها التعقل ﴿نتلوها عليك بالحق﴾ فإذا لم يؤمنوا بها ﴿فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾ فبأي حديث بعد آيات الله القرآنية ـ التي تحمل الحجة عليهم ـ يؤمنون. ٧ ـ ١١ ـ ﴿ويل﴾ هلاك ﴿لكل أفاك﴾ كذاب ﴿أثيم﴾ عاص ﴿يسمع آيات الله تتلى عليه﴾ وهي تحمل الدلالة ﴿ثم يصر مستكبراً﴾ ويلازم الكفر ﴿كأن لم يسمعها فبشره﴾ فلجهله بالآيات سخر بها جميعاً ﴿بعذاب أليم﴾ لرفضه الحق ﴿وإذا علم من آياتنا﴾ علم ﴿شيئاً اتخذها هزواً﴾ ﴿أولئك لهم عذاب مهين﴾ مذل ﴿من ورائهم﴾ فسيواقعون ﴿جهنم﴾ قضاء حتم ﴿ولا يغني عنهم ما كسبوا﴾ في الدنيا ﴿شيئاً﴾ من مال ونحوه ﴿ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء﴾ وقد ذهب عنهم ذهبهم وهلك عنهم سلطانهم وبرأت منهم حشودهم ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ تأكيد لوعيدهم. ﴿هذا﴾ القرآن ﴿هدى﴾ إلى صراط مستقيم ﴿والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم﴾ والرجز هو أشد العذاب. ١٢ ـ ١٣ ـ ﴿الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله﴾ لمنافعكم بما فيه من صيد وطعام وزينة وحلية ومتاع ولتحملوا أثقالكم ﴿إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس﴾ أي لإيجاد الجريان بكلمة كن

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾

من فضله﴾ ورزقه بركوب البحر ﴿ولعلكم تشكرون﴾ نعمة تسخيره ماسخر لكم ﴿وسخر لكم مافي السموات ومافي الأرض جميعاً﴾ فهي تخضع لنظام محكم مسخر لنفع البشر ﴿منه﴾ تعالى ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ ﴿ربنا ماخلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار﴾ فتفكرهم يجعلهم يخافون مقام ربهم، فيجدهم حيث أمرهم ويفقدهم حيث نهاهم، وهم يقولون سبحان الذي سخر في خدمتنا مالايدخل تحت سلطاننا.

١٤ ـ ١٥ ـ ﴿قل﴾ يامحمد ﴿للذين آمنوا يغفروا﴾ للمستكبرين المستهزئين، ويغفروا هنا بمعنى لايتعرضوا ﴿للذين لايرجون أيام الله﴾ وهم المنكرون للقيامة وعذاب الاستئصال وغير ذلك ﴿ليجزي قوماً﴾ لايحذرون نقمته ﴿بما كانوا يكسبون﴾ من أعمال ﴿من عمل صالحاً﴾ وقد آمن ﴿فلنفسه ومن أساء فعليها﴾ فهو المتضرر ﴿ثم إلى ربكم ترجعون﴾ فيجزيكم أعمالكم فالتبعة في الآخرة فردية والجزاء عدل. ١٦ ـ ١٧ ـ ﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب﴾ وهو التوراة المشتملة على شريعة موسى عليه السلام أما الانجيل فلا يتضمن شريعة، وشريعته شريعة التوراة، أما زبور داود فهو أدعية وأذكار ﴿والحكم﴾ ليحكم الكتاب بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴿والنبوة﴾ وقد بعث الله جمعاً غفيراً من الأنبياء فيهم ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ من النعم ومن ذلك المن والسلوى ﴿وفضلناهم على العالمين﴾ بكثرة الأنبياء والمعجزات، وإن كان المراد عوالم زمانهم، فقد فضلوا من جميع الجهات ﴿وآتيناهم بينات من الأمر﴾ تزيل الشك وتحق الحق في أمر الدين أو في أمر النبي صلى الله عليه وآله وصدقه ﴿فما اختلفوا﴾ في الدين ﴿إلا من بعد ماجاءهم العلم بغياً﴾ دائراً ﴿بينهم﴾ لاعن شبهة أو جهل ﴿إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ فاختلافهم سيؤثر أثره وسيجزون عليه. ١٨ ـ ١٩ ـ ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر﴾ أي على طريقة خاصة من أمر الدين الإلهي وهي الشريعة الإسلامية ﴿فاتبعها ولاتتبع أهواء الذين لايعلمون﴾ فكل حكم عملي لم يسند إلى الوحي هو هوى ﴿إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً﴾ فلارافع للحوائج إلا الله والذريعة إلى ذلك اتباع دينه ليس غير ﴿وإن الظالمين﴾ المتبعين للبدع من الأحكام ﴿بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ ومقتضى الإذعان توثق عرى الارتباط بين الولي ووليه. ٢٠ ـ ﴿هذا﴾ الأمر الذي هو الشريعة أو القرآن ﴿بصائر للناس﴾ يبصرون بها سبيل الحق ﴿وهدى﴾ ودلالة ﴿ورحمة﴾ وخير ﴿لقوم يوقنون﴾ بآيات الله الدالة على أصول العقيدة. ٢١ ـ ﴿أم حسب الذين اجترحوا﴾ اكتسبوا ﴿السيئات﴾ والقبائح ﴿أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ كما ظنوا ﴿سواء محياهم ومماتهم﴾ أي تتماثل حياة هؤلاء مع هؤلاء وممات هؤلاء مع هؤلاء ﴿ساء مايحكمون﴾ لأن الإيمان والانتماء إلى الدين يكونان ـ عند ذلك ـ لغواً لاأثر له في حياة ولافي موت. ٢٢ ـ ﴿وخلق الله السموات والأرض بالحق﴾ فلهذا العالم الفاسد غاية ثابتة وراءه ﴿ولتجزى كل نفس بما كسبت﴾ فالحسنة للإحسان والعقوبة للعصيان ﴿وهم لايظلمون﴾ لأنهم يجازون بأعمالهم.

قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

٢٣ ـ ﴿أفرأيت﴾ للتعجيب ـ ﴿من اتخذ إلهه﴾ الذي يعلم أنه يجب أن يعبده ـ وهو الله سبحانه ﴿هواه﴾ فيجعل هواه مكان الله ﴿وأضله الله على علم﴾ فهو ضال عن السبيل وهو يعلم، فأضله الله بضلال نفسه باتباع الهوى ﴿وختم على سمعه وقلبه﴾ فلا يسمع الحق ولايقبله ﴿وجعل على بصره غشاوة﴾ فلا يبصر الحق من آيات الله ﴿فمن يهديه من بعد الله﴾ قل إن هدى الله هو الهدى ﴿أفلا تذكرون﴾ وتتفكرون في ذلك فتتعظوا.

٢٤ ـ ﴿وقالوا ماهي إلا حياتنا الدنيا﴾ ولاحياة وراءها ﴿نموت ونحيا﴾ أي يحيا آخرون بعدنا ﴿ومايهلكنا إلا الدهر﴾ فبمرور الزمان يبلى كل جديد ويموت كل حي ﴿ومالهم بذلك من علم﴾ فلا دليل لهم على نفي المعاد، مع ماهناك من الأدلة على ثبوته ﴿إن هم إلا يظنون﴾ إن الظن لايغني من الحق شيئاً.

أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾

٢٥ ـ ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ تثبت حجج المعاد ﴿ماكان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين﴾ فطلبهم هذا بعد قيام الحجة طلب للاحجة.

٢٦ ـ ﴿قل الله يحييكم﴾ إيجاداً من عدم ﴿ثم يميتكم﴾ بنزع أرواحكم من أجسادكم ﴿ثم يجمعكم إلى يوم القيامة﴾ بجمع أرواحكم إلى أجسادكم من جديد فالمعاد ﴿لاريب فيه﴾ فالإحياء والإماتة والبعث نقض للدهرية وإثبات للربوبية ﴿ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ فينكرون المعاد.

٢٧ ـ ﴿ولله ملك السموات والأرض﴾ يتصرف في ملكه كيف يشاء ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون﴾ بذهاب أو انتقاص رأس مالهم من صحة وعقل وإيمان وثواب؛ إذ لم ينتفعوا بها ومأواهم النار.

٢٨ ـ ٢٩ ـ ﴿وترى﴾ أنت وغيرك يامحمد ﴿كل أمة جاثية﴾ على ركبها جلسة الخاضع الخائف ﴿كل أمة تدعى إلى كتابها﴾ وهو صحيفة أعمالها، فيقال لهم ﴿اليوم تجزون ماكنتم تعملون﴾ ويقول تعالى لهم: ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق﴾ فصحيفة الأعمال هي اللوح المحفوظ نفسه وهي تشهد ماعملوا ﴿إنا كنا نستنسخ ماكنتم تعملون﴾ فكتابة الملائكة للأعمال تطبيقهم ماعندهم من نسخة اللوح على الأعمال.

٣٠ ـ ﴿أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وقد اقترن عملهم الصالح مع إيمانهم ﴿فيدخلهم ربهم في رحمته﴾ وفي ذلك كمال السعادة،ومن ذلك الجنة ﴿ذلك هو الفوز المبين﴾والفلاح الظاهر.

٣١ ـ ﴿وأما الذين كفروا﴾ وكذبوا واستكبروا فيقال لهم ﴿أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم﴾ عن قبولها ﴿وكنتم قوماً مجرمين﴾ مذنبين.

٣٢ ـ ﴿وإذا قيل إن وعد الله حق﴾ وهو وعد البعث والجزاء ﴿والساعة لاريب فيها قلتم ماندري ماالساعة﴾ كناية عن كون أمرها غير معقول ولو عقلوه لدروه ﴿إن نظن إلا ظناً ومانحن بمستيقنين﴾ فلا نقطع بالظن ولانعتمد عليه.

٣٣ ـ ﴿وبدا لهم سيئات ماعملوا﴾ فسيئاتهم ستتمثل لهم وفي هذا دليل على تجسم الأعمال يوم القيامة ﴿وحاق بهم﴾ حل بهم ﴿ماكانوا به يستهزئون﴾ وهو العذاب الذي أنذروا به. ٣٤ ـ ﴿وقيل اليوم ننساكم﴾ أي نعرض عنكم ﴿كما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ وأعرضتم عنه في الدنيا ﴿ومأواكم النار ومالكم من ناصرين﴾ يخففون عنكم العذاب. ٣٥ ـ ﴿ذلكم﴾ العذاب ﴿بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا﴾ وسخرية ﴿وغرتكم الحياة الدنيا﴾ فأخلدتم إليها فصرفتكم عن الغاية الحقة ﴿فاليوم﴾ هم في النار ﴿لايخرجون منها ولاهم يستعتبون﴾ أي يطلبون العتبى إذ لاقبول للعذر.

٣٦ ـ ٣٧ ـ ﴿فلله الحمد﴾ وهو الثناء على الجميل الاختياري ﴿رب السماوات ورب الأرض رب العالمين﴾ على بديع تدبيره، خلق الجميع بالحق المستتبع للمعاد ﴿وله الكبرياء﴾ لعظمته أي الترفع عن الانقياد ﴿في السموات والأرض﴾ ومرجعه إلى كمال وجوده وعدم تناهي كماله كما أنه لا مانع يصرفه عما أراد ﴿وهو العزيز﴾ لايغلب ﴿الحكيم﴾ أحكم كل شيء خلقه، ودبر الروابط بين مخلوقاته.

سورة الأحقاف

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: إنذار المشركين، الحجة على التوحيد والنبوة، إهلاك بعض المكذبين، إيمان نفر من الجن.

١ ـ ٢ ـ ﴿حم﴾ تمت الإشارة إلى تشابه مواضيع السور المصدرة بالأحرف المقطعة المتماثلة. ﴿تنزيل الكتاب﴾ وهو القرآن ﴿من الله العزيز﴾ فالتنزيل ليس بقهر قاهر والله هو الغالب ﴿الحكيم﴾ الذي يتقن ماخلق ومن كمال الحكمة التنزيل.

٣ ـ ﴿ماخلقنا السموات والأرض وما بينهما﴾ أي مجموع العالم علويه وسفليه ﴿إلا بالحق﴾ الثابت ﴿وأجل مسمى﴾ هو يوم القيامة الذي هو غاية الخلق ﴿والذين كفروا﴾ بالمعاد وهم المشركون ﴿عما أنذروا معرضون﴾ منصرفون.

٤ ـ ﴿قل أرأيتم﴾ أي أخبروني عن ﴿ماتدعون من دون الله﴾ من أصنامكم ﴿أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في﴾ خلق ﴿السموات﴾ فلا معنى للتدبير في الكون من غير خلق ﴿ائتوني بكتاب﴾ سماوي ﴿من قبل هذا﴾ القرآن ﴿أو أثارة﴾ أي بقية ﴿من علم﴾ يقر خرافة تعدد الآلهة ﴿إن كنتم صادقين﴾ في دعواكم أنهم شركاء الله.

٥ ـ ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له﴾ فعدم استجابتهم لكونهم لايملكون لعبادهم شيئاً، ومن دعاهم فقد ضل ضلالاً بعيداً ﴿إلى يوم القيامة﴾ فدعوتهم لهم مقصورة في العاجلة ﴿وهم عن دعائهم غافلون﴾ في الدنيا. وسيطلعون على دعائهم هذا يوم القيامة فيعادونهم ويكفرون بعبادتهم.

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾
وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا
لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ
ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾
فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ
ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

سُورَةُ الْأَحْقَافِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ
ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن
لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾

٦ ـ ﴿وإذا حشر الناس﴾ أخرجوا من قبورهم وسيقوا إلى الحشر ﴿كانوا لهم أعداء﴾ وكانوا بعبادتهم كافرين﴾ لأنها ستكون وبالاً عليهم.

٧ ـ ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ واضحات ﴿قال الذين كفروا للحق لما جاءهم﴾ تحكماً واستكباراً ﴿هذا سحر مبين﴾ وهم يعلمون أنها حق مبين.

٨ ـ ﴿أم﴾ بمعنى بل ﴿يقولون افتراه﴾ أي افترى القرآن ﴿قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً﴾ فلستم قادرين على دفع عذاب الله، فكيف أفتري عليه فأعرض نفسي لعذابه؟ أي لست بمفترٍ ﴿هو أعلم بما تفيضون فيه﴾ وماتخوضون فيه من الحديث ﴿كفى به شهيداً بيني وبينكم﴾ فكلامه تعالى يشهد نفي افترائي ﴿وهو الغفور الرحيم﴾ لايغفر إلا للتائبين الراجعين إليه فينالهم برحمته.

٩ ـ ﴿قل ماكنت بدعاً من الرسل﴾ والبدع ماكان غير مسبوق بالمثل ﴿ومأأدري مايفعل بي ولا بكم﴾ نفي لعلم الغيب عن نفسه، فالطبيعة البشرية تتنافى مع العلم بالغيب، إلا ماكشف من الغيب بالوحي ﴿إن أتبع إلا مايوحى إلي﴾ ولاأدري شيئاً من حوادث الغيب من قبل نفسي ﴿وماأنا إلا نذير مبين﴾ تأكيد لجميع ماتقدم.

١٠ ـ ﴿قل أرأيتم﴾ أي أخبروني ﴿إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل﴾ هو عبد الله ابن سلام ﴿على مثله﴾ أي مثل مافي هذا القرآن من المعارف ﴿فآمن﴾ هو ﴿واستكبرتم﴾ أنتم ألستم في ضلال؟ ﴿إن الله لايهدي القوم الظالمين﴾ المستكبرين.

١١ ـ ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا﴾ أي لبعض الذين آمنوا ﴿لو كان خيراً ماسبقونا إليه﴾ فهو ليس بخير ﴿وإذ لم يهتدوا به﴾ أي بالقرآن ـ لاستكبارهم ﴿فسيقولون هذا إفك قديم﴾ وافتراء آنف الذكر.

١٢ ـ ﴿ومن قبله كتاب موسى إماماً﴾ يقتدي به بنو اسرائيل ﴿ورحمة﴾ للمؤمنين الصالحين هذا كتاب مصدق﴾ له ﴿لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين﴾ فكيف يكون إفكاً.

١٣ ـ ﴿إن الذين قالوا ربنا الله﴾ شهادة منهم بانحصار الربوبية فيه ﴿ثم استقاموا﴾ بلا زيغ والتزموا بأمره ﴿فلا خوف عليهم﴾ من مكروه محتمل من عقاب محتمل ﴿ولاهم يحزنون﴾ من مكروه محقق الوقوع.

١٤ ـ ﴿أولئك أصحاب الجنة﴾ أهلها الملازمون لها ﴿خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون﴾ من الطاعات والقربات.

وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

١٥ ـ ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً﴾ أي أمراً له وعظة له بالإحسان إليهما ﴿حملته أمه كرهاً﴾ ومشقة ﴿ووضعته كرهاً﴾ ومشقة ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ فأقل مدة الحمل ستة أشهر، والحولان الباقيان مدة الرضاع ﴿حتى إذا بلغ أشده﴾ فاشتدت قواه ﴿وبلغ أربعين سنة﴾ وهذا السن ملازم لكمال العقل ﴿قال رب أوزعني﴾ وألهمني وهذا الإلهام هو إلهام عملي بمعنى البعث والدعوة الباطنة إلى فعل الخير وشكر النعمة، أي العمل الصالح. ﴿أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي﴾ من النعم الظاهرية كالحياة والرزق والشعور والإرادة والنعم الباطنية كالإيمان بالله والإسلام والخشوع له والتوكل عليه فالإنسان بهذا لسان ذاكر لوالديه بعدهما ﴿وأن أعمل صالحاً ترضاه﴾ فالشكر يحلي ظاهر الأعمال، والصلاح يحلي باطنها ﴿وأصلح لي في ذريتي﴾ لتكون ذرية بارة ولتذكرني من بعدي ﴿إني تبت إليك وإني من المسلمين﴾ واجتماع التوبة والإسلام يستعقب إلهامه تعالى بما يصير به العبد من المخلصين.

١٦ ـ ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ماعملوا﴾ من الطاعات ومن الواجبات والمندوبات ﴿ونتجاوز عن سيئاتهم﴾ في جملة من نتجاوز عن سيئاتهم ممن هم ﴿في أصحاب الجنة﴾ فالجنة ملك لهم لاتفارقهم لقاء إيمانهم وعقيدتهم ﴿وعد الصدق الذي كانوا يوعدون﴾ فهو وعد منجز.

١٧ ـ ﴿والذي قال لوالديه أفٍ لكما﴾ تسخطاً وتبرماً ﴿أتعدانني أن أخرج﴾ من قبري للحساب ﴿وقد خلت القرون من قبلي﴾ ولم يحي منهم أحد ﴿وهما يستغيثان الله﴾ مستعينين به ﴿ويلك آمن﴾ بما جاء من عند الله ﴿إن وعد الله﴾ بالمعاد ﴿حق﴾ لايتخلف ﴿فيقول ماهذا إلا أساطير الأولين﴾ وخرافاتهم.

١٨ ـ ﴿أولئك الذين حق عليهم القول﴾ فأصبحوا مصداقاً له ﴿في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس﴾ فقد تحققت فيهم كلمة العذاب ﴿إنهم كانوا خاسرين﴾ ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله.

١٩ ـ ﴿ولكل﴾ من المؤمنين والكافرين ﴿درجات مما عملوا﴾ صعوداً وحدوراً ﴿وليوفيهم أعمالهم﴾ التي هي منشأ درجاتهم ﴿وهم لايظلمون﴾ فالحساب عدل والجزاء حق.

٢٠ ـ ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ فيعذبون فيها ويقال لهم ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾ وقد نفدت بالاستيفاء لها ﴿واستمتعتم بها﴾ لنفسها لاتهيؤاً بها للآخرة ﴿فاليوم تجزون عذاب الهون﴾ والذل ﴿بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون﴾ وهما ذنبان الأول متعلق بالعقيدة والثاني بالعمل.

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا ۖ فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

٢١ ـ ﴿واذكر أخا عاد﴾ وهو هود النبي ﴿إذ أنذر قومه بالأحقاف﴾ في جنوب الجزيرة ﴿وقد خلت النذر من بين يديه﴾ ـ ممن كان قبله ـ ﴿ومن خلفه﴾ ـ ممن جاء بعده ـ ﴿ألا تعبدوا إلا الله﴾ تفسير للإنذار ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ هو عذاب الاستئصال.

٢٢ ـ ﴿قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا﴾ وتصرفنا عنهم افتراء؟ ﴿فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾ تعجيز له وتكذيب.

٢٣ ـ ﴿قال إنما العلم﴾ بنزول العذاب ﴿عند الله﴾ لأنه المطلع على الغيب ﴿وأبلغكم ماأرسلت به﴾ وهذه غاية دعوتي ﴿ولكني أراكم قوماً تجهلون﴾ فلا تميزون ماينفعكم مما يضركم وتستهزئون بالعذاب.

﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۖ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾

٢٤ ـ ﴿فلما رأوه﴾ سحاباً ﴿عارضاً﴾ يعرض في الأفق ﴿مستقبل أوديتهم﴾ وهو يطبق السماء ﴿قالوا هذا عارض ممطرنا﴾ فاستبشروا خيراً ﴿بل هو ماستعجلتم به﴾ من العذاب ﴿ريح فيها عذاب أليم﴾ هو عذاب الاستئصال.

٢٥ ـ ﴿تدمر كل شيء بأمر ربها﴾ فتهلك الناس ودوابهم وأموالهم ﴿فأصبحوا لايرى إلا مساكنهم﴾ بعد نزول العذاب ﴿كذلك نجزي القوم المجرمين﴾ فهذا هو الضابط الكلي في مجازاة المجرمين.

٢٦ ـ ﴿ولقد مكناهم﴾ وأقررناهم وثبتناهم ﴿فيما إن مكناكم فيه﴾ أي جعلنا لهم مالم نجعل لكم ـ معشر قريش ـ من القوة والبطش ﴿وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة﴾ ليميزوا ماينفعهم مما يضرهم ﴿فما أغنى عنهم سمعهم ولاأبصارهم ولاأفئدتهم من شيء﴾ ولم تفدهم في اتقاء الحوادث المهلكة المبيدة ﴿إذ كانوا يجحدون بآيات الله﴾ فما الذي يؤمنكم من عذابه تعالى وأنتم جاحدون لآياته ﴿وحاق بهم ماكانوا به يستهزئون﴾ وقد نزل العذاب بهم.

٢٧ ـ ﴿ولقد أهلكنا ماحولكم من القرى﴾ تذكرة إنذارية متفرعة على العظة ﴿وصرفنا الآيات﴾ من معجزة ووحي ونعم ونقم ﴿لعلهم يرجعون﴾ إلى عبادة الله.

٢٨ ـ ﴿فلولا نصرهم﴾ معبودوهم ﴿الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة﴾ يتقربون بها إلى الله زلفى بزعمهم ﴿بل ضلوا عنهم﴾ أي ضلت آلهتهم عنهم ﴿وذلك﴾ الضلال هو ﴿إفكهم وماكانوا يفترون﴾ فالافتراء يستتبع الهلاك كما تستتبع النار الاحراق.

٢٩ ـ ﴿وإذ صرفنا﴾ ووجهنا ﴿إليك نفراً من الجن﴾ فالجن خلق من نار قابلون للإيمان والكفر ومستعدون للهدى والضلال ﴿يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا﴾ لتلاوته ﴿فلما قضي﴾ وقرىء ﴿ولوا إلى قومهم منذرين﴾ مخوفين لهم من عذاب الله.

٣٠ ـ ﴿قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتاباً﴾ هو القرآن ﴿أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه﴾ من الكتب السماوية ـ وهذا دليل إيمانهم بموسى ـ ﴿يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم﴾ لايضل سالكوه في اعتقاد أو عمل.

٣١ ـ ﴿ياقومنا أجيبوا داعي الله﴾ محمداً ﷺ ﴿وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم﴾ التي اكتسبتموها قبل إيمانكم ﴿ويجركم من عذاب أليم﴾ فالإسلام يجب ماقبله.

٣٢ ـ ﴿ومن لايجب داعي الله﴾ ويؤمن به ﴿فليس بمعجز﴾ لله ﴿في الأرض﴾ برد دعوته ﴿وليس له من دونه أولياء﴾ ينصرونه ويمدونه ﴿أولئك في ضلال مبين﴾ فقد ظلموا أنفسهم لأنهم اشتروا الضلالة بالهدى.

٣٣ ـ ﴿أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي﴾ لم يعجز ولم يتعب ﴿بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى﴾ وهو مبدأ وجود كل شيء ﴿بلى إنه على كل شيء قدير﴾ فله القدرة المطلقة.

٣٤ ـ ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ يوم القيامة فيسألون ﴿أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ بما كنتم للمعاد تنكرون.

٣٥ ـ ﴿فاصبر﴾ على جحودهم ﴿كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾ واصبر على إنكارهم المعاد ﴿ولاتستعجل لهم﴾ العذاب ﴿كأنهم يوم يرون مايوعدون﴾ فلقرب ذلك اليوم كأنهم ﴿لم يلبثوا إلا ساعة من نهار﴾ وهذا القرآن ﴿بلاغ﴾ للناس ﴿فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾ الخارجون عن زي العبودية. والعزم هو إما الصبر وإما الوفاء بالميثاق وإما الحكم والشريعة وتؤيده روايات أهل البيت عليهم السلام فلا بد من الصبر على إقامة أحكام الله وعلى توطيد دعائم دولة الإسلام، وقد صبر نوح على أذى قومه وإبراهيم صبر على النار وعلى ذبح ولده وإسماعيل صبر على الذبح، وأيوب صبر على الضر فالفتنة في الدين قائمة. والله سبحانه يربط ثبات الإيمان بالثبات أمام الفتن بقوله: ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾.

وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

سورة محمد ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: المقايسة بين كل من الذين كفروا والذين آمنوا وعاقبة صفاتهم، بعض أحكام القتال.

١ ـ ٢ ـ ﴿الذين كفروا﴾ وهم كفار مكة ومن تبعهم ﴿وصدوا عن سبيل الله﴾ بمنع الناس من اتباعه ﴿أضل أعمالهم﴾ بجعلها ضالة لاتهتدي لمقاصدها ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها، فهي كالضالة من الإبل ليس لها رب يحفظها

﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد﴾ تقييد احترازي ﴿وهو الحق من ربهم﴾ الذي أنزله على رسوله ﴿كفر عنهم سيئاتهم﴾ أي ضرب عليها الستر بالعفو والمغفرة ﴿وأصلح بالهم﴾ في الدنيا بدين الفطرة وفيه كمال السعادة، وفي الآخرة بحسن المآب وفيه كمال الفوز.

٣ ـ ﴿ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل﴾ فأضل أعمالهم ﴿وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم﴾ ـ وكل ماعند الله حق ـ ففيه الصلاح فأصلح بالهم ﴿كذلك يضرب الله للناس أمثالهم﴾ وأوصافهم على ماهي عليه؛ ليقيسوا أعمالهم.

٤ ـ ٦ ـ ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا﴾ في القتال ﴿فضرب الرقاب﴾ لأنه أيسر القتل ﴿حتى إذا أثخنتموهم﴾ قتلتموهم وقهرتموهم لتحبط قدرتهم ﴿فشدوا الوثاق﴾ وأحكموا أسرهم ﴿فإما منا بعد وإما فداء﴾ بالفكاك من الأسر والاسترقاق ﴿وإما فداء﴾ بالمال أو بمن لكم من الأسرى ﴿حتى تضع الحرب أوزارها﴾ أي أثقالها ﴿ذلك﴾ الأمر أو حكم الله ﴿ولو يشاء الله لانتصر منهم﴾ بعذاب من عنده دون أن يأمركم بالقتال فالله سبحانه وتعالى لايفرض الجهاد على المؤمنين لأنه يستعين بهم على الذين كفروا ﴿ولكن ليبلو بعضكم ببعض﴾ فيمتحن المؤمنين بالكفار ويمتحن الكفار بالمؤمنين فيتميز أهل الشقوة ممن يتوب ويرجع إلى الحق ﴿والذين قتلوا في سبيل الله﴾ وهو القتال مع أعداء الدين ﴿فلن يضل أعمالهم﴾ الصالحة ﴿سيهديهم﴾ إلى منازل السعادة والكرامة ﴿ويصلح بالهم﴾ بالمغفرة والتجاوز فيصلحون لدخول الجنة ﴿ويدخلهم الجنة﴾ وهي غاية هدايتهم ﴿عرفها لهم﴾ بالبيان من الوحي أو بالبشرى عند القبض أو بعد ذلك، وقد كان قتالهم لتكون كلمة الله هي العليا لاعصبية ولاعمية ولاقومية ولادفاعاً عن فئة أو عقيدة أرضية أو قيم ماأنزل الله بها من سلطان.

٧ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله﴾ بالمجاهدة في سبيله والمقاتلة لنصر الدين وإعلاء كلمة الحق ﴿ينصركم﴾ بتهيئة الأسباب ﴿ويثبت أقدامكم﴾ لتستعلوا على الذين كفروا. وهذا الوعد بالنصرة منجز، أما وأن الأمر كذلك فما على المؤمن إلا وأن يهب لنصرة الله.

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم ١ والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ٢ ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم ٣ فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم ٤ سيهديهم ويصلح بالهم ٥ ويدخلهم الجنة عرفها لهم ٦ ياأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ٧ والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم ٨ ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ٩ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها ١٠ ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم ١١﴾

٨ ـ ٩ ـ ﴿والذين كفروا فتعساً لهم﴾ والتعس هو السقوط على الوجه والبقاء عليه ﴿وأضل أعمالهم﴾ عن مقاصدها ﴿ذلك بأنهم كرهوا ماأنزل الله﴾ من القرآن والشرائع ﴿فأحبط أعمالهم﴾ وأبطلها.

١٠ ـ ١١ ـ ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ وقد كذبوا واستكبروا ﴿دمر الله عليهم﴾ أي أهلكهم ﴿وللكافرين أمثالها﴾ من العقوبة. ١٢ ـ ﴿ذلك﴾ النصر ﴿بأن الله مولى الذين آمنوا﴾ فهو المتصرف في أمورهم وناصرهم ﴿وأن الكافرين لامولى لهم﴾ ولاناصر وقد ورد أن أبا سفيان نادى يوم أحد: يوم بيوم والحرب سجال؛ إن لنا عزى ولاعزى لكم، فقال ﷺ لأصحابه: «قولوا الله مولانا ولامولى لكم، إن القتلى مختلفة أما قتلانا فأحياء يرزقون وأما قتلاكم ففي النار يعذبون». ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وقد سلكوا سبيل الرشد ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ وقد قاموا بوظيفة العبودية ﴿والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام﴾ فلا همّ لهم إلا البطون والفروج ولامنية لهم وراء ذلك ﴿والنار مثوى لهم﴾ ساءت مستقراً ومقاماً.

إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ١٣ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ١٤ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ١٥ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ١٦ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ ١٨ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩

١٣ ـ ﴿وكأين من قرية هي أشد من قريتك التي أخرجتك﴾ وهي مكة ﴿أهلكناهم ولاناصر لهم﴾ فأهل مكة ليسوا بمعجزي الله وقد أهلك من القرى من هم أشد منهم.

١٤ ـ ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ فسلك السبيل الحق بالدليل والحجة ﴿كمن زين له سوء عمله﴾ فرآه حسناً ﴿واتبعوا أهواءهم﴾ وعملوا السيئات.

١٥ ـ ﴿مثل﴾ أي وصف ﴿الجنة التي وعد المتقون﴾ وهي أرفع من أن يحيط بها وصف ﴿فيها أنهار من ماء غير ءاسن﴾ أي غير متغير ﴿وأنهار من لبن لم يتغير طعمه﴾ كألبان الدنيا ﴿وأنهار من خمر لذة للشاربين﴾ لاغول فيها ولاهم ينزفون ﴿وأنهار من عسل مصفى﴾ أي خالص من القذى ﴿ولهم فيها من كل الثمرات﴾ هذا رزقنا ما له من نفاد ﴿ومغفرة من ربهم﴾ تنمحي بها ذنوبهم وقد شملتهم الرأفة الإلهية ﴿كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما﴾ شديد الحرارة ﴿فقطع أمعاءهم﴾ أحشاءهم.

١٦ ـ ١٨ ـ ﴿ومنهم من يستمع إليك﴾ فيسمع القرآن وشرائع الدين ﴿حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً﴾ أي هذه الساعة وهم لايكادون يفقهون حديثاً، وقيل استهزاء بما قال ﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم﴾ لأنهم نقضوا عهد الفطرة ﴿واتبعوا أهواءهم﴾ صارفين قلوبهم عن الحق، فاتباع الأهواء أمارة الطبع على القلب ﴿والذين اهتدوا﴾ وقد استسلموا للفطرة واتبعوا الحق ﴿زادهم هدى﴾ وزاد إيمانهم ﴿وآتاهم تقواهم﴾ بالتورع عن محارمه ﴿فهل ينظرون﴾ فهل ينتظرون ﴿إلا الساعة أن تأتيهم بغتة﴾ فجأة ﴿فقد جاء أشراطها﴾ علاماتها، لكي يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان ﴿فأنى لهم﴾ وكيف يكون لهم ﴿إذا جاءتهم ذكراهم﴾ أن يتذكروا وينتفعوا في يوم لاينفع فيه إيمان لنفس لم تكن قد آمنت.

١٩ ـ ﴿فاعلم أنه لاإله إلا الله﴾ واستمسك بعلمك بوحدانيته ﴿واستغفر لذنبك﴾ والمراد بالذنب التبعة السيئة

لدعوته ﷺ عند الكفار لأنه ﷺ معصوم. ﴿وللمؤمنين والمؤمنات﴾ فاطلب المغفرة لأمتك ﴿والله يعلم متقلبكم﴾ أحوالكم ﴿ومثواكم﴾ مستقركم فاثبتوا على توحيده.

٢٠ ـ ﴿ويقول الذين آمنوا لولا أنزلت سورة﴾ تحمل تكاليف جديدة ليقوموا بها ﴿فإذا أنزلت سورة محكمة﴾ لاتشابه فيها ﴿وذكر﴾ شرع ﴿فيها القتال﴾ والأمر به ﴿رأيت الذين في قلوبهم مرض﴾ وهم ضعفاء الإيمان ﴿ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت﴾ وهو المحتضر ﴿فأولى لهم﴾ وحري بهم أن يحتضروا ويموتوا. أو ـ وعلى ماقيل ـ أولى لهم من هذه الفضيحة تطهير نفوسهم واستقامة سلوكهم. ٢١ ـ ﴿طاعة وقول معروف﴾؛ ذلك ماواثقوا الله عليه ﴿فإذا عزم الأمر﴾ وأمروا بالقتال ﴿فلو صدقوا الله﴾ في قولهم سمعنا وأطعنا ﴿لكان خيراً لهم﴾ لأن الدفاع عن المجتمع الصالح قول معروف وهل يمكن قول المعروف بوجود حاكم لايطبق شرع الله ومنهجه؟ أوليس أول المعروف عندئذ هو إزالته؟ وهل يقر المجتمع الصالح وجوده ويبقى صالحاً؟

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ ۚ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾

٢٢ ـ ٢٤ ـ ﴿فهل عسيتم إن توليتم﴾ وقد استثقلتم الجهاد ﴿أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾ بسفك الدماء ونهب الأموال وهتك للأعراض والتكالب على جيفة الدنيا وهذه سنة الدول التي لايحكم فيها الإسلام فإن توليتم كان المتوقع منكم ذلك. ومن يفعل ذلك هم ﴿أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم﴾ عن سماع الحق وقد صدوا عنه ﴿وأعمى أبصارهم﴾ فلايرون الحق ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ ﴿فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾.

٢٥ـ ﴿إن الذين ارتدوا على أدبارهم﴾ وانقلبوا ﴿من بعد ماتبين لهم الهدى﴾ والسبيل الحق ﴿الشيطان سول لهم﴾ فهو الذي حرض أنفسهم، وصور لهم القبيح في صورة الحسن ﴿وأملى لهم﴾ طول أملهم ٢٦ ـ ﴿ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزّل الله﴾ وهم الكافرون ﴿سنطيعكم في بعض الأمر﴾ وهو قول المنافقين الذين وعدوا الكفار أن يطيعوهم ﴿والله يعلم إسرارهم﴾ للمنافقين بوعد الطاعة فإطاعة الكافرين في أي أمر من الأمور نفاق ظاهر.

٢٧ ـ ﴿فكيف﴾ حالهم اليوم ـ وقد ارتدوا ـ ﴿إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوهم وأدبارهم﴾ وهذا من لاذع الذل. ٢٨ ـ ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ماأسخط الله﴾ فقد اتبعوا أهواءهم وماسول لهم الشيطان ﴿وكرهوا رضوانه﴾ بارتدادهم ﴿فأحبط أعمالهم﴾ وأبطلها.

٢٩ـ ﴿أم حسب الذين في قلوبهم مرض﴾ وهم ضعفاء الإيمان ﴿أن لن يخرج الله أضغانهم﴾ أحقادهم الشديدة. ولعلهم الذين آمنوا أولاً على ضعف في إيمانهم ثم مالوا إلى النفاق وارتدوا، وتاريخ صدر الإسلام يوضح أن قوماً كانوا على هذه الصفة، وأن قوماً كانوا منافقين من أول يوم آمنوا إلى آخر عمرهم. ٣٠ ـ ﴿ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم﴾ وعلامتهم ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾ وصرف الكلام عن سننه الجارية عليه ﴿والله يعلم أعمالكم﴾

وقصودها ونياتها. وهذا يثبت أن هناك ممن عاصر النبي ﷺ من صحابته منافقين دأبوا على النفاق ولو شاء الله لأراهم لرسوله.

٣١ - ﴿ولنبلونكم﴾ ولنختبرنكم ﴿حتى نعلم المجاهدين منكم﴾ في سبيل الله ﴿والصابرين﴾ على مشاق التكاليف ﴿ونبلو أخباركم﴾ ليتميز صالح أعمالكم من طالحها، ليظهر حالكم؛ فباختبار الأعمال يمتاز صالح الأعمال من طالحها.

٣٢ - ﴿إن الذين كفروا وصدوا﴾ منعوا ﴿عن سبيل الله وشاقوا الرسول﴾ وعادوه ﴿من بعد ما تبين لهم الهدى﴾ وهم رؤساء الضلال من كفار مكة ومن يلحق بهم ﴿لن يضروا الله شيئاً﴾ فمكرهم عائد لأنفسهم ﴿وسيحبط أعمالهم﴾ ومساعيهم لهدم أساس الدين.

٣٣ - ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله﴾ فيما أنزل من الكتاب، وشرع من الحكم، وأمر من حكم القتال.

٣٤ - ﴿وأطيعوا الرسول﴾ فيما بلغ عن الله، وفي أوامره من حيث ولايته على المجتمع الديني ﴿ولا تبطلوا أعمالكم﴾ بالارتداد أو التخلف عن القتال ﴿إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ وأعرضوا عنه أو منعوا الناس أن يؤمنوا ﴿ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم﴾ فالتخلف عن أحكام الله يؤدي إلى اللحاق بالذين كفروا وعن أبي العالية قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنه لا يضر مع لا إله إلا الله ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾ فخافوا أن يبطل الذنب العمل. ٣٥ - ﴿فلا تهنوا﴾ لاتضعفوا ولاتفتروا ﴿وتدعوا إلى السلم﴾ أي الصلح ﴿وأنتم الاعلون﴾ فأنتم الغالبون ﴿والله معكم﴾ بنصركم ﴿ولن يتركم﴾ أي ينقصكم ﴿أعمالكم﴾ بل يوفيها لكم. فأدوا وأجب الجهاد إذ ليس السلم بالخنوع لراية غير الإسلام بل بأن ينعم الناس بحياة الإسلام. وتلك هي الحياة الطيبة.

٣٦ - ﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾ فليست هدفاً مقصوداً بذاتها. ٣٧ - ﴿وإن تؤمنوا وتتقوا﴾ بطاعته وطاعة رسوله ﴿يؤتكم أجوركم ولايسألكم﴾ أن تنفقوا ﴿أموالكم﴾ جميعها بإزاء ماأعطاكم ﴿إن يسألكموها فيحفكم﴾ يجهدكم بطلب جميعها ﴿تبخلوا﴾ عن الإعطاء لحبكم لها ﴿ويخرج أضغانكم﴾ وأحقاد قلوبكم فتضلوا.

٣٨ - ﴿هاأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله﴾ وهو بعض أموالكم ﴿فمنكم من يبخل﴾ ويمنع ﴿ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه﴾ ويمنع الخير عنها ﴿والله الغني﴾ دونكم ﴿وأنتم الفقراء﴾ دون الله ﴿وإن تتولوا﴾ وتعرضوا ﴿يستبدل قوماً غيركم﴾ بأن يوفقهم للإيمان ﴿ثم لايكونوا أمثالكم﴾ بل يؤمنون وينفقون في سبيل الله، وقد سئل رسول الله ﷺ عن القوم وكان سلمان إلى جنبه، فضرب على فخذه وقال: «هذا وقومه، والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطاً بالثريا لتناوله رجال من فارس».

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴿٣٨﴾

سورة الفتح

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: مضامين صلح الحديبية، بيان ماامتن الله به على رسوله بالفتح، الوعد الحسن للمؤمنين.

١-٣ ـ ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ منة من الله على نبيه بالفتح في صلح الحديبية ﴿ليغفر لك الله ماتقدم [illegible] وماتأخر﴾ والرسول ﷺ معصوم عن مخالفة التكاليف المولوية، فالمراد بالذنب: التبعة السيئة التي لدعوته ﷺ عند الكفار والمشركين قبل الهجرة وبعدها، والمغفرة هي ستره تعالى عليه ﷺ بإبطال تبعة ذنبه هذا عندهم بإذهاب شوكتهم ﴿ويتم نعمته عليك﴾ بإظهارك على عدوك في الدنيا، ورفع درجتك في الآخرة ﴿ويهديك [illegible] مستقيماً﴾ أي ليثبتك على صراط يؤدي بسالكيه إلى الجنة ﴿وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾ تمتنع به من كل جبار عنيد... وقد انقلع الشرك من الجزيرة وانتشر الإسلام خارجها.

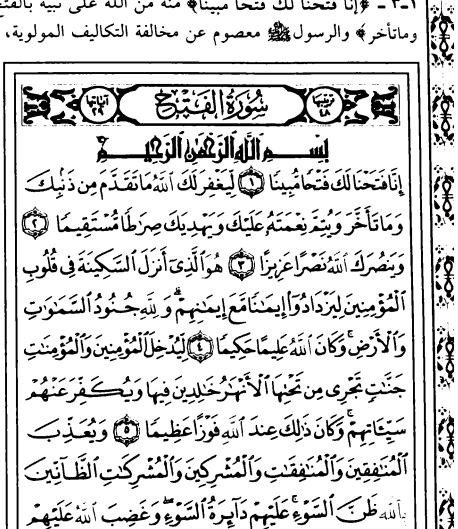

٤ ـ ﴿هو [illegible] السكينة﴾ ثبات النفوس واطمئنانها [illegible] المؤمنين ليزدادوا [illegible] إيمانهم﴾ وليشتد هذا الإيمان ـ وذلك بالعلم مع الالتزام بالآثار العملية المترتبة عليه ـ ﴿ولله [illegible] السموات﴾ فله جميع الأسباب والعلل ﴿[illegible] الله عليماً﴾ لايغيب عنه شيء ﴿حكيماً﴾ لايفعل إلا ماتقتضيه الحكمة ومنها إنزال السكينة. ٥ ـ ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم لايمانهم ﴿وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً﴾ لأن فيه كمال السعادة. ٦ ـ ﴿ويعذب المنافقين والمنافقات﴾ وهم الأكثر ضرراً ﴿والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء﴾ وهو ظنهم أن الله لا ينصر رسوله ﴿عليهم دائرة السوء﴾ قضاء عليهم ليُضروا بها ﴿وغضب الله عليهم ولعنهم﴾ أبعدهم من الرحمة ﴿وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً﴾ مقابلة لعذابهم مع نعيم أهل الإيمان.

٧ ـ ﴿ولله جنود السماوات والأرض﴾ فله أن يبلغ إلى مايشاء بما يشاء ﴿وكان الله عزيزاً﴾ منيعاً لايذل جانبه كل أتوه داخرين ﴿حكيماً﴾ متقن الفعل فكل شيء مجند لقدرته ولايمنعه مانع أن يبلغ مايشاء،ولايشاء إلا مافيه الحكمة.

٨ ـ ٩ ـ ﴿إنا أرسلناك شاهداً﴾ على الأعمال ﴿ومبشراً﴾ لمن آمن واتقى ﴿ونذيراً﴾ لمن كفر وتولى ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه﴾ وتنصروه تعالى بأيديكم وألسنتكم ﴿وتوقروه﴾ أي تعظموه ﴿وتسبحوه﴾ تنزهوه ﴿بكرة وأصيلا﴾ بالصلاة غدوة وعشياً فمن قال سبحان الله غرس الله له بها شجرة في الجنة ومن قال الحمد لله غرس الله له بها شجرة ومن قال لا

إله إلا الله غرس الله له بها شجرة ومن قال الله أكبر غرس الله له بها شجرة في الجنة. فما أكثر الغراس إذا لم تحرقوها بالمعاصي.

١٠ ـ ﴿إن الذين يبايعونك﴾ والبيعة نوع من الميثاق ﴿إنما يبايعون الله﴾ فطاعته ﷺ طاعة لله ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ زيادة تقرير وتأكيد ﴿فمن نكث﴾ ونقض العهد والبيعة ﴿فإنما ينكث على نفسه﴾ لأن الله غني عن العالمين ﴿ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً﴾ جزاء حفظه العهد. وفي الآية إشارة إلى أن الله مطلع على بيعة من بايع، وإشارة إلى أن هناك من سينقض العهد وينكث على نفسه.

١١ ـ ﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب﴾ عند رجوعك من الحديبية إلى المدينة ﴿شغلتنا أموالنا وأهلونا﴾ فلم نخرج معك ﴿فاستغفر لنا﴾ ذنب التخلف ﴿يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم﴾ لأن قولهم إنما هو جُنة لصرف التوبيخ عن أنفسهم دون أن يهتموا باستغفاره ﷺ لهم ﴿قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً﴾ في أموالكم وأنفسكم، والله هو المالك المدبر لارب سواه ﴿بل كان الله بما تعملون خبيراً﴾ فعدم خروجكم ليس بسبب انشغالكم.

١٢ ـ ﴿بل ظننتم أن لن ينقلب﴾ لن يرجع ﴿الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً﴾ وأنهم سيقتلون بأيدي قريش ﴿وزين ذلك في قلوبكم﴾ بوسوسة الشيطان ﴿وظننتم ظن السوء﴾ أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً أو أن لن ينصر الله رسوله ﴿وكنتم قوماً بوراً﴾ أي فاسدين هالكين.

١٣ ـ ﴿ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيراً﴾ ونارا ملتهبة لأن الكفر بعدم إطاعة الرسول كفر بالله.

١٤ ـ ﴿ولله ملك السموات والأرض﴾ فهو الرب المدبر ﴿يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفوراً رحيماً﴾ ورحمته أسبق من غضبه.

١٥ ـ ﴿سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها﴾ إخبار عن الغزو والنصر والمغنم ﴿ذرونا نتبعكم﴾ فيها ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ وقد وعد الله أهل الحديبية أن يخصهم بغنائم خيبر ﴿قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل﴾ فأنتم ممنوعون من الإتباع ﴿فسيقولون بل تحسدوننا﴾ أن نشارككم في الغنائم، وهذا كلام لايواجه به مؤمن له عقل رسول الله ﷺ المعصوم ﴿بل كانوا لايفقهون إلا قليلاً﴾ لبساطة عقولهم وضعف إيمانهم.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا ۖ كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

١٦ ـ ﴿قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد﴾ بعد فتح خيبر هم هوازن وثقيف والروم في مؤتة ﴿تقاتلونهم أو يسلمون﴾ أي أنهم مشركون لاتقبل منهم جزية ﴿فإن تطيعوا﴾ بالخروج إليهم ﴿يؤتكم الله أجراً حسناً وإن تتولوا﴾ بعدم الخروج ﴿كما توليتم من قبل﴾ في سفرة الحديبية ﴿يعذبكم عذاباً أليماً﴾ في الدنيا أو فيها وفي الآخرة.

١٧ ـ ﴿ليس على الأعمى حرج ولاعلى الأعرج حرج ولاعلى المريض حرج﴾ رفع للحكم بوجوب الجهاد عن ذوي العاهة ﴿ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذاباً أليماً﴾ مقابلة بين الطاعة والثواب والمخالفة والعقاب.

قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

١٨ ـ ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ فلهم الإثابة والجزاء الحسن ﴿فعلم مافي قلوبهم﴾ من صدق النية وإخلاصها ﴿فأنزل السكينة عليهم﴾ لتطمئن قلوبهم ﴿وأثابهم فتحاً قريباً﴾ وهو فتح خيبر.

١٩ ـ ﴿ومغانم كثيرة يأخذونها﴾ بالفتح ﴿وكان الله عزيزاً﴾ غالباً قاهراً فوق عباده ﴿حكيماً﴾ متقناً لفعله يصيب المؤمن بسكينته.

٢٠ ـ ﴿وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها﴾ بعد الرجوع من الحديبية ﴿فعجل لكم هذه﴾ وهي مغانم خيبر لاقتراب وقوعها ﴿وكف أيدي الناس عنكم﴾ فقذف الرعب في قلوب قبيلتي أسد وغطفان اللتين همتا بعد مسيره ﷺ إلى خيبر أن تغيرا على أموال المسلمين وعيالهم بالمدينة على ماقيل، وقيل غير ذلك ﴿ولتكون﴾ وعود الإثابة ﴿آية للمؤمنين﴾ تدلهم على أنهم على الحق من ربهم ﴿ويهديكم صراطاً مستقيماً﴾ يوصلكم إلى إعلاء كلمة الحق وبسط الدين.

٢١ ـ ﴿و﴾ ثمة غنائم ﴿أخرى لم تقدروا عليها﴾ قيل: هي غنائم هوازن وقيل غير ذلك ﴿قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديراً﴾ فهو لقدرته محيط بها، ولايعجزه شيء.

٢٢ ـ ﴿ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار﴾ لضعفهم ﴿ثم لايجدون ولياً﴾ يتولى أمرهم ﴿ولانصيراً﴾ من الأعراب ينصرهم.

٢٣ ـ ﴿سنة الله﴾ أن يظهر أنبياءه والمؤمنين بهم ﴿التي قد خلت من قبل﴾ فمن سلك سبيل هذه السنة فالله وليه وناصره ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ وقد ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾.

٢٤ ـ ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم﴾ بما وقع من الصلح بينكم ﴿ببطن مكة﴾ وهي الحديبية ﴿من بعد أن أظفركم عليهم﴾ بدخول أرضهم فلم يكن ليتوهم بينكم إلا القتال ﴿وكان الله بما تعملون بصيرا﴾ وقد علم أنكم بايعتموه ﷺ على القتال.

٢٥ ـ ﴿هم الذين كفروا﴾ أي المشركون ﴿وصدوكم﴾ منعوكم ﴿عن المسجد الحرام والهدي معكوفا﴾ محبوساً ﴿أن يبلغ محله﴾ الذي ينحر فيه ﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات﴾ بمكة ﴿لم تعلموهم﴾ وحذر ﴿أن تطؤوهم﴾ تقتلوهم ﴿فتصيبكم منهم معرة﴾ أي يصيبكم المكروه بقتلهم ﴿بغير علم﴾ بهم، لما كف الله أيديكم عنهم ﴿ليدخل الله في رحمته من يشاء﴾ من المؤمنين والمؤمنات غير المتميزين لاختلاطهم بالكفار وبقائهم معهم، فسلامتهم من القتل حفظ لكم من أن تصيبكم المعرة. ﴿لو تزيلوا﴾ أي تفرقوا ليمتاز المؤمنون من الكفار ﴿لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما﴾ ولكن لم نعذبهم لحرمة من اختلط بهم من المؤمنين.

٢٦ ـ ﴿إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية﴾ الراسخة في قلوبهم ﴿حمية﴾ أي غضب الملّة ﴿الجاهلية﴾ والعصبية القومية، لاحمية العقيدة ﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ فاطمأنت قلوبهم من غير أن تستفزهم الجهالة ﴿وألزمهم كلمة التقوى﴾ وهي روح الإيمان التي تأمر بالتقوى ﴿وكانوا أحق بها﴾ لكمال استعدادهم لتلقي هذه العطية الإلهية ﴿وأهلها﴾ لأنهم مختصون بها ﴿وكان الله بكل شيء عليما﴾ فهو يعلم من يستحق العطية الإلهية. فينيله إياها.

٢٧ ـ ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق﴾ أنه وأصحابه بدخول مكة قبل خروجه إلى صلح الحديبية ﴿لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين﴾ من شر المشركين ﴿محلقين رؤوسكم ومقصرين لاتخافون﴾ المشركين ﴿فعلم مالم تعلموا﴾ إشارة إلى ماتقدم من دخولهم المسجد الحرام آمنين ﴿فجعل من دون ذلك﴾ أي علم المصلحة في دخولكم المسجد الحرام آمنين وعلم ماجهلتموه ولم تعلموه فجعل لكم ﴿فتحا قريبا﴾ هو فتح الحديبية ولولاه لما دخلوا آمنين. وفي الآية إزالة الريب عن صدق رؤيا الرسول ﷺ.

٢٨ ـ ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق﴾ وهو الإسلام ﴿ليظهره على الدين كله﴾ وعد من الله بأن يظهر دينه على كافة الأديان والنظم شرقيها وغربيها، وهذا تحريض للمؤمنين على قتال أعداء الله والسعي والمجاهدة في هذا السبيل ﴿وكفى بالله شهيدا﴾ على صدق نبوته ووعده بظهور دينه أو صدق رؤياه.

وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

٢٩ ـ ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار﴾ لكنهم ﴿رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً﴾ مداومين على الصلاة ﴿يبتغون فضلاً من الله﴾ وعطية وثواباً ﴿ورضواناً﴾ أي أن يكون الله راضياً عنهم ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ فتظهر عليهم علامات الخشوع لله لمن رآهم ﴿ذلك مثلهم في التوراة﴾ فوصفهم فيها أنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم، ﴿ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه﴾ وفروعه التي تتولد منه وتنبت حوله ﴿فآزره﴾ أعانه ﴿فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزرّاع﴾ بجودة شدته ﴿ليغيظ بهم الكفار﴾ بقوتهم وازدياد عدتهم وعددهم ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم﴾ من تبعيضية لابيانية لأن الوعد لكل من آمن وعمل صالحاً منهم ومن غيرهم ﴿مغفرة وأجراً عظيماً﴾ بشرى لهم بطيب الثواب. ويفيد الكلام اشتراط المغفرة والأجر العظيم بالإيمان حدوثاً وبقاء مع عمل الصالحات؛ لأن هناك ﴿من أهل المدينة مردوا على النفاق لاتعلمهم نحن نعلمهم﴾، وهناك الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ماتبين لهم الهدى وهناك من آمن ولم يعمل صالحاً وهؤلاء مستثنون من الآية.

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ
تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ
فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ
فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ
عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

ترتيبها ٤٩ — آياتها ١٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ
فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ
لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ
قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

سورة الحجرات

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة:ذكر مسائل من شرائع الدين، أدب العبد مع الله ورسوله، تفاضل الأفراد، حقيقة الإيمان والإسلام.

١ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ أي لاتحكموا فيما لله ولرسوله فيه حكم، ولاقبل حكم الله ورسوله ﴿واتقوا الله﴾ وتلبسوا بالعبودية ﴿إن الله سميع﴾ لأقوالكم ﴿عليم﴾ بظاهركم وباطنكم.

٢ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ لأن ذلك إما استخفاف به وهو كفر، وإما إساءة الأدب بالنسبة لمقامه ﴿ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض﴾ لما في ذلك من إساءة الأدب حذر ﴿أن تحبط أعمالكم﴾ وتبطل ﴿وأنتم لاتشعرون﴾ بعظمة مساءة هذا الفعل قبل النهي.

٣ ـ ﴿إن الذين يغضون أصواتهم﴾ ولايرفعونها ﴿عند رسول الله﴾ الذي ـ في تعظيمه تعظيم لمرسله، ﴿أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾ فتخلقوا بها ﴿لهم مغفرة وأجر عظيم﴾ فالعاقبة للتقوى.

٤ ـ ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لايعقلون﴾ فهم بهذه المناداة كالبهائم.

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾

٥ ـ ﴿ولو أنهم صبروا﴾ عن ندائك ﴿حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم﴾ لما فيه من حسن الأدب وتعظيم مقام الرسالة ﴿والله غفور رحيم﴾ يغفر ماصدر عنهم من الجهالة لأنه لم يكن عن تعقل. ٦ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق﴾ خارج عن الطاعة إلى المعصية ﴿بنبأ﴾ عظيم الشأن، وقد ورد أن الفاسق هو الوليد بن عقبة أخو عثمان لأمه وهو الذي ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص، وقد صلى بالناس ـ وهو سكران ـ صلاة الفجر أربعاً ثم قال هل أزيدكم، فعزله عثمان عنهم. وقد بعثه الرسول ﷺ إلى بني المصطلق، فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له فحسبهم مقاتليه. فرجع وقال للرسول ﷺ إنهم ارتدوا ومنعوا الزكاة ﴿فتبينوا﴾ حذر ﴿أن تصيبوا قوماً بجهالة﴾ إذا لم تستبينوا العلم ﴿فتصبحوا على مافعلتم﴾ بالقوم ﴿نادمين﴾ لإصابتكم لهم بالجهالة. ٧ ـ ٨ ـ ﴿واعلموا أن فيكم رسول الله﴾ فارجعوا إليه في ماتواجهونه من حوادث ﴿لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم﴾ وجهدتم وهلكتم ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم﴾ لتتعلقوا به وتعرضوا عما يلهيكم عنه ﴿وكره إليكم الكفر﴾ وقد جعل نفوسكم تنفر من الكفر ﴿والفسوق﴾ وهو الخروج عن الطاعة إلى المعصية ﴿والعصيان﴾ وهو نفس المعصية ﴿أولئك هم الراشدون﴾ والفطرة تطلب الرشاد، والرشد هو إصابة الحق ومحجة الطريق.. ﴿فضلاً من الله ونعمة﴾ أي عطاء لابدل ﴿والله عليم حكيم﴾ لايفعل مايفعل جزافاً. ٩ ـ ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت﴾ وتعدت ﴿إحداهما على الأُخرى﴾ بغير حق ﴿فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء﴾ وترجع ﴿إلى أمر الله﴾ وتنقاد لحكمه ﴿فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل﴾ بإجراء أحكام الله فيما تعدت به المتعدية من دم أو عرض أو مال ﴿وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ العادلين لعدالتهم. أما إذا كان القتال بين طائفة ترفع راية الإسلام وأخرى ترفع راية أُخرى فتجب نصرة الإسلام. ١٠ ـ ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ فيجب أن يستقر بينهم الصلح ﴿فأصلحوا بين أخويكم﴾ إذ من الواجب أن يستقر الصلح بينهما ﴿واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾ موعظة للمتقاتلين والمصلحين. ١١ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم﴾ بقول أو إشارة أو فعل بحيث يضحك منهم ﴿عسى أن يكونوا خيراً منهم﴾ عند الله ﴿ولانساء من نساء﴾ التأكيد لفشوها بينهن ﴿عسى أن يكُنَّ خيراً منهن﴾ أي رجاء أن تكون من سخر منها خيراً من الساخرة ﴿ولاتلمزوا﴾ وتعيبوا ﴿أنفسكم﴾ فأنتم مجتمع واحد والعاقل لايلمز بعض أجزائه ﴿ولاتنابزوا بالألقاب﴾ والنبز هو اللقب ويختص بالذم ﴿بئس الاسم﴾ أي الذكر ﴿الفسوق﴾ وتسمية الناس به ﴿بعد الإيمان﴾ أو بئست السمة علامة الفسوق ﴿ومن لم يتب﴾ عن اقتراف هذه المعاصي ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ لأنهم لايرون بها بأساً وقد نهى الله عنها. ١٢ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن﴾ نهي عن رمي المؤمن بظن السوء ﴿إن بعض الظن إثم﴾ لما يترتب عليه من إهانة المظنون به وقذفه ﴿ولاتجسسوا﴾ بتتبع ماستتر من عورات الناس ﴿ولايغتب بعضكم بعضاً﴾ بذكر العيب بظهر الغيب.

فالغيبة تذهب أمن المخالطة ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً﴾ لأنه لغيبته غافل لايشعر بما يقال فيه ﴿فكرهتموه﴾ فالكراهة أمر ثابت محقق لمساءة ذلك ﴿واتقوا الله﴾ بالتورع عن ذلك ﴿إن الله تواب﴾ يقبل التوبة ﴿رحيم﴾ بعباده التائبين. وعن النبي ﷺ أنه قال: «الغيبة أشد من الزنا، فقيل: يارسول الله ولم ذلك؟ قال: صاحب الزنا يتوب فيتوب الله عليه وصاحب الغيبة يتوب فلايتوب الله عليه حتى يكون صاحبه الذي يحله». وعن الصادق عليه السلام: قال: قال رسول الله ﷺ: «الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الآكلة في جوفه». ١٣ ـ ﴿ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ فنسلكم يتحدر من آدم وحواء ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾ ويتم أمر اجتماعكم فلاتفاخر بالأنساب ولاتباين في العروق ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ فهذه حقيقة الكرامة ـ ولاتزاحم فيها ولاتدافع ـ بخلاف غير ذلك من الغايات كالغنى والرئاسة والجمال ﴿إن الله عليم خبير﴾ واختياره لكم كرامة التقوى هي الغايةالحقة وغيرها باطل فراية لاإله إلا الله حقٌ وما سواها باطل. ١٤ ـ ﴿قالت الأعراب آمنا﴾ منّاً عليه ﷺ بإيمانهم ﴿قل﴾ يامحمد ﴿لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ بدل آمنا ﴿ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ فالإيمان قائم بالقلب من قبيل الاعتقاد والإسلام قائم باللسان والجوارح ﴿وإن تطيعوا الله﴾ بالإخلاص في استجابة مادعا إليه من اعتقاد أو عمل، ﴿ورسوله﴾ فيما يأمركم به ﴿لايلتكم﴾ أي لاينقصكم ﴿من أعمالكم شيئاً﴾ فلا ينقص جزاءها ﴿إن الله غفور رحيم﴾ يفيض رحمة فهو يستر النقص ويحسن الجزاء. ١٥ ـ ﴿إنما المؤمنون﴾ حق الإيمان هم من تحلوا بأربع صفات ﴿الذين آمنوا بالله ورسوله﴾ وعقدوا القلب على توحيده وأن رسالته حق وهذه أولها ﴿ثم لم يرتابوا﴾ ولم يشكوا بعد إيمان وهذه الثانية ﴿وجاهدوا﴾ وبذلوا جهدهم وطاقتهم ﴿بأموالهم﴾ وهذه الثالثة ﴿وأنفسهم﴾ وهذه الرابعة ﴿في سبيل الله﴾ لإعلاء دينه لاتحت راية عمية لنصر فئة أو تحزب لأُخرى ولا من أجل سلطة أو جاه أو مغنم أو متاع دنيوي ﴿أولئك هم الصادقون﴾ فمن اتصف بذلك كان مؤمناً حقاً ومن فقد شيئاً منها ليس بمؤمن حقاً. فالإيمان ماوقر في القلب وأفضى به إلى الله وصدقه القول والعمل، ومن العمل الجهاد بالأموال والأنفس. ١٦ ـ ﴿قل أتعلمون﴾ أتخبرون ﴿الله بدينكم﴾ توبيخ للأعراب بقولهم آمنا ولازمه الصدق ﴿والله يعلم مافي السماوات ومافي الأرض والله بكل شيء عليم﴾ ويعلم الحق فيما ادعيتم به من الإيمان. ١٧ ـ ﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾ وقد أخطؤوا فإن حقيقة النعمة هي الإيمان دون الإسلام ﴿قل لاتمنوا عليّ إسلامكم﴾ إذ ليس للنبي من أمر الدين إلا البلاغ ﴿بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان﴾ وهو حقيقة النعمة ﴿إن كنتم صادقين﴾ في دعواكم. وعن الرسول ﷺ الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان. ١٨ ـ ﴿إن الله يعلم غيب السماوات والأرض﴾ ومافيهما أو الأعم مما فيهما ومن الخارج منهما ﴿والله بصير بما تعملون﴾ من إيمان أو عدمه، والتزام بأوامره أو فسق عنها.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

سورة ق

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة :الدعوة والإنذار بالمعاد وجحد المشركين له ووعيدهم ،إحاطة العلم الإلهي، الخلق والتدبير، مراقبة الإنسان حتى في سكناته وأنفاسه وخطراته.

١ ـ ﴿ق ـ﴾ قيل أنها من القهر الإلهي ﴿والقرآن المجيد﴾ الواو للقسم وتقدير جوابه إن البعث أو الإنذار حق.

٢ ـ ٣ ـ ﴿بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾ من العرب، أو منهم من البشر ـ وهذا مما يدعو إلى العجب ـ وهم وثنيون ينكرون نبوة البشر ﴿فقال الكافرون﴾ الساترون للحق ﴿هذا شيءٌ عجيبٌ﴾ ومستبعد ﴿أإذا متنا وكنا تراباً﴾ أنبعث؟ ﴿ذلك رجع بعيد﴾ عن العقل ومستبعد الحدوث.

٤ ـ ٥ ـ ﴿قد علمنا ما تنقص الأرض منهم﴾ وما تأكله من أبدانهم، أو ما يدفن فيها منهم ﴿وعندنا كتاب حفيظ﴾ هو اللوح المحفوظ، الحافظ لكل شيء ولآثاره وأحواله، وهم إنما استبعدوا البعث لا لجهلهم بأن الله سبحانه عليم لايعزب عنه شيء من أحوال الخلق كما يبدو في الآية السابقة ﴿بل كذبوا بالحق لمّا جاءهم﴾ وجحدوه ﴿فهم في أمر مريج﴾ متحيرون فتارة يقولون سحر وتارة يقولون شعر إلخ... وهذا أفظع من تعجبهم.

٦ ـ ٨ ـ ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم﴾ آيةً لهم ﴿كيف بنيناها وزيناها﴾ بالنجوم ﴿ومالها من فروج﴾ ولاشقوق ﴿والأرض مددناها﴾ بسطناها لتلائم عيشة الإنسان ﴿وألقينا فيها رواسي﴾ ثابتة هي الجبال ﴿وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج﴾ يسر الناظرين ﴿تبصرة وذكرى لكل عبد منيب﴾ يتذكر بها كل عبد أن مرجعه إلى الله.

٩ ـ ﴿ونزلنا من السماء ماءً مباركاً﴾ لكثرة خيراته العائدة إلى الأرض وأهلها ﴿فأنبتنا به جنات وحب الحصيد﴾ وهو المحصود من الحب ١٠ ـ ﴿والنخل باسقات﴾ طويلات ﴿لها طلع﴾ هو أول مايطلع من الثمر ﴿نضيد﴾ منضود ١١ ـ ﴿رزقاً للعباد﴾ لمد بقائهم ﴿وأحيينا به بلدةً ميتاً كذلك الخروج﴾ إذ ليس الخروج من القبور بالإحياء إلا مثل خروج النبات من الأرض بعد موتها.

١٢ ـ ١٤ ـ ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس﴾ وهم قوم نزلوا على بئر وقد كذبوا رسولهم فأهلكهم الله ﴿وثمود﴾ قوم صالح بعد عاد ﴿وعاد﴾ وهم من العرب العاربة الذين يسكنون الأحقاف وعاد اسم أبيهم وهم قوم هود ﴿وفرعون﴾ ملك مصر ﴿وإخوان لوط﴾ وكانوا يأتون الفاحشة ماسبقهم إليهاأحد من العالمين ﴿وأصحاب الأيكة﴾ أي الغيضة أو الشجر الملتف وهم قوم شعيب وكانوا يبخسون الكيل والميزان ﴿وقوم تبع﴾ وهم من ملوك حمير باليمن

سُورَةُ قٓ
ترتيبها ٥٠ آياتها ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قٓ ۚ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾

﴿كل كذب الرسل فحق وعيد﴾ فتكذيب كل أمة رسولها يعد تكذيباً لجميع الرسل نظراً لما في الرسالات من وحدة العقيدة والإنذار بالهلاك. ١٥ ـ ﴿أفعيينا بالخلق الأول﴾ أي أهل عجزنا عنه؟ ووجود الخلق يدل على القدرة وعدم العجز ونحن لم نعجز عن الخلق الأول ولانعجز عن الإعادة ﴿بل هم في لبس﴾ والتباس ﴿من﴾ الإيمان بـ ﴿خلق جديد﴾ لإنكارهم المعاد. ١٦ ـ ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ وخلقنا وجوده المتحول ﴿ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ ومن علم بخفي العلم استوعب العلم كله ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ المخالط لأعضائه المستقر في داخله. ١٧ ـ ١٨ ـ ﴿إذ يتلقى﴾ الملكان ﴿المتلقيان﴾ للأعمال ﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾ لحفظ أعمال الإنسان من خير عن اليمين ومن شر عن الشمال ﴿مايلفظ من قولٍ إلا لديه رقيبٌ﴾ محافظ ﴿عتيد﴾ معد للزوم الأمر. ١٩ ـ ٢١ ـ ﴿وجاءت سكرة الموت﴾ عند النزع ﴿بالحق﴾ فالموت داخل في القضاء الإلهي مراد في نفسه في نظام الكون ﴿ذلك ما كنت منه تحيد﴾ لتعلقك بمتع الدنيا ﴿ونفخ في الصور﴾ النفخة الثانية المقيمة للساعة أو مجموع النفختين ﴿ذلك يوم الوعيد﴾ قدتحقق ﴿وجاءت كل نفس معها سائق﴾ يسوقها ﴿وشهيد﴾ على أعمالها من الملائكة. ٢٢ ـ ﴿لقد كنت﴾ أيها الإنسان ـ والخطاب من الله سبحانه ـ ﴿في غفلة﴾ والغفلة تكون عن واقع موجود أحاطت بك ﴿من هذا﴾ الذي تشاهده لتعلقك بالدنيا ـ وإن كان في الدنيا نصب عينيك ـ ﴿فكشفنا عنك غطاءك﴾ اليوم ﴿فبصرك﴾ وهو البصيرة وعين القلب ﴿اليوم﴾ وهو يوم القيامة ﴿حديد﴾ نافذ يبصر مالم يكن يبصره في الدنيا مع وجوده، فالحجة عليك لا لك. ٢٣ ـ ٢٩ ـ ﴿وقال قرينه﴾ الموكل به ﴿هذا مالديَّ﴾ الإنسان أو أعماله ﴿عتيد﴾ معد حاضر ﴿ألقيا في جهنم كل كفار﴾ كثير الكفر ﴿عنيد﴾ معاند للحق ﴿مناع للخير معتد﴾ متجاوز سبيل الحق ﴿مريب﴾ شاك في أمر البعث ﴿الذي جعل مع الله إلهاً آخر﴾ وهذه الصفة هي أم المعاصي ﴿فألقياه في العذاب الشديد﴾ فجرم الشرك عظيم ﴿قال قرينه﴾ من الشياطين ﴿ربنا ما أطغيته﴾ ما أجبرته على الطغيان ﴿ولكن كان في ضلالٍ بعيد﴾ متهيئاً لقبول ما ألقيته إليه باختيار منه ﴿وماكان لي عليكم من سلطان سوى أن دعوتكم فاستجبتم لي﴾ ﴿قال﴾ الله ﴿لاتختصموا لدي﴾ فلا نفع في ذلك ﴿وقد قدمت إليكم بالوعيد﴾ ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ ﴿ما يبدل القول لدي﴾ فالقضاء محتوم ﴿ومأانا بظلام للعبيد﴾ فهم مستحقون للعذاب بعد إتمام الحجة وهذا ليس بظلم. ٣٠ ـ ﴿يوم نقول لجهنم﴾ خطاب منه تعالى ﴿هل امتلأت﴾ استفهام تقريري ﴿وتقول﴾ وقد غصت بمن فيها ﴿هل من مزيد﴾ إنكار أن يكون فيها مكان يزيد على من ألقي من المجرمين؛ وقد امتلأت ﴿من الجنة والناس أجمعين﴾. ٣١ ـ ٣٥ ـ ﴿وأزلفت﴾ وقربت ﴿الجنة للمتقين غير بعيد﴾ عنهم فهي بين أيديهم ﴿هذا ما توعدون﴾ من الثواب ﴿لكل أواب﴾ كثير الرجوع إلى الله بالتوبة والطاعة ﴿حفيظ﴾ لايضيع عهد الله ﴿من خشي الرحمن بالغيب﴾ وخاف عذابه وهو

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

لايراه ﴿وجاء بقلب منيب﴾ متلبس بالإنابة والرجوع إلى الله ﴿ادخلوها بسلام﴾ أيها المتقون ﴿ذلك يوم الخلود﴾ بشرى لكم وحسن مآب ﴿لهم مايشاؤون فيها﴾ فيملكون كل ما تعلقت به مشيتهم ﴿ولدينا مزيد﴾ أعظم مما تتعلق به مشيتهم لكونه فوق مايتعلق به علمهم من الكمال. ٣٦ ـ ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرنٍ هم أشد منهم﴾ أي أشد من هؤلاء المشركين ﴿بطشاً فنقبوا في البلاد﴾ وساروا فيها وفتحوها ﴿هل من محيص﴾ ومحيد ومنجى من إهلاك الله وعذابه. ٣٧ ـ ٣٨ ـ ﴿إنّ في ذلك لذكرى﴾ يُتذكر بها ﴿لمن كان له قلب﴾ يتعقل به ﴿أو ألقى السمع﴾ إلى حق القول ولم يشتغل بغيره ﴿وهو شهيد﴾ حاضر يعي ما يسمعه. ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ واليوم قطعة من الزمان تمت فيه مرحلة من التشكيل ﴿وما مسنا من لغوب﴾ لانعب ولانصب. ٣٩ ـ ٤٠ ـ ﴿فاصبر على ما يقولون﴾ وما يستهزؤون بالمعاد ﴿وسبح بحمد ربك﴾ تنزيهاً له مع الثناء عليه بإثبات جميل الفعل له ونفي كل نقص عنه تعالى ﴿قبل طلوع الشمس﴾ ينطبق على صلاة الفجر ﴿وقبل الغروب﴾ ينطبق على صلاة العصر أو عليها وعلى صلاة الظهر ﴿ومن الليل فسبحه﴾ ويقبل الانطباق على صلاتي المغرب والعشاء ﴿وأدبار السجود﴾ فينطبق على التعقيب بعد الصلوات وقيل النوافل وقيل غير ذلك. ٤١ ـ ٤٤ ـ ﴿واستمع﴾ بمعنى انتظر ﴿يوم ينادِ المناد﴾ وهو صاحب الصور ﴿من مكان قريب﴾ يحيط بهم، لأنه نداء البعث ﴿يوم يسمعون الصيحة بالحق﴾ فهي قضاء محتوم ﴿ذلك يوم الخروج﴾ من القبور ﴿إنا نحن نحيي﴾ في الحياة الدنيا ﴿ونميت﴾ فيها ﴿وإلينا المصير﴾ بالإحياء بالبعث في الآخرة ﴿يوم تشقق الأرض عنهم﴾ وتتصدع فيخرجون منها ﴿سراعاً﴾ إلى الداعي ﴿ذلك حشرٌ علينا يسير﴾ فجمعهم هيّن. ٤٥ ـ ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ فاصبر على إنكارهم ﴿وما أنت عليهم بجبار﴾ حتى تجبرهم على الإيمان بدعوتك ﴿فذكّر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ الله وإنذاره فيدعوه ذلك إلى الانصياع.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

سورة الذاريات

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: ١ ـ الدعوة إلى التوحيد. ٢ ـ تبشير وإنذار. ٣ ـ إثبات المعاد.

١ ـ ٤ ـ ﴿و﴾ أقسم بالرياح ﴿الذاريات﴾ للتراب ﴿ذروا﴾ تطير به ﴿فالحاملات وقرا﴾ وهي السحب المثقلة بالماء ﴿فالجاريات يسرا﴾ وهي السفن ﴿فالمقسمات أمرا﴾ قسم بعد قسم بالملائكة الذين يعملون بأمره تعالى فيقتسمون أعمال التدبير في العالم.

٥ ـ ٦ ـ ﴿إنما توعدون﴾ من البعث والحساب ﴿لصادق﴾ حق ﴿وإنّ الدين﴾ والجزاء ﴿لواقع﴾ لايتخلف.

وَٱلذَّٰرِيَـٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَـٰمِلَـٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَـٰرِيَـٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْمُقَسِّمَـٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾

٧ ـ ٩ ـ ﴿والسماء ذات الحبك﴾ وأقسم بالحبك أي الزينة، أو الخلق المستوي أو بمعنى الطريقة ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ ﴿إنّكم لفي قولٍ مختلف﴾ يدفع بعضه بعضاً ﴿يؤفك﴾ يصرف ﴿عنه﴾ أي عن القرآن ﴿من أفك﴾ وصرف.

١٠ ـ ١٤ ـ ﴿قتل الخرّاصون﴾ دعاء على القوالين من غير علم وهم الخائضون في أمر البعث ﴿الذين هم في غمرةٍ﴾ من الجهالة تحيط بهم ﴿ساهون﴾ غافلون عن حقيقة ماأخبروا به ﴿يسألون أيّان يوم الدين﴾ إن كنتم صادقين ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾ ويحرقون ويعذبون ﴿ذوقوا فتنتكم﴾ وعذابكم ﴿هذا الذي كنتم به تستعجلون﴾ وتستهزئون. والفتنة هي إدخال الذهب في النار لإزالة مايشوبه، وهم قد ملئوا كفراً.

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ
أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلْخَرَّصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾
يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟
فِتْنَتَكُمْ ۖ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ
وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ
﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ
﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ
لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ
وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ
تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾
إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ
أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ
﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ
﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ
﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

١٥ ـ ١٩ ـ ﴿إنَّ المتقين في جنّاتٍ وعيونٍ﴾ عظيمة القدر ﴿آخذين ماآتاهم ربّهم﴾ راضين به ﴿إنّهم كانوا قبل ذلك محسنين﴾ في الحياة الدنيا ﴿كانوا قليلاً من الليل مايهجعون﴾ فيقومون في الليل للصلاة في أكثر الليالي أو في أكثر كل ليلة ﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾ لذنوبهم ﴿وفي أموالهم﴾ هناك ﴿حقّ معلومٌ﴾ يرونه بصفاء فطرتهم فينفقون نشراً للرحمة وإيثاراً للحسنة ﴿للسائل﴾ الذي يظهر الفاقة ﴿والمحروم﴾ الذي حرم الرزق ولا يسأل تعففاً.

٢٠ ـ ٢٣ ـ ﴿وفي الأرض﴾ في البر والبحر والسهل والجبل والحيوان والنبات والعيون المتفجرة والمعادن وأشكال الطاقة ﴿آيات﴾ تدل بوحدة التدبير على وحدة الخالق ﴿للموقنين﴾ الموحدين الذين سلكوا الطريق السوي للمعرفة ﴿وفي أنفسكم﴾ آيات ظاهرة ﴿أفلا تبصرون﴾ تركيب أبدانكم وحواسكم وتبدلكم في الخلق ﴿وفي السماء﴾ ماء الغيث وهو ﴿رزقكم﴾ فيه تخرج أنواع الأغذية والمنافع ﴿وماتوعدون﴾ من جنات النعيم. ﴿فوربّ السماء والأرض إنّه﴾ أي ماذكرنا من الرزق ﴿لحق﴾ مقضي ثابت ﴿مثل ما أنكم تنطقون﴾ وتتكلمون.

٢٤ ـ ٢٨ ـ ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين﴾ من الملائكة ﴿إذ دخلوا عليه فقالوا﴾ نسلم عليك ﴿سلاماً﴾ ﴿قال سلامٌ﴾ جملة إسمية دالة على الثبوت فهي أحسن من تحيتهم ﴿قومٌ منكرون﴾ حكاية لقول إبراهيم في نفسه ﴿فراغ﴾ أي احتال للذهاب ﴿إلى أهله فجاء بعجل سمين﴾ مشوي، ﴿فقربه إليهم قال ألا تأكلون﴾ وهو يحسبهم بشراً ورأى أن أيديهم لاتصل إليه ﴿فأوجس منهم خيفة﴾ وأحس الخوف في نفسه لأن الأكل يدل على إعطاء الأمان للمضيف ﴿قالوا لاتخف وبشروه بغلام عليم﴾ هو إسماعيل أو إسحاق.

٢٩ ـ ٣٠ ـ ﴿فأقبلت امرأته في صرةٍ﴾ وضجة وصياح لمّا سمعت البشارة ﴿فصكّت وجهها﴾ أي لطمته ﴿وقالت عجوز عقيم﴾ فكيف ألد؟ ﴿قالوا كذلك قال ربك﴾ والأمر كما ذكر ﴿إنّه هو الحكيم﴾ لايريد مايريد إلا بحكمته ﴿العليم﴾ لايخفى عليه وجه الأمر.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾

٣١ ـ ﴿قال﴾ إبراهيم ﴿فما خطبكم﴾ والشأن الخطير الذي لكم ﴿أيها المرسلون﴾ من الملائكة. ٣٢ ـ ٣٤ ـ ﴿قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ هم قوم لوط ﴿لنرسل عليهم حجارة من طين﴾ متحجر ﴿مسومة﴾ معلمة ﴿عند ربك للمسرفين﴾ لإهلاكهم.

٣٥ ـ ﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين﴾ مقدمة لإهلاك المجرمين. ٣٦ ـ ﴿فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ وهم آل لوط ـ وامرأته ليست من آله الناجين ـ فجعلنا عالي أرضها سافلها. ٣٧ ـ ﴿وتركنا فيها آية﴾ دالة على ربوبيتنا ﴿للذين يخافون العذاب الأليم﴾ من الناس.

٣٨ ـ ﴿وفي موسى﴾ آية ﴿إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطانٍ مبين﴾ وحجج باهرة وآيات معجزة. ٣٩ ـ ﴿فتولى﴾ وأعرض ﴿بركنه﴾ أي بجنوده ﴿وقال ساحرٌ أو مجنون﴾ صرفاً للناس عنه. ٤٠ ـ ﴿فأخذناه وجنوده﴾ وهم ركنه ﴿فنبذناهم﴾ وطرحناهم ﴿في اليم وهو مليم﴾ يلام على فعله.

٤١ ـ ٤٢ ـ ﴿وفي عادٍ﴾ آية ﴿إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ التي لافائدة فيها إلا الإهلاك ﴿ما تذرُ من شيءٍ أتت عليه إلا جعلته كالرميم﴾ الهالك البالي.

٤٣ ـ ﴿وفي ثمود﴾ آية ﴿إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين﴾ وقد قال لهم نبيهم صالح ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام﴾ بعد أن عقروا الناقة ليرجعوا عن كفرهم.

٤٤ ـ ﴿فعتوا عن أمر ربهم﴾ وتمردوا عليه ﴿فأخذتهم الصاعقة﴾ أو الصيحة ﴿وهم ينظرون﴾ العذاب. ٤٥ ـ ﴿فما استطاعوا من قيام﴾ من مجلسهم أي أنهم لم يمهلوا ﴿وما كانوا منتصرين﴾ بناصر ينصرهم.

٤٦ ـ ﴿وقوم نوح﴾ أهلكناهم ﴿من قبل﴾ فهم آية ﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ عن أمر الله، فكل ماجاء به الرسل حق.

٤٧ ـ ﴿والسماء بنيناها بأيدٍ﴾ وقدرة ونعمة لايوصف قدرها ﴿وإنا لموسعون﴾ خلقها أونبسط رزق من نشاء كيف نشاء أو دلالة على توسع الكون كما أثبت العلم. ٤٨ ـ ﴿والأرض فرشناها﴾ وبسطناها ﴿فنعم الماهدون﴾ وقد مهدت وهي كروية. ٤٩ ـ ﴿ومن كل شيءٍ خلقنا زوجين﴾ كالذكر والأنثى ﴿لعلكم تذكرون﴾ أن خالقها واحد منزه عن الزوج والشريك. ٥٠ ـ ﴿ففروا إلى الله﴾ وانقطعوا إليه من الكفر وآمنوا به ﴿إني لكم منه نذيرٌ مبين﴾ من عذاب يحل بالمكذبين. ٥١ ـ ﴿ولاتجعلوا مع الله إلهاً آخر﴾ ولاتشركوا به ﴿إني لكم منه نذير مبين﴾ تأكيد للإنذار بعد أن انبسطت يد القدرة على كافة الخلق.

٥٢ ـ ٥٥ ـ ﴿كذلك ماأتى الذين من قبلهم من رسول﴾ يدعوهم إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده ويخرجهم من الظلمات إلى النور ﴿إلا قالوا ساحرٌ أو مجنون﴾ فهم يماثلون أسلافهم في الإنكار واختلاف القول ﴿أتواصوا به﴾ أفهل وصى السابق اللاحق؟ لا ﴿بل هم قومٌ طاغون﴾ متجاوزون الحد ﴿فتول عنهم﴾ لأنه لانفع يرتجى من جدالهم ﴿فما أنت بملوم﴾ وقد أتممت الحجة ﴿وذكر﴾ كما كنت تذكر ﴿فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ أما الطاغون فلا ينتفعون وقد جمعتهم علة الطغيان ولو اختلفت بهم الأزمان فتفكر.

٥٦ ـ ٥٨ ـ ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ فالغرض هو أن يعبدوا الله ليصلوا إلى الكمال ويحيهم حياة طيبة لأن الله غني عن عبادتهم وهو يهديهم لعبادته لينتفعوا هم بها. فالعبادة غرض لخلقة الإنسان، وكمال عائد إليه فحقيقة العبادة أن ينقطع العبد عن نفسه وعن كل شيء ويذكر ربه، وأن ينصب نفسه في مقام الذلة والعبودية ليسعد بذلك بدل أن يشقى إذا فقد هذا الكمال. ﴿ماأريد منهم من رزق﴾ يرزقون به عبادي الذين أرزقهم ﴿وما أريد أن يطعمون﴾ من شيء من الرزق ﴿إن الله هو الرزاق﴾ لكثرة من يرزقه ﴿ذو القوة﴾ العظيمة ﴿المتين﴾ القوي، فلا يأخذه تعالى ضعف في رزق المرتزقين. وشأنه تعالى مع عباده ليس كشأن الأمراء الذين يحتاجون إلى مأموريهم فيستذلونهم.

كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

سُورَةُ الطُّورِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾

٥٩ ـ ﴿فإن للذين ظلموا﴾ الذين لايعبدون الله ﴿ذَنوباً مثل ذَنوب أصحابهم﴾ نصيباً من العذاب مثل نصيب الأمم الهالكة ﴿فلا يستعجلون﴾ فسيحل بهم العذاب، فلايقولوا متى هذا الوعد إن كنتم صادقين.

٦٠ ـ ﴿فويلٌ﴾ وهلاك ﴿للذين كفروا﴾ وحملوا الكثير من الذنوب ﴿من يومهم الذي يوعدون﴾ وهو يوم القيامة.

سورة الطور

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: إنذار المكذبين المعاندين، وصف العذاب، وصف النعيم للمتقين.

١ ـ ١٠ ـ ﴿والطور﴾ قسم بجبل الطور الذي كلم الله تعالى عليه موسى ﴿وكتابٍ مسطور﴾ قيل هو التوراة وقيل غير ذلك ﴿في رقٍ﴾ وهو مايكتب فيه ﴿منشور﴾ مبسوط ومفرق ﴿والبيت المعمور﴾ وهو الكعبة ﴿والسقف المرفوع﴾ وهو السماء ﴿والبحر المسجور﴾ المسعر بالنار ﴿إن عذاب ربك لواقع﴾ يوم القيامة ﴿ماله من دافع﴾ فهو قضاء محتوم ﴿يوم تمور السماء موراً﴾ كما يتردد الدخان ثم يضمحل ﴿وتسير الجبال سيراً﴾ إن زلزلة الساعة شيءٌ عظيم. وقد جاء في الحديث: وقد تحمى البحار يوم القيامة فتجعل نيراناً ثم تفجر بعضها في بعض ثم تفجر إلى النار.

١١ ـ ١٤ ـ ﴿فويلٌ يومئذٍ للمكذبين﴾ لأنهم معذبون ﴿الذين هم في خوض﴾ ودخول في باطل القول ﴿يلعبون﴾ واللعب كل فعل لايستتبع أثراً ﴿يوم يدعَون إلى نار جهنم دعّاً﴾ ودفعاً شديداً ﴿هذه النار التي كنتم بها تكذبون﴾ وهي مصداق ماأخبر به الأنبياء.

١٥ ـ ﴿أسحرٌ هذا﴾ الجحيم ﴿أم أنتم لاتبصرون﴾ بل هي حق وليست أمراً خرافياً كما كنتم تتفوهون. ١٦ ـ ﴿اصلوها﴾ وقاسوا حرارتها ﴿فاصبروا أو لاتصبروا﴾ فلا رافع لعذابها ويتساوى الفعل وعدمه ﴿سواءٌ عليكم﴾ الصبر أو الجزع ﴿إنما تجزون ماكنتم تعملون﴾ فلا تسلب نسبة العمل عن عامله.

١٧ ـ ٢٠ ـ ﴿إن المتقين في جناتٍ﴾ تسترهم الأشجار ﴿ونعيم﴾ كثير ﴿فاكهين﴾ يتلذذون ﴿بما آتاهم ربهم﴾ من النعم ﴿ووقاهم ربهم عذاب الجحيم﴾ عناية منه تعالى بهم ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون﴾ من الصالحات ﴿متكئين﴾ معتمدين ﴿على سررٍ مصفوفة﴾ ونمارق ﴿وزوجناهم﴾ وقرناهم ﴿بحورٍ عين﴾ واسعات العيون.

٢١ ـ ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان﴾ يقصر عن إيمانهم ﴿ألحقنا بهم ذريتهم﴾ لتقر عينهم ﴿وما التناهم﴾ أي ماأنقصناهم ﴿من عملهم من شيء﴾ بإلحاق ذريتهم بهم ﴿كل امرئٍ بما كسب رهين﴾ فالمرء رهن مقبوض ومحفوظ عند الله سبحانه بما كسب من خير أو شر حتى يوفيه جزاء عمله الجزاء الأوفى.

٢٢ ـ ٢٤ ـ ﴿وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون﴾ بيان لبعض تمتعاتهم ولذائذهم ﴿يتنازعون فيها كأساً﴾ يجتمعون على تناولها ﴿لا لغوٌ فيها﴾ كقول شاربي الخمر في الدنيا ﴿ولا تأثيم﴾ يصاحبهم من شربها ﴿ويطوف عليهم غلمان لهم﴾ للخدمة ﴿كأنهم لؤلؤٌ مكنون﴾ مخزون في الحسن والصباحة.

٢٥ ـ ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ عن أحوالهم في الدنيا. ٢٦ ـ ﴿قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين﴾ نعتني بسعادتهم ونجاتهم من الهلكة، وندعوهم إلى الدين الحق. ٢٧ ـ ﴿فمنّ الله علينا﴾ والمن هو النعمة الثقيلة ويكون بالفعل وهو حسن، وبالقول وهو قبيح من غيره تعالى ﴿ووقانا عذاب السموم﴾ الحار الذي يدخل البدن. ٢٨ ـ ﴿إنا كنا من قبل ندعوه﴾ بتوحيده وطاعته ﴿إنه هو البر الرحيم﴾ يحسن لمن دعاه ويرحمه.

٢٩ ـ ﴿فذكر﴾ بالحق ﴿فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون﴾ فنعمة الله تنفي عنك ذلك.

٣٠ ـ ﴿أم﴾ بمعنى بل ﴿يقولون شاعرٌ نتربص﴾ أي ننتظر أن يحل ﴿به ريب المنون﴾ واضطراب الموت.

٣١ ـ ﴿قل﴾ تهديداً لهم ﴿تربصوا فإني معكم من المتربصين﴾ أنتظر هلاككم.

أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾

٣٢ ـ ﴿أم﴾ بمعنى بل ﴿تأمرهم أحلامهم﴾ وعقولهم ﴿بهذا﴾ القول بالتربص ﴿أم هم قومٌ طاغون﴾ بل هم متجاوزون الحد، فقد كان شيوخ قريش يلقبون بذوي الحلوم لرجاحة عقولهم وحكمتهم بتصريف الأمور. ٣٣ ـ ﴿أم﴾ أي بل ﴿يقولون تقوله﴾ وافتعله ونسبه إلى الله، لا ﴿بل لايؤمنون﴾ فيرمونه بهذه الفرية. ٣٤ ـ ﴿فليأتوا بحديثٍ مثله إن كانوا صادقين﴾ فلو كان كلاماً بشرياً لكان لهم أن يأتوا بمثله وهذا تحدٍ لهم وتعجيز.

٣٥ ـ ﴿أم خلقوا من غير شيء﴾ أي من طينة غير طينة البشر ﴿أم هم الخالقون﴾ لأنفسهم. ٣٦ ـ ﴿أم خلقوا السموات والأرض﴾ حتى يكونوا أرباباً ويستنكفوا عن أن يعبدوا ﴿بل لايوقنون﴾ بالحق. ٣٧ ـ ﴿أم عندهم خزائن ربك﴾ حتى يتصرفوا في النبوة ﴿أم هم المصيطرون﴾ الغالبون على الله حتى يسلبوا عنك النبوة التي رزقكها. ٣٨ ـ ﴿أم لهم سلم يستمعون فيه﴾ الوحي ﴿فليأت مستمعهم بسلطانٍ مبين﴾ وحجة ظاهرة. ٣٩ ـ ﴿أم له البنات ولكم البنون﴾ كما يقولون. ٤٠ ـ ﴿أم تسألهم أجراً﴾ على تبليغ الرسالة ﴿فهم من مغرمٍ مثقلون﴾ بتحمل الأجر. ٤١ ـ ﴿أم عندهم الغيب فهم يكتبون﴾ اللوح المحفوظ. ٤٢ ـ ﴿أم يريدون كيداً﴾ فيمكرون مكراً بالنبي ﷺ برميه بالكهانة والشعر والتقول ﴿فالذين كفروا هم المكيدون﴾ فمكرهم عائد على أنفسهم. ٤٣ ـ ﴿أم لهم إلهٌ غير الله﴾ يدبر أمرهم ﴿سبحان الله عما يشركون﴾ تنزيهاً له عن شركهم.

٤٤ ـ ﴿وإن يروا كسفاً﴾ قطعاً ﴿من السماء ساقطاً﴾ عليهم ﴿يقولوا سحابٌ مركوم﴾ متراكم وليس من العذاب في شيء، فهم مكابرون معاندون وقد وضحت الشمس لذي عينين، وهم فاقدون للوازم الخلق والربو بيه من الحجج الآنفة الذكر.

٤٥ ـ ﴿فذرهم﴾ اتركهم ﴿حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون﴾ ويموتون. ٤٦ ـ ﴿يوم لايغني عنهم كيدهم شيئاً ولا هم ينصرون﴾ فلن يفيدهم كيدهم ولاجمعهم ولاناصر ينصرهم في هذا اليوم وهو يوم نفخ الصور. ٤٧ ـ ﴿وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك﴾ ربما يكون عذاب القبر ﴿ولكن أكثرهم لايعلمون﴾ ففيهم من يعلم ذلك ويكذبه.

٤٨ ـ ﴿واصبر لحكم ربك﴾ وتحمل الأذى في سبيله ﴿فإنك بأعيننا﴾ لايخفى علينا حالك. ٤٨ ـ ﴿وسبح بحمد ربك﴾ ونزهه مع الثناء عليه ﴿حين تقوم﴾ من المجلس أو لصلاة الظهر أو غير ذلك كما قيل ﴿ومن الليل فسبحه﴾ تعالى، والمراد به صلاة الليل ﴿وإدبار النجوم﴾ وهو وقت اختفائها بضوء الصبح، والمراد بذلك الركعتان قبل فريضة الصبح. والمعنى داوم على تسبيحه تعالى على جميل فعاله وكريم صفاته.

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

سُورَةُ الْبَحْرِ

سورة النجم

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: التذكير بالأصول الثلاثة: التوحيد والنبوة والمعاد. ١ ـ ١٠ ـ ﴿والنجم إذا هوى﴾ وسقط للغروب ﴿ماضل صاحبكم﴾ ولم يخرج عن الصراط ﴿وما غوى﴾ ولايخطىء في اعتقاده ورأيه وطريقه ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ ـ هوى النفس ـ ﴿إن هو﴾ أي القرآن ﴿إلا وحيٌ يوحى﴾ من الله ﴿علمه﴾ للنبي ﷺ أو للقرآن ﴿شديد القوى﴾ قيل هو جبريل أو الله سبحانه، ﴿ذو مرّة﴾ أي شدة أو حصافة أو مروراً بالنبي ﴿فاستوى﴾ جبريل واستقام على صورته الأصلية التي خلق عليها ﴿وهو﴾ أي النبي ﷺ أو جبريل ﴿بالأفق الأعلى﴾ ناحية الشرق من السماء ﴿ثم دنا﴾ جبريل ﴿فتدلى﴾ وتعلق بالنبي ﷺ ليعرج به إلى السماوات أو أن النبي دنى من ساحة القرب من الله، ﴿فكان قاب﴾ أي قدر ﴿قوسين﴾ أو ذراعين ﴿أو أدنى﴾ من ذلك ﴿فأوحى﴾ الله ﴿إلى عبده﴾ محمد ﷺ ﴿ما أوحى﴾ من الأوامر أو التكاليف أو غير ذلك. ١١ ـ ١٨ ـ ﴿ماكذب الفؤاد﴾ فؤاد النبي ﴿مارأى﴾ فرؤياه صادقة ﴿أفتمارونه﴾ وتجادلونه ﴿على مايرى﴾ ولامجال فيه للمماراة ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ فمحمد ﷺ رأى جبريل رؤية قلبية مرة ثانية ﴿عند سدرة المنتهى﴾ لعل المراد بها منتهى السماوات ﴿عندها جنة المأوى﴾ التي يأوي إليها المؤمنون ﴿إذ يغشى السدرة﴾ أي يحيط بها ﴿مايغشى﴾ ويحيط ﴿مازاغ البصر﴾ ولا مال عن الاستقامة ﴿وما طغى﴾ بإدراك مالاحقيقة له، والمراد إبصار النبي ﷺ بقلبه لا بجارحته، ﴿لقد رأى﴾ البعض ﴿من آيات ربه الكبرى﴾ فشاهد ـ ﷺ ـ ربه بقلبه وفي الدر المنثور عن بعض أصحاب النبي ﷺ قالوا: يارسول الله هل رأيت ربك؟ قال: «لم أره بعيني ورأيته بفؤادي مرتين ثم تلى ﴿ثم دنا فتدلى﴾». ١٩ ـ ٢٣ ـ ﴿أفرأيتم﴾ أي أخبروني عن ﴿اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ وهي تماثيل لشفعائهم من الملائكة ـ بنات الله بزعمهم ـ ﴿ألكم الذكر﴾ من الأولاد ﴿وله الأنثى﴾ من الملائكة ﴿تلك إذاً قسمة ضيزى﴾ جائرة ﴿إن هي إلا أسماءٌ سميتموها أنتم وآباؤكم﴾ وهي ليست آلهة ﴿ما أنزل الله بها من سلطان﴾ يدل على ربوبيتها؛ إذ لابرهان على ذلك ﴿إن يتبعون إلا الظن﴾ في أمر آلهتهم ﴿وما تهوى الأنفس﴾ من الشهوة ﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ وهو الدعوة الحقة أو القرآن الحق. ٢٤ ـ ٢٥ ـ ﴿أم للإنسان ماتمنى﴾ ولا يُملك شيء بالتمني فالحق حق والواقع واقع، وهوى النفس ومناها لايغيران الحقائق ﴿فلله الآخرة والأولى﴾ ولا شريك له سبحانه في ملكه. ٢٦ ـ ﴿وكم من مَلَكٍ في السموات لاتغني شفاعتهم شيئاً﴾ فلا يملكون ذلك من أنفسهم ﴿إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء﴾ من الملائكة ﴿ويرضى﴾ بشفاعته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾

٢٧ ـ ٢٨ ـ ﴿إن الذين لايؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى﴾ رد لقول المشركين بأنوثة الملائكة؛ وأنه يستتبع شديد العقوبة ﴿وما لهم به﴾ بقولهم هذا ﴿من علم إن يتبعون إلا الظن﴾ توهماً دون اعتقادٍ راجحٍ ﴿وإن الظن لايغني من الحق شيئاً﴾ والحق هو ماهو عليه الشيء، ولا يدرك إلا بالعلم، والعلم هو الاعتقاد المانع من النقيض. وفي المجمع عن الصادق أنه قال: إن محمداً ﷺ نزل من السماء السابعة ليلة المعراج، ولما نزلت السورة أخبر بذلك عتبة بن أبي لهب، فجاء إلى النبي ﷺ وطلق ابنته وتفل في وجهه وقال: كفرت بالنجم ورب النجم، فدعا ﷺ عليه وقال: «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك». فخرج عتبة إلى الشام فنزل في بعض الطريق وألقى الله عليه الرعب فقال لأصحابه: أنيموني بينكم ليلاً ففعلوا فجاء أسد فافترسه من بين الناس.

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾

٢٩ ـ ٣٠ ـ ﴿فأعرض عن من تولى عن ذكرنا﴾ وهو القرآن أو ذكر الله وترك العلم وعمل بالظن ﴿ولم يرد إلا الحياة الدنيا﴾ وما تهوى الأنفس ﴿ذلك مبلغهم من العلم﴾ فعلمهم لايتجاوز الدنيا ﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله﴾ بجعل الدنيا مبلغ همه ﴿وهو أعلم بمن اهتدى﴾ إلى سائر الحقائق في المبدأ والمعاد. ٣١ ـ ٣٢ ـ ﴿ولله مافي السموات وما في الأرض﴾ فهو أعلم بالفريقين وهو المدبر لأمرهم ﴿ليجزي الذين أساءوا بما عملوا﴾ من المعاصي ﴿ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾ وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان. ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش﴾ وهي ماأوعد الله عليه النار؛ وقد عد تعالى الزنا واللواط من الفواحش ﴿إلا اللمم﴾ وهي المعصية حيناً بعد حين اتفاقاً أي عرضاً من غير عادة ﴿إن ربك واسع المغفرة﴾ فتوبوا طمعاً بالمغفرة ﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض﴾ طوراً بعد طور ﴿وإذ أنتم أجنةٌ في بطون أمهاتكم﴾ يعلم حالكم ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ بنسبتها إلى الطهارة ﴿هو أعلم بمن اتقى﴾ وتلبس العبودية. ٣٣ ـ ٤٢ ـ ﴿أفرأيت الذي تولى﴾ وأعرض عن الإنفاق ﴿وأعطى قليلاً وأكدى﴾ وأمسك أشد الإمساك ﴿أعنده علم الغيب فهو يرى﴾ أنه لو داوم على الإنفاق نفد ماله ﴿أم لم ينبأ بما في صحف موسى﴾ وهي التوراة ﴿وإبراهيم الذي وفى﴾ حق العبودية بتمامه وكماله. وقد جاء في هذه الصحف: ﴿ألا تزر وازرة﴾ أي نفس حاملة للإثم ﴿وزر﴾ أي ثقل ﴿أخرى﴾ غيرها، ﴿وأن ليس للإنسان﴾ ملكاً ينتفع به ﴿إلا ماسعى﴾ وجدّ فكل مايراه الإنسان مملوكاً لنفسه هو ملك اعتباري، يصاحب الإنسان مادام في دار الغرور ويودعه عند الانتقال إلى دار الخلود؛ فلله الربوبية المطلقة ﴿وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾ ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يره﴾. ﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾ ﴿إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم﴾. ٤٣ ـ ٤٤ ـ ﴿وأنه هو أضحك وأبكى﴾ بإيجاد الضحك في الضاحك والبكاء في الباكي، فنسبة الفعل إلى الإنسان هي بقيامه به، ونسبة الفعل إليه تعالى بالإيجاد، وكم بينهما من كبير فرق ﴿وأنه هو أمات وأحيا﴾ ولو توسطت الأسباب في ذلك.

٤٥ ـ ٤٦ ـ ﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفةٍ إذا تمنى﴾ وتصب.

٤٧ ـ ﴿وأن عليه النشأة الأخرى﴾ فالآخرة قضاء حتم.

٤٨ ـ ٤٩ ـ ﴿وأنه هو أغنى﴾ أي أعطى الغنى ﴿وأقنى﴾ أي أعطى مايدوم من الأموال كالدار والبستان ﴿وأنه هو رب الشعرى﴾ اليمانية وهي نجم مضيء أثقل من الشمس بعشرين مرة ونوره أقوى من الشمس بخمسين مرة وبعده مليون مرة ضعف الشمس.

٥٠ ـ ٥٤ ـ ﴿وأنه أهلك عاداً الأولى﴾ وهم قوم هود النبي عليه السلام ﴿وثمود﴾ قوم صالح ﴿فما أبقى﴾ أحداً منهم ـ من الكفار ـ ﴿وقوم نوح من قبل﴾ عاد ﴿إنهم كانوا هم أظلم وأطغى﴾ من عاد وثمود ﴿والمؤتفكة﴾ وهي قرى قوم لوط ﴿أهوى﴾ أسقطها بقلبها ﴿فغشاها ماغشى﴾ وأحاط من العذاب. لقد قلبوا الفطرة فنكس الله عليهم أرضهم وجعل عاليها سافلها.

٥٥ ـ ٦٢ ـ ﴿فبأي آلاء﴾ ونعم ﴿ربك تتمارى﴾ وتشكك وهو الذي نظم هذا النظام البديع من صنع وتدبير ﴿هذا نذيرٌ من النذر الأولى﴾ وهذا القرآن منذر لمن يخشى ﴿أزفت الآزفة﴾ اقتربت القيامة ﴿ليس لها من دون الله كاشفة﴾ مزيلة ﴿أفمن هذا الحديث﴾ الذي يدعوكم إلى النجاة ﴿تعجبون﴾ إنكاراً ﴿وتضحكون﴾ استهزاء ﴿ولا تبكون وأنتم سامدون﴾ لاهون ﴿فاسجدوا لله﴾ تعالى ﴿واعبدوا﴾ ليكشف عنكم العذاب وقد مضت سنة الأولين.

وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴿٦٢﴾

سورة القمر

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: الإنذار والتخويف، بيان عاقبة المكذبين، زفُّ البشرى للمتقين.

١ ـ ٥ ـ ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ إلى فرقتين؛ آية أجراها الله تعالى على يد النبي محمد ﷺ بمكة إثر سؤال المشركين ﴿وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحرٌ مستمر﴾ مطرد ﴿وكذبوا﴾ بالنبي ﷺ وما أتى به ﴿واتبعوا أهواءهم﴾ بغير علم ﴿وكل أمر مستقر﴾ ثابت يعلم أنه حق أو باطل ﴿ولقد جاءهم من الأنباء﴾ عن الأمم الهالكة أو عن يوم القيامة ﴿مافيه مزدجرٌ﴾ متعظ ﴿حكمةٌ﴾ ينتفع بما فيها من الحق ﴿بالغةٌ﴾ تصل إلى كمال الغاية ﴿فما تغن النذر﴾ أي المنذرون أو الإنذارات، فالآيات إنما يستفيد بها الذي يؤمن بها أما الكافرون فقلوبهم جاحدة.

٦ ـ ﴿فتول عنهم﴾ أي أعرض ﴿يوم يدع الداع إلى شيء نكر﴾ وداهية من الأمر، هو يوم القيامة.

سُورَةُ القَمَرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾

٧ ـ ﴿خشعاً أبصارهم﴾ لذلتها ﴿يخرجون من الأجداث﴾ أي القبور ﴿كأنهم جراد منتشر﴾ إلى جهات مختلفة. ٨ ـ ﴿مهطعين إلى الداع﴾ مستجيبين دعوته ﴿يقول الكافرون هذا يومٌ عسرٌ﴾ شديد الصعوبة.

٩ ـ ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾ بالرسل ﴿فكذبوا عبدنا﴾ نوحاً (ع) ﴿وقالوا مجنون وازدجر﴾ والازدجار هو زجر الجن له إثر الجنون.

١٠ ـ ﴿فدعا ربه أني مغلوب﴾ بالقهر ـ لابالحجة ـ ﴿فانتصر﴾ وانتقم.

١١ ـ ﴿ففتحنا أبواب السماء بماءٍ منهمر﴾ منصب بشدة.

١٢ ـ ﴿وفجرنا الأرض عيوناً﴾ تجري تباعاً ﴿فالتقى الماء﴾ ـ ماء الأرض وماء السماء ـ ﴿على أمرٍ قد قدر﴾ حسب كماً وزمناً وهو الطوفان.

خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

١٣ ـ ﴿وحملناه على﴾ سفينة ﴿ذات ألواح ودسر﴾ أي أخشاب ومسامير.

١٤ ـ ﴿تجري بأعيننا﴾ وحفظنا ليكون ذلك الطوفان ﴿جزاء لمن كان كفر﴾ ولم يبق على الأرض من الكافرين ديارا.

١٥ ـ ﴿ولقد تركناها﴾ ـ أي السفينة ـ ﴿آية﴾ للقرون من بعدهم دالة على الطوفان ﴿فهل من مدكر﴾ بتذكر وحدانيته وأحقية رسله وقد أبقى الله السفينة؟ وقيل أنه عثر عليها في بعض مناطق جبل آرارات.

١٦ ـ ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ في الهول العذاب ويا لصدق الإنذار ﴿مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً﴾.

١٧ ـ ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾ على نحو يسهل فهم مقاصده ﴿فهل من مدكر﴾ يتذكر به ويؤمن بالحق.

١٨ ـ ٢١ ـ ﴿كذبت عادٌ﴾ بالرسل ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ فكل قصة تعد كافية في الردع والعظة ﴿إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً﴾ شديدة الهبوب ﴿في يوم نحسٍ﴾ وشؤم ﴿مستمرٍ﴾ لانجاة منها ﴿تنزع الناس﴾ من الأرض ﴿كأنهم أعجاز﴾ أسفال ﴿نخل منقعر﴾ مقلوع ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ وقد اشتد العذاب وحق الإنذار ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ معتبر.

٢٢ ـ ٢٥ ـ ﴿كذبت ثمود بالنذر﴾ والتكذيب بنبي هو تكذيب بالجميع ﴿فقالوا أبشراً منا واحداً﴾ لاعدة له ﴿نتبعه إنا إذا لفي ضلالٍ﴾ عجيب ﴿وسعر﴾ وجنون. ﴿أألقي الذكر عليه من بيننا﴾ واختص بالوحي؟ ﴿بل هو كذابٌ أشرٌ﴾ شديد البطر والتكبر فلو جاز أن ينزل الوحي على بشر لجاز أن ينزل على الجميع.

٢٦ ـ ﴿سيعلمون غداً من الكذاب الأشر﴾ هم أو صالح (ع).

٢٧ ـ ﴿إنا مرسلو الناقة فتنة لهم﴾ واختباراً ﴿فارتقبهم﴾ انتظرهم ﴿واصطبر﴾ على أذاهم.

٢٨ ـ ٣٢ ـ ﴿ونبئهم أن الماء قسمةٌ بينهم﴾ أي بين القوم والناقة ﴿كل شربٍ محتضرٌ﴾ أي يحضر صاحب النصيب عند شربه ﴿فنادوا صاحبهم﴾ عاقر الناقة ﴿فتعاطى﴾ قام على أطراف أصابع رجليه ورفع يديه إليها فتناول عقرها ﴿فعقر﴾ وقتلها بضرب قوائمها ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ وماذا حل بهم عندها ﴿إنا أرسلنا عليهم صيحةً واحدةً فكانوا كهشيم المحتظر﴾ أي صاحب الحظيرة ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكرٍ﴾ يعتبر.

٣٣ ـ ٤٠ ـ ﴿كذبت قوم لوط بالنذر﴾ المرسلين ﴿إنا أرسلنا عليهم﴾ ريحاً ﴿حاصباً﴾ تحمل الحصباء والحجارة ﴿إلا آل لوطٍ نجيناهم بسحر﴾ قبل الفجر ﴿نعمةً من عندنا﴾ نخصهم بها ﴿كذلك نجزي من شكر﴾ فالنجاة جزاء الشكر ﴿ولقد أنذرهم بطشتنا﴾ أي أخذنا الشديد لهم ﴿فتماروا﴾ أي جادلوا ﴿بالنذر﴾ والتخويف ﴿ولقد راودوه عن ضيفه﴾ وقد هاج سعارهم الشاذ فطلبوا أن يسلم إليهم أضيافه وهم الملائكة ﴿فطمسنا أعينهم﴾ ومحوناها كما طمسوا الفطرة ﴿فذوقوا عذابي ونذر﴾ وقد حل بهم الهلاك ﴿ولقد صبحهم بكرةً﴾ أي غدوة ﴿عذابٌ مستقر﴾ لا يتخلف عنهم، بعد أن طمست أعينهم ﴿فذوقوا عذابي ونذر﴾ وقد حل بكم ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكرٍ﴾ أي أنكم كالذين اتخذوا هذا القرآن مهجوراً وهو يذكر بمصارع المكذبين وما أنتم بمفازة.

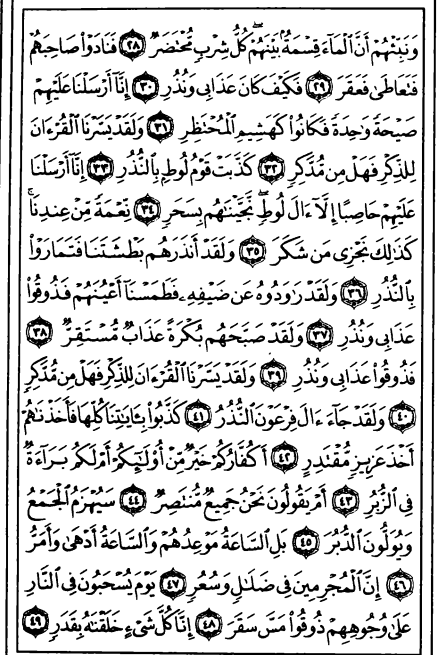
وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

٤١ ـ ٤٢ ـ ﴿ولقد جاء آل فرعون النذر﴾ والرسل ﴿كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيزٍ﴾ لايغلب ﴿مقتدرٍ﴾ له القدرة.

٤٣ ـ ٤٥ ـ ﴿أكفاركم﴾ من قوم النبي ﴿خيرٌ﴾ في حظهم من الدنيا ﴿من أولئكم﴾ من الأمم الهالكة ﴿أم لكم براءةٌ﴾ وأمن من العذاب ﴿في الزبر﴾ أي الكتب السماوية ﴿أم يقولون﴾ وملة الكفر واحدة ﴿نحن جميعٌ منتصرٌ﴾ ننتقم ممن أرادنا بسوء وننتاصر عليه وهم يرون جمعهم فتعجبهم قوتهم ﴿سيهزم الجمع﴾ الذي يتبجحون به ﴿ويولون الدبر﴾ ويفرون وقد وقع ذلك في غزوة بدر.

٤٦ ـ ٤٨ ـ ﴿بل الساعة موعدهم﴾ وليس الانهزام ﴿والساعة أدهى﴾ وأشد بلاء ﴿وأمر﴾ من كل مر ﴿إن المجرمين في ضلالٍ﴾ عن موطن السعادة ﴿وسعرٍ﴾ ونيران مسعرة ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم﴾ ذلة وهواناً يقال لهم ﴿ذوقوا مس سقر﴾ اصلوا حرها وعذابها.

٤٩ ـ ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ لايتعداه لازيادة ولانقصاناً، فالله خلق عباده وهداهم لعبادته وفيها سعادة في دنياهم وكمال السعادة في آخرتهم؛ فمن كمال التدبير إثابة المحسن ومعاقبة المسيء.

٥٠ ـ ﴿وما أمرنا﴾ بالساعة والقيامة ﴿إلا واحدة﴾ بلا تكرار ﴿كلمح بالبصر﴾ كن فيكون.

٥١ ـ ٥٣ ـ ﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾ وأمثالكم من الأمم الماضية ﴿فهل من مدكر﴾ يتذكر ﴿وكل شيء فعلوه﴾ مكتوب ﴿في الزبر﴾ وهي كتب الأعمال ﴿وكل صغير﴾ من الأعمال ﴿وكبير مستطر﴾ ذو شأن كبير منها.

٥٤ـ٥٥ ـ ﴿إن المتقين في جنات﴾ عظيمة ﴿ونهر﴾ أي سعة أو أنهار ﴿في مقعد﴾ ومجلس ﴿صدق عند مليك﴾ مالك ﴿مقتدر﴾ عظيم القدرة.

سورة الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾

سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾

غرض السورة: إظهار خلق السموات والأرض، النظام النافع للإنس والجن، انقسام العالم إلى دنيا وآخرة، إظهار أن كل مافي الكون من نعمه تعالى.

١ ـ ٤ ـ ﴿الرحمن﴾ كثير الرحمة يبذل النعم ﴿علم﴾ الإنس والجن ﴿القرآن﴾ وهو أعظم النعم لأنه يتضمن نهج السعادة وقد قدم تعالى نعمة الدين لأنها كبرى النعم ﴿خلق الإنسان﴾ وخط له طريق الكمال ﴿علمه البيان﴾ فالكلام من أعجب وأعظم النعم ولابيان بلا كلام.

٥ ـ ٦ ـ ﴿الشمس والقمر﴾ يجريان ﴿بحسبان﴾ وقدر محسوب ﴿والنجم﴾ أي ماينجم من النبات من الأرض ولاساق له ﴿والشجر﴾ ماله ساق من النبات ﴿يسجدان﴾ فهما خاضعان خضوعاً تكوينياً لخالقهما فالجذور تضرب في الأرض لتجذب المواد الممتصة، وهذا سجود له تعالى، أو السجود هو الانقياد للأمر الإلهي.

٧ ـ ٩ ـ ﴿والسماء رفعها﴾ بخلقها مرفوعة ﴿ووضع الميزان﴾ لتمييز الحق من الباطل، ليقوم الناس بالقسط. ﴿ألا تطغوا في الميزان﴾ واسلكوا حق العدل. ﴿وأقيموا الوزن بالقسط﴾ لتعتدل حركة الحياة ﴿ولا تخسروا الميزان﴾ هو أقوم.

١٠ ـ ١٢ ـ ﴿والأرض وضعها للأنام﴾ أي للناس ﴿فيها فاكهة﴾ مثمرة ﴿والنخل ذات الأكمام﴾ والكم هو وعاء الثمر وهو الطلع ﴿والحب﴾ وهو مايقتات به ﴿ذو العصف﴾ أي الغلاف ﴿والريحان﴾ الطيب الرائحة.

١٣ ـ ﴿فبأي آلاء﴾ جمع إلىٰ بمعنى النعمة ﴿ربكما تكذبان﴾ أيها الإنس والجان.

١٤ ـ ١٦ ـ ﴿خلق الإنسان من صلصال﴾ أي طين يابس يتردد منه الصوت إذا وطىء ﴿كالفخار﴾ أي كالخزف ﴿وخلق الجان من مارج﴾ من لهب خالص ﴿من نار﴾ بيان لمارج ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ خطاب للثقلين.

١٧ ـ ١٨ ـ ﴿رب المشرقين﴾ مشرق الصيف ومشرق الشتاء ﴿ورب المغربين﴾ وقيل المراد بالمثنى الشمس والقمر ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ ففي كمال نظام حركة الأجرام السماوية مايبهر.

١٩ ـ ٢٥ ـ ﴿مرج﴾ خلط ﴿البحرين يلتقيان﴾ هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج ﴿بينهما برزخ﴾ أي حاجز ﴿لايبغيان﴾ وهذا الحاجز هو المخازن الأرضية التي تمد البحر المالح بالماء العذب والبحر يمد بالماء العذب السحب التي تحمل الماء العذب المتبخر من البحر ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ وقد حفظ وجودكم بهذه النعم ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ وذلك من فوائدهما للإنسان ﴿وله الجوار﴾ أي السفن ﴿المنشآت في البحر كالأعلام﴾ أي كالجبال وقد أنعم الله تعالى على الإنسان بأن ألهمه طريقة صنعها والاستفادة منها ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ وهو رب الأسباب العاملة في الجوار المسخرة لكم.

رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾

٢٦ ـ ٣٠ ـ ﴿كل من عليها﴾ كل ذي شعور وعقل على الأرض ﴿فانٍ﴾ زائل ﴿ويبقى وجه ربك﴾ دون أن يؤثر فناؤهم فيه أو يغير منه شيئاً لعزته. والوجه مايستقبل به الشيء غيره، وهو صفاته الكريمة التي تنزّل البركات ﴿ذو الجلال﴾ والعلو والعظمة والكبرياء والعزة والغلبة ﴿والإكرام﴾ ـ من صفات البهاء والحسن ـ كالعلم والقدرة والحياة والرحمة والجود والجمال ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ وله أسماء الجلال والجمال ﴿يسأله من في السموات والأرض﴾ لفقرهم إليه، وهو وحده الذي يستجيب وقاصده لايخيب ﴿كل يوم هو في شأن﴾ غير سابقه ولاحقه فلا يتكرر فعله لأنه بديع السموات والأرض ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ وهو محيط في مقام الفعل على الأشياء، في كل زمان ومكان وليس في زمان وليس في مكان.

٣١ ـ ٤٠ ـ ﴿سنفرغ لكم﴾ ونقصر الاشتغال على بعثكم ومجازاتكم ﴿أيها الثقلان﴾ من الإنس والجان؛ إنذار رهيب منه تعالى ليرعوي عن الغي من سلكه ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ وهو الذي سيطوي بساط النشأة الأولى ويجازيكم دون انحصار قدرته بذلك ﴿يامعشر الجن والإنس﴾ قدم الجن لسرعة حركتهم ﴿إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض﴾ للخروج من ملك الله والتخلص من مؤاخذته ﴿فانفذوا﴾ وفروا ﴿لاتنفذون إلا بسلطان﴾ وقدرة وجودية؛ وليست لكم هذه القدرة الوجودية وليس لكم من سلطان في حجة أو برهان أو ملك ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ مع أنه لاسبيل لكم إلى التخلص من حكمه تعالى فيكم. ﴿يرسل عليكما شواظ من نار﴾ وحميم ﴿ونحاس﴾ أي دخان ﴿فلا تنتصران﴾ ولا يرفع بعضكم البلاء عن بعض ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ ولا سبيل لكم للتخلص من العناء لسقوط تأثير الأسباب ـ ولا عاصم من الله ـ ﴿فإذا انشقت السماء فكانت وردةً كالدهان﴾ أي كالأديم الأحمر ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ وقد ظهرت علائم القهر الإلهي ﴿فيومئذٍ﴾ يوم القيامة ﴿لايسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد

أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ وفي هذا مواقف مختلفة منها شهادة الأعضاء. ٤١ ـ ٤٥ ـ ﴿يعرف المجرمون بسيماهم﴾ وعلاماتهم البارزة في وجوههم ﴿فيؤخذ بالنواصي﴾ وهي شعر مقدم الرأس ﴿والأقدام﴾ ويلقى بهم في النار ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ وهذا مصيرهم ﴿هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون﴾ من قومك ـ يامحمد ـ فسيردونها فليهن عليك أمرهم ـ على ماقيل ـ ﴿يطوفون بينها وبين حميم﴾ ماء حار ﴿آنٍ﴾ بالغ في حرارته ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ ولكما بئس الورد المورود.

٤٦ ـ ٥٥ ـ ﴿ولمن خاف مقام ربه﴾ ـ وربه محيط به أو هو المدبر أمره ـ خوفاً من عقابه على الكفر أو المعصية وهذه عبادة العبيد يعبدون أربابهم خوفاً من السياسة ـ لالوجه الله محضاً ـ ويقابلها عبادة التجار الذين تكون عبادتهم طمعاً في الثواب والفوز بالجنة. أما الآية فتحكي عن الخضوع له تعالى لأنه الله وفيه إخلاص لوجهه الكريم ﴿جنتان﴾ جنة يثاب بها وجنة يتفضل بها عليه ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ والسابقون السابقون ينالون الجنتين وهما ﴿ذواتا أفنان﴾ ـ أغصان لينة ـ أو أنواع من الثمار ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ وهو كثير النعم ﴿فيهما عينان تجريان﴾ فخمتان ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ وهو الذي يغدق على المحسنين ﴿فيهما من كل فاكهةٍ زوجان﴾ قيل أحدهما معروف في الدنيا والآخر غير ذلك ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ ونعمه كثر ﴿متكئين على فرشٍ بطائنها من استبرق﴾ وهو الحرير الغليظ ﴿وجنى الجنتين دانٍ﴾ فقطافهما قريب هين ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ وقد ذللت قطوفهما تذليلاً.

٥٦ ـ ٦١ ـ ﴿فيهن قاصرات الطرف﴾ لايردن غير أزواجهن ﴿لم يطمثهن إنسٌ قبلهم ولا جان﴾ إذ لم يفتضضهن أحد ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ وقد أعدهن لكم ﴿كأنهن الياقوت والمرجان﴾ في الصفاء والبهاء والتلألؤ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ وهو يجزيكم الجزاء الأوفى ﴿هل جزاء الإحسان﴾ لمن خاف مقام ربه وعمل صالحاً ﴿إلا الإحسان﴾ بما ينقلب فيه من النعمة ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ وقد ورد في الحديث: «هل جزاء من أنعمنا عليه بالتوحيد إلا الجنة».

يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾

٦٢ ـ ٦٧ ـ ﴿ومن دونهما﴾ ـ أي تلكما الجنتان ـ ﴿جنتان﴾ أقل درجة لمن هم دون أهل الإخلاص فهما للعابدين لله طمعاً في ثوابه أو خوفاً من عقابه ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ وعن الرسول ﷺ: «جنتان من ذهب للمقربين وجنتان لأصحاب اليمين»، ﴿مدهامتان﴾ اشتدت خضرتهما بحيث تضرب إلى السواد ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ وهو رب النعم ﴿فيهما عينان نضاختان﴾ فوارتان ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ وهو المفضل.

٦٨ ـ ٧٧ ـ ﴿فيهما فاكهةٌ ونخل ورمان﴾ بأشجارها ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ وقد أعد لكم من الثمار غير ذلك ﴿فيهن خيرات حسانٌ﴾ في أخلاقهن ووجوههن ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ وقد أعد لكم خيّرات الأخلاق حسان الوجوه ﴿حورٌ﴾ اشتد بياض عيونهن في سعةٍ ﴿مقصورات في الخيام﴾ غير مبتذلات ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ وكل ذلك جزاء إحسانكم ﴿لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان﴾ فلا نصيب لغيرهم فيهن ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ وقد جهز لكم كل ذلك ﴿متكئين على رفرفٍ﴾ ثياب تتخذ منها المجالس ﴿خضرٍ﴾ بلونها ﴿وعبقري﴾ وهي الزرابي أو الطنافس أو الديباج على ماقيل ﴿حسانٍ﴾ ذات حسن وبهاء ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ وقد جهز لكم هذه الثياب الموشاة على ماقيل. ٧٨ ـ ﴿تبارك اسم ربك﴾ الرحمن مفيض الآلاء ﴿ذي الجلال والإكرام﴾ فلصفات الفاعل ظهور في أفعاله فهو بديع خالق مبدىء خلق الخلق ونظم النظم، وهو عليم حكيم أتقن الفعل وهو ودود شكور غفور رحيم يجازي أهل الطاعة بالخير، وهو منتقم عزيز قهار شديد العقاب يجازي أهل الفسق والعصيان بالشر والسعير.

فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾
فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ
مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾
لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

سورة الواقعة

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: وصف القيامة الكبرى، الاحتجاج على المنكرين للربوبية والبعث، ذكر الاختصار.

١ ـ ٣ ـ ﴿إذا وقعت الواقعة﴾ وهي يوم القيامة ﴿ليس لوقعتها كاذبةٌ﴾ فهي محققة ﴿خافضةٌ رافعةٌ﴾ تقلب نظام الدنيا، فتظهر السرائر، وتسقط الأسباب. فتنخفض أنفس كانت ذات عز في الدنيا وترتفع أنفس استضعفت فيها.

٤ ـ ٩ ـ ﴿إذا رجت الأرض رجاً﴾ أي زلزلت زلزلة شديدة ﴿وبست الجبال بساً﴾ أي فتتت ﴿فكانت هباءً﴾ وغباراً ﴿منبثاً﴾ متفرقاً ﴿وكنتم أزواجاً ثلاثة﴾ معشر البشر ﴿فأصحاب الميمنة﴾ والسعادة ﴿ماأصحاب الميمنة﴾ تفخيم لأمرهم ﴿وأصحاب المشأمة﴾ والشقاء ﴿ماأصحاب المشأمة﴾ إذلال لهم؛ فالهوان لهم لالكرامة.

١٠ ـ ١٦ ـ ﴿والسابقون السابقون﴾ إلى كل مادعا الله وقد سبقوا إلى الإيمان والطاعة ﴿أولئك المقربون﴾ قيل هم مؤمن آل فرعون وحبيب النجار المذكور في سورة يس وعلي عليه السلام السابق إلى الإيمان بالنبي وهو أفضلهم فهؤلاء السابقون استقروا في مستقر العبودية لايملكون نفساً ولا عمل نفس فنفوسهم لله وكذلك أعمالهم والقرب أمر اكتسابي، فالعبد يتقرب بصالح العمل إلى الله سبحانه، والله يقرب العبد برفع منزلته ولايتم ذلك إلا بكمال العبودية، **فيدخله الله تحت ولايته** ﴿في جنات النعيم﴾ وهي جنات الولاية ﴿ثلةٌ﴾ أي كثرة ﴿من الأولين﴾ من أمم الأنبياء السابقين ﴿وقليلٌ من الآخرين﴾ من هذه الأمة ﴿على سررٍ موضونةٍ﴾ منسوجة ﴿متكئين عليها متقابلين﴾ لبلوغ أنسهم وصفاء باطنهم.

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾

١٧ ـ ٢٦ ـ ﴿يطوف عليهم﴾ لخدمتهم ﴿ولدانٌ مخلدون﴾ باقون على حداثة السن لايخط الزمن خطوطه في صباحتهم ﴿بأكوابٍ وأباريق وكأسٍ من معينٍ﴾ ظاهر للبصر وهو الخمر. ﴿لايصدعون عنها﴾ فلا يأخذهم صداع كما يحصل لشارب خمر الدنيا ﴿ولا ينزفون﴾ ولا يزول عقلهم بالسكر ﴿وفاكهةٍ مما يتخيرون ولحم طيرٍ مما يُشتهون﴾ فلا يعز عنهم شيء ﴿وحورٌ عينٌ﴾ ذوات عيون كالظباء ﴿كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ المخزون لم تمسه الأيدي ﴿جزاءً بما كانوا يعملون﴾ من العمل الصالح ﴿لايسمعون فيها لغواً﴾ كلاماً بلا فائدة ﴿ولا تأثيماً﴾ إذ لا إثم هناك ﴿إلا قيلاً سلاماً سلاماً﴾ زيادة في التكريم. وقد قيل: الناس ثلاثة؛ فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهو السابق المقرب، ورجل ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبة؛ فهذا صاحب اليمين، ورجل ابتكر الشر في حداثة سنه ثم لايزال عليه حتى يخرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال.

٢٧ ـ ٤٠ ـ ﴿وأصحاب اليمين﴾ يؤتون كتابهم بيمينهم ﴿ماأصحاب اليمين﴾ استفهام للتفخيم فهم ﴿في سدرٍ﴾ هو شجر النبق ﴿مخضودٍ﴾ مقطوع الشوك ﴿وطلحٍ﴾ هو الموز ـ ﴿منضودٍ﴾ على بعضه ﴿وظلٍ ممدودٍ﴾ دائم لاتنسخه الشمس ﴿وماءٍ مسكوبٍ﴾ من غير انقطاع ﴿وفاكهةٍ كثيرةٍ لامقطوعةٍ﴾ في بعض الأزمان ﴿ولا ممنوعةٍ﴾ لمانع من سأم أو شبع أو بعد ﴿وفرشٍ مرفوعةٍ﴾ هي البسط، وقيل هي النساء ذوات كمال في العقل والجمال ﴿إنا أنشأناهن﴾ وأوجدناهن ﴿إنشاءً﴾ وتربية ﴿فجعلناهن أبكاراً﴾ فكلما أتاهن أزواجهن وجدوهن عذارى ﴿عرباً﴾ يتحببن إلى أزواجهن بغنج وعشق ﴿أتراباً﴾ لأزواجهن في السن ﴿لأصحاب اليمين ثلةٌ من الأولين وثلةٌ من الآخرين﴾ أي جمع من كل منهم.

٤١ ـ ٤٨ ـ ﴿وأصحاب الشمال ماأصحاب الشمال﴾ وهم الذين يؤتون كتابهم بشمالهم ﴿في سموم﴾ أي في حر من نار ﴿وحميم﴾ ينفذ في المسام ﴿وظل من يحموم لابارد ولاكريم﴾ فهذا الظل من ماء شديد الحرارة لاينتفع بالاستظلال به ﴿إنهم كانوا قبل ذلك مترفين﴾ أبطرتهم النعمة فتعلق قلبهم بما عندهم من نعم الدنيا قلت أو كثرت ﴿وكانوا يصرون﴾ ويقيمون ﴿على الحنث العظيم﴾ فينقضون العهد المؤكد المأخوذ عليهم في فطرتهم في عالم الذر ﴿وكانوا يقولون أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون﴾ استبعاد منهم للبعث.

٤٩ ـ ٥٠ ـ ﴿قل﴾ يامحمد ﴿إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يومٍ معلومٍ﴾ هو يوم القيامة ولا استبعاد في ذلك.

٥١ ـ ٥٥ ـ ﴿ثم إنكم أيها الضالون﴾ عن طريق الحق ﴿المكذبون﴾ المصرون على الجحد ﴿لآكلون من شجر من زقوم﴾ وهو شجر كريه يورم الجسد ﴿فمالئون منها البطون﴾ فهذا حالكم فالجوع طاغ والمحنة غالبة ﴿فشاربون عليه﴾ أي بعد الأكل فالشوك يدفع إلى الشرب ﴿من الحميم﴾ وهو الماء الشديد الحرارة ﴿فشاربون شرب الهيم﴾ أي الإبل العطاش أو المصابة بداء الاستسقاء التي تشرب الماء حتى تموت كما يشرب الرمل الماء.

٥٦ ـ ﴿هذا نزلهم﴾ والنزل ما يقدم للضيف من طعام وشراب ﴿يوم الدين﴾ أي يوم الجزاء .

٥٧ ـ ٥٩ ـ ﴿نحن خلقناكم فلولا تصدقون﴾ حث على تصديق المعاد. والحجة هي أن الله هو الخالق وهو المدبر وقد أخبرهم بالبعث والحساب ﴿أفرأيتم ماتمنون﴾ من المني وتصبونه في الأرحام ﴿أأنتم تخلقونه﴾ بشراً مثلكم ﴿أم نحن الخالقون﴾ له بشراً .

٦٠ ـ ٦٢ ـ ﴿نحن قدرنا بينكم الموت﴾ بتقدير العوامل المبطلة للحياة ﴿ومانحن بمسبوقين﴾ ولامغلوبين ﴿على أن نبدل أمثالكم﴾ جماعة مكان جماعة لعمارة الأرض والخلافة فيها بعدكم ﴿وننشئكم فيما لاتعلمون﴾ في وجود أخروي غير وجودكم الفاني ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى﴾ في الدنيا ؛ والعلم بها يستلزم الإذعان بنشأة أخرى خالدة فيها الجزاء ﴿فلولا تذكرون﴾ أن النظام الكوني حق وليس لغواً، ومن ضروراته هداية الإنسان إلى كمال سعادته بالرسل والبعث والحساب .

٦٣ ـ ٦٧ ـ ﴿أفرأيتم ماتحرثون﴾ في الأرض ﴿أأنتم تزرعونه﴾ وتنبتونه حتى يبلغ الغاية ﴿أم نحن الزارعون﴾ له ﴿لو نشاء لجعلناه حطاماً﴾ متفتتاً ﴿فظلتم﴾ وصرتم ﴿تفكهون﴾ وتتعجبون مما أصيب به زرعكم قائلين ﴿إنا لمغرمون﴾ خاسرون ﴿بل نحن محرومون﴾ الرزق والخير .

٦٨ ـ ٧٠ ـ ﴿أفرأيتم الماء الذي تشربون﴾ ﴿أأنتم أنزلتموه من المزن﴾ أي السحب ﴿أم نحن المنزلون﴾ للمطر ﴿لونشاء لجعلناه أجاجاً﴾ شديد الملوحة ﴿فلولا تشكرون﴾ الله على نعمه بإظهار العبودية له قولاً وعملاً .

٧١ ـ ٧٣ ـ ﴿أفرأيتم النار التي تورون﴾ أي تظهرونها بالقدح ﴿أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون﴾ لها ﴿نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين﴾ أي للنازلين بأرض ليس بها أحد.

٧٤ ـ ﴿فسبح﴾ يامحمد ﴿باسم ربك العظيم﴾ تنزيهاً له عما لايليق بجلاله من الشريك أونفي البعث والجزاء، وقد ظهرت آلاؤه.

٧٥ ـ ٧٦ ـ ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ أي أقسم بمحالها من السماء ﴿وإنه لقسم لوتعلمون عظيم﴾ رفيع القدر.

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ الْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ الزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ الْمَآءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ النَّارَ الَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ الْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

٧٧ ـ ٨٠ ـ ﴿إنه لقرآن كريم﴾ عزيز عنده تعالى، محمود الصفات، بذال نفاع للناس لما فيه من المعارف التي فيها كمال سعادة الدنيا والآخرة ﴿في كتاب مكنون﴾ مصون عن التبديل هو اللوح المحفوظ ﴿لايمسه﴾ أي لايمس الكتاب المكنون أو القرآن إذا كانت لا نافية ﴿إلا المطهرون﴾ الذين طهر الله نفوسهم من المعاصي والذنوب كالملائكة الكرام والمطهرين من البشر والله تعالى يقول ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ وأما إذا كانت لاتحمل معنى النهي فتدل على تحريم مس القرآن الكريم على غير طهارة ﴿تنزيل من رب العالمين﴾ لتعقلوه وتنتفعوا بهداه ؛ فتنزيله نور ورحمة وهدى ونعمة لكل الناس فمن عاش القرآن ارتقى إلى مدارج السعادة ومن هجره هوى. ٨١ ـ ٨٧ ـ ﴿أفبهذا الحديث﴾ أي القرآن ﴿أنتم مدهنون﴾ بمعنى تتهاونون ﴿وتجعلون رزقكم﴾ وحظكم من الخير ﴿أنكم تكذبون﴾ بدل الشكر ﴿فلولا إذا بلغت﴾ النفس ﴿الحلقوم﴾ كناية عن الاشراف التام على الموت ﴿وأنتم حينئذ تنظرون﴾ إلى المحتضر ؛ ﴿ونحن أقرب إليه منكم﴾ لإحاطتنا به وجوداً ، والموكلون بروحه أقرب إليه منكم ﴿ولكن لاتبصرون﴾ لاترونا ولاترون رسلنا ﴿فلولا إن كنتم غير مدينين﴾ مجزيين ﴿ترجعونها﴾ وقد بلغت الحلقوم ﴿إن كنتم صادقين﴾ أن لابعث ولاجزاء فلو كنتم صادقين في دعواكم أن لابعث ولا جزاء فأرجعوا أرواحكم إن استطعتم وقد بلغت الحلقوم. ٨٨ ـ ٩١ ـ ﴿فأما إن كان من المقربين﴾ وهم السابقون السابقون ﴿فروح﴾ أي راحة ﴿وريحان﴾ أي رزق ﴿وجنة نعيم﴾ مقيم ﴿وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين﴾ وهم قرناؤك ورفقاؤك . ٩٢ ـ ٩٤ ـ ﴿وأما إن كان من المكذبين الضالين﴾ الذين قالوا أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون ، سواء اعتقدوا بها أم قالوها لفظاً أم مارسوها عملاً بإطاعة غير الله فالعاصي مكذّب ﴿فنزل من حميم﴾ أي ماء شديد الحرارة ﴿وتصلية جحيم﴾ ومقاساة حر نار جهنم. ٩٥ ـ ٩٦ ـ ﴿إنّ هذا﴾ الذي ذكر من حال أزواج الناس الثلاثة ﴿لهو حقُّ اليقين﴾ لاتردد فيه ﴿فسبح باسم ربّك العظيم﴾ ونزهه عما نسبه إليه المكذبون الضالون.

إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سُورَةُ الحَدِيدِ

مدنية وهي ٢٩ آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

سورة الحديد

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: حث المؤمنين على الانفاق، استتباع المغفرة للإنفاق، بيان بعض معارف المبدأ والمعاد، دعوة إلى التقوى والزهد. ١ ـ ﴿سبح لله﴾ تنزيهاً له عن النقص ﴿مافي السماوات والأرض﴾ أي جميع العالم، وهذا التسبيح حقيقي لأن الموجود يظهر الموجد متصفاً بكل كمال ﴿وهو العزيز﴾ لم يخلق ماخلق بقهر قاهر أو إجبار مجبر ﴿الحكيم﴾ في تدبير الخلق والروابط بين السموات والأرض. ٢ ـ ٣ ـ ﴿له ملك السموات والأرض﴾ فيحكم مايشاء فيهما ﴿يحيي﴾ بإيجاد

من عدم ﴿ويميت﴾ بعد حياة ﴿وهو على كل شيء قديرٌ﴾ فقدرته مطلقة غير مقيدة ﴿هو الأول﴾ قبل كل أول مفروض ﴿والآخر﴾ بعد كل مفروض ﴿والظاهر والباطن﴾ لإحاطته بكل شيء فليس قبله شيء وليس بعده شيء وليس فوقه شيء وليس دونه شيء ﴿وهو بكل شيء عليمٌ﴾ فلا يخفى عليه شيء. ٤ ـ ٥ ـ ﴿هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام﴾ واليوم قطعة من الزمان تمت فيه مرحلة من التشكل ﴿ثم استوى على العرش﴾ كناية عن الأخذ في تدبير الملك ﴿يعلم مايلج في الأرض﴾ وما يدخل فيها كماء المطر والبذور ﴿وما يخرج منها﴾ من أنواع النبات والحيوان ﴿وما ينزل من السماء﴾ كالأمطار والأشعة والملائكة ﴿وما يعرج فيها﴾ أي مايصعد كالأبخرة والملائكة وأعمال العباد ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾ لإحاطته بكم فلا تغيبون عن علمه ﴿والله بما تعملون بصيرٌ﴾ يبصر ظاهر عملكم، وباطن مقصدكم ﴿له ملك السموات والأرض﴾ أي له عموم الملك ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ فلا رد إلا إليه تعالى فله الملك وله الأمر وله الحكم. ٦ ـ ﴿يولج الليل في النهار﴾ فيأخذ من طوله ﴿ويولج النهار في الليل﴾ فيأخذ من طوله مع تعاقب الفصول ﴿وهو عليمٌ بذات الصدور﴾ كما هو محيط بظاهر الأعمال. ٧ ـ ﴿آمنوا بالله ورسوله﴾ أي تلبسوا أيها المؤمنون بمرتبة إيمانية أعلى ﴿وأنفقوا﴾ أي تلبسوا بالإنفاق ﴿مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ فالمال مال الله، وأنتم وكلاء من ناحيته تعالى، تتصرفون فيه كما أذن لكم فإذا أيقنتم بذلك سخت نفوسكم ﴿فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجرٌ كبيرٌ﴾ وعد الأجر زيادةً في الترغيب فهل من متدبر؟ ٨ ـ ﴿وما لكم لاتؤمنون بالله﴾ بحيث يظهر أثر الإيمان ومن ذلك الإنفاق ﴿والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم﴾ وواجبكم الإيمان به ﴿وقد أخذ ميثاقكم﴾ يوم آمنتم على السمع والطاعة ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ بوحدانيته ورسالة رسوله. ٩ ـ ﴿هو الذي ينزل على عبده آياتٍ بيناتٍ﴾ في القرآن تبين فرائض الدين ﴿ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ فالإيمان برسوله إيمان به تعالى ﴿وإن الله بكم لرؤوفٌ رحيمٌ﴾ فلذلك يدعوكم لما فيه خيركم. ١٠ ـ ﴿وما لكم ألاّ تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض﴾ فالجميع فانٍ ولايبقى إلا الله سبحانه وهو يرث الأرض وما عليها وأي غرض لكم في ترك الإنفاق في سبيل الله والله مهلككم فوارث كل شيء ﴿لايستوي منكم من أنفق﴾ ـ بالإنفاق المندوب ـ ﴿من قبل الفتح﴾ أي فتح مكة أو الحديبية ﴿وقاتل﴾ فالتعجيل أحب إلى الله ﴿أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا﴾ لعلو إيمانهم وصبرهم على الفتنة وإنفاقهم وجهادهم ﴿وكلاً وعد الله الحسنى﴾ وإن كان من أنفق وقاتل قبل الفتح أعظم مثوبة ﴿والله بما تعملون خبيرٌ﴾ تشديد في توبيخ من يشح عن الإنفاق وتقرير لعدم التساوي بين المنفق والممسك، فالله هو الذي استخلفكم ورزقكم واستقرضكم وإليه معادكم فما الذي يبقي فيكم دواعي الشح وهواتف البخل.

١١ ـ ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ إن مايعطيه تعالى من الثواب على عمل العبد تفضل منه تعالى من غير

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

استحقاق من العبد، لأن العبد ومايعمل ملك مطلق له سبحانه، ولكنه تعالى عد ـ عداً تشريعياً ـ العبد مالكاً وملكه عمله، واعتبر إنفاقه قرضاً ﴿فيضاعفه له﴾ ولم يكتف بذلك بل أضاف ﴿وله أجرٌ كريمٌ﴾ في الآخرة.

١٢ ـ ﴿يوم ترى﴾ يامحمد ﴿المؤمنين والمؤمنات﴾ أنت وكل راءٍ ﴿يسعى نورهم بين أيديهم﴾ أي أمامهم ﴿وبأيمانهم﴾ وهي جهة سعادتهم، فتستنير لهم جهات السعادة حتى يتم لهم نورهم ﴿بشراكم اليوم جناتٌ تجري من تحتها الأنهار﴾ تبشير لهم من الملائكة ﴿خالدين فيها﴾ أبداً ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ وهو سعي النور بين أيديهم والبشرى بالجنة.

١٣ ـ ١٥ ـ ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات﴾ وهم في ظلمة أحاط بهم سرادقها ﴿للذين آمنوا﴾ الذين يسعى نورهم أمامهم ﴿انظرونا﴾ أي انتظرونا ﴿نقتبس من نوركم﴾ أي نأخذ قبساً وشعلة منه ﴿قيل﴾ تهكماً ﴿ارجعوا وراءكم﴾ إلى الدنيا إلى الموضع الذي أخذنا منه نورنا ﴿فالتمسوا نوراً﴾ من أعمالكم، فإن النور نور الأعمال والإيمان فحسب ﴿فضرب بينهم بسورٍ﴾ حاجز ﴿له بابٌ﴾ فيرون أهل الجنة وتزيد حسرتهم ﴿باطنه فيه الرحمة﴾ محيط بالمؤمنين ﴿وظاهره من قبله العذاب﴾ كما كان المؤمنون يتلبسون بالإيمان بينما يتحرج أهل النفاق من التلبس به ويتألمون منه. ﴿ينادونهم ألم نكن معكم﴾ في الدنيا ﴿قالوا بلى ولكنكم فتنتم﴾ أضعتم وأهلكتم ﴿أنفسكم وتربصتم﴾ الدوائر بالدين وأهله ﴿وارتبتم﴾ شككتم في دينكم ﴿وغرتكم الأماني﴾ ومنها أن يطفأ نور الدين ﴿حتى جاء أمر الله﴾ وهو الموت ﴿وغركم بالله الغرور﴾ وهو الشيطان ﴿فاليوم لايؤخذ منكم فديةٌ﴾ لكونكم منافقين ﴿ولامن الذين كفروا﴾ فالمرء رهين عمله ﴿مأواكم النار هي مولاكم﴾ تتولى أموركم كما توليتم في الدنيا أعمال أهل النار وكما توليتم حزب الشيطان ﴿وبئس المصير﴾ الجحيم الذي فيه أوردتم أنفسكم.

يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم
بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ
هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا
فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ
ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ
أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ
ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا
مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ
﴿١٥﴾ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ
وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ
فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾
ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟
ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾

١٦ ـ ﴿ألم يأن﴾ ألم يحل الوقت ﴿للذين آمنوا﴾ وقد عرضت القسوة لقلوبهم ﴿أن تخشع قلوبهم﴾ وتتأثر قبال العظمة والكبرياء ﴿لذكر الله﴾ الواحد القهار، وما يذكر به الله ﴿وما نزل من الحق﴾ وهو القرآن ﴿ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد﴾ أي الزمان ﴿فقست قلوبهم﴾ وفقدوا الخشوع ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ خارجون عن زي العبودية. وهذه تذكرة حانية وعتاب من إله ودود لتتأثر القلوب وتخاف مقام ربها وتعبده ولا تعصيه.

١٧ ـ ﴿اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها﴾ فيأتي بقلوب حية بدل التي قست وهذا القرآن يحيي القلب كما تحيا الأرض ﴿قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾ أنكم إن توليتم يستبدل قوماً غيركم ثم لايكونوا أمثالكم .

١٨ ـ ﴿إن المصدقين والمصدقات﴾ المنفقين في سبيل الله ﴿وأقرضوا الله قرضاً حسناً﴾ ترغيب لهم بالإنفاق فهم لايتعاملون مع الناس بل مع رب الناس ﴿يضاعف لهم﴾ ما أعطوه ﴿ولهم أجرٌ كريمٌ﴾ هو الجنة.

١٩ ـ ﴿والذين آمنوا بالله ورسله﴾ إيماناً لاينفك عن الطاعة ﴿أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم﴾ ولاستحقاقهم منزلتهم ﴿لهم أجرهم ونورهم﴾ ﴿إنا لانضيع أجر من أحسن عملاً﴾ ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا﴾ ولم ينفقوا لتعلقهم بالحياة الدنيا ﴿أولئك أصحاب الجحيم﴾ لايفارقونها وقد تملكوها بما بان من ملكاتهم.

٢٠ ـ ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعبٌ﴾ لاغاية حقيقية لها ﴿ولهوٌ﴾ يلهي عما يهم ﴿وزينةٌ﴾ تعطي الشيء جمالاً ليصبح مرغوباً ﴿وتفاخرٌ بينكم﴾ ومباهاة بالأنساب ﴿وتكاثرٌ في الأموال والأولاد﴾ فالدنيا متاع ﴿كمثل غيثٍ أعجب الكفار﴾ أي الزراع ﴿نباته﴾ الحاصل بسببه ﴿ثم يهيج﴾ أي يتحرك إلى غاية نموه ﴿فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً﴾ وهشيماً تذروه الرياح ﴿وفي الآخرة عذابٌ شديدٌ﴾ فهو أحد وجهي الاختيار للدنيا ﴿ومغفرةٌ من الله﴾ لتطهير مكان الرضوان ﴿ورضوانٌ﴾ وهو الوجه الآخر للاختيار. ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ فلا تغروا بها فتصرفكم عن مقصدكم، وليكن عملكم ما يعطي أُكُلَه في الآخرة.

٢١ ـ ﴿سابقوا إلى مغفرةٍ من ربكم﴾ وحياة في عالم الطهر ﴿وجنةٍ عرضها﴾ أي سعتها ﴿كعرض السماء والأرض﴾ فهي شديدة الاتساع ﴿أعدت للذين آمنوا بالله ورسله﴾ إيماناً عالياً تظهر آثاره في الأعمال الصالحة واجتناب الفسوق والإثم ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ من غير استحقاق لأحد عليه، وقد شاء أن يؤتيه الذين آمنوا ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ فهذا الثواب لمن سابق إلى المغفرة والجنة.

٢٢ ـ ﴿ماأصاب من مصيبةٍ في الأرض﴾ كالقحط والزلزلة والآفات الزراعية ﴿ولافي أنفسكم﴾ كالمرض والجرح ﴿إلا في كتاب﴾ هو اللوح المكتوب ﴿من قبل أن نبرأها﴾ أي من قبل أن نخلق المصيبة ﴿إن ذلك على الله يسيرٌ﴾ فلا صعوبة عليه تعالى في تقدير الحوادث قبل وقوعها ٢٣ ـ ﴿لكيلا تأسوا﴾ وتحزنوا ﴿على مافاتكم﴾ من النعم ﴿ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ لأن النعم وديعة إلى أجل مسمى فلا الفائت يضعف المؤمن ويزلزله ولا الحاصل من تخويل النعمة يفرحه فيستخفه، والذي يعلم أن عليه أن لايختال بما لايد له في ماكسب وأن لا يأس على مالا قدرة له على منع ذهابه لايبخل في عطاء ولايقصر في إجابة، فإذا كان الإقراض لله كان داعي الإجابة أشد ﴿والله لايحب كل مختالٍ﴾ متكبر ﴿فخورٍ﴾ متباه من الذين يظنون أن مأاوتوه من النعم إنما يملكونه باستحقاق منهم ٢٤ ـ ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾ لأن شيوع السخاء والجود بين الناس يكشف بخلهم ﴿ومن يتول﴾ ويعرض عن الإنفاق ﴿فإن الله هو الغني﴾ لاحاجة له إلى إنفاقهم ﴿الحميد﴾ المحمود في أفعاله فهو يعطي عباده ويطلب منهم الإنفاق ليثيبهم.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۙ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

٢٥ ـ ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات﴾ من الآيات كالمعجزات والحجج القاطعة ﴿وأنزلنا معهم الكتاب﴾ وهو الوحي الذي يصلح أن يكتب فيصير كتاباً ﴿والميزان﴾ أي الدين ﴿ليقوم الناس بالقسط﴾ والعدل، لأن الدين هو الذي توزن به عقائد الناس وأعمالهم ﴿وأنزلنا الحديد﴾ ظهوراً له ـ من عدم ـ من خزائن الغيب ﴿فيه بأسٌ شديدٌ﴾ وشدة ﴿ومنافع للناس﴾ في الصناعة ﴿وليعلم الله من ينصره ورسله﴾ فيتميز بأداء واجب الجهاد ﴿بالغيب﴾ إيماناً منهم ﴿إن الله قوي﴾ يعطي عباده أسباب القوة لينفروا لنصرة دينهم ﴿عزيز﴾ لاسبيل للذلة إليه ولايرضى لعباده الذل.

٢٦ ـ ﴿ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب﴾ لاستمرارية هدايتهم ﴿فمنهم﴾ أي من ذريتهم ﴿مهتدٍ وكثيرٌ منهم فاسقون﴾ فالاهتداء والفسق سنة جارية. ﴿ثم قفينا على آثارهم برسلنا﴾ فالطريق المسلوك واحد. ٢٧ ـ ﴿وقفينا بعيسى بن مريم﴾ وهو من ذرية إبراهيم ﴿وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفةً ورحمةً﴾ ومعاضدة ومسالمة. ﴿ورهبانيةً﴾ انقطعوا بها إلى عبادة الله خشية منه ﴿ابتدعوها﴾ دون سابقة لها في دين أو سنة ﴿ماكتبناها عليهم﴾ ولا فرضناها ﴿إلا ابتغاء رضوان الله﴾ أي أنها كانت مرضية عند الله ﴿فما رعوها حق رعايتها﴾ بل تعدوا حدودها ولم يصبروا على تكاليفها وهي التطهر والترفع والقناعة والعفة والذكر والعبادة ﴿فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم﴾ على إيمانهم ﴿وكثيرٌ منهم فاسقون﴾ خارجون عن زي العبودية.

٢٨ ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ إيماناً بعد إيمان ﴿وآمنوا برسوله﴾ بطاعته طاعة كاملة واتباعه اتباعاً تاماً ﴿يؤتكم كفلين﴾ أي نصيبين ﴿من رحمته﴾ ثواباً بعد ثواب لإيمان بعد إيمان كما آتى أهل الكتاب كفلين ﴿ويجعل لكم نوراً تمشون به﴾ في الدنيا والآخرة ﴿ويغفر لكم والله غفور﴾ يستر النقيصة وهو ﴿رحيم﴾ بعباده.

٢٩ ـ ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب ألايقدرون على شيء﴾ لزعمهم أنهم شعب الله المختار وأنهم أبناء الله وأحباؤه وأنه لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى أي أن غير أهل الكتاب لاينالون شيئاً ﴿من فضل الله﴾ بخلاف المؤمنين من أهل الكتاب حيث يؤتون أجورهم مرتين إن آمنوا ﴿وأن الفضل بيد الله﴾ يؤتيه من يشاء ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ فيؤتيهم مايزيد عن استحقاقهم ومن يعمل على مكانته ينيله الله إياها.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ۖ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ۚ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

سورة المجادلة

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: أحكام وآداب،وصف الوادين لأعداء الدين والمتحرزين من موادتهم .

١ - ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾ أي استجاب لها ﴿وتشتكي إلى الله﴾ ماغمها ﴿والله يسمع تحاوركما﴾ وقد أتت أنصارية إلى رسول الله ﷺ تشتكي إليه قول زوجها: أنت مني كظهر أمي،ثم ندمه على قوله ﴿إنّ الله سميع بصير﴾ بكل شيء.

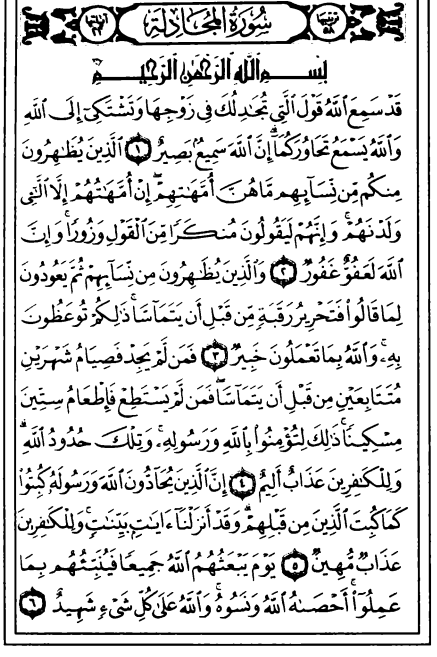
سُورَةُ المُجَادِلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ۗ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

٢ - ﴿الذين يظاهرون منكم من نسائهم﴾ إلغاء لإلحاق الزوجة بالأم بسبب الظهار ﴿ماهنّ أمهاتهم﴾ فلا يحرمن عليهم أبداً ﴿إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم﴾ ولايلحق بهن غيرهن ﴿وإنهم ليقولون منكراً من القول﴾ لايعتبره الشرع ﴿وزوراً﴾ كذباً لايطابق الواقع،فالظهار لايفيد طلاقاً وإن استلزم الكفارة ﴿وإنّ الله لعفو غفور﴾ يغفر الظهار.

٣ - ﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا﴾ أي ينقضون مأأبرموه بالظهار ﴿فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا﴾ أي من قبل المواقعة ﴿ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير﴾ فالكفارة ترفع مالحقهم من تبعة العمل.

٤ - ﴿فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا﴾ خصلة ثانية من الكفارة ﴿فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً﴾ الخصلة الثالثة من الكفارة الترتيبية ﴿ذلك لتؤمنوابالله ورسوله﴾ وترفضوا أباطيل السنن ﴿وتلك حدود الله﴾ فلا تتعدوها بالمخالفة ﴿وللكافرين عذابٌ أليم﴾ فرد الحكم كفر يستتبع أليم العذاب.

٥ - ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله﴾ بالمخالفة والممانعة ﴿كبتوا﴾ أذلوا ﴿كما كبت﴾ أخزي ﴿الذين من قبلهم وقد أنزلنا آياتٍ بيناتٍ﴾ لاريب في كونها منا وفي صدق مبلغها عنا ﴿وللكافرين﴾ بها المنكرين لها ﴿عذابٌ مهينٌ﴾ مخزٍ.

٦ - ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً﴾ يوم الحساب ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ في الدنيا ﴿أحصاه الله ونسوه والله على كل شيٍ شهيدٌ﴾ وقد شهد أعمالهم وأحصاها.

٧ ـ ﴿ألم تر أن الله يعلم مافي السموات وما في الأرض﴾ الاستفهام لرد المنكر ﴿مايكون من نجوى﴾ أي مسارة ﴿ثلاثةٍ إلا هو رابعهم ولاخمسةٍ إلا هو سادسهم﴾ فهو تعالى معهم يشهد قولهم ﴿ولا أدنى من ذلك ولا أكثر﴾ عدداً ﴿إلا هو معهم أين ما كانوا﴾ فيعلم نجواهم ﴿ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة﴾ والقول بعض العمل ﴿إن الله بكل شيءٍ عليم﴾ لايعزب عن علمه شيء.

٨ ـ ﴿ألم تر﴾ يامحمد ﴿إلى﴾ المنافقين والذين في قلوبهم مرض ﴿الذين نهوا عن النجوى﴾ بما يغم المؤمنين ﴿ثم يعودون لما نهوا عنه﴾ إصراراً على المساءة ﴿ويتناجون بالإثم﴾ وهو العمل الذي له أثر سيّىء لايتعدى عامله كشرب الخمر وترك الصلاة ﴿والعدوان﴾ بإيذاء الناس ﴿ومعصية الرسول﴾ مقابلة مع الأولين اللذين فيهما معصية لله ﴿وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله﴾ فهم يحيون بغير السلام ﴿ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول﴾ أي لو كنت رسول الله لعذبنا الله بقولنا ﴿حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير﴾ فهم مخطئون في نفيهم العذاب وإن لعذاب جهنم من الشدة ما يكفيهم عن غيره.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

٩ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول﴾ رفع للحظر عن النجوى ﴿وتناجوا بالبر﴾ وهو التوسع في فعل الخير ﴿والتقوى﴾ مقابل الإثم ﴿واتقوا الله الذي إليه تحشرون﴾ فتلبسوا بعبوديته.

١٠ ـ ﴿إنما النجوى﴾ المحظورة ﴿من الشيطان﴾ زينها في قلوبهم ﴿ليحزن الذين آمنوا﴾ ويشوش قلوبهم ويوهمهم أنها في نائبة حلت بهم ﴿وليس بضارهم شيئاً إلا بإذن الله﴾ فليتوكلوا عليه ولا يخافوا ضره ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ فهو يكفيهم.

١١ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس﴾ ليسع المكان معكم غيركم ﴿فافسحوا﴾ وتوسعوا ﴿يفسح الله لكم﴾ في الجنة ﴿وإذا قيل لكم انشزوا﴾ ليجلس مكانكم من هو أفضل منكم في علم أو تقوى ﴿فانشزوا﴾ أي قوموا ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم﴾ درجة ﴿والذين أوتوا العلم درجاتٍ﴾ فالمؤمن العالم أفضل من المؤمن غير العالم ﴿والله بما تعملون خبيرٌ﴾ يثيبكم على مأابطنتم في أنفسكم مما وافق أو خالف مظاهر إذعانكم لأوامره.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾

١٢ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقةً﴾ أي تصدقوا قبل المسارة ﴿ذلك خيرٌ لكم﴾ أي لنفوسكم ﴿وأطهر﴾ لقلوبكم، فالأغنياء يكثرون من المناجاة ويتقربون بذلك إلى الرسول فالتصدق يذهب انكسار قلوب الفقراء ﴿فإن لم تجدوا﴾ ما تتصدقون به ﴿فإن الله غفورٌ رحيمٌ﴾ وقد رخص لكم وعفا عنكم. ١٣ ـ ﴿أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقاتٍ﴾ فتركتم مناجاته ﷺ خوفاً من البذل؟ فلم يناجه أحد منهم إلا علي عليه السلام فإنه ناجاه عشر نجوات، وكلما ناجاه قدم بين يدي نجواه صدقة، ثم نزلت الآية ونسخت الحكم ﴿فإذ لم تفعلوا﴾ ما كلفتموه ﴿وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ واثبتوا على سائر التكاليف ﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ طاعة مطلقة ﴿والله خبيرٌ بما تعملون﴾ تشديد للحكم بوجوب الطاعة. وعن ابن عمر: كان لعلي ثلاث لو كان لي واحدة منهن كانت أحب إلي من حمر النعم، تزويجه فاطمة، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى.

١٤ ـ ﴿ألم تر إلى الذين تولوا﴾ أي اتخذوا أولياء ﴿قوماً غضب الله عليهم﴾ وهم اليهود ﴿ما هم﴾ أي المنافقين ﴿منكم ولامنهم﴾ أي ولا من اليهود ﴿ويحلفون على الكذب﴾ أنهم منكم مؤمنون أمثالكم ﴿وهم يعلمون﴾ أنهم كاذبون في حلفهم ١٥ ـ ﴿أعد الله لهم عذاباً شديداً إنهم ساء ماكانوا يعملون﴾ وقد داوموا على ذلك. ١٦ ـ ﴿اتخذوا إيمانهم جنةً﴾ وشدة يدفعون بها التهمة عن نفوسهم ﴿فصدوا﴾ أنفسهم وغيرهم ﴿عن سبيل الله﴾ وهو الإسلام ﴿فلهم عذابٌ مهينٌ﴾ مذل مخزٍ ١٧ ـ ﴿لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً﴾ ولن يخلصوهم من العذاب ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ معذبون. ١٨ ـ ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم﴾ وسوف تظهر ملكاتهم لرسوخها في أنفسهم ﴿ويحسبون أنهم﴾ مستقرون ﴿على شيءٍ﴾ يصلح لأن يستقر عليه فيظنون أنه يمكنهم ستر الحق بالحلف الكاذب ﴿ألا إنهم هم الكاذبون﴾ فلا يعتنى بما يحلفون به. ١٩ ـ ﴿استحوذ عليهم الشيطان﴾ واستولى عليهم ﴿فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ بذهاب مالهم. ٢٠ ـ ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله﴾ بالمخالفة والمعاندة ﴿أولئك في الأذلين﴾ لأن ذلة أحد المتخاصمين على مقدار عزة الآخر فلله العزة جميعاً ولهم الذلة محضاً.

٢١ ـ ﴿كتب الله﴾ أي قضى ﴿لأغلبن أنا ورسلي﴾ فالإنسان يخضع للحق بفطرته وعقله وعند ذلك ينال الغلبة بالتأييد الغيبي وهذا ماحدث عندما حل العذاب بالأمم الهالكة، وإيمان المؤمن يدعوه إلى الدفاع عن الحق وهو يرى أنه إن قُتِلَ فاز وإن قُتِلَ فاز ﴿إن الله قويٌ﴾ لايضعف عن شيء ﴿عزيزٌ﴾ لايغلبه غالب.

٢٢ ـ ﴿لاتجد﴾ من باب التخييل فهو من الممتنع المحال أن تجد ﴿قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾ فإيمانهم ـ إذا كان صادقاً ـ لايجامع موادة أهل المعاندة؛ إذ ان روابط العقيدة هي التي تتقطع دونها كل الروابط؛ مع أن هناك من يرى أنها نزلت في من يصحب السلطان ﴿ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾ وقد ذكرت مودة النسب لأنها أقوى أسباب المودة من حيث ثباتها ﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان﴾ فلا يتغير إيمانهم ولا يزول ﴿وأيدهم﴾ قواهم ﴿بروح منه﴾ أي من عنده تعالى فللمؤمنين روح وراء الروح البشرية التي يشترك فيها المؤمن والكافر؛ وهذه الروح تفيض عليهم حياة وقدرة جديدة تسبب المفاضلة بين حزب الله وحزب الشيطان ﴿ويدخلهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ بحياة طيبة ﴿رضي الله عنهم﴾ لإخلاصهم الإيمان به ﴿ورضوا عنه﴾ بما رزقهم من الحياة الطيبة والجنة ﴿أولئك حزب الله﴾ تشريف لهم ﴿ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ فهم جماعته الفاعلون في الأرض لما يجسم منهجه والإنسان ينتمي حتماً لأحد الحزبين حزب الله أو حزب الشيطان.

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

سورة الحشر

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: قصة إجلاء بني النضير لنقضهم العهد، الاستعداد للقاء الله.

١ ـ ﴿سبح لله مافي السموات والأرض﴾ تنزيهاً له عن النقص وفي هذا إشارة إلى نقض اليهود العهد ﴿وهو العزيز﴾ لايغلب ﴿الحكيم﴾ المتقن لفعله.

٢ ـ ﴿هو الذي أخرج﴾ وأجلى ﴿الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ وهم بنو النضير من اليهود ﴿من ديارهم﴾ لنقضهم العهد بأن يكونوا لا له ولاعليه ﴿لأول الحشر﴾ أي أول إخراجهم من جزيرة العرب ﴿ماظننتم أن يخرجوا﴾ لما كنتم تشاهدون فيهم من القوة والمنعة ﴿وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله﴾ فلن يغلبهم الله وهم متحصنون فيها وغرتهم هذه المنعة حتى نسوا قوة الله التي لاتردها الحصون ﴿فأتاهم﴾ أمر ﴿الله من حيث لم يحتسبوا﴾ فأنفذ إرادته لامن طريق الحصون كما ظنوا بل من طريق القلوب ﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾ والخوف الذي يملأ القلوب ﴿يخربون بيوتهم بأيديهم﴾ لئلا تقع بأيدي المؤمنين بعد خروجهم وهذه من قوة سلطانه تعالى حيث أجرى مأأراده بأيديهم أنفسهم ﴿وأيدي المؤمنين﴾ حيث أمرهم بذلك ووفقهم لامتثال أمره ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ بصنع العزيز الحكيم.

سُورَةُ الْحَشْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ ۖ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾

٣ ـ ﴿ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء﴾ وقضاه في حقهم لتطهير المدينة منهم ﴿لعذبهم في الدنيا﴾ بالاستئصال أو القتل والسبي كما فعل ببني قريظة ﴿ولهم في الآخرة عذاب النار﴾ خالدين فيها.

٤ ـ ﴿ذلك بأنهم شاقوا﴾ وخالفوا ﴿الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب﴾ ويظهر من الآية أن مشاقة الرسول مشاقة لله.

٥ ـ ﴿ما قطعتم من لينة﴾ أي نخلة ناعمة ﴿أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله﴾ وقد نادى اليهود محمداً ﷺ: يامحمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض، فما بال النخيل تقطع فنزلت الآية ﴿وليخزي الفاسقين﴾ بالقطع والترك.

٦ ـ ﴿ومأأفاء الله على رسوله منهم﴾ أي ماأرجعه الله لرسوله من أموال بني النضير ﴿فما أوجفتم﴾ وما أسرعتم ﴿عليه﴾ أي على الحصن ﴿من خيل ولاركاب﴾ حتى يكون لكم فيه حق بل مشيتم إلى حصونهم لقربها من المدينة وقد سلط النبي محمداً ﷺ على بني النضير فله أن يفعل فيهم مايشاء.﴿ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير﴾ فلا فضل لكم.

٧ ـ ﴿ماأفاء الله على رسوله من أهل القرى﴾ من بني النضير وغيرهم ﴿فلله وللرسول﴾ أي منه مايصرف في سبيل الله ومنه مايأخذه الرسول لنفسه ـ ولايُصغى لمن قال أن ذكره تعالى لمجرد التبرك ـ ﴿ولذي القربى﴾ وهم قرابة النبي ﷺ ولا معنى لحمله على قرابة عامة المؤمنين ﴿والبتامى﴾ الفقراء منهم ﴿والمساكين وابن السبيل﴾ من أهل البيت كما في الروايات ﴿كي لا يكون﴾ الفيء الذي يجب أن يصرف في مصارفه الحقه ﴿دولة بين الأغنياء منكم﴾ يتداولونه ويدور بيدهم ﴿ومآتاكم الرسول﴾ من الفيء ﴿فخذوه﴾ وقد أعطى النبي منه المهاجرين ونفراً من الأنصار ﴿وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ ولاتطلبوا ﴿واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ نهي عن المخالفة. ففي الدولة الجاهلية يستأثر الرؤساء بالغنيمة لأنهم أهل الرئاسة والدولة والغلبة.

٨ ـ ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم﴾ من مكة قبل الفتح ﴿يبتغون فضلاً﴾ أي رزقاً ﴿من الله﴾ في الدنيا ﴿ورضواناً﴾ في الآخرة ﴿وينصرون الله ورسوله﴾ بأموالهم وأنفسهم ﴿أولئك هم الصادقون﴾ مدح لما ظهر من ملكاتهم بعد أن استجابوا لما يحييهم.

٩ ـ ﴿و﴾ الأنصار ﴿الذين تبوّءوا الدار﴾ وعمروها ببناء مجتمع ديني ﴿و﴾ ألفوا ﴿الإيمان من قبلهم﴾ برفع نواقض الإيمان من حيث العمل بحيث يستطاع العمل بالطاعات ـ من غير حجر كما كان بمكة ـ ﴿يحبون من هاجر إليهم﴾ والتحق بهم إيماناً بالله ورسوله ﴿ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا﴾ فلاتضيق نفوسهم من إعطاء المهاجرين دونهم ولايحسدون ﴿ويؤثرون﴾ المهاجرين ﴿على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ وفقر وحاجة ﴿ومن يوق شح نفسه﴾ أي يحفظه الله من البخل ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون.

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

١٠ ـ ﴿والذين جاؤوا من بعدهم﴾ وآمنوا بعد انقطاع الهجرة بالفتح ﴿يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾ فهم يحبون لهم مايحبون لأنفسهم ﴿ولا تجعل في قلوبنا غلاً﴾ عداوة ﴿للذين آمنوا﴾ فلا بغية لنا إلا الإيمان ﴿ربنا إنك رؤوفٌ رحيمٌ﴾ فارأف بنا وارحمنا.

١١ ـ ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا﴾ وهم عبد الله بن أبيّ وأصحابه ﴿يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ وهم بنو النضير ﴿لئن أخرجتم﴾ أي أخرجكم المسلمون من دياركم ﴿لنخرجن معكم﴾ ملازمين لكم ﴿ولا نطيع فيكم أحداً أبداً﴾ إذا أشار علينا بمفارقتكم ﴿وإن قوتلتم لننصرنكم﴾ على المسلمين ﴿والله يشهد إنهم لكاذبون﴾ لايفون بوعدهم.

١٢ ـ ﴿لئن أخرجوا لايخرجون معهم ولئن قوتلوا لاينصرونهم﴾ تكذيب تفصيلي بعد إجمالي ﴿ولئن نصروهم﴾ على تقدير وقوعه منهم ـ ولن يقع أبداً ـ ﴿ليولن الأدبار﴾ فراراً ﴿ثم لاينصرون﴾ بل يهلكون.

١٣ ـ ﴿لأنتم﴾ أيها المسلمون ﴿أشد رهبةً في صدورهم من الله﴾ فالمنافقون يخشونكم ولايثبتون لكم ﴿ذلك بأنهم قومٌ لايفقهون﴾ ولو فهموا بان لهم أن الأمر لله فلا ينبغي أن يُرهَبَ إلا هو عز وجل.

١٤ ـ ﴿لايقاتلونكم﴾ أي بنو النضير والمنافقون ﴿جميعاً إلا في قرىً محصنةٍ أو من وراء جدرٍ﴾ فلا يبرزون لكم وهذا دأب اليهود لايقاتلون إلا من وراء المستعمرات المحصنة فإذا انكشفوا فروا وولوا على أدبارهم ﴿بأسهم﴾ وبطشهم ﴿بينهم شديدٌ﴾ ولكنهم يجبنون أمامكم ﴿تحسبهم جميعاً﴾ في ألفة واتحاد ﴿وقلوبهم شتى﴾ متفرقة ﴿ذلك بأنهم قومٌ لايعقلون﴾ ولو عقلوا لاتحدوا.

١٥ ـ ﴿كمثل الذين من قبلهم قريباً﴾ فمثل بني النضير كمثل بني القينقاع الذين أخرجهم الرسول ﷺ من المدينة بعد أن حاصرهم وذلك لأن امرأة مسلمة جلست عند صائغ يهودي منهم فعقدوا ذيل ثوبها بأعلاه فعندما قامت بدا منها ماكان مستوراً فوثب مسلم إلى الصائغ فقتله فوثب اليهود إلى المسلم فقتلوه فاستصرخ أهله المسلمين ﴿ذاقوا وبال﴾ وعاقبة ﴿أمرهم﴾ وقد نقضوا العهد مع الرسول ﷺ فأجلاهم ﷺ إلى أذرعات ﴿ولهم عذاب أليم﴾ يوم القيامة.

﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾

١٦ ـ ﴿كمثل الشيطان﴾ يغر الإنسان بالأماني ﴿إذ قال للإنسان اكفر﴾ وهو يعده ويمنيه ﴿فلما كفر قال إني بريءٌ منك﴾ فالمنافقون دعوا بني النضير إلى مخالفة النبي ﷺ ووعدوهم بالنصر ثم غدروا بهم ﴿إني أخاف الله رب العالمين﴾ فالشيطان كان يخاف تعذيب الملائكة النازلين لنصرة المؤمنين ببدر. أو أنه كان يخاف مايلحقه من وبال دعوة الإنسان للكفر.

١٧ ـ ﴿فكان عاقبتهما﴾ أي الإنسان والشيطان ﴿أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين﴾ وهذه حال المنافقين ووعودهم لليهود.

١٨ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ وتورعوا عن محارمه ﴿ولتنظر نفس ماقدمت لغدٍ﴾ بالنظر إلى الأعمال وصلاحها ليوم القيامة وهو يوم حساب الأعمال ﴿واتقوا الله﴾ في مقام المحاسبة والنظر في الأعمال ﴿إن الله خبيرٌ بما تعملون﴾ ويعلم مافي الأعمال من صلاح وإخلاص أو عدمهما.

١٩ ـ ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله﴾ ونسوا صفاته التي ترتبط بها صفات الإنسان الذاتية من الذلة والفقر الحاجة ﴿فأنساهم أنفسهم﴾ بتوهم الاستقلال في الوجود، وتوهم ما يتراءى لهم من الكمال، فينسون ربهم ﴿أولئك هم الفاسقون﴾ الخارجون عن زي العبودية.

٢٠ ـ ﴿لايستوي أصحاب النار﴾ الناسون له تعالى ﴿وأصحاب الجنة﴾ الذاكرون له تعالى، ولا بد للإنسان أن يلحق بأحدهما ﴿أصحاب الجنة هم الفائزون﴾ الظافرون بالخير والسلامة.

٢١ ـ ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيته﴾ مع مافيه من الغلظة والقسوة ﴿خاشعاً متصدعاً﴾ متفرقاً متفطراً ﴿من خشية الله﴾ فالقرآن يهدي إلى كمال السعادة ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ ومن لايخشع بالقرآن فقلبه كالحجارة أو أشد قسوة.

٢٢ ـ ﴿هو الله الذي لا إله﴾ لامعبود ﴿إلا هو﴾ تعالى في ألوهيته ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ مما هو مدرك وغير مدرك ﴿هو الرحمن﴾ يفيض رحمته على جميع خلقه ﴿الرحيم﴾ يختص المؤمنين بهدايته.

٢٣ ـ ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو الملك﴾ المالك لتدبير أمر الناس والحكم فيهم ﴿القدوس﴾ ـ مبالغة في القدس ـ وهو النزاهة والطهارة ﴿السلام﴾ يلاقي بالسلامة والعافية ﴿المؤمن﴾ يعطي الأمن ﴿المهيمن﴾ الفائق المسيطر ﴿العزيز﴾ الغالب لايغلب ﴿الجبار﴾ تنفذ إرادته ويجبر على مايشاء ﴿المتكبر﴾ الذي تلبس بالكبرياء ﴿سبحان الله عما يشركون﴾ ثناء عليه وتنزيه.

٢٤ ـ ﴿هو الله الخالق﴾ الموجد عن تقدير ﴿البارئ﴾ المنشىء للأشياء متميزاً بعضها عن بعض ﴿المصور﴾ للأشياء ليمتاز بها بعضها من بعض ﴿له الأسماء الحسنى﴾ غير ما ذكر ﴿يسبح له مافي السموات والأرض﴾ أي جميع المخلوقات ﴿وهو العزيز﴾ الغالب ﴿الحكيم﴾ الذي أتقن فعله؛ فلا يعجزه فيما شرعه معصية العاصين؛ ولا يضيع أجر المحسنين.

فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

سُورَةُ الْمُمْتَحَنَةِ

سورة الممتحنة

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: تشديد النهي عن موالاة المؤمنين لأعداء الله من الكفار ومواددتهم، بعض أحكام النساء المهاجرات، بيعة المؤمنات.

١ ـ ﴿يأيها الذين آمنوا﴾ نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وقد أسرَّ كتاباً إلى المشركين بمكة يخبرهم بعزم الرسول ﷺ على الخروج إليها لفتحها؛ لتكون له يد عندهم ـ يقي بذلك أرحامه ـ فأخبر الله نبيه فنزلت ﴿لاتتخذوا﴾ المشركين ـ وهم ـ ﴿عدوي﴾ يتخذون لي شركاء ويردون دعوتي ويكذبون رسولي ﴿وعدوكم﴾ يعادونكم لإيمانكم بالله وتفديتكم أموالكم وأنفسكم في سبيله ﴿أولياء﴾ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴿تلقون إليهم بالمودة﴾ تظهرون المودة أو توصلونها إليهم ﴿وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾ وهو الدين الحق الذي يدعو إليه النبي ﷺ؛ والجملة حالية. ﴿يخرجون الرسول وإياكم﴾ من مكة إلى المدينة ﴿أن تؤمنوا بالله ربكم﴾ وربوبية الله حق لاجرم. ﴿إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي﴾ ـ يتعلق بقوله لاتتخذوا ـ ﴿وابتغاء مرضاتي﴾ وهذا من باب اشتراط الحكم بأمر محقق الوقوع تأكيداً له وإيذاناً بالملازمة بين الشرط والحكم كقول الوالد لولده: إن كنت ولدي فلا تفعل كذا ﴿تسرون إليهم بالمودة﴾ خفية ﴿وأنا أعلم﴾ حال من فاعل تسرون وهي اسم تفضيل ﴿بما أخفيتم وما أعلنتم﴾ يستوي الإخفاء والإعلان لأنه تعالى محيط بما ظهر وما بطن ﴿ومن يفعله منكم﴾ أي ومن يواليهم ﴿فقد ضل سواء السبيل﴾ وهو سبيله تعالى. ٢ ـ ﴿إن يثقفوكم﴾ الثقف: الحذق في إدراك الشيء ﴿يكونوا لكم أعداءً﴾ فالإسرار إليهم بالمودة لايفضي إلى المحبة ودفع العداوة ﴿ويبسطوا إليكم أيديهم﴾ كناية عن القتل والسبي والتعذيب ﴿وألسنتهم بالسوء﴾ كناية عن السب والشتم ﴿وودوا لو تكفرون﴾ بما يسبيون لكم من أذى. ٣ ـ ﴿لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم﴾ الذين قدمتم صيانتهم من أذى الكفار على صيانة أنفسكم من عذاب الله، ﴿يوم القيامة يفصل بينكم﴾ فتتقطع الأنساب والأسباب ﴿والله بما تعملون بصير﴾ فيؤاخذكم بموالاتهم. ٤ ـ ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم﴾ وآله ﴿والذين معه﴾ من المؤمنين كلوط ﴿إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله﴾ إذ لاقتداء لما فيه الأسطورة والباطل ﴿كفرنا بكم﴾ أي بشرككم ﴿وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء﴾ فآثرنا البراءة منكم والكفر بكم مع معاداتكم ﴿أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده﴾ لاشريك له ﴿إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك﴾ ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه﴾ ﴿وما أملك لك من الله من شيء﴾ إظهار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾

لفقر العبودية وذلتها قبال غنى الربوبية وعزتها؛ فله تعالى أن يستجيب ويرحم وله أن يعرض ويمسك ﴿ربنا عليك توكلنا﴾ في أمورنا كلها ﴿وإليك أنبنا﴾ رجعنا إليك بأمورنا التي كان علينا تدبيرها ﴿وإليك المصير﴾ وقد هاجرنا بأنفسنا إليك. ٥ ـ ﴿ربنا لاتجعلنا فتنةً﴾ محنة ﴿للذين كفروا﴾ فلا تسلطهم علينا فيؤذوننا لأن ضعف الضعيف فتنة تشجع القوي على إيذائه ﴿واغفر لنا ربنا﴾ وتكرار النداء ـ ربنا ـ لإثارة الرحمة الإلهية ﴿إنك أنت العزيز﴾ القاهر فوق عبادك ﴿الحكيم﴾ المتقن لأفعالك، تعلم بأي طريق تحفظنا. ٦ ـ ﴿لقد كان لكم فيهم أسوةٌ حسنةٌ﴾ تكرار حديث الأسوة لتأكيد الإيجاب ﴿لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ رجاء ماوعد الله المؤمنين وما أعد لهم من الثواب ﴿ومن يتول﴾ معرضاً ﴿فإن الله هو الغني﴾ في ذاته، عنهم وعن طاعتهم ﴿الحميد﴾ فيما يأمرهم وينهاهم؛ لأن في ذلك صلاحهم وسعادتهم.

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

٧ ـ ﴿عسى الله أن يجعل بينكم﴾ معشر المؤمنين ﴿وبين الذين عاديتم منهم﴾ وهم كفار مكة ﴿مودةً﴾ بتوفيقهم للإسلام كما وقع في فتح مكة ﴿والله قديرٌ﴾ يتصرف في نفوسكم ﴿والله غفورٌ رحيمٌ﴾ يستر نقائص العداوة ويبدلها مودة. ٨ ـ ﴿لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم﴾ من أهل المعاهدة والبر والإحسان ﴿أن تبروهم وتقسطوا إليهم﴾ بمعاملتهم بالعدل ﴿إن الله يحب المقسطين﴾ تعليل لقوله: لاينهاكم .... ٩ ـ ﴿إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم﴾ وهم مشركو مكة وقد أخرجوكم منها ﴿وظاهروا على إخراجكم﴾ أي عاونوا عليه ﴿أن تولوهم﴾ بدل من: الذين قاتلوكم ﴿ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾ تأكيد للنهي عن توليهم. ١٠ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا﴾ ـ نزلت بعد صلح الحديبية ـ ﴿إذا جاءكم المؤمنات مهاجراتٍ﴾ فقد جاءت سبيعة بنت الحارث مهاجرة إلى الرسول، ثم جاء زوجها في طلبها وكان كافراً؛ فأجابه النبي أن ما شرطوه في عهد الصلح رد الرجال دون النساء؛ وأعطاه ماأنفق عليها من المهر ﴿فامتحنوهن﴾ أي اختبروا إيمانهن بما يظهره كالشهادة والحلف وقد روي أن رسول الله ﷺ استحلفها أنها ماخرجت من بغض زوج وأن الهجرة ما كانت إلا رغبة في الإسلام ﴿الله أعلم بإيمانهن﴾ فهو يعلم حقيقته ﴿فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار﴾ فاتصافهن بالإيمان سبب الحكم ﴿لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن﴾ فوشيجة الزوجية يقطعها الكفر ﴿وآتوهم ماأنفقوا﴾ من مهور ﴿ولا جناح عليكم﴾ رفع المانع ﴿أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن﴾ أي مهورهن ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ فالنكاح الدائم يعصم المرأة ويحصنها؛ فعلى من أسلم أن يخلي سبيل زوجته الكافرة سواء كانت مشركة أم كتابية ﴿واسألوا ماأنفقتم وليسألوا ماأنفقوا﴾ من المهور ﴿ذلكم حكم الله يحكم بينكم﴾ إن الحكم إلا لله ﴿والله عليمٌ﴾ بأحكامه ﴿حكيمٌ﴾ فيما شرع. ١١ ـ ﴿وإن فاتكم شيءٌ من﴾ مهر ﴿أزواجكم﴾ بلحوقهن ﴿إلى الكفار﴾ وعدم ردهم ماأنفقتم من مهر ﴿فعاقبتم﴾ أي أصبتم منهم غنيمة هي عقبى الغزو ﴿فآتوا﴾ المؤمنين ﴿الذين ذهبت أزواجهم مثل ماأنفقوا﴾ من المهر ﴿واتقوا الله

الذي أنتم به مؤمنون﴾ فمقتضى الإيمان بالله تقواه والالتزام بأوامره ونواهيه.

١٢ ـ ﴿ياأيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لايشركن بالله شيئاً﴾ من الأصنام والأوثان والأرباب ﴿ولا يسرقن﴾ لامن أزواجهن ولا من غيرهم ﴿ولا يزنين﴾ باتخاذ الأخدان وغير ذلك ﴿ولا يقتلن أولادهن﴾ بالوأد أو إسقاط الأجنة ﴿ولا يأتين ببهتانٍ يفترينه بين أيديهن وأرجلهن﴾ بأن يحملن من الزنا ويضعن وينسبنه إلى أزواجهن ﴿ولا يعصينك في معروفٍ﴾ أي لايتخلفن عن سنتك فبايعهن واستغفر لهن الله ﴿إن الله غفورٌ رحيمٌ﴾ تقوية للرجاء.

١٣ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتتولوا قوماً غضب الله عليهم﴾ هم اليهود ﴿قد يئسوا من الآخرة﴾ من ثوابها ﴿كما يئس الكفار﴾ المنكرون للبعث ﴿من أصحاب القبور﴾ وهم الموتى، فاحذروا موالاتهم وموادتهم لأنها تتنافى مع الإيمان.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

سورة الصف

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: الحض على الجهاد، سطوع نور الدين، إثبات رسالته ﷺ ووجوب طاعته.

١ ـ ﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾ الافتتاح بالتسبيح لما في السورة من توبيخ للمؤمنين على تقصيرهم ﴿وهو العزيز﴾ لايغلب ﴿الحكيم﴾ المتقن لفعله.

٢ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالاتفعلون﴾ وقد تخلف بعضهم عن وعده بالثبات في القتال والإنفاق في سبيل الله. ٣ ـ ﴿كبر مقتاً﴾ وبغضاً ﴿عند الله أن تقولوا مالاتفعلون﴾ وهذا من النفاق. ٤ ـ ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً﴾ مستوياً ﴿كأنهم بنيان مرصوص﴾ المحكم بالرصاص ليقاوم الانهدام.

٥ ـ ﴿وإذ قال موسى لقومه ياقوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم﴾ نهي عن إيذاء الرسول بقول أو فعل ﴿فلما زاغوا﴾ ومالوا عن الاستقامة وانحرفوا إلى الباطل ﴿أزاغ الله قلوبهم﴾ بقطع هدايته عنهم، ﴿والله لايهدي القوم الفاسقين﴾ وما يضل به إلا الفاسقين المعرضين عن الرحمة.

سُورَةُ الصَّفِّ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾

٦ ـ ﴿وإذ قال عيسى بن مريم يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم﴾ توطئة لما سيذكر من كون النبي ﷺ رسولاً مبشراً به من قبل ﴿مصدقاً لما بين يدي من التوراة﴾ فلا تناقض بين الشريعتين ولانسخ من أحكام التوراة إلا القليل ﴿ومبشراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾ والبشرى خبر سار مفرح، ولا بشرى إلا بما فيه الخير وهو انفتاح باب الرحمة والهداية فما أتى به النبي أحمد ﷺ أرقى وأكمل ﴿فلما جاءهم﴾ محمد ﷺ ﴿بالبينات﴾ وهي البشارة ومعجزة القرآن وآيات النبوة ﴿قالوا﴾ أي بنو إسرائيل ﴿هذا سحرٌ مبينٌ﴾ ظاهر.

٧ ـ ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب﴾ فلا أظلم ممن نسب ديناً إلى الله ﴿وهو يدعى إلى الإسلام﴾ الذي لايتضمن إلا التسليم لله ﴿والله لايهدي القوم الظالمين﴾ ولا أظلم من هذه الفرية.

٨ ـ ﴿يريدون ليطفئوا نور الله﴾ بالنفخ ﴿بأفواههم﴾ زاعمين أنه نور ضعيف فرموه بالسحر ونفوا نسبته إلى الله ﴿والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾ فقد أخطؤوا في مزعمتهم والله بالغ أمره.

٩ ـ ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى﴾ أي بنوره تعالى ﴿ودين الحق﴾ وهو الإسلام ﴿ليظهره﴾ ويجعله غالباً ﴿على الدين كله﴾ أي على كل سبيل مسلوك غير شريعة الإسلام ﴿ولو كره المشركون﴾ من أهل الأوثان؛ فالمشرك من نصب ديناً غير دين الله ودان به.

١٠ ـ ١١ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة﴾ عظيمة الشأن ﴿تنجيكم من عذابٍ أليمٍ﴾ والعقل يقضي بالإيجاب ﴿تؤمنون بالله ورسوله﴾ مع لزوم طاعتهما ﴿وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم﴾ فتبذلون غاية الجهد في ذلك ﴿ذلكم﴾ الإيمان والجهاد ﴿خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون﴾ وتفقهون.

١٢ ـ ﴿يغفر لكم ذنوبكم﴾ جميعها ﴿ويدخلكم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبةً في جنات عدنٍ﴾ وهي جنات ثبات واستقرار ﴿ذلك الفوز العظيم﴾ مقابل ما قدمتم.

١٣ ـ ﴿وأخرى تحبونها﴾ من النعم وهي ﴿نصرٌ من الله وفتحٌ قريبٌ﴾ عاجل ﴿وبشر المؤمنين﴾ بمجموع الأجر والثواب.

١٤ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله﴾ واثبتوا في سلوك سبيل نصرة نبيه ﴿كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله﴾ في توحيده وعبادته ﴿قال الحواريون نحن أنصار الله﴾ نتبعك ونطيعك ﴿فآمنت طائفةٌ من بني إسرائيل وكفرت طائفةٌ﴾ في ذلك تلويح إلى أن أمة محمد ﷺ يجري فيهم ماجرى في أمة عيسى ﴿فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم﴾ بقيامهم لنصرة الحق ﴿فأصبحوا ظاهرين﴾ غالبين وهذه سنة الله في نصر من ينصره.

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾

سورة الجمعة
بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: الحث على صلاة الجمعة، ضرورة حمل معارف الدين أحسن الحمل، والحذر من مضاهاة اليهود في عدم الالتزام بالمعارف والأحكام وتقريع المؤمنين على ترك الصلاة من يوم الجمعة ـ مع النبي ـ والانسلال إلى اللهو والتجارة.

١ ـ ﴿يسبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾ تنزيهاً له عما لايليق بساحته ﴿الملك﴾ الحاكم ﴿القدوس﴾ مبالغة في النزاهة والطهارة ﴿العزيز﴾ لايغلب ﴿الحكيم﴾ المتقن فعله.

٢ ـ ٣ ـ ﴿هو الذي بعث في الأميين﴾ الذين لايقرأون ولا يكتبون ﴿رسولاً منهم﴾ من جنسهم ﴿يتلو عليهم آياته﴾ أي آيات كتابه ﴿ويزكيهم﴾ لتنميتهم نماء صالحاً وفي ذلك كمال سعادتهم فيرتقون من الشرك إلى التوحيد ﴿ويعلمهم﴾ ألفاظ ﴿الكتاب والحكمة﴾ وهي المعارف القرآنية ﴿وإن كانوا من قبل﴾ البعثة ﴿لفي ضلال مبين﴾ فبعثته منّة من الله ﴿وآخرين منهم﴾ ـ من الأميين ـ ﴿لما يلحقوا بهم﴾ بعد. فالتزكية وتعليم الكتاب والحكمة التي هي ثمرة رسالة الإسلام لكافة العصور تقابل خلاف ذلك من غير الإسلام فضل من الله ﴿وهو العزيز﴾ ينزل الرسالة من مقام عظمته ﴿الحكيم﴾ في هداية الناس إلى مافيه كمالهم وسعادتهم.

٤ ـ ﴿ذلك﴾ الإرسال لمحمد ﷺ ﴿فضل الله﴾ وعطاؤه ﴿يؤتيه من يشاء﴾ وقد شاء أن يعطيه محمداً ﷺ ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ فالرسالة عطاء منه وهذا لاينفي تميزه ﷺ على العالمين.

٥ ـ ﴿مثل الذين حملوا التوراة﴾ بتعلمها والعمل بها ﴿ثم لم يحملوها﴾ تحذير من الاقتداء بهم ﴿كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾ كتباً لايستفيد بما فيها من المعرفة والحكمة ﴿بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لايهدي القوم الظالمين﴾ فعلى المسلمين أن يهتموا بأمر الدين ويراقبوا الله في أعمالهم، ويعظموا رسوله ﷺ ولا يستهينوا بما جاء به.

سُورَةُ الجُمُعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

٦ ـ ٧ ـ ﴿قل ياأيها الذين هادوا إن زعمتم﴾ واعتقدتم ﴿أنكم أولياء لله من دون الناس﴾ وأحباء له ﴿فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾ لأن الولي يحب لقاء وليه ولأن مصير أولياء الله هو الجنة ﴿ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم﴾ من الظلم والفسق ﴿والله عليمٌ بالظالمين﴾ يعلم أنهم لايحبون لقاءه لأنهم أعداؤه.

٨ ـ ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم﴾ لامحالة ﴿ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة﴾ وقد خرجتم بظلمكم عن زي العبودية ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ ويحملكم تبعاته.

٩ ـ ١٠ ـ ﴿يأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة﴾ بالأذان لصلاة الجمعة ﴿فاسعوا إلى ذكر الله﴾ مجدين في ذلك ﴿وذروا البيع﴾ نهي عن كل عمل يشغل عن صلاة الجمعة ﴿ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون﴾ حث وتحريض، فطلب الخير خير. ﴿فإذا قضيت الصلاة﴾ وانتهت ﴿فانتشروا﴾ وتفرقوا ﴿في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾ أي اطلبوا الرزق بالبيع والشراء، واطلبوا الثواب بعيادة مريض أو السعي في حاجة مسلم ﴿واذكروا الله كثيراً﴾ باللفظ والعمل والتوجه الباطني ﴿لعلكم تفلحون﴾ وتنجون من كل شقاء.

١١ ـ ﴿وإذا رأوا تجارةً أو لهواً﴾ وقد ورد أنه ورد المدينة عير معها تجارة والنبي يخطب؛ فضربوا بالطبل والدف لإعلام الناس فلما رأوها ﴿انفضوا إليها﴾ متفرقين ﴿وتركوك قائماً﴾ تخطب ﴿قل ما عند الله﴾ من الثواب الذي يستعقبه سماع الخطبة ﴿خيرٌ من اللهو ومن التجارة﴾ لأن ثوابه تعالى خير حقيقي دائم غير منقطع، لاكغيره. ﴿والله خير الرازقين﴾ فهو الرزاق الكريم الذي تدوم نعمته. وقد حدث أن تفرق الناس ـ وقد أتت تجارة من الشام ـ ولم يبق في المسجد، والرسول يخطب إلا اثناعشر فقال النبي ﷺ: «لولا هؤلاء لسوّمت عليهم الحجارة».

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾

سورة المنافقون

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: فضح المنافقين المعاصرين للرسول ﷺ ومنع الاستغفار لهم، الحض على الذكر والإنفاق.

١ ـ ﴿إذا جاءك المنافقون﴾ المظهرون للإيمان المبطنون للكفر ﴿قالوا نشهد إنك لرسول الله﴾ والشهادة على الرسالة إيمان بها ﴿والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ كذباً مخبرياً.

٢ ـ ٣ ـ ﴿اتخذوا أيمانهم﴾ حلفهم ﴿جنةً﴾ وقاية لأنفسهم فقد كانوا يحلفون الأيمان كلما انكشف أمرهم أو عرف عنهم كيد أو تدبير ﴿فصدوا عن سبيل الله﴾ أعرضوا عنه، أو صرفوا الناس عن دين الله ﴿إنهم ساء ماكانوا يعملون﴾ تقبيح لأعمالهم ﴿ذلك بأنهم آمنوا﴾ بألسنتهم بشهادة أن لا إله إلا الله، ولا يبعد أن يكون فيهم من آمن حقيقة ﴿ثم كفروا﴾ ارتدوا وكتموا ارتدادهم فلحقوا بالمنافقين ﴿فطبع على قلوبهم﴾ وختم عليها ﴿فهم لايفقهون﴾ كلمة الحق.

٤ ـ ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم﴾ فلهم صباحة المنظر ﴿وإن يقولوا تسمع لقولهم﴾ لحلاوة ظاهره ﴿كأنهم خشبٌ مسندةٌ﴾ أشباح بلا أرواح ﴿يحسبون كل صيحةٍ عليهم﴾ فهم يخافون ظهور أمرهم وانكشاف نفاقهم ﴿هم العدو﴾ الحقيقي الكامن ﴿فاحذرهم﴾ فإن أعدى الأعداء من يعاديك وأنت تحسبه صديقك ﴿قاتلهم الله﴾ فشمول اللعن والطرد لهم مقرر ثابت ﴿أنى يؤفكون﴾ وكيف يصرفون عن الحق؛ فهم قد أذعنوا قولاً وأنكروا قلباً.

سُورَةُ الْمُنَٰفِقُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

٥ ـ ﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله﴾ عندما ظهر منهم بعض خيانتهم ﴿لووا رؤوسهم﴾ ومالوا بها ﴿ورأيتهم يصدون﴾ ويعرضون ﴿وهم مستكبرون﴾ عن إجابة قوله.

٦ ـ ﴿سواءٌ عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم﴾ فلا يفيدهم استغفارك ﴿لن يغفر الله لهم﴾ لأن مغفرته هداية ﴿إن الله لايهدي القوم الفاسقين﴾ الخارجين عن زي العبودية.

٧ ـ ﴿هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله﴾ أي على المؤمنين الملازمين له ﴿حتى ينفضوا﴾ تحت وطأة الضيق والجوع ويتفرقوا عنه فيزول سلطانه. ﴿ولله خزائن السموات والأرض﴾ فلا حاجة له إلى إنفاقهم، ولكنه يختار الأصلح فيمتحن النفوس بالفقر ليأجرها ﴿ولكن المنافقين لايفقهون﴾ الحكمة في ذلك وأن من هذه الخزائن يرتزقون.

٨ ـ ﴿يقولون﴾ والقائل هو عبد الله بن أبيّ بن سلول ﴿لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل﴾ ومراده بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله ﷺ ﴿و لله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ حصراً ﴿ولكن المنافقين لايعلمون﴾ ولا يبقى لهم إلا الذلة والجهالة. فالعزة لاتنفك عن المؤمنين كما لاتنفك عن الله ورسوله.

٩ ـ ﴿يأيها الذين آمنوا لاتلهكم﴾ ولا تشغل قلبكم ﴿أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله﴾ مما يؤدي إلى القول من غير عمل فينسى العبد ربه وينساه ربه ﴿ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾ الذين خسروا أنفسهم.

١٠ ـ ﴿وأنفقوا مما رزقناكم﴾ أعم من الإنفاق الواجب ﴿من قبل أن يأتي أحدكم الموت﴾ فينقطع أمد استطاعته التصرف بماله ﴿فيقول رب لولا أخرتني إلى أجلٍ قريبٍ﴾ فهو يقنع بقليل من التمديد ﴿فأصّدّق وأكن من الصالحين﴾ أي إن أتصدق أكن من الصالحين.

١١ ـ ﴿ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها﴾ فلا أمل في ذلك ﴿والله خبيرٌ بما تعملون﴾ فمن بخل واستغنى فسنيسره للعسرى.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

سُورَةُ التَّغَابُنِ

سورة التغابن

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: الحث على الإنفاق، انزال السكينة على قلوب المؤمنين، الرجوع إلى الله حق.

١ ـ ﴿يسبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾ تنزيهاً لأحكامه عن النقص ﴿له الملك﴾ بلا حد فله الحكم ﴿وله الحمد﴾ من كل حامد لرجوع كل شيء إليه ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ فلا حد لقدرته، وله أن يبعث خلقه.

٢ ـ ﴿هو الذي خلقكم فمنكم كافرٌ ومنكم مؤمنٌ﴾ فأنتم منشعبون فرقتين باختياركم ﴿والله بما تعملون بصيرٌ﴾ فهو يميز ظاهر الأعمال وباطنها.

٣ ـ ٤ ـ ﴿خلق السموات والأرض بالحق﴾ أي لغاية ثابتة ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾ بحيث تناسب تجهيزاتها بعضها لبعض، والمجموع لغاية وجودها وقد اجتمع فيها الجمال والكمال ﴿وإليه المصير﴾ فالرجوع إلى الله غاية الخلق. ﴿يعلم مافي السموات والأرض ويعلم ماتسرون وماتعلنون﴾ فهو قادر على أن يحيي الموتى ﴿و الله عليمٌ بذات الصدور﴾ وما سكن فيها من الإثم. ٥ ـ ٦ ـ ﴿ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل﴾ خطاب للمشركين ﴿فذاقوا وبال أمرهم﴾ وتبعته السيئة وقد أصابهم عذاب الاستئصال ﴿ولهم﴾ في الآخرة ﴿عذابٌ أليمٌ﴾ فوق عذاب الدنيا ﴿ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات﴾ بصورة مستمرة ﴿فقالوا أبشرٌ يهدوننا﴾ ولا فضل لهم علينا ﴿فكفروا وتولوا﴾ وركنوا إلى كفرهم وإعراضهم ﴿واستغنى الله﴾ أي أظهر الغنى، وقد كانوا يرون لأنفسهم من العلم والقوة والاستطاعة مايدفع الفناء عن جمعهم، فذاقوا وبال أمرهم ﴿والله غنيٌ حميدٌ﴾ ففعله بهم عدل، لأن مقتضى عملهم هو المردود إليهم.

٧ ـ ﴿زعم الذين كفروا﴾ من الوثنيين ﴿أن لن يبعثوا﴾ ونفي المعاد يلغي أثر الدين ﴿قل بلى وربي لتبعثن﴾ تأكيد وإثبات لما نفوه ﴿ثم لتنبؤن بما عملتم﴾ يوم الحساب ﴿وذلك على الله يسيرٌ﴾ لأنه الله الذي له كل صفات الكمال. ٨ ـ ﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا﴾ وهو القرآن، فالمعاد حق ﴿والله بما تعملون خبيرٌ﴾ فهو يعلم دقائق أعمالكم. ٩ ـ ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع﴾ وهو يوم القيامة ﴿ذلك يوم التغابن﴾ حيث يظهر الغبن والبخس في المعاملات، فالمؤمن لم يعمل لآخرته أكثر مما عمل، والكافر لم يعمل أصلاً وكلا الفريقين لم يقدرا اليوم حق قدره. وهذا غبن لاتغابن، أويكون المعنى التغابن بين التابعين والمتبوعين؛ أو أن المؤمنين ينالون نصيب الجنة الذي كان قد أعد للكافرين فيكون أهل الجنة غابنين وأهل النار مغبونين ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته﴾ والتكفير هو الستر ﴿ويدخله جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾ والفلاح المبين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾

١٠ ـ ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار﴾ ملازمين لها ﴿خالدين فيها وبئس المصير﴾ وساءت مرتفقاً.

١١ ـ ﴿ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله﴾ وإذنه تعالى هو التخلية بين السبب ومسببه، برفع الموانع التي تتخلل بينهما، فالنار تحرق القطن لولا الفصل بينهما بالرطوبة، فرفع الرطوبة ورفع الفصل يسبب حرق النار، وهذا الإذن تكويني غير تشريعي، فلذلك كان الصبر على بعض المصائب غير جائز. ولا مأذون في تحملها كمظالم الأعراض والنفوس ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ فالإذعان بكونه تعالى هو الله يستعقب اهتداء النفس إلى هذه الحقائق واطمئنان القلب وسكونه من جهة تعلقه بالأسباب الظاهرة ﴿والله بكل شيء عليم﴾ فيعلم مايصيبكم.

١٢ ـ ﴿وأطيعوا الله﴾ بالانقياد له فيما شرع ﴿وأطيعوا الرسول﴾ بحسب ولايته للأمة ﴿فإن توليتم﴾ وأعرضتم ﴿فإنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ ولم يؤمر أن يكرهكم.

١٣ ـ ﴿الله لا إله إلا هو﴾ فلا معبود ولا مطاع إلا هو ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ ويولونه أمورهم، ويطيعونه.

١٤ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا إن من﴾ بعض ﴿أزواجكم وأولادكم عدواً لكم﴾ فهم يصرفونكم عن الإيمان أو عن الإنفاق أو عن الهجرة أو يحملونكم على الكفر أو المعاصي ﴿فاحذروهم﴾ لئلا يوردوكم موارد الهلكة ﴿وإن تعفوا﴾ بقصد إزالة الذنب ﴿وتصفحوا﴾ بترك التثريب ﴿وتغفروا﴾ تستروا النقيصة ﴿فإن الله غفورٌ رحيمٌ﴾ فتخلقوا بهذه الصفات لتنالوا مغفرته تعالى ورحمته.

١٥ ـ ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنةٌ﴾ وامتحان لانجذاب النفوس إليها فتلهو عما يهمها في آخرتها ﴿والله عنده أجرٌ عظيمٌ﴾ فلا تفرطوا في جنب الله بالإنجذاب إليهما.

١٦ ـ ﴿فاتقوا الله مااستطعتم﴾ أي مبلغ استطاعتكم ﴿واسمعوا﴾ واستجيبوا ﴿وأطيعوا﴾ بالانقياد عملاً ﴿وأنفقوا﴾ في سبيل الله ﴿خيراً لأنفسكم﴾ فأنتم المنتفعون بالإنفاق والإيمان ﴿ومن يوق شح نفسه﴾ وبخلها ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون.

١٧ ـ ١٨ ـ ﴿إن تقرضوا الله قرضاً حسناً﴾ بالانفاق في سبيله ﴿يضاعفه لكم ويغفر لكم﴾ وتنالوا حسن الجزاء في الدنيا والآخرة ﴿والله شكورٌ﴾ يثيب النعم ﴿حليمٌ﴾ يمهل من قصر ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ فلا يغيب عن علمه شيء ﴿العزيز﴾ في أمركم بالإقراض لأنه يملككم وماتملكون ﴿الحكيم﴾ المتقن لفعله. فاسمعوا وأطيعوا وأنفقوا.

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

سُورَةُ الطَّلَاقِ

سورة الطلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿يأيها النبي إذا طلقتم النساء﴾ أي أردتم وأشرفتم على طلاقهن ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾ والعدة: هي قعود المرأة عن الزوج حتى تنقضي المدة المرتبة شرعاً ﴿وأحصوا العدة﴾ بعدّ القروء التي تعتد بها، لأن للمرأة حق النفقة والسكن على زوجها وللزوج فيها حق الرجوع. ﴿واتقوا الله ربكم﴾ بتجنب نواهيه ﴿لاتخرجوهن من بيوتهن﴾ التي كن يسكنها قبل الطلاق ﴿ولا يخرجن﴾ من أنفسهن ﴿إلا أن يأتين بفاحشةٍ مبينةٍ﴾ كالزنا والبذاء ﴿وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله﴾ وأحكامه ﴿فقد ظلم نفسه﴾ أي عصى ربه ﴿لاتدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾ يقضي بتبديل الحال كالرجوع إلى سابق الحال.

بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾

٢ ـ ﴿فإذا بلغن أجلهن﴾ واقتربن من آخر زمان العدة ﴿فأمسكوهن بمعروفٍ﴾ أي أرجعوهن إلى الزوجية بحسن صحبة ورعاية حق ﴿أو فارقوهن بمعروفٍ﴾ بتركهن ليبنَّ ويخرجن من العدة مع حفظ حقوقهن. ﴿وأشهدوا ذوَيْ عدلٍ منكم﴾ على الطلاق ﴿وأقيموا الشهادة لله﴾ فهو الشاهد على الأعمال والأقوال والنيات ﴿ذلكم﴾ أي الأمر بالتقوى والالتزام بالحدود ﴿يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ ليركن إلى الحق وينقلع عن الباطل ﴿ومن يتق الله﴾ بالتورع عن محارمه والتزام أوامره ﴿يجعل له مخرجاً﴾ من مشكلات الحياة فإن الدين والشريعة أمور فطرية.

٣ ـ ﴿ويرزقه﴾ من الزوج والمال ﴿من حيث لايحتسب﴾ أي لايتوقع ﴿ومن يتوكل على الله﴾ بإيثاره إرادة الله على إرادة نفسه ﴿فهو حسبه﴾ أي كافيه لأنه السبب الأعلى الذي تنتهي إليه الأسباب. ﴿إن الله بالغ أمره﴾ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴿قد جعل الله لكل شيءٍ قَدْراً﴾ مقدوراً وحداً محدوداً.

٤ ـ ﴿واللائي يئسن من المحيض من نسائكم﴾ لكبر أو عارض ﴿إن ارتبتم﴾ وشككتم في يأسهن ﴿فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن﴾ وهن في سن من يحضن فعدتهن ثلاثة أشهر ﴿وأولات الأحمال أجلهن﴾ أي منتهى زمان عدتهن ﴿أن يضعن حملهن﴾ فالوضع منتهى عدة الحامل ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً﴾ يسهل مايستقبله من الشدائد والمشاق.

٥ ـ ﴿ذلك أمر الله﴾ وحكمه ﴿أنزله إليكم ومن يتق الله﴾ بالتزام حدوده ﴿يكفر عنه سيئاته﴾ بالمغفرة ﴿ويعظم له أجراً﴾ لتقواه والتزامه بأوامره تعالى.

٦ ـ ﴿أسكنوهن﴾ أي المطلقات ﴿من حيث سكنتم من﴾ المساكن بقدر ﴿وجدكم﴾ وتمكنكم وغناكم ﴿ولاتضاروهن لتضيقوا عليهن﴾ بالسكن والكسوة والنفقة ﴿وإن كن أولات حملٍ فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن﴾ فالإرضاع من نفقة الولد التي على الوالد ﴿وأتمروا بينكم﴾ وتشاوروا ﴿بمعروفٍ وإن تعاسرتم﴾ أي إن أراد كل منكم من الآخر مافيه عسر واختلفتم ﴿فسترضع له أُخرى﴾ غير والدته.

٧ ـ ﴿لينفق ذو سعةٍ من سعته﴾ على المطلقات من نسائه المرضعات لأولاده ﴿ومن قُدِرَ﴾ وضيق ﴿عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله﴾ على قدر تمكنه ﴿لايكلف الله نفساً إلا ماآتاها﴾ وأعطاها ﴿سيجعل الله بعد عسرٍ يسراً﴾ فيه بشرى وتسلية.

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ۖ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

٨ ـ ﴿وكأين﴾ أي وكم ﴿من﴾ أهل ﴿قريةٍ عتت عن أمر ربها ورسله﴾ صداً واستكباراً ﴿فحاسبناها حساباً شديداً﴾ ناقشنا فيه واستقصيناه ﴿وعذبناها عذاباً نكراً﴾ غير معهود وهو عذاب الاستئصال.

٩ ـ ﴿فذاقت وبال أمرها﴾ وتبعة عملها ﴿وكان عاقبة أمرها خسراً﴾ وقد حاق بهم ماكانوا به يستهزئون.

١٠ ـ ﴿أعد الله لهم عذاباً شديداً﴾ في الآخرة ﴿فاتقوا الله ياأولي الألباب الذين آمنوا﴾ والتزموا حدوده ﴿قد أنزل الله إليكم ذكراً﴾ يهديكم إلى الحق وإلى صراط مستقيم.

١١ ـ ﴿رسولاً﴾ هو محمد ﷺ وهو الذكر ﴿يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور﴾ ومن الضلال إلى الهدى ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً﴾ إذ لا إيمان بلا عمل صالح ﴿يدخله جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً﴾ وعد جميل وتبشير ﴿قد أحسن الله له رزقاً﴾ وقد رزقهم الإيمان والعمل الصالح في الدنيا والجنة في الآخرة.

١٢ ـ ﴿الله الذي خلق سبع سمواتٍ ومن الأرض مثلهن﴾ أي بعددهن أو أنه خلق ـ من الأرض ـ الإنسان من مواد أرضية؛ ومن مواد ملكوتية سماوية ﴿يتنزل الأمر﴾ الإلهي ﴿بينهن﴾ وهو كلمة الإيجاد ﴿لتعلموا أن الله على كل شيءٍ قديرٌ وأن الله قد أحاط بكل شيءٍ علماً﴾ فهذه من الغايات المترتبة على الخلق فالمتفكر لايرتاب بقدرته تعالى وتدبيره وعلمه. ومع أن هذه الآية تقبل وجود أكثر من أرض فإن ذكر الأرض مفرداً كان يقابل السموات بالجمع في غيرها من الآيات قاطبة.

سورة التحريم

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿يأيها النبي لم تحرم﴾ على نفسك ﴿ماأحل الله لك﴾ خطاب مشوب بعتاب ﴿تبتغي مرضاة أزواجك﴾ وهذا يشعر أنه كان عملاً محللاً كان يقترفه النبي ﷺ ولا ترتضيه أزواجه، فضيقن عليه وآذينه حتى أرضاهن بالحلف على أن يتركه، وقد روي أن عائشة تواطأت مع حفصة أن تقولا للنبي بعد خروجه من عند زينب: إني أجد منك ريح المغافير ﴿وهو صمغ حلو الطعم كريه الرائحة﴾ فحلف النبي أن لايشربه. وفي رواية أنه كان للرسول أمة فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها على نفسه. ﴿والله غفورٌ رحيمٌ﴾ يستر النقيصة ويرحم عباده.

٢ ـ ﴿قد فرض الله لكم﴾ وأوجب وقدر ﴿تحلة﴾ أي تحليل ﴿أيمانكم﴾ بالكفارة ﴿والله مولاكم﴾ يتولى تدبير أموركم بالتشريع والهداية ﴿وهو العليم الحكيم﴾ وفي الآية دلالة على أن النبي ﷺ كان قد حلف على الترك، مع أمر له بتحلة يمينه. ٣ ـ ﴿وإذ أسر﴾ وأفضى ﴿النبي إلى بعض أزواجه﴾ وهي حفصة ﴿حديثاً﴾ وأوصاها بكتمانه ﴿فلما نبأت به﴾ غيرها وأفشت السر ﴿وأظهره الله عليه﴾ كشف له الله ماغاب عنه ﴿عرف﴾ وأعلم ﴿بعضه وأعرض عن بعض﴾ آخر ﴿فلما نبأها﴾ النبي ﴿به قالت﴾ للنبي ﷺ ﴿من أنبأك هذا﴾ ـ أني نبأت غيري ـ ﴿قال نبأني العليم﴾ بالسر والعلن ﴿الخبير﴾ بالسرائر ومانواطأتما على كتمانه. ٤ ـ ﴿إن تتوبا إلى الله﴾ الضمير لعائشة وحفصة زوجي الرسول ﷺ ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ ومالت إلى الباطل بإفشاء السر ﴿وإن تظاهرا عليه﴾ وتتعاونا وهذا من الكبائر وقد قال تعالى: ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً﴾ ﴿فإن الله هو مولاه﴾ ينصره ويتولى أمره ﷺ ﴿وجبريل وصالح المؤمنين﴾ أي علي بن أبي طالب ﴿والملائكة بعد ذلك ظهير﴾ متفقون متحدون في نصره. ٥ ـ ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن﴾ ـ فإنهن وإن كن مشرفات بشرف كونهن أزواج النبي ﷺ يمكن أن يطلقن لأن الكرامة عند الله للتقوى ـ ﴿مسلماتٍ مؤمناتٍ قانتاتٍ﴾ والقنوت هو لزوم الطاعة مع الخضوع ﴿تائباتٍ عابداتٍ سائحاتٍ﴾ أي صائمات ﴿ثيباتٍ وأبكاراً﴾ وما ذكر خير لمن أراد الزواج. ٦ ـ ﴿ياأيها الذين آمنوا قوا﴾ واحفظوا ﴿أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة﴾ يسجرون فيها ﴿عليها ملائكةٌ غلاظٌ﴾ خشنون ﴿شدادٌ﴾ أقوياء ﴿لايعصون الله ما أمرهم﴾ ملتزمون بأمره ﴿ويفعلون مايؤمرون﴾ بدون مخالفة أو ضعف أو فتور. ٧ ـ ﴿ياأيها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم﴾ وهو يوم جزاء ﴿إنما تجزون ماكنتم تعملون﴾ وتعذبون بعملكم السيّء.

سُورَةُ التَّحْرِيمِ مَدَنِيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ۚ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

٨ ـ ﴿يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبةً نصوحاً﴾ فيها الصلاح والانصراف عن المعصية وعدم العود إلى الذنب ﴿عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار﴾ بالتوبة النصوح [وقد قال علي ﷺ في التوبة: يجمعها ستة أشياء: على الماضي من الذنوب الندامة، وللفرائض الإعادة، ورد المظالم، واستحلال الخصوم، وأن تعزم على أن لاتعود، وأن تذيب نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية، وأن تذيقها مرارة الطاعات كما أذقتها حلاوة المعاصي]. ﴿يوم لايخزي الله النبي والذين آمنوا معه﴾ ولا يذلهم بجعلهم محرومين من الكرامة ﴿نورهم يسعى بين أيديهم﴾ وهو نور الإيمان ﴿وبأيمانهم﴾ نور العمل ﴿يقولون ربنا أتمم لنا نورنا﴾ مانقص منه حسب درجة الإيمان والعمل ﴿واغفر لنا﴾ فالمغفرة سبب لتمام النور ﴿إنك على كل شيءٍ قديرٌ﴾ فلك القدرة المطلقة.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٩ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢

٩ ـ ﴿ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين﴾ وابذل الجهد في إصلاح الأمر فللكفار القتل بعد بيان الحق وللمنافقين الاستمالة وتأليف القلوب، ولم يقتل النبي ﷺ منافقاً قط. ﴿واغلظ عليهم﴾ بشدة وخشونة ﴿ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾ جزاءً وفاقاً.

١٠ ـ ﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا﴾ في المثل تعريض ظاهر شديد لزوجي النبي ﷺ عائشة وحفصة حيث خانتاه في إفشاء سره وتظاهرتا عليه وآذتاه بذلك، وخاصة من حيث التعبير بلفظ الكفر والخيانة وذكر الأمر بدخول النار ﴿امرأة نوح وامرأة لوط﴾ أي زوجيهما ﴿كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما﴾ بالكفر ﴿فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً﴾ ولم ينفعهما الاتصال بالصالحين ﴿وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾ لأن العداوة والكفر قطع للعلائق وبت للوصل.

١١ ـ ﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت﴾ تمثل منزلتها العبودية ﴿رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة﴾ فإذا اكتمل الإيمان تواطأ الظاهر والباطن، ولذلك اختارت جوار ربها والقرب منه على أن تكون أنيسة فرعون وبقصره ﴿ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين﴾ براءة من عادة المجتمع الكافر بعد البراءة من خصوصية مجتمع فرعون؛ ففرعون قد بارز الله بقوله ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ و ﴿ما أرى لكم من إله غيري﴾.

١٢ ـ ﴿ومريم ابنة عمران﴾ ولم يذكر اسم غيرها في القرآن ﴿التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا﴾ عيسى بن مريم ﴿وصدقت بكلمات ربها﴾ أي بالوحي النازل على أنبيائه ﴿وكتبه﴾ المشتملة على شرائع الله ﴿وكانت من القانتين﴾ المطيعين المخلصين كعشيرتها ورهطها وهذا تعريض لزوجي النبي ﷺ، وقد أفشتا سره.

سورة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: بيان عموم ربوبيته تعالى.

١ ـ ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ الذي يصدر عنه الخير الكثير، وله كمال التسلط ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ فلاحد لقدرته. ٢ ـ ٤ ـ ﴿الذي خلق الموت والحياة﴾ وهي كون الشيء ذا شعور وإرادة ﴿ليبلوكم﴾ ـ والامتحان غاية الخلق ـ ﴿أيكم أحسن عملاً﴾ فالمحسنون عملاً هم المقصودون بالخلقة، وغيرهم مقصودون لأجلهم ﴿وهو العزيز﴾ لأن له الملك والقدرة المطلقين وهو ﴿الغفور﴾ يستر النقص والذنوب ﴿الذي خلق سبع سمواتٍ طباقاً﴾ بعضها فوق بعض أو يشبه البعض ﴿ماترى في خلق الرحمن من تفاوتٍ﴾ فالتدبير متصل ومرتبط، وأجزاء الخلقة تؤدي مقاصدها من غير أن يفوت بعضها غرض بعض. ﴿فارجع البصر هل ترى من فطورٍ﴾ واختلال ووهن ﴿ثم ارجع البصر كرتين﴾ رجعة بعد رجعة، إمعاناً في التدقيق ﴿ينقلب إليك البصر خاسئاً﴾ منقبضاً مهيناً ﴿وهو حسيرٌ﴾ خاسىء كليل دون أن يجد فطوراً.

٥ ـ ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح﴾ من الكواكب والنجوم ﴿وجعلناها رجوماً للشياطين﴾ يرجم بها من استرق السمع ﴿وأعتدنا﴾ وهيأنا ﴿لهم عذاب السعير﴾ وهو النار المسعرة.

٦ ـ ٨ ـ ﴿وللذين كفروا بربهم﴾ كالوثنيين النافين لربوبيته لغير أربابهم والنافين لها مطلقاً، والمثبتين لها مع التفريق بينها وبين رسله كاليهود والنصارى حيث آمنوا ببعض رسله وكفروا ببعض ﴿عذاب جهنم وبئس المصير﴾ وساءت مرتفقاً ﴿إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً﴾ أي تجذبهم إلى داخلها ﴿وهي تفور﴾ وتغلي بهم ﴿تكاد تميز﴾ وتتلاشى ﴿من الغيظ﴾ والغضب. ﴿كلما ألقي فيها فوجٌ﴾ وجماعة من الكفار ﴿سألهم خزنتها﴾ من الملائكة ﴿ألم يأتكم نذيرٌ﴾ أي نبي منذر.

٩ ـ ١١ ـ ﴿قالوا بلى قد جاءنا نذيرٌ فكذبنا﴾ بما جاء به ﴿وقلنا مانزل الله من شيءٍ﴾ من الدين ﴿إن أنتم إلا في ضلالٍ كبيرٍ﴾ ـ بيان للتكذيب ـ . ﴿وقالوا لو كنا نسمع﴾ دعوة الرسل ونلتزم بها ﴿أو نعقل﴾ الخير من الشر فنهتدي بالعقل ﴿ماكنا في أصحاب السعير﴾ المخلدين في النار. ﴿فاعترفوا بذنبهم﴾ وتبعتها النار ﴿فسحقاً لأصحاب السعير﴾ وتفتيتاً لهم.

١٢ ـ ﴿إن الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ لكون ماآمنوا به محجوباً عنهم ﴿لهم مغفرةٌ وأجرٌ كبيرٌ﴾ لخشيتهم ربهم.

سُورَةُ الْمُلْكِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ۖ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

١٣ ـ ١٤ ـ ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليمٌ بذات الصدور﴾ فلا يخرج شيء عن إحصاء الله له من عمل ظاهر أو باطن. ﴿ألا يعلم من خلق﴾ ومن خلقه أعمال خلقه؛ فالأفعال الاختيارية وإن نسبت إلى فواعلها؛ فإن الله هو الذي يريدها ويوجدها من طريق اختيار الإنسان واقتضاء سائر الأسباب. فهو الخالق لأعيان الأشياء، المقدر لها آثارها كيفما كانت وهو الرابط بينها وبين آثارها وهو الموصل لها إلى تلك الآثار. فالله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ﴿وهو اللطيف﴾ النافذ في بواطن الأشياء ﴿الخبير﴾ المطلع على جزيئات وجودها وآثارها.

١٥ ـ ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً﴾ سهلة منقادة لكم ﴿فامشوا في مناكبها﴾ فهي مطاوعة لكم ﴿وكلوا من رزقه﴾ بالتصرف فيها ﴿وإليه النشور﴾ والإحياء بعد الموت.

وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾

١٦ ـ ١٧ ـ ﴿أأمنتم من في السماء﴾ من الملائكة ﴿أن يخسف بكم الأرض﴾ يشقها ويغيبكم فيها ﴿فإذا هي تمور﴾ وتضطرب، بسبب كفركم. ﴿أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم﴾ ريحاً ﴿حاصباً﴾ تأتي بالحصى والحصباء كما فعل بقوم لوط ﴿فستعلمون كيف نذير﴾ وكيف يكون الإنذار والأمن من العذاب ولاتزال تسمع عن إعصار ذهب بالغني والفقير أو ريح أتت على سفينة فيها القوي والضعيف.

١٨ ـ ﴿ولقد كذب الذين من قبلهم﴾ من الأمم الهالكة المكذبة ﴿فكيف كان نكير﴾ والمراد بالنكير العقوبة وتغيير النعمة، أو الإنكار وفي الزلازل والبراكين آيات لقوم يعقلون.

١٩ ـ ﴿أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات﴾ يبسطن ﴿ويقبضن﴾ أجنحتهن حال الطيران ﴿ما يمسكهن إلا الرحمن﴾ فهو خالق الأسباب وإليه ينتهي سبب حمل الهواء للطيور ﴿إنه بكل شيء بصير﴾ وبكل شيء محيط.

٢٠ ـ ٢٢ ـ ﴿أمن﴾ ـ أم من ـ ﴿هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن﴾ من آلهتكم ﴿إن الكافرون إلا في غرور﴾ فخيل لهم قدرة آلهتهم على نصرهم ﴿أم من هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه﴾ فيقوم مقامه ﴿بل لجوا في عتو﴾ واستكبار ﴿ونفور﴾ وابتعاد عن الحق. ﴿أفمن يمشي مكباً على وجهه﴾ ساقطاً عليه ﴿أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم﴾ فيأمن الهلاك، والسؤال لحث النفوس لتميز الهدى وتأخذ به.

٢٣ ـ ٢٦ ـ ﴿قل هو الذي أنشأكم﴾ وخلقكم من دون سابقة من مادة ﴿وجعل لكم السمع والأبصار﴾ والحواس ﴿والأفئدة﴾ أي الفكر ﴿قليلاً ماتشكرون﴾ الله على نعمه ﴿هو الذي ذرأكم في الأرض﴾ وخلقكم ﴿وإليه تحشرون﴾ فلا يتم كمالكم إلا بأعمال متعلقة في الأرض ﴿وإليه تحشرون﴾ فالبعث والجزاء حق. ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ واستعجالهم به استهزاء ﴿قل إنما العلم عند الله﴾ لايعلمه إلا هو ﴿وإنما أنا نذير مبين﴾ أنذركم به، ولاعلم لي بموعده ومتى حل بكم ساء صباح المنذرين.

٢٧ ـ ﴿فلما رأوه زلفةً﴾ أي قريباً ﴿سيئت وجوه الذين كفروا﴾ فظهر في سيماهم أثر الخيبة والخسران ﴿وقيل هذا الذي كنتم به تدعون﴾ وتستعجلون، والقائل هم الملائكة. ٢٨ ـ ﴿قل أرأيتم﴾ أي أخبروني ﴿إن أهلكني الله ومن معي﴾ قيل إن كفار مكة كانوا يدعون على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين بالهلاك ﴿أو رحمنا﴾ فلم يهلكنا ﴿فمن يجير الكافرين من عذاب أليم﴾ وأنتم كفرتم واستحققتم العذاب. ﴿قل هو الرحمن﴾ الذي أدعوكم إلى توحيده ﴿آمنا به﴾ وقد عمت نعمته برحمته ﴿وعليه توكلنا﴾ واعتمدنا ﴿فستعلمون من هو في ضلال مبين﴾ نحن أم أنتم. ﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً﴾ ناضباً في الأرض ﴿فمن يأتيكم بماء معين﴾ ظاهر جار. فالمؤمنون بين أمرين وهما حسنيان النصر أو الجنة ففوز المؤمن في هلاكه لأن له الجنة أما الكافر فهلاكه يؤدي به إلى العذاب الأليم.

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾

سورة القلم

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: تعزية النبي ﷺ إثر مارماه به المشركون، وأمره بالشكر وعدم مداهنتهم.

١ ـ ﴿ن﴾ قيل معناها النصر ﴿والقلم وما يسطرون﴾ يقسم الله بالقلم والكتابة، وهي من أعظم النعم الإلهية التي تحفظ معارف البشرية.

٢ ـ ٦ ـ ﴿ماأنت بنعمة ربك بمجنون﴾ فلست مجنوناً بسبب نعمة النبوة كما رموك ﴿وإن لك لأجراً﴾ على الرسالة ﴿غير ممنون﴾ أي غير مقطوع ﴿وإنك لعلى خلق﴾ ـ وملكة نفسية تصدر عنها الأفعال ـ ﴿عظيم﴾ فلك صفات الكمال ﴿فستبصر ويبصرون﴾ ويظهر أمر دعوتك وينكشف على الأبصار والبصائر ﴿بأيكم المفتون﴾ ومن المبتلى بالجنون؟ أنت أم هم؟

٧ ـ ٩ ـ ﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله﴾ ورمى رسول الله ﷺ بالجنون ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ لأن السبيل سبيله وهو أعلم بمن يسلكه ﴿فلا تطع﴾ أي لاتوافق ﴿المكذبين﴾ لابالقول ولا بالعمل ﴿ودوا لوتدهن﴾ وتليننهم بالاقتراب منهم في دينك ﴿فيدهنون﴾ ويلينونك بالاقتراب منك في دينهم كما قيل: إنهم عرضوا عليه أن يكف عن ذكر آلهتهم فيكفوا عنه وعن ربه ولكن أصحاب العقيدة الحقة لايساومون في الحق أما أصحاب الباطل فهم يلجأون إلى الحوار والمفاوضات والمساومة والالتقاء بمنتصف الطريق.

١٠ ـ ١٥ ـ ﴿ولا تطع كل حلاف﴾ يعني الوليد بن المغيرة الذي عرض على النبي ﷺ المال ليرجع عن دينه، وقيل يعني الأخنس بن شريق، وقيل يعني الأسود بن عبد يغوث. والحلاف لايحترم مايقسم به ولايستشعر عظمته، ﴿مهين﴾ حقير ﴿همازٍ﴾ عياب وطعان ﴿مشاءٍ بنميم﴾ يسعى بالإفساد بنقل الحديث ﴿مناعٍ للخير﴾ وفعله ﴿معتدٍ﴾ متجاوز حده ﴿أثيم﴾ استقر عمله السيّء الذي يبطىء الخير ﴿عتل بعد ذلك﴾ فظ فاحش جاف مخاصم بالباطل ﴿زنيم﴾ دعيٌّ لاأصل له ﴿أن كان ذا مالٍ وبنين﴾ لأنه كافر بالنعمة غير شاكر لها ﴿إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾ وخرافاتهم.

سُورَةُ القَلَمِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾

١٦ ـ ﴿سنسمه﴾ ونضع له علامة ﴿على الخرطوم﴾ أي الأنف لإذلاله في الآخرة حسب الظاهر.
١٧ ـ ٢٠ ـ ﴿إنا بلوناهم﴾ ـ للرامين النبي بالجنون ـ ﴿كما بلونا﴾ واختبرنا ﴿أصحاب الجنة﴾ وكانوا قوماً باليمن ﴿إذ أقسموا ليصرمنها﴾ أي ليقطعن ويقطفن ثمار جنتهم ﴿مصبحين﴾ داخلين في الصباح ﴿ولايستثنون﴾ ولايقولون إلا أن يشاء الله ـ اعتماداً منهم على أنفسهم ـ ، وهم لايعزلون نصيباً للفقراء والمساكين ﴿فطاف عليها﴾ أي على الجنة ﴿طائفٌ﴾ أي بلاء محيط بها ليلاً ﴿من﴾ ناحية ﴿ربك﴾ المدبر أمرك ﴿وهم نائمون﴾ لايدرون ﴿فأصبحت﴾ الجنة ﴿كالصريم﴾ وهو الشجر المقطوع ثمره، فصارت كالليل الأسود وقد اسودت بإحراق النار لها.
٢١ ـ ٣٢ ـ ﴿فتنادوا مصبحين أن اغدوا﴾ وبكروا ﴿على حرثكم إن كنتم صارمين﴾ عازمين على الصرم والقطع ﴿فانطلقوا﴾ إلى جنتهم ﴿وهم يتخافتون﴾ ويتكاتمون ﴿أن لايدخلنها﴾ أي الجنة ﴿اليوم عليكم مسكين﴾ لئلا ينال شيئاً منها ﴿وغدوا على حردٍ﴾ أي منع للمساكين ﴿قادرين﴾ مقدرين ذلك في أنفسهم ﴿فلما رأوها﴾ كالصريم ﴿قالوا إنا لضالون﴾ عن الصواب في قصدنا منع المساكين ﴿بل نحن محرومون﴾ الزرع ﴿قال أوسطهم﴾ أي أعدلهم طريقاً ﴿ألم أقل لكم لولا تسبحون﴾ أي تنزهون الله عن الشركاء، وقد أقسمتم ولم تستثنوا مشيئة الله ﴿قالوا﴾ بعد أن حل بهم الجزاء ﴿سبحان ربنا﴾ تنزيهاً له ﴿إنا كنا ظالمين﴾ لأنفسنا وللمساكين. ﴿فأقبل بعضهم على بعضٍ يتلاومون﴾ على ظلمهم ﴿قالوا ياويلنا إنا كنا طاغين﴾ متجاوزين حد العبودية ﴿عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها﴾ أي من هذه الجنة المصرومة ﴿إنا إلى ربنا راغبون﴾ مدينون له بالطاعة والعبادة ومعرضون عن غيره. ٣٣ ـ ﴿كذلك العذاب﴾ سنة في الغابرين وسنة في الباقين وهو أن يمتحن الإنسان بالمال والبنين فيطغى ويتجرأ على المعصية، فيهلك ﴿ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾ لأنه ناشىء عن القهر الإلهي ولا مخلص منه. ٣٤ ـ ﴿إن للمتقين﴾ المتلبسين بالعبادات والطاعات ﴿عند ربهم﴾ المدبر لأمرهم وقد أخلصوا العبودية له ﴿جنات النعيم﴾ نعمة بلا نقمة، ولذة بلا ألم. ٣٥ ـ ٣٩ ـ ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين﴾ رد على من قال بتساويهم بحجة لاتعقيد فيها ولا إبهام ﴿مالكم كيف تحكمون﴾ أم نجعل المتقين كالفجار فدليل العقل لايقبل ذلك ﴿أم لكم كتابٌ فيه تدرسون﴾ ـ تهكّم وسخرية على ماقيل ـ ودليل النقل لايقبل ذلك أيضاً ﴿إن لكم فيه لما تخيرون﴾ أي هل لكم ماتختارون فاخترتم الجنة؟ ﴿أم لكم أيمانٌ علينا بالغةٌ﴾ ـ والبلوغ هو الانتهاء في الكمال ـ ﴿إلى يوم القيامة﴾ مؤكدة ﴿إن﴾ الأمر ﴿لكم لما تحكمون﴾ وأن لكم أن تحكموا لأنفسكم ماتشتهون. ٤٠ ـ ٤٢ ـ ﴿سلهم﴾ يامحمد ﴿أيهم بذلك زعيمٌ﴾ قائم بالأمر ﴿أم لهم شركاء﴾ يشفعون لهم ﴿فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين﴾ ـ ولا شركاء ـ ﴿يوم يكشف عن ساقٍ﴾ ـ تمثيل لاشتداد الأمر ـ ﴿ويُدعون إلى السجود﴾ لله خضوعاً ﴿فلايستطيعون﴾ لاستقرار ملكة الاستكبار في سرائرهم يوم تبلى السرائر.

سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

٤٣ ـ ﴿خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة﴾ بقهر ﴿وقد كانوا يدعون إلى السجود﴾ لله في الدنيا ﴿وهم سالمون﴾ متمكنون فلايجيبون. ٤٤ ـ ٤٧ ـ ﴿فذرني ومن يكذب بهذا الحديث﴾ فالمكذبون غير معجزين ولن يهمل أمرهم بل ﴿سنستدرجهم﴾ ونستنزلهم درجة فدرجة حتى يتم الشقاء ﴿من حيث لايعلمون﴾ بإيتائهم نعمة بعد نعمة، فيفرحوا وينسوا ذكر ربهم. فالله تعالى يستدرج العصاة بأن يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلوا رزق الله ذريعة ومتسلقاً إلى ازدياد الكفر والمعاصي ﴿وأملي لهم﴾ وأمهلهم حتى يتوسعوا بالمعاصي وليزدادوا إثماً ﴿إن كيدي متين﴾ واحتيالي قوي محكم فالصحة والرزق وطول العمر نعم تستوجب الشكر والطاعة، ولكنهم يجعلون ذلك سبباً للكفر بسوء اختيارهم. ﴿أم تسألهم أجراً فهم من مغرم﴾ تحملهم عليه ﴿مثقلون﴾؛ فيقولون بتساوي المجرمين والمسلمين تخلصاً من الشركات التي يعدونها غرامة بزعمهم ﴿أم عندهم الغيب﴾ الذي تنزل منه الأمور بقدر ﴿فهم يكتبون﴾ مايعجبهم ويقضون لأنفسهم مايشتهون. وقد قيل: كم من مستدرج بالإحسان إليه، وكم من مفتون بالثناء عليه، وكم من مغرور بالستر عليه. ٤٨ ـ ٥٠ ـ ﴿فاصبر لحكم ربك﴾ وقد قضى باستدراجهم وإملاء العذاب لهم ﴿ولاتكن كصاحب الحوت﴾ يونس عليه السلام ﴿إذ نادى وهو مكظوم﴾ متجرع غيظه ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ ﴿لولا أن تداركه﴾ أي لحقته لتسبيحه ﴿نعمة من ربه﴾ فاستجبنا له ونجيناه من الغم بقبول توبته ﴿لنبذ﴾ وطرح ﴿بالعراء﴾ من الأرض ﴿وهو مذموم﴾ بما فعل ﴿فاجتباه ربه﴾ وأخلصه لنفسه ﴿فجعله من الصالحين﴾ وصلاح الشيء موافقته لما هو له؛ فلولا أن كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون. ٥١ ـ ٥٢ ـ ﴿وإن يكاد﴾ يقرب ﴿الذين كفروا ليزلقونك﴾ ويصرعونك ﴿بأبصارهم﴾ وهم ينظرون عداوة وبغضاء ﴿لما سمعوا الذكر﴾ الذي هو القرآن ﴿ويقولون إنه لمجنون﴾ والقرآن من رمي الشياطين ﴿وما هو إلا ذكر للعالمين﴾ لمن شاء منكم أن يستقيم.

خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُۢبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَىٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

سورة الحاقة

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ٣ ـ ﴿الحاقة﴾ وهي القيامة الكبرى سميت لثبوتها ﴿ما﴾ في ﴿الحاقة﴾ تفخيم لأمرها ﴿وما أدراك ما الحاقة﴾ نفي للعلم بها.

٤ ـ ٨ ـ ﴿كذبت ثمود وعاد بالقارعة﴾ وهي القيامة لأنها تقرع وتدك السموات ﴿فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية﴾ أي الصيحة أو الرجفة أو الصاعقة ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر﴾ باردة شديدة الهبوب ﴿عاتية﴾ طاغية ﴿سخرها﴾ وسلطها ﴿عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً﴾ متتالية ﴿فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾ والعجز آخر الشيء ﴿فهل ترى لهم من باقية﴾ أي أن الهلاك قد حل بهم جميعاً.

وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾

٩ ـ ١٠ ـ ﴿وجاء فرعون ومن قبله﴾ من المكذبين ﴿والمؤتفكات﴾ وهي قرى قوم لوط ﴿بالخاطئة﴾ أي أخطأوا طريق العبودية ﴿فعصوا رسول ربهم﴾ الذي أرسله الله لهدايتهم ﴿فأخذهم﴾ الله ﴿أخذةً رابيةً﴾ بعقوبة شديدة زائدة.

﴿إنا لما طغا الماء﴾ إشارة إلى طوفان نوح ﴿حملناكم في الجارية﴾ من السفن. ١١ ـ ١٢ ـ ﴿لنجعلها﴾ أي فعلة حملكم في السفن؛ وإنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين ﴿لكم تذكرةً﴾ وعبرة ﴿وتعيها أذنٌ واعيةٌ﴾ تحفظها في النفس لترتب عليها فائدتها. وعنه ﷺ أنه قال لعلي عليه السلام عند نزول هذه الآية: «سألت الله أن يجعلها أذنك ياعلي. قال علي (ع): فما نسيت شيئاً بعد وما كان لي أن أنسى».

١٣ ـ ١٥ ـ ﴿فإذا نفخ في الصور نفخةٌ واحدةٌ﴾ كناية عن البعث والإحضار، وهي النفخة الثانية ﴿وحملت الأرض والجبال﴾ وقد أحاطت بهما القدرة ﴿فدكتا﴾ ودقتا ﴿دكةً واحدةً﴾ لتفتتا ﴿فيومئذٍ وقعت الواقعة﴾ أي قامت القيامة. ١٦ ـ ﴿وانشقت السماء فهي يومئذٍ واهيةٌ﴾ ضعيفة. ١٧ ـ ﴿والملك على أرجائها﴾ جوانبها ﴿ويحمل عرش ربك﴾ وهو عرش العلم أو عرش التدبير ﴿فوقهم يومئذٍ ثمانية﴾ من الملائكة أيضاً. ١٨ ـ ﴿يومئذٍ تعرضون﴾ على الله ﴿لاتخفى منكم خافية﴾ من عقيدة أو فعلة.

١٩ ـ ٢٤ ـ ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه﴾ ـ أي قد صلحت أعماله ـ ﴿فيقول﴾ للملائكة ﴿هاؤم﴾ ـ هاكم ـ ﴿اقرأوا كتابيه﴾ إنه يقضي بسعادتي. ﴿إني ظننت﴾ ظن اليقين ﴿أني ملاقٍ حسابيه﴾ فآمنت بربي وأصلحت عملي ﴿فهو في عيشةٍ راضيةٍ﴾ يرضى بها ﴿في جنةٍ عاليةٍ﴾ قدراً ﴿قطوفها﴾ وثمارها ﴿دانيه﴾ قريبة ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ من الإيمان والعمل الصالح.

٢٥ ـ ٢٦ ـ ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله﴾ لإجرامه ﴿فيقول ياليتني لم أوت كتابيه﴾ فلا إيمان ولاعمل صالح ﴿ولم أدر ما حسابيه﴾ فالعذاب أليم. ٢٧ ـ ﴿ياليتها كانت القاضية﴾ أي الموتة الأولى. ٢٨ ـ ﴿ما أغنى عني ماليه﴾ وكنت أحسبه مفتاح سعادتي.

٢٩ ـ ﴿هلك عني سلطانيه﴾ فلا ناصر ولا سند. ٣٠ ـ ﴿خذوه فغلوه﴾ أمر منه تعالى بجمع يديه ورجليه وعنقه. ٣١ ـ ﴿ثم الجحيم صلوه﴾ وألزموه النار. ٣٢ ـ ﴿ثم في سلسلة﴾ أي قيد ﴿ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه﴾ وقيدوه.

٣٣ ـ ٣٤ ـ ﴿إنه كان لايؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين﴾ ولايبالي بما يقاسيه.

٣٥ ـ ٣٧ ـ ﴿فليس له اليوم ههنا﴾ صديق ﴿حميم﴾ يشفع له ﴿ولا طعامٌ إلا من غسلين﴾ وهي غسالة قيح أهل النار ﴿لايأكله إلا الخاطئون﴾ الآثمون. ٣٨ ـ ٥٢ ـ ﴿فلا أقسم﴾ أي أقسم ﴿بما تبصرون﴾ مما هو شهادة بالنسبة لكم ﴿وما لا تبصرون﴾ وهو غيب عنكم ﴿إنه لقول رسولٍ كريمٍ﴾ فالقرآن حق نزل على محمد ﷺ ﴿وما هو بقول شاعرٍ﴾ وما

علمناه الشعر وما ينبغي له ﴿قليلاً ما تؤمنون﴾ وما آمن به إلا قليل ﴿ولا بقول كاهنٍ﴾ نفي لأن يأخذ النبي ﷺ القرآن من الجن ﴿قليلاً ما تذكرون﴾ توبيخ لهم. فهو ﴿تنزيل من رب العالمين﴾ وليس من وضع الرسول ﴿ولو تقول﴾ هذا الرسول الكريم واختلق ﴿علينا بعض الأقاويل﴾ المفتراة ﴿لأخذنا منه باليمين﴾ كما يقبض على المجرم أو لانتقمنا منه بقوة ﴿ثم لقطعنا منه الوتين﴾ وهو عرق يسقي الكبد، أو هو الشريان الأبهر الذي يصدر عن البطين الأيسر ويغذي الجسم بكامله ﴿فما منكم من أحدٍ عنه حاجزين﴾ لإنجائه من إهلاكنا ﴿وإنه لتذكرة للمتقين﴾ يذكرهم بالعقائد الحقة والمعارف التي تصل بهم إلى كمال المقصد ﴿وإنا لنعلم أن منكم مكذبين﴾ للحق ﴿وإنه لحسرةٌ على الكافرين﴾ تظهر يوم الحسرة ﴿وإنه لحق اليقين﴾ لاباطل فيه ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ تنزيهاً له.

فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۖ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۖ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

سورة المعارج

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: وصف يوم القيامة وما أعد الله فيه من العذاب للكافرين، وذكر حال المنافقين الحافين حول النبي ﷺ الرادين لبعض أحكام الله.

١ ـ ٢ ـ ﴿سأل سائلٌ﴾ من الكفار ﴿بعذابٍ﴾ أي عن عذاب ﴿واقع﴾ يصيبهم سأل أم لم يسأل ﴿للكافرين ليس له دافعٌ﴾ إذ لانصير لهم يدفع عنهم عذابه؛ وهذا جواب تحقيري لسؤال سائل متهكم. وفي المجمع عن الصادق عليه السلام قال: لما نصب رسول الله ﷺ علياً وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، طار ذلك في البلاد فقدم على النبي ﷺ النعمان بن الحارث الفهري. فقال: أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وأمرتنا بالجهاد والحج والصوم والصلاة والزكاة فقبلناها ثم لم ترض حتى نصبت هذا الغلام فقلت: من كنت مولاه فهذا علي مولاه؛ فهذا شيء منك أو أمر من عند الله؟ فقال والله الذي لا إله إلا هو إن هذا من الله. فولى النعمان بن الحارث يقول: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فرماه الله بحجر على رأسه فقتله وأنزل الله تعالى: ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾. ٣ ـ ٧ ـ ﴿من﴾ جانب ﴿الله﴾ الذي لاراد لعذابه ﴿ذي المعارج﴾ الحقيقية وهي الدرجات والمقامات الملكوتية ﴿تعرج﴾ وترجع ﴿الملائكة والروح﴾ الذي هو من أمره ﴿إليه﴾ تعالى ﴿في يوم﴾ هو يوم بروز سقوط الأسباب وتقطع الوسائط وارتفاع الروابط بينها وبين مسبباتها، ويفقد الإنسان ما أعطاه الله من قدرة فاستعملها في غير ما ينبغي ويظهر عندها أن الأمر والملك لله الواحد القهار؛ وهذا اليوم هو يوم القيامة ﴿كان مقداره خمسين ألف سنةٍ﴾ مما تعدون. وقد قيل لرسول الله ﷺ ماأطول هذا اليوم. فقال: «والذي نفس محمد بيده إنه ليخف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا». ﴿فاصبر صبراً جميلاً﴾ دون شائبة جزع أو شكوى على استكبارهم ﴿إنهم يرونه﴾ أي يوم القيامة أو العذاب ـ وهو أوجه ـ ﴿بعيداً ونراه قريباً﴾ خلاف مايستبعدونه وكل آت قريب. ٨ ـ ١٠ ـ ﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾ أي كالمعدن المذاب ﴿وتكون

سُورَةُ المَعَارِجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾

الجبال كالعهن﴾ أي الصوف ﴿ولا يسأل حميم﴾ قريب مشفق ﴿حميماً﴾ لانشغال كل بنفسه. ١١ ـ ١٤ ـ ﴿يبصرونهم﴾ فيرى كل حميم حميمه ولاعبرة بقول من يقول: يبصر الملائكة الكفار ولامن يقول: يبصر المؤمنون أعداءهم من الكفار أو يبصر أتباع الضلالة رؤساءهم ﴿يود المجرم لو يفتدي من﴾ شدة ﴿عذاب يومئذٍ ببنيه﴾ وهم أقرب الناس إليه وهو عذاب شديد لو أن لهم مافي الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به ﴿وصاحبته﴾ التي كان يحبها وربما قدمها على أبويه ﴿وأخيه﴾ الذي ينصره ﴿وفصيلته﴾ من عشيرته ﴿التي تؤويه﴾ وتضمه إليها ﴿ومن في الأرض جميعاً﴾ من أولي العقل ﴿ثم ينجيه﴾ هذا الافتداء. ١٥ ـ ١٨ ـ ﴿كلا﴾ ردع لتمنيه النجاة ﴿إنها لظى﴾ نار لاتخمد ﴿نزاعة﴾ قالعة ﴿للشوى﴾ أي الأطراف، واقتلاعها للأطراف لايبطل مالها من أثر فيمن تعذبه ﴿تدعو من أدبر﴾ عن الدعوة ﴿وتولى﴾ عن عبادته تعالى ﴿وجمع﴾ المال الذي يحبه حباً جماً ﴿فأوعى﴾ وكنز الذهب والفضة في وعاء ولم ينفق للسائل والمحروم. ١٩ ـ ٢١ ـ ﴿إن الإنسان خلق هلوعاً﴾ شديد الحرص، وقيل: الهلوع هو الجزوع عند الشر والمنوع عند الخير كما يدل السياق ﴿إذا مسه الشر جزوعاً﴾ متزعزعاً ﴿وإذا مسه الخير منوعاً﴾ لأنه يحب الوصول إلى كمال وجوده؛ فهو لايمتنع من ترك الخير إلا لأنه يؤثر نفسه على غيره ويرى أن الترك أكثر خيراً، وهذه الخصلة لاتكون رذيلة مذمومة إلا إذا أساء الإنسان تدبيرها؛ فالطفل يستجيب لغرائزه وعواطفه في تقدير النفع والضر ولكنه حالما يرزق العقل والرشد يدرك الحق والباطل ويتبدل عنده الكثير من مصاديق الحق والباطل والخير والشر فإذا خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى فيتبدل حرصه على الخير الواقعي إلى الفزع والخوف من عاقبة الشر الأخروي ـ وهو المعصية ـ فيسارع إلى مغفرة من ربه؛ أما الشر والخير الدنيويان فلا يتعدى فيهما ماحدَّه الله له من الصبر عند الابتلاء والصبر على الطاعة والصبر عن الأهواء وهذه صفة كمالية لهذا الإنسان، ويقابله من أدبر يسعى واعتنق الباطل وماتهوى النفس وأغفل قلبه عن ذكر ربه وقد بدل نعمة الله كفراً وأحل نفسه دار البوار جهنم يصلاها وبئس القرار. ٢٢ ـ ٢٨ ـ ﴿إلا المصلين﴾ فلا يصابون بالهلع لأن الصلاة راحة للنفس واطمئنان لمن هو بين يدي ربه فيقول إذا أصابته نازلة: «هون مانزل بي أنه بعين الله» ﴿الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ فكمال أثر العمل إنما يكون بالمداومة لابالإهمال والتكاسل ﴿والذين في أموالهم حقٌ معلومٌ﴾ غير الزكاة ﴿للسائل﴾ من الفقراء ﴿والمحروم﴾ المتعفف الذي لايسأل ﴿والذين يصدقون بيوم الدين﴾ تصديقاً عملياً فهم يراقبون أنفسهم دائماً بذكره تعالى عند كل عمل يواجهونه فيأتون بما يريده تعالى ويتركون ما يكرهه فتكون سيرة حياتهم سيرة من يرى أن مايأتي به من عمل سيحاسب عليه فيجازى به إن خيراً فخير وإن شراً فشر ﴿والذين هم من عذاب ربهم مشفقون﴾ خائفون فيتورعون عن محارمه تعالى، ويجاهدون في الله ولايأمنون عذابه فالأمن لايجامع الخوف فهم لايثقون بما يأتون به

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَظَى ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِلشَّوَى ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

من الأعمال الصالحة ﴿إن عذاب ربهم غير مأمونٍ﴾ لأنه لانجاة من العذاب إلا بالطاعة، ولاثقة بالنفس إذ لاقدرة لها في ذاتها إلا ماأقدرها الله عليه والله سبحانه مالك غير مملوك والله لايخلف وعده. ٢٩ ـ ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ يعرضون عن الفاحشة. ٣٠ ـ ﴿إلا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين﴾ ولاتثريب عليهم. ٣١ ـ ﴿فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ المعتدون. ٣٢ ـ ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم﴾ الذي عقدوه مع غيرهم ﴿راعون﴾ حافظون. ٣٣ ـ ﴿والذين هم بشهاداتهم قائمون﴾ فيتحملون الشهادة ويؤدونها من غير كتمان ولاتغيير. ٣٤ ـ ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ برعاية كمالها. ٣٥ ـ ﴿أولئك في جناتٍ مكرمون﴾ منعمون. ٣٦ ـ ﴿فمال الذين كفروا قبلك مهطعين﴾ مقبلين بنظرهم عليك وهم. ٣٧ ـ ﴿عن اليمين وعن الشمال عزين﴾ أي جماعات متفرقة. ٣٨ ـ ﴿أيطمع كل امرئٍ منهم أن يُدخل جنة نعيم﴾ وليس ذلك باختيارهم ولن يعجزوا الله. ٣٩ ـ ﴿كلا إنا خلقناهم مما يعلمون﴾ أي من نطفة وهم يعلمون ذلك فلنا أن نذهب بهم ونستبدل بهم قوما غيرهم ثم لايكونوا أمثالهم، بل يكونون خيراً منهم؛ مؤمنين لايردون شيئاً من دين الله وأحكامه ولسنا بمسبوقين حتى يعجزنا هؤلاء الكفار فندخلهم الجنة وينتقض بذلك ماقدرنا من أن لايدخل الجنة كافر. ٤٠ ـ ﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب﴾ فهو المبدىء في خلق الناس جيلاً بعد جيل ويوماً بعد يوم ﴿إنا لقادرون﴾ لايعجزنا شيء. ٤١ ـ ﴿على أن نبدل خيراً منهم﴾ يتبعون الحق ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ ولامغلوبين. وفي الآية على قصرها وجوه من الالتفات من التكلم مع غير الذات ﴿إنا خلقناهم﴾ إلى التكلم وحده ﴿فلا أقسم﴾ والوجه فيه تأكيد القسم بإسناده إلى الله تعالى نفسه؛ ثم التفات إلى الغيبة بقوله ﴿برب المشارق والمغارب﴾ والوجه فيه الإشارة إلى مبدأ خلق الناس وأطوارهم، ثم انتقال إلى التكلم مع الغير بقوله ﴿إنا لقادرون﴾ للإشارة إلى العظمة المناسبة لذكر القدرة وفي ذكر ربوبيته للمشارق تعليل للقدرة؛ فالذي ينتهي إليه التدبير لايعجزه شيء. ٤٢ ـ ﴿فذرهم﴾ يامحمد ﴿يخوضوا ويلعبوا﴾ فلا نفع لهم فيما يفعلون ﴿حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾ وهو يوم القيامة. ٤٣ ـ ﴿يوم يخرجون من الأجداث﴾ والقبور ﴿سراعاً كأنهم إلى نصبٍ﴾ منصوب لهداية السائرين ﴿يوفضون﴾ ويسرعون. ٤٤ ـ ﴿خاشعةً أبصارهم﴾ تأثراً من مشاهدة العظمة والكبرياء ﴿ترهقهم﴾ وتغشاهم ﴿ذلةٌ ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون﴾ وتلك أوصافه.

فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ
وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي
يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ
﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

سُورَةُ نُوحٍ

ترتيبها ٧١ — آياتها ٢٨

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ
عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعۡبُدُواْ
ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ
إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ
﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ﴿٥﴾ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا
فِرَارٗا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ
فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا
﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ
لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴿٩﴾ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾

سورة نوح

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: ذكر قصة نوح وإهلاك قومه. ١ ـ ٣ ـ ﴿إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب

أليم﴾ فقد كانوا عرضة للعذاب بشركهم ومعاصيهم ﴿قال ياقوم إني لكم نذير مبين﴾ بيان لرسالته ﴿أن اعبدوا الله﴾ إيماناً به وحده ﴿واتقوه﴾ آمنوا بالمعاد ولازمه تجنب نواهيه ﴿وأطيعون﴾ إيماناً بالنبوة. ٤ ـ ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾ ماصدر منها قبل إيمانكم ﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ دلالة على أن هناك أجلين ﴿إن أجل الله﴾ غير المسمى ﴿إذا جاء لايؤخر﴾ بسبب كفركم ﴿لو كنتم تعلمون﴾ تهديد بعذاب معجل. وفي نهج البلاغة: وقد جعل الله سبحانه الاستغفار سبباً لدرور الرزق ورحمة الخلق ... فرحم الله امرءاً استقبل توبته، واستقال خطيئته، وبادر منيته. ٥ ـ ٧ ـ ﴿قال﴾ نوح ﴿رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً﴾ إلى التوحيد والتقوى ﴿فلم يزدهم دعائي إلا فراراً﴾ وإباء ﴿وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم﴾ بإيمانهم. ﴿جعلوا أصابعهم في آذانهم﴾ استكافاً عن الاستماع ﴿واستغشوا ثيابهم﴾ أي غطوا بها رؤوسهم ووجوههم ﴿وأصروا واستكبروا﴾ عن قبول الدعوة ﴿استكباراً﴾ عجيباً. ٨ ـ ١٠ ـ ﴿ثم إني دعوتهم جهاراً﴾ نداء ﴿ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً﴾ سالكاً كل مسلك ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً﴾ كثير المغفرة. ١١ ـ ١٢ ـ ﴿يرسل السماء عليكم مدراراً﴾ بمطر كثير ﴿ويمددكم بأموالٍ وبنين﴾ مما يلزم للمجتمع الإنساني ﴿ويجعل لكم جناتٍ ويجعل لكم أنهاراً﴾ فللمغفرة أثر في رفع المصائب وانفتاح أبواب النعم، أي أن هناك ارتباطاً بين صلاح المجتمع الإنساني وفساده وبين الأوضاع العامة الكونية المربوطة بالحياة الإنسانية وطيب العيش أو نكده. ١٣ ـ ١٤ ـ ﴿مالكم لاترجون لنه وقاراً﴾ أي ماالذي دفعكم إلى نفي ربوبيته، واليأس من وقاره وتعظيمه ﴿وقد خلقكم أطواراً﴾ هي أطوار حياتكم. ١٨ ـ ٢٠ ـ ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سمواتٍ طباقاً﴾ فوق بعضها أو متماثلة ﴿وجعل القمر فيهن نوراً﴾ أي في حيزهن ﴿وجعل الشمس سراجاً﴾ مضيئاً ﴿والله أنبتكم﴾ إنبات النبات ﴿من الأرض نباتاً﴾ فمنها موادكم ﴿ثم يعيدكم فيها﴾ بالموت والإقبار ﴿ويخرجكم إخراجاً﴾ للجزاء ﴿والله جعل لكم الأرض بساطاً﴾ للانتقال من قطر إلى قطر ﴿لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً﴾ والفج الطريق بين جبلين. ٢١ ـ ٢٤ ـ ﴿قال

يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

نوحٌ﴾ يشكو قومه بعد أن جاهد فيهم بدعوته ﴿رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده﴾ والمال والولد نعمتان تستوجبان الشكر؛ وعدم الشكر لايزيد المنعَم ﴿إلا خساراً﴾ وهذه سبيل الأقوام التي تتبع القيادات المترفة، فهي ضالة ومضلة ﴿ومكروا مكراً كباراً﴾ عظيماً وأثاروا الحميات العصبية والقبلية لهدم الإيمان وإبطال الدعوة وإغلاق طريقها إلى قلوب الناس ﴿وقالوا لاتذرن آلهتكم﴾ بل تمسكوا بعبادتها ﴿ولاتذرن وداً ولا سواعاً ولايغوث ويعوق ونسراً﴾ وهي من آلهتكم ﴿وقد أضلوا﴾ أي الرؤساء ﴿كثيراً﴾ من المتبوعين ﴿ولاتزد الظالمين إلا ضلالاً﴾ دعاء على الظالمين، فكل قيادة ضالة تجمع الناس حول قيم منحطة ـ أوثان من حجر أو بشر أو أفكار من أهواء بشر أو شعارات فارغة لصرف الناس عن الحق لتحفظ سلطتها ـ تنال نصيباً من الضلال جزاء الظلم بدعاء نوح. ٢٥ ـ ﴿مما خطيئاتهم﴾ أي لأجل معاصيهم

﴿أغرقوا﴾ بالطوفان ﴿فأدخلوا ناراً﴾ ليست نار الآخرة كما قيل بل هي نار البرزخ، فهذه الآية من أدلة البرزخ ومن أدلة العذاب فيه لحملة الخطايا. ﴿فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً﴾ ينصرونهم في صرف الهلاك والعذاب عنهم ومن لطيف نظم الآية الجمع بين الإغراق والإحراق. ٢٦ ـ ٢٧ ـ ﴿وقال نوحٌ رب لاتذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾ ينزل الديار ﴿إنك إن تذرهم يضلوا عبادك﴾ فلا فائدة في بقائهم ﴿ولايلدوا إلا فاجراً﴾ شنيع الفسق ﴿كفاراً﴾ شديد الكفر. ٢٨ ـ ﴿رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات﴾ إلى يوم القيامة ﴿ولاتزد الظالمين إلاتباراً﴾ وهو مايوجب عذاب الآخرة وهو الضلال.

سورة الجن

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: الإشارة إلى إيمان بعض الجن وإلى التوحيد والنبوة والمعاد. ١ ـ ٤ ـ ﴿قل﴾ يامحمد ﴿أوحي إلى أنه استمع﴾ القرآن ﴿نفرٌ من الجن﴾ بين الثلاثة والتسعة ﴿فقالوا﴾ لقومهم بعد رجوعهم إليهم ﴿إنا سمعنا قرآناً عجباً﴾ خارقاً للعادة ﴿يهدي إلى الرشد﴾ والحق من العقائد والأعمال ﴿فآمنا به﴾ أي بالقرآن ﴿ولن نشرك بربنا أحداً﴾ ـ تأكيد لإيمانهم ـ ﴿وأنه تعالى جد﴾ أي عظمة ﴿ربنا مااتخذ صاحبةً ولا ولداً﴾ ـ تأكيد لنفي الشريك ـ ﴿وأنه كان يقول سفيهنا﴾ والسفه خفة النفس لنقصان العقل. والمراد به من سبقهم من مشركي الجن ﴿على الله شططاً﴾ أي قولاً بعيداً عن الحق. ٥ ـ ٧ ـ ﴿وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذباً﴾ فلذلك قلدناهم في نسبة الصاحبة والولد إليه تعالى حتى هدانا القرآن ﴿وأنه كان رجالٌ من الإنس يعوذون﴾ يلتجئون ويحتمون ﴿برجالٍ من الجن فزادوهم رهقاً﴾ أي طغياناً وإثماً أو ذلة وخوفاً. ﴿وأنهم﴾ أي قوم الجن وهذا كلام معترض من الله. ﴿ظنوا كما ظننتم﴾ أيها المشركون ﴿أن لن يبعث الله أحداً﴾ يبلغ رسالته. ٨ ـ ٩ ـ ﴿وأنا لمسنا السماء﴾ بالاقتراب ﴿فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً﴾ لدفع من يريد أن يسترق السمع ﴿وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع﴾ لسماع كلام الملائكة ﴿فمن يستمع الآن﴾ بعد حدوث حادثة سماوية جديدة هي القرآن ﴿يجد له شهاباً رصداً﴾ يرصد له ويرميه. ١٠ ـ ١١ ـ ﴿وأنا لاندري أشرٌ أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً﴾ فما حدث من تغيير حيرهم، فلو كان خيراً لكان خيراً للجن أيضاً ﴿وأنا منا الصالحون﴾ بحسب الطبع الأولي ﴿ومنا دون ذلك﴾ مرتبة ﴿كنا طرائق قدداً﴾ أي قطعاً متشتتة ومذاهب مختلفة كالطرق المقطوعة عن بعضها. فكل ماخلا الله باطل، وكل منهج غير منهجه اعتراف بربوبية غيره تعالى، فلذلك كان هناك ضالون مضلون وآخرون مخدوعون. ١٢ ـ ١٣ ـ ﴿وأنا ظننا﴾ تسليماً يقينياً ﴿أن لن نعجز الله في الأرض﴾ بالغلبة عليه، والإفساد في الأرض وإخلال النظام فيها ﴿ولن نعجزه هرباً﴾ فهو قادر على الظفر بنا أينما كنا ﴿وأنا لما سمعنا الهدى﴾ وهو القرآن ﴿آمنا به

سُورَةُ الجِنِّ

ترتيبها ٧٢ — آياتها ٢٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا
عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾
وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ
يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ
وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ
مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ
اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا
شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن
يَسْتَمِعِ الْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ
بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا الصَّٰلِحُونَ
وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ
اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ
ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾

فمن يؤمن بربه فلايخاف بخساً﴾ نقصاً ﴿ولا رهقاً﴾ من غشيان مكروه.

١٤ ـ ١٥ ـ ﴿وأنا منا المسلمون﴾ لأمر الله تعالى ﴿ومنا القاسطون﴾ المائلون إلى الباطل ﴿فمن أسلم فأولئك تحروا﴾ وقصدوا ﴿رشداً﴾ وإصابة للواقع ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً﴾ فيعذبون بتسعرهم وإشتعالهم بأنفسهم.

١٦ ـ ١٧ ـ ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة﴾ الحقة وهي نهج الإسلام ﴿لأسقيناهم ماءً غدقاً﴾ كثيراً؛ ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾؛ ﴿لنفتنهم فيه﴾ لنمتحنهم في رزقهم ﴿ومن يعرض عن ذكر ربه﴾ لعدم استقامته ﴿يسلكه عذاباً صعداً﴾ يتصعد على المعذب ويغلبه.

١٨ ـ ﴿وأن المساجد﴾ أي أن أعضاء السجود ﴿لله فلاتدعوا﴾ ولاتعبدوا ﴿مع الله أحداً﴾ واسجدوا له بها.

وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

١٩ ـ ﴿وأنه لما قام عبد الله﴾ محمد ﷺ ﴿يدعوه﴾ ويعبده تعالى بالصلاة ﴿كادوا﴾ أي المشركون ﴿يكونون عليه لبداً﴾ مجتمعين متراكمين.

٢٠ ـ ٢٣ ـ ﴿قل﴾ يامحمد ﴿إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً﴾ ولست أريد شيئاً من المقاصد التي ترمونني بها. ﴿قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً﴾ فإن أنا إلا بشر مثلكم وإنما أبلغكم رسالات ربي ﴿قل إني لن يجيرني﴾ ويحميني ﴿من الله أحدٌ ولن أجد من دونه ملتحداً﴾ أتحرز فيه من الشر ﴿إلا بلاغاً من الله﴾ بتبليغ صفاته ﴿ورسالاته﴾ وشرائع دينه ﴿ومن يعص الله﴾ فيما أمر به من التوحيد وأصول العقيدة ﴿ورسوله﴾ فمعصية الرسول معصية لله ﴿فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً﴾ فالتخليد في النار يشمل الكافرين بأصل الدعوة دون فروعها.

٢٤ ـ ﴿حتى إذا رأوا مايوعدون﴾ من عذاب جهنم ﴿فسيعلمون﴾ ـ وقد كانوا يستضعفون النبي ﷺ بعدّ ناصريه ـ ﴿من أضعف ناصراً وأقل عدداً﴾ وهذه الآية وما سبقها من خطابه تعالى لنبيه.

٢٥ ـ ٢٨ ـ ﴿قل إن أدري أقريبٌ ماتوعدون أم يجعل له ربي أمداً﴾ وغاية ينتهي إليها ﴿عالم الغيب فلايظهر﴾ ولايسلط ﴿على غيبه أحداً﴾ من خلقه ﴿إلا من ارتضى من رسولٍ﴾ يتعلمه بتعليم منه تعالى ﴿فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾ لحفظ الوحي ﴿ليعلم﴾ الله ﴿أن قد أبلغوا رسالات ربهم﴾ أي تحقق الفعل منهم ﴿وأحاط بما لديهم﴾ ـ أي بما لدى الرسل ـ إحاطة علمية ﴿وأحصى كل شيءٍ عدداً﴾ فله العلم بكل شيء ويتحصل مما سبق أن اختصاصه تعالى بعلم الغيب على نحو الأصالة وأن الوحي نوع من الغيب، وأن هناك ماهو شهادة للملائكة وغيب للبشر كعالم الملكوت وكذلك هناك شهادة للأموات هي غيب للبشر، وأن الرسالة مصونة والرسول معصوم في أخذ الوحي وتبليغه وأن هناك من الغيب ماهو محجوب حتى عن الرسل.

سورة المزمل

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: أمر للنبي ﷺ بقيام الليل ليستعد لتلقي ثقل الوحي، وأن يصبر على مايقولون، وعيد وإنذار.

١ ـ ٧ ـ ﴿يأيها المزمل﴾ الملتف بالثوب لنوم أو نحوه وليس في الخطاب تحسين ولاتهجين ﴿قم الليل إلا قليلاً﴾ للصلاة فيه ﴿نصفه أو انقص منه قليلاً أو زد عليه﴾ تخيير له ﷺ ﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾ بتبيين حروفه في الصلاة ﴿إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾ فهو كلام إلهي لاتتلقاه إلا نفس طاهرة، وهو كتاب عزيز له ظهر وبطن وتنزيل وتأويل، وهو يحمل حقيقة التوحيد وغيرها من العقائد، وهو يقوم بأمر الدعوة وإظهار الإسلام على الدين كله ﴿إن ناشئة الليل﴾ أي نشأته وحدوثه ﴿هي أشد وطأ﴾ وأثبت قدماً أو أشد في مواطأة القلب اللسان ﴿وأقوم قيلاً﴾ وأثبت قولاً ﴿إن لك في النهار سبحاً﴾ وغوراً في مهمات المعاش ﴿طويلاً﴾ للتقلب في قضاء حوائج الحياة.

٨ ـ ١٠ ـ ﴿واذكر اسم ربك﴾ بمواطأة القلب اللسان ـ والظاهر أنه يصف صلاة الليل ـ ﴿وتبتل إليه تبتيلاً﴾ منقطعاً إليه، أو احمل نفسك على رفع اليد إليه والتضرع ـ كما ورد عن أئمة أهل البيت ـ ولعل هذا الالتفات من الغيبة إلى الخطاب لإيقاظ ذلة العبودية بذكر صفة الربوبية ﴿رب المشرق والمغرب﴾ أي رب العالم أجمع ﴿لا إله إلا هو﴾ فالألوهية بما تستدعي من واجب أداء حق العبودية تلازمها الربوبية ﴿فاتخذه وكيلاً﴾ في جميع أمورك، والتوكيل إقامة الإنسان غيره مقام نفسه، بحيث لايرى الإنسان لنفسه ولالغيره ولا لشيء من الأسباب الظاهرية استقلالاً في التأثير. ﴿واصبر على مايقولون﴾ مما فيه الاستهزاء بك ﴿واهجرهم هجراً جميلاً﴾ أي عاملهم بحسن الخلق بالمناصحة وعدم مقابلة قولهم بمثله. ١١ ـ ١٤ ـ ﴿وذرني والمكذبين﴾ المتبوعين ﴿أولي النعمة﴾ من الكفار ﴿ومهلهم قليلاً﴾ حتى موعد رجوعهم إلى الله ومجازاتهم ﴿إن لدينا أنكالاً﴾ أي قيوداً ﴿وجحيماً﴾ من نار متأججة ﴿وطعاماً ذا غصة﴾ لاذعة لايساغ أكله ﴿وعذاباً أليماً﴾ شديداً ﴿يوم ترجف الأرض والجبال﴾ وتضطرب ﴿وكانت الجبال كثيباً﴾ من رمل كثير ﴿مهيلاً﴾ يسيل أعلاه. ١٥ ـ ١٩ ـ ﴿إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم﴾ يشهد أعمالكم ويتحمل الشهادة ويؤديها يوم القيامة ﴿كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً﴾ هو موسى ﷺ ﴿فعصى فرعون الرسول﴾ وكذب الرسالة ﴿فأخذناه أخذاً وبيلاً﴾ أي شديداً ثقيلاً ﴿فكيف تتقون إن كفرتم يوماً﴾ في العذاب ﴿يجعل الولدان شيباً﴾ لشدته. ﴿السماء منفطرٌ به﴾ فتتشقق بسبب شدته ﴿كان وعده مفعولاً﴾ وحتماً مقضياً ﴿إن هذه﴾ الآيات وماتحمل من

سُورَةُ المُزَّمِّلِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾

الزواجر ﴿تذكرة﴾ وموعظة ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ بقيام الليل؛ فصلاة الليل سبيل خاصة تهدي العبد لربه.

٢٠ ـ ﴿إن ربك﴾ الذي يعتني بأمرك يامحمد ﴿يعلم أنك تقوم أدنى﴾ وأقرب ﴿من ثلثي الليل ونصفه وثلثه﴾ في الليالي المختلفة ﴿وطائفةٌ من الذين معك﴾ في الإيمان، وكان سعيكم مشكوراً ﴿والله يقدر الليل والنهار﴾ فالتقدير من شؤون تدبير الخلق. والخالق هو الله ﴿علم أن لن تحصوه﴾ أي المقدار الذي أمروا بقيامه من الليل ﴿فتاب عليكم﴾ أي انعطف برحمته للتخفيف عنكم ﴿فاقرأوا ما تيسر من القرآن﴾ توسعة في التكليف لعامة المكلفين مع التخفيف عنهم ﴿علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله﴾ ورزقه بالسفر والتجارة ﴿وآخرون يقاتلون في سبيل الله﴾ وهذه مصلحة أخرى لتخفيف التكليف ﴿فاقرؤوا ماتيسر منه﴾ ـ من القرآن ـ ﴿وأقيموا الصلاة﴾ المفروضة ﴿وآتوا الزكاة﴾ المفروضة، واعتنوا بأمرهما ﴿وأقرضوا الله قرضاً حسناً﴾ بالإنفاق في سبيله ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خيرٍ﴾ وطاعة ﴿تجدوه عند الله هو خيراً﴾ مما قدمتم ﴿وأعظم أجراً﴾ من كل ماتعملون ﴿واستغفروا الله إن الله غفورٌ رحيمٌ﴾ وعد بالمغفرة والرحمة. فاستغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً.

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

سورة المدثر

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ المُدَّثِّرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾

غرض السورة: الإنذار، ذم المعرضين عن الدعوة.

١ ـ ٧ ـ ﴿يا أيها المدثر﴾ المتغطي المزمل ﴿قم فأنذر﴾ والإنذار هو في الغالب في ابتداء الدعوة ﴿وربك فكبر﴾ اعتقاداً وعملاً بتنزيهه عن كل نقص، فالله أكبر: تنزيه مطلق له تعالى عن كل وصف وصفه به واصف ﴿وثيابك فطهر﴾ كناية عن إصلاح العمل، فالعمل بمنزلة الثياب للنفس. وقيل أن المعنى كناية عن تزكية النفس وتنزيهها عن الذنوب ﴿والرجز﴾ أي العذاب ﴿فاهجر﴾ بهجر أسبابه كالمعصية والإثم ﴿ولا تمنن﴾ امتثالك لهذه الأوامر ﴿تستكثر﴾ ذلك وتعجبه، فإنما أنت عبد لاتملك إلا مامليكك الله ﴿ولربك فاصبر﴾ عند الأذى، وعلى الطاعة، وعن المعصية؛ لتخلص البشرية من الطواغيت ومن الضلال ومن البهيمية. وقد قام ﷺ ولم يسترح ولم يسكن وهو يحمل عبء الأمانة وثقل الخلافة الإلهية.

٨ ـ ١٠ ـ ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ وهو مايصدر الصوت، كناية عن بعث الموتى ﴿فذلك﴾ الزمان ﴿يومئذٍ يومٌ عسيرٌ﴾ ففيه رجوع الخلق إلى الله وحسابهم وجزاؤهم ﴿على الكافرين غير يسيرٍ﴾ فهو عسير من كل وجه.

١١ ـ ١٧ ـ ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾ لامال له ولابنون، وقد نزلت في الوليد بن المغيرة، ﴿وجعلت له مالاً ممدوداً﴾ كثيراً ﴿وبنين شهوداً﴾ أي حضوراً يتأيد بهم ﴿ومهدت له تمهيداً﴾ بالمال والجاه وانتظام الأمور ﴿ثم يطمع أن أزيد﴾

مأوتي ﴿كلا﴾ ردع له ﴿إنه كان لآياتنا عنيداً﴾ معانداً مباهياً بما عنده، وقيل مازال الوليد في نقصان مما آتاه الله حتى هلك ﴿سأرهقه﴾ بالغشيان بالعنف ﴿صعوداً﴾ فله مر الجزاء ﴿إنه فكر وقدر﴾ ليصل إلى غرضه ﴿فقتل كيف قدر﴾ وكان يهوى أن يقول في أمر القرآن شيئاً يبطل به دعوته، ١٨ ـ ٣٠ ـ ﴿ثم قتل كيف قدر﴾ تكرار للدعاء عليه ﴿ثم نظر﴾ بعد التقدير ﴿ثم عبس وبسر﴾ وكلح وجهه ﴿ثم أدبر﴾ وأعرض ﴿واستكبر﴾ وامتنع كبراً وعتواً ﴿فقال إن هذا إلا سحرٌ يؤثر﴾ لأنه يفرق بين المرء وأهله ﴿إن هذا إلا قول البشر﴾ وليس بكلام الله كما يدعيه محمد ﷺ ﴿سأصليه سقر﴾ أي سأدخله سقر وهي جهنم أو دركة من دركاتها ﴿وما أدراك ماسقر﴾ تهويل لأمرها ﴿لاتبقي ولاتذر﴾ شيئاً مما نالته إلا أحرقته، سواء كان جسماً أو روحاً ﴿لواحةٌ للبشر﴾ تغير لون البشرة إلى السواد ﴿عليها تسعة عشر﴾ من الملائكة الذين يتولون أمر عذاب المجرمين. ٣١ ـ ﴿وما جعلنا أصحاب النار﴾ أي خزنتها الموكلين لتعذيب المجرمين ﴿إلا ملائكةً﴾ غلاظاً شداداً ﴿وما جعلنا﴾ وما أخبرنا عن ﴿عدتهم﴾ أنها تسعة عشر ﴿إلا فتنةً للذين كفروا﴾ ومحنة لهم ﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾ أن ما أنزل عليك حق فهو موافق لما ذكر عندهم ﴿ويزداد الذين آمنوا إيماناً﴾ بتصديق أهل الكتاب ذلك ﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ أن ماأنزل إليك هو الحق من ربك ﴿وليقول الذين في قلوبهم مرضٌ﴾ بالشك والجحود ـ وهم المنافقون ـ ﴿والكافرون﴾ المظهرون كفرهم ﴿ماذا أراد الله بهذا مثلاً﴾ ـ تحقيراً وتهكماً لقوله تعالى: ﴿عليها تسعة عشر﴾ ـ ﴿كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء﴾ وهذه هي الغاية من جعل عدتهم تسعة عشر ﴿وما يعلم جنود ربك﴾ وهم الجموع المحشودة لإجراء أوامره ﴿إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر﴾ ليتعظوا بها. ٣٢ ـ ٣٧ ـ ﴿كلا﴾ ردع وإنكار ﴿والقمر﴾ قسم به ﴿والليل إذ أدبر﴾ وولى ﴿والصبح إذا أسفر﴾ وانكشف ﴿إنها﴾ أي سقر ﴿لإحدى﴾ الدواهي ﴿الكبر﴾ لانظير لها، أو أن القرآن لإحدى الآيات الكبرى ﴿نذيراً للبشر﴾ لعظمتها ﴿لمن شاء منكم أن يتقدم﴾ ويتبع الحق ومصداق ذلك الإيمان والطاعة ﴿أو يتأخر﴾ ولايتبع ويكفر ويعصي. ٣٨ ـ ٤٧ ـ ﴿كل نفسٍ بما كسبت رهينةٌ﴾ إذ أن لله عليها حق العبودية بالإيمان والعمل الصالح فهي محفوظة محبوسة عند الله حتى تؤدي حقه تعالى، فإن آمنت أطلقت؛ وإن كفرت بقيت محبوسة ﴿إلا أصحاب اليمين﴾ الذين يؤتون كتابهم بأيمانهم يوم الحساب، وهم أصحاب العقائد الحقة من متوسطي المؤمنين ﴿في جناتٍ﴾ عظيمة ﴿يتساءلون عن المجرمين﴾ وجمعهم ﴿ماسلككم في سقر﴾ وأدخلكم في جهنم. ﴿قالوا لم نك من المصلين﴾ المتوجهين بالعبادة إلى الله سبحانه ﴿ولم نك نطعم المسكين﴾ ولاننفق عليهم ﴿وكنا نخوض مع الخائضين﴾ بالباطل ﴿وكنا نكذب بيوم الدين﴾ وهذا يجرنا إلى اتباع الهوى وهي خصال أربع يبتلى بها أو ببعضها المجرمون ﴿حتى أتانا اليقين﴾ وهو الموت، إذ كان التكذيب بينهم صفة ملازمة لهم طيلة حياتهم.

إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾

٤٨ ـ ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ لأنهم محرومون نيلها. ٤٩ ـ ٥٢ ـ ﴿فمالهم عن التذكرة﴾ والموعظة ﴿معرضين﴾ ـ بدل أن يكونوا مصدقين ـ ﴿كأنهم حمرٌ﴾ وحشية ﴿مستنفرةٌ﴾ نافرة ﴿فرت من قسورة﴾ أي من أسد أومن صائد ﴿بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة﴾ وكتاباً سماوياً مشتملاً على الدعوة مثلما أوتي رسول الله؛ وهذه كناية عن استكبارهم على الله؛ فهم إنما يقبلون دعوته تعالى ولايردونها لو دعا كل واحد منهم بإنزال كتاب سماوي إليه مستقلاً دون أن يستجيبوا إلى الدعوة من طريق الرسالة، وإن كانت حقاً مؤيدةً بالبينات. ٥٣ ـ ٥٦ ـ ﴿كلا﴾ فالرسالة مؤيدة بآيات الله ﴿بل لايخافون الآخرة﴾ وهذا هو السبب الحقيقي لتكذيبهم وكفرهم. ﴿كلا﴾ ردع ثان لاقتراحهم ﴿إنه﴾ أي القرآن ﴿تذكرةٌ﴾ وموعظة ﴿فمن شاء ذكره﴾ من غير إكراه ﴿وما يذكرون إلا أن يشاء الله﴾ دفع لتوهم نفي تعلق المشيئة الإلهية باختيارهم ﴿هو أهل التقوى﴾ فهو أهل لأن يتقى منه لأن له الولاية المطلقة ﴿وأهل المغفرة﴾ يغفر لمن اتقاه. وهم ليسوا بمخلين وما يهوون ولاهم بمعجزين.

فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

سورة القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: بيان يوم القيامة وأطواره.

١ ـ ٦ ـ ﴿لاأقسم بيوم القيامة﴾ إقسام به ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ التي تحذر خداع ذاتها وتلوم المؤمن على المعصية وعلى التثاقل في الطاعة، وتنفعه يوم القيامة؛ وقيل المراد بالقسم النفس الإنسانية التي هي أعم من النفس المؤمنة الصالحة والكافرة الفاجرة؛ وقيل المراد بالنفس نفس الكافر ﴿أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه﴾ وأن لن نبعثه بعد الموت؟ ﴿بلى﴾ نجمعها ﴿قادرين على أن نسوي بنانه﴾ ونصور أطراف أصابعه ونعيد ـ بصماتها وحركاتها ـ كما كانت. ﴿بل يريد الإنسان ليفجر﴾ ويشق ستر الديانة ﴿أمامه﴾ مدى عمره، ﴿يسأل﴾ مكذباً بالبعث ﴿أيان يوم القيامة﴾ سؤال مكذب مستهزئ، بدل أن يكون متقياً متهيئاً للقاء هذا اليوم العسير قريباً كان أم بعيداً.

٧ ـ ١٥ ـ ﴿فإذا برق البصر﴾ وتحير ودهش ﴿وخسف القمر﴾ وزال نوره ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ جملة من أشراط الساعة ﴿يقول الإنسان يومئذٍ﴾ وقد ظهرت السلطنة الإلهية ﴿أين المفر﴾ ـ مع علمه بأن لامفر ـ وهذا من باب ظهور ملكاته ﴿كلا﴾ ردع عن طلبه المفر ﴿لاوزر﴾ ولاملجأ ﴿إلى ربك يومئذٍ المستقر﴾ يامحمد، فالمرجع إلى الله، والاستقرار إلى حكمه، وهو النافذ ﴿ينبأ الإنسان يومئذٍ بما قدم وأخر﴾ من سيئة أو حسنة في أول عمره وآخره ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرةٌ﴾ فهو ذو بصيرة وإدراك على نفسه وهو حجة نفسه ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ وأرخى ستوره ليخفي ماعمل فإن نفسه شاهدة عليه، لأن الإنسان نفسه حجة على نفسه. قال تعالى: ﴿وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم﴾ كما يشهد سمعهم وأبصارهم وجلودهم. وعنه ﷺ: «من أسر سريرة ألبسه الله رداها إن خيراً فخير وإن شراً فشر». ١٦ ـ ١٩ ـ ﴿لاتحرك به﴾ أي بالوحي ﴿لسانك﴾ يامحمد ﴿لتعجل به﴾ من قبل أن يقضى إليك وحيه ﴿إن

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾

علينا جمعه﴾ وضم أجزائه ﴿وقرءانه﴾ وقراءته عليك ﴿فإذا قرأناه﴾ أي أتممنا قراءته ﴿فاتبع قرءانه﴾ إقرأ بعد تمامها ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ وإيضاحه على قدر فهم المخاطب. ٢٠ ـ ٢٥ ـ ﴿كلا﴾ أيها الناس ﴿بل تحبون العاجلة﴾ وهي الدنيا ﴿وتذرون الآخرة﴾ مع أنها هي التي يجب أن تكون مقصودة ﴿وجوهٌ يومئذٍ ناضرةٌ﴾ مبتهجة ﴿إلى ربها ناظرة﴾ متوجهة بقلوبها إليه، فهم لايرون شيئاً إلا ويرونه آية لله ﴿ووجوهٌ يومئذٍ باسرةٌ﴾ شديدة العبوس ﴿تظن﴾ أي تعلم ﴿أن يفعل بها فاقرةٌ﴾ أي فعلة تقصم الظهر وتكسر الفقار، أو تسم الأنف بالنار. ٢٦ ـ ٣٠ ـ ﴿كلا﴾ ـ لن تدوم العاجلة ـ ﴿إذا بلغت التراقي﴾ وهي عظام الترقوة ونزل عليكم الموت ﴿وقيل من راقٍ﴾ يرقي ويشفي. وهي كلمة يأس ﴿وظن﴾ المحتضر ﴿أنه الفراق﴾ للعاجلة ﴿والتفت الساق بالساق﴾ وبعدت الحياة وقد غشت الشدائد ﴿إلى ربك يومئذٍ المساق﴾ فإليه الرجوع والمستقر. وليس ذلك لأحد غيره. ٣١ ـ ٣٣ ـ ﴿فلا صدق﴾ هذا الإنسان الدعوة الحقة التي يتضمنها القرآن ﴿ولاصلى﴾ ولم يقم بالتوجه العبادي إليه تعالى بالصلاة ﴿ولكن كذب﴾ بالدعوة ﴿وتولى﴾ معرضاً عنها ﴿ثم ذهب إلى أهله يتمطى﴾ ويتبختر ويختال مستكبراً. ٣٤ ـ ٣٥ ـ ﴿أولى لك فأولى﴾ مع ما أنت عليه من المال ﴿ثم أولى لك فأولى﴾ وأرجح أن تذوق وبال أمرك، ويأخذك ماأعد لك من العذاب. ٣٦ ـ ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ وهل يظن أن يترك مهملاً لايعتنى به فلا يبعث، ولازمه أن لايكلف ولايجزى. ٣٧ ـ ٣٩ ـ ﴿ألم يك نطفةً من مني يمنى﴾ ويصب في الرحم ﴿ثم كان علقةً﴾ بعد الإلقاح ﴿فخلق فسوى﴾ فقدره تعالى ثم صوره ﴿فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾ لحفظ النسل. ٤٠ ـ ﴿أليس ذلك بقادرٍ على أن يحيي الموتى﴾ احتجاج على البعث، فالإعادة أهون من البعث؛ مع أنه يستوي بالنسبة إلى الله ذي القدرة المطلقة كل أمر.

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾
إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾
كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ
ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ
﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ
فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾
أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ
ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

سُورَةُ الإِنسَانِ

ترتيبها ٧٦ — آياتها ٣١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾
إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا
بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾
إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ
ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

سورة الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: تذكير الإنسان بخلقه وهدايته السبيل إما شاكراً أو كفوراً وبيان مآل الفريقين.

١ ـ ﴿هل﴾ بمعنى قد ﴿أتى على الإنسان حينٌ﴾ أي قطعة محدودة ﴿من الدهر﴾ أي الزمان ﴿لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ ولم يكن موجوداً بالفعل؛ فالإنسان قد وجد بعد عدم. ٢ ـ ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفةٍ﴾ من ماء الذكور ﴿أمشاجٍ﴾ مختلطة الأجزاء، أو مختلطة مع ماء الإناث ﴿نبتليه﴾ وننقله من حال إلى حال ﴿فجعلناه سميعاً﴾ يسمع الحق ـ النازل من الله ـ على لسان الرسل ﴿بصيراً﴾ لآيات ربه، ويتوسل بالسمع والبصر إلى إدراك غاية التدبير الربوبي، وهي أن يرى آيات ربه الدالة على المبدأ والمعاد، أو التوحيد والنبوة والمعاد، فيدعوه هذا إلى سلوك سبيل الحق فإن لزمه نال سعادة الدنيا والآخرة وإذا أخلد إلى الأرض واتبع هواه فإن له معيشة ضنكاً ويحشر يوم القيامة أعمى.

٣ ـ ﴿إنا هديناه السبيل﴾ أي أريناه الطريق المؤدي إلى الغاية المطلوبة ﴿إما شاكراً وإما كفوراً﴾ فهو مهدي في كلتا

الحالتين، فالشكر والكفر، المترتبان على الهداية واقعان في مستقر الاختيار للإنسان، فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً. والهداية فطرية: ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها﴾؛ وهداية قولية عن طريق الرسل والأنبياء: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ فالدعوة الإلهية هي هداية إلى السبيل لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

٤ ـ ﴿إنا أعتدنا﴾ وهيأنا ﴿للكافرين سلاسل﴾ وقيوداً ﴿وأغلالاً﴾ لتقييدهم ﴿وسعيراً﴾ من نار مشتعلة.

٥ ـ ﴿إن الأبرار﴾ المحسنين في أعمالهم من غير أن يريدوا نفعاً يرجع إليهم من جزاء أو شكور، فهم يريدون الخير لأنهم أخيار، فالأبرار مؤمنون بالله ورسوله واليوم الآخر، وإيمانهم إيمان رشد وبصيرة فهم يرون أنفسهم مملوكين لربهم، يقدمون إرادته على إرادتهم، ورضاه على ماتهواه نفوسهم، فهم عاملون لوجه الله، وقد أخلصوا له العبودية في مرحلة العمل. فهم ﴿يشربون﴾ في الجنة ﴿من كأس كان مزاجها كافوراً﴾ من شراب ممزوج بالكافور بارد طيب الرائحة.

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾

٦ ـ ﴿عيناً﴾ خاصة ﴿يشرب بها عباد الله﴾ فقد تكرموا بعبوديته في الدنيا وبحسن ثوابه في الآخرة ﴿يفجرونها تفجيراً﴾ بأعمالهم الصالحة، وستظهر لهم بحقيقتها في جنة الخلد. فنعم الجنة لاتحتاج في تحققها إلى أزيد من مشيئة أهلها.

٧ ـ ﴿يوفون بالنذر﴾ وفي الكشاف: وعن ابن عباس أن الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله ﷺ في ناس معه فقالوا: يا أبا الحسن لونذرت على ولدك ﴾ولديك﴿ فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما إن برئا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام فشفيا وما معهم شيء». ﴿ويخافون يوماً﴾ هو يوم القيامة ﴿كان شره مستطيراً﴾ متسعاً، ففيه من العذاب غايته. ﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾ وتوقان النفس إليه لشدة الحاجة ﴿مسكيناً﴾ شديد الضيق لذات اليد ﴿ويتيماً﴾ من هو دون البلوغ ولا أب له ﴿وأسيراً﴾ من أهل دار الحرب. وفي الكشاف: فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلاثة أصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعاً واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه، وباتوا لم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صياماً. فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه، ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك. فلما أصبحوا أخذ علي بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول الله ﷺ فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال: «ماأشد مايسوءني مارأى بكم» فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل وقال: خذها يامحمد هنّاك الله في أهل بيتك فأقرأه السورة.

٨ ـ ﴿إنما نطعمكم لوجه الله﴾ ووجهه تعالى صفاته الفعلية الكريمة التي يفيض بها الخير على خلقه من الخلق والتدبير

والرزق، فغاية الفعل هي الاستفاضة من رحمة الله وطلب مرضاته ﴿لانريد منكم جزاءً﴾ لمقابلة العمل بما يعادله ﴿ولاشكوراً﴾ لإظهار النعمة بالشكر قلباً أولساناً أوعملاً.

٩ ـ ﴿إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً﴾ يظهر على المجرمين بكمال شدته ﴿قمطريراً﴾ شديد الصعوبة، فمقصدهم العمل في ابتغاء وجه الله هو من إخلاصهم لعبوديته. فهم لايخافون غيره تعالى ولايرجون سواه.

١٠ ـ ١٣ ـ ﴿فوقاهم الله﴾ وحفظهم ومنعهم ﴿شر ذلك اليوم ولقاهم نضرةً﴾ وبهجةً ﴿وسروراً﴾ وحبوراً ﴿وجزاهم بما صبروا﴾ في جنب الله ومنه الوفاء بالنذر والإنفاق ﴿جنة وحريراً﴾ فبدل مشقتهم نعمة وراحة ﴿متكئين فيها على الأرائك لايرون فيها شمساً﴾ يتأذون بحرها ﴿ولازمهريراً﴾ ولابرداً شديداً.

١٤ ـ ﴿ودانيةً عليهم ظلالها﴾ فهي قريبة منهم ﴿وذللت﴾ وسخرت ﴿قطوفها﴾ ثمارها ﴿تذليلاً﴾ يقطفونها من غير كلفة.

١٥ ـ ١٦ ـ ﴿ويطاف عليهم بآنيةٍ﴾ وأوعية ﴿من فضةٍ وأكوابٍ﴾ لاعروة لها ولا خراطيم ﴿كانت قواريراً﴾ زجاجية ﴿قوارير من فضةٍ﴾ فهي في صفاء الفضة ﴿قدروها﴾ للأبرار ﴿تقديراً﴾ أو أن الطائفين قدروا مافيها.

١٧ ـ ١٨ ـ ﴿ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً﴾ وقد كانوا يستطيبون الزنجبيل في الشراب؛ وزنجبيل الجنة ألذ وأطيب. ﴿عيناً فيها تسمى سلسبيلاً﴾ صافية.

١٩ ـ ﴿ويطوف عليهم ولدانٌ مخلدون﴾ دائمون في البهاء والصباحة ﴿إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً﴾ في صفاء ألوانهم وإشراق وجوههم.

٢٠ ـ ﴿وإذا رأيت﴾ ورميت ببصرك ﴿ثم﴾ أي هناك في الجنة ﴿رأيت نعيماً﴾ لايوصف ﴿وملكاً كبيراً﴾ لايقدر.

٢١ ـ ﴿عاليهم ثياب سندس﴾ أي حرير رقيق ﴿خضرٌ وإستبرقٌ﴾ وهو الحرير الغليظ ﴿وحلوا أساور من فضة﴾ للتزيين ﴿وسقاهم ربهم شراباً طهوراً﴾ بالغاً في الطهر لاقذارة فيه، ومن القذارة قذارة الغفلة عن الله سبحانه.

٢٢ ـ ﴿إن هذا كان لكم جزاءً﴾ وتوفية لأجركم ﴿وكان سعيكم مشكوراً﴾ وأعمالكم مقبولة، وعدم ذكر الحور العين يمكن أن يستظهر منه أنه كانت بين هؤلاء الأبرار من الذين نزلت فيهم الآيات من هي من النساء.

٢٣ ـ ﴿إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً﴾ فالقرآن نزل نجوماً من الله ولم يداخله نفث شيطاني ولا هوى نفساني.

٢٤ ـ ﴿فاصبر لحكم ربك﴾ الذي نزل القرآن ﴿ولاتطع منهم آثماً﴾ متلبساً بالمعصية ﴿أو كفوراً﴾ مبالغاً في الكفر.

٢٥ ـ ﴿واذكر اسم ربك بكرةً وأصيلاً﴾ وداوم على الصلاة غدواً وعشياً، ويمكن أن يكون المراد بالأصيل وقت صلاتي الظهر والعصر.

٢٦ ـ ﴿ومن الليل فاسجد له﴾ لبقية الصلوات ﴿وسبحه ليلاً طويلاً﴾ المراد بالتسبيح صلاة الليل.
٢٧ ـ ﴿إن هؤلاء﴾ الآثمين الكفورين ﴿يحبون العاجلة﴾ ويعملون لها ﴿ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً﴾ هو يوم القيامة.
٢٨ ـ ﴿نحن خلقناهم﴾ فهم غير معجزين لله ﴿وشددنا أسرهم﴾ وأحكمنا ربط أعضائهم ومفاصلهم وأعصابهم وعضلاتهم ﴿وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً﴾ بإماتة قرن وإحياء آخرين.
٢٩ ـ ٣١ ـ ﴿إن هذه تذكرة﴾ وموعظة ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ يصل به إليه بالتوحيد والطاعة ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾ فمشيئة العبد متوقفة في وجودها على مشيئته تعالى ﴿إن الله كان عليماً حكيماً﴾ فأفعاله عن علم وسنته ليست جزافية ﴿يدخل من يشاء في رحمته﴾ ولايشاء دخول إلا من آمن واتقى ﴿والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً﴾ لأنهم أهل الإثم والكفر.

وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٣٠﴾ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾

سورة المرسلات

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: التذكير بيوم القيامة، الإنذار والتبشير.
١ ـ ٧ ـ ﴿و﴾ أقسم بالجماعات ﴿المرسلات﴾ من ملائكة الوحي ﴿عرفاً﴾ متتابعين ﴿فالعاصفات﴾ المسرعات السير كالرياح العاصفة ﴿عصفاً﴾ وهي تهب بشدة، ﴿والناشرات﴾ للصحف المكتوب عليها الوحي ﴿نشراً﴾ ليتلقاها النبي ﴿فالفارقات فرقاً﴾ بين الحق والباطل وبين الحلال والحرام ﴿فالملقيات ذكراً﴾ هو القرآن أو الوحي النازل على الأنبياء ﴿عذراً﴾ للعباد المؤمنين بالذكر ﴿أو نذراً﴾ وتخويفاً، أو يقال أن الذكر إتمام للحجة على المكذبين وتخويف لغيرهم ﴿إنما توعدون﴾ به من البعث والعقاب والثواب ﴿لواقع﴾ لامحالة.
٨ ـ ١٥ ـ ﴿فإذا النجوم طمست﴾ وانمحى أثرها ﴿وإذا السماء فرجت﴾ وانشقت ﴿وإذا الجبال نسفت﴾ قلعت وأزيلت ﴿وإذا الرسل أقتت﴾ أي عين لها الوقت الذي تحضر فيه للشهادة، أو بلغت ذلك الوقت، ﴿لأي يوم أجلت﴾ هذه الأمور العظيمة الهائلة. ﴿ليوم الفصل﴾ وهو يوم الجزاء وفصل القضاء ﴿وما أدراك ما يوم الفصل﴾ تفخيم لأمره ﴿ويلٌ﴾ وهلاك ﴿يومئذٍ للمكذبين﴾ به.

سُورَةُ المُرسَلَاتِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴿١﴾ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ﴿٣﴾ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٥﴾ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ﴿١٢﴾ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

١٦ ـ ١٩ ـ ﴿ألم نهلك الأولين﴾ من المكذبين ﴿ثم نتبعهم الآخرين﴾ من الأمم الملحقين بهم ﴿كذلك نفعل بالمجرمين﴾ فإجرامهم سبب هلاكهم ﴿ويلٌ يومئذٍ للمكذبين﴾ حجة على توحد الربوبية، فالله هو المهلك وهو الرب لاسواه.

٢٠ ـ ٢٤ ـ ﴿ألم نخلقكم من ماءٍ مهينٍ﴾ حقير هو النطفة ﴿فجعلناه في قرارٍ مكينٍ﴾ هو الرحم ﴿إلى قدرٍ معلومٍ﴾ هو مدة الحمل ﴿فقدرنا﴾ ماسيجري عليكم من الحوادث ﴿فنعم القادرون﴾ المقدرون للحوادث ﴿ويلٌ يومئذٍ للمكذبين﴾ من يوم الفصل.

٢٥ ـ ٢٨ ـ ﴿ألم نجعل الأرض كفاتاً﴾ الكفات بمعنى الضم أو الأوعية لجمع العباد ﴿أحياءً وأمواتاً وجعلنا فيها رواسي﴾ ثوابت من الجبال ﴿شامخاتٍ﴾ عاليات ﴿وأسقيناكم ماءً فراتاً﴾ عذباً ﴿ويلٌ يومئذٍ للمكذبين﴾ وقد ظهرت دلائل الربوبية.

٢٩ ـ ٣٤ ـ ﴿انطلقوا إلى ماكنتم به تكذبون﴾ ـ أي إلى جهنم ـ والقائل هو الله سبحانه ﴿انطلقوا إلى ظلٍ﴾ هو ظل دخان نار جهنم ﴿ذي ثلاث شعبٍ﴾ ذوائب.

﴿لاظليلٍ﴾ يمنع الحر والأذى ﴿ولا يغني من اللهب﴾ الذي يعلو النار ﴿إنها﴾ النار ﴿ترمي بشررٍ كالقصر﴾ بعلوها ﴿كأنه جمالة صفرٌ﴾ والجمالة جمع جمل ﴿ويلٌ يومئذٍ للمكذبين﴾ وقد رجعوا إلى الله ربهم.

٣٥ ـ ٤٠ ـ ﴿هذا يوم لاينطقون﴾ وهو يوم الفصل ﴿ولايؤذن لهم﴾ بالنطق ﴿فيعتذرون﴾ لأن اليوم ذو مواقف كثيرة مختلفة، يسألون في بعضها، ويختم على أفواههم في أُخر ﴿ويلٌ يومئذٍ للمكذبين﴾ وقد حق الحق ﴿هذا يوم الفصل﴾ بين أهل الحق وأهل الباطل ﴿جمعناكم﴾ ـ الخطاب لمكذبي هذه الأمة ـ ﴿والأولين﴾ فهو الميقات المعلوم ﴿فإن كان لكم كيدٌ﴾ وحيلة ﴿فكيدون﴾ وادفعوا عن أنفسكم العذاب. ﴿ويلٌ يومئذٍ للمكذبين﴾؛ والخطاب لهم تعجيزي.

٤١ ـ ٤٤ ـ ﴿إن المتقين في ظلالٍ﴾ في الجنة ﴿وعيونٍ﴾ يتنعمون فيها ﴿وفواكه مما يشتهون﴾ يأكلونها ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون﴾ فتنعموا بنعم الجنة. ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ تسجيل لسعادتهم.

٤٥ ـ ٥٠ ـ ﴿ويلٌ يومئذٍ للمكذبين﴾ المحرومين ﴿كلوا وتمتعوا﴾ زماناً ﴿قليلاً إنكم مجرمون﴾ فلانفع لكم بالأكل والتمتع لأنكم مجرمون ﴿ويلٌ يومئذٍ للمكذبين﴾ فلهم النار لامحالة ﴿وإذا قيل لهم اركعوا﴾ أي اعبدوا الله ﴿لايركعون﴾ لإنكارهم يوم الفصل ﴿ويلٌ يومئذٍ للمكذبين﴾ فلانفع للعبادة مع نفي الجزاء ﴿فبأي حديثٍ بعده﴾ أي بعد القرآن ﴿يؤمنون﴾ وهو آية ساطعة؟ إذ لاأمل في إيمانهم؛ ولا فائدة في دعوتهم غير أن فيها إتماماً للحجة.

أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ
مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾
أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ
شَمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾
ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ
شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ
كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾
هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ
لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى
ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

سورة النبأ

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: الإخبار بيوم القيامة وما أعد فيه للمتقين والطاغين.

١ ـ ٥ ـ ﴿عم يتساءلون﴾ ـ التساؤل من المشركين ـ ؟ والجواب: ﴿عن النبأ العظيم﴾ وهو نبأ البعث والقيامة ﴿الذي هم فيه مختلفون﴾ من جهة إنكاره بين منكر، ومستبعد، وشاك. ﴿كلا سيعلمون﴾ ردع عن تساؤلهم. ﴿ثم كلا سيعلمون﴾ تأكيد للردع مع لحن تهديد.

سُورَةُ النَّبَإِ
مكية وآياتها ٤٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾
كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾
وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾
وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا
مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ
أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ
فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ
الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ
مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا
﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا
لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ
أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

٦ ـ ١٦ ـ ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً﴾ وقراراً تتصرفون فيها ﴿والجبال أوتاداً﴾ جعلها الله رواسي ﴿وخلقناكم أزواجاً﴾ لحفظ النوع إلى ماشاء الله ﴿وجعلنا نومكم سباتاً﴾ وسكوناً وراحة للقوى البدنية ﴿وجعلنا الليل لباساً﴾ ساتراً يستر الأشياء بظلمته ﴿وجعلنا النهار معاشاً﴾ وحياة لتبتغوا من فضل ربكم معاشكم ﴿وبنينا فوقكم سبعاً شداداً﴾ هي السموات السبع ﴿وجعلنا سراجاً﴾ هو الشمس ﴿وهاجاً﴾ شديد النور ﴿وأنزلنا من المعصرات﴾ أي السحب الماطرة ﴿ماء ثجاجاً﴾ كثير الصب للماء ﴿لنخرج به حباً ونباتاً﴾ يقتات بهما الإنسان والحيوان ﴿وجنات ألفافاً﴾ ملتفة. فهذا التدبير لابد له من غاية ـ ويستحيل أن يكون عبثاً ـ ولابد أن يستتبع هذا النظام المتحول الدنيوي، نظاماً ثابتاً باقياً. يجزى فيه الإنسان إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

١٧ ـ ٢٠ ـ ﴿إن يوم الفصل﴾ أي القضاء لينال كل واحد مايستحقه ﴿كان ميقاتاً﴾ وأجلاً مضروباً، فإنه تعالى يعلم أن تمام هذه النشأة إنما يكون ﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً﴾ وجماعات مسرعة ﴿وفتحت السماء فكانت أبواباً﴾ فيتصل بذلك عالم الإنسان بعالم الملائكة ﴿وسيرت الجبال فكانت سراباً﴾ باطلاً لاحقيقة له. فالناس لم يخلقوا عبثاً ولن يتركوا سدى. ولن يتساوى المصلحون والمفسدون.

٢١ ـ ٣٠ ـ ﴿إن جهنم كانت مرصاداً﴾ أي موضعاً للرصد والترقب ﴿للطاغين﴾ المتجاوزين الحد ﴿مآباً﴾ ومرجعاً، وقد هيؤوها لأنفسهم بأعمالهم في الدنيا ﴿لابثين فيها أحقاباً﴾ وأزماناً ﴿لايذوقون فيها برداً﴾ كالظل وغيره ﴿ولا شراباً﴾ فلاينالون ذلك ﴿إلا حميماً﴾ أي ماء شديد الحر ﴿وغساقاً﴾ وهو صديد أهل النار ﴿جزاء وفاقاً﴾ لماعملوا ﴿إنهم كانوا لايرجون حساباً﴾ فأنكروا التوحيد والنبوة وفسقوا، ﴿وكذبوا بآياتنا كذاباً﴾ وإصراراً ﴿وكل شيء أحصيناه كتاباً﴾ وضبطناه في إمام مبين، أو حفظناه في اللوح المحفوظ أو في صحائف الأعمال. ﴿فذوقوا﴾ فلا أمل لكم بالنجاة ﴿فلن نزيدكم إلا عذاباً﴾ بعد عذاب.

٣١ ـ ٣٧ ـ ﴿إن للمتقين﴾ المتلبسين بالعبودية ﴿مفازاً﴾ وظفراً بالخير وسلامة من الشر ﴿حدائق وأعناباً﴾ كروماً ﴿وكواعب﴾ جمع كاعب وهي الفتاة التي تكعب ثدياها واستدارا مع ارتفاع يسير ﴿أتراباً﴾ مماثلة لغيرها في الحسن ﴿وكأساً دهاقاً﴾ أي ممتلئة شراباً ﴿لايسمعون فيها﴾ أي في الجنة ﴿لغواً﴾ من القول ـ وهو ماليس له أثر ـ ﴿ولاكذاباً﴾ فلا يكذب بعضهم بعضاً ﴿جزاءً من ربك عطاء حساباً﴾ أي عطية محسوبة ﴿رب السماوات والأرض وما بينهما﴾ فهو رب كل شيء ﴿الرحمن﴾ ذي الرحمة الواسعة، لايحرم شيئاً منها إلا أن يمتنع منها شيء بنفسه لقصوره وسوء اختياره وخروجه عن طور العبودية ﴿لايملكون منه خطاباً﴾ ولاشفاعة، فلايسأل عما يفعل وهم يسألون. ٣٨ ـ ٣٩ ـ ﴿يوم يقوم الروح﴾ الأمري ﴿والملائكة صفاً﴾ أي حال كونهم صفاً ﴿لايتكلمون إلا من أذن له الرحمن﴾ لاتكلم نفس إلا بإذنه ﴿وقال صواباً﴾ حقاً لايداخله باطل ﴿ذلك اليوم الحق﴾ أي يوم الفصل ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً﴾ ومرجعاً ينال به ثواب المتقين وينجو من عذاب الطاغين. ٤٠ ـ ﴿إنا أنذرناكم عذاباً قريباً﴾ هو عذاب الآخرة، وكل آت قريب ﴿يوم ينظر المرء ماقدمت يداه﴾ أي ينتظر جزاء أعماله ﴿ويقول الكافر ياليتني كنت تراباً﴾ فاقد الشعور من شدة ذلك اليوم.

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾

سورة النازعات

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: البعث والحساب.

١ ـ ٥ ـ ﴿و﴾ الواو للقسم؛ أي أقسم بالملائكة المدبرات لأمر هذا العالم، ممثلة للأوامر الصادرة إليها من ساحة العزة. ﴿النازعات غرقاً﴾ أي المنتزعة والخارجة من موقف الخطاب، والنازلات نحو المطلوب ﴿والناشطات نشطاً﴾ صادعة بما تؤمر بشدة وجدّ ﴿والسابحات سبحاً﴾ المسرعات إلى الأمر ﴿فالسابقات سبقاً﴾ إلى التدبير ﴿فالمدبرات أمراً﴾ وهو التدبير الربوبي في العالم بإذن ربهم. ٦ ـ ١٤ ـ ﴿يوم ترجف الراجفة﴾ أي الصيحة العظيمة التي فيها تردد واضطراب ﴿تتبعها الرادفة﴾ المتأخرة، فتنطبق الآيتان على نفختي الصور. ﴿قلوبٌ يومئذٍ واجفةٌ﴾ مضطربة ﴿أبصارها﴾ أي أبصار القلوب ﴿خاشعةٌ﴾ فيظهر أثر خشوع القلب في الأبصار. ﴿يقولون﴾ عندما كانوا في الدنيا ﴿أإنا لمردودون﴾ بعد موتنا ﴿في الحافرة﴾ إلى حالتنا الأولى وهي الحياة، وقيل الحافرة هي أول الشيء ومبدؤه. ﴿إذا كنا عظاماً نخرة﴾ بالية متفتتة ﴿قالوا﴾ استبعاداً وإنكاراً لتلك الرجعة ﴿تلك إذاً كرةٌ خاسرةٌ﴾ ورجعة ذات خسران. ﴿فإنما هي﴾ الكرة ﴿زجرةٌ واحدةٌ﴾ والزجر طرد بصوت وصياح عبر به عن النفخة الثانية، ﴿فإذا هم بالساهرة﴾ وهي الأرض المستوية أو الخالية من النبات. ١٥ ـ ﴿هل أتاك حديث موسى﴾ ترغيب لسماع الحديث، لإتمام الحجة على المنكرين للبعث.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾

١٦ ـ ٢٠ ـ ﴿إذ ناداه ربه بالواد المقدس﴾ واسمه ﴿طوىً﴾ وأول مأوحى إليه: ﴿اذهب إلى فرعون﴾ تفسير للنداء ﴿إنه طغى﴾ تعليل للأمر ﴿فقل هل لك﴾ ميل ﴿إلى أن تزكى﴾ وتتطهر من قذارة الطغيان ﴿وأهديك إلى ربك﴾ وأرشدك إلى معرفته ﴿فتخشى﴾ الخشية الملازمة للإيمان الداعية إلى الطاعة والرادعة عن المعصية فمن عرف ربه ارتدع بهذه المعرفة عن الإثم والفسوق والعصيان ﴿فأراه﴾ موسى ﴿الآية الكبرى﴾ أي آية العصا. ٢١ ـ ٢٤ ـ ﴿فكذب﴾ وجحد ﴿وعصى﴾ الله ﴿ثم أدبر﴾ وتولى ﴿يسعى﴾ ويجد لإبطال دعوة موسى ﴿فحشر﴾ وجمع الناس بلزاع ﴿فنادى﴾ أهل مملكته ﴿فقال أنا ربكم الأعلى﴾ دون سائر آلهتكم. قالها الطاغية وقد اغتر بغفلة الجماهير وإذعانها وانقيادها، وما هو إلا فرد لايملك قوة في نفسه ولكن الجماهير الذليلة تحني له ظهرها فيركب وتمد له أعناقها فيجر وتتنازل عن حقها في العزة والكرامة فيطغى. ٢٥ ـ ﴿فأخذه الله﴾ وعذبه ﴿نكال﴾ وعذاب ﴿الآخرة﴾ بعد الموت ﴿والأولى﴾ عذاب الإغراق مع جنوده في الدنيا. ٢٦ ـ ﴿إن في ذلك﴾ الحديث ﴿لعبرة لمن يخشى﴾ الشقاء والعذاب بغريزته أي لمن كان مستقيم الفطرة. ٢٧ ـ ٣٣ ـ ﴿أأنتم أشد خلقاً﴾ ـالخطاب لمنكري البعث ـ ﴿أم السماء بناها﴾ والسماء أشد خلقاً ﴿رفع سمكها وسقفها﴾ ﴿فسواها﴾ بترتيب أجزائها ﴿وأغطش﴾ وأظلم ﴿ليلها وأخرج ضحاها﴾ أي أبرز نهارها ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ وبسطها ومدها ﴿أخرج منها ماءها﴾ بتفجير العيون والينابيع منها ﴿ومرعاها﴾ بإنبات النبات فيها ﴿والجبال أرساها﴾ وأثبتها وادخر فيها المياه والمعادن ﴿متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ فهذا الخلق والتدبير يوجب عليكم معرفة ربكم؛ وأن هناك يوماً يُشكر فيه من شكر ويُكفر من كفر. وهذا الاستفهام لايحتمل إلا إجابة واحدة بالتسليم بلا جدل. ٣٤ ـ ٣٩ ـ ﴿فإذا جاءت الطامة﴾ العالية الغالبة الداهية ﴿الكبرى﴾ وهي القيامة ﴿يوم يتذكر الإنسان ماسعى﴾ وجدَّ وعمل ﴿وبرزت الجحيم لمن﴾ له بصر ﴿يرى﴾ بعد أن كانت مخلوقة محجوبة. ﴿فأما من طغى وءاثر الحياة الدنيا﴾ ورفض الآخرة واتبع هوى النفس ﴿فإن الجحيم هي المأوى﴾ وقد تجاوز الهدى وتعدى الحق. ٤٠ ـ ٤١ ـ ﴿وأما من خاف مقام ربه﴾ وهو صفة ربوبيته بما تستلزمه من صفاته الكريمة كالعلم والقدرة والقهر والغلبة والرحمة والغضب ﴿ونهى النفس عن الهوى﴾ وآثر الطاعة على الهوى ﴿فإن الجنة هي المأوى﴾ في الآخرة. ٤٢ ـ ٤٦ ـ ﴿يسألونك﴾ يامحمد ﴿عن الساعة أيان مرساها﴾ ومتى إثباتها أي متى تقوم القيامة ﴿فيم أنت من ذكراها﴾ أي ماذا يحصل لك من العلم بوقتها فكثرة ذكرها لايفيد العلم بها ﴿إلى ربك منتهاها﴾ وهو وحده الذي يعلم أحوالها ﴿إنما أنت منذر من يخشاها﴾ ويخاف منها ﴿كأنهم يوم يرونها﴾ ـ لقربها ـ ﴿لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها﴾ أي وقتاً نسبته إلى نهار واحد. وحديث الساعة ضمانة للوقع في النفس بحيث تتضاءل أمامها الحياة الدنيا وأحداثها وزخرفها بكل مافيها.

إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾
فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ
ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ
فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ
﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا
﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾
وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾
وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ
ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ
لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ
هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ
﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا
﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ
مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

سُورَةُ عَبَسَ

سورة عبس

بسم الله الرحمن الرحيم غرض السورة: عتاب لمن يقدم الأغنياء والمترفين على الضعفاء والمساكين من المؤمنين، فيرفع أهل الدنيا ويضع أهل الآخرة. ١ ـ ٤ ـ ﴿عبس﴾ وبسر ﴿وتولى﴾ وأعرض ﴿أن جاءه الأعمى﴾ وهو ابن أم مكتوم؛ ﴿ومايدريك لعله يزكى﴾ ويتطهر بعمل صالح ﴿أويذكر فتنفعه الذكرى﴾ فيتطهر. ٥ ـ ١٠ ـ ﴿أما من استغنى﴾ وتلبس بالغنى ولازمه التقدم والرئاسة والاستكبار عن الحق ﴿فأنت له تصدى﴾ مهتماً بأمره ﴿وماعليك﴾ من بأس ﴿الا يزكى﴾ فلا يبعثنك الحرص على إسلامه إلى الإعراض والتلهي عمن أسلم ﴿وأما من جاءك يسعى﴾ ليتذكر ويتزكى ﴿وهو يخشى﴾ الله ﴿فأنت عنه تلهى﴾ وتتشاغل بغيره. وتقديم الضمير أنت إنما هو لتسجيل العتاب وتثبيته. ١١ ـ ١٦ ـ ﴿كلا﴾ ردع عما عوتب عليه ﴿إنها تذكرة﴾ تحملها الآيات القرآنية ﴿فمن شاء﴾ ذكر القرآن ﴿ذكره﴾ وهو ماتهدي إليه الفطرة ﴿في صحفٍ مكرمةٍ﴾ معظمة مكتوبة بأيدي ملائكة الوحي ﴿مرفوعةٍ﴾ قدراً ﴿مطهرةٍ﴾ من الباطل والتناقض ﴿بأيدي سفرةٍ﴾ أي رسل ﴿كرام﴾ على ربهم بطهارة ذواتهم ﴿بررةٍ﴾ لحسن أعمالهم. وهذا يضعف القول أن المراد بالصحف اللوح المحفوظ. ١٧ ـ ٢٣ ـ ﴿قتل الإنسان ماأكفره﴾ فهو يستر الحق وينكر الربوبية، وهو يرى أنه مدبر بتدبير الله لاغيره ﴿من أي شيءٍ خلقه﴾ الله حتى يستكبر؟ ﴿من نطفةٍ﴾ حقيرةٍ مهينة ﴿خلقه فقدره﴾ في ذاته وصفاته وأفعاله. فليس له أن يتعدى حد الربوبية ﴿ثم السبيل﴾ إلى الخير والسعادة ﴿يسره﴾ فكل ميسر لما خلق له ﴿ثم أماته فأقبره﴾ في بطن الأرض، عن طريق هداية الناس للإقبار ﴿ثم إذا شاء﴾ البعث ﴿أنشره﴾ وأحياه للتصرف بعد الموت. ﴿كلا﴾ ـ لم يخضع الإنسان لواجب الربوبية ـ ﴿لم يقض مأمره﴾ بل كفر وعصى. فالخلق والتقدير لاينافيان كون الإنسان مختاراً فيما أمر به من الإيمان والطاعة؛ فالإنسان مختار في فعله مسؤول عنه وإن كان متعلقاً بالقدر. ٢٤ ـ ٣١ ـ ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه﴾ الذي يستمد منه بقاءه إذ أن في دورة العناصر الداخلة في تركيب النبات في الطبيعة لآياتٌ للعالمين. ﴿أنا صببنا الماء صباً﴾ بإنزال المطر ﴿ثم شققنا الأرض شقاً﴾ بالنبات الخارج منها ﴿فأنبتنا فيها حباً﴾ كالحنطة والشعير ﴿وعنباً وقضباً﴾ والقضب هو الغض الرطب من البقول الذي يقطع مرة بعد أُخرى. ﴿وزيتوناً ونخلاً﴾ وأنواعهما ﴿وحدائق غلباً﴾ فيها أشجار عظام. ﴿وفاكهةً﴾ أي ثماراً ﴿وأبّاً﴾ وهو الكلأ والمرعى. ٣٢ ـ ﴿متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ تعيشون به فالرب الذي يدبر أمركم هو الذي يدبر أمر أنعامكم وقد سخرها لكم. ٣٣ ـ ﴿فإذا جاءت الصاخة﴾ وهي الصيحة التي تصم الأسماع، والمراد بها نفخة الصور. ٣٤ ـ ٣٦ ـ ﴿يوم يفر المرء من أخيه﴾ لشدته ﴿وأمه وأبيه﴾ وهما أقرب الناس إليه ﴿وصاحبته وبنيه﴾ وقد كان يأوي إليهم في الدنيا. ٣٧ ـ ﴿لكل امرئٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يغنيه﴾ ويكفيه من أن يشتغل بغيره. ٣٨ ـ ٣٩ ـ ﴿وجوهٌ يومئذٍ مسفرةٌ﴾ مشرقة فرحة، ﴿ضاحكةٌ مستبشرةٌ﴾ تتهلل بما في اليوم من البشرى. ٤٠ ـ ٤١ ـ ﴿ووجوهٌ يومئذٍ عليها غبرةٌ﴾ وكدورة وهم وغم ﴿ترهقها﴾ وتغشاها ﴿قترةٌ﴾ وسواد وظلمة، فالوجه مرآة القلب. ٤٢ ـ ﴿أولئك هم الكفرة﴾ اعتقاداً ﴿الفجرة﴾ سلوكاً الفاعلون للمعصية الشنيعة. وهذا تعريف لأهل الشقاء وهم الطائفة الثانية. ولم يتحدث عن أهل السعادة من الطائفة الأولى لأن الكلام مسوق للإنذار.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

سورة التكوير

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: التذكير بيوم القيامة ووصف أشراطها وما أُعد فيها، وإثبات صدق الرسول وحقية الرسالة. وتنزيه النبي عما نسب إليه.

١ ـ ١٤ ـ ﴿إذا الشمس كورت﴾ لفت وأحاطها الظلام ﴿وإذا النجوم انكدرت﴾ وسقطت أو تغيرت وذهب ضوءها ﴿وإذا الجبال سيرت﴾ وصارت هباء منبثاً ﴿وإذا العشار﴾ النوق التي أتت عليها عشرة أشهر ﴿عطلت﴾ وأهملت ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ كالإنسان أوخرجت من غاباتها وأكنانها ﴿وإذا البحار سجرت﴾ وأضرمت ناراً أو ملئت ﴿وإذا النفوس زوجت﴾ بالحور العين للسعداء، وبقرناء الشياطين للأشقياء ﴿وإذا الموءودة﴾ التي دفنت حية ﴿سئلت﴾ والسائل هو الله تعالى مع علمه بذلك ﴿بأي ذنبٍ قتلت﴾ ووائدها أبوها هو المسؤول عن قتلها ﴿وإذا الصحف﴾ أي كتب الأعمال ﴿نشرت﴾ للحساب ﴿وإذا السماء كشطت﴾ كأنها قلعت عما لصقت عليه ﴿وإذا الجحيم سعرت﴾ وأججت ﴿وإذا الجنة أزلفت﴾ وقربت ﴿علمت نفسٌ ماأحضرت﴾ ﴿يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضراً وما عملت من سوء﴾ الآية. ١٥ ـ ٢١ ـ ﴿فلا أقسم بالخنس﴾ أي المتأخرة المستترة ﴿الجوار الكنس﴾ أي الكواكب التي تجري وترجع وتكنس زماناً وتقيم زماناً ﴿والليل إذا عسعس﴾ أي أقبل وأدبر ﴿والصبح إذا تنفس﴾ وانبسط ضوءه ﴿إنه﴾ ـ أي القرآن ـ ﴿لقول رسولٍ﴾ هو جبريل ﴿كريمٍ﴾ ذي كرامة وعزة من الله ﴿ذي قوةٍ﴾ وقدرة ﴿عند ذي العرش﴾ أي عند الله ﴿مكينٍ﴾ صاحب مكانة ومنزلة ﴿مطاعٍ﴾ تأتمر الملائكة بأمره ﴿ثم أمينٍ﴾ لايخون في تبليغ الوحي ولاينسى. فهذه ست صفات ذكرت من صفات جبريل. وقيل إن الرسول هو محمد ﷺ ولاتلائمه الآيات التالية. ٢٢ ـ ٢٦ ـ ﴿وما صاحبكم﴾ محمد ﷺ وقد عاشركم ﴿بمجنونٍ﴾ كما رميتموه ﴿ولقد رآه﴾ أي رأى محمد جبريل ﴿بالأفق المبين﴾ الأعلى من سائر آفاق الملائكة ﴿وما هو﴾ أي محمد ﷺ ﴿على الغيب﴾ وهو الوحي النازل عليه ﴿بضنين﴾ ولابخيل ﴿وما هو بقول شيطانٍ﴾ شرير ﴿رجيم﴾ مبعد من الرحمة ﴿فأين تذهبون﴾ في ارتيابكم. ٢٧ ـ ٢٩ ـ ﴿إن هو إلا ذكرٌ للعالمين﴾ ليتبصروا الحق ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ ويثبت على العبودية والطاعة ﴿وماتشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ فمشيئتكم متوقفة على مشيئة الله تعالى، فلااستقلال لكم فيها، أي لاتتوهموا أن لكم الاستقلال في مشيئة الاستقامة علماً أن هذا القول لايترتب عليه أن لله حاجة في ماطلب منهم من الاستقامة.

سُورَةُ التَّكْوِيرِ — ترتيبها ٨١ — آياتها ٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ
سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ
﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا
الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ
﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ
أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾
الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾
إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ
ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ
﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾
فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن
يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

سُورَةُ الانفِطَارِ — ترتيبها ٨٢ — آياتها ١٩

سورة الإنفطار

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: يوم القيامة وما فيه. ١ ـ ٥ ـ ﴿إذا السماء انفطرت﴾ وانشقت ﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾ وتفرقت ﴿وإذا البحار فجرت﴾ وخرقت ﴿وإذا القبور بعثرت﴾ وقلب باطنها لبعث الموتى وحسابهم ﴿علمت نفسٌ ماقدمت﴾ مما عملته في حياتها ﴿وأخرت﴾ من سنة حسنة أو سيئة. ٦ ـ ٨ ـ ﴿يأيها الإنسان﴾ المكذب للدين ﴿ماغرك بربك الكريم﴾ فتمرد المربوب على ربه المنعم عليه قبح يستحق العقاب ﴿الذي خلقك﴾ بجمع أجزائك ﴿فسواك﴾ في أحسن صورة ﴿فعدلك﴾ لتتوازن أعضاؤك ﴿في أي صورةٍ ماشاء ركبك﴾ ـ ولا يشاء إلا ماتقتضيه الحكمة ـ ولذلك خلق الذكر والأنثى، والأبيض والأسود، والدميم والوسيم، والقوي والضعيف. ٩ ـ ١٢ ـ ﴿كلا﴾ ردع عن الاغترار بكرم الله وجعل ذلك ذريعة للكفر واقتراف المعاصي ﴿بل تكذبون بالدين﴾ والجزاء فتجحدون الله سبحانه ﴿وإن عليكم لحافظين﴾ يحفظون أعمالكم ﴿كراماً﴾ عند الله ﴿كاتبين﴾ الأعمال ﴿يعلمون ماتفعلون﴾ من حسنة وسيئة. ١٣ ـ ١٦ ـ ﴿إن الأبرار لفي نعيم﴾ عظيم فهم المحسنون عملاً ﴿وإن الفجار﴾ المغرقين في الذنوب المتهتكين من الكفار ﴿لفي جحيم﴾ وسعير ﴿يصلونها﴾ ويلزمونها ﴿يوم الدين﴾ والجزاء ﴿وما هم عنها بغائبين﴾ فتلازمهم. ١٧ ـ ١٩ ـ ﴿وما أدراك مايوم الدين﴾ فلاتحيط علماً بحقيقته ﴿ثم ما أدراك مايوم الدين﴾ تفخيم لأمره ﴿يوم لاتملك نفسٌ لنفسٍ شيئاً﴾ لتقطع روابط التأثير والتأثر بين الأسباب الظاهرية ومسبباتها ﴿والأمر يومئذٍ لله﴾ الواحد القهار ـ وتقطعت بهم الأسباب ـ ﴿ولو يرى الذين ظلموا أن القوة لله جميعاً﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

سورة المطففين

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: وعيد المطففين بالبعث للجزاء ووصف يوم القيامة وما أعد فيه للفريقين.

١ ـ ٦ ـ ﴿ويلٌ﴾ وهلاك ﴿للمطففين﴾ الذين يبخسون المكيال والميزان، وهذا من الفساد في الأرض. وتفيد التربية النبوية أن نقض العهد يسلط الأعداء والحكم بغير ماأنزل الله يسبب فشو الفقر، والفاحشة تؤدي إلى فشو الموت، وتطفيف الكيل يمنع النبات ومنع الزكاة يحبس القطر. ﴿الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون﴾ منهم بالكيل حقهم كاملاً ﴿وإذا كالوهم﴾ وأعطوهم بالكيل ﴿أو وزنوهم يخسرون﴾ وينقصون ﴿ألا يظن﴾ أي يعلم ﴿أولئك﴾ المطففون

المبعدون عن الرحمة ﴿انهم مبعوثون ليوم عظيم﴾ فيتحرزون عن إقتراف مايضرهم فيه ﴿يوم يقوم الناس﴾ من قبورهم ﴿لرب العالمين﴾ فيتلبسون بالحياة ليحاسبوا. فالظن بالبعث يوجب تجنب أي عمل قد يسبب التبعة السيئة، فكيف إذا كان الحق الإيقان بالمعاد مع العمل بمقتضى هذا الاعتقاد. ٧ ـ ١١ ـ ﴿كلا﴾ ردع لهم ﴿إن كتاب الفجار﴾ وما قدره الله لهم من القضاء الحتم ﴿لفي سجين﴾ أي سجن يحبس فيه من دخله طويلاً ﴿وما أدراك ماسجين﴾ تهويل لأمره ﴿كتاب﴾ مقضي ﴿مرقوم﴾ مثبين بلاإبهام. ﴿ويلٌ يومئذٍ للمكذبين﴾ وليهلك الفجار المكذبون ماقضى الله به عليهم من الجزاء ﴿الذين يكذبون بيوم الدين﴾ وينكرون المعاد بقولهم. ١٢ ـ ١٧ ـ ﴿وما يكذب به إلا كل معتدٍ﴾ متجاوز حد العبودية ﴿أثيم﴾ تراكمت آثامه بوحي أهوائه. ﴿إذا تتلى عليه آياتنا﴾ بالقرآنية ـ ﴿قال﴾ إنكاراً للمعاد هذه ﴿أساطير الأولين﴾ وخرافاتهم. ﴿كلا﴾ ردع عن قولهم: أساطير الأولين. ﴿بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون﴾ أي صار ذلك كصدأ على جلاء قلوبهم، فعمي عليهم معرفة الخير وهذه حال من يصر على الكبائر ويسوّف التوبة حتى يطبع الله على قلبه ﴿كلا إنهم عن﴾ رحمة ﴿ربهم يومئذٍ لمحجوبون﴾ فلا تنالهم هدايته وقد سقطت الأسباب بينه تعالى وبين خلقه. ﴿ثم إنهم لصالوا الجحيم﴾ مقاسون حرها ﴿ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون﴾ والقائل خزنة النار أو أهل الجنة. ويظهر من الآيات: أن النفس تدرك بفطرتها الحق وتميزه عن الباطل وتفرق بين الفجور والتقوى، وأن للأعمال السيئة نقوشاً وصوراً في النفس تنتقش بها، وهذه النقوش تمنع النفس أن تدرك الحق وتحول بينها وبينه. ١٨ ـ ٢١ ـ ﴿كلا إن كتاب الأبرار﴾ وفيه جزاء برهم ﴿لفي عليين﴾ علو مضاعف ـ فلهم منازل القرب ـ ﴿وما أدراك ماعليون﴾ وماهي تلك المنزلة ﴿كتابٌ﴾ وأمر ﴿مرقومٌ﴾ وقضاء حتم. ﴿يشهده المقربون﴾ من أهل الدرجات العالية من أهل الجنة وهم أهل اليقين. ٢٢ ـ ٢٨ ـ ﴿إن الأبرار لفي نعيم﴾ لايوصف ﴿على الأرائك﴾ والأسرة ﴿ينظرون﴾ إلى مباهج الجنة ﴿تعرف في وجوههم نضرة النعيم﴾ وبهجته ﴿يسقون من رحيقٍ﴾ أي شراب صاف ﴿مختوم﴾ لنفاسته ﴿ختامه مسكٌ﴾ يختم به. ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ ترغيب لما وصف من الرحيق المختوم، أو فليتنافسوا في نعيم الجنة عامة وفي الرحيق خاصة ﴿ومزاجه﴾ الذي يمزج به ﴿من تسنيم﴾ والتسنيم عين في الجنة تحمل في لفظها معنى الرفع والملء؛ وهي أفضل من الرحيق المختوم ﴿عيناً﴾ في الجنة ﴿يشرب بها المقربون﴾ وهم أعلى درجة من الأبرار. ٢٩ ـ ٣٣ ـ ﴿إن﴾ الكافرين ﴿الذين أجرموا كانوا من﴾ الأبرار ﴿الذين آمنوا يضحكون﴾ منهم لإيمانهم ﴿وإذا مروا بهم يتغامزون﴾ ويهزأون ﴿وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين﴾ مرحين بطرين ﴿وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون﴾ قضاء عليهم بالضلال ﴿وما أرسلوا عليهم حافظين﴾ ليشهدوا ويقضوا بحقهم ـ أي بحق المؤمنين ـ ماتقتضيه أهواؤهم. ٣٤ ـ ﴿فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون﴾ وهو يوم القيامة، وقد قيل لهم اضحكوا قليلاً وابكوا كثيراً.

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ كَلَّا بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝١٧ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢١ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ۝٣١ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ۝٣٢ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ۝٣٣ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝٣٤

٣٥ ـ ٣٦ ـ ﴿على الأرائك ينظرون﴾ إلى جزاء الكفار ﴿هل ثُوِّبَ الكفارُ ما كانوا يفعلون﴾ وذاقوا وبال فعالهم.

سورة الإنشقاق

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: الكلام عن الساعة، غلبة الإنذار على التبشير. ١ ـ ٥ ـ ﴿إذا السماء انشقت﴾ وتصدعت ﴿وأذنت﴾ أصغت بالاستماع ﴿لربها وحقت﴾ وكانت جديرة بأن تسمع وتطيع ﴿وإذا الأرض مدت﴾ واتسعت ﴿وألقت مافيها﴾ من الموتى ﴿وتخلت﴾ منهم ﴿وأذنت﴾ الأرض ﴿لربها﴾ سامعة مطيعة ﴿وحقت﴾ وكل ذلك من أشراط الساعة. ٦ ـ ﴿يا أيها الإنسان إنك كادحٌ﴾ تسعى بجد ﴿إلى ربك كدحاً فملاقيه﴾ فالعبد لايملك لنفسه إرادة ولاعملاً إلا ماأمره به مولاه، وهذه حجة على المعاد، فلاتتم الربوبية إلا مع العبودية، ولاعبودية إلا مع مسؤولية، ولامسؤولية إلا برجوع وجزاء. ٧ ـ ٩ ـ ﴿فأما من أوتي كتابه﴾ أي صحيفة أعماله ﴿بيمينه﴾ وقد صلحت عقيدته وعمله ﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ يخلو عن المناقشة ﴿وينقلب إلى أهله﴾ من حور الجنة وغلمانها ﴿مسروراً﴾ بما ينال. ١٠ ـ ١٥ ـ ﴿وأما من أوتي كتابه وراء ظهره﴾ وقد طمس الله وجوهاً فردها على أدبارها. ﴿فسوف يدعوا ثبوراً﴾ وهلاكاً قائلاً واثبوراه. ﴿ويصلى سعيراً﴾ مؤججة أو يقاسي حرها ﴿إنه كان في أهله مسروراً﴾ بما نالت أهواؤه في الدنيا ﴿إنه ظن أن لن يحور﴾ ـ أي لن يرجع ـ وأنه لامعاد ولاحساب فتوغل في الآثام ﴿بلى﴾ أي سيرجع ليس الأمر كما ظنه ﴿إن ربه﴾ المدبر لأمره ﴿كان به بصيراً﴾ وقد أحاط به وبعمله علماً. ١٦ ـ ١٩ ـ ﴿فلا أقسم بالشفق﴾ وهو الحمرة ثم الصفرة ثم البياض عند المغرب ﴿والليل وما وسق﴾ أي ضم وجمع؛ فالأحياء ترجع إلى مأواها في الليل ﴿والقمر إذا اتسق﴾ أي اجتمع وزاد نوره وتبدر ﴿لتركبن﴾ أيها الناس ﴿طبقاً عن طبقٍ﴾ أي مرحلة بعد مرحلة، كالموت ثم البرزخ ثم الآخرة ثم الحساب والجزاء، وقيل إنها السماء مرة كالدهان ومرة تنشق وقيل يرفع الذي هان أمرهم ويوضع المستكبرون وقيل رخاء بعد شدة وغنى بعد فقر وصحة بعد سقم أو خلاف ذلك وقيل هي ركوب الشدائد وقيل هي مايحدث الآن من الصعود في الفضاء. ٢٠ ـ ٢٥ ـ ﴿فمالهم لايؤمنون﴾ مع ماظهر من الدلائل ﴿وإذا قرىء عليهم القرآن لايسجدون﴾ ولايتعظون ولايرضخون للحق ﴿بل الذين كفروا يكذبون﴾ مع اكتمال البرهان ﴿والله أعلم بما يوعون﴾ فقلوبهم أوعية للتكذيب ﴿فبشرهم بعذابٍ أليمٍ﴾ لتكذيبهم ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وهم مستثنون ﴿لهم أجرٌ غير ممنونٍ﴾ فهو خال من قول يثقل على المأجور.

عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

سُورَةُ الْإِنشِقَاقِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

سورة البروج

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: إنذار وتبشير، وعيد شديد للذين يفتنون المؤمنين لإيمانهم، وتحريض للمؤمنين على الصبر في جنب الله.

١ ـ ٣ ـ ﴿والسماء﴾ أي أقسم بالسماء ﴿ذات البروج﴾ التي تحفظها والتي يدفع الله بها عنها الشياطين؛ إن الله يدفع عن إيمان المؤمنين كيد الشياطين وأوليائهم من الكافرين ﴿و﴾ أقسم بـ ﴿اليوم الموعود﴾ وهو يوم القيامة الذي يجزى فيه الناس بأعمالهم ﴿وشاهدٍ ومشهودٍ﴾ يعاين أعمال الكفار ﴿الذين فتنوا المؤمنين..﴾ ـ وهو جواب القسم ـ فهو ﷺ شاهد على أعمال أمته؛ أو وأقسم بمشهود سيشهده الكل ويعاينونه وهو يوم القيامة؛ أو المشهود هو تعذيب الكفار للمؤمنين أو هو جزاء ذلك أو هو مايقع يوم القيامة من الثواب والعقاب. ٤ ـ ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾ وهو الشق العظيم في الأرض. ٥ ـ ﴿النار ذات الوقود﴾ وقد تأججت. ٦ ـ ﴿إذ هم﴾ أي الجبابرة القاعدون على إحراق المؤمنين ﴿عليها قعود﴾ أي على أطرافها. ٧ ـ ﴿وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود﴾. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: كان لبعض الملوك ساحر، فلما كبر ضم إليه غلاماً ليعلمه السحر، وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس. فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان الراهب أحب إليك من الساحر فاقتلها؛ فكان الغلام بعد ذلك يبرىء الأكمه والأبرص، ويشفي من الأدواء، وعمي جليس للملك فأبرأه فأبصره الملك فسأله فقال: من ردّ عليك بصرك؟ فقال: ربي؛ فغضب فعذبه. فدل على الراهب، فلم يرجع الراهب عن دينه، فقدّ بالمنشار وأبى الغلام فذهب به إلى جبل ليطرح من ذروته، فدعا فرجف بالقوم، فطاحوا ونجا، فذهب به إلى قرقور ﴿سفينة طويلة﴾ فلججوا به ليغرقوه، فدعا فانكفأت بهم السفينة، فغرقوا ونجا، فقال للملك: لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتأخذ سهماً من كنانتي وتقول: بسم الله رب الغلام، ثم ترميني به. فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات؛ فقال الناس: آمنا برب الغلام، فقيل للملك: نزل بك ماكنت تحذر؛ فأمر بأخاديد في أفواه السكك وأوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست أن تقع فيها، فقال الصبي: ياأماه، اصبري فإنك على الحق؛ فاقتحمت. وقيل لها قعي ولاتنافقي. وقيل: قال لها ماهي إلا غيضة فصبرت».

٨ ـ ٩ ـ ﴿وما نقموا منهم﴾ أي ماكرهوا المؤمنين ﴿إلا أن يؤمنوا بالله العزيز﴾ الغالب ﴿الحميد﴾ ذو الكمال والجلال فعليهم أن يخضعوا لعظمته ﴿الذي له ملك السموات والأرض﴾ فهو المليك وله الحكم. فالمؤمنون على الحق

سُورَةُ البُرُوجِ — مكية — آياتها ٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الطَّارِقِ — مكية — آياتها ١٧

والكافرون في ضلال ﴿والله على كل شيءٍ شهيدٌ﴾ فلا يحتجب عنه إحسان محسن ولاإساءة مسيء، وسيجزي كلاً بعمله.

١٠ ـ ﴿إن الذين فتنوا﴾ ومحنوا وعذبوا ﴿المؤمنين والمؤمنات﴾ ليرجعوا عن دينهم؛ والخطاب يشمل أصحاب الأخدود وغيرهم كمشركي قريش ﴿ثم لم يتوبوا﴾ ولم يرجعوا إلى الله ﴿فلهم عذاب جهنم﴾ فيعذبون فيها بالزقوم والغسلين والمقامع ﴿ولهم عذاب الحريق﴾ يحرقهم.

١١ ـ ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جناتٌ تجري من تحتها الأنهار﴾ وعد جميل يطيب نفوسهم ﴿ذلك الفوز الكبير﴾ والسعادة بلاتنغيص.

١٢ ـ ﴿إن بطش ربك لشديدٌ﴾ والبطش تناول الشيء بصولة، فجبابرة أمتك يامحمد سينالون نصيباً من الوعيد.

١٣ ـ ﴿إنه هو يبدىء﴾ ويوجد مايريد ﴿ويعيد﴾ ماكان إلى لبس جديد، وهو القادر على أن يعيد ماأفسده العذاب إلى حالته الأولى، كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها.

١٤ ـ ﴿وهو الغفور الودود﴾ للمؤمنين.

١٥ ـ ﴿ذو العرش﴾ فله التصرف في مملكته ﴿المجيد﴾ والمجد هو كمال الذات والصفات.

١٦ ـ ﴿فعالٌ لما يريد﴾ ولن يخلف وعده.

١٧ ـ ١٨ ـ ﴿هل أتاك حديث الجنود﴾ يامحمد ﴿فرعون وثمود﴾ وقد ظهر بطشه تعالى فيهم.

١٩ ـ ﴿بل الذين كفروا﴾ من قومك ﴿في تكذيبٍ﴾ فلاينتفعون بموعظة أو حجة.

٢٠ ـ ﴿والله من ورائهم محيطٌ﴾ فهو قادر عليهم من كل جهة.

٢١ ـ ﴿بل هو قرآن مجيدٌ﴾ محفوظ عن الكذب والباطل، وليس كما يدعون ﴿في لوحٍ محفوظٍ﴾ عن مس الشياطين.

سورة الطارق

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: إنذار المعاد والحساب. ١ ـ ٤ ـ ﴿والسماء والطارق﴾ وهو نجم يطلع بالليل ﴿وما أدراك ماالطارق﴾ تفخيم لشأنه ﴿النجم الثاقب﴾ يثقب بنوره الظلام ﴿إن كل نفس لمّا﴾ ـ لمّا بمعنى إلا ـ ﴿عليها حافظٌ﴾ يكتب أعمالها لتجزى بها؛ أو يحفظ النفوس لايبطلها الموت، ثم يعيدها إلى الأبدان بعد إحيائها؛ ﴿وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون﴾. ٥ ـ ١٠ ـ ﴿فلينظر الإنسان مم خلق﴾ أي ماهو مبدأ خلقه ﴿خلق من ماءٍ دافقٍ﴾ هو المني المتدفق ﴿يخرج من بين الصلب﴾ أي الظهر ﴿والترائب﴾ وهي عظام الصدر ﴿إنه﴾ ـ الله عز اسمه ـ ﴿على رجعه﴾ أي على إعادة الإنسان وإحيائه بعد الموت ﴿لقادرٌ﴾ فالقدرة على الشيء قدرة على مثله. ﴿يوم تبلى﴾ وتختبر ﴿السرائر﴾ وما أخفت من عقائد وآثار أعمال ﴿فماله من قوةٍ﴾ أي ليس للإنسان من نفسه قدرة يمتنع بها من عذاب الله ﴿ولا ناصر﴾ له يدفع ذلك عنه. ١١ ـ ١٧ ـ ﴿والسماء ذات الرجع﴾ فالكواكب ترجع بعد غروبها وتغرب بعد طلوعها، أو أنها ترجع أمطارها، ﴿والأرض ذات الصدع﴾ تنشق بالنباتات ﴿إنه لقولٌ فصلٌ﴾ فالقرآن يفصل الحق عن الباطل ﴿وما هو بالهزل﴾ فما أخبر به من البعث والحساب حق ﴿إنهم﴾ أي الكفار ﴿يكيدون كيداً﴾ ويحتالون بكفرهم وإنكارهم المعاد ليطفئوا نور الله ﴿وأكيد كيداً﴾ وأملي لهم وأطبع على قلوبهم ﴿فمهل الكافرين﴾ إنظار لهم ﴿أمهلهم رويداً﴾ فكل آتٍ قريب.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ
نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ
دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾
يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾
وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ
يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

سورة الأعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: تسبيح الخالق المدبر، تذكير ووعيد. ١ ـ ٥ ـ ﴿سبح﴾ ونزه ﴿اسم ربك﴾ الدال على المسمى، عن كل مالايليق بقدسه كذكر الآلهة والشركاء وغير ذلك فهو ﴿الأعلى﴾ الذي يعلو ويقهر كل عال. ﴿الذي خلق﴾ وجمع الأجزاء ﴿فسوى﴾ بوضع كل جزء في موضعه. ﴿والذي قدر﴾ الأشياء على مقادير مخصوصة في صفاتها وأفعالها ﴿فهدى﴾ كل لما قدر له ﴿والذي أخرج المرعى﴾ لترعى الدواب ﴿فجعله غثاءً﴾ ويابساً من النبات ﴿أحوى﴾ أسود. وهذه من دلائل الربوبية. ٦ ـ ١٣ ـ ﴿سنقرئك﴾ ونمكنك يامحمد من العلم بالقرآن وحفظه ﴿فلا تنسى﴾ لتقرأه كما نزل ﴿إلا ما شاء الله﴾ استثناء مفيد لبقاء القدرة ﴿إنه يعلم الجهر﴾ والجهر كمال الظهور ﴿وما يخفى﴾ عن السمع والبصر؛ لأنه عالم الغيب والشهادة اللطيف الخبير. ﴿ونيسرك لليسرى﴾ والطريقة السهلة ـ لتبليغ دعوتك ـ قولاً وفعلاً. ﴿فذكر إن نفعت الذكرى﴾ وإلا كانت لغواً. ﴿سيذكّر﴾ القرآن

سُورَةُ الْأَعْلَىٰ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ
﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ
فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ
لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾
وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ
فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾

ويتعظ به ﴿من يخشى﴾ الله وعقابه ﴿ويتجنبها﴾ ويبتعد عن الذكرى ﴿الأشقى﴾ الذي لايخشى و ﴿الذي يصلى النار الكبرى﴾ نار جهنم ﴿ثم لايموت فيها﴾ فينقطع عنه العذاب؛ ﴿ولا يحيى﴾ حياة طيبة؛ فلايصح التشبيه بالحرض وهو من لاحي فيرجى ولاميت فينسى. ١٤ ـ ١٥ ـ ﴿قد أفلح من تزكى﴾ وتطهر من التعلقات بالدنيا مما يصرف عن الآخرة ﴿وذكر اسم ربه فصلى﴾ الصلاة المشروعة، وقد ورد أن هاتين الآيتين نزلتا في زكاة الفطر وصلاة العيد.

١٦ ـ ١٩ ـ ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا﴾ وتفضلون الاشتغال بها ﴿والآخرة خيرٌ وأبقى﴾ من الدنيا فهي باقية أبدية ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى﴾ وهي صحف عظيمة القدر ﴿صحف إبراهيم وموسى﴾ وهي الصحف المكتوبة النازلة عليهما.

سورة الغاشية

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: وصف يوم القيامة وانقسام الناس فيه إلى سعداء وأشقياء مع وعد ووعيد.

١ ـ ٧ ـ ﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾ وهي القيامة التي تغشى الناس وتحيط بهم ﴿وجوهٌ يومئذٍ خاشعةٌ﴾ مذللة بالغم والعذاب ﴿عاملةٌ﴾ في الدنيا ﴿ناصبةٌ﴾ تعبة في الآخرة ﴿تصلى ناراً حاميةً﴾ فتلزمها وتقاسي حرَّها ﴿تسقى من عينٍ آنيةٍ﴾ حارة جداً ﴿ليس لهم طعامٌ إلا من ضريعٍ﴾ وهو نوع من الشوك وهو أخبث الطعام ﴿لايسمن ولايغني من جوعٍ﴾ فهم آكلون منه دائماً.

٨ ـ ١٦ ـ ﴿وجوهٌ يومئذٍ ناعمةٌ﴾ مبتهجة ﴿لسعيها﴾ في الدنيا ﴿راضيةٌ﴾ وقد جوزيت به حسناً ﴿في جنةٍ عاليةٍ﴾ شريفة ﴿لاتسمع فيها لاغيةً﴾ مما لافائدة فيه من الكلام ﴿فيها عينٌ جاريةٌ﴾ كالسلسبيل وغيرها ﴿فيها سررٌ مرفوعةٌ﴾ للتعظيم ﴿وأكوابٌ موضوعةٌ﴾ للتكريم ﴿ونمارق﴾ ووسائد ﴿مصفوفةٌ﴾ فاخرة ﴿وزرابي﴾ وبسط ﴿مبثوثةٌ﴾ ومبسوطة.

١٧ ـ ٢٠ ـ ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾ وسخرت لهم ﴿وإلى السماء كيف رفعت﴾ وزينت بالشمس والقمر والنجوم وما فيها من المنافع لأهل الأرض ﴿وإلى الجبال كيف نصبت﴾ وهي أوتاد الأرض المانعة من مورها وفيها مخازن الماء التي تتفجر منها العيون والأنهار ﴿وإلى الأرض كيف سطحت﴾ وبسطت وصلحت لسكن الإنسان وحياته، وهذه كلها تدبيرات كلية يدبرها رب له الكمال وله البعث والجزاء.

٢١ ـ ٢٦ ـ ﴿فذكر﴾ بالجزاء والحساب والتدبير ﴿إنما أنت مذكرٌ﴾ رسول ﴿لست عليهم بمصيطرٍ﴾ فالرسالة بلاغ لاإكراه ﴿إلا من تولى﴾ عن التذكرة ﴿وكفر﴾ فإن تذكرته لغوٌ لافائدة منه بعد الذكرى ﴿فيعذبه الله العذاب الأكبر﴾ وهو عذاب جهنم. ﴿إن إلينا إيابهم﴾ ورجوعهم ﴿ثم إن علينا حسابهم﴾ وجزاءهم.

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ الْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

سورة الفجر

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: ذم التعلق بالدنيا المتعقب للطغيان والكفران. ١ ـ ٥ ـ ﴿والفجر﴾ قسم بالصبح وقيل أن المراد به فجر يوم النحر وقيل غير ذلك ﴿وليالٍ عشرٍ﴾ لعل المراد بها العشر الأول من ذي الحجة ﴿والشفغ والوتر﴾ يقبلان الانطباق على يوم التروية ويوم عرفة ﴿والليل إذا يسر﴾ أي يمضي، فالمراد به آخر الليل ﴿هل في ذلك﴾ القسم المذكور ﴿قسمٌ لذي حجرٍ﴾ وعقل يميز به الحق من الباطل. وجواب القسم ثبوت تعذيب المنكرين المكذبين. ٦ ـ ١٦ ـ ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعادٍ﴾ قوم هود وكانوا بالأحقاف ومدينتهم ﴿إرم ذات العماد﴾ أي الأعمدة ﴿التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ فلانظير لها، وقد انمحت آثارها ﴿وثمود الذين جابوا﴾ وقطعوا ﴿الصخر بالواد﴾ ينحتون من الجبال بيوتاً ﴿وفرعون ذي الأوتاد﴾ وكان يوتد من يعذبه وذكر حديثاً أنه كان يستعمل الأوتاد لتثبيت الأهرامات ﴿الذين طغوا في البلاد﴾ متجاوزين الحد ﴿فأكثروا فيها الفساد﴾ وليس وراء الطغيان إلا الفساد، فهو يفسد الطاغي ويفسد من يقع عليه الطغيان ويفسد العلاقات في كافة نواحي الحياة ﴿فصب عليهم ربك سوط عذابٍ﴾ كناية عن التعذيب المتتابع ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ يرقبهم ويأخذهم بطغيانهم وفسادهم. ﴿فأما الإنسان﴾ الظلوم الجهول الكفور بحسب نفسه وتدسيتها ﴿إذا ما ابتلاه ربه﴾ وامتحنه ﴿فأكرمه ونعمه﴾ ليشكره لا ليبدل الشكر نقمة تستتبع العذاب ﴿فيقول ربي أكرمن﴾ أي جعلني على كرامة منه بالنعم ﴿وأما إذا ما ابتلاه فقدر﴾ وحَدَّ أو ضَيَّقَ ﴿عليه رزقه﴾ ليبتليه بالشر والخير فتنة ﴿فيقول ربي أهانن﴾ أي أذلني ربي واستخف بي، مع أن ملاك الكرامة هو التقرب إلى الله بالإيمان والعمل الصالح سواء في ذلك الغني والفقير. وأي وجدان وفقدان إنما هو امتحان، فرضى الله أو سخطه لايستدل عليه بالمنح أو المنع فالله يعطي ليبتلي والعاقبة لنتيجة الابتلاء. ١٧ ـ ٢٣ ـ ﴿كلا﴾ ردع لقولهم أن الكرامة في الغنى والمذلة في الفقر ﴿بل لاتكرمون اليتيم﴾ وتحرمونه إرثه ﴿ولاتحاضون على طعام المسكين﴾ ولايحرض بعضكم بعضاً على ذلك ﴿وتأكلون التراث﴾ الذي لغيركم ﴿أكلاً لماً﴾ واللم أكل الإنسان نصيب نفسه ونصيب غيره، وأكله مايجد دون أن يميز الخبيث من الطيب ﴿وتحبون المال حباً جماً﴾ كثيراً ﴿كلا إذا دكت الأرض دكاً دكاً﴾ أي دقت بشدة في يوم القيامة ﴿وجاء ربك﴾ أي جاء أمر ربك ﴿والملك صفاً صفاً﴾ وتقطعت الأسباب وزالت الحجب ﴿وجيء يومئذٍ بجهنم﴾ وبرزت الجحيم للغاوين ﴿يومئذٍ يتذكر الإنسان﴾ أن ماكان يؤتاه في الدنيا كان ابتلاء من الله سبحانه ﴿وأنى له الذكرى﴾ وأين هو من نفعها، والموقف موقف جزاء لاعمل.

سُورَةُ الفَجْرِ — ترتيبها ٨٩ — آياتها ٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ
﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ
﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾
وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾
الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ
عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا
الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ
﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾
كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ
الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾
وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا
دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ
بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾

٢٤ ـ ٢٦ ـ ﴿يقول ياليتني قدمت﴾ العمل الصالح ﴿لحياتي﴾ هذه وهي الآخرة فهي الحياة الحقيقية، ويعلم أن الدنيا ليست مقصودة لذاتها بل مقصودة للآخرة ﴿فيومئذٍ لايعذب عذابه أحدٌ﴾ من خلق ﴿ولا يوثق وثاقه أحدٌ﴾ فعذابه ووثاقه فوق عذاب الخلق ووثاقهم. ٢٧ ـ ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ التي ترى نفسها عبداً لايملك لنفسه شيئاً من نفع أو ضر، بل يرى ذلك امتحاناً إلهياً ﴿ارجعي إلى ربك﴾ يوم القيامة ﴿راضيةً﴾ بما قدر وقضى؛ تكويناً ـ فلاتسخطها نائبة ـ وتشريعاً ـ فلاتزيغها معصية ـ ﴿مرضيةً﴾ قد استوجبت رضى ربها ﴿فادخلي في عبادي﴾ الحائزين مقام العبودية ﴿وادخلي جنتي﴾ تشريفاً لك. وقد سكنت إلى ربك ورضيت بما رضي لك. فهذه النفس ترى نفسها عبداً لايملك لنفسه شيئاً من نفع أو خير ويرى الدنيا دار مجاز ومايستقبله فيها من خير أوشر امتحاناً إلهياً فلاتطغيه النعمة ولايوقعه الفقر في الكفر بل هو مستقر في العبودية سالك الصراط.

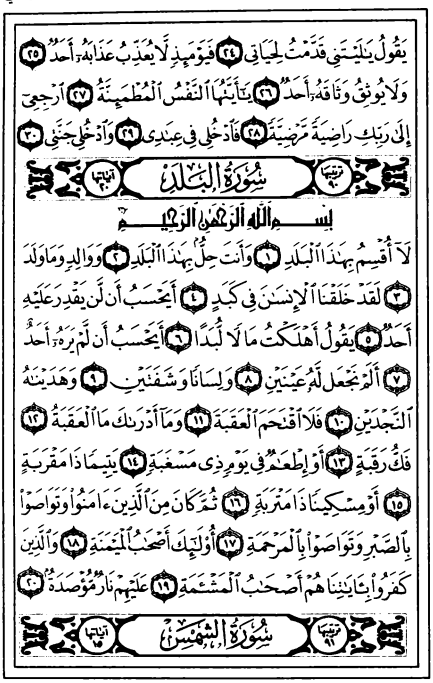
يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٥﴾
وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ
إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾
سُورَةُ الْبَلَدِ
بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ
﴿٣﴾ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ
أَحَدٞ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ
﴿٧﴾ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيۡنَٰهُ
ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾
فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ
﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ
بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴿٢٠﴾
سُورَةُ الشَّمْسِ

سورة البلد

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: ذكر أن خلق الإنسان مبني على الكدح والمشقة. ١ ـ ٥ ـ ﴿لاأقسم بهذا البلد﴾ أي مكة ﴿وأنت حلٌ﴾ أي حال ﴿بهذا البلد﴾ مقيم ومشرّف مكة يا محمد ﴿ووالدٍ﴾ وهو إبراهيم ﴿وما ولد﴾ أي إسماعيل ومابينهما من الرابطة وقد بنيا هذا البلد ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبدٍ﴾ وتعب وكد فحياته مقرونة بالمقاساة والمكابدة. ﴿أيحسب﴾ وهو مقهور فيما قدر له من الأمر ﴿أن لن يقدر عليه أحدٌ﴾ وهو مغلوب مقهور. ٦ ـ ٧ ـ ﴿يقول﴾ ـ والقائل هو بعض من أنفق بعض ماله مستكثراً ماأنفق بعد أن أظهر الإسلام أو مال إليه ـ ﴿أهلكت مالاً لبداً﴾ كثيراً ﴿أيحسب أن لم يره أحدٌ﴾ فالله الخالق له بصير بما أنفق، ولكن الإنفاق وحده لايكفي، بل لابد من القيام بتكاليف العبودية. ٨ ـ ١٠ ﴿ألم نجعل له عينين﴾ يبصر بهما ﴿ولساناً وشفتين﴾ للكلام ﴿وهديناه النجدين﴾ أي علمناه الخير والشر. فالله سبحانه يرى أعمال عباده ويعلم ضمائرهم. ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها﴾ .١١ ـ ١٨ ـ ﴿فلا اقتحم العقبة﴾ إشارة إلى الإنفاق الذي يشق على منفقه أي أفلم يتغلب على نفسه التي تمنعه من الإنفاق المرضي عند الله؟ وعن الحسن (ع) عقبة والله شديدة؛ مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان ﴿وما أدراك ما العقبة﴾ تفخيم لأمرها ﴿فك رقبة﴾ أي عتقها وتحريرها ﴿أو إطعامٌ في يومٍ ذي مسغبةٍ﴾ أي مجاعة ﴿يتيماً ذا مقربةٍ﴾ بالنسب ﴿أو مسكيناً ذا متربةٍ﴾ وقد التصق بالتراب لفقره ﴿ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر﴾ لنيل رضى الله ﴿وتواصوا بالمرحمة﴾ على ذوي الفاقة والمسكنة. ﴿أولئك أصحاب الميمنة﴾ بمعنى اليمن مقابل الشؤم. ١٩ ـ ٢٠ ـ ﴿والذين كفروا بآياتنا﴾ الآفاقية والنفسية، وما يتفرع عنها ﴿هم أصحاب المشأمة﴾ خلاف الميمنة ﴿عليهم نارٌ مؤصدةٌ﴾ أي مطبقة. لأنهم كفروا بالله ومانزل على رسوله من قرآن وأحكام.

سورة الشمس

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: نبذةٌ من آياته تعالى، تذكير الإنسان أن فلاحه بتزكية نفسه وتطهيرها من الفجور، ذكر لمعةٍ من قصة ثمود وجزاء تدسية النفس.

١ ـ ١٠ ـ ﴿والشمس وضحاها﴾ وانبساط ضوئها الذي يماثل إشراق الإيمان عندما تحيا به النفوس، وقد سخرها الله لكم فبنورها معاشكم وتحيا بطاقاتها نباتاتكم وما سخر فيها لكم وحولها تدور أرضكم ..إلخ ﴿والقمر إذا تلاها﴾ وطلع بعد غروبها أو بمعنى كسبه النور منها ﴿والنهار إذا جلاها﴾ وأبرزها أي أبرز الأرض للأبصار ﴿والليل إذا يغشاها﴾ وغطاها، إيماء إلى غشيان الفجور الأرض في زمن النزول الذي هو أوائل ظهور الدعوة الإسلامية. ﴿والسماء وما بناها﴾ واستخدام ﴿ما﴾ بدل ﴿من﴾ لإيثار الإبهام المفيد للتفخيم والتعجيب ﴿والأرض وما طحاها﴾ قسم بعد قسم بالشيء العجيب القوي الذي بسطها. ﴿ونفسٍ وما سواها﴾ قسم آخر بالنفس الإنسانية والمليك ذي القدرة والعلم والحكمة الذي رتب خلقتها ونظمها ﴿فألهمها﴾ بالإلقاء في روعها؛ بإفاضته تعالى الصور العلمية من تصور أو تصديق ﴿فجورها﴾ وهو خرق ستر الديانة ﴿وتقواها﴾ أي تجنبها عن الفجور مع الورع عن محارم الله. فأكل مال اليتيم فجور، وأكل مال النفس تقوى، وكلاهما تعريف من الله للإنسان متن الفعل بعنوانه الأولي المشترك بين التقوى والفجور. ﴿قد أفلح﴾ وظفر بالمطلوب ﴿من زكاها﴾ والزكاة نمو صالح ذو بركة ﴿وقد خاب﴾ وفشل سعي ﴿من دساها﴾ بإنمائها على غير مايقتضيه طبعها، والدس هو إدخال الشيء في الشيء بضرب من الإخفاء.على أن من كمال النفس أنها ملهمة مميزة ـ بحسب فطرتها ـ للفجور من التقوى؛ فهي مزودة باستعدادات متساوية للخير والشر والهدى والضلال والإنسان قادر على تنمية استعدادات الخير ومن يفعل يُفلح ومن يضعف دواعي الخير يخيب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

سُورَةُ اللَّيْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾

١١ ـ ١٥ ـ ﴿كذبت ثمود بطغواها﴾ وطغيانها والضمير للنفس ﴿إذ انبعث﴾ بأمر قومه ﴿أشقاها﴾ وهو قدار بن سالف الذي عقر الناقة ﴿فقال لهم رسول الله﴾ صالح (ع): ﴿ناقة الله وسقياها﴾ لاتتعرضوا لها بالقتل أو منعها عن نوبتها في شرب الماء، واحذروا مغبة المخالفة ﴿فكذبوه فعقروها﴾ لتموت، والعقر إصابة أصل الشيء ﴿فدمدم﴾ وأطبق ﴿عليهم ربهم بذنبهم﴾ فعذبهم ﴿فسواها﴾ أي سوى الأرض، بإعفاء مافيها من ارتفاع وانخفاض فأهلكهم جميعاً ﴿ولايخاف﴾ ربهم ﴿عقباها﴾ أي عاقبة الدمدمة كما يخاف الملوك عاقبة عقاب أعدائهم وتبعته لأنه ﴿لايسأل عما يفعل وهم يسألون﴾

وعن النبي ﷺ: «ياعلي أشقى الأولين عاقر الناقة وأشقى الآخرين قاتلك».

سورة الليل

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: إنذار من بخل وكذب واستغنى بالشقاء وتبشير من أنفق واتقى وصدق بالنعيم.

١ ـ ٤ ـ ﴿والليل إذا يغشى﴾ النهار ﴿والنهار إذا تجلى﴾ وظهر بعد خفاء ﴿وماخلق﴾ وأقسم بالعظمة ذات القدرة العجيبة التي خلقت ﴿الذكر والأنثى﴾ وهم من نوع واحد ﴿إن سعيكم﴾ وعملكم ﴿لشتى﴾ أي متفرق.

٥ ـ ٧ ـ ﴿فأما من أعطى﴾ وأنفق المال لوجه الله ﴿واتقى﴾ تفسير للإعطاء ﴿وصدق بالحسنى﴾ وهي ماوعد الله من الثواب على الإنفاق لوجهه الكريم على أساس الإيمان بالله واليوم الآخر ﴿فسنيسره﴾ ونعده ﴿لليسرى﴾ فنجعله مستعداً للحياة السعيدة عند ربه بسبب أعماله الصالحة.

٨ ـ ١٠ ـ ﴿وأما من بخل واستغنى﴾ وطلب الغنى بالإمساك والجمع ﴿وكذب بالحسنى﴾ وكفر بوعد الله وثوابه الذي بلغه على لسان رسله وأنكر البعث ﴿فسنيسره للعسرى﴾ بخذلانه بعدم توفيقه للأعمال الصالحة.

١١ ـ ﴿وما يغني عنه ماله إذا تردى﴾ وسقط من مكان عال في حفرة القبر أو في جهنم أو إذا هلك.

١٢ ـ ﴿إن علينا للهدى﴾ فقد قضى الله تعالى على نفسه أن يبين للناس سبيله إليه، بمعنى إراءة الطريق، سواء سلكوها أو تركوها، أو بمعنى الإيصال للمطلوب وهذا يتيسر لمن عمل صالحاً وغايته الجنة، والخبيث يركمه في جهنم.

١٣ ـ ﴿وإن لنا للآخرة والأولى﴾ أي عالم العود وعالم البدء، فالله تعالى مالك لكل شيء وكل شيء قائم به.

١٤ ـ ﴿فأنذرتكم ناراً تلظى﴾ لاهبة متوهجة.

١٥ ـ ﴿لا يصلاها﴾ يلزمها ويخلد فيها ﴿إلا الأشقى﴾ الكافر.

١٦ ـ ﴿الذي كذب﴾ بالدعوة ﴿وتولى﴾ وأعرض عنها.

١٧ ـ ﴿وسيجنبها﴾ ويبعد عنها ﴿الأتقى﴾ فهناك من يتقي ضيعة النفوس، فمن يتق الفقر بزعمه يمسك ومن يتق الله يبذل؛ وهو الأتقى.

١٨ ـ ﴿الذي يؤتي ماله﴾ وينفقه ﴿يتزكى﴾ وينمو نماء صالحاً.

١٩ ـ ﴿وما لأحدٍ عنده من نعمةٍ تجزى﴾ فهو يؤتي ماله لوجه الله الذي يبطل دونه كل منعم.

٢٠ ـ ﴿إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾ فيؤتي ماله لوجهه الكريم وهو الأعلى فوق كل عال والمنعم فوق كل منعم.

٢١ ـ ﴿ولسوف يرضى﴾ هذا الأتقى بالجزاء الحسن. وفي ذكر صفتي الربوبية والعلو إشعار أن مايؤتاه من الجزاء أنعم الجزاء وأعلاه وهو المناسب لربوبيته تعالى وعلوه.

سورة الضحى

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: تطييب نفس الرسول. ١ ـ ٥ ـ ﴿والضحى﴾ قسم بانبساط ضوء الشمس ﴿والليل إذا سجى﴾ وسكن وأظلم ﴿ما ودعك ربك﴾ كما قالوا، وماتركك إذ انقطع الوحي أياماً ﴿وما قلى﴾ وما أبغضك ﴿وللآخرة خيرٌ لك من الأولى﴾ فأنت على ماكنت عليه من الفضل مادمت حياً والآخرة خير لك من الدنيا ﴿ولسوف يعطيك ربك﴾ عطاء مطلقاً ﴿فترضى﴾ رضا مطلقاً في الحياتين: بالتقدم على أنبياء الله ورسله، وبشهادة أمتك على سائر الأمم، وبإعطائك مقاماً محموداً وبرفع درجات المؤمنين وإعلاء مراتبهم بشفاعتك.....الخ.

لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

سُورَةُ الضُّحَىٰ — مكية — آياتها ١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

سُورَةُ الشَّرْحِ — مكية — آياتها ٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾

٦ ـ ٨ ـ ﴿ألم يجدك يتيماً﴾ يامحمد ﴿فآوى﴾ فكفلك جدك حتى مات فكفلك عمك ورباك ﴿ووجدك ضالاً﴾ لاتدري ما الكتاب وما الإيمان فالنفس في حال ضلال مع قطع النظر عن هدايته تعالى فلا هدى له ﷺ ولا لأحد من خلقه إلاّ بالله سبحانه، وإن كانت الهداية الإلهية ملازمة لنفسه الكريمة .﴿ووجدك عائلاً﴾ فقيراً، لامال لك، ﴿فأغنى﴾ وقد تزوج خديجة بنت خويلد ﷺ فوهبت له مالها.

٩ ـ ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾ باستذلاله في نفسه أو ماله ﴿وأما السائل فلا تنهر﴾ ولاتزجره إذا سألك رفع حاجته ﴿وأما بنعمة ربك﴾ التي جاد بها عليك ﴿فحدث﴾ واشكر النعمة ولاتسترها.

سورة الشرح

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة :دعوة إلى التوجه إلى الله والنصب فيه والرغبة إليه، وأن ذلك طريق اليسر .١ ـ ٤ ـ ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ ببسطه بنور إلهي وسكينة وروح من الله ﴿ووضعنا عنك وزرك﴾ وحملك الثقيل، بإنفاذ دعوتك وتبليغها ﴿الذي أنقض ظهرك﴾ ونقض الظهر كسره بحيث يسمع له صوت ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ عن مستوى ذكر غيرك. وقد قرن تعالى اسمه باسمه في الشهادتين اللتين هما أساس دين الله، والمسلم يذكر ذلك في كل صلاة على الأقل.

٥ ـ ٨ ـ ﴿فإن مع العسر﴾ وهو ماحمله الله به من الرسالة وأمر به من الدعوة ﴿يسراً﴾ برفع الشدة عنه ﷺ ﴿إن مع العسر يسراً﴾ تكرار للتأكيد والتثبيت وعرف العسر لتحديد مقداره ونكر اليسر لتوسيعه ولن يغلب عسرٌ يُسرين ﴿فإذا فرغت﴾ مما فرض عليك ﴿فانصب﴾ وأتعب نفسك بالعبادة والدعاء ﴿وإلى ربك فارغب﴾ ليمن عليك بما لهذا التعب من الراحة ولهذا العسر من اليسر.

سورة التين

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: التذكير بالمبدأ والمعاد. ١ ـ ﴿والتين والزيتون﴾ قسم بهما لما فيهما من الفوائد وهما الثمرتان أو شجرتاهما؛ أو قسم بجبل التين الذي عليه دمشق، وجبل الزيتون الذي عليه بيت المقدس. ٢ ـ ٣ ـ ﴿وطور سنين﴾ وهو الجبل الذي كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام. ﴿وهذا البلد الأمين﴾ أي مكة وقد جعلت بلداً آمناً. ٤ ـ ٥ ـ ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ فله كمال القوام في كل شيء، وقد جهزه الله بالعلم النافع ومكنه من العمل الصالح. ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ وهو مقام محط أسفل من سفل من أهل الشقوة. ٦ ـ ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجرٌ غير ممنونٍ﴾ أي غير مقطوع. ٧ ـ ﴿فما يكذبك بعد بالدين﴾ أي فما الذي يجعلك مكذباً بالجزاء يوم القيامة، وقد جعل الله الإنسان طائفة مأجورة وطائفة مردودة إلى أسفل سافلين؟. ٨ ـ ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ فوق كل حاكم في إتقان الحكم ونفوذه، فمن الواجب أن تختلف الطائفتان في الجزاء. أم نجعل المتقين كالفجار؟!

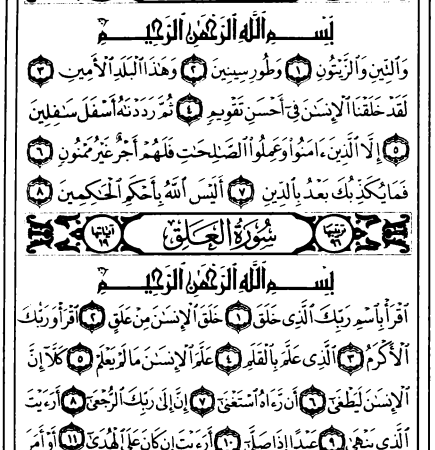
سُورَةُ التِّينِ
مكية وهي ٨ آياتها
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾
سُورَةُ الْعَلَقِ
مكية وهي ١٩ آياتها
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ
الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ
الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ
الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ
بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن
لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ
﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾

سورة العلق

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: بيان نزول الوحي.

١ ـ ﴿إقرأ﴾ والقراءة هي ضم الحروف والكلمات إلى بعضها وإن لم يتم التلفظ بها، وهي أول آيات نزلت على محمد صلى الله عليه وآله أي إقرأ مفتتحاً أو بادئاً ﴿باسم ربك الذي خلق﴾ إشارة إلى قصر الربوبية في الله عز اسمه، وقد كان المشركون ينسبون الخلق لله والتدبير لأربابهم. ٢ ـ ﴿خلق﴾ جنس ﴿الإنسان من علقٍ﴾ والعلق هو الدم المتجمد أو ماتستحيل إليه النطفة في الرحم. وفي هذا دليل على الربوبية. ٣ ـ ﴿إقرأ﴾ أمر ثان ﴿وربك الأكرم﴾ الذي يفوق عطاؤه ماسواه فإليه منتهى كل نعمة. ٤ ـ ﴿الذي علم﴾ القراءة أو الكتابة ﴿بالقلم﴾ وهو قادر على أن يعلمك يامحمد ولو كنت أمياً. ٥ ـ ﴿علم الإنسان مالم يعلم﴾ تطييب لنفسه وتقوية لقلبه صلى الله عليه وآله. ٦ ـ ﴿كلا﴾ فعلى الإنسان أن يشكر النعم ﴿إن الإنسان ليطغى﴾ ويتعدى طوره إنه لظلوم كفار. ٧ ـ ﴿أن رآه﴾ من الرأي وفاعل رآه ومفعوله الإنسان ﴿استغنى﴾ عن ربه، فهو يشتغل بنفسه والأسباب الظاهرية، فيغفل عن ربه فيطغى. ٨ ـ ﴿إن إلى ربك الرجعى﴾ يامحمد، تهديد بالموت والبعث. ٩ ـ ﴿أرأيت﴾ أي أخبرني عن ﴿الذي ينهى﴾ لطغواه. ١٠ ـ ﴿عبداً إذا صلى﴾ وهو محمد صلى الله عليه وآله. ١١ ـ ١٢ ـ ﴿أرأيت إن كان على الهدى﴾ وهو صلى الله عليه وآله على الهدى. ﴿أو أمر بالتقوى﴾ والتزام الطاعة. ١٣ ـ ١٤ ـ ﴿أرأيت إن كذب﴾ الناهي ﴿وتولى﴾

وأعرض. ﴿ألم يعلم﴾ العلم الملازم للاعتقاد ﴿بأن الله﴾ وهو الخالق لكل شيء ﴿يرى﴾ أعمال عباده ولايعجزه شيء لأن له كل كمال؛ فهو يعلم كل شيء. ١٥ ـ ﴿كلا﴾ ليس الأمر كما يقول وأقسم ﴿لئن لم ينته﴾ وينصرف ﴿لنسفعن﴾ لنأخذن بشدة ﴿بالناصية﴾ ولنجذبنه إلى العذاب بذل وهوان. ١٦ ـ ﴿ناصيةٍ كاذبةٍ﴾ كاذب صاحبها ﴿خاطئةٍ﴾ خاطئ صاحبها. ١٧ ـ ﴿فليدع ناديه﴾ ومجالسه وجمعه. ١٨ ـ ﴿سندع الزبانية﴾ وهم الملائكة الموكولون بالنار الذين لاينفع معهم نصر ناصر. ١٩ ـ ﴿كلا لاتطعه﴾ في نهيه عن الصلاة ﴿واسجد﴾ للصلاة، ولعل الصلاة التي كان ﷺ يأتي بها يومئذ تسبيحه تعالى والسجود له ﴿واقترب﴾ أي وتقرب إلى الله. وقيل أن هذه قرينة على أن المراد بالسجود هو الصلاة، وقيل أن المراد به السجود لدى قراءة هذه السورة التي هي إحدى سور العزائم في القرآن، وقيل أن الاقتراب هو الاقتراب من ثوابه تعالى لأن أقرب مايكون به العبد من الله هو حال السجود.

سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: تذكر السورة إنزال القرآن في ليلة القدر وتعظيم الليلة وتفضيلها ١ ـ ﴿إنا أنزلناه﴾ نزولاً إجمالياً على النبي ﷺ غير نزوله التدريجي الذي تم في ثلاث وعشرين سنة ﴿في ليلة القدر﴾ التي يقدر الله فيها حوادث السنة من الليلة إلى مثلها في السنة التالية من حياة وموت ورزق وسعادة وشقاء. ٢ ـ ٥ ـ ﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾ تعظيم لأمرها فيها يفرق كل أمر حكيم ﴿ليلة القدر خيرٌ من ألف شهرٍ﴾ من حيث فضيلة العبادة ﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾ وهو من روح الأمر ﴿بإذن ربهم من كل أمر﴾ أي بسبب كل أمر إلهي أو لأجل تدبير كل أمر كوني ﴿سلامٌ هي﴾ تعرٍ من الآفات بشمول العناية الإلهية للعباد المقربين، وسد باب نقمة جديدة تختص بالليلة ويلزمه وهن كيد الشياطين ﴿حتى مطلع الفجر﴾. فمن أحياها بالدعاء والعبادة نال مضاعفة الحسنات فيها.

سورة البينة

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: بيان عمومية الرسالة واشتمالها على العقائد والأعمال التي تصلح المجتمع. ١ ـ ٣ ـ ﴿لم يكن الذين كفروا﴾ بالدعوة النبوية الإسلامية ﴿من﴾ بعض ﴿أهل الكتاب﴾ فلقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم والذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة والذين قالوا إن المسيح وأمه إلهان والذين قالوا المسيح ابن الله والذين قالوا عزير ابن الله ﴿والمشركين﴾ من عبدة الأصنام وغيرهم ﴿منفكين﴾ منفصلين عما تقتضي سنة الهداية ﴿حتى تأتيهم البينة﴾ وهي محمد ﷺ ﴿رسول من الله يتلو صحفاً﴾ أي كتباً سماوية ﴿مطهرة﴾ من قذارة الباطل ومس الشياطين ﴿فيها كتبٌ﴾ أي أحكام وعقائد ﴿قيمةٌ﴾ تقوم بأمر المجتمع وتحفظ مصلحته. ٤ ـ ٥ ـ ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب﴾ وهم أعم من

سُورَةُ القَدْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

سُورَةُ البَيِّنَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾

أهل الكتاب فالمعنى يشمل المشركين ﴿إلا من بعد ماجاءتهم البينة﴾ أي البيان النبوي الذي أوضحه لهم أنبياؤهم. ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ لايشركون به شيئاً ﴿حنفاء﴾ مائلين عن الإفراط والتفريط إلى وسط الاعتدال ﴿ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة﴾ وهما التوجه العبودي الخالص إلى الله والإنفاق في سبيله عن إيمان به ﴿وذلك دين﴾ الكتب السماوية ﴿القيمة﴾ فدعوة الرسول الكريم محمد ﷺ هي الدعوة إلى الدين الذي كلفوه في كتبهم القيمة، ودين محمد هو القيمة الحافظة لمصالح المجتمع. فرسالة النبي ﷺ شاملة لعامة البشر. ٦ ـ ﴿إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين﴾ وقد كفروا بالبينة التي كانت توجبها سنة الهداية وما كانت تدعو إليه من الدين القيم ﴿في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية﴾ أي الخلق. ٧ ـ ٨ ـ ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾ قصر الخيرية فيهم ﴿جزاؤهم عند ربهم جنات عدن﴾ والعدن هو الاستقرار والدوام ﴿تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً﴾ فلا زوال ولاتحول ﴿رضي الله عنهم﴾ فأثابهم جزاء إيمانهم وعملهم الصالح ﴿ورضوا عنه﴾ بما نالوا ﴿ذلك﴾ علامة ﴿لمن خشي ربه﴾ فالعلم بالله يستتبع الخشية، والخشية تستتبع الإيمان بمعنى الالتزام بالعقيدة والعمل الصالح.

جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

ترتيبها ٩٩ آياتها ٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ الْعَادِيَاتِ

ترتيبها ١٠٠ آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾

سورة الزلزلة

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: بيان القيامة وأحوالها. ١ ـ ٥ ـ ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ الشديد الهائل ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ ومتاعها أي الموتى التي فيها، أو كنوزها أو جميع مافيها ﴿وقال الإنسان﴾ مدهوشاً ﴿مالها﴾ تعجباً من زلزلتها ﴿يومئذ تحدث أخبارها﴾ فتشهد على أعمال بني آدم ﴿بأن ربك أوحى لها﴾ يوم القيامة أن تؤدي شهادتها. ويظهر أن الأشياء ذوات شعور، وإن كان الإنسان في غفلة من ذلك. ٦ ـ ٨ ـ ﴿يومئذ يصدر﴾ وينصرف ﴿الناس أشتاتاً﴾ متفرقين إلى منازلهم في الجنة والنار ﴿ليروْا أعمالهم﴾ أي جزاءها أو يروها نفسها بناء على تجسم الأعمال. ﴿فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره﴾ فلايستثنى من الإرادة صغير الأعمال ولاكبيرها من خير أو شر ﴿ومن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يره﴾ ومن حبط عمله محكوم بأنه لم يعمل خيراً، كأنه لاعمل له حتى يراه، وعلى هذا القياس في غيره فافهم.

سورة العاديات

بسم الله الرحمن الرحيم

غرض السورة: بيان عاقبة كفر النعم. ١ ـ ٥ ـ ﴿والعاديات﴾ قسم بالجاريات من الخيل ﴿ضبحاً﴾ تظهر أصوات أنفاسها،

وقد نزلت في علي ﷺ وسريته في غزوة ذات السلاسل. بعد أن أرسل ﷺ جمعاً من الصحابة فرجعوا.فلما نزلت السورة صلى رسول الله ﷺ بالناس الغداة وقرأ فيها والعاديات فقال أصحابه: هذه سورة لم نعرفها، فقال ﷺ: نعم إن علياً ظفر بأعداء الله وبشرني بذلك جبريل في هذه الليلة ﷺ، فقدم علي ﷺ بعد أيام بالغنائم والأسرى ﴿فالموريات﴾ المخرجات النار ﴿قدحاً﴾ وضرباً بحوافرها ﴿فالمغيرات﴾ الهاجمات بغتة ﴿صبحاً﴾ في وقت الصبح ﴿فأثرن به نقعاً﴾ وهيجن بالعدو الغبار ﴿فوسطن به جمعاً﴾ أي فتوسطن بالغبار جمع العدو. ٦ ـ ١٠ ـ ﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾ كفور، لانكبابه على الدنيا وعدم شكر المنعم، وقد كفر المغار عليهم بنعمة الإسلام ﴿وإنه﴾ أي الإنسان ﴿على ذلك لشهيدٌ﴾ فهو شهيد على كفره ﴿وإنه لحب الخير﴾ أي المال ﴿لشديدٌ﴾ أي بخيل شحيح ﴿أفلا يعلم إذا بعثر مافي القبور﴾ من الأبدان.

١١ ـ ﴿وحصل مافي الصدور﴾ وميز مافي سرائر النفوس من الإيمان والكفر والطاعة والمعصية ﴿إن ربهم بهم يومئذٍ لخبيرٌ﴾ يجازيهم بما فيها.

وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

سُورَةُ القَارِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

سورة القارعة

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ٥ ـ ﴿القارعة﴾ من القرع والضرب الشديد ﴿ما القارعة﴾ وهي تقرع القلوب بالفزع ﴿وما أدراك ما القارعة﴾ وهي من أسماء القيامة ﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث﴾ ينتشرون في جهات شتى إلى منازلهم المختلفة سعادة وشقاء. ﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ أي كالصوف المنتشر إشارة إلى تلاشيها.

٦ ـ ١١ ـ ﴿فأما من ثقلت موازينه﴾ وكان من أعماله ماهو ثقيل في الميزان وما له قدر ومنزلة عند الله ﴿فهو في عيشةٍ راضيةٍ﴾ هانئة ﴿وأما من خفت موازينه﴾ وقصرت به أعماله ﴿فأمه هاويةٌ﴾ فجهنم مأواه ومرجعه كما يرجع الولد إلى أمه. ﴿وما أدراك ما هيه﴾ -تعظيم لأمر النار -﴿نارٌ حاميةٌ﴾ شديدة الحرارة.

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

سورة التكاثر

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ٢ ـ ﴿ألهاكم التكاثر﴾ وشغلكم التباري في متاع الدنيا وزينتها عما يهمكم وهو ذكر الله ﴿حتى زرتم المقابر﴾ وقد ورد أن قبيلتين من الأنصار تفاخرتا بالأحياء ثم بالأموات أيهما ذات عدد أكثرحتى زاروا المقابر لعد موتاهم.

٣ ـ ﴿كلا سوف تعلمون﴾ تبعة تلهيكم عند الموت ﴿ثم كلا سوف تعلمون﴾ تبعتها عند البعث ﴿كلا لو تعلمون علم اليقين﴾ لشغلكم ماتعلمون عن التباهي والتفاخر بالكثرة، ﴿لترون الجحيم﴾ رؤية قلبية قبل وقوعها لو علمتم علم اليقين ﴿ثم لترونها عين اليقين﴾ يوم القيامة ﴿ثم لتسألن يومئذٍ عن النعيم﴾ أي عن النعم التي أنعم الله بها ظاهرة وباطنة، فاستعمال النعم في رضى الله يوصل الإنسان إلى الطاعة، وأما نسيانها فيؤدي إلى المعصية لانقطاع الغاية بالضلال بعد النسيان. ثم إلى السؤال عن عمل العبد، كيف استعمل النعمة أشكرها أم كفر بها.

سورة العصر

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ٣ ـ ﴿والعصر﴾ قسم بعصر النبي ﷺ عصر ظهور الحق على الباطل ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾ ونقص في رأس المال ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ فهم آمنون من الخسر، فالاعتقاد الحق والعمل الصالح ملاك السعادة الأخروية، ومن كفر فعليه كفره وقد خسرت تجارته وحرم الخير ﴿وتواصوا بالحق﴾ واتباعه والدوام عليه ﴿وتواصوا بالصبر﴾ والمراد به أعم من الصبر على الطاعة وعن المعصية وعن النوائب، فالحياة رأس مال للإنسان يكسب به مايعيش به في حياته الآخرة فإن اتبع الحق في العقيدة والعمل فقد ربحت تجارته وأمن الشر وإن اتبع الباطل خسرت تجارته وحرم الخير في عاقبته؛ فالصابر ظافر.

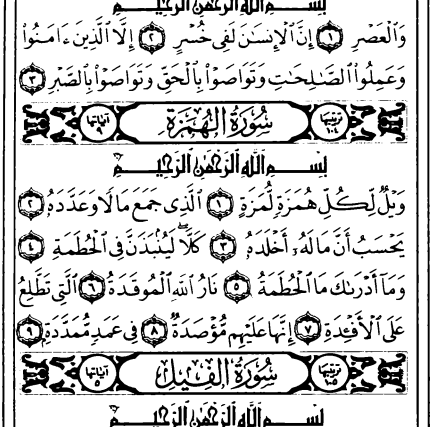
سُورَةُ العَصر
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾
سُورَةُ الهُمَزة
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾
سُورَةُ الفِيل
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

سورة الهمزة

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ٣ ـ ﴿ويلٌ لكل همزة﴾ طعان غياب غيره بغيبته بما ليس بعيب وبغير حق ﴿لمزة﴾ يعيب في الوجه ﴿الذي جمع مالاً﴾ حقيراً ﴿وعدده﴾ وهو لايغني عنه شيئاً ﴿يحسب أن ماله أخلده﴾ في الدنيا لإخلاده إلى الأرض. ٤ ـ ٩ ـ ﴿كلا﴾ ردع عن حسبانه الخلود بالمال ﴿لينبذن﴾ ويقذفن ﴿في الحطمة﴾ وهي من أسماء جهنم، والحطمة مبالغة من الكسر ﴿وما أدراك ماالحطمة﴾ تفخيم وتهويل ﴿نار الله الموقدة﴾ المشتعلة ﴿التي تطلع على الأفئدة﴾ وتشرف على النفوس وهي مبدأ الشعور والكفر وموطن الكفر والمعتقدات الفاسدة والنيات الخبيثة فتحرقها كما تحرق الظاهر ﴿إنها عليهم مؤصدة﴾ مطبقة لامخرج لهم منها ﴿في عمدٍ ممددة﴾ يوثقون إليها.

سورة الفيل

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ٥ ـ ﴿ألم تر﴾ أي ألم تعلم ﴿كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ وعلى رأسهم أبرهة الأشرم، وقد كانت الواقعة في عام مولد النبي ﷺ ﴿ألم يجعل كيدهم﴾ أي سوء قصدهم بمكة وتخريب البيت الحرام ﴿في تضليل﴾ فجعل سعيهم ضالاً لايهتدي إلى الغاية المقصودة فقد أدى بهم إلى هلاك أنفسهم ﴿وأرسل عليهم طيراً أبابيل﴾ وجماعات زمرة بعد زمرة ﴿ترميهم بحجارة من سجيل﴾ نوع من الطين والحجر ﴿فجعلهم كعصفٍ مأكولٍ﴾ أي كورق زرع أكل حبه، أجساداً بلا أرواح.

سورة قريش

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ٤ ـ ﴿لإيلاف﴾ والإلف هو اجتماع مع التئام ﴿قريش﴾ هي عشيرة النبي ﷺ وهم ولد النضر بن كنانة المسمى قريشاً ﴿إيلافهم رحلة الشتاء﴾ إلى اليمن ﴿والصيف﴾ إلى بلاد الشام، وكانوا يعيشون بذلك وكان الناس لايتعرضون لهم ويحترمونهم لمكان البيت الحرام ﴿فليعبدوا رب هذا البيت﴾ لإيلافهم الرحلتين وأمنهم، وهذه نعمة إضافة إلى نعمة مافعل الله بأصحاب الفيل ﴿الذي أطعمهم من جوع﴾ وهم يعيشون في أرض جدبة ﴿وآمنهم من خوف﴾ فهو ربهم المدبر أمرهم.

سُورَةُ قُرَيْشٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَآءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾

سورة الماعون

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ٧ ـ ﴿أرأيت﴾ يامحمد بمعنى الرؤية أو العلم ﴿الذي يكذب بالدين﴾ أي يوم الجزاء ﴿فذلك الذي يدع﴾ ويرد ﴿اليتيم﴾ بعنف ﴿ولا يحض﴾ لايرغب ولايحث ﴿على طعام المسكين﴾ وهو يظن أنه مالك لما يعطي ﴿فويلٌ للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ غافلون لايبالون أن تفوتهم بالكلية أو بعض الأوقات، أو تتأخر عن وقت فضيلتها. وهذا تكذيب بالدين عملاً مع تظاهر بالإيمان ﴿الذين هم يراؤون﴾ أي يأتون بالعبادة لمراءاة الناس، فهم يعملون للناس لا لله تعالى لأنهم يؤدون حركات الصلاة ولكن قلوبهم تتجه إلى الناس ﴿ويمنعون الماعون﴾ وهو كل مايعين الغير كالقرض والمعروف وإعارة المتاع وغيره؛ والماعون هو اليسير الذي لايؤبه به؛ ومن كان هذا سلوكه كان على شعبة من الشرك؛ وكذلك فإن منع الزكاة التي هي ركن للإسلام تكذيب بالدين؛ وكم ترى من المتسمين بالإسلام بل من العلماء منهم من هو على هذه الصفة.

سُورَةُ الْمَاعُونِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾

سورة الكوثر

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ٢ ـ ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ تطييب لنفس الرسول الكريم، وقد نزلت السورة ـ على ماستفاضت به الروايات فيمن عابه ﷺ بالبتر بعدما مات ابناه القاسم وعبد الله، ولاتخلو الآية من دلالة على أن العطاء هو ذرية فاطمة عليها السلام، وقد كثر الله نسله بعده كثرة لايعادلهم فيها أي نسل مع مانزل عليهم من النوائب، وماحل بهم من التقتيل، وقيل أن الكوثر هو الخير الكثير وقيل نهر في الجنة وقيل غير ذلك. ﴿فصل لربك﴾ واشكر نعمته بالصلاة ﴿وانحر﴾ والنحر هو رفع اليدين في تكبير الصلاة إلى النحر.

سُورَةُ الْكَوْثَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

٣ ـ ﴿إن شانئك﴾ أي مبغضك مع سوء خلقه؛ وهو العاصي بن وائل ﴿هو الأبتر﴾ الذي لاعقب له.

سورة الكافرون

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ٦ ـ ﴿قل﴾ يامحمد ﴿يا أيها الكافرون﴾ والخطاب لقوم معهودين لإعلان البراءة من دينهم ﴿لا أعبد ماتعبدون﴾ من الأصنام، وقد قالت قريش لرسول الله ﷺ: تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ نفي استقبالي أيضاً لعبادتهم ما يعبده ﷺ ﴿ولا أنا عابدٌ ما عبدتم﴾ فلا أشارككم لا في المعبود ولا في العبادة ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ فمعبودي هو الله وعبادتي ماشرع الله، وعبادتكم ما ابتدعتموه جهلاً وافتراء ﴿لكم دينكم﴾ الذي لايتعداكم إلي وهو عبادة الأصنام ﴿ولي دينُ﴾ لايتعداني إليكم ويختص بي وهو دين التوحيد. فهي البراءة الكاملة والحسم الصريح؛ فالإسلام إسلام والجاهلية جاهلية والسبيل إلى الإسلام هو الانسلاخ من الجاهلية بكل قيمتها وتصوراتها وأفكارها وتقاليدها وطقوسها؛ والهجرة إلى الإسلام بكل مافيه ولاتوسط في ذلك ولا أنصاف حلول ولا مساومة ولو تزينت الجاهلية بزي الإسلام أو ادعت هذا العنوان.

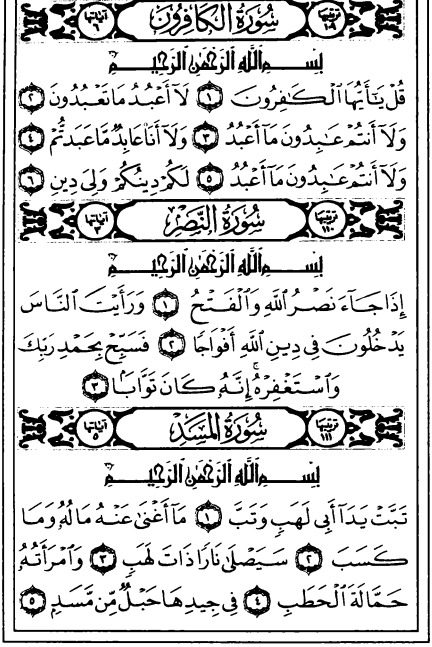

سورة النصر

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ٤ ـ ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ بشرى له ﷺ بفتح مكة وقد انهدم به بنيان الشرك في جزيرة العرب ﴿ورأيت الناس يدخلون في دين الله﴾ وإن الدين عند الله الإسلام ﴿أفواجاً﴾ وجماعة بعد جماعة ﴿فسبح بحمد ربك﴾ تنزيهاً له وقد أبطل الباطل وأحق الحق مع حمده والثناء عليه على هذه النعمة ﴿واستغفره﴾ فللرب تعالى على عبده أن يذكره بصفات كماله، ويذكر نفسه بما له من النقص والحاجة إلى ربه وهو طلب المغفرة، ومعناه فيه ﷺ -وهو مغفور- إدامة المغفرة. ﴿إنه كان تواباً﴾ تشويق وتأكيد للاستغفار، ليتم شكره ﷺ لربه. وقد وقف ﷺ على باب الكعبة ثم قال" :لا إله إلا الله وحده لاشريك له صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده ﷺ، وقد أعتق ﷺ قريشاً وكانوا له فيئاً وقد مكنه الله منهم عنوة.

سورة المسد

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿تبت﴾ خسرت وهلكت وبطلت ﴿يدا أبي لهب﴾ بن عبد المطلب، عم النبي ﷺ وكان شديد المعاداة والتكذيب

لرسول الرحمة ﷺ ﴿وتب﴾ بما كسبت يداه؛ وبما رد على النبي حين دعاه إلى الإسلام حيث قال للرسول ﷺ: تباً لك. ٢ ـ ﴿ما أغنى عنه ماله﴾ وما دفع عنه ماله ﴿وما كسب﴾ من عمل تباب نفسه. ٣ ـ ٥ ـ ﴿سيصلى﴾ سيدخل ويقاسي ﴿ناراً ذات لهبٍ﴾ هي نار جهنم ﴿وامرأته حمالة الحطب﴾ معه ﴿في جيدها حبلٌ من مسدٍ﴾ وهو الحبل المفتول من الليف؛ وهذه هيئتها في الدنيا وقد كانت تحمل الشوك وتطرحه في طريق رسول الله ﷺ.

سورة الإخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

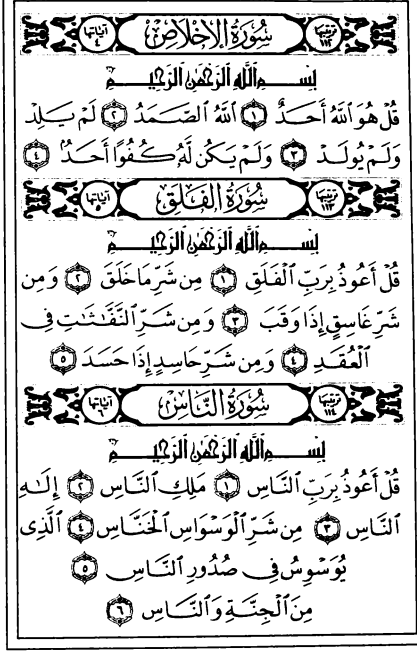
سُورَةُ الإِخْلَاصِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾
سُورَةُ الْفَلَقِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾
سُورَةُ النَّاسِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

١ ـ ﴿قل هو الله أحدٌ﴾ ـ والأحد يطلق على مالايقبل الكثرة ولا العد ـ من هنا منهج كامل ينبثق ليحيي الناس وشرعة للتحرك والعمل والخلاص لكي يكون الإنسان خليفة الله في أرضه كما شاءه الله أن يكون؛ حاملاً أحكامه وشرائعه وقيمه وموازينه مخلصاً له الدين.

٢ ـ ﴿الله الصمد﴾ أي السيد المقصود، فهو الصمد في كل حاجة في الوجود، وقيل الصمد بمعنى المصمت الذي ليس بأجوف فلايأكل ولا يشرب ولاينام ولايلد ولايولد.

٣ ـ ﴿لم يلد﴾ فالولادة نوع من التجزؤ والتبعض، وهو لايجانس حتى تكون له صاحبة من جنسه فيتوالد ﴿ولم يولد﴾ لأن كل مولود محدث وجسم؛ كما أن تولد شيء من شيء لايتم إلا مع حاجة من المتولد إلى ماولد منه، وهو سبحانه صمد؛ وهذا نفي لقول النصارى: المسيح ابن الله؛ ولقول الوثنيين أن آلهتهم أبناؤه سبحانه فهو صمد على الإطلاق ويحتاج إليه كل من سواه.

٤ ـ ﴿ولم يكن له كفواً أحدٌ﴾ فلا مثيل ولانظير ولامكافئ له لا في ذاته ولا في فعله.

سورة الفلق

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿قل أعوذ﴾ أتحرز من الشر وألتجيء إلى من يدفعه وأعتصم ﴿برب الفلق﴾ والفلق هو الصبح الذي يفلق الظلام ويشقه وقيل الفلق هو الخلق وقيل هو جب في جهنم.

٢ ـ ﴿من شر﴾ من يحمل شراً من ﴿ما خلق﴾ من الإنس والجن وكل ذي شر.

٣ ـ ﴿ومن شر غاسقٍ﴾ والغسق هو أول ظلمة الليل إذا غاب ضوء الشمس ﴿إذا وقب﴾ ودخل؛ والإنسان أضعف تجاه شر الليل.

٤ ـ ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾ أي الساحرات اللواتي يسحرن بالعقد وماهم بضارين به من أحد إلا بإذن الله.

٥ ـ ﴿ومن شر حاسدٍ إذا حسد﴾ أي تلبس بالحسد وعمل بما في نفسه منه.

سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ٣ ـ ﴿قل أعوذ﴾ ألتجيء وأحتمي؛ والاعتصام يكون إما برب يرجع إليه الإنسان في حوائجه، ويدبر أمره، ويدفع عنه مايهدده من الشر وهذا سبب تام في ذاته؛ وإما بذي قوة أو سلطان يدفع الشر بسلطته ويجيره إذا استجاره، كملك من الملوك، وهذا سبب تام في ذاته أيضاً وإما بإله معبود قادر على كل شيء.فكيف إذا كان الرب ملكاً إلهاً. فاعتصموا ﴿برب الناس﴾ وهو ﴿ملك الناس﴾ -والملك أبعد من الرب وأعم ولاية- وهو ﴿إله الناس﴾ ولازم المعبودية إخلاص العبد نفسه له تعالى فلايدعو إلا إياه ولايريد إلا ماأراده ولايعمل إلامايشاؤه فهو المعبود الولي الذي يقصده الإنسان عن إخلاصه لا عن طبعه المادي. ٤ ـ ﴿من شر الوسواس﴾ ـ والوسوسة حديث النفس ـ ﴿الخناس﴾ من الخنوس أي الاختفاء بعد الظهور. وقيل سمي الشيطان خناساً لأنه يوسوس للإنسان فإذا ذكر الله تعالى رجع وتأخر وإذا غفل عاد إلى وسوسته. فهو يعدهم ويمنيهم حتى يواقعوا الخطيئة، فإذا واقعوها أنساهم الاستغفار. ٥ ـ ﴿الذي يوسوس في صدور﴾ أي نفوس ﴿الناس﴾ فالنفوس هي مبدأ الإدراك. ٦ ـ ﴿من الجنة والناس﴾ فمن الناس من هو ملحق بالشياطين وفي زمرتهم. وفي الدر المنثور أخرج أحمد عن أبي سعيد الخدري عن النبيﷺ قال: قال إبليس: يارب وعزتك لاأزال أغوي بني آدم ما كانت أرواحهم في أجسادهم، فقال الله: وعزتي لا أزال أغفر لهم مااستغفروني. والله أعلم.

﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

دُعَاءُ خَتْمِ القُرْآنِ الكَرِيمِ

اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي بِالقُرْءَانِ وَاجْعَلْهُ لِي إِمَامًا وَنُورًا وَهُدًى وَرَحْمَةً اللَّهُمَّ ذَكِّرْنِي مِنْهُ مَا نَسِيتُ وَعَلِّمْنِي مِنْهُ مَا جَهِلْتُ وَارْزُقْنِي تِلاَوَتَهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ وَاجْعَلْهُ لِي حُجَّةً يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ * اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِن كُلِّ شَرٍّ * اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عُمْرِي آخِرَهُ وَخَيْرَ عَمَلِي خَوَاتِمَهُ وَخَيْرَ أَيَّامِي يَوْمَ أَلْقَاكَ فِيهِ * اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِيشَةً هَنِيَّةً وَمِيتَةً سَوِيَّةً وَمَرَدًّا غَيْرَ مُخْزٍ وَلاَ فَاضِحٍ * اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَسْأَلَةِ وَخَيْرَ الدُّعَاءِ وَخَيْرَ النَّجَاحِ وَخَيْرَ الْعِلْمِ وَخَيْرَ الْعَمَلِ وَخَيْرَ الثَّوَابِ وَخَيْرَ الْحَيَاةِ وَخَيْرَ الْمَمَاتِ وَثَبِّتْنِي وَثَقِّلْ مَوَازِينِي وَحَقِّقْ إِيمَانِي وَارْفَعْ دَرَجَتِي وَتَقَبَّلْ صَلاَتِي وَاغْفِرْ خَطِيئَاتِي وَأَسْأَلُكَ الْعُلاَ مِنَ الْجَنَّةِ * اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ وَالسَّلاَمَةَ مِن كُلِّ إِثْمٍ وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ وَالْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ * اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ * اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهَا جَنَّتَكَ وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا وَلاَ تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا وَلاَ تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلاَ مَبْلَغَ عِلْمِنَا وَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لاَ يَرْحَمُنَا * اللَّهُمَّ لاَ تَدَعْ لَنَا ذَنْبًا إِلاَّ غَفَرْتَهُ وَلاَ هَمًّا إِلاَّ فَرَّجْتَهُ وَلاَ دَيْنًا إِلاَّ قَضَيْتَهُ وَلاَ حَاجَةً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلاَّ قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ * رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الأَخْيَارِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

السُّورَة	رقمها	الصفحة	السُّورَة	رقمها	الصفحة
الفَاتِحَة	١	٧	الرُّوم	٣٠	٤٦٦
البَقَرَة	٢	٩	لقمَان	٣١	٤٧٣
آل عِمْرَان	٣	٦٧	السَّجْدَة	٣٢	٤٧٧
النِّسَاء	٤	٩٩	الأحزَاب	٣٣	٤٨٠
المَائدة	٥	١٣١	سَبَأ	٣٤	٤٩٠
الأنعَام	٦	١٦٠	فَاطِر	٣٥	٤٩٦
الأعْرَاف	٧	١٨٩	يَس	٣٦	٥٠٢
الأنفَال	٨	٢١٧	الصَّافات	٣٧	٥٠٨
التَّوبَة	٩	٢٢٩	ص	٣٨	٥١٥
يُونس	١٠	٢٥١	الزُّمَر	٣٩	٥٢٠
هُود	١١	٢٦٤	غَافر	٤٠	٥٢٩
يُوسُف	١٢	٢٨٠	فُصِّلَت	٤١	٥٣٩
الرَّعْد	١٣	٢٩٦	الشورى	٤٢	٥٤٥
إبراهيم	١٤	٣٠٤	الزُّخرُف	٤٣	٥٥١
الحِجْر	١٥	٣١٣	الدُّخَان	٤٤	٥٥٨
النَّحْل	١٦	٣١٨	الجَاثِيَة	٤٥	٥٦١
الإسْرَاء	١٧	٣٣٥	الأحْقاف	٤٦	٥٦٤
الكَهْف	١٨	٣٤٩	محَمَّد	٤٧	٥٦٩
مَرْيَم	١٩	٣٦٢	الفَتْح	٤٨	٥٧٣
طٰه	٢٠	٣٧٠	الحُجرَات	٤٩	٥٧٧
الأنبيَاء	٢١	٣٨٢	قٓ	٥٠	٥٨٠
الحَجّ	٢٢	٣٩٣	الذَّاريَات	٥١	٥٨٢
المؤمنون	٢٣	٤٠٣	الطُّور	٥٢	٥٨٥
النُّور	٢٤	٤١٢	النَّجْم	٥٣	٥٨٨
الفُرْقان	٢٥	٤٢١	القَمَر	٥٤	٥٩٠
الشُّعَرَاء	٢٦	٤٢٩	الرَّحمٰن	٥٥	٥٩٣
النَّمْل	٢٧	٤٣٩	الواقِعَة	٥٦	٥٩٦
القَصَص	٢٨	٤٤٧	الحَديد	٥٧	٥٩٩
العَنكبوت	٢٩	٤٥٨	المجَادلة	٥٨	٦٠٤

السُّورَة	رقمها	الصفحة
الفَاتِحَة	١	٧
البَقَرَة	٢	٩
آل عِمْرَان	٣	٦٧
النِّسَاء	٤	٩٩
المَائدة	٥	١٣١
الأنعَام	٦	١٦٠
الأعْرَاف	٧	١٨٩
الأنفَال	٨	٢١٧
التَّوبَة	٩	٢٢٩
يُونس	١٠	٢٥١
هُود	١١	٢٦٤
يُوسُف	١٢	٢٨٠
الرَّعْد	١٣	٢٩٦
إبراهيم	١٤	٣٠٤
الحِجْر	١٥	٣١٣
النَّحْل	١٦	٣١٨
الإسْرَاء	١٧	٣٣٥
الكَهْف	١٨	٣٤٩
مَرْيَم	١٩	٣٦٢
طٰه	٢٠	٣٧٠
الأنبيَاء	٢١	٣٨٢
الحَجّ	٢٢	٣٩٣
المؤمنون	٢٣	٤٠٣
النُّور	٢٤	٤١٢
الفُرْقان	٢٥	٤٢١
الشُّعَرَاء	٢٦	٤٢٩
النَّمْل	٢٧	٤٣٩
القَصَص	٢٨	٤٤٧
العَنكبوت	٢٩	٤٥٨

السُّورَة	رقمها	الصفحة
الرُّوم	٣٠	٤٦٦
لقمَان	٣١	٤٧٣
السَّجْدَة	٣٢	٤٧٧
الأحزَاب	٣٣	٤٨٠
سَبَأ	٣٤	٤٩٠
فَاطِر	٣٥	٤٩٦
يَس	٣٦	٥٠٢
الصَّافات	٣٧	٥٠٨
ص	٣٨	٥١٥
الزُّمَر	٣٩	٥٢٠
غَافر	٤٠	٥٢٩
فُصِّلَت	٤١	٥٣٩
الشورى	٤٢	٥٤٥
الزُّخرُف	٤٣	٥٥١
الدُّخَان	٤٤	٥٥٨
الجَاثِيَة	٤٥	٥٦١
الأحْقاف	٤٦	٥٦٤
محَمَّد	٤٧	٥٦٩
الفَتْح	٤٨	٥٧٣
الحُجرَات	٤٩	٥٧٧
قٓ	٥٠	٥٨٠
الذَّاريَات	٥١	٥٨٢
الطُّور	٥٢	٥٨٥
النَّجْم	٥٣	٥٨٨
القَمَر	٥٤	٥٩٠
الرَّحمٰن	٥٥	٥٩٣
الواقِعَة	٥٦	٥٩٦
الحَديد	٥٧	٥٩٩
المجَادلة	٥٨	٦٠٤

السورة	رقمها	الصفحة	
الحشر	٥٩	٦٠٧	مدنية
الممتحنة	٦٠	٦١١	مدنية
الصف	٦١	٦١٣	مدنية
الجمعة	٦٢	٦١٥	مدنية
المنافقون	٦٣	٦١٦	مدنية
التغابن	٦٤	٦١٨	مدنية
الطلاق	٦٥	٦٢٠	مدنية
التحريم	٦٦	٦٢٢	مدنية
الملك	٦٧	٦٢٤	مكية
القلم	٦٨	٦٢٦	مكية
الحاقة	٦٩	٦٢٨	مكية
المعارج	٧٠	٦٣٠	مكية
نوح	٧١	٦٣٢	مكية
الجن	٧٢	٦٣٤	مكية
المزمل	٧٣	٦٣٦	مكية
المدثر	٧٤	٦٣٧	مكية
القيامة	٧٥	٦٣٩	مكية
الإنسان	٧٦	٦٤٠	مدنية
المرسلات	٧٧	٦٤٢	مكية
النبأ	٧٨	٦٤٥	مكية
النازعات	٧٩	٦٤٦	مكية
عبس	٨٠	٦٤٨	مكية
التكوير	٨١	٦٤٩	مكية
الانفطار	٨٢	٦٥٠	مكية
المطففين	٨٣	٦٥٠	مكية
الانشقاق	٨٤	٦٥٢	مكية
البروج	٨٥	٦٥٣	مكية
الطارق	٨٦	٦٥٥	مكية
الأعلى	٨٧	٦٥٥	مكية
الغاشية	٨٨	٦٥٦	مكية
الفجر	٨٩	٦٥٧	مكية
البلد	٩٠	٦٥٨	مكية
الشمس	٩١	٦٥٩	مكية
الليل	٩٢	٦٦٠	مكية
الضحى	٩٣	٦٦١	مكية
الشرح	٩٤	٦٦١	مكية
التين	٩٥	٦٦٢	مكية
العلق	٩٦	٦٦٢	مكية
القدر	٩٧	٦٦٣	مكية
البينة	٩٨	٦٦٣	مدنية
الزلزلة	٩٩	٦٦٤	مدنية
العاديات	١٠٠	٦٦٤	مكية
القارعة	١٠١	٦٦٥	مكية
التكاثر	١٠٢	٦٦٥	مكية
العصر	١٠٣	٦٦٦	مكية
الهمزة	١٠٤	٦٦٦	مكية
الفيل	١٠٥	٦٦٦	مكية
قريش	١٠٦	٦٦٧	مكية
الماعون	١٠٧	٦٦٧	مكية
الكوثر	١٠٨	٦٦٧	مكية
الكافرون	١٠٩	٦٦٨	مكية
النصر	١١٠	٦٦٨	مدنية
المسد	١١١	٦٦٨	مكية
الإخلاص	١١٢	٦٦٩	مكية
الفلق	١١٣	٦٦٩	مكية
الناس	١١٤	٦٧٠	مكية